

أما إلى المرتضى

غُرر الفوائد ودرر القلائد

للشرف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل البرهاني

بازار حیات الكتاب العربیة
عیسی البابی الجبلی وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِسُ تَأْوِيلِ آيَةٍ

قال الشريفُ الرِّضِيُّ قدسَ اللهُ رُوحَه : إنَّ (١) سألَ سائلٌ عن قولِ اللهِ تعالى (١) : [اظ]
﴿ وَإِذْ أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا
تَدْمِيرًا ﴾ . [الإسراء : ١٦] .

في هذه (٢) الآية وجوهٌ من التأويل ؛ كلٌّ منها يُبطلُ الشبهةَ الداخلةَ على المُبطلين
فيها ؛ حتى عدَّوا بتأويلها عن وجهه ، وصرَّفه عن بابه .

أولها : أنَّ الإهلاكَ قد يكونُ حسنًا ، وقد يكونُ قبيحًا ؛ فإذا كان مُستحقًّا أو على
سبيل الامتحان كان حسنًا ، وإنما يكونُ قبيحًا إذا كان ظلمًا ؛ فتعلقُ الإرادةُ به لا يقتضي
تعلقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهرًا لآية (٣) يقتضي ذلك ؛ وإذا علمنا بالأدلة تنزهَ
القديمِ تعالى عن القبائح علمنا أنَّ الإرادةَ لم تعلقْ إلا بالإهلاكِ الحسنِ ؛ وقوله تعالى :
﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ المأمورُ به محذوفٌ ؛ وليس يجبُ أن يكونَ المأمورُ به هو الفسقُ ،
وإن وقع بعده الفسقُ ؛ ويجري هذا مجرى (٤) قولِ القائل : أمرتهُ فمضى ، ودعوتهُ فأبى .
والمرادُ أنني أمرتهُ بالطاعة ، ودعوتهُ إلى الإجابة والقبول .

ويمكنُ أن يقالَ على هذا الوجه : ليس موضعُ الشبهة ما تكلمت عليه ؛ وإنما موضعها
أن يقال : أي معنى لتقدمُ الإرادة ؛ فإن كانت متعلِّمةً بإهلاكٍ مُستحقٍّ بغيرِ الفسقِ
المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى : إذا أردنا أمرنا ؛ لأن أمره بما أمرُ به لا يحسنُ إرادته ١٥

(١-١) ت ، د ، ف : « قال الله جل من قائل » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « لهذه » .

(٣) ش : « ولا ظاهر الآية » . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وإنما

يجرى » ، وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى) : « وإنما هذا يجري » .

للعقاب المستحقّ بما تقدّم من الأفعال ، وإن كانت الإرادة متعلّقة بالإهلاك المستحقّ بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا الذي تأيّد به ، لأنه يقتضى أنه تعالى مریدٌ لإهلاك من لم يستحقّ العقاب .
والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلّق الإرادة إلا بالإهلاك^(١) المستحقّ بما تقدّم من الذنوب ؛ والذي حسنّ قوله تعالى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أن في تكرار [٢ و] الأمر بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة ، وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً^(٢) للحجّة عليهم / : حتى يكونوا متى خلفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار^(٣) الوعيد والوعظ والإنذار ممّن يحقّ عليه القول ، وتجب عليه^(٤) الحجّة ؛ ويشهد بصحة^(٥) هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . [الإسراء : ١٥] .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى : ﴿ أَمْرَنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفياً ففسقوا فيها^(٦) ، وتكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه^(٧) ؛ ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

(١) ت ، ف : « يهلك مستحق » . (٢) ساقطة من ت ، د ، ف . (٣) ت ، د : « تكرر » .
(٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) في ت ، وحاشية الأصل : « ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأموراً مترفوها كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعد لهم ، وأمرناهم ثانياً ففسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » .
(٧) في ت ، ق ، حاشية الأصل ، : « يمكن أن يتمحل « إذا » في الآية جواب ، وهو أن تجعل الفاء في قوله تعالى : ﴿ فدمرناها ﴾ زائدة ، وتعمل « دمرنا » جواباً لإذا ، ولا خلاف في مورد الفاء زائدة في كلام العرب ؛ حكى ابن جنى عن أبي علي قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد . ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمراً فأكرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخباراً عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة ، في بيت الكتاب :

لَا تَجْزَعِي إِنْ مُنْفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَمَنْدَ ذَلِكَ فَاجْزَعِي
الفاء في « فاجزعي » زائدة .

لَهُمْ خَزَنَتٌ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ .
[الزمر: ٧٣-٧٤] ، ولم يأت « لإذا » جوابٌ في طول الكلام للاستغناء عنه^(١) .

ويشهد أيضا بصحة^(٢) هذا الجواب قول الهذلي :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ^(٣) فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا^(٤) ه
فحذف جواب إذا ، ولم يأت به ، لأن هذا البيت آخر القصيدة^(٥) .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً أو اتساعاً وتنبهياً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أمرُوا فَسَقُوا وخالفوا ؛ وذكرُ الإرادة يجري هاهنا مَجْرَمِي قَوْلِهِمْ : إذا أراد التاجرُ أن يفتقرَ أتته النوائبُ من كل جهة ، وجاءه الخسران من كل طريق ، وقولهم : إذا أراد العليلُ أن يموتَ خلطَ في ما آكله ، وتسرع إلى كل ماتتوقُ ١٠

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير : إذا جاءها حضروها وفتحت ؛ أو هموا بدخولها ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم » . (٢) كذا في الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفي ت ، ف : « لصحة » . (٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سلكوهم » .

وسلك لغة في أسلك ، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشي الأصل ، ت ، د ، ف : « البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ؛ في آخر قصيدته التي أولها :

مَاذَا يَغْيِرُ ابْنَتِي رِبْعٍ عَوِيْلَهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا بُوسَى لِمَنْ رَقَدَا

قنائة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال ، كالبنالة والحجارة ، واتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمَرٍ يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سلكوهم » المنتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا ، يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاخت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوهم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسلكوهم جعلوا لهم مسلكا ، والسلك : إدخال شيء في شيء تسلك فيه ، ومنه ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرد » (بفتح الشين والراء) ، وقال : تقول : إبل شرد وجلب وطرده .

وانظر الكلام على هذا البيت في (ديوان الهذليين ٢ : ٤٢ ، وأدب الكاتب ٤٢٤ ، والاقطاب ٤٠٢) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان أهول للكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية ، وكقول الفائل : لو رأيت عليا بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لطمعتي » .

إليه نفسه ؛ ومعلوم أن التاجر لم يُرد في الحقيقة شيئاً ، ولا العليل^(١) أيضاً ، لكن لما كان المعلوم من حال هذا الحسران ، ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه^(٢) . وكلام العرب وَحَى وإشارات واستعارات ومجازات^(٣) . ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ؛ فإن الكلام متى خلا من الاستعارة^(٤) ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة ، برياً من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

[٢ ظ] / والوجه الرابع : أن تحمل الآية على التقديم والتأخير ؛ فيكون تلخيصها : إذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فعضواً واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي^(٥) الإتيان بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَنْ قرأ الآية بالتشديد فقال : ﴿ أَمْرًا نَا ﴾^(٦) ، وقراءة مَنْ قرأها بالمدِّ

(١) كذا في الأصل ، د ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت ، ف : « المريض » .
 (٢) في حاشية الأصل ، ت : « تصوير المجاز في الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا ؛ وكذلك قوهم : إذ أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أته النوائب ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ أى يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب في هذه المواضع لأن المريد للشيء ، المحلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم » . (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل في الجماد فضلاً عن العلاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ وكقول الراعي النمرى :

فِي مَهْمَةٍ قَلَبْتُ بِهِ هَامَاتَهَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ نُصُولَا

(٤) كذا في الأصل ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت : « وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة » ، وفي ف : « فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « هو الإتيان » . (٦) هي قراءة شاذة ، عن أبي عثمان النهدي ، والليث عن أبي عمرو ، وأبان عن عاصم . (وانظر الفراءات الشاذة لابن خالويه ٧٥) .

والتخفيف يقال : ﴿ آمَرْنَا ﴾^(١) فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجود التي ذكرناها^(٢) ؛ إلا الوجه الأول ؛ فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يُستدعى به الفعل^(٣) .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ تَعَامَّ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهُ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ أَجْذَمٌ » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام^(٤) مفسراً لهذا البيت في كتابه غريب الحديث : الأجدم : المقطوع اليد ، واستشهد بقول المتلمس^(٥) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَهْ أَحْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة^(٦) أبا عبيد في تأويله هذا الخبر وقال : الأجدم وإن

(١) هي قراءة شاذة أيضا ، عن خارجة عن نافع ؛ (وانظر المصدر السابق) .

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمرنا ، بالشديد : كثرنا ، وآمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛ وإن شئت فالعكس من ذلك ، والصحيح العكس » . (٣) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اللغوي الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس ؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤ . وكتابه غريب الحديث جمع فيه ما في كتب أبي عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، الذي صار أولا ؛ وإن كان أخيرا ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والقوائد الجملة ؛ فعسار فيه القدوة في هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قل فيما يروى : إلى جمعت كتابي هذا في أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري » . ومنه نسخة مصورة بدار السكتب المصرية منقولة عن نسخة مخطوطة بمكتبة كبرى لي بالآستانة . (وانظر إنباه الرواة ٣ : ١٢-٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤-٥ . وكشف الغنون ١٢٠٤) . (٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبي ، والبيت من قصيدة له أولها :

يُعِيرُنِي أُمِّي رِجَالٌ وَلَا أَرَى أَحَا كَرَمًا إِلَّا بَانَ يَتَكْرَمًا

وهي في (ديوانه ١٦٩) ، والأصمعيات ٦٤-٦٥ ، ومختارات ابن الجعري ٢٨-١٩) ؛ وخبر القصيدة في (الخزانة ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) . (٦) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد ببغداد ونشأ =

كان المقطوع اليد ؛ فإن هذا المعنى لا يابقُ بهذا الموضع . قال : لأنّ العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقاً للذنوب وبمَحَسَبِهَا ، واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن ، فكيف تُعاقب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم ، ورباً في أجوافهم ؛ فجعل قيامهم مثل قيام^(١) مَنْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ تعثراً وتخبُّلاً . واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيت ليلة أُسرى بي قوماً تُقرضُ شفاههم ، وكلما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فقال لي جبريل : هؤلاء خطباء أمتك ، تُقرض^(٢) شفاههم ؛ لأنهم يقولون ما لا يفعلون » . قال : والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جاز أن يُسمى المجذوم أجذم ؛ لأن الجذام يقطع ١٠ أعضاءه ويشدّها ؛ والجذم هو القطع .

[٣٠] قال الشريف المرتضى رضي الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعاً ، / وذهبا عن الصواب ذهبا بعيداً ، وإن كان غلطُ ابن قُتيبة أخش وأقبح ؛ لأنه علل غلظه ، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ؛ ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده .

أمام معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها ؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله : يحشر أجذم ؛ المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجيبه ؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ؛ ففاقدتها

== بها ، وأقام بالدينور مدة فذهب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطبقته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستوبه ؛ توفي سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه في غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : « فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حدو أبي عبيد ، ولم يودعه شيئاً من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر » . (وانظر إنباه الرواة ٢ : ١٤٣-١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ - ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤) . (١) ساقطة من ف . (٢) كذا ضبطت بالقلم في الأصل ، وفوت ، ش : « تقرر » بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعلُ يده ذريعةً إلى تناولها؛ وهذه حالُ ناسي القرآن ومضيئه^(١) بعد حفظه، لأنه يفقد ما كان لا بساً له من الجمال، ومستحقاً له من الثواب، وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه^(٢): فلان بعد فلان أجدع، وقد بقيَ بعده أجدم؛ قال الفرزدق يرثي مالك بن مسعم^(٣):

تَضَعَّعَ طَوْدًا وَائِلًا بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِسُ الْعَزِّ أَجْدَعًا^(٤)

وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه. وللرب ملاحنٌ في كلامها^(٥)، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعاني، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتأويل خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره.

ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو عبيد فإن خطاه من حيث لم يفتن للغرض في الخبر، وضلَّ عن وجهه، وإلا فلا أجدمٌ هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلا أنه لا يليق بهذا الموضع، وإذا حمل عليه لم يفد شيئاً؛ وإن كانت^(٦) شبهته التي أوقعته في هذا التأويل ظنه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنَّ الجذم^(٧) أولاً ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يجذم^(٨) أولياءه والصالحين من عباده، ويقطع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدىء خلق من هوناقص الأعضاء؛ فليس بل لازم في الجذم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحقُّ ناسي القرآن عقوبةً على نسيانه لكان حفظ القرآن^{١٥} بأسره فرضاً واجباً وحثماً لازماً^(٩)؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(١) كذا ضبطت بالفلم في الأصل، ت، وفيش: «ومضيئه»، بكسر الصاد وبعدها ياء ساكنة.

(٢) في نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «ومغيته».

(٣) هو مالك بن مسعم الجعدي؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة في زمانه، وتوفي سنة ٧٣.

(المعارف: ١٨٤، وجمهرة الأنساب: ٣٠١، والإصابة ٦: ١٦٤).

(٤) ديوانه: ٤١٤. (٥) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم».

(٦) ت: «وإن كان». (٧) حاشية ت (من نسخة): «الجذام».

(٨) نسخة أبي السعادات الشجري: «يجذم» يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الذال المكسورة؛

وضبطت في ت بالوجهين معاً، وفي حواشي الأصل، ت، ف: «الجذم القطع، وقد جذم (بكسر الذال)

يجذم جذماً فهو أجدم، أى مقطوع اليد». (٩) حاشية الأصل: «الملازمة ممنوعة».

حفظ جميع القرآن كذلك .

- [٣ ظ] وأما ابنُ قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفطن للوجه / في الخبر الذي ذكرناه ؛ من حيث ظنَّ أن العقوبة لا تكون إلا في محلِّ الذنب ، وهذا القولُ يوجب عليه ألاَّ يُجَدَّ ظهْرُ الرائي ، وتختص العقوبة بفرجه ، وكذلك القاذف كان يجبُ أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه ؛ والخبر الذي استشهده حُجَّةٌ عليه ، لأننا نعلمُ أن اللسان أقوى خطأ في باب الكلام ٥ من الشفة ، فلمْ لمْ يُخصَّ بالعقوبة (١) وحلَّتْ بالشفاهِ دونه ؛ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبحُ من كل ما تقدّم ؛ لأنه توهمَ أن ما تضمنته الآية من تحبُّط آكلِ الربا وتعثره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ، ونجدُ كثيراً من آكلِ الربا أخفَّ نهوضاً ، وأسرع قياماً ١٠ وتصرُّفاً من غيرهم ؛ يمتنُّ لم يأكل الربا قطُّ ؛ والمعنى في الآية ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكونُ عند قيامهم من قبورهم ، فيلحقهم العثار والزَّلُّ والتَّجْبُلُ على سبيلِ العقوبة لهم ، وليكونَ ذلك أيضاً أمانة لمن يعاقبهم (٢) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليِّ والعدوِّ ، ومستحقِّ الجنة ومستحقِّ النار . وليس بمعروف ولا ظاهرٍ أن الأجدَم هو المجذوم ؛ وردَّ ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يُوجب عليه ١٥ أن يكونَ كلُّ داءٍ يقطع الجسدَ ويفرِّق أوصاله ؛ كالجُدْرِيِّ والأَكَاةِ (٣) وغيرها يسمَّى جذَماً ، ويسمى مَنْ كان عليه أجدَم ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر (٤) :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَا دَحْتِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الإجدام الذي هو الإسراع ؛ فكأنه قال : لما اضْطَرَمْتُ

(١) ف : « فلم لم تختص العقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « وبعينهم »

(٣) في نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « الأكلة ، بالكسر : الحكة ، والأكلة ، بالضم :

اللقمة » . (٤) هو الربيع بن زياد العبسي ، من أبيات في (الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ - ٦٣) ،

أسرع عني ، وتباعدتني . والإجذامُ ، بالذال المعجمة والمدال غير المعجمة جميعا : الإسراع ؛
فأما قول عَنَتْرَةَ فِي وَصْفِ الذُّبَابِ (١) :

هَزِجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِيبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
الأجذم من صفة المكيب^(٢) لا من صفة الزناد ؛ فكأنه^(٣) قال : قَدَحَ الْمَكِيبِ الْأَجْذَمِ
عَلَى الزَّنَادِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنِ التَّشْبِيهِ وَوَاوَقِعَهُ (٤) .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : كان بعضُ الشيوخ المتقدمين^(٥) يقول : ليس
بممتنع أن يُمكنَ اللهُ تعالى من الظُّلمِ مَنْ / يعلم من حاله أنه يردُّ القيامة غير مستحق [و]
لشيء من الأعواض ، أو لما يوازى القدر المستحق عليه منها ؛ فإذا أراد الانتصاف منه
تفضلَّ عليه بما ينقله إلى مستحقِّ العوض ، ويقول : ليس هذا ببعيد ولا مستحيل ، لأن
العوض ليس يختص بصفة تمنع من التفضل بمثله ، ولا يجزئ في ذلك مجزئ الثواب .

(١) من المعلة بشرح البريزي ص ١٨٠ ، وقبلة :

وَخَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرِدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « هذا من باب إجراء الصفة على غير من هي له ، كقولنا : مرتت برجل
حسب غلابة . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » . (٤) د ، م : « من أحسن التشبيه
وأوقعه » ؛ وفي حواشي الأصل ، ب ، ف : « كثير التماثل والقبيل في هذا الحديث ، فقال بعضهم : الأجذم :
المقطوع اليد ، وقال آخرون : هو الجذوم . وفي معنى هذا الحديث سر ، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الذي
روى عنه عليه السلام : إني تارك فيكم القلين ، أحدهما كتاب الله ، جبل ممدود من السماء إلى الأرض . الحديث
فأما شبه الكتاب بالجبل الذي يتعلم به ، ويجعل سبباً للتوقي من الفلاك عبر عن تاركه والغافل عنه بالأجذم ،
وإنما عبر بكلمة الأجذم الشنعة ، واللفظ المستكره لأنه إذا انقطع الجبل لم يمكن أن يمك ، وإذا كانت
اليذمات أيضا لم يمكن الإمساك ، فأراد بذلك أن الإمساك غير حاصل ، لأمر يرجع إلى اليد الممسكة لا إلى
الجبل لأن الجبل باق بجانه ؛ فهذا أحسن ، والله أعلم . ومعنى النسيان هو ترك أحكامه ، والأخذ بمجارمه
وحدوده ؛ ولا يريد ذهب الحفظ » . (٥) حاشية الأصل : « أبو القاسم البلخي » .

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكمي البلخي ، أحد شيوخ المعتزلة ، ورأس طائفة منهم
يقال لهم : الكعبية ، توفي سنة ٣١٧ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

والمستقرّ من مذاهب الشيوخ - وهو الصحيح - أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يُتفضّل به ؛ لأنّ الانتصاف واجب على الله تعالى من حيثُ خَلَى بين عباده وبين الظلم ، فلا يجوزُ أن يتعاقق إلا بأمرٍ واجب ، والتفضّل لفاعله ألا يفعله ، فتتولّ الحالُ إلى تعدّر الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يردّ القيامة - ولا أعواض له - يمنعه من الظلم ، ولا يمكنه منه لهذه العلة . ويُجيزون^(١) أن يمكن من الظلم مَنْ يكون في الحال غير مستحقّ للعرض ، أو غير مستحقّ للقدر الذي يوازى الظلم من العوّض ، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يردّ القيامة وقد استحقّ من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .

قال المرتضى : وهذا القول - نعى تجويز تمكين الظالم من الظلم ، وهو في الحال غير مستحقّ للعرض - يبطل بالعلّة التي أبطلنا بها قول مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضّل ؛ لأنّ نعلمُ أن تبقيّة المكفّ وغير المكفّ لا تجب ، وللقديم تعالى ألا يفعلها ، فلو لم يفعلها واختُرِم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصافُ منه غير ممكن . وقد تعلق الانتصافُ على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علّمه مَنْ قدّمنا حكاية قوله بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن ؛ لأن الله تعالى يعلمُ أنه يُبقيّه فيستحقّ^(٢) أعواضاً ؛ لأنّ عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم : فأجزوا أيضاً أن يردّ القيامة وهو لا يستحقّ العوّض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضّل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : علمُ الله تعالى بأنه يتفضّل ، لا يخرج التفضّل من أن يكون غير واجب ؛ وقيل لهم : وعلمُ الله تعالى بأنه يُبقي مَنْ لا عوّض له ليستحقّ العوّض ، لا يُخرج التبقيّة من أن تكون غير واجبة ، فاستوى الأمران .

والصحيحُ أن يقال : إنّه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوّض له في الحال ؛ يستقيم الكلام ويطرّد .

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة ؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب الكلام مشجونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفي سنة ٣٢١ ، (ابن خلكان

١ : ٢٩٢-٢٩٣) . (٢) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « ليستحق » .

مَجْلِسِ آخِرِ*

تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الله تعالى^(١) : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

وقد ظنَّ قومٌ من غفلة الملحدِّين وجُهلهم أن الجوابَ عمَّا سُئِلَ عنه في هذه الآية لم يحصلْ ، وأن الامتناعَ منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ تبكيه وتقرِّع لم يقعا موقعهما ؛ وإنما هو^(٢) على سبيل المحاجرة والمدافعة عن الجواب .

وفي هذه الآية وجودٌ من التأويل تُبطل ما ظنَّوه ، وتدلُّ على ما جهلوه ؛ أولها : أنه تعالى إنما عدلَّ عن جوابهم لعلَّه بأنَّ ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين ، وأن الجواب لو صدرَ منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنِّتين^(٣) لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكر ؛ لأننا نعلم في كثير من الأحوال ممن^(٤) يسألنا عن الشيء أنَّ العدولَ ١٠ عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .

وقد قيل إن اليهودَ قالت لكفار قريش : سلوا محمداً ؛ عن الروح فإنَّ أجابكم فليس نبيّاً ؛ وإن لم يجِبْكم فهو نبيٌّ ؛ فإننا نجد في كتبنا^(٥) ذلك ؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكونَ عاملاً له ودلالةً على صدقه ، وتكذيباً لليهود الرادِّين عليه ؛ وهذا جواب أبي عليٍّ محمد بن عبد الوهاب الجُبَّابِيِّ^(٦) .

١٥

* ف : « مجلس ثان » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الكتاب ، على ما وجد في بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » . (٣) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معنَّتين » ، وفي حاشية ف : « أعنت : أت بالعت » . (٤) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو علي من قرية يقال =

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح : هل هي محدثة مخلوقة أو ليست^(١) كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو جوابهم عما سألوه^(٢) عنه بعينه ؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب : إنها محدثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمر ربى ؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وبخلقه ، وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوها عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحاً ، وعيسى أيضاً مُسَمًى بذلك في القرآن .

وثالثها أنهم سألوها عن الروح الذي هو القرآن ، وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه ، لأنه قال لهم : الروح^(٣) الذي هو القرآن من أمر ربى ، ومما^(٤) أنزله على نبيه صلى الله عليه ؛ ليجمعه دلالة وعلماً على صدقه ، وليس من فعل المخاوقين ، ولا ممن يدخل في إثمكهم ؛ وهذا جواب الحسن البصرى .

[ه و] ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَالَّذِينَ شَدُّنَا لِنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . [الإسراء : ٨٦] . فكأنه قال تعالى : إن القرآن من أمرى وفعلى^(٥) ومما أنزلته علماً على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعتهُ وأنزلته وتصرفت فيه ؛ كما تصرف الفاعل فيما يفعله .

كُلُّهَا جِئَاءٌ ؛ وهى من رستانى كارور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربيعيون ؛ لأنهم كانوا استغفروا لقاتلوا الحسين عليه السلام ، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فطلبوا الأجرة ، فقال ابن زياد : إنكم لم تلبوا بلاه ، وأعطى كل واحد منهم ربع دينار . قال دامت أيامه : أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى . وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠-٤٨١) .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : « سألوها عنه » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إن الروح » . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : "وفعلى" ؛ كتب هذا الشيخ عبد الرحيم

البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

نصّل

قال الشَّريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مُسَلِّمٍ مُحَمَّدُ بْنُ بَجْرِ الْأَصْبَهَانِيَّ (١) فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْزُونٍ ﴾ . [الحجر : ١٩] ؛ قَالَ : إِنَّمَا خَصَّ الْمَوْزُونَ دُونَ الْمَكِيلِ بِالذِّكْرِ لَوْجِهَيْنِ :

أحدهما أن غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن سائر المكيلات إذا صارت طعاما دخلت
في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكأن الوزن أعمُّ من الكيل .

والوجه الآخر أن في الوزن معنى الكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء
ومقايسته إليه ، وتعديله به ؛ وهذا المعنى ثابت في الكيل ، فخصَّ الوزن بالذِّكْرِ لاشتماله
على معنى الكيل .

هذا قول أبي مُسَلِّمٍ ، ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم ،
وإنما أراد تعالى بالموزون المقدَّر الواقع بحسب الحاجة ؛ فلا يكون ناقصاً عنها ، ولا زائداً
عليها زيادة مُضِرَّة أو داخلية في باب العبث . ونظير ذلك من كلامهم (٢) قولهم : كلام فلان (٣)
موزون ، وأفعاله مقدرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوَّل المفسرون
ذكر الموازين في القرآن على أحد التاويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب ،
قال الشاعر (٤) :

لَمَّا بَشَّرَ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَخِيمِ الْحَوَاشِي لِأَهْرَاءَ وَلَا نَزْرُ
والهراء : الكثير ، والنزر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثها لا يقلُّ عن الحاجة

(١) كان أبو مسلم الأصبهاني على مذهب المعتزلة ؛ ووصف النفسير على طريقتهم ، وتوفي سنة ٣٧٠ .
(٢) (لسان الميزان ٥ : ٨٩) . (٢) ش : « في كلامهم » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .
(٤) في م ، وحاشيتي الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت في ديوانه : ٢١٢ .

ولا يزيدُ عليها ؛ وهذا يَجْرِي مَجْرَى أَنْ تَقُولَ : هو موزون . وقال مالك بن أسماء
ابن خارجة الفزاري^(١) :

وحدِيثُ أَلْذَّةِ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا^(٢)
منطقٌ صائبٌ وتَلْحَنُ أحياءٌ نأوخيهِ الحديث ما كان لِحْنًا

[ه ظ] وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبهُ بمراد الله تعالى في الآية ، وأليقُ بفصاحة القرآن /
وبلاغته الموفيتين^(٣) على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ؛ فأما قولُ الشاعر الذي استشهدنا
بشعره : « وتَلْحَنُ أحيانا » فلم يُرد اللَّحْنَ في الإعراب الذي هو ضد الصواب^(٤) ؛ وإنما أراد
الكناية عن النشء والتعريضَ بذكره والعدولَ عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى :
﴿ وَتَلَمَّعَ فِيهِمْ فِي لِحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [محمد : ٣٠] ، وقول الشاعر^(٥) :

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْطَنُوا وَلِحْنَتُ لِحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ^(٦) ١٠

وقد قيل : إن اللحنَ الذي عُنيَ في البيت هو الفطنة وسرعةُ الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ؛ شاعر إسلامي غزل . (الشعر والشعراء

. (٧٥٨-٧٥٦) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أي لها وجه ، ولها حياء ، ولها
حديث ، أو مثل ذلك . وقوله : « أَلْذَّةِ » ، أي أستلذه ؛ يقال : لذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينعت
الناعتون » ، أي مما ينعته الناعتون . وقوله : « مما يوزن وزنا » ، أي موزونا ، فهو في موضع الحال .
(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرقتين » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المسألة محتملة لأنه يريد باللحن ضد صواب الإعراب ؛
لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من الغواني والفتيات غير مستكره ولا منكر ، بل قد
يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللمشهوة أدمى ، ومع الغزل أخرى ؛ و الإعراب جد ، وليس الجد
من التعشق والتغزل بشيء ، ثم ما الموجب لأن يتمحل للبيت وجه يسلبه حسن الطباق ؛ ولو أراد به الملاحنة
التي هي الفطانة لكان ملغيا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن في هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بنهاب الطباق ؛
فبان لك أن المعنى هو اللحن الذي يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثاني محتملا » .

(٥) هو القتال السكابي ؛ والبيت في (الأمل ١ : ٥ ، واللسان - لحن) ، وقوله :

هل من معاشر غيركم أدعوهم فلقد سئمتُ دعاءَ يالساكِلاب!

(٦) حاشية الأصل : « الوحي : الإشارة والرسالة والسكلام الخفي ؛ يقال : وحيته إليه في السكلام ، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحِجَّتِهِ » أى أفطن لها ، وأغوص عليها .

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني^(١) قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا العنبري قال حدثنا علي بن إسماعيل الزبيدي قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلحنت ، وهى عند الحجاج ، فقال لها : أتلحنين وأنت شريفة فى بيت قيس؟! فقالت : أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الأنصارية؟ قال : وما هو؟ قالت : قال^(٢) :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لِحْنًا

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن فى القول ؛ إذا كنى المحدث عمّا يريد ،

ولم يعن اللحن فى العربية^(٣) ، فأصاحى لسانك . ١٠

وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال : إن الأحن مستحسن^(٤) فى النساء الفرائر^(٥) ، وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال ، واستشهد بأبيات مالك بعينها ، وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب^(٦) . وتبعه على هذا الغلط عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار^(٧) أبيات الفزارى ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه . ١٥

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا المرزباني قال أخبرنى محمد بن يحيى

— وأوحيت بمعنى ؛ وقوله : المتراب ، يجوز أن يكون المتراب مصدرا كالارتياب ، ويجوز أن يكون مفعولا ، والتقدير : ليس بالمتراب فيه . (١) هو أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب صاحب كتاب الموشح ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات ؛ روى عن ابن دريد وطبقته ، وكان مائلا إلى التشيع ، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى ؛ توفى سنة ٣٨٤ . (ابن خلسكان ١ : ٥٠٧ - ٥٠٨) .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « قوله » . (٣) فى نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف :

« الإعراب » . (٤) فى ت ، ونسخة بمحاشية الأصل : « من النساء » .

(٥) حاشية الأصل : « جمع غريرة ؛ وهى التى لم تجرب الأمور » . (٦) الخبر فى (البيان

والتبيين ١ : ١٤٧) . (٧) عيون الأخبار ٢ : ١٦١ .

الصُّوْلَى قَالَ حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ الْمَنْجَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : قُلْتُ لِلْجَاهِظِ : مِثْلَكَ فِي عَقْلِكَ وَعَمَمِكَ بِالْأَدَبِ يُنْشِدُ قَوْلَ الْفَزَارِيِّ وَيُفَسِّرُهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ اللَّحْنَ فِي الْإِعْرَابِ ! وَإِنَّمَا أَرَادَ وَصْفَهَا بِالظَّرْفِ وَالْفِطْنَةِ وَأَمَّا تُوْرِي^(١) بِمَا قَصَدْتَ لَهُ وَتَتَنَكَّبُ التَّصْرِيحَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ فِطِنْتَ لَذَلِكَ بَعْدَ ، فَقُلْتُ^(٢) : فَغَيَّرَهُ مِنْ كِتَابِكَ ، فَقَالَ : فَكَيْفَ بِمَا سَارَتْ بِهِ الرِّكْبَانُ !
 ○ قَالَ الصُّوْلَى : فَهُوَ فِي كِتَابِهِ عَلَى خَطِّهِ .

[١٦]
 يُومِنُ حَسَنَ اللَّحْنِ الَّذِي هُوَ التَّعْرِيفُ وَالسَّكْنَاءُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدٍ الْأَزْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ حَصَلَ أَسِيرًا فِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالُوا : لَا تُرْسِلْ إِلَّا بِحَضْرَتِنَا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَزَمُوا عَلَى غَزْوِ قَوْمِهِ ، فَيَخَافُوا أَنْ يَنْذَرَهُمْ ؛ فَجَاءَ بَعْدَهُ أُسُودٌ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ إِيَّيَ لِعَاقِلٍ ، قَالَ : مَا أَرَاكَ عَاقِلًا ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى اللَّيْلِ فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : هَذَا اللَّيْلُ ، قَالَ : أَرَاكَ عَاقِلًا ، ثُمَّ مَلَأَ كَفَّيْهِ مِنَ الرَّمْلِ فَقَالَ : كَمْ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرِي وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ . فَقَالَ : أَيَّمَا أَكْثَرِ ؟ النُّجُومُ أَمْ النَّيْرَانُ^(٣) ؟ فَقَالَ : كُلُّهُ كَثِيرٌ ، فَقَالَ : أَبْلَغُ قَوْمِي التَّحِيَّةَ ، وَقُلْ لَهُمْ : لِيَكْرِهُوا فِلَانًا - يَعْنِي أَسِيرًا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ بَكْرِ - فَإِنَّ قَوْمَهُ لِيُكْرَهُوا ، وَقُلْ لَهُمْ : إِنَّ الْعَرَفِيحَ قَدْ أَدْبَنِي^(٤) ، وَشَكَّتِ النِّسَاءُ ؛ وَأَمْرُهُمْ^(٥) أَنْ يُعْرُوا نَاقَتِي الْجِرَاءَ فَقَدْ أَطَالُوا رُكُوبَهَا ، وَأَنْ يَرَكُوبُوا جَمَلِي الْأَصْهَبَ^(٦) ، بِأَيَّةِ مَا أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا ، وَاسْأَلُوا عَن خَبْرِي أَخِي الْحَارِثَ .

فَلَمَّا أَدَّى الْعَبْدَ الرَّسَالَةَ إِلَيْهِمْ قَالُوا : لَقَدْ جُنَّ الْأَعْوَرُ ، وَاللَّهِ مَا نَعْرِفُ لَهُ نَاقَةً حَمْرَاءَ وَلَا جَمَلًا أَصْهَبَ ، ثُمَّ سَرَّحُوا الْعَبْدَ ، وَدَعَوْا الْحَارِثَ فَقَصَّوْا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ أَنْذَرَكُمُ ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « توري عما قصدت » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « قلت » . (٣) م : « أم التراب » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « العرفج : جنس من الشوك ، وأدب الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا ، والدبا : صغار الجراد ؛ وحيثئذ يصلح أن يؤكل ، والرمث : من مراعى الإبل ؛ وهو من الحمض » . (٥) في نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « ومرهم » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأصهب : ما اخلط البياض بجمرته » .

أَمَّا قَوْلُهُ : « أَدْبَى العَرَفِجُ » يريد أن الرجالَ قد استلأموا ولبسوا السلاحَ ، وقوله : « شَكَتِ النساءُ » ؛ أي اتخذنَ الشُّكَاءَ^(١) للِسَفَرِ ، وقوله : « الناقاةُ الحمراء » ، أي ارتحلوا عن الدهناء . وارَ كَبُوا السَّمَانَ^(٢) ؛ وهو الجملُ الأصهب^(٣) . وقوله : « أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا » يريد أخلاطًا من الناس قد غزَوكم ، لأن الحيسَ يجمع التمرَ والسمنَ والأقِطَ . فامتثلوا ما قال ، وعرفوا لِحْنَ كلامه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ*

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلامٍ في كتابه غريب الحديث ، عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) :

« مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ البَيْتِ : فَلَيْسَتْ عَدَّةٌ^(٥) لِلْفَقْرِ جَلْبَابًا ، أَوْ تَجَفَّافًا^(٦) » .

قال أبو عُبَيْدٍ : قد تَأَوَّلَ بعضُ الناسِ هذا الخبرَ على أنه أراد به الفقرَ في الدُّنْيَا ، قال :

وليس ذلك كذلك ؛ لأنَّا نرى فيمن يحبُّهم مثلَ ما نرى في سائرِ الناسِ ، من الغنى والفقر ،

ولا تمييزَ^(٧) بينهما ، قال : والصَّحِيحُ أنه أراد الفقرَ في يومِ القيامةِ ، وأخرجَ الكلامَ مُنْجَرَجًا ١٠

الموعظة والنصيحة والحثُّ على الطاعات ، فكأنه أراد : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَعِدِّ لْفَقْرِهِ يومَ القيامةِ

ما يَجْبُرُهُ^(٨) مِنَ الثَّوَابِ ، والقُرْبُ إلى الله تعالى ، والرِّئْفَ^(٩) عنده .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « جمع شكوة ، وهي السقاء الصغيرة » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« الدهناء : هي أرض في بلاد تميم ، يمد ويقصر . والصمان : أصله الأرض الغليظة ، والصمان : موضع إلى جنب رمل عالج ؛ وقال :

حتى أتى عَلمَ الدهنَا يُوعِسهُ واللهُ أَعلمُ بالصمَّانِ ما جَشَمُوا

قوله : « يواعسه » ، من الوعاء ، وهي الرمل ، وهو في موضع الحال ، أي مواءمًا آخذًا في اليمين

من الأرض ، وقوله : « ما جشموا » يجوز أن تكون « ما » استفهامية ، ويجوز أن تكون بمعنى الذي ؛ وفي

كلا الوجهين يكون نصبًا للدلالة عليه « أعلم » من الفعل . (٣) حاشية ف : « أراد بالصمان الأرض ؛ وكنتي عنها

بالجل الأصهب » . (*) ف : قبل هذا العنوان : « مجلس آخر » . (٤) ت : « صلوات الله عليه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « فليعد » . (٦) التجفاف ؛ بكسر الناء وفتحها : ما يجلل

به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضًا . (٧) ت : « ولا تميز » ، وفي ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « ولا تميز » . (٨) في ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« ما يجبره » . (٩) حاشية ت (من نسخة) : « الزاني » .

[٦ ظ] قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة : وجهُ الحديث خلافُ ما قاله أبو عبيد ، ولم يُرد إلا الفقرَ في الدنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أَحَبَّنَا فليصبرْ على التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا والتَّقَنُّعِ فِيهَا ، وليأخذْ نفسه بالكَفِّ عن أحوالِ الدنيا وأعراضِها ؛ وشبهَ الصبرَ على الفقرِ بالتَّجفافِ أو الجِلْبَابِ ؛ لأنه يسترُ الفقرَ كما يسترُ الجلبابُ أو التَّجفافُ البدنَ . قال : ويشهدُ لصحة هذا التأويلِ ما رُوِيَ عنه عليه السلام أنه رأى قوماً على بابهِ ، فقال : يا قَنَبِرَ ، مَنْ هَؤُلاءِ ؟ فقال له قَنَبِرَ : هَؤُلاءِ شيعتُكَ ، فقال : ما لي لا أرى فيهم سِمْيَاً^(١) الشيعة ؟ قال : وما سِمْيَا الشَّيْعة ؟ قال : تُخَصُّ البَطونَ مِنَ الطَّوَى ، يُبْسُ الشَّفاةَ مِنَ الظَّما ، تُعْمَسُ العيونَ مِنَ البِكا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جيماً في الخبر^(٢) حَسَنان ؛ وإن كان الوجهُ الذي ذكره ابن قتيبة أحسنَ ١٠ وأنصَحَ^(٣) .

ويمكن أن يكون في الخبر وجهٌ ثالثٌ تشهد بصحته اللُغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظة الفقر أن يُحزَّ أنفُ البعيرِ حتى يَخْلُصَ إلى العِظْمِ أو قَريبٍ مِنْهُ ، ثم يُلوَى عليه حَبْلٌ ، يُدَلَّلُ بِذَلِكَ الصَّعْبُ ، يقال : فَقرَهُ يَفقرُهُ فَقرًا إذا فَعَلَ ذلك بِهِ ، وبعيرٌ مَفقورٌ وبه فَقرَةٌ ، وكلُّ شَيْءٍ حَززَتْه وَأَثَرَتْ فِيهِ فَقَرَّتْهُ تَفقيرًا ؛ ومنه سُمِّيَتِ الفَاقِرَةُ^(٤) ، وقيل سيفٌ مُفَقَّرٌ^(٥) ؛ فيحتملُ^(٦) القولُ عَمَلِيٌّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ^(٦) : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَزِمْ نَفْسَهُ وَلِيخْطِمْهَا وليقدِّها إلى الطاعات ، وَيَصْرِفْ فِيهَا عَمَّا تَمِيلُ طِبَاعُهَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وليدللها على الصبرِ عما كَرِهَ مِنْهَا ، ومَشَقَّةٍ ما أريدُ مِنْهَا^(٧) ؛ كما يُفَعَلُ ذلكُ بالبعيرِ الصَّعْبِ ؛ وهذا وجهٌ في الخبرِ ثالثٌ لم يذكرْ ، وليس يجب أن يُسْتَبَعَدَ حَمْلُ الكلامِ على بعض ما يَحتمَلُهُ إذا كان له شاهدٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « سيمياء » ، وفي حاشية الأصل : « سيمياء وسيمياء بمعنى » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « في هذا الخبر » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « نصع الحضاب ، أي لم وصار سواده براقا ناصعا » . (٤) حاشية الأصل : « الفاقرة : الداهية ؛ وإنما سميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر ، من قولهم فقره ، إذا أصاب فقار ظهره » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « السيف المفقر : الذي في منته حزوز أي خطوط منقورة » .

(٦-٦) ت : « فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد » . (٧) ط ، م : « بها »

من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على مَنْ يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ؛ فيجوز^(١) أن يكون أرادَ المخاطبُ كلَّ واحد منها منفرداً ، وليس عليه العلمُ بمراده بعينه ؛ فإن مراده مغيبٌ عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وممن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل ذو الرمة ؛ واسمه غَيْلان بن عُقبة ، وكُنيتُه أبو الحارث ، وذو الرمة / [٧ و] لقبٌ لقب به لبيت قاله ، وهو قوله في صفة الوئد :

* أشعث^(٢) باقى رمة التقليد *

والرمة : القطعة البالية من الحبل ؛ يقال : حبل أرمأم ؛ إذا كان ضعيفاً بالياً ؛ وقيل إنه إنما لقب بنى الرمة لأنه كان - وهو غلام - يتفزع ، فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقتة ١٠ عليه برمة من حبل ؛ فسمى ذا الرمة .

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشنادانى عن التوزى عن أبى عبيدة قال : اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبى بردة ، فقال رؤبة : والله ما فحخص طائر أفحوصا ، ولا تقرمص سبع قرموصا^(٣) إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال له ذو الرمة : والله ما قدر الله ١٥ على الذئب أن يأكل حلوبة^(٤) عيايل^(٥) ضرائك ؛ فقال رؤبة : أفقدرته أكلها ؛ هذا كذب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ويجوز » . (٢) حاشية الأصل : « بكسر التاء ؛ لأن قبله :

* وغير مشجوج القفا موتود * أشعث

وفى حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يجيء منها تقليد الوئد بها » ، والبيت فى ديوانه :

١٥٥ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « تقرمص ؛ أى اتخذ قرموصا ، وهو الموضع الذى يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الحلوبة : التى بها لبن يحلب ؛ وأكثر ذلك فى النوق ، وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتى ت ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال عيل ، مثل جيد وجياد وجيائد . والضريك : الضربير البائس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضركه بمعنى ضره ؛ والجمع ضرائك وضركاء » .

على الذئب ثانٍ^(١) ، فقال ذو الرُّمَّة : الكذب على الذئب خير من الكذب على ربِّ الذئب .
وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل واحتجاجه عليه ، وبصيرته فيه ؛ فأما العيال فهو
جمع عَيْل ، وهو ذو العيال . والضرائك : جمع ضريك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا أبو عُبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد
٥ ابن محمد المسكي عن أبي العيَّناء عن الأصمعي عن إسحاق بن سويد قال : أنشدني
ذو الرُّمَّة :

وعينانِ قال اللهُ كونا فكانتا فَمَوْلانِ بالألْبابِ ما تفعلُ الخمرُ^(٢)

فقلت له : « فَمَوْلانِ » خبر الكون ، فقال لى : لو سَبَّحت رِبَّحت ، إنما قلتُ : « وعينانِ
فَمَوْلانِ » وصفهُما بذلك . وإنما تحرَّزَ ذو الرُّمَّة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل .

١٥ وقد رُوِيَ هذا الخبرُ على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبو عُبيد الله المرزباني قال حدثني
أحمد بن خالد النحاس^(٤) قال حدثني^(٥) محمد بن القاسم أبو العيَّناء قال حدثنا الأصمعي
قال : لما أنشد ذو الرُّمَّة قوله :

وعينانِ قال اللهُ كونا فكانتا فَمَوْلانِ بالألْبابِ ما تفعلُ الخمرُ

— وهو يريد : كونا فكانتا فَمَوْلانِ حيث كانتا^(٦) — قال له عمرو بن عُبيد^(٧) : ويحك ! قلتُ

١٥ عظيماً ، فقل : « فَمَوْلانِ بالألْبابِ » ، فقال له ذو الرُّمَّة ، ما أبالي : أقلت هذا أم سَبَّحت ، فلما
علم بما ذهب إليه عمرو قال : سُبَّحانَ اللهُ ! لو عَنيْتُ ما ظننتُ كنتُ جاهلاً .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثانٍ » لا يعنى أنه كذب على الذئب مرتين ؛ وإنما المعنى : إنك
كاذب على الخلق في أن أفعالهم ليست بقضاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسبع ؛ فإنه يعنى به الخلق ؛
ثم لما ذكر ذو الرمة الذئب قال رؤبة : هذا كذب على الذئب ثانٍ لذلك الكذب الأول الذى
استشهدت عليه بالطائر والسبع . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر في (الأغانى ١٦ : ١١٧) ، وفيه : « لوفلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ؛ كان خيرا لك . » (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النحاس . »

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا . » (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزليا عدليا . »

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وَمَنْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ شُرَاطِئِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى أَعْشَى^(١) قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ لِي وَوَلَّيَ الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ^(٢)

وَمَنْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَبْرِ مِنَ الْمَشْهُورِينَ أَيْضًا لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ،

وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرٌ نَفْلًا وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا^(٣)

مِنْ هِدَاةِ سُبُلِ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وَإِنْ كَانَ لِطَرِيقٍ^(٤) إِلَى نَسَبِ الْجَبْرِ إِلَى مَذْهَبِ لَبِيدٍ إِلا هَذَا الْبَيْتَانِ فَلَيْسَ فِيهِمَا دِلَالَةٌ عَلَى

ذَلِكَ ، أَمَا قَوْلُهُ :

* وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَيْثِي وَعَجَلًا *

١٠

فِيحْتَمَلُ أَنْ يُرِيدَ : بِعَلْمِهِ ؛ كَمَا يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ

بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أَيْ بِعَلْمِهِ ، وَإِنْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ أَرَادَ : بِتَخْلِيَّتِهِ وَتَمَكِّيْنِهِ ،

وَإِنْ كَانَ لِشَاهِدٍ لَذَلِكَ فِي الْلُغَةِ أَمْكَنَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ : « مَنْ هِدَاةِ اهْتَدَى وَمَنْ

شَاءَ أَضَلَّ » فَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَتَأَوَّلُ عَلَيْهَا الضَّلَالُ وَالْمَهْدَى

الْمَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِمَّا يَلِيْقُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَمْتَقِضِي الْإِجْبَارَ ؛ اللَّهُمَّ إِلا أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُ ١٥

لَبِيدٍ فِي الْإِجْبَارِ مَعْرُوفًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ ؛ فَلَا يُتَأَوَّلُ لَهُ هَذَا التَّأْوِيلُ ؛ بَلْ يُحْمَلُ مَرَادُهُ عَلَى

مُوَافَقَةِ الْمَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِهِ .

(١) حاشية الأصل : « قبيلة الأعشى » .

(٢) ديوانه ١٥٥ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « استأثر الله ؛ تستعمل مع الباء ؛ يقال : استأثر

الله به » . (٣) ديوانه : ٣٩ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا سبيل » .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : أَعْلَمُ أَنَّ أَصْحَابَنَا لَمَّا اسْتَدَلُّوا عَلَى نَفْيِ الرَّوْيَةِ
بِالْأَبْصَارِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وَبَيَّنُوا أَنَّهُ تَعَالَى تَمَدَّحٌ بِنَفْيِ الْإِدْرَاكِ (١) الَّذِي هُوَ رَوْيَةُ الْبَصْرِ
عَنْ نَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ يَرْجِعُ إِلَى ذَاتِهِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي ثُبُوتِ الرَّوْيَةِ لَهُ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ
نَقْصٌ وَذَمٌّ . قَالَ لَهُمْ مَخَالِفُوهُمْ : كَيْفَ يَتَمَدَّحُ بِأَنَّهُ لَا يُرَى ، وَقَدْ يَشَارِكُهُ فِي نَفْيِ الرَّوْيَةِ مَا لَيْسَ
بِمَمْدُوحٍ ؛ كَالْمَعْدُومَاتِ وَالْإِرَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ ؟ فَقَالُوا لَهُمْ : لَمْ يَتَمَدَّحْ تَعَالَى بِنَفْيِ الرَّوْيَةِ فَقَطْ ،
وَإِنَّمَا تَمَدَّحَ بِنَفْيِ الرَّوْيَةِ عَنْهُ وَإِبْتَاهَا لَهُ ، فَتَمَدَّحَهُ بِمَجْمُوعِ (٢) الْأَمْرَيْنِ ؛ وَلَيْسَ يَشَارِكُهُ
فِي هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ مَشَارِكٌ ؛ لِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْمَحْدَثَاتِ عَلَى ضَرْبٍ ؛ مِنْهَا مَا يَرَى وَلَا يُرَى
كَالْإِرَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ ، وَمِنْهَا مَا يُرَى وَلَا يَرَى كَالْأَلْوَانِ ، وَمِنْهَا مَا يَرَى وَيُرَى كَالْإِنْسَانِ
وَضَرْبِ الْأَحْيَاءِ ؛ وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَرَى وَلَا يُرَى ؛ فَثَبَّتَ الْمِدْحَةَ لِللَّهِ تَعَالَى بِمَتَضَمَّنِ الْآيَةِ .

[٨و] فَقَالَ لَهُمُ الْمَخَالِفُونَ : وَكَيْفَ / يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ صِفَةً لَا تَقْتَضِي الْمِدْحَةَ بِانْفِرَادِهَا ، ثُمَّ
تَصِيرُ تَقْتَضِيهَا مَعَ غَيْرِهَا ! وَلَنْ جَازَ هَذَا لِيَجُوزَنَّ أَنْ يَتَمَدَّحَ مَتَمَدَّحٌ بِأَنَّهُ شَيْءٌ عَالِمٌ ،
أَوْ مَوْجُودٌ قَادِرٌ ؛ فَإِذَا كَانَ لَا مِدْحَةَ فِي وَصْفِ الذَّاتِ بِأَنَّهَا شَيْءٌ وَمَوْجُودَةٌ (٣) ، وَإِنْ انضَمَّتْ
إِلَى صِفَةِ مَدْحٍ مِنْ حَيْثُ كَانَتْ بِانْفِرَادِهَا لَا تَقْتَضِي مَدْحًا ، فَكَذَلِكَ لَا مِدْحَةَ فِي نَفْيِ الرَّوْيَةِ
١٥ عَمَّنْ ثَبَّتَ (٤) لَهُ ، مِنْ حَيْثُ كَانَتْ بِانْفِرَادِهَا لَا تَقْتَضِي مَدْحًا .

فَأَجَابَ أَصْحَابُنَا عَنْ هَذَا الْكَلَامِ بِأَنَّ قَالُوا : لَيْسَ يَمْتَنِعُ فِي الصِّفَةِ أَنْ تَكُونَ لَا تَقْتَضِي
مَدْحًا إِذَا انْفَرَدَتْ ، وَتَقْتَضِيهِ إِذَا انضَمَّتْ إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَثَلُوا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَا تَأْخُذُ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وَإِنَّ نَفْيَ السِّنَّةِ وَالنَّوْمِ هَاهُنَا إِنَّمَا يَكُونُ مَدْحًا إِذَا
انْتَفَى عَمَّنْ هُوَ بِصِفَةِ الْأَحْيَاءِ ، وَإِنْ كَانَ بِانْفِرَادِهِ لَا يَقْتَضِي مَدْحًا لِمَشَارَكَةِ ذَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ

(١) ت : « بنى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفي حاشيتها (من نسخة) :
« فتمدح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « بأنها شيء موجود » .
(٤) ش : « ثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصلوا بين الوصف بالشيء والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك^(١) الصفتين في المدح .

واعلم أن صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد^(٢) تفتقر إلى شرط في كونها مدحا . وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بدّ فيها من شرط ؛ وإنما افترق الأمران من حيث كان النفي أعمّ من الإثبات ؛ فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح ، والإثبات أشدّ اختصاصا ؛ ألا ترى أن ما ليس بعالم من الدّوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها ؛ لأنّ الأول لا يكون إلا غير متنادٍ ، والثاني لا بد أن يكون متناهياً ، فلما شملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت إلى شرط يخصّها .

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يُتمدح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ؛

ألا ترى أن من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي إذا كان حياً ذا كرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضاً موجوداً حياً ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادراً على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولا بدّ في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى تكون مدحاً من أن يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجزئ الإثبات ، ولا يكون نفيّاً لأنه إن^(٣) كان نفيّاً لم يتخصص ، وساوى^(٤) فيه الممدوح ما ليس بممدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم ، وشرطنا في هذه المدحة أنه لم يدعه داعٍ^(٥) إلى الظلم لم تحصل المدحة ، ١٥ لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بممدوح ، فلا بدّ من شرط يجزئ مجزئ الإثبات ؛ وهو أن تقول : وهو ممن تدعوه الدواعي إلى / الأفعال ويتصرف فيها [٨ ظ] بحسب حاجته ودواعيه . فإذا صحّت هذه الجملة فالوجه أن تقول : إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدرِكاً ، ولا نجعل^(٦) كلّ

(١) في نسخة بجاشيتي ت ، ف : « لتينك » ، وفي حاشية ت أيضا (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .

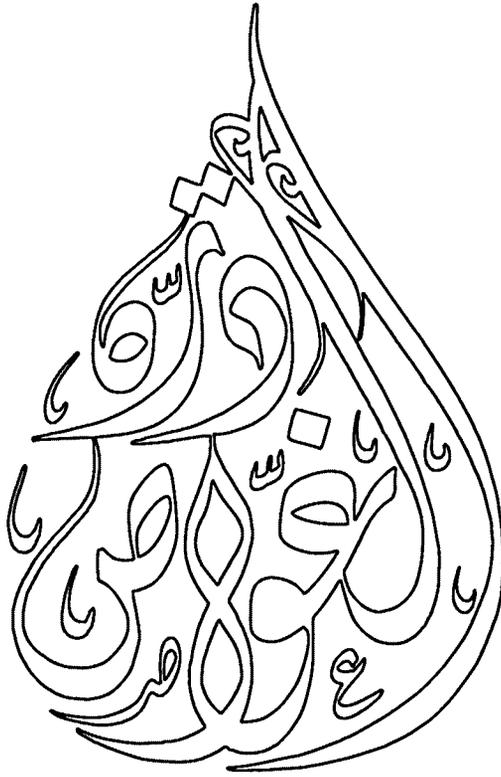
(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تكاد » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .

(٥) ت : « لم يدعه الداعي » . (٦) في الأصل : « ونجعل » ، وصححت في الحاشية ، وفي

حاشيتي الأصل ، ف : « في النسخة المقروءة على السيد رضي الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجري ، وفي نسخة من أيضا » .

واحدة من الصفتين تقتضى المدح مجتمعا ؛ مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد. وليس بمنكر أن يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المتمضى ، وإذا لم يحصل (١) لم يحصل مقتضاه ، ونفى السنّة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص في هذا الموضوع أوّل وأحسن للشبهة (٢) مما تقدّم ذكره.



(١) في نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لم يوجد » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « للشبهة » .

مجلس آخر * تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تقولون في قوله تعالى حِكَايَةَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ (١) [القصص : ٣١] .
والثُعْبَانُ هُوَ الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ الْخَلِيقَةُ ، وَالْجَانُّ الصَّغِيرُ مِنَ الْحَيَّاتِ ، فَكَيْفَ اخْتَلَفَ الْوَصْفَانِ وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ ؟ وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ الْعَصَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ صِفَةٍ مَا عَظُمَ خَلْقُهُ مِنْ الْحَيَّاتِ ، وَبِصِفَةٍ مَا صَغُرَ مِنْهَا ؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تُزِيلُونَ التَّنَاقُضَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ ؟ .

الجواب : أول ما نقوله (٢) : إن الذي ظننه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال (٣) التي أُخْبِرَ عَنْ الْعَصَا فِيهَا بِصِفَةِ الْجَانِّ (٤) كَانَتْ فِي ابْتِدَاءِ النَّبُوَّةِ ، وَقَبْلَ مَصِيرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى فِرْعَوْنَ ، وَالْحَالُ الَّتِي صَارَتْ الْعَصَا فِيهَا ثُعْبَانًا كَانَتْ عِنْدَ لِقَائِهِ فِرْعَوْنَ وَإِبْلَاغِهِ الرِّسَالَةَ ؛ وَالتَّلَاوُفُ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَإِذَا اخْتَلَفَتْ الْقِصَّتَانِ فَلَا مَسْأَلَةَ .

على أن قوماً من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال ؛ إِمَّا لظَنُّهُمْ أَنَّ الْقِصَّةَ وَاحِدَةً ، أَوْ لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين : تارة إلى صفة الجان ،

* كذا في ت ، وفي الأصل ، ف : « مجلس آخر ثالث » .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعطف ولم ينتظر ؛ يقال : كثر على الفوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب : لم يمكث ، ويقال : عقب في الأمر إذا تردد في طلبه مجداً ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أى لا يحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذى يكرر على الشئ ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ ، أى للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضاً . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعنى أنهم يتعاقبون ليلاً ونهاراً . (٢) ت ، د : « أول ما نقوله في هذا » . (٣-٣) ت : « فالحال التي أُخْبِرَ أَنَّ الْعَصَا صَارَتْ فِيهَا بِصِفَةِ الْجَانِّ ... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهارِ في الحجّة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تكلفوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين نزول بكل واحدٍ منهما الشبهة في تأويلها :

- ٥ أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها ؛ وشبهها في الآية الأخرى بالجآن لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ؛ فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاطُ الجآن ، وسرعةُ حركته ؛ وهذا أبهر في باب الإعجاز ، وأبلغ في خرق العادة ؛ ولا^(١) تناقضَ معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميعُ صفات الثعبان ، ولا إذا شبهها بالجآن أن يكون لها جميعُ صفاته ،
- ١٠ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ قَوَارِيرٌ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الذهر: ١٥، ١٦] . ولم يُردّ تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقتها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبّه العربُ الشيءَ بغيره في بعض وجوهه ؛ فيشبهون المرأةَ بالطّيبيةَ والبقرةَ^(٢) ونحن نعلم أن في الطباء والبقرة من الصفات مالا يُستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، ومن
- ١٥ وجه دون وجه^(٣) .

والجواب الثاني أنه تعالى لم يُردّ بذكر الجآن في الآية الأخرى الحيّة ؛ وإنما أراد أحدَ الجنّ ؛ فكأنه تعالى خبر^(٤) بأن العصا صارت ثعبانا في الخلقِ وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزاعها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّتْ كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۖ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « والبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أخبر » .

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأوَّلين لم ينقصُ عنهما ؛ والوجهُ في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة ، وأنَّ التناقضَ الذي توهمَ زائلٌ على كل وجه (١) ؛ وهو أن العصا لما انقلبت حيةً صارت أولاً بصفة الجانِّ وعلى صورته ؛ ثم صارت بصفة الثعبان ؛ على تدرّج ؛ ولم تصرْ كذلك ضربة واحدة ؛ فتتفق الآيتان على هذا التأويل ، ولا يختلفُ حكمُهما ، وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر الثعبان ٥ إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكون الآية الثانيةُ تتضمن ذكر الحال التي ولَّى موسى فيها هارباً ؛ وهي حال انقلاب العصا إلى خِلقة الجانِّ ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تَفِيدُ (٢) الآية ما ظنَّ ؛ وإنما فائدةُ قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ الإخبارُ عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة ؛ وأنه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ، ويجري هذا مجرى قوله تعالى / : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧] ؛ مع تباعد ما بين [٩ ظ] كونه نُطْفَةً وكونه خَصِيماً مُبِيناً ، وقولهم : رَكِبَ فلان من منزله فإذا هو في ضيئته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ؛ ونحن نعلم أن بين خروجه من منزله وبلوغه ضيئته زمناً ، وأنه لم يصل إليها إلا على تدرّج ؛ وكذلك الهابطُ من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبارُ عن تقارب الزمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتدّ .

(١) ت : « على كل حال » . (٢) ت (من نسخة) : « تقدير » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراب : ١٧٢ ، ١٧٣] .

وقد ظنَّ بعضُ مَنْ لا بصيرةَ له ، ولا فطنةَ عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته ، وهم في خلق الذرِّ ، فقرَّرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم . وهذا التأويل - مع أن العقل يُبطله ويُحيله - مما يشهد ظاهرُ القرآن بخلافه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : ذُرِّيَّتَهُ ؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يمتدروا بِشِرْكَ آبَائِهِمْ ، وأنَّهم نَشئُوا على دينهم وسُننَتِهِمْ ؛ وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول وَلَدَ آدَمَ عليه السلام لصلبه ؛ وأنها إنما ^(١) تناولت مَنْ كان له آباءٌ مشركون ؛ وهذا يدلُّ على اختصاصها ببعض ذُرِّيَّةِ ^(٢) بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادة العقول ^(٣) فمن حيث لا تخلو هذه الذرِّيَّة التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخطبت وقرَّرت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية لشروط التكليف ؛ أو لا تكون كذلك ^(٤) .

١٥ فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم ، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرَّروا به ، واستشهدوا عليه ؛ لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى ، وإن بُعد العهد وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من [١٠] البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بُعد العهد جميع تصرفه المتقدم / وسائر أحواله .

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : « ولد آدم » . (٣) ت : « العقل » .

(٤) ت : « أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف » .

وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلل الموت يُزيل الذكر لكان تخلل النوم والسُّكْر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكرهم لِمَا مضى من أحوالهم ؛ لأن سائر ما عددهناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا : إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفوليّة جاز ما ذكرناه ؛ وذلك أنّنا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لِمَا ادَّعَوْهُ إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم (١) وهم ٥ كملوا العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .

على أن تجوز النسيان عليهم ينقضُ الغرض في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه إنما قرّرهم وأشهدهم لثلاث يدّعون يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم (٢) فيه ؛ فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة وزوالها ، وإن كانوا على الصّفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبّح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ ١٠ يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل (٣) مخالفيكم ، فما تأويلها الصحيح عندكم ؟ قلنا في هذه الآية

وجهان :

أحدهما أن يكون تعالى إنما عني جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلّغهم وأكمل عقولهم ، وقرّرهم على السن (٤) رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب (٥) من طاعته ، فأقرّوا ١٥ بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم به ؛ لثلاث يقولوا يوم القيامة إنّنا كنّا عن هذا غافلين ، أو يعتذروا بشرك آبائهم . وإِنَّمَا أُتِيَ مَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ تَأْوِيلُ الْآيَةِ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ اسْمَ الذَّرِيَّةِ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ كَامِلًا عَاقِلًا ؛ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّ ؛ لِأَنَّ نَسْمَى جَمِيعَ الْبَشَرِ بِأَنَّهُمْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ ؛ وَإِنْ دَخَلَ فِيهِمُ الْعُقَلَاءُ الْكَامِلُونَ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة)

« عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « لسان » .

(٥) د ، ت : « وما يجب عليهم » .

جَنَاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿ [الرعد: ٢٣].
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على مَنْ كان كاملاً عاقلاً ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وسمَّنا الآيةَ على
البا لغير السكِّفين ؛ فهذا جوابهم .

[١٠] والجواب الثاني أَنَّهُ تعالى / لَمَّا خَلَقَهُمْ وَرَكَّبَهُمْ تَرْكِيبًا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَيَشْهَدُ بِقُدْرَتِهِ
ووجوبِ عبادته، وأراهم العبرَ والآياتِ والدلائلِ في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلةِ المشهدِ لهم
على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفةِ وظهوره فيهم على الوجه الذي أَرَادَهُ تعالى ،
وتعدُّ امتناعهم منه ، وانفكاكهم من دلالته بمنزلةِ المقرِّ المعترف ؛ وإن لم يكن هناك إَشْهَادٌ
ولا اعتراف على الحقيقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ تُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ،
١٠ وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة ، ولا منهما جواب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ شَاهِدِينَ عَلَيَّ
أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] . ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم ؛
وإنما (١) لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ ظُهُورًا لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنْ دَفْعِهِ كَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْمُعْتَرِفِينَ بِهِ ؛ ومثل
هذا قولهم : جوارحي تشهدُ بنعمتك ، وحالي معترفةٌ بإحسانك . وما رُوِيَ عن بعض
الخطباء (٢) من قوله : سل (٣) الأرض : مَنْ شَقَّ أَمْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَعَنِي
١٥ ثَمَارَكَ ؟ فَإِنْ لَمْ تُجِبْكَ حِوَارًا أَجَابَتْكَ اعْتِبَارًا .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ؛ يغنى عن ذكر جميعها القدرُ الذي
ذكرناه منها .

(١) د ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وإنما ذلك » . (٢) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف :

« الحكماء » . (٣) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ،

ذكره في قصصه » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى عليه وآله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». قال: أراد: يستغني به، واحتج بقولهم: تغنيت تغنياً، وتغانيت تغانياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْأَمْنَاخِ طَوِيلَ التَّغْنِ^(١)

وقول الآخر:

كَلَانَا غَنِيٌّ عَنْ أُخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدُّ تَغَانِيًا^(٢)

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني»، أي مُسْتغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نعم كثر الصُّعْلُوكُ سورة آل عمران يقوم بها^(٣) في آخر الليل»؛ والصُّعْلُوكُ الفقير، واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أُعْطِيَ أفضلَ مما أُعْطِيَ، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن ١٠ أفضل مما ملكه». واحتج أيضاً بخبر يرفعه^(٤) عن عبد الله بن نَهَيْك أنه دخل على سعد^(٥) بيته^(٦)، فإذا مثال رث، ومتاع رث، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذكره المتاع الرث، والمثال الرث يدلُّ على أن التغنى بالقرآن الاستغناء به

(١) ديوانه: ٢٢، واللسان (غني).

للغفيرة بن حنبل التيمي؛ وذكره المبرد في (الكامل ٣: ١٤ - بشرح الرصني) ضمن أبيات لعبد الله ابن معاوية، أولها:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْئًا مُلْفَقًا فَكَشَفَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَأَ لِيَا

وقبله:

فَعَيْنُ الرَّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

(٢) حاشية الأصل: «بقراءتها». (٤) في نسخة بمواشى الأصل، ت، ف: «يرويه».

(٥) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبي وقاص». (٦) كذا في الأصل، وحاشية ف: وفي

د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «في بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفِرَاش ، قال الشاعر^(١) :

بِكَلِّ طَوَالِ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالَ الْمَمَهَّدَا^(٢)

— يعنى الفراش . قال أبو عبيد : ولو كان معناه الترجيع لعظمت المِحْنَةُ علينا بذلك ؛ إذ

كان مَنْ لَمْ يُرْجِعْ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ^(٣) مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

• وذ كر غير^(٤) أبا عبيد جواباً آخر ، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لَمْ يَحْسِنْ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ .

ولم يرجع^(٥) فيه . واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً

— وقد كفَّ بصره — فسأمتُ عليه ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبرته . فقال : مَرَجَبًا يَا بَنَ^(٦) أَخِي ،

بَلْغَنِي أَنْكَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، وقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن هذا

القرآن نزلَ بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فمن لم يتغنَّ بالقرآن

١٠ فليس منا » . فقوله : « فابكوا أو تباكوا » دليل على أن التغنى التحنين والترجيع . وروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يأذنُ اللهُ لشيءٍ من أهلِ الأرضِ إلا لأصواتِ المؤذنين ،

والصوت الحسن بالقرآن » . ومعنى قوله : « يأذنُ » يستمع له ؛ يقال : أذنتُ للشيءِ آذناً إذا

استمعتُ له ؛ قال الشاعر^(٧) :

صُمُّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسَوْءٍ^(٧) عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) نسيبه صاحب اللسان في (مثل) إلى الأعشى .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى بدل سرى الليل ؛ كقولك شربت بالخر ماء ، أى بدل الخمر » .

(٣) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ليس » . (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وذكر عن

غير أبي عبيد جواب » . (٥) ت ، د ، ف : « ويرجع » . (٦) في نسخة بمحاشيتي الأصل ،

ت ، ف : « باني » . (٧) هو قنبل بن ضمرة ؛ أحد شعراء الدولة الأموية ، من أبيات ، في

(الحماسة — بشرح التبريزي ٤ — ١٢٤ ، والاقتضاب ٢٩٢ ، وشواهد المغني ٣٢٦) ، وقبله :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيبةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بشر » .

وقال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ^(٢)

والأذن هو السماع ، وإنما حسن^(٣) تكرير المعنى اختلاف اللفظ . وللعرب في هذا

مذهب معروف ، ومثله :

* وَهِنْدًا أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأَى وَالْبُعْدُ *

فأما الدَدَنْ فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدَّ عَلَى مِثَالِ دَمَ، وَدَدَّ عَلَى مِثَالِ قَتَى، [١١]
وَوَدَدَنْ عَلَى مِثَالِ حَزَنْ؛ ومنه قول النبي عليه السلام: « ما أنا من دَدٍ وَلَا الدَدِ مَنِيَّةٌ^(٤) » .

فإن قيل : كيف يُحْمَلُ قوله : « لا يأذن الله لشيء كإذنه لكذا وكذا » على معنى الاستماع ، وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع ، فأى معنَى للاختصاص ؟ قلنا : ليس

المراد ههنا بالاستماع مجرد الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : ١٠
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ أَوْ يُثِيبُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَقْبُلِهِ وَثَوَابِهِ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،
ومن هذا قولهم : هذا كلامٌ لا أسمعُه ، وخاطبتُ فلانا بكلامٍ فلم يسمعُه^(٥) ، وإنما يريدُ نفَى
القبول لا الإدراك ، والبيتُ الذي أنشدناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

* وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسَوْءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا *

ونحن نعلمُ أنهم يستمعون الذِّكْرَ بالخير والشر معاً من حيث الإدراك ؛ فوجهُ ١٥
الاختصاص ما ذكرناه .

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذا منهم » ؛ وحاشية

ف : « قوم اقتطعهم النعمان بخدمة ؛ فكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم ، « وكان نصرانياً » .

(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأى » . (٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير

المعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « قوله عليه السلام : « منيه » هذه الهاء للاستراحة ، وهي تدل على

تأكد امتناعه من اللهو » . وفي ج ، وحاشيتي ت ، ف (من نسخة) : « مني » .

(٥) في حاشيتي ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما

أقول ؛ أى يجيب » .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وجهاً ثالثاً في الخبر ، قال : أراد عليه السلام :
 (١) مَنْ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِالْقُرْآنِ ، وَيَسْتَحْلِهِ ، وَيَسْتَعِزَّ بِهِ ، وَيَسْتَعِزَّ بِتِلَاوَتِهِ كَاسْتِحْلَاءِ أَصْحَابِ الطَّرْبِ لِلْغِنَاءِ
 وَالتَّذَاهِمِ بِهِ . وَسَمِيَ ذَلِكَ تَغْنِيًّا مِنْ حَيْثُ يُفْعَلُ عِنْدَهُ مَا يُفْعَلُ عِنْدَ التَّغْنَى بِالْغِنَاءِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
 ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : الْعَاهِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحُبَابُ (٢) حَيْطَانُ الْعَرَبِ ، وَالشَّمْسُ سَحَامَاتُ
 الْعَرَبِ (٣) ؛ وَأَنْشَدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

بُكَاءُ سَحَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفَجَّعَةً عَلَى فَنٍّ تَغْنَى (٤)

فشبهه صوتها لما أطرب إطراب الغناء بالغناء ، وجمالوا العاهم لما قامت مقام التيجان
 تيجاناً ؛ وكذلك القول في الحُبا والشمس .

وجوابُ أبي عُميدٍ أَحْسَنُ الأَجْوِبَةِ وَأَسْلَمُهَا ، وَجَوَابُ أَبِي بَكْرٍ أْبَعْدُهَا ؛ لِأَنَّ التَّلَذُّذَ
 ١٠ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَشْتَهَيَاتِ ، وَكَذَلِكَ الِاسْتِحْلَاءُ وَالِاسْتِعْزَابُ . وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ
 مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّاقَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُلْذَئاً مُشْتَهَى (٥) ؟ ! فَإِنْ عَادَ إِلَى أَنْ يَقُولَ : قَدْ تُسْتَحْلَى
 التَّلَاوَةُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَزِينِ (٦) ، قَلْنَا : هَذَا رَجُوعٌ إِلَى الْجَوَابِ الثَّانِي الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ ،
 وَانْفَرَدَتْ عِنْدَ نَفْسِكَ بِمَا يَخَالِفُهُ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَبْرِ وَجْهٌ رَابِعٌ خَطَرَ لَنَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 [١٢] / « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ » مِنْ غَنَى الرَّجُلِ بِالْمَكَانِ إِذَا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : الْمَغْنَى وَالْمَغَانِي ،
 وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا ﴾ [الأعراف : ٩٢] ، أَيْ لَمْ يُقِيمُوا بِهَا ، وَقَالَ

(١-١) ف : « مَنْ لَمْ يَتَلَذَّذْ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَسْتَحْلِهِ وَلَمْ يَسْتَعِزَّ بِهِ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ حَبُوبَةٍ (بِكْسْرِ الْحَاءِ وَضَمِّهَا مَعًا) ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِحْتِبَاءُ
 بِالسَّيْفِ ، وَالِإِحْتِبَاءُ : شَدُّ الْيَدَيْنِ أَمَامَ الرِّكْبَتَيْنِ ، وَالِاسْمُ الْحَبُوبَةُ » .

(٣) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ يَنْزِلُ مَنزِلَةً هَذِهِ الْأَشْيَاءُ » .

(٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « الْمَهْدِيلُ : صَوْتُ الْحَمَامِ وَفَرْخِهَا ، وَيَحْتَمِلُ الْمَعْنَى ؛ أَيْ تَدْعُو دَعَاءً ،
 صَوْتُهَا » ؛ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ . (٥) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) ، ف (عَنْ ش) : « شَيْءٌ مَلْذُوقٌ ؛
 أَيْ يَحْمَلُ عَلَى الْإِتِّدَادِ بِهِ ، وَيُقَالُ : لَدَدْتُ بِالشَّيْءِ ، وَلِذَلِكَ ، أَوْ وَجِدْتُهُ لَدِيدًا ، أَوْ عَدَدْتُهُ كَذَلِكَ » .

(٦) تَحْتَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةِ الشَّجَرِيِّ » ، وَفِي نَسْخَةِ بَحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت

الأسود بن يعفر^(١) الإيادي :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ غُنْيَةٍ فِي ظِلِّ مَلِكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ^(٢)

وقول^(٣) الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو :

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّغَنِّ

٥ بطول المقام أشبه منه بالاستغناء ، لأن المقام بوصف بالطول ولا بوصف الاستغناء بذلك ، فكأن الأعشى أراد : إنني كنت ملازماً لوطني ، مقيماً بين أهلي ، لا أسافر للانتجاع والطلب ؛ ويجري قوله هذا مجرى قول حسّان بن ثابت الأنصاري :

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(٤)

أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجعون^(٥) ، ولا يفارقون محالهم

وأوطانهم ؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه : مَنْ لَمْ يُقِيمْ عَلَى الْقِرَآنِ ؛ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ^(٦) ١٠ إلى غيره ، ولا يتمدها إلى سواء ، ويتخذها معنى ومنزلاً ومقاماً فليس منا .

فإن قيل : أليس قد يتعدى القرآن إلى السنة والإجماع وسائر أدلة الشرع ؟ فكيف

يُحَظَرُ عَلَيْنَا تَعْدِيهِ ؟ قلنا : ليس في ذلك تعدد للقرآن ، لأن القرآن دالٌّ على وجوب اتباع

السنة وغيرها من أدلة الشرع ، فمن اعتمد بعضها في شيء من الأحكام لا يكون متجاوزاً

للقرآن ، ولا متمدياً ؛ فأما قوله عليه السلام : « لَيْسَ مِنَّا » فقد قيل فيه : إنه لا يكون على ١٥

أخلاقنا ، واستشهد بيت النابغة :

(١) في حاشيتي الأصل : « ويعفر (بضم الياء والفاء) ، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء) .

ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه .

(٢) البيت من قصيدة في المفضليات ٢١٧ ، وفي دءف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » . (٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : أي لا يحتاجون إلى الانتجاع ؛ فهم مقيمون في مكانهم .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوزته ويتخذ » ، وفي حاشية الأصل : « قال السيد : في هذا

السلام اضطراب ، والصحيح : « فيتجاوزته ويتمدها » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم

يقم على القرآن بحيث لا يتجاوزه إلى غيره ، ويتمدها إلى سواء ؛ ولم يتخذها معنى ، ويكون قوله « يتخذ »

معطوفاً على « يقم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنَّ لَسْتَ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي^(١)

وقيل إنه أراد : ليس على ديننا ، وهذا الوجه لا يليق إلا بجوابنا الذي اخترناه ، وهو بعمد بجواب أبي عبيد أليق ، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وملتته من لم يحسن صوته بالقرآن ، ويرجع فيه ، أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها .

مَسْأَلَةٌ

[١٢] / اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظننه أصحاب الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ [القيامة ٢٢ - ٢٣] ، على وجوه معروفة ، لأنهم يتنوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحدٍ محتملاته ، ودلوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة ؛ منها تقليب الحدقة الصحيحة حيال^(٢) المرئي طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظر الذي هو الانتظار ؛ ومنها النظر الذي هو التطف والرحمة ؛ ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهاها تماق^(٣) ، واحتجنا^(٤) جميعاً إلى طلب تأويل للآية من غير جهة الرؤية . وتأولها بعضهم على الانتظار للشواب ، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً ، والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة . وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر ، وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذف المرئي في الحقيقة . وهذا كلام^(٥) مشروح في مواضعه ، وقد بينا ١٥ ما يورد عليه ، وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة .

وهنا وجه غريب في الآية حكي عن بعض التأخرين^(٦) : لا يفترق معتمده إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ،

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « في جهة المرئي » .

(٣) ف : « النفاق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) في حاشيتي ت ، ف : « يعني به الصاحب بن

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه ؛ سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب ، أو (١) الرؤية بالعين ، وهو أن يحتمل قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على أنه أراد به نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدها أربع لغات : ألا مثل قفاً ، وألى مثل رمى ، وإلى مثل معى ، وإلى مثل حسى ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَىٰ (٢)

أراد أنه لا يخون نعمة ، فأراد « بإلى ربها » نعمة ربها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على أنه أريد بها (٣)

إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف ، لأنه

إذا جعل « إلى » حرفاً / ولم يعلقها بالرب تعالى ، فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب [١٣]

الذى ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج^و إلى تقدير غيره (٤) .

(١) ت . « أم » (٢) ديوانه : ١٥٥ ، واللسان (ألى) وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« أبيض : كريم ، والهزال كناية عن فلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يبخل بها » . (٣) ف : « به » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوجه الأول أحسن ، وبمجارى كلام العرب أشبه ، وفي الفصاحة

أعرق ؛ وذلك أن وجه صاحب وإن كان له حمل في العربية ؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا الوجه مما يجوز للإنسان إليه مضائق الشعر ؛ والقرآن موضع فصاحة ، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه ؛ والله أعلم » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن قال قائل: ما تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره ، وليس هذا مذهبكم ؛ وإن حُمِلَ الإِذْنُ هاهنا على الإرادة اقتضى أن مَنْ لم يقع منه الإيمان لم يردّه الله منه ، وهذا أيضا بخلاف قولكم . ثم جعلَ الرَّجْسَ الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ؛ ومن كان فاقدا عقله لا يكون مُكَلَّفًا ، فكيف يستحقُّ العذاب ؟ وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أكثرُ أهلِ الجنة البُهله » .

الجواب ، يقال له في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وجوه :

١٠ فيها ، ويأمر به ، ولا يكونُ معناه ما ظنّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٤٥] . ومعلوم أن معنى قوله : ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبهُ في هذه الآية التي فيها ذكرُ الموت أن يكون المرادُ بالإِذْنِ العلم .

ومنها أن يكون الإِذْنُ هو التوفيق^(١) والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق ١٥ لفعل الإيمان ويلطف فيه ، ويسهّل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإِذْنُ العلم من قولهم : أذنت لكذا وكذا إذا سمعته وعلمته ، وآذنت فلانا بكذا إذا أعلمته ؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، فإنه ممن

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في هذه » .

لا يخفى عليه الخفيات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإذن (بكسر الألف وتسكين الذال) عبارةً عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأذنُ (بالتحريك) ، واستشهد بقول الشاعر^(١) :

[١٣]
ظ

/ * إِنْ هَمَّيْ فِي سَمَاعٍ وَأَذْنُ * /

- وليس الأمر على ما توهمه هذا المتوهم ، لأن الأذن هو المصدر ، والإذن هو اسم الفعل^(٢) ؛
فيجرى مجرى الحذر في أنه مصدر؛ والحذر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذن (بالتحريك) لجاز التسكين ، مثل مثلٍ ومثلٍ وشبهٍ وشبهٍ ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها : أن يكون الإذن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، ويكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان ،
وما يدعوها إلى فعله .

فأما ظنُّ السائل دخولَ الإرادة في محتمل اللفظ فباطل ؛ لأن الإذن لا يحتمل الإرادة في اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه ، لأنه إذا قل : إن الإيمان لا يقع^(٣) إلا وأنا مُريدٌ له لم ينف أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس في صريح الكلام ولا دلالة^(٤) شيء من ذلك .

١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلم يعم بذلك الناقص العقول ، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ويعلموا^(٥) ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم ، والاعتراف بنبوة رسله والالتقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ؛

(١) هو عدى بن زيد العبادي ؛ وقد تقدم البيت بتمامه منسوبا إليه في ص ٣٣ .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم اسم ذلك الفعل الذى هو القطع ؛ لا المصدر » .

(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت (من نسخة) :

« ولا في دليله » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَى﴾ [البقرة: ١٨] ، وكما يصفُ أحدنا مَنْ لم يفطن لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وقد العقل .

فأما الحديثُ الَّذِي أوردَه السائلُ شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام^(١) لم يُردِّدْ بالبُلهِ ذوى الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البُلهِ عن الشرِّ والقبیح ، وسأهمُّ بُلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه ، لا من حيثُ فقدوا العلم به . ووجهُ تشبيهه من هذه حاله بالابلهِ ظاهر ، فإنَّ الأبداهَ عن الشيء هو الذى لا يعرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المتنزّه عن الشرِّ مُعرضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصفَ بالبُلهِ للفائدة التى ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَتَمَدَّ لَهْوَتُ بَطْفَنَةِ مَيَّادَةٍ بِنَهَاءٍ تُطْلَعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا^(٢)

[١٤] / أراد أنها بلهاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فطنةً لغيرها ؛ وقال أبو النجم العجليّ :
مِنْ كَيْلِ عَجَزَاءِ سَقُوطِ البرُّقِ^(٣) بِلَهَاءٍ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . فأما قوله : «سقوط البرقع» فأراد أنها تُبرزُ وجهها ولا تستره ، ثقة^(٤) بحسنه وإدلالاً بجماله^(٥) ، وقوله : «لم تُحفظْ» أراد أن استقامة طرائقها تُفنى عن حفظها ، وأنها لعفاؤها^(٦) ونزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقّف ؛ وقوله : «لم تُضَيَّعْ» أراد أنها لم تهملْ ١٥ فى أعذيتها^(٧) وتنعيمها وترفيفها فتشقى ، ومثل قوله : «سقوط البرقع» قول الشاعر^(٨) :

(١) ت : « إن النبي صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان (بله) - بلا عزو . والطفلة : الناعمة ؛ وفى ت ، د ، ف :

« ميالة » . (٣) اللسان (بله) .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : « بحسنها وإدلالاً بجمالها » .

(٥) ش : « لعفاقتها » ، وفى حواشى الأصل ، ت ، ف : « عفا عفا وعفاة وعفاة » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الأولى فى معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون

هذا التضيع مطابقاً لتلك الحفظ » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « فى تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت فى ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَاتٌ وَجُودًا زَهَاهاَ الْحُسْنَ أَنْ تَتَّقَنَّا (١)
ومثله أيضا :

بِهَآ شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَعْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرَّدَاءُ الْمُجَبَّرَا (٢)
أى رمت به عنها ثقة بالجمال والكمال (٣) ، ومثله - وهو مَلِيح (٤) :

٥ لَهْوَنَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حَقِيبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِصِ (٥)
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن ، ومنه الطعنة النجلاء ،
والعين النجلاء ؛ ثم قال : ما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلى القباح ، اللواتي يضيفن عيون
براقعهن لقبحهن ، والوصاوص : هى النقبة الصغار للبراقع ؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى
هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة قول ابن الدمينة :

١٠ بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَبَعِضِ الْأَذَى لَمْ يَدْرِ كَيْفَ يُجِيبُ (٦)
- ويروى بنفسى وأهلى -

وَلَمْ يَعْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ ضَعْفَةٌ (٧) حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ (٨)
ومثله :

أُحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَرْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ (٩)

(١) فى الديوان : « أشرفت » وفى حاشية ت (من نسخة) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل
(من نسخة) : « تتبرقا » . (٢) البيت للشماخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حاشية الأصل ، ت ، ف :
« الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرقة . وشرقت الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه
أحمر شرق : شديد الحمرة ، وشرق الثوب بالصبيغ ، ولحم شرق : لا دسم فيه » . والمخبر : النقش .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ثقة بجهاها وكالها » . (٤) فى نسخة بحاشية الأصل ، ت :
« حسن » . (٥) حاشية الأصل : « لزنا : أحوجنا » . (٦) الشعر والشعراء ٤٥٩ . وفى ت :
« بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « سكتة » .
(٨) مرهيب : أنى برية . وفى حاشية الأصل . « أصل العذر أن تتعقب ذنبا ، والبرية : لاذنبا ؛
لأن أن تتصله قائم مقام العذر للمجرم ؛ فكأنه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٣٤٧ ، وعزاها إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :
أُحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصَّبَا وَمِنْهُنَّ عَنْ أَرْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ
ويقال : طمخ يبصره ؛ إذا رمى به ، وفى حاشية الأصل : « طمخ : شماس » .

مُسِرَاتِ حُبِّ مُظْهِرَاتِ عَدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرَضَى وَهُنَّ صَحَاحٌ
ومثله :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبِدِ الْمَشَى تَى وَبُلَهْ أَحْلَامُهِنَّ وَسَامٌ^(١)

أما قوله : « يكتبين » فماخوذ من لفظ الكِبَاء ، وهو العود ، أراد يتبخرن به ، واليَنْجُوجُ [١٤] هو/العود، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وَأَنْجُوج ، وَيَلَنْجُوج ، وَالْمَنْجُوج ، وَالنَّجَج ، وَيَلَنْجَج .^ظ

فأما كَبِدِ الْمَشَى ، فهو ضَيْقَتُهُ^(٢) وشدته ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبِدٍ ﴾ [البلد : ٤] ؛ وقد روى : « في كَبَةِ الْمَشَى » والمعنى متقارب ، لأن الكَبَةَ هي الصدمة والحملة ، ماخوذ من كَبَتِ^(٣) الخليل ؛ وأما الْوَسَامُ فهنَّ^(٤) الحِسان من الوَسَامَةِ ، وهي الحُسْنُ .
١٠ ويمكن أن يكون في البَلَهْ جواب آخر ، وهو أن يَحْمَلُ على معنى البَلَهْ الذي هو الغفلة والنقصان في الحقيقة ، ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بُلَهًا في الدنيا ، فعندنا أن الله ينعم الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم ، وإنما لم نجعلهم بُلَهًا في الجنة وإن كان ما يصل إليهم من النعيم على سبيل العِوَضِ أو التفضُّل^(٥) لا يفتقر إلى كمال العقل ، لأن الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الجنة لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات
١٥ وأكملها ، ولهذا صرفنا البَلَهْ عنهم في الجنة ، ورددناه إلى أحوال الدنيا ، وإلا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه إياها في باب الثواب والعقاب .

(١) البيت لأبي دؤاد الإيادي ، وهو في الأسمعيات ٦٨ ، وفي حاشية الأصل : « أي عقولهن بله ، وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الضاد وفي حاشيتي ت ، ف : « الضيقة : الضر والبؤس ؛ وهو الضيق أيضا » . (٤) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « فهى » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ، وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ. يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: ١٠٣-١٠٥]. وقال في موضع آخر: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ. وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]. وفي موضع آخر: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصفات: ٢٧، والطور: ٢٥].

وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف، لأن بعضها يُنبئ عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم، ولا يُؤذَنُ لهم فيه، وبعضها يُنبئ عن خلافه. وقد قال قوم من المفسرين في تأويل (١) هذه الآيات: إن يوم القيامة يومٌ طويلٌ مُمتدٌّ، فقد يجوز أن يُمنَعَ النطق في بعضه، ويُؤذَنُ لهم في بعض آخر (٢)؛ وهذا الجواب يُضعف، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله ١٠ تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ في بعضه، والظاهر بخلاف ذلك.

والجواب السديد عن هذا أن يقال: إنما أراد الله تعالى / نَفَى النُّطْقَ المسموع المقبول [١٥] الذي ينتفمون به، ويكون لهم في مثله عُذْرٌ أو حُجَّةٌ، ولم يَنْفِ النطق الذي ليست هذه حاله، ويجرى هذا مجرى قولهم: خرس فلان عن حُجَّتِهِ، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يُقل شيئاً، وإن كان الذي وُصِفَ بالخرس عن الحجة، والذي نَفَى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير، إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه؛ ومثل هذا قول الشاعر (٣):

(١) ت: «تأويلات». (٢) ف: «في موضع آخر». (٣) هو مسكين الدارمي؛ وهو ربيعة بن عامر بن أنيف؛ والبيتان في (معجم الأدباء ١١: ١٣٢). وفي حاشية الأصل: «قبلهما»:

ما ضرَّ جاراً لي أجاورُهُ إلا يكونَ لِيَابِهِ سِتْرُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ (١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ (٢) حَتَّى كَأَنِّي بَرَدَّ جَوَابِ السَّائِلِ عَنكَ أَعْجَمُ (٣)

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف ، لأنَّ التساؤل والتلاؤم لا حُجَّةَ فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل : إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويجاب بحمل الإذن على الأمر ؛ وإنما لم يُؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليفَ فيها ، وانعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هذا التأويل أن يحْمَلَ ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمَعُ لهم ، ولا يُقْبَلُ عذرهم ، والعلة في امتناع قبول عُذرهم هي التي ذكرناها (٤) .

(١) حاشية الأصل : « يريد به ؛ أي بقوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة في قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفي حاشية ف : « بينهما ، أي بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والسكلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمان أمرِك وعشك » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « بعده :

لِأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسَلَّمِي سَلِمْتِ وَهَلْ حَتَّى عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ

فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ؛ التقدير : لا ينطقون بنطق ينفعهم ، ولا يعتذرون بمذر ينفعهم ، فيكون يعتذرون داخلًا في حيز النفي ، ولا يمكن حمله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بنطق ينفعهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان في السكلام تناقض ؛ لأنَّ التقدير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فَيَعْتَذِرُونَ ؛ وهذا تناقض ، لأن الاعتذار نطق ، وإن شئت كان التقدير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأن هناك موافق ؛ فيكون هذا في موقف ؛ ومثله قراءة الحسب والثقي : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أي لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فَيَعْتَذِرُونَ ؛ أي فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رُويَ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ الدَّهْرَ (١) هُوَ اللهُ » .
وقد ذكر قومٌ في تأويل هذا الخبر أنّ المراد به لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإنه لا فِعْلَ له ، وإنَّ الله
مصرفُه ومدبرُه ، فحذف من الكلام ذكرَ المصرفِ والمدبرِ وقال : « هو الدهر » .

وفي هذا الخبر وجهٌ هو أحسنُ من ذلك الذي حكيناهُ ، وهو أنّ الملحدين ، ومن
نفى الصانع من العرب كانوا يَنسُبون ما ينزلُ بهم من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية ،
والجذب والخصب ، والبقاء والفناء إلى الدهر ، جهلاً منهم بالصانع جلّت عظمتُه ، ويذمّون
الدهرَ ويسبّونه في كثيرٍ من الأحوال ، من حيث اعتقدوا أنه الفاعلُ بهم / هذه الأفعال ، [١٥]
فنهام النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك وقال لهم : لا تَسُبُّوا مَنْ فَعَلَ بِكُمْ هذه الأفعالِ مَنْ
تعتقدون أنه هو الدهر ، فإنَّ الله تعالى هو الفاعلُ لها . وإنما قال : إنَّ الله هو الدهرُ من
حيث نسبوا إلى الدهر أفعالَ الله ؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم : ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ۗ
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجنائية : ٢٤] . وقال لبيد :

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ (٢)
أَي دَعَا عَلَيْهِمْ . وقال عمرو بن قَمَيْثَةَ (٣) :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ (٤) حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحَابِي (٥)

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوهُ ثَلَاثًا (٦) بَعْدَهُنَّ قِيَامِي ١٥
رَمْتَنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ (٧) مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ بِرُمَى وَلَيْسَ بِرَامِي

(١) كذا في الأصل ، ج ، د ، ش . وفي ت ، ف : « فإنَّ الله هو الدهر » .

(٢) ديوانه : ٨٠ . وفي حاشية الأصل : « قروم : جمع قرم ؛ وهو سيد وشريف وكريم ؛
وابتهل ؛ من الباهلة ، أي تضرع وذلل » . (٣) الأبيات في العمري ٦٢ ، وحامسة البجرتي ٣٢١ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « سبعين » . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : يقول :

« إنَّ تسعين تركنتي لا أضبط أمراً ؛ فكأنني مخلوع العذار » . والضمير في بها يعود إلى تسعين .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ثلاث دفعات » .

(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « بنات الدهر : بلاياه وحوادثه » .

فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلٌ إِذَا لَا تَقِيَّتُهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ سِهَامٍ
إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كِهَامٍ
وَأَفْنَى وَمَا أَفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةٌ وَلَمْ يُفْنِ مَا أَفْنَيْتُ سَلِكَ نِظَامٍ (١)
وَأَهْلَكَنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ

٥ وقال الأصمعي: ذم أعرابي رجلاً فقال: هو أكثر ذنباً من الدهر؛ وأنشد الفراء (٢):

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لِصَيْدٍ (٣)
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَمِّدًا أُنِّي بِقَيْدِ
وقال كثير (٤):

وَكَنتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رِجْلٍ صَحِيحَةٍ وَرِجْلٍ (٥) رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
وقال آخر (٦):

فَلَسْتَ تَأْتِرُ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أُرْمَى
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا بَسْرَاتِنَا (٧) وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ

أما قوله: وقرت في العظم، أراد به: اتخذت فيه وقراً، أو وقيرةً، والوقرُ هو الحفيرة [١٦] / العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقبُ أيضاً كذلك، والوقيرة أيضاً الحفيرة
١٥ إلا أنها دون الأولين في الكبر.

وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لم يفن ما أفنيت من العمر بشيء حتى بخيط».

(٢) البيتان في حماسة البحتري ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل»:

(٤) أمالي الفال ١: ١٠٩، من تائينه المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى»

(٦) هو الأعمش، والبيتان في ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانيتها في اللسان (وقر) وفي حاشية

الأصل: بعدهما:

وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتُ نُنْقِبُنَا يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سرى، والقوم سراة».

مَسْأَلَةٌ

إِعلم أن المنافع التي عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاثٌ : منفعةٌ تفضّل ، ومنفعةٌ عوّض ، ومنفعةٌ ثواب ، فأما المنفعةُ على سبيل التفضّل فهي الواقعةُ ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ، ولفاعلها أن يفعلها ، وله ألاّ يفعلها ، وأما منفعة العوّض فهي المنفعة المستحقّة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها ، وأما منفعةُ الثواب فهي المستحقّة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوّض تبيّن من التفضّل بالاستحقاق ، والثواب يبيّن من العوّض بالتعظيم والتبجيل ، المصاحبين له ؛ فكأنّ التفضّل أصلٌ لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة^(١) ، والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضّل ، فقد صح^(٢) أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوّض والثواب إلا بعد تقدّم التفضّل . فأما المنفعةُ بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوّض ؛ لأنّ الآلام وما جرى مجرى الآلام^(٣) مما يُستحقّ به العوّض متى لم يكن فيها اعتبار يُفضى إلى الثواب ، ويستحق به لم يحسّن فعلها ، وجرى عندنا مجرى العبث ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكفّ أحداً من المكلفين ما كان يحسّن منه أن يبتدىء بالآلام^(٤) ، وإن عوّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عرّض لاثنتين ، ومنهم من عرّض لواحدة ، والمكلف المرّض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً بالتفضّل من الوجه الذي قلنا ؛ لأنه إذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين ، فقد نفع بالتفضّل ، وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوّض ؛ لأنّه لا يمتنع أن يخلو المكلف منّا من ألمٍ يُحدثه^(٥) الله به ؛ فلا يكون معرّضاً للعوّض ؛ فمتى عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع ؛ فصار/ المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ؛ ومجوزاً تكامل [١٦]
الثلث له ؛ فأما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهي التفضّل من حيث

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذاشهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « وضع » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الجارى مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) في حاشية ت (من نسخة) : « بالآلام » . (٥) ت « يبتدئه » .

خُلِقَ حياً ، ومُكِّنَ من كثير من المنافع ، ومشكوك في تعريضه للعروض من الوجه الذي بينا .
وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه ، فنحن قاطعون أيضاً على نفي التعريض للثواب عنه ، لفقد ما يوصل^(١) إليه وهو التكليف ، ولا بد في كل حيٍّ محدث أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع ، أو لجميعها ؛ وإنما أوجبنا^(٢) ذلك من جهة حكمة القديم تعالى ؛ لامن جهة أنه يستحيل^(٣) في نفسه ، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل^(٤) ؛ لأن كونه حياً وعاقلاً وذا شهوة وقدرة ليس منفعةً بنفسه ، وإنما يكون منفعةً ونعمةً إذا فعل تعريضاً للنفع ؛ فأما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لأوجهٍ من الوجوه ، فإنه لا يكون نعمة ولا منفعةً ، وأوجبناه من جهة حكمة القديم تعالى ، لأنه إذا جعل الحيَّ بهذه الصفات ، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أو ضرره ، أو لم يرد بها شيئاً ، فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه ، وإن كان الثاني أو الثالث فالقديم تعالى متبره^(٥) عنهما ، لأن الثاني يجرى مجرى الظلم ، والثالث هو العبث بعينه ، وقد يشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ، ولا يصح أن يشاركوه في النفع بالثواب ، لأن الصفة التي يستحق المكلف لكونه عليها الثواب ، وهي كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى ، وليس لأحد أن يظن فيمن يهدى إلى الدين ويرشد إلى الإيمان ، وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب ، وذلك أن^(٥) المكلف قد يكون معرضاً للثواب ، ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منّا ، ولولا الصفة التي جعله الله تعالى عليها لم يصح^(٦) أن يستحقه ، فبان الفصل بين الأمرين ؛ على أن أحدنا وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى ، ومضافة إليه من قبل أنه لولا نعمة ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة/ لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعةً ولا نعمة ، ولو لم يخلق المشتهى الملذوذ لم يكن سبيل لنا إلى النفع والإينام ؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يوصله » . (٢) في نسخة بمحاشيت ت ، ف : « وجب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « مستحيل » ، وحاشية ف (من نسخة) : « بمستحيل » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « متبره » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « لأن » .

(٦) ساقطة من ت .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريبته نعمهم : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٨ ، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل :

أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله : ﴿ واسأل القرية ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] وأراد أهل القرية ، وأصحاب الحرب ، ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، يريدون : السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحطيمية^(١) :

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطٌّ أَهْلُهُ كَهَيْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَى حَاضِرُهُ^(٢) ١٠
أراد شر المنايا مَيِّتٌ^(٣) مَيِّتٌ ؛ وقال الآخر :

(١) البيت في طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٥ ؛ ضمن أبيات أربعة للحطيمية لم تذكر في ديوانه . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال السيد الإمام عليه السلام : طلبت هذا البيت في شعر الحطيمية فلم أجده فيه » .

(٢) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر المنايا » تقديره شر المنايا موت مَيِّت فيما بين عشيرته ؛ كهلاك هذا الفتى في حال أن أسلم الحى حاضر هذا الفتى ؛ أى أن حضاره أسلموا الحى ، ولم ينصروه ، ولم يمنعوا ذمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « منية » .

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)

أراد: غنى رب غفور؛ وقال ذو الرمة:

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهِبُ السَّبَالِ أَذَلَّةٌ سَوَاسِيَّةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا^(٢)

أراد أهل مجلس ، وأما قوله : « صُهِبُ السَّبَالِ » فإثما أراد به الأعداء ، والعرب تصف الأعداء بذلك ، وإن لم يكونوا صهب الأسيلة ، وقوله : « سواسية » يريد أنهم مستوون متشابهون؛ ولا يقال هذا إلا في الذم .

وثانيتها أنه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بصغر القدر ، وسقوط المنزلة ؛ لأن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالمهلك^(٣) قالت : كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ ، وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ ، وبكاء

(١) البيت لعروة بن الورد ، وهو في ملحقات ديوانه : ١٩٨ ، وهو في شرح المقامات ٢ : ١٩٢ ، والبيان ٩٥ : ١ ، والعقد ١ : ٢١٢ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا الإمام : كان السيد رضى الله عنه وهم في معنى هذا البيت . ومعنى البيت : أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب ؛ لأن مالها وغناه يستتران عليه عيوبه ، فكأنه قال : قليل عيبه ، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه ؛ إلا أن الغنى يستترها عليه ؛ كأنه رب غفور ستار للعيوب . ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول : قليل عيب هذا المدوح مع كثرة العيب في الناس ؛ ولكن الغنى عما يجير المعاييب هو غنى الله تعالى . والأشبه بالبيت أن يكون هجوا ؛ كأنه يهجو إنسانا ويقول : يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه ، والذي يقلل عيبه غناه كأنه رب غفور ، وأول القطعة :

ذَرِينِي لِلْغِنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرَّهُمُ الْفَقِيرُ
وَأَبْعَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمُ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرُ
يَبَاعِدُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ
وَتَلْقَى ذَا الْغِنَى وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ
قَلِيلٌ عَيْبُهُ

(٢) ديوانه ١٥٧ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العرب إنما تسمى الأعداء صهب السبال ؛ لأن أعداءهم كانوا من الروم ؛ والروم صهب الأسيلة ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صهب السبال ؛ وإن لم يكن من الروم ، والغريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون . »
(٣) ف ، ت (من نسخة) : « بالملك » .

الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره؛ قال جرير
يَرْتِي عَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ (١) :

(١) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال : حدثنا عبدالله ابن أخت أبي الوزير
عن أبي محمد الشامي : كنت غلاما في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد المظالم غلظ ذلك على
أهل بيته ، وعلى جميع قريش ، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لِهَشَامٍ وَالَّذِينَ تَجَمَعُوا بَدَائِقَ مَوْتُوا لِاسْلَمَةَ يَدِ الدَّهْرِ
فَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ حَتْفَكُمْ بِأَكْفَكُمْ كِبَاحِثَةً عَنْ مُدْيَةٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي
عَشِيَّةَ بَايَعْتُمْ إِمَامًا مُخَالَفًا لَهُ شَجَنٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْحِجْرِ

فأجابهم بعضٌ ولِدِ مَرْوَانَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :

لَنْ كَانَ مَاتَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الرَّدَى فَمَا أَنْتَ فِيهِ ذَا غَنَاءٍ وَلَا وَفْرِ
فَأَنْتَ مِنَ الرَّيْشِ الذَّنَابِي وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْجَزَلَةِ الْأُولَى وَلَا وَسَطِ الظَّهْرِ
وَنَحْنُ كَفَيْنَاكَ الْأُمُورَ كَمَا كَفَى أَبُونَا أَبَاكَ الْأَمْرَ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدائق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه
وترك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره وتؤنثه ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال
الشاعر :

* بَدَائِقٍ وَأَيْنَ مِثِّي دَائِقٌ *

ومن أنه لم يصرف ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ قَلْدُوكَ أُمُورَهُمْ بَدَائِقٍ إِذْ قِيلَ الْعَدُوُّ قَرِيبٌ

وقوله :

* كِبَاحِثَةٍ عَنْ حَتْفِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي *

هذا مثل يضرب للذي يثير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة
ليست لهم ، فأرادوا أكلها فلم يجدوا ما يذبحونها به ؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تثير الأرض
وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما احتقرته مديّة فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلاً سائرا . وقول
المرواني : « وأنت من الريش الذنابي » يقال : ذنب الفرس وغيره ، وذنابي الطائر ، وذنابي الوادي وذنابته ،
ومذنب النهر .

[١٧] الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ (٢) ظ

وقال يزيد بن مفرغ الحميري :

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ (٣) فِي الْعَمَامَةِ (٣)

وهذا صنيمهم في وصف كل أمرٍ جلَّ خطبُهُ ، وعظُم موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ،

٥ وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الإِظْلَامُ إِظْلَامٌ (٤)

وقال طرفة :

إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّمَهُ وَتَرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ (٥)

ومن هذا قولهم : لأريتك الكواكب بالنهار، ومعناه أورد عليك ما يُظلم له في عينك

١٠ النهار، فتظنُّه ليلاً إذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر (٦) وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن الشمس طالعةٌ وليست مع طلوعها كاسفةٌ نجوم الليل والقمر ، لأنَّ عظم الرزء قد سلَّها ضوءها ؛ فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم : لا أكلمك الأبد، والدهر، وطوال المسند (٧) ، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلعها :

أَصْرَمْتُ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ بَرَامَةٍ

قال ابن قتيبة : « وهي أجود شعره » ؛ وهي في الأغاني ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ -

٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه : ٧٢ .

(٥) ديوانه : ٦٥ . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تنوله هذه المرأة مرة نوالاً

فقد تمنعه أحياناً ، وتريه النجم ظهراً ؛ وهذا مثل للأمر الصعب » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « عظم الشيء : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكله أبد المسند » .

بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر^(١). والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا المرثى المفقود، فبكتين؛ أي غلبت بهن بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبدُ الله فبكيتته، وكأثرني فكثرتُه، أي غلبته وفضتُ عليه.

وثالثها أن يكون معنى الآية الأخبارَ عن أنه لا أحدٌ يأخذُ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواءً به من عشيرة القاتل، فكنيتُ تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

ورابعها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء. ويطابق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه / في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ [١٨] وَعَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل له: أو تبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلاة في الأرض، ومصعد عمله في السماء. وروى أنسُ بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمنٍ إلا وله بابٌ يصعدُ منه عمله، وبابٌ ينزلُ منه رزقُه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال: بكى منزلُ فلان بعده، قال ابن مقبل:

لعمري أيبكٍ لقد شاقني مكان حزينتُ له أو حزن

١٥

وقال مزاحم الثقبلي:

بكت دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَازِعِينَ أُلُومُ^(٢)
أَمْسْتَعْبِرًا يَبْكِي مِنَ الْهَوَنِ وَالْبَلَى وَآخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَتِيمُ^(٣)

(١) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولسكنها مع ذلك تبكي عليك، وستبكي مدة طلوع النجوم والقمر».

(٢) ديوانه ١٥ - ١٦.

(٣) حاشية ف: «المستعبر: الذي يأتي بالعبرة، وهي سين الطلب، و«مستعبرا»، بدل الجازعين.

ويهم، أي يصير هائما، قال الله تعالى: ﴿فِي كُفُلٍ وَأَدْيِيمِيمُونَ﴾.

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ، ولا عمل كريم يُرْفَع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن في الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كنايةً عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العرب تشبّه المطرَ بالبكاء ، ويكون معنى الآية أن السماء لم تسقِ قبورهم ، ولم تجدْ عليهم بالقطر ؛ على مذهب العرب المعروف في ذلك ؛ لأنهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من أعزّ أمهم ، ويستنبتون لمواقع خفرهم الزهر والرياح ؛ قال النابغة :

فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ ثُبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمِيِّ طَلٌّ وَوَابِلٌ^(١)
فِيُنْبَتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَاتِبَعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ^(٢)

وكانوا يُجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام^(٣) ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل ١٠ الذي أضيف إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض - فقد يصح عطفُ الأرض على السماء بأن يقدر لها فعلٌ يصح نسبه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا ؛ قال الشاعر :

يَأْلَيْتَ زَوْجِكَ فِي الْوَعَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمِحًا^(٤)

(١) ديوانه ٦٢ . والرواية فيه :

سَقَى الْغَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ بَغِيثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلٌ

وتبني وجاسم : موضوعان بالشام . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الوسمي : أول المنظر ، وهو الذي يأتي في الحريف ، والحريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قيظ » .

(٢) حاشية ف : « فينبت ، النصب في جواب التني ، والحوذان : نبت ، يقال له بالعامرية مشكك ، وعوف : نبت أيضا ، ومنورا : أخرج النور » .

وقال البطليوسي شارح الديوان : « الحوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الحوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد : وذلك ينبت حوذانا ، أي ينبت الحوذان على كل حال » .

(٣) حاشية الأصل : « قال مولانا عليه السلام عن ابن الأعرابي : إن العرب إنما تستسق القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فخره القوم للرعى ، وترحموا على الموتى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « في الوعى » كان « متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « في الوعى » خبر لبيت » .

فعطف الرمحَ على السيف ، وإن كان التقلد لا يجوز فيه ، لكنه أراد حاملًا رمحاً ،
ومثل هذا يقدر/ في الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم ، وأن الأرض [١٨]
لم تُعشب عليها^(١) ؛ وكلُّ هذا كنايةٌ عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : «إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
أَدْوَمُهَا»^(٢) وَإِنْ قُلَّ ؛ فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا .
وفي وصفه^(٣) - عليه السلام - الله تعالى بالمللِ وجوهٌ أربعة :

أَوَّلُهَا أَنَّهُ أَرَادَ نَفَى الْمَلَلِ عَنْهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَمَلُّ أَبَدًا ، فَعَلَّقَهُ بِمَا لَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِيدِ
كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ؛ [الأعراف ٤٠] .

وقال الشاعر :

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنَاهَى^(٤) إِذَا مَا سَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ^(٥) .

(١) د ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [بضم الواو]
والمعروف أدومها [بفتح الواو] » .

(٣) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « في صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تناهى : تملغ الشيخوخة » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « البيت للناطقة الديباني ، وقبله :

فَإِنَّ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ

يهجو عامر بن الطفيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شخت ؛ أو لعلك
لا تحكم أبدا ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبدا ، وتحكم ، أى تصير حكيمًا ، وفعل ، بضم العين :
يحيى ، لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقولك : سفه يسفه سفاهة ، ولم يكن سفها فسفه . وتحكم
من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة ؛ إذا صار حكيمًا .

أراد أنك لا تحكّم أبداً . فإن قيل : ومن أين قلمت : إن ماعلقه به لا يقع حتى حكمتُ بأنه أراد نفي المَلَل على سبيل التأييد؟ قلنا: معلوم أن المَلَل لا يشمَل البشرَ في جميع آراهم^(١) وأوطارهم ، وأنهم لا يَعْرُونَ من حرص ورغبة وأمل وطمع ، فلماذا جاز أن يعلّق ما عليهم تعالى أنه لا يكون بمللهم .

٥ والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يفضّب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتعرضوا عن سؤاله ، والرغبة في حاجتكم إلى جوده ؛ فسمّى الفعلين مللاً ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك؛ على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه في بعض الوجوه ، قال عدى بن زيد العبادي :

ثمّ أضحووا لعبَ الدهرُ بهمُ وَ كَذَاكَ الدهرُ يُودِي بالرَّجَالِ^(٢)

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

سائلُ بنا حُجْرَ ابنِ أمِّ قَطَامٍ إذ ظَلَّتْ بِهِ السَّمَرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ^(٣)

فنسبها اللعّب إلى الدهر والقنأ تشبيهاً؛ وقال ذو الرّمة :

وأبيضَ مَوْشِيَّ القَمِيصِ نَصَبْتُهُ على خَصْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهِ جَدِيلِهَا^(٤)

فسمّى اضطرابَ زمامها، وشدة تحركه سفهاً؛ لأن السفهَ في الأصل هو الطيشُ وسرعة

[١٩] الاضطراب / والحركة ، وإنما وصّف ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : « وأبيض مَوْشِيَّ

القَمِيصِ » فإنما عني به سيفه ، وقميصه : جفنه ، والمقْلَاتُ : الناقَةُ التي لا يعيش لها ولد .

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تمثّلوا من سؤاله ، ففعلهم مَلَلٌ على الحقيقة ، وسمّى فعله تعالى مللاً ، وليس بمللٍ على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آراهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة . »

(٢) البيت في (الأغاني ٢ : ٣٣) ؛ وفي حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك . »

(٣) ديوانه : ٦ ؛ والرواية فيه : « السمرة النواهل . »

(٤) ديوانه ٥٥٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الجديل : زمام من الأديم . »

ومشكلة اللفظين^(١) في الصورة، وإن اختلفا في المعنى، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾؛ [الشورى: ٤٠]. ومثله قول الشاعر - وهو عمرو بن كلثوم التغلبيّ -

أَلَا لَا يَجْهَلُنُّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَذَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٢)

وإنما أراد المجازاة على الجهل، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .

والوجه الرابع أن يكون الراوي وهمّ وغلط من الضم^(٣) إلى الفتح: وأن يكون قوله «يُمْلُ» بالضم لا بالفتح، وعلى هذا يكون له معنيان: أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادة^(٤) وتعرضوا عن طاعته، لأن الملة هي مشتوى الخبز؛ يقال: ملّ الرجل الخبز^(٥) وغيرها يملها ملاً إذا اشتواها في الملة . وقيل: إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثاني أن يكون أراد أنه لا يسرع إلى عقابكم^(٦)، بل يحلم عنكم ويتأني بكم^{١٠} حتى تملوا حلمه، وتستعجلوا عذابه، بركوبكم المحارم وتتأيعكم^(٧) في المآثم^(٨) .

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة) : «اللفظين» . (٢) من المعلقة س ٢٣٨ بشرح التبريزي .

(٣) في الأصل : « في الفتح إلى الضم » ، وفي ت ، د ، ف : « من الفتح إلى الضم » ، والتصويب

من حواشي الأصل ، ت ، ف . (٤) ت ، د ، ف : « من عبادته » .

(٥) الخبز : العجينة توضع في الملة حتى تنضج ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « الخبز » .

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « رفقاً بكم » . (٧) في حاشيتي الأصل ، ف :

« التابع : التماذي في الشر ؛ يقال : تتابع في الخير ، وتتابع في الشر » .

(٨) حاشية ف : « قيل في هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا ؛ ومثله قول الراجز :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا نَفْرُ حَتَّى نَرَى جَاهِجًا تَخِرُّ

يريد : لا نفر وإن خرت جاهجنا ؛ أي لا نفر أصلاً . وقول الشاعر في بعض الروايات :

وَلَمْ تَشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نَعَمٌ

حَتَّى أَمَرَ عَلَى الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النِّقَاءَ بِمِرْوَحٍ لِحْمِهِ زَيْمٌ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمر على الشقراء ، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع شاركك غانية .

[قال المرتضى رضى الله عنه] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها^(١) :

وَمُخَرَّقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحِيَاءِ سَقِيمًا^(٢)
حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيصِ زَعِيمًا^(٣)
لَا تَقْرُبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَلِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا^(٤)

— ويروى : « إن ظالما أبدا وإن مظلوما » —

على أنني قد قلت :

وَرَكِبِ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عِنْدَهُمْ لَهَا تِرَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَابِ^(٥)
/ سَرَوًا يَخْبِطُونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُسُهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(٦)
إِذَا أَبْصَرُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ^(٧)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي ، بل هي أجزالُ ألفاظها ، وأشدُّ أسرا ، إلا أن أبيات ليلي أطبعُ وأنصع ؛ وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لقليله والإفراط في استحسنان مستحسنه .

== والبيتان في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة نزياد بن حمل ؛ ويعنى بالشقراء فرسه . والاعتساف : الأخذ في السير على غير هداية ولا دراية . والحل : الطريق في الرمل ، والنقا : الرمل . والروح : النشيط ، والزيم : المسكن للحم . (١) من أبيات في (الحماسة - بشرح التبريزي ٤ : ١٥٥ - ١٥٧) ؛ مطالعها :

يَأْتِيهَا السَّدِيمُ الْمَلُوءِي رَأْسَهُ لِيَقْوَدَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ بَرِيْمًا

(٢) حاشية (من نسخة) : « وسط البيوت » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) م : « رفم اللواء » ، وهي رواية الحماسة . والخميس : الجيش ، سمي بذلك لأنه يكون خمس كتاب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، واليمين ، والميسرة ، والقاب ، والساق .

(٤) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « لاتفزون الدهر » ؛ وهي رواية الحماسة . وفي حاشية الأصل : « لا ظالما أبدا ؛ لأنهم لا يجهلون ظلمك ، ولا مظلوما لأنك لا تقدر أن تنصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والتر : الثأر ، والعصائب : جمع عصابة ؛ وهي العمامة تعصب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أي جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو

الرحل » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « آنسوا نارا » . خصرت : بردت ، وغالب أبو الفرزدق

وقد روى أن الكُمَيْت بن زيد الأسديّ لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته

التي أولها:

أَتَصْرِمُ الْجَبَلَ حَبْلَ الْبَيْضِ أَمْ تَصَلُّ وكيف والشَّيْبُ فِي فَوْدَيْكَ مُشْتَعِلُ
لَا عِبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ أَسْهَمَهَا حيثُ الْجُدُودُ عَلَى الْأَحْسَابِ تَنْتَضِلُ^(١)
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرِهَا تَسْعًا وَوَاحِدَةً فَلَا الْعَمَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلْلُ^(٢)
الشَّمْسُ أَدْنَكَ إِلَّا أُمَّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَدْرُ أَدَاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ^(٣)

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حُسن الأبيات وأفرط بها إعجابُه ، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة^(٤) .

- (١) في حاشيتي الأصل ، ف : « عبات : هيأت ، واجدود ، جمع الجدد ؛ وهو البخت ، وتنتضل : تناضل وتراعى » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقال للرامي المصيب : لا عمى ولا شلل » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن أباك البدر وأمك الشمس ، وإلا تقرير » . (٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال : أتى الكُميت بئب مجلس يزيد بن المهلب يمتدحه ، فصادف على مابه أربعين شاعرا ؛ فقال للأذن : استأذن لي على الأمير ؛ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر؟ قال : أربعين شاعرا قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دفلا ، وجلبت زاذا ، فقال : هات زاذك ، فأنتده :

هَلَّا سَأَلْتِ مَنَّا زِلًا بِالْأَبْرِقِ دَرَسَتْ وَكَيْفَ سَوَّالٍ مَنْ لَمْ يَنْطِقْ!
لَعِبَتْ بِهَا رِيحَانٌ رِيحٌ عَجَّاجَةٌ بِالسَّافِيَّاتِ مِنَ التُّرَابِ الْمَعْنِقِ
وَالهَيْفُ رَاحَةٌ لَهَا يَنْتَاحُهَا طَفَلُ الْعَشِيِّ بَدِي حَنَاتِمَ شُرُقِ
تَصِلُ اللَّقَاحَ إِلَى النَّتَاجِ مَرَبَّةً لِحُفُوقِ كَوَّكِبِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفِقِ
غَيْرُنَ عَهْدِكَ بِالْدِّيَارِ وَمَا يَكُنُّ رَهْنَ الْحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدٍ يَخْلُقُ
إِلَّا خَوَالِدَ فِي الْحَلَةِ يَبْتُهَا كَالطَّيْدَسَانِ مِنَ الرَّمَادِ الْأُورِقِ
وَمُشَجَّحًا تَرَكَ الْوَلَائِدُ رَأْسَهُ مِثْلَ السَّوَّاكِ وَدَمْنَةً كَالْمَهْرِقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدلّ دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنه كان يطرَبُ للجيد منه فضلَ طرب ، ويعجب منه فضل عجب . ويدلّ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للكثير الصادر من جهته ، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم في شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم فيستقلّوا منهم الكثير ، ويستصغروا الكبير .

ولآيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان^(١) بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشدني :
 [٢٠] فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها ، فاسودّ وجه سليمان وغازله / فعلمه ، وكان يظن أنه ينشده
 ١٠ مديحاً له ، فلما رأى نصيب ذلك قال : ألا أنشدك ؟ فأنشده :

= دارُ التي تركتكَ غيرَ ملومةٍ دَنِفًا فَإِن لِم تَرَعِ قَلْبِكَ فَاشْفِقِ
 قد كنت قبلُ تتوقُّ من هجرانِها فاليوم إذ شَحَطَ المزارُ بها تَقِ
 والحُبُّ فيه حرارةٌ ومرارةٌ سائلُ بذلك من تَطعمَ أوزُقِ
 ماذاق بُؤسَ معيشةٍ ونعيمِها فيما مضى أحدهُ إذا لم يعشقِ
 حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قَالَ بَتُّ أَخَا الهمومِ وَمَنْ يَبِتُّ غَرَضَ الهمومِ وَنَصِبِهِنَّ يُورِّقِ
 بَشَّرْتُ نَفْسِي إِذْ رَأَيْتُكَ بِالغِنَى وَوَثِقْتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِي ثِقِ

فأسر بالخلع عليه حتى استغاث ؛ فقال : أتاك القوت ، ارفعوا عنه .

(١) حاشية ف : « قيل : بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؛ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في الزيادة من عمك ؛ وانصرت عن حرصك وحيلك ؛ وإنما يلقاك غدا ندمك ، وقد زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ؛ فبان منك الولد القريب ، ورفضك الوالد والنسب ؛ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حياتك ذائد ، فاعمل ليوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكي سليمان »

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقِيَهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ^(١)
 قَفُوا خَبْرُونِي عَنِ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبٌ^(٢)
 فَعَاجُوا فَأَتَنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَّتُوا أَثْنَتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٣)

فقال له سليمان : أنت أشعر أهل جلدتك^(٤) ؛ وفي بعض الأخبار أن الفرزدق قال ذلك

في نصيب حين سأله عنه سليمان .

وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان : أحسنت ، ووصاه^(٥) ولم يصل الفرزدق

فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) قفاذات أوشال : خلف هذا الموضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل يتخلف من جبل أو صخر . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في ديوانه : ذات أوشان ؛ بالنون » .
 وفي معجم ما استعجم للبكري : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت .
 وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ليلاً .

(٢) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يعني

أنا من أهل ودان ، وهي أرض للعرب » .

(٣) وبعده :

فَقَالُوا تَرَكَنَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَلَبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيْثُ فَعَالُهُ كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ مُقَارِبٌ
 لَقَلْنَا لَهُ شِبْهٌ وَلَكِنْ تَعَدَّرَتْهُ سَوَالِكُ عَنِ الْمُسْتَشْفَعِينَ الْمَطَالِبُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَلَا يُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

(٤) الخبر في (الكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ - ٣٧٣ ،

واللاكي ٢٩١ - ٢٩٢) ، والأبيات في (البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمال الغال ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٤٠٥ ؛ ولكنه لم يذكر « ذات أوشال » في موضعها) .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبدالله عن معاذ صاحب الهروي قال : « دخلت

مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط أتق ثياباً منه ، ولا أشد سواداً ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا نصيب ، فقلت : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جميل إمامنا ، وعمر أوصفتنا لربات الحجال ، وكثير أبكنا على الأطلال والدمن ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، قال : فأقروا لي أني أحسن المدح ؟ قلت : بلى ، قال : ولكني رأيت الناس رجلين : رجلاً لم أسأله فلا يبنيني أن أهجو ، ورجلاً سأله فنعتني ، فسكنت نفسي أحق بالهجا ؛ إذ سولت لي أن أطلب منه » .

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَهُ الْعَبِيدُ^(١)

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرّصانة على أبيات نصيب ؛ وإن كان نصيب قد غرّب^(٢) وأبدع في قوله :

* وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ *

إلّا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ، ووردت في حال تليق بها ، وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قدّمت أبيات نصيب .

والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذّروة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريم البيت ، له ولآبائه ما أثر لا تدفع ، ومفاخر لا تجحد . والفرزدق لقبٌ لقب به ، وليس باسمه ، وإنما لقب بذلك لجهامة وجهه ، وغلظه ؛ لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة ١٠ من المعجين ، وقيل : إنها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت^(٣) ، واسمه همام بن غالب ، وكُنيت أبو فراس ، وقيل إنّه كان يُكَنى في شبابه بأبي مكيّة^(٤) وهي أغرب كُنيتته^(٥) .

وكان شيميّا^(٦) مائلا إلى بني هاشم ، ونزاع في آخر عمره عما كان عليه من القذف^(٧)

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أشرفه لحولا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن نصيبا حبشي مملوك » . (٢) ل ، ونسخة في حاشيتي ت ، ف : « أغرب » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الفتوت والفتيت بمعنى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان يُكنى أبا مكيّة ، ومكيّة بنته ، وذكر ذلك في شعره فقال :

شاهد إذا ما كنت ذامحيميّة بدارمي أمّه ضبيّة

صمّح مح مثل أبي مكيّة

- الصمّح : العظيم الرأس ، وأبو مكيّة يعني نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعي ، بكسرة صحيحة على الشين ؛ كما تنسب إلى

الجزيرة جيزي ، والجزيرة حلة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزي » .

(٧) حاشيتي ت (من نسخة) : « من القرف » ، والقرف : الرمي بالسوء .

والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال^(١) فسقه منسأخاً من الدين جملة، ولا مُهملاً لأمره أصلاً.

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصوليّ عن أبي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال: [٢٠] دخلتُ على الفرزدق، فجعلتُ أحادثه، فسمعت صوت حديد يتققع، فتأملت الأمر، فإذا هو مقيد الرّجل^(٢)، فسألته عن السبب في ذلك، فقال: إني آليتُ على نفسي ألا أنزع القيد من رجلي، حتى أحفظ القرآن.

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أبو ذرّ القراطيسيّ قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدّثني الرّياشيّ عن الأصمعيّ عن سلام بن مسكين قال: قيل للفرزدق: علامَ تقدّف المحصّنات؟ فقال: والله، لله أحبّ إليّ من عينيّ هاتين، أفتراه يعدّني بعدها^(٣)! . ١٠

وروي أنّه تعاقق بأستار الكعبه، وعاهد الله على ترك الحجاء والقذف اللذين كان ارتكبهما، وقال:

ألمَ ترّني عاهدتُ ربّي وإنّني أبين رتاجٍ قائماً ومقام^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة): « حال » . (٢) حاشية ت (من نسخة): « الرجلين » .

(٣) حاشية ف: « ذكر المبرد في كتابه قال: دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود؛ ومالك عامل على البصرة لخالد بن عبد الله انقري؛ فقال له: يا أبت؛ هذا عمر بن يزيد الأزدي ضرب آفأ ألف سوط ومات، فشد على حمار، فقال الفرزدق: كأنك والله يمثل هذا الحديث قد تحدّثت به عن أبيك — والحسن إذ ذاك محبوس عنده — فقال له: يا أبا فراس، فأعندك إن كان ذلك؟ فقال: والله يا أبا سعيد، لله أحبّ إليّ من سمعي وبصري، ومن مالي وولدي، ومن أهلي وعشيرتي؛ أفتراه يخذلني! فقال الحسن: كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر في (الكامل - بشرح المرصفي ٢: ٧٦ - ٧٧) .

(٤) في حاشيتي الأصل، ف: « الرتاج: الباب الملقق، والباب العظيم أيضا قائما، حال بما يدل عليه

لين » ، وفي ت، د: « قائم » .

عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ (١)
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي (٢)
 فَرَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنَّنِي مُلَاقٍ لَأَيَّامِ الْخُتُوفِ حِمَامِي (٣)

وَرَوَى الصُّوَلِيُّ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيَّاضِ عَنِ إِدْرِيسَ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ : جَاءَنِي الْفَرَزْدَقُ ،
 ٥ فَتَذَاكَرْنَا رَحِمَةَ اللَّهِ وَسَعَتَهَا ؛ فَكَانَ أَوْثَقَنَا بِاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْكَ هَذَا الرَّجَاءُ وَالْمَذْهَبُ
 وَأَنْتَ تَقْدِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ! فَقَالَ : أَتَرُونَنِي لَوْ أَذْنِبْتُ إِلَى أَبِييَّ ، أَوْ كَانَا يَقْدِفَانِي

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مولانا السيد : خارجا ، تقديره : ولا يخرج خروجاً ؛ وذهب
 عيسى بن عمر إلى أنه في موضع الحال ؛ لأن قوله : لا أشتم نصب على الحال ؛ كأنه قال : عاهدت لا شامتا
 ولا خارجا . وقال أبو سعيد : تقديره : عاهدت على أن أحلف لا شامتا ولا خارجا ؛ وهو حال من التاء في
 عاهدت ، أو المحذوف من المصدر ؛ وهو الفاعل . وسيبويه يجعل لا أشتم جواب القسم ؛ ولا موضع له من
 الإعراب ، والقسم عاهدت . نقوله : ولا خارجا ، أي لا يخرج خروجاً ؛ وهو مضاف على لا أشتم » .
 وفي حاشية ف أيضاً : « ذكر المبرد في كتابه الكامل في قوله :

* ولا خارجا من في زور كلام *

لأنما وضع اسم الفاعل موضع المصدر ، أراد : لا أشتم الدهر مسلماً ، ولا يخرج خروجاً من في زور كلام ؛
 لأنه على هذا أقسم ، والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل ؛ يقال : ماء غور ، أي غائر ؛ كما قال الله تعالى :
 ﴿ إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ ويقال : رجل عدل ، أي عادل ، فعلى هذا جاء المصدر على فاعل ؛ كما
 جاء اسم الفاعل على المصدر ؛ يقال : قم قائماً ؛ فيوضع موضع قولك : قم قياماً ؛ قال : وكان عيسى بن عمر
 يقول : إنما قوله لا أشتم حال ، فأراد : عاهدت ربّي في هذه الحال ، وأنا غير شامٍ ولا خارج من في زور
 ولم يذكر الذي عاهد عليه » .

وانظر (الكامل - بشرح الرصافي ٢ : ٨١ - ٨٣) .

(٢) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تسعين » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « أي بلغت
 غايتي ؛ ونسبة التمام إلى التمام ترد على معنى التأكيدي كما قال الشاعر : « نحن جنوننا » ، والجنون لا يجن ، وإنما المراد
 يجن ؛ وكما قال :

جُنُونُكَ جَنْوْنٌ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَيِّبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونِي

(٣) ش ، ف : « فررت » ، والأبيات في (ديوانه ٢ : ٧٧٠) .

في تنور ، وتطيب أنفسهما بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا يرهماك ، قال : فأنا والله برحمة ربّي أوثق مني برحمتها .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم^(١) قال حدثنا عبد الله بن أبي سميد^(٢) الورّاق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاوي^(٣) قال : حدثني أبي عن جدي قال : شهدت الحسنَ البصرى في جنازة النّوار (امرأة الفرزدق) - وكان الفرزدق حاضراً - فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا فراس ، ما أعددت لهذا المضجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مذثمانون سنة ، فقال له الحسن : هذا العمودُ فأين الطُّنبُ ! . وفي رواية أخرى أنه قال له : نعم ما أعددت ، ثم قال الفرزدق في الحال :

[٢١] / أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابًا وَأَضْيَقًا^(٤)
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدًا عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا^و
 لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَقُولَ الْقِلَادَةِ أَرْزَقًا^(٥)
 يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَائِلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحْرَقًا

قال : فرأيت الحسن يدخلُ بعضه في بعض ، ثم قال : حسبك . ويقال إن رجلاً رأى الفرزدق بعد موته في منامه ، فقال له ما فعل بك ربك ؟ فقال : عفا عني بتلك الأبيات^(٦) .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « سميد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطّفاوي : منسوب إلى طفاوة ؛ وهم قوم » .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢ : ٥٧٨ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات ؛ وفي نسخة بجواشي

الأصل ، ف ، ت : « أشد من القبر » ؛ وهي رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدود الفلاذ » ، وهي رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض النميمية أن الفرزدق رثى في النوم فقيل له : ما صنع ربك ؟ فقال :

نظفرتي ؛ قيل له : بأي شيء ؟ قال : بالكلمة التي نازعنيها الحسن البصرى على شفير القبر » . وفيها أيضا : « في السكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني عم والمصاحف في حجورهم فيسربلك ويجذل له =

وأما ما يدلُّ على تشيِّعه وميله إلى بني هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال
حدثني عمر بن داود العُماني قال حدثنا محمد بن زكريا^(١) الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق
قال حدثنا أبو لبيد قال : جاء السكيتُ إلى الفرزدق فقال : يا عمَّ إني قد قلت قصيدةً أريدُ
أن أعرضَها عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبْتَ ، تَسَكَلْتِكِ أُمُّكَ ! فقال :

* وَلَا لِعَبَا مَنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

ولم تُلهِنِي دَارًا وَلَا رَسْمٌ مَنزِلٌ وَلَمْ يَتَطَرَّ بَنِي بَنَانَ مُحَضَّبُ

= ويقول : إيه فدى لكم أبي وأمي ! كذا والله كان آبؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسي إلى الفرزدق
فقال : مهما فعلت ففقطك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قدمين
لضيفين ؛ فابتغ لهما موقفا صالحا يوم القيامة .
(و انظر السكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٧٩) .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابي : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا .
وفي حاشية ف أيضا : « حدث الغلابي عن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد قال : قال أنوشروان لبرزجمهر
لما أراد قتله : إني قاتلك ؛ فتسكلم بشيء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛
فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال :
صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ تَخَلَّدُ بَعْدَهُمْ أَحَادِيثُهُمْ وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
وقال أيضا :

وَإِذَا الْفَتَى لَأَقَى الْحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْلَا الثَّنَاءُ كَأَنَّهُ لَمْ يُوَلَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابي : كان مريد يكنى أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينما هو ذات يوم
جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هل لك في الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ؛
ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كما ترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأربعاء ، ولست أبرح من منزلي ،
فقالوا له : ماتسكروه من يوم الأربعاء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بأبي وأمي صلى الله عليه وآله ! وفيه
التقمة المحوت ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ، ولكن بعد إذ زاغت الأبصار ،
وبلغت القلوب المناجر .

فقال له : إلى من ضربت ؟ فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمَّهُ : أَصَاحَ غُرَابًا أُمَّ تَعَرَّضَ ثَعَابٌ (١)
وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أُمَّرَ سَلِيمُ الْقَرْنِ أُمَّ مَرَّ أَعْضَبُ (٢)
وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهْيِ وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ ، وَالْخَيْرِ يُطَابُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكُميت :

إِلَى النَّفْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ
فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم ، فقال الكُميت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَعْضَبُ (٣)
فقال له الفرزدق : والله لو جُزَّتْهم إلى سواهم لذهب قولك باطلا .

[٢١]
ظ

ومما يشهدُ لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزُباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني ١٠
جدِّي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدثني غير واحد
من أهل الأدب أن علي بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجَّهَرَ (٤) الناس جماله ، وتشوَّفوا
له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدق :

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « في المتن ، قال المرتضى رضى الله عنه : يجب الوقوف
على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض . والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .
(٢) السانح من الطير : مامر من مياسرك إلى ميامنك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسانح ،
ويتشاءمون بالبارح ، والأعضب : مكسور القرن ، وفي ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت
لأُم لك ! فقال الكُميت ... »

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أعني بني هاشم ، أو إلى بني هاشم » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجَّهَرته ؛ إذا رأته عظيم المرأة ، وما
أحسن جهر فلان ! أى ما يجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أى حملهم بجماله على أن يجهره
عليه السلام ، أى يدركوا جهره » .

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلَّمَهُ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَائِنَهُ
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانَ رَاحَتِهِ
يُنْفِضِي حَيَاءً وَيُنْفِضِي مِنْ مَهَابَتِهِ
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ
مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا

هَذَا التَّمْيُ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ (١)
إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
رَكْنُ الْخَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ (٢)
فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ (٣)
لَأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعْمُ
فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ (٤)

(١) البطحاء: أرض مكة المنبجحة، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.
(٢) الخطيم: الجدار الذي عليه ميزاب السكبة، وانتصب «عرفان» على أنه مفعول له، أي يكاد يمسه ركن الخطيم؛ لأنه عرف راحته. ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.
(٢) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني الكبير هذا البيت: ينضى ...

وبنينا آخر وهو:

بِكْفِهِ خَيْرُ رَانَ رِيحِهَا عَيْقُ
مَنْ كَفَّ أَرْوَعَ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمُ

للحزبين الكناني، قال: مدح بهما الحزبين عبد الله بن عبد الملك، وقد حجج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بالألا يحجب الحزبين لحث لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأنشده البيتين. قال أبو الفرج: والناس يروون هذين البيتين في أبيات الفرزدق التي مدح بها زين العابدين عليه السلام.
وقد ذكر أبو تمام في (الحماسة - بشرح التبريزي ٤-١٦٧-١٦٩) الأبيات مذنوبة إلى الحزبين اللبقي. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في (الأغاني ١٤: ٧٤-٧٧).

(٤) حاشية ف: «روى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أو رافضو أيضا أنت! فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضا فأنا هناك، فقال عبد الملك: قل في مثل ماقلته فيه، وعلى أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتجيئني بأب مثل أبيه وأم مثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ماقلته فيه؛ أقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أتاه قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكه ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كاد أتك بعد! فقال: يا بن رسول الله، ماقلته فيك لرجاء منوبة؛ وإن نوالا على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكتم كان عطاؤه الله حرمته؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفا، عطاء أربعين سنة، فأخذها وانصرف.»

وفي رواية النَّلابي أن هِشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك - أو الوليد - وهو حديث^(١) السن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه، فجلس ينتظر خَلْوَةً؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجادة، كأنها رُكبة عَنز، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحَّى الناس له حتى يستلمه، هيبة له وإجلالا. فعاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لأعرفه - لئلا يرغَّب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان هناك حاضراً - : لكني أعرفه، وذكر الأبيات، وهي أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها^(٢) لأنها معروفة.

قال: فغضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بمُسفان، بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا/ يا أبا فراس، [٢٢] ولو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك به، فردَّها الفرزدق وقال: يا بن رسول الله، ما قلتُ الذي قلتُ إلا غضباً لله ورسوله، وما كنتُ لأُرزَأَ^(٣) عليه شيئاً؛ فردَّها إليه وأقسم عليه في قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس؛ فما هجاء به قوله:

١٥

تَحْبَسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِنِّي رَقَابُ النَّاسِ يَهُوِي مُنِيهَا^(٤)
يُقَلِّبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادَ عِيُونُهَا

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة) : « حدث السن » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « تركنا أكثرها » ،

(٣) ت : « أرزأك » . وفي حاشية ف : « يقال : مارزأته شيئاً ؛ أي لم آخذ منه شيئاً » .

(٤) ديوانه ١ : ٥١ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « تحبسنى » ، وحاشية ف (من نسخة) :

« قلوب الناس يهوى » ؛ وهي رواية الديوان .

مكتبة التنوير والدراسات الإسلامية

مجلس آخر

تأويل آية

إن سأل سائل فقال: ما عندكم في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْأُونُ مُمْتَلِفِينَ. إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].
وظاهر هذه الآية يقتضى أنه تعالى ما شاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى؛ وهذا بخلاف ما تذهبون إليه؛ ثم قال: ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فلا يخلو من أن يكون عني أنه للاختلاف خلقهم، أو للرحمة؛ ولا يجوز أن يعنى الرحمة؛ لأن الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة «ذلك»؛ ولو أرادها لقال: ولتلك خلقهم، فلما قال ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كان رجوعه إلى الاختلاف أولى. وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن المذكوراً فيها؛ لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها، وإذا جعلتم قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ دالاً على الرحمة فكذلك قوله: ﴿مُمْتَلِفِينَ﴾ دالٌّ على الاختلاف؛ على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة؛ وذلك لا يجوز على الله تعالى، وممتى تُعدى بها ما ذكرناه، لم يُعنَ بها إلا العفو وإسقاط الضرر، وما جرى مجراه^(١) عن مستحقه، وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم، لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين.

الجواب، يقال له: أما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فإنما عني به المشيئة التي ينضم إليها الإلجاء، ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار، وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته^ط وأنه ممن لا يغالب، ولا يعصى مقهوراً؛ من حيث كان قادراً على الإلجاء العبيد، وإكراههم ما أراد منهم.

فأما لفظ «ذلك» في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف؛ لدلي

العقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف ، والذهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائئاً له ، ومجرباً^(١) بخلاف العباد إليه .

وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .

فأما ما طعن به السائل ، وتعلق به من تذكير الكناية ، وأن الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى ، لأن معناها هو الفضل والإينام ؛ كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك ، وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ؛ [الكهف : ٩٨] ؛ ولم يقل « هذه » ، وإنما أراد هذا فضل من ربي ؛ وقالت الخنساء :

فذلك ياهندُ الرّزيةُ فاعامسى ونيرانُ حربٍ حينَ شبّ وقودها^(٢)
أرادت الرّزءُ ؛ وقال امرؤ القيس :

برهرهه رؤودة رخصة كخرعوبة البانة المنفطر^(٣)

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الغصن ؛ وقال الآخر :

هنيئاً لسعدٍ ماقتضى بعد وقفتي^(٤) بناقة سعدٍ والعشية بارد
فذكر الوصف : لأنه ذهب إلى العشي ؛ وقال الآخر :

قامت تبكيه على قبرٍ من لي من بعدك يا عامر^(٥)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الإجراء يستعمل في المنكر المذموم ؛ يقال : أجرى عليه فعله ، ولا يقال إلا في الشر » .

(٢) ديوانها : ٥٩

(٣) ديوانه : ٨ . البرهرة : الرقيقة الجلد ، والرؤدة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : الفضيب الغض ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشيت (من نسخة) : « وقفتي » .

(٥) البيتان في العقد ٣ : ٢٥٩ ، و ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر .

تَرَ كُتَّتِي فِي الدَّارِ ذَاغُرَبِيَّةٍ (١) قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ

فقال: « ذاغربة » ولم يقل ذات غربة ، لأنه أراد شخصا ذا غربة ؛ وقال زياد الأعجم :

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ (٢)

[٢٣]
و

فقال: « ضمننا » ولم يقل ضمننتا ؛ قال الفراء: لأنه ذهب إلى أن السماحة والشجاعة مصدران ،

والعرب تقول : قِصَارَةُ الثَّوبِ يُعْجِبُنِي ؛ لأن تَأْنِيثَ الْمَصَادِرِ يَرْجِعُ إِلَى الْفِعْلِ ، وَهُوَ مَذْكَرٌ .

وقال الفرزدق :

تُجُوبُ بِنَاءَ الْفَلَاةِ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا (٣)

فذكر الوصف ، لأنه أراد التيس ؛ فأما الأرتاة فهي واحدة الأرتى ، وهي (٤) شجر

يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ تَسْتِظِلُّ بِظِلَالِهِ الظَّبَاءُ مِنَ الْحَرِّ ، وَتَأْوِي إِلَيْهِ ، قَالَ الشَّمَاخُ :

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ (٥)

١٠

(١) في العقد : « لى وحشة » .

(٢) اللآلى ' ٩٢١ ؛ وبمده :

فَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طِرْفٍ سَابِحٍ

وفي ت ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إن السماحة والشجاعة » .

(٣) ديوانه ٢ : ٦١٧ ، وروايته : « فروحت القلوس إلى سعيد » .

(٤) في نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « وهو » .

(٥) ديوانه ٩٤ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « توسط أبردیه » ، وفي حواشي الأصل ،

ت ، ف : « قبله :

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزَالًا بَعْدَ مَقْعِدِهَا السَّمِينِ

إِذْ بَرَكْتُ عَلَى شَرْفٍ وَأَلْقْتُ عَسِيبَ جِرَائِمِهَا كَعَصَا الْمُهْجِينِ

إِذَا الْأَرْطَى

المقعد : أصل السنام ، والشرف : النجد من الأرض ، وعسيب جرائمها : صفة العنق ، والمهجين :

الراعى ، والجوازي : التي اكتفت بالرطب عن الماء ، وأبردا الأرتى : الغداة والعشى ؛ وقال خالد بن

كلثوم : أبرداه : ظلاه ؛ الظل بالغداة والعشى ؛ وقال ابن دريد : معناه أن البقرة تتوسد بالغداة

الأرتى الذى بلى المغرب ، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الفصون التي مالت عنها

الشمس . والعين : جمع عياء ؛ وهي الواسعة العين .

وقوله: «قالا» من القِيلولة لامن القول، على أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة بدل أيضاً على «أن يرّحم»، فإذا جملنا الكناية بلفظة «ذلك» عن أن يرحم كان التذكير في موضعه؛ لأن الفعل مذكور، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلِدَكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنه لهذا خلقهم؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾؛ [الذاريات: ٥٦].

٥. وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة: ١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.

١٠. فأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.

وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، / لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضاً، [٢٣] وقولك: اختلفوا^(١)، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل^{١٥} كذا ما اختلف المعمران والجديدان، أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر.

فأمّا الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل النعم والإحسان، يدلّ على ذلك أن من أحسن إلى غيره، وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به، وإن لم يعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة من لا يمهّدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأن مشقة النعمة والفضل والإحسان على من لا رقة عنده أكبر منها على الرقيق القلب، ٢٠ وقد علمنا أن من رق قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل: «سمى الاختلاف اختلافاً لأن الكلام يخلف بعضه بعضاً».

وُصِفَ بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم^(١) ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظأره . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه^(٢) ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنها مما تجاوره الرحمة التي هي النعمة في الأكثر ، وتوجد عنده ، فحلَّ محلَّ وصف الشهوة بأنها محبة لَمَّا كانت توجدُ عندها المحبة في الأكثر ؛ وليست الرحمة مختصةً بالعمو ؛ بل تستعمل في ضروب النعم ، وصنوف الإحسان ؛ ألا ترى أنا نصيف النعم على غيره ، المحسن إليه بالرحمة ، وإن لم يُسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زلة ؛ وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة ؛ لأن النعمة بإسقاط الضرر تجرى مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلان ما ضمنه السائل ١٠ سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة ، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملةً للخلق أجمعين ، فأى معنى لاستثناء ﴿ مَنْ رَحِمَ ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غير أن في نعمه أيضاً ما يختصُّ بها بعض العباد^(٣) ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضي الاختصاص / فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة ، فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها . وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللطف الذي وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة ، لأنه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلفين بها ؛ من حيث

(١) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : ما ذكر .

(٢) س : « قالوه » .

(٣) ت : « الخلق » .

لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعمهم آخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مما أدرك الناس

من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ^(١) ما شئت » .

وفي هذا الخبر وجود من التأويل ثلاثة :

أحدها أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جلّ وعزّ وأنت لا تستحي من الناظرين

إليك ، ولا تتخوفهم ^(٢) أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت ، لأن فكرتك فيهم ،

ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ، ويمنعانك من القيام بمحدوده وحقوقه ؛

وإذا طرحت الفكر توقّرت على استيفاء عملك .

والوجه الثاني أن من لم يستحي من المعايير والمخازي والفضائح صنع ما شاء ،

والظاهر ^(٣) ظاهر أمر ، والمعنى معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛

[فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٩] ؛

وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر ^(٤) الذنب في أطراح الحياء ؛ ويجرى مجرى

قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛

والعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه ، وقبح ^(٥) ما اقترفه .

والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فافعل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « فالظاهر » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عظم الذنب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وقبيح » .

فكأن معنى (١) الخبر إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح (٢) من ضروب القبائح إلا والحياة يصاحبه ، ومن شأن فاعله إذا قرّع به أن يستحي منه ، فمتى جانب [٢٤] / الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح ، وما عدا القبيح من الأفعال ظ فهو حسن .

ويجري هذا مجرى خبري يروى فيما أظن عن نبيينا عليه السلام أن رجلا جاءه (٣) فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشرت عليك ألا تكذب نبي ، ولن أسألك (٤) ما وراء ذلك » . فهان على الرجل ترك الكذب خاصة ، والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر (٥) ويقول : أرأيت لو سألتني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائل له ، لأنني إن صدقته افتضحت ، وإن كذبتة نقضت العهد بيني وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبائح (٦) ، وهكذا معنى الخبر الذي تأولناه ؛ لأن في اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبائح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لا ضرب » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « أتاه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « يفكر » ؛ بإسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفي رواية أخرى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا وأخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستسر بخلال أربع : الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتهن أحببت تركت ، قال : دع الكذب ؛ فلما تولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بانزنا ؛ فقال : يسألني رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جحدت نقضت ماجملت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقه ثم بشرب الخمر ؛ فنفكر في مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يارسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية ها هنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجمله ، ولأن رأيت السيد غير محقق فيما أورده » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخِرِ

روى محمد بن الحنفية رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كُتِرَ على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلق ، فإن وجدته عندها فاقتله » . قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة^(١) الحمّاة ، أمضى لما أمرتني ، أم الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال لى النبي صلى الله عليه وآله : « بل الشاهدُ يرى ما لا يرى الغائب » . فأقبلت متوشحاً^(٢) بالسيف ، فوجدته عندها ، فاخترطتُ السيفَ ، فلما أقبلت نحوه عرف أنى أريده ، فأثى نخلة فرقي إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشغّر برجليه ، فإذا إنه أجبُّ أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : فعمدتُ السيفَ ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذى يصرف^(٣) عنا أهل البيت » .

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : فى هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نتلوها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة^(٤) بغير بينة ولا مايجرى مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطيَّ جائز أن يكون من أهل/العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم^(٥) أحكامُ المسلمين، وأن يكون الرسول عليه السلام [٢٠] تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية، فخالف وأقام على ذلك ، وهذا نقضٌ للعهد، وناقضٌ

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « السكة : الحديدية اتى تسكون على طرف آلة الفدان ، والفدان آلة الأكرة » . (٢) توشحت بالسيف ؛ إذا تقلدته .

(٣) حاشية ت من نسخة : « صرف » ، و د : « صرف عنا الرجس أهل البيت » ، و ط ، م :

« يصرف عنا الرجس أهل البيت » . (٤) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « التهمة ؛ بالتحريك هو

الصحيح » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .

العهد من أهل الكفر مؤذّن بالمحاربة؛ والمؤذّنُ بها مستحقٌّ للقتل .

فأما قوله: « بل (١) الشاهد يرى مالا يرى الغائب (١) » فإنما عني به رؤية العلم لرؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم؛ ويصحّ له من وجه الرأى والتدبير ما لا يصحّ للغائب؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخيّر بين قتله والكفّ عنه ، ويفوض الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز العفو عنها ، ولا يسعُ إلا إقامتها ، لأن ناقض العهد ممن إلى الإمام القائم بأمر (٢) المسلمين إذا قدرَ عليه قبل التوبة أن يقتله، أو أن يمنَّ عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضى الجوب ، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة (٣) على أنها لا تقتضى ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتُه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدّا إمّا لحدّ يقام ، أو لعقوبة تسقط ، لأن العلم بأنه أمسح أحبّ لم يكن إلا عن تأمل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممن يكون منه ما قرّف به أولا ، والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه محبوب أن يأمر بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثل أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بن قريظة ، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤنّز ، وكلّ من أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبت قتله ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حقّ التأمل لم تصحّ شهادته ، ولهذا قال النبي

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بأمر » .

(٣) ط : « وفي حسنها ووقوعها دلالة .. » ، م : « وفي حسنها ووقوعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد ، وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا ، أيقته ؟ / فقال [٢٥]
 صلى الله عليه وآله : لا ، حتى يأتي بأربعة شهداء ، ولو لم يكن للشهداء إذا حضر واتعمد النظر إلى
 عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ، ولم تقم شهادة الزنا ؛ لأن من شرطها
 مشاهدة العضو في العضو كالميل في المسحلة .

فإن قيل : كيف جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ، ومن أي جهة آثره لما وجده
 أحب ، وأي تأثير لكونه أحب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه
 السلام لما فوض إليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال ، وإن وجده
 أحب ؛ لأن كونه بهذه الصفة لا يخرج من نقض العهد ، وإنما آثر الكف الذي كان
 إليه ، ومفوضاً إلى رأيه ، لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه أشفق من أن
 يقتله ، فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه . ١٥

فأما غريب الحديث^(١) فقولُه : «شَغَرٌ^(٢) برجليه» يريد رفعهما^(٣) ، وأصله في وصف الكلب
 إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشغار^(٤) - وقد قيل الشغار بالفتح - فهو أن يزوج الرجل
 من هو ولي لها من بنت أو أخت غيره ، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر . وكان
 أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر : شاغرتني ؛ أي زوجني حتى أزوجك ؛ وأظنه مأخوذاً
 من الشَّغْر الذي هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشَّغْر ، فسمى هذا العقد شغاراً ١٥
 ومشاغرة ، لإفضائه في كل واحد من المزوجين^(٥) إلى معنى الشَّغْر ، وصار اسماً لهذا النكاح
 كما قيل في الزنا سفاح ، لأن الزانيين يتساحان الماء ، أي يسكبانه ، والماء هو النطفة ، ويمكن
 أن يكون أيضاً الماء الذي يغتسلان به ، فكُنِيَ بذلك عن الزنا^(٥) ثم صار اسماً له وعلماً
 عليه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخبر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « برجليه »

يريد رفعهما » . (٣) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . (٤) ت ، ف : « المتزوجين » .

(٥) حاشية ف : « الزنا والزنا كلاهما صحيح » .

ومن الشُّعْرُ الذي هو رُفْعُ الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرتُ يوماً عليه ، وتناولتُ ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عاينها بالدَّرَّةِ يضرُّها ، ويقول لها أَشْفَرًا وَفَخْرًا ! وأما قولُ الفرزدق :

شَغَارَةٌ تَقْدُ الفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ^(١)

[٢٦] / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال : معنى «شغارة» أنها ترفع رجلها للبول ، وقوله : «تقدُّ الفصيل برجلها» ، أى تركله وتدفعه عن الذنوب إلى الرضاع ، ليتوقَّر اللبن على الحلب ، وأراد «بتقده»^(٢) ، أى تبالغ فى إيلامه وضربه ، ومنه الموقوذة^(٣) ؛ فأما قوله : «فطاره لقوادم الأبقار» ، فالفطرُ هو الحلب بثلاث أصابع ، والقوادم هى الأخلاف ، وإنما خصَّ الأبقار بذلك ؛ لأنَّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضَبًّا^(٤) ، والضَّبُّ هو الحلبُّ بالأصابع الأربعة^(٥) ؛ فكأنه لا يمكن فيها لِقِصْرَ أخلافها إلا الفطرُ ؛ ومعنى البيت تمييزُ نساء جرير بأنهنَّ راعيات ، وذلك مما تُعَيِّرُ به العربُ النساءَ ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَحَالَةٍ فِدْعَاءَ قَدِ حَلَبْتِ عَلَى عِشَارِي^(١)
كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تُضَيِّعَ لِقَاحَنَا وَلَهُمَا إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ^(٢)

ثم تلا ذلك بقوله : شغارة ...

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندى أن قوله «شغارة» كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه بأن يكون مراده فى هذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوآه ، وترك

(١) ديوانه ٢ : ٤٥٢ .

(٢) ف حاشية ت (من نسخة) : « تقد » .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التى يرميها الراعى بالعصا فتموت » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .

(٥) م : « الأربعة كلها » .

(٦) فى حاشيتى الأصل ، ف . « الفدع : اعوجاج فى الزند ، وعلى تتعلق بمحذوف ، كأنه قال

متخففة على ، أو قائمة على » ، والشار : جمع عشراء ؛ وهى الناقة التى أتى عليها من وضعها عشرة أشهر .

(٧) فى حاشيتى الأصل ، ف : « اللقاح : جمع لفعة ؛ وهى الناقة الحديثة العهد بالنواج » .

حفظ اللقّاح عند سماعها دعاء يَسَار؛ وَيَسَار اسمٌ لِرَاع؛ فكأنه قد وصفها بالوَلَه إلى الرِّثَا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استَحْفِظْتَهُ من اللقّاح؛ فالأشبه أن يكون قوله: «شغارة» - مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه - محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغَر بغير فليس من هذا في شيء وإنما يُراد به أنهم ذهبوا متفرقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عبايد وعبايد ، وشعائل وشعارير وأيادي^(١) سبا ؛ كل ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله: «إِذَا أَنَّهُ أَجَبَّ» ، فيعني به المقطوع الذِّكْر ؛ لأنَّ الجَبَّ هو القطع ؛ ومنه بعير أَجَبَّ إِذَا كَانَ مَقْطُوعَ السِّنَامِ : وقد ظن بعض مَنْ تَأَوَّلَ هَذَا الْخَبْرَ أَنَّ الْأَمْسَحَ هَهُنَا هُوَ الْقَلِيلُ لِحْمِ الْأَلْيَةِ ، كَالْأَرْصَعِ وَالْأَرْسَحِ وَالْأَزْلِ^(٢) ، وَهَذَا غَلْطٌ ، لِأَنَّ الْوَصْفَ بِذَلِكَ لَا مَعْنَى لَهُ فِي الْخَبْرِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَأْكِيدَ الْوَصْفِ لَهُ بِأَنَّهُ أَجَبُّ ، وَالْبَالِغَةُ فِيهِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ : «أَمْسَحَ» [٢٦] ط يفيد أنه مصْطَلِمٌ^(٣) الذِّكْرُ ، وَيَزِيدُ عَلَى مَعْنَى أَجَبَّ زِيَادَةَ ظَاهِرَةً .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان ابن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال : دخلتُ على

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « أيادي ، يجوز أن تكون نصباً على الحال ، وعلى المصدر أيضا ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادي سبا ، وإذا كان مصدرا فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « يقال تفرقوا أيادي سبا ، وفي معناه قولان : أحدهما أنه سبأ بن يشجب ، والأيادي : الأولاد ، وفيه لأنه من السبي ، ووزنه فعل ؛ وحينئذ ينصرف ، وإنما صار الأولاد أيادي ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادي ، والأيادي جمع الجمع ، يد وأيد وأياد . »

(٢) حاشية ف : « الأرصع والأرسح والأزل : قليل لحم الورك . »

(٣) حاشية ف . « مصْطَلِمٌ : مقضوع الذكر . »

الرشيد^(١) في الليل، فتذاكرنا أحوال القمر، فقلت: العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة: ما أنت ابن ليلة^(٢)؟ قال: رضاعٌ سُخَّيْلَةٌ، حلَّ أهلها برُمَيْلَةٍ. قيل له: ما أنت^(٣) ابن ليلتين؟ قال: حديثٌ أُمَّتَيْنِ، بكذبٍ ومَينٍ. قيل له: ما أنت ابن ثلاث؟ قال: قليل اللبّاث - وقيل أيضاً: حديثٌ فَتَيَاتٍ، غيرِ جِدِّ مؤتلفات - قيل له: فما أنت ابن أربع؟ قال: عتمةُ أم رُبْعٍ - وقيل: عتمةُ أم الرُبْعِ^(٤) - غير جائع ولا مُرَضِعٍ. قيل له: فما أنت^(٥) ابن خمس؟ قال: عشاءٌ خَلِيفَاتُ قُعْسٍ - ويقال: حديثٌ وأنسٍ، ويقال: سرٌّ ومَسٌّ^(٦) - قيل له: ما أنت^(٧) ابن ست؟ قال سرٌّ وِبتٌ - وقيل: تحدّث^(٨) وِبتٌ - قيل له: ما أنت^(٩) ابن

(١) حاشية ف: « حدث عبيد الله بن محمد النيمي قال: أراد الرشيد سفراً؛ وأمر الناس أن يتأهبوا لذلك، وأعلمهم أنه خارج مد الأسبوع؛ ففضى الأسبوع ولم يخرج، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر؛ فكتب إليه المأمون:

يَا خَيْرَ مَنْ خَبَّتِ الْمَطْيُ بِهِ وَمَنْ تَقَدَّى بِسِرِّهِ فَرَسُ
هَلْ غَايَةٌ فِي الْمَسِيرِ نَعْرِفُهَا أَمْ أَمِيرُنَا فِي الْمَسِيرِ مُلْتَبِسُ
مَاعِلِمٌ هَذَا إِلَّا إِلَى مَلِكٍ مِنْ نُورِهِ فِي الظَّلَامِ يُقْتَبَسُ
إِنْ سِرَّتْ سَارَ الرَّشَادُ مُتَّبِعًا وَإِنْ تَقَفَ بِالرَّشَادِ يَحْتَبَسُ

فقرأها الرشيد وسرّ بها، ووقع فيها: يابني، ما أنت والشعر! أما علمت أن الشعر أرفم حالات الدق، وأقل حالات السرى! والمسير إلى ثلاث إن شاء الله.

— قوله المأمون في شعره: « ومن تقدى بسرجه فرس »، تقدى أي استمر؛ كما قال ابن قيس الرقيات:

تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سِوَا عَلِيَّهَا لَيْلَهَا وَنَهَارُهَا
أى استمرت وجرت فاصدة إليك.

(٢) في حاشيتي الأصل، ف: « أي أستفهمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة ».

(٣) ط، م: « فإنت » . (٤) د، حاشية ف (من نسخة): « أم ربيع » .

(٥) ت، د: « ما أنت » .

(٦) في حاشيتي ت، ف: « مس، أي ليكن سيرك مساء للضوء » .

(٧) ط، م: « فإنت » .

(٨) ف، حاشية الأصل (من نسخة): « حدث » .

(٩) د، ت، ف: « قيل: ما أنت » . ط، م: « قيل فإنت » .

- سبع؟ قال دَلَجَةٌ^(١) ضَبِع^(٢) - وقيل هُدَى لَأَنَسِ^(٣) ذى الجَمْعِ ، وقيل: حديث جَمْعٍ ، وقيل:
يُضْفَرُ فِي النَّسَمِ^(٤) ، وقيل: يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَعِ - قيل: ما أنت ابن ثمان؟ قال: قَرْنُ إِضْحِيَّانِ^(٥) .
قيل: له: ما أنت ابن تَسَعٍ؟ قال منقَطَعِ الشُّسَمِ - وقيل يُلْتَقَطُ فِي الْجَزَعِ ، وقيل:
الوَدْعُ^(٦) ، وقيل عَشِيَّةُ أَهْلِ جَمْعٍ - قيل له: ما أنت ابنَ عَشْرٍ؟ قال: مُلْكُ الشَّهْرِ ،
- وقيل: مَخْنَقُ الفَجْرِ ، وقيل: أُوْدِيكَ إِلَى الفَجْرِ ، وقيل: أَبَادِرُ الفَجْرِ - قيل له: ما أنت
ابن إحدى عشرة^(٧)؟ قال: أَطْلَعُ عِشَاءً ، وَأَرَى بُكْرَةً - وقيل: أَغْيِبُ بِسُحْرَةٍ - قيل:
له ما أنت ابن اثنتي عشرة؟ قال: مُوْتِنِقٌ لِلْبَشَرِ^(٨) ، بالبَدْوِ والحَضَرِ . قيل: ما أنت ابن ثلاث
عشرة؟ قال: قَرْنُ بَاهِرٍ ، يَمْعَشِي لَهُ النَّاطِرُ ؛ قيل له: ما أنت ابن أربع عشرة؟ قال: مُقْتَبِلُ
الشَّبَابِ ، أَضِيٌّ مُدْجِنَاتِ^(٩) السَّحَابِ - وقيل مُضِيٌّ^(١٠) للسَّحَابِ - قيل له: ما أنت ابن
خمس عشرة؟ قال: تَمَّ الشَّبَابِ ، وانتصف الحِسابِ .

١٠

(١) س: « بضم الدال » ، ت: « بضم الدال وفتحها معا » .

(٢) في نسخة بحاشيتي ت ، ف: « الضبيع » .

(٣) ج ، س: « لَأَنَسِ ذى الجَمْعِ » ، يتنون السين .

(٤) الفسح: سير مضمفور مثل الأعتة .

(٥) ت ، س: « قر إضحيان » ، بالإضافة؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة): « قر إضحيان » ،

بضم الهمزة . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف: « قر إضحيان وليلة ضحيانة ، بالكسر؛ هو المعروف
الصحيح » .

(٦) الودع: خرز أبيض يخرج من البحر؛ معروف .

(٧) في حاشيتي ت ، ف: « يقال: إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب » .

(٨) في نسخة بحاشيتي ت ، ف: « موثق البشر » .

(٩) حاشية ف: « أسمى مدجنات السحاب؛ التقدير: السحاب المدجنات؛ وهذا من باب ما يقال

له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر؛ كقول: مررت بحسان النساء ، وجسام الرجال؛ أى النساء الحسان
والرجال الجسام » .

(١٠) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة): « مضى السحاب » .

قيل له: ما أنت (١) ابن ست عشرة؟ قال: ناقص (٢) الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المقتفر القفرة (٣). قيل له ما أنت ابن ثمان عشرة (٤)؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطيء الطلوع / بين الخسوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسحرة، وأضى بالبهرة (٥) - وقيل: ثم أهجر (٦) بالبهرة - قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟ قال: كالقبس؛ يرى بالغلس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع في قئمة، ولا أجلو الظلمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟ قال: دنا مادنا؛ فلا يرى مني إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكراً، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يراني إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مستنير (٧).

قال الأصمى: ثم قلت للرشيد: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

(١) ت، ف: «قيل ما أنت». (٢) م: «ناقص الخلق».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «المقفرة».

(٤) في نسخة حاشيتي الأصل، ف: «ثمان عشرة».

(٥) في حاشيتي الأصل، ف «البهرة: نصف الليل؛ يقال ابهار الليل؛ إذا انتصف، وبهرة كل شيء وسطه». س: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم».

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجر بالبهرة»، أي أطلع نصف الليل، واستعمل

الهجير؛ وهو نصف النهار في الليل استعارة».

(٧) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفي نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «مستسر»، وفي حاشية

ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستين».

فقال: خذه عليّ ، قلت : هاتِ ، فأعاده حتى بَلَغَ : « قيل له : ما أنت ابن ثمان ؟ قال : قرأ أضحيان » .

أما قوله : « رَضاع سُخَيْلَة » أراد تصغيرَ سَخْلَة ، والمعنى أن القمرَ يَبْقَى بقدر ما ينزل قوم ، فتَضَعُ شائهم سَخْلَة ، ثم تُرَضِعُها ويرتحلون ، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان . وقوله : « حَلَّ أهلها برُمَيْلَة » أظن أن المعنى فيه الإخبارُ عن قلة اللَّبائث وسرعة الانتقال ؛ لأن الرَّمَلَ ليس بمنزل مُقام للقوم ؛ لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جَدَدَ^(١) الأرضِ وهَضْبَها والأما كن التي لا تستولى السيولُ عليها ، فَخَصَّ الرُّمَيْلَة لهذا المعنى . وقوله « حديثُ أُمَّتَيْنِ ، بكذبٍ ومين » يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تَلَقَى الأُمَّةُ الأُمَّةَ ، فتكذبُ لها حديثاً ثم تفتقران . وقوله : « حديث فتياتٍ ، غير جدِّ مؤتلفات » ، أراد أنه يَبْقَى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميماد ، فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات . وقوله « عَتَمَة أم رُبَع^(٢) » ، يقال : عَتَمَتْ إباهُ إذا تأخرتُ عن العشاء ، ومن هذا سَمِيَتْ صلاة العَتَمَة ؛ لأنها آخرُ الوقت في العشاء ، وقوله « أم رُبَع » يعنى الناقة ، وهو تأخير حَلْبِها ؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تُحَلَبُ^(٣) ناقة لها ولد ولدتَه في أول الربيع ؛ وهو أول النَّتاج ، والولد في هذا الوقت يُسَمَّى رُبَعاً ، إذا كان ذكراً ، [٢٧ ط] فإن كان أنثى قيل رُبَعَة ، فإن كان في آخر النَّتاج قيل هُبَع للذكر وللأنثى هُبَعَة . وقوله : « عِشاء خَلِفاتٍ قُعَس » ؛ فالخَلِفات اللواتي قد استبان حَمْلُهن ، واحدهن خَلِيفَة ، وهى الخاض ؛ ١٥ ولا واحد للخاض من لفظها^(٤) ، وإنما قال : « عِشاء خَلِفات » ؛ لأنها لا تُعَشَّى إلى أن يغيب القمر في هذه الليلة ، والقُعَساء الداخلة الظهر الخارجة البطن . وقوله : « سِرُّ وِبْت » يريد أنه لا يبقى إلا بقدر^(٥) ما يببب الإنسان ثم يسير^(٥) ، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يببب ،

(١) الجلد من الأرض : الصلب المستوى .

(٢) ط ، م : « أم الربيع » . (٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « حلب ناقة » .

(٤) كذا في ش ، وفي ج : « لفظه » .

(٥-٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ما الإنسان ثم يسير يببب » .

فقلب المعنى لأنه يسير في الضوء .

وقوله : « قرأ إضحياناً » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قرأ إضحياناً » بالتنوين فيهما جميعاً ، و « قرأ إضحياناً » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيّة البياض .
وقوله : « منقطع الشسع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقى شسع من قدرٍ يمشى به حتى ينقطع .
وقوله : « يلتقط في الجزع » ، أى أنه مضى أبلج ، لو انقطعت مِخْنَقَةٌ فتاة فيها شذُورٌ مفصلة بجزعٍ ماضعٍ منها شيء لضياؤه ونقائه . وقوله : « أضيء بالهزة » ، يعنى به وسط الليل ، لأن هُزَّةَ الشيء وسطه . وقوله : « أمكنت المقتفِر القفرة » ؛ فالقترف الذى يتبع الآثار ، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها (١) .



(١) فى نسخة بمحاشين الأصل ، ت : « وقفرته : موضعه الذى يقصده » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً ، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأن الخلق يُخشرون كما بُدئوا سالمين من الآفات والمآهات ، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعْمُدُونَ﴾؛ [الأعراف : ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ [الأنبياء : ١٠٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا﴾؛ [ف : ٢٢] .
الجواب ، يقال في هذه الآية أربعة أجوبة^(١):

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات ، والنظر في الدلالات والمعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٢٨] إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ [الإسراء : ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ [الإسراء : ٧]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ يعني^(٢) في هذه النعم ، وعن هذه المعبر ، فهو في الآخرة أعمى ؛ أي هو عمّا غُيِبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله: ﴿فِي هَذِهِ﴾ كناية عن النعم ١٥ لاعتن الدنيا ويقال: إن ابن عباس رحمة الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونهه على التأويل الذي ذكرناه .

(١) م : د أوجه . (٢) د ، ف ، حاشيت (من نسخة) : د يعني عن هذه النعم .

والجواب الثاني: ﴿ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ ﴾ بمعنى الدنيا ﴿ أَعْمَى ﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به ؛ فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب ؛ بمعنى أنه لا يهتدى إلى طريقتهما^(١) ، ولا يوصل إليهما ، أو عن الحججة^(٢) إذا سوئل^(٣) وووقف ، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون في القيامة منقطع الحججة ، مفقود المعاذير .

• والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان ، والثاني بمعنى المبالغة في الإخبار عن عظيم ما يناله^(٤) هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ؛ [يونس : ٦٢] ، ومن عادة العرب أن تُسمى مَنْ اشتدَّ همُّه وقوى حزنه أعمى سخين العين ، ويصفون المسرور بأنه قيرير^(٥) العين ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَمْكُونُ ﴾ ؛ [السجدة : ١٧] .

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون^(٦) عن الإيمان ، والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى . قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي عَلَى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ ؛ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] . ومن يُجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الإعادة ؛ كما أنها معدومة في الابتداء ، ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ ﴾^(٧) عليه ؛ [الروم : ٢٧] ، ويتأول قوله تعالى ﴿ فَبَصُرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة ، وأن الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة ؛ والعرب

(١) ت ، ف : « طريقتهما » . (٢) ت ، ف : « يفقد الحججة » . حاشية الأصل من نسخة : « لفقد الحججة » . (٣) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « سئل ووقف » . (٤) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ما يناله » . (٥) ت ، د ، ف : « أنه » . (٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو على مجاز كلام العرب » .

تقول: فلان بصير بهذا الأمر؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو، ولا يريدون إِبْصَارَ العين، بل العلمَ والمعرفة؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾، أى: كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به، فلما أن كَشَفْنَا عَنْكَ الْغِطَاءَ بَانَ أَعْمَانَاكَ وَفَعَلْنَا فِي قَلْبِكَ الْمَعْرِفَةَ عَرَفْتَ وَعَلِمْتَ .

فأما الخبر الذى تُدعى روايته فهو خبر واحد، ولا حجة^(١) فى مثله؛ وإذا عرف لفظه ه ربما أمكن تأوله على ما يوافق هذا الجواب، ومن^(٢) ذهب إلى الأجوبة الأولى يجعل العمى الأول والثانى معاً غير الآفة فى العين، فإن عورض بقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٣) تأوله على العمى عن الثواب أو عن الحجة، وقال فى قوله تعالى: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ إن معناه: كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة .

١٠

والحاصل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يُراد بالعمى الأول والثانى جميعاً الآفة فى العين؛ لأنه يودى إلى أن كلَّ مَنْ كَانَ مَثُوفًا^(٤) البصر فى الدنيا؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك فى الآخرة، وهذا باطل ويمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿أَعْمَى﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان، ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلق لا يُتعمد منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال: ما أشدَّ عماء! ولا يجوز أن يُراد بالعمى الأول العين^(٥) والثانى العمى عن الثواب ١٥ والجنة أو الحجة، لأننا نعلم أن فيمن^(٦) عميت عينه فى الدنيا من يستحق الثواب، ويوصل إليه، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان، لا على طريقة^(٧) المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك؛ لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى، المعرضين فى الدنيا عن معرفته [٢٩] و

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): «واحد لاجحة». (٢) فى نسخة بحاشيتى ت،

ف: «يذهب». (٣) فى حاشيتى ت، ف: «روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله: يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة. وفى حديث آخر: غرلا؛ والأغزل: الأكلف؛ ورواه غيره: أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى». (٤) الثوف: الذى أصابته

الآفة، وفى م: «مكفوف». (٥) ف، ومن نسخة بحاشيتى الأصل، ت: «عمى العين»

(٦) ت، حاشية ف (من نسخة): «ممن». (٧) حاشية ت (من نسخة): «طريق».

لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك ؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما دخل في الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه ؛ لأن عمى القلب وضلاله يتمعجب منه بلفظة « أفعل » وإن لم يجز ذلك في

عمى الجارحة ٥

ولمن أجاب بالجواب الرابع ألا يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظه تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عماءه من غير تعجب ، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ويكون تقدير الكلام : وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَهُوَ أَضَلُّ سَبِيلًا^(١) .

١٠ فإن قيل : ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة « أفعل » ؟ . قلنا : قد قال النحويون في ذلك : إن الألوان والعيوب لا يتمعّب منها بلفظ التعجب وإنما يُمدّلُ فيها إلى أشدّ وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خِلقة كاليد والرّجل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيده^(٢) وما أرجله ؛ ويقال : ما أشدّ سواده ! كما يقال : ما أشدّ يده ورجله ! واعتلوا بعملة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على « افعل » و « افعال » ، نحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ^(٣) ، والتعجب لا يدخل فيها^(٤) زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ؛ ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف^(٤) ؟

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالغة في الموضعين لكان صوابا ، لأن أفعل في التعجب فعل ؛ وهو ما هنا اسم كالمبالغة ؛ أولاترى أنا نقول في التعجب « ما أحسن » والتقدير : شيء أحسنه » .
(٢) في حاشيتي ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ما زاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب في الرباعي ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً أرباعاً أحرف ؛ أحدها الب النقل والتناز الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فعلاها ؛ إذ التعجب يختص الثلاثي فحسب » .

فإن قيل لهم فقد قالوا : عَوِرَتْ عَيْنُهُ وَحَوِلَتْ ، قالوا : هذا منقول من «أفعل» وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف، يدلّ على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما سجدت في اسودّ وبيض ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو، فقلت: عارت وحالت ، كما قيل : خاف وهاب.

وحكى عن الفراء في ذلك جوابان : أحدهما أنّ «أفعل» في التعجب فيه زيادة على وصف

قَبْلَهُ إذا قال القائل أفضل وأجمل، فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا: ما أبيض ه
زيداً ! لثلايسقط / التزيد^(١) ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه ، يخالف لفظه [٢٩] ط
لفظه ؛ كما خالف أفضل وأجمل فاضلاً وجميلاً ، فلما فاتهم في أبيض وأحمر علمم التزيد^(٢) أدخلوا
عليه ما تبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرة زيد: وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» زيد
على ظاهر، و«أشد» يزيد على شديد^(٣) .

والجواب الآخر أنّ التعجب مبنى على زيادة فصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ
التناهي ، فقالوا : ما أعلم زيداً ! ليدلوا على زيادة علمه ؛ لأنهم في قولهم : عالم وعليم لم يبلغوا
في التناهي مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيداً ! لأن البياض لا تأتي^(٤) منه زيادة بعد
نقص ، فعدلوا إلى التعجب بأشدّ وأبينّ وما جرى مجراها ، وهذا الجواب ليس بسديد؛ لأنّ
الألوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أنّ ما حلّه قليل
أجزاء البياض يكون أنقص حالاً في البياض مما حلّه الكثير من الأجزاء !

١٥ والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب ، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو
المعتمد^(٥) وقد أنشد بعضهم ممترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر :

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « التزايد » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « الزيد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « متقرر في علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد في كونه سواداً من سواد
آخر؛ وإنما تنكأثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تتأتى » .

(٥) حاشية ف : « قال ابن الشجري : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى

ما بينهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثاني اعتبار بالمعنى » ، وفي حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل

على نقي المبالغة في أبيض ، والملة ألا يسقط التزيد ، ، والجواب الثاني مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛
لأنه يقول إنما لا يمال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد في البياض لا يتأتى » .

يَأْتِيَنِي مِثْلِكَ فِي الْبِيَاضِ أبيضٌ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ (١)
وَأُنْشِدُوا أَيْضاً قَوْلَ الشَّاعِرِ (٢) :

أَمَّا الْمُدُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمُ لَوْ مَأَّ وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ ، وقال : إن الشاذ النادر لا يطعن

• في المعمول عليه ، والمتفق على صحته ، ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك ، وقد

قيل في البيت الثاني إن أبيض فيه ليس هو الذي للمفاضلة ، وإنما هو أفعال الذي مؤنثه فملاء ،

كقولك أبيض وبيضاء ؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن (٣) القوم وجهاً ، وشريفهم (٣)

خلقاً ؛ فكان الشاعر قال : (٤) ومبيضهم ، فلما أضافه انتصب مابده لتمام الاسم ، وهذا

أحسن من حمله على الشذوذ (٥) .

١٠ ويمكن فيه وجه آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون

[٣٠] فهو في المعنى / كناية عن اللؤم والبخل ، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ،

(١) البيت في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أبيضٌ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

وفي حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت

وإياض : اسم رجل » .

(٢) في حاشيتي ت ؛ « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : هو اضرفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفرى

في بيته ، فطباخه نقي الثوب » .

والبيت في ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إِنْ قَلْتَ نَصْرٌ فَنَصْرٌ كَانَ شَرِّ قَتِي قَدِمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

وهو أيضاً في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

إِذَا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا وَاسْتَدَّ أَكْطُهُمْ فَأَنْتَ أبيضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

(٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « هو أحسن القوم وجهاً وأشرفهم خلقاً » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أي أبيضهم ، لاجمعى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباح » ليس معناه التعجب

والمعنى مبيضهم سربال طباح ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباخه أبيض لحسب ولا يعني أنه أشد بياضاً من

سربال غيره » .

ولو أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقائه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة «أفعل» ، فالذي جوزَ تعجُّبه بهذه اللفظة ما ذكرناه .

فأما قول المتنبي :

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ لِأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ (١)

فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسود في عيني» كلام تام ، ثم قال : «من الظلم» أى من جملة الظلم؛ كما يقال: حُرٌّ من أحرار (٢) ، ولثيم من لثام ؛ أى من مُجلمتهم ، وقال الشاعر (٣) :

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ
 كأنه قال: وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : «من ماء الحديد» وصف لأبيض ، وليس يتصل به كاتصال «من» بأفضل في قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة «من» في بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنها ووصف لأسود ؛ وإذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة ١٠ الموضع بأسود (٤) كما تقول زيد خير منك ، فمذك في موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضلك في الخير؛ وهذا التأويل المذكور في بيت المتنبي يمكن أن يقال في قول الشاعر :

* أبيضُ من أختِ بني إِباضِ *

ويحمل على أنه أراد من جملتها ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوله على هذا الوجه أولى ١٥ من تحمله على الشذوذ ، فأما قول المتنبي :

* أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَأَبْيَاضَ لَهُ *

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقبلة

ضَيْفٌ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيْرَ مُجْتَنِمٍ وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّمَمِ

(٢) ش ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « حر من الأحرار ولثيم من اللثام » .

(٣) البيت في شرح العكبري لبيت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور في موضع النصب على المفعول

من حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا في الضرب فقلبه ؛ فيكون إذا « من عمرو » في موضع النصب ؛ لأنه في معنى المفعول على ما ذكرنا » .

فالعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد: لا ضياء له ولا نور ولا إشراق ، من حيث كان
حُلُولُهُ محزنا مؤذنا بتقضى الأجل ؛ وهذا لعمري معنى ظاهر ؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر ؛
وهو أنه يريد إنك بياض لا لون بعده ، لأن البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله ؛
« لا بياض له » بمنزلة قوله : لا لون بعده ، وإنما سَوَّغَ ذلك له أن البياض هو الآتى بعد
السواد ، فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون .

٥١

وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ ﴾
[٣٠] / فَهَوِيَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴿ ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا ، وقرأ عاصم
ظ في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما معا^(١) ، وفي رواية حفص عن عاصم :
لايكسرها ، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة : ولكل وجه ، أما من ترك إمالة الجميع ؛
١٠ فإن قوله حسن ، لأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة ، وأما من أمال الجميع فوجه
قوله أن ينحو بالألف نحو الياء ، ليعلم أنها تنقلب إلى الياء^(٢) ، وأما قراءة أبي عمرو بإمالة الأولى
وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعال من كذا مثل أفضل من فلان ، وإذا جعلها
كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة ؛ لأن آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في
الأواخر ، وقد حذف من « أفعال » الذى هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا ، وهما رادان في المعنى
١٥ مع الحذف ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴾ ؛ [طه : ٧] ، المعنى
وأخفى من السر ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ فَهَوِيَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ ، أى أعمى منه في الدنيا
أو أعمى من غيره ، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾
فكما أن هذا لا يكون إلا على « أفعال من كذا » كذلك المعطوف عليه .

(١) ت ، ونسخة بحاشيتي ت ، ف : « جميعا » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « على هذا الوجه لا تميل بحال ؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات

الياء ؛ فأما إذا لم تسكن من بنات الياء فلا تميل ، والأعمى أصله عمى ، فهو إذاً من بنات الياء » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقَىءُ الْأَرْضُ أَفْلاذَ كَبِيدِهَا مِثْلَ الْأَسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَتَلْتُ ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ الرَّحِمِ ^(١) فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ رَحِمِي ، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ فِي مِثْلِ هَذَا : قَطَعْتُ يَدِي ، ثُمَّ يَتْرَكُونَهُ وَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا » .

- معنى « تَقَىءُ » أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْبِ السَّاعَةِ ، وقوله : « تَقَىءُ » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهاراً ؛ وكذلك تسميته ^(٢) مافي الأرض من الكنوز « كِيداً » تشبيهاً ^(٣) بالكبد التي في بطن البعير وغيره ؛ وللعرب في هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّةُ بْنُ مَحْكَانَ ^(٤) السَّمْدِيُّ يَصِفُ قِدْرًا نَصَبَهَا لِلأَضْيَافِ :
- لَهَا أَرِيزٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ أَزْمَاهُ عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشَتْ غَضَبًا ^(٥)
/ تَرْمِي الصَّلَاةَ بِنَبْلِ غَيْرِ طَائِثَةٍ وَفَقًّا إِذَا آنَسَتْ مِنْ تَحْتِهَا لَهْبًا ^(٦) [٣١]
- فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأريز فهو الغليان ، والعرب تقول : لجوفه أريزٌ مثل أريزِ الرجل ، والأزمَلُ : الصوت ، واستحْمَشَتْ ، أي غضبت ؛ يقال : كحْمَشَه أَي أغضبته ، وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت (من نسخة) : « تسمية » .

(٣) ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالقلم في ت بفتح الميم ، وفي ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استحْمَشَتْ » ، بالبناء للجھول وفي حاشيتي ت ، ف « أحشت

الرجل وحشته ؛ أي أغضبته فاحتمش واستحْمَشَ ، والحشة الاسم كالحشمة ؛ واحتمش الديكان : اقتتلا » .
وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبله :

نَصَبْتُ قِدْرِي لَهُمْ وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ مِنْ الصَّقِيعِ مِلاءَ جِدَّةٍ قُشْبًا

— ملاء : جمع ملاءة ، قشبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الصلاة : جمع صال . غير طائشة : غير مخضبة . وفقاً ، أي رميا وفقاً ؛ شبه

ماترى به النار من فبينها بالنبل ؛ أي كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد غليها بقدر اشتداد انار تحتها » .

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرَ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُوا (١)

فوصف الدهر بالأكـل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا .

واختلف أهل اللغة في الأفلاذ ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده (٢) ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من الكبد ، وفلذة من الكبد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذٍ إِنْ أَلَمَّ رِيحُهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الغَمْرُ (٣)

الغمر : القدح الصغير ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطني حزة من سنم ولا من لحم ، وإنما الحزة في الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السنم واللحم قالوا : أعطني حذية (٤) من لحم ؛ وهي القطعة الصغيرة ، وفلقة من سنم ، وقال الطوسي (٥) عن أبي عبيد عن الأصمعي قال : يقال : أعطني حذية (٦) من لحم ، وحزة من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولاً ، فإذا كانت مجتمعة قلت : أعطني بضعة من لحم ، وهبرة من لحم ، ووذرة من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ ؛ [انزلال : ٢] . معناه أخرجت ما فيها من الكنوز ، وقال قوم : عني به الموتى ، وأنها أخرجت موتاها ، فسمي

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن الشجري : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛ وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثي بها المنتشر بن وهب الوائلي ، أولها :

إِنِّي أُتَيْتُ بِشَيْءٍ لَا أُسْرُّ بِهِ مِنْ عُلُوِّ لِعَجَبٍ فِيهِ وَلَا سَخَرُ

وهي في (أمالى اليزيدي ١٣ - ١٨ ، وجهرة الشعر ٢٨٠ - ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ، والكامل - بشرح المرصني ٨ : ٢١١ - ٢١٢) ويذكرها المؤلف فيما بعد .

(٤) ش ، س : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسرها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي » .

(٦) كذا ضبط بالقلم في الأصل ، ت ، ف ، وفي الحواشي : « المعروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهي

القطعة من اللحم على الطول . والحذوة (مثلثة الحاء) : العطية » .

تعالى الموتى ثِقَلًا^(١) تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن ، لأن الحمل يسمى ثِقَلًا ، قال تعالى :
﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٨٩] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثِقَلًا على
الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثِقَلٌ ، قالت الخنساءُ تَرثِي أخاها صَخْرًا :
أَبْعَدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيدِ حَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٢)

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثِقَلٌ لسُوْدُودِهِ^(٣) وشرفه ، وقال قوم : معنى « حَلَّتْ » [٣١]
زَيْنَتْ موتاها به ، وهو مأخوذ من الحِليَّة ؛ وقال الشَّمْرَدَلُ اليربوعى يَرثِي أخاه :
وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهوَ عَفٌّ شَمَائِلُهُ^(٤)

وروى هشام بن المنذر^(٥) قال : قال زهير بن أبى سلمى المُرْنِيّ بيتاً ثم أكَدَى ، ومِرّ
به النابغة الذبيانيّ فقال له : يا أبا أمامة ، أجزّ ، قال : ماذا ؟ قال :

١٠ تَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامِيَّ خَفِيًّا وَتَحِيَا مَاحِيَّتَ بِهَا تَقِيلاً^(٦)
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فماذا قال ؟ فأكَدَى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

(١) فى نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « أثقلا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « بسوودده » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (فى أمالى اليزيدى ٣٢ - ٣٤ ، والأغانى ١٢ : ١١٣ - ١١٤ ،

وأبيات منها فى ابن أبى الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحماسة ابن الشجرى ٨٣) وفى حاشيتى الأصل ، ف :
شمائله : أخلاقه ، والواحد شمال ، بالكسر ، قال الشاعر :

* وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا *

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال

زهير والذى فى الأصل يوافق ش ، ص . وفى م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « تراك » ، وفى حاشيتى الأصل ، ت : « يقول :

لأن مت صارت الأرض خفيفة بموتك ، وإن تحيا بقيت ثقبلة » .

أبوه : أجز يا بُنيّ ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : « بِمَسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا » ؛ فقال كعب :

* فَمَنْعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا *

فقال زهير : أنت والله ابني .

• وإنما خصّ الكبيد من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطياب الجزور ، والعرب تقول : أطياب الجزور : السنام ، والمليح^(١) ، والكبيد .

قال سيدنا الشريف الأجلّ المرتضى ، أدام الله علوه : وإني لأستحسّن قولَ الحنساء^(٢) ، وقد قيل لها : ما مدحت أخاك حتى هجنت^(٣) أباك ، فقالت :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَعَاوَرَانِ مَلَاءَةَ الْحُضْرِ^(٤)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ بِالْعَذْرِ^(٥)
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهُمَا ؟ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أَدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةٌ وَجْهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوبِهِ يَجْرِي
أَوْلَى فَأَوْلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُبْرِ
وَهُمَا كَأَيْبِهِمَا وَقَدْ بَرَزَا صَقْرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرٍ

١٠

(١) اللحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى العجز .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كانت الحنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقيل لها : قد فضله على أهلك ، فقالت هذه الأبيات » . وهي في (زهر الآداب) ، ٤ : ٦٧ وسحاسة ابن السجري ١٠٤ ، والبيت الأول في خزنة الأدب ٣ : ٢٧٧ .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « هجوت » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « بارى أباه ، تعنى أخاها ، ويتعاوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعنى : حتى تحرك قلوب النظارة ، والعذر : جرم العذار ؛ يعنى عذارى فرسيهما في التسابق ؛ وهو استعارة » .

ويقال : إنه قيل لأبي عبيدة : ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عبيدة : العامة أسقط من أن يُجد عليها بمثل ذلك .

[٣٢] ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها / النهاية ، لأنها جعلت و
تقدّم أبيه له عن قُدرة منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه ، وإنما (١) أفرّج له عن السبق معرفةً بحقه ، وتسليماً لكُبره وسنه ، وكأنّ الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير ٥
يصف حمار وحش (٢) :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهِيَ تَهْوِي هُوِي (٣) الدَّلَوُ أَسْلَمَهَا الرَّشَاءُ (٤)
فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كَلْحَاقِ الْإِفِّ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءُ (٥)
يُقَدِّمُهُ إِذَا احْتَفَلَتْ عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاؤُ (٦)

١٠ ويشبه أن يكون الكميت أخذ من الخنساء قوله في مَخَلد بن يزيد بن المهلب :
مَا إِنْ أَرَى كَأَيْكَ أَدْرَكَ شَأْوَهُ أَحَدًا وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يُدْحِقْ
تَنْجَازِبَانَ ؛ لَهُ فَضِيلَةٌ سِنِّهِ وَتَلَوْتَ بَعْدَ مُصَلِّيًّا لَمْ تُسَبِّحْ (٧)

(١) ت : « وإنه » . (٢) الأبيات في ديوانه : ٦٧ - ٦٩ . (٣) ضبطت في ت بضم الهاء وفتحها معا . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي شج الحمار بالأتن الأماعز ، أي علا الأماعز بهن ، والأماعز : الأرض الصلبة ، وكذلك المغزاء ، والهوى : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوى في السير . وبعد هوى من الليل ؛ أي هزيع ؛ وقيل : الهوى [بالضم] الارتفاع » .
(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شيء في السرعة كما يلحق الحمار في سرعته ، والمراد بالإنف صاحبه . ولا كنجائها ؛ أي ليس شيء ينجو كنجائها ، أي ليس شيء ينجو كنجاء الأتان ؛ أي لا يهرب هارب كبريها ، ولا يلحق لاحق كحقوقه » .
(٦) احتفلت : اجتمعت وتأهبت ؛ ورواية الديوان :

يُقَضُّهُ إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاؤُ

(٧) د ، ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تنجاريان » ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :
« قوله تنجاذبان ، في موضع الحال من قوله : « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أي ما رأيت مثلك ومثل أبيك في حال مجاذبتهما ومجاراتهما في المجد والشرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إِنْ تَنَزَّعَا وَلَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَهُ
وَلَئِنْ لَحِقَتْ بِهِ عَلَى مَا قَدَّمَ نَصِي
فَبِمِثْلِ شَأْوِ أَيْكَ لَمْ يُتَعَاقِرْ
مَنْ بَعْدَ نَعَايَتِهِ فَأَحْجِبْ وَأَخْلِقْ

ويشبه هذا المعنى قولُ المؤمِّلِ بنِ أمِّئيل الكوفيِّ المخاربيِّ يمدح المهديَّ في حياة المنصور:

لَنْ تَفْتَ الْمُلُوكَ وَقَدْ تَوَافَوْا
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى
إِلَيْكَ مِنَ السُّهُولَةِ وَالْوُغُورِ (١)
بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ (٢)
وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تَجْرِي حَيْثَا
وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فُتُورِ

(١) خبر هذه الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٠ - ٦٢ : « وفد المؤمِّل بن أميل على المهدي بالري فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ؛ فاتصل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه ، فسأل عنه فقيل له : قد شخص إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأفخذ المنصور قائدا من قواده إلى النهروان يتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقع بيده المؤمِّل ، فأثنى به المنصور ، فقال له : أتيت غلاماً غراً نخدعته ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ! أتيت غلاماً غراً كريماً نخدعته فانخدع على ؛ فكأن ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ الْمَهْدِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ
تَشَابَهُ ذَا وَذَا فِيهِمَا إِذَا مَا
فَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجُ نَارٍ
وَلَكِنْ فَضَّلَ الرَّحْمَنُ هَذَا
وَبِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ فَذَا أَمِيرٌ
وَنَقَصَ الشَّهْرِيَّ مُحَمَّدًا وَهَذَا
فِيَا بِنِ خَافِقَةَ اللَّهِ الْمُصَفَّى
لَنْ تَفْتَ الْمُلُوكَ

فقال : أحسنت ، ولكن لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : ها هوذا ، قال ياربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدي رفع المؤمِّل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد . . .

(٢) السكابي : المتغير اللون ، والخسير : المعبي .

فَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِي نِإْلٍ
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبْقِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرِ
وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الشَّاعِرِ :

جِيَادٌ جَرَّتْ فِي حَابَةِ فَتَفَاضَلَتْ
عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَاحِدٌ (٢)

ومما له بهذا المعنى بعضُ الشَّبهِ ، وإن لم يُذكر فيه السُّنُّ وتفضيلُ الكَبِيرِ قولُ زُهَيْرِ :

[٣٢] هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَأْحَقُ بِشَاوِهِمَا /
عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لِحِقَا (٣)

أَوْ يَسْبِقُهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ
فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وروى أنه عُرِضَتْ عَلَى جَعْفَرِ (٤) بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرْمَكِيِّ جَارِيَةٌ شَاعِرَةٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْلُوهَا

فَقَالَ لَهَا : قَوْلِي فِي مَعْنَى بَيْتِي زُهَيْرِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهَا ، فَقَالَتْ :

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلُ ، ف : « أَيُّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ مِنَ الْفَرْقِ وَالنَّفَاوَتِ إِلَّا مِثْلُ مَا بَيْنَ
الْحَلِيقِ وَالْجَدِيرِ ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ . »

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلُ : « أَيُّ عَلَى الْكَبِيرِ وَالضَّعْفِ فِي السُّنَنِ . وَالْعِرْقُ : الْأَصْلُ . »

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٥١ - ٥٢ ؛ وَقَبْلَهُمَا :

يَطْلُبُ شَاوِ أَمْرَيْنِ قَدَّمَ حَسَنًا
وَالشَّأْوُ : الْغَايَةُ ، وَأَرَادَ بِالرَّأْيَيْنِ أَبَاهُ وَجَدَهُ .

(٤) حَاشِيَةُ ف : « قِيلَ : لَمَّا قَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَصَلَ بِيَابِ الْجَسْرِ ، رَأَسَهُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَجَسَدَهُ فِي
نَاحِيَةٍ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَلَى حِمَارٍ فَارِهِ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى النَّاسِ فَقَالَتْ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : وَاللَّهِ لَأَنْ صَرَّتْ
الْيَوْمَ آيَةٌ ؛ لَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَسْكَامِ غَايَةً ؛ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَمَا رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطًا جَعْفَرًا
بَكَيْتُ عَلَى يَحْيَى وَأَيْقَنْتُ أَنْمَا
وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ
إِذَا أَنْزَلَتْ هَذَا مَنَازِلَ رِفْعَةٍ
وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى
قُضَارِي الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةُ الدُّنْيَا
تُخَوِّلُ ذَا نِعْمَى وَتُعْقِبُ ذَا بَلْوَى
مِنَ الْمَلِكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى غَايَةِ سُفْلَى
ثُمَّ حَرَكْتَ الْحِمَارَ ؛ فَكَأَنَّهَا كَانَتْ رِيحًا لَمْ تَعْرِفْ . »

بَلَغَتْ - أَوْ كِدَتْ - يَجِي أَوْ لَحِقَتْ بِهِ فَنِلْتُمْ خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبِقٍ
لَكِنْ مَضَى وَتَلَا يَجِي فَأَنْتَ لَهُ تَالٍ تَعَلَّمْتُ دُونَ الرَّكِيضِ بِالْعَنْقِ (١)

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة - وهو داخل في هذا المعنى، مناسب له - قول عبادة

ابن شبل :

إِذَا اخْتَرْتَ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَوْا بَعْنَانَ وَاحِدٍ فَضُلُّ بَيْنِهِمْ بَأْنُ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِذَارَ عِذَارُ (٢)

وقول الكميت بن زيد :

مُصَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقٌ بَأْنُ قِيلَ فَاتَ الْعِذَارُ الْعِذَارُ (٣)

ومثله قول العتابي - وهو مليح (٤) جداً :

كَمَا تَقَازَفُ جُرْدٌ فِي أَعْنَبِهَا سَبَقًا بَأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْعُذْرِ (٥)

وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطايرة البازي القطة (٦) ومقاربتة لها :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِي فَلَا قَوْتُ وَلَا دَرَكُ (٧)

وقد لاحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ، ويذكر مقاربتة لأبيه

في الفضل (٨) والسؤدد :

(١) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « تامل » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العنق دون

الركض ، أى أنك تتعلل بالعنق لإبقاء وحشمة لأبيك وجدك ، ولوسرت ركضا لسبقتهما » .

(٢) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .

(٣) المصلي : الثأني من خيول السبق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « حسن » .

(٥) ج ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تقاذف » ، بفتح الفاء . وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« تقاذف ، أى تتسابق في عنان واحد ، على حد واحد ؛ لانسبق لإحداها على الأخرى لإبأذن أو بعنان »

وفرس أجرد ؛ قصر الشعر رقيقه .

(٦) د ، حاشية ت (من نسخة) : « للقطة » .

(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابي : الذنب ، وفي حاشيتي ت ، ف : « عند الذنابي مستأنف ، أى

الصقر عند ذنابي القطة » . (٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : « المجد » .

نَمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَهَى قُدَمَا دُونَ مَدَاةٍ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ (١)
فَقِيلَ رَاشَا سَهْمًا يُرَادُ بِهِ الْـ غَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفَوْقِ (٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحترى في ابن أبي سعيد الثغررى :

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَكَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ (٣)
قَاسَمْتَهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَنِي
/ فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَيْتَ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَا كَمَا فِي الْمَنْصَفِ

ويشبهه أيضاً قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُخَلَدٍ (٤)
كَالْفَرَقْدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ لَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعُ فَرَقْدٍ عَنْ فَرَقْدٍ

فأما قول الخنساء: «يتعاوران ملاءة الخضرة»، فهي تعنى بالملاءة الغبار، وإن عدى بن الرقاع كأنه نظر إليها في قوله يصف حماراً وأنانا :

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاءَةٌ بَيْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا (٥)

(١) ديوانه: ٩١ ، وفي حاشيتي الأصل ، ت : « أى من غير مدانة أولحوق » .

(٢) راش السهم : وضع عليه الريش ، والنصل : حديدة السهم ، والفوق : موضع الوتر من

السهم

(٣) ديوانه ٢ : ١٢٢ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أى جد كجد أبى سعيد مذکور ، أى جعل

السماك غير عال ؛ كأنه قد علاه وذقه » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « يسوى بين ابني صاعد وابني مخلد » ، والبيتان في ديوانه ١ :

١٧٢ ، وروايته : « ... شمائل ابن محمد » .

(٥) البيتان من قصيدته التي مطلعها :

مَا هَاجَ شَوْقَكَ مِنْ مَعَانِي دِمْنَةٍ وَمَنَازِلِ شَعْفِ الْفُوَادِ بِإِلَاهَا

وهي في الطرائف الأدبية : ٩٢-٩٧ ، والبيتان في (معاني المسكرى ٢ : ٣١ ، وحاسة ابن الشجرى :

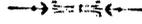
٢٧٦-٢٧٧ ، ومجمع المرزبانى ٢٥٣ ، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧ ، وزهر الآداب ٤ : ٦٨ .

ومجموعة المانى : ٢٠٣) . ويتعاوران ؛ أى تصير الغبرة للعير مرة ، وللاتان مرة .

٥
[٣٣]
و

تُطَوَّى إِذَا وَطِئًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أُسْهِلَتْ نَشَرَاهَا^(١)
وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة ،
صار من أجلها بالمعنى أحقَّ منها . وقد ابتداء بهذا المعنى رجلٌ من بني عُقَيْلِ فقال
من قصيدة^(٢) :

٥ يُشِيرَانِ مِنْ نَسِجِ التُّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيُرْتَدِيَانِ



(١) الجاسي : الغليظ من الأرض ، وأسهمت : صارت إلى سهولة الأرض .
(٢) أبيات منها في الخزانة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفي زهر الآداب ٤ : ٦٨
منسوبة لأعرابي من بني عقيل .
وقبله :

قِفَارٌ مَرُورَةٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا وَيُضْحِي بِهَا الْجَأْبَانِ يَفْتَرِقَانِ
المروراة : المغازاة التي لاشيء فيها ، والجأبان : مثنى جأب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد
بالجأبين الذكر والأنثى .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ *

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف ١٨].

فقال: كيف وصف الدم بأنه كذب، والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام؟ وأى معنى لوصفه الصبر بأنه جميل؟ ومعلوم أن صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف لا يكون إلا جميلاً؟ ولِمَ ارتفع الصبر؟ وما مقتضى لرفعه؟

والجواب، يقال له: أمّا ﴿ كَذِبٍ ﴾ فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه، مثل قولهم: هذا ماء سكب وشراب صب؛ يريدون مصبوباً ومسكوباً؛ ومثله: ماء غور، ورجل صوم، وامرأة نوح^(١)، قال الشاعر:

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحاً عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا^(٢)

أراد بقوله: «نَوْحاً» أى نائمة عليهم، ومثله: ما لفلان معقول؛ يريدون عقلاً، وما له على هذا الأمر مجاود، يريدون جَلداً^(٣)، قال الشاعر:

* ورد هذا العنوان في ت، ف، ولم يرد في سائر الأصول.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: « الوصف بالمصدر يفيد قوة ذلك الفعل؛ كقولهم: رجل صوم؛ يعنى أنه لكثرة صومه كأنه صار بكايته صوماً، ومن ذلك: ماء سكب وصب.»

(٢) صفونا: جمع صافن؛ والصابن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، والبيت لعمر بن كلثوم، من المعلقة، وروايته فيها:

تَرَ كُنَّا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْتَبَهَا صُفُونَا

(وانظر المعلقات - بشرح التبريزي: ٢١٧) .

(٣) في حاشيتي الأصل، ف: « بين السيد رضى الله عنه أنه كما يكون بمعنى المفعول؛ فقد يكون المفعول بمعنى المصدر؛ وهما متداخلان في هذا المعنى؛ فإذا كان المفعول بلفظ المصدر فلأن المفعول الحقيقي هو المصدر، ألا ترى أنك إذا قلت: ضربت زيدا ففعلك على الحقيقة هو الضرب لازيداً، وإذا جاء المصدر بمعنى الفاعل فلائنه سبب له؛ والفعل له طرفان: أحدهما إلى المفعول، والآخر إلى العاقل.»

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْرُكُوا لِعِظَامِهِ / لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْمُولًا
وَأَنشُد أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ :

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقَدْرَةٍ مُبْلِغِ الْعَزَاءِ وَأُدْرِكَ الْمَجَاوِدِ

وقال الفراء وغيره : يجوز في النحو : « بدم كذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأن ﴿ جَاءُوا ﴾ فيه معنى كذبوا كذباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ١] فنصب ضَبْحًا^(١) على المصدر ؛ لأن العاديات بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛ لأن إخوة يوسف^(٢) ذبحوا سَخْلَةً ، ولطخوا قميصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص ، وادَّعوا أكلَ الذئب له ، فقال لهم يعقوب^(٢) : يَا بَنِيَّ ، لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ، ولم يُحْرِقْ قميصه ؛ قالوا : بل قتله اللصوص ، قال : فكيف قتلوه وتركوا قميصه ، وهم إلى قميصه أحوجُّ منهم إلى قتله ! . وقد قيل : إنه كان في قميص يوسف ثلاثُ آيات : حين قُدَّ قميصه من دُبُرٍ ، وحين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً ، وحين جاءوا عليه بدم كذب ؛ فتنبه أبوه على أن الذئب لو أكله لخرق قميصه^(٣) .

وأما وصف الصبر بأنه جميل ، فلأن الصبرَ قد يكون جميلاً وغير جميل ، وإنما يكون جميلاً إذا قُصِدَ به وجهُ الله ، وفِعِلَ للوجه الذي وَجِبَ ، فلما كان في هذا الموضع واقماً على الوجه المحمود صحَّ وصفه بذلك . وقد قيل إنه أراد صبراً لا شكوى فيه ولا جَزَع ، ولو لم يصفه بذلك لظنَّ مصاحبةَ الشكوى أو الجزع له . وأما ارتفاع قوله : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فقد قيل إن المعنى : فشأنى صبرٌ جميل ، أو الذي أعتقده صبرٌ جميل^(٤) . وقال قطرب : معناه فصبري صبر جميل ؛ وأنشدوا :

(١) الضبج : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وقد قرئ : ﴿ بَدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وهو

الدم المسفوح » . (٤) في حاشيتي ت ، ف : « يجوز أن يكون « صبر » مبتدأ وخبره محذوف أو ويحتمل أن يكون « صبر » مبتدأ و « جميل » خبره » ، وفي حاشية ف أيضاً : « وهو وإن كان نكرة يفوز مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .

شَكَا إِلَى جَمِيلٍ طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَمِيلَ لَيْسَ إِلَى الْمُشْتَكَى
الدَّرْهَانَ كَلَّفَانِي مَا تَرَى ^(١) صَبْرًا جَمِيلًا فَكَلَّانَا مُبْتَلَى

معناه: فليكن منك صبر جميل . وقد روى أن في قراءة أبي: ﴿ فَصَبْرًا جَمِيلًا ﴾
بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء ^(٢) ، والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً ، قال ذو الرُّمَّة :

أَلَا إِنَّمَا مَيَّ - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ وَقَدْ يُبْتَلَى الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ^(٣)
وقال الآخر :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَى بَشَاشَةٌ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَهُ اللَّهُ لِي صَبْرًا

تَأْوِيلُ خَبَرِ

في الحديث أن قيسَ بن عاصم قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا [٢٤]
سيد أهل الوبر » ؛ فقلت : يا رسول الله ، ما المالُ الذي ليست على فيه تبعمةٌ من طالب
ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ ، وَالكَثْرُ سِتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ ١٠
الْمِئِينَ ! إِنْ مَنْ أَعْطَى الْكَرِيمَةَ ، وَمَنْحَ الْغَزِيرَةِ ^(٤) ، وَنَحَرَ السَّمِينَةَ ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ
وَالْمُعْتَرَّ - وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « إِنْ مَنْ أَعْطَى مِنْ رِسْلِيهَا ، وَأَطْرَقَ فِخْلَهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرَهَا ،
وَمَنْحَ غَزِيرَتِهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ؛ قلت : يا رسول الله : ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنها !
إنه لا يُحَلُّ بِالْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِبِلٌ مِنْ كَثْرَتِهَا . فقال : « فَكَيْفَ ^(٥) تَصْنَعُ فِي الْعَظِيمَةِ ^(٦) ؟
قلت : أَعْطَى الْبَكْرَ ، وَأَعْطَى النَّابَ . قال : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمِنْحَةِ ؟ » ، قلت : إِنِّي ١٥
لَأَمْنَحُ الْمَائَةَ . قال : « فَكَيْفَ ^(٥) تُعْطَى الطَّرْوَقةَ ؟ » ، قلت : يَمْدُو النَّاسُ بِإِبِلِهِمْ فَلَا يورِّعُ

(١) هذا البيت ورد في ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغربه القائل بانترام الذي أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به . »

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « العطية » .

رجل عن جمل مَخْطُمه^(١) فيمسكه ما بدا له، حتى يكون هو الذي يرده. وفي الرواية الأخرى قال: « فكيف تصنع في الإطراق؟ »، قلت: يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال: « فكيف تصنع في الإفقار؟ »، قلت: إني لأُقَصِّرُ النَّابَ المدْبِرَةَ والضَّرْعَ^(٢) الصغيرة، قال: « فكيف تصنع في المنيحة؟ » قلت: إني لأمنح في السنة المائة، قال: « فمالك أحب إليك أم مال مواليك؟ »^(٣)، قلت: لا، بل مالي، قال: « فإن مالك ما أكلت فأفنت، وأعطيت فأمضيت ». وفي الرواية الأخرى: « ولبست فألبيت، وسائر مواليك »، قلت: لا جرم! والله لئن رجعت لأقنَّ عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني خذوا عني، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني، لا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُنْحَ عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكففتوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، وسودوا أكبركم، فإنكم إذا سودتم أكبركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودتم أصغركم هان أكبركم على الناس، وزهدوا فيكم، وأصلحوا من^(٤) عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر^(٥) كسب المرء، وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل، فقد كانت بيننا مخاشات في الجاهلية، فلا [٣٤] آمن سفيهاً منهم أن يأتي / أمراً يدخل عليكم عينا^(٦) في أبيكم^(٧) .
ظ

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة): « مَخْطُمه .

(٢) رواية ابن الأثير في النهاية (زرع): « إني لأفقر البكر الضرع، والناب المدبر، أي أعيرهما للركوب؛ يعني الجمال الضعيف، والناقة الهرمة » .

(٣) حاشية ف: « المولى من بليك؛ من ابن العم والمعتق؛ وبليك؛ أي يقريك، وأصل الولي

القرى .

(٤) م: « وأصلحو عيشكم »، وحاشية ف (من نسخة): « وأصلحو من أمر عيشكم » .

(٥) ف، ونسخة بمحاشيتي الأصل، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي ت، ف: « عينا » .

(٧) الخبر بهذه الرواية في (الفائق ٣: ١٣٥)، وفي رواية أخرى فيه أيضا: « وإذا مات فقبوا

قبري من بكر بن وائل، فإن كنت أنا وشهم في الجاهلية — وروى: أهاوشهم — وروى أغاوشهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتُونَ » فمعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْرَ ، ونعوذ به من القُلِّ ؛ أي نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإِنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أُنَى غَلَامٍ^(١)

وقال الآخر :

وقَدْ يَقْضُرُ القُلُّ الفَتَى ذُونَ هَمٍّ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا القُلُّ طَلَاعَ أَنْجِدٍ^(٢)

والكريمة ، يعني بها كرائم ماله . و«أمنح الغزيرة» ، أي أعطيها مَنْ يَجْلِبُهَا وَيَرُدُّهَا ، ومن ذلك الحديث : «العارية مُؤَدَّاةٌ ، وَالْمِنْجَةَ^(٣) مردودة ، والزعيم^(٤) غارم ، والدَّيْنُ مَقْضَى^(٥)» فالنَّجَّةُ الناقاة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يَجْلِبُهَا وَيَنْتَفِعُ بِلِبْنِهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا عَلَيْهِ ، والزعيم : الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل^(٥) والصَّبِيرُ والجَمِيلُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

١٠

فَلَسْتُ بِأَمْرِ فِيهَا بِسَلِمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^(٦)

وقال آخر :

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا فَازْعِمِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجَبَ^(٧)

معناه الكفيل ، ويروى : «فأقبل» ، من القبيل الذي هو الكفيل أيضا .

(١) البيت في اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفي حاشيتي ت ، ف : «أى لم أكن قبل مكثرا ولا مقترا ، يصف حاله بالنوسط ، والإفتار : الفقر» .

(٢) البيت في اللسان (قلل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمي ، وأشد قبله :

وَيْلٌ أُمَّ لَدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَهُ مَعَ الكُثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتْلَفَ النَّدَى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : «المنجعة» ، وهي والمنجة بمعنى .

(٤-٤) حاشية ت (من نسخة) : «والدين مقضى ، والزعيم غارم» .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل يقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : «معناه لأملك إلا نفسي» .

(٧) البيت لعمر بن أبي ربيعة ؛ وهو في ديوانه ٣٧٨ ، وفي حاشية ف : «أى ضمنت وحلفت على نفسي ألا أجاوز رضاك ، فأنفعل مثله» .

وقال الفراء : القانع هو الذي يأتيك فيسألك ؛ فإن أعطته قبل ، والمتمتر : الذي يجلس عند البيعة ، ويُمسك عن السؤال ، كأنه يُعرض في المسألة ولا يصرح بها ، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضى ، وقنع قنوعاً إذا سأل .

فأما قوله : « لا جرم » فقال قوم : معنى جرم كسب ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لا جرم أن لهم النار ﴾ [النحل : ٦٢] ، أن « لا » ردُّ على الكفار ، ثم ابتداء فقال : ﴿ جرم أن لهم النار ﴾ بمعنى كسب قولهم أن لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِدْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا (١)

أى : بما كسبت . وقال آخرون : معنى « جرم » حق ، وتأول الآية بمعنى حَقَّق قولهم

أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

١٠ وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَغْضَبُوا

أراد : حَقَّقْت فَزَارَةَ ، وروى الفراء « فزارة » ، بالنصب على معنى كسبت (٢) الطعنة

[٣٥] فزارة الغضب / ، وقال الفراء : لا جرم في الأصل مثل لا بُدَّ ، ولا محالة ، ثم استعملته العرب

في معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرم لأقومن ؛ كما قالوا : والله لأقومن ، وفيها لغات ، يقال : لا جرم ، ولا جُرم ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَرَمَ

١٥ بِحَذْفِ الميم ، ولا ذا جَرَم ؛ قال الشاعر :

إِنَّ كِلَابًا وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ (٣) لِأَهْدِرَنَّ اليَوْمَ هَدْرًا فِي النِّعَمِ (٤)

* هَدَرَ المَعْنَى (٥) ذِي الشَّقَاشِقِ اللَّهْمِ (٦) *

(١) البيت في اللسان (جرم) ، ونسبه إلى أبي أسماء بن الضريبة . (٢) د : « أ كسبت »

(٣) البيت في اللسان (جرم) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، و

تردد صوت البعير في حنجرته . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « المعنى » .

(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذي يدخل العنة من الإبل ؛ وهى الحظيرة ؛ وذلك أن الف

الثيرم إذا هاج حبس حتى لا يضرب في النوق الكرام ، ومنه قول الوليد بن عتبة :

قَطَعْتُ الدَّهْرَ كَالسِّدِّمِ المَعْنَى تَهْدِرُ فِي دَمِشْقَ فَلَا تَرِيمُ

والناب : الناقة الهرمة ، وجمها نيب ، ومثلها الشارف ، قال الشاعر :
لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتَ إِلَى بَلَدٍ (١)
ويقال للبعير أيضا إذا كبر عَوْدٌ ، وللاُنثى عَوْدَةٌ ، قال الشاعر :
عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ (٢)
وهذا من أبيات المعاني ، ومعناه بعيرٌ عَوْدٌ على طريق متقادم ، وسُمِّيَ الطريقُ بأنه ٥
عَوْدٌ لتقادمه تشبيها بالبعير ، وقوله :

* يموت بالترك ويحيا بالعمل *

أراد أنه إذ سُلِكَ وطُرِقَ ظهرت أعلامه ، ووضحت طرقه ، واهتدى سالكه لسلكه ،
ولم يَضِلَّ عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يُسَلَكْ طمست آثاره ، وَاَمَّحَتْ (٣)
معامله ، فلم يَهْتَدِ فيه راكب لقصده ، وكان ذلك كاللوت له .

١٠

فأما « الخُمَاشَات » فهي الجنايات والجراحات ، : قال ذو الرُّمَّة يذكر الحمار والأثُن :
رَبَاعٍ لَهَا مُدُّ أَوْرَقِ الْعَوْدِ عِنْدَهُ خُبَاشَاتُ ذَخَلٍ مَا يَرَادُ امْتِثَالُهَا (٤)

= وأصله « المعنن » ؛ فقلبت لإحدى النونات ياء ، كقولك : تغنيت ، وفي التنزيل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، والشقاشق : جمع شقشقة ؛ وهي كالرئة تخرج من فم البعير إذا حاج واغتم ، واللهم : الذي يلتم كل شيء ؛ أي يبتلع ، وفرس لهم : سريع ؛ كأن يلتمهم الأرض .
(١) في حاشيتي الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أي لا أزال أبكيهم بأربعة ؛ أي بأربعة شئون ؛ وهي مجازي الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

* جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ *

وقيل بأربعة آفاق من موق العين ، واجتريت : إذا أكلت الجرة . واجرة : ما يخرج البعير من بطنه ليتلعه .

(٢) البيتان في اللسان (عود) ، ونسبهما إلى بشير بن النسك .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أنهجت » ؛ أي بليت .

(٤) ديوانه : ٥٣٣ ؛ وفي حاشيتي ت ، ف : « الرباع من الغنم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله

سبع سنين ، ومن الحف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع . »

يريد بقوله : «مايرادامثالها» ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثلى من هذا الرجل ، وأقدنى وأقصنى بمعنى واحد .

فأما قوله : «لايورع» ، أى لا يحبس ، ولا يمنع ، يقال ورعت الرجل توريعا إذا منعتهُ وكففته ، والورع هو المتحرج^(١) المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال ورِعَ ورعاً ورعةً ؛

٥ قال لبيد :

أَكَلَّ يَوْمٍ هَامَتِي مُقَرَّعَةً^(٢) لَا يَمْنَحُ الْفِتْيَانَ مِنْ حُسْنِ الرَّعَّةِ^(٣)

ويقال : ما ورع أن فعل كذا وكذا ، أى ما كذب^(٤) ، فأما الورع بالفتح فهو الجبان ،

[٣٥] وأما الطرّوقة / فهي التى قد حان لها أن تطرق ، وهى الحقة . وقوله فى الرواية الأخرى

«إلا من أعطى من رسلها» فالرسل اللبن . والإفقار : هو أن يُركبها الناس ، ويحملهم على

١٠ ظهورها ، مأخوذ من قَمَر الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزيها على إناس

إليه . وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحبُّ إلى من الطرّوقة لأنه قد تقدم من قوله : «إنه يعطى

الناب والبكر والضرع والمائة» فلا معنى لإعادة ذكر الطرّوقة . وقوله فى الجواب «يندب

الناس فلا يورع رجل» عن جمل يخطمه فيمسكه قائداً له^(٥) ثم يرده «لا يَحتمل غير الإطراق

ولا يليق بمعنى الطرّوقة .

١٥ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه ، حليماً ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول

(١) ت : « هو الرجل المتحرج » .

(٢) من أرجوزة فى ديوانه ٧-٨ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى : أ كل يوم أحارب وأبلى الله

حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأفزع : الأصلع ؛ إلا أن الأفزع الذى أدى صلعه إلى وسط رأسه ،

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قزعتها أعداؤه ترك

الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج . وهذا الحديث خارج مخرج التذم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [بالتخفيف] أى مالبث أن فعل كذا ،

كذب [بالتشديد] ، أى ماجبن ، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضاً ، أى صدق الجملة فى الحرب

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « ما بداله » .

إنما تعلمت الحلم من قيس بن عاصم؛ أبي بقاتل ابنه فقال: زَعَبْتُمُ الْفَتَى، وأقبل عليه فقال: يا بُنَيَّ لقد نقصتَ عدَدَكَ، وأوهنتَ ركنَكَ، وفتتَ في عضدِكَ، وأشمتَ عدوكَ، وأسأتَ بقومك؛ خلّوا سبيله؛ وما حلَّ حُبوتُه، ولا تغيّر وجهه.

وقال ابن الأعرابي: قيل لقيس: بماذا سُدت؟ فقال بثلاث: بَدَلِ الندى، وكفّ

الأذى، ونصّر المولى.

وذكر المدائني قال: كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغى، فما بَغَى^(١)

قوم قط إلا قَاوَا وذلّوا. وكان الرجل من بني يظلمه بعضُ قومه فينهى إخوته أن ينصروه.

وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان^(٢) بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جدود^(٣)،

فسمى الحارث الحوفزان؛ وقال سوار بن حيان^(٤) المنقري^(٥):

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بطعنة سَقَّتْهُ نَجِيمًا من دَمِ الجَوْفِ أشكلاً^(٦)
وَحُمْرَانَ قَسْرًا أَنْزَلْتَهُ رِمَاحُنَا فمَالَجَ غُلًّا في ذِرَاعِيهِ مُثَقَلًا^(٧)

(١) ف، حاشية الأصل (من نسخة): « فإنه ما بغى ». (٢) حفزه، أي طعنه من خلفه، وفي اللسان

عن التهذيب أن الحوفزان لقب لجرار من جراري العرب؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جراراً.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: « جدود: موضع فيه ماء يسمى بالكلاب، وكانت فيه وقعة مرتين؛

وقال للكلاب الأول يوم جدود؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل »

(٤) وانظر خبر يوم جدود في العقد ٥: ١٩٩-٢٠١، وابن الأثير ١: ٣٧٢.

(٥) كذا ضبط بالفلم في جميع الأصول، وضبطه ابن السيد في الاقتضاب ص ١٣٩: « بجاء مكسورة

غير معجمة وباء معجمة بواحدة »، والبيتان في (الأغانى ١٢: ١٤٧، وابن الأثير ١: ٣٧٢، واللائيء

٢٥٦، واللسان - حفز، شكل).

(٥) م: «... المنقري في ذلك».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: « كسته نجيمًا »، والشكاة: حمرة يخالطها بياض؛ ويسمى الدم

أشكلاً للحمرة والبياض المختلطين فيه.

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « مقفلا »؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو؛ وكان على

شيبان وذهل واللاهزم؛ حينما خرجوا لقتال بني يربوع.

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم :
 جَزَى اللهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَى سَعِيْبَا
 إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا (١)
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ
 وَسَأَلْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمِي نُحُورُهَا
 كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا

[٣٦]

القضيب : الناقة المقتضبة الصعبة ؛ وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللهُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
 وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَخَّمَا (٢)
 سَلَامٌ أَمْرِيءَ جَلَلَتَهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ (٣)
 إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ
 وَلَكِنَّهُ بُدْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا (٤)

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي دهبيل
 الجُمحِيّ وهو يعني ناقتة :

١٠

(١) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٧) .

(٢) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٨ ، والحامسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) رواية التبريزي :

* تَحِيَّةٌ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى *

(٤) قال التبريزي في شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبه كان هلكه في موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خبر كان ؛ كأنه قال : فما كان هلك قيس هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه في موضع المبتدأ وهلك واحد في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً
 وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء .

وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا^(١)
 وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة
 لا عن ناقة، فقلت في الحال :

فطِيبَ مَسْرَاهَا الْمَقَامُ وَضَوَّاتُ
 فَيَارَبِّ إِنْ لَقَيْتَ وَجْهًا تَجِيَّةً
 تَجَافِينِ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَلَا
 وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى
 أَهَانَ لَهْنِ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ
 تَسْفَهَتْ لَمَّا أَنْ مَرَرْتَ بَدَارِهَا
 بِإِسْرَاقِهَا بَيْنَ الْحَظِيمِ وَزَمَرَمًا^(٢)
 فَحَىٰ وَجُوهًا بِالْمَدِينَةِ سُهَمًا^(٣)
 عَصَمْنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِعْصَمًا
 شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَنِيًّا^(٤)
 وَأَلْقَى إِلَيْهِنَّ الْحَدِيثَ الْمُكْتَمًا
 وَعُوجِلَتْ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَحْتَلِمًا^(٥)

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من قصيدة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه
 الأبيات :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ الْمُتِمِّ كَلْمًا
 خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا
 فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ
 وَمَرَّتْ بِيَطْنِ اللَّيْثِ تَهْوِي كَأَنَّمَا
 وَجَازَتْ عَلَى الْبَزْدَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرٌ
 فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبِينَتْ
 وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ بِالضُّجَا
 وَمَا شَرِبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا
 فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَيْتَ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ
 لِحَاجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحَبِّ مَلْزَمًا
 أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا
 مِنَ الْحَى حَتَّى جَاوَزْتُ بِي يَلْمَلَمًا
 تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مُقَسَّمًا
 جَنَاحِينَ بِالْبَزْدَاءِ وَرَدًّا وَأَدَهَمَا
 بِمَلْيَبِ نَحْلًا مُشْرَفًا أَوْ مَخِيَمًا
 فَمَا خَزَّرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنًا وَلَا فَمَا
 وَخَفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخِرَّ وَتُكَلِّمًا
 وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرِّكَ غَيْثًا مُدَيِّمًا

(واظفر الأغاني ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٢-٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧ .)

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « فطيب رباها » . وضوأت : أضاعت .

(٣) سهما : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شننن : صببن . (٥) م : « وقفت بدارها » .

فَعُجَّتْ تَقَرَّرِي دَارِسًا مُتَنَكِّرًا وَتَسْأَلُ مَصْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجُمًا (١)
 وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلوِدَاعِ وَكَلْنَا يَمُدُّ مُطِيعَ الشُّوقِ مَنْ كَانَ أَحْرَمًا
 نُصِرْتُ بَقَلْبٍ لَا يَعْتَفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنٍ مَتَى اسْتَمَطَّرَتْهَا فَطَرَتْ دَمًا (٢)

وكان أبو دَهَبَل (٣) من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمَعَة بن أُسَيْد (٤) / بن أَحِيحَة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جَمَح ، واسمه تيم ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان اسمُ جَمَح تيمًا ، واسم أخيه زيدًا ؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غايه ، فمضى تيمٌ عن الغايه ، فقبل جَمَح تيمٌ فسمى جَمَح ، ووقف عليها زيد فقيل سَهَم (٥) زيد ، فسمى سَهَمًا (٦) ؛ فأما كُنْيته فهي مشتقة من الدَّهْبَلَة ، وهي المشى الثقيل ، يقال دَهَبَل الرجل دَهْبَلَة إذا مشى ثقيلًا .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبي عمرو بن الملا ما يعجبك من شعر أبي دَهَبَل الجَمَحِيّ ؟ فقال قوله :

يَا عَمْرُ حُمٌّ فِرَاقُكُمْ عَمْرًا وَعَزَمْتِ مِنَّا النَّأْيَ وَالْهَجْرًا (٧)
 يَا عَمْرُ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ يَرَعَى الزَّمَارَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرًا (٨)
 ١٥ وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ مُحِبَّكُمْ لَا نَبِيًّا خُلِقَتْ وَلَا بَكْرًا (٩)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : تقرى : « تتبع » أراد تقرى ؛ وهو تتفعّل من قولك : قروت الأرم والشىء ؛ إذا تتبعته . (٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » . (٣) وانظر ترجمة أبي دهبَل في (الشعر والشعراء ٥٩٦-٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤلف والمختلص للآمدى ١١٧ ، والأغانى ٦ : ١٤٩-١٦٥) .

(٤) في ص : « أُسَيْد » ، بفتح الهمزة وكسر السين .

(٥) « سَهَم » ، بالفتح : تغير وجهه ، وسهم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط في ت : بهما ما

(٦) حاشية ف : سهم : « قبيلة من باهلة ، ومن قريش أيضا » .

(٧) الأبيات في (الأغانى ٦ : ١٥٣) ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) « وعزمت منى » .

(٨) شيخك ؛ يعنى أباه (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت نبيًا ولا بكرا كحبي إياكم »

إن كان هذا السَّحْرُ مِنْكَ فَلَا
 إِحْدَى بِنِي أَوْدٍ كَلِفْتُ بِهَا
 وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَطَقَتْ
 كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ الْإِ
 وَمَقَالَةٍ فِيكُمْ عَرَكَتُ لَهَا
 وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَلْتُ بِهِ
 قَالَتْ يُقِيمُ لَنَا لِنَجْزِيهِ
 مَا إِنْ أَقِيمُ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ
 وَإِذَا هَمَمْتُ بِرِحْلَةٍ جَرَعَتْ
 إِنِّي لَأَرْضَى مَا رَضَيْتَ بِهِ

/وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب:
 يَأْتِي مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يُمْنَعُهُ
 وَلَيْتَ رِزْقَ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ

-وروى: «ضيق كضيق ووسع كالذي اتسعوا».

وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطًّا فِي وُجُوهِهِمْ
 وَلَيْتَ ذَا الْفُحْشِ لَاقَى فَاحِشًا أَبَدًا
 تَبِينُ أَخْلَاقُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا
 وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا^(٧)

(١) الإرعاء: الإبقاء؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت.

(٢) في حاشيتي الأصل، ف: «أى أسراره مائة إليها».

(٣) الأقناء: جمع قنو؛ وهو غضن النخل.

(٤) حواشي الأصل، ت، ف: «نقرا؛ أى قليلا؛ وهو صوت يسمع من وقع الإبهام على

الوسطى؛ يقال: ماعطاه نقرا ونقرة؛ أى شيئا؛ ولا يستعمل إلا في النفي».

(٥) الأبيات في المؤلف والمختار ١١٧.

(٦) حاشية ف: «يجوز أن يكون «قوت» خبر المبتدأ؛ أى هو قوت؛ ويجوز أن يكون بدلا

من مثل نائلهم».

(٧) حاشية ف: «فاتدعوا: فاستراحوا».

تَرَعَى عَلَيَّ وَجَدِّدِي السَّحْرَا^(١)
 حَمَلْتُ بِلَا تَرَةٍ لَنَا وَتَرَا
 تَرَكَتْ بِنَاتِ فَوَادِهِ صُعْرَا^(٢)
 أَقْنَاءَ لَا نَثْرًا وَلَا نَزْرَا^(٣)
 جَنِّي أُرِيدُ بِهَا لِكَ الْعُذْرَا
 عَمَّا يُجَاوِلُ مَعْدِلًا وَعَعْرَا
 يَوْمًا فَخِيمَ عِنْدَهَا شَهْرَا
 إِلَّا لِأَبِي فِيكُمْ عُذْرَا
 وَإِذَا أَقَمْنَا لَمْ تَقْدِ تَقْرَا^(٤)
 وَأَرَى لِحُسْنِ حَدِيثِكُمْ شُكْرَا

٥

١٠

[٣٧]

حَتَّى يَذُوقَ رِجَالَ غِبِّ مَا صَنَعُوا^(٥)
 قَوْتُ كَقَوْتُ وَوُسْعٌ كَالَّذِي وَسِعُوا^(٦)

١٥

ولأبي دَهْبَلٍ فِي قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا :
 تَبَيَّتُ النَّشَاوَى مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلْتَنِي مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا (١)
 وَمَا ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ تَأَمَّرَ نَوْكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا (٢)
 وَصَارَتْ قَنَاةُ الدِّينِ فِي كَفِّ ظَالِمٍ إِذَا مَالَ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

٥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال
 رَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبَلٍ قَالَ - وَيُقَالُ إِنَّهَا لِلْمَجْنُونِ :

أَتْرَكُ لَيْلِي لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ (٣)
 هَبُونِي إِمْرَأًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدِّمَامَ كَبِيرُ
 وَلصَّاحِبُ التَّرْوُكُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبِ مَنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ (٤)
 عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلِي الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلَّيْتُ حَكْمًا عَلَى تَجْجُورُ

١٠

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دَهْبَلٍ - وقد رواه أبو تمام في الحماسة له (٥):

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَمَائُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهْرِ
 يَأْلِيَتْ أَنِّي بَأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكِ طُغُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجِرُ
 إِنْ كَانَ ذَا قَدْرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَجْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدْرُ!

(١) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض في ضاء الكوفة ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحميمها : أفر باؤها .

(٢) في الأغاني ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات في الأغاني (٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٧٢-٢٧٣

(٤) حاشية ف : « أضلت بعيري إذا شذ عنك وذهب ، وضلت الطريق إذا شذت عنه وذهبت

(٥) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة »

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهي رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت في الحماسة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جِنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالِهَا وَتَرَّ

[٣٨] وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : مثل قول أبي دهب :
 ولو تركونا لا هدى الله أمرهم فلم يذجموا قولاً من الشر ينسج (١)
 لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج !
 قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته:

٥ لما رآني أرعشت أطرافي (٢) استعجل الدهر وفيه كاف
 يخترم الإلف عن الألف

قال ومثله :

عدمت ابن عم لا يزال كأنه وإن لم أتره منطوي على وتر
 يعين على الدهر والدهر مكتف وإن أستعنه لا يعنى على الدهر

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله

ابن طاهر :

إلى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملن القطيعة والهجرة
 رويدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

(١) من قصيدة في (الأغاني ٦ : ١٥١-١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨-٥٩٩) ، مطلعها :

تطاول هذا الليل ما يتباج وأعبت غواشي الهم ما تتفرج

(٢) ديوانه : ٣٩ .

مَجْلِسِ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ *

إن سأل سائل فقال : ما وجهُ التَّكرارِ في سورة الكافرين، وما الذي حَسَّنَ إعادةَ النفي لكونه عابدا ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكرُ ذلك مرة واحدة يُغني . وما وجه التكرار أيضا في سورة الرحمن لقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ [سورة الرحمن] ، الجواب ، يقال له : قد ذكر ابن قتيبة في معنى التَّكرارِ في سورة الكافرين وجهها ، وهو أنَّ

٥ قال : القرآن لم ينزل دَفْعَةً واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئا بعد شيء ، والأمر في ذلك ظاهر ، فكانَ المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له : استلم^(١) بعضَ أصنامنا حتى نؤمن بك ؛ ونصدِّقَ بنبوتك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبدُ بعضَ آلهتنا ، واستلم بعضَ أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً ، لنفعلَ مثلَ ذلك بإلهك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ أى إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شَرْطُهُ في قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا الطعنُ غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثباتُ شرطٍ بدليل ، وإن لم يكن في ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كلُّ واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

* لم يذكر في الأصل ، وأثبتته عن ت .

(١) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التسح ، ويقال : استلام الحجر ، والأصل ترك الهمز

لأنه من السلمة ؛ وهى الحجر ؛ إلا أن استلام الحجر جرى في كلامهم مهموزا » .

أولها ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُنَ التكرار؛ لأن تحت كل لفظه معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يأبها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، فاخْتَصَّ الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون، فاختلف^(١) المعاني وحَسُنَ التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب^(٢) مخصصةً بِمَنْ المعلوم من حاله^(٣) أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزئون هم: العاص ابن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى ابن قيس.

والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول الجيب مؤكداً: ١٠
بلى بلى، والممتنع مؤكداً: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ [التكاثر: ٢، ٣]، وأنشد الفراء:
وكانن وكم عندي لهم من صنيعه
أيدي تنوها على وأوجبوا
وأنشد أيضاً:

١٥ كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَكُمْ كَمْ كَمْ وَكَمْ

وقال آخر:

[٣٨] / نَفَقَ الْغُرَابُ بَيْنَ لُبْنَى غُدْوَةً كَمْ كَمْ وَكَمْ بِفِرَاقِ لُبْنَى يَنْفِقُ^(٤)
ط

وقال آخر:

(١) ط: «فاختلفت المعاني».

(٢) ساقطة من ط، م.

(٣) ساقطة من ت، م.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوْلَىٰ لِنَفْسِي أَوْلَىٰ لَهَا! (١)

والجواب الثالث - وهو أغربها - أنني لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أي : أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده إذ أشركتكم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودةً من دونه أو معه ، وإنما يكون يكون عابداً له مَنْ أخاص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ؛ أي لست أعبد عبادتكم ، وما في قوله : ﴿مَّا عَبَدْتُمْ﴾ في موضع المصدر كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾؛ [الشمس: ٧، ٦]، أراد : وطَّحَّيه إياها وتسويته لها، وقوله تعالى : ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾؛ [غافر : ٧٥] ، يريد: بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر:

يَا رَبِّعَ سَلَامَةَ بِالْمُنْحَىٰ بِخَيْفٍ سَلَعٍ جَادَكَ الْوَابِلُ (٢)

١٠ إِنْ تُمَسِّ وَحْشًا فَمَا قَدْ تَرَىٰ وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهَا آهِلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً ، ومعنى قوله : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ ، أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعاني .

وتلخيص ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، ومن تدعونه من دون الله ، ولا أنتم عابدون إلهي ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون ، إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دمتم على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أولئك : كلمة تحذير ، قال الأصمعيّ : معناه فاربك مانكره ، والولي : القرب ، وقد وليه يليه . وقال ثعلب : أصح ما ذكر في « أولى » قول الأصمعيّ ، وقد قيل في غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جاره يقول : أولى لي ! كدت أكون السواء المخترم » .

(٢) المنحى : حيث ينحى السيل ؛ أي يميل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن السيل ، وفي سمي خيف متى . وسلع : يطلق على جملة مواضع في ديار باهلة وأسد .

(٣) وحشا : خالياً ، وبما ترى ؛ أي بما كنت قد ترى ، وآهل : ذو أهل ؛ وفي حاشية ف « وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق « بها » بمعمور وبآهل جميعاً . وفي د ، م : « به أهل » .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجهُ في اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون ، فاختلقت عبادتهما^(١) ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يمتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .

و
[٣٩] / فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا في هذا ثلاثة أجوبة : أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر ؛ كما قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزأى ؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ قال الشاعر :

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرَضُونَا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة الممددة ، فكما ذكرنا نعمة أنعم بها قرّر عليها^(٢) ، ووبّخ على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خولتكَ الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتكَ من المكاره ! ألم أحسن إليك ١٥ بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير^(٣) لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم ، قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليياً^(٤) :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عبادتهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مطلعها :

أَلَيْتُنَا بَدَى حُسْمِ أَيْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَجُورِي
وهي في (أمالي القائل ٢ : ١٢٩-١٣٣) وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :
وَهَمَامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَ كُنَا عَلَيْهِ الْقَشْعَانِ مِنَ النَّسُورِ

إِذَا طُرِدَ (١) الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ (١)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَاضِمَ جِيرَانُ الْمُجِيرِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا رَجَفَ الْعِضَاءُ مِنَ الدَّبُورِ (٢)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا خَرَجَتْ مُخْبِئَةً الْخُدُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الْأُمُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا خِيفَ الْخَوْفُ مِنَ الثُّغُورِ	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
عَدَاةَ تَلَاتِلِ الْأُمْرِ الْكَبِيرِ (٣)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ
إِذَا مَا خَامَ جَارُ الْمُسْتَجِيرِ (٤)	عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلْبٍ

وقالت ليلي الأَخِيلِيَّةُ تَرْتِي تُوْبَةَ بِنِ الْحَمِيْرِ :

[٣٩] / وَلنعمَ الفتى يا توبَ كُنْتَ إِذَا التَّمَّتْ ^ظ صُدُورُ الْأَعَالَى وَاسْتَشَالَ الْأَسَافِلِ (٥)
وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تُوْبَ كُنْتَ وَلَمْ تَكُنْ لَتُسْبِقَ يَوْمًا كُنْتَ فِيهِ تَحَاوِلُ (٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « اللئيم » .

وفي حواشئ الأصل ، ت ، ف : « قال مهلهل في هذه القطعة قبل هذا البيت مرثية أخيه ؛ وهو الذي ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كلبيا رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كلب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان في أواخر تلك الحروب يوم التحلاق ، وعلى أن ليس عدلا ؛ يعنى : ليس همام عدلا من كلب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح] ؛ أى قيمته ؛ قال الفراء : العدل [بالفتح] : ما عادل الشئ من غير جنسه ، والعدل [بالكسر] المثل . (٢) رَجَفَ : تحرك حركة شديدة ، والعِضَاءُ : كل شجر له شوك ؛ وفي حاشية الأصل : « أى كان الزمان شتاء » .

(٣) التَلَاتِلُ : الشدائد ، وفي ت ، ف : « بلابل » ، وفي الأصل ذكر الوجهان معا ، وفي الحاشية :

« البلابل : الهت ، والتلاتل : الشدائد ، وفي شعره بالياء » .

(٤) خَامَ : جبن ، وفي نسخة بحواشئ الأصل ، ت ، ف : « خار » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « في ديوانها : « العوالى » ، وهى رواية ف أيضا .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تجاول » ، وفي حواشئ الأصل ، ت ، ف : « ف :

نسخة شعرها :

وَنِعْمَ الْفَتَى يَا تُوْبَ كُنْتَ قَدِيمَةً عَلَى الْخَلِيلِ تَمْرِيهَا وَنِعْمَ الْمَنَازِلُ

وقديعة ؛ أى مدة قديعة ، ويجوز أن تكون قديعة بمعنى مقدامة . وتمريها ، تحلبها الجربة .

- وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ
 وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ جَارًا وَصَاحِبًا
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 [لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْيَىٰ لِفَقْدِهِ
 أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا
 أَبَىٰ لَكَ ذَمُّ النَّاسِ يَا تَوْبَ كَلَّمَا
 فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّمَا
 وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ إِنَّهَا
 وَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ يَا تَوْبَ وَالتَّقَىٰ
- أَتَاكَ لَكِي يُجْمَىٰ وَنِعْمَ الْمُجَاهِلُ^(١)
 وَنِعْمَ الْفَتَىٰ يَا تَوْبَ حِينَ تَفَاضِلُ^(٢)
 بِجِدِّ وَلَوْ لَامَتْ عَلَيْهِ الْعَوَازِلُ
 وَيَكْفُرُ تَسْهِيْدِي لَهُ لَا أَوْائِلُ^(٣)
 وَنَوْ لَامَ فِيهِ نَاقِصُ الرَّأْيِ جَاهِلُ^(٤)
 إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْحَمِينَ التَّلَاتِلُ^(٥)
 ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
 ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوِي الْأَرَامِلُ
 لَقِيَتْ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ
 كَذَلِكَ الْمُنْيَا عَاجِلَاتٌ وَأَجِلُ^{١٠}
 عَلَيْكَ الْعَوَادِي الْمُدْجِنَاتُ الْهَوَاطِلُ^(٦)

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو

ما ذكرناه^(٧).

(١) كذا في الأصل ، ف ؛ وفي ت : « المحامل » ، وفي حاشيتها : « المحامل ؛ من الجملة ؛ وهي

الدية » .

(٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « تناضل » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تقاثل » .

(٣) زيادة من م وحاشيتي ط ، ف .

(٤) م : « ناقص العقل » .

(٥) ت : « البلايل » ، وفي حاشية ف : « المنتجم : الذي أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل للحما ،

والتلائل : جمع تلتلة ، وهي مضاعف من الرباعي ، يقال : تلتلت وتلتلة ؛ كما يقال : كبة وكبكية ؛ قال تعالى :

﴿ فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ، والتلائل : الأمور العظام » .

(٦) المدجنات : السحائب المظلمة ، والمطلان : تتابع المطر والدمع .

(٧) حاشية ف : « في الجايس والأنيس : من أعجب ماروي في قصتهما أن ليلي الأخيلية بعد موت

توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة وليلي معه ، فقال لها : يا ليلي ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟

فقلت : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لأشأنك ؛ فاتريد من توبة وقد بليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عباد - :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرَبُ وَاثِلٍ عَن حِيَالِ (١)
ثم كرر قوله : «قربا مربوط النعامة» في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها :

وحدثنى أصحابه أن مالكا أقام ونادى صخبه برحيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثنى أصحابه أن مالكا جواذ بما في الرجل غير بنخيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا خفيف على الحداث غير ثقيل
وحدثنى أصحابه أن مالكا صرؤم كماضى الشفرتين صقيل

[٤٠]

وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه . وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات

بقوله تعالى : ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

== قال : أريد تكذيبه؛ أليس هو الذي يقول :

وَلَوْ أَن لَّيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ سَلَّمَتْ
لَسَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْزَقَا
علي ودوني ترربة وصفايح
إليها صدى من جانب القبر صائح

فوالله ، لا برحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : «السلام عليك يا نوبة ورحمك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشبهت شهقة فاتت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبتت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطالنا والتفنا » .

(١) مربوط ؛ ضبطت بالقلم في الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفي حاشية ف : « ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالصدر والموضع منه فعل بالفتح ، وما كان على فعل يفعل بالكسر فالصدره فعل ، بالفتح ، والموضع مفعول ، بالكسر ، وما كان على يفعل بالفتح فكلاهما فيه بالفتح » . وفي حاشية الأصل : « الحيال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعنى أن الحرب لقيحت بعد أن كانت لا تحمل » .

وقد ورد هذا البيت في (أمالي القالي ٣ : ٢٦) ، وبمده :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّـهُ
قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي
وإني بجرها اليوم صال
إن بيع الكرام بالشسع غال

فإن قيل: إذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآله ، ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمْ شَوَاطِرٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [آية: ٣٥]، وقوله: ﴿ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾^(١) [آية: ٤٣، ٤٤]. فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿ فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمْ ﴾ تُكَذِّبَانِ ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن ٥ نعمة فقد كرهه ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن في ذلك زجراً عمماً يستحق به العقاب وبمعالي ما يستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى: ﴿ فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمْ ﴾ تُكَذِّبَانِ ﴾ ، بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها ، وهذا مما لا شبهة^(٢) في كونه نعمة.

فصل

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجددين أدام الله علوه : وكما أنه كان في الجاهلية وقبل الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر ، وينفون الصانع ، وآخرون مشركون ١٠ يعبدون غير خالقهم ، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه ، وضرب لهم الأمثال ، وكرّر عليهم البينات والأعلام ، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستّر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة مُلْحِدُونَ ، وكفار مشركون ؛ فمنعهم^(٣) عِزُّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة ، وألجأهم خوف القتل إلى الساترة ؛ وبأية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يُدْعِغُونَ في الدين ، ويموهون ١٥ على المستضعفين ، بجأشٍ رابط ، ورأى جامع ؛ فِعْلٌ مِّنْ قَدَامِنِ الْوَحْشَةِ ، وَوَثِقٌ بِالْأُنْثَى ، بما يظهره^(٤) من لباس الدين ، الذي هو منه على الحقيقة عارٍ ، وبأثوابه غير متوار ، كما يحكى أن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن سليمان ، وهو والى الكوفة من قبل

(١) حاشية ف : « الحميم : الماء الحار ، والآني : الذي بلغ نهايته » .

(٢) ش : « وهذا لا شبهة » . (٣) ش : « فمنعهم » . (٤) ش : « فيما يظهره » .

[٤٠] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة^(١): لأن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم
 أربعة آلاف حديث مكدوبة مصنوعة^(٢).

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحمادون: حماد الراوية، وحماد
 ابن الزبيرقان، وحماد عجرد؛ وعبد الله بن المقفع، وعبد الكريم بن أبي العوجاء،
 ٥ وبشار بن بُرد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وصالح بن عبد القدوس
 الأزدي، وعلي بن خليل الشيباني، وغير هؤلاء، ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً
 فقد أقلهم الله وأذلهم^(٣) بما شهدت به دلائله الواضحة، وحججه اللائحة على عقولهم من
 الضعف، وآرائهم من السخف.

ونحن نذكر من أخبار كل واحدٍ ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة^(٤)، ونومى فيها
 ١٠ إلى جملة^(٥). والذي دعانا إلى التشاغل بذلك - وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى - مسألة من
 نرى إجابته، ونؤثر موافقته، فتكلفناه له ومن أجله، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفع علمها
 ويُتأدب بروايتها وحفظها.

أما الوليد^(٦) فكان مشهوراً بالإلحاد، متظاهراً بالعناد، غير محتشم في أطراح الدين أحداً.

(١) حاشية ت (من نسخة): « الدنيا » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): « موضوعة » .

(٣) في ت، د: « وأذلهم وأرذلهم » .

(٤) نبذة، بفتح النون وضمة. (٥) في ت، د: « جملة كافية » .

(٦) حواشي الأصل، ت، ف: « هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؛ ويكنى أبا العباس

قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك، وكانت ولاية
 الملعونة سنة وشهرين ونيفاً وعشرين ليلة، وقتل وقد بلغ من السن اثنتين وأربعين سنة، وقتل معه ولداً
 الحكم وعثمان، وكان يقال لهما الجملان ». وانظر أخبار الوليد في (الأغانى ٦: ٩٨ - ١٣٧
 والعقد ٤: ٤٥٢ - ٤٦٣).

ولا مراقب فيه بشراً ؛ وفي الحديث أنه وُلِدَ لأخى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «سميتوه بأسماء فراعنتكم ! ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو شرُّ على هذه الأمة من فرعون على قومه» . قال الأوزاعي : فسألت الزهري عنه فقال : إن استخلف الوليد بن يزيد ، وإلا هو الوليد بن عبد الملك .

٥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ، ويُشرف على الطواف ، فقال بعض الحجبة^(١) : لقد رأيتُ الجوسى البناء فوق الكعبة ؛ وهو يقدر مواضع أركان القبة ، فلم تمس^(٢) تلك الليلة حتى وافى الخبرُ بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري / عن أبي إسحاق [٤١]
الطلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالية عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد - وهو الملقب بالناقص^(٣) لما ولى : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهد لسمعتُه^(٤) وهو يقول :

١٥ اسقياني وابنَ حربٍ واسْتُرَانَا بِإِزَارِ
واترُ كما منْ طَلَبَ الجَنَّةَ يَسْعَى فِي خَسَارِ
سأسوسُ النَّاسَ حَتَّى يَرُوكِبُوا دِينَ الحِمَارِ^(٥)

وأخبرنا المرزباني قال : أخبرني أحمد بن خالد النخاس قال : حدثنا محمد بن مكحول قال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض الطواف » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فلم تمس » .

(٣) ش : « الملقب بالناقص » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قيل له الناقص لأنه كان تقص أعطياتهم » .

(٤) ش : « لقد سمعته » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي حتى ينزرو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نشَر الوليدُ بنُ يزيدٍ يوماً المصحفَ ، وكان خطُّه كأنَّه أصابعٌ ، وجعلَ يرميه بالسهم وهو يقول (١) :

تَذَكَّرُنِي الحِسابُ وَسَتُّ أَدْرِي أَحَقًّا مَا تَقُولُ مِنَ الحِسابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : ويله من هذه الجرأة على الله وبلا طويلا ! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاه اللعين باليم العذاب وشديد العقاب ! لولا ما تتم به المحنة ، وينتظم به التكليف ؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ، وتبعيدها من أحوال الطاعات والمعاصي .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زنديقا ١٠ وإنه فتح (٢) المصحف يوماً فرأى فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١٥] ، فاتخذ المصحف غرضا ورماه بالنبل حتى مزقه ؛ وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
فَإِنْ لَأَقِيَتْ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَّقَنِي الْوَلِيدُ (٣)

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « افتتح » .

(٣) حاشية ف : « أخبر أبو حاتم عن العتيبي قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفري ، فجن بها ، وجعل يرأسها وتأبى عليه ؛ حتى بلغه أن عيدا للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان في موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصاع الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فتأبى ، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حليته ، ودخلت سفري البستان ، فجعلت تمتى حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قل لها : رجل مصاب ، فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتنى من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقيل لها : ويلك ! أتدرين من ذلك الرجل ؟ قالت : لا ،

وأما حماد الراوية فكان مُنْسَلِخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمر وارتكاب الفجور .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان مُنْقِذَ بن زياد الهلاليّ ، ومطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي ودّة^(١) ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفّع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد مجرد / وعلى بن الخليل ، وحماد بن أبي ليلي الراوية ، وحماد بن الزُّبْرَقَان ، ووالدة بن [٤١] ^ظ الحُبَاب ، وعمارة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبيّ ، وبشار ابن بُرْدِ الرَّعَث ، وأبان اللاهقيّ؛ يجتمعون على الشرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكلٌّ منهم مُتَمِّمٌ في دينه^(٢) .

== فقيل لها: الوليد بن يزيد؟ وإنما تشف حتى ينظر إليك؛ فجنت بعد ذلك ، وكانت عليه أحر منه عليها ، فقال الوليد في ذلك :

أضحى فؤادك يا وليدُ عميداً صَبّاً قديماً للحسان صيوداً
من حُبِّ واضحة العوارض طفلةٍ برزت لنا نحو الكنيسة عيداً
مازلتُ أرمقها بعيني وامتقِ حتى بصرتُ بها تقبلُ عوداً
عود الصليب ، فويح نفسي من رأى منكم صليبا مثله معبوداً!
فسألتُ ربِّي أن أكون مكانه وأكون في لَهَبِ الجحيم وقوداً

قال القاضي: لم يبلغ مدرك الشيبانيّ هذا الحد من الخلاعة؛ إذ قال في عمرو النصراني:

يا ليتني كنتُ له صليبا فكنتُ معه أبداً قريباً
أبصرُ حُسناً وأشمُّ طيباً لا واشياً أخشى ولا رقيباً

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

الأحبدا سفرى وإن قيل إننى كلِّفتُ بنصرانية تشرب الخمرًا
يهونُ عليّ أن تظلَّ نهارها إلى الليلِ لأولى نصلّى ولا عصراً

(١) ش : « ودة » ، بفتح الواو ، وضبط في الأصل بالفتح والضم معا .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن معلى الكاتب - وكان في مجلس فيه أبو نواس ، ووالدة بن الحباب ، وعلى بن الخليل ، والحسين بن الخليلع - صلاة ، فقرأ فيها =

وعمل يونس بن أبي فرّوة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالاً . وقال أحمد بن يحيى النحويّ قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
بَسَطَتْ مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنْفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْمُهَا الْحَدَّادُ
وَأَبْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِبُنَاكَ بَزُّهُ وَلِسَانُهُ إِنَّ الْمَجُوسَ يَرَى لَهَا أُسْبَادُ^(١)

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسه في أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنعه فيدس في شعر كل رجل منهم^(٢) ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم ؛ وهذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسقٌ وتهاون بالكذب في الرواية^(٣) .

وأما حمّاد بن الزُّبرقان فهذه طريقته في التخريم^(٤) والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن عليّ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَحْسَبِي غَلَطًا فِي « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ »

فقال والبة :

قَامَ طَوِيلًا سَاكِتًا حَتَّى إِذَا أَعْيَا سَجَدَ

فقال علي بن الحليل :

يَزْجِرُ فِي مِحْرَابِهِ زَحِيرَ حُبَلَى لِلْوَلَدِ

فقال الحسين بن الحليم :

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ شُدَّ بِحَبْلِ مِنْ مَسَدٍ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهامه اكتابة عن الثياب واللباس » . (٢) ساقط من م . (٣) توفي حماد الراوية سنة ١٥٥ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ١٦٤-١٦٥)
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الفجور » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « التخريم التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الحرمة ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْدٍ قال أخبرنا الأشنانداني قال : دعا حماد بن الزبيرَ قان^(١) أبا الغول الهشلي إلى منزله وكانا يتقارضان^(٢) ، فأنهره أبو الغول ، فلم يزل المفضل به حتى أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى المفضل قال : ما صنعت أنت وحماد ؟ قال : اصطالحنا على ألا أمره بالصلاة ، ولا يدعوني إلى شرب الخمر ، وأنشد المفضل قوله :

٥ * نَعِمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ *
و

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

فأما حماد عجرد فشهرته في الضلالة / كشمرة الحمادين ، وكان يُرمَى مع ذلك بالثنية . [٢ :]
و أخبرنا أبو عميد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مَهْرُوبٍ^(٣) قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال : دخلت على بشار بالبصرة ، فقال لي : يا أبا علي ، أما إني قد أوجعتُ صاحبكم ، ١٠ وبلغت منه - يعني حماد عجرد - فقلت : بماذا يا أبا معاذ ؟ فقال : بقولي فيه :

يَا بَنَ نِهْيَا رَأْسُهُ عَلَيَّ ثَقِيلٌ وَاحْتِمَالُ الرَّأْسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلٌ
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي بَوَاحِدٍ مَشْفُولٌ

فقلت لِمَ^(٤) أدعته في عماء ؟ ثم قلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ، وهو يرّويه على خلاف

١٥ هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْفُولٌ
قال فلما سمعه أطرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إنني لأحتشمك ، فلا تنشد

أحدًا هذين البيتين ؛ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال : ما هما لي !

(١) انظر ترجمته ومراجعتها في (إنباه الرواة ١ : ٣٣٠-٣٣٢) . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« يتقارضان : يتجازيان ؛ ويقال ذلك في الخير والشر جميعا ، أي يقرض بعضهم بعضا الهجاء » .

(٣) م : « مهرويه » ، بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة .

(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاَّد الأرقطُ قال قال بشار: بلغني أن رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد يُنشد الشعر، فاجتمع الناس على القارى فقال حماد: علام تجتمعون؟ فوالله ما أقول^(١) أحسن مما يقول! فمقتة الناس على هذا.

٥ وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال: كان حماد عجراً يُعيرُ بشاراً بالقبح؛ لأنه كان عظيم الجسم، مجدوراً، طويلًا، جاحظ العينين، قد تغشاهما لحم أحمر؛ فلما قال حماد فيه:

والله ما الخنزيرُ في نَدَنِهِ برُبْعِهِ في النَّتَنِ أو حُمْسِهِ
بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ وَمَسَّهُ أَلْيَنُ مِنْ مَسِّهِ
وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَنَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ
وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ وَجِنْسُهُ أَكْرَمُ مِنْ جِنْسِهِ

١٠

[٤٢] / فقال بشار: وبلى علي الزنديق! لقد نَفَثَ بما في صدره، قيل: وكيف ذلك؟ قال: ما أراد الزنديق لإقوال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ [التين: ٤]؛ فأخرج الجحودَ بها مخرج هجائي، وهذا خبث من بشار وتغلغل شديد لطيف.

وأول من جعل نفي الإلحاد تأكيداً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُساور

١٥ الوراق في حماد مجرد فقال:

لَوْ أَنَّ مَانِي وَدَيْصَانًا وَعُصْبَتَهُمْ جَاءُوا إِلَيْكَ لَمَّا قُلْنَاكَ زَنْدِيقُ
أَنْتَ الْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ مُذْ خُلِقَا وَذَا التَّرَانْدُقُ نِيرَانُجٌ مَخَارِيقُ^(٢)

فأما ابن المقفع^(٣) فإن جعفر بن سليمان روى عن المهدي أنه قال: ما وجدتُ كتاب

(١) ش: «لا أقول». (٢) توفي حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان

١: ١٦٥-١٦٦) (٣) حاشية ف: «هو الذي يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
لَا تُنْفَسُ سِرًّا إِلَى جِدَارٍ فَرَبَّمَا كَمَّتِ الْبُيُوتُ
وَاعْجَبَا لَامْرئٍ ضَحُوكِ! مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

رَزَنْدَقَةٌ قَطْ إِلَّا وَأَصْلُهُ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ . رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ الْمُتَفَعِّعِ وَقَدْ
حَرَّ بَيْتَ نَارِ الْمُجُوسِ (١) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَّحَهُ وَتَمَثَّلَ :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّذِي اتَّعَزَلْتُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ (٢)
إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لِأَمِيلُ (٣)

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُتَفَعِّعِ يَرْتِي يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ - وَقَالَ الْأَخْفَشُ : ه
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَرْتِي بِهَا ابْنَ أَبِي الْعُوجَاءِ :

رُزَيْنًا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلُهُ فَلَهُ زَيْبُ الْحَادِثَاتِ بَمَنْ وَقَعَ !
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَ كَمْتَنَا ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِي أَسْدَادٍ لَهَا طَمَعُ
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَا لَكَ أَنْنَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قَالَ ثَعْلَبٌ : الْبَيْتُ الْأَخِيرُ يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي أَنَّ الْخَيْرَ مَمْرُوجٌ بِالشَّرِّ ، وَالشَّرُّ مَمْرُوجٌ ١٠
بِالْخَيْرِ .

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ
مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حَفْظِهِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَحِبُّ أَنْ يَرَى

(١) ش : « نَار » لِلْمُجُوسِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « هَذَا ابْنُ الْبَيْتَانِ لِلْحَوْصِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْأَفْلَحِ حَمَى الدَّبْرِ ، وَكَانَ
حَمَى الدَّبْرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَى ذَاتَ يَوْمٍ بِلَاءَ حَسَنًا فَاضْطَعْنَ الْمَشْرُوكُونَ عَلَيْهِ ،
وَلَمَّا قُتِلَ أُرَادَ الْمَشْرُوكُونَ أَنْ يَمْتَلُوا بِجَسْتِهِ ، وَكَانَ قَبِيلَ الْحَارِثِيَّةِ ، قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : الْمَاهِمُ أَحْفَظُ جَسْتِي مِنَ
الْمَشْرُوكِينَ ، فَلَمَّا قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعَثَ اللَّهُ جَمَاعَةً مِنَ النُّجَلِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ تَحْمِيهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ الْمَلِيلُ ، لَجَاءَ سَبِيلَ
فَاحْتَمَلَهُ ، فَلَمْ يَرِ الْمَشْرُوكُونَ جَسْتَهُ » .

وَالْبَيْتَانُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ يَمْدَحُ فِيهِمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؛ وَهِيَ فِي (الْأَغَانِي ١٨ : ١٩٦-١٩٧)
وَأَبْيَاتٌ مِنْهَا فِي الْخَزَانَةِ (١ : ٢٤٨) ؛ وَهِيَ عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ . وَأَتَعَزَلُ :
أَتَجَنَّبُ وَأَكُونُ بِعَزَلٍ ، وَالْعِدَا : جَمْعُ عَدُوٍّ ؛ يُقَالُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ .

(٣) أَمْنَحُكَ : أَعْطَيْكَ ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الْكَلِمَاتِ ، عَلَى أَنَّ « قَسَمًا » تَأْكِيدٌ لِلْقِسْمِ الْمَفْهُومِ مِنْ

قَوْلِهِ : « إِنِّي لِأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ » .

عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عبّاد بن عبّاد المهلبّي فتحادثا ثلاثة أيام ولياليهنّ ، فقيل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيتُ مثله ، وعلمه أكبر [٤٣] من عقله ، / وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيتُ مثله ، وعقله أكبر من علمه . قال المغيرة : فصدقا ، أدّى ^(١) عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس ^(٢) ، وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن عليّ فقال فيه : ومستى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله فנסأوه طوالق ؛ ودوابه حُبس ^(٣) ، وعبيده أحرار ، والمسامون في حلّ من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدّا وخاصةً أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبّي وهو أمير البصرة من قبله بقتله ، فقتله .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيّد الكلام ، فصيح العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ ١٠ من ذلك ما روى من أن يحيى بن زياد الحارثي كتب إليه يلتمسُ معاقدة الإخاء والاجتماع على المودّة والصفاء ، فأخّر جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يستترّثيه ، فكتب إليه عبد الله : إن الإخاء ريق ؛ فكرهتُ أن أملكك ريقى قبل أن أعرف حُسن ملكتك . وكان يقول : « ذلّل نفسك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجلس السوء ، فإنّ ذلك لا يكاد يُخطئك » .

١٥ وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مهمّ فانظر ؛ فإن كان ممّا له حيلة فلا تعجز ، وإن كان ممّا لا حيلة فيه فلا تجزع » .

ودعاه عيسى بن عليّ إلى الغداء فقال : « أعزّ الله الأمير ! لستُ يوى للكرام أكيلا » ، قال : ولم ؟ قال : « لأنّى مزكوم والزّكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » . وكتب إلى بعض إخوانه : « أمّا بعد ، فتعلّم العلم ممّن هو أعلم به منك ، وعلمه منّ

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس » .

(٢) الحبس ، بالضم : ما وقف ؛ وهو جمع الحبس ؛ وفي الحديث : « ذلك حبيس في سبيل الله » ؛

أى موقوف على الغزاة ، يركبونه في الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحفظتَ ما عَلِمْتَ .
وقال لبعض الكتّاب : « إياك والتَّبَعِ لِيَوْخِشِيَ الكَلامَ طَمَعاً في نَيْلِ البِلاغَةِ ، فإن ذلك هو العيُّ الأَكْبَرُ » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهَلَ من الألفاظ ؛ مع التجنُّبِ لألفاظ السَّفَلَةِ » .

وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يُحسِنُ مِثلَها » .

وقال : « لا تَحَدِّثْ مَنْ تَخافُ تَكْذِيبَهُ ، ولا تَسأَلْ مَنْ تَخافُ مَنَعَهُ ، ولا تَعْدُ بما

لا تقدر على ^(١) إِنْجازه ، ولا تَضْمَنَ ما لا تُثِقُ بِالقَدْرَةِ عليه ، ولا تَرْجُ ما تُعَنَّفُ بِرِجائِهِ ،

ولا تُقَدِّمَ ^(٢) على ما تخاف العجز عنه » .

وقال لبعض إخوانه / : « إذا صاحبتَ مِلكاً فاعلم أَنَّهُم قد يُدَسِّبُونَ إلى قَلَةِ الوفاء ، [٤٣]
ط

فلا تُشْعِرَنَّ قَلْبَكَ استِبْطاءَهُ ، فإنه لم يشعِرْ أحداً قَلْبَهُ إلا ظَهَرَ على لسانه إن كان سَخِيفاً ^(٣) ، ١٠

وعلى وجهه إن كان حليماً » .

وكان يقول : « إنَّ مما سَخَى بنفس العالم عن الدنيا علمه بأن الأرزاقَ لم تُقسَمَ فيها على

قدر الأخطار » ^(٤) .

فأما ابن أبي العوّاء فقد ذكرنا ما رُوِيَ من اعترافه بدسه في أحاديث النبي صلى الله

عليه وآله أحاديث مَكْذُوبَةٌ . ورُوِيَ أنه رأى عِدلاً قد كُتِبَ عليه آيةُ الكُرْسِيِّ فقال لصاحبه : ١٥

لم كتبتَ هذا عليه ؟ فقال : لئلا يُسْرَقَ ، فقال : قد رأينا مصحفاً سَرِقَ ! .

ولبشارٍ فيه :

قُلْ لِعَبْدِ الكَرِيمِ يابنِ أبي العَوْءِ جاء بِعَتِ الإسلامَ بِالْكَفْرِ مُوقاً ^(٥)

(١) ش : « ولا تعد ما لا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تتقدم » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سفياً » . (٤) توفي ابن المقفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته

وأخبره في كتاب أمراء البيان (١ : ٩٩-١٢٩)

(٥) الأبيات في الأغاني (٣ : ٢٥) ، و الموق : الحق في غباوة .

لَا تُصَلِّيَ وَلَا تَصُومُ فَإِنَّ صَوْمَهُ تَفْبَعُضَ النَّهَارِ صَوْمًا رَقِيقًا (١)
 لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمِّ رِ عَتِيقًا أَلَا تَكُونُ عَتِيقًا
 لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةً خُلِّيتُ فِي الْجَنَّةِ دِ حَنِيفًا خُلِّيتُ أُمُّ زِنْدِيقًا (٢)

فَأَمَّا بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ فَرَوَى الْمَازِنِيَّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِبَشَّارٍ : أَتَأْكُلُ اللَّحْمَ وَهُوَ مَبِينٌ
 لِدِيَانَتِكَ؟ - يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ تَنْوِيٌّ (٣) - فَقَالَ بَشَّارٌ : إِنَّ هَذَا اللَّحْمَ يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ هَذِهِ
 الظَّالِمَةِ .

قال المبرد : وروى أن بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ، ويصوب رأياً إبليس
 في الامتناع عن السجود ، وروى له :

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

١٠ وروى بعض أصحابه قال : كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ، ويقعد بشار ، فنجعل
 حول ثيابه (٤) تراباً ؛ لننظر : هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله ولم يثبم إلى الصلاة .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال : أخبرني أبي
 قال : حدثني ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال : حدثني أبي قال : كنت أكلّم بشاراً وأردت
 عليه سوءاً مذهبه بميله إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلا ما عاينت أو عاينه معان ؛
 ١٥ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما أظن الأمر (٥) يا أبا مخلدٍ إلا كما يقال : إنه خذلان ؛
 ولذلك أقول :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « رقيقاً » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المحلى : العارض للجبش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبها
 مسلماً أو زنديقاً » .

(٣) النبوية : فرقة من الكفرة تزعم بائنية الإله ؛ إله للخير وهو النور ، وإله للشر وهو الظلمة ؛
 وانظر (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨-١٩٩) .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) « حوالى ثوبه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما أظن ما الأمر ... » .

[٤٤] هَوَايَ وَلَوْ خَيْرَتْ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا / طَبِعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرِ
و غُيِّبَ عَنِّي أَنْ أَنَالَ الْمُغَيَّبَا / أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ
فَأُمْسِي وَمَا أَعْتَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا / وَأَصْرَفْتُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرًا

قال الجاحظ : كان بشار صديقاً لو اصل بن عطاء الغزال قبل أن يظهر مذاهبه المكروهة ،

وكان بشار مدح واصل بن عطاء ، وذكر خطبته التي نزع منها الرأء^(١) ، وكانت على البديهة
فقال :

تَكَانَفَ التَّوَمُ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا / وَحَبَّرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطَبِ !
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بِدَاهْتُهُ / كَرَجَلِ التَّيْنِ لَمَّا حُفَّ بِاللَّهَبِ^(٢)
وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ / قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّابِ

١٠ ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء :

وَيَجْعَلُ الْبُرَّ قَمَحًا فِي تَكَلُّمِهِ / وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَنَمَّ يُقَلُّ مَطْرًا وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ / فَعَاذَ بِالغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطْرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف^(٣) به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال

بشار فيه :

١٥ مَالِي أَشَايِعُ غَزَاً لَهْ عُنُقِ / كِنْفَنِقِ الدَّوِّ إِنْ وُلِّيَ وَإِنْ مَثَلًا^(٤)
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ / تُكْفَرُونَ رِجَالًا أَوْ كُفَرُوا رِجَالًا^(٥)

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : (من نسخة) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين في الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لسكل حامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصياغ .

(٣) هتف به : فضحه ، والهتاف في الأصل الصياح .

(٤) النقفن بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والدواية : الفلاة .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « عنق ، نصب على الهمزة ؛ شبه واصلًا بالزرافة ، والزرافة : الحيوان

المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إياه عنق ؛ أي متتابعون . »

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك : أما لهذا الأعمى الملحد ! أما لهذا المشنّف المكتنى^(١) بأبي معاذٍ من يقتله ! أما والله لولا أنّ الغيلة سجيّةٌ من سجايا الغالية لدستتُ إليه من يبيع بطنه في جوف منزله على مضجعه ، أو في يوم حفله ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عُقيليّ أو سدّوسيّ ، فمدل واصل بن عطاء من الضرير إلى الأعمى ، ومن الكافر إلى الملحد ، ومن المرعث إلى المشنّف ، ومن بشار إلى أبي معاذ ، ومن الفراش إلى المضجع .

وزاد قوم فقالوا : ومن أرساتُ إلى دستت ، ومن يبقر إلى يبيع ، ومن داره إلى منزله ، ومن المغيرة^(٢) إلى الغالية / ، والأول أشبهُ بأن يكون مقصوداً ، وما ذكّرتُ^(٣) ثانياً قد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرء .

فأما قوله : « لا يتولّى ذلك إلا عُقيليّ »^(٤) أو سدّوسيّ »^(٥) فلأن بشاراً كان مولّى لهم ، وذكره بنى سدّوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقبُ بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه لقبُ بذلك لبيت قاله وهو :

قالَ رِيمٌ مُرَعَثٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرَ
لَسْتَ وَاللَّهِ قَاتِلِي^(٥) قُلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرَ

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوبٌ له جيبان : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، فكان إذا أراد لبسه يضمّه عليه ضمّاً ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبهه استرسال الجيبين وتدلّيهما بالرّعات ، وهي القرطّة ، فقيل : المرعث ، وقال أبو عبيدة : إنّما سمّي المرعث لأنه كان يلبس في صباه رِعائاً ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرّواة يُلحِقُه بمن تقدّم عصره عليه

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « المكتنى » .

(٢) المغيرة : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لخالد بن عبد الله

القسري ، وادعى النبوة لنفسه . (وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وما ذكر » .

(٤-٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « نائلي » .

من الجوّدين . وأخبرنا الرزبانيّ عن محمد بن يحيى الصولّي قال حدثنا محمد بن الحسين
اليشكريّ^(١) قال : قيل لأبي حاتم : مَنْ أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

ولها مَبْسِمٌ كغُرِّ الأَقاحي وَحَدِيثُ كالوشى وَشَى البرُودِ
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ القَا بٍ وَنَالَتْ زِيَادَةَ المُسْتَرِيدِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنِ لِقَائِي وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَا كُنَّ صَبْرَ الجَلِيدِ

- يعني بشاراً ؛ قال : وكان يقدّمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ^(٢)
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمٍ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّزْقِ وَالْمُودِ^(٣)
فبلغ ذلك المهديّ فوجد عليه ، وكان ذلك سبب قتله^(٤) .

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « محمد الحسن السكري » .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، في

الغزرى ١٦٠-١٦٣) . (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناي والموذ » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان حماد مجرد قال في بشار :

لَهُ مُقَلَّةٌ عَمِيَاءُ وَاسْتَبْصِيرَةٌ إِلَى الأَيْرِ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ تُشِيرُ

فقال بشار: - وكتب بها إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يَا أَبَا الفُضْلِ لَا تَنْمَ وَقَعَ الذُّبُّ فِي الغَنَمِ

إِنَّ حَمَادَ عَجْرَدٍ إِنْ رَأَى سَوْءَةً هَجَمَ

بَيْنَ فِخْذَيْهِ حَرْبَةٌ فِي غِلافٍ مِنَ الأَدَمِ

كَلَّمَا غَبَّتْ سَاعَةٌ مَجْمَعِ المِيمِ بالقَلَمِ

فقال العباس : مالي ولبشار ! اصرفوا حماداً عني ، فقال حماد : لقد فرق بيني وبين رزقي بشعره ،

وسوف أفرق بينه وبين حياته بشعر أ قوله ، فقال :

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُّوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدِ

ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمٍ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الرِّزْقِ وَالْمُودِ

ونسبها إلى بشار ، فبلغ ذلك المهديّ فقتله « وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ . (وانظر ترجمته ومراجعتها

في الشعر والشعراء : ٧٣٣-٧٣٦) .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ *

فَأَمَّا مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ الْكِنَانِيِّ^(١) فَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ [٤٥] عَنْ عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ / عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدَنِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْكَاتِبِ قَالَ أَخْبَرَنِي أُمِّي قَالَ: رَأَيْتُ بِنْتًا لِمَطِيعِ بْنِ إِيَّاسَ قَدْ أَتَى بِهَا فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ، فَأَقْرَتَ بِالزَّ نَدَقَةَ وَقَرَأَتْهَا وَتَابَتْ، وَقَالَتْ: هَذَا شَيْءٌ عَلِمْنِيهِ أَبِي، فَجَبَلَ الرَّشِيدُ تَوْبَتَهَا، وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا.

وقال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس أنه كان يرمى بالزَّ نَدَقَةَ، وروى أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته، فأقبلوا يقولون له: قل يا مطيع: لا إله إلا الله، فلا يقول حتى إذا صارت نفسه في^(٢) ثغرتَه كَرَّتْ نَفْسُ^(٢)، ثم أهوى إلى الكلام، فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فتكلم كلاماً ضعيفاً فتسمموا له، فإذا هو يقول:

كَلِّفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَتَبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ^(٣)

قال المرزباني: وهذا الحديث يرويه^(٤) المهيم بن عدى ليحيى بن زياد.

فَأَمَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادِ الْحَارِثِيِّ^(٥) فَهِيَ يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ

(١) انظر مطيع بن إياس وأخباره في (الأغانى ١٢-٧٥-١٠٥).

(٢-٢) ت، د، ف: « ثغرتَه نفس »، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « في ثغرة نحره

تنفس ». ط: « في ثغراته تنفس ».

(٣) الطلاء: الخمر.

(٤) حاشية ت (من نسخة): « رواه ».

(٥) انظر يحيى بن زياد في (معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٧-٤٩٨).

ابن الديان الحارثي الكوفي . وزيد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ، ويكنى يحيى
أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزُّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالظُّرف قالوا : هو أظرف من
الزُّنديق - يعنون يحيى - لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله :

* تَبِهَ مُعَنَّ وَظَرْفُ زَنْدِيقٍ * (١)

قال الصولي : وإنما قال ذلك لأن الزُّنديق لا يرعُ عن شيء (٢) ولا يمتنع مِن يدعي (٣)
إليه ، فنسبه إلى الظُّرف لمساعدته على كل شيء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد - وهو يوجد بنفسه - قل : لا إله إلا الله ، فقال :

* لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُبُطُ وَالْجَلَا جَلُ * (٤)

ثم أغمى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

* وَبَازِلٌ تَغْلَى بِهِ الْمَرَا جِلُ * (٥)

١٠

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد - وكانا جميعاً مرميين
بالخروج عن الملة :

يَا أَهْلَ بَكْوَا نَقَلْبِي الْقَرِحِ وَلِلدُّمُوعِ الْمَوَامِلِ السُّفْحِ (٦)
رَاحُوا بِيَحْيَى إِلَى مُغَيَّبَةٍ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التَّرَابِ وَالصَّفْحِ (٧)

(١) ديوانه : ٨٩ ، صدره :

* وَصَيْفٌ كَأْسٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ *

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : ورع ورع ورعا ، ورعة ، فهو ورع ؛ أي تقى » .

(٣) م : « لا يدع شيئاً » .

(٤) ت ، ش ، ف : « والحلاخل » ، د : « القرط والحلاخل » . والغبيط : الرجل ؛ وهو للنساء

يُشد على الهودج . وفي حاشيتي الأصل : « الغبيط : قتب يأخذ جميع ظهير البعير » .

(٥) البازل : البعير إذا كان في التاسعة ؛ سمي بذلك لأنه يزل نابه ؛ أي ينشق .

(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « السواكب » .

(٧) الصفح : جمع صفيحة ؛ وهي الحجارة العراض .

راحوأببجحي ولو تساعدني أ / أقدارُ لم يبتكر ولم يرح (١)
يا خير من يحسن البكائه — يومَ ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد / أدبل مكر وهنا من الفرح

[٤٥]
ظ

ولمطيع يرثيه :

انظرُ إلى الموت كيف بادته / والموتُ مقدامةً على البهم (٢)
لو قد تدبرت ما صنعت به / قرعت سنًا عليه من ندم
فأذهب بمن شئت إذ ذهب به / ما بعد يحيى للرزء من ألم

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ، ويقال إن أبا الهذيل
العلّاف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أي شيء تعزم يا صالح ؟ فقال : أستخير الله وأقول
١٠ بالاثنين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك !!

وروى أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة
فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهذيل هداك الله يا رجل / فأنت حقاً لعمري معضل جدل

وروى أنه رؤي يصلي صلاة تامة الركوع والسجود ، فقيل له : ما هذا ومذهبك
١٥ معروف ! قال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنه لما أراد المهدي قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال :
وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : أوتعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته ؟ قال :
لا ، قال : أفتقتاني على مالا تعرف ! قال : فإني أعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق
وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم يتكر ولم ترح » .

(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد البرد قال : ذكر بعض الرواة أن صالحاً لما نواظر فيما قذِف به من الزندقة بمحضرة المهديّ قال له المهديّ : ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه :

رُبَّ سِرٍّ كَتَمْتَهُ فَكأنِّي أَخْرَسْتُ أَوْ ثَنَيْتُ لِسَانِي خَبِلُ
/ ولو أنّي أبديتُ لِلنَّاسِ عِلْمِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

[٤٦]
و

قال صالح : فإني أتوب وأرجع ، فقال له المهديّ : هيهات ! ألسنت القائل :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ (١) كَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نَكْسِهِ (٢)

ثمّ قدّم قَتيل ، ويقال إنه صلبه على الجسر ببغداد .

ومن شعره (٣) وهو في الحبس :

١٠ خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْعَوْتَى
إِذَا دَخَلَ السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجِبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفَرَحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا (٤)

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أي عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه المقضوعة في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأديباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفي المحاسن والأضداد ٤٥-٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفي عيون الأخبار ١ : ٨١-٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة التزوييات : ٢٧ منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك في العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعها :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى وَفِي يَدِهِ كَشْفُ الْمَصْرَةِ وَالْبَلْوَى

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى الأحنف المعكبري وإن كان قريب اللفظ :

وَأَعْلَمُ فِي الْمَنَامِ بِكُلِّ خَيْرٍ فَأَصْبِحُ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي

وإن أبصرتُ شراً في منامي لقيتُ الشرَّ من قبل الأذانِ

فَإِنْ حَسَنْتُ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ
 وَإِنْ قَبَّحْتَ لَمْ تَحْتَبَسْ وَأَنْتَ عَجَلَى
 طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سِجْنٌ مُمْنَعٌ
 لَهُ حَارِسٌ تَهْدَا الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَا
 قَبْرَنَا وَلَمْ نُدْفَنْ فَنَحْنُ تِعْزَلٍ
 مِنَ النَّاسِ لَا نَخْشَى، فَنَفْشَى وَلَا نَفْشَى
 إِلَّا أَحَدٌ يَاوِي لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ
 مُتَمِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدين أدام الله علوه : وأظن أن ابن الجهم لاحظ قول صالح : « فَنَفْشَى وَلَا نَفْشَى ^(١) » في قوله يصف الحبس :

بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْفَدُ ^(٢)

وأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علي بن الخليل - وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وهو كوفي - متهماً بالزندقة ، فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة ، فاستتر طويلاً ، ثم قصد الرقة ^(٣) وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروي ^(٤) أنه لما قدم الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة ، حسن الخضاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن قراءة لها من غيري ، فأذن لي في قراءتها ، ففعل ، فقال : إني شيخ كبير ، ولا آمن [٤٦]
 ط

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضی الله عنه على أن قوله : « فَنَفْشَى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقم ، والبيت الذي ذكر أنه نظر إليه يدل على ذلك ؛ ومراد الشاعر غير هذا - والله أعلم ؛ وهو أن يكون « نفشى » منصوباً بإضمار أن بعد الغاء التي تجيء بعد النفي ، ويكون غشيان الناس إياهم منفيًا .

(٢) يحفد : يخدم ، وفي م : « يحمد » ، والبيت من قصيدة قلها في الحبس حين حبسه المتوكل ؛ وهي في ديوانه مره ٤ ، والمحاسن والأضداد ٤٣ ، وأولها :

قَالَتْ حُبِسْتُ فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيْ مُهَنْدٍ لَا يُعْمَدُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهي وطن ربعة الرقي الشاعر

المشهور .

(٤) الخبر في (الأغاني ١٣ : ١٣-١٤) .

الاضطراب إذا قت ، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس ففعلت ، فقال : اجلس ، فجلس ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْخُلِهِ
تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمِيهَا
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً
خَيْرُ الْخَلَائِفِ (٣) أَنْتَ كَمَا هُمْ
وَكَذَلِكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرَهُمْ
مِنْ عَضْبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمِيهَا
فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبَمَتِهِمْ
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فِرْعَ
مَازَاكَ إِلَّا أَنْتَى رَجُلٍ
بَقَرٍ أَوَانِسَ لَا قُرُونَ لَهَا
وَأَجَازِبُ الْفِتْيَانِ بَيْنَهُمْ
لِلْمَاءِ فِي حَافَاتِهَا حَبَبٌ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَيْتِنِهِ
نَجْبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ (١)
طَى التَّجَارِ عَمَامَ الْبِرْسِ (٢)
سَجَدَتْ لَوَجْهِكَ طَاعَةَ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
نَمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْمِي
أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ
كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْسِي
أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
يَقْتَنَانِ بِالتَّطْوِيلِ وَالْحَبْسِ
صَهْبَاءَ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ
نَظْمٌ كَطَى صَحَائِفِ الْفَرَسِ (٤)
مَا إِنْ أَضَعْتُ إِفَامَةَ الْخَمْسِ

٥

١٠

١٥

فقال له هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق ، قال : أنت أمين ، وكتب إلى محمدويه ألا يعرض له .

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه ، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البلية

(١) وخذت : أسرع ، ونجبت : جمع نجيب ، وهو وصف للنافاة الخفيفة السريعة ، والمهمه : البلد القفر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبب ؛ وهي الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجر : جمع تاجر ؛ كقولهم : صاحب وصحب وصحاب ، والبرس : القطن .

(٣) م : « الخلائق » .

(٤) حاشية الأصل : « ذكر س : الحباب طرائق الماء ، واخبب ما يعلو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمره فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملة من تفصيل .

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والمفادين للجهالة ، حسب ما سئلنا ، فنحن ننبعها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، ومُلحِ حكاياتهم ، ومستحسن ألفاظهم ، [٤٧] لِيُعْلَمَ الفرق بين من رَجَحَتْ / بِيَعْتُهُ ، وبين من خَسِرَتْ صَفْقَتُهُ ، فقد سئلنا أيضا ذلك .

٥ اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وخُطبه ، فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، ورؤي عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الغزير ، الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدم على ما يزيد ذكره شيئا مما روي عنهم في هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام (١) وهو يصف الله تعالى : « بمضادته (٢) بين الأشياء علم أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصدِّد (٣) بالحرور ؛ مؤلف بين متعادياتها (٤) ، مفرق بين متدانياتها » . ١٥

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ينصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له ؛ لأن لا يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التي تحيل أن يكون للموصوف بها ضد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الصدِّد : البرد ؛ وهو فارسي معرب ، يقال : يوم صرد وصدرد [بـسكرد]

الراء وفتحها] ، وصدرد الرجل [بكسر الراء] بصدرد صردا [بفتحها] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متباعداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ ؟ فقال : بما عرّفني به ، قيل : وكيف عرّفك ؟ فقال : « لا تشبّهه صورة ، ولا يُحسّ بالحواس الخمس ، ولا يقاس بقياس الناس ». وقيل له عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يرونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يرونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّك قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : **○** أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبي عبد الله الصادق^(١) عليه السلام أنه سأله محمد الحلبيّ فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربّه؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلّ جلاله فلا تدرّكه أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أسمعُ السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال : دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا^(٢) عليه السلام **١٠** فسأله^(٣) عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا رؤونا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلام ، ولمحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرضا عليه السلام : فمن المبلغ عن الله تعالى إلى الثقلين : الجنّ والإنس أنه لا تدرّكه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً ؟ قال بلى ، قال : فكيف يحيى ، رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم **١٥** إليه بأمره ، ويقول : لا تدرّكه الأبصار ، ولا يحيطون به علماً ، وليس كمثله شيء ، ثم يقول :

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ولد بالمدينة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقهما ، وقد ألف تلميذه جابر بن حباب الصوفي كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفى سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ (شذرات الذهب ١ : ٢٢٠) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثني عشر ، توفى بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المؤمنون ؛ ودفن بجانب الرشيد . (شذرات الذهب ٦ : ٦) . (٣) حاشية ت (من نسخة) : «فساء له» .

سأراه بعيني وأحيط به علماً؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر! قال أبو قرّة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزَلَ أَخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾؛ [النجم: ١٣، ١٤]، فقال عليه السلام: ما بعد هذه الآية يدلّ على ما رأى؛ حيث يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾؛ [النجم: ١١]، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى، فقال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾؛ [النجم: ١٨]، وآيات الله غير الله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾؛ [طه: ١١٠]، فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم. فقال أبو قرّة: فأكذب بالرؤية؟ فقال الرضا عليه السلام: إذن القرآن كذبها، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثل شيء.

١٠ وأتى أعرابيّ أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام^(١) فقال له: هل رأيت ربك حين^(٢) عبدته؟ فقال: لم أكن لأعبد شيئاً لم أره، فقال: كيف رأيتَه؟ فقال: لم تره الأبصارُ بمشاهدة العيان، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان؛ لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منموت بالعلامات، لا يجورُ في قضيتَه؛ هو الله الذي لا إله إلا هو. فقال الأعرابيّ: الله أعلم حيث يجعل رسالاته!

١٥ وروى أن شيخاً حضر صقيين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرنا يا أمير المؤمنين [٤٧] عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء من الله تعالى وقدّر؟ قال له: / نعم يا أخا أهل الشام، والذي فاق الحجة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطناً، ولا هبطنا وادياً، ولا علونا تلمعة إلا بقضاء من الله وقدّر، فقال الشاميّ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين، وما أظن أن لي أجراً في سعيي إذ كان الله قضاة عليّ وقدّره! فقال له عليه السلام: إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم؛ أحد الأئمة الاثني عشر؛ توفي

بيفداد سنة ٢٢٠؛ (شذرات الذهب ٢: ٤٨) .

(٢) ش: «حق» .

لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون ، وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا إليها مضطرين ، ولا عليها مجبرين .

فقال الشاميّ : وكيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا ، وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا ؟ فقال له عليه السلام : يا أبا أهل الشام ، لعلك ظننت قضاءً لازماً ، وقدراً حتماً ؛ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والمعاقب ، وسقط الوعد والوعيد ، والأمر من الله والنهي ، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء ، والمسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن ؛ تلك مقالة عبدة الأوثان ، وحزب الشيطان ، وخُصماء الرحمن ، وشهداء الزور ، وقدريّة هذه الأمة ومجوسها ؛ إن الله أمر عباده تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، وكأف يسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، ولم يُطع مكرهاً ، ولم يُعص مغلوباً ، ولم يكأف عسيراً ، ولم يرسل الأنبياء لعباً ، ولم ينزل السكتب إلى عباده عبثاً ، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً ؛ ذلك ظنّ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار !

قال الشاميّ : فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما ؟ قال : الأمر من الله بذلك والحكم ، ثم تلا : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الأحزاب : ٣٨] ، فقام الشاميّ فريحاً مسروراً لتسمع هذا المقال ، وقال : فرجت عن فرج الله عنك يا أمير المؤمنين ، وأنشأ يقول :

١٥ أنتَ الإمامَ الَّذِي نَرَجُو بِطَاعَتِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا^(١)
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا^(٢) مَا كَانَ مُلْتَبِسًا جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا^(٣)

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال : دخلت المدينة ، فرأيت أبا عبد الله [جعفر ابن علي]^(٤) عليه السلام ، فسلمت عليه ، وخرجت من عنده ، فرأيت^(٥) ابنه موسى^(٦) عليه السلام

(١) حاشية ف : « في رواية * يوم النشور من الرحمن رضوانا * » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أوضحت من ديننا » .

(٣) حاشية ف : « في رواية : جزاك ربك عنا فيه إحسانا * » .

(٤) تسكلة من ت . (٥) ت ، ش : « فأتيت » .

(٦) هو المعروف بموسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي سنة ١٨٣ ؛ (شذرات الذهب : ١ : ٣٠٤)

[٤٨] في دِهْلِيْزِهٖ، قَاعِدًا فِي مَكْتَبِهٖ، / وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ فَقَلَّتْ لَهُ : أَيْنَ يُحَدِّثُ (١) الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ (٢) عِنْدَكُمْ وَأَرَادَ ذَلِكَ ؟ فَظَنَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : يَتَجَنَّبُ شَطُوطَ الْأَنْهَارِ ، وَمَسَاقِطَ (٣) الثَّمَارِ ، وَأَفْنِيَةَ الدُّوْرِ ، وَالطَّرِيقَ النَّافِذَةَ ، وَالْمَسَاجِدَ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ نَبَّلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظُمَ فِي قَلْبِي . فَقَلَّتْ لَهُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَنْ الْمَعْصِيَةُ ؟ فَظَنَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا يَبْدَأُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا ؛ فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدَلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يُظْلِمَ عَبْدَهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ ؛ وَالْقَوِيُّ أَوْلَىٰ بِإِنْصَافِ عَبْدِهِ الضَّعِيفِ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوَجِبَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛ [آ ن ع مر ان : ٣٤] .

١٠ وقد نُظِمَ هَذَا الْمَعْنَى شِعْرًا فَقِيلَ :

لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي نُدْمُ لَهَا	إِحْدَى ثَلَاثِ خِلَالِ حِينِ نَأْتِيهَا
إِذَا تَفَرَّدَ بَارِينَا بِصَنْعَتِهَا	فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ نُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يَشْرُكُنَا فِيهَا فَيَلْحَقُهُ	مَا سَوْفَ يَلْحَقُنَا مِنْ لَأْمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلَهِي فِي جِنَائِبِهَا	ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا (٤)

١٥ وأحَدٌ مَنْ تَظَاهَرَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِالْقَوْلِ بِالْعَدْلِ ، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَسَارٌ ، مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ ، مَوْلَى بَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةَ ، مَمْلُوكَةٌ لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَيُقَالُ إِنْ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ الْحَسَنَ إِذَا بَكَى فَتَسَكَّتُهُ بِشِدَائِهَا .

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسِخَةٍ) : « يَضَعُ » .

(٢) م : « الرَّجُلِ » .

(٣) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسِخَةٍ) : « وَمَسَقِطٌ » .

(٤) فِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « زِيَادَةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ :

سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانَ شَالَ بِهِمْ أَهْمُ جَنَوَهَا أَمِ الرَّحْمَنِ جَانِبِهَا

فكان يَدِرُّ عليه ، فيقال إنَّ الحِكْمَةَ التي أوتِيها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسنُ من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصريحه بالعدل ما رواه عليُّ بن الجعد^(١) قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعَمَ أَنَّ المعاصيَ من الله عز وجلّ جاء يوم القيامة مسودًّا وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر : ٦٠] . وقال داود بن أبي هند : سمعت الحسن يقول : كلُّ شيء بقضاء وقدر^(٢) إلا المعاصي . [٤٨]
ظ

وكان الحسنُ بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العالم . وجميعُ كلامه في الوعظ وذم الدنيا أو جلّه مأخوذٌ لفظاً ومعنى ، أو معنًى دون لفظ ؛ من كلام أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، فهو القدوة والغاية^(٣) .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شيثان أحدهما مأخوذٌ من الآخر ، أحدهما أكثر شيء في الدنيا ، والآخر أقلُّ شيء في الدنيا : العيب والاعتبار » .

وقوله عليه السلام : « مثَلُ الدنيا والآخرة ، مثلُ المشرق والمغرب ، متى ازدادت من أحدهما قرباً ، ازدادت من الآخر بُعداً » .

وقوله : « شتان بين عمليْن : عملٌ تذهب لذّته ، وتبقى تبيّته ، وعملٌ تذهب مؤنته ويبقى أجره » .

١٥

وقوله في وصف الدنيا : « ما أصِف من دارٍ أولها عناء ، وآخرها فناء ، في حالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، مَنْ صحَّ فيها أمين^(٤) ، ومَنْ فرط فيها ندم ، ومن استغنى

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « علي بن الجعد لم يلبى الحسن ؛ فإن علياً مات سنة ثلاثين ومائتين ، والحسن مات سنة عشرين ومائة ، وولد علي بن الجعد سنة أربع وثلاثين ومائة . قال القتيبي : علي بن الجعد سولي أم سلمة المخزومية ، امرأة أبي العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بقضاء الله وقدره » . (٣) ت : « فهو في ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صحَّ فيها أمين ، يعني أن الإنسان إذا صحَّ جسمه أمن الأحوال الدنيوية

والآخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فِتْنٌ ، وَمَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزَنٌ .
 وقوله في كلام له : « فَيَأْيُهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا ، وَالْمَعْتَلُّ ^(١) بِفِرْوَرِهَا ، مَتَى اسْتَدَمَّتْ ^(٢) إِلَيْكَ ؟
 بَلْ مَتَى غَرَّكَ ؟ أَمْضِاجُ آبَائِكَ مِنَ الثَّرَى ؟ أَمْ بِمَنْزِلِ أُمَّهَاتِكَ مِنَ الْبِلَى ؟ كَمْ مَرَّضَتْ
 بِكَفِّكَ ؟ وَكَمْ عَالَجَتْ بِيَدَيْكَ ؟ تَبْتَغِي لَهُمُ الشِّفَاءَ ، وَتَسْتَوْصِفُ لَهُمُ الْأَطْبَاءَ ؛ مَثَلَتْ لَكَ بِهِمُ
 الدُّنْيَا نَفْسَكَ ، وَبِمَصْرَعِهِمْ مَصْرَعَكَ . »

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وهذا باب إن وإجناه اغترفنا من ثبج ^(٣)
 بحر زاخر ، أو شؤبوب ^(٤) غمامٍ ماظر ؛ وكلُّ قولٍ في هذا الباب لقائل إذا أُضِيفَ إليه ،
 أو قويسَ به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة ^(٥) ، أو الحصاة إلى الحجرة ^(٦) ، وإنما أشرنا
 إليه إشارة ، وأوماناً إليه إيماء ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

١٠ روى أن أعرابياً سمع كلامَ الحسن البصرى فقال : المؤمن فصيح إذا لفظ ، نصيح
 إذا وعظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ثم قال : « إِنَّ قَوْمًا غَدَّوْا فِي الْمَطَارِفِ ^(٧) الْعِتَاقَ ، وَالْعَمَامَ
 الرَّاقِقَ ، يَطْلُبُونَ الْإِمَارَاتَ ، وَيَضِيْعُونَ الْأَمَانَاتَ ، يَتَعَرَّضُونَ لِلْبَلَاءِ وَهُمْ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ ؛ حَتَّى
 إِذَا أَخَافُوا مَنْ فَوْقَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِفَّةِ ، وَظَلَمُوا مَنْ تَحْتَهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ أَهْزَلُوا ^(٨) دِينَهُمْ
 [٤٩] وَأَسْمَنُوا بَرَادِيَهُمْ ، وَوَسَّعُوا دَوْرَهُمْ ، وَضَيَّقُوا قُبُورَهُمْ ؛ أَلَمْ تَرَهُمْ قَدْ جَدَّدُوا / الشِّيَابَ
 و

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « للغتر » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استدمت ، أى فعلت ما نلام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو معظمه . (٤) الشؤبوب : الدفعة من الطر .

(٥) الغمرة : الماء الكبير الذى يفمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جم مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هزلوا » .

وأخلقوا الدين، يتسكى أحدهم على شماله، فيأكل من غير ماله؛ طعامه غصب،
وخدمه سُخْرَةٌ؛ يدعو بخلو بعد حامض، وبجازٍ بعد بارد، ورطب^(١) بعد يابس؛ حتى
إذا أخذته الكِظَّة، تجشأ من البشم، ثم قال: يا جارية، هاتي حاطوماً (يعنى هاضوما)
يهضم الطعام؛ يا أحميق! لا والله لن تهضم إلا دينك، أين جارك! أين يتيئك!
أين مسكينك! أين ما أوصاك الله عز وجل به! » .

وذكر يوماً الحجاج فقال: «أنا أعيّش أخيفش، له جيممة يرجلها، وأخرج
إلينا بنانا قصاراً، والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله، فقال: بايعوني، فبايعناه، ثم رقى
هذه الأعواد ينظر إلينا بالتصغير، وننظر إليه بالتعظيم؛ يأمرنا بالمعروف ويحنتبه، وبنهانا
عن المنكر ويرتكبه.» .

وروى عيسى بن عمر قال: قال الحسن: «إن هذه القلوب طلعة^(٢) فأقدعوها، ١٥
فإنكم إن تطيعوها تنزع بكم إلى شرٍّ غاية، وحادثوا هذه النفوس، فإنها سريرة الدثور.» .
قال عيسى بن عمر: تحدث بذلك أبو عمرو بن العلاء، فعجب من فصاحته .
وكان يقول في بعض كلامه: «ما يشاء أن ترى أحدهم أبيض بضاً، يملخ في الباطل
ملخاً، ينفض مذرّويه ويقول: هأنذا فاعرفوني.» .

قال: فالبيض، هو الرخص اللحم، وليس هو من البياض على ما يظنه قوم؛ لأنه ١٥
قد تكون الرخصة مع الأدمة. وأما قوله « يملخ » فإن المَلخ هو التثني والتكسر، يقال
ملخ الفرس إذا لعب^(٣)؛ قال رؤبة يصف الحمار:

* مُعَزِّمُ التَّجْلِيحِ مَلَاخُ الْمَلَقِ^(٤) *

(١) ف، ونسخة بحاشيتي ت، ف: « ورطب » .

(٢) الطلعة: الكثيرة الطلع إلى الشيء؛ أي أنها كثيرة الميل إلى هواها تشبهه حتى تهلك صاحبها،
قال في اللسان: « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام، وهو بمعناه، والمعروف الأول » .

(٣) في اللسان (ملخ) وحاشيتي ت، ف: « يملخ في الباطل ملخاً؛ أي يمر فيه مرا سريعاً » .

(٤) الاعتزاز: النضى على جهة واحدة، والتجليح: شدة الإقدام، والملق: المستوى من الأرض. =

والمذروان^(١) : فرعا الأليتين : قال عنتره :

أَحْوَى^(٢) تَنْفُضُ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلَنِي فَهَانَذَا نُعْمَارَا

هذا قول أبو عبيد ؛ وقال ابن قتيبة ردًّا عليه : ليس المذروان فرعى الأليتين حسب ؛

بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أضدرية ، ويضرب عطفية ،

وينفض مذروية ، وهما منكباه . وذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ فَصْحَاءِ الْعَرَبِ يَقُولُ : قَنَّعَ

الشَّيْبَ مِذْرَوِيَهُ ، يَرِيدُ جَانِبِي رَأْسِهِ ، وَهِيَ فَوْدَاهُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا يَذْرِيَانِ ؛ أَيْ

== وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : وقوله :

* إِذَا تَنَلَّاهُنَّ صَالِصَالُ الصَّعَقُ *

— أى تلا الحمار الأذن ، والصلصال : المصوت ، والضعق : شدة الصوت ؛ وحار صعق : شديد

الصوت ؛ وبعده :

* يَرِمِي الْجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مَدَقِّ *

والبيت من أرجوزته التي مطلعها :

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمُخْتَرِقِ *

وهي في (ديوانه ١٠٤-١٠٨) ، وأبيات منها مشروحة في (الخرزانه ١ : ٣٨-٤٤) .

(١) حاشية ف : «قوله المذروان ؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمثنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما

يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذريران ؛ لأن الواو إذ وقعت رابعة فصامدا قلبت ياء قياسا

على «مغزيران» ، ألا ترى إلى المذرى الذى يميز به الضعاع إذ انثى يقال «مذريران» ؛ فقولته : «مذروان» لأطراف

الأليتين ، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية ، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور .

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : «أنحوى» ، وهو يخاطب عمارة بن زياد العيسى

وكان بلغه أنه يقول لقومه : قد أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقينته خاليا حتى يعلم أنه

عبد ؛ وبعده :

مَسَى مَا تَلَقَّنِي فَرْدَيْنِ تَرَجُفُ رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

وازروانف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة فى (حماسة ابن الشجرى : ٨ ، واللالى ٤٨٣ ، والخرزانه

يَشِيْبَان ، وَالذَّرَى وَالذَّرْوَةَ^(١) الشَّيْب ، قَالَ : وَهَذَا أَصْلُ الْحَرْفِ ، ثُمَّ اسْتَمِيرَ لِلْمُنْكَبِينَ ، وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالطَّرْفَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهَدَلِيُّ يَذْكُرُ قَوْسًا :

عَلَى عَجَسٍ هَتَّافَةِ الْمَذْرُويْنَ زَوْرَاءَ مُضَجَّعَةٍ فِي الشَّمَالِ^(٢)

أَرَادَ قَوْسًا يَنْبِضُ^(٣) طَرَفَاهَا . قَالَ : فَلَا مَعْنَى لِمُوصَفِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بِأَنَّهُ

يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَلَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَبْدُخُ^(٤) وَيَتِيهِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ : هَانَذَا فَاعْرَفُونِي أَنْ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يَضْرِبُ عِظْفَيْهِ ، وَهَذَا مِمَّا يُوَصَّفُ بِهِ الْمَرِيحُ الْمُخْتَالُ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : جَاءَنَا يَنْفُضُ مِذْرُويَهُ ، إِذَا تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، لِأَنَّهُ إِذْ تَكَلَّمَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَفَضَ قُرُونَهُ فَوَدَّيَهُ ، وَهِيَ مِذْرُوَاهُ .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الْأَجَلُ الْمُرْتَضَى أَدَامَ اللَّهُ عُلُوْدَهُ : لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِعَبِيدٍ ،

لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الَّذِي يُزْهِى بِنَفْسِهِ أَنْ يَهْتَزَّ وَيَتَشَتَّى ، فَتَتَحَرَّكُ أَعْطَافُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ؛ وَمِذْرُوَاهُ ١٠ مِنْ جَمَلَةٍ مَا يَهْتَزُّ وَيَتَحَرَّكُ ، لِأَنَّهُمَا بَارِزَانِ مِنْ جِسْمِهِ ، فَيُظْهِرُ فِيهِمَا الْإِهْتِرَازَ ، وَإِنَّمَا حُصِّىَ الْمِذْرُوَانِ^(٥) بِالذِّكْرِ مَعَ أَنْ غَيْرَهُمَا يَتَحَرَّكُ أَيْضًا ، عَلَى طَرِيقِ التَّقْبِيحِ عَلَى هَذَا الْمُخْتَالِ وَالتَّهْجِيحِ لِفِعْلِهِ . وَقَوْلُ ابْنِ قَتَيْبَةَ لَيْسَ مِنْ شَأْنِ مَنْ يَبْدُخُ أَنْ يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الْبَدَّخُ الْإِهْتِرَازُ وَتَحْرِيكُ الْأَعْطَافِ ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا يَلْزِمُهُ فِيمَا قَالَهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ

(١) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ قَتَيْبَةَ كَيْفَ خَلَطَ الْمَهْمُوزَ بِالْمَعْتَلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الذَّرَأُ بِالْمُهْمُوزِ شَيْبٌ مَقْدَمُ الرَّأْسِ ، وَقَدْ ذَرَى يَذْرَأُ ، وَرَجُلٌ أَذْرَأُ وَامْرَأَةٌ ذَرَاءٌ ؛ وَهِيَ الذَّرْعَةُ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي إِسْلَاحِ غُلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ . وَفِي حَاشِيَةِ فٍ أَيْضًا : « الذَّرَأُ : هُوَ شَيْبٌ مَقْدَمُ الرَّأْسِ ؛ وَهُوَ مَهْمُوزٌ لِغَيْرِهِ ، وَأَصْلُ الْمَذْرُوبِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرُورِ الرَّيْحِ ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الشَّيْبِ كَانَ فِرَاءً ، مَهْمُوزًا ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّرْعَةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْبُ لَكَانَ مِذْرَأَيْنِ » .

(٢) دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٢ : ١٨٥ . وَالْعَجَسُ : مَقْبُضُ الْقَوْسِ ، وَهَتَّافَةُ الْمَذْرُوبِينَ ؛ أَيُّ لَطْرَفِيهَا صَوْتُ نَفِضٍ ، وَزَوْرَاءُ : مَعْوِجَةٌ .

(٣) الْإِنْبَاضُ : النَّصْوِيْتُ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَبْدُخُ » .

(٥) ش : « حُصِّىَ الْمَذْرُوبِينَ » .

من شأن كل متوعد أن يحرك رأسه ، وَيَنْفُضُ مَذْرُوبَهُ ؛ فإذا قال : إن ذلك في الأكثر قيل له مثله .

وكان الحسن يقول : « يا ابن آدم ، جَمْعًا جَمًّا ، سَرَطًا سَرَطًا^(١) ، جَمْعًا في وعاء ، وشدًّا في وكاء ، وركوبَ الذَّلُولِ ، ولبسَ اللَّيِّنِ ؛ حتى قيل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابه » .

وكان يقول : « مسكين^(٢) ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العليل ؛ أسير جوع ، صريع شبيح ، إنَّ مَنْ تَوَلَّمَهُ البَقَّةُ ، وتقتله الشَّرْقَةُ ، لبادي الضَّعْفِ ، فريسة الحنف » .
وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نخذ من فنائك الذي ١٠ لا يبقى ، لبقائك الذي لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلا ينافس في الدنيا فنافس في الآخرة » . وسأله رجل : ما حالك ؟ فقال : بأشدَّ حال ، ما حال مَنْ أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدرى ما يفعل الله به !! .

[٥٠] / وكان يقول : « ابن آدم ، بُسِطَتْ لك صحيفة ، ووَكَّلَ بك ملكان كريمان ، يكتبان عملك ١٥ فأثِّل ما شئت ، وأكثر وأقلل » . وفي خبر آخر : « ووَكَّلَ بك ملكان كريمان ، ريقك مدادها ، ولسانك قلمها » .

روى أبو بكر الهذلي قال : لما وفد^(٣) عمرُ بن هبيرة والياً على العراق نزل واسطا ، فبعث

(١) السرط : البلع .

(٢) حواشي الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكينُ ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لانتفاء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، وقول الشاعر :

عمرُو الَّذِي هَشَمَ التَّريِدَ لقومه ورجالُ مَكَّةَ مَسْنِتُونَ عِجَافُ

(٣) من نسخة محاشيتي الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبي وإلى الحسن البصري ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عَبْدُ اللَّهِ أَخَذَ اللَّهَ مِيثَاقَهُ ،
وانتجبه لخلافته ، وقد أخذ بنواصينا ، وأعطينا عهدنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا ، فوجب علينا
السمع والطاعة ، وإنه بمثنى إلى عراقكم غير سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا في القوم
نقتلهم ، وفي الضياع نقبضها ، أو في الدور نهديمها ، فنوئيه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟
فأما الشعبي فقال قولاً فيه بعض الدين ؛ وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إني أتباك عن
الله أن تتعرض له ، فإن الله ما نعتك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل
إليك ^(١) ملك من السماء ، فيستنزلك من سريرك ، ويُخْرِجُكَ من سَمَةِ قَصْرِكَ إلى ضيق
قبرك ؛ ثم لا يوسعه عليك إلا عملك ، إن هذا السلطان إنما جعل ناصرًا لدين الله ، فلا تركبوا
دين الله وعباد الله بسلطان الله تُدَلُّوْهُمْ بِهِ ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعزّ .
وذكر عن الشعبي أنه قال : كان والله الحسنُ أكرمنا عليه .

وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسامة بن عبد الملك للحسن : عِظْنِي فقال : إذا
نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به ، فقال : عظني ، فقال : أوليت قط ؟ فقال : نعم ، قال :
فأكنت تحب أن يؤتى إليك فإنه إلى من وريته .

وعن ثابت البناني قال : قال رجل للحسن : آخذ عطائي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم
يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ! فإن القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة . ١٥
وولد للحسن غلام ، فنهأه بعض أصحابه ، فقال الحسن : « نحمد الله على هيبته ، ونستريده من
نمسه ، ولا مرجبا بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وإن كنت فقيراً أتعبنى ؛ لا أرضى بسعيي
له سميّاً ، ولا بكدي له في الحياة كدّاً ، أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتي ، وأنا في حال
لا يصل إليّ / من همّه حزن ، ولا من فرحه سرور » .

[٥٠]
ظ

وكان الحسن يقول : « لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب خلق الله إلى الله
فأفسده ، لكان ينبغي للماقل أن يتركه » - يعني العقل .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أن يرسل عليك ملكا » .

وعزى جأراً له يهودياً فقال: «جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلَّتِكَ». وهذا تخاضع منه مליح، لأنه لم يدع له بالثواب الذى لا يستحقه الكفار، وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب.

وكان الحسن يقول: «ليس للفاسق المعين بالفسق غيبة، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة، ولا للسلطان الجائر غيبة» .

وقال فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال العلم، ﴿ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة : ٢٠١] قال: الجنة .

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح، فقال له رجل: أما ترى يا أباسعيد هذا؟ وهم الرجل بالرجوع، فقال له الحسن: إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك. وذكرت عنده الدنيا فقال:

أحلامٌ نومٍ أو كظلمٍ زائلٍ إنَّ اللَّيْبَ بِمَثَلِهَا لَا يُخْدَعُ
وكان يتمثل:

اليومَ عِنْدَكَ دَلَّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لِنَعِيرِكَ كَفَّهَا وَالْعِصْمُ (١)

وعن أبى عبيدة قال: لما فرغ الحجاج من خضراء (٢) واسط نادى فى الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة، فخرج الناس، وخرج الحسن، فاجتمع عليه الناس، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه، فرجع وهو يقول: قد نظرنا يا أخبث الأخبثين، وأفسق الفاسقين!

(١) حاشية ف: « قبله:

لَا تَأْمَنَنَّ أَنِّي حَيَاتِكَ وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ النِّسَاءَ وَمَا لِهِنَّ مُقَسَّمٌ

وبعده:

كالبيت يُصْبِحُ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ وَيَحِلُّ بِعَدِّكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

(٢) حاشية الأصل: « خضراء واسط: بنية كان ابتناها الحجاج »، وفى م: « قصر واسط

فأما أهلُ السماءِ فمقتوك ، وأما أهلُ الأرضِ ففرثوك ، ثم قال : أبى الله تعالى للميثاق الذى أخذهُ على أهلِ العلمِ لِيُبَيِّنَنَّه للناسِ ولا يَكْتُمُونَهُ . ثم انصرف وبلغ الحجاجَ ذلك فقال : يا أهلَ الشامِ وهم حوله : اللهُ (١) ليقومَنَّ (٢) عبيد من عبيد أهلِ البصرة ، ويتكلم فى بما يتكلم ، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : ومن ذاك أصلحك الله ! استقنا دمَه ، فقال : علىَّ به ، وأمر بالنطع والسيف فأحضرا ، ووجه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، ٥
حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجاسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول فى علىَّ وعثمان ؟ قال : أقول قولَ مَنْ هو خير منى عند مَنْ هو شرٌّ منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ ؛ [منه : ٥١ - ٥٢] ؛ عَلِمُ علىَّ وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية فغلل بها لحيته ، فلما خرج ١٠
الحسن أتبعه الحاجب ، فقال : يا أبا سعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السيف والنطع ، فلما أقبلت رأيتك قد حرّكت شفتيك بشيء ، فما قلت ؟ قال : قلت يا معدتى عند كُرْبَتِي ، ويا صاحبي عند شدتى ، ويا ولى نعمتى ، ويا إلهى وإله آبائى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقنى مودّته ، واصرف عني أذاه ومعرفته ؛ ففعل ربي عز وجل ذلك .

١٥

وكان الحسن يقول : ما زال النفاق مقموعا حتى عمّم هذا عمامة ؛ وقد سيفاً .
- يعنى الحجاج .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « هم كثيرا ما يتصرفون فى القسم ؛ وذلك لكثرة تردده فى كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمري ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجر ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك الله ، وهائه . »

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لا بد من النون فى صفة اللام فى جواب القسم ؛ وحذفها ضعيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبغى أن يكون مؤكدا . »

وروى أبو بكر الهذلي أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنك تُبغض علياً عليه السلام، فأكب بيكي طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقتكم بالأمس رجلٌ كان سهماً من مراى ربنا عز وجل على عدوه، رباني هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالغافل عن حق الله، ولا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمها فيما له وعليه، فأشرف منها على رياضٍ موقنة، وأعلام بينة، ذلك ابن أبي طالب يا لكع! وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.

وشهد الحسن جنازة فقال: إن أمراً هذا^(١) آخره لينبئني أن يزهد فيه، وإن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه^(٢). وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكنت السفير بينهما - فرضيه، وأراد أن يزوجه فأثنت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إن له خمسين ألفاً، قال: أقات له خمسون ألفاً! ما اجتمعت من حلال - قالت: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لورع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضن بها عن حق! لا يجري بيني وبينه صهرٌ أبداً.

وقيل لعلي بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ وإنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقصّ عند الحجير فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فله في أرضه مماذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التطواف^(٣).

(١-١) م: « إن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه، وإن أمراً هذا آخره لينبئني أن يزهد فيه »

(٢) كذا في الأصل، ت، ج، ش، ف، وفي نسخة بحاشيتي ت، ف: « الطواف ».

وكانت وفاة الحسن البصري سنة ١١٠؛ (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ١٢٨-١٢٩)

مَجْلِسُ آخِرٍ

وَمَنْ تَظَاهَرَ بِالْمَدْلِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَّالِ ، وَيَكْنَى أَبُو حُدَيْفَةَ ، وَقِيلَ :
إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي مَخْزُومٍ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَزَّالًا ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ الْجُلُوسَ فِي الْغَزَّالِينَ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي الْغَزَّالِينَ عِنْدَ رَضِيحٍ لَهُ يَعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَّالِ . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ :
أَنَّ^(١) وَاصِلًا كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَّالِينَ ، لِيَعْرِفَ الْمُتَعَفِّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَيَصْرِفُ صَدَقَتَهُ إِلَيْهِنَّ^(٢) ،
وَلَقَّبَ بِذَلِكَ كَمَا لَقَّبَ أَبُو سَلَمَةَ حَفْصُ بْنُ سَلِيمَانَ بِالْخَلَّالِ ، وَهُوَ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٣) السَّفَّاحِ ،
وَلَمْ يَكُنْ خَلَّالًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنْزِلُهُ بِالْكَوْفَةِ بِقَرْبِ الْخَلَّالِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ فَسُمِيَ خَلَّالًا ،
وَمِثْلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَرَمَازِيُّ^(٤) ، وَهُوَ مَوْلَى لِبَنِي هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي
بَنِي الْحَرَمَازِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدِ الْخُوَزِيِّ ، وَبَنِي بَخُوَزِيٍّ ، وَلَسَكُنْهُ كَانَ يَنْزِلُ^(٥) بِمَكَّةَ
بِشُعْبِ الْخُوَزِ ، وَأَبُو سَعِيدِ الْمُتَبَرِّئِيِّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ^(٦) الْمَقَابِرَ .

١٠

وَكَانَ وَاصِلٌ أَلْفَخَ فِي الرَّاءِ ، قَبِيحُ اللَّشْفَةِ ؛ (٧) فَكَانَ يَخْلُصُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّاءَ^(٧) ، يَمْدِلُ
عِنْدَهَا فِي سَائِرِ مَحَاوِرَاتِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ بَشَّارِ بْنِ بَرْدٍ^(٨) .

(١) انظر السكامل بشرح المرصفي ٧ : ١١٤ . (٢) في السكامل : « فيجعل صدقه لهن » .

(٣) حراشي الأصل ، ت ، ف : « أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال هو الذي قيل فيه :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَأَكَ كَانَ وَزِيرًا

إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَبَيَّنُ وَرَبَّمَا كَانَ السُّرُورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيدًا

وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . » وَانظر أخباره في الفخرى : ١٣٣ .

(٤) هو أبو علي الحسن بن علي الحرمازي ؛ أعرابي راوية ، وكان أيضا شاعرا ، والحرماز : أبو حنيفة بن تميم ؛ وهو الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم ؛ (وانظر الفهرست : ٤٨) .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « منزله » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « ينزل بالمقابر » .

(٧-٧) حاشية ت (من نسخة) : « فكان يخلص كلامه من الراء » .

(٨) انظر ص ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعي المتكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلم السائل بشيء أغضب عمرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يرُضه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، [٥٢] وله في تضاعيفها همزة^(١) ، وقد أوجب الله جلّ وعز على نبيه / عليه السلام أن يستعيد من هزات الشيطان ، وأن يكونوا معه بقوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ٩٧] ؛ إلى خاتمة الآية ،^(٢) وقلما شاهدتُ أحداً أجاب فتثبت في جوابه^(٣) ،^(٤) وما يُطلق به لسانه^(٥) فالحقّه لوم .

قال البرذعي : انظر إلى واصل كيف كلمَ عمرًا ، فأخرج الرّاء من كلامه ، فقال في موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل : « أمره » . وقال : « وأن يكونوا معه » بدلا من قوله . « ويحضره » ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعي أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرّاء أيضا ، لأن أولها : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ ولولا قصدُهُ إلى العدول لكان ذكرُها واجبا من ابتدائها^(٦) ؛ لاسيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية ١٥ دعائه والاستمادة به .

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرج الفرس ؟ قال : ألبس الجواد . وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رحله ، قال : استوى على جواده ؛ وسحب عامله .

وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلًا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ٢٠ ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .

(٢-٢) نسخة بحاشية ت : « وقلما شاهدتُ أحداً أجاب فتثبت في جوابه » .

(٣-٣) من نسخة بحاشية الأصل ، ت : « وما ينطلق به لسانه » .

(٤) ش : « من حيث ابتدأ بها » .

وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه ، وأخذ عنه ، وقال قوم: إنه لقي أباه محمداً عليه السلام، وذلك غلط؛ لأن محمداً توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ، وواصل وُلد في سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبار من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تسميهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين .

وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجمّع بينه وبين واصل لينظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما ووقفوا على الاجتماع ذكر أن واصل أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حنقة الحسن ، وفيها عمرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل ، وكان / في عنقه [٥٢] طول واعوجاج قال : أرى عنقاً لا يفلح صاحبها ! فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له : يابن أخي ، إن من عاب الصنعة عاب الصانع ، لتعلق الذي بين الصانع والمصنوع ^(١) ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حذيفة ، قد وعظت فأحسنت ، ولن أعود إلى مثل الذي كان مني .

وجلس واصل في الحلقة ، وسئل أن يكلم عمراً فقال واصل لعمرو : لِمَ قات إن من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو : لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النوبة : ٦٧] ، فكان كل فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ؛ فقال له واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وأجمع أهل العلم على أن صاحب ٢٠

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « بين الصنعة والصانع » . ومن نسخة بحاشية ت أيضا :

« بين الصنعة والصانع » .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق ؛ فالألا كفتت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٥٤] ، فعرّف بألف ولام التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، كما قال في القاذف : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ، فسميته منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ النّٰفِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : يا أبا عثمان ؛ أيما أولى أن يُستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا ؛ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلف فيه ؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى ، فقال له واصل : ألسنت تجدُّ أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً ، والشيعية تسميه كافر نعمة فاسقاً ! — قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : يعنى بالشيعية الزيدية^(١) — والحسنُ يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة^(٢) تسميه مؤمناً فاسقاً ؛ فاجتمعوا على تسميته بالفاسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفاسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمنٌ ولا منافقٌ ، ولا مشركٌ ولا كافر نعمة^(٣) ، فهذا أشبهُ بأهل الدين .

١٥ فقال له عمرو بن عُبيد : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقولُ قولك ، فليشهد عليَّ من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه ؛ من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والسليمانية ، والإبترية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ في أيام خروجه في زمان هشام بن عبد الملك ؛ (وانظر الفرق بين الفرق : ١٦ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١) .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « المرجئة في القديم غير الذين لا يؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كانوا يؤخرون علماً عليه السلام عن غيره من الصغابة ؛ والإرجاء : التأخير » .

وانظر (الفرق بين الفرق ١٩ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبي حُدَيْفَةَ في ذلك ، وأنى قد اعتزلت مذهبَ الحسن في هذا الباب . فاستحسنَ الناس هذا من عمرو .

وقيل إن اسمَ الاعتزال إنما اختصَّت به ^(١) هذه الفرقة لاعتزالهم مذهبَ الحسن بن أبي الحسن في تسمية مُرتكبِ الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحسكى غير ذلك .

وقيل إن قَتَادَةَ بَعْدَموتِ الحسنِ البصرى كان جَلَسَ مَجَاسِه ، وكان هو وعمرو بن عُبيد • جميعاً رئيسين متقدمين ^(٢) في أصحاب الحسن ، فجرت بينهما نَفَرَةٌ ، فاعتزل عمرو مجلس قَتَادَةَ ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قَتَادَةَ إذا جالس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلتِ المعتزلة ؟ فسمُّوا بذلك .

قال سيدنا الشريف المرتضى ذوالمجددين أدام الله علوه : أما ما أُلزِمَه واصل بن عطاء ^(٣) لعمرو بن عبيد أولاً فسيدياً لازم ^(٤) ، وأما ما كَلَّمَه به ثانياً فغير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمَّى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجودُ الإجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته ، فليس فقدُه دليلاً على فساده ؛ وواصل إنما أُلزمَ عمراً أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقصرَ على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لزم ما ذكره للزمه أن يقال : قد انفق أهلُ الصلاة على استحقات صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذمَّ ١٥ والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحق به ، فيجب القول بما اتفقوا عليه ، ونفى ما اختلفوا فيه . فإذا قيل استحقاقه ^(٥) للخلود ، أو فعل المستحق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

(١) ت : « إنما اختص » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « مقدمين » .

(٣) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « عمرو بن عبيد » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « واجب » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « استحقات الخلود » .

[٥٣] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه ، وبطل على / كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا ينتقض بمسائل كثيرة ذكرها ^ط يطول .

• على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف في الموضوع الذي كلف عليه واصل عمراً في مكانين ؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالفسق ، والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا تعارض بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع في موضعه ، ويعوّل فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحتى أن واصلاً كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ، ثم يعملوا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرفه نفسه ، ثم قال : ﴿ اخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ؛ [طه : ١٢] ، فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالصَّابِرِينَ إِنّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ - يعني صدقوا - ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ علموا وعملوا وعلموا .

وروى المبرّد قال : حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رُقّةٍ فأحسّوا بالخوارج ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرُقّة : إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الخوارج له : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ، وقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلمونا أحكامه ، فجمعوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ؛ قال لهم : ليس ذلك لكم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَا مُنَنَّهُ ﴾ ؛ [النبوة : ١] ، فأبلغونا ما مننا ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمان ^(١) .

وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كأننا ممن دعاها^(١) واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة^(٢) .

وحكى أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد : كلَّ خصالك محمودة يا بني إلا قولك بالقدَر ، قال : يا أبته ، أفشى أقدر على تركه / (٣) أو لا أقدر على تركه^(٤) ؟ فورد الكلام على رجل [٥٤] عاقل فقال : لا عابثك عليه أبدا . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي ، وإن كنت لا أقدر فلم تُمتا تبنى على شيء لا أقدر عليه .

* * *

فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان ، مولى لبني العدوية ، من بني تميم ، قال الجاحظ : هو عمرو بن عبيد بن باب . وباب نفسه من سبى كأبل ؛ من سبى عبد الرحمن بن سمرة ، وكان باب مولى لبني العدوية قال : وكان أبوه عبيد شريطاً ، وكان عمرو منزهداً ، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خير الناس ، فيقول عبيد : صدقتم؟ هذا إبراهيم ، وأنا تاريخ .

قال علي بن الجعد : وهو عبيد بن باب ، وكان بوّاباً للحكم بن أيوب ، قال : وكان باب مُكاريهاً ، له دكان معروف يقال له دكان باب ، وكان فارسياً ، وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه .

وذكر أبو الحسين الخياط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً في سنة ثمانين ، ١٥ قال : ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين ؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روى أن عمراً استأذن على المنصور ، فدخل عليه الربيع^(٤) فقال له : بالباب رجل

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ممن دعاها » .

(٢) وانظر ترجمة واصل في (معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦-٢٤٧ ، وابن خلكان ٢ : ١٧٠ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣٩٥-٣٩٦ ، ولسان الميزان ٦ : ٢١٤-٢١٥ ، وعبون التواريخ وشذرات العجب - وفيات سنة ١٣١) . (٣-٣) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبي جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبي أيوب المدرياني .

وفات سنة ١٧٠ ، (وانظر ترجمته وأخباره في ابن خلكان ١ : ١٨٥-١٨٦) .

قال: إني عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جُبَّة يمانية محمَّقة^(١)؛ فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لي قيصاً أبيض، فأتاه به، فألقاه عليه، ثم قال: دُرٌّ من خلفي؛ ففظ الجبة وازدُرُّ على- قال الربيع: ولم أكن أرى أحداً يوقرُه المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد- فدخل عليه رجل آدمٌ مربع الكدنة^(٢)، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال: فسلم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فسأله واحتفى^(٣) به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عِظْنِي يا أبا عثمان وأوجز، قال له: إن ماني يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شيء، صار إليك، وقد كان في يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى في يد الأول، والسلام. وروى الأصمعي قال: قال مطر الوراق لعمرو بن عبيد: إني لأرحمك ١٠ مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أتسمعتني^(٤) أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!

[٥٤]
 ط / وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد: لم لا تأخذ مني فتقضى ديننا إن كان عليك؟
 وتصل رحمتك؟ فقال له عمرو: أما دين فليس عليّ، وأما صلّة رحمتي فلا يجب عليّ، وليس عندي. قال: فما بمنعك أن تأخذ مني؟ قال: يمنعني أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئاً إلا ١٥
 ذلّ له، وأنا والله أكره أن أذلّ لك.

ويقال إن ابن لهيعة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام، فسلم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾؛ [النساء: ١٢٩]؛ فقال: ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها^(٥)، فأما العدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مُطبق لذلك، وقد كلفه بقوله

(١) حاشية الأصل: « محمَّقة، يعني أن نسبتها إلى الين صحيحة ». وفي م: « مخففة ».

(٢) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم.

(٣) حاشية ت (من نسخة): « وأحني به ».

(٥) ت: « ولا تكلفها ».

(٤) ت: « أسمعني ».

تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ فيما تطيقون ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست
أيماً ، ولا ذات زوج . فقال ابن لهيعة : هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزيه عن ابن له ، فقال له : إن أباك كان
أصلك ، وإن ابنك كان فرعك ، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحرى أن يقل بقاؤه . وقيل
إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحْبَتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا أَنَا نُظْفَةُ تُصَانُ فَمَا يَبْدُو لِعَيْنٍ مَصُونُهَا
أَرَى المَرءَ دِينًا لِلْمَنَابِيا وَمَالِهَا مِطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسِ دِيُونِهَا
فَمَاذَا بَقَاءُ الفِرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَأْتِي الذِّى لاقَى الأُصولَ غُصُونِهَا
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله :

فبَعْضَ اللّومِ عاذِلْتِي فَإِنِي سَتَغْنِينِي التَّجَارِبُ وانْتِسابِي (١)
إلى عِرْقِ التَّرِي وَشَجْتِ عُرُوقِي وهذا الموتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

وأخذ ذلك لبيد في قوله :

فإن أنت لم تصدقك نفسك فانتسب لعلك تهديك القرون الأوايل (٢)
فإن لم تجد من دون عدنان والدا ودون معد فلتزعك العوايل (٣)
/ وأخذه أيضاً في قوله :

[٥٥]

تَوَدُّ ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وهَلْ أَنَا إِلا مِنْ رَيْبَةٍ أَوْ مُضَرٍّ! (٤)

ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ أما محمود ففي قوله :

إِذَا مَا انْتَسَبْتَ إِلَى آدَمِ فَأَمَّ يَكُ بَيْنَكُمَا مِنْ أَبِ
وَجازت سنوك بك الأربعين وصرت إلى الجانب الأجنب

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) حاشية الأصل : « وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : فلتزعك ، و لتزعك (بضم الزاي في الثانية
وقصها في الأولى) ؛ وهو من زاع بزوع بمعنى وزع ، و فلتزعك من الروع ، ووزع من الكف . »

(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

وَدَبَ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ فَأَصْبَحْتَ فِي شِمَةِ الْأَشْهَبِ
وَكَيْفَ تُوَمِّلُ طُولَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْرُبِ

وأما إبراهيم في قوله :

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي وَخَبَّرَ أَيْنَ مُنْقَلَبِي (١)
لَمَوْعِظَةٍ رَأَاهَا فِي أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وَكَانَ أَبَا نَوَاسٍ لِحَظِّ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَإِبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْمَهَالِكِينَ عَرِيقٌ (٢)
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ



مجلد آخر

قال: رُوِيَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ عَبِيدٍ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرٍو النَّغَلَابِيِّ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَكَ فِي حَالِ الصَّحَّةِ بِالْعَمَلِ بِجَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ ، وَوَضَعَ عَنكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَمَلَ
الْجَوَارِحِ ، وَلَمْ يَكْلِفْكَ إِلَّا الْعَمَلَ بِقَلْبِكَ ، فَأَعْطِهِ بِقَلْبِكَ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْكَ .

وَرُوِيَ أَنَّ قَوْمًا اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرٍو بْنِ عَبِيدٍ ، فَتَذَاكَرُوا السَّخَاءَ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِهِ ،
وَعَمْرٍو سَاكِتٌ ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا أَصْبَبْتُمْ صِفَتَهُ ؛ إِنَّ السَّخِيَّ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ تَبْرُّعًا ،
وَكَفَّ عَنِ أَمْوَالِ النَّاسِ تَوْرُوعًا .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : إِنِّي لَعَلَى بَابِ الْمَنْصُورِ يَوْمًا ، وَإِلَى جَنْبِي
عُمَارَةُ^(١) بْنُ حَمْرَةَ ، إِذْ طَلَعَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ عَلَى حِمَارٍ ، فَتَزَلَّ عَنْ حِمَارِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ^(٢) الْبَسَاطَ
بِرِجْلِهِ وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقَالَ : لَا تَزَالِ / بَصْرَتُكُمْ تَرْمِينَا مِنْهَا بِأَحْمَقٍ ؛
فَمَا فَصَلَ كَلَامَهُ مِنْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ يَقُولُ : أَبُو عَثْمَانَ عَمْرٍو بْنُ عَبِيدٍ ! قَالَ : ١٠
فَوَاللَّهِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى أُرْشِدَ إِلَيْهِ ، فَأَتَكَّأُ^(٣) يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَرَّ مَتَوَكَّنًا^(٤) عَلَيْهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَارَةَ فَقُلْتُ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَحْمَقْتُ^(٥)

(١) هو عمارة بن حمزة بن ميمون ، من ولد عكرمة مولى عبد الله بن العباس ؛ أحد الكتاب
البلغاء ، وكان سخيا جوادا ، وله أخبار مأثورة في الكرم والجود والتب ، قلده أبو العباس السفاح ضياع
آل مروان ، وقلده أبو جعفر المنصور ديوان خراج البصرة ونواحيها . (وانظر ترجمته وأخباره في كتاب
الوزراء والكتاب للجهمياري : ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٨٠ -
٢٨٠) .

(٢) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : « رفح » .

(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أتكأه يده ؛ كأنه جعله متكئا عليها ، وأصل التاء في هذه
الكلمة بالواو ؛ يقال : أو كأت فلانا إذا جعلت له متكئا » .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « متكئا » .

(٥) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « استحمقته » .

قد أدخل وتركنا ، فقال : كثيراً ما يكون ذلك ، فأطال اللبث ، ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه . والربيع يقول : يا غلام ، حمار أبي عثمان ، فما برح حتى أتى بالحمار ، فأقره على سرجه ؛ وضم إليه نشر^(١) ثوبه ، واستودعه الله .

فأقبل عمارة على الربيع فقال : لقد فعاتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعاتموه بولى عهدكم لتقضيتم ذمامه . قال : فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب ، قال عمارة : فإن اتسع لك الحديث فخذنا .

فقال الربيع : ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه ، فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبوداً ، ثم انتقل إليه والمهدى معه عليه سواده وسيفه ؛ ثم أذن له ، فلما دخل عليه سلم بالخلافة ، فرد عليه وما زال يُدنيه حتى أتكأه فخذاه وتحفَى به ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ،

يُسَمِّيهِم رجلاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان ، عظنا فقال : أعود بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٢) بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ ١٠ ﴾

[الفجر : ١-٣] ، ومرفها إلى آخرها ، وقال : إن ربك يا أبا جعفر بالمرصاد ، قال : فسكى بكاءً شديداً ؛ كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة ، ثم قال : زدني ، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها

فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ، ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإني أحذرك ليلة

تمخض^(٣) صبيحتها عن يوم القيامة . قال : فسكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنيهاً .

وفي رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال : إن ربك بالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ، أن يُنزَلَ به مثل ما نزل بهم ، فاتق الله ، فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور

(١) النشر ، بالتحريك : المنتشر من كل شيء .

(٢-٢) ساقط من ط ، ف ، م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « تمخض » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله^(١) . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم في الطوامير^(٢) ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [٥٦]
مثل أذن الفأرة يُجزيك من الطوامير ، الله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ،
وتكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها ؛ إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذاً
لتقرب إليك به من لا نيّة له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوه : رجعنا إلى نسق الحديث ، فقال له سليمان بن مجالد : رفقا بأمر
المؤمنين ، فقد أتممته منذ اليوم ، فقال له : بمثلك ضاع الامر وانتشر ، لا أبالك ! وماذا خفت
على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت ؟
فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ؟ قال : لا ، ولا أبالي ألا أعرفه ! فقال : هذا أخوك ١٠
سليمان بن مجالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، وبلك يابن أم مجالد ! خزنت نصيحتك عن أمير
المؤمنين ، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتته ! يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء آخذوك
سليماً لشهواتهم ، فانت كالأخذ بالقرنين وغيرك يجلب ، فاتق الله فإنك ميت وحدك ، ومحاسب
وحدك ، ومبعوث وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً ! فقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛
أغني بأصحابك أستعين بهم ، فقال له : أظهر الحق يتبعك أهله ، قال : بلغني أن محمد بن عبدالله ١٥
ابن الحسن^(٣) كتب إليك كتاباً ، قال : قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، قال : فماذا
أجبتة ؟ قال : أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإني لا أراه ،
قال : أجل ! ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي ! قال : لئن كذبتك تقيّة لأحلفن لك تقيّة ،
قال له : أنت الصادق البار ، وقد أمرت لك بمشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من
أفضل أهل بيته ؛ علما وفقها وشجاعة وجودا ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ ؛ (وانظر ترجمته وأخباره
في مقاتل الطالبين ٢٣٢-٢٩٩) .

فقال : لا حاجة لي فيها ، قال المنصور والله لتأخذنَّها ، قال : والله لا أخذنَّها ، فقال له المهدي : يحلف أمير المؤمنين وتحلف ! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال : من هذا الفتى ؟ فقال : هذا ابني محمد ، وهو المهدي وهو ولي العهد ، فقال : ^(١) والله لقد سميتَه أسماء ما استحقها بعمل ^[٥٦] ^ظ ^٥ ، وألبسته لبوساً ماهو من لبوس الأبرار / ولقد مهَّدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ^(٢) ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك حلف عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟ قال : نعم ، قال ما هي ؟ قال : ألا تبعث إليَّ حتى آتيك ؛ قال : إذا ^(٣) لا ناتقي ، قال : عن حاجتي سألتني ، ثم ودَّعه ونهض ؛ فلما ولي أتبعه بصره وأنشأ يقول :

كَلُّكُمْ طَالِبُ صَيْدٍ كَلُّكُمْ مَاشٍ رُوَيْدٌ ^(٤)

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

١٠

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأثى حاتمة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو

لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جعل الله لك عينين ؟ قال : بلى ، قال : ولم ؟ قال : لأنظر بهما في ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لأذوق الطعوم ^(٥) ، وأجيب الداعي ؛ ثم عدَّد عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل لك قلباً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟ قال : لتؤدي إليه الحواس ما أدركته ، فيميز بينها ، قال :

١٥

(١-١) ت : « والله لقد سميتَه اسماً ما استحقه بعمل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو

ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائماً » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « إذا انتصب » إذا لم يكن الفعل الذي بعدها معتمداً على ما قبلها ؛ يقول

لك الفائل : أنا أكرمك ؛ فنقول : إذا أحيك ؛ فإن قلت : أنا إذا أحيك رفعت ؛ لا اعتماداً على الابتداء التي

هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمني [بالجزم] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال أنميت أيضاً ؛ تقول

لمن يتحدث بحديث : إذا أظنك كاذباً ؛ فنخبر عن حال الظن » .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يمشى رويد » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « المظوم » .

فَأَنْتَ لَمْ يَرْضَ لَكَ رَبُّكَ تَعَالَى إِذْ خَلَقَ لَكَ خَمْسَ حَوَاسٍ حَتَّى جَعَلَ لَهَا إِمَامًا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛
أَتَرْضَى ^(١) لِهَذَا الْخَالِقِ الَّذِينَ ^(٢) جَسَّابُهُمُ الْعَالَمَ إِلَّا يَجْعَلُ لَهُمْ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
ارْتَفِعْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، وَعَرَفَهُ ؛ ثُمَّ دَارَ هَشَامٌ فِي حَقِّ الْبَصْرَةِ فَمَا أَمْسَى حَتَّى
اِخْتَلَفُوا .

وروى أبو عبيدة قال : دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس
بالبصرة فقال له سليمان : أَخْبِرْنِي عَنْ صَاحِبِكَ - يَعْنِي الْحَسَنَ - حِينَ يَزْعُمُ أَنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ
السَّلَامُ قَالَ : « إِنِّي وَدِدْتُ أَنْ كُنْتُ آكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ أَشْهَدْ مَشْهَدِي هَذَا » يَعْنِي :
يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ : لَمْ يَقُلْ هَذَا ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَّ ،
وَلَكِنَّهُ يَقُولُ : وَدَّ أَنْ كَانَ يَأْكُلُ الْحَشَفَ بِالْمَدِينَةِ ، وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ ؛ فَقَالَ : فَقَوْلُهُ فِي
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « يُفْتِنَانَا فِي الْقَمَلَةِ وَالْقَمِيلَةِ ، وَطَارَ بِأَمْوَالِنَا فِي لَيْلَةٍ » ؟ فَقَالَ لَهُ : وَكَيْفَ
يَقُولُ هَذَا ، وَإِبْنُ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا لَمْ يَفَارِقْ عَلِيًّا حَتَّى قُتِلَ وَشَهِدَ صَلْحَ الْحَسَنِ ؟ وَأَيُّ مَالٍ
يَجْتَمِعُ فِي بَيْتِ الْمَالِ بِالْبَصْرَةِ مَعَ حَاجَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَمْوَالِ / وَهُوَ يَفْرُغُ بَيْتَ مَالٍ [٥٧]
الْكُوفَةِ فِي كُلِّ خَمِيسٍ وَيَرُشُّهُ ؟ قَالُوا : إِنَّهُ كَانَ يَقِيلُ فِيهِ ، فَكَيْفَ يَتْرَكُ الْمَالَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ ؟
وَهَذَا بَاطِلٌ .

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو : إن الله تعالى قال في كتابه ١٥
مَازِيلَ الشَّكِّ عَنِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَنَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الخجر : ٩٢ - ٩٣] ، وَلَمْ يَقُلْ : لَنَسَأَنَّ لَهُمْ عَمَّا قَضَيْتُ عَلَيْهِمْ أَوْ قَدَرْتُهُ
فِيهِمْ ، أَوْ أَرَدْتُهُ مِنْهُمْ ، أَوْ شِئْتُهُ لَهُمْ ؛ وَلَيْسَ بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا الْإِقْرَارُ بِالْعَدْلِ أَوِ السَّكُوتُ عَنِ
الْجَوْرِ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(١) ت : « فكيف يرضى ... » . (٢) ت : « ولدى »

قال خلاد الأرقط : حدثني زميلُ عمرو بن عبيد قال : سمعتهُ في الليلة التي مات (١) فيها يقول : اللهم إن كنتَ تعلمَ أنه لم يعرض لي أمران قطُّ؛ أحدهما لك فيه رضا، والآخر لي فيه هوَى إلا قدّمتُ رضاك على هوأى فاغفر لي .

ومرَّ أبو جعفر المنصور على قبره بمَرَّان - وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة -

فأنشأ يقول :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَيْكَ مِنْ مُتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانِ
قَبْرًا تَضَمَّنَ مُؤْمِنًا مُتَخَشِّعًا عَبْدَ الْإِلَهَةِ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ (٢)
وَإِذَا الرَّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شُبُهَةٍ فَصَلَّ الْخِطَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانِ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَبْقَى صَالِحًا أَبْقَى لَنَا عَمْرًا أبا عُثْمَانَ

١٠ فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد (٣) الله بن مكحول العبديّ وقال أبو القاسم البلخيّ : هو من موالى عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ، وقال أبو الحسين الخياط : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه توفي في أول أيام المتوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنة مائة سنة .

قال البرذعيّ : لحق أبو الهذيل في آخر عمره خَرْفٌ ؛ إلاّ أنه لم يكن يذهب عليه معرفة ١٥ المذهب والقيام (٤) بحجته ، وكُفَّ بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[٥٧] وقيل إنّ أبا الهذيل في حدائته بلّغه أن / رجلا يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعةً من متكلميها ، فقال لعمه : يا عمّ ، امض بي إلى هذا اليهوديّ حتى أُكلمه ، فقال له عمه : يا بنيّ ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضاً في (ابن خلكان ١ : ٣٨٤-٣٨٥)

والعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦-١٨٨) .

(٢) من نسخة مجاشيتي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ولا القيام » .

كيف تكلمه وقد عرفت خبره ، وأنه قطع مشايخ التكلمين ! فقال : لا بدّ من أن تمضى بي إليه ، فضى به قال : فوجدته يقرّر الناس على نبوة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجمع على ما تدعونه ؛ فتقدّمت إليه ، فقلت : أسألك أم تسألني؟ فقال : بل أسألك ، فقلت : ذاك إليك ، فقال لي : أتعترف بأن موسى نبيّ صادق ، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشرّ بنبيّ عليه السلام ، وشهد بنبوته ، وصدّقه فهو نبيّ صادق ، وإن كان غير من وصفته ؛ فذلك شيطان لأعترف بنبوته ؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه . ثم قال لي : أتقول إن التوراة حق ؟ فقلت : هذه السألة تجرى مجرى الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيّ عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ، ولا أقرّ بها . فبُهِتَ وأفجِمَ ولم يدِرْ ما يقول ، ثم قال لي : أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك ، فظننتُ ١٠ أنه يقول شيئاً من الخير ، فتقدّمتُ إليه فسارّني فقال لي : أمك كذا وكذا ، وأمّ من علمك لا يكفي ، وقدّر أني أثبُّ به ، فيقول : وتبوا بي ، وشغبوا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس فقلت : أعزكم الله ! أستمّ قد وقفتم على سؤاله (١) إياي ، وعلى جوابي إياه ؟ قالوا : بلى ! قلت : أفليس عليه أن يرّد جوابي أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم : فإنه لما سارّني شتمني بالشم الذي يوجب الحدّ ، وشتم من علمني ، وإنما قدّر أنني أثب عليه ، فیدعی أننا واثبناه ، ١٥ وشغبنا عليه ، وقد عرفتمكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصروني ، فأخذته الأيدي من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبي العيّن قال : قال لي أبو الهذيل : ما معنى الحسّف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض ؛ أعلاها أسفلها ، فقال : إلا يكنّ هذا اليوم بالأرض فإنه لبي الناس .

وقال أبو الهذيل : قال لي المذلل بن غيلان العبديّ ، وكان من سادات عبد القيس ، ٢٠ وكان يجتمع إليه أهل النظر : يا أبا الهذيل ، إن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مسألته » .

[٥٨] فَبَيَّنَ لِي / مَا يَذْهَبُ بِالرَّيْبِ عَنِّي ، فَقَالَ : خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٩] ، هَلْ يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ أَكْذَبَهُمْ لِأَنَّهُمْ مُسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ^(١) وَهُمْ تَارِكُونَ لَهُ ، فَاسْتَطَاعَةَ الْخُرُوجِ فِيهِمْ وَلَيْسَ يَخْرُجُونَ ، فَقَالَ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَي هُمْ يُسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ^(٢) وَهُمْ يَكْذِبُونَ فَيَقُولُونَ : لَسْنَا نَسْتَطِيعُ ، وَلَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا ، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ ، أَوْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ آخَرَ : يَقُولُ : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أَي إِنْ أُعْطِيَهُمُ الْاسْتَطَاعَةَ لَمْ يَخْرُجُوا ؛ فَتَكُونُ مَعَهُمُ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَخْرُجُونَ ؛ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ؛ قَدْ كَانَتْ الْاسْتَطَاعَةُ عَلَى الْخُرُوجِ وَلَا يَكُونُ الْخُرُوجُ ، وَلَا يُعْقَلُ لِلآيَةِ مَعْنَى ثَلَاثَ غَيْرِ الْوَجْهِينَ الَّذِينَ وَصَفْنَا ^(٣) .

١٠ وحكى سليمان الرقي أن أبا الهذيل لما ورد سرّاً من رأى نزل في غرفة إلى أن يطلب له داراً تصلح له ، قال : فررت به فقلت له : يا أبا الهذيل ، أنزل في مثل هذا المنزل ! فأنشدني :
 يَقُولُونَ زَيْنُ الرَّءِ يَا مَيُّ رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَا مَيُّ رَاكِبُهُ
 وعن مجالد ^(٤) قال : رأيت رجلاً ، وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له : مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الزَّانِيَيْنِ ؟ فقال له : يابن أخى ، أما بالبصرة فإنهم يقولون :
 ١٥ القوادون ؛ وَلَا أَحْسِبُ أَهْلَ بَغْدَادٍ يَخَالِفُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ ، فَمَا تَقُولُ أَنْتَ ! قال : نَحْفِلُ الرَّجْلُ وَسَكَتَ .

وقال أبو الهذيل : قلتُ لرجلٍ مِمَّنْ يَنْفِي الْحَرْكََةَ - وَلَمْ يَسْمَعْهُ ، وَزَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُ الْأَصَمُّ - :
 خَبَّرَنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ؛
 [النور: ٢] ، وَذَكَرَ الْقَاضِي فَقَالَ : فَاجْلِدُوهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ^(٥) ، فَأَيُّهُمَا أَكْثَرُ ؟ فَقَالَ : حَدٌّ ^(٦) .

(١) ت : « للخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت ، ج ، ش : « الذين ذكرنا » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عن أبي مجالد » .

(٥) يشير إلى قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ » (٥) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ » .

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ؛ [النور: ٤] . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .

الزَّائِي ، قلت : بَكَمَ ، قال : بعشرين ، قلت : فحَدَّثَنِي ^(١) عن الجلد ، أهُوَ يَدُ الْجِلْدِ؟ قال : لا ، قلتُ : أَفَهُوَ السَّوْطُ؟ قال : لا ، قلت : فهُوَ ظَهْرُ الْمَجْلُودِ؟ قال : لا ، قلت : أَفَهُوَ الْإِنْفِرَاجُ الَّذِي بَيْنَ السَّوْطِ وَظَهْرِ الْمَجْلُودِ؟ قال : لا ، قلت : أَفَشَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ هَذَا هُوَ الْجِلْدُ؟ قال : لا ، قلت : فَإِنَّمَا تَقُولُ أَنَّ لَاشَيْءَ أَكْثَرُ مِنْ لَاشَيْءٍ بِعَشْرِينَ! فَانْقَطِع .

وقال أبو الهذيل : قلت لجوسى : ما تقول في النار؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقر؟ قال : هـ
ملائكة الله ؛ قَصَّ أَجْنَحَتَهَا ، وَحَطَّهَا / إِلَى الْأَرْضِ يُبْحَثُ عَلَيْهَا ، فَقَات : فاللاء ، قال : نُورٌ [٥٨]
الله ، قلت : فَمَا الْجَوْعُ وَالْمَطَشُ؟ قال : فَتَمَّرُ الشَّيْطَانِ وَفَاتَمَّتْهُ ، قلت : فَمَنْ يَحْمِلُ الْأَرْضَ؟
قال : بَهْمَنُ الْمَلِكِ ، قلت : فَمَا فِي الدُّنْيَا شَرٌّ مِنَ الْمَجُوسِ ، أَخَذُوا مَلَائِكَةَ اللَّهِ فَذَبَحُوهَا ، ثُمَّ
غَسَلُوهَا بِنُورِ اللَّهِ ، ثُمَّ شَوَّوْهَا بَيْنَتِ اللَّهِ ، ثُمَّ دَفَعُوهَا إِلَى فَتَمَّرِ الشَّيْطَانِ وَفَاتَمَّتْهُ ، ثُمَّ سَاحَوهَا
عَلَى رَأْسِ بَهْمَنِ الْمَلِكِ أَعَزَّ مَلَائِكَةَ اللَّهِ! فَانْقَطِعَ الْمَجُوسِي ، وَخِجِلَ مِمَّا لَزِمَهُ . ١٠

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بفم الصَّلْحِ ^(٢) ، وعنده فتى قد رفع مجلسه ،
فقال أبو الهذيل : مَنْ هَذَا الْفَتَى الَّذِي قَدْ رَفَعَهُ الْأَمِيرُ ، لِنُوفِيَّتِهِ بِمَعْرِفَتِهِ حَقَّهَ؟ قال : رجل
من أهل النجوم ، قال : مِنْ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ أَمْ الْأَحْكَامِ؟ قال : الْأَحْكَامِ ، قال : ذَلِكَ
عَمَلٌ يَبْطُلُ ، أَفَأَسْأَلُهُ؟ قال : سَلْ فَأَخَذَ أَبُو الْهَذِيلِ تَفَاحَةً مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَقَالَ : آكُلُ هَذِهِ
التفاحة أم لا؟ قال : تَأْكُلُهَا ، فَوَضَعَهَا أَبُو الْهَذِيلِ وَقَالَ : لَسْتُ آكُلُهَا ، قال : فَتَعِيدُهَا إِلَى ١٥
يدك وأعيد النظر ، فَوَضَعَهَا وَأَخَذَ غَيْرَهَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ : لِمَ أَخَذْتَ غَيْرَهَا؟ قال : لِثَلَا
يَقُولَ لِي : لَا تَأْكُلُهَا فَآكُلُهَا خِلَافًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ لِي : قَدْ أَصَبْتُ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى .

وقال النعمان المناني يوماً لأبي الهذيل : دُلَّ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ بِغَيْرِ الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ ،
فقال له أبو الهذيل : مِثْلُكَ مِثْلُ رَجُلٍ قَالَ لَخَصْمِهِ : احْضُرْ مَعِيَ إِلَى الْقَاضِي وَلَا تَحْضُرْ
بَيِّنَتِكَ .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « نخبرني » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « فم الصلح :

موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم^(١) صاحب الفراء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيئون أن يكتب له كتابا في حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل ؛ فأملى على سهل بن هرون :

٥
 إِنْ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتِكَ حَاجَةً لِأَبِي الْهُذَيْلِ خِلَافُ مَا أُبْدِي
 فَإِذَا أَتَاكَ لِحَاجَةٍ فَاْمُدُّ لَهُ حَبْلَ الرَّجَاءِ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ
 وَأَلِنْ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسُنَ ظَنَّهُ فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ
 حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةٌ جَدِّهِ وَرَجَا الْغِنَى فَاجْبَهُ بِالرَّدِّ
 وَإِنْ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضْرَّةَ فَاجْتَهِدْ فِيمَا يَضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ
 / وَاَنْظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَارْمِ بِهِ خَلْفَ الثَّرِيَّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ^(٢)
 وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمٍ إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِيِّ^(٣)
 ١٠

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثنا أبو العيناء قال : كان لي صديق فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروج إلى فلان العامل ، وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة ، وقد سألت من صديقه ، فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعبادة ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبدالله ؟ فقلت : مُسَلِّمًا ١٥ وقاضياً الحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا ، فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، فإني في غد أوجه إليك بالكتاب ، فلما كان من الغد وجهت إلى بالكتاب محتوماً فقلت لابني : وجه هذا الكتاب إلى فلان ، ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبغي أن تفضّه وتنظر مافيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « كتابي إليك مع من لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « أي أخف كلامي هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندي اسم رجل كان خاصا به وملازما له » .

وقد كلني فيه من لا أوجب حقه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك » .
 فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمت أنك
 أنكرت ما في الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نكرة ! فقال : لا ، هذه علامة بيني
 وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لا والله ، ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما جُيبت عليه من
 هذا الرجل ! - أعنى صاحب الحاجة - أعلمت أنه لما قرأ الكتاب قال : أم الجاحظ عشرة ٥
 آلاف ، وأم من يسأله... فقلت : يا هذا ؟ أتستح صدقتنا ؟ فقال : هذه علامتي فيمن أشكره !
 وفي رواية أخرى أن أبا العيناء سلم الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضّر
 الكتاب ، فقال : إنه محتومٌ فقال : طينةٌ أهون من ظنة .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأظن أن أبا العيناء تنبه على فض الكتاب وقراءته
 بخبر طرفة بن العبد والمتلمس الصبعي^(١) ، وذلك أنهما وفدا على عمرو بن هند ونادماه ، ١٠
 واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أن هجاه كل واحد منهما وعرض به بالشعر
 المشهور^(٢) فحنق عليهما ، وهم بقتلهما ، ثم أشفق من ذلك ، وأراد قتلها بيد غيره ،
 وكان على طرفة أحنق ، فعلم أنه إن قتله هجاه المتلمس : فكتب لها كتاباً إلى البحرين ،
 وقال لها : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصا لقبضها ؛ فخرجا من عنده ، والكتابان في
 أيديهما ، فمرّاً بشيخ جالس على ظهر الطريق ، متكشفاً يتبرز ، ومعه كسرة خبز يأكل ١٥
 منها ، ويتناول القمل من ثيابه فيقصمه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيت أعجب من هذا
 الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترى من عجب^(٣) ! أدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ،
 وأقتل عدواً ، وإن أعجب مني لمن يحمل حنفته بيده ، وهو لا يدرى ! فأوجس المتلمس في

(١) في حاشيتي الأصل ، ت : « هو من بني ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد الغزى ، وقيل
 ابن عبد المسيح » . (٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء في (الأغاني ٢١ : ١٢٧ ، والشعر
 والشراء ١٣١ - ١٣٢ ، و ١٣٧ - ١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزانة ١ : ٤١٢ - ٤١٧ .
 ٤٤٦ ، و ٣ : ٧٣ وجمع الأمثال ١ : ٣٥٠ - ٣٥٢ وديوان طرفة : ٥ - ٦ ، وديوان المتلمس ١٧٢ -
 (١٧٦) . (٣) م : « عجب » .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أنقرأ يا غلام ؟ قال : نعم ، ففضّ خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه ، واصلبه حياً » .

فأقبل على طرفه فقال له : تمنن^(١) والله لقد كتب فيك بمثل هذا ، فادفع كتابك إلى الغلام يقرؤه عليك ، فقال : كلاً ، ما كان ليحسّر على قومي بمثل هذا ، ولم ياتفت إلى قول المتلمس ، فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة ، وقال :

كَذَلِكَ أَفْنُو كُلَّ قِطِّ مُضَلَّلٍ^(٢)
رَضِيَتْ لَهَا بِالمَاءِ لَمَّا رَأَيْهَا
يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ
كَافِرٍ : نَهْرُ بِالحِيرَةِ ، وَأَفْنُو : أَقْتَنِي ، وَالْقِطُّ : السِّكِّتَابُ : وَالتَّيَّارُ : مَعْظَمُ المَاءِ وَكَثْرَتُهُ .
وَقَالَ المِتْلَمَسُّ أَيْضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخْوَابِهِمْ
أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهُمَا
وَنَجَا حِذَارَ حِبَائِهِ المِتْلَمَسُّ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ
وَجَنَاهُ مُجْمَرَةٌ المِنَاسِمِ عِرْمِسُ^(٤)
عَيْرَانَةٌ طَبَخَ المَوَاجِرُ لِحَمَاهَا
فَكَأَنَّ نِقَبَهَا أَدِيمٌ أَمْلَسُ^(٥)
أَطْرِيفَةُ بِنِ العَبِيدِ إِنَّكَ حَائِنٌ
أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لِأَبَاكَ إِنَّهُ
أَبْسَاحَةُ المَلِكِ المِهْمَامِ تَمْرَسُ !
يُخَشَى عَلَيْكَ مِنَ الحِبَاءِ النُّقْرَسُ

(١) من نسخة مجاشي الأصل ، ت ، ف ، « تعلم » .

(٢) ديوانه : ١٧٦ . (٣) الأبيات في ديوانه ١٩١-١٩٢ ، والخزانة ٣ : ٧٣ والأغاني

٢١ : ١٢٧ وأخوام : طرفه والميس . (٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛

وهي الأرض الصلبة ، وجمرة : بجمعة ، والمناسم : جمع منسم ، ومنسما خف البعير كالظفرين في مقدمة ؛

بهما يستبان أثر البعير الضال . والعرمى في الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَّتْ كُورَهُ عَنَسُ مِدَاخَلَةُ الفَقَّارَةِ عِرْمِسُ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التي تشبه غير الوحش لقوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

النقرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين ، فأمر به المعلّى بن حنّش^(١) العبدىّ فقتل ؛ فقال المتلمس^(٢) :

عَصَانَا^(٣) فَمَا لَأَقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ^(٤) فِي أَمْرِ الْعَوِيّ عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلَةٍ تَمُجُّ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تُوَقِّي^(٥) ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ !

ولحق المتلمس ببلاد الشام ، وهجا عمراً ، وبلغه أن عمراً يقول : لئن وجدته بالعراق ليقتلنّه ، فقال :

أَلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمَهُ وَالْحَبُّ يَا كُفْلُهُ بِالْقَرِيَةِ الشُّوسُ^(٦)
وجرى المثل بصحيفة المتلمس ، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورتوه أشعارهم^(٧) :

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ^(٨) مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ
وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنَّ قَتَلَنَّهُ وَمُهَاطِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ

يعنى بالنوابغ : النابغة الذبياني والجمعدى ، ونابغة بنى شيبان ، ويعنى : بأبى يزيد الحبلى

السعدى ، وجرول هو الخطيئة ، وذوالقروح امرؤ القيس ، وأخو بنى قيس هو طرفة . ومعنى

قوله : « وهن قتلنه » ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب المتلمس

وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي^(٩)
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَمَانِيكَ^(١٠) بَعْضُ الشُّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان بدم عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان

فلا يجوز أن يكون عمرو قتلّه ، فيشبهه أن تكون القصة مع النعمان .

(١) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « حنيش . (٢) ديوانه : ١٩٣-١٩٤ .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « عصاني » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « بين » .

(٥) ش : « توقى » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و « حب » ،

متصوب على نزع الخائض ؛ والبيت من شواهد (الكتاب ١ : ١٧) ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل :

« فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلم » .

(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تخننا بعد تخنن » .

مجلس آخر

وكان أبو سهل بشر^(١) بن المعتز من وجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميع معتزلة

بعد ٦٠] / من مستجيبيه .

وقال أبو القاسم البلخي : إنه من أهل بغداد ، وقيل : من أهل الكوفة ، وذكر الجاحظ أنه كان أبرص .

٥ وحكي أنه كان يوماً في مجلسه ، وعنده أصحابه ومعه مُجبر يسألهم ويقول: أنتم تحمدون الله على إيمانكم؟ وهم يقولون: نعم ، فيقول لهم : فكأنه يحبُّ أن يُحمد على ما لم يفعل ، وقد ذم ذلك في كتابه ، فيقولون له : إنما ذمَّ من أحب أن يُحمد على ما لم يفعل ؛ ممن لم يعن عليه ، ولم يدعُ إليه ؛ وهو يشغب إذ أقبل مُثامة^(٢) بن أشرس ، فقال بشر للمجبر: قد سألت القوم وأجابوك ، وهذا أبو معن فأسأله عن المسألة فقال له : هل يجب عليك ١٠ أن تحمد الله على الإيمان؟ قال: لا ، بل هو يحمدني عليه ، لأنه أمرني به ففعلته ، وأنا أحمده على الأمر به ، والتقوية عليه ، والدعاء إليه ؛ فانقطع المجبر . فقال بشر : شنعتُ فسهلت .

قال الجاحظ : وكان بشر يقع في أبي الهذيل ، وينسبُه إلى النفاق ، فقال وهو يصفه : أبو الهذيل لأن يكون لا يعلم ، وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ، ويكون عند الناس لا يعلم ، ولأن يكون من السفلة ، وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية ، وهو عند الناس من السفلة ، ولأن يكون نبيل المنظر ، سخيّف الخبر أحب إليه من أن يكون نبيل الخبر ، سخيّف المنظر ؛ وهو بالنفاق أشدُّ عُجباً منه بالإخلاص ، ولباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع .

(١) بشر بن المعتز؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد؛ وتوفي سنة ٢١٠ . (لسان الميزان ٢ : ٣٣) .

(٢) مُثامة بن الأشرس الثمري ؛ مولى بني نمير ؛ كان زعيم القدرية في زمن المأمون والعتصم والواقع ، وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال ؛ توفي سنة ٢١٣ ؛ (لسان الميزان ٢ : ٨٣ ، والفرق بين الفرق ١٥٧) .

ولبشر أشعار كثيرة ، يحتج فيها على أهل المقالات . وذكر الجاحظ أنه لم ير أحداً
أقوى^(١) على الحمس والمزدوج^(٢) على ما قوی عليه بشر ، وإنه كان أكثر في ذلك
وأقدر من أبان اللاحق^(٣) ، وهو القائل :

إن كنت تعلم ما أقو
أو كنت تجهل ذا وذا
أهل الرئاسة من يند
سهرت عيونهم وأن
لا تطلبن رئاسة
/ لو لا مقامهم رأي
ل وما تقول فأنت عالم
ك فكن لأهل العلم لازم
ازعهم رياستهم فظالم
ت عن الذي قاسوه حاليم
بالجهل أنت لها مخلص
ت الدين مضطرب الدعائم

[٦١]

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام ؛ فإنه كان مقدماً في العلم بالكلام ، حسن
الخط ، شديد التدقيق والغوص على المعاني ؛ وإنما أداه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها
واستشعبت منه تديقه وتغلغله . وقيل : إنه مولى الزياديين من ولد العبيد ، وإن الرق جري
على أحد آبائه .

وقيل للنظام : ما الاختصار ؟ فقال : الذي اختصاره فساد . وقال لرجل : أتعرف فلاناً
المجوسى ؟ فقال : نعم ، ذلك الذي حلق وسط رأسه ، كما يفعل اليهودى ، فقال النظام :
لا مجوسى عرفت ، ولا يهودى وصفت .

قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفى فقال : هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .

(٢) حاشية الأصل : « الخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفاه ، يخالفها الخامس أو يوافقها ،

والمزدوج : هو الثنوى » . (٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثر ؛ وأكثر شعره

تمزدوج ومسمط ؛ (وانظر الفهرست ١٦٣) . (٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ،

شيخ الجاحظ ، وأحد رموس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ (وانظر آراءه في الفرق بين الفرق

وَحِصْبٍ بَعْدَ جَدْبٍ ، وَغَنَى بَعْدَ فَقْرٍ ، وَطَاعَةَ الْمَهْجُوبِ ، وَفِرْجَ الْمَسْكُورِ ، وَمِنَ الْوَصْلِ (١)

الدائم ، مع الشباب الناعم ؛ وللنظام شعر كثير صالح ، فمنه :

يَا تَارِكِي جَسَدًا بِغَيْرِ فُؤَادٍ أَسْرَفْتَ فِي الْهُجْرَانِ وَالْإِبْعَادِ
 إِنْ كَانَ يَمْنَعُكَ الزِّيَارَةَ أَعْيُنُ فَادْخُلِي عَلَيَّ بِعِلَّةِ الْعَوَادِ
 كَيْمَا أُرَاكَ وَتِلْكَ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مَلَكَتْ يَدَاكَ بِهَا مَنِيْعَ قِيَادِي
 إِنْ الْعَيُونُ عَلَى الْقُلُوبِ إِذَا جَنَّتْ كَانَتْ بَلِيَّتَهَا عَلَى الْأَجْسَادِ

وله :

تَوَهَّمَهُ (٢) طَرْفِي فَآلَمَ خَدَّهُ فَكَانَ (٣) مَكَانَ الْوَهْمِ مِنْ نَظْرِي أَثْرُ
 وَصَافِحُهُ قَلْبِي فَآلَمَ كَفَّهُ فَمِنْ صَفْحِ قَلْبِي فِي أَنَامِلِهِ عَثْرُ
 وَمَرَّ بِقَلْبِي خَاطِرًا فَجَرَحْتُهُ وَلَمْ أَرَ خَلْقًا (٤) قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
 يَمُرُّ فَمِنْ لِينٍ وَحُسْنِ تَعَطُّفٍ يُقَالُ بِهِ سُكْرٌ وَلَيْسَ بِهِ سُكْرُ

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إِذَا هَمَّ النَّدِيمُ لَهُ بِالْحِظِّ تَمَشَّتْ فِي مَحَاسِنِهِ الْكُلُومُ

فقال : ينبغي أن ينادم هذا أعمى .

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ،
 [٦١] ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه ، والنظام يكرر هذا المعنى / كثيراً في شعره ، فمن ذلك
 ط قوله :

رَقَّ فُلُوهُ بَزَّتْ سَرَائِيلُهُ عَلَّقَهُ الْجَوْءُ مِنَ اللَّطْفِ (٥)
 يَجْرَحُهُ اللَّحْظُ بِتَكَرُّرِهِ وَيَشْتَكِي الْإِيْمَاءَ بِالطَّرْفِ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت

« تأمله » . (٣) من نسخة بحاشية ت : « فصار » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل

« جسما » . (٥) حاشية ت : « يعني أن في سراييله نفلا واعتمادا باقيا ، فلو بزت لعلقه الجو » .

وحكى أن أبا النظام^(١) جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلمه ، فقال له الخليل يوماً يمتحنه ، وفي يده قَدَحٌ زجاج : يابني ، صف لي هذه الزجاجية ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تريك القَدَى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمها ، قال : سريع كسرُها ، بطي جبرُها^(٢) ، قال : فصِفْ هذه النخلة ، وأومأ إلى نخلة في داره ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : هي حُلُوٌ مجتناها ، باسقٍ منتهاها ، ناضر ٥ أعلاها ؛ قال : فذمها قال : هي صَعْبَةُ المرتقى ، بعيدةُ المجتنى ، محفوفةٌ بالأذى ؛ فقال الخليل : يابني ، نحن إلى التعلّم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وهذه بلاغة من النظام حسنة ، لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمًا أو مدحًا بأقصى ما يقال فيه .

وشبه بهذا المعنى خبر لبيد^(٣) المشهور في هجائه^(٤) البقلة ، التي امتحنَ بهجائها ، ١٠ واختبر بدمها ، فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها ، وذلك أن عمارة وأنسًا وقيسًا والربيع بن زياد العباسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين^(٥) ، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك جعفر بن كلاب ، وهو ملاعبُ الأسنّة ، وكان العامريون ثلاثين رجلا ،

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعرا فصارا متكلمًا ، وبالعكس منه أبو نواس » .
(٢) من نسخة بحاشية ت : « بعيد » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان لبيد صحابيا مخضرا ، وتقي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زمانا ، وكان مستبصرا حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه . ويقول : عوضني الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذي أدرك الجاهلية والإسلام » .
وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وذكر نسبه وأخباره في (الأغاني ١٤-٩٠-٩٨ ، والخزانة ٤ : ١١٧ ، ومجالس ثعلب ٤٤٩-٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣) .

(٤) من نسخة بحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هي فاطمة بنت الخرشب الأمازية ؛ إحدى المنجيات من العرب ؛ وكان يقال لبيد الكملة ؛ روى أن عبد الله بن جدعان لقيها وهي تطوف بالكعبة ؛ فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أي بذيك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عمارة ؛ لابل أنس ؛ شكلتهم إن كنت أدرى أيهم أفضل » ، (وانظر الأغاني ١٦ : ١٩) .

وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ غلام له ذوابة ، وكان الربيع ابن زياد العبسي ينادم النعمان ، ويكثر عنده ، ويتقدم على من سواه ، وكان يدعى السكامل ، لشطاطه^(١) وبياضه وكأله .

فضرب النعمان قبّة على أبي براء ، وأجرى عليه وعلى من كان معه الثزل ، فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم ، فافتخروا يوماً بحضرتة ، فكاد العبسيون يغلبون العامريين ، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معايبهم ؛ ففعل ذلك مراراً لمداوته لبني جعفر ؛ لأنهم كانوا أسروه ، فصدّ النعمان عنهم حتى نزع القبّة عن أبي براء ، [٦٢] وقطع / الثزل ، ودخلوا عليه يوماً فأروا منه جفاءً ، وقد كان قبل ذلك يكرمهم ، ويقدم مجلسهم ، فخرجوا من عنده غضاباً ، وهمّوا بالانصراف ، ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ، ويغدو بإبلهم فيرعها ، فإذا أمسى انصرف بها .

فأتاهم تلك الليلة وهم يتنادون أمر الربيع ، فقال لهم : ما كنتم^(٢) تتناجون؟ فكتموه ، وقالوا له : إليك عنا ، فقال : أخبروني ، فلعنّ لكم عندي فرجاً ، فزجروه ، فقال : والله لا أحفظ لكم متاعاً ، ولا أسرح لكم بغيراً^(٣) أو تخبروني ؟ وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع ، فقالوا له : خالك قد غلبنا على الملك ، وصدّ^(٤) عنا وجهه ، فقال : هل تقدرين أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فأرجز به رجزاً ممضاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا له : وهل عندك ذلك؟ قال : نعم ، قالوا : فإننا نبلوك بشتم^(٥) هذه البقلة . وقدامهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الورق ، لاصقة فروعها بالأرض ، تدعى التربة . فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده ، وقال : « هذه البقلة التربة الثقيلة الرذلة ، التي لا تنكئ ناراً ، ولا تؤهل داراً ، ولا تستر جارا ، عودها ضئيل ، وفروعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ونبتها خاشع ، وآكلها

(١) حاشية الأصل : « الشطاط هو استواء الفامة وحسنها ، والشطط : الخلاف والجدل » .

(٢) حاشية الأصل : « مالكم » . (٣) من نسخة مجاشيتي ت : « إبلا » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « وأصدعنا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فاشتم »

جائع ، والمقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدّها قلعاً ، فحجرُ بآ^(١) لجارها وجدعا ! القوابي^(٢) أذا بنى عبس ، أرجعه عنكم بتمس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، وإنما تكلم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم ، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رحلاً يكدم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فحلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلّة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة ، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبيد : وقد دهن أحد شقّي رأسه ، وأرخى إزاره ، وانتعل نملا واحدة . وكذلك [٦٢] كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء - فمثل بين يديه ، ثم قال :

يَارُبُّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ^(٣) إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُتَقَرَّعَةً
نَحْنُ بَنَى أُمَّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
الطُّعْمُونَ الْجَفْنَةَ الْمُدَّعَةَ^(٤) وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَمَةَ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « غربا » [بفتح الراء] ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « غزريا » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فألقوا » . (٣) الأرجوزة في ديوانه ١ : ٧-٨ ، وقبل هذا البيت في رواية تلميذ :

* لَا تَزَجِرِ الْفِتْيَانَ عَنْ سُوءِ الرَّعَةِ *

والرعة : حالة الأحمق التي رضى بها . (٤) كذا في ت ، وفي الأصل ، دف : « المددعة » بالذال المعجمة . وفي حاشية الأصل : « حقه » المددعة » بالذال غير المعجمة ؛ وهي المملوءة ، والمددعة تحريك السكياك ونحوه ليسم الشيء ، ودعدت الشيء ملأته ، وجفنة مددعة أي مملوءة ، قال ليبيد أيضا يصف ماء بين القيا من السيل :

فَدَدَعَا سُرَّةَ الرِّكَاءِ كَمَا دَدَعَعَ سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

- والركاء : واد معروف ، أما المددعة ؛ فهو التفريق ؛ ولم يسم في معنى اللره بالذال ، والله أعلم .

مَهْلًا أَيْتَ اللَّعْنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَهَ مِنْ بَرَصٍ مُلْتَمِعَةٍ
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
كَأَنَّهُ يُطَلِّبُ شَيْئًا ضَيْعَهُ

فَلَمَّا فَرِغَ لِبَيْدِ النَّعْمَانِ إِلَى الرَّبِيعِ يَرْمِقُهُ شَرًّا ، وَقَالَ : كَذَلِكَ أَنْتَ ؟ قَالَ : كَذِبٌ
• وَاللَّهُ ابْنُ الْحَيِّقِ اللَّيْمِ ! فَقَالَ النَّعْمَانُ : أَفَ لِهَذَا الطَّعَامِ ، لَقَدْ خَبَثَ عَلَيَّ طَعَامِي ! فَقَالَ
الرَّبِيعُ : أَيْتَ اللَّعْنِ ! أَمَا إِنِّي قَدْ فَعَلْتُ بِأُمِّهِ - لَا يَكْنَى ، وَكَانَتْ فِي حِجْرِهِ - فَقَالَ لِبَيْدِ : أَنْتَ
لِهَذَا السَّكَّامِ أَهْلٌ ، أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ غَيْرِ فُعَلٍ ، وَأَنْتَ الْمَرْءُ قَالَ هَذَا فِي يَتِيمَتِهِ (١) .

قَالَ سَيِّدُنَا أَدَامُ اللَّهُ عَالُوهُ : وَجَدْتُ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : أَمَا إِنَّهَا مِنْ نِسْوَةٍ فُعَلٍ ، وَإِنَّمَا قَالَ
ذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ ، فَنَسَبَهَا إِلَى الْقَبِيلِ ، وَصَدَّقَهُ عَلَيْهِ تَهْجِينًا لَهُ وَلِقَوْمِهِ .

١٠ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِهِمْ جَمِيعًا فَأَخْرَجُوا ، وَأَعَادَ عَلَى أَبِي بَرَاءِ الْقُبَّةَ ، وَانصَرَفَ الرَّبِيعُ إِلَى مَنْزِلِهِ ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ بَضْعِيفٍ مَا كَانَ يُحْبَوهُ بِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْانصِرَافِ إِلَى أَهْلِهِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنِّي
قَدْ تَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَقَعَ فِي صَدْرِكَ مَا قَالَ لِبَيْدِ ، وَلَسْتُ بِرَأْمٍ حَتَّى تَبْعَثَ إِلَيَّ مَنْ
يَجْرِدُنِي ، لِيَعْلَمَ مَنْ حَضَرَكَ مِنَ النَّاسِ إِنِّي لَسْتُ كَمَا قَالَ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ : إِنَّكَ لَسْتَ صَانِعًا
بِاتِّفَاقِكَ مِمَّا قَالَ لِبَيْدِ شَيْئًا ، وَلَا قَادِرًا عَلَى رَدِّ مَا زَلَّتْ بِهِ الْأَلْسُنُ ، فَالْحَقُّ بِأَهْلِكَ ؛ ثُمَّ كَتَبَ

١٥ إِلَيْهِ النَّعْمَانُ فِي جُمْلَةِ أَبِياتٍ جَوَابًا عَنْ أَبِياتٍ (٢) كَتَبَهَا إِلَيْهِ الرَّبِيعُ مَشْهُورَةٌ :

(١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « رَبِيبَتِهِ » .

(٢) الْأَبِيَاتُ بِرِوَايَةِ صَاحِبِ الْأَغَانِي :

لئن رحلتُ جِمالِي إنَّ لِي سَعَةً	مَامِئُهَا سَعَةً عَرَضًا وَلَا طُولًا
بِحَيْثُ لَوْ وَزَنْتُ نَحْمًا بِأَجْمَعِهَا	لَمْ يَعْدِلُوا رِيْشَةً مِنْ رِيْشِ سَمُوِيَلًا
تَرَعَى الرِّوَائِمُ أَحْرَارَ الْبِقُولِ بِهَا	لَا مِثْلَ رَعِيْكُمْ مَلْحًا وَغَسُوِيَلًا
فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ يَا نَعْمَانُ مُتَكِنًا	مَعَ النَّظَّاسِيِّ يَوْمًا وَابْنَ تَوْفِيَلًا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقَّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلًا! (١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا/ [٦٣] و
أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرنا به أيضا المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال:
حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبَّان عن الكلابي عن
عبدالله بن مسلم البكاوي (٢) - وكان قد أدرك الجاهلية - وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ،
ولم نأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتج إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه
بألفاظه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ » فإنه نَصَبٌ

على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة
ابن صَعْمَةَ ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلَاعِب ١٠
الأسنَّة ، وطُفَيْل بن مالك فارس قُرْزُل ، وهو أبو عامر بن الطُّفَيْل ، وقُرْزُل فارس كانت له ،
وربيعة بن مالك أبا لبيد ، وهو ربيع المقتريين ، ومعاوية بن مالك معوّد الحكام ، وإنما سمي
معوّد الحكام بقوله :

أَعُوذُ مِثْلَهَا الْحُكَّامَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغاني ؛ وهي :

شَرُّدُ بَرِّحِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا تُكْثِرْ عَلَيَّ وَدَعَّ عَنْكَ الْأَبَاطِيلَا
فَقَدْ ذُكِرْتَ بِشَيْءٍ لَسْتُ نَاسِيَهُ مَا جَاوَرَتْ مَعْرَ أَهْلَ الشَّامِ وَالنِّيْلَا
فَمَا اتَّقَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَرَعْتُ هَوَجُ الْمَطِيِّ بِهِ نَحْوُ ابْنِ سَمُوَيْلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلًا!
فَالْحَقُّ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسِعَةً وَانْشَرِبَهَا الطَّرْفَ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طَوَّلَا

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « البكاوي »

وولدتُ عُبَيْدَةَ الوَضَّاحِ؛ فهؤلاء خمسة ، وقال لبيد : « أربعة » ، لأن الشعر لم يمكنه من ذلك (١) .

وأما الجفنة المدَّعَّة (٢) فهي المملوءة . وأما الخَيْضَمَة ، فإن الأصمعيّ يذكر أن لبيداً قال : « تحت الخَضَمَة » ؛ يعني الجلبة ، فسوّته الرواة . وقيل : إن الخَيْضَمَة أصوات وقع السيوف ، والخَيْضَمَة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس ، والخَيْضَمَة الغبار ، والقول يحتمل كل ذلك .
وأما : « أبيت اللعن » ، فإن أبا حاتم قال : سألتُ الأصمعيّ عنه فقال : معناه أبيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .

وأما : « الأشاجع » ؛ فهي العروق والمصب الذي على ظهر الكفّ .

وقد روى : * أكل يوم هامتي مُقْرَعة *

١٠ والقَزَع : تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه ، يقال : كبش أقزع ونمجة قزَعاء .

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، مولى لأبي التمام عمرو بن قلع الكِنَانِيّ ثم الفُقَيْمِيّ . وذكر المبرّد أنه ما رأى أحرص على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أيّ كتاب كان . وأما الفتح / بن خاقان (٣) فإنه كان يحمل الكتاب في خُفّه ، فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه وهو يمشي حتى يبانح الموضع الذي يريد ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ

(١) قال صاحب الخزانة (٤ : ١٧٤) : قول السيد المرتضى : إن لبيداً إنما قال أربعة وهم خمسة

أضرورة الشعر ؛ هذا قول انفراد ؛ وهو قول دارغ ؛ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر : لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط ؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

(٢) في الأصل : « المدععة » ، وصوابه من ت ؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١ ، من هذا الجزء .

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ؛ قتل معه سنة ٢٧٤ ؛ (النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥) ؛

مجلسه . وأما إسماعيل بن (١) إسحاق فأني مادخلتُ عليه قطُّ إلا وفي يده كتاب ينظر فيه ، أو يقبَل الكتبَ لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البُخَيّيُّ : تفرّد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طباع ، وهي مع ذلك فعل للعباد على الحقيقة ، وكان يقول في سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ، وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجاز أن يبلغ أحدهُ فلا يعرف الله تعالى ؛ والكفار عنده بين معانيدٍ ، وبين عارفٍ قد استغرقه حبهُ لمذهبه وشغفه به وإفقه وعصبيته ؛ فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات (٢) ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، للعداوة التي كانت بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ، فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفْتُ أن أكون ثانياً اثنين إذ هما في التنوُّر ! يريد : ما صنَع ١٠ بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعذب به حتى مات .

وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة ، وهو مقيد في قيص سمَل ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمتُك إلا متناسياً للنعمة ، كفورا للصنعة ، معدناً للمساوىء ، وما فُتِنني باستصلاحي (٣) لك ، ولكنَّ الأيام لا تُصلح منك ١٥ لفساد طويبتك ، ورداءة دَخيلتك (٤) ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خَفِضْ عليك أيدك الله ! فوالله لأنَّ يكونَ لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لي عليك ، ولأنَّ أسيء وتُحسن أحسنُ في الأحداثِة عنك من أن أحسن قُتسىء ، ولأنَّ تعفوَ عني في حال قُدُرتك

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضي البصري الفقيه المالكي ؛ صنف في الفراءات والفقهِ ؛ وكان إماماً في العربية ؛ قال المبرد ؛ هو أعلم بالتصريف مني ؛ وتوفي سنة ٢٨٢ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتصم ، وله شعر سائر جيد ، وديوان رسائل ، وتوفي سنة ٢٣٣ ؛ (ابن خلكان ٢ : ٥٤) . (٣) حاشية الأصل :

« أي ما فوتني استصلاحيك ، والباء للتعديّة » . (٤) ت : « داخلك » .

أَجْمَلُ بكَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ : قَبِحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرًا
تَرْوِيقَ اللِّسَانِ ، وَقَدْ جَمَلْتَ بَيَانَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اضْطَمْنَتْ فِيهِ النِّفَاقَ وَالْكَفْرَ ؛ يَا غِلَامَ صِرْ
بِهِ إِلَى الْحَمَامِ ، وَأَمِطْ عَنْهُ الْأَذَى . فَأَخَذَتْ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ / وَالْقَيْدِ ، وَأَدْخَلَ الْحَمَامَ ، وَأَمِطَ عَنْهُ الْأَذَى ،
وَحَمَلَ إِلَيْهِ تَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَطَوِيلَةٍ وَخَفَّ ، فَلَبَسَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَنَاهُ فَصَدَّرَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ !

وقال المبرّد: سمعت الجاحظ يقول: احذر مَنْ تَأْمَنُ؛ فإنك على حذرٍ ممن تحاف.
وقال الجاحظ: قلت لأبي يعقوب الخُرَيْمِيُّ الشاعر: مَنْ خَلَقَ الْمَعَاصِيَ؟ قال: الله، قلت:
مَنْ عَذَّبَ عَلَيْهَا؟ قال: الله، قلت: فلم؟ قال: لا أدري والله!
وكان الجاحظ يقول: ينبغي للكاتب أن يكون رقيقَ حواشي الكلام، عذبَ بناييمه،
إذا حاور سدّد سهمَ الصواب إلى غرَضِ المعنى.

وقال: لا تكلّمُ العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة.
وقال سَوَّارُ بْنُ أَبِي سُرَاعَةَ: كُنْتُ عِنْدَ الْجَاحِظِ، فَرَأَيْتُ أَوْ كَتَبَ خَطًّا رَدِيئًا فِي وَرْقٍ
رَدِيءٍ مُتَقَارِبِ السُّطُورِ ، فَقَالَ لِي : مَا أَحْسَبُكَ تَحِبُّ وَرَثَتَكَ ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ :
لَأَنِّي أُرَاكَ تُسِيءُ بِهِمْ فِيمَا تَخْلُقُهُ !
وذكر أبو العباس المبرّد قال: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوجُّ
إلى هوان من كريمٍ إلى إكرام، ومن علمٍ إلى عمل، ومن قدرةٍ إلى عفو، ومن نعمةٍ إلى
شكر.

وقال المبرّد قال لي الجاحظ يوما: أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم .
ولا خيرَ فِيمَنْ لَا يُؤْطِنُ نَفْسَهُ على نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
فقلت: نعم، قول كثير، ومنه أخذ:
فقلتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِّئَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وروى يموتُ بن المزرع نخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجَمَّاز^(١) بهجوه :

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ
تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا تَمْدُو قَقَاةَ
يَتَحَاجِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
ليس يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

٥

/ أخبرنا المرزباني قال: أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء [٦٤]

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضب :

زُرْتُ فَتَاةَ مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَاسْتَمَعَجَلَتْ إِلَيَّ بِالسُّوَالِ
مَالِي أَرَاكَ قَانِيَّ السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ^(٢)
مَا يَبْتَغِي مِثْلَكَ مِنْ أُمَّثَالِي تَنَحَّ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

١٠

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: قوله : « كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ » مليح

قوي، ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني :

بَدَا حِينَ أَثْرَمِي بِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَةَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَيْبَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

١٥

قال إبراهيم : فذا كرتُ بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، ثم

لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، وقال يموت بن المزرع : سمعت خالي

الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضلُ قول أبي نواس :

(١) الجَمَّاز ؛ لقب له ؛ ومعناه الرناب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب

بصري ؛ وكان ماجنا خبيث اللسان ذا نادرة ؛ وكان أكبر سن من أبي نواس ؛ دخل بغداد في أيام المتوكل ؛ وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بمشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وانحدر ، فأت فرحاً بها ؛ (تاريخ بغداد ٣ : ١٢٥-١٢٦) . (٢) السكرع : أن يشرب الرجل بفيه من الزهر ، والجريال : صفة الخمر .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا وَأَذَلَّجُوا
 مَسَاحِيبُ مِنْ جَرِّ الزَّقَاقِقِ عَلَى الثَّرَى
 حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فُجِدَّتْ عَهْدَهُمْ
 وَلَمْ أُدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ
 أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا
 تَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجِدِيَّةٍ
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا
 / فَلَخْمِرٍ مَا زَرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا [٦٥]
 قَالَ الْجَاهِظُ : فَأَنْشَدْتُهَا أَبَاشَعِيبَ الْقَلَّالَ (٤) فَقَالَ : يَا أَبَا عَثْمَانَ ، لَوْ نَقَرْنَا هَذَا الشَّعْرَ لَطَنَّ !

١٥ قلت : ويلك ! ما تفارق الجرار والحزف حيث كنت ! .

قال سيدنا أيده الله : أخذ أبو نواس قوله :

وَلَمْ أُدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ
 بَشْرُقِي سَابِاطَ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
 مِنْ قَوْلِ أَبِي خِرَاشِ الْهُدَلِيِّ :

١٥ وَلَمْ أُدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَيَوَى (٥) أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جَدَّ مَحْضُ
 وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا خِرَاشٍ أَوَّلَ مَنْ مَدَحَ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ خِرَاشَ بْنَ أَبِي خِرَاشٍ أَسْرَ

هُوَ وَعُرْوَةَ بْنِ مَرَّةٍ ، فَطَرَحَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ رِدَاءَهُ عَلَى خِرَاشٍ حِينَ سَغَلَ الْقَوْمَ بِقَتْلِ عُرْوَةَ
 وَنَجَّاهُ . فَلَمَّا تَفَرَّغُوا لَهُ قَالَ : أَفَاتَ مِنِّي ، وَيُقَالُ : بَلَ رَأَى فِي الْأَسْرِ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَمِّهِ ،
 فَأَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ لِيُجِيرَهُ بِهِ ، وَقَالَ لَهُ : النِّجَاءُ وَيْلَكَ ! فَقَالَ أَبُو خِرَاشٍ فِي ذَلِكَ :

حَمِدْتُ الْإِلَهَ (٦) بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٥٤ . (٢) البسابس : الخوالب ، وساباط : موضع

ببلاد فارس . (٣) تدرجها : تختلها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » .

(٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧-١٥٨) .

وأمالى الفعلى ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠-٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧-٦٤٨) .

(٧) من نسخة بحاشية ت : « إلهي » .

فَأَقْسَمْتُ لَا أَنْسَى قَتِيلًا رُزِئْتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي (١) مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَعْفُو الْكَلُومُ وَإِنَّمَا نُؤَكِّدُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أُدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُئِلَ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضٍ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني إبراهيم بن محمد بن شهاب قال
حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البردعي المتكلم قال : صرْتُ إلى منزل الجاحظ في أول
ما قدِمْتُ من بلدي ، وقد اعتل علته التي فُلِجَ فيها ، فاستأذنتُ عليه ، فخرج إلى خارج من
منزله ، فقال لي : يقول لك : وما تصنعُ بشِقِّ مائل ، ولعاب سائل ! فانصرفت عنه .

وذكر يموت بن المزرع قال : وجّه المتوكل في السنة التي قُتِلَ فيها أن يُجْمَلَ إليه الجاحظ
من البصرة ، وسأله الفتحُ ذلك ، فوجدَه لافضل فيه (٢) ، فقال لمن أراد حمله : وما تصنعُ بامرئ
ليس بطائل ، ذى شِقِّ / مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائِل ، وعقل زائل ، ولون حائل ! . [٦٥]
ط

وذكر المبرد قال : سمعت الجاحظ يقول : أنا من جانبي الأيسر مفلوج ، فلو قرِض
بالمقاريض ما علمتُ ، ومن جانبي الأيمن مُنْقَرَسٌ ، فلو مرَّ به الذباب لَأَلَمْتُ ، وبي حصة
لا ينسرح لي البول معها ، وأشد ما على ست وتسعون !

وقال يوماً لمتطبب يشكو إليه عاتته : قد اصطلحت الأضداد إلى جسدي ، إن أكلت
بارداً أخذ برجلي ، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي . وتوفي في سنة خمس وخمسين ومائتين . ١٥

(١) كذا ضبط في ت ؛ بضم القاف وفتح السين ؛ وضبط في معجم البلدان بفتح القاف وسكون
الواو ؛ وزان « سكري » ، وهي بلد بالسراة .
(٢) حاشية الأصل : « من نسخة » : « لافضل عنده » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧٧].

فقال: كيف ينبغي كَوْنُ تَوَلِيَةِ الْوُجُوهِ إِلَى الْجِهَاتِ مِنَ الْبِرِّ، وَإِنَّمَا يُفْعَلُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَهِيَ بَرٌّ لِمَحَالَةٍ؟ وَكَيْفَ خَبَّرَ عَنِ الْبِرِّ «بِمَنْ» وَالْبِرُّ كَالْمَصْدَرِ، وَ«مَنْ» اسْمٌ مَحْضٌ؟ وَعَنْ أَيِّ شَيْءٍ كُنِيَ بِالْهَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾؟ وَمَا الْمَخْصُوصُ بِأَنَّهَا كُنْيَاةٌ عَنْهُ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ ارْتَفَعَ ﴿الْمُوفُونَ﴾؟ وَكَيْفَ نَصَبَ ﴿الصَّابِرِينَ﴾، وَهَمَّ مَعْطُوفُونَ عَلَى الْوَفِيِّينَ؟ وَكَيْفَ وَحَدَّ الْكُنْيَاةَ فِي مَوَاضِعَ وَجَمَعَهَا فِي أُخْرٍ؟ فَقَالَ: ﴿مَنْ آمَنَ﴾ وَ﴿وَآتَى الْمَالَ﴾ وَ﴿أَقَامَ الصَّلَاةَ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾، وَ﴿الصَّابِرِينَ﴾؟.

يقال له: فيما ذكرته أولاً جوابان:

١٥ أحدهما أنه أراد تعالى: ليس الصلاة هي البر كله؛ لكنه ما عُدِّد في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات، فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم، فقد أحرزتم البر بأسره، وحزتموه بكامله، بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره.

والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا إلى المشرق، واليهود إلى بيت المقدس، واتخذوا

هاتين الجهتين قباتين ، واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما / برئ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [٦٦]
الله عليه وآله أكَذِبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ ، إِذْ كَانَ مَنْسُوخًا
بشريعة النبي صلى الله عليه وآله؛ التي تلزم الأسود والأبيض ، والعربي والعجمي ، وأن البرَّ
هو ما تضمنته الآية .

٥ فأما إخباره «بمن» ففيه وجوه ثلاثة :

أولها أن يكون معنى «البرِّ» ههنا البارَّ وذا البرِّ ، وجعل أحدهما في مكان الآخر؛ والتقدير:
ولكن البارَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ
غَوْرًا ﴾ ؛ [الملك : ٣٠] ، يريد غأراً ، ومثل قول الشاعر :

تَرَ تَعْمَارَ تَعَتْ حَتَّى إِذَا دَا دَّ كَرَّتْ فإِعْمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(١)

١٠ أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةٌ أَعْتَمَّتْهَا صُفُونَا^(٢)

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَرَبِيحِي مِنْ دَمُوعِهَا سِجَامًا ضُبَاعَ^(٣) وَجَاوِبِي نَوْحًا قِيَامًا

والوجه الثاني أن العرب قد تُخبر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصدر بالاسم ،

فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، وقول
العرب : إنما البرُّ الذي يصل الرحمَ ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر
والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّ فَتَى نَدٍ^(٤)

(١) البيت للخنساء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكامل - بشرح المرصفي ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ :

١٣٥ ، وتاج العروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو في وصف بقرة وحشية ، وقبلة :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تَطْيِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانُ إِصْغَارُهُ وَإِكْبَارُهُ

(٢) البيت لعمر بن كلثوم ؛ من المنقة - بشرح التبريزي : ٢١٧ ؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباعة » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « مقرر =

فجعل « أن تنبت » وهو مصدر خبراً عن الفتیان .

والوجه الثالث أن يكون المعنى : ولكن البرُّ برٌّ من آمن ؛ فحذف البرَّ الثاني ، وأقام « من » مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٣] ، أراد : حبَّ العجل ، قال الشاعر :

وكيفَ تُوَاصِلُ مَنْ أَصَبَحَتْ خَلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ (١)

أراد : كخلالة أبي مرَّحَبٍ ؛ وقال النابغة :

[٦٦] / وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (٢)

أراد على مخافة وعِلِّ . وتقول العرب : بنو فلان يطوُّهم الطريق ، أى أهل الطريق . وحكى عن بعضهم : أطيبُ الناس الزُّبْدُ ، أى أطيبُ ما يأكلُ (٣) الناس الزُّبْدُ ، وكذلك قولهم : حَسِبْتُ صَبَاحِي زَيْدًا ، أى صَبَاحَ زَيْدٍ ، وروى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، أى ليس على مَنْ أَكَلَ مع الأعمى حرج ، وفي قوله تعالى : ﴿ رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً تَبِعَهُمْ . فأما مَنْ كنى عنه بالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ففيه وجوه أربعة :

== في الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو مايقوم مقام ذلك ويجرى مجراه ؛ وهو احتراز من قولك مثلاً : أبو يوسف أبو حنيفة ؛ يعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزء من المبتدأ والخبر جنتين أو حدثين ؛ حتى لاينخرم هذا الأصل الذى أصلوه ؛ فإذا وجدت شيئاً من ذلك قد اختلف فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز ؛ كقولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدث ، والحدث هو الواقع . والبيت المستشهد به ، التقدير فيه : لعمرك ما فتوة الفتیان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : ما فتوة الفتیان نبتة الاحى . (١) خللته : مودته ، وأبو مرَّحَبٍ كناية عن الضل ، والبيت للنابغة الجعدي ، وقبله :

وبعضُ الأَخْلَاءِ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَالرُّزْءُ أَرْوَعُ مِنْ تَعَلِّبِ

وانظر اللسان (رحب) . (٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة :

اسم جبل ؛ وعاقل : متحصن ، وفي حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » في البيت زيادة ، والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ؛ وهو كثير ، والوعل : الضأن الوحشى . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ما أكل الناس » .

أولها: أن تكون الهاء راجعةً على المال الذي تقدم ذكره ، ويكون المعنى : وآتى المال على حبّ المال ، وأضيف الحب إلى المفعول ، ولم يذكر الفاعل : كما يقول للقائل : اشتريت طعامي كاشتراء طعامك ، والمعنى كاشترائك طعامك .

والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دلّ ﴿ آتَى ﴾ عليه ، والمعنى : وأعطى المال على حبّ الإعطاء ، ويجرى ذلك مجرى قول القمامي :

هُمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ (١) وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ (٢)

فكّنى بالهاء عن الملك ، لدلالة قوله : « الملوك » عليه ، ومثله قول الشاعر :

١٠ إِذَا نُهِى السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهُ إِلَى خِلَافِ (٣)

أراد : جرى إلى السّفه الذي دلّ ذكر السّفه عليه .

والوجه الرابع : أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى ؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم ، فيكون

المعنى : وآتى المال على حبّ الله ذوى القربى واليتامى . فإن قيل : فأى فائدة في ذلك ، وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضمّ به ، وأن العطية تكون أشرف وأمدح ، فما الفائدة

فيما ذكرتموه ؟ وما معنى محبة الله ، والمحبة عندكم هي الإرادة ، والتقديم تعالى لا يصح أن يراد ؟ .

قلنا : أما المحبة عندنا فهي الإرادة ، إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متملقها مجازاً

[٦٧]

وتوسماً ، فيقولون : فلان يحب زيدا ، إذا أراد منافقته ، ولا يقولون : زيد / يريد عمراً ؛ بمعنى و

(١) حاشية ت (من نسخة) : « هم » . (٢) جهرة الأسماء : ٣١٦ ؛ وهو آخر قصيدته

التي مطلعها :

إِنَّا حَيُّوكُ فَاسْلَمْ أَشْبَاهُ الطَّلَلِ وَإِنْ بَلِيَتْ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّوْلُ

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الخلاف » . وحاشية الأصل (من نسخة) : « اختلاف » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يحب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول ينبيء عن أنه لا يريد إلا منافعه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثاني لا يدلُّ على ذلك ، فخصت له مزيةً ؛ وعلى هذا المعنى نصِّفُ الله تعالى بأنه يحب أوليائه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعميم والإجلال والنعم ؛ فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصحَّ المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً ؛ لاستحالة المنافع عليه . ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصحُّ أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبتته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول في أصحاب التشبيه: إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحقَّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحقَّ الفاعل به ثواباً ، وكان ضائماً . وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبِّ المال والظنِّ به ؛ لأنَّ المحبَّ للمال / الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحقَّ به شيئاً من الثواب ؛ وإنما يُؤثِّر حُبُّه للمال في زيادة الثواب؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ، ولو تقرب بالعطية ، وهو غيرُ ضنينٍ بالمال ، ولا محبِّ له لاستحقَّ الثواب . وهذا الوجه لم يُسبق^(١) إليه في هذه الآية ، وهو أحسن ما قيل فيها .

وقد ذكر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضاً ، وينتصب ذوى القربى بالحبِّ ، ولا يجعل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال في حال^(٢) حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبته أيامهم ؛ وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفي حاشية ت أيضاً

(من نسخة) : « على حال حبه » .

مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عنها^(١) السؤال ، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوى القربى بالحب ، وذلك غير ما وقع السؤال عنه ؛ والأجوبة الأولى أقوى وأولى .

فأما قوله: ﴿ وَالْمُؤْفُونَ ﴾ ، ففي رفعه وجهان :
أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح ؛ لأنَّ النعت إذا طال وكثر رُفِعَ بعضُهُ ، ونُصِبَ بعضُهُ على المدح ؛ ويكون المعنى : وهم الموفون بهمدهم ، قال الزجاج : وهذا أجود الوجهين . ٥
والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ ، ويكون المعنى : ولكن ذا البرِّ وذوى البرِّ المؤمنون والموفون بهمدهم .

فأما نصب ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ففيه وجهان :
أحدهما المدح ، لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها^(٢) بالمدح أو الذم ، لتميُّزِها الممدوح أو المذموم ويفردوه ، فيكون غير متبع لأول الكلام ؛ من ذلك ١٠ قول الخرنق بنت بدر بن هفان :

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْمَدَائِدِ وَأَفَةُ الْجُزْرِ^(٣)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

فنصبت ذلك على المدح ، وربما رفعوها جميعاً ، على أن يتبع آخر الكلام أوله ؛ ومنهم من ينصب « النازلين » ويرفع « الطيبين » ، وآخرون يرفعون « النازلين » وينصبون « الطيبين » ؛ والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ، ومن ذلك قول الشاعر ، أنشده الفراء :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرَمِ وَابْنِ الْهَمَامِ وَلَيْتَ الْكَتِيبَةَ فِي الْمُزْدَحَمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَنْعَمُ الْأُمُورُ بِنَدَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فنصب « ليت الكتيبة وذا الرأي » على المدح . وأنشد الفراء أيضاً :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عنها » .

(٢) ش ، حاشية ت (من نسخة) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، والآلي : ٨ : ٥ ،

ونوادر أبي زيد ١٠٨ ، والكامل - بشرح المرصفي ٦ : ١٥٨ .

فَلَيْتَ التّي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ
عَلَى كُلِّ نَعْتٍ مِنْهُمْ وَسَمِينِ
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ تَحَلٍّ وَلَزِيْبَةٍ
أَسْوَدُ الشَّرَى يَحْمِينُ كُلَّ عَرَبِيٍّ (١)
ومما نصب على الذم قوله :
سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفُونِي
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ (٢)

ووجه الآخر في نصب : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أن يكون معطوفاً على ذوى القربى ، ويكون
[٦٨] المعنى : وآتى المال على / حبه ذوى القربى والصابرين ؛ قال الزجاج : وهذا لا يصلح إلا أن
يكون ﴿والموفون﴾ رفيع (٣) على المدح لهضمين ، لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف
على الموصول ، وكان يقوى الوجه الأول .

وأما توحيد الذكّر في موضع وجمعه في آخر ؛ فلأن ﴿مَنْ آمَنَ﴾ لفظه لفظ
١٠ الوَحْدَة ، وإن كان في المعنى للجميع (٤) فالذكّر الذي أتى بعده موحّداً أُجْرِيَ على اللفظ ،
وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾
فعلّى المعنى .

وقد اختلفت قراءة القراء (٥) السبعة في رفع الرأ ونصبها من قوله تعالى : ﴿لَيْسَ
الْبِرُّ﴾ ، فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بنصب الرأ ، وروى هبيرة عن
١٥ حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع ، وقرأ الباقر بالرفع ، والوجهان جميعاً
حسنان ؛ لأن كل واحد من الاسمين : اسم ليس وخبرها معرفة ، فإذا اجتمعا في التعريف

(١) اللزبة : الشدة ، والشرى : مأسدة بناحية الفرات . (٢) البيت لعروة بن الورد ،
ديوانه : ٤٨ ؛ وهو في (الكتاب ١ : ٢٥٢) ؛ من أبيات يصف فيها ما كان من فعل قوم امرأته
حين احتالوا عليه وسقوه الخمر ؛ حتى أجابهم إلى مفاداتها ؛ وكانت سبية عنده ؛ (وانظر الخبر والأبيات
في الأغاني ٣ : ٧٥-٧٧ - طبعة دار الكتب المصرية) . (٣) ش ، وحاشية ت (من نسخة)
« رفعا » . (٤) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « للجمع » .
(٥) ت : « القراءة » .

تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً؛ كما تتكافأ النكرات^(١) .
وحجة من رفع «البرّ» أنه: لأن يكون «البرّ»^(٢) الفاعل أولى؛ لأنه ليس يشبه الفعل،
وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده؛ ألا ترى أنك إذا قلت: قام زيد، فإن
الاسم يلي الفعل. وتقول: ضرب غلامه زيد، فيكون التقدير في الغلام التأخير، فلولا أن
الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا؛ كما لم يجز في الفاعل: ضرب غلامه زيداً، حيث لم يجز
في الفاعل تقدير التأخير؛ كما جاز في المفعول به، لوقوع الفاعل موقعه المختص به .
وحجة من نصب «البرّ» أن يقول: كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر في أنها
لا توصف، كما لا يوصف المضمر؛ فكأنه اجتمع مضمر ومظهر؛ والأولى إذا اجتمعا أن
يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر .

حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله
محمد بن أحد الحكيميّ الكاتب قراءة عليه قال أمل علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ
ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابيّ قال قال ابن الكلبيّ: لما كان بعد يوم الهبأة جاوز قيس
ابن زهير النمر بن قاسط فقال لهم: إني / قد جاورتكم واخترتكم، فزوجوني امرأةً قد [٦٨]
أدبها الغنى، وأدلتها الفقر، في حسب وجمال؛ فزوجوه ظبية بنت الكيس النمرى . وقال
لهم: إن فيّ خلافاً ثلاثاً؛ إني غيورٌ، وإني فخورٌ، وإني أنفٌ، ولست أفخر حتى أبدأ، ١٥
ولا أغار حتى أرى، ولا أنف حتى أظلم .

فأقام فيهم حتى وُلِد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال : إني موصيكم بخصال ، وناهيكم
عن خصال ؛ عليكم بالأناة ، فإن بها تنال الفرصة ، وتَسويدٍ من لاتعابون بتسويده ، وعليكم
بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبيل المسألة ، ومنع من تريدون

(١) حاشية ت : « لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين ؛ فلا أدري كيف يتكافأان !
ولعله يريد التكافؤ في غير هذا الموضع . » (٢) ت : « الاسم » .

منعه قبل الإلحاح ، وإجازة الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت الأياشي^(١) ، وخلط
الضيف بالعيال ؛ وأنها كم عن الرّهان؛ فإن^(٢) به شككت مالكا أخى ، والبغى ، فإنه قتل
زهيراً أبى ، وعن الإعطاء فى الفضول فتمجزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدماء ،
فإن يوم الهباءة الزمنى العارحقة ، ومنع^(٣) الحرم إلا من الأ كفاء ؛ فإن لم تصيبوا لها^(٤)
• الأ كفاء فإن خير منأكلها القبور ، أو خير منأزلها؛ واعلموا إنى كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى
بنو بدر بقتلهم مالكا أخى ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « أنها كم عن الرّهان » فأراد المرادته
فى سباق الخيل ، وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه : داحس
والغبراء ، وفرسى حذيفة : الخطار والحنفاء - وقال بعض بنى فزارة : بل قرزل والحنفاء -
١٠ وكان قيس كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان - وقيل : بل رجل
من بنى عيس - والخبر فى شرح ذلك مشهور^(٥) ؛ ثم وقع الانفاق على السباق ، وجعلوا الغاية
من واردات^(٦) إلى ذات الإصا^(٧) ، وجعلوا التصبة^(٨) فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد ،
يقال له حصين ، ويبد رجل من بنى المشراء من بنى فزارة ، وملثوا الركة ماء ، وجعلوا
السابق أول الخيل بكرع فيها . ثم إن حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذى أرسلت
١٥ الخيل منه^(٩) ينظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال حذيفة : خدعتك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « اليتامى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فإنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وعليكم بمنع الحرم » . (٤) حاشية ت (من نسخة)

« لهن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والغبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم

ذى حسا ، ويوم اليمرية ، ويوم الهباءة ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدير قاهى ، وانظر تفصيل

الخبر وما قيل فيه من الشعر فى (العقد ٥ : ١٥٠-١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣-٣٢ ، وسيرة ابن هشام

١ : ٣٠٦-٣٠٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١-٣٩٧-٣٩٨ ، ٣ : ٣٤-٤٢ ، وابن الأثير ١ :

٣٤٣-٣٥٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ٥١-٦١ ، وشرح العيون ٨٩-٩١ ، ومعجم البلدان - إصا ، هباءة ،

وشرح القائض ٨٣-١٠٨) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٧) ذات الإصا : ردهة فى

ديار عيس . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « الفضية » وهو تحريف (١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيه » .

ياقيس ، فقال قيس : « تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها
مثلا ، ثم / ركضا ساعة ، فجعات خيلٌ حذيفةَ تمتدُّمُ خيلَ قيس ، فقال حذيفة : سُبِّتَ [٦٩]
يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرَى المذَكِّيَاتِ غِلاب » ، فأرسلها مثلا - والمذَكِّيَاتِ : اللسانُ
من الخيل (١) - وروى : « غِلاب » كما يتغالى (٢) بالقبيل . ثم ركضا ساعة ، فقال حذيفة : إناك
لا تَرَكُضُ مَرَكُضًا ، سُبِّتَ خَيْلُكَ ؛ فقال قيس : « رُوَيْدَ يَعْمَلُونَ الجَدَدَ » ، فأرسلها مثلا ٥
ووروى : « يَعْمَدُونَ الجَدَدَ » ، أى يتعمدُّن الجَدَدَ إلى الوعث (٣) .

وقد كان بنو فزارة أكرموا بالثبئية كميناً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه
وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه ، ولم يعرفوا الغبراء ، وهى خلفه مُصليةٌ
حتى مضت الخيلُ ، وأسهبَت من الثبئية ، ثم أرسلوه فتمطَّرَ (٤) فى آثارها ، فجعل يبدؤها (٥)
فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلياً (٦) ، وقد طرّح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت ١٠
الغايةُ سبقتها (٧) . فاستقبلتها بنو فزارة فاطمئوها ، ثم حلّوها (٨) عن البركة ، ثم لطموا
داحساً ، وقد جاء متواليين ، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفعتم بنو فزارة
عن سبقتهم ، ولطموا فرسهم (٩) ، وجرى من الخلف فى أخذ السبق ماقد شرحتة الرواة .
وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسبق (١٠) كان بين حمل بن بدر وبين قيس ،
وفى ذلك يقول قيس :

(١) أى أن المذكى يغالب مجاربه فيغلبه لغوته ، وفى جمع الأمثال (١ : ١٤٤) : « يجوز أن يراد أن ثانى
جره أبداً أكثر من بديه وثالثه أكثر من ثانيه ؛ فسكانه يغالب بالثانى الأول والثالث الثانى ؛ فجره
أبداً غلاب » . (٢) حاشية الأصل : « المالملة : الرمى فى الهواء » .

(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . (٤) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يندرها » ، أى يسقطها .

(٦) المصلى من الخيل : النال للسابق . (٧) ت : « لسبقها » .

(٨) حلّوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . (٩) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت :

« فرسيهما » . (١٠) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السابق » .

كَمَا لاقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ
 هُمْ فَخَرُوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرٍ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
 وَقَدْ دَلَّفُوا إِلَى بِفَعْلِ سَوْءٍ فَأَلْفَوْنِي لَهُمْ صَمْبَ القِيَادِ (١)
 وَكُنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِمُخَصِّمِ سَوْءٍ دَلَفْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ (٢)

ثم إن قيساً أغارَ على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال ،
 فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف ، مائة عُشْرَاءٍ مُنْتَلِيَةٍ (٣) .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحذيفة ، يقال له مالك ، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السَّبَقَ (٤) ،
 فطمعته فدقَّ صُلْبَهُ ، وإن الربيع بن زياد حمل ديتته مائة عُشْرَاءٍ ، فسكن الناس عن القتال .

[٦٩] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقَّاطة (٥) / قريباً من الحاجر ، ونكح امرأة يقال
 لها مُلَيْكَةُ بنت حارثة ، من بني غراب من فزارة ، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، ففسد إليه
 ١٠ فُرساناً فقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر ، وكانت تحت الربيع مُعَاذَةُ
 بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نَامَ الخَلِيٌّ وَمَا أُغْمَضُ (٦) حَارِ مِنْ سَيِّئِ النَّبَأِ الجَلِيلِ السَّارِي
 مِنْ مِثْلِهِ تُمَسِّي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مُعْمَلَةً مَعَ الأَسْحَارِ (٧)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا في
 الذم » . (٢) نَادٍ : صعبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التي يأتي على

حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمعها : عشار . ومثلية ؛ أي تتلوها أولادها » .

(٤) السبق : المال المخاطر عليه . (٥) اللقَّاطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بني فزارة

ذكره ياقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .

(٦) رواية الحماسة : « لم أغمض » ، والغماض : النوم بعينه .

(٧) م : « تمسى » ؛ قال التبريزي : « وتمسى أجرد ؛ لأن طبعه : « وتقوم معمولة مع الأسحار » ،

فكانه قال : « تمسى حواسر وتصبح بواكي » ، « وحواسرا » ؛ أي يأتي عليهن المساء وقد طرحن خرهن ؛

فعل النساء يصبن بكبار قومهن .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فليأتِ نسوتنا بوجهِ نهارِ (١)
يَجِدِ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ يَضْرِبْنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَحْجَارِ (٢)
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فاليومَ حينَ بَدُونَ لِلنَّظَّارِ (٣)
أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ (٤)
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِدَوِي الْحِجَبِ إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ (٥)
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَفْذُقْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ (٦)
وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ بِقَارِ (٧)

فأما مقتل زهير بن جزيمة العبسي أبي قيس ، فاختلفت الرواة في سببه ، فيقال إن هوازن

- (١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد عليه ذكر الإتيان مع النسوة » ؛ ورواية المرزوقي في الحماسة : « فليأت ساحتنا » ، قال : وأكثر من رأيناه يروى : « فليأت نسوتنا » ؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن العميد يقول : لاني لأتمجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما يختاره من الأبيات ، وغسله من درن الألفاظ ، كيف ترك تأمل قوله : « فليأت نسوتنا » ؛ وهذه لفظة شنيعة : « ووجه النهار : صدره . (٢) ت : « بالأسجار » ، وهي رواية الحماسة ، وفي نسخة بمحاشية الأصل : « بالأسيار » . (٣) ف ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « برزن » ؛ وهي رواية الحماسة . ت : « قدأبرزن » . (٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج لى أزواجهن بمقب أطهارهن ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف ، تعليقا على قوله : « زهير » ، بإسكان الياء : « جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة ، وردها من متفاعلين إلى فعلاتن » ؛ وهذا الحذف يسميه المتأخرون القطع ، وسماه الخليل الإقعاد ؛ وسماه ابن قتيبة الإقواء ؛ لأنه نقص من عروضه قوة ، (وانظر العمدة ١ : ٩٤ ، والشعر والشعراء ٤٣ ، وشروح سقط الزند ١١٤٦) . (٥) رواية الحماسة — بشرح التبريزي : « لدوى النهي » . وتشد بالأكوار ، أى تشد عليها الأكوار . (٦) المجنبات هنا : الخيل تجنب إلى الإبل في الغزوة . والعذوف والعذوفة أدنى ما يؤكل ، ورواية الحماسة : « عذوفا » ، والمهرات : جمع مهرة ؛ قال التبريزي في معنى البيتين : « ما أرى في قتل مالك بن زهير رأيا لدوى العقول ؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل ، ويسار بها سيرا عنيفا ؛ حتى ترمى أجنحتها ، فتبلغ بنا إلى عدونا ، فنغير عليهم ، ونسفك دماهم » . (٧) المساعر : جمع مسعر ، والمسعر : هو الشجاع ؛ كأنه آلة في إسماعار الحرب وإيقادها ؛ وصدأ الحديد آت من اتصاله بالدرع ولبسها .

ابن منصور كانت تؤتى الإناوة زهير بن جزيمة ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رحم ، فأنت عجوز من هوازن زهير بن جزيمة بسمن في نجي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل^(١) ، في صدرها ، فسقطت فبدت عورتها ، ففضبت من ذلك هوازن ، وحقته إلى ما كان في صدرها^(٢) من الفيض ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فألى جعفر بن كلاب قتال : والله لأجمعن ذراعي هذه وراء عنقه^(٣) حتى أقتل أو يقتل^(٤) ؛

وفي ذلك يقول خالد بن جعفر :

أرِينُونِي إِرَاغَتَكُمُ فَإِنِي وَحَذَفَةَ كَالشَّجِي تَحْتِ الْوَرِيدِ^(٥)
 / مَقْرَبَةٌ أَوْاسِيهَا بِنَفْسِي وَالْحِفْهَ رِدَائِي فِي الْجَاهِدِ
 ١٠ لَمَلَّ اللَّهُ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ
 فَأَمَّا تَمَقَّفُونِي فَاقْتَلُونِي فَمَنْ أَمْتَقَفَ فَلَيْسَ إِلَى خَالِدٍ^(٦)

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جزيمة لما قتل في غنى من قتل بابنه شأس وافى عكاظ ، فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حدثاً - قتال : يا زهير ، أما أن لك أن تشتفي وتكف ! - يعني مما قتل بشأس - فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكن^{١٥} يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جزيمة ، ثم أعنى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء^(٧) الطويلة من عنق خالد ، ثم خل بيننا ، فقالت قريش : هلك

(١) قوس عطل : لاوتر عايها . (٢) حاشية ت : (من نسخة) : « صدورها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أو أقتله » . (٥) أرِينُونِي ؛ أي اطلبوا إلي ، والشجا :

ماعرض في الخلق من عظم وغيره . وفي حاشيتي ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهري

في صحاح اللغة ، ويتخيل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجات تحت الوريد »

شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؛ و « مقربة » في البيت الثاني مفعول « أرِينُونِي » فرسا مقربة

والله أعلم » . (٦) إما تَمَقَّفُونِي ؛ أي إما تصادفوني ؛ وفي اللسان : تَمَقَّفْتُهُ ثَقَا ؛ أي صادفته ؛ وأنشد

فَأَمَّا تَمَقَّفُونِي فَاقْتَلُونِي فَإِنْ أَمْتَقَفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

(٧) ت : « السماء » .

والله يزهير ، قال : أنتم والله الذين لا علم لكم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله .
 واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد
 امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده ، فررَّ به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد ، فقال زهير لبنيته : إن
 هذا الحارث أطمعنا عليكم فأوثقوه ، فقالت أخته لبنيته : أيزوركم خالكم فتوثقونه ؟ وقالت تماضر
 لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه ^(١) ليريدني اكيدناك وقروتك - والا كيدناك الغم ،
 والقروت ^(٢) السكوت - فلا يأخذن فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بيذار غيذار سنوءة .
 - قال الأثرم : البيذار : الكثير الكلام ، والغيذار : السبي الخلق - ثم حاجوا له وطباً ،
 وأخذوا عليه يمينا ألا يجير ^(٣) عليهم ، ولا يُنذر بهم أحداً ؛ فخرج الحارث حتى أتى
 بني عامر ، فعمد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألقى الوطب تحتهما والقوم ينظرون ، ثم
 قال : أيتها الشجرة الذليلة ، اشربني من هذا اللبن ، وانظري ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل
 مأخوذ عليه . وهو يخبركم خبراً ، فذاقوا اللبن فإذا هو حاو لم يقرض بعد ، فقالوا : إنه يخبرنا
 أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكباً فرسه حذفة ،
 فلقوا زهيراً ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرَّ عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى :
 يا بني عامر ، اقتلوني والرجل ، واستغاث زهير ببنيته ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشد ^(٤) بسيفه ،
 فضرب خالداً ثلاث ضربات ، فلم تُغن شيئاً ، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ، ثم ١٥
 ضرب خنجر رأس زهير فقتله ، ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلِّ خالدٍ فأقبأتُ أسعى كالمجولِ أبادرٍ ^(٥)
 إلى بطلين ينهضان كلاهما يريدان نصل السيفِ والسيفِ دائرٍ ^(٦) [٧٠]

(١) ت : « إلى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قرت الدم يقرت قروتا إذا ماتت تحت الجلد ؛ وقرت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروت : السكون » .
 (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ألا يخبر عنهم » . (٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) :
 « يشد » . (٥) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .
 (٦) تسكئة من ت ، والأغاني ، والمقد .

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أُضْرِبُ خَالِدًا وَيَسْتُرُهُ مِنِّي الْحَدِيدُ الْمُظَاهِرُ^(١)
فِيَالَيْتَ أَنِي قَبْلُ^(٢) ضَرْبَةَ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي مُنْمَاضِرًا!

فأما خبر الهبأة فإن بنى عبس وبنى فزارة لما التقوا إلى جنب جفر الهبأة^(٣) في يوم قائلًا ، فاقتتلوا - ولخبرهم شرح طويل معروف - استجار حذيفة ومن معه بجفر الهبأة ليتبرد^(٤) فيه ، فهجم عليه القوم ، فقال حذيفة يا بنى عبس ، فأين العود^(٥) ؟ وأين الأحلام ؟ فضرب حمّل بن بدر بين كتفيه وقال : « اتق ما تور القول بعد اليوم » ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قر وواش ابن هبي حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير حملاً ، وأخذ منه ذا النون ، سيف مالك بن زهير أخيه ، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل ، فقال قيس في ذلك :

تَعَلَّمَ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيمُ
وَلَوْ لَا ظَلَمَهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنَّ النَّفْيَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ بَغَى وَالْبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ^(٦)
أُظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرَّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُعْوجٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ

وقال قيس أيضاً :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَسِيفِي مِنْ حُدَيْفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَلَّكَ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَابِلِي فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي^(٧)

(١) المقد ، ونسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف ، : « ويعنه » . ويراد بالحديد هنا الدرع ؛ ويقال :
ظاهر الدرع ؛ إذا لم بعضها على بعض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « يوم ضربة خالد » .
(٣) الهبأة : أرض في بلاد عطفان ؛ وجفر الهبأة : مستنقع فيها .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ليتبرد » .
(٥) حاشية الأصل : « يقال سودد عود ، أى قديم » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) :
« مصرعه خيم » . (٧) حاشية ت من نسخة : « شفيت بهم » ، وروى ياقوت بعد هذا البيت :
فلا كانت الغبرا ولا كان داحس ولا كان ذاك اليوم يوم دهاني

مَجِئَاتُ خُرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً/ صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْتَلُونَ﴾؛ [البقرة: ١٧١]. [٧١] و

فقال: أي وجه تشبيه الذين كفروا بالصائح^(١) بالغنم، والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز، والناعق بالغنم قد يكون مميزاً متأملاً محصلاً؟

يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة:

أولها أن يكون المعنى: مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم إلى الإيمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه، وإنما تسمع صوته ولا تفهم غرضه؛ والذين كفروا بهذه الصفة لأنهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعائه وإنذاره فينصرفون^(٢) عن قبول ذلك، ويغرضون عن تأمله، فيكونون بمنزلة من لم يبقاه ولم يفهمه؛ لا اشتراكهما في عدم الانتفاع به. وجاز أن يقوم قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠ مقام الواعظ والداعي لهم؛ كما تقول العرب: فلان يخافك خوف الأسد؛ والمعنى نخوفه^(٣)

الأسد، فأضاف الخوف إلى الأسد وهو في المعنى مضاف إلى الرجل، قال الشاعر:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

أراد بتسليمي على الأمير، ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب الثاني أن يكون المعنى: ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق، فأضاف الله تعالى المثل الثاني إلى الناعق؛ وهو في المعنى مضاف إلى المنعوق به،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) «الناعق»، وفي ت: «الصائح: الناعق»

(٢) حاشية ت (من نسخة): «فيضربون». (٣) م: «كخوفه من الأسد».

على مذهب العرب في قولها : طلعتِ الشَّعْرَى ، وانتصب العُود على الحِرْبَاءِ (١) ، والمعنى وانتصب الحِرْبَاءِ على العُود ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفراء :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرَهُ (٢)
معناه يَحَلَّى بِالْمَعِينِ ؛ فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ . وأنشد الفراء أيضاً :

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرَّجْمُ فَرِيضَةَ الزَّنَا ، وأنشد أيضاً :

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ (٣)

/أراد ما تزيد مخافة وَعَلٍ على مخافتى ، ومثله :

[٧١]
ط

* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ (٤) *

أراد كَأَنَّ لَوْنَ سَمَائِهِ أَرْضُهُ ، ومثله :

١٠

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ (٥)

أراد مُدْخِلَ رَأْسِهِ الظِّلِّ ، وقال الراعي :

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ الْعَوْتِ يُوسِدُهَا مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ (٦)

يريد أنهم يرون الأثر كالعين ؛ وقال أبو النجم :

(١) الحِرْبَاءُ : حيوان كالعظاءة ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلَّى فلان بعيني وفي عيني إذا

أعجبك ؛ والبيتان في اللسان (حلا) ، وفي م : « تحلَّى » ، تصحيف .

(٣) البيت للباغية ، وقد مر ذكره ص ٢٠٢ ، وانظر ما سبق في تفسيره . (٤) الرجز لرؤبة ، وقوله :

* ومهمه مقبرة أرجاؤه * (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال

الأعلم : « الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن

يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل في الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف هاجرة

قد أُنْبِأت الثيران إلى كنفها ، فترى نور مدخلا لرأسه في ظل كنفه لما يجرد من شدة الحر ، وسائره

بارز للشمس » . (٦) يذكر نورا ، والغوت : قبيلة من طيء ، ويوسدها : يفرها ؛ ومستوضحون :

صيادون ينظرون : هل يرون شيئا ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شيئا أو أثرا ، يريد أن أثر

الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يخفى عليهم . (وانظر معاني الشعر لابن قتيبة ٧٤٢)

* قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفْقِ مِنْ جَوَازِئِهِ *

فَقَلْبَ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا أَلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أَرَادَ فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسَهُ ، وَقَالَ ابْنُ مِقْبَلٍ :

وَلَا تَهَيَّبُنِي الْمَوْمَاةُ أُرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ (١)

أَرَادَ لَا أَتَهَيَّبُ الْمَوْمَاةَ ؛ وَهَذَا كَثِيرٌ جَدًّا (٢) .

وَالْجَوَابُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمِثْلُنَا ، أَوْ مِثْلَهُمْ وَمِثْلِكَ يَا مُحَمَّدُ

كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ؛ أَيْ مِثْلَهُمْ فِي الْإِعْرَاضِ وَمِثْلُنَا (٣) فِي الدَّعَاءِ وَالتَّنْبِيهِ وَالْإِرْشَادِ كَمَثَلِ النَّاعِقِ

بِالْفَنَمِ ، فَحُذِفَ الْمِثْلُ الثَّانِي اكْتِفَاءً بِالْأَوَّلِ ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ

تَقِيمُكُمْ الْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، أَرَادَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الْحَرِّ مِنَ الْبَرْدِ ، وَقَالَ ٩٠

أَبُو ذُوَيْبٍ :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنْ لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْشِدُ طِلَابُهَا (٤)

أَرَادَ أُرْشِدُ أَمْ غَيٌّ ، فَكَتَفَى بِذِكْرِ الرُّشْدِ لَوْضُوحِ الْأَمْرِ .

وَالْجَوَابُ الرَّابِعُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي دَعْوَتِهِمْ لِلْأَصْنَامِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَفْهَمُ ، وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ دَعَاءً وَنِدَاءً بِمَا ١٥

(١) معاني ابن قتيبة ١٢٦٤ ، واللسان - هيب ؛ يقال : تهيبني الشيء بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره

صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمومة : المفاضة ؛ والأصداء : جمع صدى ؛ وهو البوم .

(٢) حاشية ت : « ومن المألوف قوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو :

تنوء العصبية بها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ ؛ يريد مخلف رسوله

وعده ؛ وإنما جرى المألوف في كلام العرب انشاءً في الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لا يشكك .

(٣) د ، حاشية ت (من نسخة) : « ومثلك » . (٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛

والرواية فيه :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنْ لِأَمْرِهِ سَمِيعٌ فَمَا أُدْرِى أُرْشِدُ طِلَابُهَا

لا يسمع صوته جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان ينعق ، وإلا توكد لكلام ؛
ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[٧٢]
و
/ هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُجَلٍّ وَمُحْرِمٍ^(١)
والمعنى : هم القوم حيث سلُّوا سيوفهم .

٥ والجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام^(٢)
وعبادتهم لها واستترزاقهم إياها كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم ويناديها ؛ فهي تسمع
دعائه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبه من يدعو الكفار من العبودات دون الله جلَّ
اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفع عندها فيه ولا مضرة .

وهذا الجواب يقارب الذي قبله ، وإن كانت بينهما مزية ظاهرة ؛ لأن الأول يقتضى
ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم
وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . وهذا الجواب يقتضى ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء
وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء^(٣) جملة يجب أن يكون داعيها
ومناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم . ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك
في السماع ، ويخالف في الفهم والتمييز .

١٥ وقد اختلف الناس في ﴿ يَنْعِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نَعَقَ ينعق إلا في الصباح
بالغنم وحدها ؛ وقال بعضهم نَعَقَ ينعق بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر في كلام العرب ؛
قال الأخطل :

فَانعِقْ بِضَانِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا^(٤)

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفي ت ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « حين » ، وفي حاشية الأصل

أيضا : « نظير هذا في مورد « إلا » للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لي » .

(٢) م : « للأصنام » . (٣) ت : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .

(٤) ديوانه : ٥٠ .

ويقال أيضاً: نَعَقَ الغراب ونَعَقَ؛ بالفين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وحركها ثم صاح قيل: نَعَبَ، ويقال أيضاً: نَعَبَ الفرس ينمب وينعب نعباً ونعبياً ونعباناً، وهو صوته؛ ويقال: فرسٌ منعبٌ، أى جواد، وناقاة نعباة؛ إذا كانت سريعة.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا إِلَيْهِ^(١)؛ فَإِذَا^(٢) بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ صَبِيَّةٍ فِي السَّكَّةِ، فَاسْتَنْتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَامَ الْقَوْمِ، فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفِرُّ مَرَّةً هَاهُنَا، وَمَرَّةً هَاهُنَا، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُضَاحِكُهُ،^(٣) ثُمَّ أَخَذَهُ^(٤)، فَجَمَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى / تَحْتَ فَأْسِ رَأْسِهِ، [٧٢] وَأَقْنَعَهُ قَبْلَهُ، وَقَالَ: «أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا، حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ».

قال الشريف أدام الله علوه: معنى استنتل تقدم، يقال: استنتل الرجل استنتلاً،^{١٠} وابتثا ابتثاء^(٤)، وابتذع ابتذاعاً؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابن الأباري.

ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال: تقول: "استنتلت الأمر استنتلاً إذا استعدت له، واستنتل الرجل تفرّد من القوم، ويقال: استنتل أشرف". والمعاني تقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في ابتثاء وابتذع أيضاً أنه من الاستعداد.

١٥

فأما السكّة، فهي المنازل المصطفة، والنخل المصطف.

(١) ت، د: «له». (٢) في حاشيتي الأصل، ف: «تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ إذا همى الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذ أنت صديقي؛ ليست إذ لا مضى من الزمان؛ بل هي تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديقي».

(٣-٢) ساقط من م. (٤) ص: «ابتثاء».

ومعنى طَفِقَ ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقَتْ تَبْكِي وَأُسْعِدُهَا فَكَلَانَا ظَاهِرُ الْكَمَدِ (١)

وفأس الرأس : طَرَفَ الْقَمَحْدُ وَوَع (٢) الشرف على القفا .

ومعنى «أقنعه» رفعه ، هكذا ذكر ابن الأنباري . وقال غيره : يقال أقنعه ظهره إقناعاً إذا

طأطأه ثم رفعه برفق .

فأما الأسباط فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كلقبائل في بني إسماعيل عليه السلام؛

وقال ابن الأنباري : هم الصَّبِيَّةُ والصَّبَوَةُ ، بالياء والواو معاً .

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقة قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد

الحكيمي قراءةً عليه قال أُمِّي عَلِينَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِي قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

١٠ أَنَّهُ قِيلَ لِابْنَةِ الْخُسِّ : مَا مِائَةٌ مِنَ الْعِزِّ ؟ قَالَتْ : « مَوَيْلٌ يَشْفُ الْعَقْرُ مِنْ وَرَائِهِ ، مَالٌ

الضَّعِيفِ ، وَحِرْفَةٌ الْعَاجِزِ » . قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الضَّانِّ ؟ قَالَتْ : « قَرْيَةٌ لَا حِمَى بِهَا » ،

قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَتْ : « بَيْخٌ (٣) ! كَجَمَالٍ وَمَالٍ ، وَمُنَى الرَّجَالِ » ، قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ

الْحَيْلِ ؟ قَالَتْ : « طَعْنِي عِنْدَ مَنْ كَانَتْ ، وَلَا تَوْجِدْ » . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْيَحْمَرِ ؟ قَالَتْ : « عَازِبَةٌ

اللَّيْلِ ، وَخَزْمِي الْمَجْلِسِ ، لَا لَيْنٌ فَيُحْلَبُ ، وَلَا صَوْفٌ فَيُجْتَرُّ (٤) ، إِنْ رُبُّ يَطْرِئُ عَيْرُهُادَلِي (٥) ، وَلَا

١٥ أُرْسِلُ وَلِي (٦) » .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : قيل لابنة الخُسِّ - والخُصِّ والخُصْفِ ، قال : كل ذلك

يقال : ما أحسنُ شيء؟ قالت : « غادية ، في أثر سارية ، في نبخاءٍ قاوية » - قال : / بنخاء .

أرض مرتفعة ، لأن النبات في موضع مشرف أحسن - وقالوا أيضاً : « نَفَخَاء » ، أى رابية .

(١) ت : « الجلد » . (٢) القمحدوة : الهمة الناشئة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين

(٣) د ، ج : « بخ بخ » ، بتنوين الحاء . (٤) د : « فيجز » . (٥) من نسخة بمولته

الأصل ، ت ، ف : « أدلى » . (٦) ت : « وإن أرسلته » ، والخبر في المره ٢ : ٤٥٠ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع التفاحي^(١) ، ونبت الرايبة أحسن من نبت الأودية ، لأن السيل يصرع الشجر فيتمدفه في الأودية ، ثم يُلقى عليه الدمن^(٢) .

قال الشريف أدام الله علوه : ومما يدل أن نبت الرايبة أحسن قول الأعشى :

مَارَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشِبَةٌ خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ^(٣)

وقال كثير :

فَمَارَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا^(٤)

(١) في حاشيتي ت ، ف : « قال الجوهري : النبخاء : الأكمة ، والنبخاء من الأرض مثل النبخاء ، وأبوت النار وقويت ؛ أي خلت » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو ما يلبد من التراب والقش وكسار العيدان ؛ والخبر في (مجالس ثعلب ٣٤٣ ، والمخصص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان - نبخ ، نفتح) . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بعده :

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْهَا كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بِمَعْمِرِ النَّبْتِ مُكْتَهِلٌ
يَوْمًا بِأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رَائِحَةٍ وَلَا بِأَحْسَنَ مِنْهَا إِذَا دَنَا الْأَصْلُ

— كوكب النوى : معضمه ، والنبت إذا عم وكثر قيل اكتهل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ، يعني أن الزهر إذا كان في الأصل كان أحسن للبعد عن برد الغداة » . والأبيات في ديوانه : ٤٣ :
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « الجنجات والعرار : نبتان ، ومنه :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

ولابيض قصة ؛ وهي أن كثيرا أقبل ذات يوم راكبا ، فاعترضت له في الطريق عجوز قد أوقدت في روثه ، فنضجر عليها كثير ، وتأفف في وجهها ؛ فقالت : أنت العائل :

فَمَارَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّوَى يَمِجُّ النَّدى جَنَجَانُهَا وَعَرَارُهَا

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانَ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا

قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالمندل على هذه الروثة لطابت ! هلاقت كما قال سيدك ومولاك
أمرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَيَانِي كَمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَيِّبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيَبِ !

فانسكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعضاها مطرفا كان معه وقال : « استرته على » ؛ (وانظر ديوان
أمرؤ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ١ : ٩٣) .

فخصاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا .

وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : العرب تقول جاءنا بطعام لا يُنادى وليدُه ؛ إذا جاء بطعامٍ كثير لا يُراد فيه زيادة ، ووقع في أمر لا يُنادى وليدُه ؛ يقول لا يُدعى إليه الصبيان ؛ ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفي ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمعيّ قال : أصله من الشدة تصيب القوم حتى تُذهل المرأة عن ولدها فلا تُناديه لما هي فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ، ولكل أمرٍ عظيم . والقول الآخر عن الكلّابيّ قال : أصله من الكثرة والسعة ، فإذا أهوى الوليدُ إلى شيء لم يُزجر عنه حذر الإفساد ، لسعة ما هم فيه ، ثم صار مثلاً لكل كثرة ؛ قال الفراء : وهذا القول يُستعان به في كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لقد شرعتُ كفوًّا يزيدَ بنَ مزَيدٍ شرائعَ جُودٍ لا يُنادى وليدُها

وبالإسناد الذى تقدم عن ابن الأعرابيّ قال : دخل ودفة^(١) الأسدى على معن بن زائدة الشيبانىّ فقال : إن رأيتَ أكرمك الله أن تضعنى من نفسك بحيث وضعتُ نفسى من رجائك ؛ فإنك قد بلغتَ حالاً لو أعتقنى الله فيها بكرمك من تنصّف^(٢) الرجال بعدك لم يكن كثيراً ، وإني قد قدّمتُ الرجاء ، وأحسنتُ الثناء ، ولزمتُ الحِفاظ ، ثم أنشأ يقول :

يا مَنُ إنكَ لم تُنعمِ على أحدٍ فشابَ نَمَأكَ تَنغيصٌ ولا كَدَرُ
/ فانظُرْ إلى بطرفٍ غيرِ ذى مَرَضٍ فرُبَّما صَحَّ لى مِن طَرَفِكَ النَّظَرُ
أَيَّامَ وَجْهَكَ لى طَلَقٌ يُخَبِّرُنى إذا سَكَتَ بما تُخْفى وتَضَطَّمُ
وَمِنْ هَوَاكَ شَفِيعٌ لى يُغْفِلُنى وإن نَأيتُ وإن قَلتُ بى الذِّكْرُ

[٧٣]
ظ

(١) ودفة ؛ بالفاء ، وضبط فى الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معا .

(٢) حاشية ت ، ف : « التنصّف : الخدمة ؛ يقال تنصفه إذاخدمه ، والتنصيف : الخادم » .

قَدْ كُنْتَ أَثَرْتَ عِنْدِي مَرَّةً أَثَرًا قَدْ تَقَارَبَ يَعْفُو ذَلِكَ الْأَثَرُ
فاجْبُرْ بِفَضْلِكَ عَظْمًا كُنْتَ تَجْبُرُهُ واجمعْ بفعلك ماقدُ كادَ يَنْتَشِرُ (١)
مَا نَازَعَ الْعُسْرُ فِي الْيُسْرِ مُذْ عَلِقَتْ كَفَى بِحَبْلِكَ إِلَّا ظَفَرَ الْيُسْرِ
وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بَأْنُ يُدَالِ لِطُولِ الْجَفْوَةِ الْعُسْرِ (٢)
وَأَيَّمَا (٣) كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ ٥

فقال معن : أو ما كئنا أعطيناك شيئاً؟ قال : لا ، قال : أما الذهبُ والفضةُ فليسا عندنا، ولكن هات تخمناً (٤) من ثيابي يا غلام؛ فدفعه إليه، وقد كان تحمل عليه (٥) بابن عيَّاش وحبیب بن بُدَيْل ، فأعطاهما معه تخمين ، وقال : غرمتني يا ودفة تختني ثياب ! .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ، ويكنى أبا الوليد ، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر ، ١٠ وهو أخو الحوفزان بن شريك ، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة (٦) ، فلما قُتِلَ رثاه معن فقال :

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمِهَا لَجَمُودُ (٧)
عَشِيَّةَ قَامَ النَّاحَاتِ وَشُقِقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ (٨)
فَإِنَّ تَمْسَ مَهْجُورِ الْفِنَاءِ فَطَالَمَا (٩) أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَمَهِّدٍ بَلَى كَلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدُ (١٠) ١٥

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « بظول الجفوة » .

(٣) م : « وإن ما » . (٤) النخت : وعاء تصان فيه الثياب :

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إليه » ، وتحمل إليه ؛ أي تشفع .

(٦) حواشي الأصل ، ت ف : « قتل ابن هبيرة السفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« روى أبو تمام هذه القطعة في الحماسة لأبي عطاء السندی » . (و انظر ديوان الحماسة - بشرح التبريزي

٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للعرء » .

(٩-٩) م : « مهجور الجناب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجناب فرجما » ؛ قال التبريزي :

والرواية المختارة : « ورجما » بالواو ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء »

« فإنك لم تبعد على متعهد » ، وبصير : « رجما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته .

(١٠) أي على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى المنجم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مَرْوَيْه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال : كان معن بن زائدة / من أصحاب يزيد بن عمرو بن هبيرة ، وكان مستتراً ، حتى كان يوم الهاشمية^(١) ، فإنه حضر وهو معتم متلثم ، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فأخذ يلجم بقلته ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدماه ، فلما أفرجوا له وتفرقوا عنه قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْك ! قال : أنا طليبتك معن بن زائدة . فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ، ثم قلده اليمن ، فلما قدم عليه من اليمن قال له : هيه يامعن ! تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرْفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمًا : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعْمَانِ

فقال : كلاً يا أمير المؤمنين ، ولكن أعطيته على قوله :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَمَنْعْتَ حَوَازَتَهُ ، وَكُنْتَ وَقَاهُ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

فقال له : أحسنت يامعن !

١٥ وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور ، فقال له : وياك^(٢) ! ما أظن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقاً ! قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفي دينار ، وهذا من السرف الذي لا شيء مثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات^(٣) رزقي ، وكففته عن عرضي ، وقضيت الواجب من حقه علي وقصده إلي وملازمته لي ، قال : ٢٠ فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرض ولم يماوده القول .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة ، والحبري (ابن خلدان ٢ : ١٠٩)

(٢) ت : « وياك يامعن ! » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وفضلات » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله^(١) بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان - وكان من ولاية الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة قال : كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكنا ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعاني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أولهم ، ولا بأخسهم نسبا فتكون في آخرهم ، وإن مرتبتك [٧٤]^ظ لتسبه^(٢) نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم ، وعلى دراعة فضفاضة ، وسيف حنفي^(٣) أقرع بنعله الأرض ، وعمامة قد أسدلها من قدامي وخلقى ، فسلمت عليه وخرجت ، فلما صرت عند الستر صاح بي : يا معن ! صيحة أنكرتها ، فلبيته فقال : إلى ، فدنوت منه ، فإذا به قد نزل عن فراشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستل عموداً من بين فراشين ، واستحال لونه ، ودرت أوداجه ، وقال : إناك لصاحب يوم واسط ، لا نجوت إن نجوت مني ! قال : ١٠ قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتي لباطلهم ، فكيف نصرتي لحقك ؟ قال : فقال لي : كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره ، واستوى متربعاً ، وأسفر لونه وقال : يا معن ، إن باليمن هنأت ، قات : يا أمير المؤمنين ، « ليس لمكتوم رأى » - وهو أول من أرسلها مثلاً - فقال : أنت صاحبى ، فاجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كل من كان في الدار ، وخرج الربيع ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد همّ بالمعصية ، وإنى أريد أن ١٥ آخذه أسيراً ، ولا يفوتني شيء من ماله ، قلت : ولنى اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه ، ومُر الربيع أن يريح عنتي في كل ما أحتاج إليه ، ويخرجني في يومى هذا لئلا ينتشر الخبر ، قال : فاستل عهداً من بين فراشين ، فوقع فيه اسمى وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال : يا ربيع ، إنا قد ضمنا معنًا إلى صاحب اليمن ، فأزح عنته فيما يحتاج إليه من السلاح

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عبيد الله » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« كناية نسبك » . (٣) السيوف الحنمية : نوع منها ينسب إلى الأحنف بن قيس ؛ لأنه أول من أمر باتخاذها ، والقياس أحنفية ؛ (القاموس) .

والكرّاع، ولا يُمسي إلا وهو راحل، قال : ثم ودّعني فودعته، وخرجت إلى الدّهليز، فلقيني أبو الوالي فقال : يامعن؛ أعزز عليّ أن تُضمّ إلى ابن أخيك ! قال : فقلت له : إنّه لا غضاضة على الرجل يضمّه سلطانه إلى ابن أخيه . وخرجت إلى اليمن، فأتيت الرجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت في مجلسه .

• وروى عمر بن شبة قال : اجتمع عند من بن زائدة ابنُ أبي عاصية وابنُ أبي حفصة والضمرى، فقال: لِيُنشِدني كلُّ واحد منكم أمدح بيت قاله فيّ ، فأنشده ابنُ أبي حفصة :

مَسَحَتْ رَيْبَةً وَجَهَ مَعْنٍ سَابِقًا لِمَا جَرَى وَجَرَى ذَوُو الْأَحْسَابِ

/ فقال له من : الجواد يعثرُ فيمَسح وجهه من العثار والغبار وغيرها . [٧٠]
وأنشده الضمرى :

أنت امرؤٌ همك المَعَالَى ودلُّو معروفك الربيعُ ١٠

- وروى : « ودون معروفك الربيع » -

وشأنك الحمدُ تشتريه يُشيعهُ عنك ما يُشيع^(١)

فقال له : ما أحسن ما قلت ! إلا أنك لم تُسمني ولم تذكرني ، فمن شاء انتحله .
وأنشده ابنُ أبي عاصية :

إن زالَ مَعْنُ بنِي زِيَادٍ^(٢) لَمْ يَزُلْ لِنَدَى إِلَى بَلَدٍ بَعِيرٍ مُسَافِرٍ^(٣) ١٥

ففضله عليهم .

وروى أنّه أتى من بن زائدة بثلاثمائة أسير ، فأمر بضرب أعناقهم ، فقال له شاب منهم : يا أخا شيبان^(٤) ، نناشدك الله أن تقتلنا عطاشا ! فقال : اسقوهم ماء ، فلما

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « من يشيع » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « شريك » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « التقدير :

إن زالَ مَعْنُ بنِي زِيَادٍ لَمْ يَزُلْ لِنَدَى بَعِيرٍ مُسَافِرٍ إِلَيْهِ ؛ يعنى أن عفاته بعد زواله يتودعون ولا يسافرون لعدم من يقصد » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « يا أخا بنِي شيبان » .

شربوا قال : يا أخا شيبان ، نناشدك الله أن تقتل أضيائك ! فقال : أطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة (١) .

وروى أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : يا أبا العباس ، مَنْ أشعُرُ مَنْ قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعرفُ بهذا مني ، قال : قلْ على كلِّ حال ، قال عبدُ الله : أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة :

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حُفْرَةٍ مِنْ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّاحَةِ مَضْجَعًا (٢)
أيا قبرَ معنٍ كيفَ واريتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ البرُّ والبَحْرُ مُتْرَعًا
بلى قد وَسَمْتَ الجُودَ والجُودُ مَيَّتٌ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِئَّتْ حَتَّى تَصَدَّعًا

والآيات للحسين بن مُطير الأسدِيّ ، وهي تزيد على هذا المقدار ، وأولها :
أَلِمَّا بِمَعْنٍ (٣) ثُمَّ قَوْلًا لِقَبْرِهِ سَقَّتْكَ الغَوَادِي مَرَبَعًا ثُمَّ مَرَبَعًا
وفيها :

فَتَنَى عَيْشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ بِجَرَاهُ مَرْتَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الجُودُ وانْقَضَى وَأَصْبَحَ عَرِينُ المَكَارِمِ أَجْدَعًا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره في (تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥-٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨-١١٢) .
(٢) الأبيات في (ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ٣٩٠-٣٩٢) ، وهي أيضا في تاريخ بغداد وابن خلكان .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألاما على معن » .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

[٧٥] قال سيدنا الشريف الأجلّ ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائلٌ فقال : مالوجهُ
ظ
في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛
[آل عمران : ٢١] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨١] ؛
وظاهرُ هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِنَّمَا آخِرَ لَابُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] . وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [الرعد : ٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا
بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْصَاءًا ﴾ ؛ [البقرة : ٢٧٣] ؛
والسؤالُ عن هذه الآيات كلها من وجهٍ واحد وهو الذى تقدم .

الجواب ، أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادةٌ معروفةٌ ، ومذهباً
١٠ مشهوراً ، عند مَنْ تَصَفَّحَ كلامهم وفَهِمَ عنهم . ومرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيدُه ؛
فمن ذلك قولهم : فلان لا يُرْجى خيره ؛ ليس يُريدون أن فيه خيراً لا يُرْجى ، وإنما غرضهم
أنه لا خيرَ عنده على وجه من الوجوه ؛ ومثله : قلما رأيتُ مثلَ هذا الرجل ، وإنما يُريدون
أن مثله لم يُرْ لا قليلاً ولا كثيراً ؛ وقال امرؤ القيس :

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ ^(١) إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِي جَرَّ جَرًّا ^(٢)

١٥ يصف طريقاً ؛ وأراد بقوله : « لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » أنه لا منارَ له فَيُهْتَدَى بها .

(١) من نسخة بمحاضية الأصل : « منارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق

المنقاد الذى لا ينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى »

والعوذ: المسنُّ من الإبل ، والدِّيافيّ: منسوبٌ إلى دِياف ، قرية بالشام معروفة^(١) .
وسافه: شمة^(٢) ، والجرجرة مثل المدير ؛ وإنما أراد أن العوذ إذا شمه عرفه فاستبعده ،
وذكر ما يلحقه فيه من المشقة ، فجر جَر لذلك ؛ وقال ابن أحر :

لا تَفْزِعُ الأَرْنَبا أَهْوالُها ولا تَرى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ

أراد : ليست بها أهوال فتفزع الأرنب ؛ وقال النابغة :

يَحْفَهُ جانِباً نَيْقٍ وتُدْبِمُهُ مِثْلَ الرُّجاجةِ لم تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ^(٣)

أراد : ليس بها رمد فتكحل له ؛ وقال امرؤ القيس أيضاً^(٤) :

وصمَّ حوامٍ ما يَقيَنَ مِنَ الوَجى كأنَّ مكانَ الرَّدْفِ مِنْهُ على رالٍ

/ يصف حوافر فرسه . وقوله : « ما يقين من الوجى » فالوجى هو الحفا ، و « يقين » ؛ [٧٦]

أى يتوقن ، يقال : وقى الفرس إذا هاب المشى ، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتمهين^١ .
الأرض من أجله ، والرأل : فرخ النعام ، وشبهه إشراف عجزه بعجز الرأل ؛ وقال الآخر^(٥) :

(١) ت : « وهى قرية » ، وفى معجم البلدان : د وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط الشام .

(٢) م : « شمه وعرفه » . (٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للحمام ، والنيق : أرفع موضع

الجبل ، ومثل الزجاجية عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقيله :

واحكم كحكمم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمامٍ سراعٍ واردٍ ثممد

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه قد

— والثمد : الماء القليل .

وفتاة الحى : هى بنت الحس ، عن الأصمى ، وعن أبى عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان

لها قصة ، ومر بها سرب من القضا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه لى حمامتى فيتم لى مائة ؛

فنظروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القضا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين . وانظر الأبيات وشرحها

فى ديوان النابغة — بشرح البطلبوسى ٢٣ ، ٢٤ . (٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف « يصف

فرسا ، وقيله :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفالى

— الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجبة على الورك ، وهما حجبتان مشرفتان على الحاصرتين

فجمعهما بما حوا اليهما . والفالى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والفائل : لحم على خربة الورك ؛ وانظر الديوان : ٦٥ .

(٥) هو أعشى باهالة ؛ من قصيدة يرى بها المنتشر بن وهب .

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ (١)
أرادَ : ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها من أجلهما ؛ وقال سويد بن أبي كاهل :
مِنْ أَناسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ (٢)

ولم يرد أن في أخلاقهم فحشا آجلا (٣) ولا جزعا (٤) ؛ وإنما أراد نفي الفحش
والجزع عن أخلاقهم . ومثل ذلك قولهم : فلان غير سريع إلى الخنا ، وهم يريدون أنه
لا يقرب الخنا ، لا نفى الإسراع حسب . وقال الفرزدق وهو يهجو ابنتي جعفر بن كلاب ،
ويمتريهم بقتلى منهم أصيبوا في حروبهم ، فحمت النساء هؤلاء القتلى حتى آتين بهم الحى (٥) :
وَلَمْ تَأْتِ عَيْرٌ أَهْلَهَا بِالَّذِي (٦) أَنْتَ بِهِ جَعْفَرًا يَوْمَ الْهَضَيْبَاتِ عَيْرُهَا (٧)
أَتَتْهُمْ يَدِيرٍ لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً وَلَا حِنْطَةَ الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا

١٠ . يعنى أن العير إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحى ، فحمت عير هؤلاء القوم القتلى ، وقوله :
« لم تكن هجريّة » ؛ أى لم تحمل التمر ، وذلك لكثرة التمر بهجر ، ثم قال : « ولا حنطة
الشام المزيت خيرها » ، ولم يرد أن هناك حنطة ليس في خيرها زيت ؛ لكنه أراد أنها لم
تحمل تمرا ولا حنطة ، ثم وصف الحنطة وما يجعل في خيرها من الزيت .

(١) كذا في جميع الأصول ؛ وهو يوافق ما في اللآلي : ٧٥ ، والكمال - بشرح المرصفي ٨ : ٢١٢ ؛
ورواية جهرة الأشعار ٢٨٢ ؛ وفي ملحقات ديوان الأعشى ٢٦٨ :

لَا يَتَّارِي لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرَقْبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفْرُ

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ

وهى توافق رواية المؤلف فيما بعد . والتأري : التبعبس والمكت ، والصفر : حية في البطن تعض
الشرسوف إذا جاع صاحبه . ولا يغمز الساق : لا ينجبها والافتقار : أن يؤكل الحبز قفارا .

(٢) الفضليات : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « فحشا عاجلا ولا آجلا » .

(٤) ت ، د ، ف : « ولا جزعا غير سى » . (٥) ديوانه ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كالذى » . (٧) المضيبات : موضع كان فيه يوم

من أيام العرب ؛ هو يوم طخفة ؛ ذكره البكري في معجم ما استعجم : ١٣٥٤ ، وأورد البيت .

وعلى هذا يقع تأويل^(١) الآيات التي وقع السؤال عنها ، لأنه تعالى لما قال : ﴿ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ دلّ على أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف^(٢) القتل بما لا بد
أن يكون عليه من الصفة ، وهي وقوعه على خلاف الحق ؛ وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، إنما^(٣) هو وصف لهذا الدعاء ، وأنه لا يكون إلا عن غير
برهان^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهه أيضا أنه لو
كان هناك عمدٌ / رأيتموه ، فإذا نفى رؤية العمدة نفى وجود العمدة ؛ كما قال : « لَا يَهْتَدِي [٧٦]
بِمَنَارِهِ » ، أى لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لا هتدى به ، فصار نفى الاهتداء بالمنار
نفيا لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَفَرٍ بِهِ ﴾ تغليظٌ وتأكيدي في
تحذيرهم الكفر ، وهو أبلغ من أن يقول : « ولا تكفروا به » ، ويجرى مجرى قولهم :
فلان لا يسرع إلى الخفا ؛ وقيل رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيدي نفى الخفا ونفى رؤية مثل ١٠
الذكور . وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ﴾ ، معناه لا مسألة تقع منهم ، ومثل
الأول : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ والفائدة أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا ،
فصار نفى الثمن القليل نفيا لكل ثمن ، وهذا واضح بحمد الله ومّنه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتأويل » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « وإنما وصف » .

(٣-٣) ساقط من م .

بَابُ

في ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن خالد^(١) بن مالك بن أدد^(٢) المذحجي، ومذحج^(٣) هي أم مالك بن أدد، نسب ولد مالك إليها، وإنما سُميت مذحجاً^(٤) لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجاً، واسمها مدلة بنت ذى منجشان^(٥).

قال أبو حاتم السجستاني: جمع الحارث^(٦) بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال:

«يا بني، قد أتى على ستون ومائة سنة، ما صاغت يميني^(٧) يمين غادر، ولا قنمت^(٨) نفسي بخلة فاجر، ولا صبوتُ بابتة عم ولا كنة، ولا طرحتُ عندي مؤسمة قناعها، ولا بحتُ لصديق بسر، وإني لعلى دين شعيب النبي عليه السلام، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مُرة، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي: إلهكم فاتقوه يكفكم المهمة من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم؛ وإياكم ومعصيته^(٩)، لا يُحِلَّ بكم الدمار، ويوحشُ منكم الديار. يا بني، كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً، وإن موتاً في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذلٍّ وعجزٍ، وكلُّ ما هو كائن كائن، وكلُّ شيء إلى تباين. الدهر^(١٠) صرْفان: فصرْف رخاء، وصرْفُ بلاء^(١١)، واليوم يومان: فيومٌ حَبْرَةٌ، ويوم

(١) كذا في جميع الأصول، وفي حاشية الأصل: «ذكر س: هذا سهو، وهو كعب بن عمرو

ابن علبة بن جلد بن مالك. ووعلة وخالد تصحيف وغلط».

(٢) في حاشية الأصل، ت: «صرفت العرب «أددا»، ولم يجعلوه من باب عمر وزفر».

(٣) حاشية الأصل: «ذكر س: قال أبو جعفر محمد بن حبيب: مذحج هي أخت مدلة، واسمها

مدلة بنت منجشان بن كلة بن زديان. من حمير». (٤) حاشية ت: «بخط ش: الصواب ألا تصرف

مذحج للتأنيث والتعريف». (٥) س: «منجشان»، ت: «همنجشان».

(٦) لم يذكر فيما طبع من أخبار المعمرين لأبي حاتم. (٧) حاشية ت (من نسخة):

«ما صاغت يميني». (٨) حاشية ت (من نسخة): «قنمت»، بإسكان التاء.

(٩) ت: «ومعصية الله». (١٠-١١) ش: «والدهر ضربان: فصرْب رخاء، وضرب بلاء».

عَبْرَةَ ، والناس رجالان : فرجل مَعَكَ ورجل عَلَيْكَ ، وتزَوَّجُوا الأَكْفَاءَ ، وليستَعْمِلَنَّ فِي
 فِي طَيْبِنِ الْمَاءِ ، وَتَجَنَّبُوا / الْحَمَقَاءَ ؛ فَإِنْ وَلَدَهَا إِلَى أَفْنٍ مَا يَكُونُ ، لِأَنَّهُ لَارَاحَةَ لِقَاطِعِ الْقِرَابَةِ ، [٧٧]
 وَإِذَا اخْتَلَفَ الْقَوْمُ أَمَكَّنُوا عَدُوَّهُمْ مِنْهُمْ ، وَأَفَى الْعَدَدِ اخْتِلَافُ الْكَلِمَةِ ؛ وَالتَّفَضُّلُ بِالْحُسْنَةِ يَبْقَى
 السَّيِّئَةَ ، وَالْكَافَأَةُ بِالسَّيِّئَةِ الدَّخُولُ فِيهَا . الْعَمَلُ السَّوِيُّ يُزِيلُ التَّعْمَاءَ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ تُورِثُ
 الْهَمَّ ، وَانْتِهَاكَ الْحَرَمَةَ يُزِيلُ النِّعْمَةَ ، وَعَقُوقُ الْوَالِدَيْنِ يَمَقِّبُ النَّسَكُ ، وَيَحِقُّ الْعَدَدُ ، وَيُخْرِبُ
 الْبَلَدَ ، وَالنَّصِيحَةُ تَجْرُ الْفَضِيحَةَ ، وَالْحَقْدُ يَمْنَعُ الرَّقْدَ ، وَلِزُومِ الْخَطِيئَةِ يَمَقِّبُ الْبَلِيَّةَ ، وَسُوءُ الرَّعَّةِ
 يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَنْفَعَةِ ، وَالضَّغَائِنُ تَدْعُو إِلَى التَّبَايُنِ » ؛ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَكَّتُ شِبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ دُهُورِ دُهُورًا
 ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ صَاحِبَتْهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
 قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرًا
 أَيْبْتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أَمْرِي بُطُونًا ظُهُورًا

١٠ قوله: « ولا صبوت بآبنة عم ولا كنة » ، الصَّبَوَةُ هِيَ رِقَّةُ الْحُبِّ ، (١) وَالْكِنَةُ . أَمْرَأَةُ
 أَخِي الرَّجُلِ وَأَمْرَأَةُ ابْنِ أَخِيهِ .

فَأَمَّا الْمَوْمَسَةُ ، فَهِيَ الْفَاجِرَةُ الْبَغِيَّةُ ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّهَا لَمْ تَطْرَحْ عِنْدَهُ قِنَاعَهَا » أَيْ لَمْ
 تَتَبَدَّلْ (٢) عِنْدَهُ وَتَتَبَسَّطْ ، كَمَا تَفْعَلُ مَعَ مَنْ يَرِيدُ الْفَيْجُورَ بِهَا .

١٥ وَقَوْلُهُ : « فَيَوْمَ حَبْرَةَ وَيَوْمَ عَبْرَةَ » ، فَالْحَبْرَةُ : الْفَرَحُ وَالسَّرُورُ ، وَالْعَبْرَةُ تَكُونُ مِنْ
 صِدِّ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَبْرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ مَحْزَنٍ مُؤَلِّمٍ .

وَأَمَّا الْأَفْنُ ، فَهِيَ الْحَقْمُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ أَفْنٌ ؛ إِذَا كَانَ أَحْمَقَ ؛ وَمِثْلُ مَنْ أَمَثَلَهُمْ :
 « وَجِدَانُ الرَّقِينِ ؛ يُغَطَّى عَلَى أَفْنِ الْأَفِينِ » ، أَيْ وَجِدَانُ الْمَالِ يَنْطَى عَلَى مُحْمَقِ الْأَحْمَقِ ،
 وَوَأَحَدُ الرَّقِينِ رِقَّةٌ ، وَهِيَ الْفِضَّةُ .

٢٠

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) « والسكنة هي امرأة ابن الرجل وامرأة أخيه » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لم تبدل » .

فأما قوله : « النصيحة تَجْرُ الفضيحة » ، فيشبهه أن يكون معناه أن النَّصِيحَ إِذَا نَصَحَ لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يُصْغِي إلى موعظته فقد افتضح عنده ؛ لأنه أفضى إليه سره وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرّعة » ، فإنه يقال : فلان حَسَنُ الرّعة والتورّع ، أى حَسَنُ الطريقة .

٥ ومن المعمرين المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مرّ بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وإنما سمى المستوغر بييت قاله ، وهو :

[٧٧] / يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيصَ الرَّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَاغِيرِ^(١) ط

الرّبَلَاتُ : واحدها ، رَبَلَةٌ ، ورَبَلَةٌ ، بفتح الباء وإسكانها ، وهى كلّ لجمة غليظة ؛

١٠ هكذا ذكر ابن دريد .

والرّضْفُ : الحجارة المحماة ، وفى الحديث : « كأنه على الرّضْفِ » ؛ واللبن الوغير : لبن تُلْقَى فِيهِ حِجَارَةٌ مُحْمَاةٌ ثُمَّ يَشْرَبُ ، أَخَذَ مِنْ وَغْرَةِ الظَّهْرَةِ ، وهى أشدّ ما يكون من الحرّ ؛ ومنه : وَغْرَ صدر فلان يَوْغَرُ وَغْرًا ، إذا التهب من غضبٍ أو حقد .

وقال أصحاب الأنساب : عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد

١٥ يدرك أوله .

وقال ابن سلام : .. كان^(٢) المستوغر قديماً ، وبقي بقاءً طويلاً حتى قال :

وَلَقَدْ سَمِئْتُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطُولِهَا وَعَمَرْتُ^(٣) مِنْ عَدَدِ السِّنِّينَ مِثْلَيْنَا
مِائَةٌ أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَا
هَلْ مَا نَقَى^(٤) إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمٌ يَكُرُّ وَلَيْلَةٌ تَحْدُونَا

(١) ت : « ذى الربلات » ، د : « بالربلات » والبيت فى اللسان (وغر) ، والمعمرين ٩-١٠

(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠-٣٠٠ . (٣) فى الطبقات : « وازددت » .

(٤) نقى ؛ بالألف ، يريد نقى ، بالياء : لغة طائية .

وهو القائل :

إِذَا (١) مَا الْمَرْءُ صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ (٢) وَأُودَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا (٣)
وَلَاعِبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ كَفَعَلَ الْهَرَّ يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا
يَلَاعِبُهُمْ وَوَدَّوْا لَوْ سَقَوْهُ مِنَ الذَّبَّانِ مُتْرَعَةً مَلَايَا (٤)
فَلَا ذَاقَ النَّعِيمَ وَلَا شَرَّابًا وَلَا يُشْفَى مِنَ الْمَرَضِ الشَّفَايَا ٥

أراد بقوله : « صَمَّ فَلَمْ يُكَلِّمْ » ، أى لم يسمع ما يكلم به ، فاختصر ؛ ويجوز أن يريد أنه لم يكلم لليأس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك . وقوله : « وَأُودَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا » أراد أن سمعه هلك ؛ إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .

وأما قوله : « وَلَاعِبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَنِيهِ » ، فإنه مبالغة فى وصفه بالهرم والحرف ، وأنه قد تهاهى إلى ملاعبة الصبيان وأنسهم به . ويشبه أن يكون خصَّ العشيَّ بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يَحْتَرِشُ الْعِظَايَا » / أى يصيدها ، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جُحْر [٧٨]
الضَّبِّ فيضربه بكفه ليحسبه الضب أفعى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَشْتُ الضَّبَّ ،
واحترشته ؛ ومن أمثالهم : « هذا أجلُّ من الحَرَشِ » ، يضرب عند الأمر يُستعظم ،
ويتكلم بذلك على لسان الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنه : اتَّقِ الحَرَشَ ، قال : ١٥
وما الحَرَشُ ؟ قال : إذا سمعت حركة يباب الجُحْرِ فلا تخرج ؛ فسمع يوماً وقع الحِجْفَار فقال :
يَأْبَهُ ، أهذا الحَرَشُ ؟ فقال : « هذا أجلُّ من الحَرَشِ » ؛ فجعل مثلاً للرجل إذا سمع الشئ ،
الذى هو أشدُّ مما كان يتوقَّعه .

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وحلمة البحرى ٣٢٤ (ورواها همزية) ، ومعجم الشعراء :
٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر س قال : « قرأت س قال : قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله
أن هذه القطعة : إذا ما المرء ... لمسكلان بن ذى كواهن الحميرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء
« فلم ياجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندايا وشفايا وغيرها ياء لأنه
لوقال : شفاء اسكانت تحصل همزة يكتنفها ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة
صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذَّيْفَان: السَّم . والمعظايا : جمع عَظَايَة ، وهي دَوِّيَّة صغيرة معروفة^(١) .

وأحد المعمرين دُوَيْد بن زيد بن نَهْد بن زيد بن ليث بن سُود^(٢) بن أسلم^(٣) بن الخاف^(٤) ابن قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حَمِير .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيْد بن زيد أربعمائة سنة وستا وخمسين سنة " قال ابن دُرَيْد : لما حضرت دُوَيْد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين ، قال : ولا تمدُّ العرب معمرّاً إلا من عاش مائة وعشرين^(٥) سنة فصاعداً - قال لبيد : « أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عبدة ؛ ولا تُقبِلوهم^(٦) عَثْرَةَ ، قَصْرُوا الأَعْنَةَ ، وطولوا^(٧) الأسنّة ، واطمئنا^(٨) شزراً ، واضربوا هبّراً ؛ وإذا أردتم المحاجزة ، فقبل المناجزة ، والمرء يعجز لا المحالة ، بالجِدِّ لا بالكَدِّ . التجلّد ولا التبلّد ، والمنية ولا الدّنية . لا تأسوا على فائت وإن عزّ فقده ، ولا تحنوا إلى ظاعن ١٠ وإن ألفت قُرْبَهُ ، ولا تطعموا فتطمعوا ، ولا تمنّوا فتخرعوا ، ولا يكون^(٩) لكم المثلُ السوء ؛ إنَّ الموصينَ بنو سَهْوان . إذا مِتُّ فأرحبوا^(١٠) خطّ مضجعي ، ولا تضنّوا على برّحي الأرض ، وما ذلك بمؤدِّ إلى رَوْحاً^(١١) ؛ ولكن راحةً نفيس^(١٢) خامرها الإشفاق . » ثم مات

قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر إنه قال :

- (١) وانظر أخبار المستوفى في العمرين : ٩ ، وطبقات الشعراء : ٢٩ - ٣٠ ، ومعجم الشعراء : ٢١٣ - ٢١٤ .
 (٢) حاشية ت (من نسخة) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .
 (٤) حاشية الأصل : « الخاف ، بقطع الألف كأنه جمع خف ؛ كذا وجدته مضبوطاً في النسخة المقرّوة على ابن خروزاذ الجبري ؛ وهو الصحيح ، والخاف موصولاً أيضاً يقال » .
 (٥) حاشية ت (من نسخة) : « مائة وستا وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم » .
 (٧) ت : « وأطولوا » . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [بضم العين] ، وباللسان يطعن [بفتح العين] . (٩) ش : « ولا يكن » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فأرحبوا » .
 بالقطع وكسر الحاء . (١١) حاشية ت (من نسخة) : « نفما » . (١٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « حاجه نفس » .

اليَوْمَ يُبْنَى (١) لِدَوِيدَ بَيْتَهُ يَارُبَّ مَهَبٍ (٢) صَالِحِ حَوَيْتَهُ
وَرُبَّ قَرْنٍ (٣) بَطَلَ أَرْدَبَتَهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتَهُ
وَمِعْصَمٍ مُخَضَّبٍ ثَنَيْتَهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بِلَى أَبْلَيْتَهُ
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتَهُ

ومن قوله أيضا :

[٧٨]
ظ

/ ألقى على الدهر رجلاً ويدا والدهر ما أصلح يوماً أفسداً
يُفسدُ ما أصلحه اليوم غداً

قوله : « اطعنوا شزرأ ، واضربوا هبرأ » ، معنى الشزر أن يطعمه من إحدى ناحيتيه ،
يقال: قتل الجبل شزرأ إذا قتل على الشمال ، والنظر الشزر : نظر بمؤخر العين ؛ وقال الأصمى :

نظر إلى شزرأ إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله ، وطعمه شزرأ كذلك .

وقوله : « هبرأ » ، قال ابن دريد : يقال هبرت اللحم أهبره هبراً إذا قطعتة قطعاً
كباراً ، والاسم الهبرة والهبرة ، وسيف هبار وهابر ، واللحم هبير ومهبور . والمُحالة :
الحيلة (٤) .

وقوله : « بالجدلا بالسكد » ؛ أي يدرك الرجل حاجته وطيبته بالجد ، وهو الحظ
والبخت ، ومنه رجل مجدود ، فإذا كسرت الجيم فهو الانكاش في الأمر والمبالغة فيه .

وقوله : « التجلد ولا التبلد » ؛ أي تجلدوا ولا تبدلوا .

وقوله : « فتطبعوا » ، أي تدنسوا ، والطبع الدنس ، ويقال طبع السيف يطبع
طبعاً ، إذا ركب الصدا ؛ قال ثابت قطنة (٥) العتكي :

لا خير في طمع يذني إلى طبع وغفّة من قوام العيش تكفيني (٦)

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يدني » . (٢) النهب : الغنيمة تنهب .

(٣) القرن : الذي يلقاك ليقاومك . (٤) في حاشيتي الأصل ، ت : « قد قيل إن المحالة يبي

بها الآلة التي يستقى عليها ، وهي مثل البكرة » . (٥) حاشية ت : « ويقال : قطبة » .

(٦) الغفّة : البلغة من العيش ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

وقوله : « ولا تمهنوا فتخرعوا »؛ فالوهن الضعف ، والخراع وانحرأعة: اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها، وقوله : « إنَّ الموصين بنو سهوان »؛ فالموصون جمع موصي، وبنو سهوان ضربه مثلاً ، أى لا تكونوا ممن تُقدم إليهم فسّهوا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يُضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة؛ ومعناه أن الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتى .
وقوله : « فارحبوا »؛ أى أوسموا، والرَّحْبُ السمة ، والرَّوْحُ : الراحة .
وقوله فى الشعر : « ورب غَيْل »؛ فالغَيْل الساعدُ الممتلئ . والمعصم : موضع السوار من اليد^(١) .

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن
عُدرة بن زيد اللات بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن
أحلف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[٧٩] قال أبو حاتم : " عاش زهيرُ بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ،
وكان سيداً مطاعاً شريفاً فى قومه ، ويقال : كانت فيه عشرُ خِصال لم يجتمعن فى غيره من أهل
زمانه ، كان سيداً قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، ووافدهم إلى الملوك ، وطبيبهم
١٥ - والطَّبُّ فى ذلك الزمان شرف - وحازى قومه - والحِزاة الكُهَّان - وكان فارسَ قومه ، وله
البيت فيهم ، والمدد منهم " .

وأوصى بنيه فقال : « يابنى ، قد كبرتُ سنّى ، وبلغتُ حرَّ سأمَن دهرى ، فأحكمتنى
التجارب ، والأمورُ تجربةٌ واحتيالٌ ؛ فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب ؛
والتواكل عند النوائب ، فإنَّ ذلك داعيةٌ للائم ، وشماتةٌ للمدو ، وسوء ظن بالرب

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره فى (طبقات الشعراء ٢٧-٢٨ ، والمعمرين ٢٠-٢١ ، والمختلفة
والمؤتلف من الشعراء ١١٤-١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس - دويد)

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخِر قومٍ قَطُّ
إلا ابتلوا ، ولكن توقّعوها ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تماوره الرّماة ، فمقصرٌ دونه
ومجاوِزٌ لموضعه ، وواقعٌ عن يمينه وشماله ؛ ثم لا بدّ أنّه مصيبه .

قوله : « حرساً من دهرى » ، يريد طويلاً منه ، والحرس من الدهر : الطويل ،

قال الراجز :

* في سنبةٍ عشنا بذاك حرساً *

السنبة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يكِلَ القومُ أمرهم إلى غيرهم ، من قولهم :
رجلٌ وِكِلٌ ، إذا كان لا يكتفى بنفسه ، ويكِلُ أمره إلى غيره ؛ ويقال : رجلٌ وُكَلَّةٌ تُكَلَّةُ .
والغرض : كلُّ ما نصبته للرمى . وتماوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وقد ضمّن ابن الرومى^(١) معنى قول زهير بن جناب : ١٠
« الإنسان في الدهر غرض تماوره الرماة ، فمقصرٌ دونه ومجاوِزٌ له ، وواقعٌ عن يمينه
وشماله ، ولا بدّ أن يصيبه » أبياتاً ، فأحسن كلَّ الإحسان ؛ والأبيات :

كفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ^(٢) الْمَنَايَا لِيَايَا
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَايِ الْمَنَايَا تَحْسَبِينِي نَاجِيَا
غَدَاً الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي^(٣) أَخْلِقُ أَنْ يُصَيِّنَ سَوَادِيَا ١٥
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يُرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا

أما البيت الأخير ، فإنه أبداع فيه وغرب^(٤) ، وما علمتُ أنه سبق إلى معناه ؛ لأنه [٧٩]
ظ

جمل الشباب كالليل السائر على الإنسان ، الحاجز بينه وبين مَنْ أراد رميه لظلمته

(١) حاشية الأصل : « كان ابن الرومى متشيعاً ، وكان مقلقاً الشعر واللغة ؛ بحيث يقول لتلامذته :
اهروضوا شعري على ثعلب ، فأنكر من نحوه فخذوه ، وما أنكر من لفته فلا تلقوا إليه ؛ فإن أعلم منه
اللغة » . (٢) ش : « إلى من أضلته » . حاشية ت (من نسخة) : « له من أضله » .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « لشخصي وأخلق » . (٤) ت : « وأغرب » .

والشيبَ مبدئاً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه ، وهذا في نهاية حسن المعنى .

وأراد بقوله : « رماني » أى أصابني ؛ ومثله قول الشاعر :

فَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ وَلَا بَدَّ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمَى

وكان زهيرُ بن جَنَابٍ على عهدِ كُأَيْبٍ وائل ، ولم يكن في العرب أنطقُ من ز
• ولا أوجهُ عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً، ولم تُجمَع قُضَاعَةٌ إلا عليه وعلى ر
ابن ربيعة .

وسمع زهيرٌ بعضَ نسائه تتكلم بما لا ينبغي لمرأةٍ تتكلم^(١) به عند زوجها ، فم
فقلت له : اسكت عني وإلا ضربتُك بهذا العمود ، فوالله ما كنت أراك تسمع شيئاً ولا ت
فقال عند ذلك :

١٠ أَلَا لَقَوْمٍ لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِمًا وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي بِيَمِينِي
مُعَزَّتِي عِنْدَ القَفَا بَعْمُودِهَا يَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا أَكُونُ عَلَى الأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَلَمُوتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ^(٢) مُوَطِّأٍ مَعَ الظَّعْنِ لَا يَأْتِي المَحَلَّ لِجِينِي

وهو القائل :

١٥ أُنْبَىٰ إِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَوْرَثْتِكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَ كِتَابَكُمْ أَرْبَابَ سَا دَاتٍ زِنَادِكُمْ وَرِيَّةً
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الفَتَى قَدْ نَلْتَهُ إِلَّا التَّحِيَّةُ
وَلَقَدْ رَحَلْتُ البَازِلَ الـ كَوُمَاءَ نَيْسَ لَهَا وَلِيَّةً
وَخَطَبْتُ خُطْبَةَ حَازِمٍ غَيْرِ الضَّعِيفِ^(٣) وَلَا العَمِيَّةِ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « الحدج : مركب من مرا
النساء ؛ كالخفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والحداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الحدائج » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « لا بالضعيف » .

فَأَلَمْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى
فَلَيْسَ لَكِنَّ وَهِيَ بَتِيَّةٌ
لِ وَقَدْ يُهَادَى بِالْمَشِيَّةِ

/وهو القائل :

[٨٠]

و

لَيْتَ شِعْرِي وَالدهرُ ذُو حَدَثَانِ
أَيَّ حِينٍ مَدَيْتِي تَلْقَانِي!
أَسْبَاتٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتٌ
أَمْ بَكَفَى مُفَجَّعٍ حَرَّانِ (١)!

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى مَا أُبَالِي
أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي!
وَحُقَّ لِمَنْ أَنْتَ مَائَتَانِ عَامًا
عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ التَّوَاهِي

قوله : « مُعزَّبتي » يعني امرأته ، يقال : معزَّبة الرجل وظلمته وحننته ؛ كل ذلك امرأته .

١٠

وقوله : « أمينا على سرِّ النساء » ، السرِّ : خلاف العلانية ، والسرُّ أيضا : النكاح ، قال الحطيئة :

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ
وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمْتَ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي
كَبِيرَةٌ وَالْأَلَّ يُحْسِنُ السَّرَّ أَمْثَالِي (٣)

١٥

(١) حاشية الأصل : « السبات ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قيل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : ليت شعري : أ. موت حنت أنق على فراني ، أم يفتاني متأثر عطشان إلى دمي ! » .
(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « أنف الفصاع أول ما يعرف من الفدر فيكون أدم » ، وفي شرح الديوان : « يقول : يؤثرون جارهم بالطمع على أنفسهم ، فيأكل صفة طعامهم قبلهم ، وأنف كل شيء أوله . (٣) ديوانه : ٣٠ ، وقد ضبط قوله : « لا يحسن » ، بالضممة والفتحة معا ، في الأصل ، وفي حاشيتهما : « الرفع على إضمار الهاء ، والنصب على اللفظ » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « وألا يشهد » .

وكلام زعيم يحتفل الوجوه جميعاً ، لأنه إذا كبر وهريم لم تهيبه النساء أن ^(١) يتحدثن بحضرتيه بأسرارهن ^(٢) ، تهاوناً به ، أو تعويلاً على ثقل سمعه ، وكذلك هريمه وكبره يوجبان كونه أميناً على نكاح النساء لمجزه عنه .

وقوله : « حِداجٌ مُوطَّأٌ » ، الحِداج ^(٣) : مَرَكَبٌ من مراكب النساء ، والجمع أحداج

٥ وحُدوج .

والظُّمُنُ والأظمان : الموادج ، والظعينة المرأة في الموادج ؛ ولا تُسمى ظعينة حتى تكون في هودج ، والجمع ظلعان ؛ وإنما خبر عن هريمه ، وأن موته خيرٌ من كونه مع الظُّمُن في جملة النساء .

وقوله : « زنادكم وريه » : الزناد : جمع زندي وزندة ، وهما عودان يُقدحُ بهما النار ، وفي

١٠ أحدهما فروض ، وهي تُقَبُّ ؛ فالتى فيها الفروض هي الأنثى ، والذى يُقدحُ بطرفه هو الذكركر ، ويسمى الزند الأب ، والزندة الأم . وكنتى « بزنادكم وريه » عن بلوغهم مأربهم ؛ تقول العرب : وريت بك زنادى ؛ أى نلتُ بك ما أحب من النجج والنجاة ، ويقال للرجل الكريم : وارى الزناد .

[٨٠] / فأما التحية ، فهي المُلك ، فكأنه قال : من كل ما نال الفتى قد نلتُه إلا المُلك ؛ وقيل

١٥ التحية هاهنا : الخلود والبقاء .

والبازل : الذئقة التى بلغت تسع سنين ، فهي أشدُّ ما تكون ، ولفظُ البازل فى الناقة

والجمل سواء .

والكُوماء : العظيمة السنام . والوالية : برذعة تُطرح على ظهر البعير تلى جلده .

والبجال : الذى يبجله قومه ويمظّمونه . وقوله : « يهادى بالمشية » ، أى يمشيه الرجال

٢٠ فيُسندونه لضعفه . والتهادى : المشى الضعيف .

(١-١) ت : « تتحدث بحضرتيه بأسرارها » (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « القياس

حدج [بضمين] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادراً ؛ كظروف فى جمع ظريب .

وقوله: «أسبأتُ»، فالسُّبَاتُ: سكون الحركة، ورجل مسبوت، والخُفَاتُ: الضعف
أيضاً، يقال: خَفَّتْ (١) الرجل إذا أصابه ضَمَفٌ من مرض أو جوع.
والمفجَّع: الذي يجمع بولده أو قرابة. والحِرَّانُ: العطشان اللثيب (٢)، وهو هاهنا
المحزون على قتلاه.

ومما يروى لزهير بن جناب:

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسَلِّيَ حَبِيْبًا فَأَكْثَرَ دُونَهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَّى حَبِيْبِكَ مِثْلُ نَائِي وَمَا أْبَلَى جَدِيدَكَ كَأَبْتَدَالِ (٣)



(١) ش: «خفت»؛ بالبناء للمجهول. (٢) ش: «المحترق». (٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره في (أخبار المعربين ٢٤-٢٩، والأوثان والخلف من أسماء الشعراء ١٣٠، وطبقات الشعراء: ٣٠، والأغاني ٢١: ٦٣-٦٨، والشعر والشعراء ٣٣٩-٣٤٢، وتاريخ ابن الأثير ١: ٢٩٩-٣٠١).

مجلد ۱۷

ومن المعمّرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثان بن مُحَرَّث بن الحارث بن ربيعة ابن وَهَب بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عِيَاد^(١) بن يَشْكُر بن عدوان . وهو الحارث بن عمرو بن قَيْس بن عِيلان بن مضر^(٢) .

وإنما سُمي الحارث عدوان ، لأنه عدَا على أخيه؛ فهِمَّ^(٣) بقتله ، وقيل : بل فَقَأ عينه ، وقيل : إن اسمَ ذو الإصبع مُحَرَّث بن حُرثان، وقيل : حُرثان بن حَوْبَرث، وقيل : حُرثان ابن حارثة، ويكْتبى أباعدوان .

وسبب لقبه بندي الإصْبَع أن حية نهشته على إصبعه فَشَّتْ ، فسمى بذلك . ويقال : إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم: إنه عاش ثلاثمائة سنة .

وهو أحد حكام العرب في الجاهلية . وذَكَر الجاحظ أنه كان أُرْم^(٤) وروى عنه :

لَا يَبْعَدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَدَائِهِ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ^(٥)
لَوْلَا أَوْلَئِكَ مَا حَقَلْتُ مَتًى عَوْلَيْتُ فِي حَرَجٍ^(٦) إِلَى قَبْرِى

(١) ش : « عباد بن يشكر » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان؛ وليس بـقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والناس أخو إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وقيل : عيلان اسم فرسه فنسب إليه ، وقيل : بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛ قال زفر بن الحارث :

أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عَيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْمُصِيرِ تَغَنَّتْ

(٣) ش : « فهم فقتله » . (٤) حاشية الأصل : « الأثرم : الذي سقطت مقادير أسنانه » .

(٥) في حاشية الأصل ، ت : « إن جررت النضر بدلا من الماء في « نباته » تخلصت من الإقواء ؛ ولك

أن تقول : « النضرى » مندوبا كقول : « والدهر بالإنسان دوارى » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « حرجى » والخرج : سرير الموتى .

[٨١] / هَزَيْتُ أَثِيَابَهُ أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ انْحَنَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان^(١) لدى الإصمع بنات أربع ، فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن : خِدْمَتِكَ وقربك أحبُّ إلينا . ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه ، فقلن : لِتَقُلْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مَا فِي نَفْسِهَا ، فقالت الكبرى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيْعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السَّيْفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ^(٢)
عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا اتَّمَى مِنْ سِرِّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي^(٣)
ويروى « من أهل سري ، ومن أصل سري ومحتدي » .

فقلن لها : أنت تريدين ذا قرابة قد عرفته . ثم قالت الثانية :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ أَدْرِي عَدْدِي^(٤) حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيْبُ الثَّوْبِ^(٥) وَالْعِطْرِ
ويروى : « أولى غنى » .

لَصُوقُ بَأْكِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَيَّ وَتَرِي^(٦)
ويروى : « لا ينام على هجري » .

فقلن لها : أنت تريدين فتى ليس من أهلك . ثم قالت الثالثة :

(١) الخبر في الأغاني ٣ : ٩٤-٩٦ (طبع دار الكتب المصرية) ، ومع شرحه في الكامل - بشرح
الرصني ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف في الرواية ونسبة الأبيات .
(٢) حاشية ت (من نسخة) :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيْعُهَا أَغْرُ كَنْصَلِ السَّيْفِ غَيْرُ الْمُهَنْدِ
ورواية الأغاني :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيْعُهَا أَثَمُّ كَنْصَلِ السَّيْفِ غَيْرُ مُبَدِّ
(٣) رواية الأغاني : « طيب بأدواء النساء » ، ورواية الكامل : « بأدواء النساء كأنه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ذوى غنى » ، وهى رواية الأغاني والكامل .

(٥) رواية الكامل : « طيب الثمر » ، ورواية الأغاني : « طيب الربيع » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « خليفة جان » .

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ نَدِيهِ^(١) لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْمَعْرُ^(٢) وَالْجُزْرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبْرَةٍ تَشِينُ؛ فَلَا فَانَ وَلَا ضَرَغُ غَمْرُ
فَقَلْنَ لَهَا: أَنْتِ تَرِيدِينَ سَيِّدًا شَرِيفًا.

وقلن للرابعة: قولي، فقالت: لا أقول شيئاً، فقلن لها: يا عدوة الله، علمت ما في أنفسنا ولا

٥ تعلميننا ما في نفسك! فقالت: «زوج من عود خير من قعود»؛ فمضت مثلاً.

فزوجهن أربعهن، وتركهن حولاً، ثم أتى الكبرى فقال: يا بنية، كيف ترين زوجك؟
قالت: خير زوج، يكرم الحليلة، ويعطى الوسيلة. قال: فما مالكم؟ قالت: خير مال،
الإبل نشرب ألبانها جزعاً ويروى: «جرعاً»، بالراء غير المعجمة. ونا كل أجهانها مزرعاً،
وتحملنا وضعيفنا^(٣) معاً؛ فقال: يا بنية، زوج كريم، ومال عميم.

١٠ ثم أتى الثانية فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: خير زوج؛ يكرم أهله، وينسى
فضله، قال: وما مالكم؟ قالت: البقر تألف الفناء، وتملأ الإناء، وتودك^(٤) السقاء،
ونساء مع النساء^(٥)، فقال لها: حظيت وبظيت^(٦).

ثم أتى الثالثة فقال: يا بنية، كيف زوجك؟ قالت: لا سمح بذر^(٧)، ولا بخيل حكر^(٨)

(١) رواية الأغاني:

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَفَانَ لَضِيفِهِ *

ورواية الكامل:

* أَلَا لَيْتَهُ يَعْطَى الْجَمَالَ بِدَيْئَةٍ *

(٢) في الأغاني: «البيب».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «وضفتنا». (٤) حاشية ت (من نسخة): «تودك».

بتشديد الدال مكسورة؛ وكذا ضبطت بالفلم في الكامل. (٥) ش: «مع نساء»، وهي رواية

الأغاني والكامل. (٦) حاشية ت (من نسخة): «رضيت».

(٧) بذر: يبسط ماله بالبذر؛ وهو وصف للمبالغة. (٨) حكر: هو الذي لا يزال يجبس

سلعته حتى يبيع بالكثير من شدة حكره.

قال: فإمالكم؟ قالت: المعزى، قال: وماهى؟ قالت: لو كنا نولدّها فطماً، ونسلخها أدمًا - وروى: «أدمًا» بالفتح - لم نبيخ بها نعمًا. فقال لها: جذوة^(١) مغنية - وروى: جذوى^(٢) مغنية.

ثم أتى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرُّ زوج؛ يكرّم نفسه، ويهين عرسه؛ قال: فإمالكم؟ قالت: شرُّ مال، قال: وماهو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم لا ينقمن، وصم لا يسمن، وأمر مغويتهن يتبعن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ^(٣) بعض بزّه»، فضت مثلاً.

أما قول إحدى بناته في الشعر: «أشم»، فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛ يقال: رجل أشم، وامرأة شماء، وقوم شم، قال حسان بن ثابت:

١٠ بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمُ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ^(٤)

والشم: الارتفاع في كل شيء؛ فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها؛ وخص الأنوف بذلك؛ لأن الحمية والغضب والأنف^(٥) فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا أشبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه» ولم يرد بياض اللون في الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجه أبيض، وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشم كفضل السيف» يحتمل الوجهين أيضا. وقول حسان «من الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأنهم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم. وقولها: «عين مهند»؛ أى هو المهند بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(١) حاشية ت (من نسخة): «جذوة».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «جذوى».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «أشبه

امرأ بعض بزّه»، والبرز فى الأصل: مناع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى مناع؛ والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقاً. (٤) ديوانه: ٨٠. (٥) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : « غير مهني » أي ليس هو السيف المنسوب إلى الهند في الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه في مضائه . وقولها : « من سرّ أهلي » ، أي من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان في سرّ قومه ، أي في صميمهم وشرفهم ، وسرّ الوادي : أطيئه تراباً . والمحتد : الأصل .

[٨٢] وقول الثانية : « أولى عدّي » / فإتما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنّ من لا عدوّ له هو الفسّل الرذل الذي لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضلُ من الناس هو المحسّدُ المعادي^(١) .

وقولها : « لصوقٌ بأكباد النساء » تعني في المضاجعة ، ويحتمل أن تكون أرادت في المحبة والمردّة ، وكنتُ بذلك عن شدة محبتن له ، وميلن إليه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أي كأنه حيّةٌ للصوّقه ، والجان : جنس من الحيات^(٢) ، تخففت ١٠ لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يُكسّي الجمالَ نديّه » فالنديّ هو المجاس . وقولها : « له حكايات الدهر » تقول : قد أحكمته التجاربُ ، وجعلته حكيماً . فأما الضرع فهو الضعيف . والنمّر : الذي لم يجرب الأمور .

وقول الكبرى : « ويكرم الحليّة ، ويعطي الوسيلة » ، فالحليّة هي امرأة الرجل ، والوسيلة الحاجة . وقولها : « نَشْرَبُ ألبانها جُزْعاً » فالجُزْع جمع جُزْعة ، وهو الماء القليل يبقى في الإناء ، وقولها : « مُزْعاً » ، المُزْعَة : البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُزْعة ولا مُزْعة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الضمُّ في جُزْعة ، ووجدت غيره يكسرهما فيقول جِرْعة ، وإذا كسرت فينبغي

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاهنا الفراء ؛ لما تقدم من : استدلأهن ؛ وهو قولهن « فتى ليس من أحلك » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون من باب قوله :

أن يكون « نشرب ألبانها جزعاً » وتكسر المِزْعَة أيضا ليزدوج الكلام ، فقول :
« ونأكل لُجْجَها مِزْعاً » ، قال : المِزْعَة ، بالكسر : هي القطعة من الشحم ، والمِزْعَة
بالكسر أيضا من الریش والتُّن وغير ذلك ، كالمِزْقَة من الخِرق ، والتمزيع : التقطيع
والتشقيق ؛ يقال إنه لَيَكاد يتمزَع من النِيط ، ومَزَع الطَّيُّ في عَدْوِه يَمزَع مَزْعاً ؛ إذا
أسرع ، وقوله : « مال عميم » : ، أي كثير .

وقول الثمانية : « نُودِكُ السَّقاء » ، من الودك الذي هو ^(١) الدَّسَم .

وقول الثالثة : « نُوكِدُها فَطْمًا » ، الفطم : جمع فَطِيم ، وهو المقطوع من الرضاع . وقولها :
« نسلخها أَدَمًا » ، فالأدُم : جمع إدام ، وهو الذي يؤكل ؛ تقول : لو أنا فطمناها عند الولادة
وسلخناها للأدُم من الحاجة لم نُبغ بها نَعْمًا . وعلى الرواية الأخرى : أَدَمًا ، من الأديم .
وقوله : « جِذْرَة مُغْنِيَة » ، فالجذوة : القطعة .

وقول الصغرى : « جُوفٌ لَا يَشْبَعُن » ، الجوف : جمع جَوْفاء ، وهي العظيمة الجوف .
والهيم : المطاش ، ولا يشبعن ؛ أي لا يروين ، ومعنى قولها : « وأمر مغور يمين يلبعن » ، لأن
القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزل واحدة فتقع في الماء ، فيقمن كأنهن إبتاعا لها ،
والضأن يوصف بالبلادة .

[٨٢]
ظ

أخبرنا أبو الحسن عني بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن ١٥
أبي عُبَيْدة عن يونس . قال ابن دريد وأخبرنا به العُكَلِيُّ عن أبي خالد ^(٢) عن الهيثم بن عدي
عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال : لما ^(٣) قدم عبدُ الملك
ابن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب ، دعا الناس على فرائضهم ^(٤) ، فأتيناه فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الشجري على الحاشية : وجدت في بعض الروايات : « تودل السقاء »

باللام مأخوذ من الأدل ؛ وهو ابن الحامض » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « عن أبي خالد » .

(٣) الخبر في الأتاني ٣-٩١-٩٢ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١) «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: جَدِيلَةٌ»^(١) ، فقال: جَدِيلَةٌ عَدَوَانٌ؟ قلنا: نعم ، فتمثلَّ عبد الملك:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(٢)

بَغَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضِ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَادَاتُ وَالْوُفُونَ بِالْقَرَضِ

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ فِي السُّنَّةِ وَالْقَرَضِ^(٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال: أَيُّكُمْ يقول هذا الشعر؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: يقوله ذو الإصبع ، فتركني وأقبل على ذاك الجسيم فقال: وما كان اسمُ ذِي الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه: حُرْثَانٌ ، فأقبل عليه وتركني ، فقال: لِمَ سَمَّيْتَ ذَا الإصْبَعِ؟ فقال: لا أدري ، فقلت: أنا من خلفه نَهَشْتَهُ حَيَّةٌ فِي إصْبَعِهِ ، فأقبل عليه وتركني فقال: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه من بنى نَاجٍ ، فأقبل على الجسيم فقال: كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قال: سبعمائة^(٤) ، ثم أقبل على فقال: كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قلت: أربعمائة^(٥) فقال: يا بن الزُّعَيْرَةِ ، حَطَّ مِنْ عَطَاءِ هَذَا ثَلَاثُمِائَةٍ ، وزدها في عطاء هذا ، فَرُحْتُ وَعَطَاؤِي سَبْعُمِائَةٍ وَعَطَاؤُهُ أَرْبَعُمِائَةٍ .

١٥ وفي رواية أخرى أنه قال له: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لا أدري ، فقلت أنا من خلفه:

من بنى نَاجٍ ، الذى يقول فيهم الشاعر:

وَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَدْرُكُ رِئَسَهُمْ وَلَا تُتْبِعُنَّ عَيْنِيكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا

^(٦) إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهُيْبٌ لَا أَسْأَلُ^(٧) ذَاكَ

(١-١) ت: «مَنْ الْقَوْمُ؟ فقلنا: من جديلة». (٢) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام الاستفهام؛ والتقدير: من يعذرهم؟». (٣) قال أبو الفرج: «قوله «ومِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ»؛ فإن إجازة الحج كانت الحزاعة، فأخذتها منهم عدوان»، وانظر القصيدة في الأغاني مع اختلاف الرواية وعدد الآيات. (٤) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم». (٥) حاشية ت (من نسخة): «أربعمائة درهم». (٦-٦) حاشية ت: «إذا قلت معروفاً لأصاحب بينهم»، وهى توافق رواية الأغاني. (٧) م: «لأسلم».

ويروى « لا أحاول ذلكا » .

[٨٣] فأضحى كظهر العود^(١) جب سنامه^٥ تحوم عليه الطير أهدب باركا

وقد رويت هذه الأبيات لدى الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أكثر^٥ ذا الضغن المبين منهم^٥ وأضحك حتى يبذو النَّابُ أجمع^(٢)
وأهدنه^٥ بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما أخفى لبات يفزع^٥
ومعنى « أهدنه » أسكنه .

ومن قوله أيضا :

إذا ما الدهر جرّ على أناس^٥ شرأشره^٥ أناخ بأخرينا^(٣)
فقل^٥ للشامتين بنا أفيقوا^٥ سيلي الشامتون كما لقينا^٥
ومعنى « الشراشر » هاهنا الثقل ، يقال ألقى عليه شرأشره وجرأشره ، أى ثقله .

ومن قوله :

ذهب^٥ الذين إذا رأوني مقبلا^٥ هشا إلى^٥ ورحبوا بالمقبل^٥
وهم^٥ الذين إذا حملت^٥ حمالة^(٤) ولقيهم^٥ فكأنى لم أحمل^٥
ومن قوله وهى مشهورة^(٥) :

(١) العود هنا : السن من الإبل ، ورواية للأغانى : « الفحل » . ورواية أخرى : « فأضحوا كظهر

العود » ، وبعده :

فإن^٥ تك عدوان^٥ بن عمرو تفرقت^٥ فقد غنيت^٥ دهرأ^٥ ملوكا هنالكا

(٢) البيتان فى حماسة البجترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى معن بن أوس .

(٣) نسب البيتان فى الشعر والشعراء : ٥٠ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ،

للفرزدق ؛ وفى حماسة البجترى : ١٤٩ نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحمالة : الدية . (٥) القميدة فى الفضليات - بشرح ابن الأنبارى ٣٢١-٣٢٢ ، والأمل

٢٥٤ : ٢٥٧ ، والحزانة ٣ : ٢٢٦-٢٢٨ ، وشرح شواهد التنقى : ١٤٧-١٤٨ ، وأبيات منها فى

الشعر والشعراء ٦٨٩ ؛ بم اختلاف فى الرواية وعددا لأبيات .

لِي ابْنِ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
أَزْرَى بِنَا أَنَّا شَالَتْ نِعَامَتُنَا
لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَتْ فِي حَسَبٍ
إِنِّي لَسَمْرُكٌ مَا بَابِي بِيذِي غَاقٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذْنَى بِمُنْطَلَقٍ
مَاذَا عَلَى وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي (٥)
يَا سَمْرُؤُ! إِلَّا تَدَعُ (٧) شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ (٩) عَلَى مِائَةٍ
لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مَنِي غَيْرَ مَأْيَةٍ
/ قوله « شالت نعامتنا »، معناه تماقرنا (١١)، فضرَبَ النِّعَامَ مثلاً؛ أي لا أطمئن إليه (١١)،
ولا يطمئن إليّ، يقال: شالت نعمة القوم إذا جَلَّوا (١٢) عن الموضوع.

وقوله: « لا إِبْنَ عَمِّكَ »؛ قال قوم: أراد الله إِبْنَ عَمِّكَ. وقال ابن دريد: أقسم وأراد
الله إِبْنَ عَمِّكَ. وقوله: « عَنِّي » أي على (١٣)، والدِّيَّان: الذي يلي أمره. ومعنى: « فَتَخَزُونِي »
أي تسوسوني. والمهون: المهوان.

- (١) حاشية الأصل: « أي نحن مختلفان ». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): « وخالته »؛
وهي رواية الأمامي وأزرى بنا: قصر بنا. (٣) لا أفضلت؛ أي ما جئت بفضل.
(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « عن الصديق »، وممنون: منقطع؛ أي لا أقطع عنه فضلي.
(٥) حاشية ت (من نسخة): « رحم ». (٦) ش: « إن ».
(٧) حاشية الأصل (من نسخة): « إن لم تدع ». (٨) م: « حتى ».
(٩) زيد: زيادة. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة): بعد هذا البيت:

كَلُّ أَمْرِي صَابِرُهُ يَوْمًا لِشِبْمَتِهِ
وَإِنْ تَحَنَّقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ

- (١١-١١) ت: « فصرت لأطمئن إليه ». (١٢) حاشية ت (من نسخة): « وأجلوا ».
(١٣) في حاشيتي الأصل، ت: « الأحسن أن يقدر هاهنا فدل يتعلق « عن » به؛ هكذا هو عند

وقوله : « أَضْرَبَكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةَ اسْقُونِي » ، قال الأصمعيّ : العطشُ في الهامة ، فأراد أضربك في ذلك الموضع ، أي على الهامة حتى تعطش . وقال آخرون : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِلَ خرجت من رأسه هامة تدورُ حول قبره ، وتقول : اسقوني ، اسقوني ! فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره ؛ وهذا باطلٌ ؛ ويجوزُ أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .
وقوله : « لَا يُخْرِجُ الْقَمَرُ مَنَى غَيْرَ مَائِيَّةٍ » ، فالقمرُ : التهر ، أي إن أخذت قمرًا لم أزدد إلا إباءً^(١) .

ومن المعمرين معدى كرب الحميريّ ؛ من آل ذى رعين « قال ابن سلام : ” وقال
معدى كرب^(٢) الحميريّ - وقد طال عمره :

أراني كلما أفنيت يوماً أتاني بعده يومٌ جديدٌ
يَعْمُودُ بِيَاضُهُ^(٣) فِي كُلِّ وَجْرٍ وَيَأْبَى لِي شَبَابِي مَا يَمْرُدُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع^(٤) الفزاريّ ، ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية . ورؤى
أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع ، أخبرني عمّا أدركت من العمر والمدى ،
ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هأنذا آمِلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَتَلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا^(٥)

١٥ فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القائل :

(١) وانظر ترجمة ذى الإصبع وأخباره وأشماره في (الاشتقاق ١٦٣ ، والمعمرين ٩٠ ، والأغانى

٣ : ١١ - ٢ ، والنلالي ٢٨٩ - ٢٩٠ ، والخزانة ٢ : ٤٠٦ - ٤٠٩ والشعر والشعراء ٦٨٨ - ٦٩٠) .

(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب ، بافتح ، ويكون معدى مضافاً إلى كرب » .

(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ضياؤه » . (٤) ت : « ضبع ، التنوين ، وفي

حاشية الأصل : « في نسخة مقروءة من كتاب سيديويه - وقد قرئ على أبي علي الفارسي رحمه الله - وفي

أخرى مقروءة على ابن أخته أبي الحسين : الربيع بن ضبع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل :

« حجر أبو امرئ القيس » .

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَاذَةُ وَالْفَتَاءُ^(١)
قال: قد رويت هذا من شعرك وأنا غلام ، وأبيك يا ربيع ، لقد طلبك^(٢) جد غير غار ،
ففضل لي عمرك ، قال: عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام ، وعشرين ومائة في الجاهلية ،
[٨٤] وستين سنة / في الإسلام . قال : أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء ، قال : سل
عن أيهم شئت ، قال : أخبرني عن عبد الله بن العباس ، قال : فهم وعلم ، وعطاء جدم^(٣) ،
ومقرى ضخم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال : حلم وعلم ، وطول كظم ، وبعث
من الظلم . قال : فأخبرني عن عبد الله بن جعفر ، قال : ريحانة طيب ريحها ، لين مشها ، قليل
على المسلمين ضررها . قال : فأخبرني عن عبد الله بن الزبير ، قال : جبل وعمر ، ينحدر^(٤)
منه الصخر . قال : لله درك يا ربيع ! ما أعرفك بهم ! قال : قرب جوارى ، وكثر
١٠ استخبارى .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبهه أن يكون
سؤال عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية ، لافي أيام ولايته ، لأن الربيع يقول في الخبر :
«عشت في الإسلام ستين سنة»^(٥) ، وعبد الملك ولى في سنة خمس وستين من الهجرة ، فإن
كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ؛ ويقال: إن الربيع لما
١٥ بلغ مائتي سنة قال :

(١) البيت من شواهد الرضى على السكانية ، وهو في (الخرزاة ٣ : ٣٠٦) ، وأورده شاهداً
على أنه قد يفرد ميم المائة وينصب ؛ وأورده سيوري في موضعين : الأول في باب العفة المشبهة بالفاعل وذكر
أسماء العدد وعملها في الأسماء ؛ (الكتاب ١ : ١٠٦) ، والثاني في باب كم (١ : ٣٠٦) .
وأورده ابن قتيبة في (أدب الكاتب : ٢٩٥) ، في باب «أسماء يتفق أفعالها وتختلف معانيها» ، قال :
«والفتاء من السن ممدود ، وروى البيت ، وذكره البطلبوسى في الانضاب : ٣٦٩ ، وأورد بيتين بعده .
(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : «لقد طار بك» .
(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : «حدم» ، بالخاء ، وأصل الحدم الإسراع .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : «ينحدر منه» ، وفي حاشية ت (من نسخة) : «ينحدر عنه» .
(٥) ت : «حجة» .

أَلَا أَبْلُغُ بَنِيَّ بَنِيَّ رَيْسِحَ
بَأْتِي قَدْ كَبُرْتُ وَدَقَّ عَظْمِي
وَإِنَّ كِنَانِي لِنِسَاءِ صِدْقِي
إِذَا كَانَ (٣) الشَّتَاءُ فَأَدْفِنُونِي
وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرَى
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتِينَ عَامًا

فَأَشْرَارُ الْبَنِينَ لَكُمْ فِدَاءَهُ (١)
فَلَا تَشْغَلْكُمْ عَنِّي النِّسَاءُ
وَمَا آلِي بَنِيَّ وَلَا أَسَاءُوا (٢)
فَإِنَّ الشَّيْخَ يَهْدِمُهُ الشَّتَاءُ
فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِدَاءُ
فَقَدْ زَهَبَ اللَّذَّازَةُ (٤) وَالْفَتَاءُ

وَقَالَ حِينَ بَلَغَ مِائَتِينَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَ (٥)
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ
هَا أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودِ وَقَدْ
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ !
/ أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا
إِنْ يَنَا (٦) عَنِّي فَقَدْ تَوَى عُصْرًا
لَمَّا قَضَى مِنْ جِمَاعِنَا وَطَرَا
أَدْرَكَ عَقْلِي (٧) وَمَوْلِدِي حُجْرًا
هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا
أَمَلِكُ رَأْسِ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[٨٤]
ظ

(١) المقطوعة في (شرح أدب الكاتب للجوالقي ٢٦٦، والمعمرين ٦-٧، وذيل الأملاني : ٢١٤،
والخزانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجوالقي : « قوله : « فأشرار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر ،
وفي الخزانة : « أنذار البنين » . (٢) الكنان : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛
وهي امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « آلي » ، بتشديد اللام
قال : « وهو الصحيح ؛ ومعنى « آلي » ، قصر في قول بعضهم ، واللغة الأخرى « ألا » ، مخففا ؛ يقال : ألا
الرجل بألو ؛ إذا قصر ونتر ؛ فأما « آلي » في البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلف ، ولا معنى له هاهنا .
وفي المعمرين لأبي حاتم : « ويروى : « وما آلي » ، والمألية : القصير ، ومن قال : « وما آلي » فإلغى
مأقسموا ألا بيروني » ، وروى عن أبي عمرو الشيباني قال : سألت القاسم بن معن عن قوله :

* وما آلي بني وما أساءوا *

قلت : أبطأوا ، قال : ماتدع شيئا ! وانظر اللسان (ألا) . (٣) كان هاهنا تامة ، لاسم لها ولا
خبر ، وفي المعمرين : « جاء » . (٤) في الاقتصاب : « النخيل » ، وقال في شرحه : النخيل :
الحيلاء ، ويروى : « المسرة » ، ويروى : « المروة » ، (٥) في حاشيتي الأصل ، ت : « يقال :
حسر البعير يحسر إذا أعبا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرتة أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .
(٦) ت : « بان عني » . (٧) ش : « سني » ، وفي م : « عقلي » .

وَالذَّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَّرْتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيَّاحَ وَالطَّرَا
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أُسْرٍ^(١) بِهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعْلَجُ الْكِبَرِ^(٢)
قوله : « عطاء جَدْم » أى سريبع ، وكلّ شئ تمسّعت فيه فقد جدّته ، وفي الحديث :
« إِذَا أَذْنَتْ فترسّل ، وَإِذَا أَقْت فَأَجْدِم » ، أى أسرع . والمقرى : الإناء الذى يُقرى فيه .
وقوله : « فما إلى بنى ولا نساءوا » ، أى لم يقصّروا ، والآلى : المقصّر^(٣) .

(١) حاشية ت من نسخة « أنوء » . (٢) وردت هذه الأبيات فى حماسة البحرى : ٣٢٢ ،
ونوادى أبى زيد ١٤٨ ؛ ونقل صاحب الخزانة (٣ : ٣٠٩) عن ابن السيد فى شرح الجمل قال : « روى
الرواه أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام ، وأندقم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه حفدته ،
ودخل حفيده على معاوية فقال له : أقدم ناشيخ ؟ فقال له : وكيف يقعد من جده بالباب ؟ فقال له معاوية :
لملك من ولد الربيع بن ضبع ، فقال : أجل ؟ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنه فقال :
أَفَقَرٌ مِنْ مِيَةِ الْجَرِيْبِ إِلَى الزُّجَيْنِ إِلَّا الطَّبَاءَ وَالْبَمْرَةَ
كَلَّمَهَا دُرَّةٌ مُنَمَّمَةٌ مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَّرًا
أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ مَبْتَكِرًا إِنْ يَنَّا عَنِّي فَقَدْ تَوَى عُصْرًا
إلى آخر الأبيات المتقدمة ؛ فقرأ معاوية ، ﴿ وَمَنْ نَعْمَهُ نُنَكِّسُهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ .

(٢) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره فى (المعمرين ٦-٧ ، والآلى ٨٠٢ ، والخزانة

مَجْلِسُ آخِرِ

ومن المَعْمَرِينَ أَبُو الطَّمَّحَانِ الْقَيْنِيَّ ، واسمُه حنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ ، من بني كِنَانَةَ
ابنِ التَّيْنِ ؛ قال أبو حاتم : " عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ^(٢) أَدْنُو لِيصِيدِ
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيِّدًا - أُنِّي بِقَيْدِ "

ويروى : « قريب الخطو » .

قال أبو حاتم : " حدثني عِدَّةٌ من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يُنشد هذين
البيتين ، ويُنشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سُوَيْدٌ^(٣) وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بَشْرٌ قَيْدِ "
وهو القائل :

وَأُنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ^(٤) ١٠
نَجُومُ سَمَاءٍ كَلَّمَا غَابَ كَوَكَبٌ بَدَا كَوَكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَاقِبَهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدٌ^(٥) تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كِتَابُهُ^(٦)

ومعنى البيتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يشبه قولَ أَوْسِ بْنِ حَجْرٍ :

(١) حاشية (من نسخة) : « من كنانة » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حابل » .

(٣) ت ، ش : « يادويد » . (٤) ش : « منهم سيد » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حيث كانوا متوج » . (٦) من نسخة بحاشيتي

الأصل ، ت : « ركايبه » .

إِذَا مُقَرَّمٌ مِّنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ / وَلَطْفِيلِ الْعَنَوِيِّ مِثْلَ هَذَا ، وَهُوَ : [٨٠]
 تَحْمَطُ فِينَا نَابٌ آخِرٌ مُقَرَّمٌ (١)
 كَوَاكِبٌ دَجْنٌ كَلَّمَا انْقَضَ كَوَكِبٌ
 وَقَدْ أَخَذَ الْخُرَيْمِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 إِذَا قَمَرٌ مِّنَّا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا ٥
 بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك :

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةٌ / إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ
 وَمِثْلُهُ :

إِذَا سَيِّدٌ مِّنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ / أَقَامَ عَمُودَ الْمَلِكِ (٣) آخِرُ سَيِّدٌ

وَكَانَ مَزَاحِمًا الْعَمِيلِيَّ نَظَرَ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّمْحَانِ : ١٠

* أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ *

في قوله :

وُجُوهُ لَوْ أَنَّ الْمُدْلِجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا / صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي (٤)
 وَيُقَارِبُ ذَلِكَ قَوْلَ حُجَّيَّةِ بْنِ الْمَضْرَبِ الْكِنْدِيِّ :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ / لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ (٥) ١٥

وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ فِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّمْحَانِ :

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خط) وفي حاشيتي الأصل ، ت : ذرا الشيء : سقط ، وذروته : طيرته . وتحمط الفحل ؛ إذا انفج عند الهيام . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) « الدين » . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس ثعلب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها الغالي في (الأمالي : ١ : ٥٣-٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرعة ، أحد الأملاك أملاك ردمان » ؛ وأولها :

إِذَا كُنْتَ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعُلَا / وَأَيْنَ الْعَطَاءِ الْجَزَلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ

فَنَقَبَ عَنِ الْأَمْوَالِكِ وَاهْتَفَى لِحَيْرٍ / وَعِشْ جَارَ ظِلِّ لَأَيُّغَالِبُهُ الدَّهْرُ

وَالْأَمْوَالِكُ : قَبِيلَةٌ مِنْ حَمِيرٍ ، وَرَدْمَانُ : مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ .

مِنِ الْمِيضِ الْوَجُودِ بَنِي سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيُّ بِهِمْ أَضَاءُ (١)
هُمْ حَلُّوا مِنْ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُ (٢)
فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لَمَجِدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٣)
وأبو الطمجان القائل:

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِخْنَةٌ فَلَا تَسْتَبْرِهْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينَهَا (٤)
وهو القائل:

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيمَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكَدَّرِ (٥)
ويروى: «صفية لم يكدر»، والوقيمة: المستنقع في الصخرة للماء، ويقال للماء إذا

زل (٦) من صخرة فوق / في بطن أخرى ماء الوقائع، وأنشدوا لذي الرثمة:

وَنِلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَسَنِي النَّحْلِ مَمزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ (٧)
ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل
ماء المفاصل، وأنشدوا لأبي ذؤيب:

(١) من أبيات ثمانية، نسبها أبو تمام إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري؛ يقولها في زفر بن أبي هاشم
ابن مسعود بن سنان؛ وأولها:

أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءَ

وهي في الحماسة - بشرح التبريزي ١: ١٩٧-١٩٨، وأبيات منها في الحيوان ٢: ١-٢،
والمؤتلف والمختلف ٦٢، ومعجم الرزباني ٣٢٣. (٢) في الحماسة: «حسب العشيرة».

(٣) في الحماسة: «لكم السماء». (٤) البيت في اللسان (أحن)، نسبه إلى الأقبيل القيني؛
وذكر قبله:

مَتَى مَا يَسُوْ ظَنُّ امْرِئٍ بِصَدِيقِهِ يُصَدِّقُ بَلَاغَاتٍ يَجِيئُهُ يَقِينًا

وهو أيضا بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف: ٢٣؛ وفي الفائق ١: ١٦؛ من غير عزو.

(٥) ت: «كعين العذاب»، قال؛ وذكر فوقها: «وهو اسم موضع» وعن الغراب يضرب بها المثل

في الصفاء. (٦) ت: «عن صخرة». (٧) ديوانه: ٣٥٨.

مُطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ (١)
وَأُنشِدُ أَبُو مَحَلَّمِ السَّمْعَدِيُّ لِأَبِي الطَّمْحَانَ :
بُنَى إِذَا مَا سَامَكَ الذُّلُّ قَاهِرًا عَزِيزًا فَبِعَمَضِ الذُّلِّ أُبْقَى وَأَحْرَزُ (٢)
وَلَا تَحَمُّ (٣) مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُورِثُ الذُّلُّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ
وَهَذَا الْبَيْتَانِ يَرْوِيَانِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْجَعْفَرِيِّ .

وَرَوَى لِأَبِي الطَّمْحَانَ أَيْضًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى :

يَارُبَّ مَظْلَمَةٍ (٤) يَوْمًا لَطَيْتُ لَهَا تَمْضَى عَلَيَّ إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي (٥)
حَتَّى إِذَا مَا انْجَبَتْ عَنِّي غَيَابَتِهَا وَتَبَّتْ فِيهَا وَتُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي (٦)

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ النَّسَّانِيَّ ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ قَيْسِ
١٠ ابْنِ حِيَانَ بْنِ بُقَيْلَةَ ، وَبُقَيْلَةَ اسْمُهُ تَعْلَبَةُ ، وَقِيلَ الْحَارِثُ ؛ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بُقَيْلَةَ لِأَنَّهُ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ
أَخْضَرَيْنِ عَلَى قَوْمِهِ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا أَنْتَ إِلَّا بُقَيْلَةَ ، فَسُمِّيَ لِذَلِكَ .

وَذَكَرَ السَّكَبِيُّ وَأَبُو مِخْنَفٍ وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ
فَلَمْ يُسْلَمْ ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا .

وَرَوَى أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمَّا نَزَلَ عَلَى الْحَيْرَةِ ، وَتَحَصَّنَ مِنْهُ أَهْلُهَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ : ابْعَثُوا إِلَيَّ
١٥ رَجُلًا مِنْ عَقْلَائِكُمْ ، وَذَوِي أَسْنَانِكُمْ (٧) . فَبِعَثُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَسِيحِ بْنِ بُقَيْلَةَ ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « قَبْلَهُ :

وَإِنَّ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدُّلْتَهُ جَنَى النَّجْلِ فِي أَلْبَانِ عُودِ مُطَافِلٍ

« مُطَافِيلُ أَبْكَارٍ » ، بَدَلَ مِنْ قَوْلِهِ : « عُودُ مُطَافِلٍ » ، وَمُطَافِلٌ : جَمْعُ مُطْفَلٍ ؛ وَهِيَ الَّتِي مَعَهَا وَلَدُهَا .

وَانظُرْ دِيوَانَ الْهَذَا لِي ١ : ١٤٠ . (٢) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « أَتَى وَأَحْرَزَ » .

(٣) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « وَلَا تَجْنِ » . (٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) :

« مَظْلَمَةٌ » ، بِضَمِّ الْمِيمِ . (٥) ش : « أَنْصَارِي » . (٦) الْغِيَابَةُ : كُلُّ مَا أَظَلَ الْإِنْسَانَ فَوْقَ

رَأْسِهِ . وَاظُنْ تَرْجَمَةَ أَبِي الطَّمْحَانَ وَأَخْبَارَهُ وَأَشْعَارَهُ فِي (الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ ٣٤٨ - ٣٤٩ ، وَالْمُعَمَّرِينَ

٥٧ ، وَالْإِسْتِغْنَاقَ ٣١٧ ، وَالرُّؤْيَا وَالْمُخْتَلَفَ ١٤٩ - ١٥٠ ، وَالْأَغَانِيَّ ١١ : ١٢٥ - ١٢٨ ، وَاللَّاسِيَّ

٣٣٢ ، وَالْإِسَابَةَ ٢ : ٦٦ ، وَالْحَزَانَ ٣ : ٤٢٦) . (٧) مِنْ نَسْخَةِ بَحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « أَنْسَابِكُمْ » .

حتى دنا من خالد ، فقال له : اِنْعَمُ صباحاً أيها الملك ! قال : قد أغنانا الله عن تحميتك هذه ، فمن أين أقصَى أثرِك أيها الشيخ ؟ قال : مِنْ ظَهْرِ أَبِي ، قال : فمن أين خرجت ؟ قال من بطن أمي ، قال : فعلام أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ففيم أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : أتعمل - لاعتقلت ؟ قال : إي والله / وأقيّد ، قال : ابنُ كم أنت ؟ قال : ابنُ رجلٍ واحدٍ ، قال [٨٦] خالد : ما رأيت كاليوم قطُّ ، إني أسأله عن الشيء ^(١) وينجو في غيره ^(١) ، قال : ما أجبتك إلاَّ ٥ عما سألتَ ، فسَلَّ عمّا بدا لك .

قال : أعربُ أنتم أم نبيط ^(٢) ؟ قال : عرب استنبطنا ، ونبيط استعربنا ، قال : أئخرَبُ أنتم أم سلِّم ؟ قال : بل سلِّم ، قال : فما هذي الحصونُ ؟ قال : بنيناها للسَّفيه ^(٣) نَحْدَرُ منه حتَّى يجيء الحليم فينهبها ، قال : كم أنى لك ؟ قال : ستون وثلاثمائة سنة ، قال : فما أدركت ؟ قال : أدركت سفن البحر ترُّفأً ^(٤) في هذا الجرف ، ورأيت المرأة تخرج من الحيرة ، وتضع ١٠ مسكناً على رأسها ، لا ترؤد إلاَّ رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام ، ثم قد أصبحت خراباً يباباً ، وذلك دأب الله في البلاد والعباد .

قال - ومعه سمٌّ ساعة يقبّبه في كفه - : فقال له خالد : ما هذا في كفك ؟ قال : هذا السمُّ ، قال : ما تصنع به ؟ قال : إن كان عندك ما يُوافق قومي وأهل بلدي حمِدَت الله وقبَلتته ، وإن كانت الأخرى لم أكن أولَ مَنْ ساق إليهم ذلاًَّ وبلاءً ، أشربه فأستريح من الدنيا ، فإنما ١٥ بقي من عمرى اليسير ، قال خالد : هاته ، فأخذه ثم قال : بسم الله وبالله رب الأرض والسماء ، الذي لا يضر مع اسمه شيء ، ثم أكله ، فتجلتته غشية ، ثم ضرب بدقنه في صدره طويلاً ، ثم عَرِقَ فأفاق ، كأنما أنشطَ من عقال .

فرجع ابن بُقيلة إلى قومه فقال : جئتكم من عند شيطان ، أكل سمّاً ساعة فلم يضره ،

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « وينجو بي إلى غيره » .

(٢) ش : « نبط » ، وهو بمعنى النبيط : « وفي حاشية الأصل : « أصل النبط قوم كانوا

يستنبطون الماء ويجتفرون الآبار للعرب ؛ فقبل لأهل السواد النبط » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« لسفيه » . (٤) في حاشية الأصل ، ت : « أرفأت السفينة : قربتها من الشط ، وذلك الموضع مرفأً » .

صانعوا القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع^(١) لهم ، فصالحوهم^(٢) على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلَةَ يقول :

أَبَعَدَ الْمُنْدَرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوَّحُ بِالْحَوْرَنْقِ وَالسَّدِيرِ!^(٣)
[أَبَعَدَ فَوَارِسِ النَّمَانِ أُرْعَى مَرَاعَى نَهْرٍ مُرَّةً فَالْخَفِيرِ!^(٤)
تَحَامَاةُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةَ ضَيْغَمٍ عَلَى الزَّيْبِ
وَصَرْنَا بَعْدَ هُلَاكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمِثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

- يريد أبا قابوس ، فصغر ، ويروى « كمثل المِعز » -

تَقَسَّمْنَا الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ^(٥)
نُودَى الْخَرْجَ بَعْدَ خَرَاكِ كَسْرَى وَخَرَجَ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالًا فَيَوْمًا مِنْ مَسَاءِ^(٦) أَوْ سُرُورِ

١٠

[٨٦]
ظ

/ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقَيْلَةَ قال :

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا لَوَ أَنَّ الْمَرْءَ تَنَفَّهَ الْحُصُونُ
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مُشْمَخِرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَّاحِ بِهِ حَنِينُ^(٧)
ومما يروى لعبد المسيح بن بُقَيْلَةَ :

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُورٌ وَمَهْجُورُ^(٨)
وَهُمْ بَنُونَ لِأُمَّمٍ إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَخْفُورُ

١٥

وهذا يشبه قول أوس بن حَجَرٍ :

(١) حاشية الأصل : « أي كأن الله صنعه لهم » . (٢) ت ، د : « فصانعوهم » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان ٣ : ٤٨٥ ، وفي حاشية ت (من نسخة) « تروح » ، بفتح الحاء ؛ والخورنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تكملة من ت . (٥) معجم البلدان : « كأنا ؛ بعض أجزاء الجزور » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من مساءة أو سرور » .

(٧) م : « أنين » . (٨) قال في اللسان (علل) : « أبناء علات ، يستعمل في الجماعة المختلفين » ؛ واستشهد بالبئتين ؛ وأصله في الأولاد تختاب أمهاتهن . وفي حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ؛ وفي م : « فمجفؤ ومحقور » ؛ وهي رواية اللسان .

بَنَى أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ - وَإِنْ كَانَ مَبْدَأَ - سَيِّدِ الْأَمْرِ جَعْفَلًا^(١)
وَهُمْ لِمَقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عِلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا

وَذُكْرَانٌ بَعْضُ مَشَايِخِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا يَخْتَطُّ دِيرًا^(٢) ، فَلَمَّا احْتَفَرَ مَوْضِعَ
الْأَسَاسِ ، وَأَمَعَنَ فِي الْإِحْتِفَارِ أَصَابَ كَهَيْئَةَ الْبَيْتِ^(٣) ، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ
رِخَامٍ^(٤) ، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ : « أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيَّةَ

حَنَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ الْمَسْنَى بُنْعَ الْمَزِيدِ^(٥)
وَكَأَهَيْتُ الْأُمُورَ وَكَأَفَحَيْتُنِي فَلَمْ أَحْفَلْ بِمَعْضِلَةِ كَثُودِ
وَكَدْتُ أَنَالَ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ^(٦)

وَمِنَ الْمُعَمَّرِينَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُدَّسِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ
جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ ، وَيَكْنَى أَبُو لَيْلَى .
وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ : " كَانَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ أَسْنَنًا مِنَ النَّابِغَةِ الدَّيَّانِيَّةِ ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ :

تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مَهِيحٌ عَلَى الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ تَتَذَكَّرَ^(٧)
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْدِرِ بْنِ مُحَرَّرِي أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ مَا رَضِ أَقْفَرَا
/ كَهُولٌ وَفَتِيَانٌ كَيْانٌ وَجُوهَهُمْ دَنَايِرٌ مِمَّا شَيْفَ فِي أَرْضِ قَيْصِرَا^{٨٧}
و

(١) ديوانه: ٢٢ ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « سيد الملك » . ويقال : رجل جعفل ؛ أي
سيد عظيم القدر ؛ ذكره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت . وفي حاشيتي الأصل ، ت : « قبله »
وَإِنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خِفَافَ الْعَهْدِ يَكْتَرُونَ التَّنْقِلًا
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « داراً » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « الكهف » .
(٤) ش : « زجاج » . (٥) حاشية الأصل : « أي البلع من الزيد » .
(٦) وانظر ترجمة عبد المسيح بن ببيعة أيضا في المعمرين ٣٧-٣٨ .
(٧) من قصيدة طويلة ، ٧٦ بيتا ، ذكرها صاحب جمهرة الأشعار في ٣٠١-٣٠٧ .

فهذا يدلُّ على أنه كان مع المنذر بن محرق ، والنابعة الذُّبيانيّ كان مع النعمان بن المنذر ابن محرق .

قوله : « سيف » يعني جُلّي ، والمشوف المجلوّ .

ويقال : إن النابعة غيّر ثلاثين سنة لا يتكلم^(١) ، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين و مائة سنة بأصهبان ، وكان ديوانه بها ، وهو الذي يقول :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنْ الْفَتِيَانِ أَيَّامَ الْخُنَّانِ
— وَأَيَّامَ الْخُنَّانِ : أَيَّامٌ كَانَتْ لِلْعَرَبِ قَدِيمَةً ، هَاجَ بِهَا فِيهِمْ مَرَضٌ فِي أَنْوْفِهِمْ وَحُلُوقِهِمْ —

مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وُلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَاكَ وَحِجَّتَانِ^(٢)
فَأَبَقِيَ الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبَقِيَ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي
تَفَلَّلَ وَهُوَ مَأْتُورٌ جُرَّازٌ إِذَا جُمِعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ^(٣)

وقال أيضا في طول عمره :

لَيْسْتُ أَنَسًا فَأَفْتَيْتُهُمْ وَأَفْتَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْتَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَسَا

(١) حاشية الأصل : « أي لا يتكلم بالشعر ، وسميت القصيدة كلمة » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « ذكر المراد في قول النابعة :

عَلَى حِينٍ عَاتِبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقَاتُ أَلْمَا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

أنه يجوز في « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجوز

فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المرب ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابعة : « لعام ولدت فيه » لا يحتاج إلى « فيه »

بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف في

حكم الشيء الواحد ؛ فلا يحتاج إلى المائد ؛ بخلاف أن تكون الجملة صفة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؛ وكأنه للبيان والتحقيق ، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمره

« ولدت » ، أخرى ، والجار والمجرور يتعلق بولدت الكامل . وانظر الكامل — بشرح المرفص ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : باق أثره . والجرّاز : الماضي النائد في الضريبة ، وانظر طبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستأس : المتعاض^(١) .

وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة، وأدرك

الإسلام، وروى له:

قالت أمانة كم عمّرتَ زمانةً وذبحتَ مِن عِترِ على الأوثانِ !
— العتيرة^(٢) : شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية —

ولقد شهدتُ عكاظَ قبلَ محامها عنها وكنْتُ أعدىَ ميلَ فتيانِ^(٣)
والمنذرَ بنَ مُحَرَّقٍ في مُنكهِ وشهدتُ يومَ هَجانِ النعمانِ^(٤)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المتعاض » ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : « العتر والعتيرة كالذبح والذبيحة » . (٣) ش : « فيها » ، وفي حاشية

الأصل : « محلها فيها ؛ أي نزولها في عكاظ ، ومحلها عنها ، أي نزولها فيما عدا عكاظ ، و « عن »
لما عدا الشيء وجاوزه » (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو
ابن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمي . وعمرو بن عدى هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له
الأبرش والوضاح لبرص به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبي المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أوئل بعد آل مُحَرَّقٍ — تركوا منازِلَهُمْ — وَبَعَدَ إِيَادِ

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباذ هو الذي ملكه ؛
وقيل ملكه قباذ . والنعمان هنا هو الذي بنى الخورنق ؛ وهو الذي لبس المسوح وتزهد وساح في الأرض ،
ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنوشروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء
لجأها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر ،
وعمر هو الذي يقال له مزريقاء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط
الحجارة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بني دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكلهم مائة برجل من البراجم
وبامرأة نهشلية ؛ ولذلك قيل : « إن الشقي واند البراجم » . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر
ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبياني ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم
بؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب في
ديارهم وامرأة هجان ؛ أي حرة كريمة لم يعرفها الإماء ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والهجان من
الإبل : البيض ؛ يوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل
كلاب ؛ ويقال ناقة هجان وبغير هجان ، والجمع على هجان أيضا . وهجان النعمان معروفة ؛ وهي نجائبه ؛ =

وَعَمِرَتْ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدَى وَقَوَارِعِ تُمَلَّى مِنَ الْقُرْآنِ (١)
/ وَلَبِيتُ مِلَّ إِسْلَامِ ثُوبًا وَاسْمًا مِنْ سَيْبِ لَاحِرِمِ وَلَا مَنَّانِ (٢)

[٨٧]
ط

وله أيضاً في طول عمره :

المرءُ يهوى أن يعيش وطولُ عيشٍ ما يضرُّه (٣)
تَفَنَى بِشَاشْتِهِ وَيَبْقَى بَعْدَ حُلُولِ الْعَيْشِ مُرَّةً
وَتَتَابَعُ الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَمْرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلِ اللَّهِ دَرُّهُ !

ويروى أن النابغة الجعدى كان يفتخر ويقول : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُودُنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قلت : الجنة يا رسول الله ،

فقال : « أجل إن شاء الله » ، ثم أنشدته :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُوْرِدَ الْأَمْرَ أُصْدَرَا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضض الله فاك ! » ، وفي رواية أخرى : « لا يفضض

١٥ فوك ! » فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة ، لم تسقط له سن ولا ضرس . وفي رواية

أخرى عن بعضهم قال : فرأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبها ، وكان كما سقطت له ثنية نبتت

له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس نفرا .

معنى ترف تبرق ، وكان الماء يقطر منها .

== وكان يقال لها عصفير النعمان حتمها في سيرها . وفي كلام حسان بن ثابت : فاحسدت أحدا حسدى
النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريشها من نوق عصفيره ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا
إذا حبا الملك بعضهم بنوق يغمزون في أسنمتها ريش النعام ؛ ليعلم أنها حبا الملك .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرم : المانع . (٣) ش : « قد يضره » .

قال المرتضى أدام الله علوه : ومما يشاكل قوله : « إلى الجنة » في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله : « أين المظهر يا أبا ليلى » - وإن كان يتضمن العكس من معناه - ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان ، مستغيباً من فعل الجحاف السامى ، وأنه أنشده :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المشتكى والموعول^(١)
/ فإن لم تغيّرها قرّيش بملكها يكن عن قرّيش مستمازاً ومزحل^(٢) [٨٨]
و

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بن اللّخناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلت غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تخلّص مليح على البديهة ، كما تخلّص الجعدى بقوله : « إلى الجنة » .

وأول قصيدة الجعدى الذى ذكرنا منها الأبيات :

١٠ خليلي غضا ساعةً وتهجراً^(٣) ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذرا
ولا تسألاً ، إن الحياة قصيرةٌ فطيراً لروعات الحوادثِ أو قرّاً
وإن كان أمرٌ لا تطيقان دفعه فلاً تجزعا مما قضى الله واصبراً
ألم تعلم أن السلامة نفعها قليلٌ إذا ما الشئ ولّى فأدبراً^(٤)
لوى الله علم الغيب عمّن سواهُ ويعلم منه ماضى وتأخراً

وفيها يقول :

١٥

وجاهدت حتى ما أحسّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثمّ تفوّراً
- يريد : إلى كنت بالشام ، وسهيل لا يكاد يرى هناك ، وهذا بيت معنى - وفيها يقول :
ونحن أناسٌ لا نعوذُ خيلنا إذا ما التقينا أن تحيدَ وتنفرا

(١) ديوانه : ١٠ والطبقات : ٤١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض الفرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السامى ، وانظر خبره وقصة يوم البشرى الأغانى ١١ : ٥٥ - ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز القوم إذا تنحى عصابة منهم ناحية ، وكذلك استماز ؛ ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمزحل : الموضع الذى يترحل إليه ؛ أى يتنحى ويتباعد . وانظر اللسان (ميز - زحل) .

(٣) التهجر : السير فى الهاجرة . (٤) حاشية ت : بعده :

يهيئُ اللحاء والملامة ثم ما يقرب منّا غير ما كان قدراً

وَنفَكِرُ^(١) يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خِيَانِنَا
مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسِبَ^(٢) الْجُونَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا
صِحَاحًا وَلَا مُسْتَنْكَرًا^(٣) أَنْ تُعَقِّرَا

وأخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال :
أنشدنا محمد بن سلام وغيره للناطقة الجمعدى :

٥ تَلُومُ عَلَى هُلَاكِ البَعِيرِ ظَعِينَتِي
وَكُنْتُ عَلَى لَوْمِ العَوَازِلِ زَارِيَا^(٤)
أَلَمْ تَعَلَّمِي أَنِّي رُزِيتُ مُجَارِبًا^(٥)
فَمَا لِكَ مِنْهُ اليَوْمِ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزِيتُ بِوَحْوَحٍ^(٦)
وَكَانَ ابْنَ أُمِّي وَالخَالِيلَ المُصَافِيَا
فَتَّى كَمَلْتُ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ
جَوَادٌ فَسَائِبِي مِنَ المَالِ بَاقِيَا^(٧)
فَتَّى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ
عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

١٠ - ويروى : « فتى كان فيه ما يسر » -

أَشْمُ طَوِيلٍ^(٨) السَّاعِدِينَ سَمِيدَعٍ
إِذَا لَمْ يَرُحْ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا
السميدع : السيد .

ومما يروى للناطقة الجمعدى :

١٥ عُقْيَايَةَ أَوْ مِنْ هِلَالِ بنِ عَامِرٍ
بِذِي الرَّمْثِ مِنْ وَادِي المَنَارِ خِيَامُهَا^(٩)
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا
أَضَاءُ دُجَى اللَّيْلِ البَهِيمِ ابْتِسَامُهَا

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتنسكر » ، بالبناء للمجهول . (٢) حاشية ت (من نسخة)
« وبحسب الجون » ، بالبناء للمجهول . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا مستنكرا »
بالعطف على المعنى . (٤) من أبيات يرثي فيها أخاه لأمه ، وقد ذكرت متفرقة في ديوان الحماسة ٣ : ١٩ ،
والخزانة ٢ : ١٢-١٣ ، وشرح شواهد المعنى : ٢٠٩ والأمالى ٢ : ٢ ، والآلى : ٦٣٧ .

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس ؛ كان من أشراف قومه . (٦) هو وحوح بن عبد الله ؛ قال
أبو عبيد البكري : « هو أخو الناطقة لأمه » .
(٧) رواية البيت في ت :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد فما بقي من المال باقيا

(٨) حاشية ت (من نسخة) : « طوال الساعدين » . (٩) ش : « وادى المياه » .

وذكر الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعديّ فقال:
صاحب خُلُقَان؛ يكون عنده مُطْرَفٌ بألف دينار، وخمار بوافٍ^(١).
قال الأصمعيّ: وصدق الفرزدق، بينا^(٢) النابغة في كلام أسهل من الزلال وأشد من
الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له:

سَمَا لَكَ هَمٌّ وَلَمْ تَطْرَبِ وَبَتَّ بَيْتٌ وَلَمْ تَنْصَبِ
وَقَالَتِ سُلَيْمَى أَرَى رَأْسَهُ كِنَاصِيَةِ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
وَذَلِكَ مِنْ وَقَعَاتِ الْمَنُونِ فَفَيْئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَتِي سَبْعَةً^(٣) وَعُدْنَ عَلَى رَبْعِي الْأَقْرَبِ

ثم يقول فيها بعدها:

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرَدَ الْجِنَا نِ جَدْلَانِ فِي مَدْخَلِ طَيْبِ

فلان كلامه؛ حتى لو كان أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً.

قال الأصمعيّ: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن
ثابت كان علاً في الجاهلية والإسلام، فلما أدخل شعره في باب الخير من مرثي النبي صلى الله
عليه وآله وحمزة وجعفر^(٥) عليهما السلام/ وغيرهما لان شعره^(٤)!

[٨٩]
و

(١) حاشية ت (من نسخة): « من كلامهم: مطرف بألف، وخمار بواف؛ أي بدرهم واف ».

(٢) حاشية ت: « بينا وبينما يتلقيان بالفعل؛ ولا يتلقيان بإذا؛ هذا هو الفصيح العالي، كقوله:

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ *

وكقوله:

بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوَى هُوِيًّا
خَطَرْتُ خَطْرَةَ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَنَّا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

(٣) ش: « إخوة سبعة »، بالجر والتنوين فيهما. (٤) ش: « فيها ». (٥) وانظر ترجمة

النابغة الجعدي وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٢٤٧-٢٥٥، والاستيعاب ٣٢٠-٣٢٥، وأسد
النابة ٥: ٢-٤، والإصابة ٦: ٢١٨-٢٢١، والمعمرين ٦٤-٦٦، والأغانى ٤: ١٢٧-١٣٩،
والخزانة ١: ٥٩-٥١٥، والمؤتلف والمختلف: ١٩١، ومعجم الشعراء: ٣٢١، واللائق: ٢٤٧).

مَجْلِسُ آخِرُ

مَسْأَلَةٌ

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائلٌ فقال : كيف يصحُّ ما أوردتموه ، من تطاولِ الأعمار وامتدادِها ، وقد علمتم أنَّ كثيراً من الناس ينكر ذلك ويُحيله ويقول : إنه لاقدرةَ عليه ، ولا سبيلَ إليه؛ وفيهم^(١) مَنْ ينزل في إنكاره درجة فيقول : إنه - وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان - فإنه مما يُقَطَّع على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإنَّ العادات^(٢) إذا وثِّقَ الدليلُ بأنَّها لا تنخرقُ إلَّا على سبيلِ الآيَةِ^(٣) والدِّلالةِ على صدقِ نبيِّ من الأنبياء عليهم السلامُ علمُ أن ما رُوي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يُلتفتُ إلى مثله .

الجواب، قيل له : أما مَنْ أبطلَ تطاولَ الأعمار من حيث الإحالة ، وأخرجهُ عن^(٥) باب الإمكان فقولُهُ ظاهرُ الفساد ، لأنه لو عَلِمَ ما العمرُ في الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام ، وانقطاعه إذا^(٦) انقطع لعَلِمَ من جواز امتداده ما علمناه . والعمر هو استمرار كونه مَنْ يجوز أن يكون حياً وغير حياً . وإن شئتَ أن تقول : هو استمرار كونه الحى الذى لكونه على هذه الصفة^(٧) ابتداءً حياً .

وإنما شرطنا الاستمرار ؛ لأنه يبعد أن يوصفَ مَنْ كان حالةً واحدةً حياً بأنَّ له عمراً ؛ بل لا بدَّ من أن يُراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قلَّ .

وشرطنا أن يكونَ مَنْ يجوز أن يكون غير حياً ، أو يكون لكونه حياً ابتداءً لثلاثاً^(٨) ١٥ يلزم عليه القديم^(٨) تعالى ؛ لأنه تعالى جاتَّ عظمتُهُ من لا يُوصَفُ بالعمر ؛ وإن استمر كونه

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأنَّ العادات » . (٣) ت ، وحاشية الأصل

(من نسخة) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ما روى » . (٥) م : « من باب الإمكان » .

(٦) ت : « متى انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨-٨) حاشية ت (من نسخة) :

« احترازاً من أن يلزم عليه القديم تعالى » .

حيًّا؛ وقد علمنا أن المختصَّ بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلاَّ تحت مقدوره؛ كالرطوبة ومايجري مجراها؛ فمتى فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية - وهي مما يجوز عليه البقاء - وكذلك ما تحتاج إليه فليست^(١) تنتفي إلا بضد يطراً عليها، أو بضدٍ ينفي ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضدَّ لها في الحقيقة^(٢)؛ وإنما ادعى قوم أنه ما يحتاج إليه، ولو كان للحياة ضدَّ على الحقيقة لم يُخجل^٥ بما تقصده / في هذا الباب .

[٨٩]
ط

فهما لم يفعل القديم تعالى ضدَّها، أو ضدَّ ما تحتاج إليه، ولا تقض ناقض بنية الحى استمرَّ كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فحالا، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمرُّ كون الحى حياً .

١٠

فأما ما يمرض من الهرم بامتداد الزمان وعُلو السن وتناقص بنية الإنسان، فليس مما لا بد منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكِن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحى حياً موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة، ١٥ متى انتهتا إليه^(٣) انقطعتا، واستحال أن تدوما^(٤). ولو أضافوا ذلك إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .

١٥

فأما الكلام في^(٥) دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها، فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدارٍ متقاربة يُعدُّ الزائد عليها خارقاً للعادة؛ إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً، ويجب أن يُراعى في العادة إضافتها إلى مَنْ هي ٢٠ عادة له في المكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينتفي » . (٢) ت : « وربما » .

(٣-٣) ت : « بطل واستحال أن تدوما » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « على ذلك » .

وليس يمتنع أن يقلَّ ما كانتِ العادةُ جاريةً به على تدريجٍ؛ حتى يصير حدوثُهُ خارقاً للعادةِ بغير خلافٍ ، ولا يكثر^(١) الخارق للعادةِ ، حتى يصيرَ حدوثُهُ غير خارق لها على خلاف فيه . وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكونَ العاداتُ في الزمانِ الغابرِ كانت جاريةً بتطاولِ الأعمارِ وامتدادِها ، ثم تناقصَ ذلك على تدريجٍ ، حتى صارت عادتنا الآن جاريةً بخلافه ، وصار ما بلغَ ٥ مبلغَ تلك الأعمارِ خارقاً للعادةِ ؛ وهذه جملةٌ فيما أردناه كافية .



(١) ش : « وأن يكثر » .

بَاب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يُسمِّيها قوم المسكتة

/ اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة إنما تُستحسن وتُؤثر إذا جمعت مع الصوابِ سرعةً [٩٠] و
الحضور؛ فكلم من جواب أنى بعد لأي، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع،
ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة، وآخذ
بأطراف الحجّة، ولهذا قيل: أحسنُ الناس جواباً وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإن
المولى تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية.

وقد مُدِح الجوابُ الحاضر بكل لسان، فقال صحّارُ العبدى لما وية بن أبي سفيان -
وقد سأله عن البلاغة - فقال: أن تُصيبَ فلا تخطئ، وتُسرعَ ولا تبطل، ثم اختصر ذلك
فقال: لا تخطئ ولا تبطل.

ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان لا يُحمد فيهما^(١) التسرع والتعجل،
كما لا يُحمد في أوان السرعة التثاقل والتأيد؛ وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة،
وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التي على الإنسان فيها مهلة،
وله في تأملها فسحة، ولا عيبَ عليه معها في إطالة التأمل، وإعادة التصفح؛ ولهذا قال الأحنف
ابن قيس بصفين: أغبوا الرأي، فإن ذلك يكشف لكم عن محضه.

وقال عبد الله بن وهب الراسبيّ لما أَرَادَهُ الخوارج على الكلام حين عقدهوا له: لا خيرَ
في الرأي الفطير، والكلام القضيبي.

وشوور ابن التوءم الرقائمي^(٢) فأمسك عن الجواب وقال: ما أحبّ الخبز إلا بائناً.

(١) حاشية ت (من نسخة): وفيه. (٢) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسي».

فأما قولهم : ثلاثٌ يُعْرَفَنَّ في الأحمق : سرعةُ الجواب ، وكثرةُ الالتفات ، والثقةُ بكل أحد ؛ فمحمولٌ على إسرعه بالجواب عند الرأي والمشاورة ، والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت ، أو على الإسراع من غير تحصيلٍ ولا ضبط ؛ وذلك مذمومٌ لا إشكال فيه . ثم نعود إلى ما قصدناه .

٥ روى أن بعضَ أزواجِ النبي صلى الله عليه وآله سألته : متى يعرف الإنسان ربه فقال : « إذا عَرَفَ نَفْسَهُ » . وقال له صلى الله عليه وآله رجلٌ : إني أكره الموت ، فقال : « ألك مال ؟ » ، قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإن قلب كل امرئ عند ماله » .

وقال يهودىٌّ لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه ، لا فيه ^(١) ؛ ولكنكم ماجتُم أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله ، سأل عن خبر السقيفة فقيل له : إن الأنصار قالت : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال عليه السلام : فهلا ذكرت الأنصار قولَ النبي صلى الله عليه وآله : « نَقَبِلُ من مُحْسِنِهِمْ ، وتجاوز عن مسيئِهِمْ » ! فكيف يكون الأمرُ فيهم والوصاة بهم !

١٥ وقال له عليه السلام ابنُ الكوّاء : يا أميرَ المؤمنين ، كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوةٌ مستجابة . وقيل له : ما طعمُ الماء ؟ فقال : طعمُ الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يومٍ للشمس . وأثنى عليه رجلٌ - وكان له مَهَمَّما - فقال : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجلٌ قال : اللهم إنك أعلمُ بي منه ، وأنا أعلمُ منه بنفسى ، فاغفر لي ما لا يعلم .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني عبدُ الواحد بن محمد الخصبى قال : حدثني

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .

أبو عليّ أحمد بن إسماعيل قال : حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : قدِم على الرشيد رجلاً من الأنصار ، يقال له نَفِيعٌ - وكان عَرِيضاً - قال : فحَضَرَ بابَ الرشيد ، ومعه عبدُ العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضَرَ موسى بن جعفر عليهما السلام على حمارٍ له ، فتلَقَّاه الحاجب بالبر^(١) والإكرام ، وأعظمه مَنْ كان هناك ، وَعَجَّلَ له الإذن ، فقال نَفِيعٌ لعبد العزيز : مَنْ هذا الشيخ ؟ قال : أو ما تعرفُه ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجَزَ مِنْ هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل^(٢) يَقْدَرُ أن يُزِيلَهُمْ^(٣) عن السَّيرِ ! أما لَنْ يخرجَ لَأَسْوَأَ نَه ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهلُ بيت قَلَّمَا تعرَّضَ لهم أحدٌ في خطابٍ إلَّا وَسَّوَهُ بالجواب^(٤) سَمَةً يَبْقَى عارُها^(٥) عليه مدى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نَفِيعُ الأنصاري ، فأخذ بِإِجَام

حمارِه ثم قال له : مَنْ أنت ؟ فقال له : يا هذا ، إن كنتَ تريدُ النَّسبَ فأنا ابنُ محمد حبيبِ الله ١٠ ابنِ إسماعيلَ ذبيحِ الله بنِ إبراهيم خليلِ الله ، وإن كنتَ تريدُ البلدَ ، فهو الذي فرَضَ اللهُ على المسلمينِ وعليك - إن كنتَ منهم - الحجُّ إليه ، وإن كنتَ تريدُ المفاخرةَ ، فوالله مارضِيَ مشرَكَو قومي^(٦) / مسلمِي قوميك أ كفاءَ لهم حتى قالوا : يا محمد ، أخرجْ إلينا [٩١] أ كفاءَنا من قريش^(٧) ؛ خَلَّ عن الحمار ، قال : نَحَلَّي عنه ويدهُ تُرَعَدُ ، وانصرفَ بخزْمِي ، فقال له عبد العزيز : أم أقل لك ! .

ويقال إن معاوية استشارَ الأحنفَ بن قيس في عَقْدِ البَيْعَةِ لابنه يزيد ، فقال له : أنت

أعلمُ بليله ونهاره .

وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخَرَمِيّ : مَدْحُكَ لمحمد بن منصور أجودُ من مرأثيك

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بالبشر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : يقدر أن

يزيلهم . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « وسما يبق عاره » . (٤) حاشية ط : « يعني

بقوله : « مشرَكَو قومي » شِيبَةَ وَعْتَبَةَ وعمرُو بن عبدود (٥) ورد بعد هذه العبارة في م ، ومن

نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « وإن كنتَ تريدُ الصَّيتَ والاسمَ فنحنُ الذين أمرَ اللهُ تعالى بالصلاةِ علينا في الصلواتِ

المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنَّا نعمل للرجاء ، واليوم للوفاء ، وبينهما بون .

ودخل مُطِيع بن إلياس على الهادي في حياة المهديّ فدَهِش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مه ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيّد الجواب حاضره - : أنا خيرٌ لك من أخيك ، فقال عقيل : إن أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنيك على دينك ؛ فأخى خيرٌ لنفسه منك ، وأنت خيرٌ لي منه . وقال له يوماً : إن فيكم لشبَعاً يا بني هاشم ، فقال : هو منّا في الرجال ، ومنكم في النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عقيل ، عمّه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية ، عمته حمالة الحطب . وعمّة معاوية أم جميل ^(١) بنت حرب بن أمية ، وكانت امرأة أبي لهب . وقال له يوماً : يا أبا يزيد ، أين ترى عمك أبا لهب ؟ فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجدّه مفترساً عمّتك ، فانظر أيّهما أسوأ حالاً ، الناكح أم المنكوح ! وقال له ليلة الهريز بصيفين : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة ، قال : ويوم بدرٍ كنت معكم .

وقيل لسعيد بن المسيّب - وقد كُفّ بصره - : ألا تتدخ ^(٢) عينك ؟ قال : حتى أفتحها على من !

١٥ ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له : كبرت يا معن ، قال : في طاعتك ، قال : وإنك لتتجدد ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك .

وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل : والله لأقتلنك قتيلاً يُتحدّث بها بعدك ، فقال مسلم : أشهد أنك لا تدعُ سوء القتيلة ولو لم القدرة لأحد أولى بهما منك .

وقال رجل لعمر بن العاص : لأتفرغن لك ، قال : إذا وقعت ^(٣) في الشغل .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أم جميل هي ابنة حرب ، أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألا تفتح عينك ؟ » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا وقع » .

وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق : إلى من أوصى بك أبوك؟
فقال : إن أبي أوصى إليّ ولم يُوصِ بي .

وقال عبید الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته / الوفاة : قد أوصيتُ بك فلاناً [٩١]
فألقه بعمدى ، فقال : يا أبة ، إذا لم يكن للحى إلا وصية الميت ، فالحي هو الميت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرِّقَاع العامليّ : أنشدني بعض قولك في الخمر ، فأنشدته :
كُميتُ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ ورْدَةٌ لها في عظامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ
فقال له : شربتها ورب الكعبة ! فقال ابن الرِّقَاع : لئن كان نعمتي لها بذلك رأيتُ ،
لقد رأيتُ معرفتك بها .

ولما أتى معاوية نعيّ الحسن بن عليّ عليهما السلام بعث إلى ابنِ عباس رضي الله عنه -
وهو لا يعلم الخبر - فقال له : هل عندك خبر من المدينة^(١)؟ قال : لا ، قال : أنا ناعى^(٢) نعيّ
الحسن - وأظهر سروراً - فقال ابنُ عباس : إذا لا يُنسأ^(٣) في أجلك ، ولا تُسدُّ حفرتك ،
قال : أحسبه قد ترك صبّية صغاراً ، قال : كلنا كان صغيراً وكبيراً ، قال : وأحسبه قد كان
بلغ سنّاً ، قال : مثل مولده لا يُجهل ، قال معاوية : وقال قائل إنك أصبحت سيّد قومك ،
قال : أما وأبو عبد الله الحسين بن عليّ حتى فلا ؛ فلما كان من غدٍ أتى يزيد بن معاوية
ابن عباس ، وهو في المسجد يعزّي^(٤) ، فجلس بين يديه جلسة العزّي ، وأظهر حزناً^(٥)
ونمّاً ، فلما انصرف أتبعه ابنُ عباس بصره وقال : إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش .

وروي أنّ وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتى منهم الكلام ، فقال عمر :
ليتكلم أ كبركم ، فقال الفتى : إن قريشاً لترى فيها من هو أسنّ منك ، فقال له :
تكلّم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ماجاءك من المدينة خبر ؟ » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتى ناعى الحسن » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« إذا لا ينسى أجلك » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام ؛ وروي أن ابن عباس

رضي الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه » . (٥) ت : « تحزنا » .

وروى محمد بن سلام الجُمحى قال: " أنشد^(١) كثير عبد الملك بن مروان شعراً :
 علي ابن أبي العاصي دِلاصَ حَصِينَةً أَجَادَ المُسَدِّي نَسَجَهَا فَأَذَاهَا^(٢)
 فقال له: هَلَا قَلت كما قال الأعشى :
 وَإِذَا تَكُونُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ شَبِيهًا يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِيهَاهَا^(٣)
 كُنْتَ المَقْدَمَ غَيْرَ لَابَسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِمًا أَبْطَاهَا^(٤)
 فقال له : إِنَّهُ وَصَفَهُ بِالخُرْقِ وَوَصَفْتِكَ بِالْحَزْمِ^(٥) .

ويُشبه ذلك ما رُوِيَ^(٦) عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرُّمَّة ، فقال له : أنشدني
 قصيدتك :

* مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ^(٧) *

(١) طبقات الشعراء ٤٥٨-٤٥٩ ؛ ورواه المرزباني في الموشح: ١٤٥ ؛ مع اختلاف في الرواية .
 (٢) ابن أبي العاصي هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، ودلاس : وصف
 للدرع اللينة . والحصينة : المحكمة المتدانية الخلق ؛ يكون صاحبها في حصن مما يصيبه . وسدى الدرع :
 نسجها . ويقال أذال الدرع ؛ إذا أطال ذيلها وأطرافها .
 (٣) ديوانه : ٢٧ . السكتبية : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة معلومة : مجتمعة مضموم بعضها
 إلى بعض . وشهباء : بيضاء صافية الحديد . والذائد : الذي يحمي الحرم ويزود عنها ، والنهال : العطاش .
 (٤) المقدم : شديد الإقدام على العدو . والجنة هنا : الدرع تستر لابسها . والمعلم : من يعلم مكانه
 في الحرب بعلامة أعلم بها نفسه . (٥) رواية المرزباني : « فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وصف الأعشى صاحبه
 بالظيش والخرق والتفجير ؛ ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاء » ؛ وقدفاضل المرزباني بين هذين الشعرين
 فقال : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ؛ لأن المبالغة أحسن عندهم
 من الاقتصار على الأمر الأوسط ؛ والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة ؛
 على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ؛ ففي وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة
 صاحبه » . (٦) الخبر في الموشح ١٧٤-١٧٥ ، والشعر والشعراء ٥١٧-٥١٨ ، والأغانى ١٦: ١١٨ ؛
 واللائي : ٨٩٨ ؛ مع اختلاف في الرواية والشعر . (٧) بقيته :

* كَأَنَّهُ مِنْ كَلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ *

والكلى : جمع كلية ؛ وهى رقعة تكون في أصل عروة المزادة . ومفريية : مقطوعة . وسرب
 سائل ؛ والقصيدة في ديوانه ١ - ٣٥ .

[٩٢]

فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :
تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرَزِهَا تَثِبُ

فقال له أبو عمرو بن العلاء : قول الراعي أحسن مما قلت

تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرَزِهَا كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
وَلَا تُعْجِلُ الْمَرْءَ عِنْدَ الْوُرُو كِ وَهِيَ بِرِ كَيْتِهِ أَبْصَرُ (١)

فقال ذو الرُّمَّةِ : إنَّ الراعيَ وَصَفَ نَاقَةَ مَلِكٍ ، وَأَنَا وَصَفْتُ نَاقَةَ سَوَاقَةٍ .

وحكى الصُّولِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ أَعْرَابِيًّا يُنْشِدُ بَيْتَهُ الَّذِي حَكَمِيئُهُ ، فَقَالَ : سَقَطَ وَاللَّهِ الرَّجُلُ .

فأما الغرَزُ فهو للناقة مثل الرَّكَبِ للدابة ، وهو نِسْعٌ مَضْفُورٌ . وقوله : « تُصْنِي » يريد تُمِيلُ رَأْسَهَا ، كَأَنَّهَا تَسْمَعُ ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَضْفُورَةٍ ، بَلْ مُؤَدَّبَةٌ مَقْوَمَةٌ . والكور: الرجل.

وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الإحسان ، فقال يصف الناقة في مدحه

الخصيب بن عبد الحميد :

فكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُّ

فإن يرضَ بأنَّ وَصَفَهَا بِالْإِصْغَاءِ حَتَّى وَصَفَهَا بِالْوَقْرِ ، وَهُوَ الثَّقَلُ فِي الْأُذُنِ ، لِأَنَّ الثَّقِيلَ

السمع يكون إصغاءه وميله إلى جهة الحديث أشدَّ وأكدر (٢) .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وإني لأستحسن القصيدة التي من جُمَلَتِهَا الْبَيْتُ ١٥

الذي أوردناه لأبي نواس ؛ لأنها دون العشرين بيتاً ، وقد نسب في أولها ، ثم وَصَفَ النَّاقَةَ بِأَحْسَنِ وَصْفٍ ، ثُمَّ مَدَحَ الرَّجُلَ الَّذِي قَصَدَ مَدْحَهُ وَاقْتَضَاهُ حَاجَتَهُ ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِطَبِيعٍ يَتَدَفَّقُ ،

وَرَوْنَقٍ يَتَرَقَّقُ ، وَسَهْوَةٍ مَعَ جِزَالَةٍ ؛ وَالْقَصِيدَةُ (٣) :

(١) البيتان في الآتي : ٨٩٨ . الوروك : أن يثنى الرجل لإحدى وركيه لينزل من فوق السرج ، والبيت

الثاني في اللسان (ورك) ، وفق ت : « الركوب » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « النزول » .

(٢) من نسخة بحاشية ت : « وأوكد » . (٣) ديوانه : ١٠١ .

يَا مِنَّةً أَمْتَبَهَا السُّكْرُ مَا يَنْقَضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ
 أَعْطَتِكَ فَوْقَ مُنَاكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامَهَا وَعُرُ
 يَثْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفَهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٍ عَيْنِهِ السَّجْرُ
 ظَلَّتْ مُحِيًّا الْكَأْسِ تَبْسُطُنَا (١) حَتَّى تَهْتَكَ بَيْنَنَا السُّتْرُ
 / فِي مَجْلِسِ ضِحْكَ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

[٩٢]
 ط

أما قوله : « حَلَّتِ الْخَمْرُ » فيحتمل أن يُريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور (٢) المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر ، ومُدْجِئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ؛ على مذهب الشعراء في المبالغة ؛ وتكون فائدة وصفها بأنها « حَلَّتِ » المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب . ويحتمل أن يكون عقده على نفسه ، وآلى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه ، وكان الاجتماع معه مُخْرِجاً له عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم ، إلى أن يأخذوا بشأهم ؛ ويجرى ذلك مجرى قول الشنفرى :
 حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبَلَاءِي مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ (٣)

ويحتمل أن يريد « بَحَلَّتْ » نزلت وأقامت ؛ من الحلول الذي هو المقام ؛ لا من الحلال ؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر ؛ التي فيها جميع اللذات ؛ وهذا الوجه وإن لم يُشِرْ إليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت ؛ فالقول يحتمله ، ولا مانع من أن يكون مراداً . وقد قيل إنه أراد استحلالنا الخمر لسكرنا ، وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام ؛ والوجه المتقدمه أشبه وأقرب إلى الصواب

(١) د : « تنشطنا » . (٢) د ، ف : « وحصول » . (٣) من قصيدة مضمها :

إِنَّ بِالشُّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقْتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

وفي نسبتها خلاف كبير ؛ نسبها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٣١٣-٣١٩ إلى تأبطشرا ، وقال التبريزي : « إنها لخلف الأحمر ؛ وقيل إنها لابن أخت تأبطشرا » ؛ ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى خلف ؛ وقال : « إنه لخلف ابن أخت تأبطشرا ؛ وكان يقول الشعر وينحله المتقدمين » ، ومن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغاني (٥ : ١٦٢) .

ولقد تجوبُ بي الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العُفْرُ
 أراد «بصام» ، وقف ، وذلك وصف له بالامتداد والطول . والعُفْرُ : الظباء اللواتي (١)
 في ألوانهنَّ حمرةٌ يخالطها كُدْرَةٌ (٢) . و «قالت» من القائلة ، وهي وقتُ نصفِ النهارِ ؛
 لا من القول .

٥ شَدَنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَأَتَتْ مِرَاءَ الجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصَرُ
 شَدَنِيَّةٌ: منسوبة إلى شَدَن ، وهو موضع باليمن ؛ يقال لِمَا كِه: ذو شَدَن .

تَثْنَى عَلَى الحَاذِينَ ذَا حُصَلٍ تَعْمَلُهُ الشَّدَرَانُ وَالخَطْرُ
 الحَاذُ: مؤخَّر الفخذ . والشَّدَرَانُ: رفع الناقة ذَنبها من المَرَح (٣) . وَالخَطْرَانُ، معروف
 من خَطَرَ يَخْطِرُ / . وتَعْمَلُهُ ، أى عمله .
 [٩٣]
 و

١٠ أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةٌ فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ
 يعنى بشامدة ، أى مبالغة في رفع ذَنبها . ويقال ، رَنَقَ الطائرُ ؛ إِذَا نَشَرَ جَنَاحَهُ (٤)
 طائرًا من غير تحريك .

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةٌ فَتَقُولُ أَرْخِيَ خَلْفَهَا سِتْرُ
 وَتَسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهَا مِتْرَ سَمًا يَقْتَادُهُ أَثْرُ (٥)

معنى «تسِف» ، أى تُدْنِي رأسها من الأرض . والمِتْرَسَمُ: الذى يتتبع الرَسْمَ ويتأمله ؛ ١٥
 ومعنى «يقتاده أثر» ، أى هو معنى يُبْطَلِب الأثرَ وموَكَّلٌ بَتَبْعِهِ . ويقال: أَثْرُهُ وَأَثْرُهُ وَإِثْرُهُ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « التي » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « كدورة » .
 (٣) في حواشى الأصل ، ت ، ف : « في كتاب ابن فارس : تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من
 النشاط » . (٤) ت ، ش ، ف : « جناحيه » . (٥) في حاشيتى الأصل ، ت : « الأثر
 [بضم الهمزة والثاء] ، والأثر [بفتح الهمزة والثاء] سواء ؛ قال امرؤ القيس :

وإن أدبرت قلت أنفيةً مملمةً ليس فيها أثرُ

ثلاث لغات ؛ وقد وهم الصُّوليّ في تفسير هذا البيت ؛ لأنّه قال : إن أبا نُوَاس جمع الأثرِ
آثارًا ، ثم جمع الآثارِ أثرًا ، ثم خَفَّفَ فقال : « أثر » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع
ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال في الأثر: أثر .

فإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرٌّ^(١)
فَكَأَنَّهَا مُصْغٍ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُّ
تَبْرِيٍّ لِأَنْقَاضٍ أَضْرَّ بِهَا جَذْبُ الْبُرَى فَيُخَذُّوْذَهَا صُعْرُ

معنى تَبْرِيٍّ ، تَبْرِيٍّ ، أى تعرض لهذه الأناقض ، والأناقض : جمع نقض ؛ وهو البعير
الذى قد هزله السفرُ والكدُّ . والْبُرَى : جمع بُرّة ؛ وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير
يُذَلَّلُ بِهَا .

يَرْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ^(٢) بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِعْرُ فَتَدَقَّتَا فَسَكَدَا كَمَا بَجْرُ
لَا تَقْعُدَانِي عَنْ مَدَى أَمَلِي شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عَذْرُ
وَيَحِقُّ لِي إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي قَقْرُ^(٣)

مَجْلِسُ آخِرٍ

قال سيدنا أدام الله علوه: ثم نعود إلى ما كننا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَنِ الجوابات.
رُوي أن رجلاً نظر إلى كُثَيِّرِ الشاعر راكبا / وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي ، [٩٣]
فقيل له : أتركبُ وأبو جعفر يمشي ! فقال : هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب
أفضلُ مني في عصياني إياه بالمشي (١) .

وَرُوي أن دعاةَ خُرَاسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه (٢) السلام فقالوا له : أردنا
ولد محمد بن عليّ (٣) ، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً
كنت صاحبنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله : أردت الخروج علينا ، فقال : نحن ندلُّ
عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم !

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب : هل لك في الشراب؟ فقال له نصيب : الشعر مفلقلٌ ،

واللون مرمّد (٤) ، وإنما قرَّبني إليك عقلي ، فهبه لي . ١٠

وقال مروان الملقَّب بالحِمَارِ لحاجبه - وقد ولى منهزماً - : كَرَّ عليهم بالسيف ، فقال :

لا طاقةَ لي بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءَ نَك ، فقال : وِدِدت أنك تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشرِّيك : علمنا مما علمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شريك : إذا

علمتم بما تعلمون ، علمناكم ما تجهلون .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « في المشي » . (٢) ت : « أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام » . (٣) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذي

ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك في حياة أبيه ؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨) .

(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مريد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجد في حقّ ، ولا أذوب في باطل (١).

وقيل لأبي دؤاد الإيادي - ونظر إلى بنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتها بكرامتي ، كما أكرمتها بهواني ؛ ومثل ذلك قول أعرابيٍ ليحقه ذلك على باب السلطان :
أهين لهم نفسي لأكرّمها بهم ولن تُكريم النفس التي لا تُهينها

ودخل عُمارة بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فقام رجلٌ إلى المنصور فقال : مظلوم يأمر المؤمنين ، فقال : من ظلمك ؟ فقال : عُمارة غصبني ضيعتي ، فقال المنصور : قم يا عُمارة ، فاقدم مع خصمك ، فقال عُمارة : ما هو لي بخصم ؟ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنارعه فيها ؛ وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقدم في أدنى منه بسبب ضيعة .

وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة : سألني حاجتك ، فقال : لا أسأل في بيت الله غير الله .

[١٤] وهرَب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقيل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛
[الأحزاب : ١٦] ، فقال : ذلك القليل نطلب .

وقيل إنَّ الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماءً ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال لأصحابه : أنا خلقت ذلك ، لأنني كنتُ سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقه فليقل : كم هو ؟ وكم الذُّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ وليأمر الذي يسمي إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

(١) حاشية ف : « في كتاب آخر : « ولا أتدقق في باطل »

وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخافُ عليك أقواماً يمادونك، فلا تركب إليَّ إلّا في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني من^(١) نفسك لم يضرّني إنسان.

وقيل لأبي ثور: ما تقولُ في حمّاد بن زيد بن درهم، وحمّاد بن سلّمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبيهما في الصرف.

وأراد المأمون تقبيلَ السّواد^(٢)، وجلس يناظر العمّال على ذلك، فقام إليه رجلٌ من الدّهّاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل ولّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فأضرب عن ذلك.

وقال رجل لابن عباس: زوجني من فلانة^(٣) - وكانت يتيمة في حجره - فقال: لا أرضاها لك، لأنها تتشرّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

١٠

^(٤) ويشبه هذا الخبر من وجه ما رواه^(٤) المدائني قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المرسي^(٥) وبين القاسم بن ربيعة الحَوْشِي^(٦) من بني عبد الله بن غطفان، فيولّي القضاء أقدمهما^(٧)، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيها الرجل، سل عنّي وعن القاسم فقيهي المِصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتي ت، ف: « فإن أمنتني نفسك »

(٢) السواد؛ يراد به رستان العراق وضياعتها مما افتتجه المسلمون؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار والتقبيل؛ من القبالة؛ وهي الكفالة، قال في اللسان: « يقال قبلت العامل تقبيلاً؛ والاسم القبالة؛ وفي حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات؛ فإنها صفار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس »

(٣) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): « زوجني فلانة ». (٤-٤) من نسخة بحاشيتي الأصل،

ت: « ويشبه هذا الخبر من وجه بخبر رواه ». (٥) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « المزني » وفي حاشية الأصل أيضاً: « وهم، هو إياس بن معاوية بن قرّة المزني ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « الجَوْشِي ». (٧) حاشية ت (من نسخة):

بتوليته فوله ؛ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشامي : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضل مني وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنتُ عندك ممن يصدق إنه كينبغي أن تقبل مني ، وإن كنت كاذباً فما محلُّ لك أن توليني وأنا كاذب ؛ فقال إياس للشامي : إنك جئتَ برجلٍ ٥ فأقمتَه على شفير جهنم ، فافتدى نفسه من النار^(١) أن تقدفه فيها بيمين حلفها كذب فيها ، يستغفر [٩٤] الله منها ، وينجو مما يخاف / . فقال الشامي : أما إذ فطنتَ لهذا ، فإني أولئك ، فاستقضاه . ط

ولما أمضى معاوية بيعة يزيد جعل الناس يقرطونه ، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدع الناس أم يخذعوننا ؟ فقال معاوية : يا بني ، من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته .
وسُمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه - وقد سمع صوت قصار - يقول :
١٠ ليتني كنتُ غسلاً أعيش بما أ كسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جمعهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا تتمنى في الحياة ما هم فيه .

وقال الواثق للجاحظ : يامناني^(٢) ، فقال : لو كان الذي أضقتني إليه عبدك ما قدرتُ على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه^(٣) ! .

وقال ابن عباس رضي الله عنه للخوارج - وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم :
١٥ نشدتكم الله ، أيما أعلم بالتنزيل والتأويل : على أم أتمم ؟ قالوا : على ، قال : أليس تدرُونَ ، لعل الذي حكّم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون ! فرجع أكثرهم .

(١) حاشية ف : « بدل اشتمال من « نفسه » ، أي افتدى قذف نفسه » .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « يامناني » ؛ وما نى : منسوب إلى ماني ؛ وهو ماني ابن فاتك الحكيم ؛ وأتباعه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديمين : نور وظلمة ؛ وهما أزليان ، (وانظر تفصيل مذهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣-١٤٦) .

(٣) ت : « على ذلك » .

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس : ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثني لاعترضت مدارج^(١) أنفاسه ، أظير إذا أسف وأسف^(٢) إذا طار ، ولعمدته له عقدا لا تمتقض مريرته ، ولا يدرك طرفاه ؛ ولكنه سبق قدر ، ومضى أجل ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثير : امتدحت عبد الملك بن مروان ؟ ه فقال : لم أقل له يا إمام الهدى ، إنما قلت : يا شجاع ، والشجاع حيّة ، ويا أسد ، والأسد كلب ، ويا غيث ، والغيث موات ! فتبسم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طاحنة : ما رأيت الأم من أصحابك ، إذا أيسرت لزيموك ، وإذا أعسرت تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف منا عنهم .

١٠

وقيل لإبراهيم النخعي : متى كنت ؟ قال : حيث احتيج إلى .

ورؤي رجل يصلي صلاة خفيفة ، فقيل له : ما هذه الصلاة ؟ فقال : صلاة ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : تزعم الرواة أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند^(٣) أفضى إلى أثاث لم ير مثله ، وآلات لم يُسمع بمثلمها ، فأراد أن يرى الناس عظيم ما فتح ، ويعرفهم أقدار^(٤) القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدار ففرشت ، وفي صحنها قدور يرتقى إليها بسلايم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث^(٥) بن وعلة الرقشي قد أقبل ، والناس جلوس على مراتبهم ، والحصين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة : أئاذن لي في معاتبته؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهي ممر النفس .

(٢) يقال : أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض في طيرانه . (٣) سمرقند : من أكبر مدن ماوراء

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ؛ ف : مقدار . (٥) ت : المنذر بن الحباب .

(٥) ت : المنذر بن الحباب .

ولقى شريك^(١) النُمَيْرِيَّ رجلاً من بني تميم ، فقال له التَّمِيمِيّ : يَمِجِبْنِي مِنَ الْجَوَارِحِ الْبَازِي ، فقال له شريك : وَخَاصَّةً إِذَا صَادَ الْقَطَا ؛ أَرَادَ التَّمِيمِيّ بِقَوْلِ الْبَازِي قَوْلَ جَرِيرِ :

أَنَا الْبَازِي الْمَطْلُ عَلَى نُمَيْرٍ أُتِيحَ مِنَ السَّمَاءِ لَهَا أَنْصَابًا^(٢)

وأراد شريك بقوله : « إِذَا صَادَ الْقَطَا » قَوْلَ الطَّرِمَاحِ :

تَمِيمٌ بِطُرُقِ الْهُومِ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ الْمَسْكَارِمِ ضَلَّتْ^(٣)

وساير^(٤) شريك النُمَيْرِيَّ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ عَلَى بَغْلَةٍ ، فَجَاوَزَتْ بِغَلَّتَهُ بَرْدُونَ عُمَرَ ،

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : اغْضُضْ مِنْ لِحَامِهَا ، فَقَالَ شَرِيكَ : إِنَّهَا مَكْتُوبَةٌ ، فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ ،

قَالَ شَرِيكَ وَلَا أَنَا أَرَدْتُهُ ؛ ظَنَّ شَرِيكَ أَنَّ عُمَرَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : « اغْضُضْ مِنْ لِحَامِهَا » قَوْلَ

جَرِيرِ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَنَعْتَ وَلَا كِلَابًا^(٥)

وعنى شريك بقوله : « مَكْتُوبَةٌ » قَوْلَهُ^(٦) :

لَا تَأْمَنَنَّ فَزَارِيًّا خَاوَتْ بِهِ عَلَى قَلْوَصِكَ وَاكَتُبَهَا^(٧) بِأَسْيَارِ

يعنى : بـ « اكَتُبَهَا » شُدَّهَا .

وأَنشَدَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيَّ أَحْمَدَ بْنَ الْمُعْتَصِمِ قَصِيدَتَهُ^(٨) السَّيْنِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا ، فَلَمَّا بَلَغَ

إِلَى قَوْلِهِ :

١٥

(١) الخبر في اللآلي ٨٦٢-٨٦٣ ؛ مع اختلاف في الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته :

« الدل على نمير » . (٣) ديوانه : ١٣٢ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « طرق المسكارم » .

(٤) الخبر في الفاضل والفاضل : ٥٠ ، واللاكي : ٨٦١-٨٦٢ ، والاقتضاب : ٥٠ ، وكنائيات

المرجاني : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن دارة ، من قصيدة هجاها زميل

ابن أبي الفزاري ، وأبيات منها في الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكتبها : اشدها » .

(٧) القصيدة في ديوانه ١٧٣-١٧٥ ، ومطلعها :

مافي وقوفك ساعةً من باسٍ تقضى ذمام الأربُوعِ الأدراسِ

في حلمٍ أحنفَ في شجاعةِ عامرٍ في جودِ حاتمٍ في ذكاءِ إياسٍ^(١)

فقال له الكنديّ - وكان حاضراً - : ما صنعتَ شيئاً ، قال : وكيف ؟ قال : لأنَّ شعراءَ دهرنا قد تجاوزوا بالمدوح مَنْ كان قبله ، ألا ترى إلى قول أبي العكوك^(٢) في أبي ذلف :

رَجُلٌ أْبْرَّ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ بِأَسَا وَغَبْرَ فِي مُحْيَا حَاتِمٍ
فَأَطْرَقَ الطَّائِي ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَنْشَدَ :

لَا تُنْكَرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنْ الْمَشْكَاتِ وَالنَّبْرَاسِ

وقال ابن هبيرة لأبي ذلامه - وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسوذة^(٣) : لا تأخذنَّ لك منهم عبداً صالحاً يخدمك ، فلما علتْ كلمتهم ، وفشتْ دعوتهم قال أبو ذلامه : ليت الله [٩٦] قيض لي / منهم مولى صالحاً أخدمه .
و

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي : إنَّ خصالك كاملة سوى حقدٍ فيك ، فقال : أنا خزانة تحفظ الخيرَ والشر . وقد نظر ابن الرومي إلى هذا المعنى في قوله :

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَهُمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِبْنَ إِلَى بَعْضِ^(٤)
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى زِيِّ إِسَاءَةٍ فَمَنْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرِضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنْ الْبَدْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ ١٥

وقال الحجاج للخَطِيئِطِ الخارجيِّ : ما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ قال : ما أقول في رجل أنت خطيئةٌ من خطاياها ! قال : فهل هممتَ بي قطًّا ! قال : نعم ، ولكن حال بيننا

(١) رواية الديوان :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاءِ إِيَّاسِ

(٢) كذا في الأصول ؛ وفي الأغانى ونسكت الهميان وابن خلكان : « العكوك » ؛ وفي حاشيتي

الأصل ، ت : « العكوك في الأصل : الفصير السمين مع صلابة » ، وهو على بن جبلة الضرير ، توفي سنة ٢١٣ . (٣) حاشية الأصل : « المسوذة ؛ يعني بني العباس أصحاب الرايات السود » .

(٤) ديوانه : الورقة ١٥٤

بَيْنُ وَقَدَرٍ ، وَقَدْ أَعْطَيْتُ اللَّهَ عَهْدًا إِنْ سَأَلْتَنِي لِأُصَدِّقَكَ ، وَلَئِنْ خُلِّيتَ عَنِّي لِأَطْلُبَنَّكَ ،
وَلَئِنْ عَذَّبْتَنِي لِأُصْبِرَنَّ لَكَ؛ فَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ .

وأما « البين » فهي الأرض الواسعة ، قال ابن مقبل (١) :

بَسْرُو حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهِ أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَنَا ذَلِكَ الْبَيْنَا (٢)

وقيل لأبي المتاهية لما قال :

عُتِبَ (٣) مَا لِلْخِيَالِ خَبَّرْتَنِي وَمَالِي

خرجت من العروض ، فقال : أنا أكبر من العروض (٤) .

وقال عبد الملك بن مروان للهميم بن الأسود : ما مالك ؟ قال : قوامٌ من العيش ، وغنيٌّ
من الناس . فقيل له : لمَ لمَ تُخْبِرْ به ؟ فقال : إن كان كثيراً حسدني ، وإن كان قليلاً
ازدراني .

واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه ، فطلع الرجل على هيئة ذلك ، فقال له رجل من أصحابه :
قُلْ له ما قتلته حتى لا يكون غيبة ؛ فقال له : قل له أنت حتى لا تكون نميمة .

وقال معاوية لعمر بن العاص : هل غششتني منذ نصحتني ؟ قال : لا ، قال : بلى يوم
أشرت على بمبارزة علي ، وأنت تعلم من هو ! فقال عمرو : دعاك رجلٌ عظيم الخطر إلى المبارزة ،
فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين ؛ إِمَّا إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَتَلْتِ الْأَقْرَانَ ، وازددت ١٥
شرفاً إلى شرفك ، وخلصت بملسك ، وإِمَّا إِنْ قَتَلْتَكَ فَتَمَجَّلَ مِرَافِقَةُ الشَّهَدَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ

(١) من قصيدة في جهرة الأشعار : ٣٣١-٣٣٥ ، مطلعها :

طَافَ الْخِيَالُ بِنَا رُكْبًا يَمَانِينَا وَدُونَ لَيْلِي عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا

(٢) سرو حمير ؛ من منازلهم باليمن . وأبوال البغال يريدون به السراب ؛ قال الأصمعي : يقال لنطف
البغال أبوال البغال ؛ ومنه قيل للسراب أبوال البغال على التشبيه ؛ وإنما شبه بأبوال البغال ؛ لأن بول البغال
كاذب لا يلقح ، والسراب كذلك . وتسدت ؛ يخاطب الطيف ، ويجوز أن يقرأ : « تسديت » بكسر التاء
يخاطب الحبية (وانظر المقاييس ١ : ١ ، ٣ ، واللسان - بين) . (٣) على الترخيم .

(٤) حاشية ت : « يريد أن عمل الشعر قبل عمل الخليل للعروض » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لهذه أشد على من الأولى ، فقال عمرو : أفكنت من جهادك
[٩٦] في شك فتكون منه الساعة ! / قال : دغى منك الآن .
ظ

وقيل للأحنف بن قيس - وقد رأى مُسَيْلِمَةَ الكذاب : كيف هو ؟ فقال : ماهو بنى
صادق ، ولا يمتنبي حاذق .

٥ وروى المبرّد قال : قال زياد لأبي الأسود الدؤليّ : لولا أنك قد كبرت لاستمعنا بك
في بعض أمورنا ، قال : إن كنت تريدني للصرّاع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي
ورأيي فهما أوفر ما كانا .

وكان أبو الأسود حاضرَ الجواب جيّد الكلام مليح النادرة . وروى عن الشعبيّ أنّه
قال : قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعفّ أطرافه ، وأحضر جوابه ! دخل على معاوية بالثخيلة ،
١٠ فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فماذا كنت صانعا ؟ قال :
كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشر
من حضر ؛ أرجل من المهاجرين أحقّ أم رجل من الطلقاء ؟ فلعنه معاوية ، وقال : الحمد
لله الذي كفاناك .

وقد روى أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة ، وقال لأمير المؤمنين عليه
١٥ السلام في وقت الحكمين : يا أمير المؤمنين ، لا ترض بأبي موسى ، فإنني قد عجمت الرجل
وبلوته ، فحلبت أسطره ؛ فوجدته قريب القعر ، مع أنه يمان ، وما أدري ما يبلغ نصحه !
فابتنى فإنه لا يحلّ عقدة إلاّ عقدت له أشدّ منها ، وإنهم قد رموك بحجر الأرض ، فإن
قيل : إنه لا صحبة لي ، فاجماني ثانی اثنين ، فليس صاحبهم إلاّ من تقرّب ، وكان في الخلاف
عليهم كالنجم ؛ فأبى عليه السلام .

٢٠ وروى محمد بن يزيد النحويّ أن أبا الأسود كان ^(١) نازلاً في بني قشير ؛ وكانوا يخالفونه
في المذهب لأن أبا الأسود كان ^(١) شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكوا ذلك .

فشكامةً ، فقالوا : ما نحن نرميك ؛ ولكن الله يرميك ، فقال : كذبتُم ، لو كان الله يرميني ما أخطأني .

وقال لهم يوماً : يابني ^(١) قشِيرٌ ، ما في العرب أحدٌ أحبُّ إلىَّ طولَ بقاءِ منكم ، قالوا : ولمَ ذاك ؟ قال : لأنكم إذا ركبتُم أمراً علمت أنه غيٌّ فأجتنبه ، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعته فنازعه الكلام ، فأنشأ يقول :

يُقُولُ الأَرْدَازُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لا تَنْسَى عَلِيًّا
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْرَةَ وَالْوَصِيًّا
/ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجَى إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيًّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أَصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

[٩٧]
و

فقالوا له : أشككت يا أبا الأسود ، فقال : أم تسمعوا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، أفترون الله شكاً !
أما قوله : « هَوِيًّا » فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك في كل مقصور ^(٢) ؛ مثل الهوى والعصا والتقى والتقا . قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْتَقُوا لِسَبِيلِهِمْ فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ ^(٣)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلًا يا أبا الأسود ؛ فلو عَظَّتْ تَمِيمَةٌ تَدْفَعُ العَيْنَ عَنكَ ! فقال أبو الأسود :

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَبِهِجَّتَهُ ^(٤) كَرُّ الجَدِيدِينَ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يَتْرُكْ كَالِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَعَةَ الحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد في الأغاني ١١: ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦-٧ ، وأخبار النجوين للسرياني ١٤-٢١٥ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧ ، يزيد وينقص في بعض الروايات ، ويختلف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء التكلم ؛ فيقولون : هوى ؛ أي هوى ، وعصى ؛ أي عصا ؛ وهكذا . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢ ، والرواية فيه : « لهوام » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فارقت بهجته » .

وروى أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل : هلمّ أقاربك في هذا الثوب ؛ فقال : إن لم تقاربني باعدتك ، ثم قال له : بكم هو ؟ قال : قد أعطيت به كذا كذا ، قال : إنما تحبّرتني عما فاتك .

وروى أنه كان ماشياً في طريق ، فقال له راكب : الطريق الطريق ، فقال له : عن الطريق
٥ تَعَدُّ لَنِي !

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشدُّ له !

وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبني على ولدي ، وقد كان بطني له وعاء ، وثدي له سقاء ، وحجّري له فناء ، فقال أبو الأسود :
١٠ (١) أبهذاتريدن أن تغلبيني على ابني (١) ! فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه ، فقالت : ولاسواء ، إنك حملته خفّاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعتَه شهوة ، ووضعتَه كرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فاذفع ابنها إليها ، فأخلق أن تحسن أدبه .

وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريفٌ لفظ ، وظرفٌ (٢) علم ، ووعاءٌ حلم ، غير أنك بخيل ؛ فقال : وما خيرُ ظرفٍ لا يمسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابيُّ يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أتأذن في الدخول ؟
[٩٧] قال : / وراءك أوسعُ لك ! قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي
ظ أحقُّ منك ، قال : ما رأيت ألامَ منك ، قال : نسيتَ نفسك .

وسأله رجل شيئاً فمنعه قال : ما أصبحت حاتماً (٣) قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول :

أماويّ إمّا مانعٌ فُسبين وإمّا عطاءٌ لا يُبهنّبه الزجر (٤)

(١-١) ت : « إنها لتريد أن تغلبني على ابني » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ظريف »
بالبناء للجهول . (٣) ت : « حاتمنا » . (٤) ديوانه : ١١٨

مَجْلِسُ آخِرٍ

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال: أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال: لما ولي سليمان بن عبد الملك أبا يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج في جامعة - وكان رجلاً دميماً تقصمته^(١) العين - فلما رآه سليمان قال: لعن الله من أجرَكَ رَسَنَكَ، وولّي مثلك! فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتني والأمرُ عنى مدير، ولو رأيتني وهو على مُقبل لاستمظمت ما استصغرت، ولا استجذلت ما استحققت، فقال له سليمان: أين تُرى الحجاج؟^٥ أي هو في النار، أم قد استقر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل كذا، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء، ووطأ لكم المنابر، وزرع لكم الحمية في قلوب الناس، وبعداً، فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك، وشمال أخيك الوليد، فضعه حيث شئت.

وروي أن خالد بن صفوان فخر رجلاً من بني عبد الدار، الذين يسكنون البليمة، فقال له العبدري: من أنت؟ فقال: أنا خالد بن صفوان بن الأهم، فقال له العبدري: أنت خالد ١٠ ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾؛ [محمد: ١٥]، وأنت ابن صفوان، وقال الله عز وجل ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾؛ [البقرة: ٢٦٤]، وأنت ابن الأهم، والصحيح خير من الأهم. فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار، أتتكم وقد هسّمتك هاشم، وأمتك بنو أمية، وخزمتك بنو مخزوم، وجمحتك^(٢) بنو مجح، فأنت عبد دارهم؛ تفتح إذا دخلوا، وتغلق إذا خرجوا؛ فقام العبدري محموراً.

١٥

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شريح فقال له الأشعث: أتعلمني بك يا بن أم شريح! لقد

(١) حاشية (من نسخة): «تدرية». (٢) حواشي الأصل، ت، ف: «يجوز أن يكون

أصله: «جمت بك»؛ حذف حرف الجر، وأوصل الفعل؛ ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق، ويجوز أن يكون من جامعته فجمته.»

عهدتك وإن شأنك لشؤوني ، فقال له شريح : أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك ، وتنساها في نفسك .

وروى أبو العيناء عن العتبي قال : دخل الفرزدق إلى سعيد بن العاص ، وعنده الحطيئة ، فلما مثل بين يديه قال :

[٩٨]
و
إليك فررتُ منك ومن زيادٍ / ولم أحسب دمي لكما حلالاً^(١)
فإن يكن الهجاء أحلّ قتلي / فقد قلنا لشاعركم وقالاً^(٢)
ترى الغرّ الجحاجيح من قريش / إذا مال الأمر في الحدانِ عالاً^(٣)
قياماً ينظرون إلى سعيدٍ / كأئهم يرون به هلالاً^(٤)

فقال له الحطيئة : هذا والله أيها الأمير الشعر ، لا ما كنتما نعال^(٥) به منذ اليوم ، يا غلام

١٠ أقدمت أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قدمه أبي .

أراد الحطيئة بقوله : إن كانت قدمت أمك الحجاز ، فقد وقعت بها^(٦) ، وكنت مني ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدمه أبي » أي وقع بأمك فكنت أنت^(٧) .

ويشبه ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حوله ، إذ مرّ به الكُميت بن

زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شعري ؟ فقال الكُميت : حسنٌ بسن ، فقال له الفرزدق :

١٥ أيسرُّك أني أبوك ، قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلاً^(٨) ، ولكن يسرُّني أن لو كنت أُمي ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكنني هجوت وقد هجبتني
معاشرٌ قد رضخت لهم سجّالاً

(٢) بعده :

وإن تك في الهجاء تريد قتلي
فلم تدرك لمنتصرٍ مقالاً

(٣) عال : فذح وأنقل ؛ وبعده :

بني عم الرسول ورهط عمرو
وعثمان الذين علوا فعلاً

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الهلالا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « ما كنت

تعلم » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الشجري : « فكت

أنت أخي » . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « بديلاً » .

الفرزدق : اكتبتم هذه على عمك يابن أخي فما مرّ بي مثلها .

وقيل إنَّ عبد الملك بن مروان ظفّر برجل من بني مخزوم زبيرى الراى ، فقال له لما حضر مجلسه : أليس قد ردّك الله على عقبيك ! فقال الرجل : أو من ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيّه ! فوجّه عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك : يا أبا عبد الله ، عزلوك عن القضاء ، وما رأيانا قاضيا عزل ! فقال شريك : هم الملوك يعزلون ويخلعون - يعرض أن أباه خلع من ولاية العهد .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن المفضل الضبيّ الراوية وهب لبعض جبرانه أيام الأضحى أضحيةً ، فلما لقيه قال : كيف وجدت أضحيتك ؟ قال : ما وجدت لها دماً ، يعرض بقول الشاعر :

١٠

ولو ذبح الضبيّ بالسيف لم تجد
من الأوم للضبّيّ لهما ولا دماً

وروى عن المأمون أنه قال : ما أعينى جواب أحد قطّ مثل جواب ثلاثة : أحدهم أمّ الفضل بن سهل ، فإني عزّيتها عن ابنها وقلت : لئن جرّعت على الفضل لأنه والدك ، فهاأنذا ابنك مكانه / ، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لى ولدًا . والثاني رجل [٩٨]
أحضرته يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرنا عن موسى ١٥ أنه يدخلُ يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ أليس بعد أن لقي فرعون ! فاعمل كما عمل فرعون ، حتى تعمل كما عمل موسى . والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها ، فقلت : ارضوا بواحد أسمع منه ، فرضوا برجل منهم ، فقال في العامل وأكثر ؛ فقلت له : كذبت ! بل هو العفيف الورع العدل ؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، ٢٠ فواس بين رعيتك في العدل ، فصرفتّه عنهم .

ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعل الطّرفات؟

يعنى طَرِيفاً^(١) وطَرِيفاً وطَرَفَةً ، قال : قُتِلُوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما أنصفك ابنُ أبي طالب ، قدّم بنيك ، وأخّر بنيّه ، فقال عدِيّ : ما أنصفته^(٢) أنا ، أن أُقتل^(٣) وبقيت .

وكتب رجلٌ إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابّه يشكو ضيقَ حاله ، فكتب إليه : « إن كنتَ كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنتَ صادقاً فجعلك الله كاذباً ، وإن كنتَ معذوراً فجعلك الله ملوماً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

وسمِعَ الأحنفَ رجلاً يقول : ما أحلمَ معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سفّه الحقّ .
ووصفه رجلٌ عند الشعبيّ بالحلم ، فقال الشعبيّ : ويحك ! وهل أغمَدَ سيفه وفي قلبه على أحدٍ شيء !

١٠ وقال زياد لرجلٍ حضره : أين منزلك ؟ فقال : وسطَ البصرة ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فقيل لزياد إن داره أقصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : داري بين أهل الدنيا والآخرة ، فهي وسطُ البصرة ، وكان لي عشر بنين فقدّمت تسعة ، فهم لي ، وبقي واحد لا أدري ؛ أهو لي أم أنا له !

وقال رجلٌ لابن سيرين : إنّي وقعتُ فيك فاجعلني في حلٍّ ، فقال : ما أحبُّ أن أحلكم
١٥ مِمَّ حرّم الله عليك .

وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرُك ، وإن الله لا يمدرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون ، فقال : إن أقرّ بالجنون [٩٩] أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخاصّ ، فقال : والله لا أقول / إنّه ابتلاني وقد عافاني .

وحدّث الحسن البصرىّ بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمّن ؟ فقال : وما تصنع
٢٠ بـ « عمّن » ؟ أما أنت فقد نالتك عظمتُه ، وقامتْ عليك حجته .

(١) من نسخة بمحاشبي الأصل ، ت : « طرفاً » ، بفتح أوله وكسر ثانيه .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بل ما أنصفته » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذ قتل »

وقيل لعبد الله بن جعفر - ونظر إليه بما كس في درهم - فقيل له : أما كس في درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذلك ما لي جُدْتُ به ، وهذا عقلي بَخِيتُ به .

وروي أن أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدثت بعض الزبيريين^(١) بفضائل أهله^(٢) فقال له : الزبيرى^(٣) : أتجلب التمر إلى هجر^(٤) ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أجذبت أرضها ، وعاروم^(٥) نخلها ؛ وكان أبو العيناء من أحضِر الناس جواباً ، وأجودهم بديهية ، وأملحهم نادرة .

وروي^(٦) الصولى عن أبي العيناء قال : لما دخلت^(٧) على المتوكل دعوت له ، وكلمته ، فاستحسن خطابي ، وقال لى : يا محمد ، بلغنى أن فيك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكرَ المحسن بإحسانه ، والسيء بإساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [س : ٣٠ - ٤٤] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ ۝ ١٠ بِنَمِيمٍ . مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُتِيمٌ . عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ ؛ [الفلم : ١١ - ١٣] ، فذمه الله تعالى حتى قذفه^(٨) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ دَائِبًا وَلَمْ أَذُمَّمُ الْجِلْسَ اللَّثِيمَ الْمُدَّيْمًا^(٩)
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا!

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب يكسعُ النبيَّ والذمى يطبّعُ لا يتميز ؛ فقد صان الله ١٥ عبدك عن ذلك .

- (١) حاشية ت (من نسخة) : « الزهريين » . (٢) ت : « بحديث فى فضائل أهله .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الزهري » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .
(٦) ت : « تخكى عن الصولى » . (٧) حاشية (من نسخة) : « أدخلت » .
(٨) ت : « قرفه » ، والقذف والفرف : ذكر المرء بالسوء .
(٩) البيتان فى أملى العالى ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبى العالية الرياحى .

(١) ورؤي أنه قال له يوماً: إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال: ما أحسنوا وأساءوا^(١).

ورؤي أن المتوكل قال له يوماً: إني لأفرك من لسانك، فقال له: إن الشريف فرقة ذو إحجام، وإن اللئيم ذو أمانة وإقدام.

وقال له يوماً: وقد دخل عليه: اشتقتك والله يا أبا العيناء، فقال له يا سيدي؛ إنما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه، فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه.

وروي أنه قال له يوماً: ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك وذمك— عند ماجري من^(٢) ذكرك— غيري، فقال أبو العيناء:

[٩٩]
/ إِذَا رَضَيْتُ عَنِّي كِرَامَ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِثَامِهَا
ظ

وذكر أبو العيناء قال: قال لي المتوكل: كيف ترى داري هذه؟ فقلت: رأيت الناس

١٠ بنوا دورهم في الدنيا، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره.

وقال أبو العيناء: قال لي المتوكل: من أسخى من رأيت؟ ومن أبخل من رأيت؟

فقلت: ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد، ولا أبخل من موسى بن عبد الملك؛

قال: وكيف وقفت على بخله؟ فقلت: رأيتُه يحرمُ القريب كما يحرم البعيد، ويعتذر من

الإحسان^(٣)؛ كما يعتذر من الإساءة؛ فقال: أجمت إلى من أطرحته فسخيته، وإلى

١٥ من أمسكته فبخلته! فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الصدق ما هو في موضع من المواضع

أنفق منه بحضرتك، والناس يفاطون فيمن ينسبونه إلى السخاء؛ فإذا نسب الناس

السخاء إلى البرامكة، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد، وإذا نسب الناس الحسن

ابن سهل، والفضل بن سهل إلى السخاء، فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون، وإذا نسبوا

أحمد بن أبي دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

(١) ساقط من م . (٢) ف: « عندما جرى ذكرك » .

(٣) حاشية ت: « يعني أن لإحسانه يكون سائطاً يحتاج إلى العذر » .

وعُبِّدَ اللهُ بن يحيى إلى السخاءِ فإنما هو سخاؤك؛ وإلَّا فإبال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاءِ قبل صحبتهم الخلفاء^(١) ! فقال لى : صدقت ، وسرّى^(٢) عنه .

وقال له المتوكل : ما أشدُّ عليك من ذهاب البصر ؟ فقال له : فقد رؤيتك ؛ مع إجماع الناس على جمالك .

وقال له يوماً : أريدك لمجالستي ، قال : لا أطيق ذلك ، وما أقول هذا جهلاً بما لى فى هذا المجلس ه من الشرف ، ولكن أنا رجل محجوبٌ ، والمحجوب تختلف إشارته ، ويخفى عليه إيماؤه ، ويجوز على أن أتكلّم بكلام غضبان ووجهك راضٍ ، وبكلام راضٍ ووجهك غضبان ، ومتى لم أميرٌ بين هاتين^(٣) هلكت ؛ فقال : صدقت .

وروى أنه قال له : لولا أنك ضرير لنادمتك ، فقال : إن أعفيتنى من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الخواتيم فإنى أصاح .

١٠

وقال المتوكل : ما تقول فى ابن مكرّم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، وإيهمما أكبر من نفعهما ، فقال : بلغنى أنك تؤدّهما ، فقال : لقد ابتعت الضلال بالهدى ، والمذاب بالمغفرة .

وقال له يوماً : بلغنى أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [المتطففين : ٢٩] وقال أبو العيناء : قال لى المنصور : ما أحسن^(٤) الجواب ؟ فقلت : ما أسكت البطل ، وخير المحيق .

/ وقيل لأبى العيناء : إبراهيم بن نوح النصرانى عليك عاتب ، فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ [١٠٠] الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢] . ورآه زرقان وهو يضحك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرى عنه ؛ من

قولهم : سروت عنى الدرغ ، أى كشفتها ، وسرى عنه الثوب : كشفه ، وانسرى عنه الهم ، وسرى عنه

الهم . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « هذين » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « خير الجواب »

نصرانياً فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ ؛ [المائدة : ٥١] ،
فقال أبو العيناء ﴿ لَا يَنْبَغُ كَيْفَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُواكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ ؛ [المتحنة : ٢٩] .

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال أخبرنا
أبو العيناء قال : كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني
وَادَعَوْا عَلِيَّ دَعَاوَى كَثِيرَةً ؛ مِنْهَا أَنِّي رَافِضِيٌّ ، فَاحْتَجَجْتُ إِلَى أَنْ خَرَجْتُ عَنْ الْبَصْرَةِ إِلَى
سُرَّ مَن رَأَى ، وَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ أَبِي دَعْوَادٍ - وَكُنْتُ نَازِلًا فِي دَارِهِ ، أَجْلِسُهُ كُلَّ يَوْمٍ -
وَبَلَغَ الْقَوْمُ خَبْرِي ، فَشَخَّصُوا نَحْوِي إِلَى سُرَّ مَن رَأَى ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْقَوْمَ قَدِ قَدِمُوا مِنْ الْبَصْرَةِ
يَدًّا عَلَيَّ ، فَقَالَ : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، فَقُلْتُ : إِنَّ لَهُمْ مَكْرًا ، فَقَالَ : ﴿ وَيَمَكُرُونَ
وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ؛ [الأنفال : ٣٠] ، فَقُلْتُ : هُمْ كَثِيرُونَ قَالَ :
﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٤٩] ، فَقُلْتُ : اللَّهُ
دَرُّ الْقَاضِي ! هُوَ وَاللَّهُ كَمَا قَالَ الصَّمَوْتُ الْكِلَابِيُّ :

لِلَّهِ دَرُّكَ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِفٍ	وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ ^(١)
مُتَخَمِّطُ تَطَأُ الرَّجَالِ غَلْبَةً	وَطَاءُ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقَرْدَانِ ^(٢)
وَتَرَكَهُمْ حَتَّى كَانَتْ رُءُوسُهُمْ	مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرْبَانِ ^(٣)
وَتَفْرَجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ	حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

- قال الصوليّ : حفظني من أبي العيناء الصَّمَوْتُ الْكِلَابِيُّ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ ، وَقَالَ وَكَيْعٌ :
حفظني أنها للصَّمَوْتُ الْكِلَابِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا امْرَأَةٌ -

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فأثنى عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعاني ١ : ٦٨ . (٢) النخمة : الأخذ والقهر بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثير
الغلبة ، والفنيق الجمل الفجل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت (من نسخة) :
« ونكبتهم » والمأومة : المشجومة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقل قليلك ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكبر من كثير غيرك^(١) .

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرني فإني مشغول^(٢) ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك . وقال له يوماً : قد تبينت / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجل^[١٠٠] ظ الله قدرك من غضبي ، إنما يغضب الرجل على من دونه ؛ فأما من فوقه فلا ، ولكن أحزني تقصيرك ؛ فسميت حزني غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً ، وأكثروهم صلاةً وصدقةً ، فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحُجِبَ وقيل له : هو مشغول في صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبي إسماعيل الصقر بن بلبل في وزارته ، فقال له : يا أبا عبد الله ،^(٣) ما أخرك^{١٠} عنّا^(٤) ؟ فقال : سُرقَ حماري ، فقال : وكيف سُرق ؟ قال : لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان ، قال له : هلاً ؟ أكرتت أو استعرت أو اشتريت ؟ قال : قعد بي عن الشراء نَشَبِي^(٥) ، وكرهت منة العواري ، وذلة المكارى ، فوهب له حمارا ووصله . وأدناه أبو الصقر يوماً ورَفَمَه فقال : تُدِنِنِي حَتَّى كَأَنِّي بَمَضُك ، وَتُبْعِدُنِي حَتَّى كَأَنِّي ضَدُّكَ .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضاً - وقد رفعه : إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً !^{١٥} وقال له يوماً - وقد سأله عن حاله : أنا معك^(٥) مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نظم البحتري هذا المعنى فقال

كثيْرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا جُبِيتَ عَلَيْهِ مِنَ الْجُودِ نَزْرُ
وَنَزْرُ نَوَالِكٍ فِي جَنْبِ مَا يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ عَمْرُ

(٢) ت : « فإني عنك مشغول » . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « يا أبا عيناء ما أخرك

بالله ؟ » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عدى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليّ البصير قال لأبي العيناء - وكانت بينهما ملاحاةً معروفة : في أيّ وقتٍ ولدتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي ينتشر فيه السوّال .

وأخبرنا أبو عبّيد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصولىّ قال حدثني أبو العيناء • قال : مارأيت قطاً أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قالت له : يوماً كان أبو عمرو الخزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإن تَنَأَ عَنَّا لَا تَصْرُنَا وَإِنْ تَعُدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ

وقال : والله لا أدري لمن هذا البيت ، فقلت : إن ابن سلامٍ روى عن يونس ابن الفرزدق لما قال :

١٠ تَصْرَمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بِنِ وائِلٍ وَمَا خِلْتُ دَهْرِي وَدَّهْمُ يَتَصْرَمُ^(١)

قَوَارِصُ تَأْتِينِي فَيَحْتَمِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُقْعَمُ^(٢)

وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء العجليّ^(٣) يحميه :

[١٠١] / لَقَدْ بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بِكَرٍ بِنِ وائِلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ^(٤)

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، وطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والكمال - بشرح المرصفي ، ١ : ١٢٧ ،
والمؤتلف والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية .
فعم الإناء يفعمه فعما : ملاءم وبائع في مثله . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ،
وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسطتك » ، وقبيله :

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ الْفِرْزَدِقُ عَاتِبًا وَأَخَذْتَ صَرَمًا ، لِلْفِرْزَدِقِ أَظْلَمُ

وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف فأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لَقَدْ وَسَّطْتُكَ الدَّارَ بِكَرٍ بِنِ وائِلٍ وَضَمَّتْكَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ

لِيَالٍ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ سَحَابَةً بِمَكَّةَ يَنْفِشَاهَا السَّتَارُ الْحَرَمُ (١)
فَإِنْ تَنَاءً عَنَّا لَا تَضُرُّنَا وَإِنْ تَعُدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ مَنْ سَتَصَدِّقُ فِي الْعَامِ مَخَائِلَهُ ، وَتَكْثُرُ عَلَيْهِ دَلَالَتُهُ .

وقال أبو العيْناء يوماً لأبي الصقر بن ببلل وهو زائر : أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك ، وتبعد منا إذا احتجت إلينا .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وهذا يشبه قول إبراهيم بن العباس الصولي :

ولكنَّ الجَّوَادَ أبا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ (٢)
بطيءٌ عَنكَ مَا سَتَغْنِيكَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

ولعله مأخوذ منه ، فليس يُفَكِّرُ ذلك ، لأنَّهما وإن اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات ؛ فإن أبا العيْناء بقيَ بعد إبراهيم زماناً طويلاً ؛ لأن إبراهيم توفِّي في سنة ثلاث ١٠ وأربعين ومائتين ، وأبا العيْناء سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين ومائتين ، وما حكيناه عنه من الكلام قاله لأبي الصقر في وزارته ، وكانت بعد وفاة إبراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل .

ويوشك بيتا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حَجَر :

وليسَ أخوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وُلِّيَ وَيُرْضِيكَ مُقْبِلًا (٣)
ولسكنهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وصاحبك الأذنى إذا الخطبُ أعضلاً ١٥

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً ، وهو :

أَسَدٌ سَمَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٍّ إِذَا مَا قَدَّرَا (٤)
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثْرَى وَلَا يَعْلَمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا أَقْتَرَا (٥)

(١) الستار المحرم : هو ستار الكعبة . (٢) ديوانه : ١٢٩ (ضمن مجموعة الطرائف) .

(٣) ديوانه : ٢٢ (٤) ديوانه : ١٣٣ (ضمن مجموعة الطرائف) .

(٥) ت : « افتقرا » ؛ وهي رواية الديوان .

ويشبهه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرّار الفقمسيّ :

[١٠١] / إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يَرْ فَقَرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ (١) ظ

ومما يشبهه قول المرّار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً :

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنِ الْعَيْنِ عَرَضُهُ وَلَا مُظْهِرٍ الْبَلْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتْ (٢)
رَأَى خَلَّةً مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَى عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

أو من قول المتنخل الهذليّ :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشْبِعٌ غِنَاهُ (٣)

وهذا البيت الذي روينا للهذليّ من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه - وقيل يرثي أخاه، وأولها

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ (٤)

وَلَا بِالذِّ لَهْ نَازِعٌ يُغَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَبَاهُ (٥)

- فمعنى « له نازع » أي خلق سوء ينزعه . ويفاري ، أي يلاحي ويشارّ - .

وَلَكِنَّهُ هَيْنٌ لَيْنٌ كَمَا لِيَةِ الرَّمَحِ عَرْدٌ نَسَاهُ

- العرد : الشديد ؛ يقال : وترّ عرْدٌ وعرْدٌ ، وعرْدٌ بالنون ، أي شديد . والنساء

عرق معروف -

إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاعَةٌ وَمَهْمًا وَكَوَلَتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى « سُدَّتْهُ » من المساودة ، التي هي المساورة ، والسواد هو السرار أيضاً ، كأنه قال :

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخرّج البيتين في الحواشي .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩-٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « و يروي : بواه

ولا بضعيف » ، وهو الأجود عند أبي العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفي حواشي الأصل ؛

ت ، ف : « غاريت بين الشيين ؛ إذا والبت بينهما ، قال كثير :

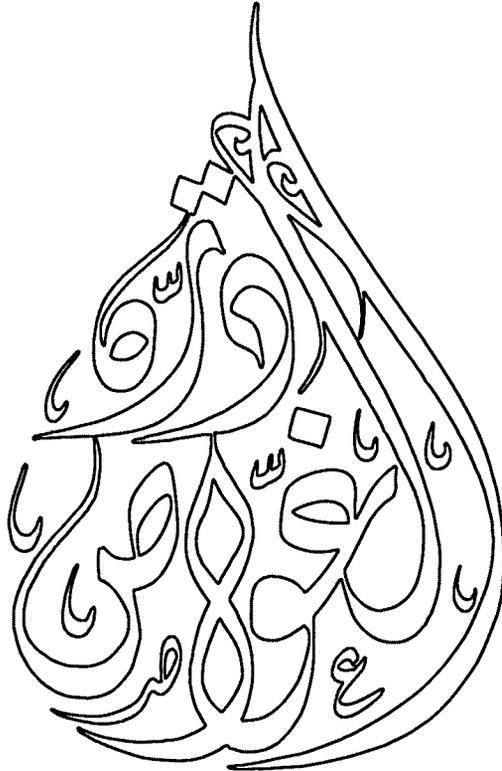
إِذَا قَلْتُ أَسْلُوفَاضَتِ الْعَيْنُ بِالْبِكَاءِ غِرَاءٌ وَمَدَّتْهَا مَدَامِغُ حُفَلٍ

قال أبو عبيد : هو من غرى بالشيء يفرى به « .

إذا ساررتَه طواعك وساعدك . وقال قوم : إنه من السيادة ، وكأنه أراد : إذا كنتَ
فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك ، وإن وَكَلتَ إليه شيئاً كفاك ، وقوم يُنشدونه :
* إذا سُنَّتهُ سُنَّتِ مطوَاعَةً *

— ولم أجد ذلك في رواية —

- الأَمَنُ يُنادِي أبا مالِكٍ أفي أمرنا هُوأمُ في سِوَاهُ ؟
أبو مالِكٍ قاصِرٌ فقِرُهُ على نَفْسِهِ ومُشيعٌ غِنَاهُ



مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

[١٠٢] / إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

• فقال: ما تأويل هذه الآية على ما يطابق المدل؟ فإن ظاهرها كأنه مخالف له.

الجواب، قيل له: في هذه الآية وجوه؛ منها ما ابتدأناه فيها، ومنها ما سبقنا به فحررناه واحترزنا فيه من الطاعن، وأجبنا عما لعله يعترض^(١) فيه من الشبهة.

أولها أن يكون تعالى عني بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات، وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلته، وتمسك بها. ١٠ والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة؛ وهذا التأويل يطابقه الظاهر؛ لأنه تعالى قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق^(٢) بتكذيبهم؛ ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه.

وثانيها أن يصرفهم^(٣) تعالى عن زيادة المعجزات التي يُظهرها^(٤) الأنبياء عليهم السلام

(١) حاشية ت (من نسخة) « يعرض » . (٢) ف : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يظهرها » .

على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنه تعالى إنما يُظهِرُ هذا الضرب من المعجزات إذا عِلِمَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ عِنْدَهُ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا تَقَدَّمُ مِنَ الْآيَاتِ ، فإذا عِلِمَ خِلَافَ ذَلِكَ لَمْ يُظْهِرْهَا ، وَصَرَفَ الَّذِينَ عِلِمَ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ عَنْهَا ، وَيَكُونُ الصَّرْفُ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ : إِمَّا بِأَلَا يُظْهِرُهَا جَمَلَةً ، أَوْ بِأَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنْ مَشَاهِدَتِهَا ، وَيُظْهِرُهَا بِحَيْثُ يَنْتَفِعُ بِهَا غَيْرُهُمْ .

فإذا قيل : وما الفرقُ فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرقُ بينهما أن المعجز الأولَ يجب إظهاره لإزاحة العلة في التكليف ؛ ولأننا به نعلم صدق الرسول المؤدّي إلينا ما فيه لطفنا ومصاحتنا .

فإذا كان التكليف يُوجبُ تعريف^(١) المصالح والألطف لتنزاح العلة ، وكان لا سبيلَ

- إلى معرفتها على الوجه الذي تكون عليه لطفاً إلا من قبل الرسول ، وكان لا سبيلَ إلى ١٠ العلم بكونه رسولاً إلا من جهة / المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه . صلحتنا [١٠٢] من الشرائع ، وإظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ، ولا فرق في هذا الموضوع بين أن يُعلم أن المبعوث إليهم الرسول ، أو بعضهم يطيعون ويؤمنون ، وبين ألا يعلم ذلك في وجوب البعثة ، وما يجب بوجوبها ، لأن تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع ؛ وليس هذه سبيل ما يظهر من ١٥ المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها ؛ لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ، ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة ، وكانت عبثاً ؛ فافترق الأمران .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك ؟ قلنا : يمكن أن

- يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يُرد به تعليل قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ، ٢٠ بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تعريفنا » .

أَيُّهَا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، لَأَنَّ مَنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ جُلَّ وَعَزَّ ؛ وَغَفَلَ عَنْ تَأْمُلِهَا وَالِاهْتِدَاءِ بِنُورِهَا رَكِبَ الغَىَّ ، وَاتَّخَذَهُ سَبِيلًا ، وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَرَجُوعَ لَفْظَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَشْبَهُهُ بِالظَّاهِرِ مِنْ رَجُوعِهَا إِلَى قَوْلِهِ : ﴿سَأَصْرِفُ﴾ ؛ لَأَنَّ رَجُوعَ اللَّفْظِ (١) فِي اللَّغَةِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ أَوْلَى .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿كَذَّبُوا﴾ وَإِنْ كَانَ بِالْفِظِ الْمَاضِي الْمُرَادُ بِهِ الْاسْتِقْبَالُ ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ أَنَّ التَّكْذِيبَ لِمَا كَانَ مَعْلُومًا مِنْهُمْ لَوْ أَظْهَرَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ جُمِعَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ (٢) وَقَعَ ، فَجَبْنِي الْخَطَابَ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا نَظَأْتُ فِي اللَّغَةِ كَثِيرَةً . أَوْ يَكُونُ جَوَابًا لِلْمَحْذُوفِ ؛ كَأَنَّهُ (٣) قَالَ : ذَلِكَ بَأَنَّهُ مَتَى مَا أَظْهَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا كَذَّبُوا بِهَا . وَيَجْرِي مَا ذَكَرْنَاهُ (٣) أَوْلَىَّ بِجَرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ فِي أَنَّهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْمَعْنَى الْاسْتِقْبَالِ .

وَنَالِهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ ، أَيْ لَا أُوْتِيهَا (٤) مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَإِذَا (٥) صَرَفَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفَهَا عَنْهُمْ (٥) ، وَكَلَامُ اللَّفْظِينَ (٦) يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ هَلَّا قَالَ : «سَأَصْرِفُ آيَاتِي عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ» ؛ وَالْآيَاتُ هَاهُنَا هِيَ الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ .

/ فَإِنْ قِيلَ : فَأَيَّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيلِ (٧) : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [١٠٣] وَأَيُّ مَعْنَى لِتَخْصِيصِهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَهُوَ لَا يُؤْتَى الْآيَاتُ وَالْمَعْجَزَاتُ إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ مَنْ لَا يَتَكَبَّرُ ؟ قُلْنَا : نَخْرُجُ الْكَلَامَ مَخْرَجَ التَّمْلِيلِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَجْهٌ عَجِيبٌ ؛ لَأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يُؤْتَى مَعْجَزَاتِهِ (٨) لِتَكْذِيبِهِ وَكُفْرِهِ ،

(١) ت ، وَحَاشِيَةٌ ف (مِنْ نَسْخَةٍ) : « اللَّفْظَةُ » . (٢-٣) سَاقَطَ مِنْ م .

(٢) ت : « وَيَجْرِي ذَلِكَ » . (٤) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : « لَا أُرِيهَا » .

(٥-٥) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « وَإِذَا صَرَفْتَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفْتَهُمْ عَنْهُمْ » .

(٦) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ت : ف : « كَلَامُ اللَّفْظِيَيْنِ » .

(٧) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « التَّخْصِيصُ » . (٨) ت ، ف : « لَا يُؤْتَى آيَاتِهِ وَمَعْجَزَاتِهِ » .

وإن كان قد يكون غير مكذّب، ويمنع من إتيانه الآيات علّة أخرى^(١)؛ فالتكبر والبغى بغير الحق مانع من إتياء الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا مجرى قول القائل: أنا لا أودُّ فلاناً لقدره، ولا يلزم إذا لم يكن قادراً أن يودّه، لأنه ربما خلا من القدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته. ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجرى مجرى السبب، وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين^(٢)، فأكذبهم الله تعالى بذلك.

ورابها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين؛ ليدلّ بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحدٍ منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تناول أهل الحق الطبيع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أي أعدل بها عنهم^(٣)، وأخصّ بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي^(٤). وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأنّ صرفهم عن هذه الآيات كالمستحقّ لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريد تعالى: أني أضرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها؛ لأنّ من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكن منه؛ لأنه ينقض الغرض^{١٥} في البعثة. ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحمّلتها^(٥) الرسل.

والصرف وإن كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً^(٦) في الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها^(٦) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣] ط

(١) في حاشيتي ت، ف: « يعني وإن كان غير التكذيب أيضاً مانعاً ».

(٢) ت: « المذكورين »، ومن نسخة بحاشية ت: « المكذبين ».

(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: « أي أعدل بهم عنها ». (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت:

« وبينائي ». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): « تحملها ». (٦-٦) ساقط من م.

أن نعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن نعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحججة بها . وعلى هذا التأويل لا نجمل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نرُدّه إلى ما هو قبله بلا فصل ؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ على ما بيناه في الوجه الثاني ، من تأويل هذه الآية .

وسادسها أن يكون الصرف شاهنا الحُكْمَ والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جازم^(١) أن يقال : صرفه عنه ، كما يقال : ﴿ أ كْفَرَهُ وَكَذَّبَهُ وَفَسَقَهُ ﴾ ؛ وكما قال جلّ من قائل : ﴿ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ لأن الحكم عليهم^(٢) بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم^(٣) عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فيريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك مجرى قولهم : سأبخّل فلاناً وأخطئته ، أى أسأله ما يبخل ، يبذله وأمتحنه بما يُخطئ فيه ، ولا يكون المعنى : سأفعل^(٤) فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجاز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بَأْسُهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢-٢) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتحديد .

(٣-٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « أنى أفعل فيه » .

وثانمها أن يكون الصَّرف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْحُ فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلةً وحُججاً، فيكون تقدير الكلام: إني بما أؤيده من حُججِي، وأحكامه من آياتي وبيناتي؛ صارفٌ للمبطلين والـمكذبين عن القَدْحِ في الآيات والدلالات، ومانعٌ لهم ممَّا كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه ويغتمونه من تويهمهم الحق ولبسه [١٠٤] بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا^(١): قدمع فلانٌ أعداءه بأفعاله الكريمة،^(٢) وطرائقه المهذَّبة، وصرَّفهم عن ذمِّه^(٣)، وأخرسَ ألسنتهم عن الطعن عليه؛ وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه.

فإن قيل: أليس في المبطلين من طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك؟ قلنا: لم يرِ الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر، وإنما أراد ما قدمناه، وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه، وإن لم يطعن عليه طاعنٌ؛ كما قد يكون بريئاً من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم: فلانٌ قد أخرسَ أعداءه عن ذمِّه ليس يراد به أنه ممنوعهم عن التلفظ بالذم، وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً؛ ويجب على هذا الوجه^(٣) أن يكون قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل، ولا يرجع إلى قوله: ﴿سَاءَ صَرِفٌ﴾^(٤).

وتاسمها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأُمَّته إهلاكَ عدوهم قال: ﴿سَاءَ صَرِفٌ ۝١٥ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطلمهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى، والردِّ لِحُججِهِ، والمُروِقِ عن طاعته، وبشَّرِ مَنْ وَعَدَهُ بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت: «الغائل». (٢-٢) ت، ش: «وطرائقه الممدوحة، وأخلاقه المهذَّبة من عييه،

وصرفهم عن ذمِّه». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الأوئل».

(٤) حواشي الأصل، ت، ف: «قريب منه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ﴾؛

ويعترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غابوا؛ والجواب: لأنهم وإن غلبوا في صورة فإنهم الغالبون حقيقة».

بها ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين ، واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله .

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لا تكون إلا مضافة للاستخفاف والإهانة ، كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال^(١) ؛ وإمارة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوارٍ وإهلاك لا يفتقرن إليه ما لا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار؛ فكيف يصح ما ذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء الكفار المكذبين^(٢) من الإهلاك والبوار اللعن والذم والاستخفاف^(٣) ، ويأمرنا^(٤) أن نفعل [١٠٤] ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشرطها ، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يتعمد ويأمر بإهلاكهم^(٥) ، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأن في ١٥ التكبر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِشَاقِقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [النساء : ١٥٥] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتي الأصل ، ف : « المكذبين المستحقين للبورار

اللعن والذم » . (٣-٣) ساقط من م .

أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ، ويكون المتعوض به عنها مغبوطاً مبخوساً خاسراً الصفة .

والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتنزّه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكا لطريق الحق ؛ وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبني والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحقّ عليه ، ويستحقّ بذلك الذمّ والمقت ، فلهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [الأعراب : ٣٣] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللذين ذكرناهما .

١٠

فإن أريد به البغى المكروه الذى هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بَغْيِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخباراً عن أن هذه صفة ، وإن أريد بالبغى الطلب - وذلك هو أصله في اللغة - كان الشرط في موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحقِّ وبغير الحقِّ .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وهب [١٠٥] أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هي طريقه ، ولا يصحُّ أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التى لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومن علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغى ؛ لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

٣٠

قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الأدلة؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيث كانت وُصَلَةً إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيلَ الغيِّ هي الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغولون في الدين ؛ ليوقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان ، وتسمّى سبيلَ الغيِّ ، وإن كان النظرُ فيها لا يوجب حصولَ الغيِّ من حيث كان المعلوم ممّن تشاغل بها ، واغترَّ بأهلها أنه يصير إلى الغيِّ .

ووجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلاً للرشد ، وكونها سبيلاً للغيِّ ؛ بل يتناولها لامن هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويمتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد وترك الحق مع العلم به .

والوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد والغىِّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد إلى الغيِّ ، ويجحدون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .

١٥ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ،

[١٠٥] / والتكذيبُ لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطلق في الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذب بكذا إذا كان يمتدُّ بطلانه ، كما يقولون : يصدِّق بكذا إذا كان يمتدُّ صحته ؟ ولو صرفنا التكذيب هاهنا إلى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسوله عليهم السلام

٢٥ جاز ؛ وتكون الآيات هاهنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلة على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما يناق العلم الضرورية ، ولا تكايف على الساهى فكيف يذم بذلك ؟ .

قلنا: المرادها هنا بالغفلة التشبيه لالحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم للأعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى : ﴿ صُمُّ بُكْمٌ عُمْى ﴾ ؛ [البقرة : ١٨] ، على هذا المعنى ، وكما يقول ٥ أحدنا لمن يستبطئه ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبش : أنت ميت وراقد ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

مكتبة
التورث والارث الوطية



تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرّفها كيف شاء » (١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك : « اللهم مصرّف القلوب ، صرّف (٢) قلوبنا إلى طاعتك » . وعمّا يرويه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى ، فإذا شاء أن يُثبته ثبته ، وإن شاء أن يقلبه قلبه » . وعمّا يرويه ابن حوشب قال : قيل (٣) لأم سامة زوج النبي صلى الله عليه وآله : ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » ، قالت : قلت : يارسول الله ، ما أكثر دعائك (٤) : « يا مقلب القلوب ، ثبت قلبي على دينك » ! فقال : « يا أم سامة ، ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، ما شاء أقام ، وما شاء أزاغ » .

[١٠٦] فقال : ما تأويل / هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه؟ أو ليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ، ولا تطابق العقول لا يجب ردّها ، والقطع على كذب روايتها (٥) إلاّ بعداً لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل؟ وإن كان لها ذلك فباستكراه أو تمسّف ، ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار ، فما تأويلها ؟ .

١٥ الجواب ، إن الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول : إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن ؛ يقال : لفلان على ماله وإبله إصبع حسنة ؛ أي قيام وأثر حسن ؛ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة)

« اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأم سامة » . (٤) ت ، د ، ف : « أكثر دعائك » .

(٥) ج ، ش : « كذب روايتها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَعِيفُ الْعَصَا بِأَدْيِ الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ يَصِفُ فَحْلًا :

كَمَيْتٌ كَرُّ كُنِّ الْبَابِ أَحْيَا بَنَاتِهِ
وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَةَ :

٥ مَنْ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا (٣)
بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَى أَوْلَمَا
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنُوبًا مُتْرَعَا

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ :

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبِ
وَقَالَ آخَرُ :

١٠ وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ
ذُو إِصْبَعٍ فِي مَسِّهَا وَذُوفِطَنُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَكْرِمُ نِزَارًا وَسَمِعَهُ الْمُشْعَمَا
حَدًّا وَجُودًا وَتَدَى وَإِصْبَعًا (٤)

وَالِإِصْبَعِ فِي كُلِّ مَا أوردناه المراد بها الأثرُ الحسنُ والتَّعَمَّةُ ، فيكون المعنى : ما من

١٥ آدميٍّ إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنيتين .

فإن قيل : هذا قد ذكر كما حكيم ؟ إلا أنه لم يفصل : ما نعمتان ؟ وما وجه التثنية ؟

هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى ؟

(١) البيت في اللآلئ ٥٠ ، ٧٦٤ ، والاسان (عصا) ؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بما يرعاه ،

والعرب تعيب الرعاء بضرب الإبل ؛ لأن ذلك عنف بها وقلة رفق . (٢) ديوانه : ٥٢ ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « واستحشمتهن » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « الحش : الجمع ، وقد

شمس [بفتحين] ؛ فيمكن أن يكون « استحش » في البيت من هذا ، واستحشش ، أى غضب ، غير

متعد « وفي حاشية الأصل أيضا : « استحشمتهن : أصلحتهن ؛ من قولهم : حمشت الدابة إذا صلحت ؛

عن النضر بن شميل » . (٣) ديوانه : ٢ : ٨ . (٤) حاشية ف : « قوله : « حدًّا » ، قيل

به أراد البأس ، وقيل : المنع » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « جدًّا » .

[١٠٦] / قلنا : يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نِعَم الدنيا ونِعَم الآخرة ، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالتوعين ، وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلته وبراهينه ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء في النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبها عليه ؛ وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُلَّة ، وقد قال قوم في بيتي طفيلٍ والراعي : إنهما أرادا أن يقولوا «يداً» في مكان «إصبع» ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

١٠ وفي الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَع بفتح الألف والباء ، وَأَصِيع ، بفتح الألف وكسر الباء ، وَأَصْبُع بضم الألف والباء ، وَأَصْبَع بضم الألف وفتح الباء ، وَأَصْبوع ، بضم الألف مع الواو ، وإصْبِع ، بكسر الألف والباء ، وإصْبَع ، بكسر الألف وفتح الباء ، وإصْبِع بكسر الألف وضم الباء .

وفي هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذكر ، وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها ، وتصرف كناياتها ؛ وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصريف القلوب وتقليبها ، والفعل فيها عليه جلت عظمتها ، ودخول ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء في خنصرى وإصبعى ، وفي يدي وقبضتي ؛ كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة^(١) .

وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [الزمر : ٦٨] ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

(١) ت : «المؤنة» .

في وصفه بالقدرة على تقلب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة - وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك، ولا يَتَمَكَّنُ منه - قال: إنها بين أصابعه؛ كنايةً عن هذا المعنى، واختصاراً للفظ الطويل، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعمداً؛ لأنه واضح جلي.

ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون، / من أن [١٠٧] الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم؛ استظهاراً في الحجّة، وإقامة لها على كل وجه؛ وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين، يحركه الله تعالى بهما، ويقام بهما بالفعل فيهما؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا^(١) على شكلهما. والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى - وإن كانت جميع أفعاله تُضاف إليه بمعنى الملك والقدرة - أنه^(٢) لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما^(٣) جاورها غيره تعالى؛ فليل إصبعان له؛ من حيث اختصّ بالفعل فيهما على هذا الوجه؛ لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب، وما هو مجاوز للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى؛ فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت لحمًا ودمًا فهي جوارح لله تعالى! وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد؛ وعلى التأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام؛ ١٥ مما لا تدفعه حجة، وإن ترتب بفضه على بعض في القوة والوضوح.

ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشتهيه من الأبيات التي استشهدنا بها.
أما قوله:

* حَدًّا^(٤) وَجُودًا وَنَدَى وَإِصْبَعًا *

٢٠

فمعنى الحد: المضاء والنفاذ.

(١) ت: «من حيث كانتا». (٢) ت: «فإنه». (٣) ف، حاشية (من نسخة): «مما».

(٤) حاشية ت (من نسخة): «جدا».

وقول الآخر :

* وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أُبْنٌ *

فالأرزانات المصيّ ، والأبنُ العَقْد .

فأما قول حميد بن ثور: « في كل مَنْكِبٍ من الناس » ، فالمنكِب: الجماعة ، والمنكِب:

٥ الناحية .

وأما معنى أبيات^(١) لبديد، فإنه أراد : مَنْ يَسْتَقِ اللهُ إِلَيْهِ خَيْرًا ، أَوْ يَصْرِفُ عَنْهُ شَرًّا
يُهِمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَسْبَغَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهَى مِنْهَا .

فأما بيت طَفِيلِ الْغَنَوِيِّ ، فمعناه أَنْ هَذَا الْفَجَلَ الَّذِي وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُمَيْتٌ ، وَأَنَّهُ
كَرُّ كُنِّ الْبَابِ لِتَمَامِهِ وَشِدَّتِهِ لَمَّا ضَرَبَ فِي الْإِبِلِ الَّتِي وَصَفَهَا عَاشَتْ أَوْلَادُهَا الَّتِي هِيَ بِنَاتُهُ
١٠ بَعْدَ أَنْ كُنَّ مَقَالِيَتَ ، وَالْمَقَالِيَتَ : الَّتِي لَا يَعْشَى لَهَا وَلَدٌ ، فَكَانَ هَذَا مِنْهُ أَثْرًا جَمِيلًا عَلَيْهَا .

فأما بيت الراعي فمعنى قوله : « ضَعِيفَ الْعَصَا » يريد أنه قليل الضرب لها ؛ إما لأنهن

لَا يُجَوِّزْنَ سَدَادًا وَتَادِبًا ، أَوْ لَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَهَذِهِ كِنَايَةٌ فِي نَهَايَةِ الْحُسْنِ ، وَاخْتِصَارٌ

[١٠٧] شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفَ الْعَصَا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِمَالِهَا /

ط
فِي الضَّرْبِ ، فَيَخْتَارُهَا قَوِيَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَذْفٌ ، وَأَرَادَ ضَعِيفَ فِعْلِ الْعَصَا .

١٥ وقوله : « بادى العروق » يعني عروق رِجْلِهِ لفسادها من السعى في أثر هذه الإبل . وأراد

« بِالْإِضْبَعِ » أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا فِي جَدْبِ النَّاسِ أَثْرًا جَمِيلًا لِحُسْنِ قِيَامِهِ وَتَعَمُّدِهِ .

وقد قيل إنه إنما سُمِّيَ الرَّاعِي لبيتِ قَالِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي

أَنْشَدْنَاهُ ، وَهُوَ :

لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّأَتْ بِأَخْفَافِهَا مَأْوَى تَبَوَّأَتْ مَضْجَعًا^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبديد » . (٢) اللآلى : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك :

« لأخفافها » .

وهذا قول الأصمعي . وقال السكري : سُمِّيَ بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا :
هَدَانُ أَخُو وَطْبٍ وَصَاحِبُ عُلبِيَّةٍ يَرَى الْمَجْدَ أَنْ يَلْتَقِيَ خَلَاءَ وَمَرْتَعًا (١)

وروى عن بعض بني نُمَيْرٍ أنه قال : إنما سُمِّيَ بذلك لقوله :

بُنَيْتَ مَرَاقِفَهُنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقِرَادُ مَقِيلًا (٢)

فقال بعض بني نُمَيْرٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا رَاعِي إِبِلٍ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ . هـ

وقال محمد بن سلام : ” إنما (٣) سُمِّيَ الرَّاعِي لِكثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ وَحَسَنِ نَعْتِهِ لَهَا “ ؛ وَاسْمُهُ عُبَيْدٌ

ابن حُصَيْنٍ بن جَنْدَلٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَنْدَلٍ ، وَقِيلَ أَبُو نُوحٍ .



(١) الهدان : الأحق الثقيل ، والعلبة : حلب من جلد . (٢) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ ،

واللسان (زل) ، والزرلة : موضع الزلل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

بن سأل سائل^١ عن قوله تعالى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ؛
[المائدة : ١١٦] .

فقال : ما المرادُ بالنفس في هذه الآية ؟ وهل المعنى فيها كالعنى في قوله : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢٨] أو يخالفه ؟ وهل يطابق معنى الآيتين والمراد بالنفس فيهما
٥ ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : قال الله تعالى : « إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » ، أو لا يطابقه ؟

الجواب ، قلنا : النفس في اللغة لها معانٍ مختلفة ، ووجوده في التصرف متباينة ؛
١٠ فالنفس نفس الإنسان وغيره من الحيوان ، وهي التي إذا فقدتها خرج عن كونه حيًّا ،
ومنه قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨٥] .

[١٠٨] والنفس ذات الشيء الذي يخبر / عنه كقولهم : فعل ذلك فلان نفسه ؛ إذا تولى فعله .
و النفس : الأنفة ، من قولهم ليس لفلان نفس ، أي لا أنفة له .

و النفس الإرادة ، من قولهم نفس فلان في كذا ، أي إرادته ؛ قال الشاعر :
١٥ فنفساي نفس قالت ايت ابن بحدل تجيد فرجا من كل غمي تهابها (١)
ونفس تقول اجهد نجاهك لا تكن نخاضية لم يغن شيئاً خضابها (٢)

(١) البتآن في اللسان (نفس) . . (٢) ت : « عنها خضابها » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ،
ف : « لم يغن يوما » .

ومنه أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، لم أحجج قط، فنفس تقول لي: حجج، ونفس تقول لي: تزوج، فقال الحسن: إنما النفس واحدة، ولكن لك هم يقول حجج، وهم يقول: تزوج، وأمره بالحجج.

وقال المزيق^(١) العبدى - وتروى لمعمر بن حمار البارقي:

• الأمان لعين قد نأها حميمها وأرقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلى:

أما خليلي فإني لست معجله حتى يؤامر نفسه كما زعما
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطى الجزيل ونفس ترضع الغما^(٢)

أراد أنه بين نفسيين: نفس تأمره بالجد، وأخرى تأمره بالبخل، وكنى برضاع الغنم ١٠ عن البخل، لأن اللثيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهدى إليه، ومنه قيل: لثيم راضع؛ وقال كثير:

فأصبحت ذا نفسيين نفس مريضة من اليأس ما ينفك هم يودها^(٣)
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها تجمل كي يزداد غيظاً حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان، يقال: أصابت فلاناً نفس، أي عين. ورؤى ١٥

(١) حواشى الأصل، ت، ف: « المزيق، بكسر الزاى وفتحها، كلاهما جائز؛ الكسر لأنه أتى بذكر التزيق في شعره، والمزيق بالفتح؛ لأنه قال: « لما أزيق»، وقال أبو القاسم الأمدى: المزيق، بفتح الزاى هو شأس بن نهار العبدى، الذى قال: « ولما أزيق»، والمزيق، بكسرها هو المزيق الحضرمي، متأخر، وولده المزيق بن المزيق، ذكره في المختلف والمؤتلف.

وانظر ص ١٨٥-١٨٦؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه:

فإن كنت ما كولا فكن خير آكلٍ وإلا فأدر كني ولما أزيق

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان، وكان هم بغزو عبد القيس.

(٢) البيتان في الأغاني ١٩: ١٦١. (٣) ديوانه ١: ٧٥.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرُقِي فَيَقُولُ : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ هُوَ فِيكَ ؛ مِنْ عَيْنِ عَائِنٍ ، وَنَفْسِ نَافَسٍ ، وَحَسَدِ حَاسِدٍ » .

[١٠٨] وقال ابن الأعرابي : النَّفُوسُ الَّتِي يُصِيبُ النَّاسَ بِالْمِغْنَمِ / وَذَكَرَ رَجُلًا فَقَالَ : كَانَ وَاللَّهِ حَسُودًا نَفُوسًا كَذُوبًا . وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ (١) :

يَتَقَى أَهْلُهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلِيَ نَحْرَهَا الرَّقِيَّ وَالتَّمِيمُ

وقال مضر بن ربيعة الفقعسي :

وَإِذَا تَمَّوْا صُعُدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْخُسَدِ (٢)

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

فاسلم سَلِمَتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّدَى وَعِثَارِهَا وَوَقِيتَ نَفْسَ الْخُسَدِ

والنفس أيضا من الدباغ بمقدار الدبغة ؛ تقول : أُعْطِنِي نَفْسًا مِنْ دِباغٍ ، أَي قَدَرَ مَا أُدْبِغُ بِهِ مَرَّةً .

والنفس الغيب ، يقول القائل : إِنِّي لِأَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أَي غَيْبَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أَي تَعَلَّمَ غَيْبِي وَمَا عِنْدِي ، وَلَا أَعْلَمُ غَيْبِكَ .

وقيل : إِنَّ النَّفْسَ أَيْضًا الْعُقُوبَةَ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْذَرَكَ نَفْسِي ؛ أَي عَقُوبَتِي ؛ وَبَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ حَمَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ يَحْذَرُكُمْ عَقُوبَتَهُ . وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَآخَرُونَ ؛ قَالُوا : مَعْنَى الْآيَةِ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . وَقَدْ رَوَى عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِعَيْنِهِ .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « قيل له ابن قيس الرقيات ؛ لأنه كان يشبب بجماعة كل واحدة منهن

اسمه رقية ؛ وقيل : كانت له جدات ؛ اسم كل واحدة منهن رقية » .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال هذا نبات ينمى صعدا ؛ أي يزداد طولاً » .

فإن قيل : ما وجهُ تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفيّة الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجهد في ستره منزلتها ، وسمّي باسمها ، فقيل فيه إنه نفسه ، مبالغةً في وصفه بالكتمان والخفاء ؛ وإنما حَسُنَ أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه: ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول : أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى ، وإن حَسُنَ على الوجه الأول ؛ ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهب للعرب في مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أن مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ جَازِيَتُهُ عَلَى ذِكْرِهِ لِي ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا جَازِيَتُهُ عَلَى تَقَرُّبِهِ إِلَيَّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمّي المجازاة على الشيء باسمه [١٠٩] اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ ، [الشورى : ٤٠] ؛ ﴿ وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [الأنفال : ٤٠] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [البقرة : ١٥] ؛ وكما قال الشاعر (١) :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرُّبه بالكثرة والزيادة ؛ كُنِيَ عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً ١٥ وذراعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

(١) هو عمرو بن كلثوم ؛ والبيت من المعلقة ص ٢٣٨ - بشرح التبريزي .

مَجْلِسٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴾ ؛ [الأحزاب : ١٠] .

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ، ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه ؟ وعن أى شيء زاغت الأبصار ؟ وبأى شيء تعامت ظنونهم بالله تعالى ؟ .

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم ، وخافوا من بوائقهم وبوادهم ، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته ، ولهذا يقولون للجبان : انتفخ سحره ، أى رثته ، وليس يمتنع أن تكون الرثة إذا انتفخت رفعت القلب ، ونهضت به إلى نحو الحنجرة . وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ، ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع ؛ قال الشاعر:

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدْلَائِيَا مُعَامَّةٌ بِقُرُونِ الطَّبَّاءِ (١)

(١) الأدلاء : جمع دليل ؛ والبيت في وصف فلاة مخيفة ، ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٤٨٨ ، ونسبه إلى المرار ، وقال في شرحه : « يريد أن القلوب تنزو وتجب ؛ فكأنها معلقة بقرون الطباء ؛ لأن الطباء لا تستقر ؛ وما كان على قرونها فهو كذلك » .

وقال امرؤ القيس :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانَ ظَلَّمْتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أَعْفَرَا^(١)

ويروى : « في قُدَارَ ظَلَّمْتُهُ »؛ أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة/السكون والاستقرار ؛ وإنما خصَّ الظبي ؛ لأن قرنه أكثرُ تحركاً واضطراباً ؛ [١٠٩] ظ
لنشاطه ومَرَّحه وسُرْعته .

وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدةً أصابته في هذا البيت فيليق قوله :
« على قرنِ أعفرا » بالتأويل المذكور؛ بل ووصف أما كنَ كان فيها مسرورا متنعماً؛ ألا ترى إلى
قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَأْذِفِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطْرَا^(٢)

فيكون معنى قوله : « على قرنِ أعفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مُشرف؛ ١٠
شبهه لارتفاعه وطوله بقرنِ الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابي والأول^(٣) للأصمعي ؛ فأما
قول الآخر :

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّامِ^(٤) كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنِ قَرْنِ أَعْفَرَا

فلا يحتمل إلا الشدة والحال المذمومة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل
هم منزعمون قلقون ؛ كأنهم على قرن ظبي ، ويحتمل أنه يريد أن يطعنهم بقرن ظبي ، كقولك : ١٥
رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَنِ قَرْنِ أَعْفَرَا » وهو
يريد بقرنِ أعفرا ، وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل
أن القلوب لما اتصل وجيبتها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

(١) ديوانه : ١٠٦ . قداران : قرية بالشام ؛ وأعفر ؛ أراد قرن ظبي أعفر . وفي حواشي الأصل ،
ت ، ف : « في نسخة الوزير الكامل أبي القاسم المغربي رحمه الله : « قداران » ، بالنال المعجمة وفتح
القاف ، وضب عليه . » (٢) في حاشية ت : « طرطر : قرية بالشام بمنبج ، ولها نهر يقال له نهر
طرطر . » وفي شرح الديوان : تأذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بعدوه .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « والآخر » . (٤) ت ، ف : « الشان » .

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ في الحقيقة، فألغى ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها، ولفظة «كادت» هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لِعَمْرَةٍ وَخَشَاءٍ غَيْرِ مَوْقِفِ رَاكِبٍ (١)
دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِثِّي تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَّابِ

معناه: قاربت أن تحل بنا، وإن لم تحل في الحقيقة.

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنه وخش؛ إلا أن راكباً واقف به؛ يعني نفسه. وقال نصيب:

[١١٠] / وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لِمَا تَرَنْمَتْ
أَمُوتَ لِمَبْكَاهَا أَسَىٰ إِنْ لَوْعَتِي (٢)
هَتُوفُ الضُّحَىٰ مَحْزُونَةٌ بِالْتَرْنَمِ
وَوَجْدِي بِسُعْدَىٰ شَجْوُهُ غَيْرُ مُنْجِمِ (٣)

معنى المنجم: الملقع.

وقال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقَتِي
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْشُهُ (٥)
فَارَزَلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ (٤)
تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

(١) ديوانه: ١٠٠، والرسم: ماشخص من آثار الديار بعد البلي، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهي جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في إثر بعض، وأطرادها: تتابعها.

(٢) ف، حاشية ت (من نسخة): «لوعتي». (٣) في حواشي الأصل، ت، ف:

« في ديوانه »

* وَوَجْدِي بِسُعْدَى قَاتِلٌ لِي فَاعْلَمِي *

وبعده:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً
بِسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّانِدِمْ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ
بُكَاهَا، فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمْ

(٤) ديوانه: ٣٥. (٥) في حواشي الأصل، ت، ف: «يقال بثنته السر وأبثنته».

وكل هذا معنى « كاد » فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على « كاد » جحداء، فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم، ولم يكّد عبد الله يقوم؛ كان فيه وجهان:

أجودها: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى، ومثله قوله تعالى: ﴿فَدَبَّحُوا بِخُوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ [البقرة: ٧١]، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير، لأن وجدان البقرة عسر عليهم. ٥
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها، فاشترىوها من وليه بملء جلدتها ذهباً، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾، إما لأنهم لم يقفوا عليها، أو لفلاؤها وكثرة ثمنها.

والوجه الآخر في قولهم: ما يكاد عبد الله يقوم، أى ما يقوم عبد الله، وتكون لفظه يكاد على هذا المعنى مُطْرَحَةً لَا حُكْمَ لَهَا، وعلى هذا يحتمل أكثر المفسرين قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾، أى لم يرها أصلاً؛ لأنه جل وعز لما قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾؛ [النور: ٤٠]، كأن بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر؛ ﴿يَكِدْ﴾ على هذا التأويل زيدت للتوكيد، والمعنى: إذا أخرج يده لم يرها. وقال قوم: معنى الآية: إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر؛ لتكاثف الظلمة^(١)، وترادف الموانع من الرؤية؛ ﴿يَكِدْ﴾ على هذا الجواب ليست بزائدة. ١٥

وقال آخرون: معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها، لأن الذى شاهده من تكاثف الظلمات أياسه^(٢) من تأمل يده، وقرّر في نفسه أنه لا يدركها ببصره. وحكى عن العرب: أولئك أصحابي الذين أكاذ أنزل عليهم، أى أريد أن أنزل عليهم؛ قال الشاعر:

كادَتْ وَكِدَتْ وَتَلَكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى^(٣)

[١١٠]
ظ

/ أى أرادت وأردت، وقال الأفوه الأودى:

(١) ف: «الظلمات»، حاشية ت (من نسخة): «الظلم». (٢) ت، حاشية ف

(من نسخة): «آيسه». (٣) ديوانه: ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف). (٣) البيت في اللسان (كيد).

فَإِنْ تَجْمَعُ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِرٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
أى أرادوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٦] ،
أى أردنا ليوسف .

٥ وقال السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظه ﴿ يَكْدُ ﴾ زائدة في الآية قول الشاعر :
سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَاكٍ سِلَاحُهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ
أى فما إن يتنفس قرنه ، و « يكاد » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَرْعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
معناه وتكسل أن تجي فراشها ، وقال الآخر :

١٠ وَأَلَّا أَلُومُ النَّفْسِ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَلَّا أَكَادُ بِالَّذِي نَلْتُ أَنْجِحُ
أى لا أنجح بالذى نلت ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً .

وروى عبد الصمد بن المنذر بن غيلان عن أبيه عن جدّه غيلان^(١) قال : قدم علينا
ذوالرّمة الكوفة ، فأنشدنا بالكُناسة - وهو على راحلته - قصيدته الحائية؛ التي يقول فيها :

١٥ إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^(٢)

فقال له عبد الله بن شبرمة^(٣) : قد برح يا ذا الرّمة ، ففكر ساعة ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أُجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال : فأخبرت أبي بما كان من قول ذى الرّمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عيلان » ، وفيها : « وفي نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء

وسكون الفاء ، الذى يقول :

ويومٍ كظلل الرّيحِ قَصَرَ طَوْلَهُ دَمُ الزَّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ

والبيت من أبيات ثلاثة ، ذكرها أبو تمام في الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرثمة في رجوعه عن قوله الأول ، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدِّ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ؛ [طه : ١٥ -] ، فيحتمل أن يكون المعنى : أريد أخفيها لكي تجزى كل نفس بما تسعى . ويجوز أن تكون زائدة ويكون / المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو [١١١] أن يتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابي البرمجي :
هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدْتُ وليتني
تَرَكَتْ على عُثْمَانَ تَبْكِي حَالَهُ (١)

أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا ﴾ ، فمعنى أخفيها على هذا الوجه ١٠ .
أظهرها ؛ قال عبدة بن الطبيب يصف ثوراً :

يَخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهِنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلُ (٢)

أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ، وقال امرؤ القيس :

فَإِنْ تَدَفِنُوا الدَّاءَ لَا نَخِفْهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدِ (٣)

أى لا نظيره ؛ وقال النابغة :

تَخْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسَ الْكَئِيبِ تَدَاعَى التُّرْبُ فَاهْدَمَا (٤)

(١) الشعر والشراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨-٢٩٣ بشرح ابن الأنباري .

وفي حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور ، وأنه يير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل ، أى قول الرجل في يمينه إن شاء الله . وفي حواشى ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ ونقول : لم أفعل ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى القدر الذى لأحدث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فقليل السكلى شىء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا . »

(٣) مخازر الشعر الجاهلى : ١٣١ . (٤) البيت ليس في ديوانه ، وفي حاشية ت : « ولا يرى القيس

يصف فرسا أخرج البرابيع من حجرتها بعدوه :

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا
خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبِ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيءَ يعني^(١) سترته ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكانَّ القراءةَ بالضم تحتمل الأمرين : الإظهارَ والسترَ ، والقراءة بالفتح لا تحتمل غيرَ الإظهار ؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في «كاد» واحتمالها للوجه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

٥ فإن قيل : فأى معنى لقوله : إني أسترها لتُجزى كلُّ نفس بما تسعى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأي فائدة في ذلك ؟

قلنا : الوجهُ في هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا سترَ عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسنِ والتبسيح مترددة ، وإذا عرَّفنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ما أريد من المجازاة للمكلفين بسعيهم ، وإيصال ثواب أعمالهم بمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم .
١٠ فأما إذا كانت لفظة ﴿أخفيها﴾ بمعنى الإظهار فوجهه أيضاً واضح ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التكليف ليجازى كلاً باستحقاقه ، ويوفى مستحقَّ الثواب ثوابه ، ويعاقب المسيء باستحقاقه ، فوضح وجهُ قوله تعالى : ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ على المعنيين جميعاً .

١٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على جواب مَنْ أجاب في قوله : ﴿وَبَلَّغْتَ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ﴾ بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : «كاد» لا تضمر ، ولا بدَّ من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله ؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذي ذكره غير صحيح . ونظنُّ أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردَّ كل ما يأتي به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الحفاء ؛ مثل شكاني فأشكيتة » .

قتيبة، وإن تصف في الطمن عليه . والذي استبعده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمير في مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن في صريحه ؛ ألا ترى أنهم يقولون: أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ، وقال جرير :

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا^(١)
 وإنما المعنى أنهم كدوا يقتلنا؛ وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : « يُحْيِينَا قَتْلَانَا » فالأظهر في معناه أنهم لم يُزَلْنِ ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسمي هذه الأمور حياة كما سمي أضدادها قتلاً ، وقد قيل إن معنى « يُحْيِينَا قَتْلَانَا » أنهم لم يدينا قتلنا ، من الدية ، لأن دية القتل عند العرب كالحياة له ، وقد روى : « ثم لم يُحْيِينَا قَتْلَانَا » ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلان بمعنى كاد يقوم ، إذا دلت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله : « فيكون تأويل قوله : قام عبد الله ، لم يقم عبد الله » خطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كما ظن بل معنا . أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد يقوم ؛ فقد أفاد ما لا يفيد لم يقم .

(١) ديوانه: ٥٩٥ ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في هذا البيت ؛ فكان هارون يقول : « يحيين » ، وزبيدة تقول : هو : « يحين » ، بالجيم والنون ؛ فتخاطرا على ذلك بألفي دينار ، ودعوا مسرورا الخادم ، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من ببغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك ؛ فدل على الكسائي ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى ببغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرورا عليه بجياله وحشمه ؛ فتحفز له الكسائي ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه الألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأتبه وإطافة أدبه . »

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ ﴾ فعناه زاغت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ زَاغَتِ ﴾ ، أي جارت ^(١) ومالت عن القصد في النظر دهشا وتحيراً .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تُفصرون وتظهرون على عدوكم ، ومرة أنكم تبتلون وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم .
ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت ، فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر ، وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، فظن المؤمنون ما طبق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .
١٠ وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها .

(١) ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا: ٩] .
فقال: إذا كان السُّبَات هو النوم ؛ فكأنه قال: وجعلنا نومكم نوماً ، وهذا مما لا فائدة فيه .
الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

منها أن يكون المراد بالسُّبَات الراحة والدَّعة ، وقد قال قوم : إنَّ اجتماع الخلق كان في
يوم الجمعة ، والفراغ منه في يوم السبت ، فسُمِّيَ اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ؛ ولأن الله
تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال ؛ قيل : وأصل السُّبَات التمدُّد ؛ يقال :
سَبَّتَ المرأةُ شعرَها إذا حَلَّتْهُ من العُقْص وأرسلته ، قال الشاعر :
وإنَّ سَبَّتَهُ مالَ جَثَلًا كأنَّهُ سَدَى واهلَاتٍ مِن نِوَسِجٍ خَشَمًا^(١)
أراد : إن أرسلته .

ومنها أن يكون المراد بذلك القَطْع ؛ لأن السبَّت القَطْع ، والسبَّتُ أيضا الحَلْق ؛ يقال : ١٠
سَبَّتَ شعره سَبَّتًا إذا حَلَقَهُ ، وهو يرجع إلى معنى القَطْع ، والنعال السَّبَّيَّة التي لا شعر
عليها ؛ قال عنتره :

بَطَلٍ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ ، يُحْدَى نَعَالَ السَّبَّتِ ، لَيْسَ بَتَوْءَمَ^(٢)

(١) الجنل من الشعر : ما كثف واسود ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « شبه شعرها في وقت
الإرسال بسدى ثياب مسترخيات مرسلات . والنواسج : جمع ناسجة ، وخنم : قبيلة » .

(٢) المعلقة : ١٩٩ - بشرح التبريزي ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « السرحة : شجرة طويلة ، يصفه
بالطول . وأراد بقوله : « يحذى نعال السبت » أنه من الملوك ؛ لأن نعال السبت نعال الملوك . والسبت :
شيء يشبه القرظ ، تدبغ به النعال ؛ ووصفه بالشدة والقوة في قوله : « ليس بتوءم » ، لأنه إذا لم يكن معه نوع
كان أقوى وأتم خلقة » .

[١١٢]

ط

/ ويقال لسكل أرض مرتفعة منقطعة ممّا حولها : سَبْتَاء ، وجمعها سَبَاتِي ، فيكون المعنى على هذا الجواب : حماننا نومكم سُبَاتًا ، أى قَطْعًا لأعمالكم وتصرفكم . ومَنْ أَجَابَ بهذا الجواب يقول : إنما سُمِّيَ يوم السبت بذلك لأنَّ بدء الخلق كان يوم الأحد ؛ وُجِعَ يومَ الجمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

• وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة : إنَّ الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد ، فكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ في يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إنَّ الابتداء كان في يوم الاثنين إلى السبت ، وفرغ في يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

١٠ فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان في يوم السبت ، وانصل إلى الخميس ، وجُمِلت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسَمَّى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِعَ فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد رَوَى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « إنَّ الله تعالى خلق التُّرْبَةَ ^(١) في يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أننا جعلنا نومكم سُبَاتًا ليس بموت ؛ لأنَّ النَّائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرةً يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنَّ علينا بأنَّ جعلنا نومنا الذي تضاهى فيه بعضُ أحوالنا أحوال الميت ليس بموتٍ على الحقيقة ، ولا بمخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيّد بذكر المصدر قائماً مقامَ نفي الموت ، وساداً مسدّ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أن السُّبات ليس هو كل نوم ؛ وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، و السُّبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « البرية » .

السكون^(١)، ولهذا يقال فيمن وُصِفَ بكثرة النوم إنه مَسْبُوت ، وبه سُبَات ؛ ولا يقال ذلك في كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ بجرى أن يقول: وجعلنا نومكم نوماً .

والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً - ظاهراً ، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يَكْسِبَان^(٢) شيئاً من الراحة ؛ بل يصحبهما^٥ في الأكثر التقات والازعاج ، والمهموم / هي التي تقلل النوم وتزّره ، وفراغ القلب ورخاء^[١١٣] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ، ويقول: إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده ؛ لأنَّ الراحة لا يقال لها: سُبَاتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ^(٣) الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويعتمد على ١٠ الجواب الذي ثنينا بذكره ، ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سَبَتِ المرأةُ شعرها: إن معناه أيضاً القطع ، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشداد الذي كان مجموعاً به وقطعه . والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يَقْدَحُ في جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنكَرُ أن يكون السباتُ هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصف كل راحة بأنها سُبَاتٌ ، ويكون هذا الاسم يخص^(٤) الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء ، ١٥ وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم: سَبَتَ الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أنَّ السُبَاتَ لا يكون اسماً للراحة عند النوم ؛ والذي يَبْقَى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ، ويستشهد على ذلك بشعريٍّ أو لغيٍّ ، فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .

(١) حاشية (من نسخة) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يكسبان » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سبت » ، بالبناء للمجهول .

(٤) من نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « يختص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرقُ بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بين ، لأن ابن قتيبة جعل السُّبَاتَ نفسَه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبَاتَ من صفات النوم ، والراحة واقعةً عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَّتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشيء لا يسمَّى بما يقع عنده حقيقة ، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبَاتِ^(١) ، وليس السبات إياها بعينها ؛ على أن في الجواب الذي اختاره ابن الأنباري ضرباً من الكلام ؛ لأنَّ السَّبَّتَ وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسَمَّعَ فيه البناء الذي ذكره وهو السُّبَاتَ ، ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ^(٢) عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورد من أي وجه ؛ إذا كان [١١٣] السبب هو القطعُ جاز أن يقال سُبَاتَ على هذا المعنى ؛ ولم نره فعل / ذلك .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن قال قائل : ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « إن الميت ليعذب ببكاء الحمى عليه » ، وفي رواية أخرى : « إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه » ، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ » .

الجواب ، إننا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبْحَ مؤاخذه أحد بذنب غيره ، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها .

والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها - إن حجت روايتها - أنه إذا أوصى موصٍ بأن ينوح

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال ابن دريد : السبات : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهري : السبت والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبت يسبت ، بالضم . »
(٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « سماع » .

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنياحه عليه؛ وليس معنى يعذب بها أنه يؤخذ بفعل النوح ، وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعالها ، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ، ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ؛ قال طرفة بن العبد :

فإن مُتْ فأنعيني بما أنا أهلهُ وشُقِّي على الجيبِ يا أمَّ معبدٍ (١)

وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة (٢) :

فمن يك سائلاً عن بيتِ بشرٍ فإنَّ له يجنبُ الرِّدَّهَ باباً (٣)
ثوى في مُلجِدٍ لا بدَّ منهُ كفى بالموتِ نأياً وأغتراباً (٤)
رهينُ بلى وكلُّ فتى سبيلي فأذرى الدَّمعَ وانتحى انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال : وهل (٥) ابنُ عمر ، إنما مرَّ رسول الله ١٠ صلى الله عليه وآله على يهودى فقال : « إنكم لتبكون عليه ، وإنه كيعذب في قبره » . وقد روى إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها قالت لما أخبرت بروايته : وهل أبو عبد الرحمن كوهل يوم قليب بدر ، إنما قال عليه السلام : « إن أهل الميت ليكون عليه ، وإنه كيعذب بجُرْمه » /

[١١٤]

(١) المعلقة ٩٦ - بشرح التبريزى . والرواية فيها :

* وشُقِّي على الجيبِ يا ابنة معبدٍ *

(٢) مختارات ابن السجري ٢ : ٣٢ ؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعمه غلام من بني وائلة

بسم فأثخنه ، ومطلمها :

أسألهُ عميرةُ عن أبيها خلال الجيشِ تعترِفُ الرِّكاباً

(٣) الردة : جمع ردهة ؛ وهى نقرة فى صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) فى مختارات ابن السجري :

« هوى فى ملجده » . (٥) فى حواشى الأصل ، ت ، ف ، قال أبو زيد : وهلت [بكسر الهاء]

فى الشئ وعنه أوهل وهلا [بفتحين] إذا غلظت فيه ، وهلت [بفتح الهاء] إلى الشئ أهل وهلا

[بسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه ، وهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحين] : فرعت .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : معنى « وَهَلَ » أى ذهب وهمه إلى غير الصواب ، يقال وَهَتْ إلى الشئ ، فأنا أَهْلٌ وَهَلًا إذا ذهب وهمك إليه ، وَوَهَّاتُ عَنْهُ أَهْلٌ وَهَلًا ، أى نسيته وغلِطت فيه ، وَوَهَّلَ الرَّجُلُ بَوَهْلٍ وَهَلًا إذا فَرَعَ . وَالْوَهْلُ : الفزع .

فأما « الْقَلِيبُ » فهى البئر ، واجمع القلب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من

المشركين :

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا
قَدْ فَتَاهُمْ كِبَا كَبٌ فِي الْقَلِيبِ^(١)
وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين :

فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ
مِنَ الْقَيْمَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ^(٢)
مِنَ الشَّيْزَى يُكَلِّلُ بِالسَّنَامِ^(٣)

١٠

ومعنى وَهَلِهَ فى ذكر الْقَلِيبِ أنه روى أن النبى صلى الله عليه وآله وقف على قَلِيبِ بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ » ثم قال : « إنهم ليسمعون ما أقول » ، فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق » ، واستشهد بقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ ؛ [النمل : ٨٠] . وأهل الْقَلِيبِ جماعة من قريش ؛ منهم عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم .

١٥

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلى بمكة وأناس من قريش فى حلقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدكم أن يأتى الجزور التى نحرها آل فلان ، فيأخذ سلاعا ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فأنبت أشقى القوم - وأنا أنظر إليه - فجاوبه حتى وضعه على ظهره ، قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ منعة لمنعته . وجاءت فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صبابة حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رءوسهم فأوسعهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك ، حتى إنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك ، فلما

٢٠

(١) ديوانه : ١١-١٢ . الكباكب : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ب (من نسخة) :

• من الفتيان • . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الجفان ، وهو الأبنوس .

سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بَفْلَانٍ وَفِلَانٍ » ، فَلَمَّا رَأَوْا [١١٤] ^ظ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدِ دَعَا عَلَيْهِمْ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَمَّى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا إِلَّا وَقَدِ رَأَيْتُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدِ أَخَذَ بَرَجْلَهُ يُجَرُّ إِلَى الْقَلْبِ
مَقْتُولًا .

وقوله : « فَيَأْخُذُ سَلَاهَا » أَي جَلَدْتَهَا الَّتِي فِيهَا وَلَدُهَا مَا دَامَ فِي بَطْنِهَا ، وَالْجَمِيعُ ^(١) ٥
الْأَسْلَاءُ ؛ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ ^(٢) : الْأَسْلَاءُ الَّتِي فِيهَا الْأَوْلَادُ ، قَالَ الْأَخْطَلُ :
وَيَطْرَحُنَ بِالثَغْرِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا يُشَقِّقُنَ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ ^(٣)
وقال الشَّامِيُّ :

وَالعَيْسُ دَامِيَةُ الْمَنَاسِمِ ضَمْرًا يَقْدِفُنَ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ ^(٤)
قال الفراء . سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَأَسْقَطِ لَفْتَانِ ، وَهِيَ بَغِيرُ أَلْفٍ كَثِيرٍ وَأَجُودٌ . ١٥
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ : « يَمْدَبُ بِيكَا ، أَهْلُهُ عَلَيْهِ » وَجِهٌ آخَرٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَعْلَمَهُ بِيكَا ، أَهْلُهُ وَأَعَزَّائِهِ عَلَيْهِ وَمَا لِحَقْمِهِمْ بَعْدَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ تَأَلَّمَ بِذَلِكَ ؛
فَكَانَ عَذَابًا لَهُ ؛ وَالْعَذَابُ لَيْسَ بِجَارٍ جَرَى الْعِقَابِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ مُتَقَدِّمٍ ؛
بَلْ قَدْ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا بِحَيْثُ يُسْتَعْمَلُ الْأَلَمُ وَالضَّرَرُ ؛ الْأَتْرَى أَنْ الْقَائِلَ قَدْ يَقُولُ لِمَنْ ابْتَدَأَ
بِالضَّرَرِ وَالْأَلَمَ : قَدْ عَذَّبْتَنِي بِكَذَا وَكَذَا ؛ كَمَا يَقُولُ : أَضْرَرْتَ بِي وَآلَتَنِي ؛ وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ١٥
الْعِقَابُ حَقِيقَةً فِي الْأَلَمِ الْمُبْتَدَأَةِ مِنْ حَيْثُ كَانَ اشْتِقَاقُ لَفْظِهِ مِنَ الْمَعَابَةِ ، الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ
سَبَبِ لَهَا ، وَلَيْسَ هَذَا فِي الْعَذَابِ .

(١) ف : « الجمع » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « محمد بن حبيب القنوي » ، وحبیب
أمه ؛ وكان ولد ملاءنة فلا يندب إلى أبيه » . (٣) ديوانه : ٢٠ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف :
الثغر : موضع الخفاة ؛ ويمكن أن يريد به هاهنا موضعا بعينه ؛ يصف الإبل بالسكد والجهد ؛ حتى طرحت
أولادها وأسلأها مشقوفة ؛ وشبهه الأسلاء في حال انشقاقها عن السخال بأرديه من برود اليمن .
(٤) لم يرد البيت في ديوانه وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العيس : الإبل البيض . والناسم : مقدمة
الحف . والأركب : جمه ركب ، والركب : جمه ركبة ؛ ويمكن أن تكون الأركب بمعنى الركبان » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ أَخْرَدَ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة ، ويُنجيه من النار » ، قيل : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : « ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ، يقولها ثلاثا .

فقال : أو ليس في هذا دلالة على أن الله تعالى يتفضل بالثواب ، وأنه غير مستحق عليه ؟
 ٥ ومذهبكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ قَرَرِ السَّكَّانِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَحَاجَتِهِمْ إِلَى أُلْطَافِهِ وَتَوْفِيقَاتِهِ وَمَعُونَاتِهِ ، وَأَنَّ الْعَبْدَ لَوْ أَخْرَجَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَقَطَعَ اللَّهُ تَعَالَى مَوَادَّ الْمَعُونَةِ . [١١٥] وَاللَّطْفَ عَنْهُ لَمْ يَدْخُلْ / بِعَمَلِهِ الْجَنَّةَ ، وَلَا نَجَا مِنَ النَّارِ ؛ فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ أَنْ أَحَدًا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ الَّذِي لَمْ يُعْمَلْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَلَا لَطْفَ لَهُ فِيهِ ، وَلَا أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لاشِبْهَةٌ فِيهِ ؛ فَأَمَّا الثَّوَابُ فَمَا نَأْبَى الْقَوْلَ بِأَنَّهُ تَفَضَّلَ ؛ بِمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَفَضَّلَ بِسَبَبِهِ الَّذِي هُوَ التَّكْلِيفُ ، وَلِهَذَا نَقُولُ : إِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ ابْتِدَاءً ، وَإِنَّمَا يَجِبُ عَلَيْهِ مَا أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَالثَّوَابُ مِمَّا كَانَ أَوْجِبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّكْلِيفِ ؛ وَكَذَلِكَ التَّمَكِينُ وَالْإِلْطَافُ ، وَكُلُّ مَا يَجْلِبُهُ وَيُوجِبُهُ التَّكْلِيفُ ، وَلَوْلَا إِجْبَابُهُ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّكْلِيفِ لَمَا وَجِبَ .
 فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ سَمِيَ الرَّسُولُ مَا يُفَعَّلُ بِهِ فَضْلاً فَقَالَ : « إِلَّا أَنْ يَتَّغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » ، قَلْنَا هَذَا يَطْبُقُ مَا ذَكَرْنَاهُ ، لِأَنَّ الرَّحْمَةَ النِّعْمَةَ وَالثَّوَابَ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يُفَضَّلُ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَإِنْ حَمَلْنَا قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ » عَلَى مَا يُفَعَّلُ بِهِ مِنَ الْأُلْطَافِ وَالْمَعُونَاتِ فَهِيَ أَيْضاً فَضْلٌ وَتَفَضُّلٌ لِأَنَّ سَبَبَهَا غَيْرٌ وَاجِبٌ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « يَتَّغَمَّدَنِي » فَمَعْنَاهُ يَسْتَرِنِي ، يُقَالُ غَمَدْتُ السِّيفَ فِي غِمْدِهِ إِذَا سَتَرْتُهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ : هَوْرَانُ بَعْدَ كَمَا فِي الْمَاءِ الْكَبِيرِ ١١٠٢ / ٢ رَدِيوَانَهُ

٢٠ نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ كَطَلِّ السَّمَاءِ ، كُلَّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

فألجَدَّ هاهنا : الحظ ، وشبَّه ما قَسَمَ لعاصر من الغَابَةِ والظفر بظلِّ السماء الذي يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ ، ويظهر عليه .

أخبرنا أبو القاسم عُبَيْدُ اللَّهِ بنِ عُمَانَ بنِ يَحْيَى بنِ جَنَيْقًا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحَكِيمِيُّ قراءة عليه قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحويّ قال أخبرنا ابن الأعرابي قال : يقال للقوم إذا دعوت عليهم : بَهْرَهُمُ اللَّهُ ، والمبهور هو المكروب ، وأنشدنا :

أَبْرُزُوهَا مِثْلَ الْمَهَادِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أُنْرَابِ (١)
مُهمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ (٢)

قال سيدنا أدام الله أيامه : وقد قيل في معنى قوله : « بَهْرًا » غير هذا الوجه .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا القاسم بن ١٠ إسماعيل / قال حدثنا التّوزيُّ عن أبي عمرو الأسديّ قال سمعت أبا عمرو بن الملاء يقول : عمر [١١٥] ابن إِبْرِيْمَةَ حِجَّةً فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَمَا أَخَذَ عَلَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا قَوْلَهُ :

* مُهمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا *

وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام ، كأنهم قالوا : أنت تحبها ؛ على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام ، فوكّد هو إخبارهم بجوابه ، فهذا حسن . و« بَهْرًا » يجوز أن يكون أراد : ١٥ نعم حبًّا بَهْرَنِي بَهْرًا ، ويكون أيضًا بمعنى « عَقْرًا وَتَعَسًّا » ، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يُجْهَلُ مثله ، وأنشد أبو عمرو :

(١) من قصيدة في الديوان ، مطلعها :

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ ما بي : أَتُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتِ الرِّبَابِ ؟

(٢) ف ، ومن نسخة بجا شيتي الأصل ، ت : « عدد القطر » ، وفي الديوان : « عدد النجم » . و« بهرا » : مصدر بمعنى الغلبة ؛ وكأنه قال : غلبني حبها واستولى عليّ .

لِحَا اللهُ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ ، بَهْرًا لَهْمُ بَعْدَهَا بَهْرًا^(١)
قال أبو عمرو: ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً »؛ يريد حباً ظاهراً، من قولهم: قمرٌ باهرٌ،
وقد روى بعض الرواة أنه قال :

* قيل لي: هل تحبها؟ قلت: بهراً *

و الرواية الأولى هي المشهورة ، ولعلَّ مَنْ روى ذلك فرَّبَ بهذه الرواية من اللحن .
وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة الخزومي ، من جملة أبيات منها :

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّاءِ بَأْنِي ضِيقُ ذُرْعًا بِهَجْرِهَا وَالكِتَابِ^(٢)
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الخَدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي مُجَاغَةَ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَأَوْهَا بِمَا يَحْمِلُ اغْتِصَابِي
أَرْهَقْتُ^(٣) أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَّيْتُهَا مُهْجَتِي ، مَا لِقَانِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا : أَحِبِّي ، فَقَالَتْ : مَنْ دَعَانِي ؟ قَالَتْ : أَبُو الخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الهَامَةِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَثْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا : نُحِبُّهَا ؟ قَالَتْ : بَهْرًا عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى وَالثَّرَابِ

والثرياء هي التي عنها عُمرُ أموية ، وقد اختلف في نسبها ، فقيل : إنها الثرياء بنت عبد
الله بن الحارث بن أمية الأصغر . أبو عبد شمس ، وقيل : إنها الثرياء بنت علي بن عبد الله بن
الحارث بن أمية الأصغر . وذكر الزبير بن بكار أن الثريا هي بنت عبد الله بن محمد

(١) البيت لابن ميادة ، وهو في اللسان (بهر) ، والرواية فيه :

* تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَبِيعُونَ مُهْجَتِي *

وفي حواشي الأصل ، ت ، ب : « قوله : « بهراً لهم بعدها بهراً » يجوز أن يكون الضمير في
« بعدها » للجارية ؛ ويكون قد كرر « بهراً » ، ويجوز أن يكون الضمير « لبهراً » الأولى ؛ أي بهراً
لهم بعدها بهراً ؛ وإنما أنت لأنها كلمة ، ونسكون الجملة التي هي « بعدها بهراً » في موضع الصفة لبهراً
الأولى ، ويجوز أن يكون الضمير للفتلة ؛ أي البيعة . (٢) في حاشيتي ت ، ب : « أي امتناعها من
الكتاب إلى ، وقيل : هو يخلف بالصحف » . (٣) ت ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ب : « أرهقت » .

ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي^(١) الذي قتله داود بن علي .

وأخبرنا أبو عبيد الله / قال حدثني محمد بن عبد الله^(٢) قال حدثنا أحمد بن يحيى [١١٦] و
عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرني بلال ، مولى ابن أبي عتيق في
حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سمع ابن أبي
عتيق قول عمر :

* من رسولي إلى الثريّا بأني *

قال : إياي أراد : وبني نوءه ، لا جرم ! والله لا أذوق أكلا حتى أشخص إليه لأصلح
بينهما ، فنهض ونهضت معه ، فجاء قوماً من بني الدليل بن بكر ، لم تكن الفجائب تفارقهم
يكرونها فاكترى منهم راحلتي ، وأعلى لهم بهما ، فقلت له : استوضّعهم شيئاً ، أو دعني
أما كدّهم فقد اشتطوا ، فقال لي : ويحك ! أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام !
وركب إحداها ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت له . ارفق على نفسك ، فإن
ما تريد لا يفوتك ، فقال : ويحك !

* أبادر حبل الودان يتقضبا *

وما ملح الدنيا إن ييم الصدع بين عمر والثريا ! فقدمنا مكة ليلا غير محرّمين ، فدق على
عمر باب ، فخرج إليه فسأتم عليه ، فأنزل ابن أبي عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أصلح
بينك وبين الثريّا ، فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معه ، فقدمنا الطائف ، فقال ابن
أبي عتيق للثريّا : هذا عمر ، قد جشمتني إليك سفر المدينة ، فجئتك به ، معترفاً بذنب لم يجنّه ،
معتذراً من إساءتك إليه ، فدعيني من التمداد والترداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا
يفعلون ؛ فصالحته أحسن صالح ، وكررت أراجمين إلى المدينة ، ولم يُقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .

(١) في حاشيتي ت ، ف : « عبلة : اسم جارية ؛ وأمّية الصغرى ، وهم حي من قريش ؛ يقال لهم :

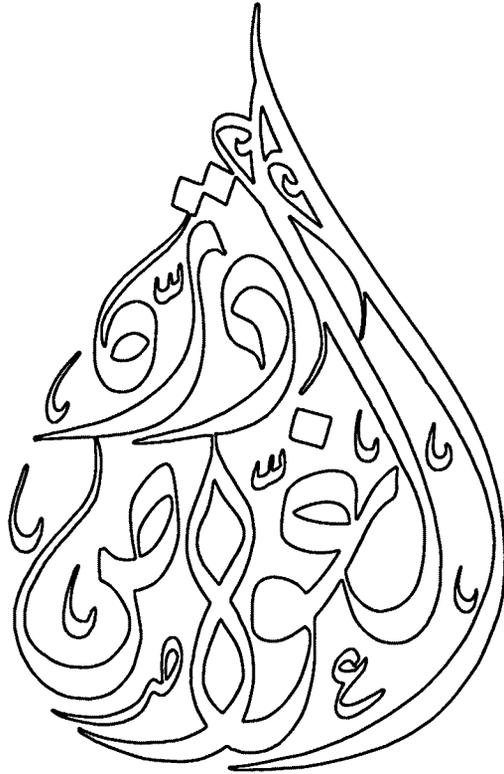
العبلات ؛ بالتحريك ، والنسبة لإيهم عبلي [بسكون الباء] رداً إلى الواحد لأن أهم عبلة .

(٢) ت : « محمد بن إبراهيم » ؛ وهو من رواية المرزبانى أيضاً ، وانظر الموشح : ٤٥ .

وفي الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوّجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف؛ المكتنى بأبي

الأبيض، وقيل بل تزوّجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ! (١)
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي



مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾؛ [طه : ٧٨] .
فقال: ما الفائدة في قوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾، وقوله: ﴿غَشِيَهُمْ﴾ يدل عليه ، ويُستغنى به
عنه ، لأن ﴿غَشِيَهُمْ﴾ لا يكون إلا الذي غشيهم ، وما الوجه في ذلك ؟

قلنا : قد ذكر / في هذا أجوبة :

[١١٦]

أحدها أن يكون المعنى : فغشيهم من اليمِّ البعض الذي غشيهم ، لأنه لم يغشهم جميع
مائه ، بل غشيهم بعضه ، فقال تعالى: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ ؛ ليبدل على أن الذي غرقهم بعض الماء ،
وأنتهم لم يغرقوا بجميعة ؛ وهذا الوجه حكي عن الفراء ، وذكره أبو بكر الأنباري ، واعتمده ،
وغيره أوضح منه .

واليم هو البحر ، قال الشاعر :

١٠ وبنى تبّع على اليمّ قصراً
عالياً مُشرفاً على البُنْيَانِ

وثانيها أن يكون المعنى : فغشيهم من اليم ما غشى موسى وأصحابه ؛ وذلك أن موسى عليه
السلام وأصحابه ، وفرعون وأصحابه سلكوا جميعاً البحر ، وغشيهم كلهم ؛ إلا أن فرعون وقومه
لما غشيهم غرقهم ، وموسى عليه السلام وقومه جعل لهم في البحر طريق يبس ، فقال تعالى :
فَغَشِيَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ مَا غَشِيَ مُوسَى وَقَوْمَهُ ، فَنَجَّاهُمْ هَؤُلَاءِ ، وَهَلَكَ هَؤُلَاءِ .

١٥ وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهماء في قوله: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ كناية عن غير من كنى
عنه بقوله: ﴿فَغَشِيَهُمْ﴾ ؛ لأن الأولى كناية عن فرعون وقومه ، والثانية كناية عن موسى
وقومه .

وثالثها أنه غشيهم من عذاب اليم وإهلاكهم ما غشى الأمم السالفة من العذاب

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على رد أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة؛ وإن لم يفشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر، فقد غشيتهم عذاب وإهلاك استحققهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبةً على التكذيب .

٥ ورايمها أن يكون المعنى: فغشيتهم من قبل اليم ما غشيتهم من المطب والهلاك؛ فتكون لفظة ﴿ غَشِيَتْهُمْ ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والمطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها، يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ، وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿ مَا غَشِيَتْهُمْ ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه؛ كما يقول القائل: فعل فلان ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى: ﴿ وَفَعَلَتْ فَعَلَّتَكَ [١١٧] الَّتِي فَعَلَتْ ﴾ ؛ [الشعراء: ١٩] ، وما يجرى / هذا المجرى ؛ ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل: هذا هذا، وأنت أنت . وفي القوم: هم هم ؛ قال الهذلي^(١):

رَفَوْنِي وَقَالُوا: يَا خُوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقُلْتُ، وَأُنْكَرْتُ الْوُجُوهُ: هُمُ هُمُ^(٢)
وقال أبو النجم:

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ، وَسِمْرِي شِعْرِي^(٣) *

١٥ كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره :

(١) هو أبو خراش الهذلي . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفونى : سكنونى ، وأصلها :

« رفونى » ، بالهمز . (٣) معاهد التنصيص ، وبعده :

* لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِينُ صَدْرِي *

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ [النحل: ٢٦] فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؟ وَهُوَ لَا يَفِيدُ إِلَّا مَا يَفِيدُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾؛ لِأَنَّ مَعَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ لَا يَذْهَبُ وَهْمٌ أَحَدٍ إِلَى أَنَّ السَّقْفَ يَخِرُّ مِنْ تَحْتِهِمْ؟

الجواب ، قيل له في ذلك أجوبة :

أولها : أن يكون « على » بمعنى « عن » ، فيكون المعنى : فخر عنهم السقف من فوقهم ؛ أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته ، كما يقول القائل : اشتكى فلان عن دواء شربه ، وعلى دواء شربه ، فيكون « على » و « عن » بمعنى من أجل الدواء ؛ كذلك يكون معنى الآية فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم ؛ قال الشاعر :

١٠ أَرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ

أراد : أرمي عنها ؛ لأن كلام العرب : رميت عن القوس ، فأقام « على » مقام « عن » ، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى : ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ ، ولم يقل ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته .

وثانيها : أن يكون « على » بمعنى اللام ؛ والمراد : فخر لهم السقف ؛ فإن « على » قد تقام

١٥ مقام اللام ؛ وحكى عن العرب : ما أغيظك على ! وما أغمك على ! يريدون : ما أغيظك ، وما أغمك لي ! ، قال الطرّمّاح يصف ناقة :

كَأَنَّ مُخَوَّأَهَا عَلَى تَفْنَانِهَا مُعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجِنَانِ (١)

(١) ديوانه : ١٦٨ . يقال : خوى البعير ؛ إذا تجافى في بروكه . ويمكن لتفنانه ، وانثفات : جمع تنفة ؛ وهو من البعير ركبته ، وماس الأرض من كركرته وأصول أفضاخه ، والمعيس : محل التعريس ، وهو النزول :-

أراد: وُقِعَتْ على الجناجن ؛ وهى عظام الصدر ، فأقام اللام مقام «على» .

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ على فلان دارُهُ ، واستهدم عليه حائطُهُ ، ولا يريد أنه كان تحتَه ؛ فأخبر تعالى بقوله : ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ عن فائدةٍ ؛ لولاه ما فهمت . ولا جاز أن يتوهم مُتوهمٌ في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرب عليه رَبعُهُ ، ووقفتْ عليه دابَّتُهُ ، وأشباه ذلك .

[١١٧] وللعرب في هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظه «على» في مثل هذا ^ط الموضوع إلا في الشرِّ والأمر المكروه الضارِّ ، ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عمَّرتْ على فلان ضيعتُهُ ، بدلا من قولهم : خربتْ عليه ضيعته ، ولا ولدتْ عليه جاريتُهُ ؛ بل يقولون : عمَّرتْ له ضيعته ، وولدتْ له جاريتَهُ ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال على» ؛ و «روى على» ؛ فإنه يقال في الشرِّ والكذب ، وفي الخير والحق ؛ يقولون : «قال عني» و «روى عني» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَىٰ مَلَكٍ سَلِيمٍ ﴾ ؛ [البقرة : ١٠٢] ، لأنهم لما أضافوا الشرِّ والكفر إلى ملك سليمان حسن أن يقال : «يتلون عليه» ، ولو كان خيرا ل قيل عنه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ٧٥] ، وقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا آتَاكُمْ مِنْهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ؛ [يونس : ٦٨] ؛ وقال الشاعر (١) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِي لِيَجِيَّ فقال : غَشَشْتَنِي ، وَالنَّصِيحُ (٢) مُرٌّ
ومابى أن أكون أعيبُ يجي ويجي طاهرُ الأخلاقِ برُّ

= آخر الليل . وفي حاشية الأصل : «بمعنى كأن تجاوب أعضائها التجافية عند البروك معرس خمس أنوق» ؛
والبيت برواية القائل (الأمالى ٣ : ١٦٥) :

لَهَا زَفِرَاتٌ تَحْتَهَا وَقَصَارَهَا عَلَى مَشْرَةٍ لَمْ تَعْتَلِقْ بِالْمُحَاجِنِ

(١) في حواشى الأصل ، ت ، ف : «كان رجل من بني حنيفة يقال له يجي ، يجي إلى امرأة يقال لها بقاء في قرية من قرى اليمامة ، فنهاه ابن أرواة الأعرجى عنها ، فلم يقبل إلى أن رصد لجرح ، فقال الأعرجى : عرضت ... الأبيات .» (٢) الأبيات في السكامل ١ : ١٥٨ - بشرح المرصني .

ولكن قد أتاني أن يحيى يقال عليه في بقاء شره^(١)
 فقلت له : تجنب كل شيء يُعاب عليك ، إن الحرَّ حُرٌّ
 ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنيسة الفيل - وقد كان يتتبع شعره
 ويخطئه ويلجئه :

لقد كان في معدان والفيل زاجرٌ لعنيسة الراوي على القصائد
 فقال : « على » ولم يقل : « عنى » للمعنى الذي ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون ﴿ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ تاء كيداً للكلام وزيادة في البيان ، كما قال تعالى :
 ﴿ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ؛ [الحج : ٦ :] ، والقلب لا يكون إلا في
 الصدر ؛ ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة^(٢) .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بقاء في البيت : اسم امرأة . وبقاء : ماء بالبادية ، قالت
 امرأة من العرب :

وَمَنْ يَهْدِي مِنْ مَاءٍ بَقَاءَ شَرِبَةٌ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءِ لَيْنَةٍ أَرْبَعًا
 لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِبَقَاءِ أَنْبِي رَأَيْتُ مَطَايَانًا بِلَيْنَةٍ ظُلَمًا
 فَمَنْ مُبْلِغٌ أُخْتِي بِالرَّمْلِ أَنْبِي بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ بَيْنِي مَدَمَعًا !

- بقاء ماؤها زعاق ، وماء لينة عذب ، وإنما تشكو لينة؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عين ،
 فذلك قولها :

* رَأَيْتُ مَطَايَانًا بِلَيْنَةٍ ظُلَمًا *

ومثله :

تَظَلَّ الطَّيَّاءُ حَائِدَاتٍ عَنِ الْهَدْيِ إِذَا مَا الطَّيَّاءُ لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَمَاحِهِ ﴾ ،
 وقوله عز من قائل : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: « إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم؛ وإن أصفر البيوت لجوف»^(١) أصفر من كتاب الله تعالى» فقال: ما تأويله؟ وكيف بيان غريبه؟ .

[١١٨] الجواب؛ قلنا: المأدبة في كلام العرب هي الطعام، يصنعه^(٢) الرجل ويدعو / الناس إليه؛ فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائده عليه إذا قرأه وحفظه؛ بما يناله الدعوى من طعام الداعي وانتفاعه به؛ يقال: قد أدب الرجل يأدب فهو أدب؛ إذا دعا الناس إلى طعامه. ويقال للمأدبة المدعاة؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضاً: مأدبة، بفتح الدال؛ قال طرفة:

نَحْنُ فِي الْمَشَقَةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْآدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ^(٣) ١٠

ومعنى «الجفلى» أنه عمّ بدعوته ولم يخصّ بها قوماً دون قوم، والنقري إذا خصّ بها بعضاً دون بعض، ومعنى «ينتقر» من النقري؛ قال بعض هذيل:

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمَثْرِينَ دَاعِيهَا^(٤)

لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرَى أَفَاعِيهَا

١٥ معنى «يصلى بالفرث جازرها» أن الجازر إذا شقّ فيها الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به. ومعنى: «يختصّ بالنقري المثرين داعيها»؛ أنه يخصّ بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهتهم في الكفاة، وقال الآخر:

(١) حاشية ت (من نسخة): «بيت». (٢) ت: «يصنعه».

(٣) ديوانه: ٦٨: ٤) البيتان من مقطوعة في (ديوان المهديين ٣: ١٢٦)، منسوبة إلى جنوب

في رثاء أخيها عمرو ذي الكلاب.

قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبَةٌ فَكَلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

وقال الهذلي^(١) يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفِ وَكْرِهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ^(٢)
أراد جمع مأدبة .

وقدرُوى هذا الحديث بفتح الدال «مأدبة»، وقال الأحرر : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو

المرادبها مع الضم .

وقال غيره : المأدبة ، بفتح الدال « مَفْعَلَةٌ » من الأَدَب ؛ معناه أن الله تعالى أنزل القرآن

أدبًا للخلق ، وتقويمًا لهم ، وإنما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة ، والقرآن مذكّر ، لمعنى المبالغة ؛
كما قالوا : هذا شراب مطيِّبةٌ للنفس ؛ وكما قال عنتره :

* وَالْكَفْرُ مَحْبِثَةٌ لِأَنْفُسِ الْمُنْعِمِ^(٣) *

١٠

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ علامةٌ ونسابةٌ / في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨]

ورجل هلباجة^(٤) في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وليمة ،

ولطعام الخِتان : العذيرة ، ولطعام الزفاف : العرس ، ولطعام بناء الدار : الوكيرة ، ولطعام

حَلَقِ^(٥) الشعر : العقيقة ، ولطعام القادم من السفر : النقيمة ، ولطعام النفاس : الخرس ،

١٥

والذى تُطعمه النفساء : الخرساة ، قال الشاعر :

إِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ يَبْكُرْهَا غَلَامًا وَلَمْ يُسْكِتْ بِحِثْرِ فَطِيمُهَا^(٦)

الحِثْرُ : الشيء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صخر النقى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥ ، والقسب : التمر اليابس يتغنت في الفم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ - بشرح التبريزي ؛ وصدوره :

* نَبِثْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَأْ كَرٍ نِعْمَتِي *

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكل . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « بنحتر » والبيت للأعلم الهذلي ؛ كما في اللسان (خرس - حتر) ، وهو أيضا في المقابيس

٢ : ١٦٧ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « كأنه يصف سنة ، وأن النفساء النفوسة بالبكر الغلام

لاخرس ، ولا يسكت فطيمها بأذن شيء » .

كَلَّ الطَّعَامِ تَشْتَهَى رَبِيعَهُ الخُرْسُ وَالْإِعْدَارُ وَالنَّقِيعَةُ^(١)
ويروى: «العُرْسُ». ويُشَدُّ أَيْضًا فِي النَّقِيعَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقَدَامِ^(٢)
والقدار: الجزار. والقُدَامُ: جمع قادم.

وقال أبو زيد: يقال لطعام الإملاك: النَّقِيعَةُ، ولطعام بناء الدار: الْوَكِيرَةُ، ولطعام
الْخِتَانِ: الْإِعْدَارُ وَالْعَدِيرَةُ.

وقال الفراء: الشُّنْدُخِيُّ^(٣): طعام الإملاك، والوليمة: طعام العُرْسِ.

وقال أبو زيد: يقال من النَّقِيعَةِ نَقَعْتُ. وقال الفراء: مِنْهَا أَنْقَعْتُ.

وقال ابن السَّكِّيتِ: يقال للطعام الذي يُتَمَلَّلُ بِهِ قُدَامَ الْغَدَاءِ؛ السَّافَةُ وَاللُّهْنَةُ؛ يقال:

١٠ الْأَصْمَى: فُلَانٌ لَهْنَوَاضِيفِكُمْ، أَيْ أَطْعَمُوهُ اللَّهْنَةَ، قال الشاعر:

عُجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْقَلٌ طَعَامُهَا اللَّهْنَةُ أَوْ أَقْلٌ^(٤)

وقال ابن السَّكِّيتِ: يقال فلان يأكل الوزْمَةَ إِذَا كَانَ يَأْكُلُ أَكْلَةً فِي الْيَوْمِ. وقال

يَأْكُلُ الْوَجِبَةَ، إِذَا كَانَ يَأْكُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْلَةً، قال بشار:

فَاسْتَفَنَ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لَامْرِي ذَهْبُهُ

وقال ابن السَّكِّيتِ: قال الأصمعيُّ لرجل أسرع في سيره: كيف كان سيرك؟ فقال:

(١) البيان في اللسان (خرس).

(٢) البيت في اللسان (قدر)، ونسبه إلى المهمل، وفي حاشية الأصل: «هذا من باب تسمية

الشيء بما يؤول إليه؛ أي اللحم الذي يصير نقيعاً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتُ أَغْصِرُ خَمْرًا﴾.

(٣) ت: «الشندخي»، بضم الشين وفتح الدال، وفي د، وحاشية ت (من نسخة):

«الشندخي»، بضم الشين مع الألف المقصورة، وفي ج، ش: الشندخي، بفتح الشين

وضم الدال. وفي حواشي الأصل، ت، ف: «رواه الأزهرى الهروى عن الفراء «الشنداخى»؛

وهو الصحيح، وقال: هو طعام البناء». (٤) البيتان في اللسان (فلل)؛ والثاني في اللسان أَيْضَ

(لهن)، ونسبه إلى عطية الديبى. المعارض: السن التي في عرض الفم، وانقل: تكسر.

كنت آكلُ الوجبة، وأنجو الوَقعة، وأعرّسُ إذا أفجرتُ، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير
الوضع، واجتنب / المَلْع، فجتتكم لِمُسَى سَبْع .

[١١٩]
و

قوله: « أنجو الوَقعة »، معناه أفضى حاجتي مرة في اليوم، وهو من النَّجْو .

وقوله: « أسير الوضع »، فالوضع: سيرٌ فيه بعض الإسراع، والمَلْع: سيرٌ أشد منه،

فأراد أنه يجتنب الشديد من السير؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التي
يقصد لها؛ ويقال: شرُّ السيرِ الحَقِّقَة، أي السيرُ الحديد^(١) الذي يقطع صاحبه عن بلوغ
بُغيته، قال الشاعر:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ نَمَّ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ فَضَعُ رَحْلِ الْمَطِيَّةِ وَانزِلِ

أي استرح حتى تقوى على السير، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضاً، ولم تُبقِ ظهراً؛

وهذا من أبيات المعاني التي يُسأل عنها، والذي قيل فيه ما ذكرناه . ويمكن أن يكون معنى
البيت: إذا بعدت عليك أرضٌ فدعها واسأل عنها؛ كما يقال: دواءٌ ما عزَّ مطلبه الصَّبْرُ؛
وما جرى مجرى ذلك من ألفاظِ التسليمة؛ والأمر بالعدول عن تتبُّع ما صعب من الأمور^(٢) .

وقال الآخر في معنى البيت الأول:

نُقَطَّعُ بِالتَّرْوُلِ الْأَرْضَ عَنَّا وَبُعْدُ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ التَّرْوُلُ

١٥

وقوله: « لِمُسَى سَبْع »، معناه ل مساء سبع ليال .

ويقال للذي يحضرُ طعامَ القوم من غير أن يدعوه إليه: الوارِش والورُوش .

وقول العامة: طُفَيْلٌ مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب، وأصل ذلك أن رجلاً يقال

له طُفَيْلٌ، كان بالكوفة لا يُفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها، فقيل للوارش: طُفَيْلٌ؛ تشبيهاً
بطفيل هذا في وقته .

(١) ت، د، ف، حاشية الأصل (من نسخة): « الشديد » .

(٢) حواشي الأصل، ت، ف: « مثله: أرخص ما يكون النفط إذا غلا؛ يعني أنه لا يشرى فيكون

ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغْلُ؛ قال امرؤ القيس:

فاليومَ فاشربَ غيرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِمَّا من اللهِ ولا واغِلْ (١)

ويقال لما يشربه الواغِلُ: الوغْلُ، قال الشاعر:

إِنْ أَلِكُ مِسْكِيرَ أَفْلا أَشْرَبُ الْوِغْلَ وَلَا يَسْلَمُ مَنِّي الْبَعِيرُ (٢)

وقوله صلى الله عليه وآله: «إِنَّ أَصْفَرَ الْبَيْوتِ لَجَوْفُ أَصْفَرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ»، معناه:

أَخْلَى الْبَيْوتِ/؛ وَالصَّفْرُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْخَالِي؛ مِنَ الْآنِيَةِ وَغَيْرِهَا. وَيُمْكِنُ فِي قَوْلِهِ: «مَأْدُبَةٌ» وَجْهٌ ١١٩

آخر؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه،

وأمرهم بالاجتماع عليه، فسماه عليه السلام «مأدبة» لهذا الوجه، لأن المأدبة هي التي

يدعى الناس إليها، ويحتمون عليها؛ وهذا الوجه يخالف الأول، لأن الأول تضمن أن

وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه ١٠

من الطعام. وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه، والإرشاد

إلى إصابته. وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معاً، فلا تنافى بينهما (٣).

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال:

(١) ديوانه: ١٥٠، والرواية فيه:

* فاليومَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

وفي حاشية ت (من نسخة):

* فاليومَ أَشْرَبُ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

(٢) اللسان (وغل)، ونسبه لعمرو بن قتيبة. (٣) في حاشيتي الأصل، ف: «ويمكن

أن يكون في معنى الخبر وجه آخر، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لما اشتملت عليه الأدبية

من أنواع الأطعمة، من الخلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون في غير المآدب، فكذلك القرآن

يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد في غيره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفتح الرازي رحمه الله في أثناء الدرس،

وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين.

كُتِبَ فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَيْنَ عَمِيدُكُمْ ؟ فَأَثَرْنَا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَقَالَ لَهُ :
مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ (١)
لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ وَلَا يُعَدِّي نَعْلِيهِ مِنْ بَلَلِ (٢)

٥

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضْمَنُهَا لِيَصِبَ تَلْقَى مَوَاضِعَ السَّبِيلِ
أَوْ وَجِبَةً مِنْ جِنَاةٍ أَشْكَلَةً إِنْ لَمْ يَرُغِبْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُتَلَّ (٣)

قَالَ : فَادْبِرِ الْأَعْرَابِيَّ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ عُضْلَةً (٤).

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّمَا وَصَفَ رَجُلًا خَائِفًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ يَقُولُ : لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الْعِطَافُ -

١٠ وَهُوَ السَّيْفُ - تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ ؛ يَعْنِي كِنَانَةً فِيهَا ثَلَاثُونَ سَهْمًا . وَابْنَةُ الْجَبَلِ ؛ يَعْنِي الْقَوْسَ ، لِأَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ مِثْلِ النَّبْعِ وَغَيْرِهِ .

وَقَوْلُهُ : « لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَاذِلِهِ » ، لِأَنَّهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ فَلَا نَزَّ هُنَاكَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَفْضَلُ

مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَا بَلَلٌ يُعَدِّي نَعْلِيهِ عَنْهَا .

وَالْعُصْرَةُ : الْمَلْحَجَا . وَالنُّطْفَةُ : الْمَاءُ الْمَجْتَمِعُ فِي صَخْرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَاللَّصْبُ :

١٥ الشَّقُّ فِي الْجَبَلِ أَضْيَقُ مِنَ اللَّهَبِ (٥) وَأَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ . وَالسَّبِيلُ : الْمَطَرُ .

وَالْوَجِبَةُ : أَنْ يَأْكُلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّةً . وَالْأَشْكَلَةُ : السِّدْرُ الْجَبَلِيُّ ، وَاحِدُهُ أَشْكَلَةٌ ؛ يَقُولُ :

(١) الْأَبْيَاتُ فِي اللِّسَانِ (عَطْفٌ) ، وَرَوَى عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهَا فِي وَصْفِ صَمَاوِكَ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ،

ت ، ف : « أَصْلُ الْعِطَافِ الرِّدَاءُ ؛ فَشَبَّهَ بِهِ السَّيْفَ » ، وَتُؤْزَرُهُ : تَعِينُهُ .

(٢) النَّزُّ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَحَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ وَالذَّلَاذِلُ : أَسَافِلُ الْفَمِيصِ الطَّوِيلِ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ

(مِنْ نَسْخَةٍ) : « يَرُغِبُهَا » بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الرَّاءِ ، وَفِيهَا : « أَرَاغُ مَعْنَاهُ طَلَبٌ ، وَرَاغٌ : مَالٌ ؛ يُقَالُ :

رَاغٌ إِلَيْهِ ؛ يَخْذِفُ حَرْفَ الْجُرِّ ، وَأَوْصَلَ الْفِعْلُ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ .

(٤) الْعُضْلَةُ : الدَّاهِيَةُ ؛ يُقَالُ : فَلَانَ عُضْلَةً وَعُضِلَ ، أَيْ شَدِيدَ دَاهِيَةً .

(٥) اللَّهَبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

[١٢٠] فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة/ عُصْرَتَاهُ . وقوله : « إن لم يُرغها بالقوس »؛ يعني أنها لا تُتَمَل باليد حتى تُحَرَّكَ بالقوس .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما جعل الأصمعيّ إنشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها، والأعرابيّ إنما سأل عن المعنى، فأقام إنشاده لها مقامَ تفسيرها ، واستغنى الأعرابيّ بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها .

وكان الأصمعيّ كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر يُنشد في معناه في الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصليّ ومَنْصِبِي وقامَ بنَصْرِي خازِمٌ وابنِ خازِمِ
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شامِخٍ وتناولتُ يَدَايَ الثُّرَيَّا قاعِدًا غيرَ قائِمِ

قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقبِ ذلك :

ألا أيّها السائلِ جاهِلًا لِيَعْرِفَنِي ، أنا أنفُ الكَرَمِ
نَمَتُ فِي الكِرَامِ بنِي عامرِ^(١) فرُوعِي وأصلي قُرَيْشِ العِجَمِ^(٢)

قال : فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعملتُ بيتي عليه .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثنا محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : ما أنشدت الأصمعيّ شيئا قط إلا أنشدني مثله ؛ كأنه أعدّه لي ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* نَمَتُ فِي الكِرَامِ بنُو عامرِ *

(٢) حاشية الأصل : « يقول : أصلي قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعي بنو عامر ؛ كأن أباه قرشي وأمه عامرية . » (٣) ديوانه : ٤٣ ، وفي حاشية الأصل : « أي عشقتها اعتراضا لافصاحا واعتزاما ، ومثله :

جُنُنتُ بِلَيْلِي وَهِيَ جُنَّتْ بغيرِنَا وأخْرَى بنا مَجْنُونَةٌ لَأَنْرِيدُهَا

فأنشدني من وقته :

قَتَلْتِكَ أُخْتُ بَنِي لَوْمَى إِذْ رَمَتُ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا (١)
وَأَعَارَهَا الْخَدَّانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعيّ إذا سمع إنساناً يُنشد شعراً في معنى أنشد في ذلك

للمعنى من غير أن يُريه أنه أرادته ، فأنشده رجل قول التَّمْطَامِيّ :

٥
[١٢٠] / وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَلَا مَّ الْمُخْطِئِ الْهَبْلِ (٢)
فأنشد هو قول قَعْنَبِ الْفَزَارِيِّ :

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْوَ لَا يَمْدَمُ عَلَى الْغَيِّ لِأَمَّا (٣)

وروى ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعيّ قول

١٠ الأعشى ، طلباً أن ينشدني مثله - وكان مع بخله بالعلم لا يضمن بمثل هذا :

إِنْ تَرَهُ كَبُورًا فَرَكُوبُ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشْرَةٌ نُزُلُ (٤)
فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبيّ .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظَفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ (٥)
فَدَعَوْا نَزَالَ ، فَكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلِ وَعَلَامَ أَرُ كَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزَلِ !

١٥ وروى عن إسحاق بن إبراهيم أيضاً أنه قال : دخل يوماً إلى الأصمعيّ ، وعندى أخ

(١) البستان لعدي بن الرقاع ؛ وهما في مجموعة الطرائف ٩٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « يقول : من أصاب مالا قيل له ما يشتهي ولا يخالف ، ومن تجارزه المال خولف في كل شيء ولعن » . (٣) كذا ذكره المؤلف ؛ ونسبه المفضل الضبي إلى المرقش الأصغر ، وانظر الفضليات : ٢٤٧ (طبعة المعارف) . (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

* قَالُوا الرَّكُوبَ فَقَلْنَا تَلِكْ عَادَتُنَا *

(٥) خزانة الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظمة : جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل .

والهيكل : الضخم المشرف .

للعمانيّ الراجز، حافظاً راوية ، فلما دخل عبثَ به أخو العمانيّ^(١)، فقال له: من هذا؟ قال: هو الباهليّ الذي يقول^(٢):

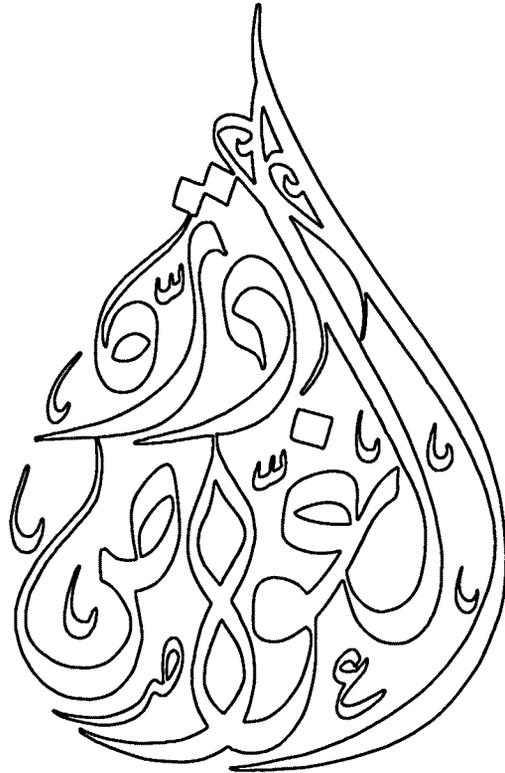
فما صحفةٌ مأدومةٌ بإهالةٍ بأطيبَ من فيها ولا أقطَ رطبٍ^(٣)

فقال له قبل أن يستتم كلامه: هو على كلِّ حال أصلح من قول أخيك العمانيّ:

ياربِّ جاريةٍ حوراءٍ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفِ راقودٍ^(٣)

قال إسحاق: فقات له: أكنتَ أعدتَ هذا الجواب؟ قال: لا، ولكن ما مرَّ بي

شيءٌ إلا وأنا أعرف منه طرفاً.



(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « فقال: من هذا الباهلي الذي يقول ».

(٢) الصحفة: قصعة دون الجفنة. وإهالة: الشحم المذاب. والأقط: شيء يتخذ من الخيض الغنمي.

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: « العومة: دوية تسبج في الماء، كأنها فم أسود مدملك.

والعومة: ضرب من السمك معروف ». والراقود: دن كبير.

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِن سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ [التوبة : ٣٠] .
فقال : أى معنى لقوله : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ومعلومٌ أنَّ القول لا يكون إلا بالأفواه ؟ .

الجواب ، قلنا : المَقُولُ يحتمل معنيين فى لغة العرب : أحدهما القول باللسان ، والآخر بانقلاب ، فالقول الذى يضاف إلى القلب هو الظنُّ والاعتقاد ، ولهذا المعنى ذهب العربُ بالقول •
مذهبَ الظنِّ / فقالوا : أتقول عبد الله خارجاً ؟ ومتى تقول محمداً منطلقاً؟ يريدون : متى تظن ؟ [١٢١]
قال الشاعر :

أما الرَّحِيلُ فِدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا! (١)

أراد : فمتى تظن الدار ! وقال الآخر :

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لَوْئِيٍّ لَعَمْرُؤُا بَيْكَ أُمَّ مُتَجَاهِلِينَا! (٢)

أراد : تظن بنى لؤيٍّ ، وقال توبة بن الحمير :

أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا (٣)

(١) البيت لعمر بن أبى ربيعة ، ديوانه : ٣٩٤ . (٢) البيت للسكيت بن زيد الأسدي ؛ وهو من (شواهد ابن عقيل على الألفية ١ : ٣٩٧) ، وفى حاشية الأصل : « لا يجوز أن تنصب جهالا بقول إذا جعلته على معنى القول ، لأن القول لا يمتدى إلى ما كان مما لا يندرج تحت السمع ، والجهال جثت ، فلا يتأخر ذلك فيها ، فلا بد أن يكون قال بمعنى ظن ، ولهذا يصح أن تقول : سمعت زيدا يقرأ ويقول ويتكلم وبشعر ، ولا تقول : سمعت زيدا يضرب ؛ لأن السمع يرقم على ما يسمع » .
(٣) : البيتان من قصيدة طويلة ؛ ذكرت بتامها فى ترتيب الأسوانى ٩٦-٩٨ .

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعِمُ لِيَلَى أَوْ يَفَكُّ أَسِيرُهَا (١)

أراد: كيف تظنها؟ فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾
قَصَرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب، ولو أطلق القول، ولم يأت بذكر الأفواه
لجاز أن يُتوهم المعنى الآخر:

• وما يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
وَاللَّهُ يَمْلِكُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾؛ [المنافقون: ١] ،
فلم يكذب الله تعالى قول أسنتهم: لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق، بل كذب ما يرجع
إلى قلوبهم من الاعتقادات.

10 ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ أن القول لا برهان
عليه، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان؛ لأن الإنسان قد يقول
بلسانه الحق والباطل، وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى قلبه، فتكون إضافة القول
إلى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة، وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه:
هكذا تقول بلسانك، وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك؛ فكأنهم أرادوا
أن يقولوا: هذا قول لا برهان عليه، فأقاموا قولهم: هكذا تقول بلسانك، وإنما يقولون
15 كذا بأفواههم مقام ذلك؛ والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان، ولا يرجع فيه إلا
إلى اللسان.

(١) حواشى الأصل، ت، ف: « في ديوانه: » تجير وإن شطت »، يخاطب الشاعر صديقاله
فيقول: يا صفي نفسي، كيف تظن ليلى الأخبيلية لو استجار بها مستجير! ثم استأنف فقال: هي تجير وإن
كانت قد عذبتنا بالفراق، ثم قال: ستعتم ليلى أو يفادي أسيرها، ويعنى بالأسير نفسه، أى ستجود يوماً
أو أفتدى نفسى منها، هذا إذا روى: « تجير وإن شطت »، وكذلك هو في ديوانه، وأما وجه مارواه
السيد: « تجير »، فعناه: تخبرني أنت يا صفي نفسي إن تناعت أنها ستعتم، وإن رويت: « أن شطت »
بالتعج كان المعنى: لأن تناعت. وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر للبيت وجه آخر؛ وهو
أنه يقول ويخاطب صديقاً له: كيف تظنها لو أنى استجرت بها! كنى عن نفسه بالخائب المستجير ثم يقول:
تخبر يا خليلي، يعنى أنى أعلم أنك تقول: هي إما أن تنعم بالوصول أو أنا أسلو؟ وهذا معنى: « يفك
أسيرها »، لأنه إذا سلا فقد فك أسره؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النجاة.

ووجه آخر ، وهو / أن تكون الفائدة في ذلك التأكيد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١] في كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمَلَ كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿الْمَ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

فقال : أى معنى لرد الأيدي في الأفواه ؟ وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسول عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم ، عاضين عليها غيظاً ١٠ وحنقاً على الأنبياء ، كما يفعل المتوعدُّ لغيره ، المبالغ في معاندته ومكابذته ؛ وهذه عادة معروفة في المغيظ المحمق أنه يعضُّ على أصابعه ، ويفرك أنامله ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ وما شاكل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين ، والهاء التي في الأفواه للرسول

عليهم السلام ؛ فكأنهم لما سمعوا وعظَّ الرسول ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى ١٤ أفواه الرسول ، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكَّتُ منَّا لصاحبه ، الرادُّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء في الأيدي والتي في الأفواه معاً للرسول ؛ والمعنى أنهم كانوا

يأخذون أيدي الرسول فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ، ويقطعوا كلامهم .

ورابعها أن تكون الهاءان جميعاً يَرِجَعان إلى الكفار^(١) لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظّمهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكفّ عن الكلام والإمساك عنه ؛ كما يفعل مَنْ يريد منّا أن يسكّت غيره ، ومنعه من الكلام ، من وضع إصبعه على في نفسه .

٥ وخامسها أن يكون المعنى : فردّوا القولَ بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرّسل ، أي أنهم كذبوهم ، ولم يُصنَعوا إلى أقوالهم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانية للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكرت مثلاً وتأكيداً ؛ كما يقول القائل : أهلكَ فلانَ نفسه بيده ، أي وقّع الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم ﴿ في ﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين ١٠ والتي قبلها للرّسل ، والتقدير : فردّوا بأفواههم نَعَمَ الرّسل ؛ أي ردّوا وعظّمهم وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نَعَم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتها إليهم وحمل لفظة ﴿ في ﴾ على معنى الباء جأز لقيام بعض الصّفات مقام بعض ؛ يقولون : رضيتُ عنك ، ورضيتُ عليك وحُكي في لغة طَيِّبٍ : أدخلك الله بالجنة ، يريدون في الجنة ، فيعبرون بالباء عن معنى « في » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وأرغبُ فيها عن لقيطٍ ورهطِهِ ولكِنِّي عن سِنْبِسٍ لستُ أرغبُ

أراد : وأرغب بها فحمل « في » على الباء .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعا للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما لم يقبلوا وعظّمهم وإنذارهم رد الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنّا قد سكّنا ، فافعلوا ما شئتم تهديداتهم ويلا . »

وسابمها - وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنه أولى من غيره - قال " المضمرون في قوله: ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ الرسل، وكذلك المضمرون في ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحجج والبيّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا، وعلى الملك، وعلى العهد والعقد؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم؛ والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجّة والسلطان، وهو النعمة، وهو العهد، وكل ذلك يقع عليه اسم اليد. ولما كان ما يعط به الأنبياء قومهم ويُندرونهم به إنما يخرج من أفواههم، فردوه وكذبوه قيل: إنهم ردّوا أيديهم في أفواههم، أي أنهم ردّوا القول من حيث جاء قال: ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين، وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً؛ لأن رافع يده إلى فيه، والماضي عليها لا يسمّى راداً ليده إلى فيه، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردّها " . ١٠

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه: وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد، لأنه قد يقال: ردّ يده إلى فيه، وإلى وجهه، وعاد فلان يقول كذا، ورجع يفعل كذا؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه. ولو لم يسغ هذا القول تحقيقاً؛ لساغ تجوّزاً واتساعاً؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها؛ فإن تجوّزها / واستعاراتها [١٢٢] أكثر، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء، وتكرّر منهم، فلها جاز أن يقول: ردّوا أيديهم في أفواههم، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل، فلما تكرّر جازت العبارة عنه بالرد، وهذا يبطل استضافته للجواب إذا صرنا إلى مراده.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أن مسلماً الخزاعى ثم المصطفي قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي (١) :

لا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ النَّبَا بِكَفَى كُلَّ إِنْسَانٍ (٢)
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ (٣) حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكَلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ (٤) وَكَلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَاثَرُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ (٥) بَكَلُّ ذَلِكَ بِأُتَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركته لأسلم » ، فبكى مسلماً ، فقال له ابنه : يا أبه ، ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية ! فقال : يا بني ، لا تفعل ! فما رأيت مشركاً تلقفت من مشرك خيراً من سويد .

١٠ قوله : « ما يمني لك الماني » معناه ما يقدر لك القادر ؛ قال الفراء : يقال : مَنَى الله عليه الموت ؛ أى قدر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَاكَ اللهُ بما يسرك ، أى قدر الله لك ما يسرك ، وأنشد :

(١) نسب البيت الأول والثاني والرابع إلى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها :

يَادَارُ أَعْرِفُهَا وَحَشًّا مَنَازِلُهَا بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطِ فَالْبَانَ

مع اختلاف في روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦-٣٩ ، واللسان (٥) .
(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعروف » بجني ، هذا هو الصحيح ، وهي أيضاً رواية ديوان الهذليين ؛ يقول : لا تأمنن أن تأتيك منبتك وإن كنت بالحرم حيث يأمن الطير .
(٣) رواية اللسان :

* وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ *

ورواية ديوان الهذليين :

* وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَوْفَ أَفْعَلُهُ *

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « مفارقه » . (٥) رواية ديوان الهذليين :

* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ *

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو وَ لَقَدْ سَاقَهُ الْأَمْنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ (١)

وقال ابن الأعرابي : ساقه الأمنى ، أى ساقه القدر ؛ وأنشد ابن الأعرابي :

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُتْلَقَيْنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادٍ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ (٢)

معناه قدّرتُ لك .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٦] ، معناه إذا تخلق وتقدّر .

وقال بعض أهل اللغة : إنما سمي « منى » لما يُمنى فيه من ثواب الله تعالى ؛ أى يقدر فيه ؛

وقيل أيضاً بما يُمنى فيه من الدّم (٣) ؛ وقيل : إنما سمي بذلك لأن إبراهيم عليه السلام لما انتهى

إليه قال له الملك : تمنّ ، قال : أتمنى الجنة ، فسمى منى لذلك . ومنى يذكر ويؤنث ،

والتذكير أجود ، قال الشاعر في التذكير :

سَقَى مِنِّي ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِنَهُ / وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَدَقِ مُنْبَعِ (٤)

وقال آخر في التأنيث :

لَيَوْمِنَا بِمَنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُّ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرَجِ أَوْ مَلِّ (٥)

(١) البيت مطلع قصيدة لصخر الغي ، يرثي أخاه أبا عمرو بن عبد الله ، وقد نهشته حية فات ؛ (ديوان الهذليين

٢ : ٥١ - ٥٧) . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يؤزى ، من الإزاء ، والإزاء : مصب الماء في

الحوض ، يقال : أزيت الحوض [بالتضعيف] ، وآزيتته ، والإزاء للقبر في الحقيقة ؛ إلا أنه على الاستعارة .

ويجوز أن يكون الضمير في « له » للمرتى ؛ أى يهبأ له ؛ هنا إذا همزت « يؤزى » ؛ وهو قول الأصمعيّ ،

فأما إذا لم تهمزه فعنى يؤزى ينصب ويشخص ؛ يقال : أوزى ظهره إلى الخائط ؛ أى أسنده . ويقال : هضبة

وهضبات وهضاب وأهضاب وأهضاب وأهاضيب « . (٢) اللسان (منى) ، وفي حاشية الأصل :

« أى قدرت المنايا ملاقاتها إياي لأجلك » . (٣) المراد بيمنى هاهنا : يران .

(٤) الودق : المطر ، والواهي : المندفع بالماء ، وكذلك المنبعق ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « جعل

لسحاب سقاء ، ثم جملة واهي المقدر ، فهو أشد إرسالا ، وهذا مثل » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب العرجيّ الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن

عثمان بن عفان . ومثل : موضع في طريق مكة .

فأما قوله :

* والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرآنٍ *

فألقرآن الخبل ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيث لا يكاد يُصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صرفٌ لا شرٌّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أن سرعةَ تقلُّب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشرِّ كأن الخيرَ والشرَّ مقرونان مجموعان معاً ، لتقارب ما بينهما .

فأما الجديدان ، فهما الليل والنهار ، وهما أيضاً الأجدان ، والملاوان ، والفتيان ، والرذفان ، والعصران ؛ قال الشاعر :

١٠ إنَّ الجديدَيْنِ في طُولِ اختِلافِهما لا يفسُدانِ ولكن يفسدُ الناسُ (١)

وأملهُ العصرينِ حتَّى يملنِي ويرضَى بنِصفِ الدِّينِ والأنفُ راغِمٌ (٢)

وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبَات ، وأنشد ابنُ الأعرابي :

وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنِي سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى نَمِّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا (٣)

ويقال للغداة والعشي : القَرَّتَانِ (٤) ، والبرَدَانِ ، والصرَّعَانِ (٥) .

١٥ أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد

الحكيمي قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال : أنشدنا ابنُ

الأعرابي لرُفَيْعِ الوالبي :

كذبتك ما وعدتكَ أمسِ صلاحٌ وعسى يكونُ ليما وعدتَ نجاحٌ (٦)

(١) البيت للخنساء ، ديوانها : ١٥٤ . (٢) الجوان ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح المنطق : ٤٣٧ ، من

غير عزو . (٣) اللسان (سبت) ، ونسبه إلى ابنِ أحر ، وفيه عن ابنِ حبيب : « أن ابني سبات

رجلان ، رأى أحدهما صاحبه في المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة » (٤) ت : « القرآن » .

(٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذي يصارعك » . (٦) صلاح : اسم امرأة ، وفي حاشية

الأصل : « كأنها وعدته بالوصول الذي يبري سقمه » .

بُرْءٌ مِنْ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ
لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصِحَاحٌ
أَصْلَاحُ إِنْكَ قَدْ رَمَيْتِ نَوَافِذًا
وَجَوَائِفًا لَيْسَتْ لَهْنٌ جِرَاحٌ^(١)
وَلَقَدْ رَأَيْتِكَ بِالْقَوَادِمِ لِحَّةً
وَعَلَى مِنْ سُدْفِ الْعَشَى رِيَّاحٌ^(٢)

- معنى رِيَّاح هاهنا ، أى على وقت من العَشَى ، ومثله رَوَّاح ؛ وقوم يروؤونه بالكسر

وليس بشيء -

٥
[١٢٣] ما كَانَ أَبْصَرَني بِغِرَّاتِ الصَّبَا /
ط فاليَوْمَ قَدْ شَفَعْتُ لِي الْأَشْبَاحُ^(٣)
وَمَشَى بِجَنْبِ الشَّخِصِ شَخِصٌ مِثْلُهُ
وَالْأَرْضُ نَائِيَةٌ الشُّخُوصِ بَرَّاحٌ^(٤)
رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُمَّاحٌ
وَذَكَا بِأَصْدَاغِي وَقَرْنِ ذُوَابِي
قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحٌ

قال : كَأَنَّهُ جُمَّاحٌ مِنْ أَمْلَاسِهِ ، وَجُمَّاحٌ : سَهْمٌ أَوْ قِصْبَةٌ يُجْعَلُ عَلَيْهِ طِينٌ ، ثُمَّ يُرْمَى بِهِ

الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرَبًا وَلَا أَرَى
لذِي نَشَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا
أَرَى الْمَالَ يَغْشَى ذَا الوُصُومِ فَلَا تُرَى
وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا^(٥)

١٥ الصَّعْلُوكُ : الْفَقِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْقَرُضُوبُ ، وَالشُّبْرُوتُ . وَالْوُصُومُ : الْعَيُوبُ .

وبهذا الإسناد لعتميل بن علفقة :

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى
مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذُوو الْأَضْغَانِ
وَأَيَّتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُومُ كَأَنَّنِي
دَلُّو السُّقَاةِ مُتَمَدُّ بِالْأَشْطَانِ^(٦)

(١) نوافذ ؛ أى سهاماً نافذة ، وجوائف ، أى تيلج الجوف . (٢) البيت فى اللسان (روح) ،

ورواه : « رِيَّاح » بالكسر . والقوادم : أوائل النظر . والسدف : جمع سدفة ؛ وهى الظلمة .

(٣) شفعت : صارت شفعا ، أى أصبح يرى الشيء شيئين كما يراه الأحول ؛ يصف ضعف بصره .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « نائية » . (٥) حاشية ت : « غانيا ؛ أى غنيا ؛ ومعناه

ذافنى ، كلابن وتامر » . (٦) تخلصنى : تشغلتى ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد

بالبيت . والأشطان الجبال .

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرَّمُوسَ مَصَارِعَ الْفِتْيَانِ^(١)

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال: حدثني علي بن منصور قال: أخبرني محمد بن موسى عن دُعبل بن علي قال قال عَمِيلُ بن عُلفَةَ: - وذكر الأبيات الثلاثة ، وزاد فيها :
ولقد عَلِمْتُ لئنْ هَلَكْتُ لَيَذْكُرُنَّ قَوْمِي إِذَا عَانَ النَّجِيُّ مَكَانِي^(٢)

٥ قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده : وكان عَمِيلُ بن عُلفَةَ مع قوَّة شعره جيِّدَ الكلامِ حكيم الألفاظ . وروى المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لِعَمِيلِ بن عُلفَةَ المرِّي: ما أحسن^(٣) أموالكم؟ فقال: ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضُّلاً ، قال: ثم أيها؟ قال: مواريتنا ، قال: فأيتها أشرف؟ قال: ما استفدناه بوقعة خولتُ نعماً ، وأفادتُ عزاً ، قال: [١٢٤] فما مبلغُ عزِّكم؟ قال: ما لم يُطْمَعُ فينا ، ولم /نُوْمَنُ ، قال: فما مبلغُ جودكم؟ قال: ما عقَدناه ١٠ مِنَّا ، وأبقينا به ذِكْرًا ، قال: فما مبلغُ حِفْظكم؟ قال: يدفع كل رجلٍ منا عن المستجيرِ به كدفاعه عن نفسه ؛ قال عبدُ الملك : هكذا فليصفِ الرجلِ قومه .

وروى أنه قيل لِعَمِيلِ بن عُلفَةَ : قد عَنَسَتْ^(٤) بناتك ، أمّا تخشى عليهنَّ الفساد؟ قال: كلا ، إني خلّفت عندهن الحافظين ، قيل: وما هما؟ قال: الجُوعُ والعُرْيُ ، أجيمن فلا يَأْسِرُنَّ ، وأعرَّيهنَّ^(٥) فلا يَظْهَرُنَّ .

١٥ وقال له عبد الله يوماً : مالك تهجُّو قومك؟ قال: لأنهم أشباه النعم ، إذا صيِّحَ بها رَفَعَتْ ، وإذا سُكِّتَ عنها رَنَعَتْ ، قال: إنما تقول البيتَ والبيتين ، قال: حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) البلل في الأصل : ما بل الخلق من ماء أولي أو غيره .

(٢) حاشية الأصل : « يصف نفسه بحفظ الأسرار ؛ يقول : إذا مت والناس يناجون غيري فيفشي

أسرارهم ؛ يذكرونني عند ذلك ويذكرون مكاني » . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« ما أحسن » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عنست بناتك ؛ بتاء الحُضاب ؛ أي آخرتهن

عن الترويح » . (٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في معناه الحديث : (اعروا النساء يلزمن الحجال) » .

فأما معنى « علقمة » اسم أبيه ، فإن ابن الأعرابي قال : العلقمة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد الشكري : العلقمة ضرب من أوعية بزُر بمض النبات مثل قشرة الباقلاء . واللؤيا ؛ وهو الغلاف الذي يجمع عدّة حبّ .

وقيل : إن عقيلاً كان يُكنى بأبي الوليد ، وكان رجلاً غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذودٌ عشرُ^(١)
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وذكر الأصمعي أن عقيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذته ، ودَهَن أرفاغه^(٢) ومغابنه بزُبْد وربطه وطرحة في قرية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهن .

وروى الأصمعي قال : كان^(٣) عقيلاً بن علقمة في بعض سفره ، ومعه ابنه العمّس وابنته ١٠ الجرباء ، فأنشأ يقول :

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلَى عَجَلٍ نَاطَحْنَهُ بِالْجَمَاجِمِ^(٤)
ثم أقبل على ابنته فقال : أجز يا عمّس ، فقال :
وأصبحنَ بالموماةِ بِحِمْلِنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِيلَ الْعَامِ^(٥)

(١) الذود : القطيع من الإبل . (٢) الأرفاغ : جمع رفع ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغابن : جمع مغبن ، كمنزل وهو الإبط . (٣) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٥٦-٢٥٧ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبعده في رواية الأغاني :

إِذَا هَبَطَتْ أَرْضًا يَمُوتُ غُرَابُهَا بِهَا عَطَشًا أَعْطَيْنَهُمْ بِالْخَزَائِمِ
والخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي البعير لينقاد بها .

(٥) الموماة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبعده في رواية الأغاني :

إِذَا عِلْمٌ غَادَرْنَهُ بِنُوفَةٍ تَذَارَعْنَ بِالْأَيْدِي لِآخِرِ طَائِمِ

— والعلم : شيء ينصب في الفلوات تهتدى به الضالّة . الننوفة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طاسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجزري يا جرباء ، فقالت :

كأن الكرى سقاهم صرّخديّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ (١)

[١٢٥] قال : / فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها ،

فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ، ثم رماه أحدُهم بسهم فانتظم فخذيه ، فقال عقيل :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَمِّ (٢) مَنْ يَلْتَقِ أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ (٣)

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شَنْشِنَةَ أَعْرِفُهَا مِنْ أُخْزَمِ

الشنشنة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مثل اجتابه عقيل (٤) ، وقد قيل قبله :

ولعقيل :

وَالِدِ الْدَهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَيْدِئْتَهُ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا (٥)

وَكُنْ أَوْ كَيْسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقًا ١٠

(١) الصرخديّة : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . العقار : الخمر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغاني : « سربلوني » ، (٣) رواية اللسان (شت) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت في أمالي ابن الجيان الأصبهاني : شنشنة [بافتح] ، وشنشنة [بالكسر] ، وشنشنة [بافتح] ، وشنشنة [بالكسر] ، قال : قد فسروها بالطبيعة وبالضفة من اللحم وبالجماعة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم ، وتقبل أخلاق جده أخزم في الجود فقال : « شنشنة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة . وفي اللسان عن ابن برى : « كان أخزم عافا لأبيه ، فأت وترك بنين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١١ : ٨١-٨٩) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ إن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد »

وبالعكس » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠]
فقال : كيف يصحُّ القولُ بأنَّها رجعتُ عليه وهي لم تخرج عن يده ؟ .

الجواب ، قلنا قد ذُكر في ذلك وجوه :

أولها أنَّ الناس في دار المحنة والتكليف قد يغترَّ بعضهم ببعض ، ويمتقدون فيهم أنهم
بملكون جرَّ المنافع إليهم وصرف المضار عنهم ، وقد تدخَّل عليهم الشبهة لتقصيرهم في
النظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه ، فيعبد قوم الأصنام وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة
التي لا تسمع ولا تبصر ، ويعبد آخرون البشر ، ويحملونهم شركاء لله تعالى في استحقاق
العبادة ؛ ويضيف كلُّ هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءت الآخرة ،
وانكشف الغطاء واضطرُّوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد
الباطل ، وأيقن الكلُّ أنه لا خالقَ ولا رازقَ ولا ضارَّ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه
أمورهم ، وانقطعت آمالهم من غيره ، وعلموا أنَّ الذي كانوا عليه من عبادة غيره ، وتأويله
للضرِّ والنفع غرورٌ وزور ، فقال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى ، وفي يده وقبضته

من غير خروج ورجوع حقيقٍ ؛ وقد تقول العرب : قدرجع على من فلان مكرهه ، بمعنى

صار إلى منه ؛ ولم يكن سبق إلى قبل هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قدرعاد على من زيد

[١٢٥]

كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر :

وإن تكن الأيام أحسن مرةً إلى فقد عادت لهن ذنوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشبهه اللغة .

والوجه الثالث أننا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة، مثل مملكته المولى من العبيد، وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك؛ فيجوز أن يريد تعالى برجع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكها إلى أن يكون هو وحده مالِكها ومُدبِّرَها .

ويمكن في الآية وجه آخر؛ وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى الآ لا يكون موجود قادر غيره، ويُفَضَى الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء، لأن قبل إنشام الخلق هكذا كانت الصورة، وبعد إنشائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجع الأمر إليه عن هذا المعنى، وهو رجوع حقيق، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدماً .

ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات، لأن ما أفناه من مقدراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته، ويصح منه تعالى إيجاد عوده إلى ما كان عليه، وإن كان ذلك لا يصح في مقدرات البشر، وإن كانت باقية لما دلَّ عليه الدليل، من اختصاص مقدر القدر باستحالة العود إليها، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير .

١٥ وهذا أيضاً حكم، هو تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين، والله أعلم بما أراد .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ ، [البقرة : ١٨٩] .

فقال : أى معنى لذكر البيوت وظهورها وأبوابها ؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة ، أو كُنِّي بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانت كنايةً فبينوا وجهها ومعناها .

الجواب قيل له في الآية وجوه .

- أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجةً فلم تُقَضَّ له ، ولم يُنَجِّح فيها رَجَعَ فدخل من مؤخَّر البيت ، ولم يدخل من بابه تطيُّراً ، فدلَّهم الله تعالى على أن هذا ٥ من فعلهم لا بَرَّ فيه ، وأمرهم من التَّقَى بما ينفَعُهُم ويقرَّبُهُم إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطيُّر وقال : « / لا عِدْوَى ولا طَيْرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ » ؛ أى لا يُعْدَى [١٢٥] ط شئٌ شَيْئاً . وقال عليه السلام : « لا يُورَدُ ذو عاهة على مُصَحِّحٍ » ؛ ومعنى هذا الكلام أن مَنْ لحقتْ إبِلُهُ آفةٌ أو مرضٌ فلا ينبغي أن يوردها على إبِلٍ لغيره صحاح ، لأنه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول ١٠ إنما لحق إبلى هذه الآفة من تلك الإبِل ، وهى أعدتْ إبلى ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا ، ليزول المأثمُ بين الفريقين والظنُّ القبيح .

- وثانيتها أن العرب إلا قريشاً ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر ، وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب ١٥ البيوت ؛ ففهم الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البرِّ وأن البرَّ غيرُه .

- وثالثها - وهو جواب أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المثنى - أن المعنى ليس البرِّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتمسوه من غير بابه ، وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ، معناه : واطلبوا الخير من وجهه ، ومن عند أهله .

٢٠

ورابعها - وهو جواب أبي على الجبائى - أن تكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل ،

وأراد : ليس البرّ أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ، وبين البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن تُفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت ، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً ؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .

• وخامسها أن تكون البيوت كنايةً عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والعرب تسمي المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالي إذا أنزعتها صأيتُ أ كبراً غيرَني أم بيتُ^(١)

أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي عليّ الجُبائيّ ، والجواب عن [١٢٦] أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال : أخبرنا/ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيميّ قال : أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ قال : أنشدنا ابن الأعرابيّ^(٢) :

إني عَجِبْتُ لَأَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ^(٣)
 ما شِقْوَةُ الرَّءِ بِالِاقْتَارِ يُقْبِرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْتَارِ
 إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنَزَلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ زَيْبِنُ لِي شَمَّ الْعَشِيرَةَ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَارِ
 وَخَيْرِ دُنْيَا يُنْسَى أَمْرَ آخِرَةٍ وَسَوْفَ يُبْدِي لِي الْجَبَّارُ أُسْرَارِي^(٤)

(١) البيان في اللسان (صأى) وفي حاشية الأصل : • هذا مستق يستق الماء من البئر وينزع الدلو • وإزاء في قوله : « أنزعها » راجعة إلى الدلو ؛ وقيل الضمير للفوس ؛ يقال : « صأى بصأى ، مثل صعى يصعى ؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها في الكامل ٢ : ٥١-٥٢ - بشرح المرصفي ؛ عن ابن الأعرابيّ ، ونسبها إلى أحد ابني حبناء ، قال : « وأحسبه صخرا » .

(٣) حاشية الأصل : « ويروى : « لأم الغمر - بالغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إِنِّي هَزَيْتُ مِنْ أَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَزَيْتُ بِشَيْبِ رَأْسِي ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ

(٤) د :

* وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجَبَّارِ أُسْرَارِي *

لا أدخلُ البيتَ أحبُّو من مؤخِّره ولا أكسِّرُ في ابنِ العمِّ أظفاري
فقوله :

* لا أدخلُ البيتَ أحبُّو من مؤخِّره *

يحتمل أن يريد به : إنني لا آتي الأمور من غير وجهها ، على أحد الأجوبة في الآية ،
ويحتمل أيضا أني لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي عبيدة ، ويحتمل وجها آخر^(١) ؛
وهو أن يريد أني لا أقصد البيتَ للرِّيبة والفساد ، لأنَّ من شأن من يسعى إلى إفساد الحرم ،
ويقصد البيوت للرِّيبة أن يعدل عن أبوابها طلباً لإخفاء أمره ، فكأنه نفي عن نفسه بهذا
القول القبيح ، وتنزّه عنه ؛ كما تنزهه بقوله :

* ولا أكسِّر في ابنِ العمِّ أظفاري *

عن مثله ، وأراد أنه لا يندى^(٢) ابن العمِّ مني السوء ، ولا يتألم بشيء من جهتي ، فأكون
كأنني قد جرحته بأظفاري ، وكسرتها في لحمه ؛ وهذه كنايات بليغة مشهورة للعرب .

ويجري مجرى هذه الأبيات ويقاربهما في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم :

وإني كعفٌ عن زيارة جارتى وإني كمشنوءٍ إلى اغتياؤها
إذا غاب عنها بعلمها لم أكن لها زءوراً ولم تنبِّح عليّ كلابها^(٣)
وما أنا بالدَّارِي أحاديث بيتها ولا عالمٌ من أيِّ حوكٍ ثيابها
وإنَّ قرابَ البطنِ يكفيك ملوؤهُ ويكفيك عوراتِ الأمورِ اجتنابها^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ووجه آخر » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « من

حر كلامهم : ما يندك مني سوء ، أي ما يصيبك ، ويقال : مانديت بهذا الأمر ولا نظقت به ، ولا بللت به ،
أي ما علمته ولا أصبته ، قال النابغة :

وَلَا نَدَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَا فَلَا رَفَعْتُ سَوْطِي إِلَى يَدِي

(٣) يقال رجل زوار وزءور ، كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٤) حاشية الأصل : « القراب : مادون اللء أو قريب منه » .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد جمعت هذه الأبيات فقراً عجيبة ، وكنياتٍ بليغة ، لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلمها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة [١٢٦] وأخصُّ بالهمة فقال / : « ولم تنبَحْ عليَّ كلابها » ، أراد : إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً ^ظ متسكراً فتفكرتني كلابها ، وتنبحنى ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الشاعر المتقدم :

٥ * لا أدخل البيت أحبو من مؤخره *

وقد روى : « ولم تأنس إلى كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُكثر الطروق لها والغشيان لمنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأنس لا يكون إلا مع المواصل والمواترة .

وقوله :

١٠ * وما أنا بالدَّارِى أحاديث بيتها *

أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقتها عن نفسه ؛ لأنه إذا أدمن الزيارة عرف أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارمها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد : إني لأسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ؛ فنزه نفسه عن ذلك .

وقوله :

١٥ * ولا عالم من أىَّ حوكٍ ثيابها *

كنايةً مليحة عن أنه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها ؛ فيعرف صفة ثيابها .

وبالإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني^(١) .

إِذَا الهمُّ أهسى وهو دأ فأمضيه ولست بممضيه وأنت تعادله
ولا تُنزلن أمرَ الشديدةِ بأمرى إذا همَّ أمراً عوقته عواذله^(٢)

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بني يربوع . كان من فرسان بني تميم ووجهها وسادتها ، ولم يكن معدوداً في خول الشعراء ، ولكنه كان يعارض نظراءه في الشعر . (وانظر أخباره وأشعاره في الأغاني ٢١ : ١٣-٣١) (٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « سوفته عواذله » .

فما كلُّ ما حاوَلْتَهُ الموتُ دُونَهُ ، ولا دُونَهُ أرْصادُهُ وحبائِلُهُ
وما الفَتْكُ ما آمَرْتَ فِيهِ ولا الذِي تُحَدِّثُ مَنْ لا قِيَّتَ أَنْكَ فاعِلُهُ (١)
وما الفَتْكُ إِلَّا لامرِي ذِي حَفِيظَةٍ إِذا صالَ لم تُرْعِدْهُ إِلَيْهِ خِصائِلُهُ (٢)
ولا تَجْمَلُنَّ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَتَقْعُدَ إِنْ أَفْشَى عَلَيْكَ تُجَادِلُهُ
ولا تَسْأَلِ المِسالَ البَخِيلَ تَرى لَهُ غَمِّي بَعْدَ ضُرِّهِ أَوْرَثَتْهُ أوائِلُهُ (٣) •
أرى المِسالَ أفياءَ الظلالِ فَتارَةً يَثُوبُ ، وأُخْرَى يَخْتَلُ المِمالَ خاتِلُهُ
معنى « آمرت » شاورت . والخصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهدي قال : من الأبيات السائرة قولُ حارثة
ابن بدر الغداني :

لَمَمْرُكَ ما أَبْقَى لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخٍ حَفِيٍّ ولا ذِي خُلَّةٍ لِي أواصِلُهُ (٤)
/ ولا مِنْ خَلِيلٍ لَيْسَ فِيهِ غَوائِلُ فَشَرُّ الأَخِلاءِ الكَثيرُ غَوائِلُهُ [١٢٧]
وقُلْ لِفِؤادٍ إِنْ نَزَّ بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرِّوَعِ أَفْرِيخُ ، أَكْثَرُ الرِّوَعِ باطِلُهُ (٥)
معنى « أفرخ » أى اسكن ، يقال : أفرخ رَوْعُهُ إِذا سَكَنَ .

وما كلُّ ما حاوَلْتَهُ ، الموتُ دُونَهُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » . وفيها : « الخصائل : جمع خصلة ، وهى كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والغضنين » . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير الممال أو البخل » . (٤) الحفي : الذى يكرم خليله ويتالع فى إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « إنما نكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجعه والآخر يخبئه ، فقال : لا تطع الحبين ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين يتقسمان للخوف والأمن ، لكيلا يكون فى حال من الأحوال جباناً مطلقاً ، بل يكون مترنحاً بينهما » . وفى حاشية ت (من نسخة) : « للفؤاد » .

وذکر البیتین اللذین بمده ، وزاد :
وَكَانَ أَنْتَ تَرَعَى سِرَّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنْ
إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُحِّ بِهِ (٢)
وَمَا يَسْتَحْسِنُ لِحَارِثَةَ بْنِ بَدْرِ قَوْلُهُ :
لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا
وَإِنَّا لَتَسْتَحِلُّ الْمَنَايَا نَفُوسُنَا
وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيبِهِ
وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقُهَا (٣)
وَتَرَكْتُ أُخْرَى مُرَّةً لَا تَذُوقُهَا (٤)
رَعُودُ الْمَنَايَا بَيْنَنَا وَبُرُوقُهَا
قوله :

* لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعُهَا *

مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ عَشِيرَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ .

وقد روى هذه الأبيات علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب ، وزاد فيها :
رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدْيَاتٍ وَعُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا إِلَيْنَا طَرِيقُهَا
وَقَدْ قُسِمَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا : فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتَى ، وَعِنْدِي فَرِيقُهَا
وَبَيْنَا نُرَجِّي النَّفْسُ مَا هُوَ نَارِخٌ مِنْ الْأَمْرِ لَاقَتْ دُونَهَا مَا يَمُوتُهَا

وروى أبو العيناء قال : أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى ،

(١) د : « لسر » ، وفي حاشية ت : « نسخة الشجری : « أقل الناس للسرحامله » ، كأنه أقلهم لملحه . (٢) قلت الشيء علما ، أى علمته علما تاما ، ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « فقل به . (٣) النبع : شجر ينبت فى قلة الجبل ، تتخذ منه العسى .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « مرة لاندوقها » ، وفى حاشية ف : مثله « قول السمورل

ابن عاديا اليهودى :

يُقَرِّبُ حُبَّ الْمَوْتِ آجَالَنَا
وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

أى حبنا الموت ؛ ويجوز أن يكون أضاف الحُب من قوله : « حب الموت » إلى الفاعل ؛ فيكون المعنى :

يقرب حب الموت لنا آجالنا ؛ ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَمُّ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ
مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقال عبد الله: لمن هذا يا شعبي؟ فقال: لحارثة بن بدر، فقال: نحن أحقّ بهذا، ثم أمر للشعبي بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمارَةً فرَجَعْتُهَا في المالِ سالمةً ولم أتموّل^(١)
 ولقد منعتُ النُصْحَ مِنْ مُتَقَبِّلٍ ولقد رَفَدْتُ النُصْحَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ
 / فِبِأَيِّ لَمَسَةٍ لَامِسٍ لَمْ أَلْمَسْ وبِأَيِّ حِيلَةٍ حَائِلٍ لَمْ أَحْتَلِ^(٢)
 يَطَالِبِ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نَجْحَهَا ليسَ النِجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْجَلِ
 فَاصْدُقْ إِذَا حَدَّثْتَ تُكْتَبُ صَادِقًا وَإِذَا حَافَتَ مُمَارِيًا فَتَحَالِلِ^(٣)
 - معنى « تكتب صادقًا » ، أى تكون عند الله صادقًا . وقوله : « فتحالل »

١٠

أى استثنى -

وإذا رأيتَ الباهِشِينَ إلى العُلا غُبْرًا أَكْفُهُمْ بَرِيثٌ فَاعْجَلِ
 - معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المشين^(٤) له -

١٥

واخذَر مَكَانَ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ^(٥) وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنزِلٌ فَتَحَوَّلِ
 وإذا ابنُ عمِّكَ لَجَّ بَعْضَ لِحَاجَةٍ فَاظْطَرُّ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلِ
 وإذا افتقرتَ فلا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضِلِ
 واستغنِ ما أغناكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تَكُونُ خِصَاصَةً فَتَجَمَّلِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في قصيدة مفضلية ٧٥٠-٧٥٣ مطالعها :

أجيبيلَ إنَّ أباكَ كارِبُ يومِهِ فإذا دُعيتَ إلى العِظائِمِ فَاعْجَلِ

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ف: « ختَلَقَ خَائِلٍ لَمْ أَخْتَلِ ».

(٣) مमारيا: مجادلا . (٤) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « المشتهين » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « لا تنزل به » .

النحوى قال: كان^(١) حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته ، وكان قد غلب على زياد ، وكان الشرابُ قد غلب عليه ، فقبل زياد: إن هذا قد غاب عليك ، وهو مستهتر^(٢) بالشراب؛ فقال زياد: كيف باطراح رجل هو يسايرني مذ دخلت العراق، لم يصكك ركابي ركاباه^(٣) ، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ، ولا تأخر عني فلويت عنقِي إليه ، ولا أخذ عليّ الشمس في شتاء قط ، ولا الروح^(٤) في صيف قط ، ولا سألتُه عن علمٍ إلا ظننتُه لا يحسنُ غيرَه ! فلما مات زياد جفاه ابنه عبيدالله ، فقال له حارثة : أيها الأمير ، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة^(٥) ! فقال له عبيد الله : إن أبا المغيرة قد كان برعَ برُوعاً لا يلحقه معه عيب ، وأنا حدثٌ ، وإنما أنسب إلى من يغلب عليّ ، وأنت رجل تديمُ الشراب ، فمتى قرَّبْتُكَ وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظنَّ بي ، فدعِ الشراب ، وكن أول داخل عليّ ، وآخر خارج ، فقال له حارثة : أنا لا أدعُه لمن يملك ضرِّي ونفعي ، أفدعه للحال عندك ! قال: فاختر^{١٠} من عملي ما شئت . قال : توليني / رامهرمز^(٦) ، فإنها أرض عذاة^(٧) ، وسُرِّق^(٨) ؛ فإن بها شراباً وُصِفَ لي . فولاه إياها ، فلما شيعه الناسُ قال أنس بن أبي أنيس^(٩) - وقيل : ابن أبي إلياس الدبليّ :

أحارِ بنَ بدرٍ قد وليتَ إمارةً فكن جرداً فيها تخونُ وتسرِّقُ^(١٠)
ولا تحقِّقنْ يا حارِ شيئاً وجدتهُ فحظُّك من ملكِ العراقينِ سرِّق

(١) الخبر في السكامل - بشرح المرصفي ٣-١٩١-١٩٢ .

(٢) مستهتر بالشراب : مولع به ؛ من استهتر بكذا ، مبنياً لما لم يسم فاعله : أولع به لا يفعل غيره ، ولا يتحدث إلا به . (٣) من نسخة بحاشيتي ف ، ت : « بصطك ركابي ركابه » .

(٤) الروح : برد النسيم . (٥) أبو المغيرة : كنية زياد .

(٦) رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان من بلاد الفرس .

(٧) الأرض العذاة : الطيبة التربة ، البعيدة من الأنهار والنجود والديابح .

(٨) سرِّق : إحدى كور الأهواز . (٩) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ابن أبي أنس » .

وفي الشعر والشعراء : ٧١٤ : « أنس بن أبي أناس » ، من كنانة ، من الدؤل ، رهط أبي

الأسود الدؤليّ . (١٠) الأبيات في الشعر والشعراء : ٧١٥ .

وباء تميماً بالغنى إنَّ للغنى لساناً به العى الهَيُوبَةُ يُنطِقُ^(١)
 فإنَّ جميعَ النَّاسِ ؛ إمَّا مَكْدَبٌ يقول بما يَهْوَى ، وإمَّا مُصَدِّقٌ^(٢)
 يقولون أقوالاً ولا يعلمونها فإن قيل هاتوا حَقَّقُوا لم يحَقِّقُوا
 وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدُّؤلى ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما رُدَّت إليه سُرق ،

ويُزاد فيها :

وكن حازماً في اليوم إنَّ الذي به يحيى غدَّ يومٌ على النَّاسِ مُطْبِقٌ^(٣)
 ولا تَعَجَزَنَّ فالعَجْزُ أوطأ مَرَكَبٌ وما كلُّ مَنْ يدَعُو إلى الخَيْرِ يُرْزَقُ
 إذا ما دعاكَ القومُ عَدُوكَ آ كِلاباً وكُلُّ حارٍ أوجِعُ ؛ لستَ مِمَّنْ يُحَمَّقُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إلهُ النَّاسِ خيرَ جزائه فقد قلتَ مَعروفاً وأوصيتَ كافياً
 أشرتَ بأمرٍ لو أشرتَ بغيرِهِ لألفيتني فيه لرأيك عاصياً^(٤)

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد ، فقال لحارثة : أيُّ
 الشرابِ أطيبُ ؟ وكان بينهم^(٥) ، فقال : بُرَّةٌ طاسارية ، وأقطة غنوية ، وسمنة عنبرية ، وسكرة
 سوسية ، ونظفة مسرقانية^(٦) . فقال للأحنف : يا أبا بحر ، ما أطيبُ الشرابِ ؟ قال :

(١) الهَيُوبَةُ : الذي يهاب النَّاسَ ؛ والهاء فيه لتأكيد المبالغة . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
 « تهوى » . (٣) حاشية الأصل : « يقال غمام مطبق ؛ أي ذو طبق ؛ وقد أطبقت السماء » .
 (٤) البتآن في الأغاني ٢١ : ٢٣ ، وبعدهما :

سَتَلقَى أَخاً يُصْفِيكَ بالوَدِّ حاضِراً ويُوَلِّيكَ حِفْظَ الغَيْبِ إن كُنتَ نائِماً
 (٥) ت ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وكان بينهم » . (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « ذكره
 يزيد بن مفرغ الحميري » :

سَقَى هَزِيمُ الأوساطِ مُتَبَجِّسُ العِرا منازِلها من مَسْرُقَانَ فسَرَقَا
 - هزيم الأوساط ؛ أي مجالجل بالرعد ، وهزيم الرعد : صوته ، وأوساطه ؛ أي أوساط السحاب .

الجرُّ ، قال : وما يُدْرِيكَ ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خَصْلَتَيْنِ عَرَفْتُ أَنَّهَا أَطْيَبُ الشَّرَابِ بِهِمَا ، قال : وما هما ؟ قال : رأيتُ من أَحَلَّتْ لَهُ لا يَتَعَدَّاهَا إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ يَتَنَاوَلُهَا ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا أَطْيَبُ الشَّرَابِ .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغيّر عليه بعد اختصاصه كان بأبيه (١) :

[١٢٨] ط
 / أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ أَمْرِي يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا!
 رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصَلِّتَيْنِ عَلَيْكُمْ مِلَاءً ، وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
 وَإِنِّي مَعَ السَّاعَى إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرًا
 مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَمَنَّمُوا لَدَى لِي لِأَسْطِغَ عَلَى ذَلِكُمْ صَبْرًا

وقال يعاتبه :

١٠
 وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسِنِّي فَدَرَّتِ
 إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُوقِ أَتَتْ بِهِ دَعَانِي وَلَا أُدْعَى إِذَا مَا أَقْرَتْ
 إِذَا مَا هِيَ أَحْلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَتْ

زبنته : أى دفعته عن أن يحلبها . والفواق : اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين ومعنى أقرت : تركته يحلبها .

١٥ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبدالله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية ومروان وأهل

بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهى أبيات قوية جدًا :

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّ بَيْنَ رِقَابِكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ حَزُّ الْكِرَاكِرِ (٢)
 أَنْحَنُ أَخْوَكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

— الخطاء : سهام صفار — .

(١) الخبر مبسوط في (الأغانى ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زعيم البثي .

(٢) الكراكر : جمع كركرة ؛ وهى صدر البعير . وفى حاشية الأصل : * مثله :

وإذا تكون كريمة أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وَتَذِيكُمُ الْأَذَىٰ إِذَا مَا سَأَلْتُمُ
وَنُلْقَىٰ بَشْدَىٰ حِينَ نَسَأُلُ بِاسِرٍ^(١)
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ فِي النَّاسِ مِثْلَهُ
أُخِذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِيرٍ^(٢)

— معنى «من قبل ناهٍ وأمر» ، أى من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر به ، أى باجتنابه —

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ
لَوْيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاحِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفِعْلِكُمْ
هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءِ الْعَوَارِثِ^(٣)
وغيرَ نفسى عنكم ما فعلتم
وَذِكْرُ هَوَانِ مِنْكُمْ مُتَظَاهِرٍ
وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَاشِرٍ^(٤)
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوُدِّكُمْ
وَقُلْ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرٍ^(٥)

ولحارث يرثى زياداً :

لَهْفَىٰ عَلَيْكَ لِلْهَمْفَةِ مِنْ خَائِفٍ
يَبْنَىٰ جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرٌ
أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسٌ
بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالذِّيَارُ قُبُورٌ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ
فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورٌ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنَشُورٌ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وأظن أبا تمام الطائىّ نظر إلى قول حارثة

ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » في قوله :

المُتُّ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مُذْ زَمَنِ؟
فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ^(٦)

وأخبرنا على بن محمد السكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن — يعنى

ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : مرّ حارثة بن بدر الغدانيّ ، ومعه كعب مولاة ، فجعل لا يمرُّ

(١) باسر : قليل الابن . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا

به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكشاف عنه » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هوان »

بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعاشر الذى يأخذ العشر .

(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونظر عنكم » . وفى وحاشية الأصل (من نسخة) :

« قد توجد » . (٦) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « يا شقيق الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا : مرحباً بسيدنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قط هو أقرّ
لعيني ، وألذّ في سمعي مما سمعته اليوم ! فقال حارثة : ولكنني ما سمعت كلاماً قط هو أكره
إليّ منه ، ثم قال :

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَافِعٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِ (١)

و هذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد
قال قال الكنانيّ : مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك مستعجلٌ
لشاورتُك ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاورَ الجائع حتى يشبع ، والظمانَ حتى
ينقع ، والمُضِلَّ (٢) حتى يجيد ، والغضبانَ حتى يرضى ، والمحزونَ حتى يُفريق .



(١) من نسخة مجاشيعي الأصل ، ت : « غير مسودة » . (٢) المضل : الذي ذهب بعيره .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا / وَاللَّهُ سَرِيعٌ﴾ [١٢٩]
 الْحِسَابِ ﴿١﴾ ؛ [البقرة: ٢٠٢].

فقال : أي تَمُدِّحٌ في سرعة الحساب ، وليس بظاهرٍ وجهُ المدحة فيه ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون المعنى أنه سريع المجازاة^(١) للمباد على أعمالهم ، وأن وقتَ الجزاء ٥
 قريب وإن تأخر ، ويجري مجرى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ
 أَقْرَبُ﴾ ؛ [النحل : ٧٧] .

وإنما جاز أن يمتد عن المجازاة أو الجزاء بالحساب ؛ لأن ما يجازى به العبد هو كُفٌّ
 لفعله ولقدره ، فهو حساب له إذا كان مماثلاً مكافئاً .

ومما يشهد بأن في الحساب معنى الكفاية والمكافأة قوله تعالى : ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ
 عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ؛ [النبا : ٣٦] ، أي عطاءً كافياً ، ويقال : أَحْسَبَنِي الطَّعَامُ يُحْسِبُنِي إِحْسَابًا
 إذا كفاني ، قال الشاعر :

وَإِذْ لَا تَرَى فِي النَّاسِ حُسْنَ يَفُوتُهَا وَفِي النَّاسِ حُسْنَ لَوْ تَأَمَّنْتَ مُحْسِبُ^(٢)

معناه كافٍ .

(١) ت : « الحساب » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « يصف امرأة بالحسن ويبالغ في وصفها ؛ يقول : مارأينا حسناً فات

هذه المرأة وتمداها من أن مافي الناس كفاية حسن » .

وثانيها أن يكون المراد أنه عزّ وجلّ يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ، ويقال : إن مقدار ذلك مقدار حلب شاة ؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره (١) ؛ بل يكلمهم جميعاً ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد ؛ وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات - تعالى عنها - لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولما كان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ، وكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات .

وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم ؛ أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب ؛ وإنما سُمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يُراد به العلم ؛ وهذا جواب ضعيف ؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمّى حساباً ، ولو سُمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنه يُسأل في وقت [١٣٠] واحدٍ سؤالاتٍ مختلفةٍ / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزى كلَّ عبدٍ بمقدار استحقاقه ومصالحته ، فيوصل إليه عند دعائه ومسألته ما يستوجبه بمقدار ؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطلال العدد واتصل الحساب ، فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب ، أي سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمّى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع . وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد ٢٠ على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلا فلا طائل فيما ذكره .

ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقهم عليها ، وتكون الفائدة في الإخبار بسرعته الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال ، وفي هذا الجواب ه لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابلة بالأعمال وترجيحها ، وذلك غير الجزاء الذي يفضى الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجُبَّائِيّ في اعتماده إياه ^(١) بأن قال ^(٢) : مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد ، وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة ١٠ والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبوعليّ هو المبتدئ به ، بل قدحكي عن الحسن البصريّ ، واعتمده أيضاً قُطْرُبُ بن المستنير النحويّ : وذكره الفضل بن سلمة ، وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن يبطل له ، لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ . ١٥ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ . أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] ، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا [١٣٠] حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أو يكون راجعاً إلى الجميع ، فيكون المعنى : إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيداً خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعيداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ ، على تأويل من أراد قَصْرَ الزَّمان ، وسرعة الموافقة وجهٌ وتماقٌ بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمنٌ لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرِّها ؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن مَنْ علم أنه يحاسب بأعماله ، ويواقف^(١) على جميلها وقبيحها انزجر عن التبيح ورغب في فعل الواجب .

فهذا يُنصَّرُ الجواب ، وإن كنا لاندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن القبائح ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردول^(٢) .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٢] .

١٠ فقال : أيُّ تمدُّح في الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطى بحساب أجزَلَ عطيةً من المعطى بغير حساب ؟ .

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب

منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى المرزوق لا إليه تعالى ؛ كما يقول القائل : ما كان كذاً وكذاً

١٥ في حسابي ، أي لم أوْملهُ ، ولم أقدر أنه يكون ؛ وهذا وصفٌ للرزق بأحسن الأوصاف ؛

لأن الرزق إذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلى ؛ وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه في

تفسير هذه الآية أنه قال : عني بها أموال بني قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وأنها تصير إليكم بغير

حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

وثانيها أن الله تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضميق ولا ممتتر؛ بل يزيد في السمعة والكثرة على كل عطاء المخلوقين^(١)، فيكون نفي الحساب فيه نفيا^(٢) للتضييق، ومبالغة في وصفه بالسمعة،

[١٣١]

والعرب تسمى العطاء القليل / محسوبا ، قال قيس بن الخطيم :

أَنْى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتُقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٣)

مَا تَمْنَعِي يَقْضَى فَقَدْ تَوَيْتِنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ^(٤)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء ، أى من غير طاب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه ، أو منفعة ترجع عليه ، لأن من شأن أهل الدنيا أن يُعطوا ليكافئوا ولينتفعوا ، ولهذا يقال فيمن يقصد بالمعطية إلى هذه الأمور : فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ، ويناقشهم فيما يوصله إليهم ، وما أشبه ذلك ، فلما انتفت هذه الأمور من عطايه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب .

ورابعها ما أجاب به قُطْرُب ، قال : معنى الآية يعطى العدد الكثير لا مِمَّا^(٥) يضبطه الحساب ، أو يأتي^(٦) عليه العدد ، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى ، ومافى خزائنه لا ينحصر ، ولا يصح عليه النفاذ ؛ وليس كالمعطى من الألف من الألفين ، والمشرة من المائة ؛ لأن مقدار ما يتبع له ويتمكن منه محدود متناه ، ولا تنهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .

وخامسها أنه يعطى عباده فى الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا ، وأزِيد مما وجب لهم ، بحجاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عطاء للمخلوقين » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة)

« تقيضا » . (٣) ديوانه : ٥ ، وأمالى الدالى ٢ : ٢٧٣ ، وحاسة ابن الشجرى : ١٨٩ ، واللاى : ٥٢٤ . وفى حاشية الأصل : « يخاطب خيال امرأة رآها فى المنام ؛ يتعجب من سير خيالها إليه وكانت غير معتادة لسير ، والسروب : السارى ، وقيل : السرب سير النهار » . وفى حاشية ت :

« أنى سريت ... » . (٤) المراد : المقطع ؛ وفى حاشية ت : « وبعده :

كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

(٥) من نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « مما لا يضبطه الحساب » .

(٦) ت : « إذ يأتي عليه العدد » .

حَسَنًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٥﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٥] وكما قال عز وجل : ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ ؛ [التباين : ١٧] ، وكما قال تعالى : ﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المعطى منّا غيرَه شيئاً والرازق سواء رزقا قديكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفى الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه ، وأنبأ أنه لا يرزق ولا يُعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذمّ؛ وتجري الآية مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة [١٣٠] غير قبيحة لم يجز أن يُسأل عنها / وإن سُئل العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسن ^ط والقبيح معاً .

وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبدَ وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحد أن يقول له : لِمَ رَزَقْتَ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزَقْتَهُ؟ ولا يسأله ربه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي يُنفقه فيها ، فيسقط (١) الحساب من هذه الوجوه عمّا يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿ بَغْيِرِ حِسَابٍ ﴾ .

وثامنها أن يكون المرادُ بـ ﴿ مَنْ يَشَاءُ ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحقّ منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [غافر : ٤٠] .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائلٌ عن الخبر الذي يُروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تَوَضَّؤُوا مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ » ، فقال : ما المرادُ بالوُضوءِ هاهنا ومذهبُكم أن مَسَّ ما غَيَّرَتْه النَّارُ لا يوجبُ وضوءًا ؟

الجواب ، إن معنى « تَوَضَّؤُوا » أى نظَّفُوا أيديكم من الزُّهومة ، لأنه رُوِيَ أن جماعة من الأعراب كانوا لا يفسِلون أيديهم من الزُّهومة ويقولون : فقدُّها أشدُّ علينا من رِيحها ، فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدي لذلك ^(١) .

فإن قيل : كيف يصحَّ أن تحمِلوا الخبرَ على اللفظ اللغويِّ ، مع انتقاله بالعرف الشرعيِّ إلى الأفعال المخصوصة ، بدلالة أن مَنْ غسَلَ يده أو وجهه لا يقول بالإطلاق : « تَوَضَّأتُ » ، ومتى سلِمَ لكم أن الوضوء أصلُه من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذى ذكرناه ، وكلامه عليه السلام أخصُّ بالعُرف الشرعيِّ ، وحمله عليه أولى من حمله على اللغة .

قلنا : ليس يُنكَّر ^(٢) أن يكون إطلاق الوُضوء هو المنتقل من اللغة إلى عُرف الشرع ، والمختصُّ بالأفعال المميَّنة ، وكذلك المضاف منه إلى الحدِّث أو الصلاة وما أشبههما ^(٣) . فأما المضافُ إلى الطعام وما جرى مجراه فباقٍ على أصله ؛ ألا ترى أنهم لو قالوا : تَوَضَّأتُ من الطعام ، ومن الغمِّ ^(٤) ، أو تَوَضَّأتُ للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف ، وإذا قالوا : تَوَضَّأتُ إطلاقًا ، أو تَوَضَّأتُ من الحدِّث أو للصلاة فهم منه / الأفعال الشرعية ؛ فليس [١٣٢] يُنكَّر ما ذكرناه من اختصاص النقل ، لأنه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة فى اللغة إلى فائدة فى الشرع على كلِّ وجه ، كذلك يجوز أن تنتقل على وجهٍ دون وجه ، وتبقى من الوجه الذى لم تنتقل منه على ما كان عليه فى اللغة .

وقد ذهب كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظه « مؤمن » منتقل من اللغة إلى عرف

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عن ذلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ليس نسكر »

(٣) فى حاشية ت (من نسخة) : « وما أشبهها » . (٤) الغم ، بالتجريك : زنج اللحم .

الدين ومختصّ باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيداً بها بافياً على ما كان عليه في اللغة .
 وبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال: « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعده ينفي
 اللّم »؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . وروى عن قتادة أنه قال: « غَسَلُ اليدِ وضوءٌ »
 وروى عكرّاش^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل^(٢) وغسلَ يده ومسحَ ببللِ يده
 وجهه^(٣) وذراعيه ورأسه^(٤) ، وقال: « هكذا الوضوء ممّا مسّت النار » ، على أنه لو كانت
 هذه اللفظة منتقلة على كلِّ حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصحَّ أن نحمله^(٥) في الخبر
 على خلاف ذلك ، وزدّها إلى أصلها بالأدلة ، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحملَ على
 مقتضى الشرع^(٥) .

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كَتِفَ
 ١٠ شاةٍ ، وقام فصلياً ولم يتوضأ . وروى عطاء عن أم سلمة قالت: قرّبتُ جنباً مشروباً إلى النبي صلى
 الله عليه وآله ، فأكل منه ، وصلياً ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال : كان
 آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء ممّا مسّت النار^(٦) .

وكلُّ هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد
 بينّا أنه لا ظاهر له !

١٥ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن ، فلما كان من غسل يده ونظفها
 قد حسنتها قيل وضأها ؛ ويقال : فلان وضىء الوجه وقومٌ وضاءٌ ، قال الشاعر :

(١) هو عكرّاش بن ذؤيب بن حرقوس ، وفي ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وبلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتي

الأصل ، ف : « نحملها » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما نحمل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالأحكام

الشرعية حسب » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأول يتوضأ ممّا مسته النار ثم ترك » .

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذُو أُنَاةٍ مَرَا جِيحٍ وَأَوْجُهُمْ وِضَاءٌ^(١)

والوِضُوءُ ، بضم الواو : المصدر ، وكذلك أيضاً التَّوَضُّؤُ والوِضُوءُ ، بفتح الواو : اسم ما يتوضأ به ، وكذلك الوَقُودُ / الوَقُودُ اسم لما تُوَقَّدُ به النار : والوَقُودُ ، بالضم : المصدر ، ومثله التَّوَقُّدُ ، [١٣٢] وقد يجوز أن يكون الوَقُودُ ، بفتح الواو : المصدر ، وكذلك الوِضُوءُ بفتح الواو ؛ كما قالوا : حَسَنَ القَبُولِ ، فُجِلُوا القَبُولَ مصدرًا ، وهو مفتوح الأول ، ولا يجوز في الوَقُودِ والوِضُوءِ ه بالضم إلا معنى المصدر وحده ، قال جرير .

أَهْوَى أَرَاكَ بَرَامَتَيْنِ وَقُودًا أُمُّ الْجَنِينَةِ مِنْ مَدَا فِعِ أودَا^(٢)

وقال آخر :

إِذَا سُهَيْلٌ لَاحَ كَالْوَقُودِ فَرَدَا كَشَاةَ البَقْرِ المَطْرُودِ

وقال آخر :

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ يَفَاعِ أَرْضِ وَقُودِ النَّارِ لِلمَتَمَوِّرِينَا^(٣)

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال : أتيتُ عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود^(٤) يوماً في منزله ، فإذا هو مَغِيظٌ^(٥) يَنْفُخُ ، فقالت له : مالي أراك هكذا ! ١٥ قال : دخل علي^(٦) عاملكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان (١) حاشية ف : « السمع : الأجواد والجمع سمحاء ؛ ومساميح ؛ كأنه جمع مسماح . والمراجيح : الخلاء . »

(٢) ديوانه ١٦٩ . ورامة والجنينة وأود : مواضع . والمدافع : جمع مدفع ؛ وهو مسيل الماء إلى الوادي وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : الذي يريك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا . »

(٣) اليفاع : المرتفع من الأرض ؛ والمتنور : من ينظر إلى النار من بعيد ؛ قال امرؤ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَدْرِعَاتِ وَأَهْلِهَا بِيَثْرَبَ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرًا عَالٍ

(٤) أحد الفقهاء السبعة بالمدينة توفي سنة ٩٨ ؛ وكان ضريرا ؛ ذكره الصفدي في نكت الهميان :

١٩٧-١٩٨ ، وانظر ترجمته وأشعاره في الأغاني ٨ : ٨٨-٩٥ . (٥) من نسخة بمواشي الأصل ، ت ، ف : « متغيظ . » (٦) ت : « دخلت علي عاملكم . »

فسلمت، فلم يردّا علىّ السلامَ ، فقلت^(١) :
 ألا أبلغنا عنى عراكَ بن مالكٍ
 فقد جمعتُ تبدؤَ شوا كِلْ مِنْكُمْ
 وطاوعتُمَا بي غادراً ذَا معاكَةٍ
 فإن أنتَ لمَ تفعلْ فأبلغُ أبا بكرٍ^(٢)
 فإنَّكُمَا بي موقرانِ مِنَ الصَّخْرِ^(٣)
 لعمري لقد أوري وما مثله يُوري^(٤)
 - يقال : معك به وسدل به^(٥) إذا تعرض له بشر^(٥) -

فلولا اتقا الله اتقائي فيكما
 فمسا تراب الأرض، منها خلقتُمَا
 ولا تأنفا أن تغشيا فتكلما
 ولو شئت أدلى فيكما غير واحد
 للمتكما لوماً أحرّ من الجمر^(٦)
 وفيها المعاد والمقام إلى الحشر
 فما حشي الأقوم شراً من الكبر^(٧)
 علانية أو قال عندى في السر^(٨)
 / - معناه : لو شئت اغتابكما عندى غير واحد -

فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما
 وكيف تريدان ابن سبعمين حجة
 ضحكت له حتى يلبج ويستشري^(٩)
 على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين^(١٠)

(١) الخبر بروايته عن ابن شهاب في (الأغانى ٨ : ٩١-٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضاً ص ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زمانا ؛ ثم إن ابن حزم ولى امرتها ، وولى عراك الغضاء ، وكانا يبران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان - وكان ضريراً - فأخبر بذلك فأنشأ يقول . . . » ، وأورد الأبيات (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ألا أبلغنا »
 (٣) الشواكل : جمع شاكلة ؛ وهى الخاصرة ، وأراد بها هاهنا أموراً ينكرها . وبن ؛ أى بمكانى
 (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتاني » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران ، وكأناكما إذ طاوعتاني طاوعتما غادراً عريضا . ثم قال : لعمري لقد أوري هذا الفعل منكما ؛ أى فسد ؛ من وري جوفه ؛ أو أوقد - يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أنأثر بمثل ذلك »
 (٥-٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقائي بتقى الله للمتكما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقائي » مفعولاً له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تكلمما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضاً (من نسخة) : « أن ترجما فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندى فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولاً قبيحاً . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى المغتاب ، واستشري فى الأمر : لج فيه ؛ أى يجترى ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريداننى على ما امتنعت عنه وأنا صبي !

تقد علفت دلوًا كما دلّو حولٍ من القوم لا رخو المراس ولا نزر^(١)
قال ابن شهاب : فقلت له : مثلك يرشحك الله مع نفسك وفضلك وفهمك^(٢) يقول
الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث برى .

وإنما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حزم - وكانا صديقيه - كناية بذكرهما

عن ذكر غيرهما .

وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر^(٣) بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على

عبيد الله فلا يسلمان عليه ، فقال الأبيات يخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

إذا كان لي سرٌّ فحدّثته العدى وضاق به صدري ، فللناس أعدر^(٤)

هو السرُّ ما استودعته وكتمته وليس بسرّ حين يفسو ويظهر^(٥)

وأشد مصعب الزبيرى لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أواخي رجالاً كنت مطلع بعضهم على سرّ بعض إن صدري واسعه

إذا هي حلت وسط عوذ ابن غالب فذلك ودد نازح لا أطالعه^(٦)

تلاقت حيازيمي على قلب حازم كتوم لما ضمت عليه أضالعه^(٧)

بني لي عبد الله في سورة العلاء وعتبة مجدًا لا تنال مصانعه^(٨)

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي :

وفتيان صدقي كنت مطلع بعضهم على سرّ بعض غير أني جماعها^(٩)

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أي أنكما ، وقتما على من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « وفقك » . (٣) حاشية (من نسخة) :

« عمرو » . (٤) العدى بالكسر : الأجانب ، وباضم الأعداء . (٥) حاشية ت (من نسخة) :

« وحفظته » . (٦) الضمير يعود على المودة ، وعوذ : جمع عائذ ، وهي الحديثة التناج من الإبل وغيرها .

(٧) في الأغاني : « شددت حيازيمي » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بجواشي الأصل ،

ت : « ضمت » ، بالبناء للمعالم (٨) المصانع : الأبنية . (٨) الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ١٢٦ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَعْلَغَلْ حُبُّ عَثْمَةَ فِي فُؤَادِي فَبَادِرِهِ مَعَ الْخَلْفَى يَسِيرُ^(١)
تَعْلَغَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَامَ الْفُطُورُ^(٢)
أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَنَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حُبًّا وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلِ قَمِيرُ^(٣)
وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

[١٣٣]
ظ
٥

أَحَلَّتْ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً مَا حَلَمَهَا الْمَشْرُوبُ وَالْمَأْكُولُ^(٤)
وأخذه المتنبي في قوله :

وَاللَّسْرُ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ^(٥) ١٠
وَكَنَّ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ أَلَمَّ بِهِ فِي قَوْلِهِ :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي قُرَى وَسَطَهُ اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ
وقال الصاحب السماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسَطَهُ سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِبَلَا كَاتِبِ
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ ١٥

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .
ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُ أَبِي الْمُحْصِنِ أَيَّامَ نَلْتَقِي لِمَا لَا نَلَاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أمالي القالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عثمة روجه .
(٢) الفطور : الشقوق . (٣) حاشية ت : • يعني أنه يستغنى عن ازدياد حب إلى حبه ، لأنه قد تنهى . وأن ازداد ، يعني : عن أن ازداد . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المأكول المشروب » . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

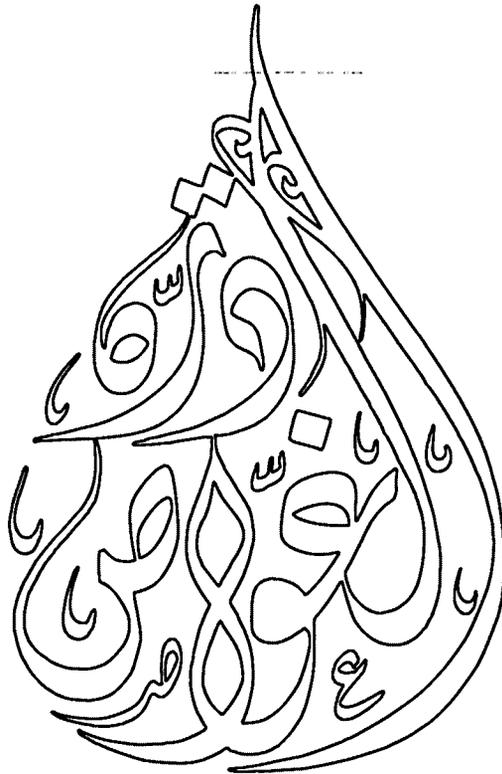
يَعُدُّونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَنْتَبَهَا
وَيَنْسَوْنَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهَجَّرُ
فَإِنْ يَكُنِ الْوَأَشُونَ أَغْرُوا بِهَجْرِنَا (١)

ومن مستحسن قوله :

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعَثْمَةٍ دَارُهَا
لَقَدْ كُنْتُ فِي وَشَكِ الْفِرَاقِ الْإِلِيحُ (٢)
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
وَيُحْسَبُ أَنِّي فِي الثِّيَابِ تَحْيِيحُ

أخذ هذا المعنى بشار، فقصر عنه في قوله :

يُصْبِحُ مَحْزُونًا وَيُمْسِي بِهِ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَالَهُ عِنْدَكَ



(٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » .

(١) م : « بهجرها » .

وإليح : أشفق .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

[١٣٤] فقال : أليس هذا تصریحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقيح ؛ لأن ملة /
قومه كانت كفراً وضلالاً ، وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله ؟

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية ؛ التي كان قوم شعيب متمسكين بها ؛ وهي منسوخة عنهم ، ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ؛ مما لا يجوز أن تختلف (١) العبادة فيه ، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة ؛ من حيث تبيعت (٢) المصالح والألطف والمعروف من أحوال المكلفين ؛ فكأنه قال : إن ملتكم لا نعود فيها ؛ مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها ، إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها ؛ وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها ؛ مع نسخها عنهم ونهيم عنها - وإن كانت ضللاً وكفراً - فقد كان يجوز فيما هو مثلها أن يكون إيماناً وهدياً ؛ بل فيها أنفسها قد كان يجوز ذلك ؛ وليس تجرى هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى ، الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً . ١٥

وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتعبد لهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ﴾ ؟

(١) ت : « اختلاف العبادة . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « تتبع » .

فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهُمْ إِلَيْهَا عَلَى كُلِّ وَجْهِ ؛ وَإِنَّمَا نَفَى الْعَوْدَ إِلَيْهَا مَعَ كَوْنِهَا مَنْسُوخَةً مِنْهَا ،
عِنْدَ ؛ وَالَّذِي عَلَّقَهُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْعَوْدِ إِلَيْهَا هُوَ بَشْرَطِ أَنْ يَأْمَرَ بِهَا ، وَيَتَعَبَّدَ بِمَثَلِهَا ،
وَالْجَوَابُ مُسْتَقِيمٌ لَا خَلَلَ فِيهِ .

وثانيتها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوماً
أنه لا يشاؤه ؛ وكلُّ أمرٍ علّقَ بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعاد الوجوه ؛ وتجري الآية
مجرى قوله تعالى : ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [الأعراف : ٤٠] ؛
وكما يقول القائل : أنا لا أفعلُ كذا حتى يبيضَّ القار ؛ أو يشيبَ الغراب ؛ وكما قال الشاعر :
وحتى يثوبَ القارِظانِ كِلاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْقَتْلِ كُليبٌ لو أئبل^(١)
والقارِظان لا يثوبان أبداً ، وكليب لا يُنْشَرُ أبداً ؛ فكأنه قال : إن هذا لا يكون أبداً .

وثالثها / ما ذكره قُطْرِبُ بنِ المُسْتَنيرِ من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وأن الاستثناء [١٣٤] ^ظ
من الكفار وقع لا من شعيب ؛ فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ
يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ
تَعُودَ فِي مِلَّتِنَا ؛ ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ على
كل حال .

ورابعها أن تعود الهاء التي في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى الملة ؛ لأن ذكرَ ١٥
القرية قد تقدّم كما تقدم ذكرُ الملة ؛ ويكون تلخيص الكلام : إِنَّا سَنَخْرِجُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ،
وَلَا نَعُودُ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِمَا يُنِيجُزُهُ لَنَا مِنَ الْوَعْدِ فِي الْإِظْهَارِ عَلَيْكُمْ ، وَالظَّفَرُ بِكُمْ ،
فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرُدَّكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، فَتَكُونُ جَمِيعًا عَلَى

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ . والقارِظان هما رجلان من عنزة ؛ خرجا
ينتحيان القرظ ويحبتنيانه ، فلم يرجعا ؛ فضرب بهما المثل ؛ وانظر اللسان (قرظ) ، وشرح ديوان الهذليين .

ملة واحدة غير مختلفة ؛ لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لنكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة ، فحسُنَ أن يقول من بعد : إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعودُ فيها إلا أن يشاء الله ، فكيف يصحّ هذا الجواب ؟

قلنا: هو كذلك ؛ إلا أنه لما كان معنى ﴿ أَنْ نَعُودَ فِيهَا ﴾ ، هو أن نصيرَ ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن تتفق في الله بأن ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإن قيل : فكأنَّ الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق !

قلنا : بل قد شاء ذلك ، إلا أنه ما شاءه على كل حال ، بل من وجهٍ دون وجه ، وهو

أن يؤمنوا وبصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستجيبوا الثواب الذي أُجْرِيَ^(١) بالتكليف إليه ، ولو شاءه على كل حال لما جاز ألا يقع منهم ؛ فكأن شعيباً عليه السلام قال : إن ملتنا

لا تكون واحدة أبداً ؛ إلا أن يشاء الله أن يُلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقنا في ماتنا ؛ والفائدة في ذلك واضحة ؛ لأنه لو أطلقنا لا نتفق أبداً ، ولا نصير ملتنا واحدة

لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه^(٢) له بالمشيئة

هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ مجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [يونس : ٩٩] .

[١٣٥] وسادسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ، / ويجئني

بينكم وبينه ، فنعود إلى^(٣) إظهارها مكرهين ؛ ويقوى هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا

كآلهين ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الذي أُجْرِيَ » بالألف . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فأفاد

تعليقه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فنعود في إظهارها » .

وسابغها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه؛ لأن إظهار كلمة الكفر قد تحسُن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها؛ وقوله: ﴿أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ يقوَّى هذا الوجه أيضاً.

فإن قيل: فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ماجاء به من الشرع؟

قلنا: يجوز أن يكون لم يُرد بالاستثناء نفسه بل قومه؛ فكأنه قال: وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه؛ وهذا جائز غير ممتنع.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبَقَتْ غِنَى، وَالْيَدُ الْعَالِيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعْمَلُ».

١٠

وقد قيل في قوله: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبَقَتْ غِنَى»: قولان:

أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل عن^(١) قوت عيالك وكفائتهم، فإذا خرجت صدقتك عنك إلى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها؛ ومثله في الحديث الآخر: «إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنَى». وقال ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾؛ [البقرة: ٢١٩]؛ قال: ما فضل عن أهلك.

١٥

والجواب الآخر، أن يكون أراد: خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيت عن المسألة، أي تجزّل له في العطيّة، فيستغنى بها ويكف عن المسألة؛ وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج، فيستغنى بها ويكف عن المسألة، فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم.

(١) حاشية ت (من نسخة): «ما فضل من قوت عيالك».

والتأويلُ الأوَّلُ يشهد له آخِرُ الخبر وهو قوله : « وأبدأُ بَمَنْ تعولُ » ، ويشهدُ له الحديثُ الآخرُ أيضاً : « إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عن ظَهْرِ غِنَى » .

وقوله : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى » ، قال قوم : يريدُ أن اليدَ المِطيةَ خيرُ من الآخذة ، وقال آخرون : إنَّ العُلْيَا هي الآخذة ، والسفلى هي المِطية .

٥ وقال ابنُ قتيبة : ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤالَ ؛ فهم يحتجُّون للدناءة ؛ ولو كان هذا يجوزُ لقييل : إن المولى من فوق هو الذى أُعْتِقَ ، والمولى من أسفل هو الذى أُعْتِقَ ، والناسُ إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بالمطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى » غيرُ ما ذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكونَ اليد هاهنا هي العطية والنعمة ؛ لأنَّ النعمة قد تُسمَّى يدًا في مذهب أهل اللسان بغير شكٍّ ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله أراد أن المِطيةَ الجزيلةَ خيرٌ من العطية القليلة . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم ، وتحضيضٍ على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً .

ويشهدُ لهذا التأويل أحدُ التأويلين^(١) المتقدمين في قوله : « ما أبتُ غِنَى » ، وهذا أشبهُ وأولى من أن تُحْمَلَ اليدُ على الجارحة ؛ لأنَّ مَنْ ذهب إلى ذلك وجعل المِطيةَ خيراً من الآخذة لا يستمرُّ قوله ؛ لأنَّ فيمن يأخذ مَنْ هو خيرٌ عند الله تعالى مِمَّنْ يعطى ؛ ولفظة « خير » لا تُحْمَلُ إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ؛ فأما مَنْ جعلَ الآخذةَ خيراً من المِطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولاً شنيعاً^(٢) ، وعكس الأمرَ على ما ذكر^(٣) ابنُ قتيبة .

فإن قيل : كيف يصحُّ تأويلكم مع قوله عليه السلام : « خيرُ الصَّدَقَةِ ما أبتُ غِنَى » ٢٠ وهي^(٤) لا تبقى غِنَى إلا بعد أن تنقُصَ من غيرها ؛ وإذا كانت المِطية التي هي أجزلُ

(١) من نسخة مجاشيتي الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعاً » .

(٣) م : « ما قال » . (٤) ت : « فهي » .

أفضلُ فتلك لا تُبقي غِنَى ، والتي تبقى غِنَى ليست الجزيلة، وهذا تناقض .

قلنا : أمناؤيلنا فمطابق^(١) للوجهين المذكورين في قوله: « ما بقت^(٢) غِنَى »؛ لأنَّ مَنْ تأوَّل ذلك على أنَّ المراد بها المعطى، وأنَّ خير العطية ما أغنته عن المسألة فالطابقة ظاهرة، ومَنْ تأوَّلَه على الوجه الآخر، وسَمَل ما أبقي الغنى على المعطى وأهله وأقاربه؛ فتأويلنا أيضاً مطابق له، لأنه قد يكون في العطايا التي يَبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيلٌ وغير جزيل، فقال عليه السلام: « خير الصدقة ما بقت^(٢) غنى » بعد إخراجها؛ والعطية الجزيلة التي تُبقي بعدها غِنَى خير من القليلة، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيلَ العطية، وحثَّ على الكرم والفضل.

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيمى قال أملى علينا أبو العباس / أحمد بن يحيى النحوى قال : أنشدنا ابن الأعرابيُّ لثابت قُطْنَةَ [١٣٦] العتكي^(٣):

يا هِنْدُ كيفَ بَنُصِبِ باتَ يُبْكيني وعائِرٍ في سَوادِ العَيْنِ يُؤذيني^(٤)
 كَأَنَّ لَيْلِي والأَصْداءَ ها جِدَّةُ لَيْلُ السَّليمِ وأَعْيَا مَنْ يُداوِيني
 لَمَّا حَسَى الدَّهْرُ مِنْ قَوسِي وَعَدَّرَنِي شَيْبِي وَقاسيتُ أَمْرَ الغِلْظِ واللَّينِ^(٥)

- (١) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « فيضابق الوجهين ». (٢) ت: « ما بقت ». (٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب، شاعر فارس؛ من شعراء الدولة الأموية، وكان في صحابة يزيد بن المهلب، وثقب قطنه؛ لأن سمها أصابه في عينه في بعض حروب الترك. وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١٣: ٤٧-٤٤، والخزانة ٤: ١٨٥-١٨٧، والشعر والشعراء ٦١٢-٦١٣). (٤) القصيدة في رثاء الفضل بن المهلب؛ وهند هي بنت الفضل؛ دخل عليها ثابت، والناس حولها جلوس يزونها؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت: ليست المصيبة في قتل من استشهد ذابا عن دينه، مطيعا لربه؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته؛ وأرجو ألا يكون الفضل عند الله خاملا. والقصيدة في (أملى الزجاجي ١٣٠-١٣١، وأبيات منها في الأغاني ١٣: ٥١-٥٢). النصب: البلاء والعتاب. والعائر: الغذى والرمد، وكذلك العوار. (٥) عذرني شيبى؛ أى شيبني من جانبي وجهي؛ من العذارين.

إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرَقَّنِي إِذَا عَرَضَ السَّارُونَ يُشَجِّبُنِي (١)
 كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوَى يَمَنِ وَعِصْمَةٌ وَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ (٢)
 غَيْثًا لَدَى أَرْزَمَةٍ غِبْرَاءَ شَاتِيَّةٍ مِنَ السَّنِينِ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينِ (٣)
 إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلَى لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا ذُوئِي
 لَأَخِيرَ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ نَجْنِ بَعْدَهُمْ حَرْبًا تُنِي بِهِمْ قَتْلَى فَتَشْفِينِي
 لَأَخِيرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ، وَعُفَّةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٤)
 [أَنْظُرُ فِي الْأَمْرِ يَعْينِي الْجَوَابُ بِهِ وَلا أَرْكَبُ الْأَمْرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ
 وَلا يَغِيبُ الْجَهْلُ حَلْمِي عِنْدَ مَقْدَرَةٍ لَأَسْمَعِي مِنْ عَدُوِّ رِمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ
 ١٠]

قال سيدنا أدام الله علوه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة (٨) وتداخل أبياتاً على هذا الوزن ؛ وهي التي يقول فيها :

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني
 أسمى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت أتاني لا يعنيني

(١) ت : « إذاعرض » ، م : « إذاعرس » . (٢) في ذوى يمن ، أى في اليمنين ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « في ذوى يمن » ، جمع ذروة . وثمال المساكين : غياث لهم ، من علمهم ثمالاً إذا أطعمهم وسقاهم وقام بأمرهم . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لدى أزيمة » . والأزيمة : القطع . ويقال : شتا القوم إذا أجدبوا في الشتاء خاصة ، وقال الأزهرى : العرب تسمى الفحط شتاء ، لأن الجفاعات أكثر ماتصيدهم في الشتاء البارد . (٤) العفة : البلغة من العيش . وفي أمالي الزجاجي : « من قليل العيش » . (٥) تكملة من ت ، ف ، د ، وأمالي الزجاجي . ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وانظر الأمر » (٦) المضية : الإنك والبهتان ، أى لأ أكبر إذا عضه ذوالضعن .

(٧) النصف : الاتصاف . (٨) هو عروة بن أذينة بن مالك ، من بني الليث . شاعر غزله مقدم من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود أيضاً في الفقهاء والمحدثين . وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره في (الأغانى ٢١ : ١٠٥-١١١ ، والشعر والشعراء ٥٦٠-٥٦٢) .

كَمْ قَدْ أَفَدْتُ وَكَمْ أَتَلَّفْتُ مِنْ نَسَبٍ
 وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ
 فَمَا أَشْرَفْتُ عَلَى يَسِيرٍ وَمَا ضَرَعْتُ
 نَفْسِي لِخَلَاةٍ غُسِيرٍ جَاءَ يَبْلُونِي (١)
 خِيَمِي كَرِيمٌ وَنَفْسِي لَا تُجَدُّ لِي
 أَنْ الْإِلَهَ بِإِلَاءِ رِزْقِي يُجَاهِنِي
 / وَلَا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً
 إِلَّا تَبَقَّعْتُ أَنِّي غَيْرُ مَمْنُونٍ [١٣٧]
 وَلَا دُعَيْتُ إِلَى بَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ (٢)
 لَا أَتَبَغَى وَصَلَ مَنْ يَبَغَى مُفَارَقَتِي (٣)
 إِنْ سَيِّعِرُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
 فَعَطَّنِي جَاهِدًا وَاجْهَدْ عَلَيَّ إِذَا
 سَوْقَوْمٌ يَخْطُونُ (٥) فَيَرَوُونَ قَوْلَهُ :

١٠ * لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي *

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع بضرع [بالفتح] زراعة ، وضرع [بالكسر]
 بضرع ضرعاً [بالفتح] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفي حواشي الأصل ت ، ف :
 « يقال : محمداً ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيح : المحمداً ، بكسر الميم ، وهو المسموع » .
 (٣) حاشية الأصل : (من نسخة) : « مصارعتي » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف :
 « روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة
 فقال له : ألسنت القائل :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
 أَسْعَى لَهُ فَيُعِينَنِي تَطَلُّبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعِينَنِي

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : لقد وعظت يأمر المؤمنين
 وبالفت في الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر . وخرج من فوره إلى راحلته فركبها ، ثم نصها راجعاً نحو
 الحجاز ؛ فكث هشام يومه غافلاً عنه ، فلما كان في الليل تعار على فراشه فذكره وقال في نفسه : رجل
 من قريش قال حكمة ، ووفد إلى جبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول ! فلما
 أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ! ليعلمن أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولى له وأعطاه ألفي
 دينار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، ففرعت الباب عليه ،
 فخرج فأعطيته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له : كيف رأيت قولي ! سمعت فأكدت ،
 ورجعت إلى بيتي فأتاني فيه الرزق » . (٥) د ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف « يخطون » .

بالسين غير معجمة^(١)، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشرف أنى لا أستشرف وأتطلع^(٢) إلى ما فاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعمها نفسى^(٣).

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قطنه، وغروة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:

٥
 تَمَّاقَبْنِي بُؤْسُ الزَّمَانِ وَخَفْضُهُ وَأَدَبْنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسِلْمُهُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ وَرَاءَ سُرُورِ الْمَرْءِ فِي الدَّهْرِ غَمُّهُ
 وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا نَهْبُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تَحْبُّ بِهِ شُهْبُ الْفَنَاءِ وَدُهُمُهُ^(٤)
 يُعَلِّلُهُ بَرْدُ الْحَيَاةِ يَمْسُهُ وَيَنْتَرَهُ رَوْحُ النَّسِيمِ يَشْمُهُ^(٥)
 وَكَانَ بَعِيداً عَنِ مُنَازَعَةِ الرَّدَى فَأَلْقَتْهُ فِي كَفِّ الْمَنِيَةِ أُمَّهُ^(٦)
 ١٠
 إِلَّا إِنْ خَيْرَ الرَّادِ مَا سَدَّ فَاقَةً وَخَيْرُ تِلَادَى الَّذِي لَا أَجْمُهُ^(٧)
 وَإِنَّ الطَّوَى بِالْعِزِّ أَحْسَنُ بِالْفَتَى إِذَا كَانَ مِنْ كَسْبِ الْمَذَلَّةِ طُعْمُهُ^(٨)
 وَإِنِّي لِأَنْهَى النَّفْسَ عَنِ كُلِّ لَذَّةٍ إِذَا مَا ارْتَقَى مِنْهَا إِلَى الْعِرْضِ وَضْمُهُ
 وَأُعْرِضُ عَنِ نَيْلِ الثَّرِيَّاتِ إِذَا بَدَأَ وَفِي نَيْلِهِ سُوءُ الْمَقَالِ وَذَمُّهُ
 أَعْفُ وَمَا الْفَحْشَاءُ عَنِّي بَعِيدَةٌ وَحَسْبِي فِي صَدِّ عَنِ الْأَمْرِ إِعْمُهُ^(٩)

(١) حاشية ت (من نسخة): « المعجمة ». (٢) حاشية ت (من نسخة): « وأطلع ». (٣) حواشى الأصل، ت، ف: « العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين المهملة؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح ».

(٤) حاشية الأصل: « دهمه؛ جمع أدم؛ وهو كناية عن الليل والنهار ».

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « بردالنسيم ». (٦) ت، حاشية الأصل (من نسخة) « من منازعة الردى ». (٧) حواشى الأصل، ت، ف: « أى لأتركه يجم ويكثر، من جم الماء يجم جوما؛ إذا كثر واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجمت الفرس، أى أرحته ».

(٨) ت: « كسب المنية ». (٩) حاشية الأصل: « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية عنه ».

وما لعف من ولي عن الضرب سيفه^١ ولكن من ولي عن الشؤ حزمه^٢

[١٣٧]

و

/ ولي في معنى قوله : « وما الإشراف من خلقي » :

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته^٣ ولا بسط له في النائبات يدي

كم قد ترادف لم أحفل زيادته^٤ ولو تجاوزني ما فت من عضدي

٥ إن أسخط الأمر أدرك عنه مضطرباً^٥ وإن أريد بدلاً من مذهب أجد^(١)

ومعنى « ما خامر الرزق قلبي » أى لم أتمنه^٦ ، ولا تطلعت^٧ إلى حضوره ، ولا خطر لي

بإل تنزهاً وتقمعاً؛ والوجه فى تخصيص نبي بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب^(٢) يضرع

عندها فى الأكثر التنزه ، ويطلب التعفف ؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة

فهو الكامل المروءة .

١٠

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممن إذا كره شيئاً تمكّن من مفارقتة والنزوع عنه ، ولست

ممن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره . وفيه فائدة أخرى ، وهى

أنى ممن لا تملكه المادات ، وتقواده الأهواء ؛ بل متى أردت مفارقة خلق إلى غيره ، وعادة

إلى سواها لم يكن ذلك على متمذراً ؛ من حيث كان لرأى على هواى السلطان والرجحان .

١٥ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى

قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثنى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال : كان عروة

ابن أذينة نازلاً مع أبى فى قصر عروة بالعقيق ، فسمته يُنشد لنفسه :

إِنَّ الَّتَى زَعَمَتْ فُوَادَكَ مَلَمَّا خُلِقَتْ هَوَاكَ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا^(٣)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أن النوائب » . (٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦

(طبعة الحلبي) ، وبعضها فى أمالى الفالى ١ : ١٥٦ ، والموشح : ٢٣٠ ، وحاشية أبى تمام - بشرح

البربرى ٣ : ٢١-٢١٣ . ونسب ابن قتيبة فى الشعراء : ٥٥٤ أبياتا منها للجنون . والهوى ، بمعنى المهوى .

فَبِكَ الَّذِي زَعَمْتُ لَهَا ، وَكَلَّا كَمَا
 وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا
 وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ
 بَيْضَاءُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمِ فَصَاغَهَا
 لَمَّا عَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةٌ
 / مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :
 فِدَانًا ، فَقَالَ : لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ
 أَبَدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كَلَّمَهَا
 يَوْمًا وَقَدْ ضَحِيَتْ إِذَا لِأَظَاهِمَا
 شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا
 بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا (١)
 أَخَشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو ذُلَّهَا (٢)
 مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا !
 فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا ، فَقُلْتُ : لَعَنَّهَا !

[١٣٧]
ظ

قال عمرو بن عبيد الله : فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً فسلم وجلس إليّ ، فقلت له
 بعد الرّحّب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ فقال : أو كما تكون الحاجة ! أبيات لعمرو
 ١٠ ابن أذينة ؛ بلغني أنك سمعتها منه ، قلت : أيّ أبيات ؟ قال : وهل يخفى القمر !
 * إِنَّ أَلَّتِي زَعَمْتُ فُؤَادَكَ مَلَّمَهَا *

فأنشدته فقال : ما يروى هذا إلا أهل المعرفة والفضل ، وهذا والله الصادق الوّده ،
 الدائم العهد ، لا الهذلي الذي يقول :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً
 عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضَنُّ وَأَرْغَبُ
 ١٥ لقد عدا الأعرابيّ طوره ! وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حُسن الظنّ بها ،
 وطلب العذر لها . فدعوت له بطعام ، فقال : لا والله حتى أروى هذه الأبيات ، فلمّا رواها
 وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال : والله ما كنت لأخلط بمحبتي
 لها وأخذني إياها غيرها (٣) .

(١) حاشية الأصل : « أي أدق منها ما ينبغي أن يكون دقيقاً ، وأجل منها ما ينبغي أن يكون جليلاً »
 وقال ابن الأعرابي : ومعنى قوله : « فأدقها وأجلها » دق منها حاجباها وأنها وخصرها ، وجل عضداها
 وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّتْ وَأَكْمَلَتْ
 فَلَوْ جَنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ
 (٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة . (٣) وانظر الخبر أيضاً في زهر الآداب
 (طبعة الحلبي) : ١٦٧ ، والشوح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوه : والهدلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهدلى .

وقول عروة : « باكرها النعيم » أراد أنها لم تعيش إلا فى النعيم ، ولم تعرف إلا الخفض ، وأنها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ، فيؤثر ذلك فى جمالها وتامها ، والبكور هو التقدم فى كل وقت .

وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالمعاف والنزاهة ، ^(١) ورؤى أن سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبِدِي أَقْبَاتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْرِدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَقْقِدُ !

وأنت القائل :

قالتُ وأبنتُها وَجَدِي فَبُحْتُ بِهِ قَد كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السُّتْرَ ، فَاسْتَرِ
/ أَلَسْتُ تَبْصِرُ مَنْ حَوْلِي؟ فَقُلْتُ لَهَا: غَطَى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي ^(٢) [١٣٨]

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من قلب

سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى ^(٣) لعروة :

كَانَ خَزَامَى طَلَّةَ صَابِهَا النَّدَى وَفَارَةَ مِسْكَ ضَمَّنَهَا مِيَابِهَا ^(٤)
وَكَدْتُ لِدِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً وَغَالَبْتُ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غِلَابَهَا

(١) الخبر فى مصارع المشاق : ٣١٣-٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « بما ألقى على بصرى » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتى الأصل ، ت (من نسخة) : « أبو الحسن على بن أحمد » ،

ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « صابها الندى » ؛

الجزامى : بنت زهره أطيب الأزهار رائحة ، والطلّة : الروضة بلها الظل ؛ وهو المطر الخفيف . وفارّة

المسك : وعائه ؛ ويريد به هنا المسك .

إِذَا اقْتَرَبَتْ سُمْدَى لَهَجَتْ بِهَجْرهَا وَإِنْ تَعْتَرِبْ يَوْمًا بِرُغْكَ اغْتَرِبْهَا
فَفِي أَيْ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا ! سِوَا لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَاقْتِرَابُهَا
وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابَةٌ الْأَحْتُ بِرُقِيٍّ ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا (١)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهيئات هذا البيت الأخير من قول كثير :

وَإِنِّي وَتَهْيَايَ بَعْرَةٌ بَعْدَمَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ (٢)
لِكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْعِمَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اِضْمَحَلَّتِ
كَأَنِّي وَإِبَاهَا سَحَابَةٌ مُمَجَّلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزْتَهُ اسْتَهَاتَتْ

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هيفان قال : أشعرُ أبيات قيلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُمَيْتِ بن زيد (٣) :

١٠ إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (٤)
فَدَامَ بِي وَبِهِمْ مَالِي وَمَا لَهُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَجِدُونِي فِي خُلُوقِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
لَا يُنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ أَسْرًا عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدْدُ (٥)

وقال عروة بن أذينة :

١٥ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بَدَاءً فِي مَكْنُونِ
/ إِنِّي رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُجْبُونِي

وقال نصر بن سيار :

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لَعَمْرِي جَرَّ لِي الْحَسَدَا

(١) ألاحت : لوحث . (٢) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « الكميت بن معروف الأسدي » .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « غير لأئهم » ، والآيات الثلاثة الأول وردت في معجم

الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكميت بن معروف ، ووردت في عيون الأخبار ٢ : ١٠-١١ ، وأمالي

القالي ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي لَاعَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ
مَأْيَحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظَّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد لحظ البُحْتَرِيُّ بهذا^(١) المعنى في قوله :

مُحْسَدٌ بِجَلَالٍ فِيهِ فَاضَاةٌ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ^(٢)
وَأُظِنُّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ أَخَذَ قَوْلَهُ :

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَرْبِينِ
كَأَنَّ عَائِبِكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ وَصَفَاءً فِيمَدَحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِبُنِي
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبًّا لَسْتُ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ إِلَّا تَسْتَرِيدُنِي

من قول عروة بن أذينة :

لَا بُمْدُ مُعَدَى مُرِيحِي مِنْ جَوَى سَقَمٍ يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا إِنْ حُمَّ يَشْفِينِي
إِذَا الْوُشَاءُ لَحُوا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ وَخِلْتُ أَنَّ بَسْمَدِي الْيَوْمَ يُغْرِبُنِي

وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله :

مَا حَطَّكَ الْوَأَشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرَّكَ مُعْتَابُ
كَأَنَّهُمْ أَتَنُوا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالذِّي عَابُوا

ولعمرو بن أذينة :

تُرُوُّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ وَنَلَهُوْ حِينَ تَخْفَى ذَاهِبَاتٍ^(٣)
كِرْوَعَةٍ نَلَّةٍ لِمَغَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِمَاتٍ

[١٣٩]

و

الثَّلَّةُ : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال :
وَنُحْدِثُ رَوْعَاتٍ لَدَى كُلِّ فِرْعَةٍ وَنُسْرِعُ نِسْيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفي ت ، من

نسخة : « فيه ظاهرة » . (٣) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « ونسهر » . والشعر في الحيوان

٥٠٧ : ٦ وعيون الأخبار ٦٢٠٣ ، والبيان ٣٠١ : ٦

وإنا - ولا كُفْرانَ اللهُ رَبَّنَا - لكالبدين ، لا تدرى متى يومها البُدنُ !
أخذه أبو العتاهية في قوله :

إذا ما رأيتم مَيْتِينَ جَزِعْتُمْ
وإنْ غُيِّبُوا مِلْتُمْ إلى صَبَوَاتِهَا

وأخذ عروة قوله :

إنَّ الفَتَى مثلُ الهلالِ له
يَبْلَى وتُفْنِيهِ الدُّهُورُ كما
نورٌ لياليٍّ ثمَّ يَمْتَحِقُ^(١)
يَبْلَى وَيَنْضُوا الجِدَّةَ الخلقِ^(٢)

من قول لبعض شعراء طي :

مَهْمَا يَكُن رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِّي
يَهْلُ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ
تَقَارَبَ يَجْبُو ضَوْؤُهُ وشِعَاعُهُ
كذَلِكَ زَيْدُ المرءِ ثُمَّ انْتِقَاصُهُ
أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

أرى قَمَرَ اللَّيْلِ المُعَدَّبِ كالفَتَى^(٣)
وصورتهُ حتَّى إذا ما هَوَى استَوَى
ويَصْحُ حتَّى يَسْتَسِرَّ فلا يُرَى^(٤)
يَعُودُ إلى مِثْلِ الَّذِي كانَ قد بَدَأَ^(٥)

المرءُ مِثْلُ هِلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ
يزدادُ حتَّى إذا ماتَ أعقبهُ
يَبْدُو ضئيلاً ضعيفاً ثمَّ يَتَسِقُ
كُرُّ الجَدِيدِينَ نُقْصَانًا فيمَتَحِقُ^(٦)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « احق » ، وفيها : « يحق وامتحق واحق بمعنى » .

(٢) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « وينضى الحبرة » . وفي حاشية الأصل أيضا :

« أنضيت الثوب : أبليته وكذلك انتضيته ، ونضوته : خلطته » .

(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حفظة بن أبي عفراء الطائي ؛ وكان قد نُسك

في الجاهلية وتنصر ، وبني ديرا عرف باسمه . (٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى

لون زهره » . (٥) رواية عجز البيت في معجم البلدان :

* وتكرارُهُ في إثرِهِ بَعْدَ مامُضَى *

(٦) من نسخة بجواشي الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَمَا مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

فقال : كيف ينزل الله السحر على الملائكة ؟ أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه ؟ وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك إلى أنه بإذنه ، وهو تعالى قد نهى عنه ، وحذر من فعله ؟ وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم ، بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ ﴾ ، ثم قوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟ .

الجواب ، قلنا : في الآية وجوه ؛ كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينعم النظر فيها :

أولها أن يكون ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ بمعنى الذي ، فكأنه تعالى أخبر عن طائفة من أهل الكتاب ، بأنهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان ، وتضيفه إليه من السحر ؛ فبرأه الله تعالى من قرفهم ، وأكذبهم في قلوبهم ، فقال : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ باستعمال السحر والتمويه على الناس ، ثم قال : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ ، وأراد أنهم يعلمونهم السحر

والذى أنزل على الملكين، وإتّما أنزل على الملكين وصفُ السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه؛ ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه، كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي، ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنوقمها؛ لأن الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه، وأقدموا على فعله؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره ٥ وانتفع باطلاعه على كفيته، ثم قال: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ بمعنى الملكين، ومعنى ﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ يُعَلِّمَانِ، والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه، قال القطامي:

تَعَلَّمَ أَنْ بَعْدَ الْغَيِّ رُشْدًا وَأَنْ لِنَانِكَ الْغُبْرُ انْتِشَاعًا^(١)

وقال كعب بن زهير:

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنْكَ مُدْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ^(٢)

(١٤٠) ومعنى «تعلم» في البيتين / معنى «اعلم»^(٣)؛ والذي يدل على أن المراد هاهنا الإعلام

لا التعليم قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾، أى أنهما لا يعرفان صفات السحر وكفيته إلا بعد أن يقولوا إنما نحن محنة، لأن الفتنة بمعنى المحنة؛ وإنما كانا محنة، من حيث ألقيا إلى المكلفين أمراً لينزجروا عنه، وللمتنبهوا من مواقته، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه، فقالا لمن يُطلعا به على ذلك: لا تكفروا باستعماله، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك، فإنه إنما ألقى إليك، وأطلعت عليه لتجتنبه؛ لا لتفعله، ثم قال: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب؛ وإن كان الملكان ما ألقيا إليهم لذلك؛ ولهذا قال: ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾؛ لأنهم

(١) ديوانه: ٤٠؛ ومن نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: ه هذه الغمر، وهى رواية الديوان

والغمر: جمع غمرة، وهى الشدة. (٢) ملحقات ديوانه: ٢٥٨ (عن الفرر).

(٣) حواشى الأصل، ت، ف: « قال ابن السكيت رحمه الله: يقال: تعلمت أن فلانا خارج يعنى

علمت، وإذا قال لك: اعلم أن زيدا خارج قلت: قد علمت، وإذا قال: تعلم أن زيدا خارج لم تقل:

قد تعلمت؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم، ولا يتجاوز إلى غيره.

لَمَا قَصَدُوا بِتَعَلُّمِهِ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَيُرْتَكِبُوهُ، لَا أَنْ يَجْتَنِبُوهُ صَارَ ذَلِكَ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ .
 وثانيها أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنزِلَ ﴾ مَوْضِعُهُ مَوْضِعَ جَرٍّ ؛ فَيَكُونُ مَعطُوفًا بِالْوَاوِ عَلَى ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ وَالْمَعْنَى : وَاتَّبَعُوا مَا كَذَبَ بِهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مَلِكِ سُلَيْمَانَ ، وَعَلَى مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؛ وَمَعْنَى ﴿ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أَي مَعَهُمَا ، وَعَلَى أَلْسِنَتِهِمَا ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٩٤] ، أَي عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَمَعَهُمْ .
 ٥ .
 وَلَيْسَ بِمَنْكَرٍ أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا أُنزِلَ ﴾ مَعطُوفًا عَلَى ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ وَإِنْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا مِنْ الْكَلَامِ مَا اعْتَرَضَ ؛ لِأَنَّ رَدَّ الشَّيْءِ إِلَى نَظِيرِهِ ، وَعَطْفُهُ عَلَى مَا هُوَ أَوْلَى هُوَ الْوَاجِبُ ، وَإِنْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا مَا لَيْسَ مِنْهُمَا ؛ وَلِهَذَا نَظَّأْتُ فِي الْقُرْآنِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ كَثِيرَةً ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قِيمًا ﴾ ؛ [الكهف : ٢٠١]
 ١٠ .
 وَ« قِيمٌ » مِنْ صِفَاتِ الْكِتَابِ حَالٌ مِنْهُ ، لَا مِنْ صِفَةِ « عِوَجٍ » ، وَإِنْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهُمَا ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٧] ، فَالْمَسْجِدُ هَاهُنَا مَعطُوفٌ بِهِ عَلَى الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، أَي يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ .

وَحُكِّيَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ قَالَ : الْعَرَبُ تَلَفُّوا الْخَبْرَيْنِ الْمُخْتَلِفَيْنِ ، ثُمَّ تَرْمِي ١٥
 بِتَفْسِيرِهَا جَمَلَةً ؛ نَقَّةً بِأَنَّ السَّامِعَ يَرُدُّ إِلَى كُلِّ خَبْرٍ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ ؛ [يونس : ٦٧] ، وَهَذَا وَاضِحٌ فِي مَذْهَبِ الْعَرَبِ ، كَثِيرِ التَّطَايُرِ .

ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمَا لَا يَمْلِكَانِ أَحَدًا ، بَلْ يَنْهِيَانِ عَنْهُ ، وَيَبْلُغُ مِنْ نَهْيِهِمَا عَنْهُ وَصَدَّهُمَا عَنْ فِعْلِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ أَنْ يَقُولَا : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ بِاسْتِعْمَالِ السِّحْرِ وَالْإِقْدَامِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ : مَا أَمَرْتُ فَلَا نَأْكُذًا ، وَلَقَدْ بَالِغَتْ فِي نَهْيِهِ حَتَّى قَالَتْ لَهُ : إِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَهُ أَصَابَكَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَهَذَا

هو نهاية البلاغة في الكلام؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة؛ لأنه استغنى بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه؛ ولذلك نظر في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾؛ [الزمنون: ٩١]، فلو لا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق؛ ومثله قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾؛ [آل عمران: ١٠٦]، أى: فيقال للذين اسودت وجوههم: ﴿ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾؛ وأمثاله أكثر من أن تُورد.

١٠ ثم قال تعالى: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفي عنهما التعليم! بل يرجع إلى الكفر والسحر، وقد تقدم ذكر السحر، وتقدم أيضاً ذكر ما يبدل على الكفر ويقتضيه في قوله: ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْوَجْدَ كَفَرُوا ﴾؛ فدل ﴿ كَفَرُوا ﴾ على الكفر، والعطف عليه مع السحر جاز، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه؛ ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيِّدٌ كَرِيمٌ مِنَ الْيَحْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾؛ [الأعلى: ١٠-١١]، أى يتجنب الذكرى الأشقى، ولم يتقدم تصريح بالذكري، لكن دل عليها قوله: ﴿ سَيِّدٌ كَرِيمٌ ﴾.

ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾، أى بدلا مما علمهم الملكان، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلمه واستعماله؛ كما يقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا^(١)! أى بدلا منه، وكما قال الشاعر:

(١) حواشي الأصل، ت، ف: و من هذا الباب قوله:

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان

— الطهيان: اسم جبل —

[١٤٠] جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَاً وَعُغْلِبَةً وَصَرَ الْأَخْلَافِ الْمَزْمَمَةَ الْبُزْلِ (١)
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ (٢)

يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة .

وقوله : « مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ فيه وجهان :

أحدهما أن يكونوا يفرون أحد الزوجين ، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ،
فيكون بذلك قد فارق زوجته الآخر المؤمن المقيم على دينه ، فيفترق بينهما اختلاف النحلة
والملة .

والوجه الآخر أن يسموا بين الزوجين بالنميمة والشاوية والإغراء والتموه بالباطل ؛
حتى يثوول أمرهما إلى الفرقة والبائنة .

وثالث الوجوه في الآية أن يحمل ﴿ مَا ﴾ في قوله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ على الجحد
والنفى ، فكانه تعالى قال : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُّوا مِنَ الشَّيَاطِينِ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ ،
ولا أنزل الله السِّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ
بِأَبْلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ بِيَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ من المؤخر الذي
معناه التقديم ، ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ، هذان
اسماهما؛ وإنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ، ويكون المَلَكَانِ المذكوران اللذان

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوطب : زق اللبن ، والعلبة : ما يجلب فيه . والصر : شد الصرع .

والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لثافة كاللثدي للمرأة والمزمنة : النوق التي علفت الأزمة عليها ، والبزل :

جمع بزل ؛ وهي التامة السن . وفي د ، م : « المزهمة » ، وهي السمان الكثيرة الشحم .

(٢) المحل : الكذب والهداع .

نفى عنهما السحرَ جبرائيلُ وميكائيلُ عليهما السلام؛ ^(١) لأنَّ سَحْرَةَ الْيَهُودِ - فيما ذكر - كانت تدعى أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل ^(١) إلى سليمان بن داود عليهما السلام، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال: ولكن الشياطين: هاروت وماروت كفروا؛ ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا إِحْكُمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾؛ [الانباء: ٧٨] ، يعني حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالُع ، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً [١٤١] أو قال باطلاً: هذا فعل من لا يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلتُ / إلا على الحسران؛ وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجه المجون والتهاك .

ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمَّن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ، ونفى عنهما إزال السحر بقوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَيِّنَاتٍ ﴾ ويكون قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجنَّ أو إلى شياطين الجن والإنس ، فتحسن التثنية لهذا .

وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ﴿ مَا ﴾ على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين . وروى عنه أيضاً أنه كان يقرأ: ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول: متى كان المَلِجَانِ مَلِكَيْنِ! إنما كانا ملكين؛ ^(١) وعلى هذه القراءة لا ينفكر أن يرجع قوله: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما ^(١) .

وعلى (١) هذه القراءة في الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكِينَ ﴾ على الجحد والنفي ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان ، واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى ، وإن أطلق ؛ لأنه جَلَّ وعز لا يُنزل السحر ؛ بل يكون منزله إليهما بمض الضلال المصاة ، ويكون معنى ﴿ أَنْزَلَ ﴾ — وإن كان من الأرض — مُحمل إليهما لا من السماء أنه أتى به ٥ به من نجوم الأرض وأعليها ؛ فإن من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ فيحتمل وجوهاً : منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا أعلمته ، وآذنت لكذا إذا استمعتة وعلمته ، قال الشاعر :

١٠

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِي مُشَارٍ (٢)

ومنها أن تكون ﴿ إِلَّا ﴾ زائدة ، فيكون المعنى : وما هم بضارين به من أحدٍ بإذن الله ، ويجرى مجرى قول أحدنا : لقيت زيدا إلا أني أكرمته ، أي لقيت زيدا فأكرمته . ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع ، فكأنه أفاد بذلك أن العباد لن يُعجزوه ، وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلى الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر ، زائداً ١٥ على منعهم بالزجر والنهي .

[١٤١] ومنها أن يكون الضرر الذي عني أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يلحقُ المسحور من الأدوية والأغذية التي يُطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالمادة ؛ لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً ، وإن كان المرص للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للدم ، وعليه يجب العوض .

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت في اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدى ابن زيد الماذي : العسل الأبيض . والمشار : الحنبي ، ويقال : شرت العسل واشترته وأشرته ، إذاجنيتها .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغواوا أحد الزوجين ، وكفر فبانت منه زوجته ، فاستضررت بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر ، إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه ؛ لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفين الأديان ؛ فلهذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لو لا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ؛ ويقوى هذا الوجه ما روى أنه كان من دين سليمان ؛ أنه من (١) سحر بانته منه امرأته .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه :

١٠

أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ماتلوا الشياطين على ملك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر ، وشروا به أنفسهم .

وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا ؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره ، فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الذي لا نفاذ له ولا انقطاع .

١٥

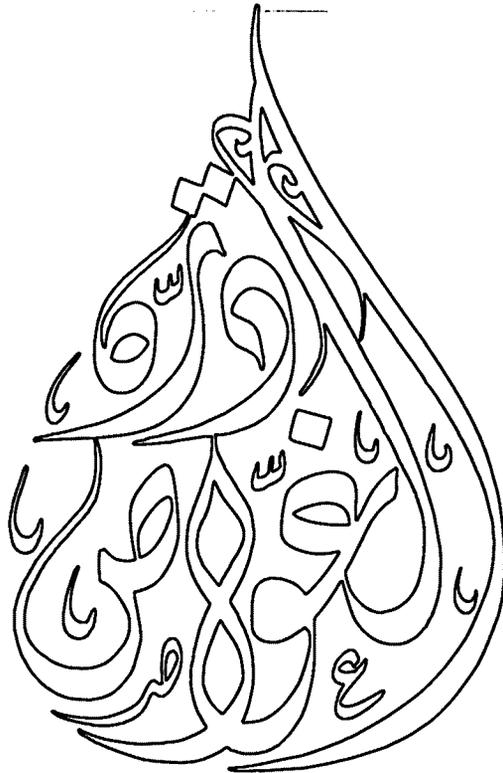
وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكانهم لم يعلموا ، وهذا كما يقول أحدنا لغيره : ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر في العواقب ، وهو يعقل وينظر في العواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحسنت [١٤٢] أن يقال له / مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذئبا وغرابا تبعاه ؛ ليصيبا من زاده :

إِذَا حَضَرَ أُنَى قُلْتُ : لَوْ تَعَلَّمَانِهِ أَلَمْ تَعَلَّمَا أُنَى مِنْ الزَّادِ مُرْمِلٌ (٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن من » . (٢) ديوانه : ٥١ . المرمل : الذي قدزاده .

فنتى عنهما العلم ، ثم أثبتته بقوله : « ألم تعلموا » ، وإنما المعنى فى نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملوا بما علماه فكأنهما لم يعملوا .

ورابمها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعا فى حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَكَبُتْ مَآشِرُوا بِهِ أَنفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذى آثروه وجماعه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضئ جل باطل ، وأن المال إلى المستحق فى الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .



مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ خَبَرِ

روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار » .

وقد ذكر متأولوا حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلها غيرُ صحيحٍ ولا شافي ، وأنا أذكر ما اعتمده (١) ، وأبين ما فيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابن قتيبة : ذهب الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقى في النار لم تحرقه ، فكنتى بالإهاب - وهو الجلد - عن الشخص والجسم ؛ واحتج على تأويله هذا (٢) الحديث بما روى عن سليمان (٣) بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرأوا القرآن ولا تغرَّركم هذه المصاحف المعلقة (٤) ؛ فإن الله لا يمدب قلباً وعى القرآن .

١٠ قال ابن قتيبة: وفي الحديث تأويل آخر ، وهو أن القرآن لو كتبت في جلد ، ثم ألقى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار ؛ على وجه الدلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق (٥) إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب ؛ ويكون معنى الحديث : لو جُمِع القرآن في إهاب ثم ألقى في النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما ذكره » .

(٢-٢) ت : « بالحديث عن سليمان » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعلقة ؛ يجوز

أن يكون معناها السكتب ؛ لأن التعليق السكتب » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « الاحتراق » .

فكان النار تُحرق الجلد والمداد ولا تُحرق القرآن ؛ لأنَّ الله تعالى ينسخه ويرفعه من الجلد، صيانة له عن الإحراق .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنباري ردّاً على ابن قتيبة ، ومعتزلاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢] ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قوله الأول فيرده ما روى عنه عليه السلام من قوله : يخرج من النار قومٌ بعد ما يُحرقون^(١) فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . قال : وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذ دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال الله عز وجل : انظروا من كان في قلبه مثقالُ حبة من خردل من إيمان^(٢) فأخرجوه منها » ؛ قال أبو بكر : وكيف يصحُّ قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تُحرق من قرأ القرآن ؛ ولا خلاف بين المسلمين أن الخوارج وغيرهم ممن يُكفِّر في دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تُحرقهم النارُ بغير شك ؛ واحتجاجه بخبر أبي أمامة : « إنَّ الله لا يمدِّب قلباً وعى القرآن » معناه : قرأ القرآن وعمل به ؛ فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده ؛ فإنه غير واعٍ له .

قال : فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده ، فأروى هذا الحديث أحدٌ أنه كان في دلائله عليه السلام ؛ ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يُلقيه في النار فلا يحترق

قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لا تحترق الجلد والمداد ، ولم يحترق القرآن » غير صحيح ؛ لأن الذي يصحُّ هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب ؛ وهذا محال ؛ لأن المكتوب في المصحف هو القرآن . والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [الواقعة : ٧٩ - ٨١] ، ومنه الحديث : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » ؛ وإنما يريد المصحف .

قال أبو بكر : والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن في جلد

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يحترقون » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إيماناً » .

ثم ألقى في النار ما أبطأته ؛ لأنها وإن أحرقتة فإنها لا تدرسه؛ إذ كان الله قد ضمَّه قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله فيما روى عنه : إني منزلٌ عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم ينجس ؛ وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تمهه وتحفظه .

قال: ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب؛ قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا / وَعَصُوا الرَّسُولَ أَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾؛ [النساء: ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لعمَّا قالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ، وإنما أراد تعالى ؛ ولا يكتُمون الله حديثاً في حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الأنباري جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره ، والمعنى أنه لو كتب في إهاب ، وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .

ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنسٍ بمذاهبهم ، وتصرف كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدَّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ؛ [الحشر: ٢١] .
 ٢٠ ومعنى الكلام : إننا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء ؛ أو خشية لأمرٍ لتصدع مع صلابته وقوته ؛ فكيف بكم يامعاشر الكافرين ، مع ضعفكم وقلتكم ! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج

المثل بقوله: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ ومثله قوله تعالى :
﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾ ؛ [مريم : ٩٠] .

ومثله قول الشاعر :

أَمَا وَجَلَّ لِلَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرَاكَ مَا مَهَنَتْ لِلْعَيْنِ مَدَمًا
فَقالتُ : بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعًا (١)

ومثله :

فلو أن مابى بالحصى فلق الحصى وبالريح لم يُسمع لهن هُبوب (٢)

ومثله :

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ (٣)
وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُتُّهُ تُسَكَّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ (٤)

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة ؛ يقولون : هذا كلام يُفَلِّقُ الصَّخْرَ ، ويهدِّئُ

الجبال / ويصرع الطير ، ويستنزِلُ الوُعول ؛ وليس ذلك بكذب منهم ؛ بل المعنى أنه حسنه [١٤٣]
وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ؛ ولو كانت مما يسهل (٥) ويتيسر لشيء
من الأشياء لتسهلت به من أجله .

فأما الجواب الأول المحكى عن ابن قتيبة فالذى يُفسده (٦) زائداً على ما رده ابن الأنباري ١٥
أنه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله
قد أغرانا بالذنوب ؛ لأنه إذا أمن حافظ القرآن ومعلمه من النار والعذاب فيها ركن (٧)

(١) الصفا : جمع الصفاة ؛ وهو الخجر الصلد الضخم لا يذبت . (٢) ت : فلق الحصى .

(٣) دبوانه : ٣٨ . (٤) أسقيه : أدعوله بالسقيا . (٥) من نسخة بحاشيتي ت ،

الأصل : « يتسهل » . (٦) ت : « يبطله » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : يقال : ركن [يفتح الكاف] يركن ، [بكسرها] . وركن

[بكسر الكاف] يركن [يفتح الكاف] ؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضي من هذا والمضارع من ذلك ،
فقالوا : « ركن يركن » بالفتح فيهما .

المكلفون إلى تعلّم القرآن والإقدام على القبائح آمينين غير خائفين ؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول أبي أمامة أن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .

فأما جواب ابن قتيبة الثاني ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يبطله أنه لو كان كما ذكر لما جاز أن يحفى على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفي وجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُنِيَ به غير عارفٍ بهذه الدلالة والآية إبطالٌ لما توهمه .

فأما جوابه الثالث فباطلٌ ؛ لأنّ القرآن في الحقيقة ليس يحلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله : إن الإهاب هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأنّ هذه سبيل كلِّ كلام كتب في إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضية^(١) عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري : « وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب » ؛ لأنّ كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذا علق الإحراق^(٢) بالكتابة والجلد دون المكتوب ؛ الذي هو القرآن ؛ وإذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري ، فما المانع من قول ابن قتيبة أن الجلد يحترق دونه ؟ لأنّ أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخليط من الرجلين ؛ لأنّ القرآن غير حالٍ في الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمانة للحروف ؛ فأما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فحال .

فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجوز وتوسّع ،

(١) ت ، ف : « الفصة » . (٢) ت : « الاحتراق » .

وليس يجب أن يُجمل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمعاني، ومعتزلة على أدلة العقول؛ وقد تجوز القوم بأكثر من هذا فقالوا: في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر. وقد بين الكلام، في هذا الباب في مواضع هي أولى به.

فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه، فلا طائل أيضاً فيه، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم، لأننا نعلم أن الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال إذا كتبت في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب مافي الصدور. منه؛ بل يكون ثابتاً بحاله، فأى مزية للقرآن في هذا على غيره؟ وأى فضيلة؟ فإن قال: وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو المتولى لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه؟

١٠

قلنا: الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد؛ وهكذا القرآن لو لم يُحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق؛ وإلكنه لا يبطل بهذا الشرط؛ فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وإثباته، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من أن النار لا تمسه، وهذا يبين أنه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه.

١٥

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأسمعي - عن عمه للحسين بن مطير الأسدي (١) - وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أتم منشدته:

(١) هو الحسين بن مطير بن مكل؛ مولى لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين؛ ومذهبه في الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٤: ١١٠-١١٤، والخزانة ٢: ٤٨٥-٤٨٨).

الْأَحَبُّ^(١) بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ
 لِأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لَعِينِي مُعِجِبٌ^(٢)
 أَصْدُ حَيَاءً أَنْ يَلِجَ بِي الْهُوَى
 وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ اسْتَطِيعَهُ^(٥)
 فَإِنَّ آتِهِ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ
 وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَاتِرًا
 وَإِنْ تَكُنِ الْأَعْدَاءُ أَحْمَوْا كَلَامَهُ
 أَحْبَبْتُكَ يَا سَلْمَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ
 وَيَا عَادِلِي لَوْ لَا نَفَاسَةُ حَبِيبِهَا
 بِنَفْسِي مَن لَابَدًا أَنْتِ هَاجِرُهُ
 وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ
 أَحْبَبْتُكَ حَبًّا لَنْ أَعْنَفَ بَعْدَهُ
 لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَانْقَضَى
 كَلَامُكَ يَا سَلْمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي
 إِلَّا لَا أَبَالِي أَيَّ حَسِيٍّ تَحْمَلُوا

•

١٠

١٥

(١) وردت هذه المقطوعة في أمالي النخعي ١: ٧٨، وأمالي ابن السجري: ١٥٠ مع اختلاف في الرواية
 وعدد الأبيات. (٢) ت: « زائره ». (٣) هـ: « إلى لمعجب ». .
 (٤) م: « أن يلعج بي الهوى ». (٥) حاشية الأصل (من نسخة): « استطيعه ». .
 (٦) ت: « تجاوزه », وحاشية الأصل (من نسخة): « تجاوزه ». .
 (٧) في حاشية الأصل، ت: « بهنا يدعى أنه أحيا الحب، وأن الحب كان قبله ميتا. وسموت بعده ». .
 (٨) الحفر: التحقير. (٩) تحمّلوا: ارتحلوا؛ والتمد: الماء القليل. والبرقاء: موضع بالجزيرة
 ولم يجول؛ من جلاء القوم عن منازلهم.

وأنشد ابن الأعرابي لابن مُطَيْرٍ :

لَعَمْرُكَ لِلْبَيْتِ الَّذِي لَا نَطُورُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ بِلَادِ نَطُورِهَا (١)
تَقَلَّبْتُ فِي الْإِخْوَانِ حَتَّى عَرَقْتُهُمْ وَلَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانَ إِلَّا خَيْرُهَا
فَلَا أَصْرِمُ الْخِلَآنَ حَتَّى يُصَارِمُوا وَحَتَّى يَسِيرُوا سِيرَةً لَا أُسِيرُهَا
فَإِنَّكَ بَعْدَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ وَاجِدُهُ خَلِيلًا مُدِيمًا شِيمَةً لَا يُدِيرُهَا

٥

[١٤٥]

/ — معنى يديرها، يقلبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا —

و

وَإِنَّكَ فِي غَيْرِ الْأَخْلَاءِ عَالِمٌ بَأَنَّ الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ ضَمِيرُهَا (٢)
فَلَا تَكُ مَعْرُورًا بِمَسْحَةِ صَاحِبِ مِنَ الْوَدِّ لَا تَدْرِي عِلَامَ مَصِيرُهَا (٣)
وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرَّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّهُ خَيْمُ الرَّجَالِ وَخَيْرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيهَا فَقِيرًا وَيَعْنَى بَعْدَ بُؤْسِ فَقِيرُهَا ١٠
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغْيَرَتْ وَحَالٍ صَفَا بَعْدَ اكْتِدَارِ غَدِيرُهَا
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةِ بَنٍ يَنَالُهَا وَمِنْ يَأْسٍ مِنْهَا أَنَاهُ بَشِيرُهَا
وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَا يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلِ شَيْءٍ يَضِيرُهَا (٤)
فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَالْكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَمِيرُهَا

قال سيدنا أدام الله علوه : ولي في معنى قول ابن مُطَيْرٍ : « وقد تغدر الدنيا » ، والبيت ١٥

الذي بعده من جملة قصيدة :

وَكَيفَ آانسُ بِالْدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا امْرَأً قَدْ تَعَرَّيَ مِنْ عَوَارِيهَا (٥)

(١) حساسة ابن الشجري : ١٦٣ . ونظورها : تقرئها . (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) « في عين الأخلاء » . (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن شمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جمال ، ومسحة عتق وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا في المدح . وفي ت : « مسحة » ، بكسر الليم . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في كل شيء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف أنفس بالدنيا » .

نَصَبُوا إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّبَةٍ كَأَنَّهَا مَا نَرَى عُشْبِي أُمَانِيهَا
فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا كُلُّ اعْتِبَارٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَأْوِيهَا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنًا وَقَدْ رَأَيْتُ طُولًا مِنْ مَعَانِيهَا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن

يحيى ثعلب للحسين بن مطير:

لقد كنتُ جَدًّا قَبْلَ أَنْ يوقِدَ الهَوَى عَلَى كَيْدِي نَارًا بَطِينًا خُمُودُهَا (١)
ولو تَرَكْتُ نَارُ الهَوَى لِتَضَرَّمَتْ وَلَكِنَّ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا (٢)
وقد كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعَهْودُهَا (٣)
/ فقدُ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ القَلْبِ وَالْحَشَا عِيَادَ الهَوَى تُولِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا (٤) [١٤٥] ط
بِمُرْتَجَةِ الأَرْدَافِ هَيْفِ خُصُورُهَا عَذَابٍ ثَنَائِيهَا عِجَافٍ قِيُودُهَا (٥) ١٠

— يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان ، وهي قيودها . قال أبو العباس ثعلب :

« عِجَافٌ » ، بالخفض لَحْنٌ ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصاباً ؛ لأنه حال من الثنايا (٦) . —

(١) أبيات منها في أمالي الزجاجي : ١٢٤-١٢٥ ، وأمالي القالي ١ : ١٦٥ ، والحاسة بشرح التبريزي ٣ : ٢٠٦-٢٠٧ وفي م : « توقد النوى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي لو تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكانت كافية ؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكيها ! » . (٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) المهاد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولي ؛ المطر الثاني ، شبه أول الشوق بالمهاد ، وما وليه بالولي ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثاني كثر الريم والحصب . (٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة الحصر ، الضامرة البطن وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « عجافا » . (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في « قيودها » لثنايا » . وفيها أيضا : « هذا الذي ذكره أحمد بن يحيى عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع . وقوله : « مرتجة الأرداف » ، وإن كان لا يحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يحتمل أن يريد به واحدة ، وتكون « خصورها » جما بما يقارب الحصر ، ويكون قوله : « هيف » دون « هيفاء » من باب قوله : فيا ليلة خُرس الدجاج طويلةً بيغداد ما كادت عن الصبح تنجلي وإنما جمع الحرس ، لأنها في الحقيقة صفة الدجاج ، لالليل ، فكذلك هاهنا .

مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
وَصُفْرًا تَرَاقِيهَا وَحُمْرًا أَكْفَهَا وَسُودَ نَوَاصِيهَا وَبَيْضَ خُدُودِهَا
- وصف التراقي بالصفرة^(١) من الطيب، وحمرة أكفها من الخضاب -

يُمْنِنَنَا حَتَّى تَرِفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٢)

أخذ قوله: «مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة:

وَتَرِيدِينَ أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا - إِنْ تَمَسَّيْهِ - أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا!
وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير .

وروى له أيضاً^(٣) - ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة :

١٠ وَكَنتُ أَذُودُ الْعَيْنِ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
خَلِيلِيَّ مَا بِالْعَيْشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَّنَا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُعِيدُهَا

وروى أبو تمام أيضاً لغيره^(٤) ، وبعض الرواة يرونها لابن مطير :

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجُوعَى كَنَظْرَةِ تَسْكَلِي قَدِ أَصِيبَ وَلِيدُهَا
هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ! أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا!^(٥)

١٥ وَأُنشِدُ أَبُو مَحَامٍ لَابْنَ مُطَيْرٍ :

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ أَسْتُ بَارِحًا أَحْبَبْتُكَ حَتَّى يُفَمِّضَ الْعَيْنَ مُغْمِضًا^(٦)

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد ذكر في صفرة التراقي أنها من الحلي .

(٢) حاشية الأصل : « يقال : رف النبات إذا مطر فاهتر بالندى .

(٣) الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ٣٠٢-٣٠٣ . (٤) الذي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي

أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير . (٥) حاشية الأصل : « الضمير للمرأة التي يجوى لها .

(٦) الزهرة : ٢٤ ؛ وفي حاشية الأصل : « أغمض وغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد ، أى يغمض عينه

وله بعد الموت . »

[١٤٦] / وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ الْأَيَّامِ سُرَّتْنِي / وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْتَى لِكَ مُبْغِضٍ^(١)
إِذَا أَنَارُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا / أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَمَرَّضُ
فِيالْيَتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا^(٢) صَبَابَتِي / وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُتَمَرِّضُ
ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا *

من قول رجل من أفزارة :

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّمَا / بِي الْهَجْرُ لَهَا لِلَّهِ مَا بِي لِكَ الْهَجْرُ
وَلَكِنْ أَرُوضُ النَّفْسَ أَنْظُرْ هَلْ لَهَا / إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتْهَا - صَبْرُ!
أو من قول نُصَيْبَ :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَأَنْتَى / عِيونًا^(٣) وَأَسْتَبْقِي الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
وَأُنْذِرُ بِالْهَجْرَانِ نَفْسِي أَرُوضُهَا / لَتَعْلَمَ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ!
ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* فَيَالْيَتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي ... * الْبَيْتِ

من قول بعض العرب :

رَمَى قَلْبَهُ الْبَرْقُ الْمَلَأِي رَمِيَةً / بَحْنَبِ الْحِمَى وَهَنَا فَكَادَ يَبِيمُ^(٤)
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ / فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
ولاحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد :
وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيْعُنِي / بِهَا كَبْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ^(٥)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وإن كان داني » . (٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :
« غيرى » . (٣) ف : « غيورا » ، م : « عدوا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « البرق الملأى رمية » .
(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « رواهما غير المبرد لابن الدمينه ، وقبلهما :

أَلَا يَا حِمَى وَاذِي الْمِيَاهِ قَتَلْتَنِي / أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَاتِ مُبِيحُ =

أَبِي النَّاسِ، وَيَبِ النَّاسِ لَا يَشْتَرُ وَنَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَّةٍ بِصَحِيحٍ! (١)
 وَأَخَذَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا! أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ! (٢)

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَكِيمِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي يَمُوتُ بْنُ الْمَزْرَعِ قَالَ
 حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ الْأَصْمَعِيِّ؛ فَأَنْشَدَهُ رَجُلٌ أَيْبَاتٍ دِعْبِلٍ :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلَكَا! لَا، أَيْنَ يُطَلَبُ ضَلَّ بَلْ هَلَكَا! (٣)
 / لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
 يَا سَلَمُ مَا بِالْمَشِيبِ مَنْقَصَةٌ لَا سَوْفَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكًا
 قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرِكًا
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سُنْفَكَا!
 لَا تَأْخُذْهُمُ بِظَلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا

قال: فاستحسنها كلُّ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ، وَأَكْثَرُوا التَّعْجِبَ مِنْ قَوْلِهِ :

* ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى *

= وبعدها :

أَنْ مِنْ الشَّوْقِ الَّذِي فِي جَوَانِحِي أَنْيْنَ عَضِيضٍ بِالسَّلَاحِ جَرِيحٍ
 وَفِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ ٨ : ٣٧٧ أَيْبَاتٌ خَمْسَةٌ نَهَبَهَا إِلَى ابْنِ الدِّمِينَةِ ، يَتَفَقَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلُ وَالرَّابِعُ وَالْخَامِسُ
 مَعَ هَذِهِ الْأَيْبَاتِ ، وَالْبَيْتَ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ هُنَاكَ :

رَأَيْتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مَرْتَبَطِ التَّرَى يَحْوُطُكَ شَجَاعٌ عَلَيْكَ شَحِيحُ
 كَأَنَّ مَدُوفَ الزَّعْفَرَانِ بِجَنْبِهِ دَمٌ مِنْ ظِبَاءِ الْوَادِيَيْنِ ذَبِيحُ
 (١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « ذَاعَلَةٌ » . (٢) حَاشِيَةٌ الْأَصْلُ : قَبْلَهُ :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعْرَمَ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دَمْعًا مِدْرَارُ

وَالْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٦٨ . (٣) الْأَيْبَاتُ فِي الْعَقْدِ ٥ : ٣٧٥ وَالْخُرَازْمِيُّ ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأصمعيُّ : إنما أخذ قوله هذا من ابن مُطَيْرِ الأَسَدِيِّ في قوله :

أَيْنَ أَهْلُ التِّيَابِ بالدَّهْنَاءِ ! أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الأَحْسَاءِ !^(١)
جَاوَرُونَا والأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرَ الأَقَاحِي تُجَادُ بالأَنْوَاءِ
كُلَّ يَوْمٍ عَنِ أَفْحُوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ^(٢)

وقد أخذهُ مسلمٌ صريعُ الغواني في قوله :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الشَّيْبُ^(٣)

قال سيدنا أدام الله علوه : ولأبي الحجناء نُصِيبُ الأصغرَ مثلُ هذا المعنى ، وهو قوله :

يَبْكِي الغَمَامُ بِهِ فَاصْبَحَ رَوْضُهُ جَدْلَانِ يَضْحَكُ بِالْجَمِيمِ وَيُزْهِرُ^(٤)

ولابن المعتز مثله :

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَخِيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الرَّهْرِ^(٥)

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ الزُّنُّ وَانْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضُ جَفْنَ الضَّاحِكِ البَاكِي^(٦)

وَغَازَلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَقُهَا^(٧) بَعِينَ مُسْتَعْبِرٍ بالدَّمْعِ ضَحَّاكَ

وروى عن أبي العباس المبرد أنه قال : أخذ ابن مُطَيْرِ قوله :

* تَضْحَكُ الأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ *

١٥

[١٤٧] / من قول دُكَيْنِ الرَّاجِزِ :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَ^(٨) وَضَحِكَ الزُّنُّ بِهِ حَتَّى بَكَى

(١) الخزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن الفرر . وفي حاشية الأصل : « الأحساء : جمع حسي ، وهو الموضع الذي استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بأفحوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ (٤) ت : « يبكي الغمام » . الجميم : الكلا الكثير . (٥) ديوانه : ١ : ٣٣ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والخزانة ٢ : ٤٨٧ - ٤٨٨ وكلاهما عن الفرر . وفي حاشية ت (من نسخة) « دم الضاحك الباكي » . (٧) ت : « يلحظها » (٨) الخزانة ٢ : ٤٨٨ عن الفرر .

مَجْلِسٌ آخِرٌ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

الجواب ، قلنا : ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق :

أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوفين على اسم الله تعالى ؛ فكأنه قال : وما يعلم ٥
تأويله إلا الله وإلا الراسخون في العلم ، وإنهم مع علمهم به ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ؛ فوقع قوله :
﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ في موقع الحال ؛ والمعنى أنهم يعلمونه قائلين : ﴿ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، كلٌّ مِنْ عِنْدِ
رَبِّنَا ؛ وهذا غاية المدح لهم ؛ لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم ، وأظهروا التصديق به على ألسنتهم
قد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم .

والحجة - لمن ذهب إلى ما بيناه ، والردُّ على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون ١٠
قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ على هذا التأويل لا ابتداء له ، - قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ ؛ إلى قوله : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؛
[الحشر : ٧] ، فذكر جملة ، ثم تلاها بالتفصيل ، وتسمية من يستحق هذا الفء فقال :
﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا ﴾ ، إلى قوله : ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ ؛ [الحشر : ٨] . وقال في الذين تبوءوا الدار والإيمان - ١٥
وهم الأنصار : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ،
وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ [الحشر : ٩] . وقال فيمن جاء بعدهم : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴿١٠﴾ ؛ [الحشر : ١٠] ، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُفكرُ
 في آية « الراسخين في العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم
 بتأويل التشابه ؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ
 يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ في أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا
 بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن (١) مفرّغ في عبدٍ له كان يُسمّى
 بُرداً باعه ثم ندم عليه :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَنَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً (٢)
 هَامَةٌ تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَالِيَمَامَةِ (٣)
 الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْعَعُ فِي الْغَمَامَةِ (٤)

١٠

فمطف البرق على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يلمع » ؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يبيكه
 لامعافى غمامه ؛ أى في حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام
 معنًى ولا فائدة .

ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدّم ، وإثبات العلم
 ١٥ بالتشابه لهم أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استئناف جملة ، واستغنى فيه عن حرف العطف ؛ كما
 استغنى في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَوْهُمْ كَبُّهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢] ، ونحو ذلك
 مما للجملة الثانية فيه التباسٌ بالجملة الأولى ، فيُستغنى به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف
 العطف كان حسناً ، يُنزّل المتلبّس منزلةً غير المتلبّس .

والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

(١) هو يزيد بن زبيدة بن مفرغ ؛ وخبر بيعة بردا ، مع الأبيات في الأغاني ١٧ : ٥٣-٥٥ .
 (٢) شريت : بعث ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .
 (٣) المشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « في غمامة » .

على ما تقدم، ثم أخبر عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب التأويل، لأنه قد يسمى تأويلاً، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالة التأويل، والتأويل الذي لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجل عالماً به، كنفح وقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغار؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذي ذكرناه إلا الله؛^٥ والعلماء يقولون آمنا به.

وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه، وقواه، وضعف الأول بأن قال: قول الراسخين في العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل التشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلاً في خبر الله؛ والراسخون في العلم / لا يملكون [١٤٨] ذلك.

وليس الذي ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذي قدمنا ذكره؛ فكيف يُظنّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به! وما المنكر من أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه! فأما قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حُمِلَتْ هذه اللفظة على التأويل، لا على الفائدة والمعنى. ١٥
وأما إذا حُمِلَتْ على أنه: وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله، فلا بدّ من دخول العلماء فيه. وليس يمكنه أن يقول: إنَّ حملَ التأويل على التأويل أظهرُ من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمر بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهر وأكثَر في الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إنَّ الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل التأويل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم ٢٠ معني؛ لأن في تأويل المحكم؛ كما أخبره عن الثواب والعقاب والحساب؛ مما لا شبهة في كونه

محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأى معنى لتخصيص التشابه بذلك والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخص التشابه بالذكر .

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلَهُ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زيغ إنما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا تأويله الذى هو متاويله ؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق ، الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر المتأول جميعها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يعلم فى الجملة أنه لم يرد من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز ، والموافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللذين نبين احتمالهما لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يردّه ، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها ، ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابهية ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى صدقنا بما نعلمه مفصلاً ومجماً من المحكم والتشابه ؛ وأن الكل من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حية^(١) التميمي - وهى أبيات مختارة :

(١) هو أبو حية الهيثم بن الربيع بن زرارة ، ينتهى نسبه إلى مضر بن نزار . من مخضرمي الدولتين ، =

وخبرك الواشون إلا أحبكم بلى وستور الله^(١) ذات المحارم^(٢)
أصد ، وما الصد الذي تعرفينه عزاء بنا إلا اجترأ العلام^(٣)
حياء وبقياً أن تشيع نيمة بنا وبكم ؛ أف لأهل التمام^(٤) !
وإن دماً لو تعلمين جنيته على الحى ، جاني مثله غير سالم^(٥)
أما إنه لو كان غيرك أركلت صعاد القنا بالرافعات اللهازم^(٦) ٥
ولكنه والله ما ظل مسلماً كبيض الدنيا واضحات الملاغم

— قال ثعلب : الملاغم ، ماحول الفم ، وقال المبرد : « واضحات الملاغم » ، يريد العوارض ،

وقوله : « ما ظل مسلماً » ، أى أبطل دمه .

إذاهن ساقطن الحديث حسبته^(٧) سقوط حصى المر جان من سلك ناظم

— ويروى : « ساقطن الأحاديث للفتى » . ويروى أيضاً : « ساقطن الحديث كأنه » — ١٥

رمين فأقصدن القلوب فلا ترى دماً مائراً إلا جوى فى الحيازم^(٨)

من سا كنى البصرة ، وكان شاعرا راجزا مقصدا ، (وانظر ترجمته وأخباره فى الأغاني ١٥ : ٦١-٦٢ والشعر والشعراء ٧٤٩-٧٥٠ ، والخزانة ٤ : ٢٨٣-٢٨٥) .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « ستور البيت » .

(٢) السكامل — بشرح المرصفي ١ : ٢٣١-٢٣٥ ، وأمالى الفال ٢ : ٢٨٠ ، ومختارات ابن

الشجرى ١٥٣ . (٣) اجترأ : مصدر اجترع الماء إذا ابتلمه . والعلام : واحدها العلقم ، جمع العلقمة ، وهى القطعة من كل شىء مر . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « لذى التمام » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غيرنادم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإرقال :

ضرب من السير السريع ؛ وهو هنا استمارة ، والصداد : جمع صعدة ، والرافعات : الأسنان التى يرعفن ، واللهازم : جمع لهزم ؛ وهن القواطع » . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » ؛ وهى رواية السكامل ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ساقطن الأحاديث بيننا » .

(٨) أقصدن القلوب : رمينها ؛ من قولهم ؛ قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته ؛ فلم تخطىء مقاتله .

والدم المائر : السائل . والحيازم : الحيازم ؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر . وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فأصمن القلوب » .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله :

كأن لم أبرح بالغيورِ وأقتتلُ بتفتيرِ أبصارِ الصَّحاحِ السَّقَامِ (١)
/ ولم ألهُ بالحديثِ الألفِ الذي لهُ غدائرُ لم يُجرَمَنَ فارَ اللطائمِ (٢)
إذا اللهُ يُطبيني وإذا أستميلهُ بـُحلولِكِ الفودينِ وحفِ المقادِمِ (٣)
وإذا أنا مُنقادٌ لكلِّ مُقوِّدٍ إلى اللهُ حلافِ البطالاتِ آثمِ

[١٤٩]

— وروى ابن حبيب : « مُقوِّدٍ ». ومعنى « حلافِ البطالاتِ »، أى حلافِ فى البطالاتِ.

مُهينُ المطايا مُتلفٌ غيرَ أننى على هُلكِ ما أتلفتهُ غيرُ نادِمِ (٤)
أرى خيرَ يومىَّ الحسيسِ وإن غلّا بى اللومُ لم أحفلُ ملامةَ لأثمِ

— معنى « خير يومىَّ الحسيسِ »، أى أحبُّ يومىَّ إلى الذى هو أخسَّ عند أهل

١٠ الرأى والعقل .

وأُشدُّ أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزيادى لأبى حَيَّة - واسمه هيثم بن الربيع :

ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا فليتَ الشَّيبُ كان به الرَّحِيلُ
وقدْ كان الشَّبابُ لنا خَليلًا فقد قَضَى مآرِبَهُ الخَليلُ
لعمْرُ أبى، الشَّبابُ لقد تَوَلَّى حميدا ما يُرادُ بهِ بَدِيلُ

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « أى كأن لم أعذب بعذاب شديد ؟ ويعنى بالغيور زوجها أو

أخاها . ومعنى أقتتل أقتل . والأعراف فى الحب أن يقال : اقتنله الحب ؛ قال ذو الرمة :

إذا ما امرؤٌ حاولن أن يفتتلنه بلا إحنةٍ بين النفوسِ ولا زحلٍ

(٢) الحدث : الحادث . والأنف : عظيم انفخسذ ؛ ويقال : امرأة لفاء ؛ إذا كانت ضخمة انفخدين

مكتنزة باللحم . والفار : نافجة المسك . واللطائم : جمع لطيمة ؛ وهى الغافلة التى يكون فيها المسك .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا أستميله » . طباه : دعاه . والحلولك : الحالك الأسود .

والفودان : مثنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير

الأسود . والمقادِم : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ردما أتلفته » ، أى على

اكتساب ؛ والتقدير : غير أنى غير نادِم ؛ مع أنى قادر على رد ما أتلفت واكتساب مثله .

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ

وأنشد المبرد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حنيفة :

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا (١)
 زَمَانٌ عَلَيَّ غُرَابٌ غُدَافٌ فَطِيرَهُ الدَّهْرُ عَنِي فَطَارَا
 فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا آدَا كَارَا
 كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَدَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ يَوْمًا مُعَارَا (٢)

- رَيْقُ الصَّبَا وَرَيْقُهُ وَرَوْنَقُهُ : أَوَّلُهُ -

وَهَازِئَةٌ أَنْ رَأَتْ لِمَتِّي تَلْفَعُ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا (٣)
 وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِذَارَا فَمَا اسْتَطِيعُ اعْتِدَارَا (٤)
 / أَجَارَتْنَا إِنْ رَيْبَ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالَ الْخِيَارَا (٥)
 فَأَمَّا تَرَى لِمَتِّي هَكَذَا فَاسْرَعْتُ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا (٦)
 فَقَدْ أُرْتَدِي وَخَفَةَ طَلَّةً وَقَدْ أُبْرِزُ الْفَتِيَاتِ الْخِفَارَا

[١٤٩]
ط

أما قوله : « على غراب غداف » فأراد به الشباب والشعر الأسود ، ويشبهه أن يكون

مأخوذاً من قول الأعشى :

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ تُدْرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدَوْعًا! (٧)

ولأبي حنيفة من قصيدة أولها :

* أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنْسَاءَ وَانْعِمَى (٨) *

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون « الصالحات » مفعول « رجمن ، ويحتمل أن يكون نصباً على

المدح . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « ثوبا معاراً . (٣) من نسخة بمواشى الأصل ،

ت ، ف : « أهازئة » . وتلفع الشيب به ، أى شمله . (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب في

شاربه وعنفته خطاماً ، وشيب ما على لحيه من الشعر عذاراً ؛ وهذا من حسن التشبيه » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غال الرجال » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « منها

لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « لشيب نفارا » .

(٧) ديوانه : ٧٣ . (٨) أبيات منها في زهر الآداب : ١٩٠ (طبعة الحلبي) والحجاسة - بشرح

التبريزي ٣ : ٣٠٨-٣١٠ .

وَحَنَسَاءُ مِخْمَاصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا
إِلَى الرُّوحِ أَفْنَانٌ خُطَا التَّجَشُّمِ (١)
أَلِمَّا بَسَلَمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمَى النَّوَى
بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتِيمِ
يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ
وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا: فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ
صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمَى (٢)
فَأَلَقْتَ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ
بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ: كَفِّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطَهُ
فَتَدَاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ (٣)

ولقوله : « وَقَانَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُحُ » خبره ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن
علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال : اتصل
بعميد الله بن سليمان بن وهب أمرُ علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين
القاسم ابنه ، وسمع شيئاً من أهاجيه ، فقال لأبي الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك
هذا ؛ فدخل يوماً عميد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده ، فاستنشده من شعره
فأنشده ، وخاطبه ، فرآه مضطرباً العقل جاهلاً ، فقال لأبي الحسين - بينه
وبينه - : إنَّ لسان هذا أطول من عقله ، ومَنْ هذه صورته لا تُؤمِّن عقاربُه عند أول
عُتْبٍ ، ولا يفكر في عاقبة ، فأخرجه عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعلن ما يكتمه في
[١٤٣] دولتنا ، ويُذيعه في تمكنا ، فقال : يا بني / لم أَرِدْ بإخراجه لك له طرده ، فاستعمل فيه بيت
أبي حيَّه النميري :

فَقُلْنَا: لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ! لَا يَرُحُ
صَحِيحًا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْمَمَى

(١) تخماس الوشاحين، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصعه المرأة بالجوهر ونشده
على عاتقها . وشيها إلى الروح ؛ أي حين تخرج من خباياها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن؛ أي أنواع ؛
وفت : « إقتار خطا التجشم » . (٢) ألمى : اشرفى في مبادئ قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف :
الجمار ، أو نصفه .

فحدث القاسم بن فراس بما جرى ، وكان أعدى الناس لابن الرومي ؛ وقد هجاه بأهـاج^(١) قبيحة ، فقال له الوزير أعزه الله : أشار بأن يُغتال حتى يُستراح منه وأنا أكفيك ذلك قال : فسمه في الخشكناج ، فمات .

قال الباقراني : والناس يقولون ما قتله ابن فراس ، وإنما قتلته عبيد الله^(٢) .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : ” مما يُفضّل^(٣) لتخلّصه من التكفّف ، وسلامته من التزيّد *
وبعده من الاستعانة قول أبي حية :

رَمَتْنِي - وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا -
عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(٤)

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا ،
وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمٌ^(٥)

قال سيدنا آدم الله علوه : وقد روى هذان البيتان لُنصيب في غير رواية المبرّد . قال

المبرّد يقول : ” رمّنتي وأصابتنى بمحاسنها ، ولو كنت شابا لرميتُ كَارُمِيَّتْ ، وفنتتُ كما ١٠
فُتِنْتُ ؛ ولكن عهدي قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح ؛ ” وأما الاستعانة فهي أن
يُدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه ليُصحح نظما أو وزنا .^(٥)

ومما يختار من قول أبي حية أيضا :

(١) حاشية الأصل : « يقال بينهم أهجوة وأهجية ، والجمع الأهاجي ، وقد يخفف كالأفاني » .

(٢) في ت : « قال ابن الرومي لما رجم ، وقد دب السم في أعضائه :

أشرب الماء إذا ما التهبْتُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ اللَّهْبِ

فأراه زائدا في حُرْقَتِي فَكَأَنَّ الْمَاءَ لِلنَّارِ حَطْبٌ

(٣) السكامل - بشرح المرصفي ١ : ١٢٩-١٣٠ ، وهما أيضا في الحماسة - بشرح النبريزي ٣ :

٢٦٩-٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل غيب ؛ وهي الحجارة تنصب علما في المغازة يهتدى بها . رميم : اسم

امرأة . وستر الله : الإسلام ، وفيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زبادات السكامل

بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أنّي قد سكَوتُ وإنّني لمريميُّ أحناءُ الضلوعِ سَقِيمِ

(٥) بقية عبارة المبرّد : « . . . إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام مثور » .

أَلَا حَىٍّ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبِسْنَ الْبِلَىِّ مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا (١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِيلُ التَّقَاضِيَا

ويقال: إن أحسن ما وُصفَ به المسواكُ قولُ أبي حِيَّةَ :

لقد طالما عَنَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا وَعَلَلْتُ شَيْطَانَ الْغَوَىِّ الشُّوْقِ (٢)
وَدَاوَيْتُ قَرْحَ الْقَلْبِ مِنْهُنَّ بِالْمُنَى وَبِاللَّحْظِ - لَوْ يَبْدُلْنَهُ - الْمُسْرَقِ
وَسَاقَيْنِي كَأْسَ الْهَوَىِّ وَسَقَيْتُهَا رِقَاقَ الثَّنَائِيَا عَذْبَةَ التَّرِيْقِ (٣)
وَحُمْصَانَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مَتَنَضِّدٍ كَنْوَرَ الْأَقَاحِي طَيِّبِ الْمَتَدَوِّقِ

/- ويروى: «عن متنسق»، يعني تُفْرَأُ على نسقٍ واحدٍ لا اختلاف فيه -

إِذَا مَضَعْتُ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى أَنَا يَبَّابٌ مِنْ عُوْدِ الْأَرَاكِ الْمَخْلَقِ
- الامتناع: الارتفاع، يقال مَتَعَ النَّهَارَ وأَمَتَعَ إِذَا طَالَ - والمخلَق: الذي عَلِقَ بِهِ الْخَلْقُ
والطيب من يدها؛ وقال بعضهم: عَنِ الْمَخْلَقِ الْمَمْلَسِ -

سَقَتْ شَعَثَ الْمِسْوَاكِ مَاءٌ نَمَامَةٌ فَضِيضًا بِمُخْرَطُومِ الْمُدَامِ الرُّوْقِ (٤)
- والفضيض: الذي حِينَ سَالَ مِنَ الْغَمَامَةِ، أَي كَمَا فَضَّ (٥)، وَالْمُخْرَطُومُ: سُلَافُ الْخَمْرِ،

وهو أول ما يخرج من غير عَصْرِ ولا دَوْسٍ -

وَإِنْ ذُقْتَ فَهَذَا بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدَى بِيْعَطْفِي بِبَحْنَدَاةٍ رَدَّاحِ الْمُنْطَقِ
- الْبِحْنَدَاةُ: الضَّخْمَةُ . وَالرَّدَّاحُ: الْعَظِيمَةُ الْأُرْدَاةُ .

شَمِمْتُ الْعَرَازَ الطَّلَّ غِبَّ هَمِيمَةٍ وَنَوْرَ الْخَزَامِي فِي النَّدَى الْمُسْتَرْقِقِ (٦)

(١) الكامل - بشرح المرفعي ٣ : ٢٥ .

(٢) زهر الآداب : ٢٢٧ (طبعة الحاي) ، شرح المختار من شعر بشار : ٢٣٨ .

(٣) حاشية ت : « راق السراب يريق ريقا ، وتريق ، إذا لمع ؛ كأنه قال : عذبة موضع التريق .

ويجوز أن يكون مشتقا من الريق الذي هو الرضاب ؛ أي عذبة مترشف الريق » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « بمخرطوم المدام الروق » . (٥) كما فض ؛ أي كما نفرق

من السحابة ؛ ولم تصل إليه غبرة . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « ونور الأفاحي » .

— العرّار: بهار البرّ، والطلّ: الغضّ الطرىّ، والهميمة: مطر لين^(١) :

وأخبرنا المرزبانيّ قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال: سمعت أبي — وقد ذكر قولاً

أبي حية:

نظرتُ كأنيّ من وراء زُجاجةٍ إلى الدّارِ من فرطِ الصّباقةِ أنظرُ^(٢)

بميينين طوراً تعرّقانٍ من البكا فأعشى، وطوراً تحسيرانٍ فأبصر^(٣)

فقال: لو اعترضني مملّكٌ تجب طاعته، ويلزم الانقيادُ لأمره فقال: أيُّ شعرٍ أجودُ

وأولىّ بأن يُستحسن؟ ولم يفسح لي في أن أمير المدح من الفخر، والهجاء من التشبيب،

وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلتُ عن هذين البيتين.

ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتيّ أبي حية هذين بقوله:

١٠ فلا مُقلتي من غامرِ الماءِ تنجلي ولا دَمَعَتِي من مُكَمَدِ الوَجْدِ تقطرُ^(٤)

ولأبي حية:

من المُبكيّاتِ الجَلَدِ حتّى كأنما تَسُحُّ بِعَيْنِيهِ الدُّمُوعَ شَعِيبُ

— الشَّعِيبُ: مَزَادَةٌ من أَدِيمَيْنِ، يُشَعِبُ^(٥) أَحَدُهَا بِالْآخِرِ —

(١) حاشية الأصل: «في نسخة س: أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

البغدادي رحمه الله قال: أخبرني الرئيس الحس بن علي بن محمد بن باري الواسطي رحمه الله قال: كما عند

الملك العزيز في مجلس أنسه، وأنشد منشد بيتي أبي حية: «إذا مضت . . .»، والذي يليه، فسألني الملك

العزيز أن أجزئهما فقلت:

هنيئاً على رُغْمِي لِوُدِّ أَرَاكَ تَسُوكُ بِهِ الذَّلْفَاءُ مَبْسَمَهَا الْعَدْبَا

لَئِنْ شَفِيتُ مِنْهُ لَقَدْ زَان تُغْرَاهَا أَرَاكَ كَأَيِّمِيسَا، وَأَنْثَنِي مَنْدَلًا رَطْبَا

(٢) أمالي الفاي: ١: ٢٠٨ بلاعزو. وفي: «من ماء الصباغة» (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فعاى

طوراً». وتحسيران، أي تنقشعان وتنكشفان. (٤) حاشية ت. من نسخة: «من مكمد الشوق تقطر»،

وفي حاشيتي الأصل، ف: «في الأصل: بين البيت والبيتين بعيد». (٥) شعب: يخاط. ويسح: يصب

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوْلَنَا^(١) / سَوَائِمُ مِنْهَا رَائِحٌ وَغَرِيبٌ
وَإِذْ يَتَجَنَّبِينَ الذُّنُوبَ وَمَالَنَا / إِلَيْهِنَّ^(٢) إِلَّا^(٢) وَدُهْنٌ ذُنُوبٌ^(٢)

ولأبي حية :

أصُدُّ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي / لأصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
أزورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ / عَلَى مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
وَقَطَعَ أسبابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرٌ / غَضَابِي، وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مَغْضَبٌ^(٣) !
وَأَلَّا تَنِي يَأْمَ عَمْرٍ وَنَعِيمَةٌ^(٤) / تَدِبُّ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ
وَمَا يَبْنِنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا / بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَرْتَبُّ^(٥)
حَدِيثٌ إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَأَنَّهُ / إِذَا سَاقَطَتَهُ الشَّهْدُ، بَلْ هُوَ أَطِيبُ
لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ / مِنَ الْمَوْتِ كَانَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ^(٦)
وَقُلْتُ لَهَا : مَا تَأْمُرِينَ ؟ فَإِنِّي / أَرَى الْبَيْنَ أَدْنَى رَوْعَةٍ تُتْرَقِبُ^(٧)

قال محمد بن يحيى الصولي : ولا أحسبه في قوله :

* لو أنك تستشفى به بعد سكرة *

إلا تبع قول توبة بن الحمير :

ولو أن ليلى الأخيلىة سلمت / على ، ودوني جندلٌ وشفأخ^(٨)
لسلمتُ تسليماً بالبشاشة ، أو زقا / إليها صدى من جانب القبرِ صالحٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أهلانا جميع » .

(٢-٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لولا ودهن ذنوب » .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « يقطع أسباب المودة » ، وفي د « غضاب » .

(٤) حاشية ت : « قوله : « وألا تني : عطف على معشر » . (٥) حاشية ت : « يولون :

يحفون علينا » ومن نسخة بحاشية الأصل : « يؤذون » . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :

« كادت سكرة الموت » . (٧) في حاشيتي الأصل ، ت (من نسخة) : « ما تأمريني » .

(٨) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢١٧ . الصفأخ : الحجارة العراض تكون على القبور .

مَجْلِسُ ٣٤ تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ [يوسف : ٩٢] ، حاكياً عن يوسف عليه السلام .
فقال : لِمَ خَصَّ «اليومَ» بالقول ، وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم ؟
الجواب ، قلنا : في هذه الآية وجوهٌ أربعة :

٥ أولها أنه لما كان هذا الوقتُ الذي أشار إليه (١) هو أولُ أوقاته التي كشف فيها نفسه ، وأطلعهم على ما كان يستره (٢) عنهم من أمره ؛ أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقامَ لابتدأ به فيه ؛ والذي متى عفا فيه عنهم (٣) لم يراجع الانتقام .

وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدّم توبيخهم ، وعدّد عليهم قبائحَ ما فعلوه ، وعظيماً ما ارتكبهوه ؛ وهو مع ذلك يسترُ عليهم (٤) نفسه ، ولا يُفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم : ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ؛ أي قد انقطعَ عنكم توبيخي ، ومضى عدلي ولائمتي عند اعترافكم بالذنب ، وكان ذكرُ «اليوم» دلالةً على انقطاع المعاقبة والتوبيخ ؛ وعلى أن الأوقات المتصلةً باليوم تجرى مجراه في زوال الغضب ، وتام العفو ، وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم .

١٥ وثالثها أن ذكرَ «اليوم» المرادُ به الزمان والحين ، فوضع «اليوم» موضعَ الزمان كآء ، المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين ؛ كما يقول العربي لغيره : قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم قد وُفِّتَ لتركها ومقمتها ؛ يريد في هذا الزمان ، ولا يريد يوماً واحداً بعينه ؛ ومثله :

* في الأصل : « هذا المجلس نصف الكتاب » .

(١) ت : « أشار الله إليه » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ستره » .

(٣) ساقطة من ت . (٤) ت : « عنهم » .

قد كنتَ تَقْصِّرُ فِي الْجَوَابِ عَنِ فَنُونِ الْعِلْمِ فَالْيَوْمَ مَا تُعْجِزُكَ مَسْأَلَةٌ ، وَلَا تَتَوَقَّفُ عَنِ مُشْكَلَةٍ ؛
يريد باليوم باقى الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَاتَتْ لِيَ الْخُمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ (١)
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاغِلٍ (٢)

لم يقصد يوماً بعينه؛ ومثله :

[١٥٢] /الْيَوْمَ يَرِحْنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا وَالْيَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا
وقال لبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدَّيَارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمَ حَاطُواهَا ، وَغَدَوًا بِلَاغٍ (٣)

كل ذلك لا يُراد بذكر اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلة .

ورابعها أن يكون المرادُ : لا تثرِبَ عَلَيْكُمْ الْبِتَّةَ ، ثم قال : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ ١٠
فتملّق « اليوم » بالفجران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم (٤) .

وقد ضعف قومٌ هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .

فأما التثرِبُ فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغَب ولا معاقبة ولا إفساد (٥) .

وقال الشاعر :

١٥ فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثَرَّبٍ وَتَرَكَتُهُمْ لِعِقَابِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفي شرح الديوان : « كانت حنفة ألا يشرب خرا ، ولا يأكل لحما ، ولا يفسل رأساً ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت عينه » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

* فالْيَوْمَ أُسْقَى غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ *

المستحقب : المكتسب للامثم الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة . (٣) ديوانه ٢: ٢٢ . (٤) حواشئ الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون لإخباراً محضا

بالفجران حتى لا يمترض بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر الله لكم فأختصر » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ثَرَّبَ فلان على فلان إذا عدَّ دعليه ذنوبه. وقال بعضهم^(١):
التثريب مأخوذ من لفظ التُّرْب ، وهو شحم الجوف ، فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم
والتعنيف والتقصى إلى أبعدهما^(٢).

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ حَجَّاجٍ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ ،
وَحَبِيبِ بْنِ الشَّهِيدِ عَنْ ابْنِ سَيْرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَهَى عَنْ كَسْبِ
الزَّامَرَةِ .

وقال أبو عبيد: قال حججاج: الزَّامَرَةُ الزانية ، وقال: هذا مثل حديثه الآخر أنه نهى عن
كسب البغى .

وقال أبو عبيد: وقال غير حججاج: هي الزَّامَرَةُ ، بتقديم الراء ، قال: وقول حججاج أثبت
١٠ عندنا؛ لأنهم كانوا يُكْرِهُونَ إِمَاءَهُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ
عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [النور: ٣٣] ، قال: فالعرض
هو كسب البغى الذي نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه .

قال أبو عبيد: ولا أعلمُ ممَّ أَخَذَتِ «الزَّامَرَةُ»؛ غير أنى وجدتها مفسرة في الحديث .
وقال ابن قتيبة: الأمر على ما ذكر أبو عبيد ، إلا ما أنكره على من زعم أنها
١٥ الزَّامَرَةُ ؛ لأن الزَّامَرَةَ هي الفاجرة ، سميت بذلك لأنها ترمز ، أى تؤمى بعينها وجاجيتها
وشفتيها .

قال الفراء: وأكثر الرَّمْزِ بِالشَّفَتَيْنِ ، ومنه قوله تعالى: ﴿ آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ مَلَائِئَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ [آل عمران: ٤١] ، فالزَّامَرَةُ صفة من صفات الفاجرة ،
[١٥٢] / ثم صار اسمها لها أو كالاسم ؛ ولذلك قيل لها: هَلُوكِ ؛ لأنها تهالك على الفراش ، أو على
٢٠ الرجل ، ثم صار اسمها لها دون غيرها من النساء ، وإن تهالكت على زوجها ، وقيل لها خَرِيعٌ ،
ط

(١) م : « وهو ابن مسلم » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة): « غاياتها » .

لِئِنِّهَا وَتَنَيْهَا ، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ اسماً لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَإِنْ لَانَتْ وَتَنَّتْ ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمُ لِلْبَعِيرِ : أَعْلَمٌ ؛ لِلسَّقِّ فِي مِشْفَرِهِ الْأَعْلَى ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمُ لِلذَّنْبِ : أَرَلٌّ أَرْسَحٌ ^(١) ، ثُمَّ صَارَ كَالِاسْمِ لَهُ ، وَالْمَرِيْبَةُ لَا تَكَادُ تَمْلِكُ بِالْكَلامِ ، إِنَّمَا تُومَضُ ^(٢) أَوْ تَرْمِزُ أَوْ تَصْفِرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

٥ رَمَزَتْ إِلَى مَخَافَةٍ مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا
وقال الأخطل :

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَدْرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَّازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا ^(٣)
وقال الراجز :

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضَ بَرَقِي فِي عَمَاءَ نَاضِبٍ ^(٤)

١٠ — والعاء : السحاب ، والناضب : البعيد —

وقال بعضهم : إِنَّمَا قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ قَجْبَةٌ ، مِنَ الْقُجَابِ وَهُوَ الشُّعَالُ ؛ قَالَ : وَأَحْسِبُهُ أَرَادَ أَنَّهَا تَتَنَحَّنِحُ أَوْ تَسْعَلُ تَرْمِزُ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَبَلَّغَنِي عَنِ الْمَفْضَلِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّاسِ : « أَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ » ^(٥) أَنَّهُ الرَّجُلُ يَصْفِرُ لِلْفَاجِرَةِ ، فَهُوَ يَخَافُ كُلَّ شَيْءٍ .

١٥ وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّافِرُ مَا يَصْفِرُ مِنَ الطَّيْرِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْجَبْنِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْجَوَارِحِ .

قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : وَلَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا قَوْلَ الْمَفْضَلِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ السُّكْمِيِّ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

(١) الأزل : الخفيف الوركين . والأرسح : القليل لحم العجز .

(٢) تومض ، أى تعرض نفسها . (٣) ديوانه : ٢٤١ ، واللسان (رمز) والحدرء : الممتلئة

الفخذ والعجز . (٤) البيتان في اللسان (زمر) ، والرواية فيه : « يومضن بالأعين . . . » .

(٥) المثل في مجمع الأمثال للعبداني ١ : ١٦٨ ؛ وروى عن ابن حبيب أن الصافر طائر يتعلق من

الشجر برجليه ، وينكس رأسه ، خوفاً من أن ينام فيؤخذ فيصفر منكوساً طول ليلته .

أَرْجُوا لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوْرَهَاءَ تَتَمَلَّى كُلَّ صَفَّارٍ (١)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا مِنْ قَابِسِ شَيْطَانِ الْوَجَمَاءِ بِالنَّارِ (٢)

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه ، فتمثل زوجها به وصفر لها ، فأنته
فشيطها بميسم ، فلما أعاد الصفر (٣) قالت : « قد قلينا كل صفار (٤) » ، تريد أنا قد عفنا (٥)
• واطرحنا كل فاجر .

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : والاختيار عندي : « الزمارة » معجمة الزاي على
ما قال أبو عبيد ، ليحجج ثلاث :

[١٥٣] / إحداهن إجماع أهل الحديث على الزمارة .
و

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زمارة ، لأنها تحسن نفسها وكلامها ، والزمر عند العرب
١٠ الحسن ، قال عمرو بن أحمر الباهلي يصف شراباً وغناءً :

دَنَانٍ حَنَّانٍ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَجَشُّ غَنَاؤُهُ زَمْرٌ (٦)

قال الأصمعي : معناه غناؤه حسن ؛ كأنه من مزامير داود .

والحجة الثالثة أنهم سموها الفاجرة زمارة ، لمهانتها وقلة ما فيها من الخير ؛ من قول العرب (٧) :

نمجة زمرة ؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجل زمير المروءة ، إذا كان قليلها ، قال

١٥ ابن أحمر :

مُطْلَنَفِنًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُزُ عَنْهُ الذَّرَّ رِيَشُ زَمْرٍ (٨)

(١) البيتان في بجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والثاني في اللسان (شيط) . الورهاء : الحفء .

(٢) شيط : أحرق . والوجماء : الدبر . (٣) ت : « الصغير » .

(٤) المثل في بجمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صغيركم » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عققنا » . (٦) البيت في اللسان (زمر) ، وفي ت ، ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطة ؛ وقبله :

تُرْوَى لَقَى الْقَى فِي مَهْمَةٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ

المطلنفي: اللاصق بالأرض، والذر: النمل، والزير: القليل، فسمى البغي^(١) زمارة، على وجه الظم لها والتصغير لشأنها؛ كما قيل لها: فاجرة لميلها عن القصد، يقال: فاجر الرجل إذا مال، قال كبيد:

فإن تتقدّم تغشّ منها مُقدّماً غليظاً، وإن أخرت فالكفّل فاجر^(٢)

○ أي مائل، والكفّل: كساء؛ يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق.

فالسيدنا أدام الله علوه: ولا أرى لإحدى الروایتين على الأخرى رجحاناً؛ لأنّ كلّ واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن إلى قوله، ولكلّ منهما مخرج في اللغة، وتأويله يرجع إلى معنى واحد؛ لأنّ الرّمازة، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور، ومن رواها بالزاي المعجمة فالرجع في معناها إلى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري، والأولى أن يثبتا^(٣) متساويين، ويكون الراوي مخيراً ١٠ فيهما.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي للمضرب^(٤)؛ وهو عقبه بن كعب بن زهير بن أبي سلمى:

(١) ف، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « فسميت البغي ».

(٢) ديوانه ١: ٥٥، ومن نسخة في حواشي الأصل، ت، ف: « أخرت »: بالبناء للجهول.

وفيها أيضاً: « قبله »:

فأصبحت أنى تأتها تبتئس بها كلاً مركبها تحت رحك شاجر

تأتها، أي تأت هذه الحصلة والحالة، وقال الجوهري: « الكفّل هو ما اكتفل به الرّاكب، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب؛ ومنه قول إبراهيم: لا تشربوا من ثلثة الإناء ولا من عروته؛ فإنه كفّل الشيطان؛ وإبراهيم هو التيمي ».

(٣) حاشية الأصل (من نسخة): « أن يكونا ».

(٤) ذكره المرزباني في المؤلف والمختلف: ٢٨١؛ و ضبطه صاحب تاج العروس في مستدرک =

وما زلتُ أرجو نفعَ سَمَى ووَدَّها
 وحتَّى رأيتُ الشَّخصَ يزْدادُ مثلهُ^(٢)
 / علا حاجبيَّ الشَّيبُ حتَّى كأنَّهُ
 وهزَّةَ أظعانٍ عليهنَّ بهيجةُ
 فلما قَضِينا مِنْ مَنَى كلَّ حاجةٍ
 أخذنا بأطرافِ الأحاديثِ بيننا
 وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهاري رِحالها
 قفلنا على الخوصِ المراسيلِ، وارتمتْ
 وتبعدهُ؛ حتَّى ابيضَّ مِنى المسأخُ^(١)
 إليه؛ وحتَّى نصفُ رأسى واضحُ
 ظيلاً جرَّتْ منها سنيحُ وبارحُ^(٣)
 طلبتُ، وربَّعانُ الصِّبا بي جامِحُ^(٤)
 ومَسَّحَ بالأرْكانِ مَنْ هو ماسِحُ
 وسالتُ بأعناقِ المَطى الأباطِحِ^(٥)
 ولا يَنْظُرُ العادي الذي هو رائجُ^(٦)
 بهنَّ الصَّحاريِّ والصِّفاحِ الصَّحاصِحِ^(٧)

[١٥٣]
ظ

٥

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، « معظم » ، وضبط في اللسان بالكسر فقط ، وفي الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة في الشعراء : ٩٢ أنه « كان لكعب ابن يقال له عقبة بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرِب ؛ وذلك أنه شبب بامرأة من بني أسد فقال :

ولا عيبَ فيها غيرَ أنكَ وإجدُ
 ملاً قيهاً قد دُيِّتْ برُكوبِ

فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمِت ، وأخذ الدية ، فسمى المضرِب « .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات في معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الضرية ، وهي مع بيتين تالين في زهر الآداب ٢ : ٥٦ ووردت أيضاً في الشعراء والشعراء ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى الفالى ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعاً من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . ونقلها أيضاً صاحب المعاهد بنسبتها وروايتها عن الفرر ؛ وهي ضمن ١٨ بيتاً في ديوان كثير : ٧٧-٨٤ والمسأخ : شعر جوانب الرأس .

(٢) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مثله » ، بفتح اللام .

(٣) السنيح والمسأخ : ما أتاك عن يمينك من طي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك . والمسأخ : أحسن حالا عندهم في التيمن من البارح .

(٤) يعنى : ورب طعامن طلبت اهترازهن وارتياجهن للهو معهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطح : جمع أبطح ؛ وهو السبل الواسع ،

فيه دقاق الحصى . (٦) المهاري : جمع مهيرية ؛ وهي المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهي قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينتظر . (٧) الخوص : الإبل الغائرة العيون . والمراسيل : المرسعات . والصفايح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصحاصح : جمع صحح ، وهو المسكان المستوى الواسع .

وأنشد ابن الأعرابي :

فَصَدَّتْ بَعِينِي شَادِنٌ وَتَبَسَّمَتْ
بِحَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهْنٌ غُرُوبٌ^(١)
جَرَى الْإِسْجَلُ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ أَوْجَرَى
عَلَيْهِنَّ مِنْ فَرَعِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ^(٢)

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثنا محمد بن الحسن البُلغَيّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعيّ يقول : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عُرْوَةَ بن حزام العذريّ لعفراء :

أَرَانِي تَعْرُونِي لِذِكْرِكِ رَوْعَةٌ
لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبٌ^(٣)
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً
فَأَبْهَتْ حَتَّى لَا أَكَادُ أُجِيبُ^(٤)
وَأُصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتَبِي^(٥)
وَيَعْرَبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَغِيبُ
وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُعِينُهَا عَلَيَّ ، فَمَا لِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبٌ
فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَنْ قَالَ هَذَا وَهَمًّا فَإِنِّي أَقُولُهُ عِلْمًا ، وَلِلَّهِ دَرَكٌ يَا أَصْمَعِيّ ! فَإِنِّي أَجِدُ

عندك ما تفضلّ عنه العلماء.

قال الصوليّ : فأخذ العباس بن الأحنف فقال :

يَهِيمُ بَحْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ
وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتِرٌ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ^(٦)
يُؤَازِرُهُ قَلْبِي عَلَيَّ وَليْسَ لِي
يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَيَّ يُؤَازِرُهُ

(١) ف ، ومن نسخة بحاشية ت : « تصدت » .

(٢) الإسجل : شجر تتخذ منه أعواد السواك . والأحوى : الأسمر . (٣) ديوانه : ٤٣ : (مخطوطة

الشنقيطي بدارالكتب المصرية) ، والشعر والشعراء : ٦٠ ، وخزانة الأدب : ١ : ٥٣٤ ، و ٣ : ٦١٥ - ٦١٧

وفيم : « ولاني لنعروني » . (٤) البيت من (شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠) ، على جواز الرفع

والنصب في « أبهت » ، فالنصب محمول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مضر بالجزيرة ، بين الرها

والرقة . ومن نسخة بحاشية الأصل : « ساحر الطرف فانره » .

/ وأشار إليه أيضا في قوله :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا

يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي (١)

كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٢)

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أَعَانَ طَرْفِي عَلَى جِسْمِي وَأَعْضَائِي
وَكَنتُ غِرًّا بِمَا تَجَنَّبِي عَلَى يَدِي
وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

بِنَظَرَةٍ وَقَفْتُ جِسْمِي عَلَى دَائِي
لَا عَلِمَ لِي أَنَّ بَعْضِي بَعْضُ أَعْدَائِي

وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي
يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِينِي (٣)

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال : قال لنا الأصمعي يوماً :

١٠ ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجّزاء خميصة (٤) فأنشد قول الأعشى :

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِثْلُ الدَّرْعِ بَهْكَنَةٍ
وَأَنشَدَ قَوْلَ عَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ :

إِذَا تَأْتَى يَسْكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ (٥)

صِفْرُ الْوِشَاحِينَ مِثْلُ الدَّرْعِ خَرَّعِبَةٌ

كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلَزُومٌ (٦)

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وَقَلَّمَا أَبْقَى عَلَى مَا أَرَى
لَمَّا سَمِعِي بِهِ عِنْدَهُمُ السَّاعِي

يُوشِكُ أَنْ يَنْعَى بِي النَّاعِي

(٢) وبعده ؛ كما في الديوان :

مَا أَقْتَلَ الْيَأْسَ لِأَهْلِ الْهَوَى
لَا سِيًّا مِنْ بَعْدِ أَطَاعِ

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٥ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سَعْدِي
وَتَزْعُمُ أَنْ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ

(٤) م : « خصانة » ، والخصيصة والخصانة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والمعلقات

— بشرح التبريزي : ٢٧٤ . صفر الوشاحين ؛ يعني أنها خميصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يعلن عنها
والبهكنة : الكبيرة الخلق ، وتأني : ترفق في المشي . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الحرعبة : الناعمة . الرشأ :
الظبي الصغير . ملزوم : مربى في البيوت ؛ وهو أحسن له .

وَأَنْشُدَ قَوْلَ ذِي الرُّمَّةِ :

تَرَى خَافَهَا نِصْفًا قَنَاةً قَوِيْمَةً وَنِصْفًا نَقًّا يَرْتَجُّ أَوْ يَتَمَرَّمَرُ (١)

فَقَالَ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهِ قَوْلُ أَبِي وَجْزَةَ السَّعْدِيِّ :

أَدْمَاءُ فِي وَضَحٍ يَكَادُ إِزَارُهَا (٢) يُقْوِي (٣) وَيَشْبَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا (٤)

قال أبو عكرمة : ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي :

غَرَّانُ ، سِمْطٌ وَشَاحِحَا قَلْبِي رِيَّانٌ مِنْ أَرْدَا فِيهَا الْمِرْطُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال :

لما مات / محمد بن سلمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان ، وقد حزن عليه حزناً [١٥٤] شديداً ولم يطعم ثلاثاً ، فأنشدته لابن أراكاة الشقي (٥) :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ (٦) مَا مَضَى مِنْ (٧) الدَّهْرِ أَوْ سَاقِ الْجِهَامِ إِلَى الْقَبْرِ ١٠
لَتَسْتَنْفِدَنَّ مَاءَ الشَّمُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتَ تَمْرِيهِنَّ مِنْ تَبَسُّجِ الْبَحْرِ
فَقُلْتُ لِمَبْدِ اللَّهِ إِذْ خَنَّ (٨) بِأَكْبَا تَعَزَّ ، وَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تَبَيَّنْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدَّ هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدْ بُبْكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكِ مَيْتًا بَعْدَ مَيِّتِ أَحِبِّهِ (٩) عَلَى وَعَبَّاسٍ وَآلِ أَبِي بَكْرٍ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك دَرَنِ الارتجاج . وفي د ، م : « يتمرم » .

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدمة هنا : لون أشرب بيضا . والوضح : البياض . وفي م :

« أدماء عيطلة » .

(٣) الإفواء في الأصل : نفاذ الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها . وفي س : « لله : يقوى وشاحها » :

(٤) من نسخة مجاشبي الأصل ، ت : « مأجن إزارها » ، وفيها أيضا : « أحب ، فعل الإزار ؛

أي يشبع إزارها ما أحب ، أي ما شاء » . (٥) الخبر والأبيات في حساسة ابن الشجري : ١٣٨-١٣٩ ،

بروايته من ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات ؛ وهي أيضا في أمالي الزجاجي : ٧ .

(٦) حاشية ت (من نسخة) « عينك » ؛ وهي رواية ابن الشجري .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهي رواية ابن الشجري . (٨) ت : « حن » ، ومن نسخة

مجاشبيها : « خر » . (٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .
قوله: « خن با كياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين ، بالخاء معجمة من
الأنف ، والحنين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال :
سمعتُ التَّوَزِيَّ يقول : دخلنا مع الأسمعيّ إلى إسماعيل بن جعفر ليلةً في حاجة ، فأنشده
الأسمعيّ أبيات ابن هرمة :

أَتَيْتُكَ نَزْجِي حَاجَةً وَوَسِيلَةً إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَحَطَّى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ^(١)
وَنَذَرُكَ وُدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ لَمْ تَدُبُّ إِلَيْهِ الْعَوَائِلُ^(٢)
فَأَقْسِمُ مَا أَكْبَى زِنَادِكَ قَادِحُ وَلَا أكَذِّبُ فَيْكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ^(٣)
وَلَا رَجَعْتُ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عَلَّةٌ وَلَا عَاقَ خَيْرًا عَاجِلًا مِنْكَ آجِلُ^(٤)
وَلَا لَأَمَ فَيْكَ الْبَاذِلُ الْوَجْهَ نَفْسُهُ وَلَا احْتَكَمْتُ فِي الْجُودِ مِنْكَ الْمَبَاخِلُ^(٥)

لم يزد على هذه الأبيات ، فقضى حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويشبهه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله :

* وَلَا كَذَّبْتُ فَيْكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ *

من قول الحزین الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

فلما^(٦) تَرَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَأَنْتَنِي يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقُسْنِيِّ الذَّوَابِلِ^(٧)
/ تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنْ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمّهَاتِ الثَّوَاكِلِ

[١٥٥]

و

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « العواذل » .

(٣) ما أكبي زنادك ، أي ما وجد كايا . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عنك المباخل » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « إذا ما نردى » . (٧) وفي م : « القنا والذوايل » .

تُبَيِّنَ فِيهِ مَيْسَمُ الْعِزِّ وَالتُّمَى وَوَلِيداً يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثني أبو حاتم عن الأصمعي قال : قال الرشيد يوماً : يا أصمعي ، أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويمتذر ، فقلت : ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فتمالت له أمه - وكانت ذات رأي - : والله لا محأ هجاءه لك إلا مدحه إياك ، فعفا عنه ، فقال بشر^(١) :

إني على ما كان مني لنادمٌ وإني إلى أوس بن لأمٍ لتائبٌ
 وإني إلى أوسٍ ليقبَلْ توْبتي ويعرف وُدِّي ما حُيتُ لراغبٌ
 فهب لي حياتي فالحياة لقائمٌ يسُرُّك فيها خيرُ ما أنتَ واهبٌ
 ١٠ سأمُحِبِّمُدْحِي^(٢) فيك إذ أنا صادقٌ كِتَابَ هِجَاءِ سَارٍ إِذْ أَنَا كاذِبٌ

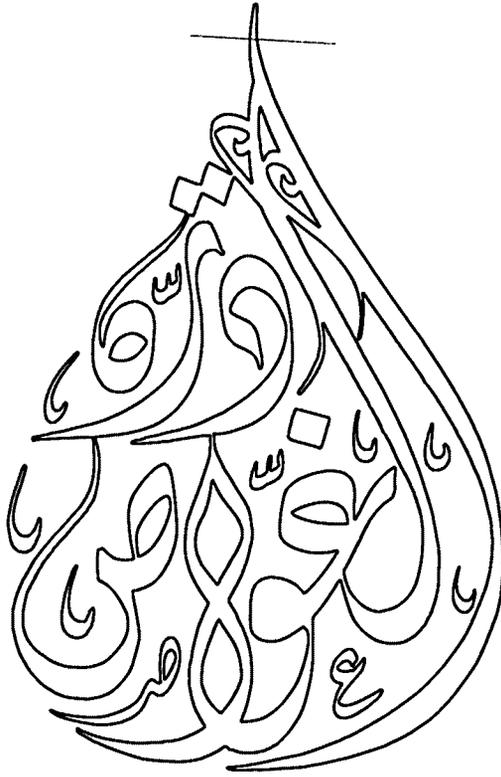
فقال الرشيد للأصمعي : إن دولتي لتَحْسُنَ ببقائك فيها .

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُرَيْدٍ قال حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأصمعي - عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل علي مسرور الكبير ، فقال : يامسرور ، كم في بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء ، قال ١٥ عيسى : هذا بيت مال الحزن ، فاعتم لذلك الرشيد ، وأقبل على عيسى فقال : والله لتعطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوجم عيسى وانكسر ، فقلت في نفسي : جاء موقع^(٣) البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهي في ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بحاشية

الأصل : « بمدح » . (٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل : ت : « موضع » .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعْبَسًا وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَعَبٍّ وَحَاتِمٍ
فَكَشَفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَأَيْمًا تُكشِفُ أَخْبَارَ الرَّجَالِ الدَّرَاهِمُ (١)
قال: فَتَجَلَّى عَنِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لِمَسْرُورٍ: أَعْطَاهُ عَلِيٌّ بَيْتَ مَالِ الْمَسْرُورِ أَلْفِي دِينَارًا، فَأَخَذْتُ
بِالْبَيْتَيْنِ أَلْفِي دِينَارًا، وَمَا كَانَ يَسَاوِيَانِ عِنْدِي دَرَاهِمِينَ (٢)!



(١) من نسخة بمحاشي الاصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .
(٢) بهذا المجلس ينتهي الجزء الأول - وهو ما لدينا من نسخة ت - وجاء في آخره : « تم نصف
الكتاب بحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، ويتلوه في الجزء الثاني أوله : مجلس آخر ، تأويل آية ؛ إن
سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ،
إن شاء الله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والظاهرين وسلم » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] .

الجواب ، قيل له : قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ، ونرجح الأرجح منها :

٥ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لهيجٌ باستدناء ما يحلب^(١) إليه نفعا ، أو يدفع عنه ضررا ؛ ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خلقت إلا من نومٍ ، وما خلق فلان إلا من شر ؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إلا أكلٌ وشربٌ ، وما أشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة^(٢) :

١٠ تَرَ تَعُ ما غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٣)

وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ، [الإسراء : ١١] ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ، توبيخا لهم وتقريرا ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ماجر » . (٢) من نسخة بمشيتي الأصل ، ف : « نافة » .

(٣) ديونها : ٣٨ ، واللسان (سوا) ؛ وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مارعت » ؛

وهي رواية الديوان .

حيث كانوا متمكّنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبّت والتأبّد .

وثانيها ما أجاب به أبو عُبيدة وقُطرب بن المستنير وغيرهما من أنّ في الكلام قلباً ، والمعنى : خلق العَجَل من الإنسان ، واستشهِدَ على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقدْ بَلَغَنِي الكِبَرُ ﴾ ؛

[آل عمران : ٤٠] ، أي قد بلغتُ الكِبَر ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ؛

٥ [النقص : ٧٦] ، والمعنى : إن العصبة تنوءُ بها ، وتقول العرب : عرضتُ الناقة على الحوض ،

وإنما هو عرضتُ الحوضَ على الناقة ، وقولهم : إذا طلعت الشعري استوى العود على الجِرْبَاء ؛

يريدون استوى الجرباء على العود ؛ وبقول الأعشى :

[١٥٦] / لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ المُمَانَ مَوْقِقٌ^(١)

يريد أن الموقق معان .

وبقول الآخر :

على المياراتِ هدَّاجُونَ قد بَلَغَتْ نَجْرَانَ ، أوبَلَغَتْ سَوْءًا تِهِم هَجَرَ^(٢)

والمعنى : أن السوءاتِ هي التي بلغت هَجَرَ .

وبقول خدّاش بن زهير :

ونزْ كَبُّ خَيْلًا لا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرَّمَاحُ بِالضَيَاطِرَةِ الحُمْرِ^(٣)

(١) ديوانه : ١٤٩ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وإن امرأ أهداك بيني وبينه فَيَافٍ : تنوفاً وَيَهْمَاءُ خَيْفَقُ

لمحقوقة ... البيت ؛ يخاطب ناقة أهديت له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجيبى لصوته . تنوفاً :

جمع تنوفة ؛ وهي المفازة ، وخيفق ، يخفق فيها آل . »

(٢) البيت للأخطل ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى في ارتعاش .

(٣) جمهرة الأشعار : ١٩٣ ، واللسان (ضطر) . والضباطرة : الضخام الذين لا غناء عندهم ؛ وفي

اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم ؛ أي أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن

بها ، ويجوز أن يكون على القاب ، أي تشقى الضباطرة الحمر بالرماح ؛ يعني أنهم يقتلون بها . والموادة :

المصالحة والموادعة . »

يريد تشقى الضيافة بالرمح .

وبقول الآخر :

تَمْشِي بِهِ عُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَدَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ^(١)

يريد في ثياب بيض .

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرِّ بِأَلِّ أَخْذِهِ^(٢) فَرْدًا يَحِزُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفِيضِينَ^(٣)

يريد حسرت السر بال عن كفى .

وبقول ابن أحرر :

وَجُرِّدِ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلاً وَأَحْدَثَ قَمُوهَا شَمْرًا قِصَارًا^(٤)

أراد طار نسيها باطلا .

وبقول الآخر :

وَقَسْوَرَةٍ أَكْتَفَهُمْ فِي قِسْيِهِمْ إِذَا مَامَشَوْا لَا يَغْمِزُونَ مِنَ النَّسَاءِ^(٥)

أى قسيهم في أكتافهم .

وبقول الآخر :

* وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ^(٦) *

أى الإخلاف والولعان منهن .

(١) العوذ : جم عائد ؛ وهى الحديثة التاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « آخذه » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى

القدح » . يقال أفاض بالقدح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل في الميسر والقدح ١٤١ . (٤) اللسان (قأ) .

النسيل : ما ينسل من شعرها . وقؤها : سمها . (٥) القسورة : الرماة من الصيادين والقمز : الظلم .

(٦) البيت في اللسان (ولع) ، وصدده :

* لِحَلَابَةِ الْعَمِينِ كَذَابَةِ الْمُنَى *

قال في اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجعلهن من الأخلاف لملازمتهم له » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التفاضل له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له : وما المعنى والفائدة في قوله تعالى : « خُلِقَ الْعَجَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ » أتريدون (١) بذلك أن الله تعالى خلق في إنسان العجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهائم عن الاستعجال في الآية فيقول : ﴿ سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، لأنه لا ينهائم عما خلقه فيهم .

[١٥٦] فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال /
ط يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛ وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه .

١٠ وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره، واختاره وقواه، وسأل نفسه عليه فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق العجلة فيهم ! وأجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالثبوت ، قادر على أن يجانب العجلة ، وذلك كخلق في البشر شهوة النكاح ، وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

١٥ وهذا الذي ذكره البلخيّ تصرّيح بأن المراد بالعجل غيره ، وهو الطبع الداعي إليه ، والشهوة المتناولة له، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ «من» هاهنا «في» ؛ لأن شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوّز على تجوّز ، وتوسّع على توسّع ، لأن القلب أولاً مجاز ، ثم هو من بعيد المجاز ؛ وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر ، وإقامة «من» مقام «في» كذلك ؛ على أنه تعالى إذانهاهم عن العجلة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ .
٢٠ أي معنى لتقديم قوله : إني خلقت شهوة العجلة فيهم ، أو الطبع الداعي إليها ؛ على ما عبر به البلخيّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ؛ وأيسر

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أريد » .

الأحوالِ ألاَّ يكونَ عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكونَ لتقديمه معنى .

وفي الجواب الأول حَسُنَ تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير إضافة له

إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصح .

وثالثها جوابٌ روى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضَعْفٍ ، وهى النُظْفَةُ المَهْمِيَةُ الضَّعِيفَةُ ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن العَجَلَ يكون عبارة عن الضَّعْفِ أو معناه .

ورابعها ما حُكِيَ أَنَّ أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المرادُ أن الإنسان خُلِقَ من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، [النحل : ٤٠] .

فإن قيل : كيف يُطابقُ هذا الجواب قولَه من بعد : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ؟

قلنا : يمكن أن يكون وجهُ المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطنوها أعلمهم تعالى أنه ممن لا يُعجزه شيء إذا أرادَه ، ولا يمتنع عليه ؛ وأنَّ مَنْ خَلَقَ الإنسان بلا كلفة ولا مئونةٍ بأن قال له : كُنْ فـكـان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى يعجز عنها كلُّ قادر ، ويحار فيها كل ناظر ، لا يُعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العَجَلَ الطين ، فكأنه تعالى قال : خُلِقَ الإنسان من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [السجدة : ٧] ، واستشهد بقول الشاعر :

وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ^(١)

ووجدنا قوماً يطمنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن العَجَلَ هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العَجَلَ الحُمأة ، ولم يستشهد عليه ، إلا أن

(١) البيت فى اللسان (عجل) .

البيت الذى حكيناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي ، وخالف فى شيء من ألفاظه فرواه :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يُنْبِتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ
 وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
 • على نحو ما ذكرناه ، وهو أن مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ - مع الْحِكْمِ الظاهرة فيه - من الطين ، لا يُعْجِزُهُ إِظْهَارُ مَا سَتَعْبَلُوهُ مِنَ الْآيَاتِ ؛ أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خُلِقَ مِنَ الطِّينِ الْمُهِينِ ، وكان أصله هذا الأصل الحقيق الضميف أن يهزأ برسُلِ اللَّهِ وآياته وشرائعِهِ ؛ لأنه تعالى قال قبل هذه الآية : ﴿ وَإِذَارَأَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ، أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُكُمْ آلِهَتَكُمْ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٣٦] .

١٠ وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أى فى سرعة^(١) من خَلَقَهُ ، لأنه لم يخلقه من نُطْفَةٍ ، ثم من عَلَقَةٍ ، ثم من مُضْغَةٍ كما خلق غيره ، وإنما ابتداء الله تعالى ابتداءً ، وأنشأه إنشأً ، فكأنه تعالى نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى الْآيَةِ الْعَجِيبَةِ فِي خَلْقِهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى عِبَادَهُ مِنْ آيَاتِهِ وَبَيِّنَاتِهِ أَوْلَىَّ أَوْلَىَّ مَا تَقْتَضِيهِ مَصَالِحُهُمْ وَتَسْتَدْعِيهِ أَحْوَالُهُمْ .

[١٥٧] / وسابمها ماروى عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خالق آدم بعد خلق كل شيء آخر،
 ١٥ نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلا به غروب الشمس .
 وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعلى جسده ، ولم تبلغ أسافلَه قال : يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثانمها ما روى عن ابن عباس والسُّدِّيَّ أن آدم عليه السلام لما خُلِقَ وَجَعَلَتِ الرُّوحُ فى أكَثَرِ جَسَدِهِ وَثَبَّ عَجَلَانَ مَبَادِرًا إِلَى أَمْتَارِ الْجَنَّةِ - وقال قوم بل هَمَّ بِالرُّوحِ - فهذا معنى
 ٢٠ قوله تعالى : ﴿ خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله (١) :

رُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ لِجِئَاءِهَا وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ زَعْتَهَا (٢)
أَقِيمُ بَدَارِ الْحَرْبِ (٣) مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا فَإِنْ خِفْتُ مِنْ دَارِ هَوَانَا تَرَ كَثُهَا
وَأَصْلِحُ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَئِي (٤) شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
وَلَسْتُ بُوَلَّاجِ الْبُيُوتِ لِفَاقَةِ وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَبَيْتُ عَنِ الْإِدْلَاجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا وَأَرْضٌ بِإِدْلَاجٍ وَهَمٌّ (٥) قَطَعْتَهَا
أَلَا أَيُّهَا الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا تُعْرَضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتَهَا
تُعَارِضُ فَخَرَ الْفَاحِخِينَ بِعَصَبَةٍ وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِيْنَاءٍ أُكَلَّتْهَا
وَإِنَّ لَنَا رِبْعِيَّةَ الْمَجْدِ كُلَّهَا مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثْتَهَا (٦)
إِذَا قَصَّرَتْ أَيْدِي الرَّجَالِ عَنِ الْمَلَا مَدَدْتُ يَدِي بَاعًا عَلَيْهِمْ فَنَلْتَهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْمَلَا فَأَجَبْتُهُ وَدَعْوَةَ دَاعٍ فِي الصَّدِيقِ خَدَلْتَهَا
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةَ وَالِدِي فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَعَمَلْتَهَا (٧)

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهي نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ - ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ ، والخزانة ١ : ٤٦٥ - ٤٧٠ ، واللائق ١٨٦ - ١٨٧) (٢) ديوان المعاني ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعاني : «رثتها» وفي حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : «رعتها» . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الصحاح : زاع بعيره أي حركه إلى قدام يستزيد سيره ؛ قال ذو الرمة :

وَخَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّجْلِ قُلْتُ لَهُ زُعُ بِالزَّمَامِ وَجَوْزُ اللَّيْلِ مَرَكُومُ

ومن رواه « زع » ، [بفتح الزاي] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف .

(٣) د ؛ « الحزن » ، ف ، وديوان المعاني : « الحزم » . (٤) ديوان المعاني : « حسبتي » .

(٥) هم ؛ أي همة . (٦) حاشية الأصل : « ربعية المجد : أوله وأجوده ؛ كربعية النتاج خيره »

ومن نسخة بحاشية الأصل : « مواريث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فعملتها » .

وعوراءٍ مِنْ قِيلِ اسْرِيٍّ ذِي قَرَابَةٍ
رَجَاةٍ غَدٍ^(٢) أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ بَيْنَنَا
إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَثَّتْ وَضِيَعَتْ
وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهُ لَمْ أَرْمِ حُرَّةً
وَلَا قَازِفٌ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيئَةٌ
تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا^(١)
وَمَظْلَمَةٌ مِنْهُ بَجَنِي عَرَكَتُهَا
وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَتْهَا^(٣)
وَلَمْ تَتَمَنِّي^(٤) يَوْمَ سِرِّ فَخُنْتُهَا
وَكَيْفَ اعْتَدَارِي بَعْدَ مَا قَدْ قَدَفْتُهَا

[١٥٨]

و

٥

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذرّ القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه قال قال مسكين الدارمي :

ولستُ إِذَا مَا سَرَّنِي الدَّهْرُ ضَاحِكًا
وَلَا جَاعِلًا عِرْضِي لِمَالِي وَقَابَةً
أَعْفُ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِرًا
وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ
فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرْجُومًا
وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعْلمُ مَكَانَ صَدِيقِهِ
وَمَنْ مَسْتَحْسِنُ قَوْلُهُ :

وَلَا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ^(٥)
وَلَكِنْ أَقَى عِرْضِي فَيُحْرِزُهُ وَفَرِي
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْمُسْرِ
صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنْ يَمْلَعُوا قَفْرِي
حَيَاءً وَإِعْرَاضًا، وَمَابِي مِنْ كَبْرِ
أَنْي الرَّاءِ يَوْمَ الشُّؤْمِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
وَمَنْ يَحْيَى لَا يَمْدَمُ بِلَاءً مِنَ الدَّهْرِ^(٦)

١٠

١٥

إِنْ أُدْعَ مَسْكِينًا فَمَا قَصَرْتُ
قَدْرِي بُيُوتُ الْحَيِّ وَالْجُدْرُ

(١) العوراء هنا : الكلمة الفيجة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعاني : « رجاء غدا » . (٣) رمتها : أصلحتها . (٤) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تأتمني » . (٥) أبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، واللائي : ١٨٦ ، وكنایات الجرجاني : ١٠ ، ٥٧ . (٦) حاشية الأصل : (من نسخة) : « ومن يقن » .

وقيل : إن مسكينا ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمى بذلك لقوله :

وَسُمِّيتُ مِسْكِينًا وَكَانَتْ لَجَاجِسَةً وَإِنِّي لِمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ (١)

- ومعنى : قصرت قدرى ، أى : سترت ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان -

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَدَايَاتُهُ مِنْ وَضَعِهِ غُبْرٌ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على

ملا تناله / الأيدي ولا يكثر استعماله ، والجديات : جمع جدية ، وهى باطن دفة الرحل . [١٥٨] ط

لَا آخِذُ الصَّبِيَانَ الشَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغَيِّرِي (٢) بِهِ الْأَمْرُ

- يقول : لا أقبل الصبي ؛ وأنا أريد التعريض بأمه .

ومثله لغيره :

١٠ وَلَا أَلْقَى لَدَى الْوَدَعَاتِ سَوْطِي (٣) الْأَعْبَهُ (٤) وَرَبِيَّتَهُ (٥) أُرِيدُ

وأنشد ابن الأعرابي مثله :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَأْتِمُهُ

ضَخْمُ الْمَنَاكِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ

فَاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ

وَلَا يَغْرُنْكَ يَوْمًا قَلَّةَ الْمَالِ (٦)

- رجع إلى تمام القصيدة -

١٥ وَلرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا

بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرٌ

وَمُخَاصِمٌ (٧) قَاوَمْتُ فِي كَيْدِ

مِثْلِ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعُذْرُ (٨)

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يعزى » .

(٣) م : « صوتي » . (٤) د : « لأئمه » ، ومن نسخة بحاشية ف : « لألهيه » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وربته » ، أى أمه التى تربته . والودعات :

الجزرات . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ومقام » . (٨) فى حاشيتي الأصل ، ف : « إنما

يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متعمداً عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَاعْذِرْ بِنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلِكِ الْعُذْرُ

- ويروى : « القَمَر » ، والكَبَد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان

الأديم الأحمر -

مَاعِلَّتِي (١) ! قَوْمِي بَنُو عُدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبِشْرُ (٢)
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرَ مُنْتَحِلٍ وَأَبِي الَّذِي حُدِّثْتَهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَرْهَبُ الْجِيرَانُ غَدْرَتَنَا حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَّحَتْ إِحْدَى السَّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمْرُ

- أي يستعلى الذنر به كما يُسْتَحْلَى التمر -

مَوْلَاهُمْ لِحْمٌ عَلَى وَصَمٍ تَنْتَابُهُ الْعِقْبَانُ وَالنَّسْرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَآلِيهِ قَبْلِي نُزْلُ الْقِدْرِ
يقال : إنه كان له امرأة تماظه ، فلما قال ذلك قالت له : أجل ؛ إنما ناره ونارك واحدة ، لأنه

أوقد ولم توقد ، والقِدْرُ تنزل إليه قبلك ؛ لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه .

مَا ضَرَّ جَارِيَّ إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ
قال : ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضا : أجل إن كان له سِتْرٌ هتكتُهُ -

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقْرُ

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضا :

لَا تَجْمَلَنِّي كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ (٣) لَمْ يَظْلَمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا (٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما عابني » . (٢) من نسخة في حاشيتي الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قثم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تجمليني كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أي لم ينحروا للأضياف فيطعنوا في لبة أو ودج » .

إِنِّي لِأَغْلَاهُمْ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا
 أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جُوعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا
 يَارُبَّ أَمْرَيْنِ قَدْ فَرَّجْتُ بَيْنَهُمَا
 أُدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ
 وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ
 مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ
 وَأَنْشُدُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ لَهُ :

وَلَمْ يُبْلِهْنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
 وَأَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ
 وَتَعَلَّمْتُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ
 أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى
 وَمِثْلُهُ لغيره :

وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيبٌ
 وَأَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ
 وَلَكِنَّمَا وَجْهَهُ الْكَرِيمِ خَصِيبٌ
 وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى
 وَمَعْنَى :

١٥ * أَحَدُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى *

أى أصبر على حديثه ، وأعلم أنه سوف ينام ، ولا أعرض بمجادته / فأكون قد محقت [١٥٩] ظ
 قرأى ؛ والحديث الحسن من تمام القرى .

وقال الأصمعيّ : أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارميّ :
 أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُقْرَ

(١) الريح : الغبار . (٢) اعتلج . اضطرب .

(٣) الحزن : المفازة الواسعة ، والخرقاء : الناقة السريعة .

فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفْتَهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُبَزَّرْ^(١)
 تَمَارٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
 فَإِنِّي سَأَخِي لَهَا بَيْنَهَا فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطٌ مَمْرٌ
 وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرَسَهُ إِذَا ضَمَهُ وَالْمَطِيَّ السَّفْرَةَ!

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير الالهج بالقول في هذا المعنى ، فمن ذلك قوله:

وَإِنِّي امْرُؤٌ لَا آلفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ عَرْسِي لَا أُفْرِطُهَا شِبْرًا
 وَلَا مَقْسِمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْنَهَا لِأَجَلِهِ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
 إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنِ أَمَامَ فَنَائِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِبِهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا
 وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَيْلُ قَائِلٍ^(٢) عَلَى غِيْرَةٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا إِخْبْرًا
 فَهَبْنِي امْرَأً رَاعِيَةً مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ بَيْتِهَا شَهْرًا

وأنشد أبو العباس^(٣) عن أبي العالفة مسكين :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ^(٤)
 مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَمِيمًا عَرْسَهُ مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْ هُمْ الظُّنُونُ
 بُوْشِكُ أَنْ يَغْرِيَهَا بِالذِّي يَخَافُ ، أَوْ يَنْصَبَهَا لِلْعُمُونُ
 حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينٍ
 لَا تَطْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْقَرُونُ حَبْلَ الْقَرِينِ^(٥)

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإن فال قائل »

(٣) ف : « أبو العيال » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « غير حين » .

(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك على زنا وريبة ؛ فإنها أياضاً ترضى أو تفعل كما فعلت »

مَجْلِسٌ آخِرٌ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

/إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [١٦٠] و
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿﴾ [يوسف : ٢٤] .

قَالَ : هل يسوغُ ما تأوَّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسفَ عليه السلام عزمَ
على المعصية وأرادها ، وأنه جلسَ بجِلسِ الرجل من المرأة ، ثم انصرف عن ذلك بأن رأى
صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه ، متوعداً له على مواجهة المعصية، أو بأن نُوديَ
له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمالُ والمجاز ووجوه التأويلات
أنَّ المعاصيَ لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ماورد ظاهره بخلاف ذلك من
كتابٍ أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما
تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي نزاهة نبي الله تعالى من العزم على
الفاحشة وإرادة المعصية .

أولها أنَّ الهمَّ في ظاهر الآية متعلِّقٌ بما لا يصح أن يعلِّق به العزم أو الإرادة على الحقيقة؛
لأنه تعالى قال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، فمتعلِّق الهمُّ بهما، وذاتهما لا يجوز أن يُراد
أو يمزَم عليهما ؛ لأنَّ الوجود الباقي لا يصحَّ ذلك فيه ، فلا بدَّ من تقدير محذوفٍ يتعلَّق
العزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلَّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت همت بفلان ، وقد همَّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأى معنى لقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها ؟

٥ قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما همَّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همَّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدعى عليه المرادة على التبييض وتقذفه [١٦٠] بأنه دعاها إليه ، وأنَّ ضربه لا يستناعها ، فيظنُّ به ذلك من لا تأمل له ، ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صرَّف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به ، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح ، أو ١٠ يُعنى بالسوء والفحشاء ظنُّهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أنَّ جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ يتقدّمها ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربِّه لهمَّ بضربها ودفعها ، وتقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ قبيح غير مستعمل ، أو يقتضى أن تكون ﴿ لَوْلَا ﴾ بغير جواب .

١٥ قلنا : أما تقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ فجائز ، وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، غير أننا لا نحتاج إليه في هذا الجواب ، لأنَّ الهمَّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير : ولقد همت به وهمَّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لَفعل ذلك ، فالجواب في الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه ، كما حذف الجواب في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ؛ [النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ . لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ؛ [التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علمَ اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا^(١)

أراد : فلو أنّها نفسٌ تموت سويةً لانقضت وفنيت ، فحذف الجواب ؛ على أن من تأول هذه الآية على الوجه الذى لا يليق بنبيّ الله تعالى ، وأضاف العزم على المصيبة إليه لا بدله من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد همّت بالزنا وهمّ به ؛ لولا أن رأى برهان ربه لفعله .

فإن قيل قوله : ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلم جعلتم هَمَّهَا به متعلقًا بالقبيح وهمّة بها متعلقًا بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدلُّ على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعًا ، وإنما أثبتنا هَمَّهَا به متعلقًا بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار ؛ وهى ممن يجوز عليه فعل القبيح ، ولم يؤمن دليلٌ من امتناعه عليها ؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذى يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ

الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ، [١٦١]

[يوسف : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] ،

وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ^(٢) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾

[يوسف : ٥١] ، وفى موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ ^{١٥}

عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : «تموت جميعة» . وفى حاشية الأصل : « ويروى : « تساقط »

[بضم التاء] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفسا » مفعولا ؛ وإذا روى : « تساقط »

[بفتح التاء] جاز أن يكون « تفاعل » متعديا ؛ والمعنى : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضا ؛

و « أنفسا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقَطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ، أى تساقط عليك ثمر

النخلة رطبًا ، وقال الفراء : هو تميز ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالًا أن يفيد كثرة الرطب على الخدع

فكأنها إذا تساقطت رطبًا .

(٢) حاشية الأصل : « معنى ﴿ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ؛ أى طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلها منى ؛

هذا هو حقيقته هذه الكلمة ؛ فاختر » .

والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يُحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه :
ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ؛ ويجرى ذلك بجري قولهم : قد كنتَ
هَلَكْتَ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلت لولا أنى خلصتُك ، والمعنى : لولا تداركى لهلكت ،
ولولا تخليصى لقتلت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِجِرَّةٍ لَئِن كُنْتُ مَقْتُولًا ، وَيَسْلَمَ عَامِرٌ^(١)

وقال آخر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِجِرَّةٍ لَئِن لَمْ أُعَجَّلْ طَعْمَةً أَوْ أُعَجَّلْ^(٢)

فقدم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ في البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا
١٠ فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ ، والهَمُّ لم يقع لمكان فضل
الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أن في الكلام شرطاً ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى
بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؛ فكيف يحتمل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجعلوا
جواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوفاً مقدراً لأن جمل جوابها موجوداً أولى .

١٥ وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : « قام زيدٌ
لولا عمرو » ، و« قصدتك لولا بكرٌ » وقد بيننا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز
تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ ، والذي ذكروه لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : « قد كان زيد قام لولا كذا وكذا » ، و« قد كنت قصدتك لولا

١٦١] أَنْ سَدَّنِي فُلَانٌ » ، وإن لم يقع قيامٌ ولا قصد ؛ وهذا هو الذي يشبه الآية ؛ وليس تقديمٌ
ط

(١) صريحاً : خالص النسب . (٢) م :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لَئِن لَمْ أُجْبَلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجَّلْ

وفي حاشية الأصل : « في نسخة س البيت الثاني مقدم على الأول » .

جواب ﴿أَوَّلًا﴾ بِأَبَدٍ مِنْ حَذْفِ جَوَابِ ﴿لَوْ لَا﴾ جُمْلَةً مِنَ الْكَلَامِ . وَإِذَا جاز عَنْدهم الحذف - لثلا يلزمهم تقديمُ الجواب - جاز لغيرهم تقديمُ الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو عليّ الجبائيّ - وإن كان غيرُه قد تقدمه إلى معناه - وهو أن يكون معنى ﴿هَمَّ بِهَا﴾ اشتهاها، ومأل طبعه إلى مادعته إليه . وقد يجوز أن تسمى الشهوة في مجاز اللغّة هَمًّا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشتميه : ليس هذا من همّي ، وهذا أهمُّ الأشياء إلى ؛ ولا قبسح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القُبسحُ بتنازل المشتهي .

وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصريّ قال : أما همُّها فكان أخبثَ الهمِّ ، وأما همُّها فسا طبع عليه الرجال من شهوة النساء ، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، متعلق بمحذوف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فَعَلَ .

١٠

والجواب الرابع، أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع عنده في الأكثر، وعلى هذا لا يُنكر أن يكون المراد بـ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ خطرَ بباله أمرُها^(١) ، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك همٌّ أو عزمٌ ، فسمى الخطور بالبال هَمًّا من حيث كان الهمُّ يقع في الأكثر عنده ، والعزم في الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ما ادّعاء جهلة المفسرين ومُخرِّفو القصص ، وقرّوا به نبى الله عليه السلام، لما في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ؛ من حيث كان منفراً عنهم، وقادحاً في الغرض الجرى إليه بإرسالهم ؛ والقصة تشهد بذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ، ثم الأخذ فيه، والشروع في مقدماته ؛ وقوله تعالى أيضاً : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يقتضى تنزيهه

(١) س : « ما أخطر بباله أمرها » .

عن الهمّ بالزُّنا ، والمزم عليه . وحكايته عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [يوسف : ٥١] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفًا لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصراف عن المعاصي ، والتنزه عنها .

[١٦٢] ويحتمل أيضا / ما ذكره أبو علي ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه ، وعلى أن من فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنّه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعدًا له ، أو النداء له بالزجر والتخويف ، لأن ذلك يُنافي المحنة ، وينقض الغرض بالكيف ، ويقضى ألا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحًا ولا ثوابًا ؛ وهذا سوءُ ثناء على الأنبياء ، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ، ونحمد الله على حسن التوفيق . ١٠

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصوليّ الملقب بطماسٍ قال : كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس^(١) ، فدخل عليه رجل فرمعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريباً من ذلك ، ثم حادثه إلى أن قال عمي : يا أبا تمام ؛ ومن بقي ممن يُعتصم به ويلجأ إليه؟ قال : أنت لا عُدِمْت - وكان إبراهيم طويلاً - أنت والله كما قيل :

يَمُدُّ نِجَادَ السَّيْفِ حَتَّى كَانَهُ
بَأَعْلَى سَنَامِي فَالْجِ يَتَطَوَّحُ
وَيُدْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ
وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا اعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتَهُ
هَلَالاً بَدَأَ فِي جَانِبِ الْأَفُقِ يَلْهَجُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرِّجَالِ فَضِيلَةً
وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفي سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر ، نشره الأستاذ عبد العزيز اليميني ؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م . (وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠٩ - ٣٣ ، وابن خلكات ١ : ٩ - ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧) .

فقال له إبراهيم: أنت تحسن قائلًا، وراويًا، ومتمثلًا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: أكتبني الأبيات، فقال: هي لأبي الجويرية العبدى^(١) نخذها من شعره .

وروى عن يحيى بن البحترى قال: رأيت أبا يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بعمان من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبا: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أحسبُ النومَ حَكَاكَ إذ رَأَى مِنْكَ جَفَاكَ^(٢)
مَنَى الصَّبْرُ وَمِنْكَ أَلْ هَجَرُ فابُلُغْ بِي مَدَاكَ
بَعَدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَآكَ
أَوْ مَا خَطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مِنْ قَدْرَاكَ
لَيْتَ حَطَّيْتُ مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ

قال أبا: /إنه تصرّف في معاني من الشعر في هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من [١٥٨] حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولى .

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولى قال: لما بايع المأمون لعلى بن موسى الرضا عليهما السلام بالمهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دعبل^(٣) بن على

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبية؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف: ٧٩، والمرزبانى في المعجم: ٢٥٨ .

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس: ١٤٨ .

(٣) هو دعبل بن على الحزاعى، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت «وقصيدته النائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنى المدائح، قصدها على بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخلع عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبهها؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراءت لله =

وإبراهيم بن العباس الصولي - وكانا صديقين لا يفتقان ، فأنشده دعبل :
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحَى مُتَّفِرُّ الْعَرَاصَاتِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبا قصيدة ، أولها :

أَزَالَتْ عَزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال : فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه ، وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت ؛ فأمدعبل بن علي فصار بالشطر منها إلى قم ، فاشتري أهلها منه كل درهم بعشرة ، فباع حصته بمائة ألف درهم .

= عزوجل ؛ وهي محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فباع الأبيعيها أو يعطوه مضها ليكون في كفته ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان في أكفانه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون في أكفانه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة ، وتوفي دعبل سنة ٢٤٦ .

(وانظر ترجمته في معجم الأدياء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلدكان ١ : ١٧٩ - ١٨٠ ، والأغاني ١٨ : ٢٩ - ٣٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٣٨٢) .

(١) القصيدة في معجم الأدياء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذَكَرْتُ مَحَلَّ الرَّبِّعِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْمَبْرَاتِ
وَفَكَعْرِي صَبْرِي وَهَاجَتْ صَبَابَتِي رَسُومُ دِيَارٍ أَقْفَرَتْ وَعِرَاتِ

مَدَارِسُ آيَاتٍ

وفيه يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أُرُوحٌ وَأَعْدُو دَائِمَ الْحَسْرَاتِ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مَتَقَسَّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفِرَاتِ
فَأَلِ رَسُولِ اللَّهِ نُحْفٌ جَسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفْلُ الْقَصْرَاتِ
بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ أَكْفًا عَنِ الْأُوتَارِ مَنْقِبُضَاتِ
فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغَدِ لَقُطِّعَ قَلْبِي إِرْهَمَ حَسْرَاتِ

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات؛ قال الصولي: ولم أفت من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن عليّ الباقطاني^(١) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن، فأنسخه شعره في عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل، وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت في يده بمخون وغيرها وطلبه بمالٍ وألح عليه، وأساء مطابقتها، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أن شعره في عليّ بن موسى بخطه عندي، وبغير خطه، والله لئن استمرّ عليّ ظلمي^(٢)، ولم يُزل عنّي المطالبة لأوصان الشعر ١٠ إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / في ذلك إلى الوسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣] الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضوره .

وذكر أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم أن أباه عليّ بن يحيى كان الوسطة بينهما .

قال الصولي: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلاّ أبياتاً؛ وجدتها بخط أبي ١٥

قال: أنشدني أخى لعمه في عليّ بن موسى من قصيدة:

كفي بفعّالٍ امرئٍ عالمٍ على أهله عادلاً شاهداً^(٣)
أرى لهم طارفاً موقفاً ولا يُشبههُ الطّارِفُ التّالداً
يمنُّ عليكم بأموالكم وتُظَوّنَ من مائةٍ واحداً

(١) حاشية الأصل: الباقطان: قرية بالعراق، والنسبة إليها باقطان؛ وثم أيضاً قرية يقال لها

باقطينا؛ والنسبة إليها باقطيني . (٢) حاشية الأصل (من نسخة): « ظلمه » .

(٣) ديوانه: ١٧٢، ومن نسخة بحاشية الأصل: « على قومه عادلاً » .

فلا حَمَدَ اللهُ مُسْتَنْصِرًا^(١) يكونُ لأعدائِكُم حامدا
فَضَلْتَ قَسِيمَكَ فِي قُعْدُدٍ^(٢) كما فَضَلَ الوالدُ الوالدا

قال الصوليّ: فنظرت في قوله:

* فَضَلْتَ قَسِيمَكَ فِي قُعْدُدٍ *

٥ فوجدت عليّ بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين في قُعْدُدِ النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً.

وروى الصوليّ أن منشداً أنشد إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع:

ربّما تَكَرَّهُ النفوسُ من الأُمِّ رِلهِ فَرَجَةٌ كَحَلِّ العقالِ^(٣)

قال: فنكت بقلمه ساعة ثم قال:

١٠ وَرَبِّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِها الفَتَى كَمَلَّتْ فَلما اسْتَحَكَمَتْ حَلَقاتِها
ذَرَعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْها مَخْرَجٌ^(٤) فُرِجَتْ وَكانَ يَظُنُّها لا تُفْرَجُ

فمجب من جودة بديهيته.

وأخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال: كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس

١٥ يلبى معونتها وخراجها، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضاري، فلما دخلت عليه قرّب مجلسي

[١٦٣] وقال: تسلف^(٥) أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتم إلاّ به، فانبسطت وتساءلنا/ عن الأشعار،

فأرأيت أحدا قط أعلم بالشعر منه، فقال لي: ما عندك في قول النابغة:

(١) حاشية الأصل (من نسخة): * فَلَا حَمَدَ اللهُ مُسْتَنْصِرًا *

(٢) حاشية الأصل: « في قعدد » تتعلق بقسيمك، والقعدد: الأقرب إلى الأب الأكبر، وفلان أفعد

من فلان نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر. (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت؛ وهو في شعراء

النصرانية: ٢٠٣، واللسان (فرج). والفرجة: بالفتح مصدر؛ وبالضم اسم، والرواية بالفتح.

(٤) ديوانه: ١٧١. (٥) حاشية الأصل: تسلف؛ أي خذه سلفاً؛ يعني أنك ستنبسط

إلى بعد المطاولة؛ فخذ ذلك سلفاً وانبسط.

ألم ترَ أن الله أعطاك سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتدبَّدبُ^(١)
فإنك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ

فقلت : أراد تفضيله على الملك، فقال: صدقت، ولكن في الشعر حَبٌّ^(٢)، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام، ومدَّحِه لهم، وقال : إنما فعلت هذا لجفائك بي، فإذا صلحت لي لم أرددُ غيرك، كما أنَّ من أضاعت له الشمس لم يحتجْ إلى ضوء الكواكب؛ ٥
فأني بمعنىين: بهذا، وبتفضيله، قال : فاستحسنْتُ ذلك منه .

وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي دؤاد، فمَتَّب على ابنه أبي الوليد من شيء قدَّمه، ومدح أباه وأحسن في التخصُّص كلَّ الإحسان فقال :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةً على محاسنِ بقَّأها أبوكَ لَكَ^(٣)
لئن تقدَّم أبناءُ الكرامِ بهِ لقد تقدَّم أبناءُ اللُّثامِ بِكَ
ولإبراهيم :

تمرُّ الصِّبَا صَفْحًا بساكنِ ذِي الفِضَا ويصدعُ قلبي أن يهَبَّ هُبُوبُهَا^(٤)
قَرِيبةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
تَطَلَّعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ عَوَارِفُ أَنْ الْيَأْسَ مِنْكَ نَصِيْبُهَا
وأخذ هذا من قول ذي الرُّمَّة :

إِذَا هَبَّتِ الأرواحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبِ بهِ آلِ مِيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا^(٥)
هَوَى تَذْرِفِ العَيْنَانِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
ولإبراهيم :

دَنَتْ بِأُنَاسٍ عَنِ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وشطَّ بليلى عن دنوِّ مزارُهَا^(٦)
وَإِنَّ مَقِيَّاتٍ بِمَنْقَطَعِ اللّوَى لأقربُ من ليلي وهاتيكَ دَارُهَا
٢٠

(١) ديوانه : ١٣ . (٢) الحُبء : ماخيء واستتر، كالخيء . (٣) ديوانه : ١٦٢ .
(٤) ديوانه : ١٣٩ . (٥) ديوانه : ٦٥ - ٦٦ .
(٦) ديوانه : ١٤٥ ، وفي حاشية الأصل : « يروى البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات » .

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسيّ:

يقولون هَـذِي أُمِ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتَ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَا إِنَّمَا بُمَدُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوصلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظنّ أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَ تَشَا وَأُبْرِقُ يَمِينًا وَأُرْعِدُ شِمَالًا^(١)
نِجَابِكَ لَوْ مُكَّ مَنْجَى الذُّبَابِ حَمْتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يُنَالَا^(٢)

حتى رأيت مُسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :
أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عَرِضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحَ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ^(٣)
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرِضِكَ إِنَّهُ عَرِضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(١) ديوانه : ١٦٣ . (٢) من نسخة بحاشية الأصل : « مقاديره » .

(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًّا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [يوسف : ٢٣] .

فقال : إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة

- المعصية؛ لأن حبسه في السجن، وقطعه عن التصرف معصية من فاعله؛ وقبيح من المقدم عليه؛ وهو في القبح يجري مجرى ما دُعي إليه من الزنا . وقوله من بعد : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يدل على أن امتناعه من القبيح^(١) مشروط بمنعهنَّ وصرْفهنَّ^(٢) عن كيدِه؛ وهذا بخلاف مذهبكم ، لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه ؛ صرْف النسوة عن كيدِه، أو لم يصرْفهنَّ .

الجواب، قلنا: أما قوله: ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ففيه وجهان من التأويل: ١

- أولهما أن المحبة متملقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً؛ لأنَّ السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدوها؛ وإنما يريد الفعل فيها ، أو المتعلق بها؛ والسجن نفسه^(٢) ليس / بطاعة ولا معصية ، وإنما الأفعال فيه قد تكون طاعات [١٦٤] ط ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها؛ وإدخال القوم يوسف عليه السلام الحبس ، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم ؛ وكونه فيه وصبره على ملازمته ، والمشاق التي تناله باستيطانه ١٥ طاعة منه وقربة، وقد علمنا أن ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمة بعض المواضع ، وترك

(١-١) د ، ف : « مشروط بمنعهم وصرْفهم » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « وحده » .

التصرف في غيره لكان فعلُ المُكره حسناً، وإن كان فعلُ المكره قبيحاً. وهذه الجملة تبين
 ألاّ ظاهرَ في الآية^(١) يقتضى ما عنده؛ وأنه لا بدّ من تقدير محذوف يتعلق بالسّجن؛ وليس
 لهم أن يقدّروا ما يرجع إلى الحابس من الأفعال؛ إلاّ ولنا أن تقدّر ما يرجع إلى المحبوس؛
 وإذا احتتمل الكلام الأمرين، ودلّ الدليل على أن النبيّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصي
 والقبايح اختصّ المحذوف التقدير بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعةٌ لا لومَ على مریده
 ومُحبّه .

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السّجّنُ أحبُّ إلىّ ممّا يدعُونى إليه﴾، وهو لا يجب
 ما دعوه جملةً؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع^(٢) فيه اشتراكٌ في معناها؛ وإن
 فضل البعض على البعض؟

١٠ قلنا: قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن في معناها اشتراكٌ على
 الحقيقة، ألا ترى أن من خير بين ما يحبه وما يكرهه جاز أن يقول: هذا أحبُّ إلىّ
 من هذا، وإن لم يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخیر: هذا أحبُّ إلىّ من هذا، إذا كان
 لا يُحبُّ أحدهما جملة!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان الحير بين الشئين لا يُخیر
 ١٥ بينهما إلاّ وهما مرادان له، أو مما يصحُّ أن يريدتهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك،
 وإن حصل فيما ليس هذه صفته، والمجيب على^(٣) هذا متى قال: كذا أحبُّ إلىّ من
 كذا كان مُجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان في تناول
 محبته .

وما يقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان . ١٥]، ونحن
 ٢٠ نعلمُ ألاّ خيرَ في العقاب؛ وإنما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

(١) حاشية ف (من نسخة): « للآية » . (٢) حاشية ف (من نسخة): « يقع » .

(٣) حاشية ف (من نسخة): « عن هذا » .

المعاصي على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم^(١) أن فيها خيرا / ونفعاً ، فقيل : أذلك خير على ما تظنون وتعتدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥] و قد قال قوم في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة ، وإن لم يشتركا في الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ؛ [الفرقان : ٢٤] ، ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ لأنَّ الأمرين - يعني المعصية ودخول السجن - مشتركان في أن لكل منهما داعياً ، وعليه باعثاً ، وإن لم يشتركا في تناول المحبة ، فجعل اشتركا في داعي المحبة اشتراكا في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضا ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْنِ» المصدر، فيحتمل أن يريد : أن سَجَنِي لهم نفسي ، وصبري على حبسهم أحبُّ إليَّ من موقعة المعصية ؛ ولا يرجع ١٠ بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثاني أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أي أهون عندي وأسهل عليَّ ؛ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معا : إن فعلت كذا وإلا فعل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل كذا أحبُّ إليَّ ، أي بمعنى أسهل وأخفُّ ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عني فعلهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة ؛ ١٥ وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنَّه السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لي مما يدعوني إلى مجانبة المعصية ، وتبينني إلى تركها ومفارقتها صوبت ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ، وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ؛ ولا شبهة في أن النبي عليه السلام إنما يكون ٢٠

(١) حاشية ف (من نسخة) : « لاعتقادهم » .

معصوماً من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلفظه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿وَالْإِ تَصْرِفٌ عَنَى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾^(١) فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه ؛ والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عنى ضرر كيدهن والغرض به ؛ لأنهن إنما أُجْرَيْنَ بكيدهن إلى مساعدته لهن على المعصية ، فإذا عُصِمَ منها ولُطِفَ له في الانصراف عنها؛ فكان الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضرره وما أُجْرِيَ به إليه ، ولهذا يقال لمن أُجْرِيَ بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئاً ، ولمن فعل ما لا تأثير له: ما فعلت شيئاً ، وهذا بين بحمد الله ومنه .

تأويل خبر

١٥ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عُثْبَةُ بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في خطبة طويلة خطبها: « من يتبع الشَّمْعَةَ يَشْمَعُ اللهُ به » .

والجواب ، إن الشَّمْعَةَ هِيَ الضَّحِكُ والمُزَاحُ واللَّهَبُ ، يقال: شَمِعَ الرَّجُلُ يَشْمَعُ شَمَوْعًا ، وامرأة شَمَوْع إذا كانت كثيرة المزاح والضحك : قال أبو ذؤيب يصف الحمير :

بقرارِ قِيَمَانَ سَقَاها وإِبِلٌ وإِهٍ فَأَنْجَمَ بَرُهَةً لَا يُقْلِعُ^(١)

فَلَبِثْنَ حِينًا يَعْتَلِجْنَ بَرَوْضَةً فَيُجِدُّ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ^(٢) ١٥

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الأتن ، وأنه معهن في بعض القيمان يُبارك هذه الأتن .

(١) ديوان الهذليين ١ : ٥ . الفرار : مستقر الماء . والقيمان : مناقع الماء في حر الطين ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « سقاها ، أى سقى القيمان وإه ؛ أى سحاب كثير المطر ؛ وهذه استمارة ؛ أى كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالاً . وأنجم : أقام برهة ؛ أى مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب .
(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضة » ، والضمير للبعير الذى يصفه ، أو للقرار ، أو للوابل .»

ومعنى « يَمْتَلِجُنْ » يُعَاضُ بعضها بعضاً، ويتراخُنْ من النشاط فيجدُ الفحل معهنَّ مرّةً، وأخرى يأخذ معهنَّ في اللعب فيشَمَعُ، وفي يجدُ لغتان: يَجِدُ وَيُجِدُّ، والفتوح لغة هذيل؛ ويقال فلان جادٌ مُجدِّ على اللغتين معاً.

وقيل إن معنى يَشَمَعُ الحمار أنه يَتَشَمَعُ، ثم يرفع رأسه فيكثُرُ عن أسنانه، فجمل ذلك بمنزلة الضحك، قال الشماخ:

ولو أنى أشاءُ كنتُ نفسى إلى لباتِ بهيمةٍ شوع^(١)

وقال المتنخل الهذلي:

ولاً والله نادى الحى ضيفى هدىءاً بالمساءة والملاط^(٢)
سأبدؤهم بمشمةٍ وأنى بمجهدى من طعامٍ أو بساطٍ

أراد بقوله « نادى الحى ضيفى » أى لا ينادونه، من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر / والملاط: من أعلطه واعتلط به؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر؛ وأصله من [١٦٦] علاط البعير، وهو وسَّمُ في عنقه.

وقيل إن معنى « نادى الحى » من النادى؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء.

ومعنى « سأبدؤهم بمشمة » أى بلعب وضحك، لأن ذلك من علامات الكرم والسرور

بالضيف، والقصد إلى إيناسه وبسطه، ومنه قول الآخر:

وربَّ ضيفٍ طرَّقَ الحى سرى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

إنَّ الحديثَ جانبٌ من القرى^(٣)

وروى الأصمعى عن خاف الأحرار قال: سُنَّةُ الأعراب أنهم إذا حدَّثوا الرجل الغريب

(١) ديوانه: ١٧؛ وروايته: « هيكله »؛ وهى الضخمة. وكننت نفسى: سترتها. ولبات: جمع لبة؛ وهى موضع الفلاة؛ والبهيمة: الغنسة الحسنة الخلق.

(٢) ديوان الهذليين ٢: ٢١. (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر، وقبلها:

إنك يا بن جعفرٍ نعمَ الفتى ونعم ماوى طارقٍ إذا أنى

وانظر الأغاني ٩: ١٦٨ (طبع دار الكتب المصرية).

وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى ، وإذا أعرضوا عنه عرفَ الحرمان .
ومعنى : « أئبني * بجهدى من طعامٍ أو بساطٍ » ، أى أتبع ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أن مَنْ كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبث به فيها ، ويستَهزأ منه .

٥ ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما زوى عن النبي صلى الله عليه وآله : « من يُسمِع الناس بعمله يُسمِع الله به » ؛ والمعنى : مَنْ يرأى^(١) بأعماله ويظهرها تقرباً إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم ؛ يشهره^(٢) الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .

ويمكن أيضاً فى الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر أن يكون المعنى : مَنْ يتَّبِع الله بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثانى .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إني لفي سوق ضريبة^(٣) ، وقد نزلت على رجل من بنى كلاب كان متزوجاً بالبصرة ، وكان له ابن بضريبة ، إذ أقبلت عجوز على ناقه لها ، حسنة اليزة ، فيها بقايا جمال ، فأناخت^ط / ١٥ وعقلت ناقها ، وأقبلت تتوكأ على محجن^(٤) لها فجلست قريباً منّا ، وقالت : هل من منشد؟ فقلت للكلابي : أيحضرك شيء؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصاري :
وقصيرة الأيام ودّ جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم^(٥)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من يراء » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضريبة : قرية بنجد في طريق مكة

من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ في رأسها حديدة كالمعلاق .

(٥) الأبيات في الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالى . ١ : ٢٠٣ ، من غير عزو مع اختلاف

في الترتيب . والبيت الأول منها في اللسان (ردع) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفي الحماسة :

« لو نال مجلسها » ، وفي أمالى القالى : « لو دام مجلسها » .

(١) مِنْ مُحَدِّياتِ أَخِي الْمَوْىِ غُصَصِ الْجَوَىِ (١)
 بدلالٍ غانِيةٍ ومُقلَّةٍ ريمٍ
 صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحِيَاءِ بِهَا رُدَاعٌ سَقِيمٌ (٢)
 قال : فُجئت على رُكبتَيْها وأقبلت تحرِش (٣) الأرضَ بمحجَبِها ، وأنشأت تقول (٤) :
 قَفِي يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ (٥) تَقْرَأُ تَحِيَّةً وَنَشِكُ الْمَوْىِ ، ثُمَّ افْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ (٦)
 فَلَوْ قُلْتِ : طَأْفِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ (٧)
 لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطَّئْتُهَا هَوَى لَكَ ، أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ •
 (٨) هُدَى مِنْكَ لِي ، أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ (٨)
 سَلَى الْبَانَةَ الْعَلِيَّامِينَ الْأَجْرَعِ (٩) الَّذِي بِهِ الْبَانُ : (١٠) اهل حَيْتٍ أَظْلالَ دَارِكِ (١٠)
 وَهَلْ قُمْتُ فِي أَظْلالِ الْهَيْئَةِ عَشِيَّةً (١١) مَقَامَ سَقِيمِ الْقَلْبِ (١١) ، وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ

(١-١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* مِنْ مُحَدِّياتِ أَخِي الْأَسَىِ غُصَصِ الْمَوْىِ *

(٢) الْجَوَاءُ : مَوْضِعُ بَعِثَاتٍ . (٣) تحرِش : تَضْرِبُ عَلَيْهَا ؛ مِنْ حَرَشَ الضَّبَّ ، وَالْحَرَشُ

كَالْحَرَشِ وَهُوَ الْحَدَشُ .

(٤) الْأَبْيَاتُ لِابْنِ الدِّينِيَّةِ ؛ دِيْوَانُهُ : ١٥ ، وَأَمَالِي الزَّجَاجِيِّ ١١٠ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأَمَالِي

الْقَالِي ٢ : ٣٣ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ ، وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ١ : ١٥٩ ؛ وَهِيَ أَيْضًا فِي الْحَمَّاسَةِ - بِشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ

٣ : ٢٦٣ ، مِنْ غَيْرِ عَزْوٍ . (٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَضَانَهَا إِلَى الْقَلْبِ كَرَامَةً لَهَا وَإِعْجَابًا بِهَا » .

(٦) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ف : « الْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ : « بَدَالِكَ » بِكَسْرِ الْمَلَامِ لِتَوَازُنِ الْقَوَافِي ،

وَالْعَلَّةُ فِيهِ مَجَاوِرَةٌ كَسْرَةَ السَّكَافِ كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ : ﴿ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ ﴾ ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ عَتِيًّا ﴾ ، وَ﴿ صَلِيًّا ﴾ .

(٧) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةِ) : « أُنْهَا » .

(٨ - ٨) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* سُورًا لِأَنِّي قَدْ خَطَرْتُ بِبِالِكَ *

(٩ - ٩) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « سَلَى الْبَانَةَ الْغَيْنَاءُ بِالْأَجْرَعِ » ، وَهِيَ رِوَايَةٌ

الْحَمَّاسَةِ . وَالْغَيْنَاءُ : الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ الْوَاسِعَةُ الظِّلِّ . وَالْأَجْرَعُ : السَّهْلُ الْمُخْتَلَطُ بِالرَّمْلِ .

(١٠ - ١٠) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « هَلْ حَيْتٍ أَظْلالَ ضَالِكَ » ، وَالضَّالُّ : شَجَرَةٌ .

(١١ - ١١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « قِيَامَ سَقِيمِ الْبَالِ » .

لِيَهْنِكَ^(١) إِمْسَاكِ بَكْفِيٍّ عَلَى الْحِشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي^(٢) رَهْبَةً^(٣) مِنْ زِيَالِكَ^(٤)

قال الأصمعي: فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقتها، وفصاحة لهجتها؛ فدنوت منها

فقلت: نَشَدْتُكَ اللهُ لَمَّا زَوَّدْتَنِي^(٤) من هذا! فرأيت الضحك في عينها، وأنشدت:

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسَجِّنُ^(٥) أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ^(٦)

جَمَعْنَ^(٧) الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَهُ نُزَعْنَ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الْقَوْلُ^(٨) خُرْسٍ عَنِ النَّخَا

تَأَلَّفَنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَدَلِ

مَوَارِقٍ مِنْ خَتْلِ الْحَبِّ، عَوَاطِفِ بَحْتَلِ ذَوِي الْأَبَابِ بِالْجِدِّ وَالْمَزَلِ^(٩)

يُعْنَفُنِي الْعَدَالُ فِيهِنَّ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَدْلِ

١٠ أما قول الأنصاري «وقصيرة الأيام» فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها

[١٦٧] / وطيب حديثها فتقصر أيام جلسها، لأن أيام السرور موصوفة بالقصر.

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حدائة سنّها وقُرْبُ عهد مولدها؛ وإن كان الأول

أشبه بما أتى في آخر البيت.

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ليهنك»؛ وهي رواية الحماسة.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «ورقراق دمع».

(٣) بعد هذا البيت في ف:

لَنْ سَاءَ نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَنِي أُنِّي خَطَرْتُ بِيَالِكَ

وهو أيضا في حاشية الأصل.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «زودتني» ومن نسخة أخرى: «زدتني».

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «ويسجن»

(٦) الأبيات في أمالي الفالي ٢: ٢٨٧ غير منسوبة (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل:

«بلغن» (٨) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «الطرف».

(٩) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لا يختلنن الحب، بل يختلنن ذوى الأبواب».

ومعنى:

* لوباعٌ مجاسمها بفقد حميمٍ *

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل في البائع والمشتري معاً، قال الفراء:

سمعت أعرابياً يقول: بَعَّ لى تمرّاً بدرهم ، أى اشترى تمرّاً بدرهم ، وقال الشاعر:

٥ فَيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأْيَ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوُدَّ لِي مَنكَ تَاجِرٌ^(١)

أى ابتاع .

وقوله: « من مُجَذِّيَاتِ أَخِي الْمَهْوَى » أى من مُعْطِيَاتِ ، يقال: أخذت الرجل من

العطية^(٢) والغنيمة أُحْذِيهِ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ، والاسم الحَذِيَّةُ والحِذْوَةُ والحُذْيَا ؛ كل ذلك العطية .

وقوله:

١٠ * كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَاعٌ سَقِيمٌ *

فالرُدَاعُ هو الوجع فى الجسد ؛ فكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم،

أويريد تغَيَّرَ لَوْنُهَا وَصَفَرَتْهَا^(٣) كما يتغير لون السقيم؛ ويجرى ذلك مجرى قول ليلى الأخيلية:

وَمُخْرَقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيماً^(٤)

أخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبدالله الحكيمى قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب

قال: حدثنا ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، ١٥

فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وهى فى ديوانه ١ : ٩٠ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « صفرته » . (٤) من أبيات فى الحماسة - يشرح التبريزى

٤ : ١٥٥ ؛ والعينى ٢ : ٤٧ ، وأمالى القالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللِّوَاءُ رَأْيَتَهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيصِ زَعِيماً

ليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل
 ثم رجعت إلى البصرة فسكنت بها حيناً ، ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي جالساً
 بين ظهراني قوم ؛ وهو يقضى بينهم ، فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من قضيتته ؛
 فجلست إليه ، فقلت : يرحمك ! الله أما من رشوة ؟ أما من هدية ؟ أما من صلة ؟ فقال : لا إذا
 جاء هذا ذهب التوفيق ؛ فشكوت إليه ما ألقى من عدل حليلة لى إياى فى طلب المعيشة ،
 فقال : لست فيها بأوحد ، وإنى لشريكك ، ولقد قلت فى ذلك شعراً ، فقلت : أنشدني ،
 فأنشدني :

[١٦٧] / باتت تُعيرني الإقتارَ والعدما
 ظ عُنْفُ لِرَأْيِكَ! مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ،
 ١٠ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلِبًا
 وكل^(١) ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبِ
 لو كَانَ مِنْ جَلْدِ ذَا الْمَالِ أَوْ أَدَبِ
 ارْضَى مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تُخَوِّجِي مَعَهُ
 وَاسْتَشْمَرِي الصَّبْرَ عَلَّ اللَّهُ خَالِقِنَا
 ١٥ لَا تُخَوِّجِيْنِي^(٣) إِلَى مَا لَوْ بَدَلْتُ لَهُ
 بِاللَّهِ سِرَّكَ أَنْ اللَّهَ خَوَّلَنِي
 مَا سَرَّنِي أَنْنِي خَوَّلْتُ ذَاكَ وَلَا
 وَأَنْنِي لَمْ أُحْزِ^(٤) عَقْلًا وَلَا أَدَبًا
 فَعَسْرَةُ الْمَرْءِ^(٥) أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
 وَلَا مِنَ الْمَجْزِي؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمًا
 لِلرِّزْقِ - قَدْ تَعَلَّمِينَ - الشَّرْقَ وَالشَّامَا
 لَمْ أُرِدْ عِرْضًا، وَلَمْ أُسْفِكْ لِذَاكَ دَمًا
 لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَمْلِ الْقَرْمَى نَعْمًا
 أَنْ تَفْتَحِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا
 يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الْفَقْرَ وَالْعَدَمَا^(٢)
 نَفْسِي لِأَعْقَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا
 مَا كَانَ خَوْلَهُ الْأَعْرَابَ وَالْمَجْمَا
 إِلَّا أَقُولُ لِبَاغِي حَاجَةً نَعْمًا
 وَلَمْ أَرِثْ وَالِدِي بَجْدًا وَلَا كَرَمًا
 أَمْرٌ يَجْرُ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكل » .
 (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « مع نون التوكيد .
 (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تخوِّجني » .
 (٤) حاشيتي الأصل (من نسخة) : « لم أفد عقلا » .
 (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ففسرة المال » .

قال: فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تمذلني أبداً .

حدثنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال: رأيت بقاء شاباً من بني عامر؛ فما رأيت بدويًا أفصح منه، ولا أظرف؛ فوالله لكانه شواطئ يتلظي، فاستنشدته فأنشدني:

فَلَمْ أَنْسَكُمُ يَوْمَ اللَّوَى إِذْ تَعَرَّضْتُ لَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلًا قَدْ تَحَلَّتْ (١)
 وَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى وَأَصْرِفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَجَنَّتْ (٢)
 فَمَا (٣) فَعَلْتُ - لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ - عَلَى مَابِدَا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلَّتْ
 أَبْتُ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا إِلَيْكَ ، وَمَا تُثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ
 هَوَاكِ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلُهَا عَلَيْهِ انطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتْ

وأنشدني أيضاً:

١٠

دِيَارُ لَتَّى طَرَقْتِكَ وَهَنَا بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءٍ رَنَدٍ (٤)
 تُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودُ وَتَثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
 فَلَمَّا أَنْ شَكَّوتُ الْحُبَّ قَالَتْ: فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
 وَلَكِنْ حَالِ دُونِكَ ذُو شِدَاةٍ أُسْرُ بِفَقْدِهِ وَيَهْرُ فَقْدِي (٥)

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال: قعدت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار، وإذا ١٥

هو يفتل أصابعه ويتلفه، فقلت له: علامَ تتلفه؟ فأنشأ يقول:

عَيْنَايَ مَشْمُومَتَانِ وَيُجْهِمَا! وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ (٦) مُبْتَلَى بِهِمَا

(١) الخاذل من الظباء: التي تتخلف عن صواحبها. (٢) حاشية الأصل: «أى أصرف نفسي عنك

عما أجنته». (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فلا فعلت».

(٤) الدهن: الليل ساعة يدبر. والرند: شجر طيب الرائحة.

(٥) الشناة: الحدة، ويهر: يكره. (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «حران».

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَا لَيْتَنِي قَبِلَهَا عَدِمَهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهَمَا دَلَّ عَلَى مَا جَنُّ دَمَهُمَا
سَاعَدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا^(١) الإسناد عن الأصمعيّ قال : نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر ، وهو إذ ذاك
ممان^(٢) بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحبت أصحابهم ، فأقت ليلتي تلك
عليهم ؛ وإني لو صبب محموم ؛ أخاف ألا أستمسك على راحلتي ؛ فلما أقاموا ليرحلوا
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحمّلوني ؛ وركب أحدهم ورأى يمسكني ؛ فلما أمعن السير
تنادوا ألافتي يحدو بنا أو ينشدنا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوت ندي حزين ينشد :

لَعَمْرُكَ إِذِي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمَّتْ خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُنَقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ^(٣)

فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمَيْنُ يَطِيرُ^(٤)

فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ

/ وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَازِحٌ وَمَسِيرُ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُتَمِّمِ الثَّوَى أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَبْحَنَ بَعِيرُ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى وَيُجْمَعُ شَمْلُ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنت والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزل رحمك الله

إلى راحلتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حسن الصُّحبة خيرا .

(١) الخبر والأبيات في حماسة ابن الشجري ١٦١-١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المرتضى ، وهو

أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه .

(٢) في ابن الشجري : «مغان آهله» . (٣) المنقى : موضع بين أحد والمدينة .

(٤) اللئن : اللازم المقيم ، وفي س : «المبر» .

[١٦٨]
ظ

أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد الذجوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال: كان^(١) بالبصرة أعرابي من بني تميم؛ يتطفل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل، ولا وضع الطعام إلا ليؤكل؛ وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً؛ وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً؛ أتقحم عليه مستأنساً، فأضحك إن رأيته عابساً، فأكل برغمه، وأدعه بغمه؛ وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام ٥ لا ينفق فيه درهم، ولا يمسي إليه خادم، ثم أنشد:

كُلَّ يَوْمٍ أُدَوِّرُ فِي عَرَصَةِ الْحَدِّ ى أَشْمُ الْقُتَارَ شَمَّ الذَّنَابِ^(٢)
 فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ^(٣)
 لَمْ أُرَوِّعْ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أُرُ هَبْ دَفْعاً وَلَكِرَّةَ الْبَوَابِ^(٤)
 مُسْتَهِينًا بِمَا هَجَمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ ، وَلَا هَيَّابِ
 فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ كُلَّ مَا قَدَمُوهُ لَفَّ الْعُقَابِ^(٥)
 ذَلِكَ أَدْنَى مِنَ التَّكْلِيفِ وَالغُرْمِ مِمْ وَغَيْظِ الْبِقَالِ وَالْقَصَابِ^(٦)

١٠

(١) الخبر في التطفيل للخطيب البغدادي ٧٣ - ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبي القاسم عن أبي الفرج عن جعفر بن قدامة عن أبي هفان .
 بحاشيتي الأصل ، ف : « شم الذباب » .
 (٢) في التطفيل: « عرصة الباب » ، ومن نسخة
 (٣) في التطفيل: « أو دعوة لصحاب » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « لم أروع » ،
 ورواية الخطيب في هذا البيت وتاليه :

لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ فِيهَا غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ
 مُسْتَخْفًا بِمَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لَسْتُ أَخْشَى تَجْهَمُ الْبَوَابِ

(٥) رواية البيت في حاشيتي الأصل (من نسخة) :

فتراني ألف ما قدم القوم م على رغمهم كلف العقاب
 (٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت :

قابل إن جرى على امتحان في سبيل الخلواء والجوداب

مَجْلِسُ آخِرٍ ٣٨

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾. قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٥﴾؛ [هود: ٤٥، ٤٦].

[١٦٩] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يتنصى تكذيب / قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ والنبي لا يجوزُ عليه الكذب، فما الوجه في ذلك؟ وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ وما المراد به؟
الجواب، قلنا: في هذه الآية وجوه:

أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب، وإنما نفي أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم؛ لأنه عز وجل كان وعدنوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠]، فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق! وبدل عليه أيضاً قول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران (١) ولا يتنافيان؛ وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين.

١٥ والجواب الثاني، أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي أنه ليس على دينك؛ وأراد تعالى أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه؛ فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

(١) حاشية ف (من نسخة): «الخران».

أهله؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾، فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسبب عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحكى عن ابن جرير أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن.

وروى عن عكرمة أنه قال: كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل؛ فمن ثم قيل: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾.

والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنه ابني على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس في ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره ١٠ الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره؛ وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروى قتادة عن الحسن قال: كنتُ عنده؛ فقال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ لعمركم الله ما هو ابنه، قال: فقلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرايت قوله: ﴿ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩] وعدتُك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذبون؛ ١٥ وروى عن مجاهد وابن جرير مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾، فأطلق عليه اسم البنوة؛ ولأنه أيضا استثناه من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿ وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ﴾؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تُعزِّز وتُشِين وتغضُّ من القدر؛ وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيماً ٣٠ لهم وتوقيراً، ونفيًا لكل ما ينفّر عن القبول منهم؛ وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿ فَخَا تَأَهُمَا ﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون؛ والأخرى تدل على الأضياف؛
والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فالتقراء المشهورة بالرفع ، وقد روى عن
جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ بنصب اللام وكسر الميم
و نصب «غير» ؛ ولكل وجه .

فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عملٍ غير صالح ؛ وصاحب عمل غير
صالح ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :

مَا أُمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍّ تَطِيفُ بِهِ قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظَارُ^(١)

تَرَ تَعُ مَارْتَعَتْ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٢)

أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار .

وقال قوم : إن المعنى أصلُ ابنك هذا الذي وُلِدَ على فراشك وليس بابنك في الحقيقة^(٣) عمل
غير صالح ، يعني الخيانة من امرأته ، وهذا جواب مَنْ ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة^(٤)
والذي اخترناه خلاف ذلك .

وقال آخرون إن الهاء في قوله : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ راجعة إلى السؤال ؛ والمعنى :

(١) ديوانها : ٧٨ ؛ وروايته :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَرٍّ تَطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ : إِصْعَارٌ وَإِكْبَارُ
والسقب : الذكر من ولد الناقة . والبو : أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيجشى ويدنى من أمه
فترأمه والتحنان : الحنين . والأظفار : جمع ظفر ؛ وهى التى تمطف على واد غيرها .

(٢) بمدها :

لَا تَسْمِنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارُ
يوماً بأوجد منى يومَ فارقتنى صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارُ

(٣-٣) ساقط من م .

إن سؤالك إياي ما ليس لك به علمٌ عملٌ غير صالح لأنه قد رقع من نوح دليل^(١) السؤال والرغبة في قوله: ﴿إِنَّ ابْنَ مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ / ومعنى ذلك أي نَجَّة كُنْجِيَّتِهِمْ، ومن [١٧٠] و
يجيب بهذا الجواب يقول: إن ذلك صغيرة من النبي؛ لأن الصغائر تجوز عليهم، ومن يمنع أن يقع^(٢) من الأنبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب؛ ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن، ويكون تقدير الكلام ما تقدم.

فإذا قيل له: فلم قال: ﴿فَلَا تَسْأَلُنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؟

قال: لا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تعود من ذلك وإن لم يوافق؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه؛ فقال: ﴿لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِي حَبِطَانٌ عَمَلُكَ﴾؛ [الزمر: ٥٦]، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عملاً لم يقع منه، ويكون عليه السلام إنمأسأله نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع؛ وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء.

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها قوم وقالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملاً غير صالح؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملاً غير حسن، وليس ١٥ وجهها بضعيف في العربية؛ لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس؛ فيقول القائل: قد فعلت صواباً، وقلت حسناً، بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً؛ وقال عمر بن أبي ربيعة الخزومي:

أَيُّهَا النَّائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرَجَ النَّصْحَ وَأَقْلَبَ عِتَابِي^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة): « دليل في السؤال »، وحاشية ف من نسخة: « دليل على

السؤال » . (٢) ف: « على الأنبياء » . (٣) ديوانه: ٤٢٥ .

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاهِ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ إِذَا لَفَّهُ مِني (١)
وَمِنْ مَالِي عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالدُّمَى (٢)

أراد : وكم إنسان قتيل ! وأنشد أبو عبيدة لرجل من بجيلة :

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِثِ الْقُوَى مَا إِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ
/ مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا فَعَمَلِيهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ
وَمُشَيِّعٍ جَلْدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ مَرَسٍ لَهُ فِيهَا يَرُومُ مَرَامُ
أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ (٣) فَكَانَهُ فِيهَا يُجَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أراد : كم من إنسان ضعيف القوى .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هارون قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكريميل إلى الأصمعي ويفضله ، ويقوم بأمره قال : فجتته يوماً بعد موت محمد ، وعنده عبد كان لمحمد أسود ، وقد ترك الناس ، وأقبل عليه وساءله وتحفّى به وحادثه ، فلما خرج لمتّه على ذلك وقلت : من هذا حتى أفنيت عمر يومك به ؟ فقال : هذا غلام ابن منصور ،
١٥ ثم أنشدني :

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها فَقُلْتُ : أَتَى الْجَبِيبُ أَخُو الْجَبِيبِ (٤)

(١) ديوانه : ٤٥١ لا يباه به دم ، أي ليس من يكافئه فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسييل إلى سكاك ، وفي حاشية ف (من نسخة) : « ومن غلق رهننا إذا ضمه » .
(٢) حاشية ف (من نسخة) :

* إذا راح نحو الحيرة البيض كالدُّمَى *

(٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .

(٤) حاشية ف : « صفة الجيب » ، أي الذي هو أخو الجيب .

أُحِبُّكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ لَأَنْ نَاسَبْتَ بِنْتَهُ مِنْ قَرِيبٍ
فقلت له - وكنت أفعل هذا كثيراً به لأستجرك كلامه وعلمه - : يا أباسعيد، ذاك أخوها،
وهذا غلامها^(١) فضحك، وقال : أنشد أبو عمرو - أو قال غيره :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ^(٢) أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكِ تَرَابُهَا
وَأَقْسِمُ لَوْ أَنَّي أَرَى تَبَعًا لَهَا^(٣) ذِنَابَ الْغَضَى حُبَّتْ إِلَى ذِنَابِهَا ٥
قال : فجمعت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أرادته .

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس ، فلما
بلغت إلى هذا البيت :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ^(٤)

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر؟ قلت : لا ، فسكت عني ، فقلت :
إن كان فيه شيء فأفدنيه ، فقال : نعم ، أما يد لك البيت على أنه لفظ ملكٍ مُسْتَهِينِ ذِي قَدْرَةٍ
على ما يريد ؟ / قال إسحاق : وما رأيت قط مثل الأصمعي بالعلم بالشعر .

[١٧١]
و

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « غلامه » . (٢) ف : « كل دار » .

(٣) حاشية الأصل من نسخة : « حلفت لو أني » ، ومن نسخة أخرى : « حلفت لإلهي » ، ومن نسخة

أخرى :

* حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا *

(٤) ديوانه : ١٢٤ ؛ وروايته :

أَمِنْ ذِكْرِ نَهَائِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ !

قال شارحه : « نهائية : امرأة من نهبان ، ونهبان من طي » ، وكان امرؤ القيس نازلاً فيهم ثم
ارتحل عنهم ، والجزع : منعطف الوادي ، والملا : ما استوى من الأرض ؛ ومعنى تبتدران تستبقان بالدمع ؛
أي أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك . وفي حاشية الأصل : « قبله :

فَدَمَعَهُمَا سَحٌّ وَسَكْبٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَتَهْمِلَانِ

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لي الأصمعيّ : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :
 فَمِثْلِكَ حُبَّائِي قَدْ طَرَقْتُ وَهُرُضِعَ فَأَلْمَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُّحْوَلٍ (١)
 فقلت : تخبرني ، فقال : كان مَفْرَعًا (٢) فيقول : ألهيتُ هؤلاء عن كراهتهنَّ للرجال ،
 فكيف أنا عند المحبات لهم .

وروى أن السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعيّ وابن الأعرابيّ أن الأصمعيّ دخل
 ذات يومٍ على سعيد بن سلمٍ وابن الأعرابيّ حينئذٍ يؤدب ولده - فقال لبعضهم : أنشدأ بسعيد ،
 فأنشد الغلام أبياتا لرجلٍ من بني كلاب ، رواه إياها ابن الأعرابيّ ، وهى :

رَأَتْ نِضْوًا أَسْفَارٍ أُمَيْمَةٌ قَاعِدًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا (٣)
 فَقَالَتْ : مِنْ أَى النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ؟ فَإِنَّكَ رَاعِي صِرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا (٤)
 فُقِلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ ، وَلَا خَيْرُ الرَّجَالِ تَسْمِيهَا
 عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسَلَّحَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيهَا (٥)

(١) ديوانه : ٢٤ . وفي حاشية الأصل . « روى أن النبي صلى الله عليه وآله استنشد هذه القصيدة ،
 فلما سمع البيت الذي قبله هذا قال : لا تنشد البيت الذي بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف
 الشعر . ولما سمع قوله :

﴿ قِفَا نَبِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

قال : وقف واستوقف ، وكى وأبكى ، وذكر الحبيب والمنزل في نصف بيت ؟ فقالوا : يا رسول الله ؟
 فديناك ! أنت في هذا النقد أشعر منه . (٢) المفرك : الذي تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتمامه في اللسان (ضجا) ، والمزمر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للعلماء ٩ ، وإنباه
 الرواة ٣ : ١٣٣-١٣٤ ؛ والأبيات وردت متفرقة في اللسان (ضجا) ، جنن ، حقن ، نعم) .
 النضو : الدابة التي أهنئتها الأسفار وأذهبت لحمها . وفي اللسان : « أميمة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؛ ما بين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

﴿ فَإِنَّكَ مَوْلَى أَسْرَةٍ لَا يَدِينُهَا ﴾

(٥) الثلثة ، بالفتح : جماعة ناعم . والمسليحة : الممتدة ؛ وأصله في الطريق . والمحض : اللبن الخالص ،
 والحقن : اللبن الحليس في الوطب ؛ وقد ورد البيت في اللسان (حقن) ونسبه للمخبل ، والرواية فيه :

وَفِي إِبِلٍ سَتَيْنِ حَسْبُ ظَمِينَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَحْضُهَا وَحَقِيهَا

وفي حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فاطلبى غيرى لو كنت تطلين راعيا » .

سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الِهُمُومِ وَعَوْنُهَا
ورفع «ليلة» فقال الأصمعيّ: مَنْ رَوَّأَكَ هَذَا؟ فَتَالَ مُؤَدِّبِي؛ فَأَحْضَرَهُ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ،
ورفع «ليلة»، فَأَخَذَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَفَسَّرَ الْبَيْتَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ: لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ أَبْكَارُ الِهُمُومِ
وعونها، وأنعم، أي زاد على هذه الصفة.

وقوله: «سَمِينُ الضَّوَّاحِي» أي ما ظهر منه وبدا سمين، ثم قال الأصمعيّ لابن سلم: ٥
مَنْ لَمْ يُحَسِّنْ هَذَا الْمَقْدَارَ فَلَيْسَ مَوْضِعًا لِتَأْدِيبِ وَلَدِ الْمَلُوكِ.

وأخبرنا المرزبانيّ قال: حدثنا أحمد بن المكيّ قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا الأصمعيّ
قال: وَوُلِدَ بَشَّارُ بْنُ بَرْدٍ أَوْ كَمَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا قَطًّا— وَكَانَ ذَافِطِنَةً— قَلَّتْ لَهُ يَوْمًا: مِنْ أَيْنَ
لَكَ هَذَا الذِّكَاءُ؟ قَالَ: مِنْ قِدَمِ الْعَمَى؛ وَعَدَمِ النُّوَظِرِ يَمْنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَذْهِلَةِ فَيَكْسِبُ
فِرَاقَ الذَّهْنِ؛ وَصِحَّةَ الذِّكَاءِ، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يَفْخَرُ بِالْعَمَى:

١٠
[١٧١] عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى جِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْئِلًا (١)
وَوَاضِعَ ضِيَاءِ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا قَلْبِي إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِعْرِي كَنُورِ الرَّوْضِ لِأُمْتٍ بَيْنَهُ بِقَوْلِي إِذَا مَا أَحْزَنَ الشُّعْرُ أُمَّهَلًا

وأخبرنا المرزبانيّ قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا
الأصمعيّ قال: أَنْشَدَ رَجُلٌ وَأَنَا حَاضِرٌ بِشَارًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

١١ وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعِيُونَ (٢)
إِلَّا إِنَّمَا كَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَأْيَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال بشار: والله لو جعلها عصا مخ أو زُبْدٍ لما كان إلاّ مخطئًا مع ذكر العصا! ألا قال

كما قلت:

وَحَوْرَاءِ الْمَدَامِعِ مِنْ مَمَدِّ كَانَتْ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْحِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَذَنَّتْ كَانَتْ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ
مُنْسِيكَ الْمُنَى نَظَرَ إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن
ه شبة قال قال لي أبو عبيدة : رحل بشار إلى الشام ، فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك ،
وكان مقياً بجران ، ؛ فقال قصيدة طويلة أو لها :

نَأْتِكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَعَلِمَتْ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ (١)
وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه ، فقال:
إِنَّ أُمْسٍ مُنْشَجِ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى وَعَنِ الْعَدُوِّ مُحْبَسِ الشَّيْطَانِ (٢)
فَلَقَدْ أَرُوْحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلِّطًا ١٠ نَبِجِ الْقَيْلِ (٣) مُنَعَمِ النَّدْمَانِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى يَدِي ، وَيَخَافُ فَرَطَ لِسَانِي
أَزْمَانَ سِرْبَالُ الشَّبَابِ مُذَيَّلٌ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ جِرَانِي
رِيمٌ بِأُخُوِيَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ [١٧٢] بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَّةُ الْمَرْجَانِ (٤)
فَاكْحَلُ بَعْبَدَةَ مُقْلَتَيْكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوْشَكِ رُوَيْتِهَا مِنَ الْهَمَلَانِ
فَلَقْرُبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَمِّمٌ أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ ١٥

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة ووصله ، وكان ابن هبيرة يتقدمه ويؤثره لمدحه
قيساً وافتخاره بها ، فلما جاءت دولة خراسان عظم شأنه .

(١) الأغاني ٣ : ٥٦ ؛ ويشعب : يفرق ، وبعده :

يرى الناس ما تلقى بزَيْنَبِ إِذْ نَأَتْ عَجِيْبًا ، وَمَا تَخْفَى بِزَيْنَبِ أَعْجَبُ

(٢) الخبر والشعر في الأغاني ٣ : ٥٦ . ومن نسخة بحاشية الأصل : « محبس الشيطان » .

(٣) م : « نبيج القام » . (٤) أخوية جمع حواء ؛ والحواء : جماعة البيوت المتدانية .

والأكلة : جم لاكليل ؛ وهو الناج ؛ أو شبهه عصابة تزين بالجواهر .

وأخبرني المرزباني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي : ما وصف أحدُ الثَّغْرِ إِلَّا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم :

يُفَلِّجُنَ الشَّفَاةَ عَنِ افْتِحْوَانٍ جَلَاهُ غِيبٌ سَارِيَةٌ قِطَارُ

ولا وصف أحدُ اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة :

- ٥ وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيَّرَ مِنْهَا فِي أُدِيمِ الْخُدَيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ (١)
شَفَّ مِنْهَا مَحَقَّقٌ جَنْدِيٌّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ (٢)

ولا وصف أحدُ عيني امرأةٍ إِلَّا احتاج إلى قول عدي بن الرِّقَاعِ :

- لَوْ لَا الْحَيَاءُ وَأَنَّ رَأْسِي قَدْ بَدَأَ فِيهِ الشَّيْبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْفَاسِمِ (٣)
وَكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ (٤)
١٠ وَسَنَانُ أَقْصَدِهِ النُّعَاسُ فَرَنْتَ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَليْسَ بِنَائِمِ (٥)

ولا وصف أحدُ نجيباً إِلَّا احتاج إلى قول محمد بن ثور :

مُحَلِّيٌّ بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّانِ لَوْ يَتَقَوَّفُ (٦)

ولا وصف أحدُ ظليماً إِلَّا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب محقق محكم الفسج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٤ ، واللائلي ٥٢١ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قدفشا » ،

ومن نسخة أخرى : « قدغشا » . (٤) الجاذر : جمع جؤذر ، بضم الدال وفتحها ، وهو ولد

البقرة الوحشي . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أقصده : صرعه . رنقت : خالطت ،

والبيت أيضا في اللسان (رنق) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يصف بعيرا

ومحلي ؛ أي عليه نجار العتق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذي لا بصيرة له عرف عتقه ونجابهته على مامسه من

الضر . لم يتقوف ، من الفيافة ، ويروى : « لو يتعيف » . شبه ما بين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها

ويروى : « يبينه » أي البعير ، وقبل هذا البيت :

فِطِرْتُ إِلَى عَارِي الْعِظَامِ كَأَنَّهُ شَقَا ابْنَ ثَلَاثِ ظَهْرِهِ مُتَجَرِّفٌ

طَوْتُهُ الْفَلَاحَ حَتَّى كَأَنَّ عِظَامَهُ مَآسِيرَ عِيدَانِ تَمُوجُ وَتُرْجَفُ

فَنَارَ وَمَا يُمَسِّي فَوْيُقَ عِظَامِهِ بِرَمٍ وَلَكِنْ عَارِفٌ مُتَكَلِّفٌ =

هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ بَيْتُ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ^(١)
ولا اعتذر أحد إلا احتجاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] / فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَاتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٢)
قال سعيدنا أدام الله علوه : أما قول محمد بن ثور : « محلى بأطواق عتاق »
فإنه يريد أن عليه نِجار الكرم والعِتق ، فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان
موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتعوق :
من القيافة .

فأما قول علقمة « هَيْقُ... » فالهَيْقُ : ذكر النعام . ومعنى : « أطافت به خرقاء » ، أى عملته
١٠ وابتنته ، وقيل : إن خرقاء هاهنا هى الحاذقة ، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة
وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعى : معنى « أطافت به » ، أى
عملته فخرقت فى عمله ، يقول : قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كما رفعت ناحية
استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بشر فى وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء قول النابغة :

== قوله : « عارى العظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان
ويروى « ماء أسر عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المخ ، يريد أنه ليس يسمى برم ،
أى ليس فى عظامه مخ ؛ ولكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، ذليل متكاف يتكاف السير على جهد .
(١) حاشية الأصل : « هَيْقُ ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجُوجُؤُ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان
الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع ساقط ، يقول : أنت البيت
هذه الخرقاء لتصلحه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطنابه ، فشبه الظالم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره
إياها . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتا تهدم سريما . وقال غيره : خرقاء هنا : رخ لا تدوم على جهة
واحدة » والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، (طبعة المعارف) وروايته فيهما :

(٢) ديوانه :

* صَعْلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ *

كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدٍ^(١)
 فإنما وصف أعاليه بالجُفوف ؛ ليكون متفرقاً متنضداً غير متابداً ولا مجتمع ؛ فيشبهه
 حينئذ الثغور ، ثم قال : « وأسفله نَدٍ » حتى لا يكون قَحلاً يابساً ، بل يكون فيه الغضاضة
 والصقالة ، فيشبهه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق .

وروى الرياشي قال : سمعت الأصمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول
 ذى الرمة :

وَتَجَاوُ بِفَرْعٍ مِنْ أَرَكَ كَأَنَّهُ
 مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمِسْكِ يُصْبَحُ^(٢)
 ذُرّاً أَقْحَوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى
 إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةٍ الْمَرْوَحِ^(٣)
 هِجَانَ الثَّنَائِيَا مُغْرَباً لَوْ تَبَسَّمْتُ
 لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصِحُ^(٤)

(١) ديوانه : ٣١ . الأَقْحَوَان : نبت له نوار أصفر ، حوالبه ورق أبيض وفي حاشيتي الأصل ،
 ف : « ضمن اللجام الحرائي هذا البيت في هجو فجملة آبدة من الأوابد فقال :

ياسائلي عن جعفر ، علمي به
 رَطْبُ الْمِجَانِ وَكَفُّهُ كَالْجَمْدِ
 كَالْأَقْحَوَانِ غِدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ
 جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدٍ

والبيتان في خاص الحاص : ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يصبح : يسقى وقت الصباح .
 (٣) في الديوان : « راحة الليل » ، بالرفع . رامة : رملة بعينها . المَرْوَح : الذي جاء رواحا . وبعد هذا
 البيت في رواية الديوان :

تَحْفُ بِرُبِّ الرَّوْضِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
 نَسِيمٌ كِفَارِ الْمِسْكِ حِينَ يَفْتَحُ
 (٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٧٣] .
[التوبة : ٥٥] .

فقال : كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ، ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وظاهره يقتضى أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم ٥ في حال كفرهم ، لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لابسٌ أُر على صفة كذا وكذا ، فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة ؟

الجواب ، قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أولها ما روى عن ابن عباس وقناة ، وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير : فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين ممك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ١٠ ولا أولادهم في الحياة الدنيا ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبةً لهم على منعمهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ [النمل : ٢٨] ، والمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ وأنشد في ذلك قول الشاعر :

عشيةً أبدت جيد أدماء مُنزِلٍ وطرّاً فإيريك الإئمد الجون أحورا (١)
١٥ يريد : وطرّاً أحور يُريك الإئمد الجون ؛ وقد اعتمد هذا الوجه أيضاً أبو علي قُطرُب ، وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج .

(١) منزل : معماغزها .

وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ؛ وفي ذلك لا محالة إيلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ؛ ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يُغَيَّبُوا ،^٥ ويُحَسَدُوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والمقاب الأليم في النار آجالتهم ؛ وهذا جواب أبي عليّ الجبائيّ .

وقد طعن عليه بعضُ مَنْ لا تأمّلَ له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أنا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي / المسامين ، ولا يقدرّون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهلَ [١٧٣] الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لكان الذمّة والمهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشيء ،^{١٠} لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمّة لهم ولا عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حدّ لا يتم معه غنيمة أموالهم ؛ فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأهمّ ممن أراد الله تعالى أن يُسَبّي وَيَغَنَمَ ، ويجاهد ويُغَلَبَ ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس في ارتفاعه بالتعذّر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم بذلك كلّ ما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للمعوض وللنفع .

ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندّرُ به الكافر قبل موته ، وعند احتضاره ، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حيّ ، من العذاب الدائم الذي قد أعدّه له ، وإعلامه أنه صائرٌ إليه ، ومنتقل إلى قراره ؛^{٢٠} وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين^(١) ، وذكره أبو عليّ الجبائيّ أيضاً .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري » .

ورابعها [جواب] ^(١) يحكى عن الحسن البصرى ، واختاره الطبرىّ وقدمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم ؛ لأن ذلك يُؤخذُ منهم على كرهٍ ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نيّة ولا عزيمة ؛ فتفسير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

٥ قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ^(٢) ؛ والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والالطف في التكليف .

ولايجرى ذلك مجرى ماقلناه في الجواب الذى قبل هذا ؛ من أن المصائب والغنوم قد تكون للمؤمنين محنة ، وللـكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجهُ حسنها المعقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجهٌ واحد ، وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران .

[١٧٤] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ؛ ^(٣) وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه التكره والاستئثار ^(٤) ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج ١٥ من أن يكون مراداً لله تعالى ؛ لأنه جلّ وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقرُبة ؛ فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يُرد ذلك ؛ فكيف يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ ! ويجب أن يكون مايعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها في الآية - إلا جواب التقديم والتأخير - مبنية على أن

(١) من ف . (٢-٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتته عن ف .

(٣-٣) ف : « وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على وجه التكره والاستئثار » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحتمل^(١) كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق^(٢) ذلك .

وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تجعل^(٣) الحياة ظرفاً للمقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلق بهما؛ لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ﴿ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ لا بد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد أنفسهم لا تكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والنعمة عليها، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها؛ فكان تقدير^(٤) الآية : إنما يريد الله ليُعَذِّبَهُمْ بكذا وكذا؛ مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ، ويتصل بها ؛ وإذا صحَّ هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتُسَخِّطُه ؛ كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على الكفر، وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة، ويكون تقدير الكلام: إنما يريدُ اللهُ ليُعَذِّبَهُمْ بفعلهم في أموالهم وأولادهم ؛ الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يغني عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكره من الوجوه .

فأما قوله تعالى: ﴿ وَتَزَهَّقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فمعناه تبطل وتخرج ؛ أي أنهم يموتون على الكفر؛ وليس يجب إذا كان مريداً لأن تزَهَّقَ أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال ١٥ نفسها على ما ظنوه؛ لأن الواحد منّا قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البغي وهم [١٧٤] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البغي للمؤمنين؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لغلامه: أريد أن تواظب على المصير إلى في السجّْن وأنا محبوس ، وللطبيب: صِرْ إلىَّ ولازمْنِي وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتحمل » . (٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم نجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكان تقدير الكلام » .

الجبس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ألا يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا؛ وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون إلى النار؛
 ٥ وتسكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة؛ ويكون معنى ﴿ تَزَهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة ، بل المشقة الشديدة والكلف^(١) الصعبة ، كما يقال: ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه ، وخرجت روحه ، وما أشبه ذلك .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم
 ١٠ وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة^(٢) ؛ فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه ، وآخرون في ذمه وتهجينه والإضرار على شعره وطريقته؛ واستخبروا عما اعتقده فيه، فقلت لهم: كان مروان متساوي الكلام ، متشابه الألفاظ ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها ؛ فلذلك قلت النظائر في شعره ، ومدائح مكررة الألفاظ والمعاني ، وهو غزير الشعر قليل المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق ، وهو أشعر من كثير من
 ١٥ أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقة بينهما ؛ وليس بمقصر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيداً .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيباني

(١) ف : « والكلفة » . (٢) هو أبو السمط - وقيل أبو الهندام . مروان بن أبي حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وهلك في أيام الرشيد سنة ١٨٢ . (وانظر ترجمته وأشعاره في الشعر والشعراء ٧٢٩-٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩-٨١) .

وكان الأصمعي يقول: مروان / مولد^(١)، وليس له علم باللثة. واختلافُ الناس في اختيار الشعر [١٧٥] و
بحسب اختلافهم في التنبيه على ممانيه؛ وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه.

فسئلت عند ذلك أن أذكر مختاراً ما وقع إلى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره، وأن أملي ذلك في خلال المجالس وأثنائها.

٥ فما يختاره من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهديّ أولها:
أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ! أَجَلُ، وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
يقول فيها:

تَذَكَّرْتَ مِنْ تَهْوَى فَابْكَأكَ ذِكْرُهُ	فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ
تَجِنُّ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِماً	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارُهَا مُقَلَّ الْمَهَا	وَاعْنَاقَهَا أَدْمُ الطَّبَّاءِ الْعَوَاقِدُ ^(٢)
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةٌ	تَسَاقَطَ دُرٌّ أَسْلَمْتُهُ الْمَعَاقِدُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبْتُ	بِنَا اللَّيْلِ خُوصٌ كَلْقَسِيٍّ شَوَارِدُ
يَمَانِيَّةٌ يَبْنَى الْقَرِيبُ مَحَلَّةٌ	بِهِنَّ، وَيَدْنُو الشَّاحِطُ الْمُتَبَاعِدُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا، وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ	سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ
إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى	بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

(١) ف: « المولدون الذين بهد المخضرين » وفي حاشية الأصل (من نسخة): « مولد » بكسر اللام؛ أي يولد الكلام. (٢) المعاهد: هو الظبي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه؛ وقيل إن الصغائر تفعل ذلك كثيرا؛ قال ساعدة:

وَكأنَّمَا وَا فَآكِ يَوْمَ لَقِيْتَهَا
مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ عَاقِدٍ مُتَرَبِّبٍ

ولا يبعد أن يكون العواقد اللأئي بأوين إلى عقدات الرمل، أو يكون معناها أنها عقدت أعناقها ملتفة إلى أذنانها، وذلك معهود من عاداتها.

لهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا طَرِيفٌ وَعَادِيٌّ الْجَرَائِمِ تَالِدٌ
وَأَحْوَاضُ عِزِّ حَوْمَةِ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَيْنٌ ذَائِدٌ
أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْضٌ سَوَابِغٌ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتُ عَوَائِدُ
هُمْ يَمْدُلُونَ السَّمَكَ مِنْ قَبَةِ الْهُدَى كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا تَنْوُءُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
/ يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قَبَةِ الْإِسْلَامِ وَالخَلْقُ رَاقِدُ
كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
أما قوله :

[١٧٥]

تساقط منهنّ الأحاديث غَضَّةٌ تساقطَ دُرٌّ أسلمتهُ المعاقِدُ

فكثير في الشعر ، وأظن أن الأصل فيه أبو حية النيمري في قوله :

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثَ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ
وَإِنَّمَا عَنَى بِالرَّجَانِ صَفَارَ اللَّوْلُو ، وَعَلَى هَذَا يُتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو
وَالْمَرْجَانُ ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٢] .

ومثله قول الآخر :

هِيَ الدُّرُّ مَنثورَا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدُّرِّ مَنْظُومًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
ومثله :

مِنْ نَعْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيءُ مُمْ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّشِيرُ

ونظيره قول البحترى - وأحسن غاية الإحسان :

وَلَمَّا التَّمِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدُ لَنَا تَعَجَّبَ رَأَى الدُّرُّ حُسْنًا وَلَا قِطْعُهُ
فَعِنَ لَوْلُوُّ تَجْلُوهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْلُوُّ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَاقِطُهُ

ومثله قول الأَخِيطِلِ^(١).

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْتَمَى وَقَدْ أَصْنَعْتُ إِلَى الْعَرَبِ النَّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَشِيرٌ وَرَوْنَقٌ نَغْرَهَا دُرٌّ نَظِيمٌ

ولغيره:

تَبَسَّمْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَضِماً وَحَدَّثْتُ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَبِراً ٥

ولآخر:

وَتُحْفَظُ لَا مِنْ رِيبةٍ يَحْذَرُونَهَا وَلَكِنِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفِظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ تَرَ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفِظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا:

أَظْهَرَ نَ وَصْلاً إِذْ رَحِمْنَ مَتِيماً وَأَرَبْنَ هَجْراً إِذْ خَشِينَ مُرَاقِباً ١٠
/ فَتَنْظَمْنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَاسِمِ جَامِداً وَتَنْزَنْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِعِ ذَائِباً [١٧٦] و

قال قدس الله روحه: وليس قول أبي دهب في صفة الحديث^(٢):

كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ الِ أَقْنَاءِ لَا نَبْرًا وَلَا نَزْرًا

من هذا الباب في شيء، لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثَّغْرِ؛ وهذا في وصف حسن

الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة، لازم للقصد كالتنثار الرُّطْبِ من الأَقْنَاءِ؛ ويشبهه ١٥
أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب، ثم إنه غضُّ طَرِيٍّ
غير مكرَّرٍ ولا معاد؛ لقوله: «الرطب الجنى» فتجتمع له أغراض: الوصف بالاعتقاد في القلة
والكثرة، ثم وصفه بالحلاوة، ثم الفصاحة، ثم الغضاضة.

(١) في م: «الأخطل» خطأ؛ وفي حاشية الأصل: «الأهوازي»، يقال له برقوتا؛ وهو

محمد بن عبد الله، شاعر مجيد من أهل الأهواز.

(٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل، ف: «في وصف حسن الحديث والثغر».

ونظير قول أبي دَهْبَلٍ قول ذى الرِّمَّة :

لَمَّا بَشَرْتُ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ رَخِيمِ الْحَوَائِي لَا هُرَاءَ وَلَا نَزْرُ (١)

فأما قول مروان :

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا بَيْسَ الثَّرَى بِنَائِلِ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنيس النُمَيْرِيّ في يحيى بن خالد البرمكي :

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنَّنِي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ (٢) مَالِي

لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاحَةَ يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَدْلِ النَّوَالِ

ومثله قول ابن الحياط (٣) المدنيّ في المهديّ :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْغَى الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُمْدِي (٤)

فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أَفَدْتُ ، وَأَعْدَانِي فَاتَلَفْتُ مَا عِنْدِي ١٠

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصَرِّحٌ بالهجاء ؛ لأنه زعم أن الذى لمس كفه لم يفده

شيئاً بل أعداه جوده ، فأتلف ماله ، ولم يُرد الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو

أن ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيامهم ؛ ومن أخرج ما يملكه

حالا بحال لا يوصف بأنه ذو غنى ، فأراد الشاعر أني لم أفد منه ما بقى في يدي واستقر

١٥ تحت ملكي ؛ فلهذا قال : لم أفد ما أفاد ذوى الغنى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافِحَ النَّاسَ كَلَّهْمُ لَمَّا كَانَ حَيًّا فِي الْبَرِيَّةِ يَبْخَلُ [١٧٦]

ومثله قول العكوك :

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخَلَ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

(١) ديوانه ٢١٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أتلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الحياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الحياط ؛ ذكر ذلك

أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله ، وترجمته في الأغاني ١٨ : ٩٤-١٠٠ .

(٤) الأغاني ١٨ : ٩٤ .

وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح ، وأدخل في طريقته قولُ البحترى :
مَنْ شَاكِرٌ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي وَأَوْلَاهُ مِنْ طَوَّلٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ^(١)
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثِقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَبًا مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي ٥
ومن هذا قولُ الآخر :

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخَلُّقًا
وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَبِيائِهِمْ^(٢) لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتَ مُمْلِكًا
ولابن الرومي :

١٠ يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَاكَ وَيَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَاكَ
فأما قوله :

وَأَحْوَاضُ عَزَى حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَمَّيْنِ دَائِدُ
فيشبهه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَفَرَّتْ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا^(٣)
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا ١٥
حَمِيٌّ وَقَرِيٌّ فَالْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاؤُهَا
وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ
/ فكثير متداول ، ومن حسنه قولُ محمد بن عبد الملك الزيات :

[١٧٧]

و

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في أفتانهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغاني ١٠ : ٥٩ (طبع دار السكتب المصرية) . السكوم : الإبل الضخمة

العظيمة السنام ؛ الواحد أ كوم والأنتى كوما .

نَعِمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكُرَى لَمْ يَرْقُدْ
ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ
ومثله للبحترى :

٥ أَرْبِيعَةَ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مُنْعِمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِبِ (١)
رَوَّعْتُمُو جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمُو مِنْهُ حَمِيَّةَ آنِفِ غَيْرَانَ
لَمْ تَكْرَرْ عَنْ قَاصِي الرَّعِيَّةِ عَيْنُهُ فَتَنَّمَ عَنْ وَتَرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي

فأما قوله :

كأن أمير المؤمنين محمداً لرأفته بالناس للناس والدُّ

١٠ فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكى :

أَحْيَا لَنَا يَحْيَى فَعَالَ خَالِدٍ فَاصْبَحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ
يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدِ عَلَى بَعِيدٍ غَائِبٍ وَشَاهِدِ
النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدِ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها :

١٥ خَلَتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ

يقول فيها :

وَمَالِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُدْنِبًا سِوَى حِلْمِهِ الضَّافِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا بَغَيْرِ الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَاقِعُ (٢)
تَغْضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعَمِيُونَ وَطَرْفُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفي حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوابه ، فقبل له ربيعة

الفرس ؛ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهي التي تذكر مع مضر » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولا هو » وفيها (من نسخة) : « فاقع » .

أما قوله :

* ولا هو عند السخط منه ولا الرضا *... البيت

فمثل قول أشجع :

وَأَسْتُ بِجَائِفٍ لِأَبِي عَلِيٍّ وَمَنْ خَافَ إِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

[١٧٧]

ط

/ومثله:

أَمَّنِّي مِنْهُ وَمَنْ خَوَّفِهِ خِيفَتُهُ مِنْ خَشِيَةِ الْبَارِي

ولأبي نُوَّاس :

قَدْ كُنْتُ خَفْتُكَ نَمَّ أَمَّنِّي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ (١)

ويُشَبِّه هذا المعنى مارُوي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه ، فخرج فوجده على الباب (٢) فقال له : ما حملك على تركِ إجابتي ؟ قال : كسيت

عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك ، فقال : عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه .

فأما قوله : « تَغُضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعَيُونَ » فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق ، أو ممن

تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا جِنَّ يَنْتَسِمُ (٣)

(١) ديوانه ١٠٩ ؛ من أبيات بعث بها إلى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضاً للعزير الكناني ؛ وانظر مامر من حواشي ص ٦٨ .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾؛ [الأنفال: ٢٤].
فقال: ما معنى الحَوْل بين المرء وقلبه؟ وهل يصح ما تأوله قومٌ من أنه يحول بين الكافر وبين الإيمان؟ وما معنى قوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟ وكيف تكون الحياة في إجابته؟

الجواب، قلنا: أما قوله تعالى: ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يريد بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت، وهذا حدث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف، وتمذّر مايسوفُ به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع؛ فكأنه تعالى قال: بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم، ويتعذّر عليكم ماتسوفون به^(١) نفوسكم من التوبة بقلوبكم. ويقوى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢).

وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه، وإن كان حياً، وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه: إنه بغير عقل^(٣)؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾؛ [ق: ٣٧].

وقال الشاعر:

وَلَكِنْ بَلَاقِلِبٍ إِلَىٰ أَيْنَ أَذْهَبُ!

وهذا الوجه يقرب من الأوّل؛ لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الإنذار لهم،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) « فيه ». (٢) بقية الآية السابقة

(٣) حاشية الأصل (من نسخة): « بغير قلب ».

والحث لهم^(١) على الطاعات قبل قوتها ، لأنه لا فرق بين تعذر التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قُرْبِهِ من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون ؛ وأن الضمائر المكنونة^(٢) له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] ، ونحن نعلم أنه لم تعالى يُرَدُّ بذلك ٥ قرب المسافة ، بل المعنى الذي ذكرناه .

وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ، ونسبوه عنه ، ونضِلَّ عن علمه - وكل ذلك لا يجوز عليه - جاز أن يقول : إنه يحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛ وإن كان القرب الذي عناه ١٠ جأت عظمتُهُ لم يُرَدُّ به المسافة ، والعرب تضع كثيراً لفظة القُرْب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبي من فلان ، وزيد منى قريب ، وعمرو منى بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها ما أجاب به بعضهم - من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فيدخل قلوبهم الخوف ، فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه ، بأن يبدله بالخوف ١٥ الأمن ؛ ويبدل عدوهم - بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم - الجبن والخور .

ويمكن في الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعو إليه قلبه من القبائح ؛ بالأمر والنهي والوعد والوعيد ؛ لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقفته رادع ؛ فكان التكليف حائل بينه وبينه ؛ من حيث زجر عن فعله ، وُصِرَفَ عن مواقفته ؛

(١) ساقطة من ف . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « المكنونة » .

[١٧٨] وليس يجب في الحائل / أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأننا نعلم أن المشير منا^ط على غيره في أمر كان قد همَّ به وعزم على فعله أن يجتنبه. والمنبئه له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال : منعه^(١) ، وحال بينه وبين فعله ، قال عبيد الله بن قيس الرقيات^(٢) :

حَالِ دُونََ الْهَوَى وَدُوْنَ نَسْرِى اللَّيْلِ مُصْعَبُ
وَسِيَاظُهُ عَلَى أَكْفِ رِجَالِ تَقَابُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجه المطابقة ظاهر ، لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون^{١٠} إليه من فعل الطاعات ، والامتناع من المقتضات ، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجرى^(٣)

مجرها يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ؛ ثم إن المآب بعد هذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده ؛ فيجازى كلاً باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم^(٤) والثواب ، لأن تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن من تغيرها ، ولا يخاف انتقالها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب

١٥ هذه الحال .

وثانيها أنه يختص^(٥) ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم^(٦) ؛ ودفعهم عن حوزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : «منه منه» . (٢) حاشية الأصل : «كان جده شاعرا يشب

بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن» .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : «وما جرى» . (٤) حاشية ف (من نسخة) : «النعيم» .

(٥) ش : «أن يختص» . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف «الأعداء» .

وأعلمهم أن ذلك يحبيهم من حيث كان فيه قَهْرٌ للمشركين، وتقليل لعددهم، وفلَّحْدَهُمْ؛ وحَسَمٌ لأطماعهم، لأنهم متى كثروا وقووا استلانا جانب المؤمنين؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي الحياة والبقاء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ [البقرة: ١٧٩].

وثالثها ما قاله قوم من أن كلَّ طاعة حياة، ويوصف فاعلها بأنه حي، كما أن المعاصي^٥ يوصف فاعلها بأنه ميت، والوجه في ذلك / أن الطائع لما كان^(١) منتفعاً بحياته، وكانت تؤديه [١٧٩] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة؛ ولما كان الكافر المعاصي لا ينتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت؛ ولهذا يقال لمن كان منغصاً^(٢) الحياة، غير منتفع بها: فلان بلا عيش ولا حياة، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.

ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا في الفعل؛ ١٠ لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين للته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الزمة على شرطها؛ فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه، فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؛ [آل عمران: ٩٧]؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً؛ ١٥ وهذا^(٣) حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع.

فأما الجبرة فلا شبهة لهم في الآية، ولا متعلق بها؛ لأنه تعالى لم يقل: إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله، وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قابه؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكر، ولو كان للآية ظاهر يقتضي

(١) ش: «إذا كان». (٢) حاشية ف (من نسخة): «متكدر».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «وهكذا حكمه».

ماظنوه - وليس لها ذلك - لا نُصرفنا عنه بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به ، وأراده منه ، وكلفه فعله ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبائح عنه منفيّة .

* * *

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليّ المنزلي قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثني محمد بن خالد^(١) بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال : لما اشتد بمحصن ابن حذيفة بن بدر وجهه من طعمنة كرز^(٢) بن عامر إياه يوم بني عُقَيْل دعا ولده فقال : إن الموت أهون مما أجد ، فأبيكم يُطيعني ؟ قالوا : كلنا نطيعك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سيفي واطعن به حيث أمرك ، ولا تمجّل ؛ قال : يا ابتاه: أيقتل المرء^(٣) أباه ! فأتى على [١٧٩] القوم كلهم / ، فأجابوه جواب^(٤) الأول ؛ حتى انتهى إلى عُيَيْنة فقال : يا ابتاه، أليس لك فيما تأمرني به راحة ، ولي بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال : فرّني كيف أصنع ، قال : قم فخذ سيفي فضمه حيث أمرك^(٥) ، ولا تمجّل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضع على قلبه ، ثم قال : يا ابتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردتُ أن أعلم: أيكم أمضى لما أمر به ؛ فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى ، فقال القوم: إنه^(٦) سيقول فيما كان بيتاً، فاحضروه^(٧) فلما أمسى قال :

١٥ وَتَلَّوْا عُيَيْنَةَ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
إِذَا هَلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَّامِي
وَاسْتَوْسِقُوا لِتِلْكَ فِيهَا مَرُوءٌ تُكُمُ قَوَدَ الْجِيَادِ ، وَضَرَبَ الْقَوْمَ فِي الْهَامِ^(٧)

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كرز » .

(٣) ش : « الرجل » . (٤) ف : « بجواب الأول » . حاشية الأصل (من نسخة) :

« الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « كما أمرت به » .

(٦-٦) م : « إنه سيقول في ذلك شيئاً فيما بيننا ، فاحضروه » . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا ،

وفي حاشية الأصل : « نصب » قود الجياد ، على تقدير فعل مضمّر ؛ كأنه قال : أعني قود الجياد .

وَالْقُرْبَ مِنْ قَوْمِكُمْ وَالْقُرْبَ يَنْفَعُكُمْ—
 وَلِيَّ حُدَيْفَةَ إِذْ وَلَّى وَخَلْفَنِي
 لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهْلَكَةٍ
 حَتَّى اعْتَقَدْتُ لِوَأَقَوْمِي فَقُمْتُ بِهِ
 لِمَا قَضَى مَا قَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ
 أَسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ
 وَالذَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهُ لِأَوْلَاهِ
 فَابْنُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كَالْهَمِّ

وَالْبُعْدَ إِنْ بَاعَدُوا ، وَالرَّأْيَ لِلرَّأْيِ
 يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيًّا وَسَطًا أَيَّتَامَ
 أَلْقَى الْمَدْوَّ بِوَجْهِ خَذُهُ دَائِي
 ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنِيِّ بِالشَّامِ
 عُجْتُ الْمَطَى إِلَى التُّمَانِ مِنْ عَامِي ٥
 عِنْدَ الْمَلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي
 قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
 مِنْ بَيْنِ بَانٍ إِلَى الْعَلِيَّاءِ وَهَدَّامِ

قال : ثم أصبح ودعا بني بدر ، فقال : لو أئى ورياستى لميينة؛ واسمعوا منى ما أوصيكم به :

١٠ لَا يَتَكَلَّأُ آخِرُكُمْ عَلَى أَوْلَاكُمْ ؛ فَإِنَّمَا يَدْرِكُ الْآخِرُ (١) مَا أَدْرَكَهُ الْأَوَّلُ ؛ وَأَنْكِحُوا الْكُفَّ (٢) الْغَرِيبَ ؛ فَإِنَّهُ عَزُّ حَادِثٌ ؛ وَإِذَا حَضَرَ كَمُ أَمْرَانِ نَفَخُوا بِمَجْرِهِمَا صَدْرًا ؛ فَإِنْ كَلَّ مَوْرِدَ مَعْرُوفٍ ؛ وَاصْبُوا قَوْمَكُمْ بِأَجْلِ أَخْلَاقِكُمْ ؛ وَلَا تَخَالَفُوا فِي مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْخِلَافَ يُزِرُّ بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعِ ؛ وَإِذَا حَارَبْتُمْ فَأَوْقَمُوا ثُمَّ قُولُوا صَدَقًا ؛ فَإِنَّهُ لَأَخِيرٌ فِي الْكُذْبِ ، وَصَوْنُوا الْخِيُولَ ، فَإِنَّهَا حِصُونُ الرِّجَالِ ؛ وَأَطِيبُوا الرِّمَاحَ ؛ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخَيْلِ ؛ وَأَعَزُّوا (٣) الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ؛ فَإِنِّي بِنَدِّكَ كُنْتُ أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَعَزُّوا إِلَّا بِالْعَمِيونَ ؛ وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمَنُوا الصَّبَاحَ ؛ وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ ١٥ الْمَالِ ، وَأَعْجَلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرَى ؛ فَإِنْ خَيْرَهُ أَعْجَلْهُ ، وَاتَّقُوا فَضْحَاتِ الْبَنَى ، وَفَتَاتِ الْمِزَاحِ ، وَلَا تَجْتَرِّئُوا عَلَى الْمَلُوكِ ؛ فَإِنَّ أَيْدِيَهُمْ أَطْوَلُ مِنْ أَيْدِيكُمْ ؛ وَاقْتُلُوا كُرُزَ بْنَ عَامِرٍ .

ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة ، وقال :

أَطَعْتُ أَبَا عُمَيْيَةَ فِي هَوَاهُ فَلَمْ تَخْلِجْ صَرِيمَتِي الظَّنُونُ (٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

« الكنى » . (٣) س : « واغزو » . (٤) الصريمة : العزيمة والرأى . وفي حاشية

الأصل : « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أى ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذنى الظنون مأخذها إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسُ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذَا لَا يَكُونُ
 سَتَحِيًّا أَوْ تَمُوتُ ، فَطَاوَلُوهُ^(١) وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونٌ
 فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكَلُّ فَتَى سَتَدْرِكُهُ الْمَنُونُ
 وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ ، وَكَلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوَّنتَهُ يَوْمًا يَهُونُ
 فَإِنْ يَكُ بَدَأُ هَذَا الْأَمْرَ غَنًّا فَأَخْرَهُ بَنِي بَدْرِ سَمِينُ

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن خُدَيْفَة، وإنما أصابته اللقوة^(٢) فحفظت عينه؛ وزال فكّه، فسمى لذلك عُيَيْنَة؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه بأبعينته، وأبا عييناء.

وروى قيس بن أبي حازم أن عُيَيْنَة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «هذا أحق مطاع».

وروى أيضاً أنه كان يدلع^(٣) لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبيّ، فيرى [الصبيّ]^(٤) لسانه، فيهشّ له، فقال له عيينة: ألا أراك^(٥) تصنع هذا بهذا، فوالله إنه ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه، ما قبلته قطّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه من لم يرّحم لا يرّحم»^(٦).

١٥ ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان؛ فمما يُختار من شعره قوله من قصيدة أولها:

صَحًّا بَعْدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَا حَتْ عَوَاذِلُهُ وَأَقْصَرَنَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
 / وَمَنْ مُدًّا فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ [١٨٠]

(١) حاشية الأصل (من نسخة):

* سَيَحْيَا أَوْ يَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ *

(٢) اللقوة: داء في الوجه يعوج منه الشدق. (٣) يقال دلع لسانه وأدلعه إذا أخرجه.

(٤) تكلمة من ش. (٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «لا أراك».

(٦-٦) حاشية الأصل (من نسخة): «من لم يرّحم لا يرّحم».

يقول في المديح فيها :

هُوَ الرَّءُءُ ؛ أَمَادِينُهُ فَهَوَ مَانِعٌ
أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ
أَبِيٌّ لَمَّا يَأْبَى ذَوْوَ الْحَزْمِ وَالتَّقَى
تَرْوُكُ الْهُوَى ، لَا السَّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا
يَرَى أَنْ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَغْبَةً
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُطْلِقٌ
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي

صُتُونُ^(١) ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهَوَ بَاذِلُهُ
عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ
فَعُولٌ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ^(٢)
وَأُنْجَى وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلُهُ
وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ
تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

أما قوله :

١٠ وَمَنْ مُدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ
فَمَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ :
وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ

والأصل في هذا قول أمية بن أبي الصلت :

مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
وَالْمَوْتُ كَأْسٌ ، وَالرَّءُ ذَائِقُهَا^(٣)

ويشبهه ذلك قول الآخر :

١٥ قُلْ لِعَرْسِي لَيْسَ شَيْبِي بَعَجَبٌ
مَنْ يَعْشُ يَا أُمَّ عَمَّارٍ يَشِبُّ

ومثله قول أبي العتاهية :

مَنْ يَعْشُ يَهْرَمُ ، وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ
وَالنَّيَا لَا تُبَالِي مَنْ أَنْتَ^(٤)

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أي لا يعمد

السخط ولا الرضا إلا على الحق » .

(٣) عبطة ؛ أي شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان (في عبط) ، واستشهد بالبيت . وفي

نسخة ش : « فالرء ذائقها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهه قول البحترى :

ولا بُدَّ من تركِ إحدى اثنتينِ / ويقاربه أيضا قوله:

[١٨١]
و

والشيبُ مَهْرَبُ مَنْ جَارَى مَنِيَّتَهُ / ولا نَجَاءَ لَهُ من ذلكَ الهَرَبِ (٢)
وقريب منه قول ابن المعتز:

وقالتُ كَبِرْتُ وانتُضيتُ من الصَّبَا / فقلتُ لها: ما عِشْتُ إِلَّا لأَ كَبْرًا (٣)
ولبعضهم :

ولا بُدَّ من مَوْتٍ ؛ فإِما شَبِيهَةٌ / وإِما مَشِيبَةٌ ، والشببيةُ أَصْلَحُ
معنى قوله : « والشببية أصلح » أن الإنسان إذا مات شاباً كان أكثرَ للحزن عليه
١٠ والأسف على مفارقتة، فإذا أسنَّ بِرَمَ به أهله، وهان عليهم فقدوه .

فأما قوله :

هُوَ المَرءُ ، أَمادِينُهُ فَهُوَ مانِعٌ / صئُونٌ ، وَأما مالُهُ فَهُوَ بادِلُهُ
فمعناه متكرر في الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف المدوح ؛ بمنع ما يجب منعه ، وبذل ما يجب بذله قول
١٥ مسلم بن الوليد :

يُذَكِّرُ نيكَ الجُودِ والبُخلِ والنهْيِ / وَقَوْلُ الخِنَا والجِلمِ والعِلمِ والجَهْلِ (٤)
فَأَلقَاكَ عن مَدْمومِها مُتَنَزِّهاً / وَأَلقَاكَ في مَحْمُودِها وَلَكَ الفضلُ
وأحمدُ من أخلاقِكَ البخلِ إِنَّهُ / بِمِرْضِكَ لا بالمالِ حاشاً لَكَ البخلُ

(٢) ديوانه ١ : ٣٠

(١) ديوانه ١ : ٢١٩

(٣) ديوانه ١ : ٣١ ، وانتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحترى في قوله :

بَلُونَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدَّ نَرَى فَمَا إِزْ وَجَدْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا^(١)
تَنْقَلْ فِي سَلْفِي^(٢) سُوْدُودِ سَمَاحًا مُرَجِي وَبَاسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحَاً وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَيْبَا

فأما قوله :

تَرُوكُ الْمَهْوَى، لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا لَدَى مَوْطِنِ الْإِلَى الْعَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

فمعنى متداول^(٣) مطروق في الشعر ، وقد كرّره هو في قوله :

إِذَا هُنَّ الْكَيْفَانِ الرَّحَالَ بِيَابِهِ حَطَطْنَ بِهِ ثِقْلًا، وَأَدْرَكْنَ مَعْنَمَا^(٤)
/ إِلَى طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ، مَا نَالَ فِي رِضَاً وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا^(٥)

[١٨١]
ظ

١٠

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك :

بَمِتُّ الْخَطَابَ إِذَا اضْطَكَّتْ بِمَظْلَمَةٍ فِي رَحْلِهِ أَلْسُنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكَبِ^(٦)
لَا الْمَنْطِقُ اللَّغْوُ يَزُكُو فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا، وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ
وَتَحْتَّ ذَاكَ قَضَاً حَزُّ شَفْرَتِهِ كَمَا يَعْضُ بِظَهْرِ الْغَارِبِ الْقَتَبِ^(٧)
لَا سَوْرَةٌ تُتَقَى مِنْهُ وَلَا بَلَةٌ وَلَا يُخَافُ^(٨) رِضَاً مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

١٥

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان وزير المتوكل وبعاتبه، ومطلعها :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بِنَانَا خَضِيْبَا وَلِحَظَا يَشُوْقُ الْفَوْادِ الطَّرُوْبَا

ومن نسخة بحاشية الأصل : « فإنا رأينا لفتح ضريبا » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« خلقني سوودد » ؛ وهي رواية الديوان . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فبذول » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وأدين مغنا » ،

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « طاهر الأنواب » . (٦) ديوانه : ٤٨-٤٩ . وفي م :

« ثبت الجنان » . (٧) الغارب : السكاهل . القتب : ما يوضع على ظهر الرجل .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ولا يخيف » .

ومثله قول البحترى فى ابن الزيات أيضا :

وَجَّهَ الْحَقَّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَاءٍ ءَ وَقَصْدٍ فِى الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ^(١)
 وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ عِنْدَهُ ، وَالبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ
 لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يَمْضَىٰ إِلَى أَمْرٍ بَيْنَ الْمَقْلِيِّ وَالْمُودِدِ
 وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا هِيمَ فِى حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودِ^(٢)
 مُسْتَرِيحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضِغْنٍ بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحُقُودِ
 فَأَمَّا قَوْلُهُ :

* وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ *^(٣)

فیشبهه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرغ فى عبید الله بن زياد :

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَارًا بِدِمَّتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ^(٣) ١٠
 أَمَّا قَوْلُهُ :

وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

فیشبهه قول أبى تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل فى القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشِبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلْمَى وَالْمَفَاصِلِ^(٤) ١٥
 لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْلَا نَجِيهَا لَمَا احْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلِ [١٨٢]

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : العدنانيون ، وأبناء هود : الفحطانيون .

(٣) الزاب : موضع قريب من أذربيجان ؛ وقيل الزاب هو عبید الله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبى عبید ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيفته فانهزموا ، ولقى عبید الله فضر به فقتله ؛ والبيت فى الأغاني ١٧ : ٦٨ ، وبعده :

العبدُ للعبد ، لا أصلٌ ولا طرفٌ ألوتُ به ذاتُ أظفارٍ وأنيابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشبابة هنا : حد القلم ، والسكلى : جمع كلية أو كلوة .

مُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ مُعَابُهُ
 لَهُ رِبْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْظَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ،
 إِذَا مَا امْتَطَى الْخِمْسَ اللَّطَافَ وَأُفْرِغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ وَسَدَّدَتْ^(٤)
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَانُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ^(١)
 بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِلِ^(٢)
 وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
 عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلِ^(٣)
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ ٥
 أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
 ضَنْبِي ، وَصَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ

(١) الأرى : العسل . اشتارته : استخرجته . عواسل : جمع عاسلة ؛ والماسل : مستخرج العسل .

(٢) الطل في الأصل : المطر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « جعل القلم ممطيا الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولو جعل

القلم مطية للأنامل لأنها تعلوه لجاز وحسن . وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن للفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : « الأفلام مطايا الفطن » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « شددت » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ [التكوير: ٢٦-٢٩].

فقال: ما تأويل هذه الآية؟ أو ليس ظاهرها يقتضى أننا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاء له، ولم يخصص إيماناً من كفر، ولا طاعةً من معصية؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور في هذه الآية، أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة؛ لأنه تعالى قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟ ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أى لا تشاءون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها؛ ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات؛ وإنما أنكرنا إرادته المعاصي؛ وليس لهم أن يقولوا: تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها؛ ولا يمنع من عمومها؛ كما أن السبب ١٠ لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه؛ وذلك أن الذى ذكره إنما يجب فيم يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لا ذكر للمراد فيه؛ فهو غير مستقل

[١٨٢] بنفسه؛ وإذا علق بما تقدم من / ذكر الاستقامة استقل؛ على أنه لو كان للآية ظاهر يقتضى

ماظنوه - وليس لها ذلك - لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة؛ على أن الله تعالى لا يريد المعاصي

١٥ ولا القبائح؛ على أن مخالفتها في هذه المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم؛ لأن العباد قد

يشاءون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى؛ بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه، فلا يقع لمنع أو

غيره؛ وكذلك قد يريد النبي عليه السلام من الكفار الإيمان، وتعبدنا بأن نريد من المقدم

على القبيح تركه؛ وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك إذا كان المعلوم أنه لا يقع؛ فلا بد لهم

من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة؛ وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَدْرِكِرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ [الزمل: ١٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [الإنسان: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، [المدثر: ٥٦]، في تعلق الكلام بما قبله .

فإن قالوا: فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم^(١) من وجه آخر؛ وهو أنه عز وجل قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ وذلك يقتضى أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها؛ لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال، ويُبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الأمر .

قلنا: ليس في ظاهر الآية إلا نشاء إلا ماشاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم؛ ١٠ وإنما يقتضى حصول مشيئته لانشأؤه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجرى ذلك مجرى قول القائل: ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولها في حال واحدة؛ بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو، ويتلوه دخول زيد، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكرناه، فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام: وما تشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى، ومشيئته ١٥ تعالى قد كانت لها حال الاستقبال^(٢).

وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال؛ وإن كان قد أرادها في حال الأمر؛ كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر؛ قال: / لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة؛ ويعلم [١٨٣] و تعالى أننا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب، وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكرناه .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « مذاهبكم » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « حال استقبال » .

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي عليّ في هذا الباب ؛ على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم : إنه مرید لنفسه، أو مرید بإرادة قديمة ، وصحّ ما نقوله من إن إرادته متجدّدة محدثة .

ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم ؛ من غير أن نخصها بما تقدّم ذكره من الاستقامة ؛ ويكون المعنى : وماتشاءون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخلية بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى ؛ وأنه لا قدرة للعبد على ما لم يقدره الله تعالى عزّ وجل ، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه ؛ لأن ما تعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة ؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار قوله من قصيدة

أولها :

طَرَقْتِكَ زَائِرَةً ، فحَى خِيَالَهَا
بَيْضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دِلَالَهَا

يقول فيها :

مالت^(١) بقلبك فاستعماد ومثالها
وكانما طرقت بنفحة روضة
باتت تسائل في المنام معرّساً^(٢)
في فتية هجعوا غراراً بعد ما
قاد القلوب إلى الصبا فأمالها
سحت بها ديم الربيع ظلّالها
بالبيد أشعت لا يملّ سؤالها
سئموا مراعاة السرى ومطالها

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ملكت » .

(٢) التعريس : النزول في آخر الليل .

فَكَانَ حَشْوًا يَبَاهِمُ هِنْدِيَّةً نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتْ الْعِيونُ صِقَالَهَا

[١٨٣]
ظ

/ المراعشة^(١) : تحريك الرأس في السير من النوم .

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذب ؛ وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا ، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى ؛ كل الناس فيه عيال عليه ، وهو قوله :

أَنْى سَرَبْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبِ ! وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبِ^(٢)
مَا تَمْنَعِي يَفْظِي فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبِ
كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوْتُ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْدُوبِ

وقد أحسن جرير في قوله :

١٠ أَنْسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَفَرَعِ بِشَامَةٍ ، سُقَى الْبَشَامِ^(٣)
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّنِيهِ^(٤) عَزِيزٌ عَلِيٌّ ، وَمَنْ زِيَارَتَهُ لِمَامٌ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب ، فلم تخل من لفظ مستعذب .

ولأبي عبادة البحترى في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ؛ فإنه تغفل في

(١) حاشية الأصل : « في نسخة الشجرى : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراعشة في الأصل :

تحريك الرأس في السير من النوم » وفيها أيضا : « العرش : المشى الضعيف ، من الإعياء وغيره » .

(٢) ديوانه : ٥ ، وحامسة ابن الشجرى ١٨٩ ، والآلى : ٥٢٤ . وانظر ص ٣٩٣ من هذا الجزء .

(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر

ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها

أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تتكلم مخافة الرقباء . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تجننه »

وهي رواية الديوان . ولام : قليل .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره، وكان مشغولاً بتكرار القول فيه لهجاً بدياًته وإعادته؛ وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجمل فضلها، ومحاسن لا يُبلغ شأوها؛ فما لأبي تمام قوله:

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا، لَا بَلْ أَزَارَ كَهْ
فَفَكَّرْتُ إِذَا نَامَ فِإِذَا نَامَ فَفَكَّرْتُ الْخَلْقَ لَمْ يَنِمِ (١)
ظَبْيٌ تَقَنَّصَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ
مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرًا كَمَا مِنَ الْحُلْمِ
نَمَّ اعْتَدَى، وَبِنَا مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ
بَاقٍ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا (٢) مِنَ السَّقَمِ

وقوله:

عَادَكَ الزَّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمِّ
لَمَّةَ بَيْنِ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمَطَالِي (٣)
نَمَّ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنَّ
كَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الْخَيَالِ

وقوله:

اللَّيَالِي أَخْفَى بَقَلْبِي إِذَا مَا
جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَامِ
يَا لَهَا لَذَّةٌ تَنْزَهَتْ الْأَرْ
وَاحُ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ
غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحترى فقولته في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى

١٥ نادره، فمن ذلك قوله:

فَلَا وَضَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفُ خَيَالُهَا
بِنَا تَحْتَ جُوشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ (٤)
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوِّ فَسَاحَتْ
بِوَضَلٍ مَتَى تَطْلُبُهُ فِي الْجِدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى
وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَلْمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَهَا
أَوْانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَأَضْلَعِي (٥)

(١) ديوانه : ٢٦٨ . (٢) د؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « معسولا ؛ أى وإن

كان ذلك السقم حلوا كالعمل » . (٣) المطالي : موضع .

(٤) ديوانه : ٢ : ٧٨ . وفي حاشية الأصل : « الجوشوش : الصدر ؛ وكذلك الجوش والجوشن .

أسفع : أسود » . (٥) حاشية الأصل : « الخلج : الجذب ؛ يقول : كأن البين يخلجها من حشاي

وأضلعي » .

وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ
أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرًا بِقُرْبٍ مِنْ مُلْمَمٍ مُسْلَمٍ
فَكَأَنَّ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ نَفَرُوقٍ
وَقَوْلُهُ :

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُوْدَهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غَلَّةٍ لِلشَّوْقِ أَطْفَأَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفْنَ عَيْنِي تَمَلُّقًا
وَقَوْلُهُ :

١٠

لَأُرْتَاخُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمُوْرَّقِ (١)
لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي
بَطِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقِ
بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْنَقِ
وَقَوْلُهُ :

١٥

بَلَى وَخِيَالٍ مِنْ أَثِيْلَةٍ كَلَّمَا
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكِرَى
تَرَى مُقَلَّتِي مَالًا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَيُكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ
وَقَوْلُهُ :

[١٨٤]
ظ

إِذَا مَا الْكِرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدِي انْتَبَاهَهُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَيْنَا وَلَا مِثْلَ شَأِنِنَا
وَقَوْلُهُ :

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ
يُجِلُّ لَنَا جِدْوَاكَ وَهِيَ حَرَامٌ (٤)

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخیال من قتیله » .

(٣) ديوانه ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤٩ .

إذا ما تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خَلْتَنَا
منَ الْجَدِّ أَيْقَاظًا وَنَحْنُ نِيَامُ (١)
وقوله :

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أُرْسَلَتْ
بَطِيفٍ خَيَالٍ يُشْبِهُهُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ (٢)
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشْبُثِي
بِعِطْفَى غَزَالِ بَيْتٍ وَهَنَا أَعَازِلُهُ
وقوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطَّيْفِ الطَّرُوبِ
حَبِيبٌ جَاءَ يُهْدِي مِنَ حَبِيبِ (٣)
تَخْطَى رِقْبَةَ الْوَأَشِينِ كُرْهَا (٤)
وَبُعْدَ مَسَافَةِ الْخَرْقِ الْمَجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأُصْدِقُهُ وِدَادًا
وَمِنْ كَلَفِ مُصَادَقَةِ الْكُذُوبِ
وقوله :

مَا تُقْضَى أُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى
وَالْمَعْنَى بِالْفَائِيَاتِ مَعْنَى (٥)
هَجَرَتْنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ
بَعْدَ لِأَيِّ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْهَا
هَبْهَا (٦) فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميله إلى
البحترى وأنحطاطه في شعبه، واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترى
١٥ أخطأ في قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ
هَبْهَا فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
قال: "لأن (٧) خيالها يتمثل له في كل أحوالها؛ يقضى كانت أو وسنى". قال: "ولكن
الجيد في هذا المعنى قوله:

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في ديوانه على شيخى : « خلتنا » ، بضم التاء .

(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهنا » ؛ وهى رواية الديوان .

(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) فى الديوان : « عادتها » :

(٧) الموازنة بين أبى تمام والبحترى : ١٨٨ .

أَرَدْتُ دَوَانَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَاَنَا
قال: "والذى أوقع البحتريّ في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم:

[١٨٥] / ما تمنعني يَقْظَى فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم غير مُصَرَّدٍ مُحْسُوبٍ
و

وكان الأجود أن يقول: ما تمنعني في اليقظة فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم، أى ما تمنعني في يقظتى
فقد تَوَيْبِنَهُ في حال نومي؛ حتى يكون النوم واليقظة منسُوبين إليه؛ لأن خيال المحبوب يتمثل
في حال نومه ويتمثلته جيمماً، قال: إلا أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحتريّ
لأن قيساً قال: « فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم » ولم يقل نائمة؛ وقد يجوز أن يُحمَل على أنه أراد:
ما تمنعني يَقْظَى وأنا يقظان؛ فقد تَوَيْبِنَهُ في النوم، أى في نومي؛ ولا يسوغ مثل هذا في بيت
البحتريّ لأنه قال: « وسنى » ولم يقل في الوسن.

١٠ قال سيّدنا أدام الله علوه: وقد يمكن من التأويل للبحتريّ ما يمكن مثله لقيس؛ لكنّ
الآمدى قد ذهب عن ذلك؛ لأن البحتريّ لما قال: « وسنى » دلّ على حال الوسن؛ والحال
المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة، كما أن الحال المعهودة لليقظة حال
مشتركة بالعادة؛ فقولهُ: « وسنى » يُنبئ عن كونه هو أيضاً نائماً؛ وإنما أراد المقابلة في زنة
اللفظ بين يَقْظَى ووسنى.

١٥ وقوله: « يَقْظَى » متى لم يُحمَل أيضاً على هذا المعنى لم يصحّ؛ لأنه لا بدّ أن يريد بذلك:
هَجَرْتَنَا في أحوال اليقظة؛ ويكون معنى « يَقْظَى » يتمدّى إليه؛ ألا ترى أن الآمدى حمّل
قول قيس: « يَقْظَى » على معنى: « وأنا يقظان » وإن لم يبيّن الوجه!؛ فكيف ذهب عليه
مثل ذلك في قول البحتريّ!

وقوله: « وسنى » و« يَقْظَى » مثل قول قيس: « يَقْظَى »، ولو مكن قيساً وزن الشعر من أن
يقول: « وسنى » في مقابلة: « يَقْظَى » لقاله وما عدل عنه إلى النوم؛ لأنه لم يكن عليه في « وسنى »
إلا ما عليه في « يَقْظَى »، وما يُتَأَوَّل له في أحد الأمرين يُتَأَوَّل له في الآخر.

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولي في الخيال وطروقه معني ما علمت أنه سبق إليه ، من

جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِي بِ مَطْرُوفَةٍ بِالْكَرَى الْعَامِرِ
فَأَعْجَبُ بِهِ يُسْعِفُ الْمَاجِمِينَ وَتُحْرَمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ
/ وَعَهْدِي بَتَمُؤِيهِ عَيْنِ الْحَبِّ نِيْمٌ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقِينَا بَرَّغَمِ الرَّفَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

٥
[١٨٥]
ط

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب لاحقيقة لأكثرها؛

لأن الإنسان يمتد أنه راء لما لا يراه على الحقيقة ، ومدرك لما ليس بمدركه على الحقيقة ؛

١٠ فالقلب يخيل في النوم للمين مالا حقيقة له ؛ كما أن المين تخيل في كثير من الأحوال للقلب

ملا حقيقة له .

فأما قول مروان :

* فكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ * . . البيت

فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حرّى (١) :

طَرَقَتْ أَسِيَاءَ الرَّحَالِ وَدُونَهَا ثُنْيَانٍ مِنْ لَيْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ (٢)
وَمَقَاوِزُهُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جُنُوبَهَا بِجُنُوبِ أُخْرَى ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقَدِ

١٥

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى الحرة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الثني : واحد أثناء الشيء أى تضاعفه ، وثني الوادي والجبل :

منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثني بين ؛ والبين : القطعة من الأرض

على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

* نَقْيَانٍ مِنْ رَمْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ *

وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لتمام ، وقر تمام [بفتح التاء وكسرهما] ، وليل

التمام ، بالكسر لاغير ؛ وهي أطول ليلة في السنة » .

رَمَلٌ إِذَا أَبْدَى الرَّكَّابِ قَطْعَنَهُ قَرِعَتْ مَنَاسِمُهَا بِقَفِّ قَرْدَدٍ^(١)
 وَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذَكَى جَادِيَّ بِنِصْعِ مُجْسَدٍ^(٢)
 وَنَدَى خُزَامَى الْجَوِّ، جَوْ سُوَيْقَةٍ طَرَقَ الْخَيَالَ بِهَ بُعَيْدِ الْمَرْقَدِ^(٣)

أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بِمَنَى وَنَحْنُ مُعْرَسُونَ هُجُودُ^(٤)
 فَكأنَّما طَرَقَتْ بِرِيَابِ رَوْضَةٍ أَنْفٌ يُسْحَسِحُ مُزْمَهَا وَيَجُودُ^(٥)

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً .

فأما قوله :

* باتتُ تسائلُ في المنامِ معرّساً *

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس في وصف قلة النوم، ومواصلة السرى، والإدلاج، ١٠

وشعث السارين فأكثرُوا، فمن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد :

وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُبْتَدَلِ^(٦)

(١) الركاب : الإبل ؛ والمناسم : جمع منسم كجلاس : خف البعير . والقف : ما ارتفع من الأرض
 وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : الهير التي تحمل الطيب والمسك . والجادي :
 الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
 (٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان .
 (٤) يقال : عرس القوم بالمسكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .
 (٥) روضة أنف : لم ترع . ويسحسح : يسيل . والجود : المطر الغزير .

(٦) ديوانه ٢ : ١٣ . الجود : الذي يجهد من العاس ؛ كذا ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت .
 وفي حاشية الأصل : « الجود الذي سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛
 أى مطره . والصبابات : جمع صبابة ؛ وهى البقية . والنرقة ، مثلثة : الطنفسة فوق الرجل . وصدق
 المبتدل : جلد قوى لا يتغير عند ابتذله نفسه ولا يسقط ؛ والمبتدل : مصدر بمعنى الابتدال ؛ وهو ضد الصيانة » .

[١٨٦] / قَالَ هَجَدْنَا فَقَدَّ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفَلَ (١)
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هَجَبْتُهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الأوَّلِ (٢)
 يَلْمَسُ الأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ المُصَلِّ (٣)
 يَتَمَارَى فِي الذِّي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلْ (٤)

ومن ذلك قول ذي الرمة :

وَلَيْلٍ كَأَنْبَاءِ الرَّؤُوبِزِيِّ جُبْتُهُ بَأَرْبَعَةٍ، وَالشَّخْصُ فِي العَيْنِ وَاحِدٌ (٥)
 - والرؤوبيزي، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً: « كجلباب العروس ادرعته »؛ وكل ذلك وصف له بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب العروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة والسواد -

أَحْمٌ عِلَافِيٌّ، وَأَبْيَضٌ صَارِمٌ، وَأَعْيَسٌ مَهْرِيٌّ، وَأَشْعَثُ مَا جِدُّ (٦)

(١) هجدنا ؛ من التهجد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل وقدرنا ، أى وقدرنا على ورود الماء ، أو قدرنا على التهجد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛ أى إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا . (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتعملها بمنزلة ما النافية في الأغلب ؛ وهنا لإثبات الغلة . والتعريس : النزول في آخر الليل للاستراحة ؛ وهجته : أيقظته من النوم ، وهاج بهيج : يجيئ لازماً ومتعدياً . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل الصبح ، جمع تبشير . وأول : صفة التبشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأول .

(٣) يلمس الأحلاس ؛ يطلبها ، والأحلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله . وقوله : « كاليهودي المصل » ؛ قال في حاشية الأصل : « شبهه باليهودي لأنه يسجد على شق وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن ياتي عليكم ، فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء في شرح الطوسي .

(٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وءجل ؛ وهذه الأبيات أوردتها صاحب الحزانة (٢ : ٢٨) تقلاعن الفرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لانتفاوت الشخص والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم نسر الأربعة فقال : أحمر أسود ؛ ويعنى به الرجل ، وعلافيٌّ : منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاة . والأبيض الصارم : السيف القاطع . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . والماجد : الكثير المفاخر ؛ وفي حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، =

- أخو شُقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ
وَأَشَعَتْ مِثْلَ السَّيْفِ قِدْلَاحَ جِسْمِهِ
سَقَاهُ الْكَرْمَى كَأْسَ النَّعَاسِ فِرَاسُهُ
أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمِطْيِ فَمَا دَرَى
تَرَى النَّاشِيَّ الْغَرِيدَ يُضْحِي كَأَنَّهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي حِيَّةِ الْمَيْرِيِّ :
- وَأَغْيَدَ مِنْ طُولِ الشَّرَى بَرَّحَتْ بِهِ
سَرَيْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ
أَنْخَنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاغِهِ
فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ
خَطَا الْكُرَّةَ مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ
وَوَدَّ بَوْسَطَى الْخَمْسِ مِنْهُ لَوَانِنَا
- عَلَى الْمَوَلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ^(١)
وَجِيفُ الْمَهَارَى وَالْمُهُومُ الْأَبَاعِدُ^(٢)
لَدِينِ الْكَرْمَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
أَجَائِرَةٌ أَعْنَاقُهَا أُمُّ قَوَاصِدُ!
عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ^(٣)
- أَفَانِينَ مُهَاضٍ عَلَى الْأَيْنِ مِرْجَمٍ^(٤)
تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاصِحِ اللَّوْنِ مُعَلِّمٍ
وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قَلْتُ لَهُ: قُمْ
كَمَا عَطَفْتُ رِيحَ الصَّبَاخُوطِ سَاسِمٍ^(٥)
لِمَا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبْلَسَمِ
رَحَلْنَا وَقَلْنَا فِي الْمَنَاحِ لَهُ: نَمٍ^(٦)

والجمع المهارى، ثم تخفف فيقال: مهارى، وفتح الراء فيقال: مهارى، تشبيها بصحارى وعذارى، وأصله صحارى وعذارى، فنههم من يحذف الياء فيقول صحارى [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفا فيقول صحارى [بالتفتح] لتسلم الألف من الحذف عند التنوين، ومن يحذف الثانية يقول: صحار كجوار .

(١) جاب الفلاة: قطعها . وطوحت: أبعده . وفي الديوان: « لوحته » . وفي حاشية الأصل: « المطارد: المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد . وفي الديوان: « المطاود » .

وفي شرحه: « المطاود: الذهاب في الأسفار » . (٢) أشعت، بمعنى صاحبه، يشبهه بالسيف في ضموره ودقته؛ والوجيف: نوع من السير .

(٣) الناشئ: الشاب . والغريد: ذوالصوت الحسن . وفي حاشية الأصل: « العاصد من الإبل: الذي يلوى عنقه إلى حاركة عند الموت . والعصد: اللى » .

(٤) المرجم: الرجل الشديد، كأنه يرمى به معاديه .

(٥) الساسم: نوع من الشجر؛ قيل هو الأبنوس . (٦) بوسطى الخمس: أى بدل قطع الوسطى؛ وفي حاشية الأصل: « يروى « بجدع الأنف »، ويروى: « بقطع الخمس » .

مَجْلِسِ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

[١٨٦] ط إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾؛ [هود: ٢٠] .

٥ فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذکر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعجزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حالٍ، وفى كل مكان؟ ولم نفى الأولياء عنهم، وقد نجد أهل الكفر يتولّى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره؟ وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه؟

١٠ الجواب، قلنا: أمّا الوجه فى اختصاص الذکر بالأرض، فلأنّ عادة العرب جارية بقولهم للمتوعدّ: لا مهرب لك منى، ولا وزر، ولا نفق، والوزر: الجبل، والنفق: السرب، وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب، فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه، ومانع من عذابه؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم؛ كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر؛ لأنّ معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر من المكاره؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف؛ فإذا نفى تعالى أن يكون لهم فى الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .

١٥ فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ فمعناه أنه لاولى لهم، ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم فى الآخرة؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم فى الدنيا، وإن كان لهم من يحميهم من مكرهه البشر وينصرونهم ممن أرادهم بسوء؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر، وإن كان مخرجه مخرج الخبر؛ ويكون التقدير: وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ، ولا يعوّلوا على غيره .
فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه وجوه:

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون؛
وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء
من الكلام، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لأجزينك بما عملت، ولأجزينك ما عملت؛ ولأحدثنك
بما عملت، ولأحدثنك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

نُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْتًا وَنَبْدُلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقَدِيرُ^(١)

فأراد : نغالي باللحم .

والوجه الثاني أنهم لاستئمتهم استماع آيات الله تعالى، وكراهيتهم^(٢) تذكرها وتفهمها ١٠
جروا مجرى مَنْ لا يستطيع السمع ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة
عداوته إلى فلان ، وما يقدر على أن يكلمه ؛ وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستئقال
لاستماع الحجج والبيّنات : ما تستطيع أن تسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذكَرَكَ ؛ وكما قال
الأعشى :

وَدَّعْ هَرِيرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٣) ! ١٥

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستئقال .
ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أي أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مُجْدِيًا عليهم ؛ مع
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي
عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمعرض عن الحق، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر، ولا تسمع؛
ولا تعقل ؟ وما أشبه ذلك .

(١) البيت في اللسان (غلا) : قال في شرحه : « نغالي اللحم ، نشتره غاليا ، ثم نبذله ونطعمه إذا

نضج في قدورنا » . والفدير : ما يطبخ من اللحم بتوابل . (٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث^(١) أن يكون معنى نفى السمع والبصر^(٢) راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام: أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾^(٣)، وهذا الوجه يُرْوَى عن ابن عباس رحمة الله عليه، وفيه أدنى بعد.

ويمكن في الآية وجه رابع، وهو أن يكون مافى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنفي؛ بل تجرى مجرى قولهم: لأواصلنك ملاح نجم؛ ولأقيمَنَّ على مودتك ما طلعت شمس؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون؛ أى أنهم معذبون ما كانوا أحياء.

فإن قيل: كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار؛ وقد يكون حياً

١٠ من لا يكون كذلك؟

قلنا: للعرب في مثل هذا / عادة؛ لأنهم يقولون: والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني، ومشت قدحى؛ وهم، يريدون: ما بقيت وحييت؛ لأن الأغلب من أحوال الحى أن تنظر عينه، وتمشى قدمه؛ فجعلوا الأغلب كالواجب؛ ومن ذلك قول الشاعر:

وما أنس من شئ تقادم عهدهُ فلست بناسٍ ما هدت قدحى نعلنى

عشية قالت والدُموعُ تُعِينُهَا: (٣) هنيئاً لقلبٍ عنك لم يُسَلِّهِ مُسَلِّي (٤)

وإنما أراد: أتى لا أنسى ذلك ما حييت؛ وكذلك لا يمتنع أن يمتاق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار؛ ويمودُ المعنى إلى تعلقه ببقائهم، وبكونهم أحياء؛ والمرجع في ذلك إلى التأييد؛ لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها، ولا خروج عن الحياة، علمنا تأييد العذاب.

(١-١) حاشية ف (من نسخة): « أن يكون نفى السمع والبصر ».

(٢) م: « مروى ». (٣) د، ف: « بعينها ».

(٤) د، ومن نسخة بمحاشيتي الأصل، ف: « مسل ».

ونعود إلى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار له من القصيدة التي مضى أولها وتكلمنا عليها :

وَضَعُوا الخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمِ جُنْحٍ	تَشْكُو كُلوْمَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ	بَعْدَ السَّرَى بَعْدُوهَا آصَالَهَا
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ	تَطْوِي الفَلَآةَ حَزُونَهَا وَرِمَالَهَا (١)
يَتَّبِعَنَّ نَاجِيَةً يَهْرُزُ مِرَاحُهَا	بَعْدَ النُّجُولِ تَلِيْلَهَا وَقَدَالَهَا (٢)
هُوَ جَاءَ تَدْرِعُ الرُّبَا وَتَشْقُهَا	شَقَّ الشَّمُوسِ إِذَا تَرَاعُ جِلَالَهَا (٣)
تَنْجُو إِذَا رُفِعَ القَطِيعُ كَمَا نَجَتْ	خَرَجَاهُ بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِئَالَهَا (٤)
كَالقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَمَّكَ وَقَدْ تَرَى	كَالْبُرُجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالَهَا

هذه الأبيات في وصف الرّواجل بالسرعة والنّحول، جيّدة الألفاظ، مطرّدة النسيج، ١٠

وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضرّوب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

بِخُوصٍ كَأَعْطَالِ القِسِيِّ تَقَلَّقَلْتُ أَجْنَتُهَا مِنْ شَقَّةٍ وُدَّوْبٍ (٥)

(١) نزع: اشتاقت . صواديا: عطاشا. تقاذفت: تسارعت . (٢) التليل: العنق .

(٣) الشموس: الفجور .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لوان ؛ سوادوبياض ؛ يقال : نامة خرجاء وظليم أخرج والرئال : جمع

رأل ؛ وهو ولد النعام ، وبادرت الظلام رئالها ؛ أى بدرت الظلام إلى رئالها .

(٥) ديوانه ١٧٩-١٨٠ وفي حاشية الأصل : هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها

عباد بن زياد بن أبيه : أولها :

خَلِيلٌ قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ

- يعني عمير بن الحباب ورهطه - :

وَأَسْفَهَتْ إِذْ مَنَيْتُ نَفْسِي ابْنَ وَاسِعِ مُنَى ذَهَبْتُ لَمْ تَسْقِنِي بَدَنُوبِ

فَإِنْ تَنَزَّلَا بِابْنِ المَحَلِّقِ تَنَزَّلَا بَدْنَى عَذْرَةَ يَبْدَا كَمَا بَلْغُوبِ

- المحلق : عبد العزيز بن حنتم -

لِما اللهُ أَرَمَا كَمَا بَدِجَلَةَ لَا تَقَى أَذَاةَ أَمْرِي عَضْبِ اللِّسَانِ شَعُوبِ

- يعني نفسه - .

/إِذَا مُجَلَّ غَادِرَتُهُ عِنْدَ مَبْرَكٍ^(١) أُتِيحَ لِجَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ

— المَجَلَّ : الملقى من الأجنحة لغير تمام، وجواب الفلاة : الذئب —

وَهُنَّ بِنَا عُوجٌ كَانَ عِيُونَهَا مَسَانِفٌ يَطْوِيهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى قَدِيمٌ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا يَمْنَنُ بِنَا عَوْمَ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ

بَقَايَا قَلَاتٍ قَلَصَتْ لِنُضُوبٍ^(٢) تَكَالِيفُ طَلَّاعِ النَّجَادِ رَكُوبٍ^(٣) رِجَالٌ قِيَامٌ عُصَّبُوا بِسُبُوبٍ^(٤) سَحَابَةٌ وَضَاحِ السَّرَابِ جَنُوبٍ^(٥)

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا

خُلِقَ مِنَ الرَّيْحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانَ^(٦) إِفْلَاتٌ صَادِرَةٌ عَنِ قَوْسِ حُسْبَانَ^(٧)

وقال بشار : ١٠

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَّحْنَ فِي أَعْطَافِهِ فَاتَ الْمَطِيُّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلٍ^(٨)

= إِذَا نَحْنُ وَدَّعْنَا بِلَادًا هُمْ بِهَا نَسِيرُ إِلَى مَنْ لَا يُغِبُّ نَوَالَهُ

فَبِعْدَا لِحَرَاتِ لَهَا وَشُهُوبِ ! وَلَا مُسْلِمٍ أَعْرَاضَهُ لِسُبُوبِ

بخصوص . . .

- أعطال : جمع عطل ؛ وهو القوس الذي لا وتر له . وتقلبت أجنحتها : تحركت في بطونها من سرعة السير .
 (١) في الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أى بحملنا ؛ أو حمل أعياننا . والعوج : جمع أعوج وعوجاء . والفلات : جمع قلت ؛ وهو النقرة في الجبل : والتقليب : الاتزواء ، والنضوب : غثور الماء .
 (٣) المسانيف هنا : الإبل المتدمات والتجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب : المذلل . (٤) قديم ؛ أى طريق قديم . والأصواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب الأبيض الرقيق ؛ وقيل هو العمامة . (٥) ف : « تعوم » . « خبوب » . وهى رواية الديوان . (٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادى : المشى الضعيف يتسكى صاحبه على اثنين يميناً وشمالاً . والظلمان : جمع ظليم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .
 (٧) إفلاتها ؛ أى سرعتها . صادرة ، أى إفلات سهام صادرة . والحسبان : سهام يرمى بها الرجل في جوف قصبة ، يزرع في القوس ثم يرمى بعشرين منها فلا تمر بشيء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانة .
 (٨) حاشية الأصل (من نسخة) « سنجن » أى ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛ والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع الطايا جاوزهن بكاهل وعنق » .

فَكَانَهُ وَالنَّاعِجَاتُ^(١) يُرْدَنَهُ قِدْحٌ تَطَّلَعَ مِنْ قِدَاحٍ مُجْبِلٍ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الْهَجَاثُ وَالظَّهَائِرُ لَحْمَهَا حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمُتَضَابِرُ^(٢)
 حَرْفٌ تُنَاهِبُهَا النَّجَاءُ قَلَائِصُ^(٣) مِمَّا تَنْخَلُ^(٤) شَدَقَمٌ أَوْ دَاعِرُ^(٥)
 صُبْرٌ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفَهَا الْبُرَى سَمِعَتْ لَهْنٌ كَشَاكِشٌ وَجَرَا جِرُ^(٦)
 وَيُخَلِّنَ مِنْ عِزِّ النَّفُوسِ وَجِدْهَا^(٧) جِنًّا ، وَهَنَّ إِذَا اخْتَبِرْنَ أَبَاعِرُ
 أَمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا ذُعْرٌ تَهَادَتْهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ^(٨)
 أَمَا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا كُدْرٌ تَوَرَّدَنَّ الْمَطَافُ صَوَادِرُ^(٩)
 أَمَا إِذَا مَا أُبْرِكْتَ فَكَأَنَّهَا صُرُخٌ مُشِيدَةٌ وَهَنَّ ضَوَامِرُ^(١٠)

[١٨٨] / وإني لأستحسن قول بَشَامَةَ بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة^(١٠) :

ط

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؛ ومنه قوله :

* والناعجات المسرعات للنجا *

- (٢) اللحم المتضابر: المتراكم المكتنز، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « المتضاهر ». ومن نسخة أخرى « المتضابر ». (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « منجل » .
 (٤) الحرف : الناقة الضامر: الصلبة . وتناهبها : تباريها في الجري . والنجاء : السير السريع . والقلائص : جمع قلوبس ؛ وهي الفتية من الإبل . وشدقم وداعر: اسمان لفحلين منجيين من لحول الإبل ، تنسب إليهما الإبل الشدقيات والإبل الداعرية . (٥) السوالف : جمع سالفة ؛ وهي أعلى العنق ، والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة في الزمام . والكشاكش والجراجر : أصوات تخرج من جوف الإبل .
 (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « وحدها » . (٧) ذعر ؛ أي وحش مذعورة ؛ ويجوز أن يريد بلذعر النعام ؛ وهي توصف بذلك . (٨) الكدر : قضا ألوانها كلون الرماد . والنطاف : جمع نطفة ؛ وهي الماء القليل . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « صرح : جمع صرح ؛ وهو القصر ، وأصله صروح فقصره ؛ وقد قيل في أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فقصر ثم خفف بتسكين السين » .
 (١٠) الأبيات من قصيدة في الفضليات ٧٩-٩١ ، ومختارات ابن الشجري ١٤-١٦ ، وأبيات منها في حماسته ٢٠٥-٢٠٦ ، ومجموعة المعاني ٥٢ ، وأبيات منها أيضا في الأغاني ١١ : ٨٧ ، ونسبها العقيل بن علفة .

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَرْقَاتُ وَقَدْ جُرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا (١)
 يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلَا (٢)
 إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتُ مَشْحُونَةً أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلَمًا جَفُولَا (٣)
 وَإِنْ أَدْبَرْتُ قَلْتُ مَدْعُورَةً مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبَعُ هَيْمًا ذُمُولَا (٤)

ومعنى قوله :

* وقد جرن ثم اهتدين السبيلًا *

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لقم (٥) الطريق ؛ بل يأخذن عيمًا
 وشمالا ؛ فلما عضن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال
 المطى ؛ وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة .

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَابِحٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَدَّرَعُ (٦)

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَلَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَمْدَّرَا (٧)
 مُمَجَّدَةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

(١) أرقط : أسرعت . وجرن : عدان عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الجرى :

يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلَا

(٣) المشحونة : المملوءة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستخفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطة بجمرة ؛ من وصف النعام . والهيق : ذكر النعام

والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إِذَا أَقْبَلْتُ قَلْتُ مَدْعُورَةً مِنَ الرُّبْدِ تَلْحَقُ هَيْمًا ذُمُولَا

(٥) لقم الطريق معظمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فالزمه .

(٦) يقال : ذرع السابح ، إذا حرك يديه للسبح . (٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه :

٢٦-٣٤ ، وأولها :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا دَارِسًا قَدْ تَعِيرَا بَدْرُوةً أَقْوَى بَعْدَ لَيْلِي وَأَقْفَرَا

شبه ذراعها وهي تتذرع في مشيها^(١) بذراعي امرأة مُدلة على أهلها ببراءة ساحتها ، وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاماً أهجر فيه ؛ أي أخش ، فهي ترفع يديها وتضمهما تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدلة » أنها نديل بحسن ذراعها ، فهي تُدمن إظهارها لثري^(٢) حسنها .

وقوله : « بُميد السباب » أي في عقيب المسابة قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيد الشباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء ، فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغيرة ؛ ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا يَدَا نَصْفِ غَيْرِي تَعْدِرُ مِنْ جُرْمِ^(٣)

و / قوله : « حِينَ يَقْلَقُ ضَفْرُهَا » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأنَّ الضفر هو الأنساع^(٤) ؛ [١٨٩] وإنما تعلق إذا جهدها السير فضمرت ، فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ؛ ومثله :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَدِيَّةٍ مَفْجَعَةٌ لَاقَتْ ضُرَائِرَ عَنْ عُفْرِ^(٥)
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَمَعَلَتْ فِي كَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي^(٦)

١٥

ويقاربه قول الآخر :

أَلَا هَلْ تُبْلِغُنِيهِمْ عَلَى اللَّأْوَاءِ وَالظَّنَّةِ
وَأَوْ لِحْصَى الْمَعْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةُ^(٧)
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلْتَ سَمَاءٌ فَاضَحَتْ كَنَّةُ^(٨)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في سيرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ليري حسنها » بالبناء للمجهول . (٣) النصف : المرأة التي ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا . (٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يجعل زماما للبعير وغيره . (٥) عن عفر ، أي بعد حين . وفي حاشيتي الأصل ، ف : ويروى « عن عفر » . أي بعد كونها عاقرا . (٦) يفرى ، أي يأتي بالعجب . (٧) الوآة : النجبية من الإبل . والمعزاء : المسكان الصلب الكثير الحصى : (٨) الحمأة : أم الزوجة . والكنة : امرأة الولد :

ومن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوايح كعب بن زهير فقال^(١):

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّحَ بِالْقُورِ الْعَسَاقِيلُ^(٢)
 وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَدِيثَهُمْ وَقَدْ جَعَلْتُ أُرْقُ الْجِنَادِبِ يَرْكُضُنَ الْحَصَى: قِيلُوا^(٣)
 شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدًا مَآكِيلُ^(٤)
 نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَمَّا نَعَى بِكْرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٥)

المساقيل: أوائل السراب؛ ولا واحد لها من لفظها. وأخبر أن ناقته في شدة الحر واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها؛ وشبه ذراعها بذرعى امرأة نصف تنوح على ابنها، وقد نعى إليها؛ فهي تشير بيديها وتوالى تحريكهما. والعيطل: الطويلة العنق، وجعلها نصفاً لأنها قد كادت تأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجّعها عليه، والقور: جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل؛ وأراد أن يقول: كما تلفعت القور بالمساقيل، فلم يمكنه فقلب.

(١) ديوانه: ١٦-١٨، من قصيدته المشهورة: «بانت سعاد».

(٢) رواية الديوان: «وقد عرقت». وأوب: رجع. وتلفح: تلحف، وفي حاشية الأصل:

«قريب منه قول المرار الفقمي يصف ناقته:

كَأَنَّ أَوْبُ يَدَيْهَا إِلَى حَيْرُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْجَدِّ جَدٍ
 نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكٍ تَنْدِبُهُ رَافِعَةٌ الْمَجْلُدِ

— الجدد: الأرض الصلبة. ابنة الجون: نواحة معروفة. والمجلد: قطعة جلد تضرب بها الناحية على صدرها. (٣) حاشية ف (من نسخة): «ورق»، والورق والأرق: جمع أورق؛ وهو الأخضر المائل إلى السواد. أو ما كان على لون الرماد وقيلوا؛ من الفائلة.

(٤) شد النهار: ارتفاع النهار؛ وهو ظرف، أي وقت ارتفاع النهار. والعيطل: الطويلة، ونكد: قليلات الأولاد. والنصف، هي التي قامت تنوح، شبه يدي ناقته بأيدي هذه المرأة. والنكد: جمع نكداء، وهي التي لا يصيبها خير. (٥) نواحة، يعني هذه النصف، وقوله: «رخوة الضبعين» يريد أنها شديدة الحركة والاتدام. والضبعان هما العضدان، والواحد ضبع. وبكرها: أول ولدها. والمعقول: العقل، يقال: مالتان معقول، وماله مجلود.

ومثله :

وَكأنَمَا رَفَعَتْ يَدَى نَوَاحِي شَمْطَاءَ قَامَتْ غَيْرَ ذَاتِ خِمَارِ

[١٨٩]
ط

/ وإنما خص الشَّمْطَاءَ لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم :

ولا شَمْطَاءَ لم يترك شَقَاهَا لها من تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينَا^(١)

وقد قيل في بيت عمرو : بل شبه الناقةَ بِشَمْطَاءَ، لما على رأسها من اللغام^(٢) .

ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر :

يَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ ! هَلْ أَعْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ !

وَتَحْتِ رَحْلِي زَفْيَانُ مَيْلَعُ كَأَنَّهَا نَائِحَةٌ تَفَجَّعُ

تَبْكِي لِمَيْتٍ وَسِوَاهَا الْمَوْجَعُ

— الزفیان : الناقة الخفيفة ، والميلع : السريمة ؛ وشبه رجع يديها في السير لنشاطها ١٠

بيدي نائحة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة ، فهي تزيد في الإشارة بيديها ليرى مكانها .

ومثله بمينه قول ذى الرمة :

بِجَانِيقٍ تُضْحِي وَهِيَ عَوْجُ كَأَنَّهَا بِجَوْزِ الْفَلَا مُسْتَأْجِرَاتُ نَوَاحٍ^(٣)

(١) من المعلقة : ٢١٥ — بشرح التبريزي ؛ وقوله :

فَمَا وَجَدْتُ كَوْجِدِي أَمْ سَقَبِ أَضَلَّتْهُ فَرَجَعَتْ الْحَيْنَا

والسقب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذي يعلو شفاه الإبل إذا احتاجت

(٣) ديوانه : ١٠٤ . والعوج : جمع عوجاء ، وهي الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

وَسَيْرِي وَأَعْرَاءِ الْمَتَانِ كَأَنَّهَا إِضَاءٌ أَحْسَتْ نَفْحَ رِيحٍ ضَحَاضِحُ

عَلَى حِمِيرِيَّاتٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا ذِمَامَ الرِّكَايَا أَنْكَرْتَهَا الْمَوَاحُ

— الأعراء : الخالية من النبات . والمتان : ما ارتفع من الأرض . والإضاء : جمع أضاء ، وهو الغدير .

والضحاضح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير . وركية ذمة : قليلة الماء . ونكرت الركبة :

قل ماؤها ، وأنكرتها أنا .

المجانيق : التي ضمَّرنَ بعدِ سَمَنَ ؛ وخصَّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كَأَنَّ أُوبَ بِيَدَيْهَا حِينَ أَعْجَلَهَا أُوبُ الْمُرَاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِرَحَالِ
مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَكْنُوسَةٍ زَلَقٍ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْرَيْنِ مَغْوَالِ

— معنى : « أُوبُ ذِرَاعِيهَا » أى رَجَمَهُمَا - وَأُوبُ الْمُرَاحِ ، إِذَا أَرَاكَ الْقَوْمَ عَازِبَ

أَمْوَالَهُمْ لِيَرْحَلُوا ، وَقَدْرُوى : « أُوبُ الْمِرَاحِ » بِالْكَسْرِ ؛ وَمَعْنَاهُ رَجَعَ الْمِرَاحِ وَالنَّشَاطِ . وَالْمَقْطُ :

اللَّعِبُ بِالْكَرَةِ . وَالْكُرَيْنِ : جَمْعُ كَرَةٍ . وَالْمَكْنُوسَةُ : الْأَرْضُ الْبَرَّاحِ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا .

وَالزَّلَقُ : الْمُسْتَوِيَّةُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْحَنَانَةُ : الرِّيحُ . وَالنَّيْرَانُ : جَانِبَا هَذِهِ الْأَرْضِ . وَمَغْوَالٌ ،

١٠ قِيلَ : إِنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الرِّيحِ ؛ وَقِيلَ : مِنْ صِفَاتِ الْأَرْضِ ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَاتِ الرِّيحِ فَمَعْنَاهُ

أَنَّ الرِّيحَ تَعْمَلُ الْأَرْضَ بِأَسْرَها ؛ أَيْ تَمَلُّؤها ، وَإِذَا كَانَ لِلْأَرْضِ فَلَمَعْنَى أَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ

[١٩٠] سَلَكَهَا أَيْ تَهْلِكُ ؛ وَتَلْخِصُ مَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّهُ شَبَهَ يَدَيْ نَاقَتِهِ بِيَدَيْ ضَارِبٍ / بِكَرَةٍ فِي

أَرْضٍ وَاسِعَةٍ فِي يَوْمٍ رِيحٍ عَاصِفٍ ؛ وَهَذَا مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي وَحَسَنِ التَّشْبِيهِ وَالْمَبَالِغَةِ .

ومثل بيتي الشماخ قول المسيَّب بن عَلسٍ (١) :

مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّهَا تَكْرُوْ بِكَفِّيْ مَاقِطٍ فِي قَاعِ (٢)
فَعَلَ السَّرِيْعَةَ بِأَدْرَتِ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

(١) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : قَالَ س : « وَجَدْتُ بِحُطِّ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامَةَ الْقَضَاعِي :

رَحِمَهُ اللَّهُ : « عَلسٌ » بِفَتْحِ الْعَيْنِ مُضْبُوطًا كَأَنَّهُ يَجْمَلُهُ فَعْلًا مَاضِيًا ، وَالْعَلسُ : حَبُّ كَالْعَدْسِ » .

(٢) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الْمَفْضِلِيَّاتِ ٦٠-٦٣ (طَبْعَةُ الْمَعَارِفِ) أَوْلَاهَا :

أَرْحَلْتُ مِنْ سَلْمَى بِغَيْرِ مَتَاعٍ قَبْلَ الْعُطَّاسِ وَرَعْتَهَا بُوْدَاعِ

وَالْمَاقِطُ : الضَّارِبُ ، وَرَوَايَةُ الْمَفْضِلِيَّاتِ :

* تَكْرُوْ بِكَفِّيْ لَاعِبٍ فِي صَاعِ *

معنى: «تَكْرُو» أى كأنها تلاعب بِكُرَّةٍ . والسريعة ، يعنى نَسَاجَةٌ . والجُدَاد: الغزل الضعيف، فأراد أنها تُسرِع الضرب بالحَفِّ^(١) والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبهه يديُّ ناقته في تذرّعها بيدي هذه النساجة .

وقال الأصمى الجُدَاد : هُدْبُ الثوب ؛ فيعنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من

الثوب ، وبلغت إلى هُدْبِهِ ؛ فهى تبادر لتفرغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقُ^(٢) أَيْدِي جَوَارٍ^(٣) يَتَعَاطِينَ الْوَرِقُ

فالقَرِيقُ الخَشِنُ الذى فيه الحصى ؛ وشبهه خَذْفٌ^(٤) مناسبٌ^(٥) له بخَذْفِ جَوَارٍ يلمعن بدراهم، وخصّ الجوارى لأنهن أخفُّ يداً من النساء .

وقال آخرون : القَرِيقُ هاهنا: المستوى من الأرض، الواسع؛ وإنما خصّ بالوصف لأن أيدى ١٠

الإبل إذا أسرع في المستوى فهو أحمَدُ لها ؛ وإذا أبطأت في غيره فهو أحمَدُ لها .

ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فَتَنَاوَلُوا شُعَبَ الرَّحَالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

ذَكَرُوا مَا سَفَرًا هَبُّوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَى رِحْلِهِمْ لَيْسِيرُوا ؛ ويعنى بسود البطن الإبل ؛

والتنمّس: الصائد الذق اتخذ ناموساً، وهو ما يستتر به ليختلّ الصيد، فشبه المطايا في سرعتها ١٥

بقطاً قد صاد الصائد بعضها ، وأقلت بعضها ؛ فهنَّ يَطْرُنَ طيراناً شديداً .

ومثل هذا - وإن كان في صفة الخيل - قولُ النابغة :

(١) الحف : النسج . (٢) البيتان في اللسان (قرق) .

(٣) اللسان : « أيدى نساء » . (٤) الخذف : الرمي بالحصى الصفار .

(٥) م « مناسبها » .

* كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ ذِي الْبَرْدِ * (١)

وأما قول مروان :

... يَهْرُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السامة والجهد ماضى .

[١٩٠] وأحسن من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهدليّ :

ومن سيرها العنقُ المُسَبِّطُ رُ وَالْمَجْرَفِيَّةُ بَعْدَ الْكَلَالِ (٢)

وإنما كان هذا أحسن لأنه صريح بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان : « بعد النحول »

لا يجرى هذا المجرى ؛ لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

* كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَدْ تَرَى * ١٠

فقد أ كثر العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها ؛ وقد أحسن

كثير في قوله :

نَفَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَاءٍ إِقَامَةٍ فَهَنْ رِذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكَ (٣)

وَمَحَمَّتِ الْحَاجَاتِ خُوصًا كَأَنَّهَا - وَقَدْ ضَمَرَتْ - صُفْرُ الْقَسِيِّ الْعَوَائِكَ (٤)

وقال سلم بن عمرو الخاسر (٥) :

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ (٦)

(١) ديوانه : ٢٣ ، صدره :

* وَالخَيْلُ تَمْرَعُ غَرْبًا فِي أَعْنَتِهَا *

(٢) ديوان الهدلين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسبطر : المسترسل .

السهل . والعجريفه : الشديده . (٣) ديوانه : ٢ : ١٣٦ ؛ الرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

والترائك : المتروكة لضعفها . (٤) العوائك : جمع عاتكة ؛ وهي القوس إذا قدمت واحرت .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « قيل إنعاسي عمرو خاسرا لأنه ورث عن أبيه مصحف قرآن ، فاشترى

به عوداً » . (٦) القوس المطيفة : المعطوفة ؛ وهي المنحنية .

قُوْدٌ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمِهِ نَأَى الصَّوَى وَمَنَاهِجٍ أَدْرَاسٍ^(١)
وقال أبو تمام يصف ناقة :

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَحِيمٍ^(٢)
فَمَا بَلَّغَتْ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى رَأَتْ بِلِحَاطِ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَبَدَّ لَهَا الشَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا وَقَدَّ أَدِيمَهَا قَدَّ الْأَدِيمِ
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطَعُ الْفِيَّافِي وَمَزَّقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْعَصِيمِ^(٣)
بَدَتْ كَالْبَدْرِ وَاقِي لَيْلِ سَعْدٍ وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحرى :

وَحَدَّانُ الْقَلَّاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَسْحَارِ^(٤)
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضُّنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
/ كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَلَاتِ، بَلِ الْأَسْمِ مَبْرِيَّةً ، بَلِ الْأَوْتَارِ
[١٩١] و

(١) قود : جمع أفود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوى : جمع صوة ؛ وهى الأعلام فى الطريق .
وفى حاشية الأصل : « ومثله بعينه للمتنبى :

فَتَبَّيْتُ تُسْتَدُّ مُسْتَدًّا فِي نَيْهَا إِسْتَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ

الإستاد : لإسراع السير فى الليل . والنى : الشحم . والمهمة : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء :
مصدر أنضاء ينضيه إذا هزله . قال العكبرى : « والمعنى أن المهمة ينضيه كما تنضيه » .

(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجها ؛ وأولها :

لَمَلَكَ ذَاكِرُ الْبَلَلِ الْقَدِيمِ وَمَوْفٍ بِالْمَهْوِدِ عَلَى الرَّسُومِ
وَوَاصِفُ نَاقَةٍ تَذَرُ الْمَهَارَى مَوْكَلَةً بُوخْدٍ أَوْرَسِيمِ
وَقَدْ أَمَّتْ بَيْتَ اللَّهِ نِضْوًا عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفِ سَعُومِ
أَتَيْتُ الْقَادِسِيَّةَ . . .

(٣) النضح : الرشح . والعصيم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها
أبا جعفر بن حميد . وخذان القلاص : لإسراعها . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهِيَ الْعَيْسُ، دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ (١)
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تُجَاذِبُ قَطْرِي سَرَابًا كَالنَّهْلِ الْمَشْرُوعِ (٢)
وَسُرِّي تَلْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بِياضِ الصَّدِيعِ (٣)
كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنَ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ (٤)



-
- (١) ديوانه ٢ : ٩١؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الواثق .
(٢) المرت : الأرض القفر . (٣) الصديع : الفجر .
(٤) البرى : جمع برة ؛ وهي الحلقة . والنسوع : الحبال .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [س : ٧٥] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفسه اليد ؛ وهو ممن يتعالى عن الجوارح ؟

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ جارياً مجرى قوله : « لما خلقت أنا » ،
وذلك مشهور في لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبتُ يداك ؛ وما جرّت عليك يداك ؛
وإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون : فلان
لا تمشي قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك في الإثبات ، ولا يكون للفعل
رجوع إلى الجوارح في الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال في أن أحدَ احتمالات لفظة اليد
النعمة .

فأما الوجه في ثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى
قال : ما منمك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتي ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من احتمالات اللفظة ؛
يقول القائل : مالي بهذا الأمر يدٌ ولا يدان ، وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعنى : أنني لأقدر
عليه ولا أطيقه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة ؛ بل إثبات كون القادر قادرا ، ونفي

كونه قادراً ، فكأنه تعالى قال : ما منعمك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه ؛ فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة ؛ وكل ذلك واضح في تأويل الآية .

[١٩١] ونعود إلى ما كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله :

أحيا أمير المؤمنين محمد^٥ سنن النبي حرامها وحلالها
ملك تفرغ نبعه من هاشم^١ مد الإله على الأنام ظلها
جبل لأمته تلوذ بر كنه^(١) رادى جبال عدوها فازالها
لم تغشها مما تخاف عظمة^(٢) إلا أجال لها الأمور مجالها
حتى يفرجها أغر مبارك^(٢) ألفى أباه مفرجاً أمثالها
ثبت على زلل الحوادث راكب^{١٠} من صر فهن لكل حال حالها^(٣)
كلتا يديك جعلت فضل نوالها^(٤) للمسلمين ، وفي العدو وبالها
وقعت مواقعها بعفوك أنف^(٤) أذهبت بعد مخافة أوجالها
أمنت غير معاقب طرادها^(٤) وفككت من أسرائها أغلالها
وانصبت نفسك خير نفس دونها^(٥) وجعلت مالك وإقياً أموالها

أما قوله : ١٥

أحيا أمير المؤمنين محمد^٥ سنن النبي حرامها وحلالها

فقد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون في سنن النبي عليه

(١) في حاشيتي الأصل ؛ ف « رادى » فاعل « من المراداة ؛ وهى مرأمة الحجر ؛ أصله من الردى

وهو الحجر الذى يكسر به الحجارة ، يستعمل فى المفاخرة والمناجزة . (٢) م : « مهذب » .

(٣) أى راكب من الصروف لكل حال حالها . (٤) ش : « وللعديو وبالها » .

(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صياله » .

السلام حرام ! وما ذلك بعميبٍ ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛
ومن سننه تحريمُ الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما العميب من هذا قول ابن الرِّقاع العامليّ :

ولقد أراد الله إذْ ولاَّ كَها من أُمَّةٍ إِصْلاحَها وفسادَها^(١)
ومثل قول مروان قولُ سلم الخاسر :

وما وليتَ ذكرتُ النبيَّ بتحليله وبتحريمِهِ
فأما قوله :

* حتى يفرَّجها أغرُّ مباركٌ * . . . البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين ؛ والأصل فيه قول زهير :

وما كانَ منْ خَيْرٍ أتوهُ فإنما توارثهُ آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ^(٢)
وهلْ يُنْبِتُ الخَطِيَّ إِلَّا وشِيجُهُ وتُفْرَسُ إِلَّا في منابِها النَّخْلُ!^(٣)
ومثله قول الآخر :

[١٩٢] / وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ، وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ^(٤)
ومثله للرَّبيع بن أبي الحَقِيق اليهوديّ :
إذَ ماتَ منّا سيِّدٌ قامَ بَعْدَهُ لَهُ خَافٌ يَكْفِي السَّيِّدَةَ بارِعُ

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إصلاحها ورشادها » ، وهي أيضاً رواية المؤلف في المجلس التاسع والأربعين . وفي الحاشية : « عدى قال : « فسادها » ، والأصمعيّ أنشد : « رشادها » ؛ والبيت من قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

وانظر روايتها وتخرج أبياتها في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أي ورثوه كابرا عن كابرا ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الخطيّ : الرماح ؛ منسوبة إلى الخط ؛ وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والشبيح :

القنا الملتف في منبته ، واحدها وشبيجة . (٤) حاشية الأصل : « ومثله للدنبي :

فإن كان سيَّارُ بن مكرمٍ انقضَى فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

منَ أَبْنَائِهِ وَالْعَرِيقُ يَنْصُرُ فَرَعَهُ عَلَى أَصْلِهِ، وَالْعَرِيقُ لِلْعَرِيقِ نَازِعٌ^(١)
ومثله له:

تَرْجُو الْفُلَامَ وَقَدْ أَغْيَاكَ وَالِدُهُ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يَنْبُتُ الْعُودُ
وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكُمَيْت فقال:

تَجْرِي أَصَاغِرُهُمْ تَجْرِي أكَابِرُهُمْ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يَنْبُتُ الشَّجَرُ^٥
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرُّقِيَّات:

يَخْلُفُكَ الْبَيْضُ مِنْ بَنِيكَ كَمَا يَخْلُفُ عُودُ النَّضَارِ فِي شُعْبِهِ^(٢)
ومنه قول نهشل بن حَرَّي:

أَرَى كُلَّ عُوْدٍ نَابِتًا فِي أَرْوَمَةٍ أَبَى نَسَبُ الْعِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا^(٣)
بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لُوَالِدٍ سَوْءٌ يَلْقَاهُ حَيْثُ سَيَّرَا^(٤) ١٠
ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري:

أَلْحَ عَلَى الْأَيَّامِ يَفْرِي خُطُوبَهَا عَلَى مَهَجِ أَلْفَى أَبَاهُ بِهِ قَبْلُ^(٥)
ولبشار:

* عَلَى أَعْرَاقِهَا تَجْرِي الْجِيَادُ *

(١) نازع؛ أي ينزع إليه في الشبه . (٢) النضار: شجر الأثل؛ وقيل: النضار: كل شجرة ناضرة . (٣) ف: « ناميا في أرومة » . (٤) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ١ : ٣٠٠ إلى جميل بن عبد الله بن معمر؛ ضمن أبيات ثلاثة؛ وهي:

أَبُوكَ حَبَابٌ سَارِقُ الضَّيْفِ بُرْدُهُ وَجَدِّي يَاحْجَاجُ فَارِسُ شَمْرَا
بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ لَأَبَاءِ صَدَقَ يَلْقَاهُمْ حَيْثُ سَيَّرَا
فَإِنْ تَفَضَّبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللَّهِ حَظَّكُمْ فَلَلَّهِ إِذْ لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَرَا

وهي في الحماسة - بشرح المرزوقي ٣١٥-٣١٦ من غير نسبة .

ومثله :

وَمَا فِيَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَانْهَاجِهَا
هُمُ الْقَوْمُ فَرَعِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ

وللبحتري:

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
شَرَفٌ تَتَابَعٌ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابْنِ نَجِيبِ

/وله أيضاً :

مَا سَمَوْا يَخْلُفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ

وله أيضاً :

وَمَا تَابِعٌ فِي الْمَجْدِ نَهَجَ عَدُوِّهِ

وفي هذه القصيدة يقول مروان :

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشَمَّرًا عَنْ سَاقِهِ
قُودًا تَرَبِّعُ إِلَى أَعْرَ لَوْجِهِ
قَصْرَتْ سَحَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَّصَتْ
أَجْرَى لِنَائِتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
بِالْحَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَعَالَهَا^(٤)
نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا^(٥)
وَلَقَدْ تَحَقَّقَتْ قَيْنُهَا فَأَطَاهَا
جَيْحَانَ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِعَالَهَا^(٦)

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؛ من قصيدة يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختي .

(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؛ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوابة .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؛ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .

(٤) الدروب ، يريد بها دروب الروم . والمنصت : الماضي في الأمر .

(٥) قود : جمع أقود ، وهو اللؤلؤ من الحيل . وتربيع : ترجع .

(٦) جيحان : اسم نهر . والرعال : جمع رعييل ؛ وهو القطعة من الحيل تنقدم العسكر .

[١٩٢]
ط

١٠

١٥

أُحْمَى بِلَادَ السُّلَمِينَ عَلَيْهِمْ
 وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
 أَدَمْتُ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
 غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالَهَا (١)
 لَمْ تُبْقِ بَعْدَ (٢) مَقَادِهَا وَطِرَادِهَا
 إِلَّا نَحَائِزَهَا وَإِلَّا آلَهَا (٣)
 رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاطِرِيَّ وَرَاشِنِي
 بِيَدِ مُبَارَكَةِ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
 وَحَسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيًّا
 فِي الْمَشَى مُتَرَفٍ شِيمَةً مُخْتَالَهَا (٤)
 وَلَقَدْ حَدَوْتُ لَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى
 نَمَلًا وَرِثَتْ عَنِ النَّبِيِّ مِثَالَهَا (٥)

أما قوله : « قَصَرْتُ سَمَاثِلَهُ » فالأصل فيه قول عنتره :

بَطْلٌ كَانَ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ
 يُحْدَى نِمَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوْعَمٍ (٦)
 أو قول الأعشى :

إِلَى مَا جِدِ كِهْلَالِ السَّمَاءِ
 طَوِيلِ النَّجَادِ ، رَفِيعِ الْعِمَاءِ
 إِزْكِي وَفَاءً وَبِحُدَا وَخَيْرًا (٧)
 دِ ، يَحْمِي الْمُضَافَ ، وَيُعْنِي الْفَقِيرَا (٨)

[١٩٣]
 و
 / ومثله :

طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ عَارِ جَبِينُهُ
 كَنْصَلِ الْيَمَانِي أَخْلَصْتَهُ صِيَا قَلَهُ
 إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ
 نُحُوسًا ، وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهَ عَوَازِلُهُ

(١) الدوابر: جمع دابرة ، وهى الموضع الذى يقع عليه مؤخر السرج . والحقت : ضمرت . والأطال : جمع إطال ؛ وهى الحاصرة . (٢) ش : « لَمْ يُبْقِ بَعْدُ » .

(٣) نحائزها : طباعها . وآلها : يريد شخصها . (٤) المترف : المبقى فى الملك والنعمة .

(٥) حاشية الأصل : « يعنى أنه اقتدى عن النبى عليه السلام فى أفعاله حذو النمل بالنمل » .

(٦) المعلقة — بشرح التبريزى : ١٩٩ ؛ أى هو بطل . والسرحة : الشجرة الكبيرة الطويلة ؛ يستظل بها . ونمال السبت : المدبوغة بالقرظ ، وكانت الملوك تلبسها وليس بتوعم : لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا . (٧) ديوانه : ٧٠ . والرواية فيه : « لى ملك » .

(٨) رواية الديوان : « ويعطى الفقيرا » . والمضاف : الملجأ ، من قولهم : أضاف ظهره لى الحائط

أى استند إليها .

ومثله قول طريح بن إسماعيل الثقفي :

يقولُ نجادَ السَّيفِ وهو طويلٌ^(١)

وأشعثَ طَلاعِ الثنايا مبارِكِ

ولأبي جويرية العبدى :

بأعلى سنامي فالحج يتطوحُ

عُدُّ نجادِ السَّيفِ حتَّى كأنَّهُ

هلالاً بدأ في جانبِ الأفقِ يلمحُ

إذا اهتزَّ في البردِ اليماني خيلتهُ

ولأبي عطاء السندي :

حمائلهُ وإن طالت قصارُ

وأزهر من بني عمرو بن عمرو

ولبعضهم في آل المهلب :

وأمنعهم إذا عُدُّوا ذماراً^(١)

رأيتكم أعزَّ الناسِ جاراً

نراها عن شمائلكم قصاراً

شمائلكم وإن كانت طوالاً

ولبعض بني العنبر في معنى الطول :

عمامته بين الرجالِ لواء^(٢)

فجاءت به عبلَ العظامِ كأنما

ولآخر:

تناطُ إلى جذعِ طويلِ حمائلهُ^(٤)

أشمُ طويلُ الساعدينِ كأنما

ولابن هرمة:

يعاتق ، لا ألف ولا ضئيلِ

تناطُ حمائلُ الهندي منه

على ماضٍ بقائه نيلِ

ولكن تستقلُّ به قواه

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بطول » .

(٢) الدمار : الذمة والمهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة في الحماسة - بشرح المرزوقي ٢٦٩-٢٧٠ ،

والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « طول الساعدين » .

ولسلم الخاسر :
يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ قَائِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ
وللخشمي :

يُوزِي الرُّدَيْنِيَّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الحُسَامِ

وللوالبي :

[١٩٣]
ظ

طَوْلُهُ وَطَوْلُ قَرِي كَفَّهُ
يَهْلُ بِالطَّوْلِ انْهَالُ النِّمَامِ
وَطَوْلُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الوَغَى
وغيره فَضْلَ نِجَادِ الحُسَامِ

فأما قوله :

ولقد حَدَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى
نِعْلًا وَرِثَةً عَنِ النَّبِيِّ مِثْلَها

فقد رَدَّدَ مروانُ معناه في مواضع من شعره فقال :

شَبِيهُ أَبِيهِ مَنْظَرًا وَخَلِيقَةً
كَمَا حُدَيْتَ يَوْمًا عَلَى أُخْتِها النَّعْلُ

وقال في موضع آخر :

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ سَمِيَةً (١)
قَدَّ الشَّرَاكِ بِهِ قَرَنْتَ شِرَاكًا (٢)

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ ، سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ
قِيَّاسَ الشَّرَاكِ بِالشَّرَاكِ تُقَابِلُهُ

وقال أيضا :

تَشَابَهْتُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَائِلًا
تَنَازَعْتُمَا نَفْسَيْنِ ؛ هَدَيْ كَهْدِهِ
كَمَا قَاسَ نِعْلًا حَضْرَمِيٌّ فَقَدَّها
وَحَزْمًا إِذَا أُمِرَ أَقَامَ وَأَقَمَدًا
عَلَى أَصْلِ عِرْقٍ كَانَ أَفْخَرَ مُتَلَدًا
عَلَى أُخْتِها لَمْ يَأُلْ أَنْ يَتَجَوَّدَا

(١) م : محمد . (٢) حاشية ف : « قد الشراك : مصدر في موضع الحال ، أى قادا » .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :
تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ قَاتِفَقَا خَلَقَا وَخُلُقَا كَمَا قَدَّ الشَّرَاكَانِ (١)

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة :
فَلَمَا تَوَافَقْنَا عَرَفْتُ الَّذِي يَبْهَى كَمِثْلِ الَّذِي بَى، حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ (٢)

ومثله للسَّيد بن محمد الحميري رحمه الله تعالى :

يَتَلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفَعَلَهُ فَالْنَّعْلُ تُشْبِهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا (٣)

وقد تقدّم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيّار العجليّ بقوله في يوم ذي قار،

يحرص قومه على القتال :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ (٤) وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

/ أَنَا بِنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ (٥) مِثْلُ الشَّرَاكِ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

* وَكَلَّهْمُ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله :

* وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيَا * . . . البيت

ففي معناه قول البحترى :

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي الْمُسِيءِ فَأَعْتَبَا (٦)
وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتَ أُخِي عَلَى فَاؤْمَسَى نَازِحَ الْوُدِّ أَجْنِبَا

ومما يختار لمروان قوله :

(١) حاشية الأصل : « أى ينزعان في الشبه ، كل منهما إلى صاحبه في الشبه ، ويجوز أن يكون

تنازع ، من النزاع الذى هو السلب » . (٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) طراق النعل : ما أطبقت عليه فخرزت به . (٤) الأبيات في تاريخ الطبرى ٢ : ١٥٤ .

وفي حاشية الأصل : من نسخة «منكم» . (٥) شكيمه : طبعه وعادته . (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مَوْفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
تَسْمُو الْعِيُونَ إِلَيْهِ كَمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ
لَهُ خَلَائِقٌ بِيضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقد^(١) الشعر يقول: ليس في شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت
٥ الأخير من الثلاثة الأبيات. وكان ابن منذر^(٢) إياه أراد بقوله، وقد سأل وهو مجاور بمكة:
عمن يبغذاذ من الشعراء؟ ف قيل له: العباس بن الأحنف؛ فقال: أنشدوني له، فأنشدوه:
لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْتَ عِبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكَ، وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبٍ^(٣)
لَكِنْ مَلَيْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً، صَدُّ الْمَلُولِ خِلافُ صَدِّ الْعَاتِبِ^(٤)
فقال ابن منذر: أَخْلِقُ بِنِ أَدَامَ بِحَثِّ التَّرَابِ أَنْ يَصِيبَ خِرَزَةَ.

١٠ قال سيدنا آدم الله تمكينه: ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان؛ ولكن ليس إلى
هذا الحد؛ وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا، قال طرّيح بن إسماعيل:
جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِئًا كِفَاكَ السُّؤَالَ وَإِنْ عُذَّتْ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسَيْبِكَ النَّضَا رِلا يَعْْمَلُ الدَّهْرُ فِيهَا فَسَادَا
ومثله قول الحرّيمي:

[١٩٤] /رَأَيْتَكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخَطْوِ بِ بَدَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النَّعْمِ
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَدْنِيُّ يُجَوِّدُ هَذَا وَذَلِكَ الْقَدَمُ

وفي قوله: «الذهب المدني» فائدة؛ لأنه إذا خلص الذهب وصفا لم يفسد؛ وإذا امتزج

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ينقد » . (٢) حاشية الأصل : « ابن منذر ، بضم الميم ، ومنهم من يفتح الميم ، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم اللندر ، وليس هذا بشيء . وقيل له : يابن منذر ، فقال : منذر الصغرى أم الكبرى ؟ وهما ناحيتان بالأهواز ، بل أنا ابن منذر ، بضم الميم » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٢٢ . (٤) رواية الديوان : « لكن مللت » .

بغيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموي^(١) :

يَأْوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصِدِّهِ طَبَعٌ
كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم:

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعَلَا
كَسَبِيكَةِ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ^(٢)

وقد أخذ الخبز أُرزيّ هذا المعنى في قوله :

فَلَا تُعَنَّ لِتَحْدِيفِ تَكْلَفِهِ
لِصُورَةِ حُسْنِهَا الْأَصْلَى تَكْفِيهَا
إِنَّ الدَّنَائِرَ لَا تُجَلَّى وَإِنْ عُنُقَتْ
وَلَا تَزَادُ عَلَى النَّقْشِ الَّذِي فِيهَا

ولحظة مثله :

١٠ صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى
وَلَوْ نَقَدَتْ خَلَاتِقُهُ
أَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
صَدَاقَةٌ مِثْلَهُ حَسَبُ
لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : «الأسدي» (٢) لانكاف : لانصدأ ؛ من الكلف ؛ وهو

لون يخالف لون الوجه .

مجلس آخر

تاويل آية

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾؛ [الإسراء: ٤٧].
فقال: لم وحد ﴿نجوى﴾ وهو خبر عن جمع؟ وما معنى ﴿مسحوراً﴾ وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، بل عاداتهم جارية بقرآنه بأنه ساحر؟

الجواب، قلنا: أما قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ فإن «نجوى» مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، وهو مقرر على لفظه. وبجري ذلك تجرى [١٩٥] / قولهم: الرجال صوم، والمنازل تحمد، يعني بصوم صائمون، وبحمد محمودون.
وقد قال قوم: إن معناه: وإذ هم أصحاب نجوى، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه،
١٠ ويقال: القوم نجى والقوم أنجى، فن وحد بنى على مذهب المصدر، ومن جمع جعله منقولاً عن المصادر، ملحقاً برغيف وأرغفة، وما أشبه ذلك.
وقد قال الشاعر (١):

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَدَاءِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ (٢)

(١) ف: « وقال الشاعر في التوحيد »؛ وهو سواد بن قارب السدوسي؛ صحابي ذكره ابن حجر في الإصابة ٣: ١٤٨-١٤٩. (٢) من أبيات أنشدها عند الرسول عليه السلام، ذكرت مع خبر له في مقدمة جبهة الأشعار ٢٤-٢٦. والرواية هناك:

وأنشد الفراء في الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أَنْجِيَّةٌ يُعَدَى إِلَيْهَا كَمَا يُعَدَى عَلَى الْغَنَمِ (١)

فأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلاً متغير العقل؛ لأن الشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله، وتضعيف أمره وتوهين رأيه، وكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر، وفي آخر يرمونه بالجنون، وأنه مسحور مُغَيِّرُ الْعَقْلِ (٢)، وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا من يُضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المملَل؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة،

١٠

قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحِمْ غَيْبٍ وَنُسَجْرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (٣)

وقال أمية بن أبي الصلت:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَجَّرِ (٤)

(١) البيت في اللسان (نج)، ونسبه لسحيم، ولم يذكر في ديوانه. وفي ف، وحاشية الأصل

(من نسخة): «يعدى عليها». (٢) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «متغير العقل».

(٣) ديوانه: ١٣٢. موضعين: مسرعين، والإبضاع: نوع من السير. والحم: الإيجاب؛ وبعده:

عصافير وذبان ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب

فبعض اللوم عاذلتني فإني ستكفيني التجارب وانتسابي

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

(٤) البيت في اللسان (سحر)، ونسبه إلى لبيد؛ وهو أيضا في ديوانه: ١٨١

وثالثها أن السِّحْرَ في لغة العرب الرِّثَّة وما تعلق بها ، فيها ثلاث لغات: سِحْرٌ وسِحْرٌ وسُحْرٌ ، وقيل السِّحْرُ مالصق بالحقنوم والمرى من أعلى الجوف؛ وقيل إنه الكبد؛ فكأنَّ المعنى على هذا : إن تَبْعُونَ إلا رجلا ذا سِحْرٍ ؛ خلقه الله بَشْرًا كَخَلَقِكُمْ .

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر ، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل؛ قال الله [١٩٥] تعالى : ﴿ وَإِذَا قرَأَتِ القرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ ؛ [الإسراء : ٤٥] ، أى ساترا ، والعرب تقول للمعسر : مُنْفَج ، ومعناه مُنْفِج ؛ لأن ماضيه أَلْفَجَ^(١) ، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ؛ ومن ذلك قولهم : فلان مشثوم على فلان وميمون ؛ وهم يريدون شأم له ويامن ؛ لأنه من شأمهم^(٢) ويمَنهم .

ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول : العربُ لا تعرف «فلان مشثوم على فلان» ؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار ؛ وإنما تسمى العرب من لحقه الشؤمُ مشثوماً ؛ قال عاقمة بن عبدة :

ومن تعرَّض للغربان يزجرها
على سلامته لا بدَّ مشثوم^(٣)
والوجه الثلاثة الأول أوضح وأشبهه .

ومما يختار لروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني ، أولها :

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعاً وإن كان من عهد الصبا قد تمتعاً^(٤) ١٥

يقول فيها :

ولمَّا سرى الهمُّ الغريبُ قرَّيتهُ قرى من أزال الشكَّ عنه وأزَمعاً

(١) حاشية الأصل : « يقال : أَلْفَجَ ؛ فهو ملنج ، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب ، وأحصن فهو محصن . » (٢) شأمهم : أصابهم بشؤم . (٣) ديوانه : ١٣١ ، الفضليات : ١٢٠ (طبعة المعارف) .
(٤) الأوانس : جمع آنسة ؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس .

عَزَمْتُ فَعَجَّتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ
فَأَمَّتْ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَّرَتْ لَنَا
كَسُونًا رِحَالِ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا
فَمَا بَلَّغْتُ صَنَمَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ
وَمَا الْغَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ
يقول فيها:

تَدَارَكَ مَعْنٌ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ
مُقَامَ امْرِئٍ يُأْتِي سِوَى الْخَطَّةِ الَّتِي
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْذِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا
/ وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاخَتَانِ : الْحَتْفُ وَالْغَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنٌ فَاصْبَحُوا
تَجِيبُ مَنْاجِيْبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّانَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ

كَدِي لُوثَةٌ لَا يُطْلَعُ الْهَمَّ مَطْلَعًا
إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَيْثُمَا كَانَ نَزْعًا^(١)
أَبْتُ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تُوزَعَا
تَدَارَكَ فِيهَا النَّثِيُّ صَيْفًا وَمَرَبَعًا^(٢)
ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَعًا^(٣)
عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَمَا

خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تُنَزَعَا
تَسَاقَى سِمَامًا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَمَا
تَكُونُ لَدَى غِبِّ الْأَحَادِيثِ أَرْفَعَا
عَلَيْكَ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعَا
لَدَى غِيْلِهِ مِنْهُمْ بَجْرًا وَمَصْرَعَا^(٤)
لَدَى نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعَا
أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَضُرَّأَ وَتَنْفَعَا
وَأَمْنَعَهُمْ لَا يَدْفَعُ الدَّلَّ مَدْفَعَا
ذُرَا الْمَجِيدِ مِنْ فَرَعِي نِزَارٍ تَفَرَّعَا
وَمَا كَمَلْتُ خَمْسَ سِنُوهُ وَأَرْبَعَا^(٥)

[١٩٦]

و

١٥

(١) نزعا ، أى مشتافين . (٢) الميس : خشبة الرجل ، والغوارب : أعلى السنام . والنثي : الشحم .

(٣) ذراها : جمع ذروة ؛ وهى الأعلى ؛ ويعنى هنا الأسنمة .

(٤) المخدر : الأسد فى خدره وهو غيله ؛ ويعنى بالمخدر الأجمة . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف :

ومثله لآخر :

لَنْ فَرِحْتُ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحْتُ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

لقد أصبحت في كلِّ شرقٍ ومغربٍ
وطِئتَ خُدُودَ الحَضْرَمِيِّينَ وطَاةً
بِسَيْفِكَ أَعْنَاقُ الرُّبَيْينَ خُضْمًا
فَأَقْعَمُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَعْشَرٍ
لَهَا هُدًى رُكْنَا عِزَّهُمْ (١) فَتَضَعَمْنَا
بِرَوْنٍ لَزُومِ السَّلْمِ أَبْقَى وَأَوْدَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا
لَكَنَّمُوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِصْبَعَا

٥ أَمَاقوله:

فَمَا بَلَّغْتَ صَنَمَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ
ذُرَاهَا، فزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا فَأَقْلَعَا
فَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ:

فَمَا بَلَّغْتَ حَتَّى سَحَّهَا كَلَّهَا
وَهِذَا الْمَعْنَى (٢) كَثِيرٌ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْمَحْدَثِ (٢)، فَهِنَّ قَوْلُ جَرِيرٍ:

١٠ إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودٌ (٣)

وَرَوَى أَنَّهُ قِيلَ لِنُصَيْبٍ: لَكَ بَيْتٌ نَازَعَكَ فِيهِ جَرِيرٌ؛ أَيُّكُمَا فِيهِ أَشْعَرُ؟ فَقَالَ: مَا هُوَ؟
فَقِيلَ قَوْلُكَ:

أَضْرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَتْهَا
بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدْعُهَا سُلَالُهَا (٤)
وَأَنشَدَ بَيْتَ جَرِيرِ الَّذِي تَقَدَّمَ، فَقَالَ: قَاتِلَ اللَّهِ ابْنَ الْخَطَفِيِّ! فَقِيلَ لَهُ: قَدْ فَضَلْتَهُ
١٥ عَلَيْكَ، فَقَالَ: هُوَ ذَاكَ.

وَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُؤْمَلُ بْنُ أُمَيْلٍ الْحَارَبِيُّ فَقَالَ:
كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مِنْزِلًا
فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودَا

وَلَأَبِي نَخِيلَةَ:

[١٩٦] / قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ تُقَيِّدْ / فَهِيَ سَوَامٍ كَالْقِنَا الْمُسْنَدِ
ظ

(١) حاشية ف (من نسخة): « عزمهم » . (٢-٢) من نسخة مجاشيتي الأصل ، ف :
« كثير في شعر القدماء والمحدثين » . (٣) ديوانه : ١٤٨ . (٤) السلال : السل .

ومآلها مُعَلَّلٌ^(١) من مِرْوَدٍ^(٢) ومنها^(٣) ولا من شاحِطٍ مُسْتَبَعِدٍ

ومعنى قوله : « سَوَامٍ » أى هى رافعة رءوسها ، وشبهها بالقنا ، لأن القنا إذا ركز

مال قليلا مع الريح^(٤) ، فيقول : فى أعناقها ميل من الضعف ، كما قال الشاعر :

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجِهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ^(٥)

وكما قال حميد بن ثور الهلالي :

بِمَثْوَى حَرَامٍ وَالْمَطَى كَأَنَّهُ قِنَّا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهْنًا خَرِيْقٌ^(٥)

(١) ش « معلل » ، بكسر اللام المشددة . وهو على هذا كناية عن الملف الذى تجتره من جوفها .

(٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منها ، متعلق بالمرود ؛ أى من مزود منها ، أى من نفسها ، يعنى

كرشها » . (٣) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « من الرخ » .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « وهذا البيت آخر زائتته ؛ وقبله :

فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْحِقْفِ حِقْفٌ تَبَالَغَ لَهُ مَرَكْدٌ فِى مَسْتَوَى الْجِبْلِ بَارِزٌ

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسُّتَارِ كَأَنَّهَا . . .

يصف حميرا وصائدا ، والحقف : ما اعوج من الرمل ، والمركد : المقام والجبل : المعتد من الرمل .

وقوله : « تَفَالَى » أى تدخل رءوسها بعضها فى بعض . والستار : موضع ؛ وشبهها فى دقتها وطولها

بالرماح ونحاهما : جعلها فى ناحية الريح ؛ وشبهها منحرفة إلى ناحية الريح تستنشى ؛ فإن حملت الريح ربح الصائدا إليها

تركت ذلك المورد وأنت غيره ؛ ولا تقدمت بالرماح والفصيدة فى ديوانه : ٤٣-٥٣ ؛ ورواية البيهقي فيه :

وَأَصْبَحَ فَوْقَ اللَّشْرِ نَشْرٌ حَمَامَةٌ لَهُ مَرَكْضٌ فِى مَسْتَوَى الْأَرْضِ بَارِزٌ

وَوَلَّتْ تَفَالَى بِالْيَفَاعِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجِهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ

(٥) ديوانه : ٣٤ ، من قصيدة طويلة ؛ أولها :

نَأَتْ أُمَّ عَمْرٍو فَالْفَوَادُ مَشُوقٌ يَحِينُ إِلَيْهَا وَالْمَاءُ وَيَتُوقُ

وهو أيضا فى الكامل - بشرح المرصفي ٦ : ١٩٣ ، واللسان (خرق) ، وفى حاشيتى الأصل ، ف :

نسخة س : « مَثْوَى حَرَامٍ : مَنِ » ، وقبل هذا البيت :

فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا فِى الزِّيَارَةِ أَتَقَى وَذُو اللَّبِّ بِالنَّقْوَى هُنَاكَ حَقِيقٌ

وهذا البيت لم يرد فى ديوانه ؛ والذى ورد قبل البيت المذكور :

أَلَا طَرَقَتْ صَحْبِي عَمِيرَةٌ إِنَّهَا لَنَا بِالْمَرُورَةِ الْمُطِيلِ طَرُوقٌ

والمروراة هنا : الأرض أو المغازاة لاشئ فيها .

فالحريق ریحٌ شديدة تنحرق من كل جهة .

ومعنى قول أبي نخيلة : « من مزود » أى من ثملة^(١) تجترها، من الاجترار، وأراد أنه لاشيء في أجوافها تتمل^(٢) به . والمستبعد : ما بُعد من المرعى .

وأنشد أبو العباس ثعلب :

إذا بلغوا المنازل لم تُقيدَ ركايبهم ولم تُشدّدِ بعقلِ
فهنَّ مُمَيّداتٌ مُطلقاتٌ نقضمُ ما تُشدر في المحلِّ^(٣)

والأصل في هذا قول امرئ القيس :

مطوتٌ بهم حتى تكيل مطيئهم وحتى الجياد ما يُقدن بأرسان^(٤)

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوى :

فتمسى لا أقيدّها بجبلٍ بها طولُ الضراوة والكلالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بدأنا بها من سيف رملٍ كهيلةٍ وفيها نشاطٌ من مراحٍ وعجرف^(٥)

(١) الثملة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتتمل به » . (٣) تشدر : تفرق ؛ وفي د ، ف :

« تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مدت بهم في السير ، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفي حاشيتى الأصل ، ف : « قبله :

وَجُرِّ كغَلانِ الأنيعمِ بالغِ ديارِ المدوِّ ذى زهاءِ وأركانِ

المجر: الجيش الكبير الثقيل . والغلان : الأودية ؛ واحدها غال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوذهاء ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه : ٢ : ٥٥١-٥٥٨ ؛ من نقائض المشهورة ، وأولها :

عزفت بأعشاشٍ وما كدت تعزفُ وأنكرت من حدراء ما كنت تعرفُ

وأصل السيف شاطىء البحر ، وكهيلة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفي حاشيتى الأصل ، ف :

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطْوُهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَامِيمُ رُعْفٌ (١)
 وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغُودِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامِعُ ذُرْفٌ (٢)
 / وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ يُسْوِقُهَا لَهَا بِخَصِّ دَامٍ وَدَائِيٌّ مُجْلَفٌ [١٩٧]
 - البِخَصُّ: لحم الخِمْفِ الذي تَطَأُ عليه . والدَّائِيٌّ: فقار الظهر . والمِجْلَفُ: المُقَشُّورُ -
 وَحَتَّى بَمَثْنَاهَا وَمَا فِي يَدِ لَهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهِيَ رُسْفٌ
 - الرُّمَّةُ: الحبل ؛ وأراد أنها ترسُفُ كما يرسُفُ المقيد ، وإن لم يكن في يدها قيد -
 إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلْتُ عَنْ ظُهورِهَا حَرَاجِيحُ أُمَّمَالُ الْأَهْلَةِ شُسْفٌ
 - الحَرَاجِيحُ: الطَّوَالُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالشُّسْفُ: اليابسة من الجهد والكَلال . ومعنى
 قَتَلْنَا لِلْغَرَبَانِ أَنَهَا إِذَا عَرَّيْتَ ظُهورِهَا تَقَعُ الْغَرَبَانُ عَلَيْهَا لَتَأْكُلَ دَبْرَهَا ؛ فَالْإِبِلُ تُدَافِعُ
 الْغَرَبَانَ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظُهورِهَا وَذَلِكَ قَتَالُهَا -

= إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بِنَا هُمُومُ الْمِي وَالهُوجَلُ الْمُتَعَسِّفُ
 وَعَضُّ زَمَانٍ يَابِنِ مَرَوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْجِحَتَا أَوْ مَجْرَفُ
 وَمَائِرَةَ الْأَعْضَادِ صُهْبٌ كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الْإَيْنِ الْجِسَادُ الْمُدَوَّفُ
 ... بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ

- الهوجل: البطن الواسع في الأرس . المتعسف: الطريق المسلوك من غير علم . ويروي: « إلامسحت » ،
 بالرفع ؛ ومعنى: لم يدع ، من الدعى ؛ أي « لم يدع » مع هذا الزمان لإلامسحت مستأصل . قال سويده:

أَرَقَّ الْعَيْنَ خَيْالٌ لَمْ يَدَعْ مِنْ سُلَيْمِي فَفُؤَادِي مُنْتَزِعٌ

والمجرف: الذي أخذ ما دون الجميع ؛ وقال ثعلب: « مسجتا » نصب بوقوع الفعل عليه ، وقد وليه
 الفعل ، ولم يل الفعل « مجرف » فاستؤنف به فرفع ، قال: التقدير: « هو مجرف » . ومائرة الأعضاء:
 التي تمور بيدها دون رجليها ، وذلك مما يستجب في الإبل . والجساد: العرق ؛ وهو ما اصفر ، يضرب إلى
 الحمرة .

(١) باءت: هلكت أسنمتها والناسم: أظفار الإبل . ورعف: دامية من الخفاء .

(٢) نسخة الشجري: « قتلنا جهلها ؛ وهو مرحها ونشاطها بالكلال » . ويروي: « وغورت ،

من التغوير ، وهو نزول الغائرة ؛ والغائرة نصف النهار » .

إذا ما أَرَيْنَاهَا الأَزِمَّةَ أَقْبَلَتْ إِلَيْنَا بِحِرَاتِ الخُدُودِ تَصَدَّفُ
فَأَفْنَى مِرَاحِ الدَّاعِرِيَّةِ^(١) خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذْ نَامَ الدَّثُورُ المُلَفَّفُ^(٢)

ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول الشاعر:

وَذَاتِ مَاءٍ يُنِ قَدْ غَيَّضَتْ مُجَمَّتَهَا بِحَيْثُ تُسْتَمْسِكُ الأَرْوَاحُ بِالحَجَرِ
رَدَّتْ عَوَارِي غِيْطَانِ الفَلَا وَنَجَّتْ بِمَثَلِ إِيْبَالَةٍ مِنْ حَائِلِ العُشْرِ^(٣)

قوله: «ذات مائين» يعنى سيمناً على سمن؛ وقيل: بل عنى أنها رعت كلاً عامين.
وقوله «قد غيَّضتُ مُجَمَّتَهَا» يعنى أنه أتعبها بالسير حتى ردها هزيبلاً بعد سمن؛ فكأنه
غيض بذلك ماءها.

١٠ ومعنى:

* بحيث تستمسك الأرواح بالحجر *

يعنى الفلاة؛ حيث لا يكون فيها الماء، فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى
يقال له المقلّة^(٣) فتمسك أرواقهم.

وقوله:

* ردت عوارى غيطانِ الفلا ونجت * ١٥

أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمنت عنه كان كمارية عندها، فردته حيث جهدها
السير وأهزلها^(٤). والإيبالة: الحزومة من الحطب اليابس.

(١) الداعرية: لابل منسوبة إلى فحل يقال له: داعر، معروفة بالنجاة والكرم. وخوضها: سيرها
بالليل. والدثور: الرجل الثقيل البدن، الذى لا يبرح مكانه. الملفف، أى فى ثيابه.
(٢) العشر: شجر له صمغ، وفى حاشيتى الأصل، ف: «بى بجائل العشر ما ييس من هذا
الشجر، وأصل الحائل فى الإبل إذا لم تحمل».

(٣) المقلّة، بالفتح: حصاة القسم؛ توضع فى الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم؛ وذلك عند

قلّة الماء فى المفاوز. (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل، ف: «هزلها».

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعْتُهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا، وَمَاءُ الْمُزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَهُ (١)

فَكَمْ جَزَعٌ وَإِدْجَبٌ ذِرْوَةٌ غَارِبٌ وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَمَكَّتَهُ مُدَانِبُهُ (٢)

فَأَمَّا قَوْلُهُ / :

[١٩٧
ط

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بِقِيَّةٍ عَلَيْكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا

فَمَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ (٣) :

فَمَا بُقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ (٤)

وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ أَتَنُّوْا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّظُوكَ وَلَا عَظَّمُوا

لَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْمَعَنَا إِلَى أَنْ يَمِيبُوكَ مَا أَحْجَمُوا

فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِئِهِمْ إِلَى أَنْ يُجِلُّوْا وَأَنْ يُعْظَمُوا

١٠

(١) ديوانه : ٤٤ ؛ من قصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر ؛ وأولها :

أَهْنَى عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَمَرْمًا فَقَدَمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ

وفي الديوان : « وماء الروض ينهل ساكبه » . وبعده :

فَأَضْحَى الْفَلَاقُ دَجْدَجًا فِي بَرِي نَحْضُهُ وَكَانَ زَمَانًا قَبْلَ ذَلِكَ يَلَاعِبُهُ

النحوض : اللحم المكتنز .

(٢) جب : قطع . أمكته : أسمنته المذائب : مجارى الماء . ورواية الديوان :

* وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أَمَكَّتَهُ مُدَانِبُهُ *

(٣) هو اللعين المقرى ؛ وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبِ بَنِي كَلَيْبٍ وَبَيْنَ الْقَيْنِ قَيْنِ بَنِي عَقَالٍ

بَانَ الْكَلْبَ مَرْتَمَهُ وَخَيْمٌ وَأَنَّ الْقَيْنَ يَمْعَلُ فِي سَفَالٍ

فلم يجبه أحد منهما ؛ فقال :

فَمَا بَقِيََا عَلَى تَرَكَتُمَانِي ، وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ

(٤) البقيا : الرحمة والشفقة . وصرد السمهم : نفذ أو نسل ؛ وهو من الأضداد ؛ والمعنى على الأول :

أنكما خفتما أن تنفذ سهمي فيكما ، أي هجائي ، وعلى الثاني : أنكما خفتما ألا تنفذ سهامكما ، فعجزت عما عن الرد على .

ومثله وقريب منه :

أما لو رأى فيك المدؤ نقيصةً نلَبَّ بِتَضَرِّيفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَعَا
ولكنه لما رآك مبرأً من العيبِ غطَّى رأسه وتقبَّعَا

ومثله :

قد طلب العاذلُ عيباً فما أصابَ عيباً فانثنى عاذراً

وللبحتري في معنى قول مروان :

* فما أحجم الأعداءُ عنك بقيةً *^(١)

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد :

غداة لقيت الليثَ والليثُ خادِرٌ يُحدِّدُ ناباً للقَاءِ ومُخْلِياً^(١)
شهدتُ ، لقد أنصفتُهُ يومَ تنبري له مُصْلِتَا عَضْبًا من البيضِ مَقْضِبَا^(٢)
فلم أرَ ضِرْغامينِ أصدقَ منكُما عِرا كما إذا الهيمَا بهُ النَّكْسُ كَذْبَا^(٣)
هزبرُ مشى يبغى هزبراً ، وأغلبُ من القومِ يغشى بأسِلَ الوجهِ أغلبَا^(٤)
أدلَّ بشغبٍ ثمَّ هالتهُ صولةُ رآكَ لها أمضى جناناً وأشغبَا
فأحجمَ لما لم يجدُ فيكَ مطمَماً وأقدَمَ لما لم يجدُ عنكَ مهراً^(٥)
فلم يغنيه أن كرتَ نحوكَ مُقبِلاً ، ولم يُنْجِه أن حادَ عنكَ مُكبِلاً
حملتَ عليه السيفَ لا عزمك أنثني ، ولا يدُكَ ارتدَّتْ ، ولا حدُّه نبأ
/ وكنتَ متى تجمَعُ يمينيك^(٥) مهتِكاً أو لا تُبقِ للسيفِ مضرباً

١٠

١٥

[١٩٨]

ومن صافي كلام مروان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج

قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعصب : السيف القاطم .

والفضيب : القطع أيضاً . (٣) أي كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « نكبا » .

(٤) الأغاب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٥) جمل كلتايديه يميناً .

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم
أُسودُّ لها في غيلٍ خفانٍ أُسبِلُ^(١)
هُمُ يَمْنَعُونَ الجارَ حتى كأنما
لِجارِهِمُ بينَ السَّمَا كَيْنَ مَنزِلُ
لها ميمٌ في الإسلامِ سادوا ولم يكن
كأولِّهِمُ في الجاهليَّةِ أوَّلُ
هُمُ القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا
أجابوا، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وما يَسْتَطِيعُ الفاعِلُونَ فِعَالَهُمْ
وإن أحسنوا في النَّائِبَاتِ وأجمَلُوا
ثَلَاثُ بِأَمْثالِ الجِبَالِ حُبَاهُمْ
وأحلامُهُمُ مِنها لَدَى الوِزَنِ أَثَقَلُ

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا :

ما من عدوٍّ يرى معنًا بساحتِهِ
إلاَّ يَظُنُّ المَنايَا تَسْبِقُ القَدَرَا
يُلفى إذا الخيلُ لم تُقدِّمِ فوارِسُها
كلايِثُ يزدادُ إقداما إذا زُجِرا
أغرَّ يُحسَبُ يومَ الرِّوعِ ذا لَبِدِ
ورداً ويحسبُ فوقَ المَنبَرِ القَمَرا^(٢)

وله من قصيدة يصف يوماً حارًّا :

ويومٍ عَسولِ الآلِ حامٍ كأنما
لَظى شَمْسِهِ مَشْبُوبُ نارٍ تَلَهَّبُ^(٣)
نَصَبْنَا لَهُ مَنَّا الوُجُوهَ وَكَثِها
عَصائِبُ أسْمالٍ بها تَتعَصَّبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى :

ويومٍ من الشُّعْرَى يَدُوبُ لِعابُهُ
أُفَاعِيهِ في رَمَضاءِهِ تَتَمَلَّمُ^(٤)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنَّ دُونَهُ
— ولا سِترَ — إلاَّ الأَنحَمَى^(٥) المَرعِبَلُ

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ - ١١٠ ، وأبيات منها في باب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) لبد : جمع لبدة ؛ وهو ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد فتلبد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله في الذئب والتعلب . وحام : حار . (٤) لامية العرب - بشرح الرخمى :

١٢٨ - ١٢٩ . الشعرى : من الكواكب الفيزية . (٥) الأنحمة : نوع من البرود . والمرعبل :

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ، ويذكر نخلها وشجرها
أجاد فيها :

نواضِرَ غُلْبًا قَد تَدَانَتْ رِءُوسُهَا من النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا^(١)
تَرَى البَاسِقَاتِ العُمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا ظَمَائِنُ مَضْرُوبٍ عَلَيْهَا قِبَابُهَا
/ تَرَى بِأَبْهَاسِهِ لِكُلِّ مُدْفَعٍ إِذَا أَيْتَمَتْ نَخْلٌ فَأَغْلِقَ بِأَبْهَاسِهَا^(٢)
يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ ثَمَارِهَا رَبِيعًا إِذَا الآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا
حَظَائِرُ لَمْ يُخَلِّطْ بِأَمَانِيهَا الرَّبَا وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مِدْحَةٍ جَزِيلٍ مِنَ المُسْتَخْلِفِينَ ثَوَابُهَا
وَمَنْ رَكُضِنَا بِالْحَلِيلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ المُشْرِكِينَ نَهَابُهَا^(٣)
حَوَتْ غُنْمَهَا آبَاؤُنَا وَجُدُودُنَا بِصُمِّ العَوَالِيِ وَالدِّمَاءِ خِضَابُهَا

[١٩٨] ط

أما قوله :

حَظَائِرُ لَمْ يُخَلِّطْ بِأَمَانِيهَا الرَّبَا وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ المَعْتَزِ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ :
لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا وَلَا ذَعَرَتْهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَابِحُ^(٤)
وفي ضد هذا قول أبي تمام :

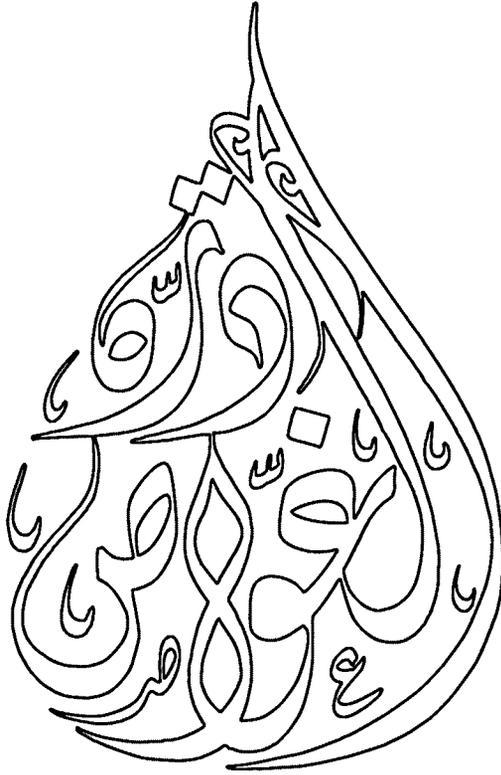
(١) ف : « نواضر عليا » .
فإن نخل هذه الروضة لا يلقق بابه .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « للنخل » . (٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

* لَنَا وَفَرَّةٌ مَا وَفَّرَتْهَا دِمَاؤُنَا *

وفي نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم تأخذ عوضاً عن دماننا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاحِيحٍ وَدِيَاتٍ^(١)
ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش :
وما لكمُ لامن طرادِ فوارِسٍ ولكن من التَّرِّ قبيحِ يآلَ مالِكِ^(٢)



(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفي حاشيتيهما أيضا : إذا سكنت الياء من « المواشى » ؛ كان البيت مشعث العروض ؛ والتشعيت في العروض غير مألوف وإنما هو في الضرب الأول من الخفيف . والتشعيت : أن تقطع وتد فاعلاتن فتحذف ألفه وتسكن لامة فتصير : « فاعاتن » ، فتصير : « مفوان » . (٢) الترقيح : لإصلاح المال .

مَجْلِسُ خُر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص : ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ﴾؛ [الإنسان : ٩].

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾؛ [الرحمن : ٢٧].

وما شا كل ذلك من آى القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه فى اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العيان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشىء وصدره ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالَتْ طَافَّةٌ مِّنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ﴾ [آل عمران : ٧٢]

أى أول النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩] / مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)

أى غداة كل يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه القصد بالفعل ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾؛

[لقمان : ٢٢] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراده بهما . وكذلك

قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ ، [النساء : ١٢٥] ؛ وقال

الفرزدق :

(١) الحماسة — بشرح المرزوق ٩٩٥ ؛ وفى نسخة بمجاشينى الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛

وهى رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسى قتل فى بنى فزارة ؛ فرتاه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاةَ الْمَكَارِمِ

أى جعلت قصدى وإرادتى لهم ، وأنشد الفراء :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أى القصد ؛ ومنه قولهم فى الصلاة : وَجَّهْتَ وَجْهِي لِلذَى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ أى

قصدت قصدى بصلاتى وعملى ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ ٥

[الروم : ٤٣] .

والوجهُ الاحتيالُ للأمرين ؛ من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر ؟ وما الوجه فيه ؟ أى

ما الحيلة ؟

والوجه المذهب والجهة والناحية ، قال حمزة بن ببيض الحنقى :

١٠ أَيْ الْوُجُوهِ اتَّجَمَتْ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : لَأَيِّ وَجْهِهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ (١) !
مَتَى يَقُولُ صَاحِبًا سُرَادِقِهِ : هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ

والوجه : القدر والمنزلة ؛ ومنه قولهم : لفلان وجه عريض ، وفلان أوجه من فلان ،

أى أعظم قدرًا وجاهًا ، ويقال : أوجهه السلطان إذا جعل له جاهًا ؛ قال امرؤ القيس :

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكَبْتُ الْبَرِيدَا (٢)

والوجه الرئيس المنظور إليه ؛ يقال : فلان وجه القوم ، وهو وجه عشيرته ؛ ووجه ١٥

الشيء نفسه وذاته ؛ قال أحمد بن جندل السعدي :

(١) الأغاني ١٥ : ١٤ . (٢) اللسان (وجه) ؛ وهو من أبيات أربعة فى الأغاني ٨ : ١٩٦

(طبعة دار الكتب المصرية) ، وفى حاشية ف : « يقال : حمل فلان على البريد إذا هب له فى كل مرحلة مركوب ليركبه ؛ فإذا وصل إلى الرحلة الأخرى نزل عن المعى وركب المرفه ؛ وهكذا إلى أن يصل إلى

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَرَ انَّ بَطْنَةً فَأُفَلَّتْ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتِدَتْ نَهْدٌ (١)

أراد أفلته ونجّاه ومنه قولهم : إنما أفعل ذلك لوجهك ، وبدل أيضا على أن الوجه يُعبر به/ عن الذات قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِيَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢ - ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَمِيعٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أُضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي ؛ من النظر ، والظن ، والرّضا لا يصحُّ إضافته في الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة ، فمعنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ؛ أي كل شيء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَبِئْتَى وَجْهٌ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل «ذو الجلال» كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ [الرحمن : ٧٨] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجهه ؛ نحو القرية إليه أجلت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تدعُ إلها غيره ؛ فإن كل فعلٍ يُتقرب به إلى غيره ، ويُقصد به سواه فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر ! أوليس ذلك يوجب أنه تعالى يَفْتَنِي ويبقى وجهه : وهذا كفر وجهل من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطَعِمُكُمْ لَوْجَهُ اللَّهِ ﴾ ، [الإنسان : ٩] ، وقوله : ﴿ إِلَّا

(١) حفزنا : طعنا . ويقال فرس عند ، بفتح التاء وكسرهما : إذا كان شديدا تام الخلق سريع الوثبة ؛ ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من نعت الخيل : الجسم المشرف . والحوفزان هو الحارث بن شريك طعنه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمشهور في ذلك قول سوار بن حبان النقرى :

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الحَوْفَرَ انَّ بَطْنَةً سَقْتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الجُوفِ أَشْكَلا
وَجَمْرَانَ قَسْرًا أُنزَلْتَهُ رَمَاحُنَا فَمَاجَ غُلًا فِي ذِرَاعِيهِ مُقْفَلًا

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ ؛ [الليل : ٢٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، [الروم : ٣٩] ؛ فمعلومٌ أن هذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ [البقرة : ١١٥] ، فيحتمل أن يُراد به : فمَّ الله ، لا على معنَى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به : فمَّ رضا الله وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عزَّ وجلَّ قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أى أن الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه ؛ وهذا واضح بين بحمد الله .

أخبرني أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولى قال : أجدنا^{١٠} مع المكتفى بالله في آخر سفرة سافر لها للصيد من الموضع المعروف بمحنة إلى تكريت في حرّاقة^(١) فكانت تجنح كثيراً ، فيشتمد فزع من معه من الجلساء / لذلك ؛ وكنت أشدهم [٢٠٠] و فزعا ، وكان في الحرّاقة سواى من الجلساء يحيى بن عليّ المنجم ، ومتوِّج بن محمود بن مروان ، والقاسم المعروف بابن حبابه ، وكان يضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً ، فقلت له : إن البحتريّ يقول شعرا يصف فيه مثلَ حالنا ، ويمدح به أحمد بن ١٥ دينار بن عبد الله - وقد غزا الروم في مراكب - أوله :

ألم ترّ تغليسَ الرّبيعِ المبكرِ وما حاك من وثنى الرّياضِ المنشرِ^(٢)

(١) الحرّاقة : اسم لسفينة ؛ وأصل الحرّاقات : سفن كانت بالبصرة ، فيها رمى نيران يرمى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ - ٢٤ .

فقال له : أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها - وكان جيّد العلم بالأشعار ، حافظاً
للأخبار - فأنشده :

غَدَوْتَ عَلَى الْمَيْمُونِ صُبْحًا ، وَإِنَّمَا غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمُظْفَرِ (١)
إِذَا زَمَجَرَ النَّوْتُ فَوْقَ عَلَانِهِ رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي ذُوَابَةِ مِنْبَرِ (٢)
يَمُضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عُيُونَهُمْ وَفَوْقَ السَّمَاطِ نَلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ (٣)
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ جَنَاحًا عُمَاقِ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ (٤)
وَإِذَا مَا انْكَفَأَ فِي هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ تَلَفَعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدِ مُجَبَّرِ (٥)
وَحَوْلَكَ رَكَابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا كَوُدْسِ الرَّدَى ؛ مِنْ دَارِ عَيْنِ وَخُسَّرِ (٦)
تَمِيلُ الْمَنِيَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكَرِ
إِذَا أُرْشِقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رِشْقُهُمْ لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءِ مُقْتَرِ (٧)

(١) قبله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرُ وَالْجُودُ صِنُوهُ غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَغْلَاقِهِ بَيْنَ أَبْحُرِ
أَضَافَ إِلَى التَّدْبِيرِ فَضْلَ شِجَاعَةِ وَلَا عَزَمَ إِلَّا لِلشَّجَاعِ الْمَدْبَرِ
إِذَا شَجَرُوهُ بِالرَّمَا حِ تَسَكَّرَتْ عَوَامِلُهَا فِي صَدْرِ لَيْثٍ غَضَنْفَرِ

والميمون ، يريد به السفينة ؛ وفي حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاء : الموضع الذي يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل : « يقال وقفوا دونه سماطا ؛ أي امظفوا ؛ وفي شعره : « وقوف السماط » ؛ قال

س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخي . والإشتيام : رئيس الركب ؛ كلمة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهى رواية الديوان ومهجر ؛ أى

يخلق فى الهاجرة . (٥) فى حاشيتي الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أى تمايل ؛ وأراد بهوة

النار ما كانوا يرمون به من النار إلى المدور من الحراقة التى اسمها ميمون ، وشبهه مواد الحراقة وحرمة النار

وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز نكف ؛ يقال : انكفأت المرأة وتكفأت ؛ إذا تمايلت فى

سيرها « وفى م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف . (٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمي من جهة واحدة . والشواء المقتر : الذى يصعد منه القنار ؛ والقنار عند العرب :

ريح الشواء إذا ضهب على الجمر .

صدمت بهم صُهبَ العُمَانِينِ دُونَهُمْ ضِرَابٌ كِلَابِقَادِ اللَّطَى الْمُتَسَمِّرِ
 يَسُوقُونَ أَسْطُولًا كَأَنَّ سَهِينَهُ سَحَابٌ صَيْفٍ؛ مِنْ جَهَامٍ وَمُطِيرِ (١)
 كَأَنَّ ضَجِيحَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرَجِبِعُ عَوْدٍ مُجَرَّجِرِ (٢)
 تُقَارِبُ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا تُوَلِّفُ مِنْ أَعْنَاقِ وَحْشٍ مُنْفَرِ
 فَارِمَتْ حَتَّى أَجَلَتْ الْحَرْبُ عَنْ طُلَى مُقَصَّصَةٍ فِيهِمْ، وَهَامٍ مُطِيرِ (٣)
 عَلَى حِينٍ لَا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا وَلَا أَرْضٌ تَلْقَى لِلصَّرِيحِ الْمُقَطَّرِ (٤)
 وَكُنْتَ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ مَلِيًّا بَانَ تُوهِى صَفَاةَ ابْنِ قَيْصَرَ
 / جَدَحَتْ لَهُ الْمَوْتُ الذُّعَافَ فَمَافَهُ وَطَارَ عَلَى الْوَاحِ شَطْبٌ مُسْمَرِ (٥)
 مَضَى وَهُوَ مَوْلَى الرَّيِّحِ يَشْكُرُ فَضَاهَا عَلَيْهِ، وَمَنْ يُؤَلَى الصَّنِيعَةَ يَشْكُرُ

[٢٠٠] ط

١٠

قال : فاستجداد المكتفى قوله :

* على حين لا تَنْقَعُ تَطَوُّحُهُ الصَّبَا *

فقال له يحيى بن علي : أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى :

وَلَمْ أَنْعَلَمْ قَطُّ مِنْ ذِي سِبَاحَةٍ سِوَى الْعَوْصِ، وَالْمَضْعُوفِ غَيْرِ مُغَالِبِ (٦)
 وَلَمْ لَا؟ وَلَوْ أُلْقِيَتْ فِيهَا وَصَخْرَةٌ لَوَافَيْتُ مِنْهَا الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ
 وَأَيْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَنْبَى أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّةَ الْمَجَانِبِ ١٥
 وَأَخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى كُلِّ رَاكِبٍ!

(١) الأستول : جماعات السفن . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال ش : ذكر لي أستاذي عند قراءة شعر البحتري عليه بأصبهان أن الأستول لغة مصرية ؛ وهي عندهم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بجوارحهم ؛ فهم بمجموع مراكبهم وحرقاتهم وشباراتهم وتجارهم أستول ؛ ويشتكى أهل مصر فيقولون : ما جاءنا العام أستول . » وفي حاشية الأصل أيضاً : « الشبارات : نوع من المراكب البحرية » .

(٢) العود : المسن من الإبل . (٣) الطلى : جمع طلية ؛ وهي صفحة العنق ؛ ومقصصة :

مقطعة . ورواية الديوان : « طلى مقطعة » . (٤) يقال : طعنه فطره ؛ أى ألقاه على قطره ، أى

جانبه ، ففطر . (٥) جدحت : خلطت ؛ والشطب في الأصل : الفرس الطويل ؛ وجعل المركب

شطباً على التشبيه لمراكبه ونجا . (٦) ديوانه الورقة ٢٣ ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

فقلت له : إنما أخذ ابنُ الروميَّ بيته الثالث من قول أبي نواس ؛ فقال المكتفي بالله :
فما قال ؟ قلت : حدثني عليُّ بن سراج المصريُّ قال حدثني أبو وائل اللخميُّ قال حدثني
إبراهيم بن الخصب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلاً قد أخذه التمساح
فقال :

٥ أضمرتُ للنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِبِيَّةً مُدْقِيلَ لِي : إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثْبِ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ
قال الصوليُّ : والبواقيل سُفْنُ صغار .

ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكرَ الشيب ، فقال : العربُ تقولُ أظلم من شيب ، وقد
شِبت ، وظلمني المشيب ؛ وشبت ياصوليُّ ، فقلت : جواب عبدك في هذا جوابُ معن بن زائدة
١٠ الشيبانيُّ لجدِّك المنصور وقد قال له : كِبرْتَ يامعن ، فقال : في طاعتك يأمر المؤمنين ،
قال : وإِنَّكَ لَتَتَجَدَّد ، قال : على أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقيَّة ، قال : لحدِّمتك .
فزرع المكتفي عمامته ، فإذا شيبْتان في مقدِّم رأسه ، فقال : لقد نمتي طلوعُ هاتين الشيبتين ،
فقلت له : إنما يعمش الناس في الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من
[٢٠١] أربعين سنة إلى الخمسين / ، وقد يعاش في البياض الذي لاسواد فيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى
و
١٥ ابن عليُّ في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس :

ألا إنَّ بعدَ العُدْمِ للمرءِ قِنْوَةٌ وَبعدَ المشيبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلَبَسًا^(١)
وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ لبعض القديسين :
لم يَنْتَقِصْ مِنْي الْمَشِيبُ قُلَامَةً الْآنَ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَ كَيْسُ
وَالشَّيْبُ إِنْ يُظْهَرُ فَإِنَّ وِراءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلالَهُ مُتَنَفِّسُ

٢٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما قول البحترى : « مضى وهو مولى الريح » فقد كرر
معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغريُّ :

أَشْلَى عَلَى مَنْوِيلَ اطْرَافِ القَنَا فَنَجَا عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ^(١)
وَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ لَهَنَّ هَنْبِيَةً لَصَدَرْنَ عَنْهُ ، وَهَنَّ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَلَأَنَّ تَبَقَاهُ القَضَاءُ لَوْقَتِهِ فَاقْتَدَ عَمَمَتَ جُنُودَهُ بِفَنَاءِ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح

الخرمية^(٢).

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ^(٣)
فَلْيَشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهَمُّ لِدَرُوزٍ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٤)

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سُفن صغار ؛ لأن البواقيل

جمع بوقال ؛ وهو آلة على هيئة الكوز معروفة ؛ تُعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن

١٠

الرومي :

* أَمْرٌ بِهِ فِي الكُوزِ مَرَّ المَجَانِبِ *

وإنما أراد أنني لا أمرّ بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال .

وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فما أرى النيل » وصرف ذلك إلى

أنه أراد النيل على الحقيقة ؛ وإنما أراد ماء النيل ؛ وما علمت أن السفن الصغار يقال لها بواقيل

إلا من قول الصولي ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان ١٥

بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبهه / وأليق وأدخل في معنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشبهة في [٢٠١]

ظ

ذلك مع قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥ ؛ أشلى : أغرى . ومنويل : اسم فلعة والعتيقة هنا : الفرس .

(٢) الخرمية : فرق تنسب إلى بابك الخرمي ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذء ، وأثار فنتة على الخليفة

سنة ٢١٠ ؛ وامتدت زمن المأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بمد حوادث دامية في أزمان متطاولة ؛ على يد

الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ . (٣) ديوانه : ٢٦٢ . (٤) دروز : موضع في نهر

أذربيجان ؛ كندا ذكره ياقوت وأورد بيتي أبي تمام .

* فمن رأى النيل رأى العين من كُشِبِ *

ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كُشِبِ، ومن رأى ماءه في الآنية على بُعد لا يكون رائيًا له من كُشِبِ .

فأمادح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثرُوا؛ فَمَا تقدم من ذلك

٥ قولُ رُوَيْبَةَ بنِ المِجَاجِ ؛ وَيَقَالُ إِن رُوَيْبَةَ لَمْ يَقُلْ مِنَ التَّصِيدَةِ إِلَّا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعِيرُ بِالشَّيْءِ بِ أَقْلَنَ بِالشَّبَابِ افْتِخَارًا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

والمعلّى بن جبّالة :

جفا طربَ النَّمِيانِ وَهُوَ طَرُوبُ وَأَعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ
تَجَافَتْ عُيُونُ البَيْضِ عَنْهُ ، وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الوَصْلَ وَهُوَ حَبِيبُ
لِعُمْرِي لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَاعْظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعِيونِ نُكُوبُ
حَلِيطُ نَهْيٍ ، مُنْتَابُ حِلْمٍ ؛ وَإِنَّهُ عَلَى ذَاكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

١٠

ولآخر :

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقَلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشَّيْبُ بِنَاقِصٍ عُمرِي
سَيَّانِ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمرِي عَلَى قَدْرِ

١٥

ولآخر :

إِنْ أ كُنْ قَدْرُزَيْتُ أَسْوَدَ كَالنَّفْحِ مِ وَأَعْقَبْتُ مِثْلَ لَوْنِ الثُّغَامَةِ (١)
فَتَمَدُّ أَسْعَفُ الكَرِيمِ وَأَحْبُو أَهْلُهُ بِالنَّدَى وَآبِي الظَّلَامَةِ

(١) الثُّغَامَةُ : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غَيْرَ أَنْ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءً خَانَنَا فِيؤُهُ كَفَىءَ الغَامَةِ

ولآخر:

إِنَّ المَشِيبَ رِدَاءَ الجِلْمِ والأَدَبِ كَالشَّبَابِ رِدَاءَ الأَهُوِ واللَّعِبِ
تَعَجَّبْتُ إِذْ رَأْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعَجَّبِي، مِنْ يَطُلُّ مُعْمَرٌ بِهِ يَشِبُ (١)

، لابن الجهم:

حَسَرْتُ عَنِّي القِنَاعَ ظُلُومُ / وَتَوَلَّتْ وَدَمَعَهَا مَسْجُومُ (٢)
/ أَنْكَرْتُ مَا رَأْتُ بِرَأْسِي فَقَالَتْ: أَمَشِيبُ أَمْ أَوْلُو مَنْظُومُ !
قُلْتُ: شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْبًا، فَأَنْتِ أَنْتِ يَسْتَشِيرُهَا المَهْمُومُ
شَدَّ مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُمَ عَهْدِ لَمْ يَدُمُ لِي، وَأَيُّ شَيْءٍ يَدُومُ !

١٠

ولأبي هفان:

تَعَجَّبْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَعَجَّبِي فَطُلُوعِ الشَّيْبِ فِي الصَّدْفِ (٣)
وَزَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأْتُ سَمَكِي وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنْ الدَّرَّ فِي الصَّدْفِ (٤)

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله:

أَبَدَتْ أَسَى أَنْ رَأَتْنِي (٥) مُخْجِسَ القَصَبِ (٦) وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجْبٍ (٧)

(١) د، ف، حاشية الأمل من نسخة: « تعجبت أن رأيت شبي ». (٢) ديوانه: ١٧٦-١٧٧؛ وظلوم: اسم امرأة . (٣) حماسه ابن السجري: ٢٤٥؛ والصدف: الظلمات . (٤) السمل، محرّكة: الثوب الخلق البالي، ومن نسخة بحاشية الأصل: « أن رحت في سمل »؛ وهي رواية الحماسة . (٥) ديوانه: ١٥، والشهاب ١٠، وفي حاشية الأصل (من نسخة): « إذ رأيتني »، وهي رواية الشهاب والديوان . (٦) يقال: أخاس النبات؛ إذا جف أعلاه وابيض، وفي حاشية الأصل: « الفصب: الذوائب المفصبة؛ الواحدة قصبه وتجمع قصاب، يقال: قصب، فيسكن . وبخط السجري: « القصب »، بضم ففتح . (٧) حاشية الأصل: « أي كانت تعجب بي فصارت تعجب من شبي ». وفي الشهاب: « أم، قوله: « من عجب إلى عجب » فن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع .»

سِتُّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتِبْهَا
إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)
فَلَا يُؤْرَفُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ
فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرِّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيْرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَّتُهُ
فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)
لَا تَرِيهِ عَارًا فَاهُوَ بِالشَّيْبِ
بِ وَلَكِنَّهُ جِلَاءُ الشَّبَابِ (٤)
وَبِيَاضِ الْبَازِيِّ أَصْدَقُ حُسْنًا
إِنْ تَأَمَّاتِ مِنْ سَوَادِ الْغُرَابِ

وله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لِأَيِّمَا فَأَفِيْقِي
وَاتَرُّ كَيْهِ إِنْ كَانَ غَيْرِ مُفِيْقٍ (٥)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عِنَاءِ الْمَعْنَى (٦)
وَتَلَفَى مِنْ اشْتِيَاقِ الْمَشْوِقِ

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والحبوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مَشْتَهْرٌ
عِزْمًا وَحِزْمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحُقْبِ
فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا
وَأَكْبِرِي أَنْفِي فِي الْمَهْدِ لِمِ أَشْبِ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يفرتك » . والقنير : الشيب ، او أوله . وفي الشهاب

للمرضى : « وقوله :

* فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرِّأْيِ وَالْأَدَبِ *

يريد أن الرأي والأدب والحام لهما مجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد
تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تبسم في الشعر لبياضه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسليية عن الشيب وتنبية على منفعة .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

* عَيْرَتْنِي الشَّيْبَ وَهِيَ بَدْتُهُ *

وهي رواية الديوان ؛ وبدتة ، مخفف من بدأته بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة) :

« جنته » . (٤) لاتريه : لاتظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسخا وصدأ على الشخص
والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحاسة ابن الشجري : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي

الأصل ، ف : « يقول : أيها العاذلة ، أفبقي من عدله وملامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولا حاجة إلى
عدلك وإن لم يفق فاتركيه » . (٦) د ، والحاسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَدَلْتَنَا فِي عَشِقَتِهَا أُمَّ عَمْرٍو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَعَاذِلِ الْمَعْشُوقِ (١)
وَرَأْتُ لِمَةً أَلَمَّ بِهَا الشَّيْبُ - بُ فَرِيَعَتُ مِنْ ظِلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَقْحَى لَأَبْصَرْتُ أَنْيَقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ
وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بَبِيَاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ (٢)
/ وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلِي (٣)
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومِ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بَرُوقِ!

[٢٠٢

ط

ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومِ *

من قول الشاعر :

أَشَيْبٌ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمٌ (٤)
رَأْتُ وَضْحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعِيَهَا وَشَتَانَ مُبْيَضٌ بِهِ وَبِهِمْ
تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعٌ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومٌ!

ولحمود الوراق في مثل هذا المعنى وهو قوله :

١٥ ما الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يُجَكِّلُ هَامَةَ الْكَهْلِ
وَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ الْمَسِيرُ بِهَا عَلَى مَهْلِ
لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا يَبْكِي الْجَهُولُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ
وَاشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةَ الْفَضْلِ

(١) حاشية الأصل : « إنما عدلته لأنه شاخ والعشق مع الشيخوخة لا يستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بالمرهوق » ؛ (٣) في حاشيتي الأصل : « أملي ،

مخفف من أملاً ؛ أي أوثق ؛ يقال : ماؤ فلان بذلك ؛ إذا كان نقه به ، وفلان أملاً بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث في حاشية ابن الشجري : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لايرُءك المشيبُ يا بنةَ عبدِ ال
لَمَّ فَالشَّيْبُ حَلِيَّةٌ وَوَقَارُ^(١)
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا
ضَحِكْتُ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارِ

ولى في هذا المعنى من قصيدة :

جَزَعْتُ لَوْحَطَاتِ الْمَشِيبِ وَإِنَّمَا
بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الْكَمَالِ فَنَوَّرَا
وَالشَّيْبُ إِن فَكَّرْتُ فِيهِ مَوْرِدٌ
لَا بَدَّ يُورِدُهُ الْفَتَى إِن عُمَّرَا
يَبْيِضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي
إِن لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وَمَنْ عَدَلَ بَيْنَ الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ ، وَمَدَحَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرِيحُ بِنِ إِسْمَاعِيلِ الثَّقَفِيِّ فَقَالَ :

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصَّبَا
بَدَلٌ يَكُونُ لَدَى الْفَضِيلَةِ مَقْنَعٌ
/ وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرِ حِينِهِ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةٌ
وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغِيبَةِ أَنْفَعُ
لَا يَبْعَدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَرَحْبَا
بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ

[٢٠٣]

ومثله لآخر :

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةٌ
فَوْقَرَنِي عَنْهُ الْمَشِيبُ وَأَدْبَا
فَسَقِيًّا وَرَعِيًّا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى
وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالشَّيْبِ وَمَرْحَبَا

(١) حماسة ابن الشجرى : ونسبهما إلى علي بن الجهم .

مَجَالِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] فقال : كيف ضَمِنَ الإِجَابَةَ وَتَكفَّلَ بِهَا ، وَقَد نَرَى مَنْ يَدْعُو فَلَا يَجِيبُ ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه .

أولها أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾ أى أسمع دعوته ؛ ولهذا يقال للرجل : دعوتُ مَنْ لا يجيب أى دعوتُ مَنْ لا يسمع . وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب ؛ كما كان يجيب بمعنى يسمع ؛ يقال : سمع الله لمن حمده ؛ يراد به : أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي :

دَعْوَتُ اللَّهِ حَتَّى خِفتُ الْآلَا يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول .

وثانيها أنه تعالى لم يُردْ بقوله : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ من قُرْبِ المسافة ؛ بل أراد أنى قريب بإجابتي ومعاونتي ونعمتي ، أو بعلمي بما يأتى العبد ويذَر ، وما يُسرِّ وَيَجْهَر ، تشبيهاً بقرب المسافة ؛ لأن مَنْ قرب من غيره عرف أحواله ولم تحف عليه ؛ ويكون قوله : ﴿ أُجِيبُ ﴾ على هذا تأكيداً للقرب ؛ فكأنه أراد : إننى قريب قريباً شديداً ، وإننى بحيث لا يخفى على أحوال العباد ؛ كما يقول القائل إذا وصفَ نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله : أنا بحيث أسمع كلامك ، وأجيب نداءك ، وما جرى هذا المجرى . وقد روى أن قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وآله فقالوا / له : أربنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية . [٢٠٣] ط

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح، وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء؛ وهو أن يدعو باشتراط المصلحة؛ ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال؛ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال؛ لأنه إن كان صلاحاً فعل مادعا به؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿دَعَانِي﴾ أي عبدني، وتكون الإجابة هي الثواب والجزاء على ذلك؛ فكأنه قال: إنني أثيبُ العباد على دعائهم لي؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ما قاله قومٌ من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاحٌ فعمله به وأجابه إليه، وإن لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاحٌ وخيرة لم يعطه ذلك في الدنيا، وأعطاه إياه في الآخرة، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنه إذا دعاه العبد لم يخجل من أحد أمرين: إما أن يُجاب دعاؤه، وإما أن يخار له بصره عما سأل ودعا، فحسن اختيار الله له يقوم مقام الإجابة، فكأنه يجاب على كل حال .

وهذا الجواب يضمف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له في الدنيا، وإن كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطى ذلك، لأمر يرجع إليه، لكن لما فيه^(١) من فساد غيره، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي^(٢) لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح! اللهم إلا أن يقال: إنه دعا؛ مشروط بأن يكون صلاحاً، ولا يكون فساداً، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، أي فليجيبوني وليصدّقوا رسلي، قال الشاعر:
وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٣)

(١-١) ساقط من الأصل، وتكلمته من د، ف . (٢) مطاع قصيدة كعب بن سعد الغنوي؛

وهي في أمالي الغالي ٢: ١٤٨ - ١٥١ .

أى لم يجبه .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإذ كنا قد ذكرنا في المجالس المتمدة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه ، والتمزى عنه ، والتسلى عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبي حية النيرى :

[٢٠٤] فليت الشيبَ كان به الرّحيل^(١) / ترَحَّلَ بالشَّبابِ الشَّيبُ عَنَّا
وقد كان الشبابُ لنا خديلاً
فقد قضى مآرِبَهُ الخليلُ
لعمْرُ أبي الشبابِ لقد تَوَلَّى
حميداً ما يُرَادُ به بديل^(٢)
إذِ الأيامُ مُتَمَبِّلَةٌ عَلَيْنَا
وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظِلِيلُ

وقال الفرزدق :

أرى الدهرَ ، أيامُ الشيبِ أمرُهُ
وفي الشيبِ لَدَاتٌ وَقَرَّةٌ أَعِينُ
إِذَا نازَلَ الشَّيبُ الشَّبابَ فأصَلتَا
فيا خَيْرَ مَهْزُومٍ ، وياشَرَ هَازِمٍ
عَلِينَا ، وَأَيامُ الشَّبابِ أَطايِبُهُ^(٣)
وَمَنْ قَبْلَهُ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جَادِبُهُ^(٤)
بَسَيْفَيْهِمَا ، فَالشَّيبُ لَابِدٌ غَالِبُهُ
إِذَا الشَّيبُ وَافَتْ للشَّبابِ كَتَابُهُ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ
إِذَا لَمْ تَعِظْهُ نَفْسُهُ وَتِجَارِبُهُ

وأُشْدَ إِسْحاقُ الموصلي :

- (١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات .
(٢) الحماسة : لا يراد به بديل . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .
(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيباً فتعلل وجهها يتمحل به باطلاً ومنه قول ذى الرمة :

فيالك من خد أسيلٍ ، ومَنْطِقٍ رَخِيمٍ ، ومن خَلَقٍ تَعَلَّلَ جَادِبِهِ

لَعَمْرِي لَنْ حُلِّتُ عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا
لِيَالِي أَمْشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقِلَاصِ مَعَ الرَّكْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَادًا لِمَشْرَبِهِ الْعَذْبِ^(١)
أَمِيسُ كُفُضْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةَ وَالشَّرْبِ
سِوَى مَنْظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ^(٢)

ولنصور النمرى :

مَا تَنْقِضِي حَسْرَةَ مَنِي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ ففَاتَتْنِي بِشْرَتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ^(٣)
صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٌ لَهَا خُدَعُ
حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبِعُ^(٤)

ولمحمد بن أبي حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ ، لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ
جَرَّ الزَّمَانُ ذُبُولًا فِي مَفَارِقِهِ
وَرَبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
كَفَاكَ بِالشَّبَابِ عِيًّا عِنْدَ غَانِيَةٍ
مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ شِرَّتِهِ
لَمَّا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ شِرَّتِهِ
وَاللِّزْمَانَ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ^(٥)
وَبَيْنَ بُرْدِيهِ غُضْنُ نَاعِمِ خَضِلُ
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٦)

(١) حيث : طردت ومنعت . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نظر العينين » .

(٣) حماسة ابن الشجري : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل (٥ من نسخة) :

مَا كِدْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ شِرَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهَا تَبِعُ

(٥) من أبيات في الأغاني ١٢ : ١٥٢ - ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها في الورقة :

١١٠ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٣٩ . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي للزمان علل على تركه

الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علل » .

ولأبي نواس :

كان الشباب مطية الجهل
 كان الجميل إذا رتديت به^(٢)
 كان البليغ إذا نطقت به
 كان المشفع في مآربه
 والباعث والناس قد هجموا
 والآمري حتى إذا عزمتم
 فالآن صرت إلى مقاربة
 ومحسن الضحكات والمزل^(١)
 ومشيت أخطرت صيت النعل
 وأصاحت الآذان للمملى
 عند الحسان ومدر ك التبلى
 حتى أبيت خليفة البعل
 نفسي أعان على بالفعل
 وحططت عن ظهر الصبا رحلى

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشيب كرهه ، وكرهه أن يفارقني
 يمضى الشباب ويأتي بعده خلف
 أعجب بشيء على البغضاء مودود^(٣)
 والشيب يذهب مفقوداً بمفقود
 وهذا البيت الأخير يروى لسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله :

طرفت عيون الغايات وربما
 / وما الشيب إلا شعرة ، غير أنه^(٥)
 أمان إلى الطرف كل مميل^(٤)
 قليل قذاة العين غير قليل
 [٢٠٥]

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البنتان في حماسه ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البنتان في حماسه ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« يقال : فلان مطروف العين فلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقم في عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبحاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسه إذا أصبت رأسه » . (٥) الحماسة :

* وما شبت إلا شبيبة غير أنه *

ونه :

أَهْلًا بَوَافِدَةً لِلشَّيْبِ وَاحِدَةً وَإِنْ تَرَءَتْ بِشَخِصٍ غَيْرِ مُؤَدُّودِ
لَا أَجْمَعُ الْجِلْمَ وَالصَّهْبَاءَ قَدْ سَكَنْتُ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنِ مَاءِ الْعِنَاقِيدِ
لَمْ يَنْهَنِي كِبَرٌ عَنْهَا وَلَا فَنَدٌ لَكِنْ صَحَّوتُ وَغُصْنِي غَيْرِ مَحْضُودِ
أَوْفَى بِي الْجِلْمُ وَاقْتَادَ النَّهْيَ طَلَقًا شَأْوِي وَعِفتُ الصَّبَا مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ (١)

وقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب :

كَانَ كَحَلًّا لَمَّا قَمِيهَا فَقَدْ صَارَ بِالشَّيْبِ لَعِينِيهَا قَدَى

ولغيره :

رَأَتْ طَالِعًا لِلشَّيْبِ أَغْفَلَتْ أَمْرَهُ فَلَمْ تَعَاهَدَهُ أَكْفُ الخَوَاضِبِ (٢)
فَقَالَتْ: أَشَيْبٌ مَا أَرَى؟ قَلْتُ: شَامَةٌ فَقَالَتْ: لَقَدْ شَانَتْكَ بَيْنَ الْحَبَابِ (٣)

ولحمود الوراق - ويروي ل محمد بن حازم (٤) :

أَلَيْسَ عَجِيبًا بَأَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبِعْضِ الذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مُوجَعٌ وَبَيْنَ مُعَزِّ مُغْدٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشُّبُّ شُرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ (٥)

ولأبي دُلف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ طَالِعَةً كَأَنَّمَا طَلَعَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصْرِ
لَئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنِ بَصْرِي لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنِ هَمِّي وَعَنِ فِكْرِي

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « تعهده » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) « شامتك » .

(٤) في الأصل : « محمد بن أبي حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل : « يقول : عجبت

من الناس يعزى بعضهم بضا على فوت المال ، ولا يعزى على فوت الشباب » .

وليحيي بن خالد بن برمك^(١) - ويروى لغيره :

الليْلُ شَيْبَ والنَّهَارُ كَلَاهَا رَأْسِي بَكَرَةٌ مَا تَدُورُ رَحَاهَا
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَلِحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ وَأُولَاهَا وَتَأَخَّرَتْ أَخْرَاهَا

/ وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادَةَ في هذا المعنى بكلِّ غريبٍ عجيبٍ . [٢٠٥]

فإن ذلك قول أبي تمام :

غَدَاً الهمُّ مُخْتَطًّا بِفَوْدِي خِطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٌ^(٢)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يَرْقَعُ
لَهُ مَنَظَرَةٌ فِي الْعَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
وَنَحْنُ نَرْجِيهِ عَلَى الْكِرْهِ وَالرِّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٣) ١٠

وله :

شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوَدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفُؤَادِ مُكَلًّا صَمِيمًا^(٤)
تَسْتَشِيرُ الهمُومُ مَا اكْتَنَّ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الهمُومَا
غُرَّةٌ^(٥) مُرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْ تَأْغَرًّا أَيَّامَ كُنْتُ بَيْنَهُمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « البرمكي » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛
وحماسة ابن الشجري : ٢٤١ - ٢٤٢ . وفي م قبل هذا البيت :

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشَى مِنْهَا لِرُؤْيِي لِأَنسِيهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ

وفي حماسة ابن الشجري : « غدا الشيب » ، وفي م : « غدا العمر » . وفي حاشية الأصل (من

نسخة) : « إلى النفس مهيم » ، وهي رواية الديوان ؛ ومهيم : واسع .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يجذع » .

(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحماسة ابن الشجري : ٢٤١ ، والشهاب : ٧ .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عرة » أي عيب .

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالاً مِثْلَ مَا سَمِيَ اللَّدِيعُ سَلِيمًا^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

وله :

كَلِمَةُ الشَّيْبِ بِالْفَارِقِ بِلُجَّةٍ فَابْكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا^(٢)
خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَّةِ بِدَمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيبًا
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا لَافِظِيَيْنِ : مِيتَةٌ وَمَشِيْبَا
بِأَنْسِيبِ الثُّغَامِ ذَنْبِكَ أَبَقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبًا
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيْبَا
أَوْتَصَدَّعْنَ عَنْ قَلْبِي لِكُفْيِ بَالِ شَيْبِ بَيْنِي وَيَبْنِي حَسِيْبَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فِضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا

قال سيدنا آدم الله علوه : وجدت الأمدى يذكر أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات بقوله :

كَلِمَةُ الشَّيْبِ بِالْفَارِقِ بِلُجَّةٍ فَابْكِي مُتَمَاضِرًا وَلَعُوبًا *
وقوله :

خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعِقَّةِ بِدَمًّا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا
يَأْنَسِيبُ الثُّغَامِ ذَنْبِكَ أَبَقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحِسَانِ ذُنُوبَا

[٢٠٦] / وقوله :

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَزْكَرَنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيْبَا

(١) حاشية الأصل : «مثل، بنى لإضافته إلى «ما»، ويجوز أن يكون صفة لمحذوف، أي تدعى جلالاً دعوة

مثل تسمية اللديع سليمان». (٢) ديوانه : ٢٥، ٢٦، والشهاب : ٩.

قالوا: كيف يبكين دماً على شيبه ثم يعبئه !

قال الأمدى: " وليس هذا يتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى تماخر ولعوب أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتى عبئه غير هاتين المرأتين ، فيكون من أسفق عليه من الشيب منهن وأسيف على شبابه بكى ؛ كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَأَرْدَلُ الأَبْدَالِ (١)
 ولم يكن هذه حال من عابه . قال : " وهذا مستقيم صحيح " .

قال سيدنا أدام الله علوه : وليس يحتاج في الاعتذار لأبى تمام إلى ما تكلفه الأمدى ؛ بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان من قد بكى شبابه ، وتلف عليه من النساء هُنَّ اللواتى أنكرن شيبه ، وعبئه به ، وما المنكر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكى على شبابه ونزول شيبه منهن من رأين الشيب ذنباً وعبياً منكراً ! وفي هذا غاية المطابقة ؛ لأنه لا يبكى الشيب ، ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَأَحَتْ غَوَانِي الحَيِّ عَنْكَ غَوَانِيَا يَلْبَسْنَ نَائِيَا تَارَةً وَصُدُودَا (٢)
 مِنْ كُلِّ سَابِقَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكَتْ عَمِيدَ القَرَوَيْتَيْنِ عَمِيدَا
 أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ الغَطَارِفِ بُدْنَا غَيْدَا أَلْفَهُمُ لِدَانَا غَيْدَا
 أَحَلَّى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمَا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

وقوله : « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من أرب بالشىء إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا لزمه : يريد أنهم آرمين هوى الرُّدِّ وأقمن عليهم . ورواه قوم « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من الرُّبَا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول : أربين بالرُّدِّ ، أى زِدْنِ علينا بهم ، وجعلن للرُّدِّ زيادةً اخترنها علينا (٣) .

(٣) انظر الشهاب : ١٠ .

(٢) ديوانه : ٨٧ - ٨٨ .

(١) ديوانه ١٥٨

ويقال (١): إنه أخذ قوله:

* أحلى الرجال من النساء موقعا * . . . البيت

من قول الأعشى:

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقدم الشباب وقد يصلن الأمرداً (٢)

/ولنصور النمري مثله:

[٢٠٦]

كرهن من الشيب الذي لو رأينه بهن رأين الطرف عنهن أزورا
ونحوه قول الآخر:

أرى شيب الرجال من الغواني كوقع مشيهن من الرجال

وقال أبو تمام:

شاب رأسي وما رأيت مشيباً إلا رَأْسَ إِيَّاهِ مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ (٣)

١٠

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَّعُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ رَتُّ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْنَ السَّوَادِ (٤)

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ مَجْلِسِي مِنَ الْعَوَادِ

نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةٍ لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ (٥)

١٥ ومعنى هذا البيت الأخير أن «الثغر» هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء؛ ولذلك سُمِّيَ

كل بلد جاور عدواً ثغراً؛ كأن معناه مكشوف للعدو. ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان،

لأنه أول ما يقابلك من أسنانه، وأول ما يظهر عند الكلام، وأول ما يسقط فيرى مثلوماً،

فيشبه الثغر الذي هو البلد؛ يقال اثغر الصبي واثغر؛ وتسمى تلك الفرجة في موضع

(١) الموازنة: ٣٠. (٢) ديوانه: ١٥١؛ والرواية: «وأرى الغواني».

(٣) ديوانه: ٧٥. (٤) حاشية الأصل (من نسخة): «ولوعمرت شيئاً» أي تعبيراً،

وهي رواية الديوان. (٥) حاشية الأصل: يروى: «من ثغرة المهم مالم * تشتملة».

السن تُغرة وفي كل موضع منفرج ؛ ومنه ثغرة الذَّحْر .

وأراد بقوله :

* نال رأسي من ثغرة الهم لَمَّا *

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسي منها ؛ لأن الهمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

* مالم ينلّه من ثغرة الميلاد *

أراد بثغرة الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره ؛ لأنه يجد السيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثغرة من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلوله به من حيث كبره .

١٠

ورأيت الأمدى يطعن على قوله :

* عمرت مجلسى من العواد *

ويقول : " لاحقيقة لذلك ولا معنى ، لأنا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوادٌ يعودونه من [٢٠٧] ^و المشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزّاه المعزون عن الشباب " ؛ وهذا من الأمدى قلة نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يفوّص عليها حذاقُ الشعراء ؛ ولم يرد أبو تمام

١٥

بقوله :

* عمرت مجلسى من العواد *

القيادة الحقيقية التى يغشى فيها العواد مجالس المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثير المتوجعون لى ، والمتأسفون على شبابى ، والمتوحشون^(١) من مفارقتة ؛ فكأنهم فى مجلسى عواد لى ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجّع ويتفجع .

٢٠

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

* عمرت مجلسي من العواد *

عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه؛ وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن؛
وما المعب إلا من عابه وطمن عليه ؛ ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشيئة الله ما للبحترى
في هذا المعنى إن شاء الله .



مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] .

فقال : إذا كان الشجر ليس بيمضٍ للماء كما كان الشراب بعمضاله ؛ فكيف جاز أن يقول :

﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بمد قوله : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾ ؟ وما معنى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ ؟ وهل الفائدة في هذه

اللفظة هي الفائدة في قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [آل عمران : ١٤] ، وقوله : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ؟ .

الجواب ، قلنا في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وجهان :

أحدهما أن يكون المراد منه سقى شجرٍ ، وشرب شجرٍ ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف

إليه مقامه ؛ وذلك كثير في لغة العرب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ ﴾

[البقرة : ٩٣] ، أى حبَّ العجل .

والوجه الآخر أن يكون المراد : ومن جهة الماء شجر ، ومن سقيه وإنباته شجر ؛ فحذف

الأول وخلفه الثاني ؛ كما قال عوف بن الخريز :

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا^(١)

أراد : من ناحية آل ليلي .

(١) الفضليات ٤١٢ (طبعة المعارف) ، والرواية هناك :

أَمِنْ آلِ مَيِّ عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِحَيْثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا

والشقيق : ماء لبني أسيد بن عمرو بن تميم .

وقال زهير :

[٢٠٧] / أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةَ الدَّرَاجِ فَالْتَشَلَّمُ^(١) ظ
أراد : من ناحية أم أوفى .

وقال أبو ذؤيب :

٥ أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا فَيَتُ إِخَالَهُ دُهُمًا خِلَاجًا^(٢)

وقال أيضاً :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْبِتُ اللَّيْلَ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ^(٣)

وقال الجهمدي :

لِمَنْ الدِّيَارُ عَفْوُونَ بِالْتَهْطَالِ بَقِيْتُ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالَ

١٠ أراد بقيت على مرّ حجج، وتكرار حجج .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تَسْمُونَ ﴾ فمعناه ترعون ، وترسلون أنعامكم ؛ يقال : أسام الإبل يُسِيمُنا إِسَامَةً ؛ إذا أرهاها وأطلقها فرعت منصرفه حيث شاءت ؛ وسومها أيضا يُسَوِّمُها من ذلك ؛ وسامت هي إذا رعت ؛ فهي تسوم ، وهي إبل سائمة ؛ ويقال : سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه ؛ وسمتها الحسف ؛ إذا تركتها على غير مرعى ؛ ومنه قيل لمن أذلّ واهتضم : سيم فلان الحسف ؛ وسيم خُطَّةُ الضَّيْمِ ؛ قال السكيت بن زيد في الإسامة التي هي الإطلاق في الرعى^(٤) :

(١) أول المعلقة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم

تسكلم . وحومانة الدراج والمثلث : موضعان .

(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد

بجنينها ؛ ولم يذكر السحاب إلا أن البرق دل عليه ، وخلاج : جمع خلوج ؛ وهي الناقة التي خليج ولدها ؛ وهو فعول في معنى مفعول ، كالركوب والحلوب . »

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض) ؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المرعى » .

رَاعِيَا كَانَ مُسْجِحًا فَفَقَدْنَا هُوَ وَقَفَدُ الْمُسِيمُ هُلْكَ السَّوَامِ (١)

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ بِبَطْنِ وَاِدٍ وَأُظْعَنُ إِنْ ظَعَنْتَ فَلَا أُسِيمُ (٢)

وذهب قوم إلى أنَّ السَّوَمَ في البيع من هذا ؛ لأن كل واحدٍ من المتبايعين يذهب فيما

يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه ، كما تذهب سوائم المواشى حيث شاءت .

وقد جاء في الحديث : « لا سووم قبل طلوع الشمس » فحمله قوم على أن الإبل وغيرها

لا تُسام قبل طلوع الشمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أنَّ السووم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروهة ، لأن السَّلْمَةَ المبيعة

[٢٠٨]

تستتر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / في بيوع الغرر المنهية عنها .

فأما الخيل المسوومة ، فقد قيل : إنها الملمة بعلامات ؛ مأخوذ من السِّياء وهي العلامة . ١٠

وروى عن الحسن البصرى في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سووم نواصبها

وأذناها بالصوف .

وقيل أيضا : إن المسوومة هي الحسان .

وروى عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هي المطهّمة الحسان .

وقال آخرون : بل هي الراعية ؛ روى ذلك عن سعيد بن جبير ؛ وكلُّ يرجع إلى ١٥

أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأن تحسين الخيل يجرى مجرى العلامة فيها ؛ التي تُعرف

بها وتتميز لمكانها ؛ وقد قيل : إن السَّوَمَ من الرَّعَى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأن الراعى

يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالملاحظات بما يزيله من نباتها ، ويمحوه من آثارها ؛

فكان الأصل في الكلِّ متفق غير مختلف .

(١) مسجحا: رقيقا سهلا ، وفي م : « مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ماظنت » .

وقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم:

وَعِدَاةُ قَاعِ الْقَرَنْتَيْنِ أَتَيْنَهُمْ رَهْوَاً يَلُوْحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ^(١)

أراد التعليم .

وأما قوله في الملائكة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾؛ فالمراد به المعلمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حِجَارَةٌ

٥ مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ . مُسَوِّمَةٌ ﴾ أى مُعَلِّمَةٌ ؛ وقيل : إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

قال سيدنا أدام الله علوه : ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر ماللبحتري في ذمّ الشيب

والتألم من فقد الشباب ؛ فمن ذلك قوله^(٢):

وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةَ فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ^(٣)

مَشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ عَمِّي بِجَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرِي مُذِيعِهِ^(٤)

١٠ تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى سَرِيعِهِ

وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعه^(٥)!

(١) ديوانه : ١٠٤ : ١ . وفي حاشية الأصل : « بعد هذا البيت :

بِكِتَابِ رُجْحٍ تَعَوَّدَ كِبْشُهَا نَطْحَ الْكِبَاشِ كَأَمْنِ نَجُومِ

والقرنتان : موضع ، ورها في السير رهوا أى رفق ، قال القضي :

يَمْسِينِ رَهْوَاً ، فَلَا الْأَعْجَازَ خَاذِلَةً وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ ، والشهاب : ١٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : كنت أرجى أن

يكون الشباب شفيعى . ويجوز أن يكون المعنى : كنت أرجى في شبان شفاعته إلى الحسان من طراوتي وحسنى .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أنه جد محتاج إلى الشفيعى ؛ ولـكنه ولى وذهب .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كبت السر . وفيهما أيضا : « أى أنه كان كالسر تبرم

به صاحبه فأفشاه . » (٥) ذكر المرتضى في الشهاب تعليقا على هذه الآيات : « وهذا والله أبلغ

كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجوده المعنى ؛ وما أحسن ماشبه تسكاتر الشيب وتلاحقه

بيت السر عن ضيق صدر صاحبه وإعيائه بجماله ومعجزه عن طيه ! ويشبه بعض الشبه قوله :

* تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطَيْئِهِ *

وقال أيضاً :

رُدِّيَ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ فَاعِلَةً
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرَ مُلْتَفِتًا
/ وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيتَهُ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشُّعْرَى لَهُ وَطَنًا

إِنَّ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَانِي وَلَا أَرِي (١)
إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرُكُضْنَ فِي طَلْبِي (٢)
وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ [٢٠٨] ظ
صُبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَثْبِ (٣) ٥

وقال أيضاً :

لَا بَسٌ مِنْ شَبِيهَةٍ أَمْ نَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّيْبِ
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرَوٍ
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا
نَا كَرَّتْ لِمَتِّي وَنَا كَرَّتْ مِنْهَا

وَمُلِيحٌ مِنْ شَبِيهَةٍ أَمْ رَاضِي (٤)
بِ بَرَأْسِي لَمْ يَتَنَّ ذَاكَ امْتِعَاضِي (٥)
فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضٍ (٧)
لَفَنَّ شَيْئًا فَمَشَبِهَاتُ الْمَوَاضِي (٦) ١٠
سُوءٌ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ

= قولي من أبيات :

سَبَقَ احْتِرَاسِي مِنْ أَذَاهُ بَطِيئُهُ
وَفِي الْبَيْتِ لِحْجَةٌ بَعِيدَةٌ مِنْ بَيْتِ الْبَجْتَرِيِّ وَلَيْسَ بِنَظِيرِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ ؛ وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِي يُخَصِّنِي أَدْخَلَ فِي
الصَّحَّةِ وَالتَّحْقِيقِ ؛ لِأَنَّي خَبَرْتُ أَنَّ بَطِيئَةَ الشَّيْبِ سَبَقَ وَغَلَبَ احْتِرَاسِي وَحَذَرِي ؛ فَكَيْفَ مَجْزُولُهُ ! وَمَنْ
سَبَقَهُ الْبَطِيئَةُ كَيْفَ لَا يَسْبِقُهُ السَّرِيعُ ! وَالْبَجْتَرِيُّ قَالَ : إِنْ الْبَطِيئَةُ كَادَ أَنْ يَسْبِقَ السَّرِيعُ ؛ وَهَذَا عَلَى ظَاهِرِهِ
لَا يَصِحُّ ؛ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ الْبَطِيئَةَ هُوَ السَّرِيعُ ؛ بَلْ أَسْرَعُ مِنْهُ ؛ لَكِنَّ الْمَعْنَى : أَنَّهُ مُتَدَاوِلٌ مُتَوَاتِرٌ فَيَكَادُ الْبَطِيئَةُ
لَهُ يَسْبِقُ السَّرِيعَ ؛ وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمَلَاخَةِ .

(١) ديوانه : ١٦٩ ، ٢٩ ، ٣٠ ، والشهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « في نسخة س :
قرأت في شعره على شيخني : إلى بنات الردي » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) :
« من صلب » أي حدور ؛ وهو الموضع الذي يتحدر فيه . وفي م : « ويروي : حطت عليه صروف
الدهر من كسب » .

(٤) ناض : خالع ، ومايج : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : الألبس أنت برد الشباب أم خالعه ؟

(٥) في م : « لم يكن ذلك » وفي الديوان : « لم يعد » . (٦) مرو : مفكر .

(٧) د ؛ ومن نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفي حاشية الأصل : « ويروي : شبيه

بالمواضي وهو أحسن . قال س : فمشبهات ، لأبأس به ، والذي حسن الفاء طول الكلام وإن الشرطية فيه » .

شَعْرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَيَرَجُهُ نَ رُجُوعِ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ (١)
 وَأَبَتْ تَرَ كِيَ الْغُدَيَّاتُ وَالْآ صَالُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْمَقْرَاضِ (٢)
 غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْ صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعْدُهُ إِبْغَاضِي
 وَرُؤَاؤُ الْمَشِيبِ كَالْبَخْصِ فِي عِي سِنِي قَتْلُ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ (٣)
 طَبِيتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ دَ مِنْ صُبْنِغٍ بُرْدِهِ الْفَضْفَاضِ
 فَهَلْ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبِيَاضِ !
 وقال أيضاً :

تَعِيبُ الْغَائِنَاتُ عَلَيَّ شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ ! (٤)
 وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى حَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالْمَشِيبِ
 وقال أيضاً :

أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاحِمٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيباً (٥)
 فَعَجَبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا صَرَفَ الزَّمَانَ وَمَا رَأَيْتَ عَجِيباً

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه في الحال » .
 (٢) قال المرزقي في الشهاب تعليقا على هذا البيت والذي قبله : « قوله : خضبت بالمقراض في غاية الملاحه والرشاقه . ومعنى قوله : رجوع السهام في الأغراض أنه لا يملك ردا لطلوع الشيب في شعره ولا تلافيا لحلوله ، فيجرى في ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض في أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن في ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشرف ؛ وهو أن يريد بالأغراض المغانل والمواضع الشريفة من الأعضاء ؛ فسكائه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة إيلامه وإجماعه بإصابة السهام للمغانل والفرائص . ويحتمل وجهها آخر ؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض ، ثم ترجع بالرمي إليها أبداً ، فأشبهت في ذلك الشيب في قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرؤاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرمي وإذا همز كان من الرؤية .
 والبخص : لحم ناتي فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة . وفي حاشية الأصل أيضا : « مثله لابن الرومي :
 إِذَا سَنَنْتَ عَيْنَ الْفَتَى عَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّنَاءِ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .

(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجثل من الشعر : السكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفي حاشية الأصل : « جمل النهار خضابا لأنه شيء قدشاع وتمرن عليه » .

[٢٠٦] / إِنْ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ
سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَا
وقال أيضاً :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فابْتَسَمَتْ لَهَا
أَعَاتِكُ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي
وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ (١)
إِلَيْكَ ، فَأَلْحَى الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً :

عَمَّتْ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ
وُحِمَّتْ عِنْدَكَ (٣) ذَنْبَ الشَّيْبِ
تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبًا (٢)
بِحِثِّي حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ المَشِيْبَا
وَمَنْ يَطَّلِعُ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ
يُحِثِّي مِنَ الشَّيْبِ شَخْصًا (٤) غَرِيْبَا

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

١٠ قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخَطَأً مِنَ الشَّيْبِ
كَسْنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْنَا
بِرَأْسِي أَعْيَا عَلَى مَجْهُودِي
فِي حَوَائِثِي بَعْضَ النَّالِيَالِي السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادِ
كَانَ قَدِيمًا ! لِأَمْرٍ حَبَابًا بِالجَدِيدِ
يَالْحَا كُنَّ مِنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسِّ
نِ لَتَتَهَرَّنَا بِنِيرِ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضِي مَنِي فَأُجْزِي عَلَيْهِنَّ
صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنَّ سُودِي
١٥ قَلَّ مَاضِرٌّ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتِ
كُنَّ يَوْمًا عَلَى الوَقَارِ شُهُودِي

وقال اليجترى أيضاً :

خَلِيَّاهُ وَجِدَّةَ اللّهُوَ مَا دَا
مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) ديرانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ عنت : قصدت

والندوب : آثار المراحات . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون عروض البيت محذوفة ؛ والفصيحة بأسرها محذوفة العروض لإلايت المصرع فى أرها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالعروض سالمة ، فقولن « .

(٣) حاشية الأصل : « س : روى « حملت عبدك » ؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن .

(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « بروى : زورا » . (١) ديوانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَرَّأَيْنَ الْمَفَارِقِ السُّودَ سُودًا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السُّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَبَيْضًا وَنَضًا مِنْ السِّتِينِ عَنْهُ مَا نَضًا (١)
وَشَاهَ أُعْيِدُ فِي تَصْرِفٍ لِحِظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضًا (٢)
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ أَسْيَانُ أَثْرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ
وَأَسَافَ مِنْ وَصْلِ الْحِسَانِ وَأَنْفَضًا (٣)

٥

وقال أيضاً :

هَلْ أَنْتَ صَارِفٌ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ (٤)
جَاءَتْ مُتَمَدِّمَةً أَمَامَ طَوَّالِحِ هَذِي تَرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُعَادِي
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسَوَادِ (٥)
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ لِهَوَاً وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمِعَادِ

١٠

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفي حاشية الأصل : « أي خلع إتيان الستين عليه المسرة والنشاط » . (٢) شاه : غلبه ، وفم : « سباه » . (٣) من نسخة بمحاشبي الأصل ، ف : « أسوان » ، وهو الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه . (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ - ٢١ . (٥) قال الرضي في الشهاب تعليقا على هذا البيت : ووجدت الآدمي قد نزل في معنى قوله :

* يَشْرِي جَدِيدَ بِيَاضِهَا بِسَوَادِ *

لأنه قال : معنى يشري يبيع ؛ وأراد : أن الغيب من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الحضاب ؛ فكأنه ذم الحضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للحضاب ذكر ، ولاها هنا موضع للكناية عنه ؛ ومعنى : « يشري » هاهنا يبتاع ؛ لأن قولهم : شريت يستعمل في البائع والبتاع جميعا ؛ وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم ؛ فكأنه شهد بالغيب لمن يبتاع الشيب بالشباب ويتعوض عنه به ؛ وإنما ذهب على الآدمي أن لفظة « يشري » تقع على الأمرين المتضادين ؛ فتمجّل ذكر الحضاب الذي لامعني له هاهنا .

وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَكَأَلِهِ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ (١)

[٢٠٩]

/ وقال أيضا :

أَيْتَنَّى الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعْوَدُ (٢)
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بِيضٌ أَسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سُودٌ
وَأَعْدُ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعُ طَى غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيدٌ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعِيُونَ وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ هُ التَّفَاتَا إِلَى سِوَاهِ الْخُدُودُ

وقال أيضا :

قَدْ كَرِهْتُ مَنِيَّ فَمَا جَرَى السُّقْمُ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ تُحَنِّي (٣)
لَوْرَاتُ حَادِثِ الْخِضَابِ لِأَنْتَ وَأَرَنْتَ مِنْ احْمَرَارِ الْبِرْنَا (٤)
كَلَّفَ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلَفُنَ وَالْمَصْفَرِّ سِنًا (٥)
يَتَشَاغَفُنَ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى مِنْ تَصَابِ دُونَ الْجَلِيلِ الْمَكْتَى (٦)

(١) قال المرتضى في الشهاب أيضا : « وقال الأمدى في قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب في ذلك ؛ إلا أنه ما ذكر شاهده ووجهه ؛ والعرب تقول في الشيء القليل إنه معدود ؛ لذا أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جـل اسمه في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا في وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العد والحصر لا يقع إلا على القليل والكثير ؛ ولكثرته لا ينضب ولا ينحصر . (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ وبرده : جمع برد ؛ وهو كساء مربع مخطط . (٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) البرنا ، بضم الباء وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، والبرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال . (٥) في حاشية الأصل ف : السكاف : الحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيس :

شيثان لاتصبو النساءُ إليهما حَلَلُ الشَّيْبِ وَحَلَّةُ الْإِنْفَاضِ

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الكبير » .

وقال أيضاً :

أخىَّ إنَّ الصِّبَا استمرَّ به سيرُ الليالي فأهَجَّتْ بُرْدُهُ (١)
تَصَدُّ عَنِّي الحِسانُ مُبِعِدَةً إذُ أنا لأقْرُبُهُ ولا صَدَدُهُ
شَيْبٌ على المَفرِقينَ بارِضُهُ يَكْثُرُنِي أنْ أبنِيهُ عَدَدُهُ (٢)
تَطْلُبُ مِنِّي الشَّبَابَ ظالِمَةً بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لا تَجِدُهُ
لا عَجَبٌ إنْ مَلِيتِ خُلَّتَنَا فافْتَمَدَ الوَصْلَ مِنكَ مُفْتَقِدُهُ
مَنْ يَتَطَاوَلُ على مُطَاوَلَةٍ أَلِ مِيشَ تُفَعِّعُ مَنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال : "معنى «تَفَعَّعَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ» أى عظامه ، يحيى لها صوت إذا قام وقعد من كِبَرِهِ وضعفه"
١٠ قال : "وقوله : « من مَلَّة » أى من تَمَلَّى العيش ؛ يريد طولَه ودوامه ؛ ومنه تَمَلَّيتَ حَبِيبَكَ" والأمر بخلاف مانوهمه ، ومعنى « تَفَعَّعَ مِنْ مَلَّةٍ عَمَدُهُ » أن مَنْ تَطَاوَلَ عَمْرُهُ تَعَجَّلَ [٢١٠] تَرَحَّلَهُ وانتقاله عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك / بتفقع العمدة ؛ وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : « مَنْ يَتَجَمَّعُ يَتَفَعَّعُ عَمَدَهُ » ؛ يريدون أن التجمُّع داعى التفرق ؛ وأن الاجتماع يمتب طرف ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتفقع معه العمدة .

والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقيب على علوم العرب إن كان لم يعرف
١٥ هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله : « من مَلَّة » فإنما أراد به من مَلَّل ؛ ومَلَّة « فَعْمَلَةٌ » من المَلَّل ، وكيف يكون

(١) ديوانه : ١ : ١٤٥ ، الشهاب : ٢٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبات أول

ما يبدو من البهيمى ، وهو شوك . أبنيه : أزيله . يكثرنى : يغلبنى بالكثرة . »

من تملّى العيش، ولم يسمع في تملّيت «مئة» ! وهذا خطأ على خطأ^(١) .

وقال البحرى :

مَا كَانَ شَوْقِي بِيَدْعِ يَوْمَ ذَاكَ وَلَا
وَلِمَّةٍ كُنْتُ مَسْغُوفًا بِجَدَّتِهَا
دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سُفْحًا^(٢)
فَمَا عَفَا الشَّيْبُ لِي عَنْهَا وَلَا صَفْحًا

وقال أيضاً :

وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ
كُورِ كِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا
وَعَلْوَةٌ إِذْ عَيَّرَتْنِي الْكِبَرُ^(٣)
فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ
وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا تُكْذِبَنَّ
سَوَادَ الْهَوَى فِي بِيَاضِ الشَّعْرُ
وَلَا بَدَّ مِنْ تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ

قال الأمدى : ” وعليه في قوله :

٩٠

ولا بدَّ من تَرَكٍ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابِ وَإِمَّا الْعُمُرُ
معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ،
فهو تارك لها معاً ، وَمَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لاحتمالاً ؛ فهو أيضاً تارك
لها جميعاً “ .

(١) وعاد المرتضى فبسط هذا النقد مرة ثانية في كتابه الشهاب فقال : ” وقد نهينا في كتاب التمر على

هفوة الأمدى في قول البحرى : « تَقَعَّقَ مِنْ مَلَّةٍ عَمْدُهُ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير
السن يجيء لها صوت إذا تام وقعد ، وتسمع لها تقعقة ؛ وما سمنا بهذا الذي ظنه في وصف ذوى الأسنان
والكبر ؛ والمعنى أظهر من أن يجنى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تعجل رحيله وانتقاله
عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك بتقعق العمدة ؛ لأن ذوى الأطناب والحيام إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا
عمدخيامهم ، وسارت بها الإبل سمعت لها تقعقة ، ومن أمثال العرب المعروفة : « من يتجمع يتقعق عمده » ،
يريدون أن التجمع يعقب الفرق والرحيل الذى تتقعق معه العمدة . ومعنى قوله : « من ملة » يريد من السأم
والملال دون ما ظنه الأمدى من أنه تملّى العيش “ . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

” وقوله : « إمامًا » لانوجب إلا إحداهما“ قال : ” والمذر للبحترى أن يقال : إن من مات شاباً فقد فارق الشباب وحده لأنه لم يعمر ، فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون : عمر فلان إذا أسن ، وفلان لم يعمر إذا مات شاباً ، ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته ؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمت مفارقتة له ، وإنما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده ، فإلى هذا ذهب البحترى ، وهو صحيح / ولم يرد بالعمر المدّة القصيرة التي يعمرها الإنسان ، وإنما أراد بالعمر هاهنا الكبير ، كما قال زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبُ تُمْتَتُهُ ، وَمَنْ تَخْطَى يُعْمَرُ فِيهِمْ (١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسرُه ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غير ما توهمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التغافل والتعسف ؛ وإنما أراد البحترى أن الإنسان بين حالين : إما أن يفارق الشباب بالشيب ، أو العمر بالموت ؛ فمن مات شاباً - وإن كان قد خرج من العمر ، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما - فإنه لم يفارق الشباب وحده ؛ وإنما فارق العمر الذى فارق بمفارقتة الشباب وغيره . وقِسْمَةُ الرجل تناولت أحد الأمرين : إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة - ولن يكون ذلك إلا بالشيب - أو مفارقة العمر بالموت . وتلخيص كلامه : أنه لا بدّ للحى من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحترى إنما جعل قوله : « العمر » مقام الحياة والبقاء ، وإنما قال : « العمر » لأجل القافية ؛ مع أنه مُنْبِيٌّ عن مراده ؛ ولو أنه قال : ولا بدّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله : « العمر » .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى على بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : من معانى ابن الرومى التي فتهها قوله يذم من جمل مصيبة غيره مُنْسِيَةً له مصيبتَه ، وعاب

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى تسير على غير قصد ؛ يقال : عشا يعشوا إذا أصابه المشاء ؛ وهو السير على غير بصر .

مَنْ تَمَلَّلَ بِالتَّاسِيِّ بِمَا نَالَ غَيْرَهُ، وَهُوَ يَرْتِي شَبَابَهُ، وَأَحْسَنُ :

يَا شَبَابِي وَأَيْنَ مَنِّي شَبَابِي ! أذَنْتَنِي أَيَّامُهُ بِانْتِضَابِ (١)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَمِيمِي وَكُهْوِي ! تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ
وَمُعَزِّيٍّ عَنِ الشَّبَابِ مُؤَسِّ بِمَشِيبِ اللَّدَاتِ وَالْأَحْبَابِ
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَمَدُّ أَسَاهُ (٢) مِنْ مَصَابِ شَبَابِهِ كَمَصَابِ
لَيْسَ تَأْسُو كُلُّهُمْ غَيْرِي كُلُّوْمِي مَا بِهِ مَا بِهِ، وَمَا بِي مَا بِي

ولابن الرومي:

[٢١١] / لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ
و قُبْحًا لَهَا قُبْحًا عَلَى أَنهَا
١٠ وَقَدْ يَعِزُّنِي شَبَابُ مَضَى
وَمَدَّةٌ لِلْعَيْشِ اسْتَلْفَتْهَا كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَفَتْهَا
كُنْتُ أُمَامِي ثُمَّ خَلَفْتُهَا ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَعُرِّقْتُهَا
وَتَرَحَّةُ الْمَوْلُوبِ الْجَفِيفِهَا وَتَرَحَّةُ الْمَوْلُوبِ الْأَعْدِمِهَا
تَذَكَّرِي أَنِّي تَنْصَفْتُهَا لَوْ أَنَّ عَمْرِي مَائَةٌ هَدَّتَنِي

وله في هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة ، وقد أحسن في معناها كل ١٥

الإحسان :

كَفَى بَسْرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَا لِيَا (٤)
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مِقَاتِلِي لِرَامِي الْمَنَايَا تَحْسِينِي نَاجِيَا !
غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصِبْنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يَرِي فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا ٢٠

(١) ديوانه، الورقة ٤٢ (٢) أساة : جمع أسوة ؛ وهو القدوة . (٣) ديوانه ، الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لمن قد أضلته » .

مَجْلِسٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] :

فقال : كيف جاءت ﴿ أَوْ ﴾ بعد مالا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما الناصب لقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس في الكلام ما يقتضى نصبه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

٥

أولها أن يكون قوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ والمعنى أنه تعالى عَجَّلَ لكم هذا النصر ، ومانحكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أى قِطْعَةً منهم ، وطائفة من جمعهم أو يكتبهم ؛ أى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ، وَيُكَذِّبَ فيكم ظنوتهم ، أو يعظمهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أو يكفروا بمد قيام الحجج ، وتأكيد البينات والدلائل ، فيموتوا أو يقتلوا كافرين ؛ فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معطوفاً على قوله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ؛ أى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثانى أن يكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى «حتى» ، أو «إلا أن» ؛ والتقدير : ليس لك من الأمر ١٥

شيء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلا أن يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بِكِي صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرَبَ دُونَهُ وَأَيَّقَنَ أَنَا لِاحِقَانَ بِقَيِّصَرَ (١)
فَقُلْتُ لَهُ : لِأَنَّكَ عَيْنَكَ إِنَّمَا نَحْوِلُ مُلْكًا ، أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذَرَا
أراد : إِلَّا أَنْ نَمُوتَ

وهذا الجواب يَضَعُفُ من طريق المعنى ؛ لأن لقائل أن يقول : إن أمر الخلق ليس إلى
أحدٍ سوى الله تعالى قبل توبة العباد وعقابهم بمد ذلك ؛ فكيف يصحُّ أن يقول : ليس
٥ لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان
إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصحُّ الكلام إذا أُجْمِلَ على المعنى ؛ وذلك أن قوله :
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معناه : ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو
ما تريده من استئصالهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها ؛ إلا بأن
١٠ يُلطِّفُ اللهُ لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ما تريده من توبتهم
أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو مِنَّ أَنْ يَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ؛
فأضمر «من» اكتفاءً بالأولى ، وأضمر «أن» بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها ، وهي
مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء وَمِنَّ تَوْبَتِهِمْ ١٥
وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأنَّ الفعل
لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذي لا تصرف له على إضمار « أن » مع الفعل / [٤١٢]
لأنه ليس من كلام العرب : «عجبت من أخيك ويقوم» ، على معنى : «عجبت من أخيك ومن
و

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛
وصاحبه عمرو بن قتيبة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس في رحلته .

أن يقوم» ، لأن أخاك اسمٌ جامدٌ محضٌ ، لا يمطف عليه إلا ما شاكله . وقال : وهذا إذا يستقيم ويصلح في ردّ الفعل على المصدر ، كقولهم : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ؛ على معنى : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ، فيطرد هذا في المصادر ، لأنها تتأول بـ « أن » فيقول النحويون : « يعجبني قيامك » ، وتأويله : « يعجبني أن تقوم » ، قال : والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . ٥

وليس الذي ذكره ابن الأنباري مستبعداً ، وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف ؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازده ؛ لأنه قد أجاز ذلك في المصادر ، وإن لم يجزه في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأن « الأمر » مصدر أمرت أمراً ؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك من أن أمرهم أو تأمرهم شيء ، ولا من أن يتوبوا ، ١٠ وجرى ذلك مجرى قولهم : « كرهت غضبك ويغضب أبوك » ، في رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا تَنَاجِشُوا ولا تَدَابِرُوا ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعرضه » .

الجواب ، قيل له : أما النَّجْشُ فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الحمر :
وَتُرْحَى بِالْ مَنْ يَشْرِبُهَا وَيُفْتَدَى كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجْشِ^(١)

أى عند مدحها ، ومنه النَّجْشُ في البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ؛ بل ليقتدى بالزائد في زيادته غيره ؛ وأصل النَّجْشُ استخراج الشيء والتنقيح عنه ، قال بعض الفقهاء :
١٥

أَجْرَسُ لَهَا يَا بَنَ أَبِي كِبَاشٍ (١) فَمَا لَهَا اللَّيْلَةَ مِنْ إِنْفَاشٍ (٢)
غَيْرَ الشَّرَى وَسَائِقٍ نَجَّاشٍ - أَسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ انْطَشَخَاشٍ -

والنجاش: هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أَجْرَسُ لَهَا ، أى
أَحْدُ لَهَا لتسمع / الجداء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢]
والإنفاش ، أراد أنها لا تترك رعى ليلاً ، والنفش أن ترعى الإبل ليلاً ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها
بالليل رعى .

والطشخاش : الخفيف الحركة السريع الثقل .

والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً؛ لأن الناجش يستثير بزيادته في الثمن ،
ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح
أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها ، وهو لا يريد شراءها لیسعنه غيره فيزيده .

١٠

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى
منفعة ، ويستثير فائدته ؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام ، لأن قوله : « ولا تدابروا »
أشدُّ مطابقة له .

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويوتئ كل واحد صاحبه دُبْرَ وجهه ، قال

١٥

الشاعر :

وَأَوْصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُو كُفْمٍ، وَيَحْكُمُ! أَنْ تَدَابَرُوا (٣)

فكأنه قال عليه السلام : لا تمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ، ولا تهاجروا

وتتقاطعوا .

(١) اللسان (جرس) ؛ وفي حاشية الأصل : « صوت الجرس ؛ وروى ابن السكيت : « أجرس » ،
وأنكروا عليه : أجرشت الشيء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفشت الإبل : نفرقت في المرعى ، وأنفشتها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»، فقد ذهب قوم إلى أن عَرَضَ الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته؛ ومن جرى مجراهم .

وذهب ابن قتيبة إلى أن عَرَضَ الرجل نفسه، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال: «لا يبولون ولا يتغوَّطون؛ وإنما هو عَرَقٌ يجرى من أعراضهم مثل المسك»؛ أي من أبدانهم؛ قال: ومنه قول أبي الدرداء: «أقرض من عَرَضِكَ ليوم فقرك»، أراد مَنْ شتمك فلا تشتمه، ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص .

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيعجز أحدكم أن يكون كَأبي ضَمُضَمٍ! كان إذا خرج من منزله قال: اللهمَّ إني قد تصدَّقت بعرضي على عبادك»؛ قال: فمعناه قد تصدَّقت بنفسي وأحلت من يمتابني، فلو كان العَرَضُ الأسلاف ماجازاً يُحِلُّ مَنْ سَبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه .

قال: ويدل على ذلك أيضاً حديثُ سفیان بن عيينة: «لو أن رجلاً أصاب / من عَرَضِ رجل شتماً ثم تورَّع من بعد؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلَّوه له، ولم يكن ذلك كفارة له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته؛ لكننا نرى أن ذلك كفارة له» .

قال: ويدل على أن عَرَضَ الرجل نفسه قول حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ^(١)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

(١) ديوانه: ٩؛ يخاطب أبا سفیان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجو؛ وقوله:

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا سَفِيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مَجْوُوفٌ تُنَخَبُ هَوَاءُ
بأن سيوفنا تركتك عبداً وَعَبْدُ الدَّارِ سَادَتِهَا الْإِمَاءُ

والآيات في الاقتضاب: ٣٠٠؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده: «وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته التي أولها:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عِذْرَاءٍ مِنْهَا خَلَاءُ =

أراد : فإنَّ أبى وجدِّى ونفسى وقالاَ لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .
 وقال آخرون—وهو الصحيح : العرِّض موضع المدح والذم من الإنسان ، فإذا قيل : ذَكَرَ
 عرِّض فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمدح أو يذم به ، وقد يدخل
 فى ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آباءه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذى
 يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون فى قولهم : «شتم فلان عرِّض فلان» بين أن يكون
 ذَكَرَه فى نفسه بقبيح الأفعال، أو شتم سلفه وآبائه ؛ ويدلّ عليه قول مسكين الدارمى :
 رَبِّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرِضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْحَسَبِ^(١)
 فلو كان العرِّض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً ؛ لأن السَّمْنَ والهزَّال يرجعان إلى
 شيء واحد ؛ وإنما أراد : رَبِّ مَهْزُولٍ كريمة أفعاله ، أو كريم آباؤه وأسلافه ؛ وقد قال ابن
 عبدلُ الأسدى^(٢) :

١٠

= حتى انتهى إلى قوله :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة يا حسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فإنَّ أبى ووالدهَ وعِرْضى لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال رسول الله صلى الله عليه : وقاك الله يا حسان النار ؛ فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدِّ فشرُّ كما لخير كما الفداءُ

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قالته العرب . (١) بعده :

كسبته الورقُ البيضُ أباً ولقد كان وما يدعى لأب

وانظر الأغاني ١٨ : ٧٠ ، وأمالى القالى ١ : ١١٨ ، واللالى ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة فى أمالى القالى ٢ : ٢٦١ ، عدداً بيئاتها أربعة عشر بيتاً ؛ ومنها فى حماسة أبى تمام — بشرح

المرزوقى ١١٦٣ — ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر القالى من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بباب

الحجاج ؛ وفيهم الحكم بن عبدل الأسدى فقالوا : أصلح الله الأمير ! إنما شعر هذا فى الفأر وما أشبهه ،

قال : ما يقول هؤلاء يابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأشده الأبيات ؛ حتى انتهى

إلى قوله :

ولستُ بذى وجهين فيمنُ عرفتهُ ولا البخلُ فأعلمُ من سمانى ولا أرضى

وإني لاستغني بما أبطر الغني ، وأبدل ميسوري لمن يبتغي قرصى (١)
وأعسر أحيانا فتشتت عسرتي وأدرك ميسور الغنى ومعى عرضي
ولا يابق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنباري قد ردّ علي ابن قتيبة قوله هذا
٥ وطمع على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة : إن
المراد بالأعراض المغاين (٢) الجسد .

وحكى عن الأموي أنه قال : الأعراض المغاين التي تعرق من الجسد ؛ نحو الإبطين
٢١٣ . وغيرها ، وقال في حديث أبي الدرداء : معناه : من عابك / ، وذكر أسلافك ، فلا تجازيه ؛ ليكون
ظ
الله تعالى هو المثيب لك .

١٠ وقال في قول أبي ضمّم : معناه أنه أحلّ من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آباءه فلم
يُحَلّ إلا من أمرٍ إليه .

وقال في قول حسان : المراد بعرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبي ووالده وجميع
أسلاف الذين أمدح وأدّم من جهتهم وقاء له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ كما
قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ ر : ٨٧] ،
١٥ فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب
من تأويل خبر أبي ضمّم ، لأنّ من آذى رجلاً بسببه في نفسه ، أوسب سلفه وأدخل عليه
بذلك وضعا ونقصا لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك ، لأن الأذى لم يدخل
عليهم ، ولو كان داخلا عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم
لا يصح ؛ على أن في الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط
٢٠ مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في مواضع .

= فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم في كل مرة يعطيهم .

(١) أبطر الغنى ، أى أبطر في الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر . وأعرض ميسوري ؛ يريد يسرى ؛

وضع اسم المفعول موضع المصدر . (٢) المغاين : معاطف الجلد ؛ جمع مقين .

وبعد، فلو سلّم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كلِّ المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف، أو سلّم له ذلك في بيت حسان خاصة؛ فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه؛ لأننا لم نقل: إن العرض مقصور على سلف الإنسان، بل ذكرنا أنه موضع الدم والمدح من الإنسان، ولا فرق بين سلفه ونفسه؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا، وإنما ينفذ ابن قتيبة أن يأتي بما يدلُّ على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف، وكل شيء فيما المراد بالعرض فيه النفس، أو المراد به السلف فهو مؤكّد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الدم والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون ما استشهدنا به، وما جرى مجراه؛ مما يدلُّ على استعمال لفظ «العرض» في السلف حجة على ابن قتيبة؛ لأنه قصر معناها على النفس والذات، دون السلف؛ وهذا واضح بين بحمد الله.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم ١٠ قال: كان أبو عبيدة / معمر بن المثنى صُفْرِيًّا^(١)، وكان يكتم ذلك؛ فأنشدني لعمران بن حِطَّان^(٢): [٢١٤] و

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الصفرية: جنس من الخوارج، سمو بذلك لاصفرار وجوههم؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار».

(٢) هو أبو سماك عمران بن حِطَّان بن ذبيان السدوسي؛ رأس القعدة من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم، أدرك جماعة من الصحابة ورؤي عنهم، ثم لحق بالشرأة، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبيد الملك بن مروان ففر إلى عمان، ولما طأ عمره قعد عن الحرب، واكتفى بالتحريض والدعوة بشعره؛ وتوفي سنة ٨٤. وهذه الأبيات يقولها في رثاء أبي بلال مرداس بن أديه؛ وكان قد قتل في لمارة عبيد الله بن زياد، سنة ٦١؛ وهي برواية أبي العباس المبرد:

يا عَيْنُ بَكِيٍّ لِمَرْدَاسٍ وَمَصْرِعِهِ	يَارِبَّ مَرْدَاسٍ اجْعَلْنِي كَمَرْدَاسٍ
تَرَكْتَنِي هَائِمًا أَبْكِي لِمَرْزَاتِي	فِي مَنزَلٍ مُوحِشٍ مِن بَعْدِ إِيْنَاسٍ
أَنكَرْتُ بَعْدَكَ مَا قَد كُنْتُ أَعْرِفُهُ،	مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مَرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا شَرِبْتُ بِكَاسٍ دَارَ أَوْلَاهَا	عَلَى الْقُرُونِ فَنَدَاقُوا جَرْعَةَ الْكَاسِ
فَكُلٌّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شَارِبٌ عَجَلًا	مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ

وانظر الإصابة ٨١:٥، والكامل - بشرح المرصفي ٧: ٨٣.

أُنْكَرْتُ بِمَدِّكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أُعْرِفُهُ، ما الناسُ بِمَدِّكَ يَا مِرْدَّاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأَسَا دَارًا أَوْ لَهَا على القُرُونِ فذَاقُوا نَهْلَةَ الكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ جِينًا قَدْ بَيَّسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَا سِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشناداني قال قال
التوزي: كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبعج منه ثبج
بحر؛ فجبته يوماً وهو مطرق ينكت الأرض في صحن المسجد؛ وقد قربت منه الشمس،
فسلمت عليه فلم ير دد^(١)، فتمثلت:

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعَدَّ مِنْ سَقَطِ النَّعَاجِ

— والبيت لقطري بن الفجاءة — فنظر إلى وقال: ويحك! أتدري من يقوله؟ قلت:

١٠ قطري، فقال: اسكت، رضى^(٢) الله فاك! فألاقت: أمير المؤمنين أبو نعامه^(٣)! ثم اتبته
فقال: اكنمها على ياتوزي، فقلت: هي ابنة الأرض، فأشدني:

أَقُولُ^(٤) لَهَا إِذَا جَاشَتْ حَيَاءٌ مِنَ الْأَبْطَالِ وَيُحَكِّ لَنْ تُرَاعِي^(٥)
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي^(٦)
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَيْلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ

(١) د؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ف، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« فصر الله فاك ». (٣) هي كنية قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي؛ كان زعيماً من زعماء الخوارج؛ خرج
زمن مصعب بن الزبير سنة ٦٦، وبقى عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة؛ وكان الحجاج يسير إليه
جيشاً، وهو يستظهر عليه، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد السكلي، فظهر عليه وقتله سنة ٧٨، (ابن
خلسكان ١ : ٤٣٠). (٤) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ١ : ٩٦-٩٧.

(٥) د، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وقد جاشت ». وفي حاشية الأصل (من نسخة) :
« وقد طارت حياءً »، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعاً »؛ الشعاع : المنفرق، والحطاب لنفسه؛
ولن تراعي، من الروع، وهو النزوع. (٦) الحماسة : « بقاء يوم ».

وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ فَيُطَوَى عَنْ أُخَى الْخَنْعِ الْبِرَاعِ^(١)
 سَبِيلُ الْمَوْتِ مَنْهَجٌ كُلُّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعٍ^(٢)
 وَمَنْ لَا يُقْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْمُ وَتُقْضَى بِهِ النُّونُ إِلَى انْقِطَاعِ^(٣)
 وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

فكبتها وقت لأنصرف ؛ فقال : افعد ، ثم أنشدني :

إلى كم تعاربنى السيوفُ ولا أرى مُغَارَاتِهَا تَدْعُو إِلَى حِمَامِيَا^(٤)
 أَقَارِعُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى بَقَاءً عَلَى حَالٍ لِمَا لَيْسَ بِقِيَا
 / وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدَّ أَنْي لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لِطُولِ قِرَاعِيَا
 أَغَادِي جَلَادَ الْعَالَمِينَ كَأَنِّي^(٥) عَلَى الْعَسَلِ الْمَازِيٍّ أَصْبَحُ مُغَادِيَا^(٦)

[٢١٤]
ظ

- (١) الحماسة : « ثوب عز » . الخنع : الجنب ، والبراع : الجبان الضعيف .
 (٢) حاشية ف (من نسخة) : « غاية كل حي » ، وهي رواية الحماسة .
 (٣) ف :

* وَيُقْضَى بِهِ الْبَقَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ *

ورواية الحماسة :

* وَتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ *

- والاعتباط : أن الحي يموت من غير علة ؛ أي من لم يمّت شابامات هرما
 (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تعاربنى ، وفي حاشية الأصل ، ف : « المعارة ، بالعين
 المهملة : من العرى ، أي تلقانى السيوف عارية ، وبالعين المعجمة : من غرى به إذا أواع ، والمعارة أيضا :
 المتابعة بين الشيتين ، يقال غاربت بين الشيتين ، إذا واليت بينهما » . وفيه : « تغاربنى » ، تحريف .
 (٥) د ، ومن نسخة بجاشيتي الأصل ، ف : « الململين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذى علم
 مكانه في ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتمرّ فوني أننى أنا ذاكُمُ شالكِ سلاحى فى الحوادث معلّم

وقول الأخطل :

مازال فينا رباط الخليل معلّمًا وفى كليب رباط اللؤم والعار

(٦) الماذى : العسل الأبيض .

وَأَدْعُو الْكِمَاةَ لِلزَّلَالِ إِذَا الْقِنَا تَحَطَّمْ فِيهَا بَيْنَنَا مِنْ طِعَانِيَا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنْتُ مِنْ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَاعِيَا^(١)
فقال ابن دُرَيْدٍ : وهذا الشعر أيضاً لقطريّ بن الفُجَاءة .

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :
جئتُ^(٢) أبا عبيدة يوماً ، ومعى شعر عُرْوَةَ بن الورد ، فقال . فارغُ حَمَلِ شعر فقير ليقراه
على فقير ، فقلت : مامعى غيرُهُ ، فأنشدني أنت ماشئت ، فأنشدني :
يَارُبِّ ظِلِّ حِمَارٍ قَدْ وَقِيَتْ بِهِ مُهْرِي مِنْ الشَّمْسِ ، وَالْأَبْطَالُ تَجَنَّدُ^(٣)
وَرُبَّ يَوْمٍ حَمِيَّ أَرْعَيْتُ عَقْوَتَهُ خَيْلِي اقْتِسَارًا ، وَأَطْرَافُ الْقِنَا قِصْدُ^(٤)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَعَا وَنَارُهُ تَقْدِ^(٥)
مُشَهَّرًا مَوْفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ
وَرُبَّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا نَحْرَتُهَا بِمِطَايَا غَارَةٍ تَخِذُ^(٦)
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ^(٧)
فَإِنَّ أُمَّتَ حَتَفَ نَفْسِي لِأُمَّتِ كَدَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصْرُ الْعَاجِزِ السِّكْمُ
وَلَمْ أَقْلُ لَمْ أُسَاقِ الْقَتْلَ شَارِبَهُ^(٨) فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَايَا تَرَّعُ وَرُدُ
ثم قال له : هذا الشعر ! ؛ لا ماتعللون به نفوسكم من أشعار الخنثين . والشعر
لقطريّ .

(١) حاشية الأصل : « أي ملسكا يقبض روحه ويدعوه » .
(٢) الخبر والأبيات في أمالي القالي ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وزهر الآداب - طبعة الحلبي ١٠٢٧ -
١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفي حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الرابية » .
(٤) العقوة : الساحة ، والقصد : القطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل
(من نسخة) : « إذ ناره » . (٦) د : « نحرتها » . وتخذ : تسرع . (٧) الأفزاع :
المخاوف ، وفي زهر الآداب : « بصطادها » . (٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « ساقيه » .

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إلى في أول ما اختلفت إليه ، لأنه كان يظنني على رأيهم^(١) ويسألني عن خوارج سجستان - لأنه كان يظنني على رأيهم - وكنت أوهمه أني على رأيهم ، فنالتني منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما يئشدني أشعارهم ، ثم يتمثل :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنو البنى وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عقّدوا شدّوا^(١) ٥

/ قال : وأنشدني يوما لرجل من طي من الخوارج :

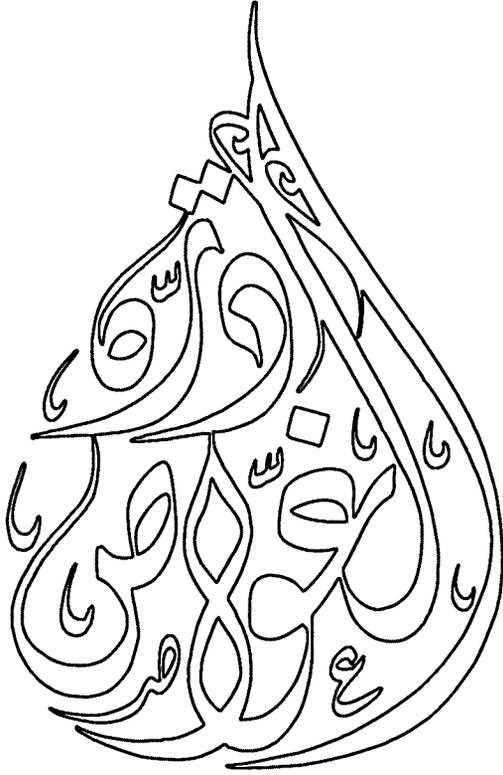
[٢١٥]

لا كابن ملحان من شارٍ أخى ثقة^(٢) أو كابن علقمة المستشهد الشاري^(٢) و
من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داري بأعلى صفقة الدار^(٣)
إخوان صدق أرجبهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وإحذاري
فصرت صاحبَ دنيا لست أملكها وصار صاحبَ جناتٍ وأنهارٍ ١٠

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، ويليه القسم الثاني إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية : إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ... ﴾

(١) البيت للحطيمية ، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشاري : واحد الشراة ؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك ؛ كأنهم شروا أنفسهم لله ؛ أى باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أى يبيعهما . وقال قطري في هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً بَاعُوا إِلَاهَهُ نَفُوسَهُمْ بِجَنَاتٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ
(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « داري ، بمعنى الدنيا التي كانت داره ؛ وهو في قيد الحياة ؛ يعنى أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وقتل ، فباع داره بدار في الجنة » .



المجلس الأول

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٥- ٢
تأويل الحديث: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» ٩- ٥
مسألة في القول بوجوب الأصحح عليه تعالى ١٠- ٩

المجلس الثاني

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١٢- ١١
تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا...﴾ [الحجر: ١٩] ١٥- ١٣
تفسير معنى «اللحن» عند العرب ١٦- ١٥
خبر أسير بني العنبر في بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح مافيه من
كنايات ١٧- ١٦
تأويل كلام علي بن أبي طالب: «من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جليبا
أو تجففا» ٢٨- ١٧
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل العدل ٢١- ١٩
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١-
مسألة في الاستدلال على نفي الرؤية بالأبصار ٢٤- ٢٢

المجلس الثالث

- تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٧- ٢٥
وقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَلَمَّا رآها تهتت...﴾ [القصص: ٣١]
(٤١ - غرر - أول)

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ،
 [الأعراف: ١٧٢، ١٧٣] ٢٨ - ٣٠
- تأويل الحديث : « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » .
 الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾
 [الفاتحة: ٢٢، ٢٣] ٣٦ - ٣٨

المجلس الرابع

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
 [يونس: ١٠٠] ٣٨ - ٤٢
- تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ... ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤] ٤٣ - ٤٥
- وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]
- وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفات: ٢٧]
- تأويل الحديث : « لاتسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .
 مسألة في ذكر المنافع التي عرض الله الأحياء لها ٤٧ - ٤٨

المجلس الخامس

- تأويل قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨، ٢٩] ٤٩ - ٥٥
- تأويل الحديث : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ » .
 خبر حسد الفرزدق لليلى الأخيلية على أبيات قالتها ٥٨
- خبره ، مع الكميت حين عرض عليه أبياتا له من قصيدة ٥٩
- خبره عند سليمان بن عبد الملك ٦٠ - ٦٢
- خبر تنسكه في آخر عمره وما قاله من شعر في ذلك ٦٣ - ٦٥
- عود إلى خبره مع الكميت ٦٦ - ٦٧
- خبر مديحه لعل بن الحسين بن علي ٦٧ - ٦٩

المجلس السادس

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[هود: ١١٨، ١١٩] ٧٥- ٧٠

تأويل الحديث: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت». ٧٦- ٧٥

خبر علي بن أبي طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب ٨١- ٧٧

ما قالته العرب في أحوال القمر، وتفسير ماورد في ذلك من الغريب ٨٦- ٨١

المجلس السابع

تأويل قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ [الإسراء: ٧٢]

تأويل الحديث: «تق^٤ الأرض أفلاذا كبادها مثل الأسطوان». ٩٨- ٩٥

أبيات للخنساء في مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر أبيات تشبهها ١٠٤- ٩٨

المجلس الثامن

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] ١٠٧-١٠٥

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد في ذلك من الغريب ١١٢-١٠٧

بعض أخبار قيس بن عاصم ١١٤-١١٢

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهبيل: ١١٧-١١٦

وأبرزتها من بطن مكة عندما أصات المنادى بالصلاة فأعتمأ ١١٥-١١٢

نسب أبي دهبيل وذكر بعض أشعاره

المجلس التاسع

تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٠] ١٢٣-١٢٠

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار ١٢٧-١٢٤

- ١٢٨-١٢٧ فصل في أخبار الدهريين والزنادقة المتهتكين ممن كانوا في صدر الإسلام
١٣٠-١٢٨ أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٣٢-١٣١ أخبار حماد الراوية
١٣٣-١٣٢ أخبار حماد بن الزرقان
١٣٤-١٣٣ أخبار حماد عجرد
١٣٧-١٣٤ أخبار ابن المقفع، وإيراد بعض كلامه
١٣٨-١٣٧ أخبار ابن أبي العوجاء
١٤١-١٣٨ أخبار بشار بن برد

المجلس العاشر

- ١٤٢- أخبار مطيع بن إلياس
١٤٤-١٤١ أخبار يحيى بن زياد الحارثي
١٤٦-١٤٤ أخبار صالح بن عبد القدوس
١٤٧-١٤٦ أخبار علي بن الخليل
١٤٨- الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب
١٥٢-١٤٨ وقَّع من كلام علي بن أبي طالب والأئمة من أبنائه
١٦٢-١٥٢ أخبار الحسن بن أبي الحسن البصريّ وشيء من كلامه

المجلس الحادي عشر

- ١٦٥-١٦٣ أخبار واصل بن عطاء
١٦٩-١٦٥ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول بالمنزلة بين المنزلتين
١٧٣-١٦٩ أخبار عمرو بن عبيد

المجلس الثاني عشر

- ١٧٦-١٧٣ عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور
١٧٧-١٧٦ عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم
-١٧٧ عمرو بن عبيد وسليمان بن علي
-١٧٧ كلام عمرو بن عبيد على القدر
١٨٣-١٧٨ أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره
١٨٥-١٨٣ خبر طرفة بن العبد والمتلمس الضبعيّ وحديث الصحيفة

المجلس الثالث عشر

- ١٨٧-١٨٦ أخبار بشر بن المعتمد وإيراد بعض أشعاره
١٨٩-١٨٧ أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره
١٩٤-١٨٩ اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان
١٩٩-١٩٤ أخبار الجاحظ وتنف من كلامه

المجلس الرابع عشر

- ٢٠١-٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]
٢٠٨-٢٠٧ خبر قيس بن زهير العبسي مع النمر بن قاسط
٢١١-٢٠٨ خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد في ذلك من الأمثال
٢١٤-٢١١ مقتل زهير بن جديمة العبسيّ
٢١٤ خبر يوم الهباءة

المجلس الخامس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٩-٢١٥
خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبي ، وتأويل
٢٢٠-٢١٩ ماورد من الغريب في ذلك
٢٢٢-٢٢٠ من كلام ابنة الحُسّ وتأويل ماورد في ذلك من الغريب
٢٢٢ تأويل قول العرب: « جاءنا بطعام لا يُنادى وليدُه » .
٢٢٢-٢٢٧ أخبار معن بن زائدة

المجلس السادس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١].
٢٢٨-٢٣١ باب في ذكر المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
٣٣٢ أخبار الحارث بن كعب المذحجيّ ووصيته حين الموت وشرح ماورد في ذلك
٢٣٢-٢٣٤ أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره
٢٣٤-٢٣٦ أخبار دريد بن زيد بن نهد وشرح ما أورده من كلامه
٢٣٦-٢٣٨ أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره
٢٣٨-٢٤٣

المجلس السابع عشر

- ٢٤٤-٢٤٩ أخبار ذى الإصبع العدواني وحديثه مع بناته الأربع
٢٤٩-٢٥١ خبر عبد الملك بن مروان مع سعيد بن خالد الجدليّ
٢٥١-٢٥٣ إيراد شعر لذي الإصبع وشرح ماورد في ذلك من الغريب
٢٥٣ ذكر معدى كرب الحميريّ وبعض شعره
٢٥٣-٢٥٦ أخبار الربيع بن ضبع الفزاريّ

المجلس الثامن عشر

- ٢٦٠-٢٥٧ أخبار أبي الطمجان القينى وإيراد طائفة من شعره
٢٦٣-٢٦٠ أخبار عبد المسيح بن بقيلة الغسانى
٢٦٩-٢٦٣ أخبار النابغة الجمدى وإيراد طائفة من أشعاره

المجلس التاسع عشر

- ٣٧٢-٣٧٠ مسألة تتضمن الرد على منكرى تطاول الأعمار وامتدادها
٢٧٩-٢٧٣ باب فى الجوابات الحاضرة المستحسنة
٢٨٢-٢٧٩ قصيدة لأبى نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس العشرون

- ٢٨٧-٢٨٣ عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة
٢٨٨-٢٨٧ خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشى
٢٦٤-٢٩٢ بعض ما يروى من أجوبة أبى الأسود الدؤلى الحاضرة

المجلس الحادى والعشرون

- ٢٩٥ خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبى مسلم
٢٩٥ خبر صفوان بن الأهمم مع رجل من بنى عبد الدار
٢٩٦ مادار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص
٣٠٣-٢٩٩ من أجوبة أبى العيناء المسكتة
٣٠٦-٣٠٥ موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولى وأوس بن حجر
٣٠٧-٦٠٦ أبيات للمتنخل الهذلى وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس الثاني والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

٣١٧-٣٠٨

بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

تأويل الحديث: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن...»

٣٢٣-٣١٨

المجلس الثالث والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]

٣٢٧-٣٢٤

المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾

٣٣٦-٣٢٨

[الأحزاب: ١٠]

المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبا: ٩]

٣٤٠-٣٣٧

تأويل الحديث: «إن الميت يمدب في قبره بالنياحة عليه».

٣٤٣-٣٤٠

تأويل الحديث: «مامن أحد يدخله عمله الجنة ويُنجيه من النار...»

٣٤٥-٣٤٤

أبيات لعمر بن أبي ربيعة يقولها في الثريا بنت عبد الله

٣٤٧-٣٤٦

خبر عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق والثريا بنت عبد الله

٣٤٨-٣٤٧

المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى: ﴿فَقَشِيهِمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]

٣٥٠-٣٤٩

تأويل قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]

٣٥٣-٣٥١

تأويل الحديث: «إن هذا القرآن مأدبة الله...»

٣٥٨-٣٥٤

ذكر أنواع المآدب وأسمائها وما ورد في ذلك من الشعر

٣٥٨-٣٥٥

أخبار متفرقة عن الأصمعيّ وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر

٣٦٢-٣٥٨

المجلس السابع والعشرون

- ٣٦٥-٣٦٣ [التوبة : ٣٠] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ﴿ ... ﴾
- ٣٦٧-٣٦٥ [إبراهيم : ١٤]
- خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلاً ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب
- ٣٧٠-٣٦٨
- أبيات لرفيع الوالبيّ
- ٣٧١-٣٧٠
- أخبار عقيل بن علفة وإيراد طائفة من شعره
- ٣٧٤-٣٧١

المجلس الثامن والعشرون

- ٣٧٦-٣٧٥ [البقرة : ٢١٠] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ﴿ ... ﴾
- ٣٧٩-٣٧١ [البقرة : ١٨٩] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ... ﴾ [البقرة : ١٨٩] ﴿ ... ﴾
- ٣٨٠-٣٧٩
- أبيات لهلال بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب
- ٣٨٣-٣٨٠
- إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغدانيّ
- ٣٨٨-٣٨٣
- طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نواتره

المجلس التاسع والعشرون

- ٣٩٢-٣٨٩ [البقرة : ٢٠٢] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ... ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ﴿ ... ﴾
- ٣٩٤-٣٩٢ [البقرة : ٢١٢] ﴿ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢] ﴿ ... ﴾
- ٣٩٧-٣٩٥
- تأويل الحديث : « توضئوا مما غيرت النار » .
- ٤٠١-٣٩٧
- بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره

المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُذُنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾

٤٠٥-٤٠٢

[الأعراف: ٨٩]

٤٠٧-٤٠٥

تأويل الحديث: « خير الصدقة ما بقت غني » .

٤١٠-٤٠٧

ذكر أبيات تروى لثابت قطنه وعروة بن أذينة

٤١١-٤١٠

أبيات للسيد المرتضى في معنى أبيات ثابت قطنه وعروة بن أذينة المذكورة

٤١٢-٤١١

خير عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له

-٤١٣

عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين

٤١٤-٤١٣

أبيات لعروة بن أذينة في الغزل

موازنة بين مقاله الكميّ بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار

٤١٥-٤١٤

في الحسد

المجلس الحادى والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ... ﴾

٤١٧

[البقرة: ١٠٢]

المجلس الثانى والثلاثون

٤٣١-٤٢٦

تأويل الحديث: لو كان القرآن في إهابٍ مامسته النارُ .

٤٣٣-٤٣١

من شعر الحسين بن مطير الأسدى

٤٣٤-٤٣٣

أبيات للسيد المرتضى في معنى بيت للحسين بن مطير الأسدى

٤٣٧-٤٣٥

عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدى

المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ... ﴾

٤٤٢-٤٣٩

[آل عمران: ٧]

٤٥١-٤٤٢

إيراد طائفة من محاسن شعر أبي حية النيرى وتفسير ما فيها من الغريب

المجلس الرابع والثلاثون

- ٤٥٤-٤٥٢ تأويل قوله تعالى: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ...﴾ [يوسف: ٩٢]
- ٤٥٧-٤٥٤ تأويل ماورد في حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة
- ٤٥٩-٤٥٧ أبيات للمضرّب بن كعب بن زهير
- ٤٦٠-٤٥٩ موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقة»، وقول طائفة من الشعراء ٤٦٠-٤٦١
- ٤٦١-٤٦٠ أحسن ما قيل من الشعر في صفة امرأة عجزاء خميسة، عن الأصمعيّ
- ٤٦٢-٤٦١ خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد، واسترواحه لشعر ابن أراكّة الثقفى
- ٤٦٢-٤٦١ تالطف الأصمعيّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء حاجته عنده بسبب ذلك
- ٤٦٣ أبيات لبشر بن خازم في الاعتذار، رواها الأصمعيّ للرشيد

المجلس الخامس والثلاثون

- ٤٧١-٤٦٥ تأويل قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ...﴾ [الأنبياء: ٣٧]
- ٤٧٦-٤٧١ طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره

المجلس السادس والثلاثون

- ٤٨٢-٤٧٧ تأويل قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا...﴾ [يوسف: ٢٤]
- ٤٨٨-٤٨٢ أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصوليّ وذكر طائفة من شعره

المجلس السابع والثلاثون

- ٤٩٢-٤٨٩ تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ...﴾ [يوسف: ٣٣]
- ٤٩٤-٤٩٢ تأويل الحديث: «من يتبع المشمعة يشمّع الله به»
- ٤٩٩-٤٩٤ خبر الأصمعيّ مع عجزوز في سوق ضريبة حينما أنشدتها شعر بشر بن عبد الرحمن الأنصارى وأنشدته شعر ابن الدمينّة، وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب

- ٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع شاب بدوي فصيح من بني عامر واستنشاده الشعر
٥٠٠-٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابيّ
٥٠٠ خبر الأصمعيّ حين سافر إلى البصرة؛ وسماعه لشعر استحسنته ورواه
٥١ خبر الأصمعيّ مع أحد الطفيليين وما ورد في ذلك من الشعر

المجلس الثامن والثلاثون

- ٥٠٦-٥٠٢ تأويل قوله تعالى: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ... ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]
٥٠٧-٥٠٦ من أفا كيه الأصمعيّ
٥٠٨-٥٠٧ تأويل الأصمعيّ لبيت من شعر امرئ القيس
٥٠٩-٥٠٨ نقد الأصمعيّ لرواية ابن الأعرابيّ أبياتا رواها وكده سميد بن سلم
٥٠٩ حديث الأصمعيّ عن بشار بن برد
٥١٠-٥٠٩ نقد بشار لشعر سمعه
٥١٠ أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك
أبيات مختلفة في وصف الثغر واللون والعيون والنجيب والظلم والاعتذار، رواها
٥١٢-٥١١ الأصمعيّ

المجلس التاسع والثلاثون

- ٥١٥-٥١٤ تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٥٥]
رأى الشريف المرتضى في شعر مروان بن أبي حفصة ومختارات من محاسن شعره
٥٢٥-٥١٨ وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء

المجلس الأربعون

- ٥٣٠-٥٢٦ تأويل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ [الأنفال: ٢٤]

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له في ذلك

٥٣٢-٥٣٠

من شعر

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من

٥٣٦-٥٣٢

الشعراء

٥٣٧-٥٣٦

أبيات أبي تمام في وصف القلم

المجلس الحادي والأربعون

٥٤٠-٥٣٨

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [التكوير: ٢٦-٢٩]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء ٥٤٩-٥٤٠

المجلس الثاني والأربعون

٥٥٢-٥٥٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [هود: ٢٠]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء ٥٦٤-٥٥٣

المجلس الثالث والأربعون

٥٦٦-٥٦٥

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ... ﴾ [س: ٧٥]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره

٥٧٥-٥٦٦

من الشعراء

المجلس الرابع والأربعون

٥٧٧-٥٧٦

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء: ٤٧]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر

٥٨٩-٥٧٨

غيره من الشعراء

المجلس الخامس والأربعون

- ٥٩٣-٥٩٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص: ٧٨]
وقوله : ﴿ إِنَّمَا نُنْطَمِعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]
وقوله : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]
٥٩٥-٥٩٣ قصة سفرة للمكتفي بالله في حراقة ؛ مع جماعة من الأدباء ؛
واستمشاده شعر البحترى
٥٩٦-٥٩٥ أبيات لابن الرومي وموازنتها بشعر غيره من الشعراء
٦٠٢-٥٩٨ طائفة من أقوال الشعراء في مدح الشيب وتفضيله

المجلس السادس والأربعون

- ٦٠٥-٦٠٣ [البقرة: ١٨٦] تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾
٦١٤-٦٠٥ طائفة من أقوال الشعراء في ذم الشيب والتألم به والجزع منه

المجلس السابع والأربعون

- ٦١٨-٦١٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [النحل: ١٠]
٦٢٧-٦١٨ طائفة من أشعار البحترى في ذم الشيب والتألم من
فقد الشباب

المجلس الثامن والأربعون

- ٦٣٠-٦٢٨ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾
[آل عمران: ٢٨]
٦٣٥-٦٣٠ تأويل حديث : « لاتناجشوا ولا تدابروا ... »
٦٣٥-٦٣٢ ذكر ماورد في اللغة من معاني « العِرض »
٦٣٩-٦٣٥ طائفة من أشعار قطري بن الفجاءة
٦٣٩ أبيات لرجل خارجي من طيء

مكتبة الدرر والدرر الوصية

تصويبات

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٩	ووينه	وبينه
٥	٧	البيت	الحديث
٢١	٣	يكتب البيت هكذا :	
		استأثر الله	بالوفاء وبإلا
		ولا يخون إلى	ولا يخون إلا
٣٧	٥		
٥٢	١٦	إياه	إياه
٥٣	٦	الجازعين	الجازعين
٥٩	٢	عجاجة	عجاجة
٨٥	٢٢	صواب ما نقل عن حاشيتي الأصل ، ف :	« مايسير الإنسان ثم يبيت »
٩٧	١	يكتب بيت الخنساء هكذا :	
		أبعد ابن عمرٍ و من آل الشريد	د حلت به الأرض أنقأها
١٠٦	٢٠	كذب	كذب، بالبدال المهملة
١١٠	١٧	اللهم	اللهم
١١١	١٥	كأن	كأنه
١١٦	١	أعجبا	أعجبا
١١٦	٢	للوداع	للوداع
١١٦	١٤	الزمار	الذمار
١٣٩	٧	القوم	القول
١٤٢	—	يحذف هذا العنوان : « تأويل آية »	

صواب	خطا	سطر	صفحة
وأنه	وإنه	٢	١٨٧
وأنى	إنى	١٣	١٩٢
جاور	جاوز	١٢	٢٠٧
أنى	إنى	٥	٢٠٨
معن	معن	١٥	٢٢٦
والآلى	والآلى	٥	١٥٦
المضرب ، بالفتح	المضرب	١٤	٢٥٧
ولحارثة	ولحارث	٩	٣٨٧
حُسن	حُسناً	١٣	٣٨٩
يكتب الشطر الأول هكذا :		١٢	٤٠٠

* لو شقَّ عن قلبي قُرى وسطه *

لا تُكذِّبَنَّ	لا تُكذِّبَنَّ	٣	٤٣٤
أفزارة	أفزارة	٦	٤٣٦
ورَبِّقْ	وَرَبِّقْ	٦	٤٤٥
ورَبِّقْهُ	وَرَبِّقْهُ	٧	٤٤٥
يجلب	يجلب	٦	٤٦٤
الرَّحْلُ	الرَّجْلُ	٢٠	٤٧١
الجِدَّة	الجِدَّة	١	٥٤٤
لا يُؤْمِنُونَ	لا يُؤْمِنُونَ	٥	٥٧٨
بادت	باءت	٥	٥٨٣



أما إلى المرتضى

غُرر الفوائد وَ دُرر القلائد

للشرف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٥٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

القم الثاني

[ومعه التكملة]

مكتبة
الدكتور رواد الوطية

دار الحياة الكعبة العريضة
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
« جميع الحقوق محفوظة »
[١٩٥٤ — ١٣٧٣م]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] .

فقال: ما اليدُ التي أضافتها اليهود إلى الله تعالى، وادَّعوا أنها مغلولة؟ وما زرى أن عاقلاً من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربه يداً مغلولة، واليهود تتبرأ من أن يكون فيها قائل بذلك؛ وما معنى الدعاء عليهم بـ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (وهو تعالى ممن لا يصحُّ أن) يدعو على غيره؟ لأنه ه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء، وإنما يدعو الداعي بما لا يتمكّن من فعله طلباً له .

الجواب، قلنا: يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهى مقدوره، فجرى ذلك مجرى أن يقولوا: إنَّ يده مغلولة، لأنَّ عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن الامنى، فيقولون: يدُ فلان منقبضة عن كذا، ويده لا تنبسط إلى كذا، إذا أرادوا

فقر والقصور، ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

قَالُوا إِنْ لَمْ يَنْزَلْنَا اللَّهُ قَوْلَهُمْ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾؛ أى أنه ممن لا يُعجزه شيء، وثنى اليدين تأكيداً للأمر، وتفخيماً له؛ ولأنه أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول: بل يده مبسوطة .

وقد قيل أيضاً: إن اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل، واستبطنوا فضله ورزقه؛ وقيل:

إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء: إن إله محمد الذى أرسله؛ يده إلى عنقه؛ إذ ليس يوسّع عليه ١٥ وعلى أصحابه، /فردَّ الله قولهم وكذبهم بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، واليدها هنا الفضل [٢١٥] و

والنعمة ، وذلك معروف في اللغة ، متظاهر في كلام العرب وأشعارهم .
ويشهد له من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٦٩] ، ولا معنى لذلك إلاّ الأمر بترك إمساك اليد عن النفقة في
الحقوق ؛ وترك الإسراف ، إلى القصد والتوسط .

٥ ويمكن أن يكون الوجه في ثننية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة ؛
لأن الكل - وإن كانت نعم الله تعالى - فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف
صفة الآخر صارا كأنهما جنسان أو قبيلان .

ويمكن أيضاً^(١) أن يكون بثنية النعمة^(١) أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة .

فأما قوله تعالى : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، ففيه وجوه :

١٠ أوّلها : أن يكون ذلك على غير سبيل الدعاء ؛ بل على جهة الإخبار منه عز وجل عن نزول
ذلك بهم ؛ وفي الكلام ضمير « قد » قبل قوله : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وموضع ﴿ غُلَّتْ ﴾ نصب
على الحال ، كأنه تعالى قال : وقالت اليهود كذا وكذا ؛ في حال ماغلّ الله تعالى أيديهم ولعنهم ،
أو حكم بذلك فيهم ؛ ويسوغ إضمار « قد » هاهنا كما سوغ في قوله عز وجل : ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ
قُدِّمَ قَبْلَ فِصْدَقَتِهِ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدِّمَ دُبُرِهِ فَكَذَبَتْ ﴾
١٥ [يوسف : ٢٦ ، ٢٧] والمعنى : فقد صدقت ، وقد كذبت .

وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فعلت أيديهم ، أو وغلّت
أيديهم ، وأضمر تعالى الفاء والواو ؛ لأنّ كلامهم تمّ ، واستؤنف بعده كلام آخر ؛ ومن عادة
العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخَذْنَاهُ زُجُورًا ﴾ [البقرة : ٦٧] أراد :

(١ - ١) حاشية الأصل (من نسخة) : « يكون المراد بثننيتها النعمة » .

فقالوا أتتخذنا هزواً ، فأضمر تعالى الفاء ؛ لتمام كلام موسى عليه السلام ، ومنه قول الشاعر :

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَّرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْإِزَارَا^(١)
كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارًا

أراد: « وكنت » ، فأضمر الواو .

وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء ؛ إلا أن معناه التعلیم من الله تعالى لنا والتأديب ؛ فكأنه جلَّتْ عَظَمَتُهُ وَقَفْنَا عَلَى الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَعَلَّمْنَا/ مَا يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ فِيهِمْ ، كَمَا عَلَّمْنَا الْإِسْتِثْنَاءَ فِي [٢١٦]
وغير هذا الموضع بقوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح : ٢٧] ، وكل ذلك جليٌّ واضح ، والمنة لله .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن سأل سائل عن الخبر الذي رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لَعَنَّ اللَّهُ السَّارِقَ ؛
يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ » .

الجواب ، قلنا : قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس ؛ فالخوارج تتعلَّقُ به ، وتدَّعَى أَنَّ الْقَطْعَ يَجِبُ فِي الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ ؛ وَتَسْتَشْهَدُ عَلَى ذَلِكَ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة : ٣٨] ، ويتعلَّقُ بهذا الخبر أيضاً المَلْحِدَةُ وَالشَّكَاكُ ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُ مَنَاقِضٌ لِلرَّوَايَةِ التَّضَمُّنَةِ أَنَّهُ لَا قَطْعَ إِلَّا فِي رِبْعِ دِينَارٍ . وَنَحْنُ نَذَكُرُ مَا فِيهِ :
١٥

فأول ما نقوله إنَّ الخبر مطعون عند أصحاب الحديث على سنده ، وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكرم ، طعن عليه وضعفه ، وذكر عن نفسه وجهاً آخر ؛ ونحن نذكرهما وما فيهما ، ونُتَبِّعُهُمَا بِمَا نَخْتَارُهُ .

(١) حاشية ف : « أهل السواد يقال لهم النبط ، لأنهم يستخرجون النبط وهو الماء » .

قال ابن قتيبة : كنت حضرت يوماً مجلسَ يحيى بن أكرم بمكة ، فرأيتُه يذهب إلى أن البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تنفر الرأس في الحرب ، وأن الجبل من جبال السفن ، قال : وكلُّ واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة ؛ قال : ورأيتُه يُعجَب بهذا التأويل ، ويُبدى فيه ويميد ، ويرى أنه قطع به حجة الخصم .

٥ قال ابن قتيبة . وهذا إنما يجوزُ على مَنْ لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام ، وليس هذا موضع تكثيرٍ لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضةٍ تساوي دنانير ؛ وحبلٌ لا يقدر السارق على حمله ؛ ولا من عادة العرب والمعجم أن يقولوا : قبح الله فلانا ! عرض نفسه للضرر في عقد جوهر ، وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك ؛ وإنما العادة في مثل هذا أن يقال : لعنه الله ، تعرض للقطع في جبل رث ، أو إداوة خلق ، أو كُبَّةٍ شعر ؛ وكلُّ ما كان من ذلك أحقر كان أبلغ .

١٠ قال : والوجه في الحديث أن الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لعن الله السارق ؛ يسرق البيضة / فتقطع يده » ، على ظاهر ما أنزل عليه ^(١) في ذلك الوقت ، ثم أعلمه الله تعالى بعد أن القلع لا يكون إلا في ربع دينار فافوقه ، ولم يكن عليه السلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما علمه الله تعالى ، وما كان الله يعرفه ذلك جملة جملة ، بل بين ^(٢) شيئاً بمدشى .

١٥ قال سيدنا أدام الله علوه : ووجدت أبا بكر الأنباري يقول : ليس الذي طعن به ابن قتيبة ^(٣) على تأويل الخبر بشيء ؛ قال : لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة ؛ فتجري مجرى العقد من الجوهر ، والجراب من المسك ؛ اللذين هما ربما ساويا الألف من الدنانير ، والبيضة من الحديد ربما اشترت بأقل مما يجب فيه القطع ، وإنما أراد عليه السلام أنه يكتسب قطع يده بما لاغنى له به ، لأن البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد ، والجوهر والمسك في اليسير منهما غنى .

(١) ف : « إليه » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بل بين له » .

(٣-٣) م : « ليس الذي ذكر ابن قتيبة » .

قال سيدنا أدام الله أيامه: والذي نقوله إن ما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه؛ وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن؛ في شبه العقدة والحراب من المسك؛ غير أنه يبقى في ذلك أن يقال: أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر، وليس هما النهاية في التقليل؛ وإن كان كما ذكره ابن الأنباري؛ من أن المعنى أنه يسرق ولا يستغنى به؛ فليس ذكر ذلك بأولى من غيره؛ ولا بد من ذكر وجه في ذلك .

٥

وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾؛ لأن الآية مجملة مفتقرة إلى بيان؛ ولا يجوز أن يحملها أو يصر فيها إلى بعض احتمالاتها دون بعض بلا دلالة؛ على أن أكثر من قال: إن الآية غير مجملة، وأن ظاهر القول يقتضي العموم يذهب إلى أن ما اقتضى تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها؛ فكيف يصح ما قاله ابن الأنباري أن الآية تقدمت، ثم تأخر تخصيص السارق؛ ولو كان ذلك كما ظن لسكان المتأخر ناسخاً للآية .

١٠

وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً؛ وإذا أمكن تأويل أخباره عليه السلام

[٢١٧]

على / مالا يقتضى رفع أحكامها ونسخها كان أولى .

و

والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل، فتقطع يده، ويسرق

الحقير القليل فتقطع يده؛ فكأنه تمجيز له، وتضعيف لاختياره، من حيث باع يده بقليل الثمن؛ كما باعها بكثيره .

١٥

وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم، وبيضة الدار وسطها، وبيضة السنام شحمته،

وبيضة الصيف معظمه، وبيضة البلد الذي لانظيره؛ وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم

على سبيل الأضداد، وإذا استعمل في الذم فمعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين، كالبيضة التي

تفسدها النعامة فتتركها ملقاةً لا تلتفت إليها .

٢٠

فما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه، وتذكر قتل أمير المؤمنين

عليه السلام له ؛ وقيل إنَّ الأبيات لامرأة من العرب ؛ غير أخته :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبْدِ (١)
لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ (٢) مَنْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ (٣)

وقال آخر في المدح :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَالْمِخُ خَالِصَهُ (٤) لَعْبُدِ مَنْافِ

وقال آخر في الذم .

تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنًا زَارٍ ، فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ (٥)
أَرَادَ : « أَنْ تَعْرِفَ » فَاسْكُن .

وقال آخر في ذلك :

لَسَكَنَهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَبِيبُ الزَّمَانِ فَامْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ (٦)
فَقَدْ صَارَ مَعْنَى الْبَيْضَةِ كُلَّهُ يَعُودُ إِلَى التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ .

وأما الجبل فذكر على سبيل المثل ؛ والمراد المبالغة في التحقير والتقليل ؛ كما يقول القائل :

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « عليها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

* لَكِنْ قَاتِلُ عَمْرٍو لَا يُعَابُ بِهِ *

(٣) البيتان في شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام : ٨٠٤ واللسان (بيض).

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خالصها » . (٥) اللسان (بيض) ، ونسبه إلى الراعي يهجو ابن الرقاع

العالمى وقبله :

لَوْ كُنْتُ مِنْ أَحَدٍ يُهْجَى هَجْوَتُكُمْ يَا بَنَ الرَّقَاعِ ، وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ

(٦) من أبيات في حماسة أبي تمام - بشرح المرزوقي ٨٠٢ - ٨٠٤ ، وفي اللسان (بيض) منسوبة

إلى صنان بن عباد اليشكري ؛ وقبله :

لَمَّا رَأَى شَمَطُ حَوْضِي لَهُ تَرَعٌ عَلَى الْحِيَاضِ أَتَانِي غَيْرَ ذِي لَدَدٍ

لَوْ كَانَ حَوْضٌ حَمَارٍ مَاشَرَبْتُ بِهِ إِلَّا بِإِذْنِ حَمَارٍ آخِرَ الْأَبْدِ

ما أعطاني فلان عقالا ، وما ذهب من فلان عقال ، ولا يساوى كذا نقيراً ؛ كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التقليل ؛ وليس الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة ؛ وإذا كان على هذا تأويل الخبر / زال عنه المناقضة التي ظننت ؛ وبطلت شبهة الخوارج في أن القطع [٢١٧] يجب في القليل والكثير .

أخبرنا^(١) أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يعقوب بن هـ المزرع قال حدثني أبو زينب^(٢) علي بن ثابت قال ، قال الأصمعي^(٣) : « تصرف في الأسباب على باب الرشيد^(٤) مؤملاً للظفر^(٥) به ؛ والوصول إليه ؛ حتى إنني صرت لبعض حراسه خدينا ؛ فإني في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال : أيا بالحصرة^(٥) أحد يُنشد^(٦) الشعر ؟ فقلت : الله أكبر ! رب قَيْدٍ مَضِيْقَةٍ قد حلّه التيسير ، فقال لي الخادم : ادخل ، فلعلها أن تكون ليلة تُعرّس في صباحها بالفني إن فزت بالخطوة عند أمير المؤمنين ؛ ١٠ فدخلت فواجهت الرشيد في بهوه^(٧) ، والفضل بن يحيى إلى جانبه ، فوقف الخادم بي بحيث يسمع التسليم ، فسأمت فرد السلام ثم قال : يا غلام ، أريحه قليلاً يفرخ روعه ؛ إن كان قد وجد للروعة حساً ، فدنوت قليلاً ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة مجدك ، وبهاء كرمك ، مجيران لمن نظر إليك عن اعتراض أذية ؛ فقال : اذن ، فدنوت ، فقال : أشاعر أم راوية ؟ فقلت : راوية لكل ذي جدّ وهزل ؛ بعد أن يكون محسناً ؛ فقال : تالله ما رأيت أذعاء أعم ! فقلت : أنا على الميدان ، ١٥ فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين ، فقال : « قد أنصف القارة من رامها^(٨) » ؛ ثم قال : مامعني

(١) روى البغدادي الخبر في خزائن الأدب ٢ : ٢٦٧ - ٢٦٩ ؛ عن الضرر .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « أبو وهب » . (٣ - ٣) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تصرف في الأسباب على باب الرشيد » . (٤) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الظفر » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « أما بالحصرة » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « يحسن » . (٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « بهو » . (٨) في مجمع الأمثال للعبداني (١ : ٤٢) : « الفارة : قبيلة ؛ وهم عضل والديش ابنا الهول بن خزيمه ؛ وإنما سماوا قارة لاجتماعهم والغنائم للأراد السداح أن يفرقهم في بني كنانة ؛ فقال شاعرهم :
دَعَوْنَا قَادَةً لَا تُنْفِرُونَ فَمَجْجِلَ مِثْلَ إِجْفَالِ الظُّلَمِ =

هذه الكلمة بدئاً؟ قلت: فيها قولان؛ القارة هي الحرة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة^(١)، والملك إذ ذاك أبو حسان، فوافق^(٢) عسكره عسكراً للسنجد^(٣)، فخرج فارس من السنجد، قد وضع سهمه في كبد قوسه فقال: أين رماة العرب؟ فقالت العرب: «أنصف القارة من رامها» فقال لي الرشيد: أصبت، ثم قال: أنزوي لرؤبة بن العجاج والمجاج شيئاً، فقلت: هما شاهدان لك بالقوافي؛ وإن غيباً عن بصرك بالأشخاص، فأخرج من ثمن فرسه رقعة ثم قال: أنشدني:

* أَرْقِنِي طَارِقُ هَمِّ أَرْقَا (٤) *

فمضيتُ فيها مَضَى الجواد في مَن ميدانه، تهديرُ بي أشدّاق^(٥)، فلما صرت إلى مديحه لبني أمية نبيتُ لساني إلى امتداحه للمنصور في قوله:

= وهم رماة الحدق في الجاهلية، وهم اليوم في الين. وفي اللسان (قور): «زعموا أن رجلين النخيا؛ أحدهما قارى والآخر أسدى، فقال القارى: إن شئت صارعتك وإن شئت راميتك، فقال: اخترت المراماة؛ فقال القارى: قد أنصفتني؛ وأنشد:

قَدِ أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَامَهَا إِنَّا إِذَا مَافِئَةٌ نَلَقَاهَا
* نَزِدُّ أَوْلَاهَا عَلَى أَخْرَاهَا *

ثم انتزع له سهماً، فشك فؤاده. ونقل صاحب اللسان أيضاً عن ابن بري: «لما قيل: أنصف القارة من رامها» لحرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناة بن كنانة، وكانت القارة مع قريش، فلما التقى الفريقان رامهم الآخرون حين رمهم القارة، فقيل: قد أنصفكم هؤلاء الذين سادوكم في العمل الذي هو صناعتكم، وأراد الشداخ أن يفرق القارة في قبائل كنانة فأبوا.»

(١) حاشية الأصل: «التبابعة ملوك العرب الجاهلية؛ وكانوا يكونون باليمن؛ الواحد تبيم.»

(٢) الموافقة: أن تقف مع غيرك، ويقف معك في حرب أو خصومة.

(٣) حاشية الأصل: «السنجد: بين سمرقند وبخارى.»

(٤) مطلع أرجوزة طويلة لرؤبة، يمدح فيها مروان بن الحكم، وهي في ديوانه ١٠٨ - ١١٥،

وبعد هذا البيت:

* وَرَكَضِ غَرْبَانَ غَدَوْنَ نَعْقَا *

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): «تهديرها أشدّاق.»

* قَلْتُ لِرَئِيسِ لِمَ تَصِلُهُ مَرِيْمُهُ (١) *

[٢١٨] / فلما رأني قد عدلت من أرجوزة إلى غيرها قال: أعن حيرة أم عن عمد؟ قلت: عن عمدٍ تركت كذبه إلى صدقه فيما وصف به المنصور من مجده، فقال الفضل: أحسنت بارك الله عليك! مثلك يؤهل لمثل هذا المجلس. فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد: أتروي كلمة عدى بن الرقاع:

* عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهَمًا فَاَعْتَادَهَا (٢) *

قلت: نعم، قال: هات، فمضيت فيها حتى إذ اصرت إلى وصفه الجمل قال لي الفضل: ناشدتك الله أن تقطع علينا ما أمتعننا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جملٍ أجرب، فقال الرشيد: اسكت، فالإبل هي التي أخرجتك عن دارك، واستابت تاج ملكك، ثم ماتت وعملت جلودها سياتاً ضربت بها أنت وقومك، فقال الفضل: لقد عوقبت^(٣) على غير ذنب ١٠ والحمد لله! فقال الرشيد: أخطأت، الحمد لله على النعم، ولو قلت: وأستغفر الله لكنت مصيباً، ثم قال لي: امض في أمرك، فأنشدته حتى إذا بلغت إلى قوله:

* تَزُجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

استوى جالساً وقال: أتحفظ في هذا ذكراً؟ قلت: نعم، ذكرت الرواة أن الفرزدق قال: كنت في المجلس وجريبر إلى جاني، فلما ابتدأ عدى في قصيدته قلت لجريبر مسرّاً ١٥ إليه: هلم نسخر من هذا الشامي، فلما ذقنا كلامه يئسنا منه؛ فلما قال:

* تَزُجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ *

(١) مطلع أرجوزة أخرى لرؤبة أيضاً، وهي في ديوانه: ١٤٩ - ١٥٩ وفي حاشية الأصل:

« يقال: هو زير نساء إذا كان يجهن ويذورهن كثيرا، وأصله: زور، فعل، من الزيارة، ومريم

اسم عشيقته » . (٢) بقية:

مِنْ بَعْدِمَا دَرَسَ الْبَلِيَّ أَبْلَادَهَا *

وهو مطلع قصيدة في الطرائف الأدبية ٨٧ - ٩١ . (٣) في حاشيتي الأصل، ف: « الإشارة

بالمعاقبة إلى إسماع الرشيد كلامه الموحش الحشن إياه، وهو يعيره بالعجم وبذكر غلبة العرب الذين هم

أصحاب الجمال عليهم، وسلبهم ملكهم » .

— وعدى كالمستريح — قال جرير : أما تراه يستلبُ بها مثلاً ! فقال الفرزدق : يا لُكع ، إنه

يقول :

* قَلْمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا *

فقال عدى :

* قَلْمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(١) *

فقال جرير : كان سمعك مجبوءاً^(٢) في صدره ! فقال لى : اسكت شغلنى سبك عن جيد

الكلام ؛ فلما بلغ إلى قوله :

ولقد أرادَ اللهُ إذْ ولاَّ كها من أمةٍ إصلاحها ورشادها^(٣) .

قال الأصمى : فقال لى : ما تراه قال إذ أنشده الشاعر هذا البيت ؟ فقلت : قال : كذا

١٠ أراد الله ، فقال الرشيد : ما كان في جلالاته ليقول هذا ، أحسبه قال : ما شاء^(٤) الله ! قلت :

وكذا جاءت الرواية ، فلما أتيت على آخرها قال لى : أتروى لذى الرثمة شيئاً ؟ قلت : الأكثر ،

قال : فماذا أراد بقوله :

[٢١٨] / مُمَرَّتْ أُمْرَتٌ مَتْنَهُ أُسْدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَالَةٌ بِالْمَصَانِعِ^(٥) ط

قلت : وصف حمار وحش ، أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله ، وتشابكت فروعه ،

١٥ عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أريح ، فقد وجدناك

ممتعاً ، وعرفناك محسنًا ، ثم قال : أجد ملالة ونهض ، فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله

وكانت عربيةً ، فقال الرشيد : عمّرتنى يا غلام ، فقال الفضل : قاتل الله الأعاجم ، أما إنها

(١) حاشية ف : « بصف ظبية تسوق ولدًا ، في صوته غنة ، ثم شبه رأس قرنه بقلم أصاب طرفه المداد .

وأراد بالروق رأس القرن ، وروق كل شيء : أوله . » (٢-٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« كأن سمعك مجبوء في قلبه . » (٣) حاشية الأصل : « عدى قال : « وفسادها ، والأصمى

أنشد : « رشادها . » (٤) حاشية الأصل : « قوله « ما شاء الله » على الطريقة المهودة أى

ما شاء الله كان ، كأنه يشير إلى أن دولته في مشيئة الله تعالى . » (٥) ديوانه : ٣٦١ ، وروايته :

* يمانيةٌ حَلَّتْ جنوبَ المضاجعِ *

لو كانت سِنْدِيَّة لَمَا احتجت إلى هذه الكلفة^(١)، فقال الرشيد: هذه نعل ونعلُ آبائي، كم تعارض
فلا تُترك من جواب مُمضٍ! ثم قال: يا غلام؛ يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على
هذا الرجل في ليلته ولا يُحجَب في المستأنف، فقال الفضل: لولا أنه مجلس أمير
المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمرك به، وقد أمرت لك به، إلا ألف درهم، فتلقَّ
الخادم صباحاً.

قال الأصمعيّ: فما صليتُ من غدٍ إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم.



(١) في خزنة الأدب: «الكلمة».

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

فقال: أليس ظاهر هذه الآية يقتضى أنه هو الفاعل للإيمان فيهم؟ لأن النور هاهنا كناية عن الإيمان والطاعات، والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي، ولا معنى لذلك غير ما ذكرناه. ٥ وإذا كان مضيفاً للإخراج إليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين، وهذا خلاف مذهبكم.

الجواب، قلنا: أما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما الإيمان والكفر، وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار، والثواب والعقاب فقد تصح الكناية عن الثواب والنعم في الجنة بأنه نور، وعن العقاب في النار بأنه ظلمة، وإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساع إضافة إخراجهم من الظلمات إلى النور إليه تعالى؛ لأنه لا شبهة في أنه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة، والعاقل به عن طريق النار. [٢١٩] والظاهر بما ذكرناه أشبه؛ لأنه يقتضى أن المؤمن الذى ثبت كونه مؤمناً / يخرج من الظلمة إلى النور؛ فلو حمل على الإيمان والكفر لتناقض المعنى، ولصار تقدير الكلام:

أنه يخرج المؤمن الذى قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر إلى الإيمان؛ وذلك لا يصح.

وإذا كان الكلام يقتضى الاستقبال في إخراج من قد ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول

١٥ الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر.

على أنا لو حملنا الكلام على الإيمان والكفر لصح، ولم يكن مقتضياً لما توهموه، ويكون وجه إضافة الإخراج إليه، وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث دلّ وبين وأرشد ولطف وسهّل؛ وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكفّر من الكفر إلى الإيمان، فيصح

إضافة الإخراج إليه تعالى ليكون ما عددناه من جهته : وعلى هذا يصحّ من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغبه في ذلك ، وعرفه ما فيه من الصلاح ، أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول : أنا أدخلت فلانا البلد الفلاني ؛ وأنا أخرجته من كذا وكذا وأنتشته منه ؛ ويكون وجه الإضافة ما ذكرناه من الترغيب ، وتقوية الدواعي .

ألا ترى أنه تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات ، إلى الطواغيت ، وإن لم يدل ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار ؛ بل وجه الإضافة ما تقدم ؛ لأن الشياطين يُغْوُونَ ويدعون إلى الكفر ، ويزينون فعله ، فتصح إضافة إليهم من هذا الوجه ، والطاغوت هو الشيطان وحزبه ، وكلُّ عدوِّ الله تعالى صدَّ عن طاعته ، وأغرى^(١) بمعصيته يصحُّ إجراء هذه التسمية عليه ؛ فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله تعالى في المؤمن ، ولم تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار ؛ لولا بله المخالفين وغفلتهم !

وبعد ، فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى وإياهاً لله مؤمنين ، وناصراً لهم على ما اقتضته الآية ، والإيمان من فعله تعالى لا من فعلهم ؛ ولم كان خاذلاً للكفار ومضيفاً لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم؟ ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية ، وهو المتولى لفعل الأمرين فيهما؟ ومثل هذا لا يذهب على أحد ، ولا يمرض عنه إلاّ معاند مغالط لنفسه .

/ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري حدثنا أحمد بن [٢١٩] حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن النطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال ، قال عبد الملك بن مسلم : كتب^(٢) عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ،

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أغوى » (٢) القصة في الأغاني ٩ : ١٦٢ - ١٦٥ ،

ووردت مختصرة في الشعر والشعراء ١٠٩ - ١١٠ ، ونقلها عن ابن قتيبة البغدادي في الخزانة ١ : ٢٨٨ .

ولم يبق لى من لذة الدنيا إلاّ مناقلة الإخوان الأحاديثَ ، وقبلك عامر الشعبيّ ، فابعث به إلىّ يحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعبيّ ، وجهزه وبعث به إليه ، وقرّظه وأطراه فى كتابه ، فخرج الشعبيّ حتى إذا كان بباب عبد الملك ، قال للحاجب : استأذن لى ، قال : من أنت ؟ قال : عامر الشعبيّ ؛ قال : حيّاك الله ، ثم نهض فأجلسه على كرسيه ، فلم يابث أن خرج الحاجب إليه فقال : ادخل ، فدخل ، قال : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية ، على كرسيّ ، فسلمت فرد السلام ، ثم أوماً إلىّ بقضيبه ، فقدمت عن يساره ، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ، قال الشعبيّ : فأظلم علىّ ما بينى وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجبتي قبل أن يسألنى عن حالى ، ثم قال : هذا الأخطل ، قلت : يا أخطل ، أشعر منك الذى يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مُستَقْبِلُ الخَيْرِ سريعُ التَّمَامِ^(١)

للحارثِ الأَكْبَرِ والحارثِ الأصْغَرِ والحارثِ خيرِ الأَنَامِ^(٢)

خَمْسَةُ آباءِ هُمُ ما هُمُ هُمُ خيرٌ من يَشْرَبُ صوبَ الغمامِ

١٥ فقال عبد الملك : ردّها علىّ ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الأخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبيّ ، قال : صدق والله ، النابغة أشعر منى .

قال الشعبيّ : ثم أقبل علىّ عبد الملك فقال . كيف أنت يا شعبيّ ؟ قلت : بخير لازلت

(١) وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « مقبل الخير » ، أى يستقبل خيره فيما يؤتف من الأيام .
(٢) رواية الأغاني وابن قتيبة :

للحارثِ الأَكْبَرِ والحارثِ الأصْغَرِ والأعرج خير الأَنَامِ

وبعده :

ثمّ لهند وإِهْنِدِ وقد أسرع فى الخيراتِ منه إمامٌ

به ، ثم ذهبت لأصنع معاذيرى لما كان من خلافي على الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد الأشعث فقال : مه ! فإننا لاحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا . ثم أقبل على فقال : ماتقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضله عمر بن الخطاب / في غير [٢٢٠] و موطن على جميع الشعراء ، وذلك أنه خرج يوماً وبابه وقد غطفان ، فقال : يا معاشر غطفان ، أئى شعرائكم الذى يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ (١)
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلِغِكَ الْوَأْسَى أَغْشُ وَأُكْذِبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعْتٍ ، أَيْ الرَّجَالِ الْمُهَذَّبِ !

قالوا : النابغة ، قال : فأبكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مُدْرِكِي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع (٢)
خطا طيف حُجْنٌ في جبالٍ متبينة تمُدُّ بها أيدٍ إليك نوازِع (٣)

قالوا : النابغة ، قال : أبكم الذى يقول :

إلى ابنٍ مُحَرَّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وَرَاحِلَتِي وَقَدْ هَدَّتِ الْعِيُونُ (٤)
أَنْبَتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُضْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم .

(١) ديوانه ١٣ - ١٢ ، وفي م بعد هذا البيت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبذَبُ
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا كَوَكَبٌ

ولم يذكر البيتان في الأصول المخطوطة .

(٢) ديوانه : ٥٥ . (٣) خطا طيف : جمع خطاف ، وهو ما يخرج به الدلو من البئر . وحجن :

معوجة ، واحدها أحجن . ونوازِع : جواذب . (٤) أصله : « هدأت » ، بالهمز .

ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أتجبّ أن لك قياضاً بشمرك شعر أحدٍ من العرب ، أم تحب أنك قلتَه ؟ فقال : لا والله ؛ إلاّ أنى وددت أنى كنت قاتُ أحياناً قالمها رجل منّا ، كان والله مُغْدَفَ القناع^(١) ، قليل السَّماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إِنَّا مُحِبُّوكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتُ ، وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّيْلُ^(٢)

ليس الجديدُ بهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلاً ، وَلَا ذُو خَلَّةٍ يَصِلُ^(٣)

وَالعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ، وَلَا حَالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ

إِنْ تَرَى رَجِيىَ مِنْ أَبِي عُثْمَانَ مُنْجِحَةً فَقَدَيْهِونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ^(٤)

/ وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ، وَلَا مِمَّ الحَطِيءِ الهَبْلُ

قَدْ يَدْرِكُ الْمُتَأَنَّى بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعَجِلِ الزَّلَلُ

[٢٢٠]

١٠ قال الشعبيّ : فقلت : قد قال القطاميّ أفضلَ من هذا ، قال : وما قال ؟ قلت : قال^(٥) :

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطْرِقِ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمُعْنَقِ^(٦)

حتى أتيت إلى آخر القصيدة ، فقال عبد الملك : نكبت القطاميّ أمه ! هذا

والله الشعر .

قال : فالتفت إلى الأخطل فقال : يا شعبيّ ، إن لك فنوناً في الأحاديث ، وإن لنا فناً

١٥ واحداً ، فإن رأيت ألاّ تحملى على أكتاف قومك ، فأدعهم حرصاً ! قلت : لأعرض لك

(١) مغدّف القناع ، أى خال الذكر . (٢) ديوان القطاميّ ٣٢ ، وجهرة الأشعار ٣١٣ -

٣١٦ ، والطيل : جمع طيلة ، هى الدهر . (٣) الضمير فى « به » ، للدهر فى البيت الذى قبله ، وهو :

كانت منازلُ منّا قد نَحُلُّ بها حتى تغيرَ دهرُ خانِ خَبَلُ

(٤) الخطاب للناقفة ، ومنجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٥) حاشية الأصل : « القطاميّ ، هو عمير بن شبيب بن عمر بن عباد » .

(٦) اللسان (عنق) ، والمعنى : المكان الذى أعنقت منه ؛ أى سرت ؛ يقول : لم أظن أنها

تقدر على أن تعنق وتسرع من هذا المكان . والمعنى : ضرب من السير السريع ؛ يقال : عانق وأعنق

إذا أسرع .

في شيء من الشعر أبداً ، فأقنني هذه المرة ، قال : مَنْ يَكْفُلُ بك ؟ قلت : أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو عليّ ألاّ يعرض لك أبداً .

ثم قال : ياشعبيّ ، أيّ شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : خنساء ، قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائِلَةٌ - والنَّعْشُ قَدْ فَاتَ خَطْوَهَا لِتُدْرِكَهُ - يَا هَيْفَ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ !
أَلَا تَكَلِّتُ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ ! مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ !

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله ليلي الأخيلىة حيث تقول :

مُهْفَهْفُ الكَشْحِ والسَّرْبَالِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ التَّمِيصُ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبِحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ ، وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : ياشعبيّ ، لعله شقّ عليك ما سمعته ؟ فقلت : إني والله يا أمير المؤمنين أشدُّ المشقة ! إني لحدّثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في الغلام ، ثم قال : ياشعبيّ ، إنما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلمُ بعلم أهل العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّد على أبيات ليلي حتى حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أول داخلٍ / وآخر خارجٍ . [٢٢١] و

قال سيدنا أدام الله تمكينه : والصحيح في الرواية أن البيتين اللذين رواهما عبد الملك ١٥ ونسبهما إلى ليلي الأخيلىة لأعشى باهالة^(٣) ، يرثي المنتشر بن وهب الباهلي^(٤) ، وهذه القصيدة

(١) حاشية الأصل : « الحرض : الذي أذيب حزنا وها » . والحرض يوصف به المفرد ، مذكرا ومؤنثا ، والمثنى والجمع بلفظ واحد . (٢) ديوانها : ٩٢ (٣) ذكره الآمدي في المؤلفات والاختلاف ١٤ فقال : « أعشى باهلة يكنى أبا قحطان ، جاهلي ، واسمه عامر بن الحارث ، لإحد بني عامر ابن عوف بن وائل بن معن ، ومعن أبو باهلة ، وباهلة امرأة من همدان ، وهو الشاعر المشهور صاحب القصيدة الرثية في أخيه لأمه ، المنتشر » . (٤) هو المنتشر بن وهب بن سلمة بن كراشة بن هلال بن عمرو =

من المرائى الفضة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي (١):

إني أتتني لسان لا أسرُّ بها من علو لا عجب منها ولا سخر (٢)
 فظلتُ مكتئبًا حرَّانَ أندُبُهُ وكنتُ أهدرُهُ، لو ينفَعُ الحذرُ!
 فجاشتِ النفسُ لما جاءَ جمعُهُمُ وراكبُ جاءَ من تثلِيثِ مُعتمِر (٣)
 يأتي على الناسِ لا يَلَوِي على أحدٍ حتى التقيتِنا، وكانتِ بيننا مُضِر (٤)

إِنَّ الذِي جِئْتُ مِنْ تَثْلِيثِ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالغَيْرُ (٥)

= ابن سلامة؛ كان رئيساً فارساً، وكان رئيس الأبناء يوم أرمام، وهو أحد يومي مضر في اليمن وكان يوماً عظيماً. (خزانة الأدب ١: ٩١). (١) القصيدة في الأصبعية ٣٢-٣٤، وأمالى اليزيدي ١٣-١٨، وجمهرة الأسماء ٢٨٠-٢٨٣، والسكامل - شرح المرضي ٨: ٢١١-٢١٢، ومامقات ديوان الأعشى ٢٦٦-٢٦٨، ونقلها صاحب الخزانة عن الفرر في ١: ٩١-٩٢. وذكروا أبو العباس المبرد خبر هذه القصيدة فقال: «كانت العرب تقدم مرأى وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن؛ وكانهم يرون ما بعدها من المرأى؛ منها أخذت، وفي كنفها تصلح؛ فمنها قصيدة أعشى بأهله، ويكنى أبا حنيفة التي يرثيها المنتشر بن وهب الباهلي - وكان أحد رجلى العرب، وهم السعاة السابقون في سعيهم، وكان من خبره أنه أسر صلاة بن العنبر الحارثي، فقال: أهد نفسك، فأبى فقال: لأقطعنك أعملة أعملة وعضوا عضوا ما لم تفقد نفسك، فجعل يفعل ذلك به حتى قتله. ثم حج من بعد ذلك ذا الحليفة (وهو بيت كانت خنعم توجهه)، فدلته عليه بنون قبيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه، فقالوا: لنفعلن بك كما فعلت بصلاة، ففعلوا ذلك به، فلقي راكب أعشى بأهله، فقال له أعشى بأهله: هل من جائية خبر؟ قال: نعم، أسررت بنو الحارث المنتشر - وكانت بنو الحارث تسمى المنتشر مجدعا - فلما صار في أيديهم قالوا: لنقطمنك كما فعلت بصلاة؛ فقال أعشى بأهله يرثي المنتشر وأورد القصيدة.

(٢) اللسان هنا: الرسالة، وأراد بها نعي المنتشر، ولهذا أنت الفعل. وعلو، يريد من مكان عال، ورواية لبرد: «من عل» (بالضم)؛ وفي حاشية الأصل: «لا سخر، أي لأقول ذلك سخرية، وقبل معناه: ولا سخر بالموت».

(٣) جاشت نفسه، أي غشت. وتثلث: موضع بالحجاز قرب مكة؛ ذكره ياقوت واستشهد بالبيت ومعتمر: صفة لراكب؛ وهو بمعنى زائر. وفي حاشية الأصل: «جمعهم، يعني الذين شهدوا مقتله».

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «يأتي على الناس»، وفيها أيضاً: «لا يلوى على أحد، أي لم يرجع على أحد حتى أتاني؛ لأنني كنت خلصانه». (٥) أي فقلت للراكب: إن الذي جئت . . . ، وتندبه: تبكي عليه، يقال: ندب الميت، أي بكى عليه وعدد محاسنه. والغير: اسم من غيرت الشيء فتغير، أقامه مقام الأمر.

- تَنَمَىٰ أَمْرًا لَا تُغِيبُ الْحَيَّ جَفَنَتُهُ
 وَإِذَا السُّوَالُ مُغْبِرًا مَنَّا كِبِيًّا (٣)
 وَأَجْبَأَ الْكَلْبَ مَوْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ (٥)
 عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا
 قَدْ تَكْظِمُ الْبُزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ (٨)
 أَخُو رَغَائِبَ يُعْطِيهَا وَيُسْأَلُهَا
- إِذَا السُّكُوكُ أَخْطَأَ (١) نَوْءُهَا الْمَطَرُ (٢)
 شُعْنًا تَغَيَّرَ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبْرُ (٤)
 وَالْجِبَّ الْحَيَّ مَنْ تَنْفَاحِهَا الْحُجْرُ (٦)
 ثُمَّ الْمَطِيُّ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزْرُ (٧)
 حَتَّى تَقَطَّعَ فِي أَعْنَاقِهَا الْجِجْرُ (٩)
 يَأْتِي الظَّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفُلُ الزُّفْرُ (١٠)

(١) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « خوسى ، وخوسى سقط ، من قولك : خوت لدار : خت أو سقطت ، ومعنى خوسى فى البيت : نسب الخى إلى النجوم وهو المحل ، يقال : خوت النجوم إذا انحلت ، خيا . »

(٢) النعى : خمر الموت ، قال الأصمعى : كانت العرب إذا مات ميت له قدر ، ركب راكب فرسا ، وجعل يسير فى الناس ويقول : نعاء فلانا ! أى انمه وأظهر خبر وفاته ، مبنية على الكسر . ولا يغيب ، من قولهم : لا يفينا عطاؤه ، أى لا يأتينا بومادون يوم ؛ بل يأتينا كل يوم . والجفنة : الفصعة . وأخطاه كتخطاه : تجاوز . والنوء : سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع رقبية من المشرق ، يقابله من ساعة كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوما ؛ وهكذا إلى انقضاء السنة ، وكانت العرب تضيف الأقطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، يريد أن جنازه لا تنقطع فى الشدة والنعط .

(٣) حاشية الأصل : « رواية الأصمعى : « مباءتها » أى مراوحها . »

(٤) السؤل : النوق التى خب لبنا وقد أتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها ، الواحدة

شائلة . والنوى بالفتح : الشجم (٥) حاشية الأصل (من نسخة) :

* وَأَحْجَرَ الْكَلْبَ مَوْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ *

وأحجرتة أنا : ألبأته إلى الحجر . (٦) الصقيع : الجليد . وتنفاحه : ضربه ،

وهو مصدر نفحت الريح إذا هبت باردة ؛ يقول : لأنه لا ينقطع عن إطعام الطعام فى شدة البرد حينما يضطر الكلب ما يتلبد على شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول فى الحجر .

(٧) يريد أنه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا ، وإذا فى الزاد نحر لهم . وأرمل الرجل : نفد زاده .

وجزر : قطع ، يقال تركهم جزرا للسياح . (٨) حاشية الأصل : فى رواية :

* وَتَفْرَعُ السُّوَالُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها *

(٩) كظم البعير كظوما : إذا أمسك عن الجرة ، والبزل : جم بازل ؛ وهو الجمل إذا دخل فى

التاسعة . والحرر : جمع جرة ؛ وهى ما يخرجها البعير للاجتراح . يقول : تمودت الإبل أنه يعقر منها ، فإذا

رأته كظمت على جرتها فزعامتة . (١٠) الرغبية : العطاء الكثير . والنوفل : الكبير العطاء .

والزف : الكثير الناصر والعدد والعدد « ومنه » للتجريد .

لم تر أرضاً ولم تسمع بساكنها
وليس فيه إذا استنظرتَه عجله
فإن يُصيبك عدوٌّ في مناوأةٍ
من ليس في خيره من يكدُّه
أخو شروبٍ، ومكسابٌ إذا عدِموا
مردى حروبٍ، ونورٌ يُستضاء به
/ مهفهفٌ أهضم الكشجين منخرقٌ
طاوى المصير على المزاء منجردٌ
لا يُصعبُ الأمر إلا ريث ير كبه

٥

[٢٢١]
ظ

١٠ - معنى «لا يصعبُ الأمر» أى لا يجده صعباً -

لا يتأرى لما في القدر يرُقبه ولا يعرض على شرسوفه الصفر (٦)

(١) نوادى كل شيء : أوله

(٢) شرب : جمع شارب ؛ وهو جمع شارب ؛ كصحب وصاحب، ومكساب : اسم مبالغه من كاسب ،
وفي حاشية الأصل : « نسخة ص : أخو حروب » . (٣) الردى فى الأصل : حجر يرمى ؛ والمعنى :
أنه شجاع يقذف فى الحروب ويرجم فيها ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) :

مردى حروبٍ شهابٌ يُستضاء به كما أضاء سواد الطخية القمر

والطخية، بالفتح ويضم : الطلعة . (٤) المهفهف : الخيمس البطن الدقيق الحصر . والأهضم : المنضم
الجنبين . والكشج : ما بين الحاصرة إلى الضلع من الخلف ؛ وهو مما تمدح به العرب . ويقال : رجل
منخرق السربال ؛ إذا طال سفره فشقت ثيابه ؛ وهو كناية عن الجلادة وتحمل المشقات .

(٥) المصير : جمع مصران ، والمزاء : الشدة والجهد ؛ والمنجرد : المشمر نشاطاً، ومن نسخة بحاشية
الأصل : « منصلت » . وقوله : « ليلة لاماء ولا شجر » ، أى يرمى . وفى الحزارة بعد هذا البيت :

لا يهتِكُ السِّترَ عن أنثى يُطالِمها ولا يُشدُّ إلى جاراتِه النَّظْرُ

(٦) لا يتأرى : لا يتجسس ويتلصق ؛ يقال : تأرى بالمكان إذا أقام فيه . الشرسوف : طرف الضلع

والصفر - فيما يزعم العرب : حية تكون فى البطن إذا جاع الإنسان عضته ؛ وقد كذب النبى عليه السلام بقوله :
« لا عدوى ولا هامة ولا صفر » .

- لا يَمِيزُ السَّاقَ من أَيْنٍ ولا وَصَبٍ
 لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَّاهُ ومُصَبِّحُهُ
 تَكْفِيهِ حُزَّةٌ فَلَيْدٍ إنَّ أَلَمَّ بِهَا
 لا تَأْمَنُ البَازِلُ الكُوماءُ عَدَوْتَهُ (٤)
 كَأَنَّهُ بَعْدَ صِدْقِ النَّاسِ أَنفُسُهُمْ
 قال المبرد " لا نعلم بيتاً في يُمنِ النقيية وبركة الطلعة أروع من هذا البيت " -
 لا يُعْجِلُ القَوْمَ أن تَعْلَى مَرَّاجِلَهُمْ
 وَيُدْلِجُ اللَّيْلَ حَتَّى يَفْسَحَ البَصْرُ (٧)
 ٥ بِالْيَأْسِ تَلْمَعُ من قُدَّامِهِ البُشْرُ (٦)
 كَذَلِكَ الرُّمَحَ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ (٩)
 هِنْدَ بنِ أَسْمَاءَ ، لا يَهْنِي لَكَ الظَّنُّ (١٠) !
 لو لم تَخْنَهُ نُفَيْلٌ وهى خَائِنَةٌ
 لَصَبَّحَ القَوْمَ وَرَدُّ مالهُ صَدْرُ (١١) ١٠

(١) يصف جلده وتحمله للعشاق ، والأين : الإعياء ، والوصب : الوجع ، والافتقار : تدع الآثار .
 (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « من كل أوب » . (٣) الحزة : قطعة من اللحم قطعت طولاً؛ والفخذ : كبد البعير والجمع أفلاذ . وألم بها : أصابها . والغمر : قدح صغير لا يروى .
 (٤) حاشية الأصل : « نسخة ص : « ضربته » . (٥) البازل : البعير الذى فطر نابه بدخوله فى السنة التاسعة ، ويقال للناقة أيضاً . والسكوما : الناقة العظيمة السنام . والعدوة : التعدى . والأمون : الناقة الموثقة الحلق ، واخروط : امتد . (٦) البشر : جمع بشير ، وفى حاشية الأصل : « أى إذا يئس الناس من أمورهم ووطنوا نفوسهم على اليأس فالبشائر تلمع من قدامه » .
 (٧) حتى يفسح البصر ، أى يجد متسعاً من الصباح ؛ وفى حاشية الأصل : « أى هو رابط الجأش عند الفزع ، لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن الإطباخ » . (٨-٨) حاشية الأصل (من نسخة) :
 * عَشِنَا بِذَلِكَ دَهْرًا ثُمَّ وَدَعْنَا *

(٩) النصلان هما : السنان - وهى الحديدة العليا من الرمح - والزج ، وهو الحديدة السفلى : ويقال : هما الزجان أيضاً ؛ وهو مثل . وفى حاشية الأصل : « رواية الأصمعى بعد قوله « ينكسر » :
 فَإِنْ جَزَعْنَا فَمَدَّ هَدَّتْ مُصَابِتُنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صَبْرُ
 والمصابة : المصيبة ، والصبر : جمع صبور ، مبالغة صابر » . (١٠) حاشية الأصل : « هند بن أسماء :
 من قبيلة نفيل ، قاتل المنتشر » ، وأراد بالحرم ذا الخلصة .
 (١١) صبحه : سقاه الصبوح ؛ وهو الشرب بالغداة ، أراد : أنه كان يقتلهم .

وَأَقْبَلَ^(١) الْحَيْلَ مِنْ تَثْلِيثِ مُصْغِيَةٍ وَضَمَّ أَعْيُنَهَا عَوْرَانُ أَوْ حَضَرَ^(٢)
إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرًا

قال رحمه الله: وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر، وقيل لليلي أخته، ولعل
الشبهة الواقعة في نسبتها إلى ليلى الأخيلية من هاهنا والصحيح، ما ذكرناه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة .
[٢٢٢] قال: وقد الأخطل على معاوية فقال: إنى قد امتدحتك بأبيات فاسمها، فقال: إن كنت شبهتني
و
بالحية أو الأسود الصقر فلا حاجة لي فيها؛ وإن كنت قلت في كما قالت الخنساء^(٣) :

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أَمْرِي مُتَنَاوِلٍ^(٤) بِهِ الْمَجْدَ إِلَّا حَيْثُ مَا نِلْتَ أَطْوَلَ^(٥)
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مِدْحَةً وَإِنْ صَدَقُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ

١٠ فهات، فقال الأخطل: والله لقد أحسنت وقلت بيتين؛ ما هما بدون ما سمعته،
وأنشد:

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْعِزُّ^(٦) وَانْقَطَعَ الْغِنَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ^(٧)

(١) حاشية الأصل: « قبل، بمعنى أقبل، ويمدّى بالألف، تقول: أقبلته أنا حملته مقبلا، وأقبلته
الشيء أى جعلته يلى قبالة؛ يقال: أقبلت ارماح نحو القوم، وأقبلت الإبل أفواه الوادى . »

(٢) عوران وحضر: موضعان. ف: «خوان»، د، م: «رغوان». وهو بوافق ماني الخزانة،
وفي حاشية الأصل (من نسخة): «روعان». وفيها أيضا: «في نسخة ديوانه: رعران، جوان، خوان»،
هذه كلها مواضع. (٣) ديوانها: ٤٨١. (٤) م: «متناول»

(٥) رواية اللسان (طول):

* من المجدِ إِلَّا وَالَّذِي نِلْتَ أَطْوَلَ *

(٦) ف: «العرف». (٧) مصدر: مقل، وفي حاشية الأصل: «أى لم يبق الغنى إلا من
قبل عطاء قليل».

وَرُدَّتْ أَكْفُ الرَّاعِيَيْنِ وَأَمْسَكُوا مِنْ الدِّينِ وَالدُّنْيَا بِمُخْلِيفٍ مُجَدِّدٍ^(١)
فأحسن صلته .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى
النحوي أن ابن الأعرابي أنشدهم :

٥ مَرَرْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبِغُ ؛ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِحٌ
- قوله « يكتم كلبه » - أي يشد فاه خوفاً أن ينبغ فيدل عليه .
وقال آخر :

وَتَكْتُمُ كَلْبَ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى وَنَارُكَ كَالْعَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سِتْرٌ^(٢)
قال : وقد قال الأخطل :

١٠ قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأُمَّهْمُ بُولِي عَلَى النَّارِ
قال أبو عبد الله : وسمعت محمد بن يزيد الأزدى يقول : هذا من أهجى ما هُجى به جرير ،
لأنه جعل نارهم تطفئها البولة ، وجعلهم يأمرون أمهم بالبول استخفافاً بها .

(١) حاشية الأصل : « منقطع اللبن ، من قولهم : ناقة جداء ؛ يقال : ناقة مجددة الأخلاف إذا ضربها
الصرار وقطعها ، وتجدد ضرع الناقة ذهب لبنه » . وفيها أيضاً : « لما احتضر عبد الملك بن مروان غشى
عليه ، ثم أفاق ، فسمع امرأة تقول : مات أمير المؤمنين : فتمثل بهذين البيتين » .
(٢) اللسان (كعم) من غير عزو .

مَجْلِسِ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال: ما تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾؛ [آل عمران : ٨].

أوليس ظاهر الآية يقتضى أنه تعالى يجوز أن يُزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصحّ مسألته تعالى ألا يُزيغها ، ويكون هذا الدعاء مفيداً ؟

٥ الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

[٢٢٢]^ط أولها أن يكون المراد بالآية : ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ، ولا تشق علينا فيه ، فيُفِضِي بنا ذلك إلى زيغ القلوب منّا بعد الهداية ؛ وليس يمتنع أن يُضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة إليه ؛ كما قال عز وجل في السورة: إِنَّهَا^(١) زَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ، وكما قال خبراً عن نوح عليه السلام: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾؛ [نوح : ٦].

١٠ فإن قيل : كيف يشدد عليهم في المحنة ؟

قلنا: بأن يقوى شهواتهم ، لما قبجه في عقولهم ، ونفورهم^(٢) عن الواجب عليهم ، فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً ، والثواب المستحقّ عليهم عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة .

وثانيها أن يكون ذلك دعاءً بالثبوت لهم على الهداية ، وإمدادهم بالألطف التي معها يستمرّون على الإيمان .

١٥

فإن قيل : وكيف يكون مُزِيناً لقلوبهم بالألطف ؟

(١) الضمير يعود إلى المحنة ؛ والآية في سورة النوبة : ١٢٥ : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ ﴾ .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « وقارهم » .

قلنا : من حيث كان المعلوم أنه متى قطع إمدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الإيمان . ويجرى هذا مجرى قولهم : اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا ؛ معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا فيتسلط علينا ؛ ومثله قول الشاعر :

أَنَا بِي وَرَحْلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٌ لَّآلِ تَمِيمٍ أَقَمَدَتْ كُلَّ قَائِمٍ

أراد : قعد لها كل قائم ؛ فكأنهم قالوا : لا تخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا لطافك ، هـ
فزيغ ونضل .

وثالثها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب ، لأنه قال : المراد بالآية ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك . ومعنى هذا السؤال أنهم سألوا الله تعالى أن يلفظ لهم في فعل الإيمان ؛ حتى يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم ، فيستحقوا بترك الإيمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب ، وأن يفعل بهم بدلا منه العقاب .

١٠

فإن قال قائل : فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين ؛ حتى زعمتم أنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عنه ؟ وأجاب بأن من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ ؛

[الأنعام : ١٢٥] ؛ وقوله تعالى لرسوله / عليه وآله السلام : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [٢٢٣]

[الشرح : ١] وذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق والرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبة ، ١٥

قال : ومن ذلك أيضا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ، وهو الذي منعه الكافرين ، فقال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ [المائدة : ٤١] .

قال : ومن ذلك أيضا كتابته الإيمان في قلوب المؤمنين ، كما قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ

كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] وضد هذه الكتابة هي

سيات الكفر التي في قلوب الكافرين ؛ فكأنهم سألوا الله تعالى ألا يزيغ قلوبهم عن هذا

الثواب إلى ضده من العقاب .

٢٠

ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بالألّا يُزيغَ القلوب عن اليقين والإيمان . ولا يقتضى ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله ، وما لولا المسألةُ لجاز فعله ؛ لأنه غير ممتنع أن يدعوّه على سبيل الانقطاع إليه ، والافتقار إلى ما عنده بأن يفعلَ تعالى ما نعلم أنه لا بدّ من أن يفعله ، وبالألّا يفعل ما نعلم أنه واجب ألاّ يفعله ؛ إذا تعلق بذلك ضربٌ من المصلحة ؛

٥ كما قال تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ [الشعراء : ٨٧] وكما قال في تلاميذنا ماندعوبه : ﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ ﴾ ؛ [الأنبياء : ١١٢] وكقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ ؛ [البقرة : ٢٨٦] ، على أحد الأوجه : وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسنُ قولَ الراعى فى وصف الأثافى والرّماذ ،

١٠ فقد^(١) طبق وصفهُ المُفصّل ، مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده :

وَأورقَ مُدْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ حَوَاضِنُ أُلَافٍ عَلَى غَيْرِ مَشْرَبِ
وَرَادُ الأَعَالَى أَقْبَلَتْ بِنُجُورِهَا عَلَى رَاشِحِ ذِي شَامَةِ مُتَقَوِّبِ
كَأَنَّ بَقَايَا لُونِهِ فِي مُتُونِهَا بَقَايَا هِنَاءٍ فِي قَلَائِصِ مُجْرِبِ

الأورق : الرّماذ ، جمل الأثافى له كالحواضن ؛ لاحتضانها له واستدارتها حوله .

١٥ وأراد بوراد الأعلى أن ألوانها تضرب إلى الحمرة ، وخصّ الأعلى ؛ لأنها مواضع القدر [٢٢٣] فلا تكاد / تسود . والراشح : هو الراضع ؛ وإنما شبه الرماذ بينهما بفصيل بين أظفار . والمتقوّب : الذى قد انحسر أعلاه .

وشبهه ماسودت النار منهن بأثر قطران على قلائص جرّبى . والمجرب : الذى قد جرّبت إبله .

ونظير هذا المعنى بعينه ، أعنى تشبيهه تسويد النار بالهناء قولُ ذى الرّمة :

(١) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فلقد » .

عَفَا الزُّرْقُ مِنْ أَطْلَالٍ مِيَّةً فَالِدَحْلُ
فَأَجَادُ حَوْضَى حَيْثُ زَاخَمَهَا الْحَبْلُ^(١)
سَوَى أَنْ بَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خِلْقَةٍ
تَخَاطَأَهَا ، وَارْتَتْ جَارَاتِهَا النَّقْلُ^(٢)
مِنَ الرَّضَمَاتِ الْبَيْضِ غَيْرَ لَوْهَا
بَنَتْ فِرَاضَ الْمَرْخِ وَالْيَابِسَ الْجَزْلُ
كَجَرَبَاءِ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأُفْصِيَتْ
بَأَرْضِ خَلَاءٍ أَنْ تُقَارِبَهَا الْإِبْلُ

- قوله : «سوداء من غير خِلْقَةٍ» بمعنى أُنْفِيَّةٍ ؛ لأن السواد ليس بخِلْقَةٍ بها؛ وإنما سودتها النار .
وقوله : تَخَاطَأَهَا النُّقْلُ ، أى تجاوزها فلم تحمّل من مكان إلى مكان ؛ بل بقيت منفردة .
وارتَتْ جاراتها : يعنى بجاراتها ؛ أى نقلن عنها الأثافي اللواتي كنّ معها . والمرتّ :
هو المنقول من مكان إلى مكان ؛ وأصل ذلك فى الجريح والعليل ؛ يقال ارتت الرجل ارتثاناً
إذا حمل من المعركة وبه رمق . قال النضر بن شميل : معنى ارتت صرع . وقال أبو زيد :
هو مأخوذ من قولهم ارتثنا رثمة القوم إذا جموا ردى ، متاعهم بعد أن يتحملوا من موضعهم ؛
وكلا المعنيين يليق ببنت ذى الرثمة ؛ لأنه قد يجوز أن يريد^(٣) بقوله : « وارثت جاراتها » ،
أى نقلن عنها ، ويجوز أن يريد^(٤) : صر عن و بقيت ثابتة قائمة .

والرّذات : حجارة بيض بعضها على بعض . والفراض : جمع فرّض ، وهو الحزّ يكون
فى الزند وعنى ببنت فرّاض المرخ شرّ النار الخارجة من ذلك الفرض : والمرخ : شجر تتخذ
منه الرنذة . ومن أمثالهم : « فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ والعفار^(٤) » ، وهذا المثل يضرب
للرجل الكريم الذى يفضّل على القوم ويزيد عليهم ؛ فكأن المعنى : كلّ القوم كرام
وأكرمهم فلان .

(١) ديوانه : ٤٥٤ . الزرق : أ كسبة بالدهناء ؛ والدحل وحوضى : موضعان ؛ والأجاد : جمع جد ؛
وهى الأرض الغليظة فى صلابة الجبل ، ويعنى بالحبل جبل الرمل ، وهو رمل مستطيل .
(٢) من نسخة بمحاشية الأصل : « تخاطأها » . (٣-٣) سائط من م .
(٤) المثل فى مجمع الأمثال للعبدانى (٢ : ١٨) ؛ قال : استمجد المرخ والعفار ؛ أى استكثرنا وأخذنا
من النار ما هو حسبها ؛ شهباً بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لأنهما يسرعان الورى .

ومعنى « كجرباء دَسَّتْ بالهَنَاءِ » أنه شبه الأثْفِيَّةَ المفردة بِنَاقَةِ جَرْبَاءٍ قد أفردت وأبعدت عن الإِبِلِ حتى لا تُجْرِبَهَا ولا تُعْدِيهَا . ومعنى دَسَّتْ بالهَنَاءِ ، طَلِيَتْ به .

وفي معنى قول الراعى : « وَرَادُ الأَعَالَى » شَبَهُهُ من قول الشَّخَّاحِ بنِ ضَرَّارِ :

[٢٢٤] / أَقَامَتْ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَاً كُمَيْتَا الأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا^(١)

يعنى « بربعيهما » منزلى الإمرأتين^(٢) اللتين ذكرهما ، ويعنى « بجارتاهما » الأثفيتين ؛ لأنهما مقطوعتان من الصفاً الذى هو الصخر . ويمكن فى قوله : « جارتاهما » وجه آخر هو أحسن من هذا ؛ وهو أن الأثفيتين توضعان قريباً من الجبل ، لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسكةً للقدر معهما ؛ ولهذا تقول العرب : رماه بثالثة الأثافي ؛ أى بالصخرة أو الجبل ، وشبه أعلاهما بلون الكُمَيْتِ ؛ وهو لون الحجر نفسه ؛ لأن النار لم تصل إليه فتسوده^(٣) .

١٠ ومصطلاهما جَوْنُ أى أسود ؛ لأن النار قد سفعته وسودته .

وقال الراعى فى وصف الأثافي أيضاً :

أَذَاعَ بأَعْلَاهُ ، وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ذَرَا مُجْنَحَاتٍ بَيْنَهُنَّ فُرُوجُ
كَأَنَّ بِجِزْعِ الدَّارِ لَمَّا تَحَمَّأُوا سَلَابِيبَ وَرُقَاً بَيْنَهُنَّ خَدِيحُ

أذاع بأعلاه ، يعنى الرماد ؛ لأن السافى^(٤) يطير ظاهره وما علامه .

١٥ وأبقى شريده ، أى بقى^(٥) لما شرد على السافى فلم يطير .

وذرا مجنحات يعنى الأثافي . وذرا كل شئ : جانبه وما استندرت به منه . والمجنحات :

المسبيلات منه .

(١) ديوانه ٨٦ (٢) فى حاشيتى الأصل ، ف : « منزلى المرأتين » . (٣) حاشية الأصل : ويمكن فى « جارتاهما » وجه آخر ؛ وهو أحسن من هذا ؛ وهو أن الأثفيتين توضعان قريباً من الجبل ، لتكون حجارة الجبل ثالثة الأثافي وممسكةً للقدر معهما ؛ ولهذا يقال : رماه بثالثة الأثافي ؛ أى بالصخرة أو الجبل .
(٤) السافى : الريح التى نسق التراب . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيقى » .

والسلائب : جمع سَلُوب ؛ وهى الناقة التى قَدَّ سُلِبَتْ ولدها بموت أونجر ؛ فقد عطفت على جوار آخر .

والخديج : الذى قد سقط لغير تمام .

والورقُ : اللواتى ألوانهن كلون الرماد .

٥ وفى معنى قول الراعى : « وأبقى شريده ذرا مجنحات » قولُ المخبل السعدى :

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمٌ (١)

إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعْتُ عَنْهُ الرِّيَّاحَ خَوَالِدِ سُحْمٍ (٢)

إلا هاهنا: بمعنى الواو، فكأنه قال : وأرى رماداً هامداً ، ولولأن « إلا » هاهنا بمعنى

الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوّله ، لأنه يقول فى آخر البيت : إن الخوالد السُّحْمُ

دفعتُ عنه الرياح ، فكيف يُخْبِرُ بأنه قد دَرَسَ ، وإنما أراد أنه باقٍ ثابت ، لأن الأناثى ١٠

دفعتُ عنه الرياح فلم يَسْتَشْنِهْ ، إذن هو من جملة ما لم يدرس ، بل هو داخل فى جملة .

وللراعى أيضاً فى الأناثى :

أُنْحَنَ وَهْنٌ أَغْفَالٌ عَلَيْهَا فَقَدَّ تَرَكَ الصَّلَاءُ بَيْنَ نَارًا

/ شبه الأناثى بنوق أنحن أغفالا ، لست عليهن سِمةٌ ؛ ثم أخبر أن الوقود أترفين [٢٢٥]

أثراً كالسِّمةِ ، والنار السمة ، تقول العرب : مانارُ بَعِيرِكَ ؟ أى ، ما سِمتُهُ ؟ وفى أمثالهم : « نجارها ١٥

نارها » ، أى سمتها تدلُّ على كرمها ، يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدلُّ

على باطن خبره .

(١) من قصيدة فى المفضليات ١١٣-١١٨ ، مطلعها :

ذَكَرَ الرَّبَابَ وَذَكَرَهَا سَقْمٌ فَصَبَا وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَا حِلْمٌ

وأغدره : جمع غدِير . والسيدان : أرض لبى سعد ؛ والرسم : الأثر بلا شخص ؛ ودروسه : ذهابه ؛

يريد : لم يذهب كله . (٢) الخوالد : البواق ، عنى بها الأناثى . بسجم : من السجمة ؛ وهو لون يضرب

للى السواد .

وقال عدى بن الرقاع العاملي :

إلّا رَوَا كِدَ كَلْهَنٍ قَدِ اصْطَلَى
كَانَتْ رَوَاحِلَ لِقُدُورٍ فَعُرَيْتُ
حَمْرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلَهَا إِيقَادَهَا (١)
مِنْهُمْ ، وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال الأسعر الجعفي :

إلّا رَوَا كِدَ بَيْنَهُنَّ خِصَاصَةً
سُفِعَ الْمَنَّاكِبِ ، كَلْهَنٍ قَدِ اصْطَلَى (٢)

وقال حميد بن ثور :

فَتَمَيَّرَتْ إِلَّا مَلَاعِمَهَا
عُرْشَ الثَّقَابِ لَهَا بَدَارِ مَقَامَةٍ
وَمُعْرَسًا مِنْ جَوْنَةٍ ظَهَرِ (٣)
لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وَتُرٍ
الجوْنة : القِدْرُ : ويقال : قِدْرٌ ظَهَرَ ، وَقُدُورٌ ظَهُورٌ ، إِذَا كَانَتْ قَدِيمَةً (٤) . وَعُرْشٌ ،

١٠ أَى جَعَلَ مِثْلَ الْمُرَيْشِ ، يَعْنِي الْوَقُودَ . وَالثَّقَابُ : مَا أَتَقَبَتْ بِهِ النَّارُ مِنَ الْوَقُودِ . وَالنَّظَائِرُ : هِيَ الْأَثَافِي : وَالْوَتْرُ : الْفَرْدُ ، وَأَرَادَ أَنَّهَا ثَلَاثُ .

وقال الكميت بن زيد :

وَلَنْ تُحْيِيَّكَ أَظْآرٌ مُعْطَفَةٌ
لَيْسَتْ بِعُودٍ ، وَلَمْ تُعْطَفْ عَلَى رُبْعٍ
بِالْقَاعِ ، لَا تَمَكُّ فِيهَا وَلَا مَيْلٌ
وَلَا يَهَيْبُ بِهَا ذُو النَّيَّةِ الْأَبْلُ

١٥ يَعْنِي الْأَثَافِي ، فَشَبَّهَ عَظْفَهَا عَلَى الرَّمَادِ بِنُوقِ أَظْآرٍ قَدْ عَظْفَنَ عَلَى فَصِيلٍ . وَالتَّمَكُّ : انْتِصَابُ السَّنَامِ . وَالْمَيْلُ : مِنْ صِفَةِ السَّنَامِ أَيْضًا .

وَالْعَائِدُ مِنَ النَّوْقِ : الَّتِي يَتَّبِعُهَا وَلَدُهَا : وَالرُّبْعُ : الَّذِي يُنْتِجَ فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ . وَالْإِهَابَةُ :

الدَّعَاءُ ؛ أَهَابَ بِإِبْلِهِ إِذَا دَعَاَهَا . وَذُو النَّيَّةِ : الَّذِي قَدِ نَوَى الرَّحِيلَ : الْأَبْلُ : صَاحِبُ الْإِبْلِ .

(١) الطرائف الأدبية ٨٧ مع اختلاف في الرواية .

(٢) البيت في أملى الفالقي ١ : ٤٤ غير منسوب ، ونسبه في اللآثي : ١٨٩ للرخيم العبدى ، وفي م

نسب إلى مالك الجعفي ، والبيت ليس في قصيدة الأسعر التي في أول الأصمعيات .

(٣) ديوانه : ٩٣ . المعرس : مكان تعريس القوم في السفر في آخر الليل .

(٤) في اللسان : « وقدر ظهر : قديمة ؛ كأنها تاتي وراء الظهر لقدمها » ، واستشهد بالبيت .

وقال ذو الرُّمَّة :

فلم يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَى فِي مَحَلِّهِ رَمَادًا نَحَتْ عَنْهُ السُّيُولَ جَنَادِلَهُ^(١)
 / كَأَنَّ الحَمَامَ الوُرُقَ فِي الدَّارِ وَقَعَتْ^(٢) عَلَى حَرَقٍ بَيْنَ الظُّوُورِ جَوَازِلُهُ [٢٢٥] و
 شبه الأثافيّ بالحمام الوُرُق ؛ وجعلها ظوُوراً لتعطفها على الرماد ؛ وشبه الرَّمَادَ بفرخ
 حَرَقٍ قد سقط ريشه. والجوازل : الفراخ. واحدها جَوَزَل .

وقال البَعِيث :

أَلَا حَيِّيًا الرَّبْعَ القَوَاءَ وَسَلَّمًا وَرَسْمًا كَجُثْمَانِ الحَمَامَةِ أَدَهَمَا
 قيل إن الحمام هاهنا القَطَاة ؛ وإنه شبه ألوان الرسوم من الرَّمَادِ ، وموقد نارٍ ، ودمنةٍ ،
 ومَجْرَرٍ طَنْبٍ ، وما أشبه هذه الأشياء بألوان ريش قَطَاة .

١٠

ومثله لجرير :

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمَامَةٍ مَجَّاهَا البَيْلَى وَاسْتَمَعَجَمَتْ أَنْ تَكَلِّمَهَا^(٣)
 ولقد أحسن كلَّ الإحسان كَثِيرٌ فِي قَوْلِهِ :

أَمِنْ أَلِ قِيَلَةَ بِالدَّخُولِ رُسُومٌ وَبِجَوْمَلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدِيمٌ^(٤)
 لَعِبَ الرِّيَّاحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَهُ جُونٌ عَوَاكِفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومٌ
 ١٥ سَفَعُ الخُدُودِ كَأَنَّهِنَّ وَقَدْ مَضَتْ حَجَجٌ عَوَائِدُ بَيْنَهُنَّ سَقِيمٌ
 وقيل في قوله : «فأجدّه جُونٌ عَوَاكِفُ» يعنى الأثافيّ ، لأنّ الرّيح لما كشفت عنها،
 وظهرت صارت هي كأنها أجدت الرّسم. ويحتمل وجه آخر ، وهو أن يكون معنى «أجدت»
 أنّها حمت الرماد الذي أحاطت به عن لعب الرّياح ، فبقى بجاله يستدلّ به المترسم^(٥) ،

(١) ديوانه : ٤٦٥ . نحت : صرفت ؛ وفي الديوان : «نفت» ، والجنادل : الحجارة .

(٢) وقعت : ربضت ، وفي الديوان : «جثمت» .

(٣) ديوانه : ٥٤٣ (٤) ديوانه ١ : ٢٥٣ (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : «الرسوم» .

فكان الرياح دَرَسَتِ الربع ومجته إلا ما أجدته هذه الأثافي من الرماد، ومنعت الريح منه،
ويجري ذلك مجرى قول الخبيل :

إلا رماداً هامداً ... البيت ...

وقال المرار الفقمسي في الأثافي :

أثرُ الوقودِ على جوائِنها بِمُحْدُوْدِيْنٍ كَأَنَّهُ لَطْمٌ

ويقال إن أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله :

قِفُوا نَمَطِ الْمَنَازِلِ مِنْ عِيُونِ لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْسَاءُ غِزَارُ^(١)

عَفَّتْ آيَاتُهُنَّ ، وَأَيُّ رَبْعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارُ!

/ أَثَافٍ كَالْمُحْدُوْدِ لُطْمِنَ حُزْنًا وَنَوَى مِثْلُ مَا نَفَصَمَ السَّوَارُ

[٢٢٥]
ط

وقد عاب عليه قوله : « لُطْمِنَ حُزْنًا » بعض من لا معرفة له ، وقال : لافائدة في قوله

« حزننا » ، ولذلك فائدة ؛ وذلك أن لطم الحزن يكون أوجع وأبلغ ، فتأثيره أظهر وأبين ؛ وقد

يكون اللطم لغير الحزن ؛ فأما قوله .

* ونوى مثل ما نفصم السوار *

فأخوذ من قول الشاعر :

نَوَى كَمَا نَقَصَ الْهَلَالَ مُحَاقَهُ^(٢) أَوْ مِثْلَمَا فَصَمَ السَّوَارَ الْمِصْمَ

١٥

وقد شبه الناس النوى بالسوار والخلخال كثيراً، وبغير ذلك ، قال كُثَيِّبُ :

عَرَفْتُ لِسُعْدَى بَعْدَ عَشْرِينَ حِجَّةً بِهَا دَرَسَ نَوَى فِي الْمَحَلَّةِ مُنْحَنَ^(٣)

قَدِيمٍ كَوَقَفِ الْعَاجِ نُبِتَ حَوْلَهُ مَغَارِزُ أَوْ تَادٍ بَرَضْمٍ مُوَضَّنِ

(١) ديوانه : ١٤٠ ؛ والرواية فيه : « قفانط » . وأحساء : جمع حسي ؛ وهو الماء تحت الرمل ،

ينبط بالأيدي . (٢) الحاق ، مثلثة : آخر الشهر . (٣) ديوانه : ١ : ٥٨ .

— الوقت: السوار من الذَّبَل ومن العاج . والرَّضْمُ: صخور عظام. والمَوْضَن: الذي

بعضه فوق بعض .

وقال بشار:

وَنُوَيْءٌ كَخَلْخَالِ الْفَتَاةِ ، وَصَائِمٌ أَشْجٌ عَلَى رَبِّبِ الزَّمَانِ رَقُوبٌ^(١)

— الصائم الأشج: يعنى الودد؛ وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وثباته، وجعله رَقُوبًا لانفراده، ٥

والمرأة الرَقُوب والشيخ الرَقُوب: الذى لا يعيش له ولد .

ومن مستحسن ما وصف به النوى قول أبى تمام:

وَالنَّوَى أَهْمِدٌ شَطْرُهُ فَكَانَهُ تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مَقْرُونٌ^(٢)

وقال المتنبي فى ذلك :

١٠ قِفْ عَلَى الدَّمْتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رَبِّبِ كَخَالٍ فِي وَجْنَةِ جَنْبِ خَالٍ^(٣)
بَطْلُولٍ كَأَنْهِنَّ نَجُومٌ فِي عِرَاضٍ كَأَنْهِنَّ لِيَالٍ
وَنُوَيْءٍ كَأَنْهِنَّ عَلَيْهِنَّ خِدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالٍ

— الخِدام: جمع خَدَمَة^(٤)؛ وهى الخَلْخَال، وجعلها خرساً لأنها غير قلقة، وشبهه ما أحرق به

النوى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخَلْخَال، من الساق الخَدَلَة، وهى المثلثة.

(١) ديوانه : ١ : ١٨١ . (٢) ديوانه : ٣٢٨ .

(٣) ديوانه : ٣ : ١٩٢ . الدو : الأرض الواسعة المستوية الففرة ؛ وريا : اسم امرأة ؛ والمراد :

من ربا ، والحال : شامة تخالف لون الوجه . والشامة : تكون فى الوجه والجسم .

(٤) الخدمة فى الأصل : سير يشد فى رسن البعير ، وبه سمى الخَلْخَال ؛ لأنه ربما كان من سيور، يركب

فيه الذهب والفضة .

مَجْلِسُ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ . قَالُوا ادْعُ لِنَارِكَ مُبِينٌ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ مُبِينٌ لَنَا مَا لَوْئِنهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقْعُ لَوْئِنهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ مُبِينٌ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، [البقرة : ٦٧ - ٧٠] .

فقال : ما تأويل هذه الآيات ؟ وهل البقرة التي نُعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد ، أو المراد مختلف والتكليف متغاير ؟

١٠ الجواب ، قلنا : أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم ؛ فمن جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد ، وأن الأوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة ؛ وإنما تأخر البيان ، ولما سأل القوم عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء .

ومن لم يجوز تأخير البيان يقول : إن التكليف متغاير ؛ وإنهم لما قيل لهم : اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاءوا ، من غير تعيين بصفة ، ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر ، فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ، ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم ، فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء ، فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة .

ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر، فمنهم من قال في التكليف الأخير: إنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت، حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث، مسلمة لاشية فيها، (١) صفراء فاقع لونها، ولا فارض ولا بكر^(١). ومنهم من قال: إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط، دون ما تقدم.

وظاهر الكتاب بالقول/المبنى على جواز تأخير البيان أشبهه، وذلك أنه تعالى لما كلفهم [٢٢٦] ذبح بقرة قالوا للرسول: ﴿ اذْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ ﴾، فلا يخلو قولهم: ﴿ مَا هِيَ ﴾ من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها، أو عن التي أمرُوا بها ثانياً؛ على قول من يدعى ذلك:

وليس يجوز أن يكون^(٢) سألوها عن صفة غير التي تقدم ذكرها، لأن الظاهر من قولهم ﴿ مَا هِيَ ﴾ بعد قوله لهم: اذبحوا بقرة يقتضى أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها؛ ولأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها؛ وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمرُوا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله: ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ ﴾ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى، أو عن غيرها، وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية، لأن ظاهر قوله: ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ ﴾ من صفتها كذا بعد قولهم: ﴿ مَا هِيَ ﴾ يقتضى أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم، ولأن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم، بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره، وهذا لا يليق بالنبي عليه السلام.

على أنه لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم في الأول على ما يدعيه من ذهب إلى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم، وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه، وتفريطهم فيما أمرُوا به؛ مما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه، فيقول في جواب قولهم: ﴿ مَا هِيَ ﴾: ٢٠.

(١-١) حاشية الأصل: « ش: صفراء فاقعا لونها، ولا فارضاً ولا بكرا ».

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): « أن يكونوا ».

إنما كلفتم أي بقرة شتم، وما يستحق اسم بقرة، وقد فرطتم في ترك الامتثال، وأخطأتم في الاستفهام، مع وضوح الكلام، إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا، لأن هذا مما يجب عليه بيانه؛ لإزالة الشك والإبهام واللبس؛ فلما لم يفعل ذلك، وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضى التعلُّق بالسؤال علم أن الأمر على ما ذكرناه. وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال، كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها؟ ومع تكرار المصيبة [٢٢٧] والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلّقة بسؤالاتهم؛ لأنهم يسألونه/ عن صفة شئ، فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان؛ بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلُّق الجواب بالسؤال؛ لأن قول القائل في جواب مَنْ سألَه ما كذا وكذا؛ إنه بالصفة الفلانية صريح في أن الهاء كناية عمّا وقع السؤال عنه؛ هذا مع قولهم: إن البقر تشابه علينا، لأنهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير مبين، فلم لم يقل: أي تشابه عليكم إذ إنما أمرتم في الابتداء بأي بقرة كانت، وفي الثاني بما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان؟

فإن قيل: كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم، وهل هذا إلا تكليف مالا يطاق!

قلنا: لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب؛ ولو كانت حال الفعل حاضرة لما جاز أن يتأخر البيان، لأن تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لاشبهة في قبضه؛ وإنما أراد أن يذبحوها في المستقبل، فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة إليه.

فإن قيل: إذا كان الخطاب غير متضمّن لصفة ما أمروا بذبحه، فوجوده كدمه، وهذا يخرج من باب الفائدة، ويوجب كونه عبثاً!

قلنا: ليس يجب ما ظننتم؛ لأن القول وإن كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة؛ ولو لم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب، لصار مفيداً من حيث ذكرناه،

وخرج من أن يكون وجوده كدمه. وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح، وليس يُخرج الخطاب من تعلّقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها ، وبما هو زيادة عليها .

فإن قيل : ظاهرُ قوله تعالى : ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ يدلُّ على استبطائهم وذمِّهم على التقصير في امتثال الأمر !

قلنا: ليس ذلك صريح ذمّ ، لأن ﴿ كَادُوا ﴾ للمقاربة، وقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفات، فقد روى أنهم ابتاعوها بجلء جلدتها ذهباً .

على أن الذمّ يقتضى ظاهره أن يُصرّف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد/البيان [٢٢٧] ^ظ التام ، لأن قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ إنما ورد بعد تقدّم البيان التامّ المتكرر ، ولا يقتضى ذمّهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة ، فليس فيه دلالة على ما يخالف ١٠ ما ذكرناه .

فإن قيل : لو ثبت تقديراً أن التكليف في البقرة متغايرٌ، أي القولين اللذين حكيتموها عن أهل هذا المذهب أصحّ وأشبه ؟ قلنا: قولٌ من ذهب إلى أنّ البقرة إنما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط ، لأن الظاهرَ به أشبه ؛ من حيث إذا ثبت تغاير التكليف : وليس في قوله : ﴿ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ إلى آخر الأوصاف ذكرٌ لما تقدم من الصفات، ١٥ وهذا التكليف غير الأول، فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه والاختصار عليه.

فأما «الفارض» فهي المسنّة ، وقيل: هي العظيمة الضخمة ؛ يقال: غرّب فارض ، أي ضخم، والغرّب الدلو؛ ويقال أيضاً: لحية فارضة؛ إذا كانت عظيمة؛ والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنّة .

فأما «البكر» فهي الصغيرة التي لم تلد، فكأنه تعالى قال : تكون غير مسنّة، ولا ٢٠

والعوان : دون المسنة وفوق الصغيرة ؛ وهى النصف التى ولدت بطناً أو بطنين ؛ يقال :
حرب عوان إذا لم تكن أول حرب وكانت ثمانية ؛ وإنما جاز أن يقول : ﴿ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ « وبين »
لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر ؛ لأن لفظة « ذلك » تنوب عن الجمل ، تقول : ظننت زيدا
قائماً ، ويقول القائل : قد ظننت ذلك .

٥ ومعنى ﴿ فَاقِعٌ لَوْنُهَا ﴾ ، أى خالصة الصفرة ، وقيل : إن كل ناصع اللون ؛ بياضاً كان أو غيره
فهو فاقع . وقيل : إنه أراد بـ « صفراء » هاهنا سوداء .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ أى تكون صعبة لا يندلجها العمل فى
إثارة الأرض وسقى الزرع .

ومعنى ﴿ مُسَلَّمَةٌ ﴾ ، مفعلة ، من السلامة من العيوب ، وقال قوم : مسلمة من الشية ، أى
١٠ لاشية فيها تخالف لونها .

وقيل : ﴿ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾ ، أى لا عيب فيها ؛ وقيل : لا وضح ، وقيل : لالون يخالف لون
جلدها ، والله أعلم بما أراد ، وإياه نسأل حسن التوفيق .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : كنت أظن أن المتنبي قد سبق إلى معنى قوله فى مرثية أخت
سيف الدولة :

[٢٢٨] / طَوَى الْجَزِيرَةَ حَتَّى جَاءَنِي خَبْرٌ فَرَزَعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ (١)
حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا شَرِقْتُ بِالِدَّمْعِ حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي

حتى رأيتُ هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصارى ، وللبحترى .

(١) ديوانه ١ : ٨٧-٨٨ . الجزيرة : ما كان من الموصل إلى الفرات ؛ وكان الخبر بوفاتها ورد إليه

أما الذى لمسلم فقوله فى قصيدة يرثى بها سهل بن الصباح :

وَقَفَ الْعَفَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَتَحِيرٍ وَلِهِ الرَّجَاءُ ، وَذَى غَنَى يَسْتَرْجِعُ
وَمُخَادِعُ السَّمْعِ النَّعَى وَدُونَهُ خَطْبُ الْمَمِّ بِصَادِقٍ لَا يَخْدَعُ

وقال البحرى يرثى وصيفا التركى :

إذا جدّ ناعيه توهّمتُ أنه يُكْرَرُ من أخباره قول مازح^(١)

وكنت أظن المتنبي قد سبق إلى قوله :

يحلُّ القنأ يومَ الطَّعَانِ بدموتى فأحرّمهُ عِرْضِي ، وأطعمهُ جِلْدِي^(٢)

حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبّال الكلابى من أهل اليمامة فى قوله :

ثَنَى قَوْمَهُ عَنْ حِدْرِجَانَ وَقَدْ حَنَأَ إِلَى الْمَوْتِ دَامَى الصَّفْحَتَيْنِ كَلِيمِ^(٣)
أخو الحَرْبِ ، أَمَا جِلْدُهُ فَمُجْرَحٌ كَلِيمٌ ، وَأَمَا عِرْضُهُ فَسَلِيمِ^(٤)

وكنت أظنّ البحرى قد سبق إلى معنى قوله فى الفتح بن خاقان :

سَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، لَاعَزْمُكَ أَنْتَنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، وَلَا حُدَّهُ نَبَأِ^(٥)

حتى وجدتُ لشاعر متقدم :

طَمَعْتُ ابْنَ دَهْمَانَ بِنَجْرَانَ طَعْنَةً شَقَقْتُ بِهَا عَنْهُ مُضَاعَفَةَ السَّرْدِ
فَلَا كَفُّ أَوْهَتْ بِي ، وَلَا الرُّمْحُ خَانِي ، وَلَا الْأُدْهَمُ الْمَنْعُوتُ حَادَ عَنِ الْقَصْدِ

(١) ديوانه ١ : ١٢١ . (٢) ديوانه ٢ : ٦١ . عقوتى ؛ أى بقربى .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الحدرجان ، بالكسر : القصير ؛ قال ابن دريد فى كتاب الاشتقاق :

حدرجان : اسم رجل قتله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ؛ وهو فملان ؛ من قولهم : حدرجت السوط وغيره ؛ إذا فتلته فلا شديدا ، ويجوز أن يكون من مقلوب دحرج .

(٤) التبيان ٢ : ٦١ . (٥) ديوانه ١ : ٥٦ .

قال محمد بن يحيى الصولى: وصف الناس صفرة اللون فى العليل؛ فكلُّ حكى ذلك وبلا
فضيلة إلاَّ البحترى:

قال أعرابى من أبيات:

جَمَلْتُ وما عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّما جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالْمِظَامِ خَلُوقُ

/وقال أبو تمام:

لَمْ تَشِنْ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ جَعَلَتْ وَرْدَ وَجَنَّتِيهِ بَهَارًا^(١)

[٢٧٨]
ط

وقال غيره:

وَلَمْ تَشِنْ شَيْئًا وَلَكِنَّهَا بَدَلَتْ التَّفَاحَ بِالْيَاسْمِينِ

وقال بكر بن عيسى:

عِلَّةٌ زَعَفَرَتْ مُورِدَ خَدِّ كَادَ مِنْ رَقَةٍ وَرِيٍّ يَفِيضُ

١٠

ولأحمد بن يزيد المهلبى:

وَقَالُوا عَرَّتْ غِرَاءٌ حَمَى شَدِيدَةً فَوَجَنَّتْهَا مِنْهَا شَدِيدَةٌ صَفَارُهَا
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَيْهَاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةٌ مَضَى وَرْدُهَا عَنَا، وَجَاءَ بَهَارُهَا

ولأبى العتاهية:

وَكَأَنِّي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي مِنْكَ السَّقَامُ طَلَيْتُ بِالْوَرَسِ

١٥

وقال ابن المعتز:

وَصَفَّرَتْ عِلَّتُهُ وَجْهَهُ فَصَارَ كَالَّذِي يَنَارُ مِنْ حَقِّ^(٢)

(١) ديوانه: ٤٤١ . (٢) حاشية الأصل: « كذا فى ديوانه ، وحن كلمة عراقية »

أى حقيقة ، أى هذا الذى أقوله من جملة الحق ، وقبله :

وَأَبَا بِي مَنْ جِئْتُهُ عَائِلًا فزادنى عشقًا على عشقِ

وقال البحرى :

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ
مِنَ الدَّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاجِيهِ فِي العِقْدِ
وَجَرَّتْ عَلَى الأَيْدِي مَجَسَّةٌ كَفَّهُ
كَذَلِكَ مَوْجُ البَحْرِ مَلْتَهَبُ الوَقْدِ
وَمَا الكَلْبُ مُحْمُومًا، وَإِنْ طَالَ عُمرُهُ
وَلَكِنَّمَا الحُمَّى عَلَى الأَسَدِ الوَرْدِ

قال سيدنا أدام الله تمكينه : أما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدرّ فهو تشبيه ملبح ٥
موافق لفرضه ؛ إلا أنه أخطأ في قوله :

..... إِنَّ حَمْدَهُمْ
مِنَ الدَّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاجِيهِ فِي العِقْدِ
لأن ذلك ليس بمحمود بل مذموم ؛ ولو شبه وترك التعليل لكان أجود .

وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجى قال حدثنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى بن البحرى

قال حدثني أبي قال حدثني جدى البحرى قال : كنت عند أبي العباس المبرّد ، فتذاكرنا ١٠
شعر عمارة بن عقيل ، فقال لى : لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجه إليه بهذين
البيتين :

لَمْ أَسْتَطِعْ سَيْرًا لِمَدْحَةِ خَالِدٍ فَجَمَعْتُ مَدْحِيهِ إِلَيْهِ رَسُولًا
/ فَلْيَرْحَنَنَّ إِلَى نَائِلِ خَالِدٍ وَلْيَكْفِينَنَّ رَوَاحِلِي التَّرْحِيلَا [٢٢٩]

قال البحرى : فقلت له : لروان بن أبي حفصة في عبد الله بن طاهر - وقد أتاه نائله من ١٥

الجزيرة ماهو أحسن من هذا - وأنشدته :

لَعَمْرِي لَنِعْمَ النِّيْثُ غَيْثٌ أَصَابَنَا
يَبْغَدَادَ مِنْ أَرْضِ الجَزِيرَةِ وَإِبلُهُ
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبَّحَ النِّيْثُ أَهْلَهُ
وَلَمْ تَرْتَحِلْ أَظْمَانُهُ وَرَوَاحِلُهُ

فقال : نعم ، هذا أحسن ، فقلت له : إن لى فى بنى السَّمط - وقد أتانى برثم من حمص

جَزَى اللهُ خَيْرًا - وَالْجَزَاءُ بِكَفَّةٍ -
بِنى السَّمِطِ أَخْدَانَ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ
هُمْ وَصَلُونِي وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا
كَمَا رَفَضَ غَيْثٌ مِنْ تَهَامَةٍ فِي نَجْدِ
فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَرْقَ مِمَّا قَالَا وَأَحْسَنَ .

وروى أحمد بن فارس المنبجى عن عبيد الله بن يحيى بن البحتري قال حدثنا أبي عن
جماعة من أهل العلم والأدب، منهم يموت بن المزرع قال: قلت لأبي عثمان الجاحظ: من أنسب
العرب؟ فقال: الذى يقول:

عَجَلْتُ إِلَى فَضْلِ الْحِمَارِ فَأَثَرْتُ عَذَابَتَهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ (١)
وهذا للبحتري في القصيدة التي أولها:

* صَبَّ يُخَاطَبُ مُفْجَمَاتِ طُلُولِ (٢) *

١٠ قال سيدنا: وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في ملاحاة الكلام ورشاقته، وأخذه
بمجامع القلوب عن البيت الذى فضله به الجاحظ، وهو:

أَأَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَّاءُ لِي شَافِعٌ وَأُرَدُّ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي
وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن، وهو:

لَا تَطْلُبَنَّ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَرُّ التَّأْمَلِ مُزْنَةُ التَّأْمِيلِ

١٥ وبهذا الإسناد عن يحيى بن البحتري قال: انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن
زيد البرد / فقال لى البحتري أبى: ما الذى أفدتَ يوماً هذا من أبى العباس؟ قلت:
[٢٢٩] أَمَلَى عَلَى أَخْبَارِ حَسَنَةٍ، وَأَنْشَدَنِي آيَاتًا لِلْحَسَنِ بْنِ الضَّحَّاكِ، فَقَالَ أَبَى: أَنْشَدَنِي الْآيَاتِ،
فَأَنْشَدْتَهُ:

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ

وقدرمتُ أسبابَ السُّلُوِّ نَحَانِي ضَمِيرُهُ عَلَيْهِ مِنْ هَوَاكَ رَقِيبُ
أَعْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَغَضَى عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيبُ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مُتَمِّمٌ وَلَمْ يَكُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنْ شَكَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ لِشِكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبُ

٥ فقال: ما أحسنَ هذا الكلام! وأنشدني لنفسه:

حَبِيبِي حَبِيبٌ يَكْتُمُ النَّاسَ أَنَّهُ لَنَا حِينَ تَلْقَانَا الْعِيُونَ حَبِيبُ
يُبَاعِدُنِي فِي الْمَلْتَقَى وَفُؤَادُهُ وَإِنْ هُوَ أَبَدَى لِي الْبِعَادَ قَرِيبُ
وَيُعْرِضُ عَنِّي وَالْهَوَى مِنْهُ مَقْبِلٌ إِذَا خَافَ عَيْنًا أَوْ أَشَارَ رَقِيبُ
فَتَنْطِقُ مِنَّا أَعْيُنٌ حِينَ نَلْتَقِي وَتَخْرَسُ مِنَّا أَلْسُنٌ وَقُلُوبُ

١٠ ثم قال: ارو يا بُنَيَّ هَذَيْنِ؛ فَإِنَهُمَا مِنْ حَسَنِ الشُّعْرِ وَطَرِيفِهِ.

روى أحمد بن فارس النبجى عن أبي نصر محمد بن إسحاق النجوى قال: سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج: قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره، وأنه لم يكن يقوم لأحد ولا يتناول له، وينشد إذا أشرف عليه الرجل:

* مَهْلَانُ ذُو الْمَضَابِتِ لَا يَتَحَلَّجَلُ (١) *

ولقد رأيتُه يوماً وقد دخل عليه رجلٌ متدرع، فقام إليه أبو العباس فاعتنقه وتنجى عن موضعه وأجلسه، فجعل الرجل يكفه ويستعفيه من ذلك؛ فلما أ أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس:

أَتُنَكِّرُ أَنْ أَقُومَ وَقَدْ بَدَأَ لِي لِأَكْرَمِهِ وَأَعْظَمِهِ هِشَامُ
فَلَا تُنَكِّرُ مُبَادِرَتِي إِلَيْهِ فَإِنَّ لِمِثْلِهِ خُلُقَ الْقِيَامِ (١)

[٢٣٠]

و

/ فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البحترى.

(١) البيتان والخبر في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي: ١١٤.

مجلس آخر

تاويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهايل حاكيا عن هايل : ﴿لَنْ يَسْطُرَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ . إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة : ٢٧ ، ٢٨] .

٥ فقال : كيف يجوز أن يخبر عن هايل - وقد وصفه بالتقوى والطاعة - بأنه يريد أن يبيء أخوه بالإثم ؛ وذلك إرادة التبيح ، وإرادة التبيح قبيحة عندكم على كل حال ؛ ووجه قبحتها كونها إرادة لتبيح ، وليس قبحتها مما يتغير ؟ وكيف يصح أن يبيء القاتل بإثمه وإثم غيره ؟ وهل هذا إلا ما تأبونه من أخذ البريء بجرم السقيم ؟

١٠ الجواب ، قلنا : جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف ؛ وهو أن هايل لم يُرَد من أخيه قبيحاً ، ولا أراد أن يقتله ، وإنما أراد ما خبر الله تعالى عنه من قوله : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ ؛ أي إني أريد أن تبوء بجزاء ما أقدمت عليه من التبيح وعقابه ، وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمسئته . ونظير قوله : «إِثْمِي» ؛ مع أن المراد به عقوبة إثمى ؛ الذى هو قتل قول القاتل لمن يعاقب على ذنب جناه : هذا ما كسبت يداك ، والمعنى : هذا جزاء ما كسبت يداك ، وكذلك قولهم لمن يدعون عليه : لَقَاكَ اللَّهُ عَمَلَكِ ، وسدنتقى عمَلَكِ يوم القيامة ، معناه ما ذكرناه .

فإن قيل : كيف يجوز أن يحسن إرادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه ؛ لأن القتل على

هذا القول لم يكن واقعا ؟

قلنا : ذلك جاز بشرط وقوع الأمر الذي يستحق به العقاب ؛ فهابيل لما رأى من أخيه

التصميم على قتله ، والعزم على إمضاء التبيح فيه ، وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن

يريد عقابه ؛ بشرط أن يفعل ما هم به ، وعزم عليه .

فأما قوله : ﴿ يَا نَمِي وَيَأْتِيكَ ﴾ فالعنى فيه واضح لأنه أراد يَأْتِي عِقَابَ قَتْلِكَ لِي

وَيَأْتِيكَ أَيُّ عِقَابِ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي أَقْدَمْتَ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ ؛ فَلَمْ يُتَقَبَلْ قِرْبَانُكَ لِسَبَبِهَا ، لِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْهُمَا بِأَنْهُمَا : ﴿ قَرَبًا قُرْبَانًا فَتُقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا / وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ ، [٢٣٠] ^ظ

وَأَنَّ الْعِلَّةَ فِي أَنَّ قِرْبَانَ أَحَدِهِمَا لَمْ يُتَقَبَّلْ أَنَّهُ غَيْرُ مَتَّقٍ ، وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يَرِيدَ يَأْتِي

مَا ذَكَرْنَاهُ ؛ لِأَنَّ الْإِثْمَ مُصَدَّرًا ، وَالْمَصَادِرُ قَدْ تَضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا ، وَذَلِكَ مُسْتَعْمَلٌ ١٠

مطرد في القرآن والشعر والكلام .

فمثال ما أضيف إلى الفاعل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ ؛

[الحج : ٤٠] ومن إضافته إلى المفعول قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ

وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ ؛ [فصات : ٥١] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ

إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ ؛ [س : ٢٤] .

١٥

ومما جاء في الشعر من إضافته إلى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر :

أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرَبَعٍ وَمَصِيفٍ لِعَيْنَيْكَ مِنْ مَاءِ الشُّؤُونِ وَكَيْفٍ^(١)

(١) البيت للحطيثة ، ديوانه : ٣٩ ؛ وهو مطلع قصيدة يمدح فيها سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ؛ حينما كان واليا على المدينة . الشئون : مجازي الدمع من الرأس إلى العين ؛ واحدها شأن ، ووكيف : مصدر وكف ، أى سال . وفي حاشية الأصل : « يقول : أن رسم داراً ربع ومصيف بكيت ! والربع والمصيف واردان مورد المصدر ، لذلك عملا في رسم دار » .

وفي الكلام : يقول القائل : أعجبني ضربُ عمرو خالدًا ، إذا كان «عمرو» فاعلا ، وضرب عمرو خالدًا إذا كان «عمرو» مفعولا :

وقد ذكر قومٌ في الآية وجهها آخر ؛ وهو أن يكون المراد : إني أريد زوال أن تبوء بإثمى وإثمك ؛ لأنه لم يرد له إلا الخير والرشد ؛ فحذف «الزوال» ، وأقام «أن» وما اتصل بها مقامه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ بَكْفُرِهِمْ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٣] أراد «حبَّ العجل» فحذف «الحب» وأقام «العجل» مقامه ، وكما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ؛ [يوسف : ٨٢] ، وهذا قول بعيد ، لأنه لا دلالة في الكلام على محذوف ، وإنما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه .

وذكر أيضا وجه آخر وهو أن يكون المعنى : إني أريد ألا تبوء بإثمى وإثمك ، أى أريد ألا تقتلنى ولا أقتلك ، فحذف « لا » واكتفى بما في الكلام ^(١) ، كما قال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾ ؛ [النساء : ١٧٦] ، معناه ألا تضلوا ، وكقوله تعالى : ﴿ وَالْقَسَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَايَا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ ؛ [النحل : ١٥] ، معناه ألا تميد بكم ، وكقول الخنساء :

فَأَقْسَمْتُ آسَىٰ عَلَىٰ هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا

أرادت : «لا آسى» . ١٥

وقال امرؤ القيس :

فقلت يمينَ اللهِ أبرحُ قاعدًا ولو قطعو أراسيَ لَدَيْكَ وَأوصالي ^(٢)

أراد «لا أبرح» .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : (يبقى الكلام) :

(٢) ديوانها ، ٢٠٢ والرواية هناك :

يَدَ الدَّهْرِ آسَىٰ عَلَىٰ هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَا لَهَا

(٣) ديوانه : ٥٨ .

وقال عمرو بن كلثوم :

نَزَلْتُمْ مِنْزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا^(١)

أراد الأ^(٢) تشتمونا؛ والشواهد في هذا كثيرة جداً.

وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل العربية؛ لأنهم لا يستحسنون إضمار «لا» في مثل

هذا الموضع .

فأما قوله تعالى حاكياً عنه: ﴿لَنْ بَسَطَ إِلَى يَدِكَ لِتَمْتَلِكَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾؛ فقال قوم من المفسرين: إن القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت؛ وإن الله تعالى أمره بالصبر عليه، وأمتحن بذلك، ليكون هو المتولى للانتصاف .

وقال آخرون: بل المعنى أنك إن بسطت إلى يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط

يدي إليك على وجه الظلم والابتداء؛ فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح، وهو الواقع على سبيل الظلم .

والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبهه، لأنه تعالى خبر عنه أنه وإن بسط

أخوه إليه يده ليقته لا يبسط يده ليقته؛ أي وهو يريد لقتله ونحو^(٣) إليه؛ لأن هذه اللام بمعنى

«كي»، وهي منبئة عن الإرادة والفرض؛ ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه؛ ولأن المدافع إنما

تحسن منه المدافعة للظالم طلباً للتخلص^(٤) من غير أن يقصد إلى قتله أو الإضرار به؛ ومتى

قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل؛ لأنه^(٥) فاعل القبيح، والعقل شاهد بوجوب التخلص

من المصرة بأي وجه يمكن منه؛ بعد أن يكون غير قبيح .

(١) من المعلقة، ص ٢٣٥ - بشرح التبريزي . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : «لثلاثتمونا» .

(٣) حاشية (من نسخة) : «مختارله» . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف : «طلباً للنجاة» ،

م : «طلب التخلص» . (٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف : «في أنه» .

فإن قيل: فكأنكم تمنعون من حُسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة وتوجبونهما على كل حال!

قلنا: لا نمنع من ذلك؛ وإنما بينا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصار؛ على ما ذهب إليه قوم؛ لأن قوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض؛ والمدافعة لا تقتضى ذلك، ولا يحسن من المدافع أن يجرى بها إلى ضرر^(١)؛ فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة، ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

[٢٣١] إن سأل سائلٌ عن معنى الخبر الذى رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: / « لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلَّه القسم . » ط

الجواب، قيل له: أما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال: يعنى بتحلَّه القسم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾؛ [مریم: ٧١]، فكأنه قال عليه السلام: لا يرد النار إلا بقدر ما يبرّر الله قسمه.

وأما ابن قتيبة فإنه قال فى تأويل أبى عبيد: هذا مذهب حسن من الاستخراج؛ إن كان هذا قسماً.

قال: وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب وممانهم؛ وهو أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شهوه بتحلَّه القسم؛ وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه: إن شاء الله، فيقولون: ما بقم فلان عندنا إلا تحلَّه القسم، وما ينام العليل إلا كتحلَّه الآية، وهو كثير مشهور.

قال ابن أحرر^(٢) وذكر الريح:

(١) ف، وحاشية الأصل (من نسخة): « إلى الضرر » .

(٢) ف: « مزاحم بن أحرر » .

إِذَا عَصَفَتْ رَسْمًا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتَدُّ إِلَّا تَحِلَّةٌ مُقْسِمٌ (١)
يقول : لا يثبت الوتد إلا قليلاً كتَحِلَّةِ القَسَمِ ، لأن هبوب الريح يقلعه .

وقال آخر (٢) يذكر ثوراً :

يُخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ ، مَسْهُنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلِ (٣)
يقول : هو سريعٌ خفيفٌ ؛ فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتَحْلِيلِ اليمين .

وقال ذو الرُّمَّة :

طَوَى طِيَهُ فَوْقَ الْكَرَى جَنْ عَيْنِهِ عَلَى رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَّانِ الْحَازِرِ (٤)
قَلِيلًا كَتَحْلِيلِ الْأُلَى ثُمَّ قَلَصَتْ بِهِ شِيْمَةٌ رَوْعَاءُ تَقْلِيصَ طَائِرِ (٥)
والأُلَى : جمع أُلوة ، وهي اليمين .

قال : ومعنى الخبر على هذا التأويل أن النار لا تمسه إلا قليلاً كتَحْلِيلِ اليمين ثم ينجِّيه ١٠
الله منها .

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : الصواب قول أبي عبيد ، لحجج ثلاث :
منها أن جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد .

ومنها أنه ادعى أن النار تمسّ الذي وقعت منزلته عند الله جليلة ، لكن مسّاً قليلاً ، والقليل

لا يقع به الألم العظيم ؛ وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسّه النار لا قليلاً ١٥
ولا كثيراً .

(١) حاشية الأصل : « أي ضمته وأحاطت به » . وفي ف ، ش : « عصفت » .

(٢) هو عبدة بن الطبيب ، من قصيدته في المفضليات ١٣٥-١٤٥ (طبعة المعارف) .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « يخفي [بفتح الياء] ، أي يظهر ويثير ؛ يقال : أخفى إذا ستر ، وخفي

إذا ظهر » . في أربع : أربع قوائم ، في كل قائمة ظلفان . تحليل : تحلة القسم ؛ كأنه أقسم أن يمسه الأرض ؛ فهو يتجمل من قسمه بأدنى مس .

(٤) ديوانه : ٢٦٤ ؛ وفي حاشية الأصل : « بصف صاحب سفر أغنى لإغفاءة ثم انتبه سريعاً » .

(٥) قلصت ؛ أي ارتفعت . والشيمة : الطبيعة . روعاء : حديدة .

[٢٣٢] ومنها أن أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار، وإنما حكم عليه بالورود، والورود لا يوجب ألا يكون من الأبرار؛ لأن «إلا» معناه الاستثناء المنقطع، فكأنه قال: فتمسه النار لكن تحلة اليمين، أي لكن ورود النار لا بد منه، فجرى مجرى قول العرب: سار الناس إلا الأثقال، وارتحل المسكر إلا أهل الخيام، وأنشد الفراء:

وَسَمَحَةَ الْمَشَى شِمْلَالٍ قَطَعْتُ بِهَا أَرْضًا يَحَارُّ بِهَا الْهَادُونَ دَيْمُومًا (١)
مِهَامَهَا وَحُزُونًا لَا أُنَيْسَ بِهَا إِلَّا الصَّوَائِحِ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومًا (٢)
وأنشد الفراء أيضا:

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلَا جُوعٌ إِلَّا الرُّقَادُ، وَالرُّقَادُ تَمْنُوعٌ

فمعنى الحديث: لا يموت للمسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار البتة، لكن تحلة اليمين لا بد منها، وتحلة اليمين الورود، والورود لا يقع فيه مس.

وقال أبو بكر: وقد سئح لي فيه قول آخر: وهو أن تكون «إلا» زائدة دخلت للتوكيد، و«تحلة» اليمين منصوب على الوقت والزمان، ومعنى الخبر: فتمسه النار، وقت تحلة القسم، و«إلا» زائدة.

قال الفرزدق شاهداً لهذا:

١٥ هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سَيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحِلٍّ وَ مُحْرِمٍ (٣)

معناه: هم القوم حيث سللوا سيوفهم، و«إلا» مؤكدة.

وقال الأخطل:

يُقَطَّعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ بَرَدْنَهَا بِمَدْحَةِ مُحَمَّدٍ نَشَأُ وَنَائِلُهُ (٤)

معناه يقطعون من فروع بردنها، والفروع: الواسعة من الأرض.

(١) سمحة المشى: سهلة المشى. والشمال: الناقة السريعة. والديموم والديمومة: الفلاة يدوم السير فيها بعدها. (٢) لا أنيس بها: لا أحديها. والضوايح: جمع ضايح، والضبايح صوت الثعالب. والأصداء: جمع صدى، وهو الهامة. (٣) ديوانه ٢: ٧٦٠.

(٤) ديوانه: ٦٣. ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «ويقطعن». وفي الديوان:

* إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَغْوَارِ حَتَّى يَزُرَّكُمْ *

قال سيدنا أدام الله تمكينه: والوجوه المذكورة في تأويل الخبر كالمقاربة^(١)، إلا أن الوجه الذي اختص به ابن الأنباري فيه أدنى تمسّف، وبعده؛ من حيث جمل « إلاّ » زائدة، وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العربية .

وقد تبقى في الخبر مسألة، التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم، وهي متوجّهة على كل الوجوه التي ذكروها في تأويله .

وهو أن يقال: كيف يجوز أن يخبر عليه السلام بأنّ من مات له ثلاثة من الولد لا تمسه النار إما جملة، أو مقدار تجلّة القسم؛ / وهو النهاية في القلة! أوليس ذلك يوجب أن يكون [٢٣٢] إغراء بالذنوب لمن هذه حاله! وإذا كان من يموت وله هذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف، فكيف يصحّ أن يؤمن من العقاب!

والجواب عن ذلك، أننا قد علمنا ولاخروج هذا الخبر مخرَج المدّحة لمن هذه صفته والتخصيص ١٠ له والتمييز، ولا مدّحة في مجرد موت الأولاد؛ لأن ذلك لا يرجع إلى فعله، فلا بدّ من أن يكون تقدير الكلام: إن النار لا تمسّ المسلم الذي يموت له ثلاثة أولاد؛ إذا حسن صبره واحتسابه وعزأؤه، ورضاه بما جرى به القضاء عليه؛ لأنه بذلك يستحقّ الثواب والمدح؛ وإذا كان إضمار الصبر والاحتساب لا بدّ منه لم يكن في القول إغراء؛ لأنّ كيفية وقوع الصبر والوجه الذي إذا وقع عليه تفضّل الله سبحانه به ففران ما لعله أن يستحقّه من العقاب في المستقبل وإذالم يكن معلوماً، ١٥ فلا وجه للاغراء .

وأكثر ما في هذا الكلام أن يكون القول مرغّباً في حسن الصبر، وحثاً عليه رغبة في الثواب، ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق في المستقبل من العقاب؛ وهذا واضح لمن تأمله .

مَجْلِسِ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾؛ [البقرة: ٧٤] .

فَقَالَ: مَا مَعْنَى ﴿أَوْ﴾ هَاهُنَا؟ وَظَاهَرُهَا يَفِيدُ الشُّكَّ الَّذِي لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ تَعَالَى .

الْجَوَابُ ، قَلْنَا فِي ذَلِكَ وَجْوه :

٥ أَوْلَاهَا أَنْ تَكُونَ ﴿أَوْ﴾ هَاهُنَا لِلإِبَاحَةِ كَقَوْلِهِمْ: جَالَسَ الْحَسَنَ أَوْ ابْنَ سَيْرِينَ؛ وَالْقَافِيَاءُ أَوْ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَمْ يَرِيدُوا الشُّكَّ؛ بَلْ كَأَنَّهُمْ قَالُوا: هَذَا ابْنُ الرَّجُلَانِ أَهْلٌ لِلْمَجَالَسَةِ ، وَهَذَا ابْنُ الْقَبِيلَانِ أَهْلٌ لِلْقَاءِ؛ فَإِنْ جَالَسْتَ الْحَسَنَ فَأَنْتَ مُصِيبٌ ، وَإِنْ جَالَسْتَ ابْنَ سَيْرِينَ فَأَنْتَ مُصِيبٌ ، وَإِنْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا فَكَذَلِكَ .

فِيكَونُ مَعْنَى الْآيَةِ عَلَى هَذَا: إِنْ قُلُوبُ هَؤُلَاءِ قَاسِيَةٌ مُتَجَافِيَةٌ عَنِ الرَّشْدِ وَالْخَيْرِ، فَإِنْ شَبَّهْتُمْ قَسْوَتَهَا بِالْحِجَارَةِ أَصَبْتُمْ ، وَإِنْ شَبَّهْتُمُوهَا بِمَا هُوَ أَشَدُّ أَصَبْتُمْ ، وَإِنْ شَبَّهْتُمُوهَا بِالْجَمِيعِ فَكَذَلِكَ .

وَعَلَى هَذَا يَتَأَوَّلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾؛ [البقرة: ١٩] ، لِأَنَّ ﴿أَوْ﴾ [٢٣٣] لَمْ يُرَدِّ بِهَا الشُّكُّ بَلْ عَلَى نَحْوِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ/، مِنْ أَنْكُمْ إِنْ شَبَّهْتُمُوهُمْ بِالَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَازَ ، وَإِنْ شَبَّهْتُمُوهُمْ بِأَصْحَابِ الصَّيِّبِ فَجَازَ ، وَإِنْ شَبَّهْتُمُوهُمْ بِالْجَمِيعِ فَكَذَلِكَ .

١٥ وَثَانِيهَا أَنْ تَكُونَ ﴿أَوْ﴾ دَخَلَتْ لِلتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ ، وَيَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ: إِنْ قُلُوبُهُمْ قَسَتْ ، فَبَعْضُهَا مَا هُوَ كَالْحِجَارَةِ فِي الْقَسْوَةِ ، وَبَعْضُهَا مَا هُوَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنْهَا .

ويجربى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾ ؛

[البقرة : ١٣٥] معناه : وقال بعضهم : كونوا هوداً - وهم اليهود - وقال بعضهم : كونوا نصارى

- وهم النصارى - فدخلت ﴿ أَوْ ﴾ للتفصيل .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾

[الأعراف : ٤] معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً ، وجاء بمض أهلها بأسنا في وقت ٥

القبيلة .

وقد يحتمل قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ هذا الوجه أيضا ، ويكون المعنى

أن بعضهم يشبه الذى استوقد ناراً ، وبعضهم يشبه أصحاب الصيب .

وثالثها أن يكون ﴿ أَوْ ﴾ دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب ، وإن كان الله

١٠ تعالى عالماً بذلك غير شاك فيه ، لأنه تعالى لم يقصد فى إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل ؛ بل

علم عز وجل أن خطابهم بالإجمال أبلغ فى مصلحتهم ، فأخبر تعالى أن قسوة قلوب هؤلاء

الذين ذمهم كالحجارة أو أشد قسوة ، والمعنى أنها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما .

ويجربى ذلك مجرى قولهم : ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا ، فیهمون على المخاطب

ما يملون أنه لافائدة فى تفصيله ؛ والمعنى : ما أطعمتك إلا أحد هذين الضربين .

١٥ وكذلك يقول أحدهم : أكلت بُسْرَةَ أو ثَمْرَةَ ؛ وهو قد علم ما أكل على التفصيل

إلا أنه أبهمه على المخاطب ، قال لبيد :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةَ أَوْ مُضَرَ (١)

أراد : هل أنا إلا من أحد هذين الجنسين (٢) ، فسببلى أن أفنى كما فنيا ؛ وإنما حسن ذلك

لأن قصده الذى أجرى إليه ، وغرضه الذى نحاه وهو أن يخبر بكونه ممن يموت ويفنى ،

ولا يُخلُّ به إجمال ما أجل من كلامه ، فأضرب عن التفصيل ؛ لأنه لا فائدة فيه ، ولأنه سواء

كان من ربيعة أو مُضَر فوته واجب . وكذلك الآية، لأن الغرض فيها أن يخبر تعالى عن [٢٣٢] شدة قسوة / قلوبهم ، وأنها ممالا تنثنى لوعظٍ ، ولا تُصغى إلى حق، فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها ، فقد تم ما أجرى إليه من الغرض في وصفها وذمها ، وصار تفصيل تشبيهها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر؛ في أنه غير محتاج إليه، ولا يقتضيه الغرض في الكلام .

ورابعها أن تكون ﴿أَوْ﴾ بمعنى « بل » كقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾^(١) [الصافات : ١٤٧] معناه : بل يزيدون .

وروى عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾؛ قال : كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين ألفاً . وأنشد الفراء :

١٠ بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْاقِ الضُّحَا وَصُورَتِهَا ، أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ^(٢)
وقد تكون «أم» في الاستفهام أيضاً بمعنى «بل»، كقول القائل : أضربت عبد الله أم أنت رجل متعنت؟ معناه : بل أنت رجل متعنت .

وقال الشاعر :

فوالله ما أذرى أسلمى تفوّلتُ ، أمِ النّومُ ، أمِ كلُّ شيءٍ إلى حبيبٍ !

معناه : بل كلُّ شيءٍ . ١٥

وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقَالَ : وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى بلفظة ﴿بَلْ﴾؛ وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام الماضي والإضراب عنه، وليس ذلك بشيء .

أما الاستدراك فإن أريد به الاستفادة أو التذكّر لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح ، لأن

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « قال ابن جني : الغرض في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾

أنهم يبحث بحزم الحازر فيقول : هم مائة ألف أو يزيدون ، فخس على موجب الحزر . »

(٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وصورتها » بالضم . والمعنى : وصورة الشمس في العين

أملح ؛ بل أنت . »

أحدنا قديقول : أعطيته ألفاً بل ألفين ، وقصدته دفعة بل دفعتين ؛ وهو عالم في ابتداء كلامه بما أخبر به في الثاني ، ولم يتجدد به علم ، وإن أريد به الأخذ في كلام غير الماضي ، واستثناف زيادة عليه فهو صحيح ؛ ومثله جائز عليه تعالى .

فأما النقص للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع تستعمل فيه لفظة « بل » ، لأن

القائل إذا قال : أعطيته ألفاً بل ألفين لم ينقض الأول ؛ وكيف ينقضه ؛ والأول داخل في الثاني • وإنما زاد عليه ! وإنما يكون ناقضاً للماضي إذا قال : لقيت رجلاً بل حمراً ؛ وأعطيته درهماً بل ثوباً ؛ لأن الأول لم يدخل في الثاني على وجهه ، وقوله تعالى : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ غير ناقض للأول ، لأنها لا تزيد في القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها ، وإنما / تزيد المساواة . [٢٣٤]

وخامسها أن تكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى الواو كقوله : ﴿ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ

بُيُوتِ آبَائِكُمْ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، معناه : وبيوت آبائكم ، قال جرير :

نال الخِلافةَ أو كانت له قَدراً كما أتى رَبَّهُ مُوسَى على قَدَرٍ (١)

وقال توبة بن الحمير :

وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلَى بَأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا، أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا (٢)

وقال جرير أيضاً :

أَنْعَلِبَةَ الْفَوَارِسَ أَمْ رِيحاً عَدَلَتْ بِهِمْ طُهْيَةَ وَالْحَشَابَا (٣)

أراد : أو رياحا .

(١) ديوانه : ٢٧٥ ؛ والبيت من قصيدة يمدح فيها عمر بن عبد العزيز ؛ مطامها :

لَجَّتْ أُمَامَةٌ فِي لَوْمِي وَمَا عَلِمْتُ عَرْضَ السَّمَاءِ رُوْحَاتِي وَلَا بُكْرِي

(٢) أمالي القالي : ١ : ١٣١ .

(٣) ديوانه : ٦٦ ؛ من قصيدته المشهورة التي يذم فيها الراعي ؛ ومطامها :

أَقْلَى اللِّوَمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا =

وقال آخر^(١):

فَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ شَيْئاً^(٢) بَكَيتُ على بُجَيْرٍ أَوْ عِفَاقٍ
على المرَّابِنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعاً لِشَأْنِهِمَا بِشَجْوٍ وَاشْتِيَاقٍ^(٣)
أراد على بُجَيْرٍ وَعِفَاقٍ .

وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قُطْرُبٍ ، وطعن عليه بأن قال : ليس شيء يُعلم أشدَّ قسوةً عند المخاطبين من الحجارة ، فينسق به عليها^(٤)؛ وإنما يصح ذلك في قولهم : أطعمتك تمرّاً أو أحلى منه، لأن أحلى منه معلوم .
واختار المفضل الوجه الذي يتضمن أن ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى « بل » .

وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء ، لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشدَّ قسوةً من الحجارة فصوره قسوة الحجارة معلومة لهم، ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوةً منها ، وما له الزيادة عليها؛ لأن قدرّاً ما إذا عرف صح^(٥) أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنه قص ،

= وهي القصيدة التي تسميها العرب : الفاضحة . والبيت من شواهد الكتاب (١ : ٥٢) استشهد به على نصب « ثعلبة » ، بإضمار فعل دل عليه ما بعده ؛ فكأنه قال : أظلمت ثعلبة ، عدت بهم طيبة ، ونحوه من التقدير . وأورده أيضاً في (١ : ٤٨٩) شاهداً على دخول « أم » عديلة للألف . وفي حاشية الأصل : « كأنه قال : أأخلت ثعلبة الفوارس فعدلت بهم طيبة والحساب ! » .
(١) البيتان في اللسان (عفق)؛ ونقل عن ابن بري أنها لمنعم بن نويرة ، وعفّاق : اسم رجل أكلته باهلة في قحط أصابهم .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ميتا »
(٣) رواية اللسان :

هُمَا الْمَرَّانِ إِذْ ذَهَبَا جَمِيعاً لِشَأْنِهِمَا بِحُزْنٍ وَاشْتِيَاقٍ

وذكر أن بسطام بن قيس أغار على بني يربوع فقتل عفّاقا وقتل بجيرا أخاه بعد قتله عفّاقا في العام الأول، وأسر أباهما بأمليك، ثم أعتقه وشرط عليه ألا يدير عليه؛ قال ابن بري : ويقوى قول من قال إن باهلة أكلته قول الراجز :

إِنَّ عِفَاقاً أَكَلَتْهُ بَاهِلَةٌ تَمَشُّوا عِظَامَهُ وَكَاهَلَهُ

(٤) حاشية ف : « النسق أن تعطف كلاماً على كلام ، والنسق الترتيب » . (٥) م : « جاز » .

لأن الزيادة والنقصان إنما يضافان إلى معلوم معروف ، على أن الآية خرجت مخرج المثل ، وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة أنها قد انتهت إلى حد لا تلين معه للخير على وجه من الوجوه ، وإن كانت الحجارة ربما لانت وارتفع بها ، فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلاً وتشبيهاً .

فقول المفضل : « ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة » لا معنى له إذا كان القول ٥ على طريق المثل .

وبعد ؛ فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه الذي اختاره ، لأنه إذا اختار أن ﴿ أَوْ ﴾ في الآية بمعنى « بل » فكيف جاز بأن يخبرهم بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة ! وإذا جاز أن يقول لهم : بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول : قلوبهم كالحجارة التي ١٠ يعرفون في القسوة ، وهي مع ذلك تزيد عليها .

فإن قال [قائل] (١) كيف يكون ﴿ أَوْ ﴾ في الآية بمعنى الواو ، والواو للجمع ، وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة ، وأشد من الحجارة في حالة واحدة ؛ لأن الشيء إذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها !

قلنا : قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بأن قال : ليس يمتنع أن تكون قلوبهم ١٥ كالحجارة في حال ، وأشد من الحجارة في حال أخرى ؛ فيصح المعنى ، ولا يتنافى ، وهذا قريب ، ويكون فائدة هذا الجواب أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والمدول عن قبول (٢) الحق والفكر فيه ؛ ربما لانت بعض اللين ؛ (٣) وَهَمَّتْ بِالْإِنْعَاطِ ، وكادت تُصنِى إِلَى الْحَقِّ فَتَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَالْحِجَارَةِ الَّتِي رُبَّمَا لَانَتْ (٤) ، وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الخير (٤) والنفور عنه ، فتكون في هذا الحال أشد قسوة من الحجارة .

(١) من ف . (٢) م : « تصور » .

(٣-٢) ساقط من م (٤) م : « الحق » .

على أنه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر ؛ وقد تقدم معناه في بعض كلامنا، وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة؛ لأن القائل إذا قال : فلان أعلم من فلان فقد أخبر أنه زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه ؛ فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة ، فليس هاهنا تنافٍ على ما ظنَّ المعترض ، ولا إثبات لصفة ونفيها ، ه فكل هذا واضح (١) بحمد الله .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستحسن من الشعر قول الأحموس بن محمد الأنصاري :

وَمَوْلَى سَخِيفِ الرَّأْيِ رِخْوٍ تَزِيدُهُ أَنَاتِي ، وَعَفْوِي (٢) جَهْلُهُ عِنْدَهُ ذَمًّا (٣)
 دَمَلْتُ ، وَلَوْلَا غَيْرُهُ لَأَصَبْتُهُ بِشَنْعَاءَ بَاقٍ عَارُهَا تَقْرُ الْعَظْمَا (٤)
 طَوَى حَسَدًا ضِغْنًا عَلَيَّ كَأَنَّمَا أَدَاوِي بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ كَلَّمَا (٥)
 / وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَخْفِي وَلَا أَجْهَلُ الْمُتَسَبِّي إِذَا رَاجَعَ الْجِلْمَا (٦)
 يَصُدُّ وَيَبْنَى فِي الرَّخَاءِ بُوْدِهِ وَيَدْعُو وَيَدْعُونِي إِذَا خَشِيَ الْمَضْمَا
 فَيُفْرِجُ عَنْهُ أَرْبَةَ الْخَصْمِ مَشْهَدِي وَأُدْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثْرَتِهِ الظُّلْمَا

— الأربة : الدهاء ، والأربة : المقدة ، وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت —

وَكُنْتُ امْرَأً عَوْدَ (٧) الْفِعَالِ تَهَزُّنِي مَا آثَرُ مَجْدٍ تَالِدٍ لَمْ يَكُنْ زَعْمَا

(١) م : « بين » . (٢) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « غفري » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي كلما غفرت جهله زادني ذما » .

(٤) دملت : داريت وداجيت ؛ ويقال : « ادمل القوم » ؛ أي اطوهم على ما فيهم ؛ ومنه قول ابن

الطيغان :

وَمَوْلَى كَمَوْلَى الزُّبُرْقَانِ دَمَلْتُهُ كَمَا انْدَمَلْتُ سَاقِيَّ يَهَاضُ بِهَا الْكَسْرُ

وتقر العظم : تصدعه وتكسره . وشنعاء ، أي قصيدة في الهجو .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أداري » . وبه أي بحطه ، والمجمعة : المجمع .

(٦) العتي : الرضا . (٧) عود الفعال : جليله وعظيمه .

وكنْتُ وَشْتَمِي فِي أرومةِ مالِكٍ
ولستَ بلاقٍ سميِّداً سادَ مالِكاً
ستعلمُ إنْ عاديتني فقعَ قرقرةً
لقدْ أبقتَ الأيامَ مِنِّي وحرَّسها
وكانتْ عُروقُ الشوْءِ أزرَتْ (٣) وقصَّرتْ
بسبِّي له كالكلبِ إذْ ينبَحُ النجْمُ
فتنسُّبُهُ إلَّا أباً لِي أو عمّاً
أمالاً أفدَّتْ لا أبالكَ - أوْ عدماً (١)
لأعدائنا مُكلاًَّ وحُسادِنا رَغماً (٢)
به أنْ ينالَ الحمدَ فالتمَسَ الدِّمَّ ٥

ومن مختار قوله :

إني إذا خفيَ اللثامُ (٤) رأيتني
مأمنٍ مصيبةٍ نَكبةٍ أمني بها
وتزولُ حينَ تزولُ عن مُتخمطٍ (٥)
كالشمسِ لا تخفي بكلِّ مكانٍ
إلَّا تُشرِّفني وتُعظمُ شاني
تُخشى بوادِرُهُ على (٦) الأقرانِ

١٠

ومن جيد شعره .

خَليلانِ باحا بالهوى فتشاحنتْ
ألا إنَّ أهوى الناسِ قُرُبا ورؤُيةً
ضجيجُ دنا مِنِّي جدلتُ بقرُّ به
وأخبرُهُ في السِّرِّ بيِّنِي وبينهُ
أقاربُها في وصلِها (٧) وأقاربُهُ
وريحاً إذا ما الليلُ غارتْ كواكبُهُ
فباتَ يميني وبِتُّ أعبابُهُ
بأنْ ليسَ شيءٌ عندَ نفسِي يقاربُهُ

(١) فقع قرقر ، أى يافقع قرقر ، والفقع : ضرب من أردأ الكأأة ، والفرقر : الأرض الخالية ؛ وبشبهه به الرجل الذليل ؛ يقال : أذل من فقع بقرقر ؛ لأن الدواب تنجله بأرضها ؛ قال النابغة :

حدُّ ثوني بنى الشقيقة ما يمنعُ فقما بقرقر أن يزولا

(٢) الحرس : الدهر . (٣) م : «أودت» . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : «الرجال» . (٥) التخمط : الغضب مع الثورة والجلبة . (٦) البوادر : جمع باذرة وهى ما يبدر من الإنسان عند الشر ، وفي ف : « لدى الأقران » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

* أقاربُها في وصله وأقاربُهُ *

وقد غبّر في وجه كل مَنْ وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول (١) :
تقولُ وقد جَرَدْتُهَا من ثِيَابِهَا كما رُغِتَ مَكْحُولًا من العَيْنِ أَنْلَمًا (٢)
وجَدِّكَ لو شئْ أَتَانَا رَسُولُهُ سَوَاكَ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعًا
فَبِتْنَا نَذُودُ الوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّا قَتِيلَانِ لَمْ تَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مَصْرَعًا (٣)
إِذَا أَخَذَتْهَا هِزَّةُ الرُّوعِ أَمْسَكَتْ بِمَنْكِبِ مِقْدَامٍ عَلَى الهَوْلِ أَرْوَعًا (٤)

وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام :

سَقَى اللهُ لَيْلًا ضَمَنَّا بِمَدِّ هَجْمَةٍ وَأَدْنَى فُؤَادًا من فُؤَادِ مُعَدِّبٍ (٥)
فَبِتْنَا جَمِيعًا لو تَرَأَقُ زُجَاجَةٌ من الرِّاحِ فِيمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبِ

ولعبد الصمد بن المعتز في هذا المعنى :

كَأَنِّي عَانَقْتُ رِيحَانَةً تَنَفَّسْتُ فِي لَيْلِهَا البَارِدِ (٦)
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَى حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدِ

(١) من قصيدة رواها أبو عمرو الشيباني، وأولها :

جَزَعْتُ وَلَمْ أَجْزَعْ مِنَ البَيْنِ مَجْزَعًا وَغَوَيْتُ قَلْبًا بالكَوَاعِبِ مَوْلَمًا
وَأَصْبَحْتُ وَدَعْتُ الصَّبَا غَيْرَ أَنِّي أَرَأَيْتَ خَلَّاتِ مِنَ العَيْشِ أَرْبَعًا

ولم تذكر في ديوانه بشرح البطلوسي ؛ وهي في مجموعة أشعار السنة للأعلم ص ٧٩ (مخطوطة المكتبة النيمورية ٤٥٠ أدب) والأبيات أيضا في حاسة ابن الشجري : ١٩٥-١٩٦ .

(٢) قال الأعلم : « قوله : » كما رعت مكحول المدامم » ، أي لما جردتها من ثيابها بدت محاسنها وتبين طول عنقها ، كما تبين ذلك من الغزل المروع . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) بمد هذا البيت في رواية الأعلم عن أبي عمرو :

تَجَافَى عَنِ المَأْتُورِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَتُدْنِي عَنِّي السَّابِرِيَّ المَضْلَمًا

- تجافى : ترفع . والمأثور : السيف الذي فيه أثر ؛ وهو فرند السيف ، والسابري : ضرب من الثياب .
المضلع : الذي فيه طرائق وشئ . (٤) أخذتها هزة الروع : ارتعدت فزعاً وهيبه . والمقدام : الكثير الإقدام على الأحوال . والأروع : المعجب المنظر جمالا وقوة .

(٥) ديوانه ٩٥ وحاسة ابن الشجري : ١٩٦ . (٦) حاسة ابن الشجري ١٩٦ .

ولبشار بن برد:

إِنِّي أَشْتَهِي لِقَاءَكَ وَاللَّهِ فَمَاذَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَانِي
قَدْ تَلَفَ الرِّيحُ غُضُنًا مِنَ الْبَانِ إِلَى مِثْلِهِ فَيُلْتَقِيَانِ

ومثل هذا للبحترى:

وَلَمْ أُنْسَ كَيْلَتَنَا فِي الْعِنَاقِ لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيبِ قَضِيْبَا^(١)
كَمَا افْتَنَّتِ الرِّيحُ فِي مَرَّهَا فَطَوْرًا خَفُوْنَا ، وَطَوْرًا هُبُوْنَا

ولآخر في مثل هذا بعمية ، ولسنا ندرى هل سبق للبحترى أو تأخر عنه :

وَضَمَّ لَا يُهِنُّهُ اعْتِنَاقُ كَمَا تَلَفَ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ

ولعلي بن الجهم:

١٠ وَبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الْحَسُودِ كَأَنَّكَ خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْحَمْرِ^(٢)

[٢٣٦]

/ وهذا وإن جملة في العناق فهو مأخوذ من قول بشار :

وإن نلتقي خلف الغيور كأننا سلاف عفارٍ بالتفاح مشوب^(٣)

والأصل في هذا قول الأخطل ، والناس من بعده على أثره :

مِنَ الْجَارِيَاتِ الْحُورِ مَطْلَبُ سَرِّهَا كَبَيْضِ الْأَنْوُقِ الْمُسْتَكِنَةِ فِي الْوَكْرِ^(٤)

١٥ وَإِنِّي وَإِيَّاهَا إِذَا مَا لَقِيْتُمَا لِكَالْمَاءِ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامَةِ وَالْحَمْرِ
وقد أخذه أيضاً ابن أبي عيينة فقال :

(١) ديوانه ١ : ٥١ (٢) ديوانه ١٤٤ وحاسة ابن الشجري ١٩٦ ، وروايته هناك :

✽ وَبِتْنَا عَلَى رَغْمِ الْوَشَاةِ كَأَنَّكَ ✽

(٣) ديوانه ١ : ١٨٥ . والتفاح : الماء البارد ؛ وفي حاشية الأصل : « س : خلف العيون » .

(٤) ديوانه ٢ : ١٢٢ الأنوق : الرخة ؛ وفي المثل : « أعز من بيض الأنوق » ، لأنها تحرزه فلا يكاد يظفر به ؛ لأن أوكارها في رهوس الجبال والأماكن الصعبة .

(١) ذَاكَ إِذْ رُوْحَهَا وَرُوْحِي مَزَاجًا نِ كَأَصْفَى نَخْرٍ بِأَعْدَبِ مَاءِ

وأخذه العباس بن الأحنف فقال^(١):

مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ يُعْنَاهَا مُعْطَفَةً عَلَى فَوَائِدِي ، وَيُسْرَاهَا عَلَى رَأْسِي^(٢)
وَقَوْلَهَا : لَيْتَهُ نُوبٌ عَلَى جَسَدِي أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ^(٣)
أَوْ لَيْتَهُ كَانَ لِي خَمْرًا وَكُنْتُ لَهُ مِنْ مَاءِ مَزْنٍ ، فَكُنَّا الدَّهْرَ فِي كَأْسِ

ومثل هذا للبحترى:

وَجَدْتُ نَفْسَكَ مِنْ نَفْسِي بِمَنْزِلَةٍ هِيَ الْمَصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ^(٤)

ولقد أحسن بشار في قوله :

لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ

١٠ أَخْبَرَنَا أَبُو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال

(١-١) ساقط من م . (٢) ديوانه : ٩٠ ؛ وبعده :

قَالَتْ وَإِنْسَانُ مَاءِ الْعَيْنِ فِي لُجْجٍ يَكَادُ يَنْطِقُ عَنْ كَرْبٍ وَوَسْوَاسٍ !
يَطْفُو وَيُرْسُو غَرِيقًا مَا يُكْفِكِفُهُ كَفٌّ ، فَيَالِكَ مِنْ طَافٍ وَمِنْ رَاسٍ

(٣) رواية الديوان:

عَبَّاسٌ لَيْتَكَ سِرْبَالِي عَلَى جَسَدِي أَوْ لَيْتَنِي كُنْتُ سِرْبَالًا لِعَبَّاسٍ

(٤) ديوانه : ١ : ١١٣ ؛ وفي حاشية الأصل : وأشد إمعانا منه قوله :

وَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زَجَاجَةً مِنْ الْخَمْرِ فَمَا بَيْنَنَا لَمْ تَسْرَبْ

وقول أبي الجوائز الواسطي رحمه الله :

فَاعْتَمَقْنَا ضَمًّا يَذُوبُ حَصَى الْيَسَاقُوتِ مِنْهُ ، وَتَطْمَنُ الْهُودُ

حدثنا العتبي عن أبيه قال: سیر الوليد بن عبد الملك^(١) الأحوص إلى دهلك^(٢)، فكتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز حين استخلف:

وكيف ترى للنومِ طعمًا ولذَّةً وخالك أمسى مؤثقا في الجبائلِ!
فمن بك أمسى سائلا عن شامةٍ ليثمتَ بي، أو شامتا غير سائلِ
/ فقد عجمت مني الحوادثُ ماجداً صبورا على غمّاءِ تلك البلايلِ
إذا سرّ لم يفرحْ، وليس لنكبةٍ ألمت به بالخاشع المتضائلِ

[٢٣٦]
ط

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عراك بن مالك، الذي كان شهد عليه فقال: ما ترى في هذا البائس؟ فقال عراك: مكانه خير له، فتركه في موضعه، فلما ولي يزيد بن عبد الملك جلب الأحوص وسير عراكا^(٣).

(١) كذا جاءت الرواية هنا؛ وفي الأغاني ٤: ٢٤٦ (طبعة الدار) أن الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك، ويشيع ذلك في الناس، فنهى فلم ينته، فشكى إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة، وسأله الكتاب فيه إليه، ففعل ذلك؛ فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط، ويقيحه على البلس للناس، ثم يصيره إلى دهلك. ففعل ذلك به، فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك، ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب إليه يستأذنه في القدوم وعمدحه، فأبى أن يأذن له، وكتب فيما كتب إليه به... ثم أورد الأبيات.

(٢) دهلك: جزيرة في بحر اليمن؛ وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبيشة.

(٣) في خبر صاحب الأغاني: «فأتى رجال من الأنصار عمر عبد العزيز فكلّموه فيه وسألوه أن يقدمه، وقالوا له: قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه، وقد أخرج إلى أرض الشرك، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار قومه؛ فقال لهم عمر: فمن الذي يقول:

فما هو إلا أن أراها فُجاءةً فأبهتَ حتى ما أكادُ أُجيبُ

قالوا: الأحوص. قال: فمن الذي يقول:

أدورُ ولولا أن أرى أم جعفرِ بأبياتكمُ مادرتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوارًا ولكنّ ذالهُوى إذا لم يزُرْ لابدّ أن سيزور

قالوا: الأحوص، قال فمن الذي يقول:

=

قال سيدنا أدام الله علوه : وإنما كان الأحوص خالَ عمرَ بن عبد العزيز من جهة أن أمَّ عمر هي أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، وأمها أنصارية .

فأما قوله « إذا سرَّ لم يفرح » فماخوذ من قول لقيط بن زُرارة :

لَا مُرَفَاً إِنْ رَخَاءُ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ ، وَ لَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا (١)

ولالأحوص :

وَبِطْنِ مَكَّةَ لَا أَبُوحُ بِهِ قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي
 وَلَوْ أَنَّهُآ إِذْ مَرَّ مَوْكِبَهَا يَوْمَ الْكَدِيدِ أَطَاعَنِي صَحْبِي (٢)
 قُلْنَا لَهَا : حَيْثُ مِنْ شَجَنٍ وَلِرَكْبِهَا : حَيْثُ مِنْ رَكْبٍ
 وَالشَّوْقُ أَقْتَلُهُ بِرُؤْيَيْهَا قَتَلَ الظَّمَا بِالْبَارِدِ الْعَذْبِ
 وَالنَّاسُ إِنْ حَلَّوْا جَمِيعُهُمْ شِعْبًا - سَلَامَ ، وَأَنْتِ فِي شِعْبِ (٣)

كَأَنَّ لُبْنَى صَبِيرُ غَادِيَةٍ أَوْ دُمِيَّةٌ زَيْنَتْ بِهَا الْبَيْعُ
 اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْمِهَا يَفْرُؤُ مِنِّي بِهَا وَأَتَّبَعُ

قالوا : الأحوص ، قال : بل الله بينها وبين قيمه . قال : فن الذي يقول :

سَتُبَلَى لَكُمْ فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حُبِّ يَوْمَ تَبْلَى الْمَرَاثِرُ

قالوا : الأحوص . قال : إن الفاسق عنها يومئذ لمشغول ، والله لأرده ما كان لي سلطان . فكث هناك بقية ولاية عمر وصدرأ من ولاية يزيد بن عبد الملك . قال فيينا يزيد وجارته حباة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص ، فقال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعيفك مأدرى - وقد كان ذهب من الليل شطره - فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهري فعمى أن يكون عنده علم من ذلك ، فأتى الزهري ففرع عليه بابه ، فخرج مروعا إلى يزيد ، فلما صعدا إليه قال له يزيد : لاترع ، لم ندعك إلا لخير ، اجلس ، من يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمداً أمير المؤمنين ، قال : ما فعل ؟ قال : طال حبسه بدهلك قال : قد عجبت لعمرك كيف أغفله . ثم أمر بتخليه سبيله ووهب له أربعمائة دينار ، فأقبل الزهري من ليلته إلى قومه من الأنصار فبشرهم بذلك .

(١) مختارات ابن الشجرى : ه . (٢) حاشية الأصل : « خبر » إن « قوله » : « أطاعني صحبي » .

والعائد إلى الاسم الهاء من « موكبها » والتقدير : ولو أنها أطاعني صحبي إذا مرموكبها يوم الكديد .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « وأنت في شعب » .

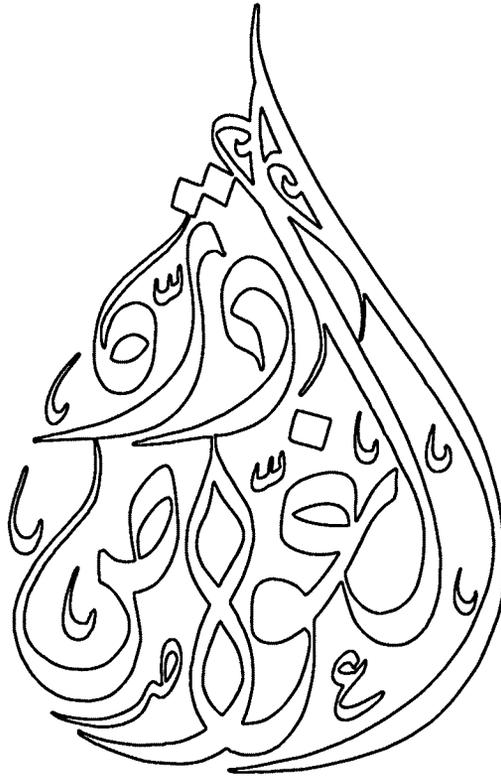
لَحَلَّتْ شُعْبَكَ دُونَ شُعْبِهِمْ وَلَكَانَ قُرْبِكَ مِنْهُمْ حَسْبِي (١)

قوله :

* والشوق أقتله برؤيتها *

نظير قول جرير :

فَلَمَّا التَقَى الْحَيَّانِ أَلْقَيْتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ (٢) ٥



(١) في حاشيتي الأصل ، ف : د في هذه الأبيات :

ثِنْتَانِ لَا أَدْنُو لِوَصْلِهِمَا عِرْسُ الْخَلِيلِ وَجَارَةُ الْجَنْبِ
أَمَّا الْخَلِيلُ فَلَسْتُ خَائِنَهُ وَالْجَارُ قَدْ أَوْصَى بِهِ رَبِّي

(٢) ديوانه : ٤٧٨ .

مَجْلِسِ آخِرِ

تَاوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، [البقرة : ٣١] .

فقال : كيف يأمرهم أن يخبروا بما لا يعلمون ، أو ليس ذلك أقبح من تكليف مالا يطاق ؛ الذي تابونه ؛ والذي جوز^(١) أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوز .

[٢٣٧] / الجواب ، قلنا: قد ذكر في هذه الآية وجهان :

أحدها أن ظاهر الآية إن كان أمراً يقتضى التعلّق بشرط ، وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم إذا أخبروا عن ذلك صدقوا- فكانه قال لهم : خبروا بذلك إن علمتموه ؛ ومتى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا، فلا تكليف عليهم . وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره : خبرني بكذا وكذا إن كنت تعلمه ، أو إن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه .

١٠ فإن قيل : أليس قد قال المفسرون في قوله تعالى : ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إن المراد به : إن كنتم تعلمون بالعلمة التي من أجلها جمعت في الأرض خليفة ، أو إن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما أنصب الخليفة له ، وتضطلمون به ، وتصلحون له ؟ .

قلنا : قد قيل كل ذلك ، وقيل أيضا ما ذكرناه ؛ وإذا كان القول محتملا للأمرين جاز

أن يُبَيَّنَ الكلام على كل واحد منهما؛ وهذا الجواب لا يتم إلا لمن يذهب إلى أن الله تعالى

١٥ يصحّ أن يأمر العبد بشرطٍ قد علم أنه لا يحصل ، ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ومن يجوز » .

الوجه ؛ ومن ذهب إلى جواز ذلك صحّ منه أن يعتمد على هذا الجواب .

فإن قيل : فأىّ فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين ، وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به ؟

قلنا: لمن ذهب إلى الأصل الذى ذكرناه أن يقول : لا يمتنع أن يكون الغرض فى ذلك هو أن ينكشف بإقرارهم وامتناعهم من الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استثنائه بعلم الغيب ، وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح فى الدين .

فإن قيل : فهذا يرجع إلى الجواب الذى تذكرونه من بعد ؟ قلنا : هو وإن رجع إلى هذا المعنى فبينهما فرق^(١) من حيث كان هذا الجواب ، على تسليم أن الآية تضمنت الأمر والتكليف الحقيقين .

والجواب الثانى لا نسلم فيه أن القول أمرٌ على الحقيقة ، فمن هاهنا افترقا . ١٠

والجواب^(٢) الثانى أن يكون الأمر^(٣) وإن كان ظاهره ظاهراً ، فغير أمر على الحقيقة ؛ بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجّة ؛ وقد يرد بصورة الأمر ما ليس بأمر ، / والقرآن [٢٣٧] والشعر^(٤) وكلام العرب مملوء بذلك .

وتلخيص هذا الجواب أن الله تعالى لما قال للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ؛ أى مطلع من مصالحكم ، وما هو أنفع لكم فى دينكم على ما لا تطلعون عليه . ثم أراد التنبيه على أنه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة - مع أنها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى - أو لى بالاستخلاف فى الأرض ؛ وإن

(٢) م : « والوجه الثانى » . (١) د ، ف : « بون » . (٣) حاشية ف (من

نسخة) : « القول » . (٤-٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وأخبار العرب مملوءة بذلك » .

كان في ذريته من يفسد وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ . فعلم آدم عليه السلام أسماء جميع الأجناس، أو أكثرها^(١) ثم قال : ﴿ أَنْبِؤْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ مقررًا لهم ومنها على ما ذكرناه ، ودالا على اختصاص آدم بما لم يُخَصُّوا به . فلما أجابوه بالاعتراف والتسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه، فقال تعالى لهم ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٣] منبهاً على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين ، وأن الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره ، ويعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم ؛ علموا وجه ذلك أم جهلوه .

وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة ، أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ، ويكملون له ؛ فلولا أن الأمر على ما ذكرناه ، وأن القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم وإقرارهم : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ معنى ، لأن التكليف الأول لا يتغير حاله بأن يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء ، ولا يكون قوله : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ إلى آخر الآية إلا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى ؛ دون معنى التكليف ؛ فكأنه قال تعالى : إذا كنتم لاتعلمون هذه الأسماء، فأنتم عن علم الغيب أعجز ؛ وبأن تسلموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى .

فإن قيل : فكيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم عليه السلام من يفسد في الأرض ، ويسفك الدماء ؟ وما طريق علمها بذلك ؟ / وإن كانت غير عالمة فكيف يحسن أن تخبر عنه بغير علم !

قلنا : قد قيل إنها لم تخبر وإنما استفهت ؛ فكأنها قالت متعرفة : أتجمل فيها من يفعل ذاكذا .

(١) م : بعد هذه الكلمة : « وقيل أسماء محمد صلى الله عليه وآله والأئمة من ولده وسلم ، وفيه أحاديث مروية » .

وقيل : إن الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصى ويفسد في الأرض : فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه : أتجعلُ فيها من يفعل كذا وكذا ؟

وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذفٌ ويكون التقدير : وإذ قال رَبُّكَ لَمَلَأْنَا كَتَاةً إِيَّيْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، وإني عالمٌ أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، فاكتفى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ لأن ذلك دلالة على الأول ؛ وإنما حذفه اختصاراً .

وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد ، لأنه تعالى لما حكي عنهم قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ كان في ضمن هذا الكلام : فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الأمر أولى بذلك لأننا نطيع ١٠ وغيرنا يعصى .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ يتضمن أيضاً أنني أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه ، وما يكون مخالفاً لما تظنونه على ظواهر الأمور .

وفي القرآن من المحذوفات العجيبة ، والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام ؛

فمن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا ١٥ البقر السمان والمعجاف : ﴿ أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ؛ [يوسف : ٤٥] ، ^(١) ففعلوا ، فأتى يوسف ، فقال له ^(٢) : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ ؛ [يوسف : ٤٦] [ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله ، فأرسلون ففعلوا ، فأتى يوسف فقال له : يا يوسف أيها الصديق أفنتنا ^(٣)] .

ومثله قوله في الأنعام ، ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ؛ [الأنعام : ١٤] : أى ، وقيل لى : ولا تكونن من المشركين .

وكذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه والسلام : ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ بَعْدَ مَمَلِكِنَا بِسُلْطَانٍ خَفِيٍّ﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] ،
 غَدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ ، وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الطَّيْرِ وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَمْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ
 بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَمْعَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ
 مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَايِلَ ﴿ إلى قوله : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ : ١٢ ، ١٣] ،
 ٥ أي وقيل لهم : ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ .

وقال جرير :

[٢٣٨] / وَرَدَّتْهُمُ عَلَى قَيْسٍ بِخُورٍ مُجَاشِعٍ / فنوتتم على ساقِ بطيءِ جبورها^(١) ط

أراد : فنوتتم على ساق مكسورة بطيء جبورها ، كأنه لما كان في قوله : « بطيء
 جبورها » دليل على الكسر اقتصر عليه .

وقال عنتره :

١٠ هَلْ تُبْلِغَنِي دَارَهَا شَدَنِيبَةٌ / لَعِنْتُ بِمَجْرُومِ الشَّرَابِ مُصْرَمَ^(٢)

يعني ناقته؛ ومعنى « لعنت » دعاء عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها ، فصار^(٣) كذلك
 هذا كله^(٤) ؛ والناقاة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير . قال : تأبط شرأ - ويروى
 للشنفرى :

(١) ديوانه : ٢٦٨ ؛ وفي حاشية الأصل : « قبله :

أَلَمْ تَرَ قَيْسًا حِينَ خَارَتْ مُجَاشِعُ / تُجِيرُ ، وَمَا إِنْ تَبَتَّغَى مَنْ يُجِيرُهَا
 بَنِي دَارِمٍ مَنْ رَدَّ خَيْلًا مُغِيرَةً / غَدَاةَ الصَّفَا لَمْ يَنْجُ إِلَّا عُشُورُهَا
 وَرَدَّتْهُمُ البيت

ومجاشع هو مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن عمرو بن تميم « وخور : جمع خوار ، والحور :
 الضعف ، وناقاة خواره ، والجمع أيضا خور » . من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « فبؤتم » .

(٢) من اللعنة ؛ ص ١٨٣ - بشرح التبريزي . والشدنية : ناقاة نسبت إلى شدن ؛ موضع باليمن ،
 وقيل : هو فحل كان باليمن ، تنسب إليه الإبل : والمصرم : الذي أصاب أخلافه شيء فقطعه ؛ من صرار
 أو غيره . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فصارت » . (٤) من نسخة بمحاشية الأصل ،
 ف : « فخذف هذا كله » .

فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفَنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ^(١)
لأنه أراد: فلا تدفنوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها: خامري أم عامر؛ وهي الضبوع.

وقال أوس بن حجر:

حَتَّى إِذَا الْكَلَّابُ قَالَ لَهَا
كَالْيَوْمِ مَطْلُوبًا وَلَا طَلَبًا^(٢)
أراد: «لم أركاليوم»، فحذف.

وقال أبو دواد الإيادي:

إِنَّ مِنْ شِمْتِي كَبْدُلُ تِلَادِي دُونَ عِرْضِي، فَإِنْ رَضِيتِ فَكُونِي
أراد: فكوني معي على ما أنت عليه، وإن سخطت فبيني فحذف هذا كله.

وقال الآخر:

إِذَا قِيلَ سِيرُوا إِنَّ لَيْلِي لَمَلَّهَا جَرِي دُونَ لَيْلِي مَائِلُ الْقَرْنِ أُعْضَبُ^(٣) ١٠
أراد لملها قريب، وهذا يتسع؛ وهو أكثر من أن يحيط^(٤) به قول. والحذف
غير الاختصار. وقوم يظنون أنهما واحد؛ وليس كذلك لأن الحذف يتعلق بالألفاظ؛ وهو
أن تأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به، ولا يستقل بنفسه؛ ويكون في الوجود دلالة على
المحذوف، فتقتصر عليه طلبا للاختصار، والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن تأتي بلفظ مفيد
لمعان كثيرة لو عبّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ، فلا حذف إلا وهو اختصار، ١٥
وليس كل اختصار حذفًا.

(١) شعر الشنفرى ١ : ٣٦ (ضمن الطرائف الأدبية للأستاذ عبد العزيز اليميني)، وانظر تحقيق

نسبة البيت هناك والرواية فيه: «أبشري أم عامر». وأورد بعده:

إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي فِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي وَغَوْدِرَ عِنْدَ الْمَلْتَقَى ثُمَّ سَأَرِي

هنالك لا أرجو حياةً تسرّني سيجيس الليالي مُبْسِلًا بالجرائر

(٢) ديوانه: ٢ (٣) في حاشيتي الأصل، ف «يعنى به الوحشى من الأوعال» .

(٤) ف وحاشية الأصل (من نسخة): «نحيط به»، ومن نسخة أيضا بمحاشيتي الأصل، ف:

«أن يضبط» .

فمثال الحذف قوله : « ولكن خامرى أمّ عامر » ونظائره مما أنشدناه؛ لأن القول غير مستغنٍ بنفسه ؛ بل يقتضى كلاماً آخر غير أنه لما كان فيه دلالة على ما حذف حَسُنَ استعماله :

ومثال الاختصار الذى ليس بحذف قول الشاعر :

٥ أولادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرَ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ (١)
أراد أنهم أعزاء مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب ؛ فاختصرَ هذا المبسوط فى قوله : « حول قبر أبيهم » .

ومثله قول عدىّ بن زيد :

عَالِمٌ بِالَّذِى يُرِيدُ نَقِى الصَّدِّ رِ وَعَفَّ عَلَى جُثَاهُ نَجُورٌ (٢)

١٠ وفى معنى الاختصار قول أوس بن حجر :

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ لَا تَخِمُ لِحَامِهِمْ إِذَا شُبَّهَ النَّجْمُ الصَّوَارِ النَّوَافِرَا
فقوله : « لا تخم لحامهم » لفظ مختصر ؛ ولو بسطه لقال : إنهم لا يدّخرون اللحم ولا يستبقونه فيخيم ، بل يطعمونه الأضياف والطّرائق .

ومعنى قوله :

١٥ * إِذَا شُبَّهَ النَّجْمُ الصَّوَارِ النَّوَافِرَا *

يعنى فى شدة البرد وكبّ الشتاء ؛ والثريا تطلع فى هذا الزمان عشاءً ، كأنها صوّار

متفرق .

(١) ديوانه : ٨٠ ؛ وهى مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة .

(٢) اللسان (جثا) . وفى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله « جثاه » : تراب كان يجمع ويجعل عليه

حجارة وينحر عليها الأصنام ؛ يريد أنه طائع متدين ؛ وبروى : على جباهه ؛ وهى الحياض . والجابية : شئ مثل الحوض يجعل فيها الماء اللايل ؛ وجمعها الجوابى .

(٣) فى حاشيتى الأصل ،

ف : « خم اللحم يخم » ، وأخم يخم : إذا أنتن .

وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى، وإنما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض؛ لقوة حظه من إفادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة.

فأما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية، فالمراد به أنه عرض المسميات؛ لأن الكناية لا تليق بالأسماء، ولا بد من أن تكون تلك المسميات، أو فيها ما يجوز^(١) أن يكنى عنه بهذه الكناية؛ لأنها لا تستعمل إلا في العقلاء ومن يجري مجراهم.

وقيل إن في قراءة أبي: ﴿ثُمَّ عَرَضَهَا﴾ وفي قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُنَّ﴾ وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء.

وقديبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير القرآن، ولا في متشابهه ومشكله تعرض له؛ وهو من مهم ما يسأل عنه.

وذلك أن يقال: من أين علمت الملائكة لما خبرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء صحة قوله، ومطابقة الأسماء للمسميات؛ وهي لم تكن عالمةً بذلك من قبل؛ إذ لو كانت عالمة لأخبرت بالأسماء؛ ولم تعترف بفقد العلم؛ والكلام يقتضى أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء / علموا [٢٣٩] صحتها ومطابقتها للمسميات؛ ولولا ذلك لم يكن لقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معنى، ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتميزه واختصاصه بما ليس لهم؛ لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم دون غيره.

والجواب أنه غير ممتنع أن يكون الملائكة في الأوّل غير عارفين بتلك الأسماء؛ فلما أنبأهم آدم عليه السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات؛ إما عن طريق أو ابتداء بلا طريق؛ فعملوا بذلك تميزه^(٢) واختصاصه؛ وليس لأحد أن يقول: إن ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطراراً؛ وفي هذا منافاة طريقة التكليف؛ وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضى العلم بالنبوة ضرورة، بل بعده

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «من يجوز». (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «تميزه».

درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ؛ ويجرى هذا مجرى أن يخبر أحداً نبياً بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يحرق المادة ؛ وهو وإن كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته ، لأن علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته ، لكنه طريق يوصل إليها على ترتيب .

٥ ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة ، فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره ، إلا أن يكون إحاطة عالم واحد لأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للمادة ، فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علمه جميع تلك الأسماء ، فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ماخبر به من الأسماء للغته ، وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره ، وعلم مطابقتها ذلك لباقي اللغات يخبر كل قبيل ، ولا شك في أن كل قبيل إذا كانوا كثيرة^(١) ، وخبروا بشيء يجري هذا المجرى علم مخبرهم ، وإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ماعلمه من لغته .

وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله: ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾ أى ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء .

وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم عليه السلام مقدم له العلم بنبوته ، وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته^(٢) ، لأنه لو كان نبياً قبل ذلك ، وكانوا قد علموا بقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين معاً ، لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا ذلك بقوله الذى قد آمنوا به فيه غير الصدق ، وهذا بين لمن تأمله .

قال سيدنا أدام الله علوه : رأيت قوماً ممن تكلم على معانى الشعر ، يذكرون في بيت

٢٠ حسان بن ثابت :

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « افتتاحاً لمعجزاته » .

لَمْ تَقْتَهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ^(١)
 أن المراد به الاعتذار من كبرها وعلوّ سنّها ، فكأنه قال : « لم تفتها شمس النهار بشيء »
 غير أنّها كبيرة طاعنة في السن ، وعذرها في ذلك أنّ الشباب ليس يدوم لأمثالها . وهذا الذي
 ذكره ليس بشيء ، والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أنّ شمس النهار لم تفتها بشيء
 غير أنّ شبابها مما لا يدوم ، ولا بدّ من أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ، ولم يرد أنّها
 في الحال كذلك ، وكيف يريد ما توهموه مع قوله :

يَالْقَوْمِ^(٢) هَلْ يَقْتُلُ الرَّءْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْوَمُ !
 شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَعْلُو هَا لُجَيْنٌ وَلَوْلُو مَنْظُومُ
 لَوْ يَدِبُّ الْحَوَلِيُّ مِنْ وَادِّ الذَّرِّ عَلَيْهَا لِأَنْدَبْتَهَا السَّكُومُ^(٣)

وهذه الأوصاف لا تليق بمن طعن في السنّ من النساء ، ولا يوصف بمثلها إلا الصبيان ١٠
 والأحداث .

ومن العجائب أنّ هذا الاستخراج على ركا كته مسندٌ إلى الأصمعيّ ، وما أولى من
 يكون نتيجة تغلغله ، وثمرّة توصله مثل هذه الثمرة بالإضراب عن استخراج المعاني
 والبحث عنها !

ومما فسّره أصحاب المعاني على وجهه ، وهو بغيره أشبهه ، وأقلّ الأحوال أن يكون محتملا ١٥
 للأمرين ، فلا يقصّر على أحدهما قولُ الخنساء :

يَا صَخْرُ وَرَادَ مَا قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ^(٤)

/ لأنهم يقولون : مرادها بالبيت ما في تركِ وَرْدِهِ عَارُ ، يظنون أنه متى لم يحمل على [٢٤٠] ^ط
 ذلك لم يكن له فائدة ، ولا فيه مدح ، ويُجْرُونه مجرى قول المرقش^(٥) :

(١) ديوانه : ٩٩ ، والرواية فيه « لم تفتها » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يالقوي » . (٣) أندبتها : أثرت فيها وجرحتها .

(٤) ديوانها : ٧٥ .

(٥) هو المرقش الأكبر ، والبيت في الفضليات : ٢٣٩ (طبعة المعارف) . ووراء هنا بمعنى أمام ؛

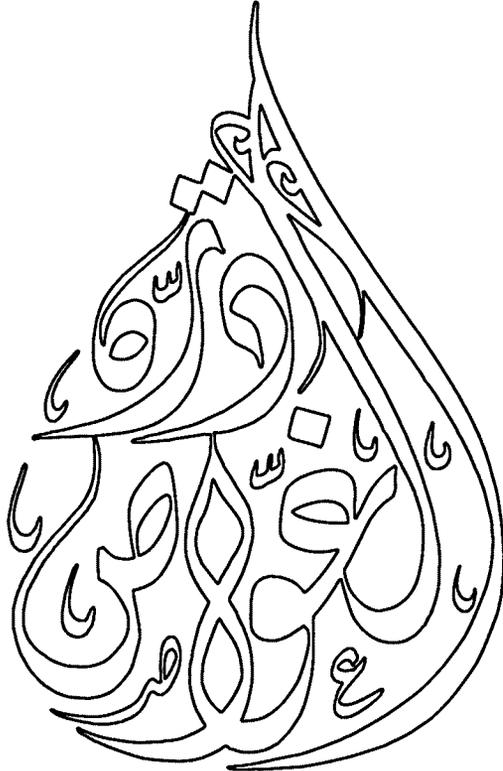
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ وَرَائِهِ عَدَابٌ غَلِيظٌ ﴾ . وما يعلم : عاقبة عمله ؛ أو الهرم والكبر والضعف .

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمُ
وليس الأمر كما ظنوه، لأنه يحتمل أن يريد أنه لا عارَ في وِرْدِهِ على ظاهر الكلام
والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كنايةٌ عن ركوب الأمور
الصعاب التي من جعلها إيراد الماء غلبةً وقهراً، فكأنها قالت : إنك تورد ماء قد تناذره
الناس ، وتركب أمراً صعباً قد نكَلَ عنه الخلق ، ولك بذلك حظ في الشجاعة والبسالة، ومع
ذلك فلا عار عليك في ركوبه ، لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يحوز به أكثر الحظ من الشجاعة
وإن لحقه بعض العار ، من قطيعةٍ رحمٍ ، أو نكث عهدٍ ، أو ماجرى هذا المجرى، فكأنها
نفثت عن فعله وجوه العار .

وليس يجرى ذلك مجرى قول المرتضى :

* ليس على طول الحياة ندمٌ * ١٠

لأن البيت متى لم يُحمَلْ على أن المراد به : ليس على فوت طول الحياة ندم ، لم يُفدْ شيئاً ،
وقد بينا فائدة قول الخنساء إذا كان المراد ما ذكرناه .



مَكْتَبَةُ الدُّعْوَى وَالرُّسُلَى

مَجْلِسُ آخِرِ تَمَاوِيلِ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] .
قلنا : قد ذكر في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون المعنى : وسئلُ تَبَاعٍ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، والشعر زهير ؛ وهم يريدون السخاء سخاء حاتم ، والشعر شعر زهير .
وأقاموا حاتماً مقام السخاء المضاف إليه ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، ومثله قول الشاعر :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُهْبُ السَّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أُخْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه وآله السلام ؛ وهو في المعنى لأمته ؛ لأنه

عليه السلام لا يحتاج إلى السؤال ؛ لكنه خوطب خطاب أمته ، كما قال تعالى : ﴿ الْمَآءُ كِتَابٌ ۙ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، فأفرده الله تعالى [٢٤١] بالمخاطبة ، ثم رجع إلى خطاب أمته فقال : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٢] ، وفي موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ ﴾ [الأحزاب : ١] .
فخاطبه عليه السلام والمعنى لأمته ، لأنه بين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [الطلاق : ١] فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه .

وقال الكميت :

إلى السراج المنير أحمدلاً تعد لني رغبةً ولا رهبُ
عنه إلى غيره ولورفع النَّا سُ إلى الميُونِ وارْتَقَبُوا
لوقيل أفرطت بل قصدت ولوَاء فَمِنِ الْقَائِلُونَ ، أو ثَلَبُوا
لجَّ بتفضيلك اللسان ولو أ كُ يرَ فيكَ الضَّجَّاجُ واللَّجَبُ
أنت المصطفى المهذب المحض في التشبيه إن نصَّ قومك النسب^(١)

فظاهر الخطاب للنبي عليه السلام ، والمقصود به أهل بيته عليهم السلام ، لأن أحد أمن المسلمين لا يمتنع من تفضيله عليه السلام والإطناب في وصف فضائله ومناقبه ؛ ولا يمتنع في ذلك أحدٌ ، وإنما أراد الكميت : وإن أكثر في أهل بيته وذويه السلام الضجج واللجب والتقريع والتعنيف ، فوجه القول^(٢) إليه والمراد غيره ، ولذلك وجه صحيح وهو أن المراد بمولاتهم والانحياز إليهم والانتقاع إلى حبهيم؛ لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك أجمع جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا للخروج ، ويضمه هذا الموضوع . وقيل إن المراد بتبائع الأنبياء الذين أمر بمسألتهم هم مؤمنو أهل الكتاب^(٣) كعبدالله ابن سلام ونظرائه ، وليس يمتنع أن يكون هو عليه السلام المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب ، وإن لم يكن شاكا في ذلك ، ولا مرتاباً به . ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به ، وإقامة الحججة عليهم باعترافهم ، أو لأن بعض مشركي العرب أنكر أن تكون كتب الله تعالى المتقدمة وأنبياءه الآتون بها دعت إلى التوحيد، فأمر عليه السلام [٢٤١] بتقرير أهل الكتاب^(٤) / بذلك دعت لنزول الشبهة عن اعترضته .

والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً إليه عليه السلام دون أمته ، والمعنى : إذا لقيت

(١) نص : رفع . (٢) في حاشية الأصل : « نسخة ش : فوجه القول » ، بالإضافة .

(٣) ف : « أهل الكتب » . (٤) من نسخة بحاشية الأصل : « الكتاب » .

النبیین فی السماء فأسألهم عن ذلك؛ لأن الروایة قد وردت بأنه صلى الله علیه وآله لقی النبیین فی السماء فسلم علیهم وأمهم؛ ولا یكون أمره بالسؤال، لأنه كان شاکا، لأن مثل ذلك لا یجوز علیه الشك فیہ؛ لكن لبعض المصالح الراجعة إلى الدین؛ إما لشيء یخصه علیه السلام، أو یتعلق ببعض الملائكة الذین یستمعون ما یمجرى بینہ و بین النبیین من سؤال وجواب.

والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتیبة، وهو أن یتكون المعنى: وسئل من أرسلنا إليه قبلك رسلا من رسلنا - یعنی أهل الكتاب. وهذا الجواب - وإن كان یوافق فی المعنى الجواب الأول - فبینهما خلاف فی تقدير الكلام وكيفية تأويله، فلہذا صارا مفترقین .

وقدرد علی ابن قتیبة هذا الجواب، وقیل إنه أخطأ فی الإعراب؛ لأن لفظة «إليه»

لا یصح إضمارها فی هذا الموضع؛ لأنهم لا یجزون: «الذی جلت عبد الله»، علی معنى ١٠ «الذی جلت إليه»، لأن «إليه» حرف منفصل عن الفعل، والمنفصل لا یضم، فلما كان القائل إذا قال: «الذی أكرمت إياه عبد الله» لم یجز أن یضم «إياه»؛ لانفصاله من الفعل كانت لفظة «إليه» منزلة .

وكذلك لا یجوز: «الذی رغبت محمد»، بمعنی «الذی رغبت فیہ محمد»؛ لأن الإضمار إنما

یحسن فی الهاء المتعلقة بالفعل كقولك: «الذی أکات طعامك»، و«الذی لقیته صدیقك»، معناها: ١٥ الذی أکته ولقیته .

وقال الفراء: إنما حذف «الهاء» لدلالة الذی علیها. وقال غيره فی حذفها غیر

ذلك؛ وكل هذا ليس مما تقدم فی شيء، فصح أن جواب ابن قتیبة مستضعف، والمعتمد علی ما تقدم .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن معنى مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرّانه».

قلنا: أمّا أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر : سألت محمد بن الحسن [٢٤٢] عن تفسيره / فقال : كان هذا في أول الإسلام قبل أن تُنزل الفرائض ، ويؤمّر المسلمون بالجهاد . ٥

قال أبو عبيد : كأنه يذهب إلى أنه لو كان يولد على الفطرة ، ثم مات قبل أن ينصرّه أبواه ويهوداه ما ورثناه ، وكذلك لو ماتا قبله ما ورثهما ، لأنه مسلم وهما كافران ؛ وما كان أيضاً يجوز أن يُسبى ، فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك عُلم أنه يولد على دين أبويه .

١٠ قال أبو عبيد : وأمّا عبد الله بن المبارك فإنه قال : هو بمنزلة الحديث الآخر الذى يتضمن أنه عليه السلام سئل عن أطفال المشركين فقال : «الله أعلم بما كانوا عاملين» يذهب إلى أنهم يولدون على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر ؛ فمن كان فى علمه تعالى أنه يصير مسلماً فإنه يولد على الفطرة ، ومن كان فى علمه أنه يموت كافراً وُلد على ذلك .

قال أبو عبيد : ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر أنه قال : «يقول الله عز وجل : إني خلقت عبيدى جميعاً حُنَفَاءً ، فاجتالهم الشياطين عن دينهم ، وجعلت ما أحللتهم لهم حراماً» . ١٥ قال أبو عبيد : يريد بذلك البحائر والسُّبب وغير ذلك مما أحله الله تعالى ، فجعلوه حراماً .

وأما ابن قتيبة فقال - وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد - : لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله ابن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعاً لمن أراد أن يعرف معنى الحديث ؛ لأنهما لم يزيدا على أن ردّا على ما قال به من أهل القدر .

وتفسير محمد بن الحسن يدلّ على أن الحديث عنده منسوخ، والنسخ لا يكون في الأخبار، وإنما يكون في الأمر والنهي؛ قال: ولا يجوز أن يراد به - على تأويل ابن المبارك - بعض المولودين دون بعض؛ لأن مخرجه مخرج العموم. قال: ولا أرى معنى الحديث إلا ما ذهب إليه حماد بن سلمة؛ فإنه قال فيه: هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب آبائهم؛ يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم؛ فأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قَالُوا بَلَىٰ ﴿﴾؛ [الأعراف: ١٧٢]، فأراد عليه السلام أن كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الإقرار الأول وهو الفطرة.

/قال سيدنا آدم الله علوه: وهذا كله تخليط وُبعد عن الجواب الصحيح. والصحيح [٢٤٢] ط
في تأويله أن قوله عليه السلام: «يولد على الفطرة» يحتمل أمرين:

- ١٠ أحدهما أن تكون الفطرة هاهنا الدين، وتكون «على» بمعنى اللام؛ فكأنه قال: كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين؛ لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته، يشهد بذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ [الذريات: ٥٦]؛ والدليل على أن «على» تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي زيد عن العرب أنهم يقولون: صِفْ عَلِيَّ كَذَا وكذا حتى أعرفه؛ بمعنى صِفْ لِي؛ ويقولون ما أغيظك عليّ! يريدون ما أغيظك لي! والعرب تقيم بعض حروف الصفات مقام بعض فيقولون: سقط الرجل لوجهه؛ يريدون على وجهه، وقال الطرمّاح:

كَأَنَّ مُخَوَّأَهَا عَلَى نَفِنَاتِهَا مَعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَاحِ (١)

- أراد: على الجناح (٢) -

(١) ديوانه: ١٦٦ وفي حاشية الأصل: «خوسى البهير إذا تجافى في بروكه، ومنه خوسى الرجل في سجوده، وخوت المرأة عند جلوسها على الحجر»، وفيها أيضا: «يعنى أن فجوات هذه الناقة عند البروك تسم خمس أبنق بوارك». (٢) الجناح: عظام الصدر.

وقال عنتره :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدُّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْرَاءَ تَنْفِرٍ عَنِ حِيَاضِ الدَّيْلِمْ^(١)

معناه: شربت الناقة من ماء الدُّخْرُضَيْنِ؛ وهما ماءان؛ يقال لأحدهما: وسيع والآخردُخْرُضٌ، فقلب الأشهر؛ وهو الدُّخْرُضُ. وإنما ساغ أن يريد بالفطرة-التي هي الخِلقة في اللغة- الدين من حيث كان هو المقصود بها، وقد يجري على الشيء اسم ماله به هذا الضرب من التعلق والاختصاص؛ وعلى هذا يتأول قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] أراد دين الله الذي خلق الخلق له .

وقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] المراد به أن ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف ، حتى يخلق قوما للطاعة ، وآخرين للمعصية .

ويجوز أن يريد بذلك الأمر، وإن كان ظاهره الخبر، فكأنه تعالى قال: ولا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا .

والوجه الآخر في تأويل الفطرة أن يكون المراد بها الخِلقة ، وتكون لفظة «على» على [٢٠٣] ظاهرها/لم يرد^(٢) به غيرها، ويكون المعنى: كل مولود يولد على الخِلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به ، لأنه عز وجل قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضى النظر فيه معرفته والإيمان به؛ وإن لم ينظروا ولم يعرفوا، فكأنه عليه السلام قال: كل مخلوق ومولود فهو يدلّ بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى؛ وإن عدل بمضمهم فصار يهودياً أو نصاريّاً . وهذا الوجه يحتم له أيضا قوله تعالى: ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله: «حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه» يحتمل وجهين:

(١) من المعلقة ص ١٨٦ - بشرح التبريزي . الزوراء : المائلة ، والديلم : الأعداء ، عن الأصمعي .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بها » .

أحدهما أن مَنْ كان يهودياً أو نصرانياً من خلقته لعبادتي وديني ؛ فإنما جملة كذلك أبواه ، ومن جرى مجراها ممن أوقع له الشبهة وقلده الضلال عن الدين .

وإنما خص الأبوين لأن الأولاد في الأكثر ينشئون على مذاهب آبائهم ، ويألفون أديانهم ونحلهم ؛ ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم ، وأنه إنما

خلقهم للإيمان فصددهم عنه آبائهم ، أي ومن جرى مجراهاهم .

والوجه الآخر أن يكون معنى : « يهودانه وينصرانه » أي يلحقانه بأحكامهما ، لأن

أطفال أهل الذمة قد ألحق الشرع أحكامهم بأحكامهم ؛ فكأنه عليه السلام قال : لا تتوهما

من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم ، أنهم خلقوا لدينهم ، بل لم يخلقوا إلا للإيمان

والدين الصحيح ؛ لكن آبائهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم . وعبر عن إدخالهم في أحكامهم

بقولهم : « يهودانه وينصرانه » ؛ وهذا واضح .

فأما جواب أبي عبيد الذي حكاه عن محمد بن الحسن فإننا إذا تمكنا من حمل الخبر على وجه

نسلم معه من النسخ لم نحتج إلى غيره ؛ وإنما توهم النسخ لاعتقاده أن خلقهم على الفطرة

يمنع من إلحاقهم بحكم آبائهم ؛ وذلك غير ممتنع .

وأما الجواب الذي حكاه عن ابن المبارك ففاسد ، لأن الله تعالى لا يجوز أن يخلق

أحداً للكفر ؛ وكيف يخلقه للكفر وهو يأمره بالإيمان ويربده منه ، ويماقبه ويندبه على

خلافه !

فأما ما روى عنه / عليه السلام - وقد سئل عن أطفال المشركين فقال : « الله أعلم بما كانوا [٢٤٣] ط

عاملين » - فإنه يحتمل أن يكون عليه السلام سئل عمّن لم يبلغ من أطفال المشركين :

كيف تكون صورته ؟ وإلى أي شيء تنتهي عاقبته ؟ فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين » ، وأراد

أن ذلك مستور عني ؛ ولو كانت النسالة عمّن اخترم طفلاً لم يجز أن يكون الجواب ذلك .

وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد من غير وجه يقتضى الرد واعترض جواب ابن المبارك، باعتبار العموم والخصوص، وترك أن يُفسد من الوجه الذى يفسد به وهو الذى ذكرناه، وكيف ننبه على فساده من هذه الجهة ، وقد اختار فى تأويل الخبر ما يجرى فى الفساد والاختلال يجرى تأويل ابن المبارك!

٥ فأما النسخ فى الأخبار فجائز إذا تضمنت معنى الأمر والنهى ؛ ويكون ما دلّ على جواز النسخ فى الأوامر دالاً على جواز ذلك فيها ؛ وهذا مثل أن يقول : الصلاة واجبة عليكم ، ثم يقول بمد زمان : ليست بواجبة ، فيستدل بالثانى على نسخ الحكم الأول ، كما قال عليه السلام : صلوا ، ثم قال : لا تصلوا كان النهى الثانى ناسخاً للأول .

فأما الجواب الذى ذكره ابن قتيبة فقدينا فساده فيما تقدم^(١) من الأمالى عند تأويلنا ١٠ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٧٢] ؛ وأفسدنا قول من اعتقد أنه مسح ظهر آدم ، واستخرج منه الذرية وأشهداها على نفوسها ، وأخذ إقرارها بمرفته بوجوه من الكلام ؛ فلا طائل فى إعادة ذلك .

مَجْلِسِ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِيهِ النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ .
خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ .
وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِيهِ الْجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ
رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴾ ؛ [هود : ١٠٦ - ١٠٨] .

فقال : ما معنى الاستثناء هاهنا والمراد الدوام والتأبيد ؟ ثم ما معنى التمثيل بمدّة السموات
والأرض التي تنقضي وتنقطع ؟

[٢٤٤]

الجواب ، / قلنا : قد ذكر في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون ﴿ إِلَّا ﴾ - وإن كان ظاهرها الاستثناء - فالراد بها الزيادة ؛ فكأنه تعالى
قال : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من الزيادة لهم
على هذا المقدار ؛ كما يقول الرجل لغيره : لي عليك ألف دينار إلا الألفين الذين أقرضتكهما
وقت كذا وكذا ، فالألفان زيادة على الألف بغير شك ؛ لأن الكثير لا يستثنى من القليل ؛
وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين .

والوجه الثاني أن يكون المعنى : إِلَّا ما شاء ربُّك من كونهم قبل دخول الجنة والنار في
الدنيا ؛ وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك ؛ لأنه
تعالى لو قال : خالدون فيها أبدا ، ولم يستثن لتوهم متوهم أنهم يكونون في الجنة والنار من
لأن نزول الآية ، أو من بعد انقطاع التكليف ، فصار للاستثناء وجه ، وفائدة معقولة .

والوجه الثالث أن تكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى الواو؛ والتأويل: خالدين فيها مادامت السموات والأرض، وما شاء ربك من الزيادة. واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

وكلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَيْكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ (١)

معناه: والفرقدان، ويقول الآخر:

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَعْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهَا رَسْمٌ (٢)
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيَّاحَ خَوَالِدٌ سُحْمٌ

والمراد: «إلا» هاهنا الواو؛ وإلا كان الكلام متناقضاً.

والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الأول متصلاً بقوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ﴾؛ وتقدير الكلام: لهم في النار زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن

١٠ هذين الضريين، ولا يتعلق الاستثناء بالخلود.

فإن قيل: فهبوا أن هذا أمكن في الاستثناء الأول، كيف يمكن في الثاني؟

قلنا: يحمل الثاني على استثناء المكث في المحاسبة والموقف، أو غير ذلك مما تقدم ذكره.

(١) البيت من شواهد سيويه (الكتاب ١ : ٣٧١)، ونسبه إلى عمرو بن معدى كرب، وأورده شاهداً على نعت «كل»، بقوله: «إلا الفرقدان»؛ على تأويل «غير». وفي حاشية الأصل: قوله «إلا الفرقدان» قيل «إلا» بمعنى غير، والتقدير: غير الفرقدين، ومثله قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ أي غير الله

(٢) أعدره السيدان: موضع وراء كاظمة؛ بين البصرة والبحرين؛ كذا ذكره ياقوت واستشهد بالبيت. والبيتان من قصيدة مفضلية؛ للمخبل السعدي؛ وقبلهما:

ذَكَرَ الرَّبَابَ وَذِكْرُهَا سُقْمٌ فَصَبَا ، وَلَيْسَ لِمَنْ صَبَا حِلْمٌ

وَإِذَا أَلَمَ خَيَالُهَا طُرِفَتْ عَيْنِي ، فَمَاءَ شَأُونِهَا سَجَمٌ

كَاللُّوْلُوِّ الْمَسْجُورِ أَغْفَلَ فِي سَلَكِ النَّظَامِ نَفَاثَةَ النَّظْمِ

وانظر الفضليات ١١٣ - ١١٨ (طبعة المعارف).

/ والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود ؛ وإنما الغرض [٢٤٤] فيه : أنه لو شاء أن يخرجهم والآن يخلدهم لَفَعَلَ ، وأن التخليد إنما يكون بمشيئته وإرادته ، كما يقول القائل لغيره : والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك ، وهو لا ينوى إلا ضربه ، ومعنى استثناءه هاهنا : أنى لو شئت ألا أضربك لَفَعَلْتِ وتَمَكَّنْتِ ؛ غير أنى مُجْمِعٌ على ضربك .

والوجه السادس أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود ، والتبعيد للخروج ؛ لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به ، ودلّ عليه ؛ ويجرى ذلك مجرى قول العرب : والله لأهجرنك إلا أن يشيب الغراب ، ويبيض القار ؛ ومعنى ذلك أنى أهجرك أبداً ؛ من حيث علق بشرط معلوم أنه لا يحصل ؛ وكذلك معنى الآيتين ؛ والمراد بهما أنهم خالدون أبداً ؛ لأن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم .

والوجه السابع أن يكون المراد بالذين شقوا من أدخل النار من أهل الإيمان ، الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعتهم المعاصي ؛ فقال تعالى : إنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك ؛ من إخراجهم إلى الجنة ، وإيصال ثواب طاعتهم إليهم .

ويجوز أيضاً أن يريد بأهل الشقاء هاهنا جميع الداخلين إلى جهنم ؛ ثم استثني تعالى بقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ أهل الطاعات منهم ، ومن يستحق ثواباً لا بدّ أنه يوصل إليه فقال : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ من إخراج بعضهم ؛ وهم أهل الثواب .

وأما الذين سُعِدُوا فإنما استثني من خلودهم أيضاً لما ذكرناه ؛ لأنّ من نُقِلَ من النار إلى الجنة وُخِلِدَ فيها لا بدّ من الإخبار عنه بتأييد خلوده من استثناء ما تقدّم ؛ فكأنه تعالى قال : إنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض ؛ إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار ، قبل أن ينقلهم إلى الجنة .

والذين شَقُّوا على هذا الجواب هم الذين سُعِدُوا ، وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال التي تليق بهم ؛ فهم إذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها من أهل الشقاء ، وإذا نُقِلُوا إلى الجنة من أهل الجنة والسعادة .

[٢٤٥] وقد ذهب إلى هذا الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك / وغيرهم .
وروى بشر بن عمارة عن أبي رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس قال: الذين شقوا ليس فيهم
كافر؛ وإنما هم قوم من أهل التوحيد، يدخلون النار بذنوبهم ، ثم يتفضل الله تعالى عليهم
فيخرجهم من النار إلى الجنة ، فيكونون أشقياء في حال ، سعداء في حال أخرى .

٥ وأما تعليق الخلود بدوام السموات والأرض ؛ فقد قيل فيه: إن ذلك لم يجعل شرطاً في
الدوام ؛ وإنما عُلِّقَ به على طريق التبعيد وتأكيده الدوام ؛ لأن للعرب في مثل هذا عادة
معروفة خاطبهم الله تعالى عليها ؛ لأنهم يقولون: لا أفعل كذا ملاح كوكب ، وما أضاء
الفجر ، وما اختلف الليل والنهار ، وما بلَّ بجر صوفة ، وما تغت حمامة ، ونحو ذلك ،
ومرادهم التأييد والدوام .

١٠ ويجرى كل ما ذكرناه مجرى قولهم : لا أفعل كذا أبدا ؛ لأنهم يعتقدون في جميع
ما ذكرناه أنه لا يزول ولا يتغير ؛ وعباراتهم إنما يخرجونها بحسب اعتقاداتهم ، لا بحسب
ما عليه الشيء في نفسه ؛ ألا ترى أن بعضهم لما اعتقد في الأصنام أن العبادة تحيق لها سماها
آلهة بحسب اعتقادهم ، وإن لم تكن في الحقيقة كذلك !

ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول أبي الجويرية العبدى :

١٥ ذَهَبَ الْجُودُ وَالْجُنَيْدُ جَمِيعاً فَعَمِلَ الْجُودَ وَالْجُنَيْدَ السَّلَامُ
أَصْبَحَا نَأْوِيَيْنِ فِي قَعْرِ مَرْتٍ (١) مَا تَغَنَّتْ عَلَى الْغُصُونِ الْحَمَامُ

وقال الأعشى:

(١) معجم الشعراء للرزبانى ٢٥٨ ، والمختلف والمؤتلف للأمدى ٧٩ ؛ وذكر بعدها بيتا ثالثا :

لم تزل غاية الكرام فلما مات مات الندى ومات الكرام

وهو الجنيد بن عبد الرحمن المرى، كان والى خراسان . (٢) المرت: الفجر من الأرض ؛ وفي المؤتلف :

« بطن مرو » . وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « قمر مرو » .

السَّتَ مُنْتَهِيَاً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَاوِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ! (١)

وقال الآخر :

لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتْ إِلَى بَلَدٍ (٢)

وقال زهير منبثاً (٣) عن اعتقاده دوام الجبال ، وأنها لا تفتنى ولا تتغير :

أَلَا لَا أَرَى عَلَى الْحَوَادِثِ بَاقِيَا وَلَا خَالِدَاً إِلَّا الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَا (٤)

/فهذا وجه .

[٢٤٥]
ظ

وقيل أيضاً في ذلك أنه أراد به الشرط ، وعسى بالآية دوام السموات والأرض المبدلتين ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ ؛ [إبراهيم : ٤٨] ، فأعلمنا تعالى أنهما تُبدلان ؛ وقد يجوز أن يديهما بعد التغيير أبداً بلا انقطاع ؛ وإنما المنقطع هو دوام السموات والأرض قبل التبديل والفناء .

ويمكن أيضاً أن يكون المراد أنهم خالدون بمقدار مدة السموات والأرض التي يعلم الله تعالى انقطاعها ثم يزيد بها الله تعالى على ذلك ويخلدهم ، ويؤيد مقامهم وهذا الوجه يليق بالأجوبة التي تتضمن أن الاستثناء أريد به الزيادة على المقدار المتقدم لا النقصان .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وجدت الآمدى قد ظلم البحترى في تفسير

بيت له مضاف إليه مع ظلمه له في أشياء كثيرة تأولها على خلاف مراد البحترى ، وحكى ١٥ قوله :

(١) ديوانه : ٤٦ . أثلة كل شيء : أصله ؛ ويريد بها هاهنا الحسب ؛ يقال : فلان ينحت أثلتنا إذا قال في حقه قبيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والأطيط : صوت الأبل من نفل أمهالها . (٢) الجررة : ما تخرجه الإبل من أجوافها ، وتعيد مضغه . وفي حاشية الأصل : يعنى بأربعة أحجية العين ؛ كما قال :

يَا عَيْنُ بَكِّي عِنْدَ كُلِّ صَبَاحٍ جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَّاحِ

(٣) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مينا » . (٤) ديوانه : ٢٨٨ .

كالبدرِ إِلَّا أَنهَا لَا تُجْتَلَى وَالشَّمْسِ إِلَّا أَنهَا لَا تَغْرُبُ^(١)
ثم قال: ” وهذا فيه سؤال ؛ لأنه لما قال :

* كالبدر إلا أنها لا تجتلى *

فالمعنى أن عيون الناس كلهم ترى البدر وتجتليه ، وهي لا تراها العيون ولا تجتلى .

• ثم قال :

* ” والشمس إلا أنها لا تغربُ * ”

وإنما قال: « لا تجتلى » لأنها محجوبة؛ فإذا كانت في حجاب فهي في غروب؛ لأن الشمس إذا غربت فإنما تدخل تحت حجاب ، فظاهر المعنى : كالبدر إلا أن العيون لا تراها، والشمس إلا أن العيون لا تفقدها . قال: ” وهذا القول متناقض كما ترى “ قال : ” وأظنه أراد أنها ١٠ وإن كانت في حجاب فإنه لا يقال لها: غربت تغرب كما يقال للشمس؛ وإنما يقال لها إذا سافرت: بمدت ، واغربت وغربت إذا توجهت نحو الغرب، وقد يقال للرجل انغرب عنا^(٢)، أى ابعد، ولو استعار لها اسم الغروب عن الأرض التي تكون فيها إذا ظعن عنها إلى أرض أخرى كان ذلك حسناً جداً ، لاسيما وقد جعلها شمساً ، كما قال ابراهيم بن العباس الصوليّ :

وَزَالَتْ زَوَالَ الشَّمْسِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا فَمَنْ مَخْبِرِي: فِي أَيِّ أَرْضٍ غُرُوبُهَا؟^(٣)

١٥ قال: ” وقد يجوز أن يقول قائل: إنه أراد: لا تغرب تحت الأرض كما تغرب الشمس؛ وهذه [٢٤٦] معاذير / ضيقة ، لأبي عبادة فإن لم يكن قد أخطأ فقد أساء . “

قال سيدنا أدام الله علوه : وما الخطي غير الآمدى ، ومراد البحترى بقوله أوضح من أن يذهب على متأمل، لأنه أراد بقوله :

* والشمس إلا أنها لا تغربُ *

أى أنها لا تصير بحيث يتمنر رؤيتها ويمتنع ، كما يتمنر رؤية الشمس على من غربت

(١) ديوانه ١ : ٦٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « عنى » .

(٣) ديوانه : ١٤٠ (ضمن مجموعة الطرائف) .

عن أفق بلده. والمرأة - وإن احتجبت باختيارها - فإن ذلك ليس بغروب كغروب الشمس ؛ لأنها إذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون ، والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ، ولهذا لا يصحُّ أن يقال لمن استظل بدار أو جدار عن الشمس : إنها غربت عنه ، وإن كان غير راء لها ، لأن رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع ، وكذلك القول في احتجاب المرأة ؛ فلاتناقض في بيت البحترى على ما ظنه الآمدى .

ولبعضهم في هذا المعنى :

قَدْ قُلْتُ لِلْبَدْرِ وَاسْتَعْبَرْتُ حِينَ بَدَا مَا فِيكَ يَا بَدْرُ لِي مِنْ وَجْهِهَا خَلْفُ
تُبْدِي لَنَا كُلَّمَا شِدْنَا مَحَاسِنَهَا وَأَنْتَ تَنْقُصُ أَحْيَانًا وَتَنْكَسِفُ

فمعنى قوله: « فأنت تنقص وتنكسف » جار مجرى غروب الشمس ، لأنه فضلها على

البدر من حيث كان بروزها لمبصرها موقوفا على اختيارها ، والبدر ينكسف ويغيب على ١٠ وجه لا تمكن رؤيته ، كما فضلها البحترى بأنها لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة ، والشمس كذلك .

وقد ظلم الآمدى البحترى في قوله :

لَا الْعَذْلُ يَرُدُّعُهُ وَلَا التَّعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يَصُدُّهُ

قال الآمدى ” وهذا عندي من أهجتي مأمدح به خليفة وأقبحه ، ومن ذا يمتف الخليفة ١٥ على الكرم أو يصدّه ! إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح “ .

قال سيدنا رضى الله عنه : وللبحترى في هذا عذرٌ من وجهين :

أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير ؛ فكأنه قال : لو عُنفَ وعُذِلَ لما صدّه

ذلك عن الكرم ، وإن كان من حق العذْل والتعنيف أن يصدّ أو يحجز عن الشيء ،

وهذا له نظائر في القرآن ، وفي كلام العرب كثير مشهور ، وقد مضى فيما أمليناه شيء من ذلك .

[٢٤٨] والوجه الآخر أن العذل والتعنيف / وإن لم يتوجَّها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على الإسراف في البذل والجود بنفائس الأموال ، ولم يقل البحتريّ : إن عذله يردعه ، أو ٥ تعنيفه يصدّه ، وإنما قال : « لا العذل يردعه ولا التعنيف يصدّه » ، فكأنه أخبر أن ما يسمعه من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وإن كان متوجَّهاً إلى غيره فهو غير صادر له لقوة عزيمته ، وشدة بصيرته .

ومما خطأ الأمدىّ فيه البحتريّ وإن كان له فيه عذر صحيح لم يهتد إليه قوله :
 ذَنْبٌ كَمَا سَحَبَ الرَّدَاءُ يَذْبُ عَنْ عُرْفٍ وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسْبِلِ -
 ١٠ قال الأمدىّ : ” وهذا خطأ من الوصف لأنّ ذنب الفرس إذا مسّ الأرض كان عيباً فكيف إذا سحبه ! وإنما المدوحُ من الأذنان ما قرب من الأرض ، ولم يمسه كما قال امرؤ القيس :

* بِضَافٍ فُوقَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْزَلٍ (١) *

قال ” وقد عيب امرؤ القيس بقوله :

١٥ لها ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرُوسِ تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ (٢)

قال ” وما أرى العيبَ يلحق امرأ القيس ، لأن العروس ، وإن كانت تسحب أذيالها ، وكان ذنبُ الفرس إذا مسّ الأرض عيباً فليس بمنكرٍ أن يشبهه به الذنب ، وإن لم يبلغ إلى

(١) ديوانه ٤٤ ، صدره :

* كُمَيْتٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ سَدَّ فَرْجَهُ *

— استدبرته : جئت من ورائه . والضافي : الذنب الطويل الشعر . والأعزل : الذي يميل ذنبه إلى جانبه ،

وهو عادة لاختلقة ؛ وذلك عيب عندهم (٢) ديوانه : ١٣ :

أن يمسّ الأرض ، لأن الشيء إنما يشبه الشيء إذا قاربه ، أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صحّ التشبيه ولاق به .

وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط، وإنما أراد السَّبوغ والكثرة والكثافة ، ألا ترى أنه قال :

٥ * تَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ *
٥

وقد يكون الذنب طويلاً يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفاً، ولا يسد فرج الفرس فلما قال : « تسد به فرجها » علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبهه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريباً منه ، فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعب وإِنما العيب في قول البحترى: « ذنب كما سحب الرداء »، فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه .

ومثل قول امرئ القيس قول خدّاش بن زهير :

[٢٤٩]

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْهَدْيِ إِلَى جُوجُؤٍ أَيْدِ الزَّافِرِ

و - والهدى : العروس التي تُهدى إلى زوجها . والأيد : الشديد . والزافر : الصدر، لأنها تزفر منه . قال : « يشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدى ، وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمس الأرض »

١٥

فالسيدنا أدام الله تمكينه : وللبحترى وجهٌ في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله : « مثل ذيل العروس » غير أن الأمدى لم يفتن له؛ وأول ما تقوله : إن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه في كلامه التحقيق والتحديد، فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه، وكلام القوم مبنى على التجوز والتوسع والإشارات الخفية والإيماء على المعاني تارة من بُعد، وأخرى من قرب ؛ لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاسفة وأصحاب المنطق ؛ وإنما خاطبوا من يعرف ٢٠ أوضاعهم ويفهم أغراضهم .

وإنما أراد البحترى بقوله : « ذنب كما سحب الرداء » المبالغة في وصفه بالطول والسبوغ وأنه قد قارب أن ينسحب ، وكاد يمس الأرض . ومن شأن العرب أن تجرى على الشيء الوصف الذى قد كان قد يستحقه ، وقرب منه القرب الشديد فيقولون : قد قتل فلان أهوى فلانة ، ودله (١) عقله ؛ وأزال تمييزه وأخرج نفسه ، وكل ذلك لم يقع وإنما أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة والمشاركة ؛ ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى .

ومن شأنهم أيضا إذا أرادوا المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا ؛ فيشبهون الكفل بالكثيب وبالذغص وبالتل ، ويشبهون الخضر بوسط الزنبور ، وبمقدار (٢) حلقة الخاتم ، ويمدّون هذا غاية المدح وأحسن الوصف ، ونحن نعلم أننا لو رأينا من خصره مقدار وسط الزنبور ، وكفله كالكثيب العظيم لاستبعدناه واستهجننا صورته لنكارتها وقبحها ، وإنما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقا ، لا لتحمل على ظواهرها تحديداً وتحقيقاً ؛ بل ليفهم منها الغاية المحمودة ، والنهاية المستحسنة ، ويترك ما وراء ذلك ، فإننا نفهم من قولهم : خصرها [٢٤٩] كخضر الزنبور أنه في نهاية الدقة المستحسنة في البشر ، ومن قولهم / : كفّلها كالكثيب أى أنه في نهاية الوثارة المحمودة المطلوبة ، لأنه كالتل على التحقيق ؛ فهكذا لانكر أن يريد البحترى بقوله : « كما سحب الرداء » أنه في غاية الطول المدوح ، لا أنه ينجرّ على الأرض الحقيقة ، ووكنا في نحايس معناه وتفصيله إلى العادة الجارية لنظرائه من الشعراء في استعمال مثل اللفظ الذى استعمله ؛ وقد قال بعضهم في ثقل المعجزة :

تَمْشِي فَتُثْقَلُهَا رَوَادِفُهَا فَكَأَنَّهَا تَمْشِي إِلَى خَلْفِ
وقال المؤمل :

مَنْ رَأَى مِثْلَ حَبَّتِي تُشْبَهُ الْبَدْرَ إِذْ بَدَأَ
تَدْخُلُ الْيَوْمَ نَمَّ تَدْ خُلُّ أَرْدَافُهَا غَدَا

وقال ذو الرمة :

وَرَمَلٍ كَأَوْزَاكِ الْعَدَارَى قَطَعْتَهُ وَفَدُ جَلَلَتُهُ الْمُظْلِمَاتُ الْحَنَادِسُ

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش : ووله » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بمقدار » .

وهذا كلامٌ لو أُحْمِلَ على ظاهره وحقيقته لكان الموصوفُ به في نهاية القبح؛ لأن مَنْ يمشى إلى خلف، ومَنْ يدخلُ كَفْلَهُ بمدّه لا يكون مستحسناً.

وقال بكر بن النطاح:

فَرَعَاءُ تُسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَعْرَهَا (١) وَتَغِيبُ فِيهِ وَهُوَ جَشِلٌ أُسْحَمُ
فَكَأَنَّهَا فِيهِ نَهَارٌ مَشْرُقٌ (٢) وَكَأَنَّهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلِمٌ

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها، ونحن نعلم أن طول الشعر - وإن كان مستحسناً - فليس إلى هذا الحد؛ وإنما أراد بقوله: « تسحب شعرها » ما أراد به حتى يقوله: « كما سحب الرداء » من المبالغة في الوصف بالطول المحمود دون المذموم.



(١) م: « فرعها ». (٢) م: « ساطع ».

مَجْلِسُ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا، لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ؛ [مریم : ۳۸] .

فقال : متأويلُ هذه الآية ؟ فإن كان المراد بها التعجب من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم ؛ [۲۴۸] فكيف يطابق ما خبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب / بأنهم لا يبصرون ولا يسمعون ٥ وأن على أسماعهم وأبصارهم غشاوة ؟ وما معنى قوله تعالى : ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ؟ أى يوم هو اليوم المشار إليه ؟ وما المراد بالضللال المذكور ؟ .

الجواب ، قلنا : أمّا قوله تعالى : ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ ؛ فهو على مذهب العرب في التعجب ؛ ويجرى مجرى قولهم : ما أسمعه ! وما أبصره ! والمراد بذلك الإخبار عن قوة

علومهم بالله تعالى في تلك الحال ؛ وأنهم عارفون به على وجه الاعتراض للشبهة عليه ؛ وهذا يدلُّ على أن أهل الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ؛ ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات

التي أخبر عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون ؛ وبأن على أبصارهم غشاوة ؛ لأن تلك الآيات تنازلت أحوال التكليف ، وهي الأحوال التي كان الكفار فيها ضللاً عن الدين ، جاهلين بالله تعالى وصفاته . وهذه الآية تنازلت يوم القيامة ؛ وهو المعنى بقوله تعالى : ﴿يَوْمَ

يَأْتُونَنَا﴾ ؛ وأحوال يوم القيامة لا بد فيها من المعرفة الضرورية . وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى : ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ن : ۲۲] .

فأما قوله تعالى : ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فيحتمل أن يريد تعالى بقوله : ﴿الْيَوْمَ﴾ الدنيا وأحوال التكليف ؛ ويكون الضلال المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والمدول عن الحق ، فأراد تعالى أنهم في الدنيا جاهلون ، وفي الآخرة عارفون ؛ بحيث لا تنفعهم المعرفة . ويحتمل أن يريد تعالى باليوم يوم القيامة ؛ ويعنى تعالى

«بالضلال» المدول عن طريق الجنة ودار الثواب إلى دار العقاب؛ فكأنه تعالى قال: أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا؛ غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب؛ ويمدّل بهم عن طريق الثواب .

وقد روى معنى هذا التأويل عن جماعة من المفسرين فروى عن الحسن في قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ قال: يقول تعالى: هم يوم القيامة سمعاء بصراء؛ ٥ لكن الظالمون اليوم في الدنيا ليسوا سمعاء وبصراء؛ ولكنهم في ضلال عن الدين مبين .

وقال قتادة وابن زيد: ذلك والله يوم القيامة؛ سمعوا حين لم ينفع السمع، وأبصروا

[٢٤٨]

حين لم ينفعهم / البصر .

وقال أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاماً جيداً، قال: ” معنى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾

ما أسمعهم! وما أبصرهم! وهذا على طريق المبالغة في الوصف؛ يقول: فهم يوم يأتوننا أي يوم القيامة ١٠ سمعاء بصراء؛ أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين، أي جهل واضح“ . قال:

” وهذه الآية تدلّ على أن قوله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ، [البقرة: ١٧١]

ليس معناه الآفة في الأذن، والعمى والجوارح؛ بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة، ولا يتدبرون ما يسمعون، ولا يعتبرون بما يرون؛ بل هم عن ذلك غافلون؛ فقد نرى أن الله تعالى

جمل قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ مقابلاً لقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾، أي ما أسمعهم! وما أبصرهم! فأقام تعالى السمع والبصر مقام الهدى؛ إذ جملة بإزاء الضلال المبين“ .

وأما أبو علي بن عبد الوهاب فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه، ونحن نحكي

كلامه على وجهه، قال: ” وعن بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي أسمعهم وبصرهم وبين

لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن الجنة وعن الثواب ٢٠ الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين توعدّهم الله بالمذاب في ذلك اليوم“ .

ويجوز أيضاً أن يكون عني بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾، أى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم؛ ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم، فيؤمنوا بهم، ويقتمدوا بأعمالهم. وأراد بقوله تعالى ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ﴾ لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم؛ وهو يعنى يوم القيامة فى ضلالٍ عن الجنة، وعن نيل الثواب، مبین.

٥ وهذا الموضوع من جملة المواضع التى استدركت على أبى على، وينسب فيها إلى الزلل؛ لأن الكلام وإن كان محتملاً لما ذكره بعض الاحتمال من بُعد، فإن الأولى والأظهر فى معنى ما تقدم ذكره من المبالغة فى وصفهم. وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بعد ما تقدم لا يليق إلا بالمعنى الذى ذكرناه؛ لاسيما إذا حمل اليوم على أن المراد به يوم القيامة؛ على أن أبى على جعل قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ من صلة قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ وتأوله على أن المعنى به أعلمهم وبصرهم [٢٤٩] / بأنهم يوم القيامة فى ضلال عن الجنة. والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأول وأن قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ﴾ استثناف لكلام ثان.

وما يحتاج أبو على إلى هذا؛ بل لو قل على ما اختاره من التأويل أنه أراد أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا أى ذكرهم بأهواله، وأعلمهم بما فيه؛ ثم قال مستأنفاً. ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ لم يحتج إلى ما ذكره؛ وكان هذا أشبه بالصواب.

فأما الوجه الثانى الذى ذكره فباطل، لأن قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى بقى قوله ﴿يَوْمَ يَأْتُونََنَا﴾ بلا عامل^(١) ومحال أن يكون ظرف لاعامل له؛ فالأقرب والأولى أن يكون على الوجه الأول مفعولاً.

ووجدت بعض من اعترض على أبى على يقول راداً عليه: لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو على لوجب أن يقول تعالى: أسمعهم وأبصرهم بغير باء، وهذا الرد غير صحيح؛ لأن

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «لا علاقة له بذلك».

الباء في مثل هذا الموضع غير منكر زيادتها ؛ وذلك موجود كثير في القرآن والشعر؛ قال الله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ؛ [العلق : ٩٦] ، ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ؛ [الإنسان : ١] ، ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم : ٢٥] ، ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَّةِ ﴾ ؛ [المتعنة : ١] .

وقال الأعشى :

ضَمِنْتَ بَرِّزْقٍ عِيَالِنَا أَرْمَاخُنَا

وقال امرؤ القيس :

هَصَرْتُ بَغُضْنٍ ذِي شَمَارِبِيخٍ مَيَّالٍ^(١)

وأظنّ أبا عليّ إنّما أنسه بهذا الجواب أنه وجد تاليا للآية لفظ أمرٍ ؛ وهو قوله تعالى :

﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ ، فحمل الأول على الثاني ؛ والكلام لاتشبهه معانيه من حيث ١٠ المجاورة ؛ بل الواجب أن يوضع كلّ منه حيث يقتضيه معناه .

قال: المرتضى وجدت جماعة من أهل الأدب يستبعدون أن يُرتج على إنسان في خطبة أو

كلام قصده له، فينبعث منه في تلك الحال كلام هو أحسن ممّ قصد إليه؛ وأبلغ ممّا أرتج عليه دونه

ويقولون : إنّ النسيان لا يكون إلا عن حيرة وضلالة ؛ فكيف يجتمع معهما البراعة الثاقبة،

والبلاغة الماثورة ؛ مع حاجتهما إلى اجتماع الفكرة وحضور^(٢) الذكر ! وينسبون جميع ١٥

ما يحكي من كلام مستحسن ، ولفظٍ مستغرب^(٣) عن حصر في خطبة أو في منطوق إلى أنه

موضوع مصنوع .

(١) ديوانه : ١٩ ؛ وصدره :

* فلما تنازعنا الحديثَ وأسمحتُ *

تنازعنا : تماطينا . أسمحت : لانت وانقادت . ؛ ويريد بالشارخ هاهنا خصائل الشعر ؛ وأصل

الشارخ : النسن .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « حصول » . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « مستعذب » .

[٢٤٩] ^ظ / وليس الذي استبعدوه وأنكروه ببعيد ولا منكر ، لأن النسيان قد يخص شيئاً دون شيء ، ويتملق بجهة دون جهة ، وهذا أمرٌ متعارف ، فلا ينكر أن ينسى الإنسان شيئاً قصده وعزم على الكلام فيه ، ويكون مع ذلك ذا كراً لغيره ، متكلماً فيه بأبلغ الكلام وأحسنه ، بل ربما كان الحصر والذهاب عن القصد يحميان القريحة ، ويوقدان الفكرة ، ويبعثان على أحسن الكلام وأبرعه ، ليكون ذلك هرباً من العيِّ وانتفاءً من اللُّكنة .

ومن أحسن ما روي من الكلام وأبرعه في حال الحصر والانقطاع عن المقصود من الكلام ما أخبرني به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم . قال المرزباني : وأخبرنا ابن دريد مرة أخرى قال : حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي قال : صعد خالد بن عبد الله القسري^(١) يوماً المنبر بالبصرة فأرتج عليه ، فقال : «أيها الناس ، إن الكلام - وقال أبو حاتم : إن هذا القول - يجيء أحياناً ، ويذهب أحياناً ، فيتسبب عند مجيئه سببه ، ويعز عند عزوبه طلبه ، وربما كوبر فأتى ، وعولج فأبطأ - وقال ابن الكلبي : ربما طُلب فأبى ، وعولج فقسا - فالتأتى لجيئه أصوب من التعاطى لأبيه» . ثم نزل . فما روى حصر أبلغ منه .

وقال أبو حاتم : « والتَّرك لأبيه أفضل من التعاطى لجيئه ، وتجاوزُه عند تمززه أولى من طلبه عند تنزُّحِه ؛ وقد يحتاج من الجري جفانه ، ويُرْتج على البليغ لسانه » ، ثم نزل .

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني على وجه آخر قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال : كان خالد بن عبد الله القسري حين ولّاه هشام بن عبد الملك يُسكّر الخطب والتبائع ، فقدم واسطاً ، فصعد المنبر فحاول الخطبة فأرتج عليه ، فقال : «أيها الناس ، إن هذا الكلام يجيء أحياناً ويمزب أحياناً ، فيعز عند عزوبه طلبه ؛ ويتسبب عند مجيئه سببه ، وربما كوتر فأتى ، وعوسر فقسا ، والتأتى لجيئه أسهل من التعاطى لأبيه ؛ وتركه عند تمززه^(٢) أحمد من طلبه

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : «القسري» : منسوب إلى قسر ، وهي قرية من قرى العرب .

(٢) ف : «تمززه» .

عند تنكّره ، فقد يُرْتَجُّ على اللّسن لسانه ، فلا ينظره القول إذا اتسع ، ولا ينشأ إذا امتنع ،
ومن لم تمكّن له الخطوة ، فخليق أن تمنّ له النبوة» .

وأخبرنا المرزبانيّ قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثني أبو العباس
المنصوريّ قال: صعد أبو العباس السفّاح/ المنبر فأرّج عليه فقال: «أيها الناس، إنّما اللسان [٢٥٠] ^و
بضعة من الإنسان ، يكلّ إذا كلّ ، وينفسح بانفساحه إذا انفسح ، ونحن أمراء الكلام، منّا
تفرّعت فروعه ، وعلينا تهدّلت غصونه ، ألا وإنا لانتكلم هذرا؛ ولا نسكت إلا معتبرين» .
ثم نزل .

فبلغ ذلك أبا جعفر فقال: لله هو ! لو خطب بمثل ما اعتذر لكان من أخطب الناس .
وهذا الكلام يُروى لداود بن علي .

وبهذا الإسناد عن محمد بن الصباح عن قُثم بن جعفر بن سليمان عن أبيه قال : أراد ١٠
أبو العباس السفّاح يوماً أن يتكلم في أمرٍ من الأمور بعد ما أنضت الخلافة إليه ، وكان فيه
حيلاً مفرطاً فأرّج عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمّد الله وأثنى عليه :
إن أمير المؤمنين ، الذي قلّده الله سياسة رعيته عقل من لسانه عند ما تمهدّ من
بيانه ، ولكل مرّ تقبّهز ، حتى تُففسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ،
ورغد عيشكم» .

١٥

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال أخبرنا إبراهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا
عبدالله بن إسحاق بن سلام قال: صمّد عثمان بن عفان المنبر فأرّج عليه فقال: «أيها الناس،
سيجعل الله بعد عسر يسراً ، وبعد عيّ نطقاً ، وإنكم إلى إمامٍ فعّالٍ أحوج منكم إلى
إمامٍ قولٍ» .

وروى محمد بن يزيد النحويّ هذا الكلام بعينه عن زياد بن يزيد بن أبي سفيان (١) وقد ٢٠

(١) من نسخة مجاشبي الأصل ، ف : « يزيد بن أبي سفيان » ؛ وفيهما أيضاً . « يزيد بن
أبي سفيان يقال له : يزيد الخير ؛ واستعمله أبو بكر على الشام ، ثم أقره عمر بعده ؛ ومات بالشام وهو
حامل عمر في طاعون عمواس في سنة ثمان عشرة ؛ فولى عمر أخاه معاوية ما كان يليه ، ولا عقب له .

خطب على بعض منابر الشام وإن عمرو بن العاص لما بلغه كلامه قال : هنّ مخرجاتي من الشام ؛ استحسانا لكلامه .

وروى محمد بن يزيد النحويّ قال : بلغني أن رجلا صعِد المنبر أيام يزيد - وكان والياً على قوم - فقال لهم : «أيها الناس ، إني إلّا أكن فارساً طبعاً بهذا القرآن فإن معي من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفاً منه ، وما أساء القائل أخو البراجم^(١) حيث يقول :

وما عاجلاتُ الطيرِ يُدنينَ للفَتَى رشاداً ، ولا من ربهنَّ ينجيب^(٢)
 ورُبَّ أمورٍ لا تضيرُكَ ضيرةً وللقلبِ من مخشأتهنَّ وجيب^(٣)
 ولا خيرَ فيمن لا يُوطنُ نفسهُ على حادثاتِ الدهرِ حين تنوب^(٤)
 وفي الشكِّ تفریطٌ ، وفي الحزمِ قوّةُ ويُخطئُ الفتى في حدسه ويصيب^(٥)

[٢٥٠] / فقال له رجل من كلب : إن هذا المنبر لم ينصب للشعر ، بل ليحمد الله عليه ويصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وللقرآن ، فقال : أما لو أنشدتكم شعر رجل من كلب لسرّكم ، فكُتِب إلى يزيد بذلك فمزله ، وقال : قد كنت أرى أنك جاهل ، ولم أحسب أن الحق بلغ بك هذا كلّهُ ، فقال له : أحق مني من ولائي .

(١) الأبيات في الكامل ٣ : ٢٠١ - بشرح الرصني ؛ ونسبها إلى ضابن بن الحارث البرجمي ؛

وقبلها :

ومن يك أمسى بالمدينة رحلهُ فإني وقيارا بها لغريب
 (٢) رواية الكامل :

وما عاجلاتُ الطيرِ تُدني من الفتى نجاحاً ولا عن ربهنَّ ينجيبُ

قال البرد في شرح البيت : " يقول : إذا لم تعجل له طير سانحة فليس ذلك بمبعد خيرا عنه ، ولا إذا أبطأت خاب ؛ فمناجها لا يأتيه بخير ، وآجها لا يدنعه عنه إنعاله ما قدر له ؛ والعرب تزجر على الساخ وتبرك به ، وتكره البارح وتتشام به ؛ والساخ ما أراك ميامنه فأمكن الصائد ، والبارح ما أراك مياسره فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له " . (٣) الخشاة كالخشبة : مصدر خشية يخشاه ، ووجيب القلب : خفقاته واضطرابه . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « حيث تنوب » . (٥) وبمده :

ولست بمستبقٍ صديقاً ولا أخاً إذا لم تعدّ الشيء وهو يريبُ

وكان يزيد بن المهلب^(١) ولي ثابت قطنه بعض قرى خراسان ، فصعد المنبر فحصر
فنزل وهو يقول :

فإلاً أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبُ
فقيل: لوقلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس ؛ فبلغ ذلك حاجب^(٢) الفيل فقال :
أبا العلاء لقد لاقيت مُعْضِلَةً يومَ العروبةِ من كَرَبٍ وتَحْنِيقِ
أما القرآنُ فلا تُهدِي لِجُحْمِهِ ولم تُسدِّدْ مِنَ الدُّنْيَا بِتَوَفِيقِ
لَمَّا رَمَتَكَ عِيُونَ النَّاسِ هَبِّبَهُمْ وكِدَّتْ تَشْرَقُ لَمَّا قُمْتَ بِالرِّيقِ
تَلَوِي اللِّسَانَ إِذَارُمْتَ الكَلَامَ بِهِ كما هَوَى زَلِقٌ من حَالِقِ نِيقِ^(٣)

وروي أن بعض خلفاء بني العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت ذبابة

على وجهه فطردها ، فعادت فحصر وأرتج عاينه ، فقال : أعوذ بالله السميع العليم : ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ، إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا
وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْأَلُهمُ النَّاسُ أَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ شَيْئًا لَيَسْتَفْتِيَهُمْ مِنْهُ ، وَهُمْ
لَا يَسْتَفْتِيهِمْ مِنْهُ ، ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ [الحج : ٧٣] ، ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

ومما يشا كل هذه الحكاية ما حكاه عمرو بن بحر الجاحظ قال : " كان^(٤) لنا بالبصرة

قاضي يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قطاً [ولا زميتاً]^(٥) ، ولا ركيناً^(٦) ،
ولا وقوراً ، ضببط من نفسه ، وملاك من حركته مثل الذي ضببط وملاك ؛ وكان يصلي الغداة

(١) الخبر في الأغاني ١٣ : ٤٧-٤٨ . (٢) اسمه حاجب بن دينار المازني ؛ ذكره الجاحظ

في الحيوان ١ : ١٩١ ، والبيتان ٢ : ١٨٣ .

(٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « من جاني نيق » . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ،

ف أيضاً : « من جانب النيق » ، والنيق : أعلى الجبل .

(٤) الحيوان ٣ : ٣٤٣ ، ونقله الثعالبي في ثمار القلوب ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٥) زيادة من م ؛ وهي توافق مافي الحيوان والزميت ، كسكيت العظيم الوقار . (٦) الركين : الرزين .

في منزله وهو قريب الدار من مسجده ، فيأتي مجلسه ، فيحتبي ولا يتكبي ، ولا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ، ولا يلتفت ، ولا تحل حبوته^(١) ، ولا يحول رجلا عن رجل ، ولا يعتمد على أحد شقيقه ، حتى كأنه بناء مبنّى أو صخرة منصوبة ؛ فلا يزال كذلك ؛ حتى يقوم لصلاة الظهر ، ثم يعود إلى مجلسه ، فلا يزال كذلك / حتى يقوم لصلاة العصر ، ثم يرجع إلى مجلسه^(٢) ، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب ، ثم ربما عاد إلى مجلسه^(٣) ، بل كثيراً ما يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوثائق ، ثم يصلي العشاء^(٤) وينصرف ، لم يقيم في تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء ، ولا احتاج إليه ، ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب ، وكذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها ، وفي صيفها وشتائها ، وكان مع ذلك لا يحرّك يداً^(٥) ، ولا يشير برأسه ؛ وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ؛ ويبلغ بالكلام اليسير ١٠ المعاني الكثيرة .

فبينما هو ذات يوم كذلك ، وأصحابه حوله^(٦) وفي السماطين^(٧) بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب ، فأطال السكوت والمكث ، ثم تحوّل إلى مؤق^(٨) عينه ؛ فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضته ، ونفأذ خرطومه ؛ كما رام الصبر على سقوطه على أنفه ، من غير أن يحرّك أرنبته ، أو يُغضّ وجهه ؛ أو يذبّ بإصبعه ؛ فلما طال عليه ذلك من الذباب وأوجمه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يمتثل التغافل عنه أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعا ذلك إلى أن ولى بين الإطباق والفتح ؛ فتنحى ريثما سكن جفنه .

ثم عاد إلى موقفه^(٩) نانيا ، أشد من مرته الأولى ، فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك ، فكان احتمال له أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى ، فحرّك أجفانه ، وزاد

(١) الحبوّة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقه بهامة ونحوها .

(٢) الحيوان : « مجلسه » . (٣) الحيوان : « إلى محله » .

(٤) في ثمار القلوب : « العشاء الأخير » . (٥) الحيوان : « يده » .

(٦) م : « حوالية » ؛ وهي رواية الحيوان . (٧) السماط : الصف .

(٨) المؤق : طرف العين ممالي الأنت . (٩) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « موقه »

في شدة الحركة^(١) في تتابع الفتح والإطباق ، فتنجى عنه بقدر ما سكنت حركته ، ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يُبَلِّغُ عليه حتى استفرغ جهده^(٢) ، وبلغ مجهوده ، فلم يجد بُدًّا من أن يذبَّ عنه بيده ، ففعل ذلك وعيون القوم إليه يرمقونه ، كأنهم لا يروونه ، فتنجى عنه بمقدار ما ردَّ يده ، وسكنت حركته ، ثم عاد إلى موضعه ؛ فألجأه إلى أن يذبَّ عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن ذلك كله بعين من حضر من أمثائه وجلسائه ، فلما نظروا إليه قال : أشهد أن الذباب ألج^(٣) من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ، وأستغفر الله فما أ أكثر من أعجبته نفسه ، فأراد الله أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا . وقد علمتُ أني كنتُ / عند الناس من أرسن الناس ، وقد غلبني وفضحني أضعفُ خلق الله ، ثم تلا قول [٢٥١]
الله تعالى : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .



(١) الحيوان : « في فتح العين وتتابع الفتح » . (٢) م : « صبره » . وهي رواية الحيوان وثمار القلوب . (٣) في السمار : « ألح » ، بالخاء .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾؛ [البقرة: ٤٩] .

فقال : ما تُنكرون أن يكون في هذه الآية دلالة على إضافة الأفعال التي تظهر من العباد إليه تعالى ، من وجهين : أحدهما أنه قال بعد ما تقدم من أفعالهم ومعاصيهم: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ فأضافها إلى نفسه ، والثاني أنه أضاف نجاتهم من آل فرعون إليه فقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ﴾ ، ومعلوم أنهم هم الذين ساروا حتى نجوا؛ فيجب أن يكون ذلك السير من فعله على الحقيقة حتى تصح الإضافة .

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ فهو إشارة إلى ما تقدم ذكره من إنجازهم لهم من المكروه والعذاب : وقد قال قوم : إنه معطوف على ما تقدم من قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ كُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾؛ [البقرة: ٤٧] ، والبلاء هاهنا الإحسان والنعمة .

ولاشك في أن تحليصه لهم من ضرور المكروه التي عددها الله نعمة عليهم وإحسان إليهم ؛ والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ، ويكون سيئاً ، قال الله تعالى : ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧] ؛ ويقول الناس في الرجل إذا أحسن القتال والثبات في الحرب : قد أبلى فلان ، ولفلان بلاء ؛ والبلى أيضاً قد يستعمل في الخير والشر؛ إلا أن أكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير ، والبلى المقصور في السوء

والشر ، وقال قومٌ : أصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ، ثم يستعمل في الخير والشر ؛ لأن الاختبار والامتحان قد يكون في الخير والشر جميعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَبَلَّوْا نَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، يعنى اختبرناهم ، وكما قال تعالى : ﴿ وَبَلَّوْا كُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [الأنبياء : ٣٥] ، فالخير يسمى بلاء ، والشر يسمى بلاء ؛ غير أن الأكثر في الشر أن يقال : بلوته أبلوه بلاءً ، وفي الخير : أبلتته أبلية إبلاء وبلاء ؛ وقال زهير في البلاء الذي هو الخير :

/ جَزَى اللهُ بِالْإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ وَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُوُ (١)

[٢٥٢]

١٠ و
فجمع بين اللغتين ، لأنه أراد : فأنعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده . وكيف يجوز أن يضيف تعالى ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الأبناء وغيره إلى نفسه ، وهو قد ذمهم عليه ، ووبخهم ! وكيف يكون ذلك من فعله ؛ وهو تعالى قد عدّ تخليصهم منه نعمةً عليهم ! وكان يجب على هذا أن يكون إنما نجاهم من فعله تعالى بفعله ، وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل ؛ على أنه يمكن أن ترد قوله : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إلى ما حكاه عن آل فرعون من الأفعال القبيحة ؛ ويكون المعنى : في تخليصه بين هؤلاء وبينكم ، وتركه منكم من إيقاع هذه الأفعال بكم بلاءً من ربكم عظيم ؛ أي محنة واختبار لكم .

١٥ والوجه الأول أقوى وأولى ، وعليه جماعة من المفسرين .

وروى أبو بكر الهذلي عن الحسن في قوله تعالى : ﴿ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ ، قال : نعمة عظيمة ؛ إذ أنجاكم من ذلك ؛ وقد روى مثل ذلك عن ابن عباس والسُّدِّي ومجاهد وغيرهم .

فأما إضافة النجاة إليه وإن كانت واقعةً بسيرهم وفعالهم ؛ فلو دلّ على ما ظنوه لوجب إذا قلنا : إن الرسول أنقذنا من الشك ، وأخرجنا من الضلالة إلى الهدى ، ونجّانا من الكفر أن يكون فاعلاً لأفعالنا .

وكذلك قد يقول أحدنا لغيره : أنا نجيتك من كذا وكذا ، واستنقذتك وخلصتُك ،

(١) ديوانه : ١٠٩ ؛ والرواية فيه : « رأى الله بالإحسان ... » ، وهي رواية الأصمعي .

ولا يريد أنه فعل بنفسه فعله . والمعنى في ذلك ظاهر ؛ لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته ومعونته وألطافه قد يصح إضافته إليه فعلمى هذا صحت إضافة النجاة إليه تعالى .

ويمكن أيضاً أن يكون مضميفاً لها من حيث تَبَطَّ عنهم الأعداء ، وشغلهم عن طلبهم ؛ وكل هذا يرجعُ إلى المعونة ؛ فتارة تكون بأمر يرجع إليهم ، وتارة بأمر يرجع إلى أعدائهم .

فإن قيل : كيف يصحّ أن يقول : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ ﴾ فيخاطب بذلك مَنْ لم يدرك فرعون ولا نجاً من شره ؟

قلنا: ذلك معروف مشهور في كلام العرب ؛ وله نظائر ؛ لأن العربي قد يقول مفتخراً على غيره : قتلناكم يوم عُكَاظ^(١) وهزمنناكم ؛ وإنما يريدُ أن قومي فعلوا ذلك بقومك .

قال الأخطل يهجو جرير بن عطية :

١٠ / ولقد سألكم الهديلُ فنالكم / بإرَابٍ حيثُ يُقسَمُ الأنفالاً^(٢) [٢٥٢] ظ

في فيلقٍ يدعُو الأراقِمَ لم تكنُ / فرسانُهُ عُزلاً ولا أكفالا^(٣)

ولم يلحق جرير الهديل ؛ ولا أدرك اليوم الذي ذكره ؛ غير أنه لما كان يوم من أيام قوم الأخطل على قوم جرير، أضاف الخطاب إليه وإلى قومه ؛ فكذلك خطاب الله تعالى بالآية

١٥ إنما توجه إلى أبناء من نجّى من آل فرعون وأحلافهم . والمعنى : وإذ نجينا آباءكم وأسلافكم ؛ والنعمة على السلف نعمة على الخلف .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : «عكالا : سوق للعرب معروفة كانوا يجتمعون فيها فيتفخرون . .

(٢) ديوانه ٤٨ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الهديل بن هبيرة التغلبي ، وكان غزابي رباح يوم

إراب ؛ وإراب اسم ماء . (٣) الأراقم : قبائل معروفة ، والعزل : الضغفاء والأكفال : جمع كفل ،

وهو الذي لا يثبت على ظهور الخيل ؛ ومثله قول الشاعر :

ما كنت تلقى في الحروبِ فوارسي ميلاً إذا ركبوا ولا أكفالا

قال سيدنا أدام الله تمكينه: ومن أحسن الشعر في تموّد الضيافة والأنس بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي :

إذا ما بَخِيلُ القَوْمِ هَرَّتْ كِلَابُهُ وشَقَّ على الضَّيْفِ الغَرِيبِ عَقُورُهَا (١)
فإني جَبَانُ الكَلْبِ ، بِنْتِي مَوَظًّا جَوَادًا إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
وإنَّ كِلَابِي مُنْذُ أُقِرَّتْ (٢) وَعُوِدْتُ قليلٌ على من يَمْتَرِينَا هَرِيرُهَا هـ
أراد بقوله :

✽ قَلِيلٌ على من يَمْتَرِينَا هَرِيرُهَا ✽

أنهالاتهم شجلة؛ ولذلك نظائر كثيرة، ومثله قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَائُومُونَ﴾؛ [البقرة: ٨٨]
ومثل قوله: «إفاني جبان الكلب» معني ولفظاً قول الشاعر:

وما يَكُ في من عَيْبٍ إفاني جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ (٣)
وإنما أراد أني أوتر الضيف بالألبان ففصالي مهازيل .

ومثل اللفظ والمعنى (٤) قول أبي وجزة :

وَأَلُّ الزُّبَيْرِ بَنُو حُرَّةٍ مَرَّوًا بِالسُّيُوفِ الصُّدُورَ الجَنَافَا (٥)

(١) ديوانه : ١١٠ ؛ والماضل والمفضول ٤٠ - ٤١ ، وفي د ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف :
« بَخِيلُ الناس » ؛ وهي راية الديوان . (٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « أقرت » ؛
بأنفج . (٣) كتاب الصناعتين ٣٥١ - والحيوان ١ : ٣٨٤ ، والحماسة بشرح المرزوقي ١٦٥٠ من
غير عزو . (٤) من أبيات ستة مذكورة في الأغاني ١٢ : ٢٥٢ (طبع دار الكتب المصرية) ؛
وكان أبو وجزة متقطعاً إلى آل الزبير ؛ وإلى عبد الله بن عروة بن الزبير خاصة ، وكان يفضل عليه ويقوم
بأمره ؛ ثم باقته أن أبا وجزة أتى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب فدحه ووصله ؛
فاطرحه عبد الله بن عروة ، وأمسك يده عنه ؛ فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزبير ويستعطف ابن
عروة ؛ وهو يشيح عنه إلى أن قال فيه هذه الأبيات ، فرضى عنه وعاد إلى صلته .
(٥) بعده .

سل الجرد عنهم وأيامها إذا امتعطوا المرهفات الخفافاً

- امتعطوا : سلوا ؛ ومنه ذئب أمعط ، منسل من شعره . -

يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ مِنْ دَابِّهِمْ وَيَعْشُونَ يَوْمَ السُّيُوفِ السِّيَافِ^(١)
وَأَجْبِنُ مِنْ صَافِرٍ كَلْبُهُمْ وَإِنْ قَدَفْتَهُ حَصَاةً أَضَافَا
يقول: أدركوا بسيوفهم ثاراتهم؛ فكأنهم شفّوا وعرّ قلوبهم، وأزالوا ما كان فيها
من الأحقاد.

٥ ومعنى «مروا» استخرجوا كما ترمى الذاقة إذا أردت أن تحملها لتدرّ. والجائف: المائل.
ثم قال: وإن مات بعضهم على فراشه فإن أكثرهم يموت مقتولا؛ لشجاعتهم وإقدامهم،
[٢٥٣] فلذلك قال: «والقتل من/ دابهم».

وَجَعَلَ كَلْبَهُمْ جَبَانًا لِكثْرَةِ مَنْ يَفْشَاهُمْ وَيَطْرُقُهُمْ مِنَ النَّزَالِ وَالْأَضْيَافِ فَقَدْ أَلْفَتَهُمْ
كَلَابَهُمْ وَأَنْسَتْ بِهِمْ؛ فَهِيَ لَا تَنْبَحُهُمْ. وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّمَا لَا تَهْرَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَا تَصِيبُ مِمَّا يَنْحَرُ
١٠ لَهُمْ وَتَشَارِكُهُمْ فِيهِ. وَمَعْنَى:

* وَإِنْ قَدَفْتَهُ حَصَاةً أَضَافَا *

أى أسفق؛ وهذا تأكيد لجبنه؛ ويقال: أضاف الرجل من الأمر إذا أسفق منه.
ومعنى «وأجبن من صافرٍ كلبهم» قد تقدم ذكره فى الأمالى.
ومثله فى المعنى:

يُعْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُ كَلَابَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبْلِ^(٢) ١٥

وقال المرار بن المنقذ العدوى:

أَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا أُنْكِرُهُ وَكَلَابِي أَنْسُ غَيْرُ عُمُرٍ^(٣)

(١) رواية الأغاني:

يَمُوتُونَ وَالْقَتْلُ دَا لَهُمْ وَيَصِلُونَ يَوْمَ السِّيَافِ السِّيَافَا

وبعد:

إِذَا فَرَجَ الْقَتْلُ عَنْ عِبْصِهِمْ أَبِي ذَلِكَ الْعَيْصُ إِلَّا التَّفَافَا

مَطَاعِيمُ تُحْمَدُ أَيْبَاتِهِمْ إِذَا قُنَّعَ الشَّاهِقَاتُ الطَّخْفَا

— قنعت: غطى رأسها. والطحاف: السحاب المرتفع. (٢) البيت لحسان؛ ديوانه ٨٠.

(٣) من قصيدة مفضلية (٨٢ - ٩٣، طبعة المعارف).

لا تَرَى كَلْبِي إِلَّا آنِسًا إن أتى خابطٌ ليلٍ لم يهر^(١)
كثُرَ النَّاسُ فما يُنْكِرُهُمْ من أسيفٍ يبتغي الخيرَ وحر^(٢)
- الأسيف : العبد هاهنا -

وقال آخر :

إلى ماجدٍ لا يَنْبَحُ الكلبُ ضَيْفَهُ ولا يتأداهُ اِحْتِمَالُ المغارِمِ^(٣)
معنى « يتأداه » يثقله ؛ وأراد أن يقول : يتأوده ؛ فقلب .

وقال ابن هرمة :

وإذا أنا طارِقٌ مُتَنَوِّرٌ نبحتَ فدَلَّتَهُ على كِلابي^(٤)
وفرحنَ إذ أبصرنهُ فَلَقِمِنَهُ يَصْرُ بِنَهُ بِشَرَّائِرِ الأَذْنَابِ^(٥)
وإيمانفرح به، لأنها قد تعودت إذا نزلت الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم . ١٠

ومثله له :

ومُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ لَيْسَقَطُ عَنْهُ ، وَهُوَ بِالثَوْبِ مُعْصِمٌ^(٦)
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بِمَدِّ اعْتِسَافِهِ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ ، أَوْ لِيَنْزِعُ نَوْمٌ^(٦)
فجاوبه مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقَرَى لَهُ مَعَ إِتْيَانِ المُهَبِّينَ مَطْعَمٌ

(١) خابط ليل : ضيف يسير على غير هدى . (٢) البيت في اللسان (أود) من غير نسبة .

(٣) البيتان في الخزانة ٤ : ٥٨٤ . (٤) حاشية الأصل : « شرشر الذئب : ذبذبه ؛ وهي

ماتدل من شعر ذئبه » ، ويقال : شرشر السكلب ؛ إذا ضرب بذئبه .

(٥) حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٤ - ١٣٦-١٣٧ ، والحيوان ١ : ٣٧٧ ، والفاضل للبرد

٣٧-٣٨ ، من غير عزو ، والخزانة ٤ : ٥٨٤ . وكشط واستكشط بمعنى ، والمعصم : المستمسك بالشيء .

(٦) الاعتساف : السير على غير هدى .

يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ ، وَهُوَ أَعْجَمٌ

أراد بقوله: « فجاوبه مستسمع الصوت » أنه جاوبه كلب . والمهشون : الموقظون له

[٢٥٣] ولأهله وهم / الأضياف ؛ وإنما كان له معهم مطعم ، لأنه ينجر لهم ما يصب منه .

وأراد بقوله :

* يَكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ *

بصبصته وتحريكه ذنبه .

وأما قوله : « ليفزع نوّم » فإنما أراد لِيُعِين^(١) نوم ، يقال : فزعت لفلان إذا أعنته^(٢) .

ومعنى « عوى فى سواد الليل » أن العرب تزعم أن سارى الليل إذا أظلم عليه وادلهم

فلم يستبِنُ محجةً ، ولم يدر أين الحِلَّةُ وضع وجهه على^(٣) الأرض ، وعوى عواء الكلب

١٠ لتسمع^(٤) ذلك الصوت الكلاب إن كان الحى قريباً منه فتجيبه ، فيقصد الأبيات . وهذا معنى

قوله أيضاً : « ومستنبح » ، أى ينبح نباح الكلاب^(٥) .

(١) حاشية الأصل ، ف (من نسخة) : « ليغيث » . (٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف :

« أعنته » . (٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مع الأرض » .

(٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « لتسمع » . (٥) حاشية الأصل : « مما يناسب هذا

الفن قول امرأة من بنى عامر ترى رجلاً :

أيا شجرات الوادِ مَنْ بَضَمَ الْقِرَى إذا لم يَكُنْ بالوادِ عمرو بن عامر

فتى جعفرى كان غير ميامن طريق الندى عنه وغير ميامن

ولكن إليه قصد كل محصب صبور على مستصعبات الجرائر

ومستنبح تزهى الصبا عنه ثوبه تقلبه الأرواح بين الدياجر

يجاوبه كلبان ، والليل مُسَدِفٌ يكادان يبتدانه بالشرائر

يكادان من وجد به وتملق يقولان : أهلا بالكل المسافر

— قولها « يبتدانه » ، أى يأتيناه من جانبه يتبصبان ويقال : السبعان يبتدان الرجل ابتداداً ، أى

يأتيناه ، والرضيمان يبتدان أمهما ، ولا تقل : فلانة يبتدها إنها حتى يكونا اثنين .

وقال الفرزدق :

وَدَاعٍ بَلَّحْنَ الكَلْبِ يَدْعُو وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ سَجْفًا ظُلْمَةً وَغِيُومَهَا (١)
دَعَا وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَنْبَهُ إِذْ دَعَا فَتَى كَابِنٍ لَيْلَى حِينَ غَارَتْ نُجُومَهَا
- ابن ليلى ، معنى أباه غالباً -

بَمَثُ لَهُ دَهَاءٌ لَيْسَتْ بِلِقْحَةٍ (٢) تَدِرُّ إِذَا مَاهَبَ نَحْسًا عَقِيمُهَا ٥
معنى « بمث له دهاء » أى رفعتها على أنافيتها ؛ ومعنى بالدهاء القدر . واللقحة : الناقة ؛
وأراد أن قدره تدير إذا هبت الريح عقيمًا لامطر فيها -

كَأَنَّ المَحَالَ (٣) الغُرِّ فِي حَجْرَاتِهَا عَذَارَى بَدَتْ لَمَّا أُصِيبَ حَمِيمُهَا
- أراد أن قطع اللحم لانستتر منها (٤) بشيء ؛ كما لانستتر العذارى اللواتى أصيب حميمهنَّ

١٠ فيظهن حواسر -

غَضُوبًا كَحِزُومِ النَّمَامَةِ أُحْمِشَتْ بِأَجْوَازِ خُشْبٍ زَالَ عَنْهَا هَشِيمُهَا (٥)
- الأجواز : الأوساط ، وأوسط الخشب أصله وأبقى ناراً -

مُحَضَّرَةً لَا يُجْمَلُ السِّتْرُ دُونَهَا إِذَا المَرْضِعُ العَوْجَاءُ جَالَ بِرِيمِهَا
- البريم : الحقاب (٦) ؛ وإنما يجول من الهزال والجهد والطوى . والعوجاء : التى قد

١٥ اعوجت من الطوى .

وقال الأخطل فى الضيف :

دَعَانِي بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فَأَجَابَهُ مُنَادٍ بِلَا صَوْتٍ ، وَآخِرُ صَيِّتٍ (٧)

(١) ديوانه : ٨٠٣ ؛ والرواية فيه :

وداعٍ ينبح الكلب يدعو ودونه غياطل من دهاء داج بهيمها

(٢) الديوان : « بناقة » . (٣) المحال : القطع . (٤) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فيها » .

(٥) هذا البيت والنزى يليه لم يذكر فى الديوان . (٦) الحقاب : شئ يحلى تشده المرأة على

وسطها . (٧) الخزانة ٤ : ٥٨٤ .

ذكر ضيفا عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه ؛ فذلك معنى قوله : « بصوت واحد » ،
 وقوله : « فأجابه مناد / بلا صوت » ، يعنى ناراً رفعها له فرأى سناها فقصدها ،
 والآخر الصيت الكلب ، لأنه أجاب دعواه . [٢٥٤]

ومثله :

وَسَارِي ظَلَامٍ مُتَّفَعِلٌ وَهَبْوَةٌ دَعَوْتُ بِضَوْءٍ سَاطِعٍ فَاهْتَدَى لِيَا
 يعنى ناراً رفعها ليقصده طرّاق الليل . والمفعول : المتفعل^(١) من شدة البرد .
 وأنشد محمد بن يزيد :

وَمُسْتَنْبِحٍ تَهْوِي مَسَاقِطُ رَأْسِهِ إِلَى كُلِّ شَخْصٍ فَهُوَ لِلصَّوْتِ أَصْوَرُ^(٢)
 حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكِرَامِ مَنَاخُهُ بَغِيضٌ إِلَى الْكَوْمَاءِ ، وَالْكَلبُ أَعْذَرُ^(٣)
 دَعَتْهُ بِغَيْرِ اسْمٍ : هَلُمَّ إِلَى الْقَرَى فَأَسْرَى يَبْوَعُ الْأَرْضَ شَقْرَاءَ تَزْهَرُ ١٠

معنى « أصور » مائل ؛ أراد أنه يُميلُ رأسه إلى كلِّ شخص يتخيل له يظنه إنساناً .

ومعنى : « حبيب إلى قلب الكرام » المعنى الذى تقدم

ومعنى : « بغيض إلى الكوماء » إلى الناقة لأنها تنحر له .

وقوله : « دَعَتْهُ شَقْرَاءَ بِغَيْرِ اسْمٍ » يعنى ناراً رأى ضوءها فقصدها ؛ فكأنها دَعَتْهُ .

وقال ابن هرمة وقد نزل به ضيف :

فَقَلْتُ لِقَيْنِيَّ ارْفَعَاها وَحَرِّثَا لَعَلَّ سَنَا نَارِي بَأْخَرَ تَهْتِفُ^(٤)

وفى معنى قوله : « بغيض إلى الكوماء » قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله

عليه وآله :

وَأَبِيكَ خَيْرًا إِنَّ إِبْلَ مُحَمَّدٍ عُزْلٌ تَمَاحُحٌ أَنْ تَهَبَّ شَمَالُ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « المتقبض » . (٢) حماسة أبي تمام - بشرح المرزباني

١٦٤٥ . (٣) ف : « أبصر » ؛ وهى رواية الحماسة . وفى حاشية الأصل : « أعذر ، أى أوعن

فى كونه معذورا فى الحب » . (٤) الفين : الخادم .

وَإِذَا رَأَيْنَ لَدَى الْفِنَاءِ غَرِيبَةً ذَرَفَتْ لَهْنٌ مِنَ الدَّمُوعِ سِجَالُ
وَتَرَى لَهَا زَمَانَ الشِّتَاءِ عَلَى الثَّرَى رَخْمًا، وَمَا تَحْيَا لَهْنًا فِصَالُ

أراد أبيك الخير، فلما طرح الألف واللام نصب . والعزل : التي لا سلاح معها ؛ وسلاح الإبل سنامها^(١) وأولادها ؛ وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ، ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها ، فلما كان ذلك صادًا عن الذبح ، وما نعامًا منه جرى مجرى السلاح لها ؛ فكأنه يقول : هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاح ؛ من حيث كانت شحيمة سميحة فهي كالعزل إذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئًا ، ولا يمنع من عقرها .

ومعنى : « تَنَآوَحُ » يقابل بعضها بعضًا ، أى هنَّ مدفآتٌ بأَسْنَمَتِهَا وأوبارها / لا تبالى [٢٥٤]

١٠

بهبوب الشمال ، ولا يدخل بعضها فى بعض من البرد .

وقوله :

* وَإِذَا رَأَيْنَ لَدَى الْفِنَاءِ غَرِيبَةً *

أى إذا نزل ضيف فمقل ناقته التي جاء عليها وهى الغريبة علمن أنه سينحدر بعضهم لاجمالة؛
فلذلك تَدْرِفُ دموعهن .

١٥

وقوله :

وَتَرَى لَهَا زَمَانَ الشِّتَاءِ عَلَى الثَّرَى رَخْمًا

فقد قيل فيه : إنه أراد به أن يهَبُ فصالهن فتبقى ألبانهن على الأرض كهيئة الرّخم .

وحكى عن ابن عباس أنه قال : الرّخم : قطع العلق من الدم .

وعندى أن المعنى غير هذين جميعاً؛ وإنما أراد أنها تنحدر وتمقر فتسقط الرّخم على موضع

عقرها وبقايا دمائها وأشلائها ؛ فهذا معنى قوله ، لا ما تقدم .

(١) د ، ف : « سمنها » .

وقال آخر في معنى سلاح الإبل يمدح بني عوذ بن غالب من عبس^(١)؛
جَزَى اللهُ عني غَالِبًا خَيْرَ ما جَزَى إِذَا حَدَّثَنَا الدَّهْرُ نَابَتْ نَوَائِبُهُ^(٢)
إِذَا أَخَذَتْ بُزْلُ المَخاضِ سَلاحَها تَجَرَّدَ فيها مُتَلِفُ المَالِ كاسِبُهُ^(٣)
أراد أن سَمَنها وحسنها وتماها لا يَمْنَعُ^(٤) من عَقْرها للأضياف .

ومثله : ٥

إِذَا البَقْلُ في أَصْلابِ شَوْلِ ابنِ مُسَهْرٍ نَمّا لَمْ يَزِدْهُ البَقْلُ إِلَّا تَكَرُّمًا
إِذَا أَخَذَتْ شَوْلُ البَخِيلِ رِماحَها دَحّا بِرِماحِ الشَّوْلِ حَتّى تَحطَمّا
وقوله : « أخذت رماحها » من المعنى المتقدم .

وقال مسكين الدارمي :

فَقَمْتُ ولم تَأخُذْ إِلى رِماحِها عِشارِي، ولم أَرْجُبْ^(٥) عَرّا قَبْها عَقْرًا ١٠
لم أَرْجُبْ : لم أَکبر ذلك ولم يَعمِظ عليّ، وسُمّي رَجَب رَجَبًا من ذلك؛ لأنّه شَهر مَعمِظ .
وقالت ليلي الأخيلية :

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « قيس » .
(٢) من أبيات أربعة في حماسة أبي تمام - بشرح الرزوقي ١٦٦٦ - ١٦٦٧ ؛ وبهذه :
فَكم دافعوا مِن كُرْبَةٍ قد تَلاحتْ عليّ ، وموج قد علّنتني غواربُهُ
إِذا قلتُ عودوا عادَ كلُّ شَمرٍ دَلٍ أَشَمَّ مِنَ الفَتَيانِ جَزَلٍ مواهَبُهُ
إذا أخذت

(٣) البزل : جمع بازل ؛ وهو المتناهي قوة وشبابا . والمخاض : النوق الحوامل .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « يمنعه » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « ولم أحفل » .

وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْجِيَادُ سِلَاحَهَا لَتَوْبَةَ فِي قُرِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ^(١)

ومثله :

لَا أَخُونُ الصَّدِيقَ مَا حَفِظَ الْمَهْدَ ، وَلَا تَأْخُذُ السَّلَاحَ لِقَاحِي

وقال النمر بن تَوَاب :

أَزْمَانَ لَمْ تَأْخُذْ إِلَى سِلَاحَهَا إِبْلَى بِجِلَّتِهَا وَلَا أَبْكَارِهَا^(٢)
أَبْتَرُهَا الْبَانَهَا وَلُحُومَهَا فَأُهَيْنُ ذَلِكَ لِضَيْفِهَا وَلِجَارِهَا

[٢٥٥]

/وقال مُضَرَّس بن رَبِيعِ الأَسَدِيّ :

وَمَا نَلَمُنُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا وَلَا يَمْنَعُ الْكُومَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا

ومعنى : « لا نلعنهم » ، أى لا نبعدهم ، واللمين : البعيد. ونصيرها هاهنا :

ما يمنع من عقربها من حسن وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك . والنصير والسلاح فى المعنى ١٠
واحد .

(١) حماسة ابن الشجرى : ٨٤ ؛ من أبيات تروى فيها توبة بن الحمير الحفاجى ، ورواية البيت هناك :

وَلَا تَأْخُذُ الْكُومُ الْمَخَاضُ سِلَاحَهَا لَتَوْبَةَ فِي صَرِّ الشِّتَاءِ الصَّنَابِرِ

- والصنابر : جمع صنبر ؛ وهو البرد الشديد . (٢) البيت فى اللآلى ٦٣٢ . والجملة : المسان .

مجلد آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف : ٢٣] .

فقال : ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضى أن يكون جميع ما نفعله يشاؤه ويريده ؟ لأنه لم يخص شيئاً من شيء ؛ وهذا بخلاف مذهبكم . وليس لكم أن تقولوا : إنه خطاب للرسول عليه وآله السلام خاصة ؛ وهو لا يفعل إلا ما يشاؤه الله ؛ لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ؛ ويفعل الصغار عنداً كثركم ؛ فلا بد من أن يكون في أفعاله تعالى ما لا يشاؤه عندكم ، ولأنه أيضاً تأديب لنا ، كما أنه تعليم له عليه السلام ؛ ولذلك يحسنُ منا أن نقول ذلك فيما يفعله .

الجواب ، قلنا : تأويل هذه الآية مبنيٌّ على وجهين :

١٠ أحدها أن نجعل حرف الشرط الذى هو «إن» متملقاً بما يليه وبما هو متعلق به فى الظاهر من غير تقدير محذوف ؛ ويكون التقدير : ولا تقولن إنك تفعل إلا ما يريد الله .

وهذا الجواب ذكره الفراء ، وما رأيتُه إلا له . ومن العجب تغلغله إلى مثل هذا ؛ مع أنه لم يكن متظاهراً بالقول بالعدل . وعلى هذا الجواب لاشبهة فى الآية ، ولا سؤال للقوم علينا .

وفى هذا الوجه ترجيح^(١) لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ، ولم نقدّر محذوفاً ، وكلُّ

١٥ جواب مطابق الظاهر ولم يُبين على محذوف كان أولى .

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى أن الله تعالى ينهى أن يقول أحدانى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ؛ لأن الله تعالى لا يشاء جميع ما يفعلونه ؛ وكأنه تعالى نهاهم عن تعليق أفعالهم بمشيئة الله عز وجل . وهو حسن . »

والجواب الآخر أن نجعل «أن» متعلقة بمحذوف؛ ويكون التقدير: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول: «إن شاء الله»؛ لأن من عاداتهم إضمار القول في مثل هذا الموضع، واختصار الكلام إذا طال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود.

وعلى هذا الجواب يحتاج إلى الجواب عما سئلنا عنه، فنقول: هذا تأديب من الله تعالى / [٢٥٦]

- ٥ لعباده، وتعليم لهم أن يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة؛ حتى يخرج من حد القمع .
ولا شبهة في أن ذلك مختص بالطاعات، وأن الأفعال القبيحة خارجة عنه؛ لأن أحدا من المسلمين لا يستحسن أن يقول: إني أزني غدا إن شاء الله، أو أقتل مؤمناً، وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع؛ فعلم سقوط شبهة من ظن أن الآية عامة في جميع الأفعال .

وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب فإنه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذا كروه بعينه ،

- قال ” إنما عسى بذلك أن من كان لا يعلم أنه يبقى إلى غدٍ حياً فلا يجوز أن يقول: إني سأفعل ١٠
غدا كذا وكذا ، فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري، لعله سيموت ولا يفعل ما أخبر به ؛ لأن
هذا الخبر إذا ^(١) لم يوجد مخبره على ما أخبر به ^(١) فهو كذب ؛ وإذا كان الخبر لا يأمن أن
لا يوجد مُخبره لحدوث أمر من فعل الله نحو الموت أو المعجز أو بعض الأمراض، أو لا يحدث ^(٢)
ذلك بأن يبدو له هو في ذلك ، فلا يأمن أن يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل؛ وإذا
لم يأمن ذلك لم يجوز أن يخبر به ؛ ولا يسلم خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله
تعالى؛ فإذا قال: إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله ، فاستثنى في مصيره مشيئة الله أمن
أن يكون خبره في هذا كذبا؛ لأن الله إن شاء أن يبلغه إلى المصير إلى المسجد غداً الجاه إلى
ذلك ؛ وكان المصير منه لا محالة؛ فإذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذبا؛ وإن
لم يوجد منه المصير إلى المسجد ؛ لأنه لم يوجد ما استثناء في ذلك من مشيئة الله تعالى “ .

(١-١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا لم يوجد مخبر على ما أخبر به الخبر » .

(٢) م : « لا يوجد ذلك » .

قال: ” وينبغي ألا يستثنى مشيئة دون مشيئة، لأنه إن استثنى في ذلك مشيئة الله لمصيره إلى المسجد على وجه التعبد، فهو أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا؛ لأن الإنسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبده به، ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره كذبا؛ لأنه قد يجوز ألا يصير إلى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا مختارا، فلا يأمن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثنى المشيئة العامة التي ذكرناها، فإذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن أن يكون خبره كذبا/ إذا كانت هذه المشيئة متى وُجِدَتْ وجب أن يدخل المسجد لا محالة“ . [٢٥٦]

قال: ” وبمثل هذا الاستثناء يزول الحنث عن حلف فقال: والله لأصيرنَّ غدا إلى المسجد إن شاء الله، لأنه إن استثنى على سبيل ما بيننا لم يجز أن يحنث في يمينه، ولو خص استثناءه بمشيئة بعينها ثم كانت ولم يدخل معها المسجد حنث في يمينه“ . ١٠

وقال غير أبي عليّ: إن المشيئة المستثناة هاهنا هي مشيئة المنع والحيولة؛ فكأنه قال: إن شاء الله يخليني ولا يمنعني .

وفي الناس من قال: القصد بذلك أن يقف الكلام على جهة القطع وإن لم يلزم به ما كان يلزم لولا الاستثناء، ولا ينوى في ذلك إلجاء ولا غيره؛ وهذا الوجه يحكى عن الحسن البصرى . ١٥

واعلم إن في الاستثناء^(١) الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة؛ فقد يدخل على الأيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجرى مجراها من الأخبار؛ فإذا دخل ذلك اقتضى التوقيف عن إمضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به إزالته عن الوجه الذي وضع له؛ ولذلك يصير ما تكلم به كأنه لا حكم له؛ ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى في الماضي فيقول: قد

(١) د، ف: « للاستثناء » .

دخلتُ الدار إن شاء الله ، ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أو يلزمه حُكْمُ .

وإنما لم يصحّ دخوله في المعاصي على هذا الوجه؛ لأن فيه إظهار الانقطاع^(١) إلى الله تعالى؛ والمعاصي لا يصح ذلك فيها ؛ وهذا الوجه أحد^(٢) ما يحتمله تأويل الآية .

وقد يدخل الاستثناء في الكلام فيراد به اللطف والتسهيل . وهذا الوجه يخصّ ٥ الطاعات ، ولهذا الوجه جرى قول القائل : لأفضينّ غداً ما علىّ من الدين ، ولأصلينّ غداً إن شاء الله مجرى أن يقول : إني أفعل ذلك إن لطف الله تعالى فيه وسهّله ؛ فَعَلِمَ أن المقصد واحد ، وأنه متى قصد الخالف فيه هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع^(٣) منه هذا الفعل أن يكون حائثاً وكاذباً، لأنه إن لم يقع علمنا أنه لم يلطف له^(٤) ، لأنه لا لطف له .

وليس لأحد أن يعترض هذا بأن يقول : الطاعات لا بد فيها من لطف ؛ وذلك لأنّ ١٠

فيها ما لللطف فيه جملة، فارتفاع ما هذه سبيله يكشف عن أنه لا لطف فيه، وهذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية أنه يخص الطاعات؛ والآية / تتناول كلّ ما لم يكن قبيحاً؛ بدلالة إجماع^(٥) [٢٥٦] المسلمين على حسن الاستثناء ما تضمنته في فعل ما لم يكن قبيحاً .

وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويُراد به التسهيل والإندار والتخلية والبقاء على ما هي

عليه من الأحوال ؛ وهذا هو المراد به إذا دخل في المباحات . ١٥

وهذا الوجه يمكن في الآية إلا أنه يعترضه ما ذكره أبو علي مما حكيناه من كلامه .

وقد يذكر استثناء المشيئة أيضاً في الكلام وإن لم يُردّ به في شيء مما تقدم ؛ بل يكون

الغرض إظهار الانقطاع إلى الله تعالى من غير أن يقصد إلى شيء من الوجوه المتقدمة .

وقد يكون هذا الاستثناء غير معتدّ به في كونه كاذباً أو صادقاً؛ لأنه في الحكم كأنه

(١) م : « إظهاراً للاقطاع » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أجود » .

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وإن لم يقع منه » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

« لم يلطف فيه » . (٥) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « اجتماع » .

قال : لأفمان كذا إذا وصلتُ إلى مرادى مع انقطاعى إلى الله تعالى وإظهارى الحاجة إليه؛ وهذا الوجه أيضاً مما يمكن فى تأويل الآية .

ومن تأمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسألة التى لا يزال يسأل عنها المخالفون من قولهم : لو كان الله تعالى إنما يريد العبادات من الأفعال دون المعاصى لوجب إذا قال مَنْ لغيره عليه دين طالبه به: والله لأعطينك حَقَّكَ غداً إن شاء الله أن يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل ؛ لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم ، وإن كان لم يقع ؛ فكان يجب أن تلزمه الكفارة؛ والايؤثر هذا الاستثناء فى يمينه ، ولا يخرجُه عن كونه حانثاً؛ كما أنه لو قال : والله لأعطينك حَقَّكَ غداً إن قدم زيد فقدم ولم يمطه يكون حانثاً؛ وفى إزام هذا الحنث خروج عن إجماع المسلمين ، فصار ما أوردناه جامعاً لبيان تأويل الآية، وللجواب عن هذه المسألة ونظائرها من المسائل، والحمد لله وحده .

قال سيدنا أدام الله تمكينه: تأملتُ ما شتمتُ عليه تشبيهات الشعراء فوجدت أكثر ما شبهوا فيه الشىء بالشىء الواحد ، أو الشئئين بالشئئين ؛ وقد تجاوزوا ذلك إلى تشبيه ثلاثة بثلاثة ، وأربعة بأربعة ، وهو قليل؛ ولم أجد مَنْ تجاوز هذا القدر إلا قطعة مرتبى لابن المعتز ، فإنها تضمنت تشبيه ستة أشياء بستة أشياء .

فأما تشبيه الواحد بالواحد فمثل قول عنتره فى وصف الذباب : ١٥

هَزِجًا يَمْحُكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمُكِبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ (١)

[٢٥٧] / ومثله قول عدى بن الرقاع :

و

(١) من المعلقة ، ص ١٨٢ - بشرح التبريزى . الهزج : السريع الصوت .

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(١)
ومثله قول امرئ القيس :

كَأَنَّ عُيُونََ الْوَحْشِ حَوْلَ قِبَابِنَا
وَأَرْحُلِنَا الْجَزَعُ الَّذِي لَمْ يُثَقِّبِ^(٢)
وقوله :

إِذَا مَا الثَّرِيَّاءُ فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ
تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ^(٣)
ولدى الرُّمَّة :

وَرَدْتُ اغْتِسَافًا وَالثَّرِيَّاءُ كَأَنَّهَا
عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَقَّقٍ^(٤)
وهذا الباب أكثر من أن يحصى .

فأما تشبيه شيئين بشيئين فمثل قول امرئ القيس يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي^(٥)
وقوله :

وَكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالْجَدِيدِ لِمُخَصَّرٍ
وَسَاقٍ كَأَنْبُوبِ السَّقِيِّ الْمَذَلِّ^(٦)

(١) الطرائف الأدبية : ٨٨ . وفي حاشية الأصل : « أي ترجى البقرة ولدا في صوته غنة ؛ كأن رأس قرنه قلم قد سود بمداد » . (٢) ديوانه ٨٨ . الجزع ، بالفتح ويكسر : الجزع الباني . (٣) ديوانه : ٢٧ . تعرضت : أبدت عرضها ، والأثناء : جمع ثني ؛ وهو ما أنتنى من الوشاح ، والوشاح : قلاند يضم بعضها إلى بعض ؛ تكون من لؤلؤ وجوهر منظومين مخالف بينهما ، معطوف أحدهما على الآخر ، وتوشح به المرأة فتشده بين عاتقها وكشحها ، والمفصل : المرصع ما بين كل خرزتين منه بلاؤة أو ذهب ، وتعرض الثريا يكون عند انصبابها للغيب . وفي طبقات الشعراء : ٧٣ : « أنكر قوم قوله : « إذا ما الثريا في السماء تعرضت » ، وقالوا : الثريا لا تتعرض » . وقال بعض العلماء : عنى الجوزاء ، وقد تفعل العرب بعض ذلك ؛ قال زهير :

فَتَنْتَجِ لَكُمْ غُلَامَانُ أَشْأَمٌ ، كُتَاهِمُ
كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ ، تَرْضِعُ فَفَطِيمُ

يريد أحمر حمود .

(٤) ديوانه : ٤٠١ (٥) ديوانه : ٧٠ . العناب : ثمر أحمر ، والحشف : ما يبس من التمر . (٦) ديوانه : ٣٢ . الجديد : زمام يتخذ من سيور فيجىء حسنا لنا يتنى . والأنبوب البردى ؛ وهو الذى ينبت وسط النخل ؛ يشبهه به لبياضه . والسقي : النخل المسقى ؛ كأنه قال كأنبوب النخل السقى ، والمذلل : الذى سقى وذلل بالماء

ولبشار :

كَانَ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (١)

ولآخر :

كَانَ مُنْمُو النَّقْعِ وَالْبَيْضِ حَوْلَهُ سَمَاوَةٌ لَيْلٍ أَسْفَرَتْ عَنْ كَوَاكِبِ

وقول أبي نواس :

كَانَ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فِقَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ (٢)

ولآخر :

إِنَّ الشَّمُولَ هِيَ الَّتِي شَبَّهْتُهَا وَحُبَابَهَا جَمَعَتْ لِأَهْلِ الْوُدِّ شَمَلًا (٣)
بَشَقَاتِقٍ يَحْمِلْنَ طَلًا (٤)

ولآخر :

أَبْصَرْتُهُ وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمِّهِ مِنْهُ وَبَيْنَ أَنْامِلِ خَمْسِ
فَكَأَنَّهُ وَكَانَ شَارِبَهَا (٥)
قَمَرٌ يَقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ

ولآخر :

حتى إذا جُلِّيتُ في الكأسِ خِلْتُ بِهَا عَمِيقَةً جُلِّيتُ فِي قِشْرِ بَابُورِ (٦)

[٢٥٧]

(١) ديوانه ١ : ٣١٨ . النقع : غبار الحرب .

(٢) حاشية الأصل : « أصل السماوة المفازة الواسعة ؛ ويعني به الخواء . » .

(٣) ديوانه : ٢٤٣ . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أخذ على أبي نواس استعماله « فعلى » هذه بلا ألف

ولام . » (٤) الشمول : الخمر . قال في اللسان : وو لأنها تشمل بريجها الناس ؛ وقيل : سميت بذلك لأن لها

عصفة كعصفة الشمال . (٥) الطل : أخف المطر وأضعفه . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف :

* فكأنه والكأسُ في يده *

(٦) جلّيت ، من الجلوة ، وبها أي مكانها ؛ وفي حاشية الأصل : « بلورك : كنور ، وبلورك : كنور ، كلاهما صحيح . »

نُعَلِي إِذَا مُزِجَتْ فِي كَأْمِهَا حَبِيبًا كَأَنَّهُ عَرَقٌ فِي خَدِّ مَخْمُورٍ

وقال البحتري :

شَقَائِقُ يُحْمِلُنَ النَّدَى فَكَأَنَّهُ دُمُوعُ النَّصَابِي فِي خُدُودِ الْخَرَائِدِ^(١)

وقال آخر :

٥ فَكَأَنَّ الرَّبِيعَ يَجْلُو عَرُوسًا وَكَأَنَّا مِنْ قَطْرِهِ فِي نِثَارِ^(٢)

ولأبي العباس الناشي :

كَأَنَّ الدُّمُوعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جُلُنَّارٍ

وقال ابن الرومي وأحسن :

١٠ لَوْ كُنْتَ يَوْمَ الْفِرَاقِ حَاضِرَنَا وَهَنَّ يُطْفَنَ غَلَّةَ الْوَجْدِ^(٣)
لَمْ تَرَ إِلَّا الدُّمُوعَ سَافِحَةً تَسْفَحُ مِنْ مُقْلَةٍ عَلَى خَدِّ
كَأَنَّ تِلْكَ الدُّمُوعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرَجِيسٍ عَلَى وَرْدِ^(٤)

وقال جبران العود :

أَبَيْتَ كَأَنَّ اللَّيْلَ أَفْئَانُ سِدْرَةٍ عَلَيْهَا سَقِيطٌ مِنْ نَدَى الطَّلِّ يَنْطَفُ^(٥)
أَرَأَيْتَ لِمَحَا مِنْ سَهِيلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ

١٥

ولابن المعتز :

سَقَمْتَنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهِ بِشَعْرِهَا شَبِيهَةً خَدَّيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ
فَأَمْسَيْتُ فِي لَيْلَيْنِ بِالشَّعْرِ وَالذُّجَى وَشَمْسَيْنِ مِنْ خَمَرٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ^(٥)

(١) ديوانه ١ : ١٣٦ . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « شبه ، اتناثر عليهم من قطر

الطر بالثار » . (٣) ديوانه ورقة ٩٤ بخطوط دار الكتب المصرية . (٤) في ف : « كأن العين »

وهو رواية . (٥) ديوانه : ١٣-١٤ . (٦) شرح ديوان المتنبي للعكبري ١ : ٢٦٠ .

وقال المتنبي :

نَشَرَتْ ثَلَاثَ ذَوَائِبٍ مِنْ شَعْرِهَا فِي لَيْلَةٍ فَأَرَتْ لِيَالِي أَرْبَعًا^(١)
وَأَسْتَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْ نِيَّ الْقَمَرِ بْنِ فِي وَقْتٍ مَعًا^(٢)

/ فأما تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فمثل قول ماني الموسوس :

[٢٥٨]

نَشَرَتْ غَدَائِرَ شَعْرِهَا لِتُظَلَّنِي خَوْفَ الْعِيُونِ مِنَ الْوُشَاةِ الرَّمَقِ
فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا^(٣) وَكَأَنَّنِي صُبْحَانَ بَانَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ

ولبعضهم :

رَوْضُ وَرْدٍ خَلَّاهُ نَرَجِسٌ غَضٌّ يُحْفَانِ أَفْحُوَانَا نَضِيرَا
ذَا يُبَاهِي لَنَاخُدُودَا ، وَذَا يَحْ كَيْ عُيُونَا ، وَذَا يُضَاهِي نُغُورَا

ولآخر في النرجس :

١٠

مَدَاهِنُ تُبْرِ بَيْنَ أَوْراقِ فِضَّةٍ لَهَا عَمْدٌ مَخْرُوطَةٌ مِنْ زَبَرُجَدِ

وللبحتري في وصف ضمير المطايا ونحوها :

كَالِقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسَدِ هُمُ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ^(٤)

ولبعض الطالبين :

وَأَنَا ابْنُ مُعْتَلِجِ الْبِطَاحِ إِذَا غَدَا غَيْرِي وَرَاحَ عَلَي مُتُونِ ضَوَامِرِ^(٥)

١٥

(١) ديوانه ١ : ٢٦٠ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في ليل معا » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فسكانها وكأنه » . (٤) ديوانه ٢ : ٢٤ .

(٥) حاشية الأصل : « المعتلج : المسكان الذي تختلف فيه الأبطاح ؛ وأصله من اعتلجت الأمواج ؛

إذا التظمت » . والبطاح : جمع بطحاء ؛ وهي بطاح مكة . وعن ابن الأعرابي : قريش البطاح الذين ينزلون

الشمب بين أخشي مكة .

يَفْتَرُّ عَنِّي رُكْنَهَا وَحَطِيمُهَا كَالْجَفْنِ يُفْتَحُ عَنْ سَوَادِ النَّاطِرِ
كَجِبَالِهَا شَرَفِي ، وَمِثْلُ سُهْوِهَا خُلُقِي ، وَمِثْلُ ظِبَائِهِنَّ مُجَاوِرِي

وأما تشبيهه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس :

لَهُ أَيُّطَلَا ظَنَّبِي ، وَسَاقَا نَمَامَةٍ وَإِرْخَاسِ رِحَانٍ ، وَتَقْرِيْبُ تَنْفَلٍ (١)

٥

ولآخر :

كَفُّ تَنَاوُلُ رَاحِمَا بُزْجَاجَةٍ (٢) خَضْرَاءُ تَقْدِفُ بِالْحَبَابِ وَتُزْبِدُ
فَالْكَفُّ عَاجٌ ، وَالْحَبَابُ لَالِيٌّ ، وَالرَّاحُ تَبْرٌ ، وَالْإِنَاءُ زَبْرَجْدٌ

ولبعضهم وقد أهدى إليه نرجس وأقحوان وشقائق وآس ، فكتب إلى المهدي :

لِلَّهِ مَا أَظْرَفَ أَخْ لَاقَكَ يَا بَدْرَ الْكَرَمِ
أَهْدَيْتَ مَا نَسَبْتَهَا حُسْنًا وَظَرْفًا وَمَشَمٌ
/ فَمَا رَأَيْنَا مُهْدِيًا قَبْلَكَ فِي كُلِّ الْأُمَمِ
أَهْدَى الْعِيُونَ وَالْحُدُودَ وَالنُّغُورَ وَاللَّمَمِ

١٠

[٢٥٨]

ط

ولآخر :

أَهْدَى حَبِيبًا لَهُ بُدَائِعُ أَوْ صَافٍ تَمَالَتْ عَنْ كُلِّ مَا أَصِفُ
كَالْبَدْرِ يَمْلَأُ ، وَالشَّمْسِ تُشْرِقُ ، وَالْغَزَالَ يَعْطُو ، وَالْفُضْنَ يَنْعَطِفُ (٣)

١٥

وللمتنبي :

بَدَتْ قَمْرًا ، وَمَاسَتْ حُوطَ بَانَ ، وَفَاحَتْ عَنَبْرًا ، وَرَنْتُ غَزَالَ (٤)

(١) ديوانه : ٣٩ . أيطلا الطيبي : خاصرته ؛ وخص الطيبي لأنه ضامر . والسرطان : الذئب ؛ والإرخاء : نوع من الجري فيه سهولة . والتنفل : ولد الثعلب . والتقريب : أن يرفع يديه معا ويضعهما معا .
(٢) حاشية الأصل : « بزجاجة ، الباء للالة ؛ أي بواسطة زجاجة ، ويجوز أن تكون الباء للاستصحاب » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يعطو ، أي يتناول ورق الشجر ، ويكون الطيبي في تلك الحال أحسن » .
(٤) ديوانه ٣ : ٢٢٤ . الحوط : القضيبي .

ولآخر:

سَفَرَنَ بُدُورًا ، وَاثَقَبَنَ أَهْلَةً ، وَمِسْنَنَ غُصُونًا ، وَالتَّفَنَنَ جَاذِرًا^(١)

وأما تشبيهه خمسة بخمسة فقول الواواء الدمشقي ، وهو أبو الفرج :

وَأَسْبَابَتُ لَوْلُوًّا مِنْ نَرَجِسٍ ، وَسَقَّتْ وَرْدًا ، وَعَضَّتْ عَلَى الْمُغَابِ بِالْبَرَدِ^(٢)

وأما تشبيهه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله :

بَدْرٌ وَلَيْلٌ وَغَصْنٌ وَجَهٌ وَشَعْرٌ وَقَدٌّ^(٣)
خَمْرٌ وَوَرْدٌ وَدُرٌّ رِيْقٌ وَثَمْرٌ وَخَدٌّ

٥

(١) شرح المكبري للمعتز ٢ : ٢٢٤ ، من غير نسبة . (٢) ديوانه : ٨٤ ؛ وروايته :
« وأمطرت » . وقوله :

قالت ، وقد فَتَكَتْ فِينَا لَوَاحِظَهَا كَمْ ذَا ؟ أَمَا لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوَدِ !

(٣) حاشية الأصل : « تشبيهات ابن المعتز وإن كانت ستة بستة فإنها في بيتين ؛ وأعجب من ذلك

وأحسن قول الخزومي :

نَقَا الرَّدْفِ ، غُصْنُ الْمُثَنِّي ، حَيَّةُ الْحِشَا دُجَى اللَّيْلِ ، بَدْرُ الْوَجْهِ ، ظَبْيُ الْمُقَلَّدِ

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ؛
[البقرة : ٢٨٦] .

فقال : كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة بالدعاء بذلك ، وعندكم أن النسيان من فعله تعالى ؟ ولا تكليف على الناس في حال نسيانه ؛ وهذا يقتضى أحد أمرين : إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس ، أو نكون متمبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل ؛ لأن مؤاخظة الناس مأمونة منه تعالى ، والقول في الخطأ إذا أريد به ما وقع سهواً أو عن غير عمد يجرى هذا الجرى .

الجواب ، قلنا : قد قيل في تأويل هذه الآية : إن المراد بنسياننا تركنا .

قال أبو عليّ قطرب بن المستنير : معنى النسيان هاهنا الترك ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَاقْدُرْ عَهْدَ نَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ؛ [طه : ١١٥] ، فنسى أى ترك ؛ ولولا ذلك لم يكن فعله معصية ، وكقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ؛ [التوبة : ٦٧] ، أى [٢٥٩] تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته . وقد يقول / الرجل لصاحبه : لا تنسني من عطيتك ، أى لا تتركني منها ، وأنشد ابن عرفة^(١) :

وَلَمْ أَكُ عِنْدَ الْجُودِ لِلْجُودِ قَالِيًا وَلَا كُنْتُ يَوْمَ الرَّوْعِ لِلطَّعْنِ نَاسِيًا
أى تاركاً .

وعما يمكن أن يكون على ذلك شاهداً قوله تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ؛ [البقرة : ٤٤] ، أى تتركون أنفسكم .

(١) حاشية الأصل : « هو نفطويه » .

ويمكن في الآية وجه آخر على أن يُحمل النسيان على السهو وفقد المعلوم ؛ ويكون وجهُ الدعاء بذلك ماقد بيناه فيما تقدم من الأمالي؛ من أنه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به؛ وان كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله؛ ويجرى مجرى قوله تعالى في تعليمنا وتأديبنا: ﴿لَا تَحْمِلْنَا مَالًا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾؛ [البقرة : ٢٨٦]، ويجرى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾، [الأنبياء : ١١٢]؛ وقوله ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾؛ [الشعراء : ٨٧]؛ وقوله تعالى حاكياً عن الملائكة: ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾؛ [غافر : ٧] .

وهذا الوجه يمكن أيضا في قوله تعالى : ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عمد .

١٠ فأما على ما يطابق الوجه الأول فقد يجوز أن يريد تعالى بالخطأ ما يفعل من المعاصي بالتأويل السيِّء وعن جهلٍ بأنها معاصٍ ، لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفةٍ ، فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال : قد أخطأ ، فكأنه أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه متممدين من غير سهو ولا تأويل ، ومما أقدموا عليه مخطئين متأولين .

١٥ ويمكن أيضا أن يريد ﴿أَخْطَأْنَا﴾ هاهنا أذنبنا وفعلنا قبيحا ؛ وإن كانوا له متممدين وبه عالين ، لأن جميع معاصينا لله تعالى قد تُوصَف بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب ؛ وإن كان فاعلها متممدا ؛ وكأنه تعالى أمرهم بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ؛ ومما فعلوه من القبائح ، ليشتمل الكلام على جهتي الذنوب ؛ والله أعلم بمراده .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن العباس قال : قال رجل يوماً لأبي العباس

محمد بن يزيد النحوي: ما عرف ضادية أحسن من ضادية أبي الشيص^(١) فقال له: كم ضادية حسنة لا تعرفها! ثم أنشده لبشار:

غَمَضَ الْجَدِيدُ بِصَاحِبَيْكَ فغَمَضَا / وَبَقِيَتْ تَطَلُّبُ فِي الْجِبَالَةِ مِنْهُضَا^(٢) [٢٥٩] ط
وَكَانَ قَلْبِي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ عَظْمٌ تَكَرَّرَ صَدْعُهُ قَهِيضَا
وَأَخٍ سَلَوْتُ لَهُ، فَأَذَكَرَهُ أَخٌ قَمَضَى، وَتَدَكَّرَكَ الْحَوَادِثُ مَامِضَى^(٣) ه
فَأَمْرَبُ عَلَى تَلَفِ الْأَحِبَّةِ إِنَّا جَزَرُ الْمَنِيَّةِ، طَاعِنِينَ وَخُفَضَا^(٤)
وَلَقَدْ جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا ثُمَّ ارْعَوَيْتُ فَلَمْ أُجِدْ لِي مَرَكَضَا^(٥)
وَعَلِمْتُ مَا عَلِمَ امْرُؤٌ فِي دَهْرِهِ فَأَطَعْتُ عُدَّالِي، وَأَعْطَيْتُ الرِّضَا
وَصَحَوْتُ مِنْ سُكْرٍ وَكُنْتُ مُوَكَّلَا أَرَعَى الْجَمَامَةَ وَالغَرَابَ الْأَبْيَضَا

- الجمامة: المرأة، والغراب الأبيض: الشعر الشائب؛ فيقول: كنت كثيراً أتعهد ١٠ نفسى بالنظر في المرأة وترطيل^(٦) الشعر.

- وقوله: « والغراب الأبيض » لأن الشعر كان غريبيبا أسود؛ من حيث كان شابا

ثم ابيض بالشيب -

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِجَائِهَا وَكَذَلِكَ لَوْ صَدَقَ الرَّبِيعُ لَرَوَّضَا^(٧)

(١) مطلعها:

لَا تَنْكَرِي صَدِّي وَلَا إِعْرَاضِي لَيْسَ الْمَقْلُ عَنْ الزَّمَانِ بَرَاضِي
وأبيات منها في حماسة ابن السجري ٢٠٠، ٢٤٠، والآلي ٣٣٨، ونكت الهميان ٢٥٨،

وعيون الأخبار ٤: ٥٢.

(٢) المختار من شعر بشار ص ٢٥ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات. والجديد: الزمان.

(٣) رواية المختار:

* وَأَخٍ فَجِئْتُ بِهِ وَكَانَ مُوَمَّلَا *

(٤) حاشية الأصل: « أي راحلين ومقيمين ». (٥) الطلق والشأو والشوط بمعنى؛ يقال: أجزبت الفرس شأوا وطلقا وشوطا؛ إذا أجزبته مرة واحدة، وارعويت: أقصرت وأقلعت عما كنت عليه. (٦) ترطيل الشعر: تدهينه وتكسيه. (٧) ف: « فروضا » ويقال: روض الربيع؛ لذا أنبت رياضاً.

هكذا أنشده المبرد، ويحيى بن علي، وأنشده ابن الأعرابي:

ما كلُّ (١) بارقة تجودُ بِمائها
وَلرُبما صدقَ الرِّبيعُ فرَوْضاً (٢)
قد ذُقْتُ ألفتَهُ ، وذُقْتُ فِرَاقَهُ
فوجَدتُ ذَا عَسلاً ، وذَا جَمْرَ الغَضَا
يأيتَ شِعْرى ! فيمَ كانَ صُدُودُهُ
أَسأتُ أمَ رَعَدَ السَّحَابِ وأومَضا!

٥ - وغير من ذكرنا يرويه: « أم أجم الخلال فأحمضاً » - (٣).

وَيَلِي عليه ، وَوَيْلَتِي مِنْ بَيْنِهِ!
كَانَ الَّذِي قَدْ كَانَ حُلْمًا فَانْقَضَى
سَبْحَانَ مِنْ كَتَبَ الشَّقَاءَ لِذِي المَوَى
مَا كَانَ إِلَّا كَالْحِضَابِ فَقَدْ نَضَا
قال المبرد: وهي طويلة .

وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه أن أبا نواس أخذ قوله:

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الجَمُوحِ (٤)

من قول بشار:

ولقد جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الصَّبَا

[٢٦٠] قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجدنين / أدام الله علوه: ولأبي تمام والبحترى على هذا.

الوزن والقافية وحركة القافية قصيدتان ، إن لم يزيدا على ضادية بشار التي استحسناها المبرد

١٥ لم يقصراً (٥) عنها؛ وأول قصيدة أبي تمام:

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من كل بارقة » .

(٢) بين هذا البيت والذي يليه وردت في المختار الأبيات التالية ؛ وبها يتم المعنى :

ومنيقة شرفاً جمعتُ لها الهوى إما مكافأة وإما مَقْرَضَا

حتى إذا شربتُ بماء مودتي وشربتُ بردَ رضاها متبرِّضَا

قالتُ لتربيها: اذهبا فتجسسا ما باله ترك السلام وأعرضا!

(٣) أجم : كره ، وفي حاشية الأصل : « الحلة : ما حلا من الثبت ، والحض : ما حمض ؛ ولذلك يقال :

الحلة خبز الإبل ، والحض : فأكهتها ؛ يقول : لأعلم سبب فراقه ، أساءة صدرت مني إليه أو ملال بدا

له ففارقني . وضرب الحلة والحض مثلاً لذلك » . (٤) ديوانه : ٢٥٧ ، وبقيته :

* وَهَانَ عَلَى مَأْتُورُ القَيْبِیحِ *

(٥) حاشية الأصل : (نسخة س) : « تُقَصِّرَا »

أهلوك أضحوا شاخصاً^(١) ومقوضاً
 إن يدج عيشك أنهم أموا اللوى
 بدلت من ررق الثغور وبردها
 يقول فيها :

مأنصف الشرخ الذي بعث الهوى
 عندي من الأيام مالو أنه
 لا تظلمن الرزق بعد شماسه
 ما عووض الصبر أمرؤ إلا رأى
 يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة
 لما انتضيتك للخطوب كفيها
 يقول فيها :

قد كان صوح نبت كل قرارة^(٩)
 أوردتني العمد الحسيف وقد أرى
 وأما قصيدة البحترى فأولها :

ترك السواد للإبسيه وبيضا
 وشاه^(١٢) أعيد في تصرف لحظه
 ونضا من الستين عنه مانضا^(١١)
 مرض أعل به القلوب وأمرضا

(١) حاشية الأصل: في شعره: «راحلا». (٢) ديوانه: ١٨٥، وفي حاشية الأصل: «التقويض: هدم الخيمة، والتقويض: شد الفرضة؛ وهي التصدير، وهو للرحل بمنزلة الحزام للسرج» .
 (٣) إن يدج: إن يظلم، وفي الديوان: «إن يدج ليلك» .
 (٤) حاشية الأصل: «أى صرت أشيم البرق من ناحيتهم وأتذكرهم» .
 (٥) الترخ: غرة الشباب، وفي الديوان: «الزمن». (٦) المرقد: دواء إذا شربه الإنسان نام .
 (٧) شماسه: عصيانه، وغيض السبع: مكث في الغيبة .
 (٨) في الديوان: «بشكرك لى»، وفي حاشية الأصل (من نسخة): «ببرك» .
 (٩) القرارة: الروضة المنخفضة . (١٠) العمد: الماء الدائم الذى لا انقطاع لمادته، والحسيف: البثر التى حفرت فى حجارة نخرج منها ماء كثير . وأبرض: أخذ قليلا . والممد والبكى: الماء القليل .
 (١١) ديوانه: ٢٠٧٠ (١٢) شاه: سبقه، وفي حاشية الأصل (من نسخة): «وسباه» .

وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
 أَسْيَانُ أَتْرَى مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ
 / كَلْفٌ يُكْفِكُ عِبْرَةَ مُهْرَاقَةٍ
 عَدَدٌ تَكَامَلَ لِلشَّبَابِ مَجِيئُهُ
 دَبْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
 وَأَسَافَ مِنْ وَصَلِ الحِسانِ وَأَنْفُضَا^(١)
 أَسْفَا عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ وَمَا انْقَضَى
 وَإِذَا مُضِيَ الشَّيْءُ حَانَ فَقَدْ مَضَى

[٢٦٠]
ظ

يقول فيها :

قَمَعَتُ لِلْبُخْلَاءِ أَذْعَرُ جَاشِهِمْ
 وَكَفَاكَ مِنْ حَنْشِ الصَّرِيمِ تَهْدَدًا
 وَنَذِيرَةٌ مِنْ قَاصِلٍ أَنْ يُنْتَضَى^(٢)
 أَنْ مَدَّ فَضْلَ لِسَانِهِ أَوْ نَضَّنَا^(٣)

وفيها :

لَا تُنْكِرَنَّ مِنْ جَارِ بَيْتِكَ أَنْ طَوَى
 فَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ لِثِقَلِ رَاغِبٍ
 لَا تَهْتَبِلْ إِغْضَايَ ، إِمَّا كُنْتُ قَدْ^(٥)
 لَسْتُ الَّذِي إِنْ عَارَضْتَهُ مُلِمَّةٌ
 لَا يَسْتَفْرِزُنِي الطَّفِيفُ وَلَا أَرَى
 أَنَا مِنْ أَحَبِّ تَحَرِّيًّا وَكَأَنِّي
 أُغَيَّبَتَ سَيْبِكَ كِي يَجْمَ وَإِنَّمَا
 أَطْنَابُ جَانِبِ بَيْتِهِ أَوْ قَوْضَا^(٤)
 عَمَّنْ تَنْقَلُ وَدُهُ وَتَنْقَضَا
 أُغْضِيَتْ مُشْتَمَلًا عَلَى جَمْرِ النُّضَا
 أَصْفَى إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَفَوْضَا
 تَبَعًا لِبارِقِ خُلْبٍ إِنْ أَوْمَضَا^(٦)
 فِيمَا أَعَانُ مِنْكَ^(٧) مِمَّنْ أَبْغَضَا
 غُمِدَ الحِجْسَامِ المَشْرِقُ لِيُنْتَضَى^(٨)

١٠

١٥

(١) الأسيان هنا: الحزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه . (٢) القمعة : صوت السلاح ، ونذيرة : إنذار ، والقاصل : السيف . وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « من نابل أن ينبضا » ، أى يحرك وتر قوسه .
 (٣) حنش الصريم : حية الرمل . (٤) أى ارتحل عنك وسافر .
 (٥) حاشية الأصل (من نسخة) :

* لَا تَهْتَبِلْ إِغْضَاءَتِي إِنْ كُنْتُ قَدْ *

ومي رواية الديوان . (٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « لبارق خلة » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيما أعانى » .

(٨) أغبيت ، أخرجت ، ومنه لإغباب الزيارة ، وهو أن يزور يوما ويترك يوما . والسبب : العطية ؛

ويجم : يكثر ويجتمع .

وَسَكَتُ إِلَّا أَنْ أُعْرِضَ قَائِلًا نَزْرًا، وَصَرَاحَ جَهْدَهُ مَنْ عَرَّضَا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن أبيه قال : من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان :

عَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَيْ حَيٍّ مِنْ الْأَحْيَاءِ أَعْتَبَهُ الزَّمَانُ! (١)
وَأَمْنَةً مِنَ الْحَدَثَانِ تَزُرِي عَلَى ، وَلَيْسَ مِنْ حَدَثٍ أَمَانُ
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يَرْمِي وَيُرْمِي مُعَانٌ مَرَّةً أَوْ مُسْتَعْمَانُ (٢)
مَتَى تَابَ الْكَرَامَةَ مِنْ كَرِيمٍ فَمَالِكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَانُ

وله في نحوه :

[٢٦١] / يَأْخِذُ لِي أَصِيبًا أَوْ ذَرَا لَيْسَ كُلُّ الْبَرَقِ يُهْدِي الْمَطْرَا
لَا تَكُونَا كَأَمْرِي صَاحِبَتُهُ يَتْرُكُ الْعَيْنَ وَيَبْغِي الْأَثْرَا
ذَهَبَ الْمَعْرُوفُ إِلَّا ذِكْرُهُ رُبَّمَا أَبْكَى الْفَتَى مَا ذَكَرَا
وَبَقِينَا فِي زَمَانٍ مُعْضِلٍ يَشْرَبُ الصَّفْوَةَ ، وَيُبْقِي الْكَدْرَا (٣)

قال : وله :

قَدْ أُدْرِكُ الْحَاجَةَ مَمْنُوعَةً وَتُوَلِّعُ النَّفْسُ بِمَا لَا تَنَالُ
وَالهَمُّ مَا أَمْسَكَتَهُ فِي الْحَشَا دَاءٌ ، وَبَعْضُ الدَّاءِ لَا يُسْتَقَالُ
فَاحْتَمِلِ الْهَمَّ عَلَى عَاتِقٍ إِنَّ لَمْ تُسَاعِفْكَ الْعَلَنْدَى الْجَلَالُ (٤)

(١) أعتبه : أَرْضَاهُ . (٢) حاشية الأصل : « يقول : لا يزال الحمى يرمى ويرى ؛ فهو معان

ضعيف مرة ؛ ومستعان قوى أخرى » .

(٣) حاشية الأصل : « أى يذهب الدهر الكرام ويبقى الثام » .

(٤) العلندی : الجمل القوى ، والجلال : العظيم .

قال يحيى: قوله: « عاتق » يعنى الخمر ، وهذا مثل قوله :

رَحَلْتُ عَنَسًا مِنْ شَرَابِ بَابِلٍ فَبَيْتٌ مِنْ عَقْلِي عَلَى مَرَّاحِلٍ^(١)

قال سيدنا أدام الله تمكينه : هذا الذى ذكره يحتمله البيت على استكراه ، ويحتمل أيضاً أن يريد بالعاتق العضو، ويكون المعنى: إن لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم بأثقالك، ويخفف عنك ، فتحتمل ذلك أنت بنفسك، واصبر عليه؛ فكأنه يأمر نفسه بالتجالد والتصبر على البأس ، وهذا البيت له نظائر كثيرة فى الشعر .

وأخبرنا المرزبانى قال حدثنا على بن هارون قال حدثنى أبى قال : من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية . قال على : وما فى الدنيا شىء لتقديم ولا محدث من منشور ولا منظوم فى صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الأبيات :

وَرائِحَةٍ ، لَلعَيْنِ فِيهَا مَخِيلَةٌ	١٠
إِذَا بَرَقَتْ لَمْ تَسْقِ بَطْنَ صَمِيدٍ ^(٢)	
مِنَ الْمُسْتَهْلَاتِ الْمُمُومِ عَلَى الْفَتَى	
خَفَا بَرَقُهَا فِي عُصْفُرٍ وَعُقُودٍ ^(٣)	
حَسَدَتْ عَلَيْهَا كُلَّ شَيْءٍ يَمَسُّهَا	
وَمَا كُنْتُ لَوْلَا حُبِّهَا بِمَحْسُودٍ	
وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزَّعْفَرَانِ شَرِبَتْهُ	
عَلَى صَوْتِ صَفْرَاءِ التَّرَائِبِ رُودٍ ^(٤)	
تُوَمِّلُ رُؤْيَاهُ عُيُونَُ وَفُودٍ	[٢٦١]
سَوَامًا ، وَلَمْ تَرَفَعْ حَدَاجَ قَعُودٍ ^(٥)	١٥
مِنَ الْبَيْضِ لَمْ تَسْرَحْ عَلَى أَهْلِ ثَلَاثَةٍ	

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أوله :

لَمَّا رَأَيْتُ الْحِظَّ حِظًّا الْجَاهِلِ . وَلَمْ أَرِ الْمَغْبُونَ غَيْرَ الْعَاقِلِ

— والعنس : الجمل القوى . (٢) المختار من شعر بشار ٣٠٩ ، والأغانى ٣ : ١٨٩ .
(طبع دار الكتب المصرية) . الرائحة : السحابة تروح ؛ والمخيلة : علامة الطر . (٣) استهل السحاب : إذا مطر ، وفى الأغانى « المستهلات السرور » ، وحنى البرق : ظهر ولمع ، وأراد بالمصفر : الثياب المصفرة .
(٤) رود : ناعمة .

(٥) الثلة : قطعة من الغنم ، والسوام : الإبل السائمة ، والحداج : جمع حدج ؛ وهو مركب من مهاكب

النساء .

تُمِيتُ بِهِ الْبَابَنَا وَقُلُوبَنَا
 إِذْ أَنْطَقْتَ صِخْرَانَا، وَصَاحَ لَنَا الصَّدَى
 ظَلَلْنَا بِذَلِكَ الدَّيْدِنِ الْيَوْمَ كُلَّهُ
 وَلَا بَأْسَ إِلَّا أَنْنَا عِنْدَ أَهْلِنَا
 مِرَارًا ، وَتَحْيِينًا بَعْدَ هَمُودِ
 صِيَاحِ جُنُودٍ وَجَهَتْ لَجُودِ
 كَأَنَّا مِنَ الْفِرْدَوْسِ تَحْتَ خُلُودِ^(١)
 شُهُودٍ ، وَمَا الْبَابَنَا بِشُهُودِ

٥

قال: وأنشدني أبي له في وصف مغنية:

لَعَمْرُؤُ أَبِي زُوَارِهَا الصِّيدِ إِيَّاهُمْ
 تُصَلِّي لَهَا آذَانَنَا وَعُيُونَنَا
 وَصَفْرَاءَ مِثْلِ الْخَيْرِ رَانَةَ لَمْ تَعِشْ
 جَرَى الْأَوْلُو الْكَنُونُ فَوْقَ لِسَانِهَا
 إِذَا قَلَدَتْ أَطْرَافَهَا^(٤) الْعُودَ زَلَزَلَتْ
 كَأَنَّهُمْ فِي جَنَّةٍ قَدْ تَلَحَّقَتْ
 يَرُوحُونَ مِنْ تَغْرِيدِهَا وَحَدِيدِهَا
 لِعُوبِ بِالْبَابِ الرَّجَالِ، وَإِنْ دَنْتُ
 لِنِي مَنَظَرَ مِنْهَا وَحُسْنِ سَمَاعِ^(٢)
 إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْقُلُوبُ دَوَاعِ
 يُوُؤَسِ وَلَمْ تَرَ كَبُ مَطِيبَةَ رَاعِ
 لَزُوَارِهَا مِنْ مِزْهَرٍ وَبِرَاعِ^(٣)
 قُلُوبًا دَعَاهَا لِلْوَسَاوِسِ دَاعِ
 مُحَاسِنِهَا مِنْ رَوْضَةٍ وَيَفَاعِ^(٥)
 نَشَاوِي، وَمَا نَسَقِبَهُمْ بِصُوعِ
 أُطِيعَ التَّقَى، وَالغَى غَيْرُ مَطَاعِ

١٠

قال علي بن هارون: الصُّوع: الكيال؛ يقول: إذا غنّت شربوا جُزَافًا بلا كيل ولا مقدار

١٥

من حسن ما يسمعون .

قال سيدنا أدام الله علوه: هذا خطأ منه؛ وإنما المراد أن غناءها لفرط حسنه^(٦) وشدة^(٧)

إطرابه ينسيان شيرة الخمر^(٨)؛ وإن لم يكن هناك شرب بصُوع، وهذا يجري مجرى قول الشاعر:

(١) الديدن: العادة . (٢) المختار من شعر بشار: ٣١٤ .

(٣) هذا البيت ساقط من م . المزهري: العود، والبراع: القصب؛ وأراد به ها هنا الزمار . وفي

حاشية الأصل: « هذا البيت يفيد أنها تغنى وتضرب بالزهري، وقوله: « من زهر وبراع » إشارة إلى

أن كلاهما مختلط الجرس بنقر المزهري والبراع » . (٤) رواية المختار: « إذا قلبت أطرافها » .

(٥) اليفاع: المرتفع من الأرض . (٦) حاشية الأصل (من نسخة): « حسنها » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة): « سورة إطرابه » . (٨) حاشية الأصل: « في نسخة الشجري: المم » .

وَبِیَوْمٍ ظَلَلْنَا عِنْدَ أُمَّ مُحَلَّمٍ نَشَاوَى، وَلَمْ نَشْرَبْ طِلَاءً وَلَا حَمْرًا
/ وما كان عندي أن أحدا يتوهم في معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل . [٢٦٢]

وأما قوله في القطعة الأولى :

وَأَصْفَرَ مِثْلَ الزَّعْفَرَانِ شَرِبْتُهُ عَلَى صَوْتِ صَفْرَاءِ التَّرَائِبِ رُودٍ
فيحتمل وجوهاً ثلاثة :

أولها أن يكون أراد بصُفْرَةَ ترائبها الكناية عن كثرة تطيبها وتضمخها ، وأن ترائبها
تَصْفَرُ لذلك ، كما قال الأعشى :

بَيْضَاءُ ضَجَّوَتْهَا، وَصَفَّ رَاءَ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَّارِ (١)

- والعَرَّار : بهار البر ؛ وإنما أراد أنها تتضمخ بالعشيّ بالطيب فيصفرها ؛ ومثله
١٠ لدى الرُّمّة :

بَيْضَاءُ فِي دَعَجٍ ، كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ ، كَأَنَّهَا فِضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ (٢)

وقيل في بيت قيس بن الخطيم :

فَرَأَيْتُ مِثْلَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا فِي الْحُسْنِ ، أَوْ كَدُنُوهَا لِفِرُوبِ (٣)

وجهان :

أحدهما أنه أراد أنها تتطيب بالعشيّ فتصفر ؛ لأن الشمس تغيب صفراء الوجه . ١٥

والآخر أراد المبالغة في الحسن ، لأن الشمس أحسن ما تكون في وقتها هذين ؛ ومن

ذلك أيضا قول قيس بن الخطيم :

(١) ديوانه : ١١١ . (٢) ديوانه : ٥ ، والدعج : سواد الحدقة ، والبرج : سعة في بياض

العين ؛ ورواية الديوان :

* كَحَلَاءٍ فِي بَرَجٍ صَفْرَاءُ فِي نَعَجٍ *

(٣) ديوانه : ٥ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف * بعده :

صفراء أعجلها الشباب لِدَاتِهَا مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ غَيْرِ قَطُوبِ

أى أنها سبقت أقرانها ، ومثله قول ابن قيس الرقيات :

لَمْ تَلْتَفْتُ لِلدَّاتِهَا فَهَضْتُ عَلَى غُلُومِهَا

* صَفْرَاءُ أَعْجَلَهَا السَّبَابُ لِذَاتِهَا *

ومثله للأعشى :

إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً عَلَيْهَا وَجَرِيَالَ النَّضِيرِ الدُّلَامِصَا^(١)

الخميصة : ثوب ناعم لين ؛ شبه به نعمة جسمها . والنضير : الذهب . والجريال : كل

صَبْنَعٍ أَحْمَرٍ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي لَوْنَ الطَّيِّبِ عَلَيْهَا . والدُّلَامِصُ : البراق ، فهذا وجه .

والوجه الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقّة لونها ؛ فمندهم أن المرأة إذا كانت

صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالمشى إلى الصفرة .

قال مهدي بن عليّ الأصفهانيّ : قال لي أبي قال لي الجاحظ : زعموا أن المرأة إذا كانت صافية

اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة إلى البياض وبالعشى إلى الصفرة ، واحتجّ في ذلك

بقول الراجز :

١٠

* قَدْ عَلِمْتَ بَيضاءُ صَفْرَاءُ الْأَصْلُ *

وزعم أن بيت ذي الرمة / الذي أنشدناه من هذا المعنى ، وكذلك بيت الأعشى الذي [٢٦٢]

ط

أنشدناه ؛ والأبيات محتمة للمرين .

فأما الذي لا يحتمل إلا وجهها واحدا فهو قول الشاعر :

١٥ وَقَدْ خَنَقَتْهَا عَبْرَةٌ فِدْمُوعُهَا عَلَى خَدِّهَا حُمْرٌ وَفِي نَجْرِهَا صُفْرٌ

لأنها لا تكون صفرا في نجرها إلا لأجل الطيب .

فأما قوله « على خدها حمر » فإنما أراد أنها تنصبغ بلون خدها .

والوجه الثالث أن تكون المرأة كانت صفراء على الحقيقة ؛ فإن بشاراً كثيرا ما يشبّب

بامرأة صفراء ، كقوله :

أَصْفَرَاءُ لَا أُنْسَى هَوَاكَ وَلَا وُدِّي وَلَا مَاضِيَ^(١) بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ عَهْدٍ
لَقَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَبَيْنَهَا كَمَا كَانَ بَيْنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
أَي كَمَا كَانَ بَيْنَ طِيبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ .
وكقوله :

أَصْفَرَاءُ كَانَ الْوُدُّ مِنْكَ مُبَاحًا لِيَالِي كَانَ الْهَجْرُ مِنْكَ مُزَاخًا
وَكَانَ جَوَارِي الْحَى إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ قِبَاخًا ، فَلَمَّا غَبَتْ صِرْنٌ مِلَاخًا
وقد روى :

* ملاحا فلما غبت صرن قباحا *

وقوله : « قباحا فلما غبت » يشبه قول السيد بن محمد الحميري .

وَإِذَا حَضَرْنَا مَعَ الْمَلَّاحِ بِمَجْلِسٍ أَبْصَرْتَهُنَّ - وَمَا قَبَّحْنَ - قِبَاخًا ١٠

فأما قوله : « من البيض لم تسرح سواما » فإنه لا يكون مناقضا لقوله « صفراء » ، وإن أراد بالصفرة لونها ، لأن البياض هاهنا ليس بعبارة عن اللون ؛ وإنما هو عبارة عن نقاء العرَض وسلامته من الأدناس ؛ والعرب لا تسكاد تستعمل ببيضاء^(٢) إلا في هذا المعنى دون اللون ، لأن البياض عندهم البرَص ، ويقولون في الأبيض الأحمر ، ومنه قول الشاعر :

جَاءَتْ بِهِ بِيضَاءُ تَحْمِلُهُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ صَلْتَةُ الْخَدِّ ١٥

ومثله « بيض الوجوه » .

فأما قول بشار في القطعة الثانية : « صفراء مثل الخيزرانة » فإنه يحتمل ما تقدم من الوجوه ، وإن كان اللون الحقيقي أخص لقوله : « كالخيزرانة » ؛ لأن الخيزران يضرب إلى الصفرة .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجري - وكان » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« البيضاء » ، ومن نسخة أخرى : « البياض » .

ويحتمل أيضا أن يريد « بصفراء » غير اللون الثابت ، ويكون قوله : « كالخيزرانة »

[٢٦٣]

و

أما مثلها/في التثني والتعطف.

ولقد أحسن جِـرَـانِ العوْدِ في قوله في المعنى الذي تقدم :

كَانَ سَبِيكَةً صَفْرَاءَ صُبَّتْ عَلَيْهَا ثُمَّ لِيَتْ بِهَا الْإِزَارُ^(١)
بِرُودِ الْعَارِضِينَ كَانَ فَاهَا بُمَيْدَ النَّوْمِ مَسَكٌ مُسْتَشَارُ

٥



(١) رواية البيتين في ديوانه ٤٥-٤٦ ، والثاني مقدم على الأول :

بِرُودِ الْعَارِضِينَ كَانَ فَاهَا بُمَيْدَ النَّوْمِ عَاتِقَةٌ عُقَارُ
كَانَ سَبِيكَةً صَفْرَاءَ شِيَفَتْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ لِيَتْ بِهَا الْخِجَارُ

مَجْلِسُ خَيْرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾؛
[البقرة : ١٥] .

فقال كيف أضاف الاستهزاء إليه تعالى ؛ وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه ؟ وكيف خبر
١) بأنهم في الطغيان والعمه^(١) وذلك بخلاف مذهبكم؟

• الجواب ، قلنا : في قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ وجوه :

أولها أن يكون معنى الاستهزاء الذى أضافه تعالى إلى نفسه تجهيلاً لهم وتخطئته إياهم في
إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال ؛ وسمى الله تعالى ذلك استهزاءً مجازاً وتشبيهاً^(٢)؛
كما يقول القائل: إن فلانا ليُسْتَهْزَأُ به منذ اليوم، إذا فعل فعلا عاباه الناس به ، وخطئوه فيه^(٣)
فأقيم عيب الناس على ذلك الفعل ، وإزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به ؛ وإنما
١٠ أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى ؛ لأن الاستهزاء الحقيقي هو ما يقصد به إلى عيب المستهزأ
به ، والإزراء عليه ، وإذا تضمنت التخطئة والتجهيل والتبكيك هذا المعنى جاز أن يُجرى
عليه اسم الاستهزاء ؛ ويشهد بذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا
سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ [النساء : ١٤٠] ؛ ونحن نعلم أن الآيات
لا يصحّ عليها الاستهزاء على الحقيقة ولا السخرية؛ وإنما المعنى: إذا سمعتم آيات الله يُكْفَرُ بها

(١-١) ف : « بأنه يمدُّهم في الطغيان والعمه » .

(٢) م : « واتساعا » .

(٣) ساقطة من م .

وَيُزْرَىٰ عَلَيْهَا ؛ وَالْعَرَبُ قَدْ تَقِيمُ الشَّيْءَ مُقَامَ مَا قَارَبَهُ فِي مَعْنَاهُ ، فَتَجْرِي اسْمُهُ عَلَيْهِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَمْ أَنَاسٍ فِي نَعِيمٍ عَمَّروا فِي ذَرَىٰ مُلْكٍ تَعَالَىٰ فَبَسَقَ
سَكَتَ الدَّهْرِ زَمَانًا عَنْهُمْ نَمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ

وَالسُّكُوتُ وَالنُّطْقُ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا يَجُوزَانِ عَلَى الدَّهْرِ ؛ وَإِنَّمَا شَبَّهَ تَرْكَهُ الْحَالَ عَلَى مَا هِيَ (١)

[٢٦٣]
ظ

عليه بالسكوت ، وشبه تغييره لها بالنطق . وأنشد الفراء :

إِنَّ دَهْرًا يَلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزَمَانٌ يَهْمُ بِالْإِحْسَانِ

ومثل ذلك في الاستمارة لتقارب المعنى قوله :

سَأَلْتَنِي بِأَنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلَ (٢)

وإنما أراد بالأكل والشرب الإفساد لهم ، والتغيير لأحوالهم ، ومنه قول الآخر :

يُقْرِئُ بَعِيْنِي أَنْ أَرَىٰ بَابَ دَارِهَا وَإِنْ كَانَ بَابُ الدَّارِ يَحْسَبُنِي جَلْدًا

والجواب الثاني أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه عز وجل أن يستدرجهم ويهلكهم

من حيث لا يعلمون ولا يشعرون .

ويروى عن ابن عباس أنه قال في معنى استدراجه إياهم : إنهم كلما أحدثوا خطيئة

جدد لهم نعمة ؛ وإنما سُمِّيَ هذا الفعل استهزاء من حيث غيَّب عنهم من الاستدراج إلى الهلاك

غير ما أظهر لهم من النعم ؛ كما أن المستهزى منّا ، المخادع لغيره يظهر أمراً ؛ ويضمر غيره .

فإن قيل : على هذا الجواب فالسألة قائمة ، وأى وجه لأن يستدرجهم بالنعمة إلى الهلاك ؟

قلنا : ليس الهلاك هاهنا هو الكفر ، وما أشبهه من الما صى التي يُستحق بها العقاب ؛

وإنما يستدرجهم إلى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم من كفرهم ؛ والله تعالى أن يعاقب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : ما هو عليه .

(٢) اللسان (أكل) ، ونسبه إلى النابتة الجعدى . ومن نسخة بحاشية الأصل ، ف : وسألني عن

أناس .

المستحق بما يشاء أى وقت شاء ؛ فكأنه تعالى لما كفرُوا وبدلوا نعمة الله ، وعاندوا رسلَه لم يغيّرْ نعمة عليهم فى الدنيا؛ بل أبقاها لتكون - متى نزعها عنهم ، وأبدلهم بها نقماً - الحسرةُ منهم أعظم ، والضررُ عليهم أكثر .

فإن قيل : فهذا يؤدّى إلى تجويز أن يكون بعضُ مظاهره ظاهرُ النعمة على الكفار

٥ مما لا يستحقُّ الله به الشكرَ عليهم .

قلنا : ليس يمتنع هذا فيمن استحقَّ العقاب ؛ وإنما النكر أن تكون النعم المبتدأة بهذه الصفة على ما نلزمه مخالفتنا ، ألا ترى أن الحياة وما جرى مجراها من حفظ التركيب ، والصحة لاتعدّ على أهل النار نعمة ؛ وإن كانت على أهل الجنة نعماً من حيث كان الغرض فيه إيصالَ العقاب إليهم .

[٢٦٤] والجواب الثالث أن يكون معنى استهزائه بهم / أنه جعل لهم بما أظهره من موافقة أهل

الإيمان ظاهر أحكامهم ؛ من نصرة ومناحة وموارثة ومدافنة ، وغير ذلك من الأحكام ؛ وإن كان تعالى معيداً لهم فى الآخرة أليم العقاب لما أبطنوه من النفاق ، واستسروا به من الكفر ؛ فكأنه تعالى قال : إن كنتم أيها المنافقون بما تظهرونه المؤمنين من المتابعة والموافقة ،

وتبطنونه من النفاق ، وتظلمون عليه شياطينكم إذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزؤون ؛

١٥ فالله تعالى هو المستهزى بكم من حيث جعل لكم أحكام المؤمنين ظاهراً ؛ حتى ظننتم أن

لكم ما لهم ، ثم ميز بينكم فى الآخرة ودار الجزاء ؛ من حيث أتاب المخلصين الذين يوافق

ظواهرهم بواطنهم ، وعاقب المنافقين . وهذا الجواب يقربُ معناه من الجواب الثانى ؛ وإن

كان بينهما خلافٌ من بعض الوجوه .

والجواب الرابع أن يكون معنى ذلك أن الله هو الذى يردّ استهزاءكم ومكركم عليكم ؛

٢٠ وأن ضرر ما فعلتموه لم يتمدكم ؛ ولم يحيط بسواكم ؛ ونظير ذلك قول القائل : إن فلانا أراد

أن يخذعنى فخذعته ؛ وقصد إلى أن يمكر بى فمكرتُ به ؛ والمعنى أن ضرر خداعه ومكره

عاد إليه ولم يضررني^(١) به .

والجواب الخامس أن يكون المعنى أنه يجازيهم على استهزائهم؛ فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب؛ والعرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه؛ قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلَهَا﴾؛ [الشورى: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾؛ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾؛ [النحل: ١٢٦] والمبتدأ ليس بمقوبة، وقال الشاعر^(٢):

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَذَجَّهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

ومن شأن العرب أن تسمى الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه، ويشدد اختصاصه وتعلقه به؛ إذا انكشف المعنى وأمن الإبهام؛ وربما غلبوا أيضاً اسم أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما، وشدة الاختصاص فيهما؛ فمثالُ الأول قولهم للبعير الذي يحمل الزادة: ١٠ راوية، وللزادة المحمولة على البعير رواية، فسموا البعير باسم ما يحمل عليه؛ قال الشاعر^(٣):

[٢٦٤]
ط

/ مَشَى الرَّوَايَا بِالْمَزَادِ الْأَثْقَلِ

أراد بالروايا الإبل؛ ومن ذلك قولهم: صرغته الكأس واستلبت^(٤) عقله، قال الشاعر:

وَمَا زَالَتِ الْكَاسُ تَفْتَالُنَا وَتَذَهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

١٥ والكأس هي ظرف الشراب، والفعل الذي أضافوه إليها إنما هو مضاف إلى الشراب الذي يحمل الكأس إلا أن^(٥) الفراء لا يقول الكأس إلا بما فيه^(٥) من الشراب؛ وكان الإناء

(١) حاشية الأصل (من نسخة: «لم يضرني» . (٢) هو عمرو بن كلثوم، والبيت من

الملفة: ٢٣٨ - بشرح التبريزي . (٣) هو أبو النجم العجلي الراجز؛ والبيت من أرجوزته المشهورة التي أولها:

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهُوبِ الْمَجْزِلِ *

ومضمن الطرائف الأدبية ص ٥٥ - ٧١؛ وقبله:

* تَمَشَى مِنَ الرِّدَّةِ مَشَى الْحَفْلِ *

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «فسلبت» . (٥-٥) حاشية الأصل: «نسخة س:

الفراء يقول: الكأس الإناء بما فيه» .

الفارغ لا يسمى كأساً، وعلى هذا القول يكون إضافة اختلاس العقل والتصريح وما جرى مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة؛ لأن الكأس على هذا القول اسم للإبناء وما حله من الشراب .

ومثال الوجه الثاني ما ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس؛
قال الشاعر :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ^(١)
أراد : لنا شمسها وقرها؛ فغلب .

ومنه قول الآخر :

فَقُولَا لِأَهْلِ الْمَكَّتَيْنِ : تَحَاشَدُوا وَسِيرُوا إِلَى آطَامِ يَثْرِبَ وَالنَّخْلِ
أراد بالمكّتين : مكة والمدينة ، فغلب . ١٠

وقال الآخر :

فَبَصْرَةُ الْأَزْدِ مِنَّا وَالْعِرَاقُ لَنَا وَالْمَوْصِلَانِ ، وَمِنَّا مِصْرُ وَالْحَرَمُ
أراد بالموصلين الموصل والجزيرة .

وقال الآخر :

نَحْنُ سَبِينَا أُمَّكُمْ مُقْرَبًا^(٢) يَوْمَ صَبَحْنَا الْحَيْرَتَيْنِ الْمَنُونُ ١٥

أراد الحيرة والكوفة ، وقال آخر :

إِذَا اجْتَمَعَ الْعَمْرَانِ : عَمْرُ بْنُ عَامِرٍ وَبَدْرُ بْنُ عَمْرِو خَلَّتْ ذُبْيَانَ جُوعًا^(٣)
وَأَلْقَوْا مَقَالِيدَ الْأُمُورِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا ، وَكَانُوا كَارِهِينَ وَطُوعًا

أراد بالعمرين : رجلين ؛ يقال لأحدهما عمرو، وللآخر بدر؛ وقد فسره الشاعر في البيت .

ومثله : ٢٠

(١) البيت للفرزدق، ديوانه : ٥١٩ .

(٢) المقرب : المرأة تدنو ولادتها . (٣) البنتان في المخصص ١٣ : ٢٢٧

جَزَانِي الزَّهْدَمَانِ جَزَاءً سَوْءًا وَكُنْتُ الْمَرْءَ يُجْزَى بِالكَرَامَةِ^(١)

[٢٦٥] /أراد بالزهدمين رجلين؛ يقال لأحدهما زهدم، وللآخر كرهدم، فغلب.
وكل الذي ذكرناه يقوى هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه، أو تغليبه عليه، للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه.

والجواب السادس ماروي عن ابن عباس قال: يُفتح لهم وهم في النار بباب من الجنة، ه فيقبلون إليه مسرعين؛ حتى إذا انتهوا إليه سدّ عليهم، فيضحك المؤمنون منهم إذا رأوا الأبواب وقد أغلقت دونهم؛ ولذلك قال عز وجل: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾؛ [المطففين: ٣٤-٣٥].

فإن قيل: وأى فائدة في هذا الفعل؟ وما وجه الحكمة فيه؟

قلنا: وجه الحكمة فيه ظاهر؛ لأن ذلك أغلظ في نفوسهم، وأعظم في مكروههم؛ وهو ضرب ١٠ من العقاب الذي يستحقونه بأفعالهم القبيحة؛ لأن من طمع في النجاة والخلاص من المكروه، واشتد حرصه على ذلك؛ ثم حيل بينه وبين الفرج وردّ إلى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب من لا طريق للطمع عليه.

فإن قيل: فعلى هذا الجواب، ما الفعل الذي هو الاستهزاء؟

قلنا: في ترداده لهم من باب إلى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء؛ من حيث كان ١٥ إظهاراً لما المراد بخلافه؛ وإن لم يكن فيه من معنى الاستهزاء ما يقتضيه قبحه من اللهو والمبث وما جرى مجرى ذلك.

والجواب السابع أن يكون ما وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة؛ لكنه سماه بذلك ليزدوج اللفظ ويخف على اللسان؛ وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها؛ والشواهد عليه مذكورة مشهورة.

٢٠

(١) اللسان (زهدم) والمخصص ١٣ : ٢٢٧ ، وهو لقيس بن زهير العبسي .

وهذه الوجوه التي ذكرناها في الآية يمكن أن تذكر في قوله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾؛ [الأنفال : ٣٠]؛ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾؛ [النساء : ١٤٢] فليتأمل ذلك .

فأما قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ فيحتمل وجهين :
 ٥ أحدهما أن يريد : أنى أملى لهم ليؤمنوا ويطيعوا ؛ وهم مع ذلك مستمسكون بطغيانهم وعمههم .

[٢٦٥] والوجه الآخر أن يريد بـ ﴿يَمُدُّهُمْ﴾ أنه يتركهم من فوائده ومنحه / التي يؤتيها المؤمنين ثواباً لهم ، ويمنعها الكافرين مما كانوا يشرحه لصدورهم ، وتنويره لقلوبهم ؛ وكل هذا واضح بحمد الله .

١٠ قال سيدنا أدام الله علوه : وإني لأستحسن لبعض الأعراب قوله :
 خَلِيلِيَّ هَلْ يَشْفِي النَّفُوسَ مِنَ الْجَوَى بُدُوٌ ذَوِي الْأَوْطَانِ ، لَابِلٌ يَشَوْقُهَا ! (١)
 وَتَزْدَادُ فِي قُرْبٍ إِلَيْهَا صَبَابَةٌ (٢) وَيَبْعُدُ مِنْ فَرْطِ اشْتِيَاقٍ طَرِيقُهَا
 وَمَا يَنْفَعُ الْحَرَّانَ ذَا اللَّوْحِ (٣) أَنْ يَرَى حِيَاضَ الْقَرَى مَمْلُوءَةً لَا يَذُوقُهَا

ولآخر في تذكر الأوطان والحنين إليها :

١٥ الْأَقْلُ لِدَارٍ بَيْنَ أَكْثَبَةِ الْجَمَى وَذَاتِ النَّضَا: جَادَتْ عَلَيْكِ الْهَوَاضِبُ!

(١) في حاشيتي الأصل ، ف (من نسخة): «بدو ذرى الأوطان» . والبـدو : الظهور ، من بدا يبدو إذا ظهر . (٢) في حاشية الأصل : «لإيها؛ ضمير الأوطان أو المرأة» ، وفيها أيضا : «إذا قلت صباية [بالنصب] كان «تزداد متعديا» ، أى تزداد أنت ، وإذا قلت : «صباية» [بالرفع] «تزداد» لازم . (٣) اللوح : العطش .

أَجِدْكَ لَا آتِيكَ إِلَّا تَقَلَّبْتُ (١) دُمُوعٌ أَضَاعَتْ مَا حَفِظْتُ سِوَا كِبُ
دِيَارِ تَنَاسَمْتُ (٢) الْهَوَاءَ بِجَوْهَا وَطَاوَعَنِي فِيهَا الْهَوَى وَالْجَبَابُ
لِيَالِي؛ لَا الْهَجْرَانَ مُحْتَكِمٌ بِهَا عَلَى وَصْلِ مَنْ أَهْوَى، وَلَا الظنُّ كَاذِبُ

وَأَنشَدَ أَبُو نَصْرٍ صَاحِبَ الْأَصْمَعِيِّ لِأَعْرَابِيٍّ :

٥ الْأَلَيْتَ شِعْرِي! هَلْ أَيْتَنَ آيَلَةً بِأَسْنَادٍ (٣) نَجْدٍ، وَهِيَ خَضْرُ مُتُونِهَا!
وَهَلْ أَشْرَبَنَ الدَّهْرَ مِنْ مَاءِ مُزْنَةٍ بِحَجْرَةٍ لِيَلِي حَيْثُ فَاضَ مَعِينِهَا! (٤)
بِلَادِهَا كُنَّا نَحُلُّ، فَأَصْبَحَتْ خِلَاءَ تَرْعَاهَا مَعَ الْأَدَمِ عِينِهَا
تَفِيَّاتٌ فِيهَا بِالشَّبَابِ وَبِالصَّبَا تَمِيلُ بِمَا أَهْوَى عَلَى غُصُونِهَا

وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ لِصَدَقَةَ بْنِ نَافِعِ الْغَنَوِيِّ :

١٠ الْأَلَيْتَ شِعْرِي هَلْ نَجِّنَ نَافِي (٥) بَيْضَاءِ نَجْدٍ حَيْثُ كَانَ مَسِيرُهَا! (٦)
فَتَلَّكَ بِلَادُ حَبَبِ اللَّهِ أَهْلَهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِ نَصْفًا أَمِيرُهَا (٧)
بِلَادُهَا أَنْضَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا وَلَانتَ لَنَا أَيَّامُهَا وَشُهُورُهَا
/فَقَدْنَا بِهَا الْهَمَّ الْمَكْدَرُ شُرْبُهُ وَدَارَ عَلَيْنَا بِالنَّعِيمِ سُرُورُهَا [٢٦٦]

وَأَنشَدَ أَبُو مَحَلِّمٍ لِسُوَّارِ بْنِ الْمَضْرَبِ :

١٥ سَقَى اللَّهُ الْيَمَامَةَ مِنْ بِلَادٍ نَوَافِحِهَا كَأَرْوَاحِ الْغَوَانِي

(١) ف، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تفلنت » .

(٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « تبادرت » .

(٣) الأسناد : جمع سند ؛ وهو الجبل ، ومن نسخة بمحاشية ف : « بأكناف » .

(٤) حرة ليلى : موضع لبني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) :

« حين فاض معينها » (٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « هل تخجن نافتي » ، أى تسرعن .

(٦) بيضاء نجد : موضع . (٧) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف :

* إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ يُعْطِ نَصْفًا أَسِيرُهَا *

وَجَوْ زَاهِرٌ لِلرَّيْحِ فِيهِ
نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ، وَإِنْ (١)

بِهَا سَقَّتْ الشَّبَابَ إِلَى مَشِيبِ
يُقَبِّحُ عِنْدَنَا حُسْنَ الزَّمَانِ

وَأَنشَدَ إِبرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيُّ :

أَلَا يَا حَبْدًا جَنَّبَاتِ سَلَمَى
وَجَادِرٍ بَاضَهَا جَوْنُ السَّحَابِ !
خَلَعْتُ بِهَا الْعِدَارَ وَنَلْتُ فِيهَا
مُنَايَ بَطَاعَةٍ أَوْ بَاغْتِصَابِ
أَسُومٌ بِبَاطِلِ طَلَبَاتِ لَهْوَى
وَيَعْدِرُنِي بِهَا عَصْرُ الشَّبَابِ

فكلُّ هؤلاء على ما ترى قد أفصحوا بأن سبب حنينهم إلى الأوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب، واستظلوه من ظله، وأنضوه من رواجه، وأنه كان يعدرهم ويحسن قبائحهم. فعلى أى شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي :

١٠ وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ
مَارِبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَ (٢)

إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرَتْهُمْ
عُهُودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ

ويزعمون أنه سبق إلى ما لم يسبق إليه، وكشف عن هذا المعنى مستورا، ووسم غفلا! وقوله وإن كان جيد المعنى سليم اللفظ، فلم يزد فيه على من تقدم ولا أبدع، بل اتبع؛ ولكن الجيد إذا ورد ممن يُهد منه الرديء كثر استحسنانه؛ وزاد استطرافه .

١٥ ولقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى :

فَسَقَى الْغَضَى وَالنَّازِلِيهِ وَإِنْ هُمْ
شَبَّوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ (٣)

وَقَصَارِ أَيَّامٍ بِهِ سُرِقَتْ لَنَا
حَسَنَاتُهَا مِنْ كَاشِحِ وَرَقِيبِ
خُضِرَ تُسَاقِطُهَا الصَّبَا فَكَأَنَّهَا
وَرَقٌ يُسَاقِطُهُ اهْرَازُ قَضِيبِ

(١) حاشية الأصل : « قوله : « لا يروع التراب » ، من أحسن الكلام؛ أى لا يرفع فيغير؛ فكان محبوبها يسالم التراب ولا يخوفه بأن يرفعه أو يحركه .

(٢) ديوانه الورقة ٢٠٢ . (٣) ديوانه ١ : ٥٧ .

[٢٦٦]
ظ

كَانَتْ فُنُونٌ بَطَالَةٌ فَتَقَطَّعَتْ /
عَنْ هَجْرٍ غَائِبَةٍ وَوَصَلَ مَشِيبٌ

وأحسن في قوله :

سَقَيْنَا الْجَوَى إِذْ أَبْرَقَ الْحَزَنُ أَبْرَقُ^(١) سَقَى اللَّهُ أَخْلَافًا مِنَ الدَّهْرِ رَطْبَةً
أَضَاءَ بِإِصْبَاحٍ مِنَ الشَّيْبِ مَفْرَقُ لِيَالٍ سَرَقْنَاهَا مِنَ الدَّهْرِ بَمَدْمَا
بِمَاءِ الرُّبَا مَنْ بَاتَ بِالمَاءِ يَشْرَقُ تَدَاوَيْتُ مِنْ لَيْلَى بَلَيْلَى فَمَا اشْتَفَى

ولأبي تمام في هذا المعنى ما لا يقصر عن إحسان ، وهو :

سَلَامٌ تَرَجُّفُ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ عَلَى الْحَسَنِ بْنِ وَهْبٍ وَالْعِرَاقِ^(٢)
عَلَى الْبَلَدِ الْحَبِيبِ إِلَى غَوْرًا وَنَجْدًا ، وَالْأَخِ الْعَذْبِ الْمَذَاقِ^(٣)
لِيَالِي نَحْنُ فِي وَسَنَاتِ عَيْشِ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ^(٤)
وَأَيَّامٍ لَهُ وَلَنَا لِدَانٍ غَنِينَا فِي حَوَاشِيهَا الرِّفَاقِ
كَأَنَّ الْعَهْدَ عَنْ عُفْرِ لَدَيْنَا وَإِنْ كَانَ التَّلَاقِ عَنِ تَلَاقِ^(٥)

١٠

(١) ديوانه ٢ : ١٣٨ ، وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « أبرق الجون » .

(٢) ديوانه ٢١٤ - ٢١٥ . (٣) من نسخة بمحاشية الأصل ، ت :

* وَنَجْدًا وَالْفَتَى الْحَلْوَ الْمَذَاقِ *

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : في شعره :

سَتَّبَعَنِي بَعْدَهُ غَفَلَاتِ عَيْشِ كَأَنَّ الدَّهْرَ عَنَّا فِي وَثَاقِ
وَأَيَّامًا لَهُ وَلَنَا لِدَانًا عَرِينَا مِنْ حَوَاشِيهَا الرِّفَاقِ

وفي ف ، وحاشية الأصل من نسخة : « له ولنا لداذ » .

(٥) في حاشية الأصل : « لقتيبة عن عفر ، أي بعد خمسة عشرة يوما ؛ حتى جاوز الليالي العفر ، والعرب

تسمى الليالي البيض عفرًا لبياضها » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَاَلكُمْ فِي
الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٦] :

فقال : كيف خاطب آدم وحواء عليهما السلام بخطاب الجمع وهما اثنان ؟ وكيف نسب
بينهما العداوة ؟ وأي عداوة كانت بينهما ؟

الجواب ، قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى آدم وحواء وذريتهما ، لأن الوالدين يدلان على الذرية
ويتعلق بهما ؛ ويقوى ذلك قوله تعالى حا كياً عن إبراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ؛ [البقرة : ١٢٨] .

وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام ولإبليس اللعين ؛ وأن يكون الجميع
١٠ مشتركين في الأمر بالهبوط ؛ وليس لأحد أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لإبليس
[٢٦٧] ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَيَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٥] لأنه وإن
لم يخاطب بذلك فقد جرى ذكره في قوله تعالى : ﴿ فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا
كَانَا فِيهِ ﴾ ، [البقرة : ٣٦] ؛ فجائز أن يعود الخطاب على الجميع .

وثالثها أن يكون الخطاب متوجّهاً إلى آدم وحواء والحية التي كانت معهما ، على ما روى
١٥ عن كثير من المفسرين ؛ وفي هذا الوجه بُعدٌ من قبل أن خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن ؛
فلا بد من أن يكون قبيحاً ؛ اللهم إلا أن يقال : إنه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا خطاب ؛

وإنما كتني تعالى عن إهباطه لهم بالقول ؛ كما يقول أحدنا: قلت: فقلت الأمير، وقلت: فضربت زيدا، وإنما يخبر عن الفعل دون القول؛ وهذا خلاف الظاهر وإن كان مستعملا .

وفي هذا الوجه بُعِدَ من وجه آخر؛ وهو أنه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن، والكناية عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس ، ولا يسبق وهم إلى تعلق الكناية بغير مكنى عنه ؛ حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود ، مثل ٥ قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ ؛ [س : ٢٢] ؛ وَ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ؛ [الرحمن : ٢٧] وقول الشاعر :

أماوي ما يُعْنِي الثَّراءُ عنِ الفَتَى إِذَا حَشَرَ جَتَ يَوْمًا ؛ وَضاقَ بِهَا الصَّدْرُ (١)

فأما بحيث لا يكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة .

ورابعها أن يكون الخطاب يختص آدم وحواء عليهما السلام ، وخاطب الاثنين بالجمع على ١٠ عادة العرب في ذلك؛ لأن التثنية أول الجمع؛ قال الله تعالى : ﴿ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٧٨] ، أراد لحكم داود وسليمان عليهما السلام ؛ وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتأول قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ ؛ [النساء : ١١] على معنى فإن كان له أخوان ؛ قال الراعي :

١٥ أَخْلِيدُ إِنَّ أَبَاكَ ضَافَ وَسَادَهُ هَمَّانِ بَاتَا جَنِبَةً وَدَخِيلًا (٢)

طَرَقًا فَتَلِّكَ هَاهِمِي أَقْرَبِيهِمَا قَلُصًا لَوَاقِحَ كَالْقِسِيِّ وَحَوْلًا

فمتر بالهاهم وهي جمع عن الهمين؛ وهما اثنان .

فإن قيل : فما معنى الهبوط الذي أمروا به ؟ قلنا : أكثر المفسرين على أن الهبوط هو

(١) ديوانه ١١٨ .

(١) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « خليدة ابنته فرخم ، وضافه : نزل به .

جنبه أي ناحية . ودخيل : داخل في الفؤاد . قال ابن الأعرابي : أراد : هما داخل القلب ، وآخر قريبا من ذلك ؛ كالضيف إذا حل بالقوم فأدخلوه فهو دخيل ؛ وإن كان بفنائهم فهو جنبه » .

[٢٦٧] النزول من السماء إلى الأرض /، وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك؛ لأن الهبوط كما يكون النزول من علو إلى سفلى فقد يراد به الحول في المكان والنزول به؛ قال الله تعالى: ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَآسَأْتُمْ ﴾؛ [البقرة: ٦١] ، ويقول القائل من العرب : هبطننا بلد كذا وكذا، يريد حللنا، قال زهير :

٥ ما زلت أرمئهم حتى إذا هببت أيدى المطى بهم من راكس فلقاً^(١)

قد يجوز على هذا أن يريد تعالى بالهبوط^(٢) الخروج من المكان وحول غيره ؛ ويحتمل أيضا أن يريد بالهبوط^(٢) معنى غير المسافة، بل الانحطاط من منزلة إلى دونها ، كما يقولون : قد هبط فلان عن منزلته ، ونزل عن مكانه ؛ إذا كان على رتبة فأنحط إلى دونها .

فإن قيل : فما معنى قوله : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾؟ قلنا : أما عداوة إبليس لآدم وذريته فمعروفة مشهورة ، وأما عداوة آدم عليه السلام والمؤمنين من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على المؤمنين من معاداة الكفار ؛ المارقين عن طاعة الله تعالى ، المستحقين لقتله وعداوته ، وعداوة الحية على الوجه الذى تضمن إدخالها فى الخطاب لبني آدم معروفة ؛ ولذلك يحذرهم منها ، ويحنبهم ؛ فأما على الوجه الذى يتضمن أن الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرها ؛ فيجب أن يحمل قوله تعالى : ﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ على أن المراد به الذرية ؛ كأنه قال تعالى : ﴿ أَهْبَطُوا ﴾ وقد علمت من حال ذريتك أن بعضكم يُعادى بعضاً ؛ وعلق الخطاب بهما للاختصاص بين الذرية وبين أصلها .

فإن قيل : أليس ظاهرُ قوله تعالى : ﴿ أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يقتضى الأمر بالمعاداة ، كما أنه أمرٌ بالهبوط ، وهذا يوجب أن يكون تعالى أمرًا بالتبسيح على وجه ؛ لأن معاداة إبليس لآدم عليه السلام قبيحة ، ومعاداة الكفار من ذريته للمؤمنين منهم كذلك ؟

٢٥ قلنا : ليس يقتضى الظاهر ما ظنتموه ؛ وإنما يقتضى أنه أمرها بالهبوط فى حال عداوة

(١) ديوانه ٣٧ . راكس : موضع ، والفاق : المكان الطين بين ربتين ؛ وهو منصوب على أنه

مفعول به ؛ قيل : الفلق : الصبح . (٢-٢) سائط من الأصل ، وما اثبتة عن ف .

بعضهم بعضا ؛ فالأمر مختص بالهبوط ، والعداوة تجرى مجرى الحال ؛ وهذا له نظائر كثيرة في كلام العرب . ويجرى مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ؛ [التوبة : ٥٥] وليس معنى ذلك أنه أراد كفرهم كما أراد تعذيبهم / وإزهاق نفوسهم ؛ بل أراد أن تزهق أنفسهم [٢٦٨] في حال كفرهم ، وكذلك القول في الأمر بالهبوط ، وهذا بين .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسن تمدح السادة الكرام قول الشاعر :

وَيْلُ أُمَّ قَوْمٍ غَدَوْا عَنْكُمْ لَطِيئَتِهِمْ لَا يَكْتَتُونَ غَدَاةَ الْعَلِّ وَالنَّهْلِ
صُدَّ السَّرَابِيلُ لَا تُوكِي مَقَانِبَهُمْ عُجْرُ الْبُطُونِ ، وَلَا تُطَوِّي عَلَى الْفُضْلِ

قوله : « ويل أم قوم » من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر ؛ مثل قولهم : قاتل الله

١٠ فلانا ما أشجبه ! وترَّحَّه ما أسمع ! وقد قيل في قول جميل :

رَمَى اللَّهُ فِي عَيْنِي بُثَيْنَةَ الْقَدَى وَفِي الْغُرِّ مِنْ أَنْيَابِهَا بِالْقَوَادِحِ (١)

إنه أراد هذا المعنى بعينه ، وقيل : إنه دعا لها بالهرم وعلو السن ، لأن الكبير يكثر

قذى عينيه وتنهم أسنانه . وقيل : إنه أراد بعينها رقيبها ، وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم ؛

والأول أشبه بطريقة القوم ؛ وإن كان القول محتملا للكل .

١٥ فأما قوله :

* لَا يَكْتَتُونَ غَدَاةَ الْعَلِّ وَالنَّهْلِ *

فإنما أنهم ليسوا برعاة (٢) يسقون الإبل ، بل لهم مَنْ يخدمهم ويكفيهم ويرعى إبلهم ؛

(١) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ ، والآتي ٧٣٦ ، والبيت من شواهد الرضى على الكافية (الخزانة

٩٣ : ٢) . القذى : كل ما وقع في العينين من شيء يؤذيها كالتراب والعود ونحوها . والغر : جمع أغر

وغراء ؛ وهو وصف لأسنانها بالبياض . وهو السن . والقوادح : جمع القادح ؛ وهو السواد الذي يظهر

في الأسنان . (٢) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « برعاء » .

وإنما يكتنى ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة ؛ وفيه وجه آخر ؛ قيل : إنهم يساحون شربهم ويؤثرونه بالسقى قبل أموالهم ؛ ولا يصولون عليه ولا يكتنون ؛ وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف .

وقيل أيضا : بل عني أنهم أعزاء ذؤو منعة ، إذا وردت إبلهم ماءً أفرج الناس لها عنه ؛ لأنها قد عرفت فليس يحتاج أربابها إلى الاكتناء والتعرف .
وقد قال قوم في قوله : « يكتنون » : إنه من قوله كنتت يده تكتن إذا خشنت من العمل ؛ فيقول : ليسوا أهل مهنة ، فتكتن أيديهم وتخشن من العمل ؛ بل لهم عبيد يكفونهم ذلك .

وقوله : « صُدَّ السراويل » وإنما أراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له . والمقانب : ١٠ هي الأوعية التي يكون فيها الزاد ؛ فكأنه يقول : إذا سافروا لم يشدوا الأوعية على ما فيها [٢٦٨] وأطعموا أهل الرقعة ؛ وهذه كناية عن الإطعام وبذل / الزاد مليحة . وعُجْر البطون : من صفات المقانب ؛ أراد أنها لانوكأ ، ولا تطوى على فضل الزاد .

ولبعض شعراء بني أسد ، وأحسن غاية الإحسان :

رَأَتْ صِرْمَةً^(١) لِابْنَيْ عُبَيْدٍ تَمَنَعَتْ
مِنَ الْحَقِّ لَمْ تُؤزَلْ بِحَقِّ إِفَالِهَا
فَقَالَتْ : أَلَا تَعْدُو فِصَالِكَ هَكَذَا
فَقُلْتُ : أَبْتُ ضِيفَانُهَا وَعِيَالُهَا
فَمَا حُلِبَتْ إِلَّا الثَّلَاثَةَ وَالثَّنَى
وَلَا قِيلَتْ إِلَّا قَرِيبًا مَقَالُهَا
حَدَائِيرُ مِنْ كُلِّ الْعِيَالِ كَأَنَّهَا
أَنَاضِي شُقْرُ حُلٍّ عَنْهَا جِلَالُهَا

١٥

شكا هذا الشاعر امرأته ، وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها لم تمط في حمالة^(٢) ، ولم تعمر في حق ، ولم تحلب لضيف ولا جار ؛ فهي سمان . وقوله : « لَمْ تُؤزَلْ إِفَالُهَا » والإفال :

(١) الصرمة : القطعة من الأبل ؛ ما بين العشرين إلى الثلاثين ، أو إلى الخمسين .

(٢) الحمالة : الإبل

الصَّغار ، وتؤزل ؛ من الأزل وهو الضيق في العيش والشدة ؛ فيقول : فصال هؤلاء سمان لم تلتق بؤساً ؛ لأن ألبان أمهاتها موفورة عليها .

وحكى عن امرأته أنها تقول له : غَدٌّ^(١) أنت فصالك هكذا ؛ فقال لها : تأتي ذلك الحقوق وعيالها ؛ وهم الجيران والضيفان .

ثم أخبر أنه لم يلتفت إلى لومها ، وأن الإبل ما حلبت بعد مقاتها إلا مرتين أو ثلاث . ٥
ولا قُيِّلت ، من القائلة إلا بقرب البيوت حتى نحرها ووهبها .

والحدابير : المهازيل ؛ وإنما معنى فصاله وهزالها لأجل أنها لا تسقى الألبان ؛ وتعقر أمهاتها ، وأناضى^(٢) : جمع نضو^(٣) ، فشبه فصاله من هزالها بأنضاء خيل سُقِر .

وقوله : « حدابير من كل العيال » فيه معنى حسن ؛ لأنه أراد أنها من بين جميع العيال :

مهازيل ؛ وهذا تأكيد ، لأن سبب هزالها هو الإيثار باللبانها ؛ واختصت بالهزال من بين ١٠ كل العيال . والعيال هاهنا هم الجيران والضيفان ؛ وإنما جعلهم عيالاً لسكرمه وأن جوده قد ألزمه مودتهم ؛ فصاروا كأخص عياله .

ومثل ذلك قول الشاعر :

تُعِيرُنِي الحِظْلَانَ أُمُّ مُحَلِّمٍ^(٣) فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَقْدِفِينِي بِدَائِيَا^(٤)
فإني رأيت الضامرين^(٥) متاعهم يُدْمُ وَيَفْنَى ، فَارْضَخِي مِنْ وَعَائِيَا
فلم تجديني في المعيشة عاجزاً وَلَا حِصْرَماً خَبِئاً شَدِيداً وَكَأِيَا

- الحِظْلَان : المسكون بالخلاء ، والحِظْلُ الإمساك . وأم محلم : امرأته . ومعنى قوله :

(١) د ، حاشية ف (من نسخة) : « اغد » .

(٢) حاشية الأصل : « كأنه يجمع نضو أنضاء ، ثم يجمع أنضاء أناضى ؛ فهو جمع الجمع » .

(٣) في اللسان : « أم مغلس » . (٤) الأبيات في اللسان (حظل) وعزاها إلى منظور الديبى .

(٥) رواية اللسان : « الباخين » .

[٢١٩] « تعيرني الحِطْلان » / أي بالحِطْلان^(١)؛ تقول: مالك لا تكون مثل هؤلاء الذين يحفظون أموالهم.

والضامرون أيضاً: البخلاء؛ فقال لها: رأيت البخلاء يَضَنُّون بما عندهم وهو يَفْنَى ويبقى الدَّم ، فارَضَخِي من وعائِي؛ وهذا مَثَل؛ أي أعطى الناس مما عندي؛ وهو من قولك: رَضَخَ له بشيء من عطيته. والحِصْرِم: المَسِك؛ تقول العرب حَصْرِمُ قوسك، أي شدد وترها.

وقوله:

* فلم تجديني في المعيشة عاجزاً *

أي أنا صاحب غارات، أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخاف الفقر.

وقال مسكين الدارمي:

أَصْبَحْتُ عَاذِلِي مَعْتَلَةً قَرَمًا^(٢) ، أَمْ هِيَ وَحْمِي لِلصَّخْبِ
أَصْبَحْتُ تَتْفَلُ فِي شَحْمِ الذَّرَى وَتَظُنُّ اللُّومَ دُرًّا يُنْتَهَبُ
لَا تَلْمُهَا إِنِّهَا مِنْ أُمَّةٍ مَلَحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرُّكْبِ^(٣)

يقول: إنها تُكثِرُ لومي؛ وكأنها قرمةٌ إلى اللوم، كقرم الأشبال إلى اللحم، وهي

١٥ وَحْمِي تَشْتَهِي الصَّخْبِ . وَالْوَحْمُ: شدة شهوة الطعام عند الجهل.

وشحم الذرى. الأسنمة؛ وأراد بـ«تتفل» فيها أي تعوذ إلى لتزيينها في عيني؛ وتعظم

قدرها، فلا أهب منها ولا أنجر؛ ثم أخبر أن أصلها من الزنج. والمِلْح: الشحم، وشحم الزنج^(٤)

(١) حاشية الأصل: « بل الفصبح أن يقال: غيرته كذا، وغيرته بكذا من كلام؛ العامة قل التابعة:

وعيرتني بنو ذبيان خشيتُهُ وهل على بأن أخشاك من عارٍ!

(٢) حاشية الأصل: « في شعره قرمت ». (٣) حاشية الأصل: « أي لاعرق لها في السكرم » .

(٤) حاشية الأصل: « أراد أنها ليست بعربية؛ بل زنجية .

يكون على أورا كههم وأكفالهم. وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد^(١) :

أَيُّبُنَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنَةَ مَالِكٍ وَيَأْبُنَّةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ^(٢)
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلاً؛ فَإِنِّي لَسْتُ أَكِيلاً^(٣) وَحَدِي
 قَصِيًّا كَرِيماً ، أَوْ قَرِيْباً فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وَمَا مِنْ صِفَاتِي غَيْرَهَا شَيْمَةٌ الْعَبْدِ ٥

قال أبو العباس : استثنى الكرم في القصي البعيد ، ولم يستثنه في القريب ؛ لأن أهله جميعاً عنده كرام . وأراد بقوله : « عبد الضيف » أنه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى أن يخدمه عبده .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويشبه ذلك قول المقنع الكندي :

/وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلاً وَمَا مِنْ صِفَاتِي غَيْرَهَا شَيْمَةٌ الْعَبْدِ^(٤) [٢٦٩]

(١) في الكامل - بشرح الرصفي ٥ : ١٤٥ ؛ ونسبها إلى قيس بن عاصم المقرئ ، وفي حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٤ : ٢٠٥ ، وعزاها التبريزي إلى حاتم الطائي ولم ترد في ديوانه . وفي الأغاني (١٢ : ١٤٤) بسنده : « تزوج قيس بن عاصم المقرئ منقوسة بنت زيد الفوارس الضبي ، وأتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال : فأين أكيلي ؟ ولم تعلم ما يريد ؛ فأنشأ يقول ... وأورد الأبيات . قال : « فأرسلت جارية لها مليحة فطلبت له أكيلاً ، وأنشأت تقول له :

أبي المرء قيس أن يدوق طمامه بغير أكيل ؛ إنه لكريم!
 فبوركت حيا يأخا الجود والندى وبوركت ميتاً قد حوتك رجوم

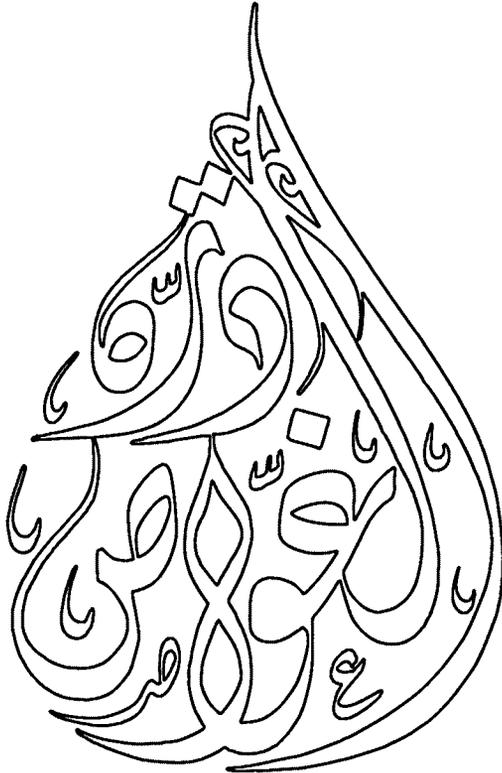
(٢) أضافها إلى عمها وجدها الأكبرين ، لعزتهما بين قبائل العرب ؛ وذلك أن زيد الفوارس هو ابن حصين بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة بن ذهل بن مالك ، أخى عبد الله بن سعد ابن ضبة . ويريد بذى البردين جد منقوسة من قبل أمها ، وهو عاصم بن أحيمر بن بهدلة ؛ لقب بذلك لما روى أن النعمان أخرج بردى محرق ، وقد اجتمعت وفود العرب وقال : ليقم أعز العرب فليلبسهما ، فقام عاصم ، فاتزر بأحدهما وارتمى بالآخر ؛ ولم ينازعه أحد ... فيخبر ذكره المرزوقي في شرح الحماسة ١٦٦٨ .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « آكله » ، بضم الكاف واللام .

(٤) حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي ١١٨٠ ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) :

* وما شيمة لي غيرها تشبه العبداء *

وإنما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الأول والثاني «نواءه ونزوله»^(١) مؤثراً له؛ ليعلم
«أن الخِدْمَةَ لضيفه لم تكن لضعمة قدره»^(٢)، بل لما يوجبه الكرم من حق الأضياف^(٣)، وأنه
يخْرُجُ عن أن يكون مخدوماً بخروجه من أن يكون ضيفاً. ولو قال: «وإني لعبدُ الضيف»
ولم يشترط^(٤) لم يحصل هذا المعنى الجميل.



(١-١) حاشية الأصل (من نسخة): «مدة نوائه ونزوله» .
(٢-٢) م: «أن الخدمة لم تكن لضعمة وصر قدره» . (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «الإضافة» .
(٤) م: «يشترط» .

مَجْلِسُ آخِرُ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : بِمَ تَدْفَعُونَ مَنْ خَالَفَكُمْ فِي الْأَسْطِطَاعَةِ ، وَزَعَمَ أَنَّ الْمَكْلَفَ يُؤْمَرُ
بِمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَطِيعُهُ إِذَا تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ
فَضَّأُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ ؛ [الإسراء : ٤٨] ؛ فَإِنَّ الظَّاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ يُوجِبُ أَنَّهُمْ
غَيْرُ مُسْتَطِيعِينَ لِلأَمْرِ الَّذِي هُمْ غَيْرُ فَاعِلِينَ لَهُ ، وَأَنَّ الْقُدْرَةَ مَعَ الْفِعْلِ . وَإِذَا تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى :
فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ إِيَّاكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ؛ [الأنبياء : ٦٧] ؛ وَأَنَّهُ
نَفِيٌّ أَنْ يَكُونَ قَادِرًا عَلَى الصَّبْرِ فِي حَالٍ هُوَ فِيهَا غَيْرُ صَابِرٍ ؛ وَهَذَا يُوجِبُ أَنَّ الْقُدْرَةَ مَعَ الْفِعْلِ .
وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ؛ [هود : ٢٠] .

الجواب ، يُقَالُ لَهُ : أَوَّلُ مَا يَقُولُهُ : إِنَّ الْخِلَافَ لَنَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَسْطِطَاعَةِ لَا يَصِحُّ لَهُ فِيهِ
التَّعَلُّقُ بِالسَّمْعِ ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ لَا يَسْلَمُ مَعَهُ صِحَّةُ السَّمْعِ ، وَلَا يَتِمَّكَنُ مَعَ الْمُقَامِ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ
السَّمْعِ بِأَدْلَتِهِ ؛ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ مَنْ جَوَّزَ تَكْلِيفَ اللَّهِ تَعَالَى الْكَافِرَ الْإِيمَانَ وَهُوَ لَا يَقْدِرُ ١٠
عَلَيْهِ لَا يَمْكِنُهُ الْعِلْمُ بِنَفْيِ الْقُبَاحِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَإِذَا لَمْ يَمْكِنْ ذَلِكَ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَلْزِمَهُ
تَجْوِيزُ الْقُبَاحِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَخْبَارِهِ ؛ وَلَا يَأْمَنُ مَنْ أَنْ يُرْسَلَ كَذَابًا ، وَأَنْ يُخْبَرَ هُوَ بِالْكَذِبِ - تَعَالَى عَنْ
ذَلِكَ ! فَالسَّمْعُ إِنْ كَانَ كَلَامَهُ قَدَحٌ فِي حُجَّتِهِ تَجْوِيزُ الْكَذِبِ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ كَلَامَهُ رَسْوَاهُ
قَدَحٌ فِيهِ مَا يَلْزِمُهُ مِنْ تَجْوِيزِ تَسْذِيقِ الْكَذَابِ ؛ وَإِنَّمَا طَرَقَ ذَلِكَ تَجْوِيزُ بَعْضِ الْقُبَاحِ عَلَيْهِ .

وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا : إِنَّ أَمْرَهُ تَعَالَى الْكَافِرَ بِالْإِيمَانَ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ يَحْسُنُ مِنْ حَيْثُ أَتَى ١٥
الْكَافِرُ فِيهِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ ؛ لِأَنَّهُ تَشَاغَلَ بِالْكَفْرِ فَتَرَكَ الْإِيمَانَ . وَإِنَّمَا كَانَ يَبْطُلُ تَعَلُّقُنَا / بِالسَّمْعِ [٢٧٠]
لَوْ أَضَفْنَا ذَلِكَ إِلَيْهِ تَعَالَى عَلَى وَجْهِ يَقْبَحٍ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا قَالُوهُ إِذَا لَمْ يُوَثِّرْ فِي كَوْنِ مَا ذَكَرْنَاهُ

تَكْلِيْفًا لِمَا لَا يَطَاقُ لَمْ يُوْثِرْ فِي نَفْسِ مَا أَلْزَمْنَاهُ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ يَلْزِمُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يَفْعَلَ الْكُذْبَ وَسَائِرَ الْقُبَاحِ ، وَتَكُونُ حَسَنَةً مِنْهُ بِأَنْ يَفْعَلَهَا مِنْ وَجْهِ لَا يَقْبَحُ مِنْهُ :

وَلَيْسَ قَوْلُهُمْ : إِنْ لَمْ نُضِفْهُ إِلَيْهِ مِنْ وَجْهِ يَقْبَحُ بِشَيْءٍ يُعْتَمَدُ ؛ بَلْ يَجْرِي سَجْرَى قَوْلِ مَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ تَعَالَى أَنْ يَكْذِبَ ، وَيَكُونُ الْكُذْبُ مِنْهُ تَعَالَى حَسَنًا ؛ وَيَدَّعَى مَعَ ذَلِكَ صِحَّةَ مَعْرِفَةِ السَّمْعِ بِأَنْ يَقُولَ : إِنِّي لَمْ أُضِفْ إِلَيْهِ تَعَالَى قَبِيحًا ، فَيَلْزِمُنِي إِفْسَادُ طَرِيقَةِ السَّمْعِ ، فَلَمَّا كَانَ مَنْ ذَكَرَنَاهُ لَا عَذْرَ لَهُ فِي هَذَا الْكَلَامِ لَمْ يَكُنْ لِلْمُخَالَفِ فِي الْاسْتِطَاعَةِ عَذْرَ بِمِثْلِهِ .

وَنَعُودُ إِلَى تَأْوِيلِ الْآيِ ؛ أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ فَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ لِلشَّيْءِ الَّذِي لَا يَقْدِرُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا بَيَانٌ لَهُ ، وَإِنَّمَا يَصِحُّ مَا قَالُوهُ لَوْ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى أَمْرٍ مُعَيَّنٍ ؛ فَأَمَّا وَلَمْ يَذْكُرْ ذَلِكَ فَلَا مَتَمَلِّقٌ لَهُمْ . ١٠

فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَى مِنْ قَبْلُ ضَلَالَهُمْ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إِلَى مَفَارِقَةِ الضَّلَالِ .

قُلْنَا : إِنَّهُ تَعَالَى كَمَا ذَكَرَ الضَّلَالَ فَقَدْ ذَكَرَ ضَرْبَ الْمَثَلِ ؛ فَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى تَحْقِيقِ مَا ضَرَبُوهُ مِنَ الْأَمْثَالِ وَذَلِكَ غَيْرُ مُقَدَّرٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَلَا مُسْتَطَاعٍ . ١٥

وَالظَّاهِرُ بِهَذَا الْوَجْهِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى حَكَى أَنَّهُمْ ضَرَبُوا لَهُ الْأَمْثَالَ ، وَجَمَلَ ضَلَالَهُمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّبِيلَ مُتَمَلِّقًا بِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ يُوجِبُ رَجُوعَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُمْ ضَلُّوا بِضَرْبِ الْمَثَلِ ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى تَحْقِيقِ مَا ضَرَبُوهُ مِنَ الْمَثَلِ ؛ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ ضَلُّوا ، وَظَاهِرُ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ عَنْ مَاضِي فِعْلِهِمْ .

فَإِنْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، فَيَجِبُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّهُمْ ٢٠

لا يقدرّون على ترك الماضي ؛ وهذا مما لا نُخالف فيه ^(١) وليس فيه مانأباه ^(١) من أنهم لا يقدرّون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال والخروج عنه بعد تركه .

وبعد ؛ فإذا لم يكن للآية ظاهر ، فلم صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر يكفّره / [٢٧٠] ط
أولى منا إذا حملنا ذلك على أمرٍ لم يكفّره ، أو على أنه أراد الاستئصال والخبر عن عظم المشقة عليهم .

وقد جرت عادة أهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئاً : إنه لا يستطيعه ، ولا يقدر عليه ، ولا يتمكن منه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان لا يستطيع أن يكلم فلانا ، ولا ينظر إليه ، وما أشبه ذلك ، وإنما غرضهم الاستئصال وشدة الكأفة والمشقة .

فإن قيل : فإذا كان لا ظاهر للآية يشهد بمذهب المخالف ، فما المراد بها عندكم ؟ .

١٠ قلنا : قد ذكر أبو علي أن المراد أنهم لا يستطيعون إلى بيان تكذيبه سبيلاً ، لأنه ضربوا الأمثال ؛ ظناً منهم بأن ذلك يبيّن كذبه ، فأخبر تعالى أن ذلك غير مستطاع ؛ لأنّ تكذيب صادق ، وإبطال حق مما لا تتعلق به قدرة ، ولا تتناوله استطاعة .

وقد ذكر أبو هاشم أن المراد بالآية أنهم لأجل ضلالهم بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير الذي هو النجاة من العقاب والوصول إلى الثواب .

١٥ وليس يمكن على هذا أن يقال : كيف لا يستطيعون سبيلاً إلى الخير والهدى ، وهم عندكم قادرّون على الإيمان والتوبة ؟ ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب ؛ لأن المراد أنهم مع التمسك بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم إلى خيرٍ وهدى ؛ وإنما يكون لهم سبيلٌ إلى ذلك بأن يفارقوا ما هم عليه .

وقد يمكن أيضاً في معنى الآية ما تقدّم ذكره من أن المراد بنفي الاستطاعة عنهم أنهم مستثقلون

٢٠ للإيمان ؛ وقد يجزّب عن استئصال شيئاً بأنه لا يستطيعه على ما تقدم ذكره .

فأما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ أَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فظاهره يقتضى أنك لا تستطيع ذلك في المستقبل ؛ ولا يدلُّ على أنه غير مستطيع للصبر في الحال أن يفعله في الثاني.

وقد يجوز أن يخرج في المستقبل من أن يستطيع ما هو في الحال مستطيع له؛ غير أن الآية تقتضى خلاف ذلك؛ لأنه قد صبرَ عن المسألة أوقاتا، إن ولم يصبر عنها في جميع الأوقات، فلم تَنْتَفِ الاستطاعة للصبر عنه في جميع الأحوال المستقبلية.

على أن المراد بذلك واضح، وأنه تعالى خبر عن استئقاله الصبر عن المسألة عما لا يعرف [٢٧١] / ولا يقفُ عليه؛ لأن مثل ذلك يصعب على النفس؛ ولهذا نجد أحدا إذا وُجد^(١) بين يديه ما ينكره ويستبعده تُفازعه نفسه إلى المسألة عنه، والبحث عن حقيقته، ويثقل عليه الكفّ عن الفحص عن أمره؛ فلما حدث من صاحب موسى ما يُستنكر ظاهره استئقل الصبر عن المسألة عن ذلك.

ويشهد بهذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَكَيفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾؛ [الكهف: ٦٨]؛ فيبين تعالى أن العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره، ولو كان على ما ظنوا لوجب أن يقول: وكيف تصبر وأنت غير مطبق للصبر!

١٥ فأما قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ فلا تعلق لهم بظاهرة؛ لأن السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا، لأن الإدراك على المذهب الصحيح ليس بمعنى، ولو ثبت أنه معنى على ما يقوله أبو علي لكان أيضا غير مقدور للعبد من حيث يختص القديم تعالى بالقدرة عليه.

هذا إن أريد بالسمع الإدراك؛ وإن أريد به نفس الحاسة فهي أيضا غير مقدورة للعباد؛ ٢٠ لأن الجواهر وما تخص به الحواس من البنية والمعاني ليصح به الإدراك مما ينفرد به القديم تعالى في القدرة عليه. فالظاهر لا حجة لهم فيه.

(١) ف، حاشية الأصل (من نسخة): « إذا جرى بين يديه ».

فإن قالوا : فلملَّ المراد بالسمع كونهم سامعين ؛ كأنه تعالى نفى عنهم استطاعة أن يسمعوا .

قلنا : هذا خلافُ الظاهر؛ ولو ثبت أن المراد ذلك لجلنا نفى الاستطاعة ها هنا على ما تقدم ذكره من الاستئصال وشدة المشقة ، كما يقول القائل : فلان لا يستطيع أن يرانى ، ولا يقدر أن يكلمنى ؛ وما أشبه ذلك ، وهذا بين لمن تأمله .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل فقال: ما تأويل ما رواه يسار عن معاوية بن الحكم قال: قلت يا رسول الله، كانت لى جارية كانت ترعى غنما لى ، قَبِلَ أَحَدٌ، فذهب الذئب بشاة من غنمها ، وأنا رجل من بنى آدم آسف ، كما يأسفون ، لكننى^(١) غضبت فصككتها صكّة ، قال : فمظم ذلك على النبي صلى الله عليه وآله ، قال ، قلت : يا رسول الله ؛ أفلا أعتقها ؟ قال : « ائتنى بها » ، فأتيته بها فقال لها : « أين الله ؟ » فقالت : فى السماء ، قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول الله ، فقال عليه ١٠ السلام : / « أعتقها^(٢) فإنها مؤمنة » .

[٢٧١]

الجواب ، أما قوله : « أنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون » فمعناه أغضب كما يغضبون ، قال محمد بن حبيب : الأسف : الغضب ، وأنشد للراعى :

فَمَا لِحِقَّتْنِي الْعَيْسُ حَتَّى وَجَدْتُنى أَسِيفًا عَلَى حَادِيهِمُ الْمُتَجَرِّدِ
وَالْأَسْفُ أَيْضًا الْحَزْنَ ؛ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْأَسْفُ : الْحَزْنُ ، وَالْأَسْفُ : الْغَضَبُ ، قَالَ ١٤
كعب بن زهير :

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « لكننى » .

(٢) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ف : « فأعتقها » .

في كلِّ يومٍ أَرَى فِيهِ مَبِينَةً تَكَادُ تُسْقِطُ مِنِّي مِنْهُ أَسْفَا (١)

وقوله : « ولكنني غضبت فصككتها » أراد لطمتها ، يقال : صكَّ جبهته ، إذا لطمها بيده ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ فَاَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات : ٢٩] ؛ وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأنانا :

٥ فَتَصُكُّ مَحْجِرَهُ إِذَا مَاسَا فَهَا وَجَبِينَهُ بِجَوَافِرٍ لَمْ تُنْكَبِ (٢)

سافها : أي شمها .

وقولها : « في السماء » ؛ فالسما هي الارتفاع والعلو ، فمعنى ذلك أنه تعالى عالٍ في قدرته ، عزيز في سلطانه ، لا يُبْلَغ ولا يُدْرَك . ويقال : سها فلان يسمو سمواً ، إذا ارتفع شأنه علا أمره ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك : ١٦ ، ١٧] فأخبر بقدرته وسلطانه وعلو شأنه ونفاذ أمره .

وقد قبل في قوله تعالى : ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ غير هذا ، وأن المراد : أَمِنْتُمْ مَنْ في السماء أمره وآياته وورقه ؛ وما جرى مجرى ذلك . وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم :

١٥ وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ فَوْقَهُ عَلِيًّا وَأَمْسَى ذِكْرُهُ مُتَعَالِيًّا

وقال سليمان بن يزيد العدوي :

لَكَ الْحَمْدُ إِذَا الطَّوْلِ وَالْمُلْكِ وَالْغِنَى
تَعَالَيْتَ مَحْمُودًا كَرِيمًا وَجَازِيَا
/ عَلَوْتَ عَلَى قُرْبٍ بَعِزٍّ وَقُدْرَةٍ [٢٧٢] ط
وَكُنْتَ قَرِيبًا فِي دُنُوكَ عَلِيًّا (٣)

(١) ديوانه : ٧٠ . اللنة : القوة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : قبله :

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْرَفًا وَلَا أَرَى لَشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلْفًا

عَادَ السَّوَادُ بِيَاضًا فِي مَفَارِقِهِ لَا مَرْحَبًا هَا بَذَا اللَّوْنِ الَّذِي رَدِفَا

(٢) محجر العين : مدار بها ؛ ويقال : نكبت الحجارة خف البعير إذا أصابته وأدمته .

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في علوك دانيا » .

والسمااء أفضاً سقْفُ البفء؁ ومفه قوفه فعالف؁ ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴾ ؛ [الحج : ١٥] .

وقالف ابن الأعرابف؁؁ ففقال لأعلف البفء : سماء البفء؁ وسماوفه؁ وسرافه؁ وصهوفه ؛ والسمااء أفضاً: المظر قال الله فعالف: ﴿ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا ﴾ ؛ [الأنعام : ٦] . ومفه الحدفث ٥ الذف رواف أبو هررفة أن النبف صلف الله عافه وآله مر على صبرة طعام ؛ فأدخل علفه السلام فده ففها؁ فنالف أصابعه بللاً؛ فقال: ماهذا فاصحاب البر؟ قال: أصابته السماء فارسول الله؁ قال علفه السلام: « أوالا جملةفه فوق الطعام؁ فراه الناس! مَن غشّ فلفس منا » . وقال الملقب العبدف:

١٠ فَلَما أَنانِ وَالسَّمَاءُ تَبَّئُهُ فَقَلْتُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً

وفقال أفضاً لظهر الفرس : سماء؛ كما فقال فف حوافره : أرض. ولبعضهم فف فرس:
وأحمر كالذبفار؁ أما سماؤه ففخصب؁؁ وأما أرضه ففمحول^(١)

وإنما أراد أنه سمن الأعلى؁ عربان القوائم ممشوقها؛ وكل معانى السماء الفف ففصرف وفتنوع فرجع إلى معنى الارتفاع والعلو والسمو؛ وإن اختلفت المواضع الفف أجريت هذه اللفظة ففها.

١٥

وأولى المعانى بالخبر الذف سئلنا عنه ماقدّمناه من معنى العزة وعلو الشأن والسلطان؁ وما عدا ذلك من المعانى لافلق به فعالف؛ لأنّ العلو بالمسافة لاففجوز على القفم فعالف الذف لفس ففجسم ولا فوهر ولا حال ففهما؛ ولأنّ الخبر والآفة الفف ففضمنف أفضاً ذكر السماء فخرجف مخرج المذحة؁ ولا فمدح فف العلو بالمسافة؛ وإنما الفمدح بالعلو والشأن والسلطان ونفاذ الأمر؛ ولهذا لاففجد أحداً من العرب فمدح ففره فف شعر أونثر ففمّل هذه اللفظة؛ وأراد بها ٢٠ علو المسافة؛ بل لاففريدون إلا ما ذكرناه من معنى العلو فف الشأن؛ وإنما فظن فف هذا الموضع ففلاف هذا مَن لافظنة عنده ولا بفصرة له؛ والحمد لله رب العالمفن .

(١) البفء لطففل الفنوى؁ وهوفف ملحقاف ففوانه ٦٣؁ واللسان (سما).

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود : ٤٠] :

الجواب ، قلنا : أمّا التنور فقد ذكر في معناه وجوه :

٥ أولها أنه أراد بالتنور وجه الأرض ؛ وأنّ الماء ينبع وظهر على وجه الأرض وفار ؛ وهذا قول عكرمة ، وقال ابن عباس مثله ، والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً .

وثانيها أن يكون المعنى أن الماء ينبع من أعلى الأرض ، وفار من الأما كن المرتفعة منها ؛ وهذا قول قتادة ؛ وروى عنه في قوله تعالى : ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ ؛ قال : ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها .

١٠ وثالثها أن يكون المراد بـ ﴿ فَارَ التَّنُّورُ ﴾ أي برز النور ، وظهر الضوء ، وتكاثفت حرارة دخول النهار ، وتقضى الليل . وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين عليه السلام .

ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يختبئ فيه على الحقيقة ؛ وأنه تنور كان لآدم عليه السلام^(١) . وقال قوم : إن التنور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة^(٢) من أرض الشام . وقال آخرون : بل كان التنور في ناحية الكوفة ؛ والذي^(٣) روى عنه أن التنور هو

١٥ تنور الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم .

(١) م : « لآدم عليه السلام أبي البشر » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : وردة : اسم امرأة ؛ تنسب العين إليها . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « والذين روى عنهم » .

وخامسها أن يكون معنى ذلك : اشتدَّ غضب الله تعالى عليهم ، وحلَّ وقوع نعمته بهم ؛
فذكر تعالى التنوير مثلا لحضور العذاب ، كما تقول العرب : قد حمى الوطيس^(١) ؛ إذا اشتد
الحرب ، وعظم الخطب . والوطيس هو التنوير . وتقول العرب أيضاً : قد فارت قدْرُ القوم
إذا اشتد حربهم ؛ قال الشاعر :

تَفُورُ عَلَيْنَا قَدْرُهُمْ فَنَدِيمُهَا وَنَفْثُوْهَا عَنَّا إِذَا حَمِيَهَا غَلًّا^(٢) ٥

أراد بقدرهم حربهم ، ومعنى نديمها : نسكنها ، ومن ذلك الحديث المروي عن النبي
صلى الله عليه وآله أنه نهى عن البول في الماء الدائم ؛ يعنى الساكن . ويقال : قد دوّم الطائر
في الهواء ، إذا بسط جناحيه وسكنهما ولم يخفق بهما . ونفثوها ، معناه نسكنها ؛ يقال : قد نفثت
غضبه عنى ، وفتأت الحارَّ بالبارد / إذا كسرت به .

[٢٧٣]

وسادسها أن يكون التنوير الباب الذى يجتمع فيه ماء السفينة ؛ فجمل فوران الماء ١٠
منه والسفينة^(٣) على الأرض علماً على ما أندر به من إهلاك قومه ؛ وهذا القول يروى عن
الحسن .

وأولى الأقوال بالصواب قول من حمل الكلام على التنوير الحقيق ؛ لأنه الحقيقة وما
سواه مجاز ؛ ولأن الروايات الظاهرة تشهد له ؛ وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر قول من حمل
ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلاً وتشبيها ؛ لأن حمل الكلام على الحقيقة التى ١٥
تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية .

وأى الممانى أريد بالتنوير فإن الله تعالى جمل فوران الماء منه علماً لنبيه ؛ وآية تدل على نزول
العذاب بقومه ؛ لينجو بنفسه وبالْمُؤْمِنِينَ .

(١) حاشية الأصل : « روى أن أول من تكلم بحمى الوطيس رسول الله صلى الله عليه وآله ،

فقال عليه السلام : « الآن حمى الوطيس » . (٢) البيت فى اللسان (نثاً) ، ومقاييس اللغة (٢ : ٣١٥)

منسوبة إلى النابغة الجعدي . (٣) ضبطت فى الأصل بالفتح والضم معا ؛ وفى حاشية الأصل :

« إذا نصبت كان عطفا على « فوران » ويكون « على الأرض » حالا ؛ والرفع أولى . »

فأما قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فقد قيل: المراد به: احمِلُ من كلِّ ذكر وأُنثى اثنين، وإنه يقال لكل واحد من الذكر والأُنثى زوج.

وقال آخرون: الزوجان هاهنا الضربان؛ وقال آخرون: الزوج: اللون؛ وإن كل ضرب يسمى زوجاً؛ واستشهدوا ببیت الأعمشى^(١):

وكلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيَاجِ يَابِسُهُ أَبُو قَدَامَةَ مَجْبُوراً بِذَلِكَ مَعَا^(٢)

ومعنى ﴿مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾؛ أى مَنْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِمَذَابِهِ وَحُلُولِ الْهَلَاكِ بِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ.

تَأْوِيلُ خَبْرٍ

إن سأل سائل عن الخبر الذى يرويه شريك بن عمار الدهنى^(٣) عن أبي صالح الحنفى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «رأيت النبي صلى الله عليه وآله فى المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الأوداد واللدد» ١٠.

الجواب، يقال له: أما الأود فهو الميل، تقول العرب: لا قيمنَّ مَيْلَكَ، وَجَنَفَكَ، وَأَوَدَكَ، وَدَرَأَكَ، وَضَلَمَكَ، وَصَدَّغَكَ، وَظَلَمَكَ (بالظاء)، وَصَغَوَكَ، وَصَعَرَكَ، وَصَدَدَكَ؛ كل هذا بمعنَى واحد.

وقال ثعلب: الأود إذا كان من الإنسان فى كلامه ورأيه فهو عَوَجٌ؛ وإذا كان فى الشئ [٢٧٣] المنتصب مثل عصا / وما أشبهها فهو عَوَجٌ؛ وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيبانى؛^ط

(١) ديوانه: ٨٦؛ وفى حاشية الأصل: «قبله»:

لَهُ أَكَلِيلٌ بِالْيَاقُوتِ زِينَتاً صَوَاغُهَا، لَا تَرَى عَيْباً وَلَا طَبَعاً

يعدج هودة بن على؛ ولم يلبس الناج معدى غيره. (٢) حاشية الأصل: «مجبوراً؛ من الجبر، وهو الإصلاح». وفى ديوانه: «محبوا»؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة): «محبو؛ أى هو محبو». (٣) فى: «شريك عن عمار الدهنى»؛ وهو تحريف، وبنو دهن: حى من العرب.

فإنه قال : المَوْج ، بالكسر : الاسم ، والعَوْج ، بالفتح : المصدر . وقال ثعلب : كأنه مصدر عَوْجَ يَعْمُوجُ عَوْجًا ؛ ويقال : عصاً معوّجةً ، وعُود معوّجٌ ؛ وليس في كلامهم معوّجٌ .
وأما اللدّد ؛ فقليل : هو الخصومات ، وقال ثعلب : يقال رجل ألدّ ، وقوم لُدّ إذا كانوا شديدي الخصومة ؛ ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] .

وقال الأُمويّ : اللدّد : الاعوجاج ، والألدّ في الخصومة : الذي ليس بمستقيم ، أي هو أعوج الخصومة ؛ يميل فلا يقوى عليه ولا يُستمكن^(١) منه ، ومن ذلك قولهم : لُدّ الصَّبِيّ ، وإنما يُلدّ في شقّ فيه ؛ وليس « يُلدّ » مستقيماً ؛ فهو يرجع إلى معنى الميل والاعوجاج . وقال : فسّر لنا الحكم بن ظهير ، فقال : ألدّ الخصام ، أي أعوج الخصام ، وأنشد أبو السّمح لابن مُقبل :

١٠ لَقَدْ طَالَ عَن دَهَاءِ لَدِّي وَعِذْرَتِي وَكَيْتَمَانِيَا أَكْنِي بِأُمَّ فُلَانِ
جَعَلْتُ لِجُهَالِ الرَّجَالِ مَخَاضَةً وَلَوْ شِئْتُ قَدْ بَيَّنَّنِيهَا بِلِسَانِي
اللدّ : الجدال والخصومة .

وقال أبو عمرو : الألدّ : الذي لا يقبل الحق ، ويطلب الظلم .

وقوله : «مخاضة» يقول : إنهم يخوضون في شعري ويطلبون معانيه ، فلا يقفون عليه .

١٥ وأنشد أبو السّمح :

لَا تَقْرَ الْكَذِبَ الْقَمِيحَ فَإِنَّهُ لِلْمَرْءِ مَعْيِبَةٌ وَبَابُ لِنَامِ
وَاصْدُقْ بِقَوْلِكَ حِينَ تَنْطِقُ ؛ إِنَّهُ لِلصِّدْقِ فَضْلٌ فَوْقَ كُلِّ كَلَامِ
وَإِذَا صَدَقْتَ عَلَى الرَّجَالِ خَصَمْتَهُمْ وَالصِّدْقُ مَقْطَعَةٌ عَلَى الظُّلَامِ
وَإِذَا رَمَاكَ غَشُومٌ قَوْمٍ فَارْمِهِ بِاللَّدِّ مُشْتَغِرِ الْمَدَى غَشَامِ
لَا تَعْرِضَنَّ عَلَى الْمَدُوِّ وَسِيْلَةً وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ عِنْدَ كُلِّ مَقَامِ
٢٠

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « يتمكن » .

واعلم بأنه ليس يوماً نافعاً عند اللئيم وسائل الأرحام
 مالم يخفك ويلق عندك جانباً خشناً وتصبحة بكأس سمام
 وإذا حلت^(١) بمأزق فأكرم به حتى تفرج حلبة الإظلام
 /واضبر على كرب البلاء فإنه ليس البلاء على الفتى بلزام
 واعلم بأنك ميت ومحدث عما فعلت معاشر الأقسام

[٢٧٤]

و
 ٥

معنى قوله « مشتغل المدي »، أى بميد المدي .

ومعنى قوله :

* لا تعرضن على العدو وسيلة *
 * * *

أى لا تقاربه ولا تصانمه ولا يكن بينك وبينه إلا صدق المدارة .

وأنشده أيضاً شاهداً لما تقدم :

١٠

يا وهب أشبه باطلي وجدى أشبهت أخلاقى فأشبهه مجدى

* وجد لي عند الخصوم اللد *
 * * *

* * *

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن أحسن ما وصف به الثغر قول فضالة بن وكيع

البكرى :

١٥ تبسم عن حم اللثات كأنها حصى برد أو أفحوان كثيب

إذا ارتفعت عن مرقد علفت به من اليانع الغورى فرع قضيب

قضيب نجاه الركب أيام عرفوا لها من ذرى مال النبات خضيب

— معنى من يانع الأراك . ومعنى نجاه، أى قطعه ، ومثله استنجاه أيضاً، ومال النبات ،

أى ناعم وحسنه ، يقال : عشب مال وماد ، سواء ، أى مباد ناعم .

٢٠ ومعنى — أيام عرفوا، أى اجتنوه من عرفات، وذكر أنه خضيب بالطيب الذى بيدها لإدمانها لاستعمال

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإذا حبست » .

وقال الأخطل يصف ثغراً :

شَتَيْتَا يَرْتَوِي الظَّمَانُ مِنْهُ إِذَا الجُوزَاءُ أُجْحَرَتِ الضَّبَابَا (١)

- الشتيت : المفرق المفلج الذي ليس بمتراكب -

ومعنى قوله :

• * إذا الجوزاءُ أُجْحَرَتِ الضبابا * •

فيه وجهان : أحدهما أنه أراد عند سقوط الجوزاء ؛ وذلك في شدة البرد وطول الليل إذا انجحرت الضباب من البرد، وتغيرت الأفواه لطول ليل الشتاء ؛ يقول : فثغرها حينئذ عذب غير متغير .

والوجه الآخر أنه أراد عند ضلوع الجوزاء في شدة الحر إذا انجحرت الضباب من شدة الحر والقيظ ؛ فالظمانُ حينئذ أشدُّ عطشاً وأحرَّ غلَّةً/، فريقتها يرويه ويبرد غلته .

[٢٧٤] ط

وقال آخر :

فَوَيْلٌ بِهَا (٢) لِمَنْ تَكُونُ ضَجِيمَهُ إِذَا مَا الثُّرَيَّا ذَبَدَبَتْ كُلَّ كَوْكَبٍ

قوله : « فويل بها » من الزجر المحمود : مثل قولهم : ويل امه ما أشجعه ! فكأنه

يقول : نعم الضجيع هي عند السحر ، إذا تحادرت النجوم للمغيب ، كما قال ذو الرثمة :

١٥

وَأَيْدِي الثُّرَيَّا جُنَّحٌ فِي المَغَارِبِ (٣)

(١) حاشية الأصل : « قبله :

أفاطم أعرضي قبل المنايا كفي بالموت هَجْرًا واجتنبابا

برقت بمارضيك ولم تجودي ولم يك ذلك من نَعْمَى ثوابا

كذلك أخلفتنا أم بشرٍ على أن قد جلت غرًا عذابا

واظر الديوان ص ٥٥ . (٢) حاشية الأصل : « نسخة س : « فويل امها » .

(٣) ديوانه : ٥٥ ، وصدده :

* ألا طرقتُ مَيَّ هَيُومًا بذكرها *

ومثل قول الآخر :

نَعِمَ شِمَارُ الْفَتَى إِذَا بَرَدَ اللَّيْلُ سُحَيْرًا وَقَفَقَفَ الصَّرْدُ (١)
وإنما يعنى أنها في ذلك الوقت الذى تتغير فيه الأفواه طيبة الريق عذبتة .

وأنشد أبو العباس المبرّد لأم المهيم :

وَعَارِضٍ كَجَانِبِ الْعِرَاقِ أَنْبَتَ بَرَّاقًا مِنَ الْبَرَّاقِ (٢)
يَذَاقُ (٣) مِثْلَ الْعَسَلِ الْمُرَاقِ (٤)

قال أبو العباس: في هذا قولان :

أحدهما أنه وصفت ثغراً . وعارضا : جانبه ، والعراق : ما يثنى ثم يخز كعراق القربة ،
فأخبرت أنه ليس فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص .

وقولها :

* أَنْبَتَ بَرَّاقًا مِنَ الْبَرَّاقِ *

أى ماتنته الأرض إذا مطرت من النور .

قال المبرّد : والقول الأول عندنا أصح لذكرها العسل .

وأنشد أحمد بن يحيى لتأبط شراً (٥) :

(١) من الفففة ؛ وهى الرعدة ، والصد : الذى آله الصرد ؛ وهو شدة البرد ؛ والبيت فى اللسان

(قف) ، والسكامل - بشرح الرصنى ٣ : ٦٣ ، وذكر بعده :

زَيْنَهَا اللَّهُ فِي الْفُؤَادِ كَمَا زَيْنَ فِي عَيْنِ وَالِدٍ وَلَدٍ

وهو أيضا فى كتاب الألفاظ ١٢١ ، ٢١٢ ؛ وذكر قبله :

مَا اكْتَحَلَتْ مَقْلَةً بِرُؤْيَيْهَا فَسَهَا الدَّهْرَ بَعْدَهَا رَمْدٌ

ونسب البيتين إلى عمر بن أبى ربيعة ، وهما فى ملحقات ديوانه : ٤٨٣ .

(٢) من نسخة بمحاشيتى الأصل ، ف : « البراق » بكسر الباء .

(٣) من نسخة بمحاشيتى الأصل ، ف : « يداق » .

(٤) حاشية الأصل : « نسخة ش : المذاق » .

(٥) البيتان فى الأصمعيات : ٣٥ ، والمخصص : ١٠ : ١٠٣ ، واللسان (صوح) .

وَشَعْبٍ كَشَلَّ^(١) الثَّوْبِ شَكْسَ طَرِيقَهُ^(٢) مَجَامِعُ ضَوْجِيهِ^(٣) نِظَافٌ مَخَاصِرُ
تَعَسَّفَتْهُ بِاللَّيْلِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ ، وَلَمْ يُحَسِّنْ لَهُ النَّعْتِ خَابِرُ
قال : يعنى بالشَّعبِ فمَ جارِية . كَشَلَّ الثَّوْبِ ، يعنى كَفَّ الثَّوْبَ إِذَا خَاطَهُ الخِيَاطُ .

وَالشَّكْسُ : الضَّيْقُ ، يَصِفُهَا بِصِغَرِ الفمِّ وحسنه ورقَّة الشفتين . وضوجاء : جانباه
وضَوْج الوادى / : جانبه ؛ ويعنى بالنِّظَافِ : الرِّيق . والمخاصر : الباردة ، من الخَصَرَ .

[٢٧٥] و

وقوله : « لم يهدنى له دليل » ؛ أى لم يصل إليه غيرى ، كما قال جرير :

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ قَد تَمَرَّتْ بِمَشْرَبٍ شَفَى النِّيمَ ، لَمْ يَشْرَبْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلِي^(٤)

النِّيم والنِّين : العطش ؛ وإنما يعنى ريقَ جارِية .

قال المبرد وقال آخرون : بل يعنى شِعْباً من الشَّعَابِ مَخَوْفاً ضَيِّقاً ، سلكه وحده .

قال أبو العباس : إنما كنى بالشَّعبِ عن فم جارِية ؛ ثم أخذ في وصف الشَّعبِ ؛ ليكون الأمر ١٠
أشدَّ التباساً .

قال سيدنا أدام الله علوه : والأشبهه أن يكون أراد شِعْباً حَقِيقَةً ، لأن تَأْبَطَ شَرّاً كان
لصاوصافاً للأهوال التى تَمْضى به ، ويعاينها فى تَلَصُّصِهَا . وكان كثيراً ما يصف تدليته من الجبال ،
وتخلصه من المضايق ، وقطعه المفاوز ، وأشباه ذلك ؛ والقطعة التى فيها البيتان كُتِبَتْ شَهيداً بأن

الوصف لشِعْبٍ لا لفم جارِية ؛ لأنه يقول بعد قوله : « وَشَعْبٍ كَشَلَّ الثَّوْبِ » : ١٥

لَدُنْ^(٥) مَطْلَعِ الشَّعْرَى ، قَلِيلٍ أُنَيْسُهُ كَأَنَّ الطَّخَا فِي جَانِبَيْهِ مَعَاجِرُ^(٥)

(١) حاشية الأصل . « يقال : شللت الثوب إذا خطنه خياطة خفيفة » . وفى حاشية الأصل : أيضا
« نسخة س : كشك » ؛ وهى رواية د ، ف ، والأصمعيات ، واللسان ، والمخمس .

(٢) كذا فى الأصول ؛ وفى حاشية الأصل : « ضوجيه : جانبيه ، والضوج : منعت الوادى » .
وفى الأصمعيات واللسان والمخمس : « صوحيه » باصاء ، والصوح : وجه الجبل العائم .

(٣) ديوانه : ٤٦١ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لدى » .

(٥) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الطخاء ، ممدود : السحاب ؛ ولعله قصره ضرورة . وإن رويت

الطخا بالضم ، كان جمع طخية » .

بِهِ مِنْ نَجَاءِ الدَّلْوِ بِيضٌ أَقْرَاهَا خَبَارٌ لَصُمِّ الصُّخْرِ فِيهِ قَرَأِقِرٌ (١)
 وَقُرْرُنٌ حَتَّى كُنَّ لِلْمَاءِ مُنْتَهَى وَغَادَرَهُنَّ السَّيْلُ فِيهَا يُغَادِرُ
 بِهِ نُظْفٌ زُرُقٌ قَلِيلٌ تُرَابُهَا جَلَا الْمَاءَ عَنْ أَرْجَائِهَا فَهَوَّ حَارٌ
 وهذه الأوصاف كلها لا تليق إلا بالشَّعب دون غيره ؛ وتأوَّل ذلك على الفم تأوَّلٌ بعيد.

وقد أحسن كثير في قوله يصف تُغْرَا :

وَيَوْمَ الحَبْلِ قَدْ سَفَرَتْ وَكَفَتْ رِدَاءَ المَصْبِ عَنْ رَتِيلِ بُرَادٍ (٢)
 وَعَنْ نَجْلَاءِ تَدَمَعُ فِي بِيَاضٍ إِذَا دَمَعَتْ وَتَنْظُرُ فِي سَوَادٍ
 وَعَنْ مُتَكَوِسٍ فِي المَقْصِ جَبَلٍ أَيْثِ النَّبْتِ ذِي غُدُرٍ جِمَادٍ (٣)

وقال أبو تمام في هذا المعنى :

/ وَعَلَى العَيْسِ خُرْدٌ يَتَبَسَّمُ نَ عَنْ الأَشْنَبِ الشَّتِيَةِ البُرَادِ (٤)
 كَانَ شَوْكُ السِّيَالِ حُسْنًا فَاضِحِي دُونَهُ لِلْفِرَاقِ شَوْكُ القِتَادِ (٥)

[٢٧٥]
ظ

وقال البحتري :

وَأَرْتَنَا خَدًّا يُرَاحُ لَهُ الوَرُ دُ ، وَيَشْتَمُهُ جَنَى التُّفَاحِ (٦)
 وَشَتِيَتَا يَفُضُّ مِنْ لَوْلُوِّ النَّظْمِ ، وَيُزْرِى عَلَى شَتِيَتِ الأَقَاحِي
 فَأَضَاعَتْ تَحْتَ الدُّجْنَةِ لِلشَّرِّ بَ ، وَكَادَتْ تُضِي لِلْمِصْبَاحِ (٧)

١٥

- (١) حاشية الأصل : « يعني بالدلو النجم ، وما يزعمون من كون المطر عند طلوع نجم وسقوطه نجم والنجاء : جمع نجو ، وهو السحاب الذى حراف ماء ، ويجوز أن يكون المعنى : من مياه النجاء بيض . ، فاقصر على ذكر النجاء ؛ لأنها تدل على المياه والحبار : الأرض الرخوة . (٢) ديوانه ١٥٩ : ٢ ، والأغاني ١٢ : ١٧٧ - ١٧٨ ، (طبع دار الكتب المصرية) . ويقال : ثغر رتل ؛ إذا كان حسن التنضيد مستوى النبات . والبراد : الباردة . (٣) الشعر المتكاوس : الكثيف المتراكم . والجبل : الكثيف اللثف . (٤) ديوانه : ٧٥ . (٥) حاشية الأصل : « السيال : ياسمين البر ، وله شوك . تشبه به الأسنان ؛ فيقول : كان أسنانها مثل شوك السيال حسنا ، فاعترض دونها شوك الفراق » . (٦) ديوانه ١ : ١٢٠ . (٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « كالمصباح » .

وقال أيضاً :

سَفَرْتُ كَمَا سَفَرَ الرَّبِيعُ الطَّلَقُ عَنْ
وَرْدٍ يُرْفِقُهُ الضُّحَى مَصْتُوَلِ
وَتَبَسَّمْتُ عَنْ لَوْلُوٍّ فِي رَصْفِهِ
بَرْدٌ بَرْدٌ حُشَاشَةَ الْمَتْبُولِ

وقد جمع كل ما يوصف به الثغر في قوله :

كأنا تضحكُ عن لؤلؤ
منضد أو برد أو أقالح^(١)



مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَغَضَبِ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ؛ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

فقال: ما أنكرتم أن تكون هذه الآية دالة على أنه تعالى جعل الكافر كافراً؛ لأنه أخبر بأنه جعل منهم من عبَد الطاغوت؛ كما جعل القرده والخنازير؟ وليس يجعله كافراً إلا بأن خلق كفره!

الجواب، يقال له^(١): قبل أن نتكلم في تأويل الآية بما تحتمله من المعاني: ^(٢) كيف يجوز أن يخبرنا بأنه ^(٢) جعلهم ^(٣)؛ كفاراً وخلق كفرهم! والكلامُ خرج مخرج الذم لهم؛ والتوبيخ على كفرهم، والمبالغة في الإزراء عليهم! وأى مدخل لكونه خالقاً لكفرهم في باب [٢٧٦] ذمهم! وأى نسبة بينه وبين ذلك! بل لا شيء أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقاً لما ذمهم من أجله. وهذا يقتضى أن يكون الكلام متناقضاً مستحيل المعنى؛ ونحن نعلم أن أحداً إذا أراد ذم غيره، وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول: ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالدم واللوم! من فعل كذا، وصنع كذا؛ وكان على كذا وكذا؛ فيعده من الأحوال والأفعال قبائحها، ولا يجوز أن يدخل في جملتها ما ليس بقبيح؛ ولا ما هو من فم الذم ومن جهته؛ حتى يقول في جملة ذلك: ومن تشاغل بالصنعة الفلانية التي أسلمها إليه وسجله عليها؛ وإن عقلاً يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف.

(١) حاشية الأصل: « نسخة س: لهم » . (٢-٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف:

« كيف يجوز أن يخبر الله تعالى » . (٣) م: « يجعلهم » .

فإن قيل : أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعل منهم القردة والخنازير ؛ ولا صنَع لهم في ذلك ! وكذلك يجوز أن يذمهم ويجعلهم عابدين للطاغوت ؛ وإن كان من فعله !
 قيل^(١) : إنما جعلهم قردة وخنازير عقوبةً لهم على أفعالهم وباستحقاقهم ، فجرى ذلك مجرى أفعالهم ، كما ذمهم بأن لعنهم وغضب عليهم ؛ من حيث استحقوا ذلك منه بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت ؛ فإن كان هو خلقها فلاوجه لذمهم بها ؛ لأن ذلك مما لا يستحقونه بفعل متقدم كالآمن والمسوخ .

ثم نعود إلى تأويل الآية فنقول : لا ظاهرَ للآية يقتضى ماظنوه ، وأكثر ما تضمنته الإخبارُ بأنه خلق وجعل من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ؛ ولا شبهة في أنه تعالى هو خلق الكافر ، وأنه لا خالق له سواه ؛ غير أن ذلك لا يوجب أنه خلق كفره وجعله كافرا .
 وليس لهم أن يقولوا : كما نستفيد من قوله : ﴿ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ أنه ١٠ جعل ما به كانوا كذلك ؛ هكذا نستفيد من قوله : جعل منهم من عبد الطاغوت أنه خلق ما به كان عابداً للطاغوت ؛ وذلك إنما استفدنا ما ذكره من الأول ؛ لأن الدليل قد دلَّ على أن ما به يكون القرد قرداً والخنزير خنزيراً ؛ لا يكون إلا من فعله .
 وليس ما به يكون الكافر كافراً مقصوداً على فعله تعالى ؛ بل قد دلَّ / الدليل على أنه تعالى [٢٧٦] ط
 عن فعل ذلك وخلقِه ، فافترق الأمران . ١٥

وفي الآية وجه آخر ؛ وهو ألا يكون قوله تعالى : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ معطوفاً على القردة والخنازير ؛ بل معطوفاً على ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ ؛ وتقدير الكلام : مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ عَبَدَ الطَّاغُوتَ ، وَمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ؛ وهذا هو الواجب ؛ لأن ﴿ عَبَدَ ﴾ فعل ، والفعل لا يعطف على الاسم ، فلو عطفناه على القردة والخنازير لكننا قد عطفنا فعلاً على اسم ، فالأولى عطفه على ماتقدم من الأفعال . ٢٠

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « قلنا » .

وقال قوم : يجوز أن يمطف ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ على الهاء واليم في ﴿مِنْهُمْ﴾؛ فكانه جعل منهم ، ويمن عبد الطاغوت القردة والخنازير ؛ وقد يحذف « مَنْ » في الكلام ؛ قال الشاعر :

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءٌ (١)

٥ أراد : ومن يمدحه وينصره .

فإن قيل : فهبوا هذا التأويل ساغ في قراءة مَنْ قَرَأَ بالفتح ، أين أنتم عن قراءة مَنْ قَرَأَ ﴿وَعَبُدَ﴾ بفتح العين وضم الباء ، وكسر التاء من ﴿الطَّاغُوتِ﴾ ، ومن قَرَأَ ﴿عَبُدَ﴾ الطَّاغُوتِ بضم العين والباء ، ومن قَرَأَ ﴿وَعَبُدَ﴾ الطَّاغُوتِ بضم العين والتشديد ، ومن قَرَأَ ﴿وَعَبَادَ﴾ الطَّاغُوتِ !

١٠ قلنا : المختار من هذه القراءة عند أهل العربية كلهم القراءة بالفتح ، وعليها جميع القراء السبعة ؛ إلا حمزة فإنه قرأ ؛ ﴿عَبُدَ﴾ بفتح العين وضم الباء ، وباقي القراءات شاذة غير مأخوذة بها .

قال أبو إسحاق الزجاج في كتابه في معاني القرآن : ” ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ نَسَقٌ عَلَى مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ ” قال : ” وقد قرئت ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ ؛ و ﴿عَبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ ؛ والذي أختره ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ . ”

١٥ ” وروى عن ابن مسعود رحمه الله : ﴿وَعَبُدُوا الطَّاغُوتَ﴾ فهذا يقوَّى : ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ ”

قال : ” وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَعَبُدَ الطَّاغُوتِ﴾ بضم الباء وخَفَضَ الطَّاغُوتَ فإنه عند بعض أهل العربية ليس بالوجه من جهتين : إحداهما أن « عَبُدَ » على وزن « فَعَلَ » ، وليس هذا من أمثلة الجمع ؛

[٢٧٧] / لأنهم فسروه خدَم الطَّاغُوتِ . والثاني أن يكون محمولاً على « وَجَعَلَ مِنْهُمْ عَبُدًا »

للطَّاغُوتِ . ثم خرَّج لمن قرأ ﴿عَبُدَ﴾ وجهاً فقال : إن الاسم بنى على « فَعَلَ » ؛ كما يقال : رجل

٢٠ حَذَرُ أَى مبالغ في الحذر ؛ فتأويل ﴿عَبُدَ﴾ أنه بلغ الغاية في طاعة الشيطان . وهذا كلام

الزجاج .

وقال أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي محتجاً لقراءة حمزة : ” ليس ﴿عَبُدَ﴾ لفظ

جمع؛ ألا ترى أنه ليس في أبنية الجوع شيء على هذا البناء! ولكنه واحدٌ يراد به الكثرة؛ ألا ترى أن في الأسماء المفردة المضافة إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد ومعناه الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾؛ [إبراهيم: ٣]. وكذلك قوله: ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾ جاء على «فعل» لأن هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة؛ وذلك نحو «يَقْظُ

ونُدُس»؛ فهذا كأن تقديره أنه قد ذهب في عبادة الشيطان والتذلل له كلَّ مذهب. ٥

قال: «وجاء على هذا لأن «عُبد» في الأصل صفة، وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء، واستعمل لهم

إياه استعمالها لا يزال عنه كونه صفة؛ ألا ترى أن «الأَبْرُقُ والأَبْطَحُ»^(١) وإن كانا قد استعملتا

استعمال الأسماء حتى كثرت هذا النحو عندهم من التفسير في قولهم: «أَبْرُقُ وَأَبْطَحُ»؛ فلم يزل

عنه حكم الصفة، يدلُّك على ذلك تركُّبهم صرفه، كتركُّبهم صرفَ «أحمر»، ولم يجعلوا ذلك

كأفكرك وأيدع^(٢)؛ وكذلك ﴿عَبْدٌ﴾ وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء لم يخرج ذلك عن ١٠

أن يكون صفة، وإذا لم يخرج عن أن يكون صفة لم يمنع أن يبنى بناء الصفات على «فعل»

وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحزمة؛ فإذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقيين المختارة،

وصح أيضاً سائرُ ما روى من القراءات التي حكها السائل كان الوجه الأول الذي ذكرناه في

الآية يزِيلُ الشبهة فيها.

ويمكن في الآية وجه آخر على جميع القراءات المختلفة في ﴿عَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾؛ وهو أن ١٥

يكون المراد بجمل منهم عبد الطاغوت؛ أي نسبه إليهم، وشهد عليه بكونه من جملتهم.

وا «جمل» مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل؛ كقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورِ﴾،

[الأنعام: ١]؛/ وكقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الجِبَالِ أَكْنَانًا﴾؛ [النحل: ٨١]؛ وهي هاهنا [٢٧٧]

تتعدى إلى مفعول واحد؛ وقد تكون أيضاً بمعنى التسمية والشهادة؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَمَلُوا

المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَا﴾؛ [الزخرف: ١٩]؛ وكقول القائل: جعلت البصرة ٢٠

(١) الأبرق: أرض فيها حجارة سود وبيض، والأبطح: الأرض المنبضحة.

(٢) الأفسكل: الرعدة، والأيدع: صبغ أحمر؛ وهو المسمى دم الأخوين.

بغداد، وجعلتني كافراً، وجعلت حسني قبيحاً؛ وما أشبه ذلك؛ فهي هاهنا تتمدى إلى مفعولين. و«جعل» مواضع آخر لا حاجة بنا إلى ذكرها؛ فكانه تعالى قال: ونسب عبد الطاغوت إليهم، وشهد أنهم من جملتهم.

فإن قيل: لو كانت ﴿جَعَلَ﴾ هاهنا على ما ذكرتم لوجب أن تكون متعدية إلى مفعولين؛ لأنها إذا لم تتمد إلا إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا الخلق.

قلنا: هذا غلط من متوهّمه؛ لأن ﴿جَعَلَ﴾ هاهنا متعدية إلى مفعولين، وقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية، لأن كل جملة تقع في موضع خبر المبتدأ فهي تحسُن أن تقع في موضع المفعول الثاني؛ كجعلت وظننت وما أشبههما. وقال الشاعر:

١٠ أباالأراجيزِ يابنَ اللؤمِ تُوعدُنِي وفي الأراجيزِ خلت اللؤمُ والخور^(١)

وقد فسر هذا على وجهين: أحدهما على الفاء «خلت» من حيث توسطت الكلام؛ فيكون «في الأراجيز» على هذا في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ، والوجه الثاني على إعمال «خلت» فيكون «في الأراجيز» في موضع نصب من حيث وقع موقع المفعول الثاني. وهذا بيان لمن تدبره.

١٥ قال سيدنا أدام الله علوه: أنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

أما وأبى للصبرُ في كلِّ خَلَّةٍ أقرُّ لِعَيْنِي من غَسِي رَهْنِ ذِلَّةٍ
وإني لأختارُ الظَّما في مَواطِنِ على بارِدِ عَذْبٍ وأغنى بَغْلَةَ
وأستُرُّ ذَنْبَ الدَّهْرِ حتى كأنَّهُ صَدِيقٌ، وَلَا أَعْتَابُهُ عِنْدَ زَلَّةٍ
ولستُ كمن كان ابنُ أُمِّي مَقْتِراً فلمَّا أفادَ السَّالَ عادَ ابنَ عِلَّةٍ
فدأبَرْتُهُ حتى انقَضَى الودُّ بيننا ولم أنمطقْ من نَدَاهُ بِبِئَلَّةٍ
/ وكُنْتُ لَهُ عِنْدَ المِمَّاتِ عُدَّةً أسدُّ بِمَالِي دُونَهُ كلَّ خَلَّةٍ

٢٠

[٢٧٨]

و

(١) البيت لعين المقرئ يهجو العجاج؛ وهو من شواهد الكتاب (١: ٦٠).

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : الأولى في هذه القطمة إطلاقها . الخلة : الحاجة ،
والخلة أيضاً : الخصلة . والخلة ، بالضم : المودة ، والخلة أيضاً ، بالضم : ما كان خلواً من المرعى .
والخلة ، بالكسر : ما يخرج من الأسنان بالخلال .

والخليل : الحبيب ؛ من المودة والمحبة ، والخليل أيضاً : العقير ؛ وكلا الوجهين قد ذكر في
قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ؛ [النساء : ١٢٥] ، ومنه حديث ابن مسعود : ٥
« تعلموا القرآن فإنه لا يسدرى أحدكم متى يُحتلُّ إليه » .

قال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين : أحدهما من الخلة التي هي الحاجة ؛ أى متى
يحتاج إليه ، ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ؛ ويكون معناه : متى يشتهى ماعنده ،
مُشَبَّهٌ بالإبل ؛ لأنها ترعى الخلة فإذا مدتها عدلوا بها إلى الحمض ؛ فإذا ملت الحمض اشتبهت
الخلة ؛ ومن أمثالهم : « جاءوا مُخِلِّينَ فلاقوا حمضاً » ؛ أى جاءوا مشتهين لقتالنا فلاقوا
ما كرهوا .

والخلة أيضاً : بنت المخاض والذكر الخلل ؛ ويقال : جسم خلّ إذا كان مهزولاً ؛ قال الشاعر :

فاسقنيها ياسواد بن عمرو
إن جسمي بعد خالي لخل^(١)

ويقال أيضاً : فصيل مخلول إذا شد لسانه حتى لا يرضع ؛ ويقال : خللته فهو خليل ومخلول ؛

١٥

ومثله أجرته ؛ قال الشاعر :

فلو أن قومي أنطقني رماحهم
نطقت ؛ ولكن الرماح أجرت^(٢)

أى لم يعملوا في الحرب شيئاً فكنت أفتخر بهم .

وقوله :

* أقرّ لعيني من غنى رهن ذلة *

(١) من قصيدة تنسب لتأبط شرا ، وقيل إنها لابن أخته خفاف بن نفاة ، وقيل للشنفرى ، وقيل لحنف

الأحمر ؛ وأولها :

إن بالشعب الذى دون سلع
لقتيلا دمه ما يطل

وهى في حماسة أبي تمام - بشرح المرزوق ٨٢٧-٨٣٩ وانظر الألكى : ٩١٩ .

(٢) البيت في حماسة أبي تمام - بشرح المرزوق ١٦١ ؛ من قطعة لعمر بن معدى كرب .

يقول : أختار الصيانة مع الفقر أحبّ إلىّ من الغنى مع الذلّ ؛ ومثله :

إِذَا كَانَ بَابُ الذُّلِّ مِنْ جَانِبِ الْغِنَى سَمَوْتُ إِلَى الْعَلِيَاءِ مِنْ جَانِبِ الْفَقْرِ
صَبَرْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً وَحَسْبُكَ أَنَّ اللَّهَ أَنَّنِي عَلَى الصَّبْرِ

وقوله :

وأستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق

أراد : أنى لأشكو ما عيشتى به الدهر من خصاصة ؛ بل أستر ذلك وأظهر التجمّل حتى

[٢٧٨] لا أسوء الصديق وأسر المدوّ . وهذا المعنى / أراد بقوله : « ولا أغتابه عند زلّتى » .

ظ

وقوله :

* فلما أفاد المال عاد ابن علة *
*

١٠ فالعرب تقول : هم بنو أعيان ؛ إذا كان أبوهم واحدا وأمهم واحدة ؛ فإذا كان أبوهم واحداً

وأمهاتهم شتى قيل أولاد علات ؛ ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال :

« النبيون أولاد علات » ؛ أى أمهاتهم شتى وأبوهم واحد ؛ وكنى الشاعر بذلك عن

التباعد والتقاطع والتقالى ؛ لأن الأكثر فى بنى العلات ما ذكرناه .

وقوله : « ودابرتّه » أى قاطمته .

وقوله :

١٥

* ولم أتمطق من نداء بيلة *
*

فأتمطق يكون بالشففتين ، والتلمظ يكون باللسان ، وكنى بذلك عن أنه لم يصب من خير

شيئاً ؛ وصان نفسه عنه .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل فقال : ما تأويل قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وما الذى أثبت لهم العلم به ؟ وكيف يطابق وصفهم هاهنا بالعلم لوصفهم بالجهل في

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [الزمر : ٦٤] .

الجواب ، قلنا : هذه الآية معناها متعلق بما قبلها ؛ لأنه تعالى أمرهم بعبادته ، والاعتراف

بنعمته ؛ ثم عدد عليهم صنوف النعم التي ليست إلا من جهته ؛ ليستدلوا بذلك على وجوب

عبادته ؛ وإن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة ؛ فقال جل من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ

الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ [إلى آخر الآية] ؛ ونبه في آخرها على وجوب توحيده والإخلاص

له ، والآية يشرك به شيء ، بقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ أى يمكن أن تستقروا عليها

وتفرشوها وتقتصر فوا فيها ؛ وذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائماً

السكون .

وقد استدل أبو علي بذلك ، وبقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ على بطلان

ما نقوله المنجمون من أن الأرض كرية الشكل ؛ وهذا القدر / لا يدرك ؛ لأنه يكفي في [٢٧٩]

النعمة علينا أن يكون فيها بسائط ومواضع مسطوحة يمكن التصرف عليها ؛ وليس يجب أن

يكون جميعها كذلك ؛ ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطة وإن كان

مواضع التصرف منها بهذه الصفة ، والمنجمون لا يدفعون أن يكون في الأرض بسائط وسطوح يتصرف عليها ، ويستقرّ فيها ؛ وإنما يذهبون إلى أن بجماتها شكل الكرة .

وليس له أن يقول : قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ يقتضى الإشارة إلى جميع الأرض وجمتها ؛ لا إلى مواضع منها ، لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث أنا نعلم ٥
بالمشاهدة أن فيها ما ليس ببساط ولا فراش ؛ ولا شبهة في أن جملة السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا . وكذلك إنزاله تعالى منها الماء الذى هو المطر الذى تظهر به الثمرات فننتفع بنيلها والاعتناء بها .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْمَعُوا لِلَّهِ أَدْدًا ﴾ فإن الندّ هو المثل والمِثْل ؛ قال حسان ابن ثابت :

١٠ أَنَّهُمْ جُوهٌ وَلَسْتُ لَهُ بِنْدِي فَشَرُّكُمْ إِخَيْرِكُمْ الْفِدَاءُ (١)

فأما قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فيحتمل وجوهاً :

أولها أن يريد أنكم تعلمون أن الأنداد التى هى الأصنام وما جرى مجراها التى تعبدونها من دون الله تعالى لم يُنعم عليكم بهذه النعم التى عددها ولا بأمثالها ، وأنها لا تضرُّ ولا تنفع ، ولا تسمع ولا تبصر ؛ ومعلوم أن المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ما كانوا يدعون ولا تعتقدون أن الأصنام خلقت السماء والأرض من دون الله ولا معه تعالى ؛ فالوصف لهم ١٥
هاهنا بالعلم إنما هو لتأكيد الحجة عليهم . ويصح لزومها لهم ؛ لأنهم مع العلم بما ذكرناه يكونون أضيّقَ عذرا .

والوجه الثانى أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أى تمقلون وتميزون ، وتعلمون ما تقولون وتفعلون ، وتأتون وتذرون ، لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط التكليف ، ولزمته الحجة ، وضاق عذره فى التخلف عن النظر وإصابة الحق .

[٢٧٩] ونظير ذلك / قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ؛ [الزمر : ٩] و ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ؛ [فاطر : ٢٨] .

والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين كمجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل خاصة . ومعنى ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أى أنكم تعلمون أنه إله واحد فى التوراة والإنجيل .

فعلَى الوجهين الأولين لاتنافية بين هذه الآية وبين قوله تعالى : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ؛ لأن علمهم تعلق بشيء ، وجهلهم تعلق بغيره . وعلى الوجه الثالث إذا جعل الآية التى سئلنا عنها مختصة بأهل الكتاب أمكن أن تجعل الآية التى وُصِفوا فيها بالجهل تتناول غير هؤلاء ؛ ممن لم يكن ذا كتاب يجد فيه بيان التوحيد ؛ وكل هذا واضح بحمد الله .

قال سيدنا أدام الله علوه : ومما يفسر من الشعر تفاسير مختلفة؛ والقول محتمل للكل

١٠

قول امرى القيس :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَمَعَى الْقَانِصَانِ	وَكُلُّ بَمْرَبَاءَةٍ مُقْتَفِرٍ (١)
فَيُدْرِكُنَا فَنِمُّ دَا جَبُّ	سَمِيعٌ بَصِيرٌ طَلُوبٌ نَكِيرٌ
أَلَسُّ الضُّرُوسِ ، حَبِيُّ الضُّلُوعِ ،	تَبُوعٌ ، أَرِيبٌ ، نَشِيطٌ ، أَشِرٌ
فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِي النَّسَا	فَقُلْتُ : هَيْبَتٌ ! أَلَا تَنْتَصِرُ !
فَكَرَّرَ إِلَيْهِ بِمِيزَانِهِ	كَمَا خَلَّ ظَهَرَ اللِّسَانِ الْمُجْرُ
فَظَلَّ يُرْنَحُ فِي غَيْطَلٍ	كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ النَّعِيرُ

١٥

قال ابن السكيت : القانصان : الصائدان ، والمربأة : الموضع المرتفع يُرَبَّأُ فيه ، والمقتفر :

الذى يقتفر آثار الوحش ، يتبهما . وقال غيره : القانصان : البازى والصقر .

والفغم : الكلب الحريص على الصيد ؛ يقال : ما أشد فغمه ! أى ما أشد حرصه ! ،

قال الأعشى :

نَوْمٌ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ وَأَنْتَ بَالِ عُقَيْلٍ فَغَمٌ^(١)

أى مَوْلَعٌ ، والدَّاجِنُ : الذى يألف الصيد ، والسميع : الذى إذا سمع حساً لم يفتته ،
والبصير : الذى إذا رأى شيئاً من بُعد لم يكذبه بصره ، والتبوع : الذى إذا تبع الصيد أدركه
[٢٨٠] ولم يعجز عن لحوقه / ، والنَّكِرُ : المنكَّر الحاذق بالصيد ، ويروى « نَكْرٌ » بالضم .
و
٥ وقال ابن السكيت وغيره فى قوله :

* فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِى النَّسَا *

أى أنشَبَ الكلب أَظْفَارَهُ فِى نَسَا الثور ، والنَّسَا : عِرْقٌ فِى الفخذ معروف . « فقلت :
هُبِلَتْ » ؛ أى : فقلت للثور : هُبِلَتْ ، ألا تنتصر من الكلب ! قالوا : وهذا تهكم منه
بالثور واستهزاء به ، والأصل فى التهكم الوقوع على الشيء ؛ يقال : تهكَّم البيتُ إذا وقع
بعضه على بعض . ١٠

ومعنى :

* فَكَّرَ إِلَيْهِ بِمِرَاتِهِ *

قال ابن السكيت وغيره : معناه : فَكَّرَ الثور إلى الكلب بمِرَاتِهِ ؛ أى بقرنه .
ومعنى :

* كَمَا خَلَّ ظَهَرَ اللِّسَانِ الْمُجَبَّرِ * ١٥

أى طعنه كما يجبرُّ الرجلُ لسانَ الفصيل ، وهو أن يقطع طرف لسانه أو يشقّه حتى لا يقدر
على الشرب من خِلف أمه ، وذلك إذا كبر واستغنى عن الشرب .
ومعنى :

* فَظَلَّ يَرْنَحُ فِى غَيْطَلٍ * ١٥

أى ظلَّ الكلب يرنح^(٢) ، أى يميد ويتمايل كالسكران ، والغَيْطَلُ : الشجر الملتف ، ويكون
أيضاً الجلبة والصباح .

(١) ديوانه : ٣٠ . (٢) حاشية الأصل : « ترنح : تمايل من السكر وغيره ، ورنح عليه ،
على ما لم ينسجم على فاعله ، إذا استدار » .

وقوله :

* كما يَسْتَدِيرُ الحِمارُ النَعْرَ *^(١)

فالنَّعْرُ : الذى يدخل فى رأسه ذباب أزرق أو أخضر ، فيطَّح برأسه وينزو ، فشبّه الكلب فى اضطرابه ونزوّه بالحمار النعير ، قال ابن مقبل :

تَرى النُّعْرَاتِ الزُّرْقَ تحتَ لَبَانِهِ أَحَادَ وَمَثْنَى أَصَعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ^(١) ٥

وقال أحمد بن عبيد : القانصان: الفرس وصاحبه ؛ والحجّة أن الفرس تسمى قانصاً قول

عدى بن زيد :

تَقْنِصُكَ الخَيْلُ وَيَصْطَادُكَ الطَّيْرُ وَلَا تُنْكَحُ لَهُوَ القَنْبِصُ^(٢)

أى لا تمنع به .

١٠

قال: وقوله :

* فأنشَبَ أظْفارَه فى النَّسَا *^(٣)

معناه فأنشَب الكلب أظْفاره فى نسا الثور ، فقلت لصاحب الفرس أو لنفلاى المسك

للفرس : هَيْبَتَ ! ألا تدنو إلى الثور فتطعمه فقد أمسكه عليك الكلب ! قال : ومحال أن

يكون امرؤ القيس أغرى الثور بقتل كلبه ؛ لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصفه فى أكثر

١٥

شعره بأنه مرزوق منه مظفر فيه ، كقوله :

إِذَا مَا خَرَجْنَا قَالَ وَالدَّانُ أَهْلِنَا: تَعَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِنَا الصَّيْدُ نَحْطِبُ^(٣)

وكقوله :

مُطْعَمٌ لِلصَّيْدِ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهُ كَسْبٌ عَلَى كِبَرِهِ^(٤)

(١) اللسان (نعر) . (٢) شعراء النصرانية ٤٧٠ ، واللسان (نكح) .

(٣) خزانة الأدب ٢ : ١٩٧ ؛ ولم يرد فى ديوانه بشرح البطليوسى .

(٤) حاشية الأصل : « أى يطعم الصيد ؛ واللام دخلت للثبوتية » والببت فى اللسان (طعم) ، وشرح

فمجالٌ على هذا أن يغرى الثور بقتل كلبه .

[٢٨٠] قال: وتأويل « ألا تنتصر ! » ألا تدنو من الثور ! / والدليل على أن « تنتصر » بمعنى

ظ

« تدنو » قولُ الراعي :

وأفرغنَ في وادِي جَلَامِيدَ بَعْدَمَا علا البِيدَ سافِي القَيْظَةِ المتَنَاصِرُ

أى المتداني .

٥

وقال مضرّس بن ربّعيّ :

فإِنَّاكَ لَا تُعْطَى امْرَأً حَظًّا غَيْرِهِ وَلَا تَمْلِكُ الشَّقَّ الَّذِي الغَيْثُ ناصِرُهُ

أى دانٍ منه .

ومعنى : « أَلَصُّ الضَّرُوسِ » أى بعض أسنانه ملتصق ببعض .

١٠ وحبيُّ الضلوع : أى مشرف الضلوع عليها . ويروى : « حنى الضَّلُوعِ » بالنون أى

منحنيتها . ويقال : إن الضَّلُوعِ إذا تقوّست كان أوسع لجوفه وأقوى له ؛ ويروى أيضاً : « خفىّ

الضلوع » أى ضلوعه خفية داخلية فى جنبه .

ومعنى :

* فظلَّ يرئحُ فى غَيْطَلٍ *

١٥ أى ظلَّ الثور يرئحُ فى غَيْطَلٍ لَمّا طعنهُ صاحب الفرس . وقد يجوز أيضاً أن يكون ترئح الثور

لظفر الكلب به ، ولأنه أنشب أظفاره فيه ؛ وكلُّ ذلك محتمل .

ومما يحتمل أيضاً على وجوه مختلفة قول امرئ القيس :

فَتَوْضِحَ فالتِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (١)

قال قوم : معناه لم يدرُسْ رَسْمُهَا لنسج هاتين الريحين فقط ؛ بل لتتابع الرياح والأمطار ؛

٢٠ والدليل على ذلك قوله فى البيت الآخر :

* فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ ^(١) *

وقال آخرون: ومعنى: «لم يعف رسمها» لم يدرس، فالرسم على هذا القول باقٍ غير دارس. ومعنى قوله في البيت الآخر: «رسم دارس»، أي فهل عند رسم سيدرُس في المستقبل! وإن كان الساعة موجوداً غير دارس!

وقال آخرون في معنى قوله: «لم يعف» مثل الوجه الثاني؛ أي أنه لم يدرس أُرْها لها ٥ نسجتها، بل هي بواقٍ ثوابت، فذعن نحزن لها، ونجزع عند رؤيتها، ولو عفت وامتحت لاسترحنا، وهذا مثل قول ابن أحر:

أَلَا لَبْتَ الْمَنَازِلَ فَدُ بَلِينَا فَلَا يَبْكِينَ ذَا شَجِنٍ حَزِينَا

ومثل قول الآخر:

أَلَيْتَ الدِّيَارَ الَّتِي تَبْقَى لِتُحْزِنَنَا كَانَتْ تَبِينُ إِذَا مَا أَهْلُهَا بَانُوا [٢٨١]

وليس قوله:

* فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ *

نقضاً لهذا، إنما هو كقولك: دَرَسَ كِتَابُكَ، أي ذهب بعضه وبقي بعض.

وقال أبو بكر المبدى: معناه لم يعف رسمها من قلبي، وهو دارس من الموضع، فلم يتناول قوله: «لم يعف رسمها» ما تناوله قوله: «فهل عند رسم دارس» من جميع ١٤ وجوهه فيتناقض الكلام.

وقال آخرون: أراد بقوله: «لم يعف»، لم يدرس، ثم أكذب نفسه بقوله:

* فَهَلْ عِنْدَ رَسْمِ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلٍ *

(١) ديوانه: ٢١، وأوله:

* وَإِنْ شِفَائِي عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ *

كما قال زهير :

قَفُّ بِالذَّيَّارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُهَا الْقِدَمُ بلى ، وَغَيْرَهَا الْأَرْوَاحُ وَالذِّيمُ (١)

وكما قال الآخر :

فَلَا تَبْعَدُنْ يَا خَيْرَ عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ بلى ، إِنَّ مَنْ زَارَ الْقُبُورَ لَيُبْعَدَا

٥ أراد « ليعمدن » ، فأبدل الألف من النون الخفيفة؛ وهذا وجه ضعيف، وبيت زهير ليس يجب فيه ما توثق من المناقضة والتكذيب؛ لأنه يمكن أن يحمل على ما ذكرناه في أحد الوجوه المتقدمة؛ من أنه أراد أن رسمها لم يعف ولم يبطل كله، وإن كان قد غيرت الذيم والأرواح بعضه وأثرت في بعض .

فأما البيت الثانى فلا حجة فيه؛ لأنه لم يتضمن إيجاباً ونفيًا، وإنما دعاء له ألا يبعد،
١٠ ثم رجع إلى قوله: « بلى » إنه ليعمد من زار القبور، وما يدعى به غير واجب ولا ثابت، فكيف ينافى الإثبات الثانى!

ويمكن فى البيت وجه آخر، وهو أن يكون معنى: « لم يعف رسمها » أى لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم؛ ويثبتته التأمل، بل هو خاف غير لأخ ولا ظاهر. ثم قال
من بعد:

١٥ * فهل عند رسم دارس من معول *

فلم يتناقض الأول؛ لأنه قد أثبت الدروس له فى كلا الموضعين. ولا شبهة فى أن «عفا» من حروف الأضداد التى تستعمل تارة فى الدروس، وأخرى فى الزيادة والكثرة؛ قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ عَفْوًا ﴾؛ [الأعراف : ٩٥]؛ أى كثروا؛ ويقال: قد عفا الشعر إذا كثر، وقال الشاعر:

ولكننا نعضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومٍ

/أراد كثيرات اللحم؛ يقال: قد عفا وبرُّ البعير إذا زاد؛ ويقال: أعفيت الشعر وعفوته [٢٨١] ط إذا كثرت وزدت فيه، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تحفى الشوارب وتُعفى اللحى؛ أى توفر، وهذا الوجه عندى أشبه مما تقدم.



مَجْلِسُ ٦٨ خَر

تَأْوِيلُ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأً سَوْءٌ وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُنْكَلُ مِنْ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ؛
[مريم : ٢٨ ، ٢٩] .

فقال : مَنْ هارون الذي نسبت مريم إلى أنها أخته ؟ ومعلوم أنها لم تكن أختاً لهارون
٥ أخى موسى . وماعنى ﴿ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ ، ولفظة « كان » تدلُّ على ماضى (١)
وعيسى عليه السلام في حال قولهم ذلك كان في المهد ؟

الجواب، قلنا : هارون الذي نسبت إليه مريم قد قيل فيه أقوال :

منها أن هارون المذكور كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعُهر والشرّ وفساد الطريقة، فلما أنكروا
ما جاءت به من الولد، وظنوا بها ماهى مبرأةً منه نسبوها إلى هذا الرجل تشبيهاً وتمثيلاً ؛ وكان
١٠ تقدير الكلام : ياشبهة هارون في فسقه وقبيح فعله ؛ وهذا القول يُروى عن سعيد بن جبير .
ومنها أن هارون هذا كان أخاها لأبيها دون أمها ؛ وقيل إنه كان أخاها لأبيها وأمها، وكان
رجلاً معروفاً بالصلاح وحسن الطريقة والمعبادة والتأله .

وقيل : إنه لم يكن أخاها على الحقيقة ؛ بل كان رجلاً صالحاً من قومها ، وإنه لما مات شيع
جنازته أربعون ألفاً ، كلهم يُسمّى هارون ، من بنى إسرائيل ، فلما أنكروا ما ظهر من أمرها
١٥ قالوا لها : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ؛ أى ياشبهته في الصلاح ، ما كان هذا معروفاً منك ، ولا كان
والدُّك ممن يفعل القبيح ، ولا تتطرق عليه الريب !

(١) ف : « ماضى من الزمان » .

وعلى قول مَنْ قال إنه كان أخاها يكون معنى قولهم : إنك من أهل بيت الصلاح والسادد؛ لأن أبك لم يكن امرأ سوء ، ولا كانت أمك بغياً ، وأنت مع ذلك أختُ هارون المعروف بالصلاح والعفة ، فكيف أتيت بما لا يشبه نسبك ، ولا يعرف من مثلك !

ويقوى هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال: لما أرسلني / رسول الله صلى الله عليه وآله [٢٨٢] إلى أهل نَجْرَانَ قال لي أهلها : أليس نبيكم يزعم أن هارون أخو موسى ، وقد علم الله ما كان بين موسى وعيسى من السنين ! فلم أدرا ما أردت عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فذكرت ذلك فقال لي : « فهلاً قلت إنهم كانوا يُدْعَوْنَ بأنبيائهم والصالحين قبلهم » !

ومنها أن يكون معنى قوله: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ يا مَنْ هي من نسل هارون أخى موسى ؛ كما

يقال للرجل : يا أخا بنى تميم ، ويا أخا بنى فلان .

وذكر مقاتل بن سليمان في قوله تعالى : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ ^(١) قال: روى عن النبي صلى الله

عليه وآله أنه قال : « هارون الذى ذكروه هو هارون أخو موسى عليهما السلام » .

قال مقاتل : تأويل ^(١) ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾ يا مَنْ هي من نسل هارون ، كما قال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمُ هُودًا ﴾ ؛ [الأعراب : ٦٥] ، ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمُ صَالِحًا ﴾ ؛

[الأعراب : ٧٣] يعنى بأخيهم أنه من نسلهم وجنسهم .

وكلُّ قول من هذه الأقوال قد اختاره قوم من المفسرين .

فأما قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فهو كلام مبنيٌّ على الشرط والجزاء ،

مقصود به إليهما ؛ والمعنى : مَنْ يكن في المهدي صبيًا ، فكيف نكلمه ! ووضع في ظاهر اللفظ

الماضى موضع المستقبل ، لأن الشارط لا يشرط إلا فيما يستقبل ، فيقول القائل : إن زرتنى

زرتك ؛ يريد إن تزرتنى أزرك ؛ قال الله تعالى : ﴿ إِنْ شَاءَ جَعَلْنَا لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ﴾ ؛ ٢٠

[الفرقان : ١٠] يعنى إن يشأ يجعل .

وقال قُطْرِبُ: معنى ﴿كَانَ﴾ هاهنا معنى صار؛ فكانُ المعنى: وكيف نكلّم مَنْ صار في المهدي صبيا، ويشهد بذلك قول زهير:

أَجَزْتُ إِلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ (١)

وقال غيره: ﴿كَانَ﴾ هاهنا بمعنى خلق ووجد؛ كما قالت العرب: كان الحرّ، وكان البرد؛
 ٥ أي وجدا وحدثا.

وقال قوم: لفظة ﴿كَانَ﴾ وإن أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال؛ كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾؛ [آل عمران: ١١٠]، أي أنتم كذلك، وقوله تعالى: ﴿هَلْ كُنْتُمْ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٧٣] وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ [النساء: ١٧]؛ وإن كان قد قيل في هذه الآية الأخيرة غير هذا؛ قيل إن القوم ١٠ شاهدوا من آثار علمه وحكمته تعالى ما شاهدوا، فأخبرهم أنه لم يزل عليهما حكيمًا، أي فلانظنوا أنه استفاد علما وحكمة لم يكن عليهما.

[٢٨٢] ومما يقوى مذهب مَنْ / وَضَع لَفْظَةَ الْمَاضِي فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾؛ [الأعراف: ٤٤]؛ وقولهم في الدعاء: غفر الله لك، وأطال بقاءك! ١٥ وما جرى مجرى ذلك.

ومعنى الكلّ يفعل الله ذلك بك؛ إلا أنه لما أمن اللبس وضع لفظ الماضي في موضع المستقبل، قال الشاعر:

(١) ديوانه: ٣٢٣؛ والرواية فيه:

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرَنْدَجِ

— الضمير يعود إلى الطريق في البيت قبله، والحرّة: الكريمة، والأرحبية: منسوب إلى أرحب؛ وهو بطن من همدان تنسب إليه النجائب؛ لأنهما من نسله. والأرندج والبرندج: السواد، يسود به الحف.

فَأَدْرَكَتُ مَنْ قَدْ كَانَ قَبْلِي وَلَمْ أَدْعُ لِمَنْ كَانَ بَعْدِي فِي الْقَصَائِدِ مَصْعَدًا^(١)
 أراد لمن يكون بعدى .

ومما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي قول الصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ يَرْتِي الْمَغِيرَةَ بْنِ الْمُهَاجِرِ^(٢) :
 قُلْ لِلْقَوَائِلِ وَالغُرَاةِ^(٣) إِذَا غَزَوْا وَالْبَاكِرِينَ وَالْمُجَدِّ الرَّاحِ
 إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّاحَةَ ضُمْنَا قَبْرًا بِمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ
 فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحِ^(٤)
 وَأَنْضِحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدِمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذَبَابِ سَابِحِ
 معناه : « فلقد كان كذلك » .

(١) د ، ف : « انفضائل مصعدا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « أى بنفت درجة من كان قبلى » .
 (٢) فى حاشيتي الأصل ، ف : « هذه قصيدة رواها الأصمعيّ ازباد الأعجم ، وتروى للصلتان العبدىّ :
 وهى لإحدى المرأتى السبع ، وقال غيره : هى ازباد الأعجم ؛ وهو من عبد القيس ، وكان يلقب بالصلتان ،
 وإنما قيل له الأعجم للثغة فى لسانه ، ويقال : إنه نشأ فى العجم ، وكان من أشعر أهل زمانه ؛ وكان اصطفاه
 المهلب بن أبى صفرة الأزديّ ؛ فسكان زياد يمدحه وأهله ، وكان أثنى ، يقول للجراذة « زادة » ،
 فقال له شاعر :

وما صفراء تُدعى أم عوف كأنّ رجيلتَيْهَا مِنْجَلَانِ

فقال زياد :

أردت زادةً وأظنُّ أُخْرَى أردت بما أردت به لسانى

وكان يقول : « أنا أقول « السم » ، و « الأرب » تقوملى ، أراد « الشعر » ، و « العرب » .
 والقصيدة فى أمالى اليزيدى ١-٧ . (٣) فى الأمالى : « والغزى » كفى .

(٤) الكوم : جمع كوما ؛ وهى الناقة السمينة ؛ والجلاد : جمع جلدة ؛ وهى أدم الإبل لبنا .
 وفى د : « كوم الطى » ، وفى الأمالى : « كوم الهجان » . والطرف : الأصيل من الخيل . والسابح :
 الذى يجرى بقوة . وفى أمالى اليزيدى : « لما أنشد زياد الأعجم المهلب هذا اللوضع من القصيدة قال : أعقرت
 يا أبا أمانة ؟ قال : لا والله ، أصالحك الله ! قال : ولم ؟ قال : لأنى كنت على ابنة الأتان ، قال : أما إنك
 لو عقرت ما بقى بالبصرة طرف عتيق ، ولا حمل نجيح إلا شدت بمربطك أو نبخ بفنائك » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل فقال : كيف يطابق ما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «لَا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا طَيْرَةَ» وأنه قيل له : إن النُّقْبَةَ^(١) تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل ، فقال عليه السلام : « فما أعدى الأول ؟ » لما روى عنه عليه السلام من قوله : « لا يوردن ذوعاهة على مُصِحِّح » ، وقوله : « فِرٌّ من المجدوم فرارك من الأسد » ، وأن رجلاً مجذوماً أتاه لبيابته بيعة الإسلام فأرسل إليه بالبيعة ، وأمره بالانصراف ، ولم يأذن له عليه السلام ، وروى عنه عليه السلام أنه قال : « الشؤم في المرأة والدار والدابة » ؛ وظواهر هذه الأخبار متنافية متناقضة فيبينوا وجه الجمع بينها .

الجواب ، قلنا : إن ابن قتيبة قد سأل نفسه عن اختلاف هذه الأخبار ، وأجاب عن ذلك [٢٨٣] بما ذكره على وجهه ، ونذكر ما عندنا فيه ، فإنه خلط / وأتى بما ليس بمرضى .
 ١٠ قال : « إن لكل^(٢) من هذه الأخبار معنى وموضعاً ؛ فإذا وضع موضعه زال الاختلاف » .
 قال : « وللمدري معنيان :

أحدهما عدوى الجذام ، وإن المجدوم تشدد رأخته حتى تسقم في الحال مجالسيه ومؤاكله ، وكذلك المرأة تكون تحت المجدوم فتضاجعه في شعار واحد ، فيوصل إليها الأذى ؛ وربما جذمت ، وكذلك ولده ينزعون في الكبر إليه ، وكذلك من كان به سُلٌّ ودق^(٣) ، والأطباء تأمر بالآجلاس السلول والمجدوم ؛ ولا يريدون بذلك معنى العدوى ؛ وإنما يريدون بذلك تغير الرائحة ، وأنها قد يسقم في الحال اشتامها . والأطباء أبعدُ الناس من الإيمان بيمين أو شؤم ، وكذلك النُّقْبَةُ تكون بالبعير وهو جرب رطب ، فإذا خالط الإبل وحاكها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه نحواً مما به ؛ فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا يُوردن ذوعاهة على مُصِحِّح » .

(١) النقبة : أول شيء يظهر من الجرب ؛ وجمعها نقب . (وانظر نهاية ابن الأثير ٤ : ١٦٨) .

(٢) تأويل مختلف الأحاديث ص ١٢٣ وما بعدها ؛ واختلاف في العبارة . (٣) الدق : نوع من الحمى .
 ١٠٤ وعيون الأخبار ٨ / ١٤٤

قال: "وقد ذهب قوم إلى أنه أراد بذلك ألاَّ يظن أن الذي نال إبله من ذوات الماهة، فيأثم."

قال: "وليس لهذا عندي وجه؛ لأننا نجد الذي خبرتك به عيانا".

قال: "وأما الجنس الآخر من المدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من الطاعون، وحكى عن الأصمعي عن بعض البصريين أنه هرب من الطاعون، فركب حمارا ومضى بأهله نحو سفوان^(١)، فسمع حاديا يحدو خلفه، وهو يقول:

لنْ يُسَبِّقَ اللهُ على حِمَارٍ وَلَا على ذِي مَيْعَةٍ مُطَارٍ^(٢)
أَوْ يَأْتِيَ الحقَّ^(٣) على مِقْدَارٍ قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي

الصاحد
والك. ج ٢٥٩

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان بالبلد الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه».

وقال أيضا: «إذا كان ببلد فلا تدخلوه»؛ يريد بقوله: «لا تخرجوا» من البلد إذا كان فيه. ١٠

كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم؛ ويريد بقوله: «إذا كان ببلد فلا تدخلوه»

إن مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم، وأطيب لميشكم / قال: "ومن [٢٨٣]

ذلك المرأة تعرف بالشؤم، والدار، فينال الرجل مكروها أو جائحة فيقول: أعدتني بشؤمها".

قال: "فهذا الذي قال فيه عليه السلام: «لا عدوى»".

"فأما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «الشؤم في المرأة ١٥

والدار والدابة» فإن هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة، وأنه سمع من النبي صلى الله عليه

وآله شيئا فلم يبه.

وروى ابن قتيبة خبراً ورفعه إلى أبي حسان الأعرج أن رجلا دخل على عائشة فقالا: إن

أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة»، فطارت

(١) سفوان: منزل قريب من البصرة. (٢) الميعة: مصدر ماع الفرس إذا جرى.

(٣) حاشية الأصل: «نسخة س: الحنف»، وهي رواية ابن قتيبة.

شِقَقًا^(١) فقالت: كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم، مَنْ حَدَّثَ بِهَذَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ! وإنما قال رسول الله: «كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في المرأة والدار والداية»، ثم قرأت: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾؛ [الحديد: ٢٢].

• وروى خبرا يرفعه إلى أنس بن مالك قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله إننا نزلنا دارا فكثرت فيها عدونا، وكثرت بها أموالنا، ثم تحولنا منها إلى أخرى، فقلت فيها أموالنا، وقلنا عدونا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذروها فهي ذميمة». قال ابن قتيبة: "وهذا ليس ينقض الحديث الأول؛ وإنما أمرهم بالتحول منها؛ لأنهم كانوا مقيمين فيها على استئصال ظلها، واستيحاش لما نالهم فيها، فأمرهم بالتحول منها، وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استئصال ما نالهم السوء فيه؛ وإن كان لاسبب لهم في ذلك؛ وحب من جرى على يده الخير لهم وإن لم يردهم به، وبغض من جرى على يده الشر لهم وإن لم يردهم به.

قال سيدنا أدام الله علوه: ما وجدنا ابن قتيبة عميل شيئا أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الأخبار التي سألت نفسه عنها، والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلام: «لا عدوى ولا طيرة» ادعى ١٥ الخصوص فيما ظاهره العموم، وخصَّ العدوى بشيء دون آخر؛ وكلاهما سواء، وأورد تأويلا [٢٨٤] / يدفعه نص قول النبي صلى الله عليه وآله؛ لأنه عليه السلام لما سئل عن النقبة تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل قال عليه السلام: «فما عدى الأول؟» تكذيبا بعمدوى هذه النقبة وتأثيرها، فاطرح ابن قتيبة ذلك، وزعم أن الجرب يُعدى ويؤثر في المخاط والمواكل، وعول في ذلك على قول الأطباء، وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله.

٢٠ ومن طريف أمره أنه قال: "إن الأطباء ينفون عن مجالسة السلول والمجدوم؛ ولا يريدون

(١) الشققة في الأصل: الفطع.

بذلك معنى العدوى ، وإنما يريدون تغيير الرائحة؛ وأنها تُسَقِّم من أَدَمَنِ اشتامها“. وهذا غلط لأن الأطباء إنما تنهى عن ذلك خوفاً من العدوى ، وسببُ العدوى عندهم هو اشتام الرائحة ، وانفصال أجزاء من السقيم إلى الصحيح ، وليس إذا كان غير هذا عدوى عند قوم ما يوجب ألا يكون هذا أيضاً من العدوى .

ولما حكى عن غيره تأويلاً صحيحاً في قوله عليه السلام. « لا يوردن ذوعاهة على مُصِحِّح » ٥
ادعى أن العيان يدفع، وأى عيان معه! ونحن نجد كثيراً ممن يخالط الجربى فلا يجرب، ونجد إبلاً صحاحاً تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من أذرائها؛ فكأنه إنما يدعى أن العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وآله: « فما أعدى الأول »؟

والوجه عندنا في قول النبي عليه السلام: « لا يوردن ذوعاهة على مصحح » أنه عليه السلام إنما نهى عن ذلك؛ وإن لم يكن مؤثراً على الحقيقة؛ لأن فاعله كالدخل الضرر على غيره؛ لأن من اعتقد أن ذلك يُمدى ويؤثر فأورد على إبلاه؛ فلا بد من أن يلحقه لما تقدم من اعتقاده ضرر وغم، ولا بد من أن يذم من عامله بذلك؛ فكأنه عليه السلام نهى عن أذى الناس والتعرض لذمهم .

وقد يجوز أيضاً فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره مما لم يرتضه من أنهم متى ظنوا ذلك أثموا فنهى عليه السلام عن التعرض لما يؤثم .

١٥ ولو نقل ابن قتيبة مقاله عليه السلام في الطاعون: « إذا كان يبلى فلا تدخلوه »، وأمره لمن شكى إليه ما لحقه في الدار بالتحول عنها إلى هاهنا لكان قد أصاب ، لأنه حمل ذلك على أن تجنب البلد أسكن للنفس وأطيب للميش؛ وكذلك الدار، وهذا يمكن في قوله عليه السلام: [٢٨٤] ط
« لا يوردن ذوعاهة على مصحح » بعينه .

فأما قوله عليه السلام: « فر من المجدوم فرارك من الأسد » ، فليس فيه أن ذلك لأجل العدوى؛ وقد يمكن أن يكون لأجل نهن ربحه واستقذاره ، ونفور النفس عنه ، وأن ذلك ربما دعا إلى تعبيره والإزراء عليه . وامتناعه عليه السلام من إدخال المجدوم عليه لبيابته

يجوز أن يكونَ الغرضُ فيه غير العدوى ؛ بل بعض الأسباب المانعة التي ذكرنا بعضها .

وأما حديث الطاعون والقول فيه على ما قاله ؛ فقد كان سبيله لما عوّل في عدوى الجذام والجرَب على قول الأطباء أن يرجع أيضاً إلى أقوالهم في الطاعون؛ لأنهم يزعمون أن الطاعون الذي يعرض من تغير الأهوية وما جرى مجراها يُعدى كعدوى الجرَب والجذام ، والعيان الذي ادعاه ليس هو أكثر من وجود من يجرب أو يُجذم لمخالطة مَنْ كان بهذه الصفة .
وهذا العيان موجودٌ في الطاعون؛ فإننا نرى عمومهم من يسكن البلد الذي يكون فيه ، ويطراً إليه .

فأما الخبر الذي يتضمّن أن الشؤم في المرأة والدار والدابة ، فالذي ذكره من الرواية في معناه بزبل الشبهة به؛ على أنه لو لم يكن هاهنا رواية في تأويله جاز أن يُحمّل على أن الذي يتطير به المتطيّرون ، ويدعون أن الشؤم فيه هو المرأة، والدار ، والدابة ؛ ولا يكون ذلك إثباتاً للطيرة والشؤم في هذه الأشياء؛ بل على طريق الإخبار بأن الطيرة الثابتة إنما هي فيها لقوة أمرها عند أصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار ؛ وأمره عليه السلام بانتقاله عنها تأويل قريب ؛ وكان يجب أن يهتدى إليه فيما تقدم . وما التوفيق إلا من عند الله:

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَكِيمٌ﴾؛ [الشورى: ٥١].

فقال: أوليس ظاهر هذا الكلام يقتضى جواز الحجاب عليه وأنتم تمنعون من ذلك! الجواب، / قلنا: ليس فى الآية أكثر من ذكر الحجاب، وليس فيها أنه حجاب له [٢٨٥] تعالى أو محل كلامه أو لمن يكلمه. وإذا لم يكن فى الظاهر شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره عز وجل؛ مما يجوز أن يكون محجوباً. وقد يجوز أن يريد تعالى بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أنه يفعل كلاماً فى جسم محتجب على المكلم، غير معلوم له على سبيل التفصيل، فيسمع المخاطب الكلام ولا يعرف محله على طريق التفصيل، فيقال على هذا: هو مكلم من وراء حجاب.

وروى عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ قال: هو داود أوحى فى صدره فزبر الزبور، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ وهو موسى، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ وهو جبريل إلى محمد صلى الله عليه وآله. فأما الجبائى فإنه ذكر أن المراد بالآية: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ إلا مثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته، والنهى لهم عن معاصيه، وتنبئهم إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام، وما أشبه ذلك على سبيل الوحى.

قال: وإنما سمى الله تعالى ذلك وحياً لأنه خاطر وتنبئ به، وليس هو كلامهم على سبيل الإفصاح، كما يفصح الرجل منّا لصاحبه إذا خاطبه. والوحى فى اللغة إنما هو ماجرى مجرى الإيحاء والتنبئ على شيء من غير أن يفصح به؛ فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى فى الآية.

قال : وَعَنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه ، إلا مَنْ يريد أن يكلمه به ؛ نحو كلامه تعالى لموسى عليه السلام ، لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى عليه السلام وحده في كلامه إياه أولاً . فأما كلامه إياه في المرة الثانية فإنه إنما أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه ، وحجب^(١) عن جميع الخلق سواهم . فهذا معنى قوله عز وجل :

٥ ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ، لأن الكلام هو الذى كان محجوباً عن الناس .

وقد يقال : إنه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه ؛ فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه ؛ لأن الكلام عَرَضٌ لا يقوم إلا فى جسم .

ولا يجوز أن يكون أراد بقوله : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ أن الله تعالى كان [٢٨٦] ﴿ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ / يكلم عباده ؛ لأن الحجاب لا يجوز إلا على الأجسام المحدودة .

١٠ قال : وعنى بقوله : ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وبكلامه إلى أنبيائه عليهم السلام ، ليلتفوا عنه ذلك عباده على سبيل إزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وآله ، وإزاله سائر الكتب على أنبيائه .

فهذا أيضاً ضربٌ من الكلام الذى يكلم الله تعالى عباده ويأمرهم فيه بطاعته ، ونهاهم عن معاصيه ؛ من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى ، وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذى ذكره^(٢) الله تعالى فى أول الآية لأنه قد أفصح لهم فى هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه . والوحي الذى ذكره تعالى فى أول الآية إنما هو تنبيهه وخاطره ، وليس فيه إفصاح .

وهذا الذى ذكره أبو علي أيضاً سديد ، والكلام محتمل لما ذكره . ويمكن فى الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحجاب البعد والخفاء ، ونفى الظهور . وقد تستعمل العرب لفظة « الحجاب » فيما ذكرناه ؛ يقول أحدهم لغيره إذا استبعه فهمه ، واستبطأ فطنته : بينى وبينك حجاب ، وتقول للأمر الذى تستبعده وتستصعب طريقته : بينى وبين هذا الأمر حجبٌ وموانع وسواتر ؛ وما جرى مجرى ذلك ؛ فيكون

(١) د ، حاشية ف (من نسخة) : « حجبه » .

(٢) حاشية الأصل : « ش » ذكر ، بالبناء للمجهول .

معنى الآية : أنه تعالى لا يكلم البشر إلاّ وحياً ؛ بأنّ يُخَطَّر في قلوبهم ، أو بأنّ ينصب لهم أدلةً تدلّهم على ما يريد أو يكرهه منهم ؛ فيكون من حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطباً ومكلماً^(١) للعباد بما يدلُّ عليه . وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن مسموعاً - كما يُسمَع الخاطر وقولُ الرسول - ولا ظاهراً معلوماً لكل من أدركه ؛ كما أن أقوال الرسل المؤذنين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة . فصار الحجاب هاهنا كناية عن الخفاء وعبارة عمّا تدلُّ عليه الدلالة . وليس لأحد أن يقول : إنّ الذي تدلُّ عليه الأجسام من صفاته تعالى وأحواله ومراده . ولا يقال : إنه تعالى مكلم لنا به ؛ وذلك أنه غير ممتنع على سبيل التجوُّز^(٢) أن يقال فيما يدلُّ عليه الدليل الذي نصبه الله تعالى ليدل على مراده ، ويرشد إليه : إنه مكلم لنا ومخاطب به ؛ / ولا يمتنع المسلمون [٢٨٦] أن يقولوا : إنه تعالى خاطبنا بما دلّت عليه الأدلة العقلية ، وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا ، وفعل ما أَرادَه ، وهكذا يقولون فيمن فعل فعلاً يدل على أمر من الأمور : قد خاطبنا فلان بما فعل من كذا وكذا ، وقال لنا ، وأمرنا ؛ وزجرنا ، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي يُجرونها على الكلام الحقيقي . وهذا الاستعمال أكثر وأظهر من أن يورد أمثله ونظائره .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول أسماء بن خارجة ١٥

ابن حصن الفزاري :

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِنَا لِنَقْرِيهِ
بَادِي الشَّقَاءِ مُحَارَفُ الكَسْبِ^(٣)
يَدْعُو الغِنَى أَنْ نَالَ عُلُقَتَهُ
مِنْ مَطْعَمٍ غِبًّا إِلَى غِبِّ

(١) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أو مكلم » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « التجويز » .

(٣) من قصيدة له في الأصمعيات ٩-١١ ، مطلعها :

إني لسائل كل ذي طبٍّ ماذا دواء صباية الصبِّ

وَطَوَى تَمِيلَتَهُ وَأَلْحَقَهَا بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
 يَأْضِلَّ سَمْعِيكَ مَا صَدَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ !
 لَوْ كُنْتَ ذَالِبٌ تَعِيشُ بِهِ لَفَعَلْتَ فِعْلَ الرَّءِ ذِي اللَّبِّ
 وَجَمَعْتَ صَالِحَ مَا اخْتَرَفْتَ وَمَا جَمَعْتَ مِنْ نَهَبٍ إِلَى نَهَبٍ
 وَأَظْنُهُ شَغْبًا تُدِلُّ بِهِ فَلَقَدْ مُنِيتَ بِغَايَةِ الشَّغْبِ
 أَوْ كَانَ غَيْرَ مَنَاصِلٍ نَعَصِي بِهَا مَشْحُودَةٌ وَرَكَابِ الرَّكْبِ (١)
 فَأَعْمِدْ إِلَى أَهْلِ الْوَقِيرِ فَمَا يَخْشَاكَ غَيْرُ مَقْرَمِصِ الزَّرْبِ
 أَحْسِبْتِنَا بِمَنْ تَطِيفُ بِهِ فَاخْتَرْتِنَا لِلْأَمْنِ وَالْخِصْبِ
 وَبَغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا سَبَبٍ أَتَى، وَشَعْبِيكَ لَيْسَ مِنْ شِعْبِي
 لَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ نَافِعُهُ جِدٌّ تَهَاوَنَ صَادِقَ الْإِرْبِ
 وَأَلْحَ الْإِلْحَا حَاجَتِهِ (٢) شَكُوَى الضَّرِيرِ وَمَزَجِرَ (٣) الْكَلْبِ
 بَادِيَ التَّكْلُحِ يَشْتَكِي سَغْبًا وَأَنَا ابْنُ قَاتِلِ شِدَّةِ الشَّغْبِ
 / فَرَأَيْتُ أَنْ قَدْ نَلْتُهُ بِأَذَى مِنْ عَدَمِ (٤) مَثَلْبَةِ وَمِنْ سَبِّ
 [٢٨٦] وَرَأَيْتُ حَقًّا أَنْ أَضِيفَهُ إِذْ أُمَّ سِلْمِي وَأَتَى حَرْبِي (٥)
 فَوَقَفْتُ مُعْتَمًا أَزَاوِلُهَا بِمُهَنْدٍ ذِي رَوْنِقٍ عَضْبِ
 ١٥ فَعَرَضْتُهُ فِي سَاقِ أَسْمَنِهَا فَاجْتَازَ بَيْنَ الْحَاذِ وَالْكَعْبِ

- (١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذ كان » ؛ ويقال : عصى بالسيف بصي ؛ إذا ضرب .
 وفي حاشيتي الأصل ، ف : « عروض هذا البيت من القطعة سالم ، لأنها « متفاعلين » ، وأعارض سواء أخذ
 وضربه أخذ مضمراً . (٢) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لحاجته » .
 (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بمزجر الكلب » .
 (٤) المذم : العض ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « من بعد مثلبة » ؛ ومن نسخة أخرى :
 « من عظم مثلبة » .
 (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يجوز أن يكون مناه : فرأيت إن عاملته بشيء ، يؤدي ويرجع
 باللوم والسب على » ، فأعطيته تفادياً من ذلك .

فَتَرَ كُتْمَهُ^(١) لِعِمَالِهِ جَزَرًا عَمْدًا وَعَلَّقَ رَحْلَهَا صَحْبِي
ذَكَرَ ذُبَابًا طَرَفَهُ لَيْلًا .

وقوله : « محارَف الكسب » مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، أَى لَا يَبْقَى لَهُ نَسَبٌ إِلَّا شَيْءٌ يَكْتَسِبُهُ .
وقوله :

٥ * يَدْعُو الْغَنِيَّ أَنْ نَالَ عُقْلَتَهُ *
٥

أَى إِنْ وَجَدَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ مَطْعَمٍ .

غَيْبًا : أَى بَيْنَ يَوْمَيْنِ ، فَذَلِكَ عِنْدَهُ الْغِنَى .

وَالثَّمِيلَةُ : مَا يَبْقَى فِي الْبَطْنِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ عَلْفٍ ، وَمَعْنَى طَوَى ثَمِيلَتَهُ : ذَهَبَ بِهَا ، وَأَرَادَ

أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي بَطْنِهِ مَا يَمْسِكُهُ . وَاللِدْوَةُ : اللَّيْنُ ، وَاللِدْنُ : اللَّيْنُ ، فَأَرَادَ أَنَّهُ أَحْلَقَ بِقِيَّةِ طَعَامِهِ

بِصَلْبِهِ بَعْدَ أَنْ لَانَ مَا صَلَبَ مِنْهَا .

١٠ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الذُّبِّ كَالْمَاذِلِ لَهُ فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شُبِّ إِلَى ذُبِّ ! وَهَذَا اسْمَانِ

لِلشَّبَابِ وَالْمَهْرَمِ لَا يُفْرَدَانِ وَلَا يَلْفِظُ بِهِمَا إِلَّا هَكَذَا ، وَالْمَعْنَى فِيهِمَا : هُوَ مَنْذُ كُنْتَ شَابًا حَتَّى أَنْ

دَبَيْتَ عَلَى الْعَصَا ، ثُمَّ قَالَ : لَوْ كُنْتُ ذَا أَبٍّ لَجَمَعْتُ مَا تَصِيْبُهُ .

وَمَعْنَى « أَحْتَرَفْتُ » أَكْتَسَبْتُ . وَمَعْنَى « مِنْ نَهَبٍ إِلَى نَهَبٍ » ؛ أَى مِنْ عَدْوَتِكَ عَلَى

١٥ الْغَنَمِ إِلَى الْعَدْوَةِ الْآخَرَى .

ثُمَّ قَالَ : إِنْ كَانَ تَعَرَّضْتُ لَنَا شَغْبًا عَلَيْنَا فَقَدْ مُنِيتَ بِغَايَةِ الشَّغْبِ ؛ أَى هُوَ يُنَافِرُكَ

وَيَقَاتِلُكَ ، وَلَيْسَ هَاهُنَا مَا تُفِيرُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا مَعْنَى « مَنَاصِلِ » أَى سِيُوفٍ مَشْحُودَةٌ ، وَرَكَائِبُنَا

الَّتِي نَمْتِطُ بِهَا ؛ فَاعْمِدْ إِلَى أَهْلِ الْوَقِيرِ ، وَالْوَقِيرُ : الْقَطِيعُ مِنَ الْغَنَمِ ، وَلَا يُسَمَّى وَقِيرًا إِلَّا إِذَا

كَانَ فِيهِ حِمَارٌ ؛ يَقُولُ : فَعَمَلِيكَ بِمَوَاضِعِ الْغَنَمِ فَإِنَّمَا يَخْشَاكَ الرَّاعَى .

وَالْقُرْمِصُ : الَّذِي يَتَّخِذُ الْقُرْمُوصَةَ ، وَأَصْلُهُ الْمَكَانُ الضَّيِّقُ ، وَهُوَ هَاهُنَا

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « فَتَرَ كُتْمَهَا » .

حفرة^(١) يحتفرها الراعى فى الرمل فى شدة الحر للشاة الكريمة الصفيّة؛ حتى إذا بركت كان
ضرعها فى القرْمُوصة .

ومعنى « شعبك ليس من شعبي »، أى لست من جنسى ولا شكلى .

والإرب : الحديمة عند الحاجة

٥ وشكوى الضرير : الذى قدمسه الضرُّ . ومزجر الكلب ، أى هو قريب المكان
بقدر مزجر الكلب إذا زجرته ، أى إذا خسأته .

والسَّغْب : الجوع؛ وأراد/ بقوله : [٢٨٧]

* وأنا ابن قاتل شدة السَّغْب *

أى أنا ابن من كان يقْرِى ويطعم .

١٠ ثم رجع إلى كرمه فقال : ورأيتُ بعد ما سببته وعضضته بالأذى والعدْم أن أضيفه وأقربه
لأنه ضيف وإن كان ذئبا ، فوقفت أنظر فى ركائبى وأختار أسمنها . والاعتيام : الاختيار؛
وأزاولها : الألبسها^(٢) . والحاذان : حدّا الفخذين اللذين يليان الذنب .

وخبر أن رحل المطية التى عقرها علّقه بمضُ أصحابه على مطية أخرى .

وقال النجاشي^(٣) يذكر ذئبا :

(١) د ، وحاشية ف (من نسخة) : « حفرة » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألبسها » .

(٣) هو قيس بن عمرو بن مالك الحارثي ؛ ذكره ابن قتيبة فى الشعراء ٢٨٨-٢٩٣ ؛ وفى حاشيتي
الأصل ، ف : « قال ابن دريد : النجاشي : كلمة حبشية يسمون ملوكهم بها ؛ كما يسمون كسرى وقيصرو
وقال غيره : النجاشي ، بسكون الياء ولا يجوز تشديده . قال س : قرأت أنا بخط ابن جني : النجاشي ؛
بكسر الـسـون والتشديد وصحح عليه . وفى شعر الفرزدق « والنجاشيا » . وانظر الاشتقاق
ص ٢٣٩ والأبيات فى حماسه ابن الشجرى ٢٠٧ ، وممانى ابن قتيبة ٢٠٧ - ٢٠٨ . وخزانة الادب :

- وَمَاءٌ كَأَوْنِ النَّسْلِ قَدْ عَادَ آجِنًا قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي بَلَدٍ مَجْلٍ (١)
 وَجَدْتُ عَلَيْهِ الذَّنْبَ يَعْوَى كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ (٢)
 قُلْتُ لَهُ: يَا ذَنْبُ هَلْ لَكَ فِي فَتِي يُوَاسِي بِلَا مَنْ عَلَيْكَ وَلَا بِجَلِّ؟
 فَقَالَ: هَذَاكَ اللَّهُ لِلرُّشْدِ! إِنَّمَا دَعَوْتَ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي
 فَلَسْتُ بِآتِيهِ وَلَا أُسْتَطِيعُهُ وَلَا لَكَ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَأْوُكَ ذَا فَضْلٍ (٣)
 قُلْتُ: عَلَيْكَ الْحَوْضُ إِنِّي تَرَكْتُهُ وَفِي صِغْوِهِ فَضْلُ الْقَلُوصِ مِنَ السَّجْلِ (٤)
 فَطَرَّبَ يَسْتَعْوَى ذُنَابًا كَثِيرَةً وَعَدَيْتُ، كُلٌّ مِنْ هَوَاهُ عَلَى شُغْلٍ (٥)

وروى أن الفرزدق نزل بالغريرين فمراه بأعلى ناره ذئب ، فأبصره مقعياً يصيء ومع الفرزدق

مسلوخة ، فرمى إليه بيد فأكلها ، فرمى إليه بما بقي فأكله ؛ فلما شبع وتلى عنه فقال :

- ١٠ وَلِيْلَةَ بِنْتِنَا بِالْغَرِيرَيْنِ ضَافِنَا عَلَى الزَّادِ مَوْشَى الدَّرَاعَيْنِ أَطْلَسُ (٦)
 تَلَمَّسْنَا حَتَّى أَنَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَتْهُ أُمُّهُ يَتَلَمَّسُ

(١) قال البغدادي : « كان النجاشي عرض له ذئب في سفر له ، فدعاه إلى طعام وقال له : هل لك

ميل في أخ - يعني نفسه - يواسيك في طعامه بغير من ولا بجمل ؟ فقال له الذئب : قد دعوتني إلى شيء لم يفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم ، وهذا لا يمكنني فعله ، ولست بآتيه ولا أستطيعه ؛ ولكن إن كان في مائك الذي معك فضل عما تحتاج إليه فاسقني منه . وهذا الكلام وضعه النجاشي على لسان ذئب ؛ كأنه اعتقد فيه أنه لو كان ممن يعقل أو يتكلم لقال هذا القول وأشار به إلى تعشقه للأنثى التي لا ماء فيها ، فيهدى الذئب إلى مظانه فيها . والغزل : ما يغسل به من سدر ونحوه ، والآجن : الماء المتغير الطعم .

وفي المعاني « كآون البول » . (٢) الخليع : الذي خلعه أهله لجناية وتبرءوا منه .

(٣) البيت من شواهد الرضى على أن حذف النون من « لكن » لانتفاء الساكنين ضرورة ؛

تشبيهاً بالنونين أو بحرف المد واللين من حيث كانت ساكنة . وأورده سيبويه في باب ضرورة الشعر

(الكتاب ١ : ٩) وقال الأعمى : « حذف النون لانتفاء الساكنين ضرورة لإقامة الوزن ؛ وكان وجه

الكلام أن يكسر لانتفاء الساكنين ، شبهها في الحذف بحرف المد واللين ؛ إذ ساكنت وسكن ما بعدها ؛ نحو

يفزرو العدو ، ويقضى الحق ، ويحشى الله . (٤) الصغو : الجانب المائل ؛ وضبطت في الأصل بالفتح

والكسر معا ، والسجل : الدلو العظيمة . (٥) التطريب : ترجيع الصوت ومده .

(٦) ديوانه : ٤٨٥ ، وحامسة ابن الشجري ٢٠٨ . أطلس : أغبر تعلوه حمرة .

فلو أنه إذ جاءنا كان دانياً لألبسته لو أنه يتلبس^(١)
 ولكن تمحى جنبه بعد مادنا فكان كقاب القوس أو هو أنفس^١
 فقامته نصفين بيني وبينه بقية زاد والركائب نفس^(٢)
 وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده على طارف الظلماء لا يتعبس^(٣)

[٢٨٧] / ولابن عنقاء الفزاري، واسمه قيس بن بجرّة - وقيل بجرّة بالضم - الأبيات المشهورة
 ظ في الذئب :

وأعوج من آل الصريح كأنه بذى الشث سيد أبه الليل جامع^(٤)
 بغى كسبه أطراف ليل كأنه وليس به ظلع من الخمص ظالع^١
 فلما أتاه^(٥) الرزق من كل وجهة جنوب الملا وآسته المطامع^(٦)
 طوى نفسه طى الجريز كأنه حوى حية في ربوة، فهو هاجع^(٧)
 فلما أصابت متنه الشمس حكه بأعصل، في أنيابه السم ناقع^(٨)

(١) ف : « لو أنه كان بلبس » ، وهي رواية الديوان وابن لشجر

(٢) د ، ف : « زادي » ، وهي رواية الديوان .

(٣) د ، ف : « طارف الظلماء » ؛ وهي رواية الديوان .

(٤) الأبيات في المؤلف والمختلف : ١٥٨ ، أعوج : فرس والصريح : فحل من خيل العرب ؛ وف

حاشيتي الأصل ، ف : « ش : آخر الليل » ؛ ورواية البيت في المؤلف :

ويخطو على صم صلاب كأنه بذى الشث سيد آخر الليل جامع

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « أباه » .

(٦) حاشية الأصل : « نسخة ابن الشجري : « أيسته » .

(٧) حاشية الأصل : « حوى حية ، أى تحوى حية ، وحوى الحية : مقدار استدارتها » .

(٨) يريد بالأعصل : الناب المعوج .

وَفَكَكَ لَحْيَيْهِ فَلَمَّا تَعَادِيَا صَأَى ثُمَّ أَقَمَى، وَالْبِلَادُ بَلَاقِعُ^(١)
 وَهَمَّ بِأَمْرٍ ثُمَّ أَرْمَعَ غَيْرَهُ، وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعٌ
 وَعَارَضَ أَطْرَافَ الصَّبَا وَكَأَنَّهُ رِجَاعُ غَدِيرٍ هَزَّهُ الرِّيحُ رَائِعُ^(٢)

ولآخر في الذئب :

فَقُلْتُ : تَمَلَّمْ أَنْنَى غَيْرُ نَائِمٍ إِلَى مُسْتَقِيلٍ بِالْحَيَانَةِ أَنْبِيَا
 بَعِيدِ الْمَطَافِ لَا يُفِيدُ عَلَى الْغِنَى وَلَا يَأْتِي مَا أُسْطَاعَ إِلَّا تَكْسِبَا
 معنى « أنيب » غليظ الناب. لا أنام إليه ، أى لا أتق به ، من ذلك استنمت إلى فلان

أى اطمأنت إليه .

ومعنى « لا يفيد على الغنى » أى لا ياتمس مطعما وهو شبعان .

١٠ ولحميد بن ثور في الذئب :

فَظَلَّ يُرَاعِي الْجَيْشَ حَتَّى تَغَيَّبَتْ حُبَاشُ ، وَحَالَتْ دُونَهُنَّ الْأَجَارِعُ^(٣)
 إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَابَةَ^(٤) مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرُنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ
 خَفِيفُ الْعِمَا إِلَّا مَصِيرًا يَبْلُهُ دَمُ الْجَوْفِ أَوْ سُورٌ مِنَ الْحَوْضِ نَاقِعُ
 هُوَ الْجَمَلُ الدَّانِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ وَهُوَ الْعَدُوُّ الْمُنَازِعُ
 يَنَامُ بِإِحْدَى مُمْتَلِئِيهِ وَيَتَّقَى بِأَخْرَى الْمَنَايَا، فَهُوَ يَقْطَانُ هَاجِعُ^{١٥}

/ وصف ذئباً يتبع الجيش طمعاً فى أن يتخلف رجل يئب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب [٢٨٨]

(١) صأى : صاح ، وهذا البيت والذي يليه ينسبان لحميد بن ثور (واظر ديوانه ١٠٥ ، ١٠٦) .
 (٢) رجاء الغدير : ما تراجع من الماء ويتلف إذا ضربته الريح . والبيت فى اللسان (رجع) .
 (٣) من قصيدة فى ديوانه ١٠٣-١٠٦ ، وفى حاشية الأمل (من نسخة) : « حناش » ، وفى

حاشية ف والأصل أيضا : « فى شعره :

* يظلل يراعى الخنس حيث تيممت *

ويعنى الخنس بقر الوحش ، الواحد أخنس وخنساء . (٤) الغيبة : كل شىء أظن الإنسان فوق رأسه .

في القتلى ، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه .
وحُبَّاش^(١) : اسم هضبة . وقال بعضهم : وليس بمعروف أن حُبَّاش اسم من أسماء الشمس :
وأخبر أن الطير تنبمه لتصيب مما يقتل .
والأصير : المأ . والبمّل : الدَّهش .



(١) م : « حُبَّاش » ، بالحاء المعجمة ، تحريف .

مَجَالِسُ خَزْر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرُهُ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكِ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

وقال: ما ننكرون أن تكون هذه الآية دالةً على جواز الرؤية عليه عزَّ وجلَّ لأنها لو لم تجزُ لم تجزُ أن يسألها موسى عليه السلام ؛ كما لا يجوز أن يسأل اتخاذ الصاحبة والولد؛ ولو كانت أيضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها بأمر يصح أن يقع وهو استقرار الجبل . فإذا علمنا صحة استقرار الجبل في موضعه فيجب أن تكون الرؤية أيضا صحيحة في حكم ما علقته به . وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ يقتضى جواز الحجاب عليه تعالى ؛ لأن التجلَّى والظهور لا يكونان إلا بعد احتجاب واستتار.

١٠

الجواب، قلنا: أول ما نقوله إنه ليس في مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه ؛ لأن السائل يسأل عن الصحيح والمحال ، مع العلم وفقد العلم ؛ لأغراض مختلفة ؛ فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها .

ولأصحابنا عن هذه المسألة أجوبة :

أولها وهو الأولى والأقوى - أن يكون موسى عليه السلام لم يسأل الرؤية لنفسه ؛ وإنما سألها لقومه ، فقد روى أنهم طلبوا ذلك منه والتمسوه ، فأجابهم بأنها لا تجوز عليه تبارك وتعالى ؛ فلم يقنعوا بجوابه ، وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه تعالى ، فوعدهم ذلك ، وغلب في ظنه أن الجواب إذ ورد من جهته جلَّ وعزَّ كان أحسن

[٢٨٨]
ط

للشبهة ؛ وأبلغ في دفعها عنهم ، فاختر السببين الذين حضروا الميقات ؛ / ليكون سؤاله

بمخضري منهم ، فيعرفوا ما يردُّ من الجواب ، فسأل وأجيب بما يدلُّ على أن الرؤية لا يجوز عليه تعالى .

ويقوى هذا الجواب أشياء، منها قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ۖ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْمِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَنْدِنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾؛ [النساء: ١٥٣] .

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾؛ [البقرة: ٥٥] .

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ ۙ ۱٥ وَإِنِّي لَأَتَّبَعُكَ بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي﴾؛ [الأعراف: ١٥٥] لأن إضافة ذلك إلى السفهاء تدلُّ على أنه كان بسببهم ومن أجلهم ؛ وإنما سألوا ما لا يجوز عليه .

ومنها ذكر الجهرة في الرؤية ، وهي لاتليق إلا برؤية البصر دون العلم ؛ وهذا يقوى أن الطلب لم يكن للعلم الضروري ، على ما سنذكره في الجواب الثاني .

ومنها قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ لأننا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية لقومه أمكن أن يُحمَلَ ۱٥ قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ على حقيقته ؛ فإذا حملت الآية على طلب العلم الضروري احتيج إلى حذف في الكلام ، ويصير تقديره : أرني أنظر إلى الآيات التي عندها أعرفك ضرورة .

ويمكن في هذا الوجه الأخير خاصة أن يقال : إذا كان المذهب الصحيح عندكم هو أن النظر في الحقيقة غير الرؤية ، فكيف يكون قوله: ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ حقيقة في جواب مَنْ حمل الآية على طلب الرؤية لقومه ؟

٢٠ فإن قلتم: لا يمتنع أن يكونوا التمسوا الرؤية التي معها يكون النظر والتحديد إلى الجهة ؛ فسأل على حسب ما التمسوا .

قيل لكم : هذا ينقض فرقتكم في هذا الجواب بين سؤال الرؤية ، وبين سؤال جميع

مايستحيل عليه من الصاحبة والولد؛ وما يقتضى الجسمية بأن تقولوا: الشك في الرؤية لا يمنع من صحة معرفة السمع، والشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك؛ لأن الشك الذى لا يمنع من معرفة السمع إنما هو في الرؤية التى لا يكون معها نظر، ولا تقتضى التشبيه.

فإن قلتم: يُحمَل / ذكرُ النَّظَرِ على أن المراد به نفس الرؤية على سبيل المجاز؛ لأنَّ من [٢٨٩] عادة العرب أن يسمّوا الشيء باسم الطريق إليه، وما قاربه وداناه.

قلنا: فكانتكم عدلتم من مجازٍ إلى مجازٍ؛ فلا قوة في هذا الوجه؛ والوجه الذى ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى.

وليس لأحد أن يقول: لو كان عليه السلام إنما سأله الرؤية لقومه لم يضاف السؤال إلى نفسه فيقول: ﴿أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ولا كان الجواب مختصا به؛ وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرَآنِي﴾، وذلك لأنه غير ممتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه؛ مع أن المسألة كانت من أجل ١٠ الغير؛ إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس وتزيل الشبهة.

فلهذا يقول أحدنا إذا شفع في حاجة غيره للمشفوع له: أسألك أن تفعل بي كذا، وتجيبنى إلى كذا. ويحسن أن يقول المشفوع إليه: قد أحبتك وشفعتك^(١)، وما جرى مجرى ذلك؛ وإنما حسن هذا لأن للسائل في المسألة غرضاً^(٢)، وإن رجعت إلى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه إذا اختصه ولم يتعمده.

فإن قيل؛ كيف يجوز منه عليه السلام مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى أن يسأل فيها لقومه! ولئن جاز ذلك ليجوزن أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسماً، وما أشبهه متى شكوا فيه.

قلنا: إنما صح ما ذكرناه في الرؤية ولم يصح فيما سألت عنه؛ لأن مع الشك في جواز الرؤية التى لا تقتضى كونه جسماً يمكن معرفة السمع، وأنه حكيم صادق في أخباره، فيصح ٢٠

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «أسفعتك».

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «أغراضاً».

أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ؛ ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع ، فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم .

وقد قال بعض من تكلم في هذه الآية : قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم استحالاته؛ وإن كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته؛ متى كان المعلوم أن في ذلك صلاحاً للمكلفين في الدين ، وإنَّ ورود الجواب يكون لطفاً لهم في النظر في الأدلة، وإصابة الحق [٢٨٩] منها؛ غيرَ / أن من أجاب بذلك شرط أن يتبين النبي عليه السلام في مسأله علمه باستحالة ما سأل عنه ، وأن غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً .

والجواب الثاني في الآية أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة، التي تضطر إلى المعرفة، فتزول عنه الدواعي والشكوك والشبهات، ويستغنى عن الاستدلال ، فتخف المحنة عليه بذلك ؛ كما سأل إبراهيم عليه السلام ربه تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة ، وإن كان قد عرف ذلك قبل أن يراه ؛ والسؤال إن وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية تفيد العلم كما تفيد الإدراك بالبصر، وذلك أظهر من أن يستدل عليه أو يستشهد عليه؛ فقال له جل وعز : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ أي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ، ثم أكد ذلك بأن أظهر في الجبل من آياته وعجائبه ما دلَّ به على أن إظهار ما تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وبيانه لا يجوز ، وأن الحكمة تمنع منه .

والوجه الأول أولى لما ذكرناه من الوجوه ؛ ولأنه لا يخلو موسى عليه السلام من أن يكون شاكاً في أن المعرفة الضرورية لا يصح دخولها^(١) في الدنيا أو عالمها بذلك . فإن كان شاكاً فهذا مما لا يجوز على النبي عليه السلام ؛ لأن الشك فيما يرجع إلى أصول الديانات وقواعد التكليف لا يجوز عليهم ، ولا سيما أن يعلم الله ذلك على حقيقتهم بعض أمهم ، فيزيد عليهم في المعرفة ؛ وهذا أباغ في التنفير عنهم من كل شيء يمنع^(٢) منه فيهم . وإن كان عالماً فلا وجه لسؤاله إلا أن

(١) ف : « حصرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يمنع منه » .

يقال : إنه سأل لقومه ، فيعود إلى معنى الجواب الأول .

والجواب الثالث في الآية ما حُكي عن بعض مَنْ تكلم في هذه الآية من أهل التوحيد وهو أن قال : يجوز أن يكون موسى عليه السلام / في وقت مسألته ذلك كان شاكا في جواز [٢٩٠] الرؤية على الله تعالى ؛ فسأل عن ذلك ليملم هل يجوز عليه أم لا . قال : وليس شكُّه في ذلك يمنع من أن يعرف الله تعالى بصفاته ، بل يجري مجرى شكِّه في جواز الرؤية على بعض ما لا يرى من الأعراض في أنه غير مخلِّ بما يحتاج إليه في معرفته تعالى ؛ فلا يمنع أن يكون غلطه في ذلك ذنبا صغيرا أو تكون التوبة الواقعة منه لأجل ذلك .

وهذا الجواب يمد من قبل أن الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها ، وإن كان لا يمنع من معرفته تعالى بصفاته فإن الشك في ذلك لا يجوز على الأنبياء من حيث يجوز من بعض مَنْ بعثوا إليه أن يعرف ذلك على حقيقته ، فيكون النبيّ شاكا فيه وغيره عارفا به ؛ مع رجوعه إلى المعرفة بالله تعالى ، وما يجوز علينا فلا يجوز عليهم ، وهذا أقوى في التنفير وأزيد على كل ما يوجب أن يجنبه الأنبياء .

فإن قيل : ففي (١) أي شيء كانت توبة موسى عليه السلام على الجوابين المتقدمين؟ .

قلنا : أما من ذهب إلى أن المسألة كانت لقومه فإنه يقول : إنما تاب لأنه أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه ؛ وليس للأنبياء ذلك ؛ لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه ، فيكون ترك إجابتهم إليه منفراً عنهم .

ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة الضرورية يقول : إنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها التكليف . وعلى جميع الأحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق عليه العقاب ولا الذم .

والأولى أن يقال في توبته عليه السلام : إنه ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسألة أو من أمر يرجع إليها ؛ وقد يجوز أن يكون سأل ذلك ؛ إما لذنوب صغير تقدم

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فن » .

تلك الحال، أو تقدم النبوة فلا ترجع إلى المسألة . وقد يجوز أن يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى؛ وإظهار الانقطاع إليه ، والتقرب منه ، وإن لم يكن هناك ذنب معروف .

وقد يجوز أن يكون الفرضُ في ذلك مضافاً إلى ما قلناه تلميحاً وتوقيفاً على ما نستعمله ٥ وندعو به عند الشدائد ونزول الأحوال ، وتنبيه القوم الخطئين خاصة على التوبة مما التمسوه [٢٩٠] من الرؤية / المستحيلة عليه تعالى ؛ فإن الأنبياء ، وإن لم يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ؛ ويحتاج من وقع ذلك منه إلى التوبة والاستقالة .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ فإن التجلَّى هاهنا التمرير والإعلام والإظهار لما تقتضى المعرفة ، كقولهم : هذا كلام جلي أى واضح ، وكقول الشاعر :
١٠ تجلَّى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الأسننة نائياً
أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائياً عن وقع الأسننة ، فأقام مظهر من دلالة فعله مقام مشاهدته ، وعبر عنه بأنه تجلَّى منه .
وفي قوله : ﴿ لِلْجَبَلِ ﴾ وجهان :

أحدهما أن يكون لأهل الجبل ، ومن كان عند الجبل ، فحذف ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلِ الْقُرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ ﴾ ؛ [الدخان : ٢٩] ؛ وقد علمنا أنه بما أظهره من الآيات إنما دلَّ من كان عند الجبل على أن رؤيته تعالى غير جائزة .

والوجه الآخر أن يكون معنى ﴿ لِلْجَبَلِ ﴾ أى بالجبل ، فأقام اللام مقام الباء ؛ كما قال تعالى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ﴾ ؛ [الأعراب : ١٢٣] ؛ أى به ؛ وكما يقولون : أخذتك ٢٠ لجرمك وبجرمك .

ولما كانت الآية الدالة على منع ماسئل فيه إنما حلت الجبل وظهرت فيه جاز أن يضاف

التجلى إليه .

وقد استدال بهذه الآية كثير من العلماء الموحّدين على أنه تعالى لا يُرى بالأبصار من حيث نفي الرؤية نفيًا عامًا بقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَرَانِي ﴾ ؛ ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقرّ . وهذه طريقة للعرب في تبعيد الشيء ؛ لأنهم يعلمون بما يُعلم أنه لا يكون ؛ كقولهم : لا كلمتك ما أضاء الفجر ، وطلعت الشمس ؛ وكقول الشاعر :

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ رَجَوْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَالْبَلْبَنِ الْحَلِيبِ

ومما يجرى هذا المجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [الاعراب : ٤٠] .

١٠

وليس لأحد أن يقول : إذا علق الرؤية باستقرار الجبل ؛ وكان ذلك في مقدوره ،

فيجب أن تكون الرؤية معلقة به أيضاً في مقدوره ؛ بأنه لو كان الغرض بذلك التبديد

لملقه بأمرٍ يستحيل ، كما علق / دخولهم الجنة بأمرٍ مستحيل ؛ من ولوج الجمل في سمّ [٢٩٠] ط

الخياط ؛ وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع الوجوه ؛ ولما علق وقوع

الرؤية باستقرار الجبل - وقد علم أنه لا يستقرّ - عُلم نفي الرؤية . وما عدا ذلك من كون

الرؤية مستحيلة وغير مقدورة ، واستقرار الجبل بخلافها يخرج عن ماهو الغرض في التشبيه

على أنه إنما علق تعالى جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكّا ، وذلك

محال لما فيه من اجتماع الضدين ، فجرى مجرى جواز الرؤية في الاستحالة . وليس يجب في كل

ما علق بغيره أن يجرى مجراه في سائر وجوهه ؛ حتى إذا كان أحدهما مع انتفائه مستحيلاً كان

الآخر بمثابة ؛ لأن تعلق دخول الكفار الجنة إنما علق بولوج الجمل في سمّ الخياط ؛ وولوج

الجمل في سمّ الخياط مستحيل ، بل معلوم أن الأول في المقدور وإن كان لا يحسن والثاني ليس

في المقدور . وهذه الجملة كافية في تأويل هذه الآية ، وبيان ما فيها ، والحمد لله .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : وإني لأستجيد قول أبي العيص بن حرام بن عبد الله بن قتادة بن جابر بن ربيعة بن كابية^(١) المازني رضي الله عنه .

وَكَمْ مِنْ صَاحِبٍ قَدَ بَانَ عَنِّي
رُمِيتُ بِفَقْدِهِ وَهُوَ الْحَبِيبُ^(٢)
فَلَمْ أَبْدِ الَّذِي تَحْنُو ضُلُوعِي
عَلَيْهِ ، وَإِنِّي لَأَنَا الْكَلِيبُ
مَخَافَةَ أَنْ يَرَانِي مُسْتَكِينَا
عَدُوٌّ أَوْ يَسَاءَ بِهِ قَرِيبُ
فَيْشَمَتَ كَاشِحٌ وَيَظُنُّ أَنِّي
جَزُوعٌ عِنْدَ نَائِبَةٍ تَنُوبُ
فَبِعَدَاكَ شَدَّتِ الْأَعْدَاءُ طَرَفًا
إِلَى وَرَائِي دَهْرٌ مُرِيبُ

- معنى ، شددت الأعداء طرفاً ، أى نظرت إلى نظراً شديداً^(٣) فظهر الغضب في عيونها -

وَأُنْكَرْتُ الزَّمَانَ وَكُلَّ أَهْلِي
وَهَرَّتَنِي لِنَيْبَتِكَ الْكَلِيبُ ١٠

- يقال : كلب وكليب مثل عبد وعبيد -

وَكُنْتُ تَقَطَّعُ الْأَبْصَارُ دُونِي
وَأَنْ رَغَمُوا لِمَخْشَى مَهَيْبُ
/ فَلَمْ أَرِ مِثْلَ يَوْمِكَ كَانَ يَوْمًا
بَدَّتْ فِيهِ النُّجُومُ فَمَا تَنَيْبُ
وَأَلِيلٍ مَا أَنَامُ بِهِ طَوِيلٍ
كَأَنِّي لِلنُّجُومِ بِهِ رَقِيبُ
وَمَا يَكُ جَائِيًّا لِأَبَدٍ مِنْهُ
إِلَيْكَ فَسَوْفَ تَجْلِبُهُ الْجُلُوبُ

[٢٩١]
ظ
١٥

(١) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « حارثه » .

(٢) الأبيات في لباب الآداب ٤٠٧ ، ٤٠٨ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات .

(٣) ف : « شزراً » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلِ آيَةِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَبُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢ ، ٧٣] .

فقال: كيف ذكر تعالى هذا بعد ذكره (١) البقرة والأمر بذبحها؟ وقد كان ينبغي أن يتقدمه، لأنه إنما أمر بذبح البقرة لينكشف أمر القاتل، فكيف أخرج ذكر السبب عن المسبب، وبني الكلام بناء يقتضى أنه كان بعده؟ ولم قال: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾، والرواية وردت بأن القاتل كان واحداً؟ وكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل بينها واحد! وإلى أي شيء وقعت الإشارة بقوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾؟

١٠ الجواب، قيل له: أما قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ ففيه وجهان:

أولهما أن تكون هذه الآية - وإن أُخِّرَتْ - فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة؛ ويكون التأويل: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ فسألتم موسى فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، فأخر المقدم وقدم المؤخر؛ ومثل هذا في القرآن وكلام العرب كثير. ومثله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ [الكهف: ١، ٢].

١٥

(١) حاشية الأصل (من نسخة): « بعد ذكر البقرة » .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْفَرْزَدَقَ صَخْرَةٌ مَلْمُومَةٌ طَالَتْ - فَلَيْسَ تَنَاوَلَهَا - الْأَوْعَالَ (١)
أراد : طالت الأوعال فليس تناوَلها .

ومثله :

طَافَ الْخَيَالُ وَأَيْنَ مِنْكَ لَمَّا ! فَارْجِعْ لِرُؤْرِكَ بِالسَّلَامِ سَلَامًا
أراد : طاف الخيال لَمَّا وَأَيْنَ هُوَ مِنْكَ !

والوجه الثاني أن يكون وجه تأخير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا ﴾ أنه عُلِقَ بما هو متأخر في الحقيقة ، وواقع بعد ذبح البقرة ، وهو قوله تعالى : ﴿ / فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۗ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ ؛ لأن الأمر بضرب المقتول بيمض البقرة إنما هو بعد الذبح ؛
١٠ فكأنه تعالى قال : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ولأنكم ﴿ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَأَدَارَأْتُمُ فِيهَا ﴾ أمرناكم أن تضربوه بيمضها ، لينكشف أمره . فأما إخراج الخطاب مخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء والأجداد ، وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها ؛ فيقول أحدهم : فعلت بنو تميم كذا ، وقتل بنو فلان فلاناً ؛ وإن كان القاتل والفاعل واحداً من بين الجماعة ؛ ومنه قراءة من قرأ : ﴿ يُفَقِّتُونَ ١٥ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة : ١١١] ؛ بتقديم المفعولين على الفاعلين ؛ وهو اختيار الكسائي وأبي العباس ثعلب ؛ فَيُقْتَلُ بعضهم وَيُقْتَلُونَ ؛ وهو أبلغ في وصفهم ، وأمدح لهم ، لأنهم إذا قاتلوا وقتلوا بعد أن قُتِلَ بعضهم كان ذلك أدلّ على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم .

وقد قيل : إنه كان القاتلان اثنين ، قتلا ابن عم لها ، وإن الخطاب جرى عليهما بلفظ الجمع ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٩] ؛ يريد داود وسليمان .

(١) البيت في شرح شواهد سيبويه للأعلم (٢ : ٣٥٦) .

عليهما السلام؛ والوجه الأول أولى وأقوى بشهادة الاستعمال الظاهر له، ولأن أكثر أهل العلم أجمعوا على أن القاتل كان واحداً .

ومعنى ﴿فَادَارَأْتُمْ﴾ فتدارأتم؛ أى تدافعتم، وألقى بعضكم القتلَ على بعض؛ يقال: دارأتُ فلانا إذا دافمته وداريته، إذا لاينته، ودريته إذا ختلته؛ ويقال: ادراً القوم إذا تدافعوا .

والماء في قوله: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تعود إلى النفس، وقيل: إنها تعود على القتلة، أى اختلقتهم في القتلة؛ لأن ﴿قَتَلْتُمْ﴾ تدل على المصدر؛ والقتلة من المصادر، تدل عليها الأفعال، ورجوع الماء إلى النفس أولى وأشبه بالظاهر .

فأما قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ فالإشارة وقعت به إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة؛ لأنه رؤى أنه قام حياً وأوداجه تشخب دماً، فقال: قتلتى فلان!

ونبه الله تعالى بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكره مشركو قريش واستبعدوه .
من البعث وقيام الأموات؛ لأنهم قالوا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَيْسَ لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؛ [الإسراء: ٤٩]؛ فأخبرهم الله تعالى بأن الذى / أنكروه واستبعدوه هين عليه، [٢٩٢] غير متعذر في اتساع قدرته .

وكان مما ضرب تعالى لهم من الأمثال، ونبههم عليه من الأدلة ذكر المقتول الذى ضرب ببعض البقرة فقام حياً . وأراد تعالى: أنى إذا كنت قد أحييت هذا المقتول بمدخر وجه من الحياة، وبئس قوم من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم، ورددته حياً مخاطباً باسم قاتله؛ فكذلك فاعلموا أن إحياء جميع الأموات عند البعث لا يُعجزنى ولا يتعذر على . وهذا بين لمن تأمله .

قال سيدنا أدام الله علوه: ومن الشعر المشهور بالجودة فى ذم الدنيا والتذكير بمصائبها قول

نهشل بن (١) حرّى يرثى أخاه مالكاً:

ذَكَرْتُ أَخِي الْخُوَلَّ بَعْدَ يَأْسٍ (٢) فَهَاجَ عَلَى ذِكْرَاهُ اسْتِيَابِي
فَلَا أُنْسَى أَخِي مَا دُمْتُ حَيًّا وَإِخْوَانِي بِأَقْرَنَةِ الْعِنَاقِ (٣)
يَجْرُونَ الْفِصَالَ إِلَى النَّدَامَى بَرُوضِ الْحَزَنِ مِنْ كَنْفِي أَفَاقٍ (٤)
وَيُغْلُونَ السَّبَاءَ إِذَا أَنْوَهُ بِضُمْرِ الْخَيْلِ وَالشَّوْلِ الْحِقَاقِ (٥)
إِذَا اتَّصَلُوا وَقَالُوا: يَا لَعْنُوثٍ! وَرَاحُوا فِي الْمُحَبَّرَةِ الرَّقَاقِ (٦)
أَجَابَكَ كُلُّ أَرُوعَ شَمْرِي رَخِيُّ الْبَالِ مُنْطَلِقِ الْخِنَاقِ (٧)
أَنَاسٌ صَالِحُونَ نَشَأَتْ فِيهِمْ فَأَوَدُوا بَعْدَ إِلْفٍ وَاتسَاقِ
مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ وَلَبِثْتُ عَنْهُمْ وَلَكِنْ لَا مَحَالَةَ مِنْ لَحَاقِ (٨)
كَذِي الْإِلْفِ الَّذِي أَدْلَجَنَ عَنْهُ فَحَنَّ وَلَا يَتُوقُ إِلَى مَتَاقٍ (٩)

(١) هو نهشل بن حرّى بن ضمرة بن ضمرة ، شاعر شريف مشهور مخضرم ، تقي إلى أيام معاوية ، وكان مع على في حروبه ، وقتل أخوه مالك بصفين ؛ وهو يومئذ رئيس بني حنظلة ، وكانت رايته معه ؛ ورثاه نهشل بمرث كثيرة . (وانظر الشعر والشعراء ٦١٩-٦٢١) .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : رواية أبي محمد الأسود : بعد هذه .

(٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « العناق ، بفتح العين ، وكسرهما : موضع » .

(٤) « أفاق : موضع في بلاد يربوع .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « السباء في الأصل : شراء الخمر ، وأراد هاهنا نفس الخمر ؛ وعلى

هذا قول لبيد :

﴿ أُغْلِي السَّبَاءَ بِكُلِّ أَدْ كَنَّ عَاتِقٍ ﴾

والشول : جمع شائلة ؛ وهى الناقة التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها ، والحقاق : الضوامر ، يعنى أنهم يبيعون الخيل والإبل ويشترون بها الخمر .

(٦) المحبرة : الثياب المنقشة . (٧) الأروع : الذى يعجبك حسنه وجماله ، والشمرى : الماضى

في الأمور ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « دارى » . (٨) حاشية الأصل : « نسخة س :

« لا محالة في لحاق » ، ورواية الأسود « في لحاق » . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف من نسخة :

« كذا الإلم » .

أَرَى الدُّنْيَا وَنَحْنُ نَعِيشُ فِيهَا مُؤَلَّيَةً تَهَيَّأْ لَانْتِلَاقِ
 أَعَاذِلَ قَدْ بَقِيتُ بَقَاءَ قَيْسِ وَمَا حَيٌّ عَلَى الدُّنْيَا بِيَاقِ
 [هَبَطْتُ السَّيْلَجِينَ وَذَاتَ عِرْقِ] وَأوردت المطى على حِذَاقِ^(١)
 كَأَنَّ الشَّيْبَ وَالْأَحْدَاثَ تَجْرِي إِلَى نَفْسِ الْفَتَى فَرَسًا سِبَاقِ
 فِيمَا الشَّيْبُ يُدْرِكُهُ وَإِمَا يُبْلَاقِي حَتْفَهُ فِيمَا يِبْلَاقِي
 /فَإِنَّ تَكَ لِمَتَّى بِالشَّيْبِ أُمَسْتُ شَمِيطًا اللَّوْنِ وَاضِحَةَ الْمَشَاقِ^(٢)
 فَقَدْ أَغْدُو بِدَاجِيَةٍ أَرَانِي بِهَا التُّطَلَمَاتِ مِنَ الرُّوَاقِ^(٣)

— الداجية : الامة السوداء . وأراني : « أفاعل » ، من المرانة —

إِلَى كَأَنَّهِنَّ ظِبَاءَ قَقْرٍ^(٤) بِرَهْبِي ، أَوْ يِبَاعَجْتِي فِتَاقِ^(٥)
 ١٠ يُرَامِضُنَ^(٦) الْجِبَالَ لِعَبْرِ وَضَلِ وَلا يَسْفِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقِ
 وَعَهْدُ الْغَائِنَاتِ كَعَهْدِ قَيْنِ وَنَتَ عَنْهُ الْجَعَائِلُ مُسْتَدَاقِ

— القين : الحداد ، والجعائل : جمع جمالة وهي أجزته ، وأراد أن القين إذ عدم الجمالة
 رحل ولم يستقر في مكان —

كَجُلْبِ السَّوِّءِ يُعْجِبُ مَنْ رَأَهُ وَلا يَسْفِي الْحَوَائِمَ مِنْ لَمَاقِ
 ١٥ — الْجُلْبُ : الغيم الذي لامطر فيه ، والحوائم : العطاش ، ولماق : شيء قليل —
 فَلا يَبْعَدُ مَضَائِي فِي الْمَوَامِي وَإِشْرَافِي الْعَلَايَةَ وَانصَافِي^(٧)

(١) ورد هذا البيت في ف وحاشية الأصل ، من رواية الأسود . والسيلجين ، وذات عرق ،
 وحذاق : مواضع . (٢) حاشية الأصل : « شبه الشعر بالمشاق ؛ وهي الكتان غير المنزول » .
 (٣) الرواق : الحيمة . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ققر » .
 (٥) رهبي : موضع . والباعجان : مثنى باعجة ؛ وهي متسع الوادي . وفتق : موضع أيضا .
 (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : نسخة س : « يوامضن » ، ونسخة الأسود « يوامقن » .
 (٧) العلاية : ماعلا من الأرض . والانصاف : الانصراف .

وَعَبْرَاءُ الْقَتَامِ جَلُوتُ عَنِّي (١)
 وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى
 وَكَمْ قَاسَيْتُ مِنْ سَنَةِ جِمَادٍ
 إِذَا أَفْنَيْتُهَا بَدَلْتُ أُخْرَى
 وَأَفْنَيْتُنِي الشُّهُورُ وَلَيْسَ تَفْنَى
 وَمَا سَبَقَ الْحَوَادِثُ لَيْثُ غَابٍ
 [كَمَيْتٌ تَعْبِزُ الْخُلَفَاءَ عَنْهُ
 [تَنَازَعَهُ الْفَرِيسَةَ أَمْ شَبْلَهَ
 وَلَا بَطَلٌ تَفَادَى الْخَيْلُ مِنْهُ
 [كَرِيمٌ مِنْ خَزِيمَةَ أَوْ تَمِيمَ
 [فَذَلِكَ لَنْ تَخَاطَاهُ الْمَنَايَا

بِعَجَلِي الطَّرْفِ سَالِمَةَ الْمَاقِ
 سَمَّمْتُ النَّصَّ بِالْقُلُصِّ الْعِتَاقِ (٢)
 تَعَضُّ اللَّحْمَ مَادُونِ الْعِرَاقِ (٣)
 أَعْدُّ شُهُورَهَا عَدَّ الْأَوَاقِ
 وَتَعَمَّدَادُ الْأَهْلَةِ وَالْمِحَاقِ
 يَجْرُ لِعِرْسِهِ جَزَرَ الرَّفَاقِ
 كَبْفَلُ الْمَرْجِ حُطَّ مِنَ الزَّنَاقِ (٤)
 عَبُوسُ الْوَجْهِ فَاحِشَةُ الْعِنَاقِ (٤)
 فَرَارَ الطَّيْرِ مِنْ بَرْدِ بُعَاقِ (٥)
 أَعْرَى عَلَى مَسَاعِفَةٍ مِزَاقِ (٦)
 فَكَيْفَ يَبْقِيهِ طَوْلَ الدَّهْرِ وَاقِ [

وأحسن حارثة بن بدر الغدافي في قوله :

يا كعبُ مارَاحَ مِنْ قَوْمٍ وَلَا ابْتَكَّرُوا
 [٢٩٣] / يا كعبُ ما طَلَعَتْ شَمْسُ وَلَا غَرَبَتْ
 إِلَّا وَاللِّمَوْتِ فِي آثَارِهِمْ حَادِي
 إِلَّا تَقَرَّبُ آجَالًا لِمِيعَادِ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى :

إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي مِنَ الْعَيْشِ مُدَّتِي
 فَإِنَّ بُكَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلٌ (٧)

(١) حاشية الأصل : نسخة الأسود « نفست » . (٢) النص : أرفع السير .

(٣) العراق : العظام التي يقشر عنها معظم اللحم وتبقى عليه بقية .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : والزئفة : المضيقي في الجبل ، وجمعه زناق .

(٥) البعاق : المندفع . (٦) تسكلمة من رواية الأسود في حاشيتي الأصل ، ف . والمساعفة : المساعدة ،

والمزاق : المسرعة التي تمزق الهواء . (٧) هذه الأبيات في حماسة ابن الشجري ١٤٢ ، مع اختلاف

في الترتيب وعدد الأبيات .

سَيَعْرِضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسِي مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
 أَجَلَكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغَنَى وَكَلُّ غَنَى فِي الْعِيُونِ جَلِيلُ
 وَلَيْسَ الْغَنَى إِلَّا غَنَى زَيْنَ الْفَتَى عَشِيَّةَ بَقْرَى أَوْ غَدَاةَ يُنِيلُ
 وَلَمْ يَفْتَقِرْ يَوْمًا وَإِنْ كَانَ مُعْدِمًا جَوَادٌ وَلَمْ يَسْتَعْنِ قَطُّ بِخَيْلِ
 إِذَا مَالَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْمَرْءِ رَغَبَتْ إِلَيْهِ ، وَمَالَ النَّاسُ حَيْثُ يَمِيلُ
 أَرَى عِلَلَ الدُّنْيَا عَلَى كَثِيرَةٍ وَصَاحِبِهَا حَتَّى الْمَاتِ عَلِيلُ
 وَإِنِّي وَإِنْ أَصْبَحْتُ بِالْمَوْتِ مُوقِنًا فَلَ أَمَلٌ دُونَ الْيَقِينِ طَوِيلُ^(١)

وقد أحسن البحترى في قوله في هذا المعنى :

أَخَى مَتَى خَاصَمْتَ نَفْسَكَ فَاحْتَشِدْ لَهَا ، وَمَتَى حَدَثَتْ نَفْسَكَ فَاصْدُقْ
 أَرَى عِلَلَ الْأَشْيَاءِ شَتَّى وَلَا أَرَى جَمْعَ إِلَّا غَايَةَ لِلتَّفْرِقِ^(٢)
 أَرَى الْعَيْشَ ظِلًّا تَوَشَّكَ الشَّمْسُ نُقْلَهُ فَكَيْسَ فِي ابْتِغَاءِ الْعَيْشِ كَيْسُكَ أَوْ مِقْ^(٣)
 أَرَى الدَّهْرَ غَوْلًا لِلنُّفُوسِ وَإِنَّمَا بَقِيَ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ مَنْ بَقِيَ
 فَلَا تُتْبِعِ الْمَاضِيَ سُؤَالَكَ لِمَ مَضَى وَعَرَّجْ عَلَى الْبَاقِي فَسَائِلُهُ لِمَ بَقِيَ
 وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا خَلِيلَةً صَاحِبِ مُجِيبٍ مَتَى تَحَسَّنُ بِمَعِينِهِ تُعْنِقُ^(٤)
 تَرَاهَا عَيَانًا وَهِيَ صَنَعَةٌ وَاحِدِ فَتَحَسِبْهَا صُنْعِي لَطِيفٍ وَأُخْرَقِ^(٥)

وقد قيل إن السبب في خروج البحترى عن بغداد في آخر أيامه كان هذه الأبيات ؛ لأن

بعض أعدائه شنع عليه بأنه ثنوي من حيث قال :

* فتحسبها صنعي لطيف وأخرق *

وكانت العامة حينئذ غالبية على البلد ، فخاف على نفسه فقال لابنه أبي العوث : قم يا بني

حتى نطقي عننا هذه الثائرة بخرجة نلّم فيها ببلدنا؛ فخرج ولم يعد .

(١) لم أعر على هذه الأبيات في ديوانه ؛ وهي في مجموعة المعاني ٥ ، ٦ مع اختلاف في الرواية .

(٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، مجموعة المعاني : « علة للتفرق » .

(٣) مق ، أي تحامق . (٤) مجموعة المعاني ، د ، ونسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « تطلق » .

وأحسن أيضاً غاية الإحسان في قوله :

فيا أُسَيْرٌ أَوْ أَحْكَمَن تَأْدِيبِي (١)
تَلَبَّثُ مَعَ الدَّهْرِ تَسْمَعُ بِالْأَعَاجِيبِ

إِنْ تَلْتَمِسِ أَخْلَافَ الخُطُوبِ (٢) وَإِنْ

وفي قوله :

بَسَجَلَيْكَ مَنْ شَهِدَ الخُطُوبِ وَصَابَهَا (٣)
وَعَوَّلُ الأَفَاعِي بِلَهٍّ مِنْ لُعَابِهَا
وَعُمَرَانُهَا مُسْتَأْنَفٌ مِنْ خَرَابِهَا
فكَيْفَ ارْتِضَائِهَا أَوْانَ ذَهَابِهَا!
تَخَيْرِ آرَاءِ الحِجِيِّ وَانْتِخَابِهَا
إِلَى شِقَّةٍ يَبْكِيكَ بِمَدِّ مَابِهَا (٤)
مِنَ الأَرْضِ إِلا حَفَنَةً مِنْ تُرَابِهَا (٥)

مَتَى تَسْتَرْدُ فَضْلاً مِنَ العُمْرِ تَعْتَرِفُ
تَشُدُّ بِنَا (٤) الدُّنْيَا بِأَخْفَضِ سَمْعِهَا
يُسْرٌ بِعُمَرَانَ الدِّيَارِ مُضَلَّلٌ
وَلَمْ ارْتَضِ الدُّنْيَا أَوْانَ مَجِيبِهَا
أَقُولُ لِمَكْذُوبٍ عَنِ الدَّهْرِ زَاغَ عَنْ
سَيْرِ دِيكَ أَوْ يُثْوِيكَ أَنْكَ مُجْلِسٌ
وَهَلْ أَنْتَ فِي مَرْمُوسَةٍ طَالَ أَخْذُهَا

وجدت الأمدى يروى في هذا البيت « أنك محبس » بالباء؛ وتفسير ذلك أن المعنى أنك موقوف إلى أن تصير إلى هذا؛ من قولك: أحببت فرسا في سبيل الله، وأحبست داراً؛ أى أوقفتمها. والرواية المشهورة: «أنك مجلس» باللام؛ والمعنى أنك متهيء للرحيل ومتخذ حلساء. ١٥ والحلس هو الكساء الذى يوضع تحت الرجل؛ وهذا أشبه بالمعنى الذى قصده البحرى؛ وأولى بأن يختاره؛ مع دقة طبعه وسلامة ألفاظه.

(١) ديوانه ١ : ٦٩ . (٢) فى الديوان : « الأمور » .

(٣) ديوانه ١ : ٤٧ ، وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « شهد الأمور » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « سيرنا » . (٥) مجلس : مقيم . والشقة : الطريقة .

(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « حثوة » .

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا أَتَيْنِ أَنْبِئَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٩ ، ١٩٠] . [٢٩٤]

فقال : أليس ظاهرُ هذه الآية يقتضى جوازَ الشرك على الأنبياء ؛ لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحواء عليهما السلام ؛ فيجب أن يكون قوله : ﴿ جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ يرجع إليهما .

الجواب ، قلنا : كما أن ذكر آدم وحواء قد تقدم ، فقد تقدم ذكر غيرها في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ ، ومماوم أن المراد بذلك جميع ولد آدم ، وقد تقدم ذكر ولد آدم في قوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ ؛ والمعنى : فلما آتاهما ولداً صالحاً ، والمراد بهذا الجنس دون الواحد ؛ وإن كان اللفظ لفظ واحد ؛ والمعنى : فلما آتاهما جنساً من الأولاد صالحين ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن يرجع قوله : ﴿ جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ إلى ولدهما ؛ وقد تقدم ذكرهما .

فإن قيل : إنما وجب رده إلى آدم وحواء لأجل التثنية في الكلام ؛ ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما .

قلنا : إن جعل هذا ترجيحاً في رجوعه إليهما جاز أيضاً أن يجعل قوله في آخر الآية : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وجهاً مقرباً لرجوع الكلام إلى جملة الأولاد . ويجوز أن يكون أشير في التثنية إلى الذكور والإناث من ولد آدم أو إلى جنسين منهم ؛ فحسنت التثنية لذلك

على أنه إذا تقدم في الكلام أمران ثم تلاهما حكم من الأحكام ، وعلم بالدليل استحالة تعلقه بأحد الأمرين وجب رده إلى الآخر .

وإذا علمنا أن آدم عليه السلام لا يجوز عليه الشرك لم يجز عود الكلام إليه ، فوجب عوده إلى المذكورين من ولده .

٥ وذكر أبو علي الجبائي ما نحن نورده على وجهه ، قال : إنما عني ^(١) الله تعالى بهذا أنه تعالى خلق بني آدم ^(١) من نفس واحدة ؛ لأن الإضمار في قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ إنما عني به بني آدم ، والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم ؛ لأنه خلق حواء من آدم ؛ ويقال : إنه تعالى خلقها من ضلع من أضلاعه ^(٢) ؛ فرجعوا جميعاً إلى أنهم خلقوا من آدم ؛ وبين ذلك بقوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ؛ لأنه عني به أنه خلق من هذا النفس زوجها ، ١٠ وزوجها هو حواء .

وعنى بقوله : ﴿ فَلَمَّا تَفَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً ﴾ ، وحملها ^(٣) هو حبلها منه في [٢٩٥] / ابتداء الحمل ؛ لأنه في ذلك الوقت خفيف عليها .

وَعَنَى بِقَوْلِهِ : ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أن مرورها بهذا الحمل ، وتصرفها به كان عليها سهلاً لخفتها ؛ فلما كبر الولد في بطنها ثقل ذلك عليها ، فهو معنى قوله : ﴿ أَثْقَلَتْ ﴾ ؛ وثقل عليها عند ١٥ ذلك المشي والحركة .

وعنى بقوله : ﴿ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ أنهما دعوا عند كبر الولد في بطنها فقالا : لئن آتيتنا يارب نسلًا صالحًا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا ؛ لأنهما أراد أن يكون لهما أولاد تؤنسهما في الموضع الذي كانا فيه ؛ لأنهما كانا فردين مستوحشين ؛ فكان إذا غاب أحدهما عن الآخر بقي الآخر مستوحشًا بلا مؤنس ؛ فلما آتاها نسلًا صالحًا معافي ، وهم الأولاد الذين كانوا يولدون لهما لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرا وأنثى فيقال : إنها ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد .

(١-١) حاشية ف (من نسخة) : « إنما عني الله تعالى خلق بني آدم » .

(٢) م : « ويقال من طيفته » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « وأن حملها » .

وعنى بقوله : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ (١) أى أن هذا النسل الصالح الذى هم ذكر وأنثى جملا له شركاء فيما آتاها^١ من نعمة؛ وأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الأصنام والأوثان ، ولم يعن بقوله : ﴿ جَعَلَا ﴾ آدم وحواء عليها السلام؛ لأن آدم لا يجوز عليه الشرك بالله لأنه نبي من أنبيائه ، ولو جاز الشرك والكفر على الأنبياء لما جاز أن يثق أحدنا بما يؤديه إليه الأنبياء عن الله عز وجل ؛ لأن من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لم يؤخذ بأخباره ؛ فصحَّ بهذا أن الإضمار فى قوله : ﴿ جَعَلَا ﴾ إنما يعنى به النسل .

وإنما ذكر ذلك على سبيل التثنية؛ لأنهم كانوا ذكراً وأنثى ، فلما كانوا صنفين جاز أن يجعل إخباره عنهما كالإخبار عن الاثنين إذا كانا صنفين .

وقد دل على صحة تأويلنا هذا قوله تعالى فى آخر الآية : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، ١٠ فبين عز وجل أن الذين جعلوا لله شركاء هم جماعة ، فلهذا جعل إضمارهم إضمار الجماعة ، فقال : ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ ؛ مضى كلام أبى على .

وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا ﴾ مضافا إلى الوجه المتقدم - الذى هو أنه أراد بالصلاح الاستواء فى الخلقة والاعتدال فى الأعضاء - وجه آخر ؛ وهو أنه لو أراد للصلاح فى الدين لكان الكلام أيضاً مستقيماً ؛ لأن الصالح فى الدين قد يجوز أن يكفر بعد صلاحه ، / فيكون فى حال صالحاً ، وفى آخر مشركاً ؛ وهذا لا يتنافى .

[٢٩٥]

وقد استشهد فى جواز الانتقال من خطاب إلى غيره ، ومن كناية عن مذكور إلى مذكور سواء ؛ ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحواء إلى ولدهما بقوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ، فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلام إلى مخاطبة المرسل إليهم ، ثم قال : ﴿ وَتَعَزَّوْهُ وَتُنْقِضُوهُ ﴾ ، يعنى الرسول ٣٠ عليه السلام ، ثم قال : ﴿ وَتَسْبَحُوهُ ﴾ ، [الفتح : ٩] ؛ وهو يعنى مُرسِل الرسول ؛ فالكلام

واحد متصل ببعضه ببعض ، والخطاب منتقل من واحد إلى غيره ؛ ويقول الهدلي^(١) :

يَالْهَيْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتَّرَابِ الْأَعْفَرِ

ولم يقل: وبياض وجهه .

وقال كثيرٌ :

أَسِئِي بِنَا، أَوْ أَحْسِنِي لَا مَكُومَةً لَدَيْنَا، وَلَا مَقْلِبَةً إِنْ تَقَلَّتِ^(٢)

فخاطب ثم ترك الخطاب . وقال آخر :

فِدَى لَكَ يَا فِتْنِي وَجَمِيعُ أَهْلِي وَمَا لِي إِيَّاهُ مِنْهُ أَنَانِي^(٣)

ولم يقل: منك أناني .

ووجدت أبا مسلم محمد بن بحر يحمل هذه الآية على أن الخطاب في جميعها غير متعلق

١٠ بجواء وآدم، ويجعل الماء في ﴿تَغَشَّاهَا﴾ ، والكناية في ﴿دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمْ﴾ و﴿آتَاهُمَا صَالِحًا﴾

راجعتين إلى مَنْ أَسْرَكَ ؛ ولم يتعلق بآدم وحواء من الخطاب إلا قوله : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ﴾ ؛ لأن الإشارة في قوله : ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إلى الخلق عامة ، وكذلك قوله

تعالى : ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ، ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسِّرُكُمْ فِي

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ﴾ ، فخاطب الجماعة

١٥ بالتسيير في البر والبحر ، ثم خص راكب البحر بقوله تعالى : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ رِيحٌ

طَيِّبَةٌ﴾ ؛ [يونس: ٢٢] كذلك الآية أخبرت عن جملة البشر ؛ وأنهم مخلوقون من نفس

واحدة وزوجها، وها آدم وحواء عليهما السلام ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله تعالى ما سأل؛

فلما أعطاه إياه ادعى الشركاء في عطيته .

قال: وجاز أن يكون عنى بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ المشركين؛

٢٠ خصوصاً إذ كان كلُّ بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها .

(١) هو أبو كبير، والبيت من قصيدة له في شعر الهذليين ١٠١: ٢ . (٢) أمالي القالي ١٠٩: ٢ .

(٣) حاشية الأصل : « فدى وفداء كلاهما صحيح ، فإذا قلت فدى فهو مقصور من الممدود » .

ويجوز أن يكون المعنى في قوله: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ خلق كل واحد منكم من نفس واحدة؛ وهذا يحى كثيراً في القرآن وفي كلام العرب؛ قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾؛ [النور: ٤] أي فاجلدوا كل واحد ثمانين جلدة.

وقال عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا ﴾ [النساء: ١]؛ [الروم: ٢١] فلعل نفس زوج منها أى من جنسها.

﴿ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا ﴾، أى تغشى كل نفس زوجها. ﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا ﴾ وهو ماء الفحل. ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أى مارت، والمور: التردد. والمراد تردد هذا الماء في رحم هذه الحامل. ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أى ثقل حملها؛ أى بصير ذلك الماء لحمًا ودمًا وعظامًا. ﴿ دَعَا اللَّهَ ﴾ أى الرجل والمرأة لغا استباز حمل المرأة فقلا: ﴿ لَنْ أَبْنِيَنَّ أَبْنِيًا لِنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾. فلما آتاها صالِحًا أى أعطاهما مأسلاً من الولد الصالح نسبا ذلك إلى شركاء معه، ﴿ نَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. وقال قوم: معنى ﴿ جَمَلًا لَهُ شُرَكَاءُ ﴾ أى طلبا من الله أمثالا للولد الصالح فشركا بين الطلِبَتَيْنِ وتكون الهاء في قوله: ﴿ لَهُ ﴾ راجعة إلى الصالح لا إلى الله تعالى. ويجرى مجرى قول القائل: طلبت منى درهما فلما أعطيتك أشركته بأخر؛ أى طلبت آخر مضافا إليه. وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكونا قوله: ﴿ جَمَلًا ﴾ والخطاب كله متوجهاً إلى آدم وحواء ١٥ عليهما السلام.

مجلس ٧٣ آخر

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا تَنْجِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾؛ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

فقال: أليس ظاهرُ هذا القول يقتضى أنه خالقٌ لأعمال العباد، لأن ﴿ مَا ﴾ هاهنا بمعنى «الذى»؛ فكأنه قال: خلقكم وخلق أعمالكم.

٥ الجواب، قلنا: قد حمل أهلُ الحق هذه الآية على أن المراد بقوله: ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢٩٦] أى وماتعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما؛ مما كانوا يتخذونه أصناماً / ويعبدونها.

قالوا: وغير منكر أن يريد بقوله: ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ذلك؛ كما أنه قد أراد ما ذكرناه بقوله: ﴿ أَعْبُدُونِ مَا تَنْجِتُونَ ﴾ لأنه لم يرد أنكم تعبدون نحتكم الذى هو فعلٌ لكم؛ بل أراد ماتعملون فيه النجى؛ وكما قال تعالى فى عصا موسى عليه السلام: ﴿ تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٧] و﴿ تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا ﴾؛ [طه: ٦٩]؛ وإنما أراد تعالى أن المصا تلتقف الجبال

التي أظهروا سحرهم فيها، وهى التى حلتها صنعتهم وإفكهم؛ فقال: ﴿ مَا صَنَعُوا ﴾ و﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ وأراد ما صنعوا فيه، وما يَأْفِكُونَ فيه؛ ومثله قوله تعالى: ﴿ يَمْلِكُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ ﴾؛ [سبأ: ١٣]؛ وإنما أراد الممول فيه دون العمل؛^(١) وهذا الاستعمال أيضاً شائع^(٢)؛ لأنهم يقولون: هذا الباب عمل النجار. وفى الخللخال: هذا من عمل الصائغ؛ وإن كانت الأجسام التى أشير إليها ليست أعمالاً؛ وإنما عملوا فيها؛ فحسن إجراء هذه العبارة. فإن قيل: كل الذى ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه المجازو الاتساع؛ لأن العمل فى

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة): « وهذا فى الاستعمال ».

الحقيقة لايجرى إلا على فعل الفاعل دون مايفعل فيه ؛ وإن استعير في بعض المواضع .

قلنا : ليس نسلم لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز ؛ بل نقول : هو المفهوم الذي لا يستفاد سواه ، لأن القائل إذا قال : هذا الثوب عمل فلان لم يفهم منه إلا أنه عميل فيه ، وما رأينا أحداً قط يقول في الثوب بدلا من قوله : هذا من عمل فلان : هذا مما حله عمل فلان ؛ فالأول أولى بأن يكون حقيقة .

وليس ينكر أن يكون الأصل في الحقيقة ما ذكرناه ، ثم انتقل بعرف الاستعمال إلى ما ذكرناه ؛ وصار أخص به ، ومما لا يستفاد من الكلام سواه ؛ كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد والاعتبار في المفهوم من الألفاظ إلا ما يستقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل ؛ فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه .

١٠ على أننا لو سلمنا أن ذلك مجاز لوجب المصير إليه من وجوه :
منها ما يشهد به ظاهر الآية ويقتضيه ، ولا يسوغ سواه .

ومنها ما يقتضيه الأدلة القاطعة الخارجة عن الآية ؛ فمن ذلك أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم ، والتوبيخ لأفعالهم والإزاء على مذاهبهم ، فقال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ / ومتى لم يكن قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المراد [٢٩٧] ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ فيه ؛ ليصير تقدير الكلام : أتعبدون الأصنام التي تنجثونها ، والله خلقكم وخلق^و هذه الأصنام التي تعملون فيها التخطيط والتصوير ؛ لم يكن للكلام معنى ، ولا مدخل في باب التوبيخ . ويصير على ما يذكره المخالف كأنه قال : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴾ والله خلقكم وخلق عبادتكم ؛ فأى وجه للتقريب ! وهذا إلى أن يكون عذراً أقرب من أن يكون لوماً وتوبيخاً ؛ إذا خلق عبادتهم للأصنام ؛ فأى وجه للومهم عليها وتقريعهم بها ! على أن قوله عز وجل : ﴿ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴾ خرج مخرج ٢٠ التعليل للمنع من عبادة غيره تعالى ؛ فلا بد أن يكون متعلقاً بما تقدم من قوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجِتُونَ ﴾ ومؤثراً في المنع من عبادة غير الله . فلو أفاد قوله : ﴿ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ نفس العمل

الذى هو النحتُ دون الممول فيه لكان لا فائدة في الكلام ؛ لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت ؛ وإنما كانوا يعبدون محل النحت ؛ ولأنه كان لاحظاً في الكلام للمنع من عبادة الأصنام. وكذلك إن حمل قوله تعالى: ﴿ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ على أعمال آخر ليست نحتهم ، ولاهى ما عملوا فيه لكان أظهرَ في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما تقدم ؛ فلم يبق إلا أنه ٥ أراد: أنه خلقكم وما تعملون فيه النحت ، فكيف تعبدون مخلوقاً مثلكم !

فإن قيل: لم زعمتم أنه لو كان الأمر على ما ذكرناه لم يكن للقول الثانى حظاً في باب المنع من عبادة الأصنام؟ وماتنكرون أن يكون لما ذكرناه وجهٌ في المنع من ذلك؟ (١)؛ كما أن ما ذكرتموه (٢) أيضاً لو أريد لكان وجهاً ؛ وهو أن مَنْ خَلَقْنَا وَخَلَقَ الْأَفْعَالُ فَيُنَا لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَهَ الْقَدِيمِ، الذى تحقُّ له العبادة ، وغير القديم - كما يستحيل أن يخلقنا - يستحيل أن يخلق فينا الأفعال ١٠ على الوجه الذى يخلقها القديم تعالى ؛ فصار لما ذكرناه تأثير .

قلنا : معلوم أن الثانى إذا كان كالتمايل للأول والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن أنكم مخلوقون وما تعبدونه أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه مما لا يقتضى أكثر من [٢٩٧] خلقهم دون خالق ما عبده؛ وأنه لا شيء أدلّ على / المنع من عبادة الأصنام من كونها مخلوقة ^ط كما أن عابدها مخلوق .

١٥ ويشهد لما ذكرناه قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ أَيُّ شَرِّ كُفْرًا مَّا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ ؛ [الأعراف: ١٩١، ١٩٢] فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة الآلهة دونه بأنّها مخلوقة لا تخلق شيئاً ، ولا تدفع عن أنفسها ضراً ولا عنهم ؛ وهذا واضح .

على أنه لو سادى ما ذكرناه ما ذكرناه في التعلق بالأول لم يسعُ حمله على ما ادعوه ؛ ٢٠ لأن فيه عذراً لهم في الفعل الذى عنفوا به وقروا من أجله ؛ وقبيح أن يوبخهم بما يعذرونهم ؛ ويندمهم بما ينزّههم على ما تقدم .

على أننا لا نسلّم أن مَنْ يفعل أفعال العباد ويخلقها يستحق العبادة؛ لأن من جملة أفعالهم القبائح، ومن فعل القبائح لا يكون إلهاً، ولا تحقُّ له العبادة؛ فخرج ما ذكره من أن يكون مؤثراً بانفراده في العبادة.

على أن إضافته العمل إليهم بقوله: ﴿تَعْمَلُونَ﴾ يبطل تأويلهم الآية؛ لأنه لو كان تعالى خالقاً له^(١) لم يكن عملاً لهم؛ لأن العمل إنما يكون لمن يُحدثه ويوجده، فكيف يكون عملاً لهم والله خلقه! وهذه مناقضة، فثبت بهذا أن الظاهر شاهد لنا أيضا.

على أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ يقتضى الاستقبال؛ وكل فعل لم يوجد فهو معدوم. ومحال أن يقول تعالى: إني خالق للمعدوم!

فإن قالوا: اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به المضى؛ فكأنه قال: والله خلقكم وما

١٠

علمتم!

قلنا: هذا عدول منكم عن الظاهر الذى ادّعيتم أنكم متمسكون به؛ وليس أنتم بأن تعدلوا عنه بأولى منا؛ بل نحن أحق؛ لأننا نعدل عنه لدلالة؛ وأنتم تعدلون بغير حجة.

فإن قالوا: فأنتم أيضا تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على تأويلكم، وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضى.

قلنا: لا نحتاج نحن في تأويلنا إلى ذلك؛ لأننا إذا حملنا قوله تعالى: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾^{١٥} على الأصنام المعمول فيها - ومعلوم أن الأصنام موجودة قبل عملهم فيها - فجاز أن يقول تعالى: إني خلقتها؛ ولا يجوز أن يقول: إني خلقت ماسيق من العمل في المستقبل.

على أنه تعالى/ لو أراد بذلك أعمالهم؛ لأماعلوا فيه على ما دعوه لم يكن في الظاهر حجة على [٢٩٨] ما يريدون؛ لأن الخلق هو التقدير والتدبير، وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقاً لفعل غيره إذا قدره ودبره؛ ألا ترى أنهم يقولون: خلقت الأديم؛ وإن لم يكن الأديم فعلاً لمن يقال^{٢٠}

(١) حاشية الأصل: « نسخة ش: « لها » .

ذلك فيه ! ويكون معنى خلقه لأفعال العباد أنه مقدر لها، ومعرف لنا مقاديرها ومراتبها وما به نستحق عليها من الجزاء .

وليس يمتنع أن يقال : إنه خالق للأعمال على هذا المعنى إذا ارتفع الإبهام وفهم المراد؛ فهذا كله تقتضيه الآية . ولو لم يكن في الآية شيء مما ذكرناه مما يوجب المدول عن حمل قوله : ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ على خلق نفس الأعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك، ونحملها على ما ذكرناه بالأدلة العقلية الدالة على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا للأعمالنا، وإن تصرفنا محدث بنا، ولا فاعل له سوانا؛ وكل هذا واضح بين^(١) .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإني لأستحسن لبعض نساء بنى أسد قولها :

ألم ترنا غبنا ماونا زمانا ، فظننا نكد البئارا^(٢)
 فلما عدا الماء أوطانه^(٣) وجف الثماد فصارت حارارا^(٤)
 وضجت إلى ربها في السماء^(٥) رءوس العضا تناجي السرارا
 وفتحت الأرض أفواهها عجيج الجمال وردن الجفارا^(٦)
 لبسنا لدى عطن لينة على اليأس آتابنا والخمارا^(٧)
 وقلنا : أعبروا الندى حقه وصبر الحفظ ، وموتوا حارارا^(٨)

١٠

(١) ف : « واضح بين بحمد الله » . (٢) السكد هنا : انتزاع السائل .

(٣) الثماد : بقايا الماء في الحوض والحفر ، جمع ثمذ . والحرار : جمع حرة ، وهي حجارة سوداء .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « بخط عبد السلام البصرى :

﴿ وَعَجَّتْ عَجِيحًا إِلَى رَبِّهَا ﴾

(٥) الجفارا : جمع جفرة ، وهي البئر الواسعة . (٦) الآتاب : جمع إتاب ؛ وهو برد أو ثوب يؤخذ

فيشق في وسطه ، ثم تلقى المرأة في عنقها من غير جيب ولا كمين .

(٧) موتوا حارارا ؛ أى جودوا بأنفسكم . وفي حاشية الأصل : « نسخة س : وجدت بخط المرتضى

رضى الله عنه : « في مجموع أكثره بخط الرضى رضى الله عنه : حرار : جمع حرة » .

فإنَّ الفَدَى لَمَسَى مَرَّةً يَرُدُّ إِلَى أَهْلِهِ مَا اسْتَعَارَا
 فَبَيْنَنَا نُوَطَّنُ أَحْشَاءَنَا أَضَاءَ لَنَا عَارِضٌ فَاسْتَطَارَا (١)
 وَأَقْبَلَ يَزْحَفُ زَحْفَ الْكَسِيرِ سِيَاقَ الرِّعَاءِ الْبِطَاءِ الْعِشَارَا
 / تُنَمِّي وَتَضْحَكُ حَافَاتُهُ خِلَالَ الْغَنَامِ وَتَبْكِي مِرَارَا
 كَأَنَّا تُضِي لَنَا حُرَّةٌ تَشُدُّ إِزَارَا وَتُلْقِي (٢) إِزَارَا
 فَلَمَّا خَشِينَا بَأْنَ لَانِجَاءِ وَالْأَنَّ يَكُونُ قَرَارٌ قَرَارَا
 أَشَارَ إِلَيْهِ أَمْرٌ فَوْقَهُ هَلُمَّ، فَامَّ (٣) إِلَى مَا أَشَارَا

[٢٩٨]
 ط

٥

وَأُنشِدُ أَبُو هِفَانَ لَوْلَادَةَ الْمِهْزَمِيَّةِ (٤):

لَوْلَا انْقَاءُ اللَّهِ قُمْتُ بِمَفْخَرٍ لَا يَبْلُغُ الثَّقَلَانَ فِيهِ مَقَامِي
 بِأَبْوَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ سَادَةٍ بَدُّوا الْعُلَا أُمَرَاءَ فِي الْإِسْلَامِ -
 جَادُوا فَسَادُوا مَا نَعِينَ أَذَاهُمْ لِنَدَاهُمْ ، بُذِلَ (٥) عَلَى الْأَقْوَامِ
 قَدْ أَنْجَبُوا فِي السُّؤْدُدِ (٦) وَأَنْجَبُوا بِنَجَابَةِ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
 قَوْمٌ إِذَا سَكَّتُوا تَكَلَّمَتْ بِجَدُّهُمْ عَنْهُمْ ؛ فَأَخْرَسَ دُونَ كُلِّ كَلَامِ

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش « فيينا » ، وبخط المرزوقى رضى الله عنه : « نوطد أحسابنا » .

(٢) حاشية الأصل : « بخط عبد السلام : وترخى » .

(٣) حاشية الأصل : « بخط عبد السلام : فصار » .

(٤) حاشية الأصل : « قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى رحمه الله : هو أبو هِفَانَ عبيد الله بن أحمد

للهمزى . وأبو هِفَانَ ، بكسر الهاء » .

(٥) بذل : جمع بذول ، أى بذلون . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « أى الأبوة والأمومة » .

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر^(١) :
 أيا أخوى المُلزِمِي ملامة^(٢)
 سألتكما بالله إلا جعلتُمَا^(٤)
 أيا أمتا حُبُّ الهَلالِي قاتلي
 أشمُّ كغُصْنِ البانِ جَعْدُ مَرَجَلٍ
 فإن لم أوسد ساعدي بعد هَجعة
 تكلتُ أباي إن كنتُ ذقتُ كريقه
 أعيدُ كما^(٣) بالله من مثل مايبأ
 مكان الأذى واللوم أن تأويا ليأ^(٥)
 شطون النوى يحتل عرضاً يمانياً^(٦)
 شعفتُ به لو كان شيئاً مُدانياً^(٧)
 غلاماً هالياً فسل بنانيا^(٨)
 لشيء ولا ماء الغمامة غادياً^(٩)

ولصاحبة الهلالية :

ألمَّ كبيرُ لمةٍ ثمَّ شمَّرتُ
 / [ألا ليتنا والنفسُ تسكنُ للمنى
 بهِ جِلَّةٌ يطلُبُ بَرَقاً يمانياً^(١٠)
 يمانون إن أمسى حبيبُ يمانيا]

[٢٩٩]

ولها :

وإني لأهوى القصدَ ثمَّ يرُدُّني
 عن القصدِ^(١١) ميلاتُ الهوى فأميلُ

(١) الأبيات في حماسة ابن الشجري : ١٥٦-١٥٧ ؛ منسوبة إلى صاحبة الهلالية .

(٢) في ابن الشجري :

* أيا أخوى اللامِي على الهوى * *

(٣) م ، وابن الشجري : « أعندكما » . (٤) ابن الشجري : « لما خلعتما » .

(٥) أن تأويا لي ؛ أي أن ترحمني .

(٦) حاشية الأصل : « أمتا ، أي أمي ، وشطون ، أي هو شطون النوى ، والعرض : سفح الجبل ،

أي بسفح يمان » . (٧) حاشية الأصل : « أراد بالجمد السخى الكديم ، وهو من الأضداد ، قال طرفه :

أنا الرَّجُلُ الجُمْدُ الذي تعرفونهُ خَشاشٌ كَرَأْسِ الحِيةِ المتوقدِ

(٨) حاشية الأصل : « نسخة س : فشلت بنانيا » وهي رواية ابن الشجري .

(٩) في ابن الشجري بعد هذا البيت :

وأقسم لو خيرتُ بين فراقهِ وبين أبي لاخترتُ أن لا أبالياً

(١٠) في حاشيتي الأصل ، ف : « كبير ، رجل ، ونسخة س « كثير » ، لمة : إلما ، شمَّرت ، أي

ذهبت به ، والجلَّة : المسان من الإبل ، ويجوز أن يريد بها الجليلة ؛ ومن نسخة : « يطرن برقا يمانيا » .

(١١) الفصد : الأمر السوي والطريقة المستقيمة .

وما وَجَدُ مَسْجُونٍ بِصَنْمَاءَ مُوقٍ بِسَاقِيَةٍ مِنْ حَبْسِ الْأَمِيرِ كُبُولُ
وَمَا كَيْلُ مَوْلَى مُسْلِمٍ بِمَجْرِيَةِ لَهُ بَعْدَ مَا نَامَ الْعِيُونُ عَوِيلُ
بِأَكْثَرَ مِنِّي لَوْعَةً يَوْمَ عَجَّلُوا^(١)، فِرَاقُ حَبِيبٍ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ

ولعمرة^(٢) بنت العجلان أخت عمرو ذى الكلب بن عجلان الكاهلي ترثي أباها عمرا ،
وقد كان في بعض غزواته نائما، فوثب عليه نمران فأكلاه ، فوجدت فمهم سلاحه ، فادعت
قتله^(٣) :

سَأَلْتُ بَعْمَرَ أَخِي صَحْبَهُ فَأَفْظَعَنِي حِينَ رَدُّوا السُّؤَالَ
وَقَالُوا : أَيْسَحَ لَهُ نَائِمًا أَعَزُّ السَّبَاعِ عَلَيْهِ أَحَالًا^(٤)
أَيْسَحَ لَهُ نَمْرًا أَجْبَلُ فَنَالَا لَعْمُرُكَ مِنْهُ مَنَالًا
فَأَقْسَمْتُ^(٥) يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّأَكَ إِذَا نَبَّأَ مِنْكَ أَمْرًا^(٦) غُضَالًا ١٠
[إِذْنُ نَبَّأَ غَيْرَ رِعْدِيْدَةٍ وَلَا طَائِشٍ رَعِشَ حِينَ صَالَ]^(٧)
إِذَا نَبَّأَ لَيْثَ عَرِيْسَةٍ مُفِيْتًا مُفِيْدًا نَفُوسًا وَمَالًا^(٨)

(١) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يوم راعني » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « نسخة س : وجدت هذه القصيدة في دواوين هذيل منسوبة إلى جنوب أخت عمرو » ؛ وهي أيضا في ديوان الهذليين ٣ : ١٢٠-١٢٣ وخزانة الأدب وزهر الآداب (طبعة الحلبي) ٧٩٥-٧٩٦ ؛ وشواهد العيني .. منسوبة إلى الجنوب .

(٣) في ديوان الهذليين عن أبي عبيدة : « كان ذو الكلب يغزو فهما ؛ فوضعوا له الرصد على الماء فأخذوه وقتلوه ، ثم مروا بأخته جنوب ؛ فقالت لهم : ماشأ نكتم ؟ فقالوا : إنا طلبنا أخاك عمرا ، فقالت : لئن طلبتموه لتجدنه منيعا ، ولئن أضفتموه لتجدن جنابه مريما ؛ ولئن دعوتموه لتجدنه سريعا . قالوا : فقد أخذناه وقتلناه ، وهذا سلبه ؛ قالت : لئن سلبتموه لاتجدن ثنته وافية ، ولا حجزته جافية ، ولا ضالته كافية ؛ ولرب ثدى منكم قد افترشه ، ونهب قد احتوشه ، وضب قد احترشه ؛ ثم قالت ترثيه .. »
وأورد القصيدة . (٤) أحال : حمل عليه فقتله وأكله . (٥) في ديوان الهذليين : « فأقسم » .

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « داء » ؛ وهي رواية ديوان الهذليين .

(٧) من ديوان الهذليين . (٨) العريس والعريسة : مأوى الأسد ؛ والميت : مهلك النفوس .

هَزَبْرًا فَرُوسًا لِأَعْدَائِهِ هَصُورًا إِذَا لَقِيَ الْقِرْنَ صَالًا^(١)
 هَا مَعَ تَصْرِفِ رَبِّبِ الْمُنُونِ مِنْ الْأَرْضِ رُكْنَا تَبِيْتًا أَمَالًا^(٢)
 هَا يَوْمَ حَمِّ لَهُ يَوْمُهُ وَقَالَ أَخُو فَهَمَّ بَطْلًا وَقَالَ^(٣)
 - معنى «فال» أخطأ؛ يقال: رجل فائل الرأي-

وقالوا^(٤) قَتَلْنَا فِي غَارَةٍ بَابِيَّةٍ مَا إِنْ وَرِثْنَا النَّبَالَ
 - كأنها تهزأ بهم وتكذبهم؛ أى بعلامة أن قد ورثم النبال -

فَهَلَّا وَمِنْ قَبْلِ رَبِّبِ الْمُنُونِ فَقَدْ كَانَ رَجُلًا وَكُنْتُمْ رِجَالًا
 وَقَدْ عَلِمْتَ فَهَمَّ يَوْمَ^(٥) اللَّقَاءِ بِأَنَّهُمْ لَكَ كَانُوا نِفَالًا^(٦)
 / كَانَهُمْ لَمْ يُحِسُّوا بِهِ فَيُخَلُّوا النِّسَاءَ لَهُ وَالْحِجَالَا
 وَلَمْ يَنْزِلُوا بِمُحُولِ^(٧) السِّنِينَ بِهِ فَيَكُونُوا عَلَيْهِ عِيَالًا
 وَقَدْ عَلِمَ الضَّيْفُ وَالْمُجْتَدُونَ إِذَا اغْبَرَّ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شِمَالًا^(٨)
 وَخَاتٌ عَنْ أَوْلَادِهَا الرُّضَمَاتُ وَلَمْ تَرَ عَيْنٌ لِمُزْنٍ بِبَلَا^(٩)
 بِأَنَّكَ كُنْتَ الرَّبِيعَ الْمَغِيثَ لَمَنْ يَمْتَرِيكَ وَكُنْتَ الثَّمَالًا^(١٠)
 وَخَرَقٍ تَجَاوَزَتْ مَجْهُولُهُ بوجنَاء حَرْفٍ تَشْكَى السَّكَالَا^(١١)

[٢٩٩]
ظ

١٠

(١) ديوان الهذليين: « لأقرانه ». والهزبر: اسم السبع، والفروس: الذى يدق الأعناق.

(٢) التبيت: الثابت؛ وفي ديوان الهذليين « ركننا عزيرا ».

(٣) حم: قدر. (٤) حاشية الأصل (من نسخة): « وقالوا ».

(٥) حاشية الأصل (من نسخة): « عند »، وهى رواية ديوان الهذليين.

(٦) نفالاً: غنائم. (٧) ديوان الهذليين: « لزبات السنين »، واللزبات: الشدائد.

(٨) ديوان الهذليين: « والمرملون ». وهبت شمالاً: أى الريح:

(٩) بلالا، أى بللا. (١٠) وفي حاشية الأصل: « فلان شمال قومه إذا كان الاعتماد

والمعول عليه. (١) الحرق: الفلاة الواسعة؛ والوجناء: الناقة الشديدة؛ والحرف: الضامر؛ شبهت

بحرف الجبل؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة):

فَكَنتَ النَّهَارَ بِهِ شَمْسَهُ وَكَنتَ دُجَى اللَّيْلِ فِيهِ الْهَلَالَآ
وَخَيْلٍ سَمْتٌ لَكَ فُرْسَانُهَا فَوَلَّوْا وَلَمْ يَسْتَقِلُّوا قِبَالَآ (١)
[وَحَىٰ أَبْحَتَ، وَحَىٰ صَبَحَتَ غَدَاةَ الْهَيْجِ مَنَايَا عَجَلَا] (٢)
وَكُلُّ قَبِيلٍ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَرَدْتَهُمْ ، مِنْكَ بَاتُوا وَجَلَا (٣)



(١) اقبال : شمس النعل ، تريد شيئا قليلا .
(٢) من ديوان المهذلين .
(٣) الوجال : المتخوفون .

مَجْلِسُ آخِرٍ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [هود : ٣٤] .

فقال : أليس ظاهر هذه الآية يقتضى أن نصح النبي صلى الله عليه وآله لم ينفع (١) الكفار الذين أراد الله بهم الكفر والغواية ، وهذا بخلاف مذهبكم !

الجواب ، قلنا : ليس في ظاهر الآية ما يقتضيه خلاف مذهبنا ؛ لأنه تعالى لم يقل إنه فعل الغواية أو أرادها ؛ وإنما أخبر أن نصح (٢) النبي عليه السلام لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم . ووقوع الإرادة لذلك أو جواز وقوعها لا دلالة عليه في الظاهر ؛ على أن الغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب ؛ ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَعْدَمُ عَلَى النَّحْيِ لَأَيَّمَا (٣)

١٠ فكأنه قال : إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء أعمالكم وكفركم ، ويحرمكم ثوابه فليس [٣٠٠] ينفعكم / نصحي مادمتم مقيمين على ما أنتم عليه ؛ إلا أن تزلعوا وتتوبوا .

وقد سمي الله تعالى العقاب غياً ، فقال : ﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم : ٥٩] ؛ وما قبل هذه الآية يشهد بما ذكرناه ؛ وأن القوم استعجلوا عقاب الله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَ كْثُرَتْ جِدَالِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ . وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي ... ﴾ الآية ؛ [هود : ٣٢ ، ٣٣] ؛ فأخبر أن نصحه لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب ، ولا ينفى عنه شيئاً .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا ينفع » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف ؛
« وإنما أخبرنا . (٣) البيت للمرقش الأصغر (المفضليات ٢٤٧ - طبعة المعارف) .

وقال جعفر بن حرب : إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح طائفة تقول بالجبر ، فنههم الله تعالى بهذا القول على فساد مذهبهم ؛ وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجب من قولهم : إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد ، فما ينفعكم نصحي ؛ فلاتطلبوا مني نصحا وأنتم على ذلك لا تنتفعون به ؛ وهذا جيد .

وروى عن الحسن البصري في هذه الآية وجه صالح ؛ وهو أنه قال : المعنى فيها إن كان الله يريد أن يمدد بكم فليس ينفعمكم نصحي عند نزول العذاب بكم ، وإن قبلتموه وآمنتم به ؛ لأن كان من حكم الله تعالى ألا يقبل الإيمان عند نزول العذاب ؛ وهذا كله واضح في زوال الشبهة بالآية .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مستحسن ما قيل في صفة المصلوب قول أبي تمام الطائي

في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر قتل الأفشين وحرقة وصلبه :

١٠ مازال سرُّ الكُفْرِ بين ضلُوعِهِ حتى اضطلَى سِرَّ الزُّنادِ الوَارِي^(٢)
 ناراً يُساوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَرَتْ شِقَّ إِزَارِ
 طَارَتْ لَهَا شُعْلٌ يَهْدِمُ لَفْحُهَا أَرُ كَانَهُ هَدْمًا بَغَيْرِ غُبَارِ
 فَصَانَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعِ مَفْصِلِ^(٣) وَفَعَلْنَ فَاقِرَّةً بِكُلِّ قَقَارِ^(٤)
 ١٥ مَشْبُوبَةٌ رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ^(٥) مُشْرِكِ مَا كَانَ يُرْفَعُ ضَوْءُهَا لِلْسَّارِي
 صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيْتًا ، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْكُفَّارِ^(٥)

(١) من قصيدة في ديوانه : ١٥١-١٥٥ ؛ مطلقها :

الحقُّ أبلجُ والسيوفُ عوارٍ فخذار من أسد العرين حذارٍ

وكان الأفشين من أكابر قواد المعتصم ، وجهه لحرب بابك الخرمي ؛ فقبض عليه وحمله إلى المعتصم فقطعه وصلبه وانتهى أمره ، ثم علم المعتصم خيانه من الأفشين ؛ فقبض عليه وقتله وصلبه على خشبة بابك سنة ٥٢٦ هـ .

(٢) سر الزناد : النار الخبوءة فيها . (٣) الفارقة : الداهية .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لأعظم » ، بضم الطاء .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « الفجار » ، وهي رواية الديوان .

[٣٠٠]
ظ

وَكذَٰلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ /
يَا مَشْهَدًا صَدَرَتْ بِفَرْحَتِهِ إِلَى
رَمَقُوا أَعَالَى جِذْعِهِ فَكَأَنَّمَا
وَاسْتَنْشَقُوا مِنْهُ قَتَارًا نَشْرُهُ
وَتَحَدَّثُوا عَنْ هُلْكِهِ بِحَدِيثِ (٣) مَنْ
قَدْ كَانَ بَوَّأَهُ الْخَلِيفَةُ جَانِبًا
فَسَقَاهُ مَاءَ الْخَفِضِ غَيْرَ مَصْرَدٍ
وَلَقَدْ شَفَى الْأَحْشَاءَ مِنْ بُرْحَانِهَا
ثَانِيهِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
وَكَأَنَّمَا انْتَبَذَا لِكَيْمَا يَطْوِيَا
سُودُ اللَّبَاسِ كَأَنَّمَا نَسَجَتْ لَهُمْ
بَكَرُوا وَأَسْرَوْا فِي مُتُونِ ضَوَائِرِ
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ
كَادُوا النُّبُوَّةَ وَالْهُدَى فَتَمَطَّتْ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
أَمْصَارِهَا الْقُصُوى بَنُو الْأَمْصَارِ
رَمَقُوا الْهَلَالَ (١) عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ
مِنْ عَنَبٍ ذَفْرٍ وَمِسْكِ دَارِي (٢)
بِالْبَدْوِ عَنْ مُتَابِعِ الْأَمْطَارِ
مِنْ قَلْبِهِ حَرَمًا عَلَى الْأَقْدَارِ
وَأَنَامَهُ فِي الْأَمْنِ غَيْرَ غَرَارِ (٤)
أَنْ صَارَ بِأَبْكَ جَارَ مَازِيَارِ (٥)
لَاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هَا فِي الْغَارِ (٦)
عَنْ نَاطِسٍ (٧) خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
أَيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعًا مِنْ قَارِ
فَبَدَّتْ لَهُمْ مِنْ مَرَبِطِ النَّجَّارِ
أَبْدَاءَ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ
أَعْنَاقَهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِضْمَارِ

(١) الديوان : « وجدوا » .

(٢) القطار : الرأحة ، ونشره : فوحانه ؛ والذفر : الحاد ، والداري : منسوب إلى دارين ؛ وهي
فرضة يجب منها المسك . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : واستنشقوا » .

(٣) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والديوان : « كحديث » .

(٤) غرار : قليل . (٥) مازيار : رجل ، وضبط في الأصل بفتح الزاي وكسرهما معاً .

(٦) كذا وردت الرواية في الأصول ؛ وتأويله : ولم يكن كاثنين إذ هما في الغار ثان ؛ أي لم يكن
كهنه القضية قضية أخرى . وفي الديوان : « ثانيا إذ هما » ، بتسهيل الهمة ، وفي حاشية الأصل ؛
« أي هو ثان في الصلب والضلالة لما زيار ؛ وليس هو كأبي بكر إذ كان مع النبي عليه السلام في الغار » .

(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « ناطس اسم ملك الروم » .

وله يذكر صلب بابك :

لَمَّا قَضَى رَمَضَانَ مِنْهُ قَضَاءُهُ
 مازَالَ مَعْلُولَ الْعَزِيمَةِ سَادِرًا
 مُسْتَبْسِلًا لِلْبَاسِ طَوْقًا مِنْ دَمٍ (٢)
 أَهْدَى لَمَتَيْنِ الْجِدْعِ مَتْنِيهِ كَذَا
 لَا كَمَبِ أَسْفَلَ مَوْضِعًا مِنْ كَمِيهِ
 / سَامٍ كَأَنَّ الْعِزَّ يَجْدِبُ ضَبْعَهُ
 مُتَفَرِّغٌ أَبَدًا وَلَيْسَ بِفَارِغٍ
 شَالَتْ بِهِ الْأَيَّامُ فِي شَوَالٍ (١)
 حَتَّى غَدَا فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ
 لَمَّا اسْتَبَانَ فَظَاظَةَ الْخَلْخَالِ
 مِنْ عَافٍ مَتْنِ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ (٣)
 مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ كَمَبٍ عَالٍ
 وَسُحُوهُ مِنْ ذِلَّةٍ وَسِفَالٍ
 مَنْ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى الْأَشْغَالِ

[٣٠١]
و

قال سيدنا أدام الله علوه : ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار

يُنشد هذه الأبيات المفردة في الحسن في جملة مقابح أبي تمام ، وما خرَّجه - بزعمه - من سقطه وغلظه ؛ ١٠
 ويقول في عقبها : ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب بأغث من هذا الوصف ، وأين كان عن

مثل إبراهيم بن المهدي يصف صلب بابك في قصيدة يمدح بها المعتصم :

مَازَالَ يَعْزِفُ بِالنُّعْمَى فَنَفَرَهَا
 حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا
 يَا بَقْعَةً ضُرِبَتْ فِيهَا عَلَاوَتُهُ
 بُورِكْتَ أَرْضًا وَأَوْطَانًا مُبَارَكَةً
 لَوْ تَقَدَّرُ الْأَرْضُ حَجَّتْكَ الْبِلَادُ فَلَا
 لَمْ يَبِكْ إِبْلِيسُ إِلَّا حِينَ أَبْصَرَهُ
 كَنَاقَةِ النَّحْرِ تَزْهِي تَحْتَ زِينَتِهَا
 عَنْهُ الْغَمُوطُ ، وَوَأَفْتَهُ الْأَرَاصِيدُ (٤)
 كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ
 وَعَيْنُهُ ، وَذَوَتْ أَعْصَانُهُ الْمِيدُ
 مَا عَنَّكَ فِي الْأَرْضِ لِلتَّقْدِيسِ تَعْرِيدُ
 يَبْتَمِي عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا حَجَّ جُلُودُ
 فِي زِينَتِهِ ، وَهُوَ فَوْقَ الْفِيلِ مَصْفُودُ
 وَحَدُّ شَفَرَتِهَا لِلنَّحْرِ مَحْدُودُ

١٥

(١) من قصيدة في ديوانه ٢٥٩-٢٦٥ يمدح فيها المعتصم ، وأولها :

آلُ أُمُورِ الشُّرْكِ شَرٌّ مَالٍ وَأَقْرَبُ بَعْدَ تَحْمِطِ وَصِيَالِ

(٢) الديوان

* متلبسًا للموت طوقًا من دم *

(٣) العسال : المضطرب . (٤) يعنى القضاء الواثق له بالمرصاد .

ما كان أحسنَ قولِ النَّاسِ بِوَمَئِدٍ أبومُ بآبكَ هَذَا أَمْ هُوَ الْعِيدُ!
صَيَّرَتْ جُمَّتَهُ جِيدًا لِبَاسِقَةٍ جَرْدَاءٌ، وَالرَّأْسُ مِنْهُ مَالُهُ جِيدُ
فَأَضَّ تَلَعَبُ هُوجِ الْعَاصِفَاتِ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ صَلِيبًا طَرْفُهُ عُدُ
كَأَنَّهُ شَلُوُ كِبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تَنُورُ شَاوِيَةٍ، وَالْجُدْعُ سَفُودُ

٥ وهكذا ينبغي أن يطعن على أبيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في تقريرها؛ وليت من جهل شيئاً عدل عن الخوض فيه والكلام عليه ؛ فكان ذلك وأولى [٣٠١] به . وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والألفاظ وسلامة السبك وإطراد النسيج، وأبيات ابن المهدي مضطربة الألفاظ ، مختلفة النسيج ، متفاوتة الكلام ؛ وما فيها شيء ، يجوز أن يوضع عليه اليد إلا قوله :

١٠ حَتَّى عَلَا حَيْثُ لَا يَنْحَطُّ مُجْتَمِعًا كَمَا عَلَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ الْعُودُ

وبعد البيت الأخير وإن كان بارداً الألفاظ .

وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :

مَازَالَ يَعْنُفُ بِالنُّعْمَى وَيَغْمِطُهَا حَتَّى اسْتَقَلَّ بِهِ عُودٌ عَلَى عُودٍ^(١)
نَصَبَتْهُ حَيْثُ تَرْتَابُ الرِّيَّاحِ بِهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرَ فِيهِ أَضْبَعُ الْبَيْدِ^(٢)

وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح بها أبا سعيد أولها :

١٥ لَا دِمْنَةَ بِلَوَى خَبْتٍ وَلَا طَلَّلُ يَرُدُّ قَوْلًا عَلَى ذِي لَوْعَةٍ يَسَلُ^(٣)
إِنْ عَزَّ دَمْعُكَ فِي آيِ الرُّسُومِ فَلَمْ يَصُبْ عَلَيْهَا فَعِنْدِي أَدْمَعٌ بَلُّ
هَلْ أَنْتَ يَوْمًا مُعِيرِي نَظْرَةَ فَتْرَى فِي رَمْلِ يَبْرِينَ عَيْرًا سَيْرُ هَارَمَلُ!
حَثُوا النَّوَى بِجُدَاةٍ مَالِهَا وَطَنُ غَيْرِ النَّوَى، وَجَمَالُ مَالِهَا عَقْلُ

(١) ديوانه : ١٢٣ ، يعنف بالنعمة : يسرف ويمجاوز حقه فيها ، ويغمطها : يكفرها .

(٢) قال شارح ديوانه : « ترتاب الرياح ، أي تستنكر ؛ يريد : إذا خالف أحد على ذلك المكان

أنته ريحه قبحة منه ؛ يقول : جعلته في مكان تبلغه الطير ، ولا تبلغه الضبع فتحسد الطير » .

(٣) ديوانه ٢ : ٢١٤ .

يقول فيها :

تَحْمِلُهُ الْبُرْدُ مِنْ أَقْصَى الثُّغُورِ إِلَى
بِسْرٍ مَنْ رَاءَ مَنْكُوسًا تَجَاذِبُهُ
أَمْسَى يَرُدُّ حَرِيقَ الشَّمْسِ جَانِبَهُ
تَفَاوَتُوا بَيْنَ مَرْفُوعٍ وَمُنْخَفِضٍ
رَدَّ الْمَجِيرُ لِحَاهِمُ بَعْدَ شِعْلَتِهَا
سَمَا لَهُ حَابِلُ الْأَسَادِ فِي لُمَّةٍ
حَالِي الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ لَوْ صَدَقَتْ
مِنْ تَحْتِ مُطْبِقِ أَرْضِ الشَّامِ فِي نَفَرٍ
/ غَاوَعْنَ الْأَرْضَ أَنَايَ غَيْبَةٍ وَهُمْ

وله في هذا المعنى :

مَا زِلْتَ تَقْرَعُ بَابَ بَابِكَ بِالْقَنَا
حَتَّى أَخَذْتَ بِنَصْلِ سَيْفِكَ عَنُودَ
أَخْلَيْتَ مِنْهُ الْبَذَّ وَهِيَ قَرَارُهُ
لَمْ يَبْقَ فِيهِ خَوْفٌ بِأَسْكَ مَطْمَأً (٤)
قَرَاهُ مُطْرِدًا عَلَى أَعْوَادِهِ
مُسْتَشْرِفًا لِلشَّمْسِ مُنْتَصِبًا لَهَا

أَذْنَى الْعِرَاقِ سِرَاعًا رَيْثُهَا عَجَلٌ (١)
أَيْدِي الشَّمَالِ فُضُولًا كُلُّهَا فُضْلٌ
عَنْ بَابِكَ ، وَهِيَ فِي الْبَاقِينَ تَشْتَمِلُ
عَلَى مَرَاتِبٍ مَاقَالُوا وَمَا فَعَلُوا
سُودًا ، فَعَادُوا شَبَابًا بَعْدَ مَا اكْتَهَلُوا
مِنَ النَّيَا ، فَأَمْسَى وَهُوَ مُحْتَمِلٌ
لَهُ الْمُنَى لَتَمْنَى أَنَّهَا عَطْلٌ
أَسْرَى يَوْدُونَ وَدَا أَنَّهُمْ قَتَلُوا
فِيهَا ؛ فَلَا وَصَلَ إِلَّا الْكُتُبُ وَالرُّسُلُ

[٣٠٢]

و

وَتَزْوُرُهُ فِي غَارَةٍ شِعْوَاءً (٢)
مِنْهُ الَّذِي أَعْيَا عَلَى الْأَمْرَاءِ
وَنَصَبْتَهُ عَلَمًا بِسَامِرَاءَ (٣)
لِلطَّيْرِ فِي عَوْدٍ وَلَا إِبْدَاءَ
مِثْلَ اطَّرَادِ كَوَاكِبِ الْجَوَزَاءِ
فِي أَخْرِيَاتِ الْجِدْعِ كَالْحَرْبَاءِ

١٥

(١) البرد : جمع بريد ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « تأتي به البرد » .

(٢) ديوانه ١ : ٤ ، من قصيدة يمدح فيها محمد بن يوسف مطلعها :

زعم الغراب مني الأنبياء أن الأحبة آذنوا بتناء

(٣) البذ : كورة بين أذربيجان وأران . وسامراء : لغة في سر من رأى ؛ مدينة كانت بين بغداد

ونكربت . (٤) ف : « مطما » .

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ؛ [البقرة: ١٨٥].
فقال : كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن ، وقد أنزله في غيره من الشهور على ما جاءت به الرواية ؟ والظاهر يقتضى أنه أنزل الجميع فيه ، وما المعنى في قوله : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ ؟ وهل أراد الإقامة والحضور اللذين هما ضدًّا^(١) الغيبة ، أو أراد المشاهدة والإدراك ؟ .

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال قوم : المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملةً واحدةً إلى سماء الدنيا في شهر رمضان ، ثم فرق إنزاله على نبيه صلى الله عليه وآله بحسب ما تدعو الحاجة إليه .

وقال آخرون : المراد بقوله ﴿ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن ؛ فيكون ﴿ فِيهِ ﴾ بمعنى في فرضه ، كما يقول القائل : أنزل الله في الزكاة كذا وكذا ، يريد في فرضها ، وأنزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها .

وهذا الجواب إنما هرب متكلفه من شيء ، وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه ، وهو بعد ثابت على ما كان عليه ؛ لأن قوله : ﴿ الْقُرْآنُ ﴾ إذا كان يقتضى ظاهره إنزال / جميع القرآن

فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع القرآن ؛ ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يتضمن إيجاب صوم شهر رمضان ، وأن أكثره خالٍ من ذلك .

فإن قيل : المراد بذلك أنه أنزل في فرضه شيئا من القرآن ، وبمضا منه .

(١) حاشية الأصل : « نسخة ش : ضد الغيبة » .

قيل : فالأقصر على هذا ، وحمل الكلام على أنه تعالى أنزل شيئاً من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج إلى أن يجمل لفظة ﴿ فِيهِ ﴾ بمعنى في فرضه وإيجاب صومه .

والجواب الصحيح ، أن قوله تعالى : ﴿ الْقُرْآنُ ﴾ في هذا الموضع لا يفيد العموم والاستغراق ، وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق ، فكأنه قال : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ ﴾ هذا الجنس من الكلام ؛ فأى شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر .

٥

وليس لأحد أن يقول : إن الألف واللام هاهنا لا يكونان إلا للعموم والاستغراق ؛ لأننا لو سلمنا أن الألف واللام صيغة العموم والصورة مقتضية لاستغراق الجنس لم يجب أن يكون هاهنا بهذه الصفة ؛ لأن هذه اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة من الكلام ولا يراد بها أكثر من الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم ؛ حتى يكون حمل كلام المتكلم بها على خصوص أو عموم ؛ كالناقض لغرضه والمنافق لمراده ؛ ألا ترى أن القائل إذا قال :

١٠

فلان يأكل اللحم ، ويشرب الخمر ، وضرب الأمير اليوم اللصوص ، وخاطب الجند لم يفهم من كلامه إلا محض الجنس والطبقة من غير معنى خصوص ولا عموم ؛ حتى لو قيل له : فلان يأكل جميع اللحم ، ويشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه : إنني لم أرد عموماً ولا خصوصاً ؛ إنما أريد أنه يأكل هذا الجنس من الطعام ، ويشرب هذا الجنس من الشراب ؛ فمن فهم من كلامي العموم أو الخصوص فهو بعيد من فهم مرادى .

١٥

وأرى كثيراً من الناس يغلطون في هذا الموضع ، فيظنون أن الإشارة إلى الجنس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة ؛ حتى يحملوا قول من قال : أردت الجنس في كل موضع على العموم ؛ وهذا بعيد ممن يظنه ؛ لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان / [٣٠٣] في بعض المواضع بهذه الألفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير إرادة عموم ولا خصوص مفهومة مميزة ؛ وقد ذكرنا أمثلة ذلك .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ فأكثر المفسرين حملوه على أن المراد بمن شهد منكم الشهر من كان مقيماً في بلد غير مسافر . وأبو عليّ حمله على أن المراد

به فن أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه وهو متكامل الشروط فلْيُصممه ، ذهب في معنى ﴿ شَهْدٌ ﴾ إلى معنى الإدراك والمشاهدة .

وقد طعن قوم على تأويل أبي علي وقالوا : ليس يحتمل الكلام إلا الوجه الأول .
وليس الأمر على ما ظنوه ؛ لأن الكلام يحتمل الوجهين معاً ؛ وإن كان للقول الأول ترجيحٌ
ومزية على الثاني من حيث يحتاج في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول ؛
لأن على القول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر ؛ لأن قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ ﴾
يقتضى الإقامة ؛ وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط من الإمكان والبلوغ وغير ذلك .

وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما أضمرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ؛ ويكون
التقدير : فمن شاهد الشهر وهو مقيم مطبق بالغ إلى سائر الشروط ؛ فمن هذا الوجه كان
الأول أقوى .

وليس لأحد أن يقول : إن ﴿ شَهْدٌ ﴾ بنفسه من غير محذوف لا يدل على إقامة ؛ وذلك
أن الظاهر من قولهم في اللغة : فلان شاهد إذا أطلق ولم يُضف أفاد الإقامة في البلد ؛ وهو
عندهم ضد الغائب والمسافر ؛ وإن كانوا ربما أضافوا فقالوا : فلان شاهد لكذا ، وشهد فلان
كذا ؛ ولا يريدون هذا المعنى ؛ ففي إطلاق ﴿ شَهْدٌ ﴾ دلالة على الإقامة من غير تقدير محذوف ؛
وهذه جملة كافية بحمد الله .

قال سيدنا أدام الله علوه : وجدت أبا العباس بن عمّار يعيب على أبي تمام في قوله :
لَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَدَاعُ الْحَضُّ وَأَنْصَرَمَتْ أَوْ آخِرُ الصَّبْرِ إِلَّا كَاطِمًا وَجِمًا^(١)
رَأَيْتَ أَحْسَنَ مَرِيئٍ وَأَفْبَحَهُ مُسْتَجْمِعِينَ لِي : التَّوْدِيعَ وَالْعِنْمَا
[٣٠٣] / قال أبو العباس : وهذا قد ذمّ مثله على شاعر متقدم ؛ وهو أن جمع بين كلمتين أحدهما

٢٠ لا تناسب الأخرى ؛ وهو قول الكميت :

وَقَدْ رَأَيْنَا بِهَا حُورًا مُنْعَمَةً رُودًا تَكَامَلَفِيهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

(١) ديوانه ٣٠٢ ؛ من قصيدة يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصعبى .

فقبل له: أخطأت وباعدت بقولك: « الدَّلُّ والشَّنْبُ »؛ ألا قلت كقول ذي الرُّمة:

بِيضَاهُ فِي شَفَتَيْهَا حُوَّةٌ لَعَسَ وَفِي اللِّثَاتِ وَفِي أُنْيَاهَا شَنْبٌ^(١)

قال: فقال الطائي:

* مُسْتَجْمِعِينَ لِي: التَّوْدِيْعَ وَالْعِنْمَا *

فجمل المنظر القبيح للتوديع، والتوديع لا يستقبح، وإنما يستقبح عاقبته وهي الفراق،
وجمل المنظر الحسن الخضاب؛ وشبهه بالعم، ولم يذكر الأنامل الخضبة. وإنما سمع قول
الجنون:

وَيُبْدِي الحَصَى مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ بِهِ مِنْ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المَخْضَبِ^(٢)

قال: وهذا هو الأصل؛ استماره الناس من بعد، فقال الشاعر:

١٠ النَّشْرُ مِسْكٌ، وَالوَجُوهُ دَنَا نِيرٌ، وَأَطْرَافُ الأَكْفِ عَنَمٌ^(٣)

وأغرب أبو نواس في قوله:

تَبْكِي فَتُدْرِي الدَّرَّ مِنْ طَرَفِهَا وَتَلْطَمُ الوَرْدَ بَعْنَابِ^(٤)

قال: فلم يحسن هذا العليج أن يستعير شيئاً من محاسن القائلين.

قال سيدنا أدام الله علوه: وهذا غلطٌ من ابن عمار وسفهٌ على أبي تمام؛ لأن

الكَمِيتُ جمع بين شيئين متباعدين؛ وهما الدَّلُّ وهو الشكل والحلاوة وحسن الهيئة؛ والشَّنْبُ ١٥

وهو برد الأسنان، وتطرق عليه بذلك بعض العيب، وأبو تمام بين شيئين غير متفرقين^(٥)، لأن

التوديع إنما أشار به إلى ما أشارت إليه بإصبعها من وداعه عند الفراق، وشبهه مع ذلك أصابعها

(١) ديوانه: ٥. اللمي سمره في الشفة؛ والحوة: حمرة في الشفتين تضرب إلى السواد.

(٢) البيت في الأغاني ٢: ٢٠ (طبع دار الكتب المصرية)، وقوله:

فَلَمْ أَرَ لَيْلِي بِمَدِّ مَوْقِفِ سَاعَةٍ بِجَنَيفِ مِسْنَى تَرْمِي جِمَارَ المَحْصَبِ

(٣) البيت للمرقش الأكبر (الفضليات: ٢٣٨، طبعة المعارف).

(٤) ديوانه: ٣٦١. (٥) حاشية الأصل (من نسخة): «مفترقين».

بالعنم، والعنم نبتٌ أغصانه غضة دقاق شبه الأصابع، وقيل: إن العنم واحده عَنَمَةٌ؛ وهي [٣٠٤] العظاية الصغيرة البيضاء؛ وهي أشبه شيء بالأصابع البيضاء الغضة؛ وهذا حكاه صاحب / كتاب العين .

وقيل: إن العنم نبت له نورٌ أحمرٌ تُشبهه به الأصابع المحضوبة، فوجهُ حُسْنِ قوله: «التوديع والعنم» أن التوديع كان بالإصبع التي تشبه العنم، فجمع بينهما بذلك؛ ولا حاجة به إلى ذكر الأنامل المحضبة على ما ظنَّ أبو العباس؛ بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول التوديع والأنامل التي تشبه العنم .

فأما قوله: إن التوديع لا يستقبح؛ وإنما يستقبح عاقبته فخطأ؛ ومطالبة الشاعر بما لا يطالب بمثله الشعراء؛ لأن التوديع إذا كان منذرا بالفراق وبعد الدار وغيبة المحبوب لا محالة ١٠ إنه مكروه مستقبح .

وقوله: مستقبح عاقبته صحيح، إلا أن ما يعقبه ويشمره لما كان عند حضوره متيقنا مذكورا عاد الإكراه والاستقبح إليه . ونحن نعلم أن الناس يتكروهون ويستقبحون تناول الأشياء الملمذة من الأغذية وغيرها إذا علموا مافي عواقبها من الكروه؛ فإن من قَدَّمَ إليه طعام مسموم وأعلم بذلك يتكروهه ويستقبح تناوله لما يتوقمه من سوء عاقبته؛ وإن كان ملذنا في الحال؛ ولم نزل الشعراء تذكر كراهتها للوداع وهربها منه. لما يتصور فيه من ^(١) ألم الفرقة، وغُصص الوحشة^(١). وهذا معروف مشهور، وقد قال فيه أبو تمام:

أَلْفَةَ النَّجِيبِ كَمْ افْتِرَاقٍ أَظَلَّ فَكَانَ دَاعِيَةَ اجْتِمَاعٍ^(٢)
وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأُوبَاتِ إِلَّا لِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحِّحِ الْوَدَاعِ

فجمل للوداع ترحا يقابل فرح الإياب، وهذا صحيح .

فأما قول جرير: ٢٠

أَنْسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سُلَيْمَى بَفَرَعٍ بِشَامَةٍ سَقَى الْبِشَامِ^(٣)

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة): « ألم الفرقة وغصص الاستيجاش » .

(٢) ديوانه: ١٩٣ . (٣) ديوانه: ٥١٢ .

فإنه دعا للبشام - وهو شجر - بالسقي ؛ لأنها ودعته عنده ، فسُرَّ بتوديعها ، وقول الشاعر :

مَنْ يَكُنْ يَكْرَهُ الْفِرَاقَ فَإِنِّي أَشْتَهِيهِ لِمَوْضِعِ التَّسْلِيمِ
إِنَّ فِيهِ اعْتِنَاقَةً لُودَاعٍ وَانْتِظَارًا اعْتِنَاقَةً لِقُدُومِ

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في الممانى بحسب أغراضهم وقصودهم ، فإذا رأى أحدُهم

مَدْحَ / شَيْءٍ قَصَدَ إِلَى أَحْسَنِ أَوْصَافِهِ فَذَكَرَهَا ، وَأَشَارَ بِهَا ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ لَا وَصْفَ لَهُ غَيْرُ ذَلِكَ [٣٠٤] ط
الوصف الحسن ؛ وإذا أراد ذمَّه قَصَدَ إِلَى أَوْجَعِ أَحْوَالِهِ فَذَكَرَهَا ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ لَا شَيْءَ فِيهِ غَيْرُ
ذَلِكَ ؛ وَكُلُّهُ مَصِيبٌ بِحَسَبِ قَصْدِهِ .

ولهذا ترى أحدَهم يقصد إلى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع ، وأن العمر معه أطول ،
وما أشبه ذلك ، ويقصد إلى ذمه فيصف ما فيه من الإذناء إلى الأجل ، وأنه آخر الألوان
وأبغضها إلى النساء ؛ وما أشبه ذلك ؛ وهذه سبيلهم في كل شيء وصفوه ؛ ولدهم موضعه ،
ولدهم موضعه ؛ فمن ذمَّ الوداع لما فيه من الإنذار بالفراق وبعده الدار قد ذهب مذهباً صحيحاً ؛
كما أن مَنْ مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر إليه - وإن كان يسيراً - قد ذهب
أيضاً مذهباً صحيحاً .

ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بمد أن أنشد شعر المجنون ، قال : وهذا هو الأصل ،

١٥

ثم استعاره الناس من بعد ؛ فقال الشاعر :

النَّشْرُ مِسْكٌ ، وَالْوَجُوهُ دَنَا نِيرٌ ، وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَمٌّ

وهذا الشعر للمرقش الأكبر ؛ وهو والمرقش الأصغر جميعاً كانا على عهد مهدي بن ربيعة ،

وشهدا حرب بكر بن وائل ، فكيف يكون قول المرقش الأكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة !

مَجْلِسُ آخِرٍ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٥٣] . فقال : كيف يكون ذلك ، والفرقان هو القرآن ، ولم يؤت
موسى القرآن ، وإنما اختصَّ به محمد صلى الله عليه وآله ؟
الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

٥ أولها أن يكرن الفرقان بمعنى الكتاب المتقدم ذكره ؛ وهو التوراة ، فلا يكون هاهنا اسما
للفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وآله ، ويحسن نسقهُ على الكتاب المخالفة للفظه ؛ كما قال
تعالى : ﴿ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة : ١٥١] ، وإن كانت الحكمة مما يتضمنها
[٣٠٥] الكتاب ، وكتب الله تعالى كلها فرقان ، يفرق بين الحق والباطل ، والحلال / والحرام .
و يُستشهد على هذا الوجه بقول طرفة :

١٠ فَمَا لِي أُرَانِي وَابْنَ عَمِّي مَالِكًا مَتَى أُدْنُ مِنْهُ يَنَاءً عَنِّي وَبِعَدٍ (١)

فَنَسَقَ «بعدي» على «يناء» وهو بعينه ، وحسن ذلك اختلافُ اللفظين . وقال عدى بن زيد :
وَقَدَّمَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ وَالْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيِّنًا (٢)
والين الكذب .

وثانيتها أن يكون الكتاب عبارةً عن التوراة ، والفرقان انفراقُ البحر الذي أوتيه موسى

١٥ عليه السلام .

(١) من المعانيق ص ٨٦ - بشرح التبريزي .

(٢) حاشية الأصل : هـ يعني انزياح وجذيمة ، والراهشان : عرفان في الدراعين ، والأديم : النطع ،
وكانت قد وعدته بأن تزوجه ، ثم غدرت به فقلناه على نطع ، وهو الأديم الذي ذكره .

وثالثها أن يُراد بالفرقان الفرقُ بين الحلال والحرام ، والفرقُ بين موسى وأصحابه المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين ؛ لأنَّ الله تعالى قد فرق بينهم في أمور كثيرة ؛ منها أنه نجى هؤلاء وأغرق أولئك .

ورابعها أن يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله ؛ ويكون المعنى في ذلك: وآتينا موسى التوراة والتصديق والإيمان بالفرقان الذي هو القرآن ؛ لأن موسى عليه السلام كان مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وآله وما جاء به ، ومبشراً ببعثته . وساغ حذف القبول والإيمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان مقامه ؛ كما ساغ في قوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ ؛ [يوسف : ٨٢] ، وهو يريد أهل القرية .

وخامسها أن يكون المراد الفرقان القرآن ، ويكون تقدير الكلام : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ﴾ الذي هو التوراة ، ﴿ وَ ﴾ آتينا محمداً ﴿ الْفُرْقَانَ ﴾ ، فحذف ما حذف مما يقتضيه ١٠ الكلام ؛ كما حذف الشاعر في قوله :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ كَانَ لَهُ وَفْرٌ^(١)
أراد: ويفقأ عينيه ؛ لأنَّ الجَدْعَ لا يكون بالعين ؛ واكتفى بـ«يجدع» من «يفقأ» .
وقال الشاعر :

١٥ تَسْمَعُ لِلْأَحْشَاءِ مِنْهُ لَفْطًا وَلِلْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَا
أى وترى لليدين ؛ لأنَّ الجُسْأَةَ والبدد^(٢) لا يُسممان وإنما يُريان .
وقال الآخر :

عَلَفْتُهَا تَبْنًا وَمَاءً بَارِدًا حَتَّى شَدَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا^(٣)
أراد وسقيتها ماءً بارداً ، فدلَّ علفت على سقيت .

(١) البيت في (الحيوان ٦ : ٤٠) ونسبه إلى خالد بن الطيفان ؛ والرواية فيه :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَأُذُنَيْهِ إِنْ مَوْلَاهُ ثَابَ لَهُ وَفْرٌ

(٢) الجسأ : اليبس ، والبدد: تباعد ما بين اليدين أو الفخذين .

(٣) البيت من شواهد النجاة في باب المفعول معه على أنه إذا لم يمكن عطف الاسم الواقع بعد الواو

على ما قبله تبين النصب على المعية ، أو على إضمار فعل يليق به . وهو في ابن عقيل ١ : ٥٢٤ ، غير منسوب .

وقال الآخر^(١):

يَا لَيْتَ بَعْلِكَ قَدْ غَدَا مُتَمَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا

أراد حاملًا رمحا .

ووجدت أبا بكر بن الأنباري يقول : إن الاستشهاد بهذه الأبيات لا يجوز على هذا الوجه ؛ لأن الأبيات اكتفى فيها بذكر فعل عن ذكر فعل غيره ، والآية اكتفى فيها باسم دون اسم

والأمر وإن كان على ما قاله في الاسم والفعل ؛ فإن موضع الاستشهاد صحيح ؛ لأن الاكتفاء في الأبيات بفعل عن فعل إنما حُسن من حيث دلّ الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه ، فحذف تعويلا على أن المراد مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه .

١٠ وهذا المعنى قائم في الآية ، وإن كان المحذوف اسما ؛ لأن اللبس قد زال ، والشبهة قد أمّنت في المراد بها ؛ فيحسّن الحذف ؛ لأن الفرقان إذا كان اسما للقرآن ؛ وكان من المعلوم أن القرآن إنما أنزل على نبينا صلى الله عليه وآله دون موسى عليه السلام استغنى عن أن يقال : وآتينا محمدا الفرقان ؛ كما استغنى الشاعر أن يقول : ويفقأ عينيه ، ترى لليدين جُسأةً وبددا ، وماش كل ذلك ، إلا أنه يمكن أن يقال فيما استشهد به في جميع الأبيات مما لا يمكن أن يقال مثله في الآية ؛ وهو أنه يقال : لا محذوف ، ولا تقدير لفعلٍ مضمر ؛ بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ؛ ومعطوف عليه ؛ لأنه لما قال :

* تراه كأن الله يجذع أنفه *

وكان معنى الجذع هو الإفساد للمضو والتشوية به عطف على المعنى ، فقال : « وعينه » فكأنه قال : كأن الله يجذع أنفه ، أى يفسدُه ويشوّهه ، ثم قال : « وعينه » . وكذلك لما كان السامع للفظ من الأحشاء عالما به عطف على المعنى فقال : « ولليدين جُسأةً وبددا » ؛ أى أنه يعلم هذا وذاك معاً ؛ وكذلك لما كان في قوله : « علفت » معنى غذيت عطف عليه الماء ؛ لأنه لما

(١) هو عبد الله بن الزبيرى ، كما في حواشى ابن الفوطية على الكامل ١٨٩ ليسك . وانظر حواشى شرح المرزوقى للحماسة ١١٤٧ .

يفتدى به ؛ وكذلك لما كان المتقدم للسيف حاملا له جاز أن يمطف عليه الرمح المحمول .
وهذا أولى في الطعن على الاستشهاد بهذه الأبيات مما ذكره ابن الأنباري .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال ، أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا
يحيى بن علي بن يحيى / المنجم قال أخبرنا أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي [٣٠٦]
قال : لما دخل خالد بن صفوان الأهمشي^(١) على هشام بن عبد الملك - وذلك بعد عزله خالد
ابن عبد الله القسري - قال : فألقيته جالساً على كرسي في بركة ماؤها إلى الكعبين ، فدعالي
بكرسي فجلست عليه ؛ فقال يا خالد ، رب خالدٍ جلس مجلسك كان الوطء بقلبي ، وأحب إلي منك !
قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حملك لا يضيق عنه ، فلو صفحت عن جرمه ! فقال : يا خالد ؛
إن خالداً أدل فأمل ، وأوجف فأعجب ؛ ولم يدع لراجع مرجعاً ، ولا لعودة موضعاً . ثم
قال : ألا أخبرك عنه يا بن صفوان ! قلت : نعم ، قال : إنه ما بدأني بسؤال حاجة مذ قدم
العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها ، قال خالد : فذاك أحرى أن ترجع إليه ، فقال
متمثلاً :

إِذَا انصَرَفْتُ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذَبْ إِلَيْهِ بَوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبِلُ^(٢)

ثم قال : حاجتك يا بن صفوان ، قلت : تزيدني في عطائي عشرة دنانير ، فأطرق ثم قال :
ولم ؟ وفيم ؟ العبادة أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ؟
أم لماذا يا بن صفوان ؟ إذا يكثر السؤال ، ولا يحتمل ذلك بيت المال . قال : قلت :
يا أمير المؤمنين ؛ وفقك الله وسددك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يُوجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ قَرَابَةُ قُرْبَى ، أَوْ صَدِيقٌ تَوَامِقُهُ^(٣)
مَنْعَتْ - وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ - وَلَمْ تَفْتَلِكِ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقَهُ

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الأهم » . (٢) البيت لمن بن أوس ، وهو في الحماسة ١١٣١ -
بشرح المرزوقي (٢) البيتان لكثير ؛ وما في ديوانه ٨٣ : ٢ ، والأغانى ١١ : ١٩٢ (طبعة الدار) وأمالى القالى
: ٨٨ ، وتوامقه ، توده ؛ مفاعلة من الموامة ؛ وتفتلك ، أى يخرج من يدك وقبضتك .

فلما قدم خالد البصرة ، قيل له : ما الذي سَمَّكَ على تَزْيِين الإِمْسَاكِ له ؟ قال : أُحِبُّتُ
أن يَمْنَعَ غيري كما مَنَعَنِي ، فَيَكْتَبُرَ مَنْ يُلُومُهُ .

قال سيدنا أدام اللهُ علوه : وكان خالد مشهوراً بالبلاغة وحسن العبارة .

وبالإسناد المتقدم عن المدائني قال : قال حفص بن معاوية بن عمرو الغلابي ، قلت
لخالد : يا أبا صفوان ، إني لأكره أن تموتَ وأنت من أيسرِ أهل البصرة فلا يبكيك إلا
الإماء ، قال : فابغني امرأة ، قلت : صفها لي أطلبها لك ، قال : أريد بكراً كَثِيباً ، أو ثِيْباً
[٣٠٦] كَبِكرُ ، / لا ضرعاً صغيرة ، ولا مُسِنَّةً كبيرة ؛ لم تقرأ فتجبن^(١) ، ولم تفت^(٢) فتمجن ؛
قد نشأت في نعمة ، وأدركتها خصاصة ، فأدبها الغنى ، وأذلها الفقر ، حسبي من جاهلما
أن تكون فخرمةً من بعيد ، مليحة من قريب ؛ وحسبي من حُسْنِها أن تكون واسطة
١٠ قومها ، ترضى مني بالسنة ؛ إن عشت أكرمتها ، وإن مت ورثتها ، لا ترفع رأسها إلى السماء
نظراً ، ولا تضعه إلى الأرض سقوطاً . فقلت : يا أبا صفوان ؛ إنَّ الناس في طلب هذه
مذ زمان طويل فما يقدرُون عليها .

وكان يقول : إن المرأة لو خفتَ محلها ، وقلَّتْ مؤنثها مترك اللثام فيها للكرام بيته ليلة ؛
ولكن نُقِلَ محلها ، وعظمت مؤنثها فاجتباها الكرام ، وحاد عنها اللثام .

١٥ وكان خالد من أشح الناس وأبخلهم ؛ كان إذا أخذ جائزةً أو غيرها قال للدرهم :
أما والله لطالما أغرت في البلاد وأنجحت ؛ والله لأطيلن ضجعتك ، ولأديمن صرعتك .

وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقاً ، فقال : يا سبحان الله ! أتعطى مثلي دانقاً ! فقال
له : لو أعطاك كلُّ رجلٍ من بني تميم مثل ما أعطيتك لَرُحْتَ ذامالٍ عظيم .

وسأله رجل ، فأعطاه درهماً فاستقله ، فقال : يا أحق ، أما علمت أن الدرهم عشرُ العشرة ،

٢٠ والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف عشر دية مسلم ! وكان يقول : والله
ما تطيب نفسي بإنفاق درهم إلا درهماً قرعتُ به باب الجنة ، أو درهماً اشتريت به موزاً .

(١) من نسخة بحاشية : « فتجنن » ، وانظر عيون الأخبار ؛ ٥ : (٢) حاشية الأصل : « لم تفت من الفتوة » .

وقال : لأن يكون لي ابنٌ يحبُّ الخمرَ أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ابنٌ يحبُّ اللحمَ ؛
لأنه متى طلب اللحمَ وجدته ، والخمرَ يفقده أحيانا .

وكان يقول : مَنْ كان ماله ككفافا فليس بغنيٍّ ولا فقيرٍ ؛ لأن النائية إذا نزلتْ به
أجحفت بكفافه ؛ ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقيرٌ ، ومن كان ماله فوق الكفاف
فهو غنيٌّ .

وكان يقول : لأن يكون لأحدكم جارٌ يخاف أن ينقُبَ عليه بيته خَيْرٌ من أن يكون له
جارٌ من التجار ؛ لا يشاء أن يعطيه مالا ويكتب به عليه صكًّا إلا فعل .



مَجْلِسُ ٧٧ تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ، [٣٠٧] وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ / بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ؛ [الأنعام : ٣٣] .

وقال : كيف يخبر عنهم بأنهم لا يكذبون نبيه عليه السلام ، ومعلوم منهم إظهار التكذيب ، والعدول عن الاستجابة والتصديق ، وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول : إنهم بآيات الله يجحدون ؟ وهل الجحد بآيات الله إلا تكذيب نبيه عليه السلام !
الجواب ، قلنا : قد ذكر في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون إنما نفي تكذيبهم بقاوبهم تديناً واعتقاداً ، وإن كانوا يُظهرون بأفواههم التكذيب ؛ لأننا نعلم أنه قد كان في المخالفين له عليه السلام مَنْ يعلم صدقه ، ولا ينكر بقلبه حتمه ؛ وهو مع ذلك معاند ؛ فيُظهر خلاف ما يبطن ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٤٦] .

ومما يشهد لهذه الوجه من طريق الرواية مارواه سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل ، فقيل له : يا أبا الحكم ، أنصافح هذا الصببي ؟ فقال : والله إني لأعلم أنه نبي ؛ ولكن متى كنا تبعاً لبني عبد مناف ! فأنزل الله تعالى الآية .

١٥ وفي خبر آخر أن الأحنس بن شريق خلا بأبا جهل ، فقال له : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد صلى الله عليه وآله ، أصادق هو أم كاذب ! فإنه ليس هاهنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا ، فقال له أبو جهل : وَيْحَكَ ! والله إن محمداً لصادق ، وما كذب

محمد قط ؛ ولكن إذا ذهب بنو قُصَيِّ بالهواء والحجابه والسقاية والندوة والنبوة ، ماذا يكون لسائر قريش !

والوجه الثاني أن يكون معنى: ﴿ فَأَيُّهُمْ لَيَكْذِبُونَكَ ﴾ أى لا يفعلون ذلك بحجة ، ولا يتمكن من إبطال ما جئت به ببرهان ؛ وإنما يقتصرون على الدعوى الباطلة ؛ وهذا فى الاستعمال معروف ؛ لأنّ القائل يقول : فلان لا يستطيع أن يكذبنى ولا يدفع قولى ؛ وإنما يريد أنه لا يتمكن من إقامة دليل على كذبه ، و حجة فى دَفْعِ قوله ؛ وإن كان يتمكن من التكذيب بلسانه وقابه ، فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة ولا برهان غير معتد به .

وروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام أنه قرأ هذه الآية بالتخفيف: ﴿ فَأَيُّهُمْ لَيَكْذِبُونَكَ ﴾ ، ويقول: أن المراد بها أنهم / لا يأتون بحق هو أحق من حَقِّكَ . [٣٠٧] ط

وقال محمد بن كعب القرظي : معناها لا يبطلون ما فى يديك ؛ وكل ذلك يقوى هذا الوجه ؛ وسنبين أن معنى هذه اللفظة مشددة يرجع إلى معناها مخففة .

والوجه الثالث أن يكون معنى الآية أنهم لا يصادفونك ولا يلفونك متقولا ؛ كما يقولون : قائلته فما أجبته ، أى ما وجدته جباناً ، وحادثته فما كذبتة ؛ أى لم ألقه كاذباً ؛ وقال الأعشى :

أُتْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيَزُودَا فُضِي وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا^(١) ١٥

أراد أنه صادف منها خلفاً المواعيد ، ومثله قولهم : أصممت القوم ؛ إذا صادفهم صمّاً ، وأخليت الموضوع ، إذا صادفته خالياً ؛ قال الشاعر :

أَبَيْتُ مَعَ الْحُدَاثِ لَيْلَى فَلَمْ أَبْنُ
أى أصبت مكاناً خالياً .

ومثله لهيمان بن أبي قحافة :

يَسْنُ أَنْيَابًا لَهُ لَوَائِحًا (١) أَوْسَعْنَ مِنْ أَسْدَاقِهِ الْمَضَارِجَا (٢)

يعنى بـ « أوسعن » أصبن منابت واسعة فنبتن فيها .

وقال عمرو بن براق :

٥ تَحَالَفَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ لِيُسْمِنُوا وَجَرُّوا عَلَيَّ الْحَرْبَ إِذْ أَنَا سَائِمٌ (٣)

يقال : أسمن بنو فلان، إذا رعت إبلهم فصادفوا فيها سمنًا .

وقال أبو النجم :

مَسْتَأْسِدًا ذِبَابُهُ فِي غَيْظَلٍ يَقْلَنُ لِلرَّائِدِ أَعْشَبَتْ أَنْزَلَ (٤)

أى أصبت مكانا معشبا .

١٠ وقال ذو الرمة :

تُرَيْكَ بِيَاضَ لَبْتِهَا وَوَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا (٥)

أى وجدفتما من السحاب .

وليس لأحد أن يجعل هذا الوجه مختصاً بالقراءة بالتخفيف دون التشديد ؛ لأن في الوجهين معاً يمكن هذا الجواب ، لأن « أفعلت » و « فعلت » يجوزان في هذا الموضع ،

١٥ و « أفعلت » بالتخفيف هو الأصل ثم شددت كيداً وإفاداً لمعنى التكرار؛ وهذا مثل أكرمت

[٣٠٨] وكرمت، وأعظمت وعظمت، وأوصيت ووصيت، وأبلغت وبلغت؛ وهو كثير / قال الله تعالى:

﴿ فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَّهُلُهُمْ رُؤُودًا ﴾ [الطارق: ١٧] ؛ إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه؛

لأن استعمال هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر .

والوجه الرابع ماحكى الكسائى من قوله: إن المراد أنهم لا ينسبونك إلى الكذب فيما

٣. أثبت به ؛ لأنه كان أميناً صادقاً لم يجربوا عليه كذبا؛ وإنما كانوا يدفعون ما أتى به، ويدعون

أنه في نفسه كذب؛ وفي الناس من يقوى هذا الوجه، وأن القوم كانوا يكذبون ما أتى به، وإن

(١) الممج : الأكل (٢) المضارج : الثياب المشوقة ؛ والبيت في اللسان (ضرج) .

(٣) البيت في الأغاني ٢١ : ١١٤ . (٤) الطرائف الأدبية ٥٩ . (٥) ديوانه ٤٣٤ .

كانوا يصدقونه في نفسه بقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ ؛
 وبقوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ ؛ [الأنعام : ٦٦] ؛ ولم يقل : وكذبك
 قومك . وكان الكسائي يقرأ : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾ بالتخفيف ونافع من بين سائر
 السبعة ، والباقون على التشديد ؛ ويزعم أن بين أ كذبه وكذبه فرقا ، وأن معنى أ كذب الرجل ،
 أنه جاء بكذب ، ومعنى كذَّبه أنه كذاب في كل حديثه . وهذا غلط وليس بين « فعلت » و « أفعلت »
 في هذه الكلمة فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضى التكرار والتأكيد ،
 ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ، ويكذبوا بما أتى به ؛ لأن من المعلوم أنه عليه السلام
 كان يشهد بصحة ما أتى به وصدقه ، وأنه الدين القيم ، والحق الذي لا يجوز المدول عنه ؛ فكيف
 يجوز أن يكون صادقا في خبره وكان الذي أتى به فاسداً ! بل إن كان صادقا فالذي أتى به
 حقٌ صحيح ، وإن كان الذي أتى به فاسداً ؛ فلا بد من أن يكون في شيء من ذلك كاذبا ؛ وهو تأويل
 من لا يتحقق المعاني .

والوجه الخامس أن يكون المعنى في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾ أن تكذيبك
 راجع إلى ، وعائد على ؛ ولست المحتص به ؛ لأنه رسول فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله
 تعالى وراذ عليه . وهذا كما يقول أحدنا لرسوله : امض في كذا فن كذَّبك فقد كذبتى ، ومن
 دفعك فقد فَعَنى ؛ وذلك من الله على سبيل التسلية لنبيه عليه السلام ؛ والتعظيم والتغليظ لتكذيبه .

والوجه السادس أن يريد : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ ﴾ في الأمر الذي يوافق فيه تكذيبهم ،
 وإن كذبوك في غيره .

ويمكن في الآية وجهٌ سابع ، وهو أن يريد تعالى أن جميعهم لا يكذبونك وإن كذَّبك [٣٠٨]
 بعضهم ؛ فهم الظالمون الذين ذكروا في آخر الآية بأنهم يجحدون آيات الله ؛ وإنما سألني نبيه
 عليه السلام بهذا القول وعزاه ؛ فلا ينكر أن يكون موسى عليه السلام لما استوحش من
 تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد ؛ وظن أنه لا متبوع له منهم ، ولا ناصر لدينه فيهم أخبره

الله تعالى بأنّ البمض وإن كذبتك فإن فيهم من بصدقك ويتبعك ويتنفع بإرشادك وهدايتك؛ وكل هذا واضح والمنة لله .

قال سيدنا أدام الله علوه : ومن جيد الشعر قول مطرود بن كعب الخزاعي :

يأيها الرّجلُ المحوّلُ رحلتهُ
هَيْبَتِكَ أُمِّكَ لو نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ
أَلَا نَزَلَتْ بِأَلِ عَبْدِ مَنْأَفِ! (١)
هَيْبَتِكَ أُمِّكَ لو نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ
الْأَخِذُونَ الْعَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا
ضَمْنُوكَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ إِقْرَافِ (٢)
وَالرَّاحِلُونَ لِرَحَلَةِ الْإِيْلَافِ
وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا الرِّيَّاحُ تَمَافَحَتْ
وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافُ
وَالْمُفْضِلُونَ إِذَا الْحَوْلُ تَرَادَفَتْ
وَالْحَالِطُونَ غَنِيهِمْ بِفَقِيرِهِمْ
وَالْقَائِلُونَ هَلُمَّ لِلْأَضْيَافِ
حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَالسَّكَافِ (٣)
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّتْ
فَالْمُحُّ خَالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنْأَفِ (٤)

١٩٥٠/١٩٥٠

٥٨٤

(١) معجم الشعراء ٣٧٥ ، وسيرة ابن هشام ١ : ١١٧ (على حاشية روض الأنف) ؛ وذكر أنه رثى بها عبد المطالب بن عبد مناف ؛ . وفي معجم الشعراء : « هلا حلت » ، وفي ابن هشام : « هلا سألت عن آل عبد مناف » .

(٢) قال المصهليّ في شرح هذا البيت : « أي منعوك من أن تنسكح بانك أو أخوانك من لثيم ؛ فيكون الابن مقرفا لاؤم أبيه وكرم أمه ؛ فيلحقك وصم من ذلك ؛ ونحو منه قول مهلهل :

أُنسكحها فقدّها الأراقم في جنبٍ ، وكان الحباء من أدمٍ .

أي أنسكحت لغربتها من غير كفة . » (٣) السكافي : الغنى الذي يكنى غيره .

(٤) البيت في اللسان (مح) ، والسيرة ١ : ٩٤ وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والمعنى ٤ : ١٤٠ منسوب إلى ابن الزبيرى . والملح : صفرة البيض ؛ كاللحة . وخالصة : مصدر ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « خالصها » ؛ وهى رواية اللسان . وزاد في رواية ابن هشام :

إمّا هلكت - أبا الفمال - فما جرى من فوقٍ مثلكِ عقد ذاتِ نطافِ

إلا أبيك أخى المكارم وحدهُ والفيضِ مطلبِ أبى الأضيافِ

أما قوله :

* والراحلون لرحلة الإيلاف *

فكان هاشم صاحب إيلاف قريش للرحلتين وأول من سنهما ، فألفوا الرحلتين : في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف إلى الشام . وفي ذلك يقول ابن الزُّبَيْرِ :

عَمَرُوا الْعُلَاهِشَمَ الرَّيْدَ لِقَوْمِهِ وَرَجَالَ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافٌ^(١)
وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رَحَلَ الشِّتَاءَ وَرِحْلَةَ^(٢) الْأَضْيَافِ

فأما « المسنتون » فهم الذين أصابتهم السنة المجذبة الشديدة .

وقوله :

* والخالطون غنيهم بفقيرهم *

من أحسن الكلام وأخصره ؛ وإنما أراد أنهم يُفضلون على الفقير حتى يعود غنياً / [٣٠٩]

ذاترة .

ولأحمد بن يوسف أبيات على هذا الوزن يمزح بها مع ولد سعيد بن سلم الباهلي ، وكان

لهم صديقاً :

أَبْنِي سَعِيدَ إِنَّكُمْ مِنْ مَعَشِيرِ لَا يَعْرِفُونَ كَرَامَةَ الْأَضْيَافِ^(٣)
قَوْمٌ لِبَاهِلَةَ بْنِ يَعْضَرَ إِنْ هُمْ نُسِبُوا حَسَبَهُمْ لِعَبْدٍ مَنَافٍ
قَرَنُوا الْغَدَاءَ إِلَى الْعِشَاءِ وَقَرَّبُوا زَادًا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِكَافٍ
وَكَأَنَّي لَمَّا حَطَطْتُ إِلَيْهِمْ رَحَلِي نَزَلْتُ بِأَبْرِقِ الْعَرَافِ^(٤)
بَيْنَا كَذَلِكَ إِذْ آتَى كُبْرَاؤُهُمْ يَدْحُونَ فِي التَّبْدِيرِ وَالْإِسْرَافِ

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٩٤ ، والعيبي ١ : ١٤٠ ، وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ .

(٢) حاشية الأسفل (من نسخة) : « رحلة » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان ١ : ٧٨ ، روى عن المبرد أنه عزاها لرجل يهجو بني سعد بن قنينة

الباهلي .

(٤) أبرق العراف : ماء لبني أسد . بن خزيمه بن مدركة . وفي حاشية الأمل : « مغارة بعينها » .

أراد بقوله : « قرنوا الغداء إلى العشاء » من بخلهم واختصارهم في الطعام ؛ ويقال : إن هذا الشعر حُفِظ وصار من أكثر ما يُسَبَّون به ويسبُّ قومهم ؛ ولرب مزح جرَّ جداً ، وعثرة الشعر لاتستقال ؛ والشعر يسير بحسب جودته .

ولقد أحسن دِعْبِل بن علي في قوله :

نَعَوْنِي وَلَمَّا يَنْعَمْنِي غَيْرُ شَامِتٍ ٥
يَقُولُونَ إِنَّ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ
وَعَيْرُ عَدْوٍ قَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ (١)
وَهَيْهَاتُ عَمْرُ الشَّعْرِ طَالَتْ طَوَائِلُهُ !
سَأَقْضِي بَبَيْتٍ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ
وَيَكْتُرُ مِنْ أَهْلِ الرَّوَايَةِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ رَبِّهِ
وَجَيِّدُهُ يَبْقَى ؛ وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ (٢)

ولآخر في هذا المعنى (٣) :

لَا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ لِأَمْرِي فِطْنٍ ١٠
فَرُبَّ قَافِيَةٍ بِالْمَزْحِ جَارِيَةٍ
مَا رَاضَهُ قَلْبُهُ أَجْرَاهُ فِي الثَّبَتِ (٤)
مَشْمُومَةٍ لَمْ بُرِّدْ إِعْمَاؤُهَا نَمَتْ
إِنِ إِذَا قُلْتُ بَيْتًا مَاتَ قَائِلُهُ
وَمَنْ يَقُلْ لَهُ وَالْبَيْتُ لَمْ يَمُتْ

(١) الأبيات في الكامل ٤ : ١١١ - بشرح المرصفي ، والموشح : ٣٨١ .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إذا مات » .

(٣) من أبيات في (الكامل ٤ : ١١٠-١١١ بشرح المرصفي) ؛ ونسبها أيضا لدعبل ؛ وأولها :

أحببت قومي ولم أعدل لخبثهم قالوا : تعصبت جهلا ، قول ذي بهت

(٤) الثبت : الدرج ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « الشفة » ؛ وهي رواية الكامل .

مجلس ٧٨ آخر

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لِمَ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنْفُسِهِمْ / وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾؛ [٣٠٩] [الأنعام: ٢٣، ٢٤] وعن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَقُوا عَلَى النَّارِ قَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾؛ [الأنعام: ٢٧، ٢٨] .

فقال: كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم ، والقسم بالله تعالى عليه وهم كاذبون في ذلك؛ مع أنهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من التبيح لمعرفتهم بالله تعالى ضرورة؛ ولأنهم ملجئون هناك إلى ترك جميع القبائح ، وكيف قال من بعد : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فشهد عليهم بالكذب ، ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني ؛ لأنهم تمنوا ولم يخبروا!

الجواب، قلنا : أول ما نقوله: إنه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أن قولهم : ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ إنما وقع في الآخرة دون الدنيا؛ وإذا لم يكن ذلك في الظاهر جاز أن يكون الإخبار يتناول حال الدنيا ، وسقطت المسألة ؛ وليس لأحد أن يتعلّق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢] ؛ وأنه عقب ذلك بقوله تعالى : ﴿لِمَ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾؛ فيجب أن يكون الجميع مختصاً بحال الآخرة ؛ لأنه لا يمنع أن تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ، ثم تتلوها آية تتناول ما يجري في الدنيا ؛ لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا

غير واجبة، وقوله تعالى: ﴿مُتَمِّمٌ لِّمَ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ﴾ لا تدلّ أيضاً على أن ذلك يكون واقعاً بعد ما خبر تعالى عنه في الآية الأولى؛ فكأنه تعالى قال على هذا الوجه: إنا نحشرهم في الآخرة ونقول: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ وما كان فتنهم وسبب ضلالهم في الدنيا إلا قولهم: ﴿وَاللّٰهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ .

وقد قيل في الآية - على تسليم أن هذا القول يقع منهم في الآخرة: إن المراد به أنا ما كنا عند نفوسنا وفي اعتقادنا مشركين؛ بل كنا نعتقد أنا على الحق والهدى، وقوله تعالى من بعد: ﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَيَّ أَنفُسِهِمْ﴾ لم يرد هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة؛ بل [٣١٠] إنهم كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا بإخبارهم / أنهم مصيبون محقون غير مشركين؛ وليس في الظاهر إلا أنهم كذبوا على أنفسهم من غير تخصيص بوقت؛ فلم يحمل على آخرة ١٠ دون دنيا .

ولو كان للآية ظاهر يقتضى وقوع ذلك في الآخرة لملأناه على الدنيا؛ بدلالة أن أهل الآخرة لا يجوز أن يكذبوا لأنهم ملجئون إلى ترك القبيح .

فأما قوله تعالى حاكياً عنهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني؛ فصرف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ إلى غير الأمر الذي تمنوه؛ (١) لأن التمني لا يصح معه الصدق والكذب (٢)؛ لأنهما إنما يدخلان في الأخبار المحضة؛ لأن قول القائل: ليت الله رزقي ولداً؛ وليت فلانا أعطاني مالا أفعل به كذا وكذا لا يكون كذباً ولا صدقاً؛ وقع ما تمناه أو لم يقع؛ فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ مصروفاً إلى حال الدنيا، كأنه تعالى قال: وهم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الإضافة واعتقاد الحق؛ أو يريد أنهم كاذبون أن خبروا (٣) عن أنفسهم أنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا؛ وإن كان ما كان مما حكي عنهم من التمني ليس بخبر .

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة)؛ «لأن التمني لا يصح فيه معنى الصدق والكذب» .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة)؛ «أن يخبروا» .

وقد يجوز أيضاً أن يحمل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ على غير الكذب الحقيقي ؛ بل يكون المراد والمعنى أنهم تمنوا ما لا سبيل إليه فكذب (١) أملهم وتمنيهم ؛ وهذا مشهور في الكلام ؛ لأنهم يقولون لمن تمنى ما لا يدرك : كذب أملك ، وأكدي رجاؤك ؛ وما جرى مجرى ذلك ؛ قال الشاعر :

كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها
مراغمة ما دام للسيف قائم
وقال آخر :

كذبتهم وبيت الله لا تنكحونها
بني شاب قرناها تصر وتغلب (٢)

ولم يرد الكذب في الأقوال ؛ بل في التمني والأمل .

وايس لأحد أن يقول : كيف يجوز من أهل الآخرة مع معارفهم الضرورية ، وأنهم عالمون بأن الرجوع إلى الدنيا لا سبيل إليه أن يتمنوه ؛ وذلك أنه غير ممتنع أن يتمنى التمني ما يعلم أنه لا يحصل ولا يقع ؛ ولهذا يتعلق التمني للشيء / بالألا يكون ما قد كان . ولقوة اختصاص التمني [٣١٠] بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم فجعلوا إرادة ما علم المرید أنه لا يكون تمنياً ؛ فهذا الذي ذكرناه وجه في تأويل الآية .

وفي الناس من يحمل بمض الكلام تمنياً وبمضه إخباراً ، وعلق تكذيبهم بالخبر دون ﴿ لَيْتَنَّا ﴾ ؛ فكان تقدير الآية : يا ليتنا نرد - وهذا هو التمني - ثم قال من بعد : فإننا ﴿ لَا نَكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْوَالِدِينَ ﴾ ، فأخبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون ؛ وإن لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك ؛ فهذا كذبهم الله تعالى . وكل هذا واضح .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن عبد الله ، وعبد الله بن يحيى العسكريان (٣) قالوا : حدثنا الحسن بن عكّيل العنزي قال حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدي قال حدثنا

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكذب أملهم » بالتشديد .

(١) البيت في اللسان (قرن) ، وصيبويه ١ : ٢٥٩ ، ٢ : ٦٥ ؛ وشاب قرناها : لقب لامرأة .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « العسكري » .

أبو مسعر^(١) - رجل منا من بنى غنم بن عبد القيس - قال : ورد^(٢) منصور بن سامة النمرى على البرامكة، وهو شيخ كبير - وكان مروان بن أبي حفصة صديقاً لي ؛ على أنى كنت أبنضه وأمقته في الله - فشكا إليّ وقال : دخل علينا اليوم رجلٌ أظنه شامياً - وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند الرشيد - فأذن له ، فدخل فسلم وأجاد ، فأذن له الرشيد ، فجلس . قال : فأوجست منه خوفاً فقلت : يا نفس ، أنا حجازي نجدى شافهتُ العرب وشافهتني ، وهذا شامي ؛ أفتراه أشمرٌ مني ! قال : فجملت أرفو^(٣) نفسي إلى أن استنشده هارون ؛ فإذا هو والله من أفصح الناس ، فدخاني له حسد ؛ قال : فأنشده قصيدةً تمنيت أنها لي ؛ وأنّ عليّ غرماً ، فقلت له : ما هي ؟ قال : أحفظ منها أبياتاً ، وهي :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ خُضْنَا غَمَارَ الْمَوْتِ مِنْ بَلَدِ شَطِيرِ
بِخُوصِ كَالْأَهْلَةِ جَانِفَاتِ تَمِيلُ عَلَى الشَّرَى وَعَلَى الْهَجِيرِ
حَمَلَنَ إِلَيْكَ آمَالًا عِظَامًا وَمِثْلَ الصَّخْرِ وَالذَّرِّ النَّثِيرِ
فَقَدْ وَقَفَ الْمَدِيحُ بِمَنْهَاهُ وَغَابَتِهِ وَصَارَ إِلَى الْمَصِيرِ
إِلَى مَنْ لَانْشِيرُ إِلَى سِوَاهُ - إِذَا ذَكَرَ النَّدَى - كَفُّ الشَّيْرِ

[٣١١] / قال مروان : فوددت أنه قد أخذ جائزتي وسكت . وعجبتُ من تخلصه إلى تلك القوافي .

١٥ ثم ذكر ولد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، فأحسن التخلص ، ورأيت هارون يعجب بذلك ؛ فقال :

يَدُّ لَكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنَّانِ الْيَسِيرِ
فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالندامةُ لِلْكَفُورِ
مَنْنْتَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْخُتُوفِ عَلَى شَفِيرِ
وَقَدْ سَخِطَتْ لِسَخِطَتِكَ الْمَنَابِي عَلَيْهِ ؛ فَهِيَ حَامَةٌ النَّسُورِ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أبو مسعود » .

(٢) الخبر في الأغاني ١٢ : ١٦ - ١٧ . (٣) أرفو نفسي : أسكنها من الرعب .

وَلَوْ كَافَتْ مَا جَتَّرَ حَتَّ يَدَاهُ دَلَفَتْ لَهُ بِقَاصِمَةِ الظُّهُورِ
وَلَكِنْ جَلَّ حِلْمُكَ وَاجْتِبَاءُ عَلَى الْمَفَوَاتِ عَفْوٌ مِنْ قَدِيرِ
فَمَادَ كَأَنَّهُ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا وَقَدْ كَانَ اجْتَنَى حَسَكَ الصَّدُورِ
وَإِنَّكَ حِينَ تَبْلَاهُهُمْ أَذَاةً - وَإِنْ ظَلَمُوا - لَمْ يُحْتَرِقِ الضَّمِيرِ

وإن الرشيد قال لما سمع هذا البيت : هذا والله ممسئى كان في نفسى ؛ وأدخله بيت المال
فحكّمه فيه .

عدنا إلى الخبر، قال مروان : وكان هارون يبسم ويكاد يضحك للطف ماسم ؛ ثم أوما إلى
أن أشده، فأنشده قصيدته التى أقول فيها :

خَلُّوا الطَّرِيقَ لِمَعَشَرٍ عَادَاتُهُمْ حَطَمُ الْمُنَاكِبِ كُلِّ يَوْمِ زِحَامٍ^(١)

حتى أتيت على آخرها ؛ فوالله ما عاج ذلك الرجل / - يعنى النمرى - بشعرى ، ولا حقل به . ١٠

قال : وأنشده منصور يومئذ :

إِنَّ لِهَارُونَ إِمَامَ الْهُدَى كَنْزِينَ مِنْ أَجْرٍ وَمِنْ بَرٍّ
بِرَيْشٍ مَا تَبْرَى اللَّيَالَى وَلَا تَرِيشُ أَبْدِيَهِنَّ مَا بَرَى
كَأَنَّمَا الْبَدْرُ عَلَى رَحْلِهِ تَرْمِيكَ مِنْهُ مُقْلَتَا صَفْرِ

١٥

قال وأنشده أيضاً :

وَلِمَنْ أَضَاعَ لَقَدْ عَهْدُكَ حَافِظًا لَوْصِيَّةِ الْعَبَّاسِ بِالْأُخْوَالِ

/ قال مروان : وأخلق به أن يغلبنى وأن يعلو على عنده ؛ فإني ما رأيت أحسن من [٣١١]
تخلصه إذا ذكر الطالبين^(٢) .

(١) بعده فى رواية الأغانى :

ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثه كل أصيد حام
أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات وراثه الأعمام!

(٢) د ، ومن نسخة بمحاشيتى الأصل ، ف : « إلى ذكر الطالبين » .

أخبرنا المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال
حدثني أبو عثمان الجاحظ قال : كان منصور النمرى ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره ؛
وُيريه أنه من وجوه شيعته ، وباطنه ومراده بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ، لقول النبي صلى
الله عليه وآله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ؛ إلى أن وُشِيَ عنده بعض أعدائه - وهو
العتابي - فقال : يا أمير المؤمنين ، هو والله الذي يقول :

مَتَى (١) يَشْفِيكَ دَمْعُكَ مِنْ هُمُولٍ وَيَبْرُدُ مَا بِقَلْبِكَ مِنْ غَلِيلٍ !
وَأُنشده أيضاً :

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعَ هَامِلٍ يُعَلِّلُونَ النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ (٢)

ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالمعائب ؛ فوجه الرشيد برجل من فزارة ، وأمره
١٠ أن يضرب عُتْقَ منصور حيث تقع عينه عليه ؛ فقدم الرجل رأس عين (٣) بعد موت منصور
بأيام قلائل .

قال المرزباني : ويصدق قول الجاحظ أن النمرى كان يذكر هارون في شعره ؛ وهو
يعنى به أمير المؤمنين علياً عليه السلام ما أنشدناه (٤) محمد بن الحسن بن دريد للنمرى :

آلُ الرَّسُولِ خِيَارُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَخَيْرُ آلِ رَسُولِ اللَّهِ هَارُونُ
رَضِيَتْ حُكْمُكَ لَا أَبْنِي بِهِ بَدَلًا لِأَنَّ حُكْمَكَ بِالتَّوْفِيقِ مَقْرُونُ ١٥

وروى أن أبا عصمة الشيمي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت ربيعة وفدًا إلى الرشيد ،
فيهم منصور النمرى ؛ فلما صاروا بباب الرشيد أمرهم باختيار مَنْ يدخل عليه ، فاختاروا
عددًا بعد عدد ، إلى أن اختاروا رجلين ؛ النمرى أحدهما ؛ ليدخلا ويسألا حوائجهما - وكان

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متى ينفك » .

(٢) الأغاني ١٢ : ١٩ . (٣) رأس عين : من مدن الجزيرة ، بين حران ونصيبين .

(٤) حاشية الأصل : « نسخة س : ما أنشده » .

النَّمْرِيُّ مُؤَدِّبًا ، لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ، ولا عُرف به - فلما مَثَل هو وصاحبه بين
يدي الرشيد قال لهما : قولاً ما تريدان ، فاندفع النَّمْرِيُّ فأنشد :

* مَا تَمَقَّضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ *

فقال له الرشيد : قل حاجتك وعدّ عن هذا ، فقال :

* إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ *

٥

[٣١٢]

/ وأنشده القصيدة حتى أتى إلى قوله :

رَكِبُ مِنَ النَّمْرِ عَادُوا بِابْنِ عَمِّهِمْ مِنْ هاشِمٍ إِذْ أَلَحَّ الْأَزْلَمُ الْجَدْعُ^(١)

مَتَّوْا إِلَيْكَ بِقُرْبَى مِنْكَ تَعْرِفُهَا لَهُمْ بِهَا فِي سَنَامِ الْجَدِّ مُطَّلَعُ

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ^(٢)

١٠ إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضِّعُ

نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلِّمَةٌ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَايَا بَيْنَهُمْ قُرْعُ

حتى أتى إلى آخرها ؛ فقال : ويحك ! قل حاجتك فقال : يا أمير المؤمنين ، أُخْرِبَتِ الدِّيَارُ ،

وَأَخَذَتِ الْأَمْوَالَ ، وَهَتِكَ الْحُرْمَ ؛ فقال : اكتبوا له بكل ما يريد ؛ وأمر له بثلاثين ألف

درهم ، واحتبسه عنده ، وشخص أصحابه بالكتب ، ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى

١٥

استأذنه في الانصراف فأذن له ؛ ثم اتصل بالرشيد قوله :

شَاءَ مِنَ النَّاسِ رَاتِعُ هَامِلُ يُعَلِّلُونَ، النَّفُوسَ بِالْبَاطِلِ

تُقْتَلُ ذُرِّيَّةُ النَّبِيِّ وَيَرْجُو نَ خُلُودَ الْجِنَانِ لِلْقَاتِلِ

مَا الشُّكُّ عِنْدِي فِي كُفْرِ قَاتِلِهِ لَكِنِّي قَدْ أَشُكُّ فِي الْخَازِلِ

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله ؛ فوجده في بعض الروايات ميتاً ، وفي أخرى عليلاً

لما به ، فسئل الرسول ألا يأثم به ؛ وأن ينتظر موته ، ففعل ولم يبرح حتى توفى ، فماد بنجر

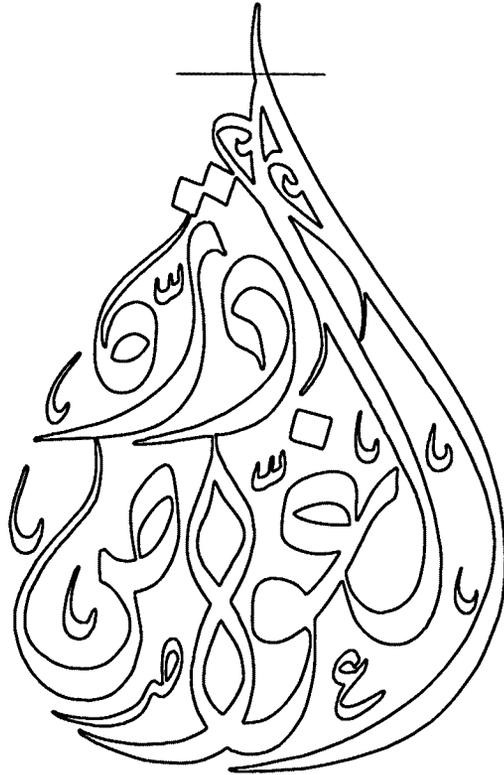
موته إلى هارون.

(١) الأغاني ١٢ : ١٩ . الأزلم الجدع : اسم للدهر .

(٢) د ، ومن نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « تنج » .

وَاللَّئِمِّيَّ :

لَوْ كُنْتُ أَخْشَى مَعَادِي حَقَّ خَشْيَتِهِ لَمْ تَسْمُ عَيْنِي إِلَى الدُّنْيَا وَلَمْ تَنَمِ-
لَكِنِّي عَنْ طَلَابِ الدِّينِ مُحْتَبِلٌ وَالْعِلْمُ مِثْلُ الْغَنِيِّ وَالْجَهْلُ كَالْعَدَمِ-
يُحَاوِلُونَ دُخُولِي فِي سَوَادِهِمْ لَقَدْ^(١) أَطَافُوا بِصَدْعِ غَيْرِ مُلْتَمِمِ-
مَا يَغْلِبُونَ^(٢) النَّصَارَى وَالْيَهُودَ عَلَى حُبِّ^(٣) الْقُلُوبِ وَلَا الْعُبَادَ لِلصَّنَمِ-



-
- (١) من نسخة مجاشبي الأصل ، ف : « فقد » .
(٢) حاشية الأصل : « نسخة ش : ما تغلبون » .
(٣) حاشية الأصل : « نسخة ش : حب » ، بفتح الحاء .

مكتبة التنوير والارشاد

عجائب آضر^{٧٩} تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ؛
[التكوير : ٨ ، ٩]

فقال : كيف يصحّ أن يُسأل مَنْ لا ذنب له ولا عقل ؟ وأيّ فائدة في سؤالها عن ذلك ؟
وما وجه الحكمة فيه ؟ وما الموءودة ؟ ومن أيّ شيء اشتقاق هذه اللفظة ؟

٥ الجواب ، قلنا : أما معنى ﴿ سُئِلَتْ ﴾ ففيه وجهان :

أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها طوب بالحجة في قتلها ، وسئل عن قتله لها ، وبأيّ
ذنب كان ؛ على سبيل التوبيخ والتمنيف وإقامة الحجة . فالقتلة هاهنا هم المسؤولون على
الحقيقة لا المقتولة ؛ وإنما المقتولة مسئول عنها . ويجرى هذا مجرى قولهم : سألتُ حقي ،
أي طالبتُ به ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ؛
[الإسراء : ٣٤] ؛ أي مطالباً به مسئولاً عنه .

١٠ والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقائلها ، والتفريع له ،
والتنبيه له على أنه لا حجة له في قتلها ؛ ويجرى هذا مجرى قوله تعالى لميسى عليه السلام :
﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ [المائدة : ١١٦] ، على طريق
التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم .

١٥ فإن قيل على هذا الوجه : كيف يخاطب ويُسأل مَنْ لا عقل له ولا فهم !
والجواب ، أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبيكيت الفاعل وتهجينه

وإدخال الفمّ عليه في ذلك الوقت على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع، وإن لم يكن من الموءودة فهم له؛ لأن الخطاب وإن علقّ عليها، وتوجّه إليها فالغرض في الحقيقة غيرها؛ وهذا يجري مجرى مَنْ ضُرب ظالمٌ طفلاً من ولده يقول: ولم^(١) ضُربت؟ وما ذنبك؟ وبأى شيء استحل^(٢) هذا منك؟ وغرضه تبكيتُ الظالم لا خطاب الطفل. فالأولى أن يقال في هذا: إن الأطفال وإن كان^(٣) من جهة العقول لا يجب في وصولهم إلى الأغراض المستحقة أن يكونوا كامل العقول؛ كما يجب مثل ذلك في الوصول إلى الثواب؛ فإنّ الخبر متظاهر، والأمة متمقة على أنهم في الآخرة، وعند دخولهم الجنان يكونون على / أكل الهيئات؛ وأفضل الأحوال؛ وإنّ عقولهم تكون كاملة؛ فعلى هذا يحسن توجّه الخطاب إلى الموءودة؛ لأنها تكون في تلك الحال ممن تفهم الخطاب وتمقله، وإن كان الغرض فيه التبكيت للقائل، وإقامة الحجّة عليه.

١٠ وقد روى عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ وابن عباس، ويحيى بن يعمر، ومجاهد، ومسلم ابن صبيح، وأبي الضحى؛ ومروان، وأبي صالح، وجابر بن زيد أنهم قرءوا ﴿سَأَلْتُ﴾ بفتح السين والهمزة وإسكان التاء ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ﴾ بإسكان اللام وضم التاء الثانية؛ على أن الموءودة موصوفة بالسؤال، وبالقول ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ﴾.

وروى القُطَيْمِيُّ عن سليمان الأعمش عن حفص عن عاصم: ﴿قُتِلْتُ﴾ بضم التاء الثانية، وفي ﴿سُئِلْتُ﴾ مثل قراءة الجمهور بضم السين.

وروى عن أبي جعفر المدني: ﴿قُتِلْتُ﴾ بالتشديد وإسكان التاء الثانية.

وروى عن بعضهم: ﴿وَإِذَا الْمَوْدَّةُ﴾ بفتح الميم والواو.

فأما من قرأ ﴿سَأَلْتُ﴾ بفتح السين؛ فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما؛ من أن الله تعالى أكلمها في تلك الحال، وأقدرها على النطق.

(١) حاشية الأصل: « نسخة س: « لم » ، بغير واو » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): « استحل » بالبناء للمجهول .

(٣) م: « كانوا » .

والوجه الآخر أن يكون معنى ﴿سَأَلَتْ﴾ أى سُئِلَ لها وطوبأ بحتمها وانتصف لها من ظالمها؛ فكأنها هى السائلة تجوزاً واتساعاً. ومن قرأ بفتح السين من ﴿سَأَلَتْ﴾ ويضم التاء الثانية من ﴿قَتَلْتُ﴾ فعلى أنها هى المخاطبة بذلك .

ويجوز على هذا الوجه أيضاً ﴿قَتَلَتْ﴾ بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة؛ لأنه إخبار عنها، كما يقال: سأل زيد: بأى ذنب ضرب؛ وبأى ذنب ضربت . ويقوى هذه القراءة فى ﴿سَأَلَتْ﴾ ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله: «يجىء المقتول ظلماً يوم القيامة وأوداجه تشخبُ دماً، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، متعلقاً بقائه يقول: يارب سل هذا فيم قتلنى» فأما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم فى ضم التاء الأخيرة، من ﴿قَتَلْتُ﴾ مع ضم السين ﴿سُئِلْتُ﴾ فمنهاها ﴿وإذا الموءودة سُئِلَتْ﴾: ما تبغى؟ فقالت: ﴿بأى ذنب قُتِلْتُ﴾ فأضمر

قولها . والعرب قد تضمّر مثل هذا للدلالة الخطاب عليه ، وارتفاع الإشكال عنه ؛ مثل قوله ١٠ تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ؛ أى ويقولان ذلك ؛ ونظائرُه فى القرآن كثيرة (١) جدا .

[٣١٣]
ظ

فأما قراءة من قرأ ﴿قَتَلْتُ﴾ بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل بالموءودة هاهنا، وإن كان لفظها لفظاً واحدة فالمراد به الجنس ، وإرادة التكرار جائزة .

فأما من قرأ ﴿الموءودة﴾ بفتح الميم والواو، فعلى أن يكون الرحم والقراية، وأنه يُسأل قاطعها ١٥ عن سبب قطعها وتضييعها، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾؛ [محمد: ٢٢] .

فأما الموءودة فهى المقتولة صغيرة ، وكانت العرب فى الجاهلية تمدّ البنات بأن يدفنوهن أحياء ، وهو قوله تعالى : ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾؛ [النحل: ٥٩] ؛ وقوله تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ [الأنعام: ١٤٠] . ٢٠
ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك لأصبرين :

(١) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « كبيرة » .

أحدها أنهم كانوا يقولون : إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالله، فهو أحق بها منّا .
والأمر الآخر أنهم كانوا يقتلونهن خشية الإملاق، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ
مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

قال سيدنا أدام الله علوه : ووجدت أبا عليّ الجبائيّ وغيره يقول : إنما قيل لها موءودة ؛
لأنها ثقّلت بالتراب الذي طرح عليها حتى ماتت . وفي هذا بعض النظر ؛ لأنهم يقولون من
الموءودة : وأدت أئدو أداً ، والفاعل وائد ، والفاعلة وائدة ، ومن الثقّل يقولون : أدنى الشيء
يُثودنى ؛ إذا أثقلني ، أو دأ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن العزل فقال : « ذاك الواد الخفي » .
وقد روى عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك ، وقال قوم في الخبر الذي ذكرناه : إنه منسوخ
بما روى عنه عليه السلام أنه قيل له : إن اليهود يقولون في العزل هي الموءودة الصغرى ، فقال :
« كذبت يهود ، لو أراد الله تعالى أن يخلقه لم يستطع أن يصرفه » .
وقد يجوز أن يكون قوله عليه السلام : « ذاك الواد الخفي » على طريق تأكيد الترغيب في
طلب النسل وكراهية العزل ؛ لاعلى أنه محظور محرّم .

وصمصمة بن ناجية بن عقّال ، جدّ الفرزدق بن غالب ؛ كان ممن فدّى الموءودات في الجاهلية ،
١٥ ونهى عن قتلهن . ويقال : إنه أحيا ألف موءودة ، وقيل دون ذلك .

وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله :

[٣١٤] / وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ تُوَدِّ (١)

وفي قوله :

وَمِنَّا الَّذِي أَحْيَا الْوَيْدَ وَغَالِبٌ وَعَمْرُو ، وَمِنَّا حَاجِبٌ وَالْأَقَارِعُ (٢)

وفي ذلك يقول أيضاً:

أنا ابنُ عقالٍ وابنُ لَيْلَى وَغَالِبٍ وَفَكَأَكِ أَغْلَالِ الْأَسِيرِ الْمَكْفَرِ (١)

— ليلي : أم غالب ، وعقال : هو محمد (٢) بن سفيان بن مجاشع ، وفكأك الأغلال : ناجية

ابن عقال ، والمكفر : هو الذي كُفِّرَ وكبَّل بالحديد —

وكانَ لنا شيخانِ ذُو القَبْرِ مِنهُمَا وَشَيْخُ أَجَارِ النَّاسِ مِنْ كُلِّ مَقْبَرٍ (٣)

— ذو القبر ، غالب وكان يستجار بقبره ، والذي أجار الناس من المقبر وأحيا الوئيدة

صمصمة (٢) —

عَلَى حِينٍ لَا تُحْيَا الْبَنَاتُ وَإِذْ هُمُ عَكُوفٌ عَلَى الْأَصْنَامِ حَوْلَ الْمُدُورِ (٥)

وَمَا حَسَبُ دَافَعْتُ عَنْهُ بِمَعْمُورِ (٦)

١٠ متى تُخْلِفِ الْجَوَزَاءُ وَالنَّجْمُ يَمْطُرُ أبا أَحَدِ الْعَيْنَيْنِ (٧) صَعْمَعَةُ الَّتِي

أَجَارَ بَنَاتِ الْوَائِدِينَ وَمَنْ يُجِرُ عَلَى الْقَبْرِ (٨) يُعَلِّمُ أَنَّهُ غَيْرُ مُخْفِرِ

وَفَارِقِ لَيْلٍ مِنْ نِسَاءِ أَنْتَ بِهِ (٩) تُعَالِجُ رِيحاً لَيْلُهَا غَيْرُ مُقْمِرِ

— فارق ، يعنى امرأة ماخضا ؛ شبهها بالفارق من الإبل ، وهى الناقة يضربها المخاض

ففارق الإبل ، وتمضى على وجهها حتى تضع —

(١) ديوانه : ٤٧٦ — ٤٧٧ . (٢) حاشية الأصل : « هذا في نسخة ابن الشجرى » ، وفيها

(من نسخة) : « هو عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع » .

(٣) حاشية الأصل : « من كل مقبر ، أى الذى يدفن البنات أحياء ويجعلهم فى القبر » .

(٤) حاشية الأصل : « فى نسخة الشجرى : حقه : والذى أجار الناس وأحيا الناس من المقبر وأحيا

الوليد صمصمة » .

(٥) المدور : صنم يدورون حوله .

(٦) حاشية الأصل : « المور : ذو العورة ؛ وهو من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ بِيوتِنَا عورة ﴾ ؛

أراد أنه حصن لا يتمكن منه أحد » .

(٧) من نسخة مجاشع بنى الأصل ، ف : « العيتين » ، وهى رواية الديوان .

(٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « على الفقر » .

(٩) حاشية الأصل (من نسخة) : « أبى » وهى رواية الديوان .

فَقَالَتْ : أَجْرِي مَا وَاوَدْتُ فَإِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ هَزَلِي الْحَمُولَةَ مُقْبِرٍ (١)
 رَأَى الْأَرْضَ مِنْهَا رَاحَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى جَدِّ (٢) مِنْهَا وَفِي شَرِّ مَحْفَرٍ
 فَقَالَ لَهَا : يَا مَيَّ إِنِّي بَدِمْتِي لِبِنْتِكَ جَارٌ مِنْ أَبِيهَا الْقَنُورِ
 - الْقَنُورُ : السَّيِّءُ الْخَلْقُ -

٥ وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن
 [٣١٤] العباس بن بكار الضبي عن أبي بكر الهذلي. قال الصولي وحدثنا القاسم بن إسماعيل / عن أبي
 ط عثمان المازني عن أبي عبيدة بطرف منه قال : وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول
 الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم (٣)؛ وكان صعصعة منع الوئيد في الجاهلية؛ فلم يدع تميما تئيد (٤)
 وهو يقدر على ذلك؛ فجاء الإسلام وقد فدى في بعض الروايات أربعمائة جارية، وفي الرواية الأخرى
 ١٠ ثلاثمائة، فقال للنبي صلى الله عليه وآله : بأبي أنت وأمي أوصني ! قال : «أوصيك بأهلك وأبيك
 وأختك وأخيك وأدانيك أدنانيك»، فقال : زدني يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :
 «احفظ ما بين لحيك ورجليك»؛ ثم قال صلى الله عليه وآله : «ما شيء بلغني عنك فعلته»؟
 فقال : يا رسول الله؛ رأيت الناس يموجون على غير وجه، ولم أدر أين الصواب، غير أنني
 علمت أنهم ليسوا عليه، فرأيتهم يشدون بناهم؛ فعرفت أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك،
 ١٥ فلم أركبهم يشدون، وفديت ما قدرت عليه.

وفي رواية أخرى إن صعصعة لما وفد على النبي صلى الله عليه وآله، سمع قوله تعالى : ﴿فَمَنْ
 يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .
 قال : حسبي، ما أبالي ألا أسمع من القرآن غير هذا!

ويقال : إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند سليمان بن عبد الملك فافتخرا، فقال الفرزدق:

(١) مقتر : قليل المال ؛ تعني زوجها .

(٢) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خدد » ؛ وهي رواية الديوان .

(٣) ف : « في وفد من بني تميم » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلم يدع تميما يشد » .

أنا ابن محبي الموتى ، فقال له سليمان : أنت ابن محبي الموتى ! فقال : إن جدى أحيا الموءودة وقد قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ٣٢] ؛ وقد أحيا ، جدى اثنتين وتسعين موءودة . فتبسم سليمان وقال : إنك مع شعرك لفقير .

تأويلُ حَبَد

إن سأل سائل عن معنى الخبر الذى يروى ^(١) عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه نهى أن يصلّى الرجل وهو زَنَاءٌ .

الجواب ؛ قلنا : الزنأ هو الحاقن الذى قد ضاق ذرعا ببوله ؛ يقال : أزنأ الرجل بوله فهو يزئنه إزنأً ، وزنأ بوله يزناً زنأً ، قال الأخطل :

فإِذَا دُفِعْتُ إِلَى زَنَاءٍ قَمَرُهَا غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ مِنَ الْأَحْفَارِ ^(٢)

يعنى ضيق القبر ، ويقال : لا تأت فلاناً فإن منزله زنأ ، فيجوز أن يكون ضيقاً ، ويجوز أن يكون عسر المرتقى ؛ وكلاهما يؤول إلى المعنى . ويقال : موضع زنأ إذا كان ضيقاً ، صعباً ، ومن ذلك قول أبي زيد ^(٣) يصف أسداً :

/ أبنٌ عريسةً عنابها أشبٌ ودون غابتها مستوردٌ شرعٌ ^(٤)

[٣١٥]

و

(١) ف : « روى » . (٢) ديوانه : ٨١ ، واللسان (زنأ) .

(٣) فى حاشيتى الأصل ، ف : « ذكر أبو سعيد الضرير ، وهو أحمد بن خالد قال : هو أبو زيد حرملة بن المنذر بن معدى كرب بن حنظلة بن النعمان بن حبة بن سعد ، وهو من بنى هني » . والبيتان فى شعراء الصراينة بعد الإسلام ١ : ٦٧-٦٨ ؛ من قصيدة أولها :

من مبلغ قومنا النائين إذ شخّصوا أن الفؤاد إليهم شيقٌ ولعٌ

يصف فيها الأسد .

(٤) أبنٌ : أقام ، والعريسة : مأوى الأسد فى الغياض ، وعنابها أشبٌ : أى شجر العناب فيها متداخل ، والمستورد : موضع الورود . والشرع : الذى يشرع فيه ؛ يعنى موارد الوحش ، وفى ف : « دون غابتها » وفى حاشيتها (من نسخة) : « دون غابتها » .

شَأْسُ الْهَبُوطِ زَنَاؤُ الْحَامِيَيْنِ مَتَى يَبْشَعُ بَوَارِدَةً يَحْدُثُ لَهَا فَرْعٌ^(١)

يعنى « بزناء الحاميين » أنه ضيق جانبي الوادى . وقوله : « متى يَبْشَعُ بوارِدَةً » ، أى يضيق بجماعة ممن يرده ؛ وإنما يحدث لها فزع من الأسد . والشأْس : الغليظ ؛ يقال : مكان شأْسٌ ، إذا كان غليظاً ؛ ومن ذلك قولهم : زَنَا فلان فى الجبل إذا كابد الصمودَ فيه ؛ وهو يَزَنَا فى الجبل .

وروى أبو زيد : " أن^(٢) قيس بن عاصم المنقريّ أخذ صبياً له يرقصه - وأمُّ ذلك الصبي منفوسة ، وهى بنت زيد الفوارس بن ضرار الضبيّ ، فجعل قيس يقول له :

أَشْبِهْ أَبَا أُمَّكَ أَوْ أَشْبِهْ عَمَلٌ وَلَا تَكُونَنَّ كِهَلْوَفٍ وَكَلِّ^(٣)

- يريد عملى . الوكل : الجبان . والهَلْوَفُ : الهرم المسنّ ، وهو أيضاً الكبير اللحية ؛

١٠ وإنما أراد به هاهنا الجبان -

* وَارْقَ إِلَى الْخَيْرَاتِ زَنَاؤُ فِي الْجَبَلِ^(٤) *

فأخذته أمه وجمعت ترقصه ، وتقول :

أَشْبِهْ أُخِي أَوْ أَشْبِهِي أَبَاكَ أُمَّ أُنَى فَلَنْ تَنَالَ ذَاكَ

* تَقْصُرُ عَنْ مَنَالِهِ^(٥) يَدَاكَ *

(١) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قبلهما :

على الكلاكلِ حَوْضِي عِنْدَهُمْ تَرَعُ

هذا وقومٍ غضابٍ قد أَبْشَهُمْ

حتى إذا مارأونى خالياً نَزَعُوا

تبادرُونى كَأَنّى فى أَكْفَهُمْ

وطار أبصارُهُمْ شتى وما وقموا

واستحدث القومُ أمراً غير ما وَهَمُوا

من ذى زوائد فى أرساغه فَدَعُ

كأنما يتفادى أهل أمرهم

كأنه برنسا فى النابِ مُدْرِعُ

ضرغامة أهرتِ الشّدَقَيْنِ ذى لَبِدٍ

إلا بنيّه وإلا أهله شَيْعُ

بالثنىِ أسفل من حماء ليس له

- قد أبتهم : أئتمهم وأشخصتهم على صدورهم . وقوله : « حَوْضِي عِنْدَهُمْ تَرَعُ » أى لم يصنعوا لى

شيئاً . وقوله : « فى أَكْفَهُمْ » أى ظنوا أنى فى أيديهم فلما رأونى دهشوا ونزعوا عما طعموا فيه .

(٢) النوادر ٩٢-٩٣ (٣) البيتان والخبر فى اللسان (زنا-عمل) . (٤) فى اللسان قبل هذا البيت :

* يُصْبِحُ فى مضجعه قد مجدّل *

(٥) فى اللسان : « أن تناله » .

مَجْلِسُ آخِرُ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ . فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ . ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ . أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴾ [البلد ١٠-٢٠] .

فقال (١) : ما تأويل هذه الآية ؟ وما معنى ما تضمنته (١) .

الجواب ، أما ابتداء الآية فتدكيرٌ بنعم الله تعالى عليهم ، وما أراح به عليهم في تكاليفهم ، وما تفضل به عليهم من الآلات التي يتوصلون بها إلى منافعهم ، ويستدفعون بها المضار عنهم ؛ لأن الحاجة ماسة في أكثر المنافع الدينية والدينية إلى العين للرؤية ، واللسان للنطق ، والشفتين لحبس الطعام والشراب / ومسكهما في الفم والنطق أيضاً .

[٣١٥]
ظ

فأما النجْد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض ، والغور الهابط منها ؛ وإنما معنى الموضع المرتفع من أرض العرب نجداً لارتفاعه .

واختلاف أهل التأويل في المراد بالنجدين ، فذهب قوم إلى أن المراد بهما طريقا الخير والشر ؛ وهذا الوجه يروى عن علي أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن مسعود ، وعن الحسن وجماعة من المفسرين .

وروى أنه قيل لأمير المؤمنين علي عليه السلام: إن ناساً^(١) يقولون في قوله: ﴿وَهَدَيْنَاكَ النَّجْدَيْنِ﴾: إنهما الثديان، فقال عليه السلام: لا، إنهما الخير والشر.

وروى عن الحسن أنه قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أيها الناس، إنهما نجدان: نجد الخير ونجد الشر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير».

وروى عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الأم.

فإن قيل: كيف يسكون طريق الشر مرتفعاً كطريق الخير، ومعلوم أنه لا شرف ولا رفعة في الشر؟

قلنا: يجوز أن يكون إنما سماه نجداً لظهوره وبروزه لمن كلف اجتنابه؛ ومعلوم أن الطريقتين جميعاً باديان ظاهران للمكافئين. ويجوز أيضاً أن يسكن سمي طريق الشر نجداً من حيث يحصل في اجتناب سلوكه والمدول عنه الشرف والرفعة؛ كما يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير؛ لأن الثواب الحاصل في اجتناب طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير.

وقال قوم: إنما أراد بالنجدين أنابصرتاء وعرفناه ماله وعليه، وهديناه إلى طريق استحقاق الثواب؛ وثني النجدين على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا في بعض الوجوه، وأجرى لفظة أحدهما على الآخر، كما قيل في الشمس والقمر: القمران، قال الفرزدق:

* لَنَا قَمَرَاها وَالنَّجُومِ الطَّوَالِحِ^(٢) * ١٥

ولذلك نظائر كثيرة.

فأما قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؛ ففيه وجهان:

أحدهما أن يكون ﴿فَلَا﴾ بمعنى الجحْد وبمنزلة «لم»، أي فلم يقتحم العقبة؛ وأكث

(١) د، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «أناساً».

(٢) ديوانه: ٥١٩؛ صدره:

ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ «لا»؛ كما قال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾؛ [الفيامة: ٣١] أي لم يصدق ولم يصل، وكما قال الخطيب:

وَإِنْ كَانَتِ النِّعْمَاءُ فِيهِمْ جَزَؤًا بِهَا وَإِنْ أَنْعَمُوا، لَا كَدَّرُوا هَا وَلَا كَدَّوْا (١)

وقلما يستعمل هذا المعنى من غير تكرير لفظ؛ لأنهم لا يقولون: لا جئتني وزرتني؛

يريدون: ما جئتني؛ فإن قالوا: لا جئتني ولا زرتني صلح؛ إلا أن في الآية ما ينوب مناب التكرار ويبنى عنده، وهو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾؛ فكأنه قال: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾، ولا آمن؛ فمعنى التكرار حاصل.

والوجه الآخر: أن تكون «لا» جارية مجرى الدعاء؛ كقولك: لا نجأ ولا سلم، ونحو ذلك.

وقال قوم: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ أي فهلاً اقتحم العقبة! أو أفلاً اقتحم العقبة! قالوا:

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام.

وهذا الوجه ضعيف جداً، لأن قوله تعالى: ﴿فَلَا﴾ خال من لفظ الاستفهام، وقبيح حذف

حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع، وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله:

ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ (٢)

فأما الترجيح بأن الكلام لو أريد به النفي لم يتصل فقد بينا أنه متصل، مع أن المراد

به النفي؛ لأن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ معطوف على قوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ

الْعَقَبَةَ﴾، أي فلا اقتحم العقبة، ثم كان من الذين آمنوا. والمعنى أنه ما اقتحم العقبة ولا آمن؛ على ما بينا.

فأما المراد بالعقبة فاختلف فيه، يقال قوم: هي عقبة ملساء في جهنم، واقتحامها فك رقبة.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إن أمتكم عقبة كشودا لا يجوزها المثلقون» (٣)،

وأنا أريد أن تخفف لتلك العقبة: «وروى عن ابن عباس أنه قال: هي عقبة كشود في

(١) ديوانه: ٢٠. (٢) ديوانه: ٤٢٣ (مطبعة السعادة)، وفي حاشية الأصل (من نسخة):

«عدد الرمل»، (٣) حاشية الأصل: «المثلقون [بالفتح] أي أنقلهم الذنوب، والمثلقون [بالكسر] أصحاب الأتقال».

جهنم ، وروى أيضاً أنه قال : العقبة هي النار نفسها ؛ فعلى الوجه الأول يكون التفسير للعقبة بقوله : ﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾ على معنى ما يؤدّي إلى اقتحام هذه العقبة ؛ ويكون سبباً لجوازها والنجاة منها ، لأن فكَّ رقبة وما أتى بعد ذلك ليس هو النار نفسها ولا موضعاً منها .

وقال آخرون : بل العقبة ما ورد مفسراً لها من فكَّ الرقبة والإطعام في يوم المسغبة ؛

[٣١٦] وإنما سمّي ذلك عقبة لصعوبته على النفوس / ومشتقته عليها .
ط

وليس يليق بهذا الوجه الجواب الذي ذكرناه في معنى قوله : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ وأنه على وجه الدعاء ؛ لأن الدعاء لا يحسن إلا بالاستحقاق له ؛ ولا يجوز أن يدعى على أحد بأن لا يقع منه ما كُفِّ وقوعه ، وفكَّ الرقبة والإطعام المذكور من الطاعات ؛ فكيف يدعى على أحدٍ بأن لا يقع منه ! فهذا الوجه يطابق أن تكون ﴿ الْعَقَبَةُ ﴾ هي النار نفسها أو عقبة فيها .

١٠ وقد اختلف الناس في قراءة : ﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾ ، فقرأ أمير المؤمنين عليه السلام ، ومجاهد ، وأهل مكة ، والحسن ، وأبو رجا العطاردي ، وأبو عمرو ، والكسائي : ﴿ فَكَّ رَقَبَةٍ ﴾ بفتح الكاف ونصب الرقبة ، وقرأوا ﴿ أَوْ أَطْعَمَ ﴾ على الفعل دون الاسم . وقرأ أهل المدينة ، وأهل الشام ، وعاصم ، وحمزة ، ويحيى بن وثاب ، ويعقوب الحضرمي : ﴿ فَكَّ ﴾ بضم الكاف وبخفص ﴿ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ ﴾ على المصدر وتنوين الميم وضمها .

١٥ فمن قرأ على الاسم ذهب إلى أن جواب الاسم بالاسم أكثر في كلام العرب ، وأحسن من جوابه بالفعل ؛ ألا ترى أن المعنى : ما أدراك ما اقتحامُ العقبة ! هو فكَّ رقبة ، أو إطعام ؛ وذلك هو أحسن من أن يقال : هو فكَّ رقبةً ، أو أطعم .

ومال الفرّاء ، إلى القراءة بلفظ الفعل ، ورجحها بتولده تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ، لأنه فعل ؛ والأولى أن يتبع فعلاً . وليس يمتنع أن يفسر اقتحام العقبة - وإن كان اسماً - بفعل ؛
٢٠ يدل على الاسم ؛ وهذا مثل قول القائل : ما أدراك ما زيد؟ يقول - مفسراً - : يصنع الخير ، ويفعل المعروف ، وما أشبه ذلك ، فيأتي بالأفعال .

والسبب : الجوع ؛ وإنما أراد أنه يُطعم في يومٍ سحابة ؛ لأن الإطعام فيه أفضل وأكرم .

فأما « مَقْرَبَةٌ » فمعناه يتيما ذا قُرْبَى ؛ من قرابة النسب والرحيم ؛ وهذا حَضٌّ على تقديم ذى النسب والقربى المحتاجين على الأجانب في الإفضال .

والمسكين : الفقير الشديد الفقر . والمتربة : مفعلة ، من التراب ، أى هو لاصق بالأرض من ضُرِّه وحاجته ؛ ويجرى مجرى قولهم في الفقير : مُدِّعٌ ؛ وهو مأخوذ من الدَّعَاء ؛ وهى الأرض التى لا شئ فيها .

وقال قوم : ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ أى ذاعبال . والمرحمة : مفعلة من الرحمة ؛ وقيل إنه من الرَّحِم . وقد يمكن فى ﴿ مَقْرَبَةٍ ﴾ أن يكون غير مأخوذ من القرابة والقربى ؛ بل هو من القُرْب ، الذى هو من الخاصرة ، فكأن المعنى أنه يطعم من انطوت خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر ؛ وهذا أعم فى المعنى من الأول وأشبه بقوله ﴿ ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ ؛ لأن كل ذلك مبالغة فى وصفه بالضر ؛ وليس من المبالغة فى الوصف بالضر أن يكون قريب النسب . والله أعلم بمراده . ١٠

قال سيدنا أدام الله علوه : ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر :

وَكَأَنَّهُ مِنْ وَفْدِهِ عِنْدَ الْقَرَى لَوْلَا مَقَامُ الْمَادِحِ التُّكَلَّمَ
وَكَأَنَّهُ أَحَدُ النَّدى بِنَائِهِ (١) لَوْلَا مَقَالَتُهُ أَطْبُ لِلْمُؤَدَمِ (٢)

ويقارب ذلك فى المعنى قول محمد بن خارجة :

١٥ سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَّتْ بِيَابِهِ طَاقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ
وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ لَمْ تَدْرِ : أَيُّهُمَا أَخُو الْأَرْحَامِ ! (٣)

ومثله لأبى الهندي :

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ شَاتِيًّا غَرِيبًا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِّ (٤)
فَمَا زَالَ بِي إِكْرَامُهُمْ وَافْتِقَادُهُمْ (٥) وَإِنْعَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

(١) حاشية الأصل : « نسخة س : « أحد الندى بيباه » .

(٢) وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « سهل الفياض » .

(٤) أمالى القالى ١ : ٤١ ؛ وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فى زمن محل » .

(٥) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وافتقأؤهم » .

ولإيغال بن الفداء يمدح عقبة بن سنان الحارثي:

أَلَمْ تَرَنِي شَكَرْتُ أَبَا سَعِيدٍ بِنُعْمَاهُ وَقَدْ كَفَرَ الْمَوَالِي (١)
 وَلَمْ أَكْفُرْ سَحَابَهُ اللَّوَاتِي مَطْرَنَ عَلِيٍّ وَاهِيَةَ الْعَزَالِي (٢)
 فَمَنْ يَكُ كَافِرًا نُعْمَاهُ بَوْمًا فَإِنِّي شَاكِرٌ أُخْرَى اللَّيَالِي
 فَتَى لَمْ تَطْلُعِ الشُّعْرَى مِنْ أَفْقٍ وَلَمْ تَعْرُضْ لِيَمِينٍ أَوْ شِمَالِي (٣)
 عَلِيٌّ نِدِيٌّ لَهُ إِنْ عُدَّ مَجْدٌ وَمَكْرَمَةٌ وَإِتْلَافٌ لِمَالِي
 وَأَصْبَرَ فِي الْحَوَادِثِ إِنْ أَلَمَّتْ وَأَسْعَى لِلْمَحَامِدِ وَالْمَعَالِي
 فَتَى عَمَّ الْبَرِيَّةَ بِالْمَطَايَا فَقَدْ صَارُوا لَهُ أَدْنَى الْعِيَالِي

٥

قال : ولآخر (٤) : [٣١٧] ط

لَمْ أَقْضِ مِنْ صُحْبَةِ زَيْدٍ أَرَبِي فَتَى إِذَا أَغْضَبْتَهُ لَمْ يَنْغَضِبِ
 مُوَكَّلُ النَّفْسِ بِحِفْظِ النَّيِّبِ أَقْصَى الْفَرِيقَيْنِ لَهُ كَالْأَقْرَبِ

١٠

فإنه لم يرد أن الضعيف السبب كالتقوى السبب ، وإنما أراد أنه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحقه ما يراه من حق الشاهد الحاضر ، وأنه يستوى عنده لسكرمه وحسن حفاظه من بُعدت داره وقربت معا ؛ وهذا بخلاف ما عليه أكثر الناس ؛ من مراعاة أمر الحاضر القريب وإهمال حق البعيد (٥) .

(٦) هذا آخر مجلس أملاه سيدنا أدام الله علوه . ثم تشاغل بأمور الحج (٦) .

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيدنا نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم كثيراً .

(١) الموالى : الأقرباء . (٢) العزالي : جمع عزلاء ؛ وهى فى الأصل مصب الماء من الراوية ونحوها . (٣) ف ، ومن نسخة بمحاشية الأصل :

فَتَى لَمْ تَطْلُعِ الشُّعْرَى بِأَفْقٍ وَلَمْ تَعْرُضْ لِيَمِينِي أَوْ شِمَالِي

(٤) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وقال آخر » .
 (٥) إلى هنا تنتهى النسخة الرموز لها بكلمة « الأصل » .

(٦-٦) ف : « هذا آخر مجلس أملاه السيد المرتضى ذوا مجددين قدس الله روحه ثم تشاغل بأمور الحج »

تكملة

أما إلى المتقى





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسْرٍ^(١)

مَسْأَلَةٌ

قال * الشريف الأجل المرتضى ، علم الهدى ، ذو المجدين أبو القاسم علي بن الحسين الوسوي رضي الله عنه :

إنه لا يزال المتكلمون يخالفون النحويين في أن للفعل ثلاثة أحوال : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل . ويقول المتكلمون : للفعل حالان بغير ثالث ؛ لأن كل معلوم من الأفعال لا يخلو من أن يكون موجودا أو معدوما ؛ وبالوجود قد صار ماضيا ، والمعدوم هو المنتظر ، ولا ٥ حال ثالثة .

فلا المتكلمون يحسنون العبارة عما لحظوه وأرادوه ، حتى يزول الخلاف في المعاني التي هي المهم - ولا اعتبارا بالعبارات - ولا النحويون يفتنون لإفهام ما قصدوه بلفظ غير مشتبه ولا محتمل ؛ فكلم من معنى كاد يضيع بسوء العبارة عنه ، وقصور الإشارة إليه !

واعلم أن المواضع مختلفة ، والعرف يختلف باختلاف أهله بحسب عاداتهم . وقولنا : ١٠ « فعل » في عرف المتكلمين ليس هو الذي يعرفه النحويون ، لأن الفعل في عرف أهل الكلام هو الذات الحادثة بمد أن كانت معدومة بقادر ، وهذا الحد يقتضي أن يكون كل موجود من الذوات غير الله تعالى وحده فعلا ؛ فزيد فعل ، والسماء كذلك ، والحرف أيضا - الذي فرق النحويون بينه وبين الاسم - فعل أيضا ، والفعل أيضا على هذا الحد فعل ؛ لأن الحرف صوت يقطع على وجه مخصوص ، والأصوات كلها أفعال . ١٥

* هذه الزيادات لم ترد إلا في ف ، ط من الأصول التي اعتمدت عليها ؛ والمنبت هنا ف ، كما أثبت

الفروق والحواشي .

(١) ط : « رب يسر ولا تسر » .

غير أن المحقق من عُرف القوم أن النجوين مافصلوا بين الاسم والفعل والحرف ؛ من حيث نفي الاشتراك في الحدوث والفعالية ؛ بل فصلوا بينها مع اشتراكها في معنى الفعلية التي يذهب إليها المتكلمون ؛ لما بينها من الفصل في أحكامٍ أُخر ؛ يختصُّ بها بعضها دون بعض ؛ فقالوا : الاسم مادلٌّ على معنى لا يقترن بزمان ، والفعل ما اقتضى معنى مقترنا بزمان ٥ غير مخصوص ، والحرف ما خلا من هاتين العلامتين ؛ فكانهم قصدوا إلى ما هو فعل حادثٌ على حدِّ التكلمين ؛ فصنّفوه ونوعوه ، وسمّوا بعضه اسما ، وبعضه فعلا ، وبعضه حرفا ؛ لاختلاف الأحكام التي عقلوها ؛ فلا كَوْمَ في ذلك عليهم ؛ ولا مناظرة فيه معهم ، وبالمناظرة الصحيحة نزولُ الشُّبُهَات ، وتنحسُّم التبعات .

والذي يجب تحصيله ، والتمويلُ عليه أن الفعل الحادث في أوّل أحوال وجوده يسمّى ١٠ فعلَ الحال ؛ فإن تقضى وعُدم صار ماضيا ، والفعل المستقبل هو المنتظر المتوقع الذي هو الآن معدوم . فإن فرضنا أن الفعل الحادث الذي فرضنا أنه متى تقضى وعُدم صار ماضيا . بقى ولم يتقضّ ؛ إما على مذهب من يقطع على بقاء الأعراض ، أو على مذهب من يتوقف عن القطع فيها على بقاء أو فناء ؛ فالواجب أن يكون استمراره ^(١) لا يُخرجه من استحقاق الوصف بأنه فعل الحال ؛ لأنَّ من هو عليه لم يتغير الحال التي وجبت له عنه ؛ ولا خرج عنها

١٥ ألا ترى أننا لو فرضنا أنه تقضى وعُدم ، وخلفه مثلٌ له لكان ذلك الخالف له يستحق الوصف بأنه للحال ؛ وكذلك ما قام مقامه ؛ وأوجب مثل ما يوجب ، لأنه لا فرق في التسمية للجلوس بأنه فعل حال ؛ بين أن يكون المفتتح بالحدوث من أجزاء الجلوس بقى واستمر ؛ وبين أن يكون تجدد أمثاله ؛ والأول باق أو معدومٌ بعد أن تكون الحالة المخصوصة ما تغيرت ولا تبدلت ؛ ولا فرق أيضا بين أن يكون ذلك الفعل يُوجب حالا مخصوصة كالألوان ، أو ٢٠ حُكْمًا مخصوصا كالاعتمادات وما أشبهها ؛ في أن الذي أتت فيه ولم تخرج عنه هو المنعوت بأنه فعل الحال ، وما خرجت عنه فهو الماضي .

(١) حاشية ط : « قوله : استمراره ، أى الحادث » .

فإن قيل : كيف قولكم فيما مضى وتقتضى من الأفعال ووصفتموه بأنه ماضٍ لتقتضيه
وعدمه؛ أيجوز أن يكون مستقبلاً على وجه من الوجوه ، أولاً يكون من الأفعال مستقبلاً
إلا ما لم يدخل في الوجود قط ؟

قلنا : أما ما عُدِم وتقتضى من الأعراض المقطوع على أنها غير باقية في نفوسها ،
كالإرادات^(١) والأصوات وما أشبه ذلك ؛ فلا شبهة في أن الماضي منه لا يصح أن يكون
مستقبلاً من فعلٍ قديم أو محدث .

فأما^(٢) ما يبقى من أجناس الأعراض عند من قطع على بقائها ، أو شك في حالها بين
جواز البقاء عليها ونفيه فنحن لا نقدر على إعادته ؛ والقديم تعالى قادرٌ على إعادته إلى
الوجود ؛ فهذا الضرب من فعله تعالى لا يمتنع تسميته بأنه مُستقبل ، لأنه متوقع منتظر .

فأما الجواهر المدومة فلا شبهة في أنها ماضية من حيث عُدِمَتْ ، ومستقبلة من
حيث كان وجودها مستأنفاً متوقفاً ؛ لأن الله تعالى لا بُدَّ من أن يُعيد المكلفين للثواب
أو العقاب ، والمكف إنما هو مؤلف من الجواهر .

فإن قيل : هذا يقتضى أن يجتمع في الشيء الواحد أن يكون ماضياً مستقبلاً ؛ وهذا
كالتناقض .

قلنا : لانتقاض في ذلك ؛ لأن الجوهر الماضي يستحق الوصف بأنه ماضٍ إذا عُدِم ،
وكذلك العرض الماضي من أفعال الله تعالى إذا عُدِم ؛ وإن جاز من حيثُ صحَّ وجود ذلك
مستأنفاً أن يُوصف بأنه مستقبل ، لأن معنى المستقبل هو المعدم الذي يصح وجوده ، فلا
تناقض بين الأمرين .

ولو ثبت بينهما عُرْفٌ في أنهما لا يجتمعان - وذلك ليس بثابت - لجاز أن يُجْمَلَ حدُّ
المستقبل هو المعدم الذي يصح وجوده مستقبلاً ؛ من غير أن يكون الوجود حصل^(٣) له
في حالة من الأحوال ؛ فلا يلزم على ذلك أن يجتمع الوصفان في فعل واحد .

(١) ط : « كالإدراكات » . (٢) ط : « وأما » . (٣) ط : « مستحصل له » .

وقد كنّا قديماً أمليّناً مسألة في تحقيق الفرق بين الفعل الحال والماضى والمستقبل ؛ وهذا التلخيص الذى ذكرناه هاهنا أشرح وأسبغُ منها، وتكلمنا هناك على ما كان أبو عليّ الفارسى اعتمده ووعول عليه؛ من قوله تعالى: ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [مريم : ٦٤] ، وقول الشاعر :

وأعلمُ ما فى اليومِ والأمسِ قبَلَهُ ولكننى عن علمِ ما فى غدٍ عمّ (١)
ومن طريقةٍ أخرى فى اعتبار تأثير الحروف فى الأحوال المختلفة ، واستوفينا الكلام على هذه الشبهة ؛ فلا طائل فى إعادة ذلك هاهنا ؛ والجمعُ بين المسألتين يُغنى عنه ، وما التوفيق إلا بالله تعالى .



(١) نبيت لزهير بن ابى سلمى ، ديوانه : ٢٩ .

مَسْأَلَةٌ

قال رضى الله عنه : لا معنى لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ ؛ [يونس: ٦١] على ما قاله النحويون : إنه للتأكيد؛ لما بيننا أن التأكيد إذا لم يُفدَ غيرَ ما يفيدُه المؤكِّد لم يصحّ ، وقد علمنا بقوله تعالى : ﴿ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ أنه من جملة القرآن ، فأى معنى لقوله ﴿ مِنْهُ ﴾ وتكراره !

قال رضى الله عنه : والصحيح أن معنى ﴿ مِنْهُ ﴾ أى من أجلِ الشَّأنِ والقِصةِ ، ﴿ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ ؛ فيحمل على الشَّأنِ والقِصةِ ليفيد معنى آخر .

وقال أيضاً فى قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ؛ [يونس: ٥٨] ؛ قال : لا يجوز أن يُحمَلَ قوله : ﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ على ما تقدم من فضل الله ورحمته ؛ ولا معنى له على ما يَقُولُه النحويون إنه للتأكيد ؛ كما لا معنى لقول قائل : زيدٌ وعمروٌ لهما ؛ يريد زيدا وعمراً ؛ فالصحيح أن نقول فى هذا : إن معناه : قل بفضل الله ومعوته الله ورحمته ؛ لأنَّ معونة الله وفضل الله ورحمته تؤثر فى القول ، ويقول : بفضل الله ومعوته يفرح ، فيُردُّ قوله : ﴿ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴾ إلى القول ، أى قل : بفضلِه ومعوته هذا القول ؛ فإنَّ بهذا القولِ ومعوته ورحمته يفرحون ؛ فيكون قوله : ﴿ فَبِذَلِكَ ﴾ راجعاً إلى الفرح بالفضل والرحمة ؛ حتى يكونَ قد أفاد كلُّ واحد من اللفظين فائدة .

مَسْأَلَةٌ

رسمت الحضرة العالمة الوزيرية ؛ أدام الله سلطانها ، وأعلى أبدأ شأنها ومكانها أن أذكر ما عندي في إدخال لفظة « كان » في كونه تعالى عالماً في مواضع كثيرة من القرآن .

وقالت حرس الله عزّها : لفظة « كان » إذا كانت للماضي ؛ فكيف دخلت على ما هو ثابت في الحال ومستمرٌّ دائم ! وما الوجه في حسن ذلك ؟

٥ والجواب الزيل للشبهة أن الكلام قد تدخله الحقيقة والمجاز ؛ ويُحذفُ بعضُه وإن كان مُراداً ، ويختصر حتى يفسر ؛ ولو بسط لكان طويلاً . وفي هذه الوجوه التي ذكرناها تظهر فصاحته ، وتقوى بلاغته ؛ وكلُّ كلامٍ خلا من مجازٍ وحذفٍ واختصارٍ واقتصارٍ بُعد عن الفصاحة ، وخرج عن قانون البلاغة . والأدلة لا يجوز فيها مجاز ، ولا ما يخالف الحقيقة ؛ وهي القاضية على الكلام ، والتي يجب بناؤه عليها ؛ والفروع أبداً تُبنى على الأصول .

١٠ فإذا ورد عن الله تعالى كلامٌ ظاهره يخالف ما دلّت عليه أدلّة العقول وجب صرفه عن ظاهره - إن كان له ظاهرٌ - وحمله على ما يوافق الأدلة العقلية ويطاقها ؛ ولهذا رجعنا في ظواهر كثيرة من كتاب الله تعالى اقتضى ظاهرها الإيجاب أو التشبيه ، أو ما لا يجوز عليه تعالى .

ولو سلمنا تبرُّعاً وتطوّعاً أن دخول « كان » على العلم أو القدرة يقتضى ظاهرها الماضي ١٥ دون المستقبل لجلنا ذلك على أن المراد به الأحوال كلّها ؛ لأن الأدلة العقلية تقضى على ما يطلّق من الكلام ، ولا يقضى الكلام على الأدلة .

غير أننا نبين أن دخول « كان » على العلم أو القدرة لا يقتضى ظاهرها الاختصاص بالماضي دون المستقبل ؛ فإن لأهل العربية في ذلك مذهباً معروفاً مشهوراً ؛ لأن أحدهم يقول : كنت العالم ؛ وما كنت إلا عالماً ، وعليها خبيراً ؛ وما كنت إلا الشجاع ، وإلا الجواد ؛ ويريدون بذلك ٢٠ كلاً الإخبار عن الأحوال كلّها ؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها ؛ ولا يُفهم من كلامهم سوى

ذلك ؛ وإذا كانت هذه عبارةً عما ذكرناه فصيحة بليغة - والقرآن نَزَلَ بأفصح اللغات وأبلغها وأبرعها - وجب حملُ لفظة «كان» إذا دخلت في كونه تعالى عالماً وقادراً على ما ذكرنا .

ومما يُستشهد به على ذلك قولُ زياد الأعجم يرثي المغيرة بن المهلب بن أبي صُفرة :

مات المغيرةُ بعد طول تعرّضٍ للقتل بين أسِنَّةٍ وصَفَاحٍ (١)
 أَلَّا لِيَالِيَ فَوْقَهُ زِيَّاتُهُ يَغْشَى الأَسِنَّةَ فَوْقَ نَهْدِ قَارِحٍ (٢)
 فَإِذَا مَرَّرْتَ بِقَبْرِهِ فَاغْفِرْ بِهِ كَوْمَ النَّطِيِّ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِحٍ (٣)
 وَأَنْضِحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدَمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَجَا دَمٍ وَذَبَابِحٍ

فقال في ميت قد مضى لسبيله : «فلقد يكونُ»، وإنما أراد: «فلقد كان»، فعبّر بـ يكون عن

«كان» ؛ كذلك جاز أن يُراد بلفظة «كان» الأحوال المستقبلية .

١٠. ووجه آخر وهو أنه تعالى لما أراد أن يخبر عن كونه عالماً في الأحوال كلها لم يجز أن يقول :

هو عالمٌ في الحال أو في المستقبل ؛ لأن ذلك لا ينبئُ عن كونه عالماً فيما مضى ؛ فمدل عن ذلك إلى إدخال لفظة : «كان» الدالة على الأزمان الماضية كلها، ومن كان عالماً فيما لم ينزل من الأحوال

فلا بدَّ من كونه عالماً لنفسه وذاته ؛ لأن الصفات الواجبة فيما لم ينزل لا تكون إلاً نفسية ، والصفات النفسية يجبُ ثبوتها في الأحوال كلها : الماضية والحاضرة والمستقبلية ؛ فصار دخول

١٥ «كان» في العلم أو القدرة مطابقاً للغرض، وموجباً لثبوت هذه الصفة في جميع هذه الأحوال، وليس كذلك أو عُلِّق العلم بالحال أو المستقبل ؛ وهذا وجه جليل الموقع .

ووجه آجر وهو أننا إذا سلّمنا أن لفظة «كان» تختص الماضي ولا تتمدّاه لم يكن في

(١) من قصيدة عدتها ٥٧ بيتاً ؛ وهي في أمالي اليزبدي ١-٧ ، وأمالي القالي ٣ : ٨-١١ ؛

وأبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٧٠-١٧١ ، والشعراء ٣٩٧ . (٢) البزات : جمع بزّة ؛ وهي السلاح ؛ والنهد من الخيل : الجسيم المشرف . والفارح : الفرس إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة .

(٣) الكوم : جمع كوما ؛ وهي الناقة العظيمة السنام . والطرف : السكريم من الخيل . والسابح :

الفرس الذي يسبح بيديه في سيره .

إدخالها في العلم إلا أنه تعالى عالم فيما مضى من الأحوال ؛ وهو كذلك لامحالة؛ اللهم إلا أن يُدعى أن تعليقها بالماضي يقتضى نفي كونه تعالى عالما في المستقبل ؛ وليس الأمر على ذلك؛ لأن هذا قولٌ بدليل الخطاب ؛ وهو غير صحيح على ما بينا في مواضع من كتبنا؛ لأن تعليق الحكم بصفة أو اسم لا يدل على انتفائه مع انتفاء تلك الصفة أو الاسم، وبيننا أن قوله عليه السلام: «في ساعة^(١) الإبل الزكاة» لا يدل على أن العاملة^(٢) والمعلوفة^(٣) لازكاة فيهما .

وقد يقول القائل: كان زيد عندي بالأمس، وإن كان عنده في الحال؛ وضربت من غلمانى فلانا، وإن كان قد ضرب سواه، فكأنه تعالى، - إذا سلمنا هذا الأصل الذى قد بينا أنه غير صحيح - أراد أن يثبت بهذا القول كونه تعالى عالما، فيما لم يزل؛ ووكلفنا في أنه عز وجل عالم في جميع الأحوال، إلى الأدلة العقلية الدالة على ذلك؛ وإني إخباره تعالى عن كونه عالما في سائر الأوقات بقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ وما شا كل ذلك من الألفاظ الدالة على الحال والاستقبال

(١) الساعة من الإبل : الراعية ؛ يقال : سامت تسوم سوما ، وأسمتها أنا .
(٢) العاملة : التى تعمل فى الحرث والدياسة .
(٣) المعلوفة والمعلوفة من الإبل : الناقة التى تعلق للسمن ولا ترسل للرعى .

تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال رحمه الله : سئلت إماماً تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ يَجْمَعُهُمْ رُكُومًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابِرُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ . يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ ؛
[النور : ٤٣ ، ٤٤ :] .

فَأُجِبَتْ إِلَى ذَلِكَ .

أما قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ فالرأد : ألم تعلم ؛ وإن كان هذا اللفظ مشتركاً بين الإدراك والعلم ؛ وإنما اختص هنا بالعلم دون الإدراك ؛ لأن إضافة إزجاء السحاب وتأليفه وجميع ما ذكر في الآية إلى الله تعالى مما لا يُستفاد بالإدراك ؛ وإنما يُعلم بالأدلة .

فأما قوله تعالى : ﴿ يُزْجِي سَحَابًا ﴾ فمعناه يسوق ؛ ولا بد أن يُلحظ في هذا الموضع ١٠ السَّوْقُ الضمير الرفيق ؛ يقال منه : أَرْجَى يُزْجِي إزجاء ، وَرَجَى يُزْجِي تَرْجِيَةً ، إذا ساق ؛ ومنه إزجاء الكسير^(١) من الإبل إذا سقته سوفاً رفيقا حتى يسير ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ بِيضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ ﴾ ؛ [يوسف : ٨٨] أي مسوقة شيئاً بعد شيء على ضعف وقلة ، قال عدى بن الرقاع :

١٥ تَرْجَى أَعْنَى كَانَتْ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمَ أَصَابَ مِنَ النَّوَاةِ مِدَادَهَا^(٢)
قال الأعشى :

الواهبُ المائةَ الهيجانَ ومبدها عُوذاً تَرْجَى خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا^(٣)

(١) ط : « الكبير » . (٢) الطرائف الأدبية : ٨٨ ؛ والضمير في « تَرْجَى » يعود إلى ظبية ترمى ومعها شادنها وأغن : في صوته غنة ؛ وهو الصوت الرخيم يخرج من الحياشيم . والروق هنا : القرن ؛ وإبرته : طرفه المحدد . (٣) ديوانه : ٢٥ .

أراد بالعمود الحديدية النتاج؛ ومعنى «ترجى» أى تسوق أطفالها وراءها سوقاً رفيقاً؛ لأنها تحين فتتبع أطفالها؛ وقال مالك بن الربى المازنى:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بوادى الغضى أزعجى القلاصَ النَّوَاجِيَا^(١)

والسحاب : جمع سحابة ؛ ولهذا قال : ﴿يُؤَلَّفُ بَيْنَهُ﴾ ، أى بين كل سحابة وأخرى ، ولو كان هاهنا أيضاً اسماً للجنس لجاز ؛ لأنَّ الجنسَ يوصلُ بعضه ببعض ، ويؤلَّفُ بعضه ببعض ؛ وإنما لا يصحَّ ذلك فى العين الواحدة .

فأما الرُّكَّامُ فهو الذى جُمعَ بعضه فوق بعض ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ؛ [الطور : ٤٤] ، وقوله تعالى : ﴿فَيْرَكْمَهُ جَمِيعاً﴾ ؛ [الأنفال : ٣٧] .

فأما الودقُ فهو المطر ؛ يقال ودق يدق ودقاً ؛ وكلُّ ما قطر منه ماءٌ أو رشح فهو وادق ؛ ويقال : استودقتِ الفرسُ والأنانُ إذا حنَّتْ إلى الفحل واستدعت ماءه ؛ ويقال أيضاً : أودقتُ ؛ وأنان ودقيق وودوق ؛ إذا أرادت إنزال الفحل الماء فيها .
وخلالُ الشيء : خروقه وفروجه ؛ وقد قرئ : ﴿مِنْ خَلَلِهِ﴾ بغير ألف .

فأما قوله تعالى : ﴿وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ فإننى وجدت جميع المفسرين على اختلاف عباراتهم يذهبون إلى أنه أراد أن فى السماء جبالاً من بردٍ ؛ وفيهم من قال : ما قدره قدرُ جبال ؛ قال : يُراد به مقدار جبال من كثيرته .

وأبو مسلم بن بحر الأصبهاني خاصة انفرد فى هذا الموضع بتأويل طريف ؛ وهو أن قال : ”الجبالُ ما جبيل الله من بردٍ ، وكلَّ جسم شديد مستعجِر فهو من الجبال ؛ ألم ترى إلى قوله تعالى فى خلق الأمم : ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّابِينَ﴾ ؛ [الشعراء : ١٨٤] والناس يقولون : فلان مجبول على كذا“ .

٢٠ ووجدت أبا بكر محمد بن الحسن بن مِقْسَمِ النحوى يقول فى كتابه المعروف بالأنوار : ”وأما ﴿مِنْ﴾ الأولى ؛ والثانية فى معنى حد التنزيل ؛ ونسبته إلى الموضع الذى نُزِّلَ منه ؛ كما

يقال: جئتكَ بكذا، ومن بلد كذا؛ وأما الثالثة فبمعنى التفسير والتمييز، لأن الجبال تكون أنواعا في مُلك الله تعالى؛ فجاءت ﴿ مِنْ ﴾ لتمييز البرد من غيره؛ وتفسير معنى الجبال التي أنزل منها. وقد يصلح في مثل هذا الموضع من الكلام أن يقال: « من جبال فيها برد » بغير « مِنْ »، يترجم بَرْدٌ عن جبال؛ لأنها مخلوقة مِنْ بَرْد، كما يقال: الحيوان من لحم ودم، والحيوان لحم ودم؛ بـ«من» وبغير « من » .

ووجدت على بن عيسى الرّماني يقول في تفسيره: " إن معنى ﴿ مِنْ ﴾ الأولى ابتداء الغاية؛ لأن السماء ابتداء الإنزال، والثانية لتبعض؛ لأن البرد بعض الجبال التي في السماء، والثالثة لتبيين الجنس؛ لأن جنس الجبال جنس البرد " .

وهذه التفاسير على اختلافها غير شافية ولا كافية؛ وأنا أبين ما فيها من خلل، ثم أذكر ما عندي أنه الصحيح:

أما مَنْ جهل في السماء جبال برد، أو ما مقدارُه مقدارُ الجبال - على اختلاف عباراتهم - فيدخلُ عليه أن يبقى عليه قوله تعالى: ﴿ وَيُنزَلُ ﴾ بغير مفعول؛ ولا ما يتعلق به؛ لأن تقدير الكلام على هذه التفاسير: وينزل من جبال برد في السماء؛ فما الشيء الذي أنزل به! فإتراه مذكورا في الآية؛ والكلام كله خلل منه على هذا التأويل.

فأما أبو مسلم فيلزمه هذا الكلام بعينه، ويلزمه زائدا عليه أنه جعل الجبال اسما للبرد ١٥ نفسه؛ من حيث كان «جبولا مستحجرا» .

وهذا غلط؛ لأن الجبال وإن كانت في الأصل مشتقة من الجبل والجمع فقد صارت اسما لذي هيئة مخصوصة .

ولهذا لا يسمي أحد من أهل اللغة كل جسم ضمَّ بعضه إلى بعض - مع استحجار أو غير استحجار - بأنه جبل، ولا يخصون بهذا اللفظ إلا أجساما مخصوصة .

وليس يمتنع في اللغة هذا؛ لأن اسم الدابة وإن كان مشتقا في الأصل من الديب؛ فقد صار اسما لبعض مادب، ولا يعم كل ما وقع منه الديب .

وليس يعترض على هذه التأويلات التي ذكرناها ما يظنه بعض الناس من أنه لا يجوز أن يكون في السماء جبالٌ برَد، أو ما قدره قدر الجبال من البرد؛ لأن ذلك غير ممتنع ولا مستحيل .

فإن قالوا: كيف لآتهوى تلك الجبال من البرد؟

قلنا: يُعسِكها الله تعالى، ويسكنها كما يُعسِك الأرض والفلك .

وإنما ينسك هذا أصحاب الطبائع، الذين لا يُقرُّون بالخالق جلت عظمتُه، فيذكرون في سبب وقوف الأرض المركز وهو لا يُعقل؛ ولو أثبتوا الصانع جلت عظمتُه نسبوا سكون الأرض إليه، واستغنوا عن تكلف ما لا يُعقل ولا يفهم .

والأولى في تفسير هذا الموضع أن تكون « من » الأولى والثانية لابتداء الغاية، والثالثة زائدة لاحكم لها؛ ويكون تقدير الكلام: وينزل من جبال في السماء برَدًا، فزاد « من » كما يزداد في قولهم: ما في الدار من أحد، وكما أعطيتك من درهم! ومالك عندي من حق؛ وما أشبه ذلك .

وعلامة زيادتها في هذه المواضع أنك إذا أخرجتها أو ألغيتها كان الكلام مستقلاً لا يتغير معناه، وجرى قوله تعالى: ﴿ وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ ١٥ مجرى قول القائل: كم حملت لك من الكوفة من سوقها من ثوب! والمعنى: كم حملت لك من سوق الكوفة ثوبا!

والأولى أن يريد بلفظة ﴿ السماء ﴾ هنا ماعلاً من الغيم وارتفع فصار سماءً لنا؛ لأن سماء البيت وسماوته ما ارتفع منه؛ ولأن السحاب لا يسكن في السماء التي هي الفلك للكواكب؛ وإنما هو تحته، وأراد بالجبال التشبيه، لأن السحاب المترابك المترابك تشبه العربُ بالجبال والجمال؛ وهذا شائع في كلامها، كأنه تعالى قال: وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في تراكمه برَدًا؛ فقد ظهر على هذا التأويل مفعولٌ صحيح لـ ﴿ نُزِّلَ ﴾؛ ولا مفعول لهذا الفعل على التأويلات المتقدمة .

فإن قيل : إذا جاز أن تجعلوا ﴿ مِنْ ﴾ الأخيرة زائدة حتى يكون المنزّل هو البرد،
فألاً جعلتم ﴿ مِنْ ﴾ الثانية هي الزائدة ، ويكون تقدير الكلام : ونزّل من السماء جبلاً
من برد!

قلنا : ليس يشبه البرد في نزوله الجبال على وجه ولا سبب ؛ والسحاب المتراكم يشبه
الجبال، وقد جرت عادة العرب بتشبيهه بها ، فيجب أن تكون الثانية غير زائدة لما ذكرناه،
وتكون الأخيرة زائدة ؛ وإلاً بقيتا بلا مفعول ؛ ولأنه تعالى قال : ﴿ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾ ؛ وهذه كناية عن البرد لا الجبال ؛ لأنه لو كنّا عنها لقال : فيصيب
بها ؛ ولأن الجبال على التأويلات التي حكيناها كلّها منزلٌ منها، لا منزلة .

فإن قيل : ألا كان المفعول محذوفاً مقدّراً ؛ وكأنه قال : ونزّل من جبال برد في السماء

١٠

بردا ؛ والكلام يقتضيه ؟

قلنا : إنما تقدّر مفعولاً محذوفاً في الموضع الذي لا نجد فيه مفعولاً ظاهراً ، وقد بينّا أنّ
في الآية مفعولاً ظاهراً ، فيجب صرف الكلام إليه . على أنه لا بدّ من مفعول ؛ إما ظاهراً
وهو الذي أشرنا إليه ، أو محذوفاً على ما تضمّنه السؤال ؛ لاسيّما وفي الكلام كناية عنه
في قوله : ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾ ، وما رأينا أحداً من المفسّرين لهذه
الآية - على اختلافهم وذكر أكثرهم كلّ ما تقتضيه وجوه الإعراب في آيات القرآن - تعرّض
لذكر المفعول ، ولا قال : إنه ظاهر ولا مقدّر محذوف يدلّ الكلام عليه . وهذا على كل
حال تفسير ظاهر .

فأما قوله تعالى : ﴿ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾ فالمراد به : فيصيب
بضرره مَنْ يَشَاءُ ، ويصرف ضرره عَمَّنْ يَشَاءُ ؛ فإنّ العادة جارية بأنّ البرد يصيب أرضاً

٢٠

ويهدى ما يجاورها ويلاصقها .

فأما قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ فسنا البرق ضوؤه ، وهو مقصور ، وسناء المجد والشرف ممدود ، والهاء في ﴿ بَرْقِهِ ﴾ راجعة إلى البرد أو السحاب ؛ فقد جرى ذكر كل واحد منهما ؛ ويجوز إضافة البرق إليهما .

فأما قوله : ﴿ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ وقد قرئ ﴿ يَذْهَبُ ﴾ بضم الياء ؛ فالمراد به أن البرق من شدة ضوئه يكاد يذهب بالعيون ؛ لأنَّ النظر إلى ماله شعاع شديد يضر بالعين ؛ كعين الشمس وما أشبهها ؛ والقراءة بفتح الهاء أجود مع دخول الياء ؛ تقول العرب : ذهبت بالشيء ؛ فإذا أدخلوا الألف أسقطوا الياء فقالوا : أذهبت الشيء ؛ بغير ياء .

فأما قوله : ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ فإنما أراد أنه يأتي بكل واحد منهما بدلاً من صاحبه ، ومعاقباً له ؛ لما في ذلك من المصلحة والمنفعة .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ فإنما أراد بالمعبرة العظة والاعتبار ، وروى عن الحسن أنه قال : إنما أراد ذوى أبصار القلوب لا العيون ؛ لأنَّ العين لا تضاف إليها المعبرة والعظة .

وقال الكلبي : لأولى الأبصار في الدين . ورد قوم على الكلبي بأن قالوا : لو أراد ذلك لقال : لأولى البصائر ، لأنَّ الدين يقال : فيه بصيرة لا بصر .

والأولى أن يكون المراد بالأبصار هاهنا العيون ، لأن بالعيون ترى هذه المعجائب التي

عددها الله تعالى ، ثم يكون الاعتبار والعظة في القلب بها ، ويكون من لاموعظة له ولا اعتبار كأنه لا بصر له ؛ من حيث لم ينتفع ببصره ، فجعل أولى الأبصار هم أولى الاعتبار من حيث انتفع أولو الاعتبار بأبصارهم ، وإن لم ينتفع بها من الاعتبار عنده ؛ وهذا كثير في القرآن ؛ فإنه تعالى جعل الكفار في مواضع كثيرة صماً وبكماً وعمياً ؛ من حيث أشبهوا

بأعراضهم عن الفكر والتأمل والاعتبار من لاجوارح له . وهذا بين لمن تأمله .

مَسْأَلَةٌ

اعلم أن من عادة العرب الإيجاز والاختصار والحذف طلباً لتقصير الكلام وإطراح فضوله ، والاستغناء بقليله عن كثيره ؛ ويُعدّون ذلك فصاحةً وبلاغة . وفي القرآن ؛ من هذه الحذوف ، والاستغناء بالقليل من الكلام عن الكثير مواضع كثيرة نزلت من الحُسْنِ في أعلى منازلها ؛ ولو أفردنا لما في القرآن من الحذوف الغريبة ، والاختصارات العجيبة كتاباً لكان واجباً .

- فمن ظاهر ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَن قُرْآنًا سِيرَتُ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ ﴾ [الرعد : ٣١] ولم يأت له ﴿ لَوْ ﴾ جوابٌ في صريح الكتاب ؛ وإنما أراد : لو أن قرآنًا سيرت به الجبال لكان هذا . ومثل هذا الحذف ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله : « لو كتبت هذا القرآن في إهابٍ وطُرحَ في النار ما أحرقتُه النار » ؛ والمراد : وكانت النار مما لا يحرق جسمًا لجلالة قدره ما أحرقتُه ؛ فحذف ذلك اختصاراً للدلالة ١٠ الكلام عليه ، ومثل هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحراب : ٧٢] وتقديره : إذ السموات والأرض والجبال لو كنَّ مما يأتي ويشفق ، وعرضنا عليهنَّ الأمانة لأبين وأشفقن . وجعل المعلوم بمنزلة الواقع فقال : ﴿ عَرَضْنَا ﴾ من حيث علم أن ذلك المشروط لو وقع شرطه لحصل هو .

١٥

وهذا التأويل الذي استخرجناه أولى مما ذكره المفسرون من أنه تعالى أراد : عرضنا الأمانة على أهل السموات والأرض ؛ لأن أهل السموات والأرض هم الناس والملائكة ، فأى معنى لقوله ﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ وهو يريد الجنس ! ومثله قول الشاعر :

* امتلأ الحوض وتل قطنى ^(١) *

(١) بعده :

* حسبي رويداً قد ملأت بطنى *

والمعنى امتلاً حتى لو كان ممن يقول لقال ذلك، وهذا أولى في نفسى من تفسيرهم هذا البيت بأنه ظهرت منه أمارات القول والنطق .

وهذا الذى أشرنا إليه هو معنى كلِّ ماجرى مجرى هذا البيت ؛ من قول الشاعر (١) :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَاذِ حِينَ رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ لِلرَّحْمَنِ حِينَ رَأَى (٢)

فقلت له : أين الذين عهدتُهُمُ بجنبك في خفض وطيب زمان !

فقال : مضوا ، واستودعوني بلادهم ومَنْ ذا الذى يبقى على الحدائِثان ! (٣)

ومن المحذوف أيضا قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّئِمُ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر : ٢٣] ؛ ولم يأت لإذا جواب في طول

الكلام ، وإنما حَسُنَ حذف الجواب الذى هو : « فدخلوها » لورود ما يقوم مقامه ؛ وبدل عليه

١٠ من قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ ﴾ [الزمر : ٧٤] . وذلك لا يكون

إلا بعد الدخول ؛ ومثل ذلك قول امرئ القيس :

فلو أنها نفسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا (٤)

فحذف جواب ، « لو » والجواب هو : « لكان ذلك أرواح لها وأخفَّ عليها » ؛ ومثله قول

الهدلى (٥) .

١٥ حتى إذا أسلكوهم في قُتائِدَةٍ شللاً كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةَ الشُّرُداً (٦)

ومثل هذا كله في الحذف : إنما أتمنى كذا لو أعطيتَه ؛ وظاهر هذا الكلام كأنه مشروط

وكأنه قال : إننى أتمناه إذا أعطيتَه ؛ والأمر بالضد من ذلك ؛ والمعنى : لو أعطيتَه لبلغت منأى ،

ولنفهمنى ؛ وما أشبه ذلك المعنى .

(١) هو الجنون . الأغاني ١ : ١٧٩ . (٢) التوباذ : جبل في نجد ؛ والأبيات أيضا في معجم البلدان

(٢ : ٤٢٢) من غير عزو . (٣) بعدها في معجم البلدان والأغاني :

وَإِنِّي لِأَبْكِي اليَوْمَ مِنْ حَذْرِي غَدًا فراقك والحيان مختلفان

(٤) ديوانه : ١٤٢ ؛ وقوله : « تساقط ، أى يموت بموتها بمر كثير .

(٥) هو عبد مناف بن ربيع الهدلى ؛ ديوان الهدلين ٢ : ٤٢ .

(٦) قنائة : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال . وانظر الجزء الأول ص ٣ .

والشعر القديم والمحدث مملوء من ذلك ، قال البحتري :

ولو شئت يوم الجزع بلى غليله محبُّ بوصول منك لو ينفع الوصل^(١)

وإنما أراد : لو ينفع الوصل لنفعي وبلغني منيتي ؛ وما أشبه ذلك ؛ ومثله قوله :

وتعجبت من لوعتي فتبسمت عن واضحات لو لثمن عذاب

وأنت إذا تأملت ضروب المجازات التي يتصرف فيها أهل اللسان في منظومهم ومنثورهم ٥

وجدتها كلها مبنية على الحذف والاختصار ؛ ولأن قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ؛ [الفجر : ٢٢] ؛

﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ ؛ [يوسف : ٨٢] مما الحذف فيه ظاهر .

وإنما كان الكلام أبلغ وأفصح ؛ لأن كلامه قُلبَ بحذف بعضه ومعانيه بحالها ؛ وكذلك

قولهم في المدح : فلان البدر ، والبحر ، والليث ؛ وفي الذم : هو الحمار ، والحائط ؛ إنما هو

مبنى على الحذف ، لأن المراد هو مشبهه ومماثل لما ذكر ؛ فأسقط من الكلام ما يقتضى ١٠
التشبيه ؛ لدلالة القول عليه .

فإن قيل : فإذا كانت الفصاحة هي الاختصار ، فكيف قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾

[الشورى : ١٦] ؛ فزاد الكاف ؛ ولا معنى لها إلا الفصاحة ؛ فقد صارت الفصاحة بالزيادة

كما كانت بالنقصان !

قلنا : دخول الكاف ها هنا ليست على سبيل الزيادة التي لو طرحت لما تغير المعنى ؛ بل تفيد ١٥

بدخولها ما لا يستفاد مع خروجهما ؛ لأنه إذا قال : « ليس مثله شيء » جاز أن يراد من بعض

الوجوه ، وعلى بعض الأحوال ؛ فإذا دخلت الكاف فهم نفى المثل على كل وجه ؛ ألا ترى

أنه لا يحسن أن يقال : ليس كمثل أحد في كذا بل على الإطلاق والعموم .

وبمثل هذا الجواب نجيب من يسأل عن قولهم : ما إن في الدار زيد ؛ لأنه لو قال :

ما في الدار زيد لجاز أن يكون نفيه لكونه فيها على وجه دون وجه ؛ فإذا قال : « ما إن » ٢٠

فهم نفى كونه على كل حال ؛ وهذا يدل على أنها مفيدة غير زائدة .

ومن قال : إنها دخلت للتوكيد يجب أن يكون مراده ما قصدناه وشرحناه ؛ لأن التوكيد متى لم يكن تحته فائدة كان دخوله عبثا .

وهذا الكلام الذي بسطناه في تأمله فوائد كثيرة ؛ وكان السبب فيه أن بعض من قرأ عليه كلامه حكايته في وصف كتابين : « ووجدت فيهما من التغلغل والتوصل إلى مكان الارتجاف ، ومغابن الإسماعف ، لا تطرق فجاجها ، ولا يفتح رتاجها ، ولا يُمرّ بشعابها ، ولا يُلم بأبوابها... » ؛ وأطال الكلام ، ولم يأت بما يرجع إلى قوله : « من التغلغل »^(١) .

وهذا من الحذف الذي حسنه طول الكلام ، ودلالة ما فيه على المحذوف ؛ لأن التقدير : ووجدت فيه من التغلغل الكثير ؛ فاستغنى عن ذكره بالمفهوم من الكلام ؛ كما استغنى بالحذف التي ذكرناها في القرآن والشعر بما في معنى الكلام ، وعُد ذلك فصاحة وبلاغة . وكم بين ١٠ أن يفهم المعنى ويُلحظ من غير لفظ صريح ، وبين أن يأتي فيه لفظ مصرح في البلاغة والفصاحة !

وقد كنت أملت قديماً مسألة أوضحت فيها أن التأكيد لا بد فيه من فائدة ، وخطأت من ذهب إلى خلاف ذلك ، وبيّنت أن كل موضع ادّعى فيه أنه للتأكيد من غير فائدة مجددة فيه فائدة مفهومة ؛ وأن قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴾ ؛ [الفرقان : ٧١] ١٥ ماورد هذا المصدر للتأكيد على ما يقوله قوم ؛ بل لفائدة مجددة ؛ لأنه تعالى أراد متاباً جيلاً مقبولاً وإعماً في مرقمه ، فحذف ذلك اختصاراً ؛ كما يقول العربي الفصيح في الشعر المستحسن : هذا هو الشعر ، والفرس المدوح : هذا هو الفرس ؛ وإنما حذف الصفة اختصاراً ؛ والمراد هذا هو الشعر المستحسن ، والفرس الكريم ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ؛ [النساء : ١٦٤] إنه أراد الفضل والمدح . وقال قوم : بل سمع كلامه من غير ٢٠ واسطة ؛ ولا متحمل له .

(١) بعد هذه الكلمة في ف إشارة إلحاق ، كتب إلى جانبها كلمة « تبلد » ، مقرونة برفد

« صح » ؛ وليس هنا ما يقتضى إثباتها .

فأما قول القائل : ضربته ضرباً ، وما أشبه ذلك مِنْ ذكر المصادر مع الأفعال وفي ذكر الأفعال من غير ذكر المصادر لدلالاتها عليها فله وجهان : أحدهما أن يكون نَفَى صفة الضرب اختصاراً ؛ وأراد ضرباً شديداً مُبَرَّحاً ، فحذف ؛ أو يكون أراد أنه باشر الضرب وتولاه ؛ لأنه أمر به ؛ فقد يقال : ضربه إذا أمر بضربه ؛ ولا يكادون يقولون : ضربه ضرباً إذا أمر بضربه ، ولم يباشره .

فأما قول العرب : « لأمرٍ ما جَدَعَ قَصِيرَ أَنْفِهِ » ، وقولهم : « لأمرٍ ما يَسُودُ مَنْ يَسُودُ » ، وادعاء مَنْ ادَّعى أن « ما » هنا زائدة لا معنى تحتها وإنما دخلت للتأكيد ؛ فالأولى غير ما ذكره ؛ ومعنى قولهم : لأمرٍ ما كان كذا أنه لأمرٍ لستُ به عارفاً ؛ لأنهم لا يكادون يقولون : لأمرٍ ما كان كذا وكذا وأنا به عارف ؛ وإن جاز أن يقولوا : لأمرٍ ما كان كذا وأنا به عارف ؛ وإنما قالت الزبء : « لأمرٍ ما جَدَعَ قَصِيرَ أَنْفِهِ » ؛ لأنها كانت جاهلة بسبب قطع أنفه ، وغير عالمة به ؛ وهذا يُبطل قول مَنْ جعلها زائدة بغير فائدة .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٥٩] وتقديرُ قوم أن « ما » هاهنا زائدة فليس الأمر على ما ظنَّوه ؛ لأن مِنْ شأنهم ألا يُدخلوا « ما » هاهنا إلا إذا أرادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم : ﴿ فَبِرَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾ ؛ لأنَّ مع إسقاط « ما » يجوز أن تكون الرحمة سبباً للين وغيرها رقة ، ولا يكادون يُدخلونها معها مع « ما » إلا والمراد أنها سببه دون غيرها ، فقد أفادت اختصاصاً لم يُستفدَ قبل دخولها .

فأما قولهم : « ما إن في الدار زيد » ، فيشبهه أن يكون دخولها لفائدة تزيد على قولهم : « ما في الدار زيد » ؛ لأنهم إذا قالوا : « ما في الدار زيد » جاز أن يريدوا أنه لا تصرف له في الدار ولا تأثير لكونه فيها ؛ فكأنه ليس حالاً فيها ؛ لأنهم أبداً يقولون : ما في هذه البلدة أميرٌ ؛ ولا لهذا الناس مدبرٌ ؛ يريدون السياسة والتدبير . فإذا قالوا : « ما إن في الدار زيد » ، أو « ما إن للبلد أميرٌ » فلا بد أن يريدوا : أنه ليس فيها على الحقيقة مَنْ ذكروه ؛ وهذا هو معنى قول أهل العربية : إن ذلك للتأكيد ؛ ومعنى التأكيد هو الذي أشرنا إليه ؛ لأن التأكيد لا يجوز أن يكون لغير فائدة ، وأن يكون دخوله نكروجه .

فليُقَسَّ على ما ذكرناه أمثاله ، وليُتَطَلَّبَ لكل شيء ادَّعى أنه لمَحْضُ التَّأْكِيدِ فائدة قلَّتْ أو كثرت ؛ فإنها توجد ؛ وليس جهلُ الطالب لها بها يقتضى فقدَها ؛ فإن الأدلَّةَ الواضحةَ قد دلَّتْ على أنَّ العربَ مع حكمتهم لا يتكلمون بما لا يفيد ؛ وأنَّ الكلامَ الذي ما وضع في الأصل إلا لفائدة قليلة في وجوب الفائدة ككثيره ؛ وربما ظهرت هذه الفائدة لكل متدبِّرٍ ، وربما خفيت .

وأصولُ أهلِ العربية مملوءة من هذا ؛ فإنَّهم يتمخَّلون ويتطلَّبون العواملَ التي لا تظهر في تمام الكلام ؛ ويُقدِّرون فيها التقديرات البعيدة حراسةً للأصول ، ونُصرةً لما دلَّ عليه الدليل . ومن تصفَّحَ تمخَّلهم للعامل في الحال إذا عَرِيَ الكلامُ كلُّه من تصريحٍ به ، وتغلغلهم إلى ضعيفٍ وقويٍّ وبعيدٍ وقريبٍ عَلمَ أنَّ الذي سلَّكناه في تخريجِ فوائدِ الحروفِ الزائدة الداخلة على الكلام ، وظن قوم أنها للتأْكِيدِ من غير فائدة زائدةٍ ، طريقٌ صحيحٌ لا اعتراض عليه .



مَسْأَلَةٌ

جرى بالحضرة السامية الوزيرية العالمية العادلةية^(١) المنصورة - أدام الله سلطانها ، وأعلى أبدأ شأنها ومكانها - في بعض الكلام ماروى عن النبي عليه السلام من قوله : « نية المؤمن خيرٌ من عمله » .

فقلت : على هذا الخبر سؤال قوى ؛ وهو أن يقال : إذا كان الفعلُ إنمّا يُوصفُ بأنه خيرٌ من غيره إذا كان ثوابه أكثرَ من ثوابه ؛ فكيف يجوز أن تكون النية خيرا من العمل ؟ ومعلوم أن النيةَ أخفضُ ثوابا من العمل ؛ وأنه لا يجوز إن يلحقُ ثوابُ النيةِ بثواب العمل ؛ ولهذا قال أبو هاشم : إن العزم لا بد أن يكون دينَ المعزوم عليه في ثواب وعقاب ؛ وردَّ على أبي عليّ قوله : « إنَّ العزم على الكفر لا بدَّ أن يكون كفرا ؛ والعزم على الكبير يجب أن يكون كبيرا » بأن قاله : لا يجب أن يساوى العزمُ المعزومَ عليه في ثواب ولا عقاب ؛ فإن كان ما هنا دليلٌ سمعىّ يدلُّ على أن العزمَ على الكفر كفر ، والعزمَ على الكبير كبير ١٠ صرنا إليه ؛ إلا أنه لا بد مع ذلك من أن يكون عقابُ العزم دينَ عقاب المعزوم عليه ؛ وإن اجتمعا في الكفر والكبير .

ووقع بالحضرة السامية العادلة المنصورة - أدام الله سلطانها - من التقدير لذلك والخوض فيه كلُّ دقيق^(٢) غريب مستفاد ؛ وهذه عادتُها - حرس الله نعمتها - في كل فن من فنون العلم والأدب ؛ لأنها تنتهى من التحقيق والتدقيق إلى غاية من لا يُحسن إلا ذلك الفن ؛ ولا ١٥ يُعرف إلا بذلك النوع .

وقال بعضُ مَنْ حضر : قد قيل في تأويل هذا الخبر وجهان حسنان ، فقلت له : اذكرهما ؛ فر بما كان الذى عندى فيه مما استخرجته أحدهما ، فقال :

يجوز أن يكون المعنى أن نية المؤمن خير من عمله العارى من نية . فقلت : لفظ

(١) ط ، حاشية ف (من نسخة) : « العادلة » .

(٢) حاشية الأمل (من نسخة) : « كل دفين » .

« أفعال » لا يدخل إلا بين شيئين قد اشتركا في الصفة ، وزاد أحدهما فيها على الآخر ؛ ولهذا لا يقول أحد : إن العمل أحلى من الخلق ؛ ولا إن النبي عليه السلام أفضل من إبليس ؛ والعمل إذا عَرِيَ مِنْ نِيَّةٍ لآخر فيه ، ولا ثواب عليه ؛ فكيف تُفَضَّلُ النيةُ الجميلةُ عليه ؛ وفيها خيرٌ وثوابٌ على كل حال .

٥ قال : والوجه الآخر أن تكون نية المؤمن في الجميل خيرٌ من عمله الذي هو معصيته .

فقلت : وهذا يبطل أيضا بما بطل به الوجه الأول ، لأن المعصية لا خيرَ فيها فيفضلُ غيرها عليها فيه .

وقالت الحضرة السامية المادلة المنصورة - أدام الله دولتها - تحقيقا لذلك وتصديقا : هذا هَجْوٌ لنية المؤمن ، والكلام موضوع على مدحها وإطرائها ، وأى فضل في أن تكون خيرا ١٠ من المعاصي ، وإنما الفضل أن تكون خيرا مما فيه خير !

فسئلت حينئذ ذكرَ الوجه الذي عندي فقلت : لا تحمل لفظة « خير » في الخبر على معنى « أفعال » الذي هو للتفضيل والترجيح وقد سقطت الشبهة ، ويكون معنى الكلام : إن نية المؤمن من جملة الخير من أعماله ؛ حتى لا يقدر مقدر أن النية لا يدخلها الخير والشر ؛ كما يدخل ذلك في الأعمال . فاستحسن هذا الوجه الذي لا يُجَوِّج إلى التعسّف والتكفّ ١٥ اللذين يُحتاج إليهما إذا جعلنا لفظة « خير » معناها معنى « أفعال » ؛ وانقطع الكلام لدخول الوقت السعيد المختار لدخول البلد ونهوض الحضرة السامية - أدام الله سلطانها - للركوب .

وكان في نفسي أن أذكر شواهد لهذا الوجه ولو اُحِقَّ يقتضيهما الكلام ، وخطر بعمد ذلك بيالي وجهان ساليان من الطمن إذا حملنا لفظة الخير في الخبر على الترجيح والتفضيل ؛ ٢٠ وأنا أذكر ذلك :

أمّا شاهد ما استخرجته من التأويل من حمل لفظة « خير » على غير معنى التفضيل والترجيح فكثير ؛ وقد ذكرت في كتابي المعروف « بالغرر » عند كلامي في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢] من الكلام على هذا الوجه ما استوفيته^(١)، وذكرت قول المتنبي:

ابْعَدْ بَعْدَتْ بِيَاضًا لَا بِيَاضَ لَهُ لِأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلْمِ^(٢)

وأن الألوان لا يتمجب منها بلفظ « أفعل » الموضوع للمبالغة، وكذلك الخلق كلها؛

وإنما يقال: ما أشد سواده! وأن معنى البيت ما ذكره أبو الفتح عثمان بن جني من أنه أراد: ٥

أَنَّكَ أَسْوَدُ مِنْ جَمَلَةِ الظُّلْمِ؛ كما يقال: حُرٌّ مِنْ أَحْرَارًا، ولثيم من لثام؛ فيكون الكلام

قد تم عند قوله: « لِأَنْتَ أَسْوَدُ ». ولو أراد المبالغة لما كان تامًا إلا عند صلة الكلام

بقوله: « مِنَ الظُّلْمِ »؛ واستشهد ابن جني أيضا على صحة هذا التأويل بقول الشاعر:

وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَاكِرُهُ^(٣)

١٠ كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَبْيَضَ كَأَمِنْ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ.

وقلت أنا: قول الشاعر:

يَا لَيْتَنِي مِثْلَكَ فِي الْبِيَاضِ^(٤) أَبْيَضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ

يمكن حمله على ما حملناه عليه بيت المتنبي؛ كأنه قال: أبيض من جملة أخت بني إياض

ومن عشيرتها وقومها، ولم يُرد المبالغة والتفضيل؛ وهو أحسن من قول أبي العباس البرد

لما أنشد هذا البيت وضاق ذرعًا بتأويله على ما يطابق الأصول الصحيحة أن ذلك محمول ١٥

على الشذوذ والندران.

فإن قيل: كيف تكون نية المؤمن من جملة أعماله على هذا التأويل، والنية لانسمى عملا

في العرف، وإنما تسمى بالأعمال أفعال الجوارح؛ ولهذا لا يقولون: عملت بقلبي، كما يقولون: عملت

بيدي، ولا يصفون أعمال الله تعالى بأنها أعمال؟

٢٠ قلنا: ليس يمتنع أن تسمى أعمال القلوب بأنها أعمال، وإن قل استعمال ذلك فيها، ألا ترى

(١) المجلس السابع؛ الجزء الأول: ٨٧-٩٤. (٢) ديوانه ٤: ٣٥.

(٣) البيتان ١: ٣٥ من غير عزو. (٤) البيتان في اللسان (بيض).

أنهم لا يكادون يقولون: فعلت بقلبي؛ كما يقولون: فعلت بجوارحي؛ وإن كانت أفعال القلوب تستحق التسمية بالفعل حقيقة بلاخلاف؛ ولكن لا تسمى أفعال الله تعالى بأنها أعمال؛ لأن هذه اللفظة تختصّ بالفعل الواقع عن قدرة، والقديم تعالى قادر لنفسه؛ كما لا نصِّفه تعالى بأنه مكتسب لاختصاص هذه اللفظة بمن فعل لجرّ نفع، أو دفع ضرر.

٥ ولو سلّمنا أن اسم العمل يختص بأفعال الجوارح جاز أن يُطلق ذلك على النية مجازاً واستعارة؛ فباب التجوُّز أوسع من ذلك.

وأما الوجهان اللذان خطرا بيالي إذا قدرنا أن لفظ «خير» في الخبر محمولة على الفاضلة؛ فأحدها أن يكون المراد: نية المؤمن مع عمله خير من عمله العارى من نية؛ وهذا مما لا شبهة أنه كذلك.

١٠ والوجه الثانى أن يريد: نية المؤمن لبعض أعماله قد تكون خيراً من عملٍ آخر له لا تتناول هذه النية؛ وهذا صحيح لأن النية لا تجوز أن تكون خيراً من عملها نفسها. وغير منكر أن تكون نية بعض الأعمال الشاقة العظيمة الثواب أفضل من عمل آخر ثوابه دون ثوابها؛ حتى لا يظنّ ظان أن ثواب النية لا تجوز أن يساوى أو يزيد على ثواب بعض الأعمال.

١٥ وهذان الوجهان فيهما على كل حال ترك لظاهر الخبر لإدخال زيادة ليست في الظاهر؛ والتأويل الأول إذا حملنا لفظ «خير» على خلاف المبالغة والتفضيل مطابق للظاهر؛ وغير مخالف له؛ وفي هذا كفاية بمشيئة الله.

مَسْأَلَةٌ

سأل بعض الإخوان وقد خطر بباله عند قراءة شيء من أخبار الأئمة وأدعية السادة عليهم السلام من ذكر اسم الله تعالى الأعظم، وما خصّ به من الفضيلة دون سائر أسماء الله تعالى، وما أعطى من دعا به من سرعة الإجابة؛ مثل آصف بن برخيا وصي سليمان عليه السلام ومجيئه بعرش بلقيس من سبأ اليمن إلى بيت المقدس في أقل من طرفة العين؛ وما نقله الأنبياء والأئمة والصالحون من المعجزات، وعن قول الأئمة عليهم السلام في أدعيتهم: «اللهم إني أسألك باسمك الأعظم»، وفيهم من قال: «الأعظم الأعظم» متى زاد على ذلك، ومنهم من قال: «الأكبر الأكبر». قال: فهل ترى أن «الأعظم» غير «الأكبر»، أو «الأعظم الأعظم» غير «الأعظم» مرة واحدة؟ قال: وإذا قلنا «أعظم» فيجب أن يكون ثم «الطف»، وإذا قلنا «أكبر» يجب أن يكون ثم «أصغر»؛ والله تعالى من أن يكون له اسم الطف من اسم أو أصغر، إذ كانت أسماءه تعالى لا تذكر إلا على معنى واحد؛ ولا يشار بها إلا إليه؛ وقد نطق القرآن بتساويها في المنزلة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد خير الله تعالى نبيه عليه السلام في أن يدعوه بأيها شاء؛ وذكر أنها كلها حسنى، فلم خصّ الأئمة عليهم السلام أحدها بالتعظيم دون سائرهما، والمقصود بها والمراد منها واحد تبارك وتعالى!

١٥

فإن قيل له: لأن فيه ما يشاركه فيه المخلوقون: مثل كريم وعالم وحاكم وغير ذلك؛ فلماذا كانت رتبة بعضها في التعظيم أقل من بعض.

قال: والجواب عن ذلك أنه قد بقي منها عدة أسماء لا يشاركه فيها أحد من المخلوقين، ولا يستحقها سواه مثل الله وإله وسبوح وقدّوس وما أشبه ذلك؛ مما لا يوصف بها غيره، ولا تليق إلا به عز وجل، فلم اختص الاسم الأعظم بأحد هذه دون الأجرام؛ أم هل الاسم الأعظم أو الأكبر شيء غير هذه الأسماء المتعارفة بين العوام^(١)!

(١) حاشيتي ف، ط: «في هذا الكلام بعض التخليط كأنه ليس من تحرير السيد رحمه الله».

مَسْأَلَةٌ

وسأل غير الأول من الإخوان عن قوله تعالى في سورة يس : ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ
آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ ؛ [يس : ٦] .

قال :

إذا كانت آباؤهم لم يُنذَرُوا فبأي شيء يُحتج عليهم! وكيف يعاقبهم على عبادة الأصنام
٥ وقد قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ؛ [الإسراء : ١٥]! وكيف يصح
أن تخلو أمة من الأمم من نذير ، مع قوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾
[فاطر : ٢٤] ؛ وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ ؛ [الشعراء : ٢٠٨]
وقد عُلمَ أَنَّهُمْ كانوا أمما لا يُحصيها كثرة غيره تعالى ، وقرى كثيرة ؛ فكيف هذا
وأى شيء المراد به ومعلوم أن كلامه تعالى لا يتناقض !

١٠ قال : فإن قال : إن « ما » التي في الأمة المتقدمة ليست للنفي بل هي للإثبات ، والمعنى
فيها : مثل ما أنذر آباؤهم ، أو بمعنى الذي أنذر آباؤهم ، أو زائدة ؛ لأن الكلام يتم من دونها ؛
لتنذر قوما أنذر آباؤهم .

قال : والجواب عن ذلك أن هذا تأويل يُفسد ، من قبيل أن المعلوم الذي لاشك فيه
ولا إشكال أن الله تعالى لم يبعث نبياً بعد عيسى عليه السلام إلا البعوث على فترة من الرسل
١٥ صلى الله عليه ؛ لأجل ذلك وصفهم بالغفلة لَمَّا لم يُنذَرِ آباؤهم ؛ فثبت بهذا أن « ما » التي
في الآية المتقدمة للنفي دون الإثبات ، وأن الأخذ بالمعوم أولى من المظنون .

قال : فإن قيل إن عيسى عليه السلام قد كان بُعث إليهم ، وشاعت شريعته فيهم
وانتشرت كلمته ، وسار الحواريون بدعوته شرقا وغربا ، سهلا وجبلا .

قال : فالجواب عن ذلك إذا سلمنا أن عيسى عليه السلام بُعث إليهم فإن الفترة إنما كانت
٢٠ بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله ، وأب الحواريين لم يمكثوا بعده إلا قليلا ، وأن الآباء
المدكورين بأنهم لم يُنذَرُوا هم الأذنون دون الأبعدين .

ولقائل أن يقول: إن عيسى عليه السلام لم يُبعث إلا إلى بني إسرائيل خاصةً دون العرب؛ وبذلك نطق القرآن. وله أن يقول: إن الآباء الأبعدين والأدنين في الآية سواء. والذي يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ قَتَرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ...﴾؛ [المائدة: ١٩]؛ الآية^(١) إلى آخرها، وقد صحَّ بالجملة والتفصيل أن الآباء لم يُنذروا، وأن «ما» للنفي في موضعها من الآية دون الإثبات؛ فكيف القول في الحججة عليهم؟ ولا يحتاج محتج ٥ بأن العقل هو الحججة عليهم دون الإنذار والرسول؛ لأن العقل حججة على من أنذر وعلى من لم ينذر؛ وعليه معول الفلاسفة في الاستثناء عن الرسل والأنبياء عليهم السلام.

الجواب عن المسألة الأولى^(٢): أن يكون اسمُ الله تعالى الأعظم خارجاً عن هذه الأسماء والصفات التي في أيدي الناس يناجون الله تعالى بها، ويدعونه ويسألونه؛ لأن ذلك الاسم لو كان من جملتها - وقد أجمعوا على أن الله تعالى لم يُسأل به شيئاً إلا أعطاه - لكان يجب ١٠ في كل داعٍ بهذه الأسماء والصفات إذا كان الاسم من جملتها أن تجاب دعوته، وتنجح مسأله، وقد علمنا خلاف ذلك، وأن أكثر الداعين بهذه الأسماء المسطورة غير مجابين؛ فعلمنا أن «الأعظم» ليس من جملتها.

فإذا قيل لنا: فلم خصَّ الله تعالى بهذا الاسم قوماً دون قوم، ولم يُجره مجرى سائر أسمائه؟ فالجواب أنه تابعٌ للمصلحة، وإذا كان المعلوم أن كلَّ سائلٍ بذلك الاسم مجاب لا محالة، ١٥ فمن علم أن في إجابته مفسدة لا يجوز أن يمكن من ذلك الاسم.

فإذا قيل: فينبغي لمن يسأله تعالى، وقال: بحق اسمك الأعظم، أعطني كذا أن يُجاب لا محالة؛ وقد علمنا خلاف ذلك؟ فالجواب أنه غير ممتنع أن تكون الإجابة إنما تكون واجبةً عند التصريح والتلفظ بهذا الاسم دون الكناية عنه.

(١) بقية الآية: ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢) انظر ص ٣١٩ من هذا الجزء.

فأما تسميته بأنه أعظم ، وأن ذلك يقتضى أن يكون من أسمائه ما ليس بأعظم ؛ فالجواب عنه من وجهين :

أحدهما أن تكون لفظة « أفعل » هنا راجمةً إلى باقى أسمائه ؛ والوجه الآخر أن ترجع إلى أسماء وصفات غيره .

٥ وبيان الوجه الأول أن معنى « أعظم » هو اختصاصه بفضيلة أن الدعاء به مجاب ، وهذه المزية ليست فى باقى الأسماء ؛ فكأنه أعظم منها لاختصاصه برتبة عالية ليست لباقيها . وأما الوجه الثانى فيكون المعنى أنه أعظم بالإضافة إلى أسمائكم وصفاتكم ؛ لأنه ليس لشيء من صفاتنا هذه المزية ؛ ولم تجعل هذه المزية لأجل فمقد المشاركة فى المعنى ؛ فيلزم عليه إلهٌ وقديم ورحمن ؛ على ما مضى فى السؤال ؛ بل لأن الله تعالى خصَّ هذا الاسم بهذه المزية لئلا علم من المصلحة .

١٠ فأما إلزامنا أن يكون فى أسمائه تعالى ما هو أصغرُ فلا يلزم على الجواب الثانى ؛ فإذا الزمنا ذلك على الجواب الأول قلنا : إذا كان قولنا « أعظم » بالإضافة إلى أسمائه تعالى معناه أن له هذه المزية والرتبة ، فلا محالة أنه يجب فيما ليس له هذه المزية من أسمائه ألا يكون الأعظم . ولا يجوز أن نقول : أصغر وأحققر وما يجرى مجرى ذلك ؛ لأنه يؤهم المهانة ؛ وما لا تجوز فى شيء من أسمائه .

٢٠ وأما قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ فأما سَمَّها كلها الحسنى ؛ وليس يمنع أن يكون فيما هو حسن تفاضل وتزايد ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا ﴾ معناه التخيير لنا بين أن ندعوه بأى الاسمين شدنا ؛ وما يعضى فى ألفاظ الدعاء من أنى أسألك باسمك الأكبر تارة ؛ وأخرى بالأعظم ، والأشبه أن يراد باللفظتين معنى واحد .

وأما تكرير لفظ « الأعظم » فهو على سبيل التأكيد والتفخيم ؛ لا لأن « الأعظم » مرة واحدة غير « الأعظم » مرتين ، وبالله التوفيق .

والجواب عن المسألة الثانية^(١) أنه غير ممتنع عندنا أن يخلو الزمان الطويل والقصير من رسول مبعوث بشريعة ؛ وإن كان لا يخلو من إمام ؛ ولهذا يقول أصحابنا : إن الإمامة واجبة في كلِّ زمان ؛ وليست كذلك النبوة .

والوجه فيه أن إرسال الرسول تابع لما يعمله الله من المصالح للمكلفين في الشرائع والعبادات ؛ وغير بعيد في العقل أن يعلم تعالى أنه لا شيء من الشرائع فيه مصلحة للمكلفين ؛ فلا تجب الرسالة بل لا تحسن . فأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مَعَدِّينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴾ ؛ فيجوز أن يكون مخصوصاً غير عام ؛ ويعنى به من الشرائع والعبادات من اللطافة ؛ فإن دلَّ دليل قاطع على عموم هذه الظواهر قطعاً لأجله على أن الشرائع من أطف المكلفين ؛ وإن كان جائزاً في العقل ألا يكون الأمر على ذلك .

١٠

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية ، فقال جماعة : إن لفظة « ما » هنا للنفي ، والمراد أن آباءهم ما أنذروا ، لأن المصلحة لم تقتض بعثة رسول إليهم ؛ وليس من المعلوم لنا أن عيسى عليه السلام كان الحججة على كل مكلف كان بين زمانه وبين زمان نبينا عليه السلام .

١٥ ويقوى هذا الجواب إثبات الفترة وأنه عليه السلام بعث على فترة من الرسل .

وذهب قوم من أهل التأويل إلى أن « ما » في الآية ليست للنفي بل للإثبات ؛ والمراد : لتندر قوماً ما أنذر آباؤهم ؛ وهذا أيضاً جائز .

ويقوى هذا الجواب ويضعف الأول أن قوله تعالى : ﴿ فَهَمُّ غَافِلُونَ ﴾ يقتضى الذم لهم بالغفلة ؛ وذلك يقتضى أنهم أنذروا فغفلوا وأعرضوا . ولا يُدَمُّ بالغفلة من لا سبيل له إلى العلم والتبين .

٢٠

وفي الناس من حمى قوله تعالى : ﴿ مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ على النفي ، والمراد أنه لم يندرهم من هو منهم وعلى نسبهم ومن أنفسهم ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ ﴿١٢٨﴾؛ [التوبة : ١٢٨] فيكون تلخيص الكلام: لتندرقوما أنت منهم ما أنذر آباءهم من
هو منهم؛ أي من قومهم ومن أنفسهم .

ويمكن في لفظة «ما» وجه آخر وهو أن يراد بها التنكير؛ كأنه قال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا﴾
وتقف، ثم تبتدى فتقول: ﴿أَنْذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾؛ كما يقول القائل: أكلت طعاماً ما،
ولقيت جماعة ما، ويكون الغرض التنكير والإجمال؛ وليست لفظة «ما» هاهنا زائدة؛ لأن حدّ
الزائد أن يكون دخوله في عدم الفائدة كخروجه؛ وهي هاهنا مفيدة على ما بيناه .



مَسْأَلَةٌ

في الاعتراض على أن مَنْ استدلَّ بدليل السَّحَّارة على أن العالم مَلَأَ ،
وما أُبْطِلَ به ذلك

اعلم أنَّ فِكْرَتُ فيما أجبَ به أبو هاشمٍ مَنْ يقول: إنَّ العالم مَلَأَ، إذا استدلَّ بالآلة التي تُسَمَّى
السَّحَّارة (١) على ذلك؛ وادَّعى أن علةَ وقوفِ الماء عن النزول من الثُّقْبِ الصَّغار التي في أسفلها
إذا سدَدنا رأسها هو منع الهواء بسدِّ الرأس من أن يحدِّث في مكان الماء . وقول أبي هاشم:
إنَّ العلة في وقوف الماء عن السيَّلان إذا سدَدنا رأس السَّحَّارة بالإصبع أن الهواء يمنع الماء
من النزول لضعف ما يخرج من الماء في الثُّقْبِ الصَّغار؛ فإذا فتحنا الرأس دفع الهواء الماء من
أعلى السَّحَّارة فقوى الماء على النزول؛ فوجدته غير واضح، لأنَّ الماء فيه اعتماداتٌ سِفْلاً ونُقْلاً
ونفس الهواء على مذهبنا - وهو الصحيح - لاعتماد فيه البتة؛ فكيف تمنع مالا اعتماد فيه
للجسم الذي فيه اعتمادٌ سِفْلاً عن الهبوط والنزول! وإذا كان الهواء هو المانع من نزول الماء من
الثُّقْبِ الصَّغار - ومن مذهب أبي هاشم جواز خلوِّ الأماكن من الهواء - فكان يجب أن يجوز
أن يسيل الماء من أسفل السَّحَّارة مع سدِّ أعلاها بالإصبع؛ بأن يصادف ذلك مكاناً خالياً من
الهواء الذي يدَّعى أنه مانع من نزول الماء .

فأما تقويته لذلك بذكر الريشة، وأنها تقف في الهواء فلا تنزل؛ لأنَّ الهواء يمنعها من الهبوط،
فأقول ما فيه أن الريش خلقتة ربما أبطأ نزوله؛ فظنَّ أنه واقف؛ وربما كان في الهواء اعتماداتٌ
مختلفةٌ صُعْدًا، فتمنعُ هذه الاعتماداتُ التي هي في خلاف جهة اعتمادات الريشة من النزول .
فأما إذا كانت الريشة في هواء ساكن لا اعتماد فيه فإنَّ الهواء لا يجوز أن يمنعها من الهبوط .
ومن أطرف الأمور قوله: إنَّ الهواء إذا فتحنا عن رأس السَّحَّارة يدافع الماء، ويكون

(١) في حاشيتي ف ، ط : « إنَّ الآلة المعروفة بالسَّحَّارة هي الآلة التي يكون في رأسها ثقب واحد
وفي أسفلها ثقب كثيرة ، إذا ملأناها بالماء ثم سدَدنا رأسها بالإبهام لم ينزل الماء من الثقب التي في أسفلها؛
وإذا أزلنا إبهامنا نزل الماء؛ ولا علة لذلك إلا أنَّها عند سدِّ رأسها بالإبهام منعنا الهواء من أن يخلف في
مكان الماء » .

سبباً لنزوله من الثقوب ؛ لأن الهواء على مذاعبنا لا اعتمادات فيه ، فكيف يدافع الماء ! ومَنْ قال من الفلاسفة: إن فيه اعتماداتٍ صُعداً لا يلبق دفع الماء بقوله ، لأن تلك الاعتمادات في غير جهة اعتماد الماء . وأى عاقلٍ يخفى عليه أن الهواء الساكن المعتدل لا يجوز أن يدفع الماء من رأس السحارة !

٥ وبعدُ ، فمع القول بجواز خلوّ الأماكن من الهواء ؛ والتقطع على ذلك في بعض الأحوال قد كان يجب أن يجوز أن يُفتح رأس السحارة ، ولا يسيل الماء من الثقب من أسفلها ؛ لأن الهواء الذي ادعى أنه يدافع الماء من رأسها مفقود .

والذي يدعيه أبو هاشم من أن السحارة لو ملئت زئبقاً وسُدَّ رأسها لنزل من الثقوب الصغار ؛ وقوله: إنما كان كذلك لِثَمَلِ الزَّئْبِقِ، وأنَّ الهواء الذي يلاقي من تحتها الثقوب الصغار لا يَقْوَى على منعه من النزول؛ كما لا يتم ذلك في الماء موقوفٌ على التجربة .

فأما ما جرَّ بناء فنتكلم على العلة المفرقة بين الزئبق والماء ؛ والذي يجب أن يُعتمد في نقض الاستدلال من القائلين بذلك في الماء والسحارة أن يقال لهم : ما أنكرتم أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل في الماء السكونَ والوقوفَ مع سدِّ رأسها ، فلا ينزل من أسفلها ، وإذا فتحنا رأسها لم يفعل ذلك السكونَ فيجري الماء منها من الثقوب .

١٥ وليس ينبغي أن ينكر أصحابنا خاصَّةً أن يكون هذا بالعادة ؛ ونحن كلنا نقول : إن انجذاب الحديد إلى حجر المغناطيس إنما هو بالعادة ؛ وإلا فالمغناطيس وسائر الأحجار سواء . وإن بالعادة وقع الشَّبَعُ عند تناول الخبز واللحم ، وارتفع عند غيرها ، والجنس واحد . وما تقول جماعةنا إنه بالعادة أكثر من أن يُحصى .

وإذا أنكر الفلاسفة الملاحدون تعليقنا ذلك بالعادة لجحدهم الصانع؛ دللناهم على الأصل الذي لَمَّا جهاوه ضَعُفَ ما نقوله في نفوسهم ، فبثبوتِه يسهُلُ ذلك كلُّه .

فإذا قيل لنا: فما طريقه العادة يجوز فيه الاختلاف؛ فجوزوا أن تكون السحارة في بعض البلاد التي لاتصل بنا أخبارها يسيل الماء من أسفائها مع سدِّ رأسها ، ولا يسيل مع فتحها .

قلنا : نحن نجوز ذلك ، ولا نمنع أن تختلف العادة فيه ؛ كما لا نمنع أن يستمر في كل بلد ؛ وعند كل أحد ، ولا يخرج هذا الحُكْم مع استمراره من أن يكون مستنداً إلى العادة ؛ ألا ترى أن الفاطين على وقوع العلم الضروري بمخبر الأخبار إذا كان العدد زائداً على أربعة مع استيفاء باقي الشروط لا يجوزون أن تختلف العادات في ذلك ؛ بل يقطعون على أن العادة مستمرة بذلك في كل موضع .

فإذا قيل له : كيف يتميز ذلك وهو معتاد مع الاستمرار من الوجوب ؟

قال : فإن المستند إلى العادة لا بد من أن يختلف على بعض الوجوه ؛ ليفارق بذلك الاختلاف الواجب ؛ ويتميز عنه . والخبر الذي يجب عنده حصول العلم الضروري قد يقع مثله ومن جنسه ؛ مع اختلاف بعض هذه الشروط ؛ فلا يجب العلم . فلو كان هناك إيجاب لوجب العلم على كل حال ، وهذا بعينه قائم في السحارة ؛ لأن الثقوب لو وسّعت لسال الماء على كل حال ، ولو كانت هناك طبيعة موجبة لوقوف الماء لم تختلف الحال على بعض الوجوه .

وبعد ، فإن علّة أبي هاشم في وقوف الماء من السحارة عن السيلان - وإن كنا قد بيننا بطلانها - لا نجدها في القَدَح المعروف بقَدَح العَدَل ؛ وهو قَدَحٌ في وسطه بَرِيخ^(١) مجوّف يبلغ ارتفاعاً إلى قريب من أعلاه، وهذا البريخ^(١) نافذ من جهة أسفله ، وعلى رأس هذا البريخ في وسط القَدَح كالغشاء يُحيط به من جوانبه على تَجَافٍ عنه ؛ وهو من أعلاه مسدود ، ومن أسفله مفروج ، فإذا طرحنا في هذا القَدَح ماءً فهو ثابت ؛ حتى يباغ إلى محاذاة رأس البريخ ، فإذا زاد عليها ولو باليسير خرج جميع الماء من القَدَح بأن يصعد من أسفل القَدَح إلى رأس البريخ حتى ينزل جميعه .

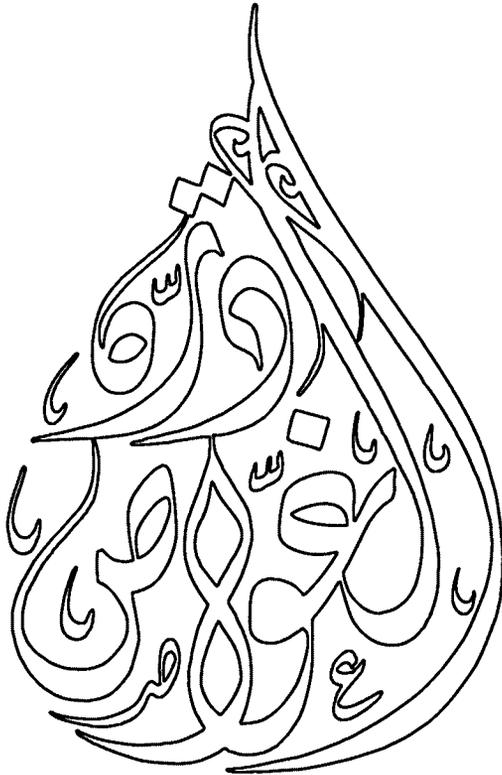
وأصحاب الملاء يدعون أن العلّة في صعود الماء إلى فوق رأس ذلك من شأنه هو اضطراب الحلاء ؛ وحتى لا يخالو مكان من متمكّن فيه ، فما العلّة في صعود الماء ثم هبوطه على مذهب ٢٠ أبي هاشم ؟ وما يملّ في السحارة لا يتأتى ها هنا ؛ وليس بعد ذلك إلا إسناده إلى العادة ، وجريها .

والله وليّ التوفيق .

(١) البريخ : منفذ الماء ومجراه .

مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه عن الفرق بين الألتغ والأليغ، فقال : الألتغ الذى تكون فى لسانه رَدَّةٌ فى حرفٍ بعينه ، كالطاء والسين وما أشبههما من الحروف ؛ والأليغ الذى تكون فى لسانه فى سائر الحروف رَدَّةٌ .



مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه عن قول النبي صلى الله عليه وآله : « أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه » ما معناه؟ فقال : معنى هذا الخبر أن أحدنا إذا كان عالماً بأحوال نفسه وصفاته فلا بد أن يكون عالماً بأحوال مَنْ جملة على هذه الصفات ؛ وصير له هذه الأحوال والأحكام ؛ لأن مَنْ عَلِمَ الفرع لا بد أن يكون عالماً بأصله الذى يستند إليه ، ويتفرع عليه ، وإذا دخل التزايد فى العلم وكان بالفرع أعلم فهو بالأصل أعلم .

وشرح هذه الجملة أن مَنْ عَلِمَ نفسه أنه محدث مصنوع مخلوق مربوب قادر حتى ؛ عالم فلا بد من أن يكون عالماً بمن جملة على هذه الصفات ، وصير له هذه الأحوال والأحكام ، ولولاه جل اسمه لم يكن على شيء منها ؛ فالتزايد والتفاضل فى أحد الأمرين يقتضى التزايد والتفاضل فى الآخر .

ولا يلزم على هذه الجملة أن أحدنا قد يعلم نفسه موجودا وإن لم يكن بالله تعالى عارفاً ؛ وهو جل وعز الذى أوجده ، ولولاه لم يكن موجودا ، ألا ترى أن الدهرية يعلمون العالم وما فيه موجودا وإن لم يعلموا أن له موجدا ، وكذلك قد يعلم أحدنا كونه قادراً وعالماً وحيّاً وإن لم يعلم مَنْ جملة على هذه الأحوال ؛ وذلك أننا إذا أدخلنا لفظة « أفعل » قلنا : مَنْ كان أعلم بنفسه كان أعلم بربه ، ومَنْ علم نفسه موجودا ولم يعلم مُوجده وخالقه ليس بأعلم بنفسه ؛ وإن قيل هو عالم ولفظة المبالغة تقتضى أنه إذا لم يعلم أن له موجدا ومُقَدِّرا ومجيباً فليس بأعلم بنفسه . والذى يبين هذا أنه لا يمتنع فيمن علم قطعة من النحو أن يقول : إنه عالمٌ بالنحو ، ولا يقول : هو أعلم . إلا إذا كان مستولياً على جميع علومه ؛ لا يذهبُ عليه شيء منها .

وليس يمتنع أن نعكس لفظ هذا الخبر فنقول : أعلمكم بربه أعلمكم بنفسه ؛ لأنه مَنْ كان بالله أعلم فلا بد من أن يكون عالماً بأنه خالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا ، والجاعل لنا على هذه الأحوال والصفات فمن حيث تعلق كل واحد من الأمرين بصاحبه جاز أن يجعل كل واحد من الأمرين تارة فرعا ، وتارة أصلا .

مَسْأَلَةٌ

وسئل رضى الله عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّوَانِكُمْ ﴾ [الرزم: ٢٢] . وهل يوجب قوله : ﴿ وَاخْتِلَافُ
أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أن يكون كلامنا على ظاهر الآية خَلَقَ له تعالى ؟ فقال :
في هذه الشبهة ثلاثة أجوبة :

٥ منها أن معنى اختلاف ألسنتكم، أى اختلاف لغاتكم في البيان أو الأشكال .
ومنها اختلاف مخارج الكلام من ألسنتكم ؛ ككلام الأثغـ والأليغـ والأرتـ
والتتمتـ ونحوهم .

ومنها اختلاف ألسنتكم في خلقها وأشكالها وصيغها ، كالطويل منها والقصير والعريض
والدقيق . والله تعالى الموفق بالصواب .



مَسْأَلَةٌ

قال رضى الله عنه : قد طعن مَنْ لا تأمُّل له على استدلالنا على أن الأفعال الظاهرة فينا من قيام وقعود وأكل وشرب وما جرى مجرى ذلك متعلّقة بنا ، وحادثة من جهتنا بوجوب^(١) وقوعها بحسب قصودنا وأحوالنا وواعينا بأن قال :

كيف يجوز أن تدعوا العلم الضروري بوجوب وقوع أفعالكم بحسب أحوالكم ؟ وإنما تشيرون بالوقوع إلى الحدوث .

وإذا كان حدوث هذه الأفعال لا يُعلم ضرورة ؛ وإنما يُعلم بدقيق الاستدلال والنظر ، فكيف يجوز أن تعلموا حكم الذات ضرورة ، وأنتم تعلمون تلك الذات بدليل ؟ والعلم بالذات أصلٌ للعلم بالأحكام ؛ ولا يجوز أن يكون العلم بالأصل مستدلًّا عليه ، والعلم بالفرع ضروريًا .

والجواب عن ذلك أن الوجوبَ أو الجوازَ حكمٌ للأحوال الموجبة عن الأفعال التي هي ذوات حادثة ؛ ونحن نعلم كون الجسم منتقلًا وكائناً في جهة من الجهات ضرورة ؛ وإن كنا لا نعلم الكون الذي فيه إلا بدلاله ، والوجوب حكم لكونه كائناً ، وليس بحكم للكون الذي هو الذات ، فما علمنا على هذا التقدير الأصل والفرع إلا ضرورة ، وهذان العلمان منفصلان عن العلم بالذات الذي يحتاج فيه إلى الدلالة .

ألا ترى أن الشيوخ نصّوا في كتبهم على أن المدرك منّا للجواهر يعلم ضرورة عند الإدراك كونه متحيزاً ، وكونه في جهة مخصوصة ، وكونه موجوداً ؛ ونصّوا على أن هذه العلوم ضرورية وواقعة عند الإدراك ؛ وإن كان الإدراك لا يتناولُه إلا كونه متحيزاً دون ما عدا هذه الصفة ، فكيف يُشكل هذا الذي ذكرناه ، ومما وم أن نفاة الأعراض من الموحدين والملاحدين يعلمون كون الجسم متحركاً أو ساكناً ، وقريباً أو بعيداً ضرورة ، ويعلمون كون أحدنا قائماً أو قاعداً ، أو آكلاً أو شارباً كذلك ؛ ويعلمون ما هو واجب من هذه الأحوال أو واجب في الوضع الذي تجب فيه ، أو يجوز ضرورة .

(١) في حاشيتي ف ، ط : « وأى استمرار »

وإن كانوا لا يثبتون المعاني التي هي الأعراض، ولا يعرفونها، فكيف يُشكل على متأمل أن الأحكام التي أشرنا إليها وأدعينا وجوبها على بعض الوجوه ليست أحكاماً للمعاني التي لا تُعلم إلا بالدلالة وإنما هي أحكامٌ للأحوال المألومة أيضاً ضرورة، وأن ما علمناه ضرورة حُكم الأمر نعلمه أيضاً ضرورة .

٥ ومن حَمَلَ نفسه أن يخالف في وجوب ما ذكرناه دافعٌ للضرورة؛ لأن العلم بما ذكرناه من أوضح الضرورات . والفرق بين وجوب كون أحدنا آكلاً وقد اشتد جوعه وارتفعت الموانع عنه - وهو صحيح سليم - وبين وجوب آكله إذا جاع غيره معلوم ضرورة؛ وآخر ما يبدأ به العقل .

وإذا كان الفرق الذي ذكرناه معلوماً ثبت ما هو مستند إليه من الوجوب عند قوة الدواعي

١٠ وخلصها .

والمعارضة على هذه الطريقة بوجوب الشَّبَع عند الأكل، والشُّكْر عند شرب الخمر، وما جرى مجرى ذلك غير صحيح، لأنه لا وجوب في سائر ما ذكرناه، ألا ترى أن في الناس مَنْ يشبع باللقمة، وفيهم من لا يشبع بأكل العجينة^(١)، وكذلك في الشُّكْر والرَّيِّ .

ولما استند ذلك إلى العادة جاز أن يختلف بالأشخاص والأحوال، ولما استند ما ذكرناه

٢٠ من الوجوب إلى غير العادة كان مستمراً في كل شخص، وعلى كل حال، وعلى كل وجه وشبب، فأين أحد الأمرين من الآخر!

(١) العجينة در مايعجن في مرة .

مَسْأَلَةٌ

في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً .
اعلم أنه لا طريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلف على آخر ، لأن الفضل المراعى في هذا
الباب هو زيادة استحقاق الثواب ، ولا سبيل إلى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات ،
لأن الطاعتين قد تتساوى في ظاهر الأمر حالهما ، وإن زاد ثواب واحدة على الأخرى زيادة
عظيمة ، وإذا لم يكن للعقل في ذلك مجال فالرجع فيه إلى السمع ، فإن دلَّ سمع مقطوع به
من ذلك على شيء عوّل عليه ، وإلا كان الواجب التوقف عنه ، والشك فيه .

وليس في القرآن ، ولا في سمع مقطوع على صحة ما يدلُّ على فضل نبيِّ على ملك ولا ملك على
نبيِّ . وسنبيّن أن آيةً واحدة مما يُتعلق به في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن
أن يُستدل بها على ضربٍ من الترتيب نذكره .

والمعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة عليهم السلام على إجماع الشيعة ١٠
الإمامية على ذلك ، فهم لا يختارون في هذا ، بل يزيدون عليه ، ويذهبون إلى أن الأئمة أفضل
من الملائكة ، عليهم أجمعين السلام . وإجماعهم حُجة لأن المعصوم في جملتهم .

وقد بيّنا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة ورتبناه ، وأجبتنا عن كلِّ
سؤال يسأل عنه فيها ، وبيّنا كيف الطريق مع غيبة الإمام إلى العلم بمذاهبه وأقواله ، وشرحنا
ذلك ، فلا معنى للتشاغل به ها هنا .

١٥

ويمكن أن يُستدلَّ على ذلك بأمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ؛ وأنه
يفتضى تعظيمه عليهم ، وتقديمه وإكرامه ، وإذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على
الفاضل علمنا أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ، وكل من قال : إن آدم عليه السلام
أفضل من الملائكة ذهب إلى أن جميع الأنبياء عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة ، ولا
أحد من الأمة فصل بين الأمرين .

٢٠

فإن قيل : ومن أين أنه أمرهم بالسجود على جهة التمديم والتعظيم ؟

قلنا : لا يخلو تعبدُهم بالسجود له من أن يكونَ على سبيل القِبلة والجهة من غير أن يقرنَ به تعظيم وتقدِيم ، أو يكونَ على ما ذكرناه .

فإن كان الأوَّل لم يجز أنفةُ إبليس من السجود وتكبره عنه ؛ وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ [الإسراء : ٦٢] . وقوله : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

والقرآن كله ناطق بأن امتناع إبليس من السجود إنما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة ، فلو لم يكن الأمرُ على هذا لوجب أن يرده الله تعالى عنه ، ويُعلمه أنه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له ولا تفضيله ؛ بل على الوجه الآخر الذي لا حظَّ للتفضيل فيه ؛ وما جاز إغفال ذلك ، وهو سبب معصية إبليس وضلالته ؛ فلما لم يقع ذلك دلَّ على أن الأمر بالسجود لم يكن إلا على جهة التفضيل والتعظيم . وكيف يقع شكُّ في أن الأمر على ما ذكرناه ؛ وكلُّ نبيٍّ أراد تعظيمَ آدم عليه السلام ، ووصفه بما اقتضى الفخر والشرف ونمته بإسجاد الملائكة له ؛ وجعل ذلك من أعظم فضائله ؛ وهذا مما لا شبهة فيه .

فأمَّا اعتمادُ بعض أصحابنا في تفضيل الأنبياء على الملائكة على أن المشقة في طاعة الأنبياء عليهم السلام أكثر وأوفر من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ، ونفارٌ عن الواجبات فليس بمعتد ؛ لأننا نقطع على أن مشاق الأنبياء أعظم من مشاق الملائكة في التكليف ؛ والشكُّ في مثل ذلك واجب ، وليس كلُّ شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائه . ونحن نعلم على الجملة أن الملائكة إذا كانوا مكلفين فلا بدَّ من أن تكون عليهم مشاق في تكليفهم ، ولولا ذلك ما استحقوا ثواباً على طاعتهم . والتكليف إنما يحسن في كلِّ مكلف تعريضاً للثواب ؛ ولا يكون التكليف شاقاً عليهم إلا وتكون لهم شهوات فيما حُظر عليهم ، ونفارٌ عما أُوجب .

وإذا كان الأمرُ على هذا فمن أين يُعلمُ أن مشاق الأنبياء عليهم السلام أكثر من

مشاق الملائكة؟ وإذا كانت المشقة عامّة لتكليف الأمة^(١)، ولا طريق إلى القطع على زيادتها في تكليف بعض، ونقصانها في تكليف آخرين فالواجب التوقف والشك .
ونحن الآن نذكر شبه من فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ، وتكلم عليها بمون الله .

فما تعلقوا به في ذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس مخاطباً لآدم وحواء عليهما السلام : ﴿ مَا نَهَا كُماً رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ ؛ [الأعراف : ٢٠] ، فرغبهما في تناول من الشجرة ليكونا في منزلة الملائكة ، حتى تناولا وعصيا .

وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته ؛ حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى ومعصيته ؛ وهذا يقتضى فضل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام . ١٠

وتعلقوا أيضاً بقوله تعالى: ﴿ لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْقَرَّبُونَ ﴾ ؛ [النساء : ١٧٢] ، وتأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم ؛ لأنّ العادة إنما جرت بأن يقال : لن يستنكف الوزير أن يفعل هذا ولا الخليفة ، فيقدم الأذن ويؤخر الأعظم ؛ ولم يجوز بأن يقال : لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس ؛ وهذا يقتضى تفضيل الملائكة عليهم السلام . ١٥

وتعلقوا بقوله تعالى: ﴿ وَآتَدَّ كَرَّمَنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ؛ [الإسراء : ٧٠] ؛ قالوا : وليس بعد بنى آدم مخلوق يُستعمل في الخبر عنه لفظه « من » التي لا تستعمل إلا في العقلاء إلا الجن والملائكة ؛ ولما لم يقل : « وفضلناهم » على « من » بل قال : ﴿ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا ﴾ ؛ فُهِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَخْرَجَ الْمَلَائِكَةَ تَعْنِي فَضْلَ بَنِي آدَمَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ بَنِي آدَمَ ٢٠

أَفْضَلُ مِنَ الْجِنِّ ؛ وَإِذَا كَانَ وَضَعُ الْخُطَابِ يَقْتَضِي مَخْلُوقًا لَمْ يُفَضَّلْ بِنُورِ آدَمَ عَلَيْهِمُ ؛ فَلَا شَبَهَةَ فِي أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ .

وتعلقوا بقوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [هود : ٣١] ، فلولا أن حال الملائكة أفضل من حال النبي لما قال ذلك . ٥

فيقال لهم فيما تعلقوا به أولا : لِمَ زَعَمْتُمْ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مَلَائِكِينَ ﴾ معناه أن تصيرا وتنقلبا إلى صفة الملائكة ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَلْفِظَةَ لَيْسَتْ صَرِيحَةً لِمَا ذَكَرْتُمْ ؛ بَلْ أَحْسَنُ الْأَحْوَالِ أَنْ تَكُونَ مُحْتَمِلَةً لَهُ .

وما أنكرتم أن يكون المعنى أن المنهى عن تناول الشجرة غيركما ؛ وأن النهي يختص ١٠ الملائكة والخالدين دونكما ؛ ويجري ذلك مجرى قول أحدنا لغيره : ما نهيت عن كذا إلا أن تكون فلانا ؛ وإنما يعني أن المنهى هو فلان دونك ؛ ولم يرد إلا أن تنقلب فتصير فلانا . ولما كان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما ، فمن أوكد الشبه إيهاما أنهما لم يُنهيَا وإنما المنهى غيرهما .

ومن وكيد ما تفسد به هذه الشبهة أن يقال : ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن يُنقلبا ١٥ إلى صفة الملائكة وخلقهم كما رغبتما إبليس في ذلك ! ولا تدلُّ هذه الرغبة على أن الملائكة أفضل منهما ؛ لأنه بالتقلب إلى خلقه غيره لا ينقلب ولا يتغير بانقلاب الصورة والخلق ؛ فإنه إنما يستحق على الأعمال دون الهيئات .

وغير ممتنع أن يكونا رغبا في أن يصيرا على هيئة الملائكة وصورها ؛ وليس ذلك برغبة في الثواب ولا الفضل ؛ فإن الثواب لا يتبع الهيئات والصُور ، ألا ترى أنهما رغبا في أن ٢٠ يكونا من الخالدين ؛ وليس الخلود مما يقتضى مزية في ثواب ولا فضلا فيه ؛ وإنما هو نفع عاجل ؛ فكذلك لا يمتنع أن تكون الرغبة منهما في أن يصيرا ملكين إنما كانت على هذا الوجه .

ويمكن أن يقال للمعتزلة خاصة وكل من أجاز على الأنبياء الصغار : ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أن الملك أفضل من النبيّ وغَلِطَا في ذلك ، وكان منهما ذنباً صغيراً ؛ لأنّ الصغار عندكم تجوز على الأنبياء ؟ ومن أين لكم إذا اعتقدا أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، ورغبوا في ذلك أن الأمر على ما اعتقده مع تجويزكم عليهم الذنوب ؟

وليس لهم أن يقولوا : إنّ الصغار إنّما تدخل في أفعال الجوارح دون القلوب ؛ لأنّ ذلك ٥ تحكّم بغير برهان .

وليس يمتنع على أصولهم أن تدخل الصغار في أفعال القلوب والجوارح معاً ؛ لأنّ حدّ الصغير عندهم ما نقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله . وليس يمتنع معنى هذا الحدّ في أفعال القلوب كما لا يمتنع في أفعال الجوارح .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثانيا : ما أنكرتم أن يكون هذا القول إنّما توجه إلى قوم ١٠ اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء ؛ فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم ، وأخر ذكر الملائكة لذلك ؟ ويجرى هذا القول مجرى قول من قال منا لغيره : لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك ؛ وإن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل ؛ وإنما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب لا المخاطب .

ومما يجوز أن يقال أيضا : إنه لاتفاوت في الفضل بين الأنبياء والملائكة ؛ وإن ذهبنا ١٥ إلى أن الأنبياء أفضل منهم ؛ ومع التقارب والتداني يحسن أن يؤخر ذكر الأفضل الذي لاتفاوت بينه وبين غيره في الفضل ؛ وإنما مع التفاوت والتداني لا يحسن ذلك ، ألا ترى أنه يحسن أن يقول القائل : ما يستنكف الأمير فلان من كذا ؛ ولا الأمير فلان من كذا ؛ وإن كان متساويين ، متناظرين أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : ما يستنكف الأمير من كذا ولا الحارس لأجل التفاوت .

٢٠

وأقوى من هذا أن يقال : إنّما أخرج ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة

أكثرُ ثواباً لا محالة من المسيح منفرداً؛ وهذا لا يقتضى أن كلَّ واحدٍ منهم أفضلُ من المسيح عليه السلام؛ وإنما الخلاف في ذلك.

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثاً: ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ أَنَا فَضَّلْنَاكُمْ عَلَى مَنْ خَلَقْنَا وَهُمْ كَثِيرٌ؛ ولم يُرد التبويض؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً﴾؛ [البقرة: ٤١] معناه: لا تشتروا بها، لنا قليلاً، وكلُّ ثمن تأخذونه عنها قليل؛ ولم يرد التخصيص والانع من الثمن القليل خاصة؛ ومثله قول الشاعر:

مِنَ أَنَاسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ^(١)
وإنما أراد نفى الفُحْشِ كُلِّهِ عَنِ أَخْلَاقِهِمْ؛ وإن وصفه بأنه عاجل، ونفى الجزع عنها
١٠ وإن وصفه بالسوء؛ وهذا من غريب البلاغة ودقّةها؛ ونظائره في الشعر والكلام الفصيح لا تحصر.

وقد كنا أملينا في تأويل هذه الآية كلاماً مفرداً استمتصيناه وشرحنا هذا الوجه، وأكثرتنا من ذكر أمثله.

ووجه آخر في تأويل هذه الآية؛ وهو أنه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة أفضل من جميع بني آدم؛ وإن كان في جملة بني آدم من الأنبياء عليهم السلام من يفضل كل واحد منهم على كل واحد من الملائكة؛ لأنَّ الخلاف إنما هو في فضل كلِّ بني آدم على كلِّ ملك، وغير ممتنع أن يكون جميع الملائكة فضلاء، يستحقُّ كلُّ واحد منهم الجزيل الأكثر من الثواب؛ فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم؛ لأنَّ الأفضل من بني آدم أقلُّ عدداً؛ وإن كان في بني آدم آحاد؛ كلُّ واحد منهم أفضل من كلِّ واحد من الملائكة.

٢٠ ووجه آخر: ومما يمكن أن يقال في هذه الآية أيضاً أن مفهوم الآية إذا تؤمّت

(١) البيت لسويد بن أبي كاهل البشكري من قصيدة مفضلية (١٩١-٢٠٢ طبعة المعارف).

يقتضى أنه تعالى لم يُرد الفضلَ الذي هو زيادة الثواب ؛ وإنما أراد النعمَ والمنافع الدنيوية ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ ؛ والكرامة إنما هي الترفيهُ وما يجرى مجراه . ثم قال : ﴿ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ ؛ ولاشبهة في أنَّ الحُلْمَ لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارجٌ مما يُستحقُّ به الثواب ، ويقتضى التفضيلَ الذي وقع إطلافة فيه . ويجب أن يكون ما عطف عليه من التفضيل داخل في هذا الباب ، وفي هذا القبيل ؛ ٥ فإنه أشبه من أن يكون المراد به غيرَ ماسياق الآية واردة به ، ومبنيٌّ عليه . وأقلُّ الأحوال أن تكون لفظة ﴿ فَضَلْنَاهُمْ ﴾ محتملةً للأمرين ؛ فلا يجوز الاستدلالُ بها على خلاف ما نذهب إليه .

ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعا : لا دلالة في هذه الآية على أنَّ حال الملائكة أفضلُ من حال الأنبياء ؛ لأنَّ الغرضَ في الكلام إنما هو نفى ما لم يكن عليه ؛ لا التفضيلُ لذلك على ما هو عليه ؛ ألا ترى أن أحدنا لو ظنَّ أنه على صفة الملائكة - وهو ليس عليها - جاز أن ينفىها عن نفسه بمثل هذا اللفظ ؛ وإن كان على أحوالٍ هي أفضل من تلك الحال وأرفع . وليس يجب إذا انتفى مما تبرأ منه من علم الغيب ، وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً في كل ما يقع النفي له ، والتبرؤ منه . وإذا لم يكن مَلَكا كما لم يكن عنده خزائن الله تعالى جاز أن ينتفى من الأمرين من غير ١٥ ملاحظة ؛ لأنَّ حاله دون هاتين الحاليتين .

ومما يوضح هذا ويُزيل الإشكال فيه أنه تعالى حكى عنه قوله في آية أخرى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدِرْ رِيءُ عَيْنِكُمْ أَنْ يُوَدِّيَهُمْ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ ؛ [هرد : ٣١] ، ونحن نعلم أن هذه منزلة غير جليلة ؛ وهو على كلِّ حال أرفع منها وأعلى ؛ فما المنكر أن يكون نفيُ المَلَكية عنه في أنه لا يقتضى أنَّ حاله دون حال المَلَك بمنزلة نفي هذه المنزلة ! والتعلقُ بهذه الآية ضعيف ٢٠ جدا ؛ وفيما أوردناه كفاية وبالله التوفيق .

تفسير البيت الذي ذكره السيد بن محمد الحميري^(١) في قصيدته المذهبة ، وهو :

رُدَّتْ عليه الشمس لما فاته وقت الصلاة وقد دنت للمغرب

قال رضى الله عنه : هذا خبرٌ عن رد الشمس له عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله ؛ لأنه روى أن النبي صلى الله عليه وآله كان نائماً ، ورأسه في حجر أمير المؤمنين عليه السلام ؛ فلما حان وقت صلاة العصر كره أن ينهض لأدائها ، فزعج النبي صلى الله عليه وآله من نومه ، فلما مضى وقتها وانتبه النبي عليه السلام دعا الله تعالى بردها له فردّها ، فصلّى عليه السلام الصلاة في وقتها .

فإن قيل : هذا يقتضى أن يكون عليه السلام عاصياً بترك الصلاة .

قلنا : عن هذا جوابان :

أحدهما أنه إنما يكون عاصياً إذا ترك الصلاة بغير عذر ، وإزعاج النبي صلى الله عليه وآله وترويمه لا يُفكر أن يكون عذراً في ترك الصلاة .

(١) حاشية ف : « قال الأصمعي : هو السيد بن محمد بن يزيد بن مفرغ الحميري ، واسمه إسماعيل ، وبكى أبا هاشم ، والسيد نعت وقع له وهو صبي لذكاء فيه ، فقيل : سيكون سيدنا ، فوقع النعت به ، وإنما سمى أبوه مفرغاً لأنه كان خاطراً أن يشرب سقاء ابن فشربه ، فسمى مفرغ السقاء لتفريغه إياه . وقيل لأن مفرغاً كان حدادا بالمدينة لانسب له ، وإن امرأة استعملته قفلاً ، فتشهى عليها ابن كرش ، فجاءت به ، فشرب منه ، فقالت له : أفرغ الباقي في إناء ، فقال لها : ما عندي إناء ، وجعل يشرب قليلاً قليلاً ؛ حتى أفناه وفرغ الكرش ؛ فقالت له : إنك لمفرغ ؛ ولا حاجة بك إلى إناء .

وروى عن الحسن بن علي المعروف بالسكلان ، قال : قال السيد الحميري :

ولقد عجبتُ لقائلٍ لي مرةً علامةً ففهمٍ من العلماء
سمّاك أهلُك سيّداً لم يكذبوا أنت الموقِّعُ سيّدُ الشعراء
ما أنت حين تخصّ آل محمدٍ بالمدح منك وشاعرٌ بسواء
مدح الملوك ذوى الندى لمطائبهم والمدح منك لهم لغير عطاء

فإن قيل: الأعذار في ترك جميع أعمال الصلاة لا تكون إلا بفقد العقل والتمييز ، كالنوم والإغماء وما شاكلهما ، ولم يكن عليه السلام في تلك الحال بهذه الصفة ؛ فأما الأعذار التي يكون معها العقل والتمييز ثابتين ؛ كالزمانة ، والرِّباط والقيّد ، والمرض الشديد ، واشتداد القتال ؛ فإنما يكون عذرا في استيفاء أعمال الصلاة ، وليس بعذر في تركها أصلاً ، فإنّ كلّ معذور من ذكرناه يصلّيها على حسب طاقته؛ ولو بالإيماء .

قلنا: غير منكر أن يكون عليه السلام صلّى مؤمناً وهو جالس؛ لما تعدّر عليه القيام، إشفاقاً من إزعاجه صلى الله عليه وآله ؛ وعلى هذا تكون فائدة ردّ الشمس ليصلّي مستوفياً لأفعال الصلاة ؛ ولتكون أيضاً فضيلةً له ، ودلالة على علوّ شأنه .

والجواب الآخر أن الصلاة لم تفتحه بمضى جميع وقتها ؛ وإنما فاته ما فيه الفضل والمزية

من أول وقتها .

ويقوى هذا الوجه شيان : أحدهما الرواية الأخرى ؛ لأن قوله : « حين تفوته » صريح في أن الفوت لم يقع ؛ وإنما قارب وكاد ؛ والأمر الآخر قوله : « وقد دنت للمغرب » يعني الشمس ؛ وهذا أيضاً يقتضى أنها لم تغرب وإنما دنت للغروب .

فإن قيل : إذا كانت لم تفتحه ؛ فأى معنى للدعاء بردها حتى يصلّي في الوقت ؛ وهو قد

صلّى فيه !

قلنا : الفائدة في ردها ليدرك فضيلة الصلاة في أول وقتها ؛ ثم ليكون ذلك دليلاً على

سموّ مجده ، وجلالة قدره في خرق العادة من أجله .

فإن قيل : إذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو الداعي بردها ؛ فإن العادة انخرقت للنبي

عليه السلام لا لغيره .

قلنا : إذا كان النبي عليه السلام إنما دعا بردها لأجل أمير المؤمنين عليه السلام ،

وليدرك ما فاته من فضل الصلاة فشرّف انخراق العادة والفضيلة به ينقسم بينهما عليهما

السلام .

فإن قيل: كيف يصحُّ ردُّ الشمس، وأصحاب الهيمئة والفلك يقولون إن ذلك مُحال لاتناهُ قدرة! وهبهُ كان جائزاً على مذاهب أهل الإسلام، أليس لو رُدَّت الشمس من وقت الغروب إلى وقت الزوال لكان يجب أن يعلم أهلُ الشرق والغرب بذلك؛ لأنها تبطئُ في الطلوع على بعض البلاد؛ فيطول ليلهم على وجهِ خلاف العادة، ويمتد من نهار قوم آخرين ما لم يكن ممتداً؟ ولا يجوز أن يخفى على أهل البلاد غروبها ثم عودها طالمةً بعد الغروب، وكانت الأخبارُ تنتشر بذلك، ويؤرِّخ هذا الحادث العظيم في التواريخ، ويكون أبهراً وأعظم من الطوفان.

قلت: قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على أن الفلك وما فيه من شمس وقر ونجوم غير متحرك لنفسه ولا طبيعياً؛ على ما يهتدي به القوم؛ وإن الله تعالى هو المحرك له، والمتصرف باختياره فيه؛ وقد استقصينا^(١) الحجج على ذلك في كثير من كتبنا؛ وليس هذا موضع ذكر.

فأما علمُ أهل الشرق والغرب والسهل والجبل بذلك على ماضى في السؤال فغير واجب؛ لأننا لا نحتاج إلى القول بأنها رُدَّت من وقت الغروب إلى وقت الزوال وما يقاربه على ماضى في السؤال؛ بل نقول: إن وقت الفضل في صلاة العصر هو مايلي، بلافصل زمان أداء المصلّي فرض الظهر أربع ركعات عقيب الزوال؛ وكلُّ زمان وإن قصر وقلَّ يجاوز هذا الوقت؛ فذلك الفضل فائت فيه. وإذ رُدَّت الشمس له هذا القدر اليسير الذي نَفَرَض أنه مقدار ما يؤدّي فيه ركعة واحدة خَفِيَ على أهل الشرق والغرب ولم يشعروا به؛ بل هو مما يجوز أن يخفى على مَنْ حضر الحال وشاهدها؛ إن لم يُنعم النظر والتنقير عنها، فبطل السؤالُ على جوابنا الثاني المبني على فوت الفضيلة.

فأما الجواب الآخر المبنيُّ على أنها كانت فاتت بغروبها للمُعدِّر الذي ذكرناه فالسؤال أيضاً باطل عنه؛ لأنه ليس بين مغيب جميع قرص الشمس في الزمان، وبين مغيب بعضها وظهور بعضها إلا زمانٌ يسير قصير؛ يخفى فيه رجوع الشمس بعد مغيب جميع قرصها إلى ظهور بعضها على كل قريب وبعيد. ولا يُفطن إذا لم يُعرَف سبب ذلك على وجه خارق للمادة؛ ومن فطن بأن ضوء الشمس غاب، ثم عاد بعضه جواز أن يكون ذلك لغيم أو حائلٍ.

(١) من نسخة بحاشيتي ط، ف: « استوفينا » .

تفسير قول السيد في هذه القصيدة أيضا :

وعليه قد حبست بيابلَ مرّةً أخرى، وما حبستُ خلقتُ مُعرب

هذا البيت يتضمن الإخبار عن ردّ الشمس بيابلَ على أمير المؤمنين عليه السلام؛ والرواية بذلك مشهورة؛ وأنه عليه السلام لما فاتته وقت العصر رُدّت له الشمس حتى صلاها في وقتها، وخرق المادة هاهنا لا يمكن نسبه إلى غيره عليه السلام؛ كما أمكن ذلك في أيام النبيّ عليه السلام؛ والصحيح في فوت الصلاة هاهنا أحدُ الوجهين اللذين تقدّم ذكرهما في ردّ الشمس على عهد النبي صلى الله عليه وآله، وهو أن فضيلةَ أول الوقت فاتته لضربٍ من الشغل، ^٥ فردّت عليه الشمس، ليدرك الفضيلةَ بالصلاة في أول الوقت. وقد بيّنا هذا الوجه في تفسير البيت الذي أوله: « رُدّت عليه الشمس »، وأبطلنا قولَ مَنْ يدعى أن ذلك كان يجب أن يعمّ الخلقَ في الآفاق معرفته؛ حتى يدونوه ويورّخوه.

فأما من ادعى أن الصلاة فاتته بأن تقضى جميع وقتها؛ إما لتشاغله بتمبئة عسكره، أو لأن بابلَ أرضُ خَسَفٍ لا يجوز الصلاة عليها فقد أُبطل؛ لأن الشغل بتمبئة العسكر ^{١٠} لا يكون عذراً في فوت صلاة فريضة؛ وإن أمير المؤمنين عليه السلام أجلُّ قدراً، وأثمنُ ديناً من أن يكون ذلك عذراً له في فوت فريضة.

وأما أرض الخسَف فإنما تسكره الصلاة فيها مع الاختيار؛ فإذا لم يتمكن المصلّي من الصلاة في غيرها، وخاف فوت الوقت وجب أن يصلّي فيها، وتزول الكراهية.

فأما قول الشاعر: « وعليه قد حبست بيابل » فالمراد بـ « حبست » رُدّت؛ وإنما كره أن يعيد لفظة الردّ لأنها قد تقدمت.

فإن قيل: « حبست » بمعنى وقفت، ومعناه يخالف معنى « رُدّت ».

قلنا: المعنيان هاهنا واحد؛ لأنّ الشمس إذا رُدّت إلى الموضع الذي تجاوزته فقد حبستُ عن السير المهود وقطع الأماكن المأوفة.

فأما المُعرب فهو الناطق الفصيح بحجته؛ يقال: أعرب فلان عن كذا إذا بان عنه. ^{٢٠}

مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه فقيل: ما يقال لمن يدعى عند إقامة الدليل على حدث الجسم والجوهر والعرض شيئاً ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض أحدث الله تعالى الأشياء منه؟ وما الذى يُفسد دعواه غير المطالبة له بالدلالة على صحتها!

الجواب، أول ما نقوله فى هذا الباب إن إحداث شىء من شىء غيره كلامٌ مُحالٌ ظاهر الفساد؛ لأن المحدث على الحقيقة هو الموجود بعد أن كان معدوماً؛ وإذا فرضنا أنه أُحدث من غيره فقد جعلناه موجوداً فى ذلك الغير؛ فلا يكون محدثاً فى الحقيقة؛ ولا موجوداً بعد عدم حقيق؛ فكأننا قلنا: إنه محدث وليس بمحدث؛ وهذا متناقض.

على أن الجواهر والأجسام إنما حكمنا بمحدثها؛ لأنها لم تخلُ من الأعراض، ولم تتقدم فى الوجود عليها، وما لم يتقدم المحدث فهو محدث مثله.

١٠ وإذا كانت الأعراض التى توصلنا بمحدثها إلى حدوث الأجسام والجواهر محدثة؛ لامن شىء ولا عن هيولى^(١) على ماتموه هؤلاء المفلسفون به؛ فيجب أن تكون الجواهر والأجسام أيضاً محدثة على هذا الوجه؛ لأنه إذا وجب أن يساوى ما لم يتقدم المحدث فى حدوثه وجب أيضاً أن يساويه فى كيفية حدوثه.

١٥ على أنا قد بينا أن ما أحدث من غيره ليس بمحدث فى الحقيقة، والعراض محدث على الحقيقة، فيجب فيما لم يتقدمه فى الوجود أن يكون محدثاً على الحقيقة.

وبيّن ما ذكرناه أن من أحدث من طين أو شمع صورة فهو غير محدث لها على الحقيقة، وكيف تكون كذلك وهى موجودة الأجزاء فى الطين والشمع؛ وإنما أحدث المصور تصويرها وتركيبها والمعانى المخصوصة فيها، وهذا يقتضى أن الجواهر والأجسام على مذهب أصحاب الهيولى غير محدثة على الحقيقة؛ وإنما حدث التصوير والتركيب. وإذا كان الدليل على حدوث

(١) حاشية ف: « الهيولى كلمة يونانية يعنون بها مادة لاصورة لها لا يقول أصحاب المدوم »

جميع الأجسام والجواهر قد دلّ بطل هذا المذهب .

فأما الذى يدلُّ على بطلان قول مَنْ أثبت شيئاً موجوداً ليس بجوهرٍ ولا جسم ولا عرض من غير جهة المطالبة له بتصحيح دعواه، وتعجزه عن ذلك فهو أنه لا حكم لذات موجودة ليست بجسم ولا جوهر ولا عرضٍ يُمَقَّل؛ ويمكن الإشارة إليه ، ومالا حُكِمَ له من الذوات والصفات لا يجوز إثباته ؛ ولا بدّ من نفيه لأنه يؤدى إلى إثبات مالا فرق بين إثباته ونفيه؛ ٥ وتجويزُ ذلك يؤدى إلى الجهالات وإلى إثبات مالا يتناهى من الذوات والصفات .

وقد بيّنا هذه الطريقة فى مواضع من كتبنا؛ لاسيما فى الكتاب الملخّص فى الأصول .

على أنا نقول لمن أثبت الهَيُوتَى وادّعى أنه أصل العالم ، وأن الأجسام والجواهر منها أُحدِثت : لا تخلو هذه الذات^(١) التى يسميها بالهَيُوتَى من أن تكون موجودة أو معدومة؛ وما نريد بالوجود ما تمنونه أنتم بهذه اللفظة ؛ لأن الموجودَ عندكم يكون بالفعل، ويكون بالقوة ، ويكون المعدوم عندكم موجودا بالقوة أو فى العلم ؛ وإنما نريد بالوجود هذا الذى نعلمه ونعلمه ضرورةً عند إدراك الذوات المدرّكات ؛ لأنّ أحدنا إذا أدرك الجسم متحيزاً علم ضرورةً وجوده وثبوته ؛ وكذلك القول فى الألوان وما عداها من المدرّكات .

فإن قال : هى موجودة على تحديدكم^(٢) .

قلنا : فيجب أن تكون متحيزّة؛ لأنها لو لم تكن بهذه الصفة ما حصل منها التحيز ، ١٥ ألا ترى أنّ الأعراض لما لم تكن متحيزّة لم يمكن أن يحدث منها التحيز ! وإذا أقرّوا فيها التحيز فهى من جنس الجواهر ؛ وبطل القول بأنّها ليست بجوهر ووجب لها الحدوث ؛ لأنّ دليل حدّث الأجسام ينتظمها ، ويشتمل عليها ؛ فبطل أيضاً القولُ بقدمها ونفى حدوثها .

وإن قالوا : هى معدومة قلنا : إذا كانت معدومة على الحقيقة فما نسوّمكم إثباتَ قدمِ لها ولا ٢٠

(١) حاشية ف (من نسخة) : « الذوات » . (٢) من نسخة بمحاشيتى ط ، ف : « على طريقة سكم »

حدوث ؛ لأن هاتين الصفتين إنما تعاقبان على الوجود ؛ فكأنكم تقولون : إن الله تعالى جعل من هذه الهيولى المدومة جواهر وأجساما موجودة . وهذه موافقة في المعنى لأهل الحق ؛ القائلين بأن الجواهر في العدم على صفة تقتضي وجوب التحيز لها متى وجدت ، وأن الله تعالى إذا أوجد هذه الجواهر وجب لها في الوجود التحيز ؛ لما هي عليه في نفوسها من الصفة ٥ في العدم الموجبة لذلك بشرط الوجود ، وأن الفاعل إنما يؤثر في صفة الوجود ؛ ولا تأثير له في الصفة التي كانت عليها الجواهر في العدم .

على أن هذه الطريقة إذا صاروا إليها تقتضي أن لأجناس الأعراض كلها هيولى ؛ لأن الدليل قد دل على أن للسواد ، وكل جنس من الأعراض صفة ثابتة في حال العدم تقتضي كونه على الصفة التي يدرك عليها إن كان مما يدرك في حال الوجود ، وأن الفاعل ١٠ إنما يؤثر في إحداثه وإيجاده دون الصفة التي كان عليها في حال العدم .

والقول في الأعراض كقول في الجواهر في هذه القضية ، ويجب أن يكون للجميع هيولى ؛ لأن الطريقة واحدة ؛ وكلام هؤلاء أبداً غير محصل ولا مفهوم ، وهم يدعون التحقيق والتحديد ، وما أبعدهم من ذلك !

مَسْأَلَةٌ فِي الْعِصْمَةِ

ما حقيقة العصمة التي يُعْتَمَدُ وجوبُها للأنبياء والأئمة عليهم السلام؟ وهل هي معنى يَضْطَرُّ إلى الطاعة ويمنع من العصية، أو معنى يضام الاختيار؟ فإن كان معنى يَضْطَرُّ إلى الطاعة ويمنع من العصية، فكيف يجوز الحمد والذم لفاعليها! وإن كان معنى يضام الاختيار فاذكروه، ودلُّوا على صحة مطابقته له، ووجوب اختصاص المذكورين به دون سواهم؛ فقد قال بعض المعتزلة: إن الله تعالى عصم أنبياءه بالشهادة لهم بالاستعصام؛ كما ضلَّ قوماً بنفس ٥ الشهادة عليهم بالضلال؛ فإن يكن ذلك هو المعتمد أنعم بذكره، ودلَّ على صحته وبطلان ماعساه يعلمه من الطعن عليه؛ وإن يكن باطلاً دلَّ على بطلانه وصحة الوجه المعتمد فيه دون ماسواه.

الجواب، اعلم أن العصمة هي اللطف الذي يفعله الله تعالى، فيختار العبد عند الامتناع من فعل القبيح؛ فيقال على هذا: إن الله تعالى عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العبد من القبيح؛ ويقال: إن العبد معصوم؛ لأنه اختار عند هذا الداعي الذي فعل له الامتناع ١٠ من القبيح.

وأصل العِصْمَةِ في موضوع اللغة المنع؛ يقال عَصَمْتُ فلاناً من السوء إذا منعت من حلوله به؛ غير أن المتكلمين أجروا هذه اللفظة على من امتنع باختياره عند اللطف الذي يفعله الله تعالى به؛ لأنه إذا فعل به ما يعلم أنه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من القبيح؛ فأجروا عليه لفظه المانع قهراً وقسراً؛ وأهل اللغة يتعارفون ذلك أيضاً ويستعملونه؛ ١٥ لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى قبله منه مختاراً، واحتتمى بذلك من ضرر يكبحه، وسوء يناله؛ إنه كسأه من ذلك الضرر، ومنعه وعصمه منه؛ وإن كان ذلك على سبيل الاختيار.

فإن قيل: أفتقولون فيمن لطف له بما اختار عنده الامتناع من فعل واحد قبيح؛ إنه

قلنا : نقول ذلك مُضافاً ولا نُطْلِقُه ؛ فنقول : إنه معصومٌ من كذا ، ولا نطلقُ فنوهمُ أنه معصومٌ من جميع القبائح ، ونطلقُ في الأنبياء والأئمة عليهم السلام العصمةَ بلا تقييد ؛ لأنهم عندنا لا يفعلون شيئاً من القبائح ، بخلاف ما يقوله المعتزلةُ من نفي الكبائر عنهم دون الصغائر .

٥ فإن قيل : فإذا كان تفسيرُ العصمة ما ذكرتم فألا عصمَ الله تعالى جميعَ المكلفين ، وفعلَ بهم ما يختارون عنده الامتناع من القبائح ؟

قلنا : كلُّ مَنْ علمَ الله تعالى أنه له لُطْفًا يَخْتَارُ عنده الامتناع من القبائح ؛ فإنه لا بدَّ أن يفعلَ به ؛ وإن لم يكن نبياً ولا إماماً ؛ لأنَّ التكليفَ يقتضى فعلَ اللُّطفِ على ما دلَّ عليه في مواضع كثيرة ؛ غير أنه لا يمتنع أن يكون في المكلفين مَنْ ليس في المعلوم أن شيئاً ١٠ متى فُعلَ اختار عنده الامتناع من القبيح ؛ فيكون هذا المكلف لا عصمة له في المعلوم ولا لطف . وتكليفُ مَنْ لا لطفَ له يَحْسُنُ ولا يَقْبُحُ ؛ وإنما القبيحُ منعُ اللُّطفِ فيمن له لُطفٌ ؛ مع ثبوت التكليف .

فأما قولُ بعضهم : إن العصمةَ هي الشهادة من الله تعالى بالاستعصام فباطلٌ ؛ لأن الشهادة لا تجعل الشيء على ما هو به ؛ وإنما تتعلق به على ما هو عليه ؛ لأنَّ الشهادة هي ١٥ الخبر ، والخبرُ عن كون الشيء على صفةٍ لا يؤثر في كونه عليها ؛ فنحتاج أولاً إلى أن يتقدم لنا العلم بأنَّ زيدا معصومٌ أو معتصمٌ ؛ ونوضِّح عن معنى ذلك ، ثم تكون الشهادة من بعد مطابقة لهذا العلم ؛ وهذا بمنزلة مَنْ سُئِلَ عن حدِّ التحرك فقال : هو الشهادة بأنه متحرك ؛ أو المعلوم أنه على هذه الصفة .

وفي هذا البيان كفاية لمن تأمله .

مَسْأَلَةٌ

ما القول في الأخبار الواردة في عدة كتب من الأصول والفروع بمدح أجناس من الطير
والبهائم والمأكولات والأرضيين ، وذم أجناس منها ؛ كمدح الحمام والبُلبُل والقُنْبُر والحَجَل
والدَّرَاج وما شاكل ذلك من فصیحات الطير ؛ وذم الفواخيت والرخم ؛ وما يُحكى من أن
كل جنس من هذه الأجناس المحمودة ينطق بثناء على الله تعالى وعلى أوليائه ، ودعاء لهم ،
ودعاء على أعدائهم ؛ وأن كل جنس من هذه الأجناس المذمومة ينطق بضد ذلك من ذم
الأولياء عليهم السلام ، كذم الجري^(١) وما شاكله من السمك ، وما نطق به الجري من
أنه مُسَخَّ بِجحدته الولاية ، وورود الآثار بتحريمه لذلك ؛ وكذم الدبِّ والقرْد والفيل وسائر
السُّوخِ المحرمة ؛ وكذم البطيخة التي كسرّها أمير المؤمنين عليه السلام فصادفها مرة فقال:
« من النار إلى النار » ، ورمى بها من يده ، ففار من الموضع الذي سقطت فيه دخان ؛
وكذم الأرضيين السبخة ، والقول بأنها جحدت الولاية أيضا . وقد جاء في هذا المعنى ما يطول
شرحهُ ؛ وظاهرهُ مُنافٍ لما تدل العقول عليه من كون هذه الأجناس مفارقة لقبيل ما يجوز
تكليفه ، ويسوغ أمره ونهيه .

وفي هذه الأخبار التي أشرنا إليها أن بعض هذه الأجناس يعتقد الحق ويدين به ،
وبعضها يخالفه ؛ وهذا كله مُنافٍ لظاهر ما العقلاء عليه .

ومنها ما يشهد أن لهذه الأجناس منطقا مفهوما ، وألفاظا تُفيد أغراضا ، وأنها بمنزلة
الأعجمي والعربي اللذين لا يفهم أحدهما صاحبه ، وأن شاهد ذلك من قول الله سبحانه
فيما حكاه عن سليمان عليه السلام : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ إِنَّا هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ ؛ [النمل : ١٦] . وكلام النملة أيضا مما حكاه سبحانه ،
وكلام الهدهد واحتجاجه وجوابه وفهمه ؛ فليُنعم بذكر ما عنده في ذلك مُثابا إن شاء الله .

(١) الجري : ضرب من السمك .

الجواب، وبالله التوفيق :

- اعلم أن الموعول فيما يُعتقد على ما تدلُّ الأدلة عليه من نفي وإثبات ؛ فإذا دلت الأدلة على أمرٍ من الأمور وجب أن نبني كلَّ وارد من الأخبار إذا كان ظاهره بخلافه عليه ؛ ونسوقه إليه ، ونطابق بينه وبينه ، ونجلى ظاهرها إن كان له ، ونشرط إن كان مطلقاً ، ونخصه إن كان عاماً ، ونفصله إن كان مجملاً ؛ ونوق بينه وبين الأدلة من كل طريق اقتضى الموافقة وآل إلى المطابقة ؛ وإذا كنا نفعل ذلك ولا نحتشمه في ظواهر القرآن المقطوع على صحته ، المعلوم وروده ؛ فكيف نتوقف عن ذلك في أخبار آحاد لا توجب علماً ؛ ولا تُثمر يقيناً ! فمتى وردت عليك أخبارٌ فاعرضها على هذه الجملة وابنيها عليها ؛ وافعل فيها ما حكمت به الأدلة ، وأوجبته الحجج العقلية ؛ وإن تمذّر فيها بناءً وتأويل وتخريج وتبريل ؛ فليس غيرُ الاطراح لها، وترك التعرّيج عليها؛ ولو اقتصرنا على هذه الجملة لا كتفينا فيمن يتدبّر ويتفكر .
- ١٠ وقد يجوز أن يكون المراد بدمّ هذه الأجناس من الطير أنها ناطقة بضدّ الثناء على الله وبدم أوليائه، ونقص أصفياه معناه ذم متخذيها ومرتبطيها ، وأن هؤلاء المرين بمحبة هذه الأجناس واتخاذها هم الذين ينطقون بضدّ الثناء على الله تعالى ، ويدمّون أوليائه وأحباءه؛ فأضاف النطق إلى هذه الأجناس ، وهو لتخذيها أو مرتبطيها ؛ للتجاوز والتقارب ، وعلى سبيل التجوز والاستعارة ؛ كما أضاف الله في القرآن السؤال إلى القرية ؛ وإنما هو لأهل القرية ، وكما قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَجَاسْنَا بِهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدْنَا بِنَاهَا عَذَابًا نَكْرًا . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٨ ، ٩] ؛ وفي هذا كله حدوف . وقد أضيف في الظاهر الفعل إلى من هو في الحقيقة متعلق بغيره ؛ والقول في مدح أجناس من الطير ، والوصف لها بأنها تنطق بالثناء على الله تعالى والمدح لأوليائه يجرى على هذا النهج الذي نهجناه .
- ٢٠

فإن قيل : كيف يستحق مرتبط هذه الأجناس مدحاً بارتباطها ، ومرتبطة ببعض آخر

ذمّاً بارتباطه ؛ حتى علّم المدح والذم بذلك ؟

قلنا : ماجعلنا لارتباط هذه الأجناس حظا في استحقاق مرتبتها مدحا ولا ذما ؛ وإنما قلنا : إنه غير ممتنع أن تجرى عادة المؤمنين الموالين لأولياء الله تعالى والمعادين لأعدائه بأن يألفوا ارتباط أجناس من الطير . وكذلك تجرى عادة بعض أعداء الله تعالى باتخاذ بعض أجناس الطير ؛ فيكون متخذ بعضها دوحا ؛ لا من أجل اتخاذها ؛ لكن لما هو عليه من الاتخاذ الصحيح ؛ فيضاف المدح إلى هذه الأجناس وهو لم يرتبطها ، والنطق بالتسبيح والدعاء الصحيح إليها وهو اتخذها تجوزا واتساعا . وكذلك القول في الدم المقابل للمدح .

فإن قيل : فلم نهي عن اتخاذ بعض هذه الأجناس إذا كان الدم لا يتعلق باتخاذها ، وإنما يتعلق ببعض متخذها لكفرهم وضلالهم ؟

قانا : يجوز أن يكون في اتخاذ هذه البهائم المنهي عن اتخاذها وارتباطها مفسدة وليس يقبَحُ خاتمها في الأصل لهذا الوجه ؛ لأنها خلقت ليُنتفعَ بها من سائر وجوه الانتفاع ١٠ سوى الارتباط والاتخاذ الذي لا يمنع تعلق المفسدة به .

ويجوز أيضا أن يكون في اتخاذها هذه الأجناس المنهي عنها شؤم وطيرة ؛ فلامرّب في ذلك مذهب معروف . ويصح هذا المنهي أيضا على مذهب من نفي الطيرة على التحقيق ؛ لأن الطيرة والتشاؤم - وإن كان لا تأثير لهما على التحقيق - فإن النفوس تستشعر ذلك ، ويسبق إليها ما يجب على كل حال تجنبه والتوقى عنه (١) ؛ وعلى هذا يحمل معنى قوله ١٥ عليه السلام : « لا يُوردُ ذو عاهة على مُصِحِّحٍ » .

فأما تحريم السمك الجريّ وما أشبهه فغير ممتنع لشيء يتعلق بالمفسدة في تناوله ؛ كما تقول في سائر المحرمات . فأما القول بأن الجريّ نطق بأنه مُسِيخٌ بجحده الولاية فهو مما يُضحك منه ويتمجّب (٢) من قائله ، والملتفت إلى مثله .

فأما تحريم الدّب والقرد والفيل فمكتحريم كل محرّم في الشريعة ، والوجه في التحريم ٢٠ لا يختلف ؛ والقول بأنها ممسوخة إذا تكلفنا حملناه على أنها كانت على خلق حميدة (٣) غير

(١) من نسخة بحاشيتي ف ، ط : « منه » . (٢) من نسخة بحاشيتي ف ، ط : « يعجب » .

(١) من نسخة بحاشيتي ف ، ط : « جميلة » .

منفور عنها ، ثم جملت على هذه الصورة الشنيئة على سبيل التنفير عنها ، والزيادة في الصدد عن الانتفاع بها ؛ لأن بعض الأحياء لا يجوز أن يكون غيره على الحقيقة . والفرق بين كل حين معلوم ضرورة ، فكيف يجوز أن يصير حيّا آخر غيرَه؟ وإذا أريد بالمسخ هذا فهو باطل ، وإن أريد غيره نظرنا فيه .

٥ وأما البطيخة فقد يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لما ذاقها ونفر عن طعمها ؛ وزادت كراهيته لها قال : «من النار إلى النار» ، أي هذا من طعام أهل النار ، وما يليق بعذاب أهل النار ، كما يقول أحدنا ذلك فيما يستوبئه ويكرهه .

ويجوز أن يكون فوران الدخان عند الإلقاء لها كان على سبيل التصديق ، لقوله عليه السلام : «من النار إلى النار» وإظهار معجز له .

١٠ وأما ذمّ الأرضين السيّخة ، والقول بأنها جحدت الولاية ؛ فمتى لم يكن محمولا معناه على ما قدمناه من جحد أهل هذه الأرض وسكانها الولاية لم يكن معقولا ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ .

وأما إضافة اعتقاد الحق إلى بعض البهائم واعتقاد الباطل والكفر إلى بعض آخر فمتخالفة العقول والضرورات ؛ لأن هذه البهائم غير عاقلة ولا كاملة ولا مكلفة ، فكيف تعتقد حقا ١٥ أو باطلا ! وإذا ورد أثر في ظاهره شيء من هذه المحاولات ؛ إما اطرح أو تؤوّل على المعنى الصحيح . وقد نهجنا طريق التأويل ، وبيننا كيف التوصل إليه .

فأما حكايته تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ فالمراد به أنه علم ما يفهم به ما ينطق به الطير ؛ وتتداعى في أصواتها وأغراضها ومقاصدها ؛ بما يقع منها من صياح ؛ على سبيل المعجزة لسليمان عليه السلام . ٢٠

فأما الحكاية عن النملة بأنها قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ ﴾ [النمل: ١٨] فقد يجوز أن يكون المراد به أنه ظهر منها دلالة القول

على هذا المعنى ؛ وأشعرت باقي النمل ؛ وخوفتهم من الضرر بالمقام ، وأن النجاة في الهرب إلى مساكنها ؛ فتكون إضافة القول إليها مجازا واستعارة ؛ كما قال الشاعر :

* وَشَكَأَ إِلَى بَعْبَرَةٍ وَتَحَمَّحُمُ (١) *

وكما قال الآخر :

٥ * وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمِعًا وَطَاعَةً *

ويجوز أيضاً أن يكون وقع من النملة كلام ذو حروف منظومة - كما يتكلم أحدنا - يتضمن المعاني المذكورة ، ويكون ذلك معجزة لسليمان عليه السلام ؛ لأن الله تعالى سخر له الطير ، وأفهمه معاني أصواتها على سبيل المعجزة له . وليس هذا بمنكر ؛ فإن النطق بمثل هذا الكلام المسموع من لا يمتنع وقوعه ممن ليس بمكاف ولا كامل العقل ؛ ألا ترى أن المجنون ومن لم يبلغ الكمال من الصبيان قد يتكلمون بالكلام المتضمن للأغراض ؛ وإن كان التكليف والكمال عندهم زائلين .

والقول فيما حكي عن الهدهد يجري على الوجهين اللذين ذكرناهما في النملة ؛ فلا حاجة بنا إلى إعادتهما . وأما حكايته أنه قال : ﴿ لَا عَذْبَنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ ؛ [النمل : ٢١] ، وكيف يجوز أن يكون ذلك في الهدهد وهو غير مكلف ولا يستحق مثله العذاب

١٥

فالجواب أن العذاب اسم للضرر الواقع ، وإن لم يكن مستحقا ؛ وليس يجري مجرى العقاب الذي لا يكون إلا جزاء على أمر تقدم . وليس بمتنع أن يكون معنى ﴿ لَا عَذْبَنَهُ ﴾ أي لأولئنه ، ويكون الله تعالى قد أباحه الإيلام له ؛ كما أباحه الذبح لضرب من المصلحة ، كما سخر له الطير يصرّفها في منافعه وأغراضه ؛ وكل هذا لا ينكر في نبي مرسل تُخرق له العادات ؛ وتظهر على يده المعجزات ؛ وإنما يشبهه على قوم يظنون أن هذه الحكايات تقتضى كون النملة والهدهد مكلفين ؛ وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك .

(١) لعنرة العبسي ، من العنقة ص ٢٠٤ - بشرح التبريزي :

* فازور من وقع القنأ بلبانه *

والتححم : صوت مقطع ليس بالصهيل .

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الأنعام : ١٥١] .

وكيف (١) يجوز أن يكون من مُجْمَلَةٍ ما حرّم علينا ألا نشرك به شيئاً ؛ والأمرُ بالعكس من ذلك .

الجواب ، قيل له : هذا السؤال (٢) سؤالٌ مَنْ لا تأملَ عنده بموضوع الآية وترتيب خطاياها ؛ لأنَّ التحريمَ المذكورَ فيها لا يجوز البتة على مذهب أهل العربية أن يكون متعلقاً بقوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ ؛ وإنما هو من صلة الجملة الأولى ؛ ولو تعلّق التحريم المذكور بقوله : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ لم يخلُ أن يكون تعلّقه به تعلّق الفاعل أو المفعول ؛ وكأنه قال : حرّم ألا تشركوا ، أو المبتدأ والخبر ؛ فكأنه قال : الذي حرم ربكم عليكم ألا تشركوا .

والتعلّق الأول يمنع منه أن لفظه ﴿ حَرَّمَ ﴾ من صلة لفظ ﴿ مَا ﴾ التي هي بمعنى الذي ؛ فلا تعملُ فيما بعدها ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : حرّمتُ كذا ، فالتحريم عاملٌ فيما بعده عملَ الفعل في المفعول ؛ فإذا قلت : الذي حرّمتُ كذا بطلَ هذا المعنى ، ولم يَجْزُ أن يكون التحريم متعلقاً بما بعده على معنى الفعلية ؛ بل على سبيل المبتدأ والخبر .

ولا يجوز أن يكون في الآية التعلّق على هذا الوجه ؛ لأنَّ صدر الكلام يمنع من ذلك ؛ ألا ترى أنه تعالى قال : ﴿ أَنلُ مَا حَرَّمَ ﴾ فـ ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ منصوب ، لأنه مفعول ﴿ أَنلُ ﴾ ؛ وإذا كان كذلك لم يَجْزُ أن يكون ﴿ مَا حَرَّمَ ﴾ مبتدأ حتى يكون ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ خبراً له . وإذا بطل التعلّق بين الكلام من كلا الوجهين نظرنا في قوله تعالى : ﴿ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ ماذا

(١) ط : « فكيف » .

(٢) من نسخة بمحاشيتي ف ، ط : « سؤال » .

يتعلق به ؟ واحتيجنا إلى إضمار متعلق به ؛ ولم يجوز أن نُضمَر « حرّم » ألا تشرّكوا به ؛ لأن ذلك واجب غير محرّم ؛ فيجب أن يضمَر « ما أوصاكم » ألا تشرّكوا به شيئاً ، أو « أتل عليكم » ألا تشرّكوا . والإضمار الأول يشهد له آخر الآية في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ، والإضمار الثاني يشهد له أوّل الآية من قوله تعالى : ﴿ أَتَلُّكُمْ ﴾ وما وصانا به فقد أمرنا به وندبنا إليه .

فإن قيل : فما موضعُ « أن » من الإعراب ؟

قلنا : في ذلك وجوهٌ ثلاثة :

أحدها الرفع ؛ ويكون التقدير : ذلك ألا تشرّكوا به شيئاً ؛ فكأنه مبتدأ وخبر .

والثاني النصب ؛ إما على أوصى ألا تشرّكوا ، أو على أتلُ ألا تشرّكوا .

والثالث ألا يكون لها موضع ، ويكون المعنى : لا تشرّكوا به شيئاً .

فأما موضع ﴿ تشرّكوا ﴾ فيمكن فيه وجهان :

النصب بـ « أن » ؛ والثاني الجزم بـ « لا » على جهة النهي .

فإن قيل كيف يُعطف النهي في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴾ على الخبر وهو

أوصى ﴿ ألا تشرّكوا ﴾ .

قلنا : ذلك جاز ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ؛ [الأنعام : ١٤] ؛ ومثله قول الشاعر :

حج وأوصى بسليمي الأعبداً ألا ترى ولا تكلم أحداً

* ولا يزل شرابها مبرداً *

فُعطف « لا تكلم » - وهو نهى - على الخبر .

ويمكن في الآية وجهٌ غير مذکور فيها ، والكلام يحتمله ؛ وهو أن يكون الكلامُ

قد انقطع عند قوله تعالى : ﴿ أَتَلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ ﴾ والوقف هاهنا ، ثم ابتداء ﴿ عَلَيكُمْ

ألا تشرّكوا به شيئاً ﴾ .

وإذا كانت على هذا الوجه احتمَل : ﴿ عَلَيَّكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا ﴾ وجهين :
أحدهما أن يراد به : يلزمكم وواجب عليكم ذلك ؛ كما يقال : عليك درهم ، وعليك
أن تفعل كذا ، ثم قال : ﴿ وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا ﴾ ، أى أوصى بالوالدين إحسانا .
والوجه الآخر أن يريد الإغراء ؛ كما تقول : عليك زيدا ، وعليك كذا إذا أمرت بأخذه
والبدار إليه . ٥

ولم يبق بعد هذا إلا سؤال واحد ؛ وهو أن يقال : كيف يجوز أن يقول تعالى : ﴿ أَنْتَ
مَاحِرَمٌ رَبُّكُمْ عَلَيَّكُمْ ﴾ ، ثم يأتى بذكر أشياء غير محرمات حتى تقدر لها الوصية
أو الأمر ، وصدُر الكلام يقتضى أن الذى يأتى به من بعد لا يكون إلا محرما ؛ ألا ترى
أن القائل إذا قال : تعال أنتُ عليك ما هبتُ كذا وكذا ، لا بد أن يكون ما بعدده ويندكره
١٠ من النهويات ؛ وإلا خرج الكلام من الصحة .

الجواب عن ذلك أن التحريم لما كان إيجابا وإلزاما أتى ما بعده من المدكورات على المعنى
دون اللفظ بذكر الأمور الواجبات والمأمورات للاشتراك فى المعنى . وأيضا فإن فى الإيجاب
والإلزام تحريما ؛ ألا ترى أن الواجب محرم الترك ، وكل شيء ذكر بعد لفظ التحريم فيه
على بعض الوجوه تحريم .

١٥ فإن قيل : ألا حملتم الآية على ما حملها قوم عليه من أن لفظة «لا» زائدة فى قوله : ﴿ أَلَّا
تُشْرِكُوا ﴾ ، فكأنه عز وجل حرّم أن تشركوا به ؛ واستشهد على زيادة «لا» بقوله تعال
﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ ؛ [الأعراف : ١٢] ، وبقول الشاعر :

فما ألوم البيضَ ألا تسخرأ لما رأين الأشمط الففندرا^(١)

وبقول الشاعر :

٢٠ ألا يالقومٍ قد أشطت عواذلى ويزعمن أن أودى بحقى باطلى
ويأحيينى فى اللهو إلا أحبةً وللهو داعٍ دائبٌ غيرُ غافل

(١) الففندر : الفبيح المنظر ؛ والبيتان فى اللسان (قفندر) .

قلنا : قد أنكر كثير من أهل العربية زيادة « لا » في مثل هذا الموضع، وضعفوه وحملوا قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ على أنه خارج على المعنى ؛ والمراد به : مادعاك إلى ألا تسجد ! ومن أمرك بالألا تسجد ! لأن من منع من شيء فقد دُعي إلى ألا يفعل . ومتى حملنا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ على أن لفظة « لا » زائدة على تضييف قوم لذلك فلا بدّ فيما اتصل به هذا الكلام من تقدير فعل آخر ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ؛ لأن ذلك لا يجوز أن يكون معطوفا على المحرّم ؛ ولا بدّ من إضمار : « ووصينا بالوالدين إحسانا » . وإذا احتجنا إلى هذا الإضمار ولم يفننا عنه ما ارتكبهناه من زيادة لفظة « لا » ، فالأولى أن نكتفي بهذا الإضمار في صدر الكلام على حاله من غير إلغاء شيء منه ، ونقدر ما تقدّم بيانه ؛ فكأنه تعالى وصّى ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا . ويشهد ١٠ لذلك ويقوّيه آخر الآية .

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝ ﴾ [طه: ١١٤]

فقال : ما معنى هذه الآية ؟ فإن ظاهرها لا يدل على تأويلها .

الجواب ، قلنا: قد ذكر المفسرون في هذه الآية وجهين نحن نذكرهما ، ونوضح عنهما ،
٥ ثم نتأوهما بما خطر لنا فيهما زائداً على المسطور .

وأحد ما قيل في هذه الآية أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا نزل عليه القرآن وسمعه من جبرئيل قرأ عليه السلام معه ما يوحى به إليه من القرآن أولاً أولاً قبل استتمامه والانتهاه إلى المنزل منه في الحال ، وقطع الكلام عليها ، وإنما كان يفعل النبي عليه السلام ذلك حرصاً على حفظه وضبطه ، وخوفاً من نسيان بمضه ، فانزل الله تعالى هذه الآية ليثبت النبي صلى الله عليه وآله في تلاوة ما يسمعه من القرآن، حتى ينتهي إلى غايته لتعلق بعض الكلام ببعض .

قالوا: ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ ﴾ [القيامة: ١٦-١٩] ؛ فضمن الله تعالى أنه يجمع له عليه السلام حفظ القرآن، ثم يثبت في صدره، ليؤدبه إلى أمته ، وأسقط عنه ١٥ عنه كلفة الاستمجال بترداد تلاوته ، والمسابقة إلى تلاوة كل ما يسمعه منه ؛ تخفيفاً عنه وترفيفاً له، وأكثروا ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ﴾ أي إذا انتهينا إلى غاية ما تريد إنزاله في تلك الحال، فحينئذ اتبع قراءة ذلك وتلاوته ، فلم يبق منه ما ينتظر في الحال نزوله .

والوجه الآخر أنهم قالوا : إنما نهى النبي عليه السلام عن تلاوة القرآن على أمته وأداء ما يسمعه منه إليهم ، قبل أن يوحى إليه عليه السلام ببيانه، والإيضاح عن معناه وتأويله ؛ لأن تلاوته على من لا يفهم معناه ، ولا يعرف مغزاه لا تحسن .

قالوا: ومعنى قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ المراد به: قبل أن يقضى إليك وحى بيانه، وتفسير معناه؛ لأن لفظة «القضاء» وإن كانت على وجوه معروفة في اللغة، فهي هاهنا بمعنى الفراغ والانتهاء إلى الغاية؛ كما قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

و كما قال الشاعر:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثِّي كُلَّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَسِيحٌ^(١)

أى فرغنا من حاجتنا، وانتهينا إلى غاية الوطر منها.

فأما الجواب الثالث الزائد على ما ذكر فهو أنه غير ممتنع أن يريد: لا تمجّل بأن تستدعى من القرآن ما لم يوح إليك به؛ فإن الله تعالى إذا علم مصلحة في إنزال القرآن عليك أمر بإنزاله، ولم يدخره عنك؛ لأنه لا يدخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم.

فإن قيل على هذا الوجه: إنه يخالف الظاهر؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ ولم يقل بطأه واستدعائه، والظاهر يقتضى أن الاستمجال بنفس القرآن لا بغيره.

قلنا: الأمر على ما ظنه السائل. وعلى الوجوه الثلاثة في تأويل الآية لا بدّ من تقدير ما ليس في الظاهر؛ لأن على الوجهين الأولين المذكورين لا بدّ من أن يقدر: لا تمجّل بتلاوة القرآن؛ إما على سبيل الدرس والتحقّق على ما ذكر في الوجه الأول، وأن يتلوّه على أمته قبل إنزال البيان. وأى فرق في مخالفة الظاهر؛ بين أن يقدر: ولا تمجّل بتلاوة القرآن، أو يقدر: لا تمجّل بطلب القرآن واستدعاء نزوله؟

فإن قيل: هذا يدلّ على وقوع معصية من النبي عليه السلام في استدعائه، ألم يكن له أن يستدعيه من القرآن؛ لأن النهى لا يكون إلا عن قبيح.

قلنا: النهى لا يكون إلا عن قبيح لا محالة؛ لكن النهى لا يدلّ

(١) البيت ينسب لكثير؛ وانظر الجزء الأول ص . . .

على وقوع الفعل المنهى عنه ؛ لأنه قد يُنهى عن الفعل من لم يواقع قط ولا يواقعهُ، ألا ترى أن النبي عليه السلام نُهى عن الشُّرك وسائر القبائح ؛ كما نُهينا ، ولم يدل ذلك على وقوع شيء مما نُهى عنه منه !

وهذا أيضا يمكن أن يكون جواباً لمن اعتمد على الوجهين الأولين إذا قيل له : أفوق منه عليه السلام تلاوة القرآن على أُمَّته قبل نزول بيانه ، أو عَجِل بتكريره على سبيل الدرس كما نُهى عنه ؟

ويمكن من اعتمد على الوجه الأول في تأويل الآيه أن يقول في قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ وإن كان ظاهره النهى ليس بنهى على الحقيقة ؛ وقد يرد ما هو بلفظ النهى وهو غير نهى على التحقيق ، كما يرد ما هو بصفة الأمر وليس بأمر ؛ وإنما ذلك تخفيفٌ عنه عليه السلام وترفيهٌ ، ورفع كلفة المشقة ، فقيل له عليه السلام : لا تتكلف المسابقة إلى تكرير ما يُنزل عليك خوفاً من أن تنساه ؛ فإن الله تعالى يكفيك هذه المئونة ، ويعينك عن حفظه وضبطه ؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ؛ أى جمعه في حفظك وتأمورك^(١) .

وبعد ؛ فإن الأولى التوقف عن معرفة غاية الكلام التي ينتهى إليها ، ويقطع عليها . والتلاوة لما يرد منه الأول فالأول ؛ تلاوة لما لا يُعرف معناه ؛ لتعلق الكلام ببعضه ببعض ؛ فندب عليه السلام إلى الأولى من التوقف على غايته^(٢) .

وأما الوجه الثانى الذى اعتمد فيه على أن النهى إنما هو عن تلاوته على الأمة قبل نزول بيانه ؛ فإن كان المعتمد على ذلك يقول : ليس يمتنع أن تكون المصلحة في التوقف عن الأداء قبيل البيان ؛ فنهى عليه السلام عن ذلك ؛ لأن المصلحة في خلافه ؛ فهذا جاز لا مطعن فيه ؛ وإن كان القصد إلى أن الخطاب لا يحسن إلا مع البيان ؛ على مذهب من يرى أن البيان لا يتأخر عن الخطاب ؛ فذلك فاسدٌ ، لأن الصحيح أن البيان يجوز أن يتأخر عن وقت الخطاب ؛ وإنما لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة .

(١) التأمور : القلب . (٢) حاشية ف : « التوقف على علته » .

وقد بينا الكلام في هذه المسألة ، والأدلة على صحة مذهبنا إليه منها في مواضع من كتبنا ،
وتكلمنا على فساد قول من أوجب اقتران البيان بالخطاب .

على أن من اعتمد على هذه الطريقة في هذا الموضع فقد غلط ؛ لأن الآية تدل على أن
الله تعالى قد خاطب نبيه عليه السلام بما يحتاج إلى بيان من غير انضمام البيان إليه . وإذا جاز
ذلك في خطابه تعالى لنبيه عليه السلام جاز مثله في خطاب النبي عليه السلام لأمته ؛ لأن
من أبطل تأخير البيان عن زمان الخطاب يُوجب ذلك في كل خطاب .

وليس يمكن أن يدعى أنه تعالى قد بين له ؛ لأن تأويلهم يمنع من ذلك ؛ لأنه قيل له
على هذا الوجه : لا تمجّل بتلاوة القرآن على أمتك قبل أن يُبضى إليك وحيه ؛ يعنى قبل
أن ينزل إليك بيانه ؛ فالبيان متأخر عنه على ذلك الوجه ؛ وذلك قبيح على مذهب من منع
من تأخير البيان من وقت الخطاب .

١٠

والتأويل الذي ذكرناه زائداً على الوجهين المذكورين يمكن أن تفسر به الآية الأخرى

التي هي قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ ، بطلب ما لم ينزل عليك من القرآن ؛ فإن
علينا إنزال ما تقتضى المصلحة إنزاله عليك وجمعه لك ؛ وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ
قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ، يدل ظاهره على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ؛

لأنه تعالى أمره : إذا قرأ عليه الملك وأوحى به إليه أن يقرأه ، ثم صرح بأن البيان يأتي
بعده ؛ فإن « ثم » لا يكون إلا لتراخي ، وما هو مقترن بالشئ لا تستعمل فيه لفظة « ثم »

الآتري أنه لا يقال : أناي زيد ثم عمرو ، وإنما حضرا في وقت واحد !

مَسْأَلَةٌ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] .

فقال : أى معنى لقوله تعالى : ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ ؟ وما الكتابُ المشارُ إليه ؟ وإذا كان الاصطفاء هو الاختيار والاجتباء - وذلك لا يليق إلا بمن هو معصوم مأمون منه القبيح كالأنبياء والأئمة عليهم السلام - فكيف قال بعد ذلك : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ ، وهنا وصف لا يليق بمن ذكرناه ؟

الجواب ، إن الذى يجب اعتمادهُ فى تأويل هذه الآية أن قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ﴾ ترجع الكنايةُ فيه إلى العباد ؛ لا إلى الذين اصطفوا ؛ وهو أقرب إليه فى الذكر ، فكأنه تعالى قال : **وَمِنْ** عبادنا ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات .

١٠ فإن قيل : فأى فائدةٍ فى وصف العباد بهذه القسمة ؟ وكيف عدل عن وصف الذين اصطفاهم ، وورثهم الكتاب ؟

قلنا : الوجهُ فى ذلك ظاهرٌ ؛ لأنه تعالى لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاهم من عباده أراد أن يبين وجه الاختصاص ؛ وإنما علق وراثته الكتاب ببعض العباد دون بعض ؛ لأنَّ فى العباد مَنْ هو ظالم لنفسه ، وَمَنْ هو مقتصد ، وَمَنْ هو سابق بالخيرات ؛ فوجه المطابقة بين الكلام واضح .

١٥ ونحن الآن مُتَّبِعُونَ ما قيل فى تأويل هذه الآية ؛ وموضِّحون عما فيه من صحة أو اختلال ، ذكر أبو عبيدٍ الجبائى وَمَنْ تابعه أن المراد بالذين اصطفوا الأنبياء عليهم السلام ، والظالمُ لنفسه مَنْ ارتكب الصغيرة منهم ؛ وإنما وُصِفَ بذلك مَنْ حيثُ فوّت نفسه

الثواب الذى زال عنه بفعل الصغيرة ، ويؤدّى سائر الواجبات . والسابقُ إلى الخير هو الذى استكثر من فعل النوافل ؛ وهذا التأويل يفسد من جهة أن الدليل قد دلَّ على أن الأنبياء

عليهم السلام لا يقع منهم شيء من المعاصي والقبائح . وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا المعروف «بتزيه الأنبياء والأئمة» عليهم السلام .

ولو عدلنا عن ذلك لم يجز ما قاله ؛ لأن قولنا : فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذم ، والذم لا يستحقه فاعل الصغيرة ؛ فكيف تُجرى عليه أوصافُ الذم ؟ ولا شبهة في أن قولنا : فلان ظالم لنفسه من أوصاف الذم ؛ لأنهم يقولون في كلِّ مَنْ فعل قبيحا : إنه قد ظلم ، من حيث فعل ما يستحق به العقاب ؛ وكأنه أدخل على نفسه ضرراً ما كان يستحقه ، فأشبهه بذلك الظالم لغيره .

ولا يجوز أن يوصف فاعل الصغيرة بأنه ظالم لنفسه من حيث فوت نفسه الثواب ؛ لأنه إن عني بذلك الثواب الذي يبطل بعقاب الصغيرة ، فعند أبي علي أن الصغيرة ينحيط عقابها بالثواب الكثير ؛ من غير أن ينقص من الثواب شيء ؛ لأنه لا يذهب إلى الموازنة التي يذهب إليها أبو هاشم ، فما فوتت الصغيرة عنده ثوابا كان مستحقاً له ، وإن عني بتفويت الثواب أنه لو لم يفعل هذه المعصية لكان يستحق على الامتناع منها ثواباً فإنه يفعلها . فهذا يُوجب أن يكون الأنبياء عليهم السلام في كل حالٍ مفوّتين لأنفسهم الثواب بفعل المباحات ؛ لأنهم لو فعلوا الطاعات بدلاً منها لاستحقوا الثواب ، ولو جب أن يوصفوا على الفائتة بأنهم ظالمون لأنفسهم .

١٥

على أن وضع الكلام وترتيبه يقتضيان أن الظالم لنفسه في الآية في موضع ذم ، لأنه تعالى جعله بإزاء المقتصد ، وليس بإزاء المقتصد إلا المسرف المذموم .

فإن قيل : فقد قلتم في تأويل حكايته تعالى عن آدم وحواء عليهما السلام قولهما ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴾ ، [الأعراف: ٢٣] : إنما أراد أننا نقصناها الثواب الذي كنا نستحقه لو

٢٠

فعلنا ما ندبنا إليه من الامتناع من تناول الشجرة .

قلنا : إنما قلنا ذلك هناك ، وعدلنا عن الظاهر في هذه اللفظة لقيام الدليل أن النبي عليه السلام لا يواقع المحذور ، كبيراً ولا صغيراً من الذنوب . وليس في الآية التي نحن في الكلام عليها ضرورةٌ تُوجب العدول عن الظاهر ، بل قد بينا أن ترتيب الكلام ومقابلته

يقتضيان أن لفظة ﴿ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ في الآية تقتضى الذم ، لأنها بإزاء المقتصد .

على أنه غير ممتنع أن تكون لفظة « ظلم » بخلاف لفظة ظالم في عرف الاستعمال ، كما أن عند مخالفنا أن لفظة « آمن » بخلاف لفظة « مؤمن » ، لأنهم يصفون صاحب الكبيرة بأنه آمن ولا يسمونه بأنه مؤمن ، ويزعمون أن الانتقال عن الاشتقاق إلى إفادة استحقاق الثواب إنما هو في مؤمن دون آمن ، فلا ينبغي أن ينكروا مثل ذلك في ظلم وظالم . ٥

وتأول قوم هذه الآية على أن المراد من اختاره الله تعالى للتكليف، وتورث الكتاب من العقلاء البالغين ، ثم قسمهم الأقسام التي تليق بهم ، من غير أن يكون المراد بالآية الأنبياء عليهم السلام .

وهذا الجواب يفسد ، لأن الله تعالى يقول : ﴿مَنْ أُرْمِنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ ، ومن اصطفاه الله واختاره واجتباها بالإطلاق لا يكون إلا ممدوحا معظما ، فكيف يكون فيهم من يستحق الذم والعقاب ؟ ومن يختار الله تكليفه شيئا مخصوصا لا يقال بالإطلاق إن الله تعالى اصطفاه . والمعتزلة أبدا تنكر على المرجئة تأويلهم قوله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٨] ، على أن المراد من ارتضى الشفاعة فيه ، ويقولون : من ارتضى شيئا يتعلق به لا يوصف بأنه مرتضى على الإطلاق ، فكيف يثبتونه ١٥ هاهنا .

ووجدت أبا قاسم البلخي يقول في كتابه تفسير القرآن : ” إنه تعالى أراد العقلاء البالغين ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء أختيارا أتقياء ثم ظلم بعضهم نفسه ؛ فيكون كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ ؛ [المائدة : ٥٤] ؛ وهو في وقت الارتداد غير مؤمن . كذلك يكون في حال ظلمه نفسه ليس من المصطفين “ . قال : ” ويجوز أيضا أن يكون فيهم من ظلم نفسه ثم تاب وأصلح ؛ ويكون قوله : ﴿مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ ، أى منهم من كان قد ظلم نفسه ؛ ليس أنه في هذا الوقت ظالم لها “ .

هذه ألفاظه بعينها حكيناها عنه ؛ وهذا فاسد ؛ لأن من كان منهم ظالما فاعلا للقبیح

لا يوصفون على الإطلاق بأن الله تعالى اصطفاهم . فهذا الوصف يقتضى أن تكون الجماعة اختياراً . وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾ بخلاف هذا ؛ لأنَّ وصفهم بأنهم آمنوا فى الماضى لا يمنع من الردة فى المستقبل ؛ وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ يمنع أن يكون فيهم من ليس هذه صفته .

وأما حمل ذلك على من ظلم ثم تاب فهو غير صحيح ؛ لأنَّ من تاب لا يوصف بعد التوبة ٥ بأنه ظالمٌ لنفسه ؛ لأن التوبة تمنع من إجراء أفعال الذم .

ووجدت بعضهم يتأول هذه الآية على أن المراد بـ ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ مَنْ جَهِدَ نَفْسَهُ فى العبادة وحمل عليها ؛ وقال : هذا يليق بأوصاف الأنبياء عليهم السلام ، ولا تمنع النبوة منه .

وهذا أيضاً غير صحيح ؛ لأننا قد بينا أن لفظة ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ يذمُّ بها فى التعارف ، فكيف تجرى على المدح ! ومن هذا الذى يسمى مَنْ جَهِدَ نَفْسَهُ فى العبادة بأنه ظالمٌ لنفسه ١٠ بالإطلاق !

على أن السابق إلى الخيرات هو المجتهد فى العبادة ، الحامل على نفسه فيها ، فأى معنى للتكرار ؟ وهذا تأويل يفسد القسمة ، وهذه الجملة توضح أن التأويل الصحيح ما قدمناه .

فأما قوله تعالى ﴿ الْكِتَابِ ﴾ فالظاهر أنه كناية عن القرآن المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فقد صارت هذه اللفظة بالإطلاق عبارة عنه ؛ ولهذا إذا أطلق القائل فقال : ١٥ هذا ينطق به الكتاب ، ومحرم فى الكتاب ، وورد فى الكتاب لم يفهم منه إلا ما ذكرناه .

ومعنى ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ معنى علمه وفوائده وأحكامه ؛ وليس يليق ذلك بالأنبياء المتقدمين ؛ فإنه لا حظَّ لهم فى علم هذا الكتاب ؛ وإنما يختص بهذه الفائدة نبينا عليه السلام والأئمة من ولده عليهم السلام ؛ لأنهم التعميدون بحفظه وبيانه ، والعمل بأحكامه . وذلك كله واضح بحمد الله ومنه .

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائلٌ عن قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

الجواب، قلنا : أما ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ فالمراد به ما كان يعتمده المشركون ، ويدعونها إلهاً من دون الله . والهاء في ﴿ دُونِهِ ﴾ راجعة إلى اسم الله تعالى . وتحقيق الكلام :
 ٥ ولا يملكُ الذين يدعون إلهاً وأرباباً من دون الله تعالى الشفاعة . ولما كثر استعمالُ هذه اللفظة فيمن يُعبد من دون الله ، ويدعى إلهاً رازقاً استحسنوا الحذفَ لظهور الأمر في المراد ؛ ولهذا حمل محققو المفسرين قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبادُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧] الآلهة من دونه ، وحذف ما يتعلق بهذا الدعاء في هذه الآية أشكلُ من حذفه في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ ؛ لأنَّ قوله جل وعز : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ قد نبه وأيقظ على أنَّ المراد : مَنْ كان يُدعى إلهاً من دونه .

والآية الأخرى لا دليل فيها من لفظها على ما يتعلق به قوله : ﴿ دُعَاؤُكُمْ ﴾ .

ومعنى أنهم لا يملكون الشفاعة ، أى ليس لهم أن يفعلوا ويتصرفوا فيها ؛ لأن معنى المالك ليس هو إلا من كان قادراً على التصرف فيه ؛ وليس لأحد أن يمنعه من ذلك ؛ والشفاعة قد بينا في غير موضع من كتبنا أنها لا تستعمل على طريقة الحقيقة إلا في طلب إسقاط المضار ؛ وإنما استعملت في إيصال المنافع تجوزاً فيه واستمارة .

وقيل في معنى الآية وجهان : أحدهما أن المعبودين من عيسى وبن مريم والملائكة وعزير عليهم السلام ؛ لا يملك الشفاعة عند الله تعالى [أحد منهم] في أحد إلا فيمن شهد بالحق ، وأقر التوحيد ، وبجميع ما يجب عليه الإقرار به .

والوجه الآخر أن الذين يدعون من دون الله من البشر والأجسام وجميع المعبودات لا يملك الشفاعة عند الله إلا من شهد بالحق منهم يعنى عيسى وعزيراً والملائكة عليهم السلام ؛ لا يملكون

الشفاعة عند الله تعالى إلا إذا كانوا على الحق شاهدين به ؛ معترفين بجميعة ؛ فإنهم يملكون الشفاعة عند الله ؛ وإن كان لا يملكها ما عداهم من المعبودات .

والفرق بين الوجهين أنَّ الوجه الأول يرجح الاستثناء فيه إلا من تناوله الشفاعة ؛ وفي الوجه الثاني يرجح الاستثناء إلى الشافع دون المشفوع فيه .

○ فإن قيل : أي الوجهين أرجح ؟

قلنا : الثاني ؛ وإنما رجحناه لأن المقصد بالكلام أنَّ الذين يدعونهم من دون الله تعالى لا يملكون لهم نفعاً ؛ كما قال تعالى في مواضع إنهم لا ينفعونكم ، ولا يضرّونكم ، ولا يرزقونكم ؛ ووضعُ الكلام على نفي منفعة تصل إليهم من جهتهم ؛ ولا غرض في عموم من يشفعون فيه أو خصوصه .

١٠ ولما كان فيمن عبدوه من نبيٍّ أو ملكٍ مَنْ يجوز أن يشفع فيمن تحسن الشفاعةُ له، وجب استثناءه حتى لا يتوهّم أنَّ حُكْمَ جميع مَنْ عدّده واحد ؛ في أنه لا تصح منه الشفاعة ؛ وأنَّ من كان تصح منه الشفاعة إنما يشفع فيمن تحسن الشفاعة له ممن لم يكن كافراً ولا جاحداً .

ويترجّح هذا الوجهُ من جهةٍ أخرى ؛ وهى أننا لو جعلنا الاستثناء يرجع إلى من يُشفع فيه لكان الكلام يقتضى أنَّ جميع من يدعون من دون الله يشفع لكل من شهد بالحق ، ١٥ والأمر بخلاف ذلك ؛ لأنه ليس كل مَنْ عبدوه من دون الله تعالى تصح منه الشفاعة ؛ لأنهم عبدوا الأصنام، وبعضُ عبَد الكواكب والشفاعة لا تصح منها؛ فلا بد من أن تخصص الكلام وتقدره هكذا؛ لا يملك بعض الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا فيمن شهد بالحق ؛ فموود الاستثناء إلى الشافعين وأولى؛ حتى يتخصص .

٢٠ وأيضاً فلو عاد الاستثناء إلى المشفوع فيه لوجب أن يكون على غير هذه الصيغة فيقول : « إلا فيمن شهد بالحق » وإذا قال : « إلا من شهد بالحق » كان ذلك بأن يرجع إلى الشافع أوّلَى ؛ لأنه أليق باللفظ ، لأننا إذا أردنا أن نستثنى من جماعة لا يشفعون قلنا : هؤلاء

لا يشفعون إلا مَنْ كان بصفة كذا ؛ وإذا كان الاستثناء ممن يُشفع فيه قلنا : لا يشفعون إلا فيمن صفته كذا .

وأيضاً فعلی الوجه الأول وقد تقدم عموم ظاهرٍ في اللفظة يجوز أن يستثنى منه وهو قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ وما جرى ذكر المشفوع فيه عموماً يستثنى بعض .

٥ فإن قيل : الشفاعة لفظ جنس ، يقتضى العموم .

قلنا : قد بينا في غير موضع أن ألفاظ الجنس لا تقتضى الاستغراق ، وضرربنا المثل بمن يقول : هذه أيام أكل اللحم ، وزمان لبس الجباب ، فإنه يقتضى الجنس من غير استغراق . وإن توهم خصوص أو عموم فخطؤها لا يعقل .

فإن قيل : أى فائدة في قوله تعالى ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وبأى شيء يتعلق علمهم .

١٠ قلنا : ليس كلُّ مَنْ شهد بالحق يكون عالماً ؛ لأن المقدم والمبخت ربما شهد بالحق على وجه لا ينفع ؛ وإنما لا ينفع ذلك مع العلم فكأنه تعالى قال ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ فحجة ما شهدوا به .

فإن قيل : إذا كان المستثنى هم الأنبياء والملائكة فهؤلاء لا يشهدون بالحق إلا مع العلم .

قلنا : ذلك صحيح إلا أن الاستثناء لما تناول في اللفظة مَنْ كان يصفه ، وكان مجرد

هذه اللفظة لا ينفع في المعنى المقصود إلا مشروطاً بالعلم وجب اشتراط العلم ؛ ليعلم انتقاد تلك

١٥ الصفة فيمن كانت إليه ؛ وهذا واضح .

فإن قيل : هذان الوجهان اللذان ذكرتموهما ، ورجحتم أحدهما يقتضيان مشاركة نبينا

عليه السلام في الشفاعة للمذنبين ؛ ومن مذهب المسلمين أنه ينفرد بالشفاعة .

قلنا : ليس فيما ذكر تضعيف لهذين الجوابين من وجوه :

أحدها أن انفراده عليه السلام بالشفاعة للمذنبين حتى لا يشاركه أحدٌ فيها ليس بمعلوم

٢٠ ولا مقطوع عليه ؛ وإنما يرجع فيه إلى أقوال قوم غير محصلين ؛ ألا ترى أن عند المسلمين

كلهم إلا عند المعتزلة ومن وافقهم أن للمؤمنين شفاعة بعضهم في بعض ! فكيف يدعى

الاختصاص في هذه الرتبة !

وثانيتها أن المزية المدعاة لتبينا عليه السلام في الشفاعة إنما هي على الأنبياء المتقدمين دون الملائكة ؛ لأنه لا خلاف في أن الملائكة شفاعة ، وقد نطق القرآن بذلك فقال : ﴿ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهَمُّ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ؛ [الأنبياء : ٢٨] . وإذا كان الأمر على ما ذكرناه فالاستثناء يعود إلى الملائكة عليهم السلام ؛ لأنهم من جملة المعبودين ، فلا يمنع نفي الشفاعة عن الكل أن يُستثنوا لأن لهم شفاعة .

وثالثها أن الشفاعة قد تكون إلى الله تعالى وإلى غيره ؛ فإن ثبت ما ادعى من تفرّد نبينا عليه السلام بالشفاعة عند الله تعالى في مُدُنِي أُمَّتِهِ ، جاز أن تثبت الشفاعة لغيره عند غير الله تعالى ؛ فكأنه قال : أنتم تعبدون من لا يشفع فيكم في الدنيا ولا ينصركم ؛ واستثنى من يجوز عليه أن يشفع في الدنيا .

ورابعها أن يكون المراد بالشفاعة هاهنا النصرة والمعونة والمنفعة ؛ لأن الشفاعة فيمن ١٠ تناوله نفع يوصل إليه ؛ وإرادة الشفاعة في الأمة معنى الشفاعة ، وهو المنفعة والنصرة ؛ وتقدير الكلام : إنكم تعبدون من لا ينفعكم ولا يضركم ولا يُعينكم ؛ ولما كان في جملة هؤلاء المعبودين من يصح أن يضركم وينفع استثنى ؛ ليبين أن حكمهم يفارق لحكم غيرهم ؛ وهذا بين لمن تأمله .

مَسْأَلَةٌ

إن اعترض معترض على ما نقوله من أن الاستثناء إنما يُخْرِج من الجمل ما صحَّ دخوله فيها؛ وليس بواجب أن يُخْرِجَ منها ما وجب دخوله؛ بأن يقول: هذا يقتضى حُسْنَ أن يقول القائل: جاءنى رجل إلا زيدا؛ لأنَّ لفظة «رجل» تصاح أن تقع على زيد وعمرو.

يقال له: من حق الاستثناء في اللغة العربية أن يَدْخُلَ على الجمل من الكلام فيُخْرِج منها ما يصحَّ دخوله على مذهب مخالفتنا. ولا يصحُّ دخول الاستثناء على ألفاظ الوحدة. ورجل لفظ واحد، وإن وقع في المعنى على الطويل والقصير، وزيد وعمرو. والاستثناء إنما يُخْرِج من الجمل ما يتناولها لفظها دون معناها؛ فلها لم يستحسنوا: جاءنى رجل إلا زيدا؛ وقد يستحسنون في هذا الموضع ما يجرى مجرى الاستثناء بغير لفظة «إلا»؛ فيقولون: جاءنى رجل ليس زيدا وليس زيد، فيخرجون من الكلام ما صحَّ تناوله له، وإن لم يسموه استثناء، ولا استحسنوا اللفظة «إلا» إلا خاصة للاستثناء. ولولا صحة الأصل الذى ذكرناه لما استحسنوا أن يقولوا: جاءنى رجال إلا زيدا؛ لأنهم أخرجوا بالاستثناء ما تصاح لفظة «رجال» له دون ما تناوله وجوبا. فإن قيل: ألا كان قوله: «جاءنى رجال» للجنس دون ما يدعى من تناوله للثلاثة فصاعدا، فلها حُسْن الاستثناء منه بالإلا. ولفظة «رجل» في قولهم: جاءنى رجل للجنس أقلنا: لو كان لفظة «رجال» أريد به جنس الرجال على العموم حَسُنَ استثناء النكرة منه، من غير وصف لها، ولا تقرب من المعرفة؛ حتى نقول: جاءنى رجال إلا رجلا؛ لأنه إذا أريد الجنس حَسُنَ ذلك لا محالة، كحسنة لو قال جاءنى الرجال (بالألف واللام) إلا رجلا؛ وأجمعوا على أن ذلك لا يجوز؛ لأنه غير مفيد. ولو أريد بلفظة «رجال» هاهنا الجنس لكان استثناء الرجل الواحد منها من غير وصف له مفيدا. فأما لفظة «رجل» في الإثبات كقولهم: جاءنى رجل، فإنه لا يجوز أن يكون عبارة عن الجنس في شيء من كلامهم. ولو أرادوا به الجنس لَحَسُنَ الاستثناء؛ كما يحسن من ألفاظ الجنس؛ وإنما يراد في بعض المواضع بلفظة «رجل» الجنس إذا كانت في النفي، مثل قولهم: ما جاءنى رجل، وما ضربت رجلا؛ وها هنا يجوز أن تستثنى فتقول: إلا زيدا.

ويمكن في الآية وجه آخر؛ ما رأينا أحداً من المفسرين سبق إليه ؛ وهو إن لم يزد في القوة على ما ذكره لم ينقص عنه ؛ وهو أن يكون المراد بقوله تعالى: ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أى اجتهدوا في التوبة مما أقدمتم عليه ، والندم على مافات ، وإدخال المشاق الشديدة عليكم في ذلك ؛ حتى تكادوا أن تكونوا قتلتم أنفسكم ؛ وقد يُسمى مَنْ فعل ما يقارب الشيء باسم فاعله . ومذهب أهل اللغة في ذلك معروف مشهور ؛ يقولون : ضرب فلان عبده حتى قتله ، وفلان قتله العسقي ، وأخرج نفسه ، وأبطل رُوحه ، وما جرى مجرى ذلك ؛ وإنما يريدون المتاربةَ والمشاركةَ والمبالغةَ في وصف التناهي والشدة؛ فلما أراد تعالى أن يأمرهم بالتناهي والمبالغة في الندم على مافات، وبلوغ الغاية القصوى فيه جاز أن يقول: ﴿ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ فإذا قيل طعنًا على هذا الجواب : إنما تُسمى متاربةً القتل قتلا مجازا وتوسُّما ، وحملُ الكلام على حقيقته أولى !

الجواب ، أن الوجهين اللذين ذكرهما المفسرون في هذه الآية مِنْ قتل بعضهم بعضا ، والاستسلام للقتل مبنيان أيضاً على المجاز ؛ وظاهر التنزيل بخلافهما ؛ لأن الاستسلام للقتل ليس بقتل على الحقيقة ؛ وإنما سُمى باسمه مِنْ حيث يؤدي إليه ، وكذلك قتلُ بعضهم بعضا مجاز ؛ لأن القتال غير المقتول؛ وظاهر الآية يقتضى أن القاتل هو المقتول .

وأما استشهادهم في تقوية هذا الوجه بقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ بمعنى إخوانكم فلا يفتنى شيئاً ؛ لأن ذلك مجاز لا محالة ؛ وإنما حُمِل على الإخوان بدليل . والظاهر أن يكون تكليفاً لقتل الواحد نفسه ، وسلامةً على نفسه .

فإن قيل : كيف يجوز أن يُستحقَّ القتل بعد التوبة مِنْ الوجوه التي بها استحقَّ القتل قلنا : غير ممتنع أن يكلفنا الله تعالى - بعد التوبة من الكُفْر - القتل امتحانا ؛ لا على

٢٠ سبيل العقوبة .

فإن قيل : كيف يصح أن تكون التوبةُ نفسها قتلَ أنفسهم ؛ والتوبة هي الندم والعزمُ

وهما غير القتل !

قلنا : الجواب الصحيح عن السؤال أن الفاء في الآية عاطفة للقتل على التوبة ، وليست بمنية أن القتل هو التوبة على ما ظنه بعض من لم يتأمل . وهو جار مجرى قوله : ضربت زيدا فعمرآ ؛ فالفاء هاهنا عاطفة وقائمة مقام الواو ؛ إلا أن لها زيادة على حكم الواو ، فإن الفاء تقتضى الجمع الذى تقتضيه الواو ، وتقتضى الترتيب والتعقيب اللذين لا يفهمان من الواو ؛ فكأنه تعالى قال : فتوبوا إلى بارئكم واقتلوا أنفسكم ؛ فلما أمرهم بالقتل عقيب التوبة ؛ أدخل ه الفاء التى هى علامة على ذلك .

وقد أجاب بعضُ الناس بأن قال : ما لا تتم التوبة إلا به ، ومعهُ يصحُّ أن يسمّى باسمها ؛ كما يقال للغاصب إذا عزم على التوبة : إن توبتك ردُّ ما غصبت ؛ وإنما يريد : أن توبتك لا تتم إلا به . وقد بينا ما يُغنى عن ذلك فى الجواب الذى اخترناه ، وهو أولى وأوضح .

مَسْأَلَةٌ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٩٣] .

هذه الآية تشاغل المفسرون بإيضاح الوجوه في التكرار الذي تضمنته؛ وظنوا أنه المشكل منها، وتركوا ما هو أشد إشكالا من التكرار؛ وهو أنه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء والإيمان وعمز الصالحات . وإذا أريد بالاتقاء تجنب التبائح والمحارم، كان ذلك شرطا صحيحاً في نفى الجناح؛ إلا أن الإيمان وعمل الصالحات ليس بشرط في نفى الجناح على وجه ولا سبب؛ لأن من جانب القبيح المحظور عليه لم يكن عليه جناح فيما يطعمه ، وإن لم يكن مؤمناً ، ولا ممن عمل الصالحات ، ألا ترى أن المباح إذا وقع من الكافر لا إثم عليه ولا وزر! ووقوعه منه مع كفره في نفى الإثم كوقوعه من المؤمنين . والإشكال إنما هو في اشتراط الإيمان وعمل الصالحات؛ وليس لذلك تأثير معقول في نفى الجناح . ونحن نبين ما يحل هذه الشبهة القوية، ونتكلم على التكرار ، ولنا في ذلك طريقتان : أحدهما أن نضم إلى الشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما ذكر من الشروط . أو نجعل ما ولي الاتقاء من الإيمان، وعمل الصالحات ليس بشرط حقيقي وإن كان معطوفاً على الشرط، وكل ذلك جائز إذا قاد الدليل إليه ، وأحوج إلى التعميل عليه .

أما الوجه الأول فبيانه أن يكون تقدير الكلام : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وغيره إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، لأن الشرط في نفى الجناح لا بد أن يكون له تأثير؛ حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح . وقد علمنا أن باتقاء المحارم ينتفى الجناح فيما يطعم ، فهو الشرط الذي لازيادة عليه . ولما ولي ذكر الاتقاء الإيمان وعمل الصالحات ٢٠ - ولاتأثير لهما في نفى الجناح - وجب أن نقدر هناك ما تؤثر هذه الأفعال في نفى الجناح

عنه ، فأشرنا إلى إضمار ماتقدم ذكره حتى يصحّ الشرط ، ويطابقَ المشروط ، لأن من اتقى الحرام فيما يطعم لاجنّاح عليه فيما يطعم؛ لكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخلّ به من واجب، وضيّعه من فرض ، فإذا شرطنا أنه مع اتقاء القبيح ممّن آمن بالله وبما أوجب عليه الإيمان به ، وعمل الصالحات ارتفع الجناحُ عنه من كلِّ وجه .

- وليس بمنكر حذف ما قدرناه لدلالة الكلام عليه ، فمن عادتهم أن يحذفوا ما يجري هذا الجرى ، وتكون قوة الدلالة عليه وسوقها إليه مغنيين عن النطق به . وفي القرآن وفصيح كلام العرب وأشعارها أمثلة كثيرة لذلك لا تحصى ، فمنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة : ٥٣] ؛ فقد ذكر في الآية وجوده؛ من أوضحها أنه تعالى أراد: آتينا موسى الكتاب ومحمدا الفرقان ، لأنه لما عطف الفرقان على الكتاب الذي أوتيّه موسى عليه السلام، وعلمنا أنه لا يليق به — لأن الفرقان ليس مما أوتيّه موسى عليه السلام — وجب أن نقدر ما يطابق ذلك .

ومثله قول الشاعر :

تَرَاهُ كَأَنَّ اللَّهَ يَجْدَعُ أَنْفَهُ وَعَيْنِيهِ إِذْ مَوْلَاهُ بَاتَ لَهُ وَفَرُّ (١)

لما كان الجدع لا يليق بالعين — وإن كانت معطوفة على الأنف الذي يليق به الجدع —

- ١٥ أضمرنا ما يليق بالعين ، وهو البخّص وما يجري مجراه .

ومثله :

بَالِيَتَ زَوْجِكَ قَدْ غَدَا مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

ومثله :

عَلَفْتُهَا تَبْنَا وَمَاءَ بَارِدًا (٢) *

- ٢٠ والإضمار مع قوة الدلالة أحسن من الإظهار، وأدخل في البلاغة والفصاحة .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « كان له وفر » ، والبيت في (الحيوان ٦ : ٤٠) ؛ ونسبه إلى

خالد بن الطيفان ؛ وقد أورده المؤلف في هذا الجزء ص ٢٥٩ .

(٢) بقيته :

* حَتَّى شَتَّتْ هَمَّالَةً عَيْنَاهَا *

وهو من شواهد ابن عقيل ١ : ٥٢٤ ، وقد أورده المؤلف كاملاً في هذا الجزء ص ٢٥٩ .

وأما بيان الوجه الثاني فهو أنا نمدل عن ظاهر الشرط فيما ولى الاتقاء ؛ من ذكر الإيمان وعمل الصالحات ، ونجمه ليس بشرط وإن كان معطوفاً على شرط ، لأن المدول عن الظاهر بالأدلة القاهرة واجب لازم مستعمل في أكثر القرآن ؛ فكأنه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الإيمان وعمل الصالحات وتأكد لزومه ، عطفه على ما هو واجب لازم من اتقاء المحارم لا اشتراكهما في الوجوب ؛ وإن لم يشتركا في كونهما شرطاً في نفي الجُنَاح فيما يُطَمَم ؛ وهذا تفشُّح وتوسُّع في البلاغة يحار فيها العقلُ استحساناً واستغراباً ؛ وتعويلٌ على أن المخاطب بذلك على إرساله والمدول عن تفصيله يضع كلَّ شيء منه في موضعه ؛ وكم في القرآن من هذه الغرائب في الفصاحة والعجائب والحدوف والاختصارات التي لا يتجاسر بليغ ولا فصيح على الإفدام عليها ، والمرور بشعبها خوفاً من الزلل والخلل !

١٠ وأما الجواب عن مشكل التكرار فالوجه فيه على الجملة أن نجعل الأحوال التي يقع فيها الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات مختلفةً بمضى واستقبال ، فيزول التكرار ، أو نجعل المأمور به من الاتقاء والإيمان وعمل الصالحات مشروطاً بخصوصاً ، يتناول الأول غير متناول الثاني ، والثاني غير متناول الأول ؛ فيزول أيضاً بذلك التكرار .

وقد أول المفسرون على اختلافهم بكثير من الجملة التي أشرنا ها هنا إليها ، وذكروا أن الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي ، والشرط الثاني متعلق^(١) بالدوام على ذلك والاستمرار على فعله ، والثالث مختص باتقاء ظلم العباد .

وذكر أبو علي الجبائي هذا بعينه ، واستدل على أن الاتقاء الثالث يختص بظلم العباد بقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ ، وأن الإحسان إذا كان متعمداً وجب أن يكون ما أمروا باتقائه من المعاصي أيضاً متعمداً ؛ وهذا ممن اعتمده من المفسرين مزج ؛ لاختلاف الأحوال باختلاف المأمور به ؛ وما ينبغى أن يكون كذلك ، بل الواجب أن نبطل التكرار . إما من جهة اختلاف الأحوال من غير أن نتمزجها باختلاف غيرها ؛ أو نمدل عن اختلاف الأحوال فنُبطل التكرار من حيث اختلاف المأمور به في عموم وخصوص .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يتعلق » .

ولعل أبا عليٍّ وغيره إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن أنه لا يمكن فيه ما أمكن في الأول والثاني : ونحن نبين أن الأمر بخلاف ما ظننه ؛ وهو أنه لا يمتنع أن يُحمّل الشرط الأول على الماضي من الزمان ، والثاني على الحال ، والثالثُ على المنتظر والمستقبل .

٥ وليس لأحد أن يقول : لا واسطةَ عند المتكلمين بين الماضي والمستقبل ؛ لأنّ الفعل إما أن يكون معدوماً فيكون مستقبلاً ، أو موجوداً فيكون ماضياً ؛ وإنما يجعل الأحوال ثلاثةً النحويون ، ولا يرتضى ذلك المتكلمون .

والجواب عن هذا أن الصحيح أنه لا واسطةَ بين العدم والوجود على ما ذكر ، غير أن الموجود في أقرب الزمان لا يمتنع أن نسميه حالاً ، وبينه وبين الماضي الغابر السالف فرقٌ ؛ كما كان كذلك بينه وبين المنتظر .

١٠

وأما بيان اختلاف المأمور ؛ فإنَّ يحمّل الانتقاء الأوّل على اتقاء المعاصي العقلية التي تختصُّ المكلف ولا تتمدها ، والإيمانُ الأولُ الإيمانُ بالله تعالى وبما أوجب الإيمانُ به ، والإيمانُ الثاني الإيمانُ بقبح هذه المعاصي ووجوب تجنّبها ، والانتقاء الثالث الانتقاء لما يتمدّى من المعاصي من الظلم والإساءة .

١٥

وليس ينبغي أن يفزع في أن الانتقاء الثالث يختص بمظالم العباد إلى ما اعتمده أبو عليٍّ من قوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ من حيث كان الإحسان إذا كان متعدياً فكذلك ما عطف عليه ؛ لأن ذلك من ضعيف الاستدلال ، لأن قول الله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ ليس بصريح في أن المراد به الإحسانُ المتمدّي ؛ لأنه غير ممتنع أن يريد به فعلَ الحسن والمبالغة فيه ، وإن اختص الفاعل ولم يتمدّه ؛ ألا ترى أنهم يقولون لمن بالغ في فعل الحسن وتناهى فيه وإن اختصه : أحسنتَ وأجملت ! ثم إن سئلَ أن المراد به الإحسانُ المتمدّي لم يمتنع أن يعطفه وهو متمدّي على فعل لا يتمدّى ؛ ألا ترى أنه لو صرح بذلك فقال : اتقوا المعاصي كلّها والنبأخ ، وأحسنوا إلى غيركم لكان حسناً غير قبيح ! وإنما ينبغي أن يفزع في التخصيص إلى الفرار من التكرار ، وحمله على ما يفيد ، وذلك يعني عما تكلفه أبو عليٍّ .

٢٠

فإن قيل : أيُّ فائدة في تخصيص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بنفى الجُنَاح فيما يَطمَمونه بالشرط المذكور ؟ ومن ليس بمؤمن يشارِكهم في هذا الحكم مع ثبوت الشرط !

قلنا : تعليق الحكم بالصفة أو الاسم لا يدلُّ على نفيه عن عدا المسمى أو الموصوف ؛ وقد دلَّ العلماء على ذلك في مواضع كثيرة ؛ وليس بممتنع على المذهب الصحيح أن يعلِّق الحكم باسم أو صفة ، ويكونَ مَنْ عدا الموصوف أو المسمى مشارِكاً في ذلك الحكم .

وقد قيل : إن السبب في نزول هذه الآية أنه لما نزل تحريمُ الخمر قال المسلمون : كيف ياخواننا الذين تناولوا الخمر قبل نزول تحريمها ، وماتوا وهي في أجوافهم ؟ وكيف ياخواننا الطائفتين في أطراف البلاد وهم لا يشعرون بهذا التحريم ؟ فأَنزل اللهُ تعالى هذه الآية تطيباً لنفوسهم ، وإعلاماً لهم : أن مَنْ يَطمَم - ما لم يبيِّن له تحريمه - لا جُنَاح عليه .

وقيل أيضاً : إن الآية وردت في قوم حرّموا على أنفسهم اللحوم ، وسلكوا طريق الترهّب ؛ كعثمان بن مظعون وغيره ، فبيّن اللهُ سبحانه أن الحلال لا جُنَاح في تناوله ، وإنما يجب التجنّب للمحرّم ، وهذه الأسباب لا تبقى معها مسألة عن سبب تخصيص المؤمنين بنفى الجُنَاح . وكل هذا واضح .

مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه عن قوله عز وجل في قصة زكريا عليه السلام : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ ؛ [آل عمران : ٤٠] .

فكأنه سأل أمراً يستحيل كونه ، وقد علمنا لا محالة أن زكرياء يعلم أن الله تعالى لا يُعجزه ما يريد ، فما وجه الكلام ؟

فأجاب عن ذلك وقال : إنه غير ممتنع أن يكون زكرياء عليه السلام لم يسأل الذرية في حال كبره وهرمه ؛ بل قبل هذه الحال ، فلما رزقه الله تعالى ولداً على الكبر ، ومع كون امرأته عاقراً قال : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ من غير إنكار منه لقدرة الله تعالى على ذلك ؛ بل ليرد من الجواب ما يزداد به بصيرة و يقينا .

ويجوز أيضاً أن يكون سأل الولد مع الكبر وعظم امرأته ، ليفعل الله تعالى ذلك على سبيل الآية له ، وخرق العادة من أجله ؛ فلما رزقه الله تعالى الولد عجب من ذلك ، وأنكره ١٠ بعض من تضعف بصيرته من أمته ، فقال عليه السلام : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ ليرد من الجواب ما يزول به شك غيره ؛ فكأنه سأل في الحقيقة لغيره لا لنفسه ؛ ويجرى ذلك مجرى سؤال موسى عليه السلام أن يرّيه الله تعالى نفسه لما شكّ قومُه في ذلك ، فسأل لهم لا لنفسه .

مَسْأَلَةٌ

وسئل أيضاً رضى الله تعالى عنه عن قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٦] .

فقال : أى شىء فى استحياء النساء من سوء العذاب ؟ وإنما العذاب فى ذبح الأبناء !

فقال : أما قتل الذكور واستبقاء الإناث فهو ضربٌ من العذاب والإضرار ؛ لأنَّ الرجال

هم الذين يردعون النساء عما يهملنَّ به من الشر ، وهو واقعٌ منهن فى الأكثر مع الردع ؛ فإذا انفردن وقع الشر ولا مانع ؛ وهذه مضرة عظيمة .

ووجه آخر وهو أن الرجوع إلى قوله : ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ هو قتل الأبناء

دون استبقاء النساء ؛ وإنما ذكر استحياء النساء لشرح كيفية الحال ؛ لأنَّ من جملة

العذاب ذلك ؛ كما يقول أحدنا : فلانٌ عذبنى بأن أدخلنى داره وعليه ثياب فلانية ،

١٠ وضربنى بالمقارع وفلان حاضر ؛ وليس كلُّ ما ذكره من جملة العذاب ؛ وإنما العذابُ هو

الضرر دون غيره ، وذكر الباقى على سبيل الشرح للحال .

ووجه آخر ، وهو أنه روى أنهم كانوا يقتلون الأبناء ، ويدخلون أيديهم فى فروج النساء

لاستخراج الأجنة من بطون الحوامل ؛ فقيل : يَسْتَحْيُونَ النِّسَاءَ ، اشتقاقاً من لفظه الحياء

وهو الفرج ؛ وهذا عذاب ومُثَلَّة ، وضررٌ شديد لا محالة .

مَسْأَلَةٌ

وسئل أيضا فقيل: أليس قد وعد الله تعالى المؤمنين في عدة مواضع من كتابه المجيد بالجنة والخلود في النعيم ، فما معنى قول النبي عليه السلام: ﴿ مَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٩] .

فقال: إنه لا يجوز أن يريد النبي عليه السلام بقوله: ﴿ مَا أَدْرِي مَا يُفَعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ الثواب أو العقاب ودخول الجنة أو النار ؛ لأنه عليه السلام عالم بأن الجنة مأواه ، والثواب عاقبته ، ولا يجوز أن يشك في أنه ليس من أهل النار ؛ وإن شك في ذلك من حال غيره ، والمراد بالآية: إني لأدري ما يفعل بي ولا بكم ؛ من المنافع والمضار النبوية ؛ كالصحة والمرض والغنى والفقر والخصب والجذب ؛ وهذا المعنى صحيح واضح لاشبهة فيه .

ويجوز أيضا أن يريد أنني لأدري ما يحدثه الله تعالى من العبادات ، ويأمرني به وإياكم من الشرعيات ، وما ينسخ من الشرائع وما يُقرّ منها ويستدام ؛ لأن ذلك كله مغيب عنه عليه السلام ؛ وهذا يليق بقوله تعالى في أول الآية : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنْ الرُّسُلِ ﴾ ؛ وفي آخرها: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ .

مَسْأَلَةٌ

وسئل أيضا عن قوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ؛ [يونس : ٩٤] .

كيف يكون النبيُّ عليه السلام في شك مما أوحى إليه ؟ وكيف يسأل عن صحة ما أنزل إليه الذين يقرءون الكتاب من قبله وهم اليهود والنصارى المكذِّبون له ؟

فقال : إن قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾ ظاهر الخطاب له عليه السلام ، والمعنى لغيره ؛ كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ ؛ [الاطلاق : ١] فكأنه قال : فإن كنت أيها السامع للقرآن في شك مما أنزلناه على نبينا ؛ فاسأل الذين يقرءون الكتاب .

١٠ وليس يمتنع عند من أنعم النظر أن يكون الخطاب متوجِّهاً إلى النبي صلى الله عليه وآله ، وليس إذا كان الشك لا يجوزُ عليه لم يحسن أن يقال له : إن شككت فافعل كذا ، كما قال تعالى : ﴿ لَنْ أَسْرَكَتَ لِيَحْبِظَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ؛ [الزمر : ٦٥] ، ومعلوم أن الشرك لا يجوز عليه .

ولاخلاف بين العلماء في أنه عليه السلام داخلٌ في ظاهر آيات الوعيد والوعد ، وإن كان لا يجوز أن يقع منه ما يستحق به من العقاب . وإن قيل له : إن أذنبت عوقبت ؛ فهكذا لا يمتنع أن يقال له : إن شككت فافعل كذا وكذا ؛ وإن كان ممن لا يشك .

ووجدت بعض المفسرين يجمِلُ ﴿ إِنْ ﴾ هاهنا بمعنى « ما » التي للجمْع ، ويكون تقديرُ الكلام : ما كنت في شك مما أنزلنا إليك ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١١] ، أي ما نحن ، وقوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ ؛ [فاطر : ٢٣] ؛ أي ما أنت إلا نذير ، ولا شك ولا شبهة في أن لفظة ﴿ إِنْ ﴾

قد تكون بمعنى «ما» في بعض المواضع ؛ إلا أنه لا يليق بهذا الموضع أن تكون ﴿ إن ﴾ بمعنى « ما » ؛ لأنه لا يجوز أن يقول تعالى : ما أنت في شك مما أنزلنا إليك ؛ فاسأل الذين يقرءون الكتاب ؛ لأن العالم لا حاجة به إلى المسألة ؛ وإنما يحتاج أن يسأل الشاك .

غير أنه يمكن نُصرةُ هذا الجواب بأنه تعالى لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفي شكّه لأوهم أمره بالسؤال أنه شاك في صدقه ، وصحة ما أنزل عليه ، فقدّم كلاماً يقتضى نفي الشك عنه فيما أنزل عليه ، ليُعلم أن أمره بالسؤال ليزول الشك عن غيره ، لا عنه . فأما الذين أمرَ بمسألتهم فقد قيل إنهم المؤمنون من أهل الكتاب ، الراجعون إلى الحق ؛ ككعب الأحرار ، ومن جرى مجراه ممن أسلم بعد اليهودية ، لأن هؤلاء لا يصدّقون عمّا شاهدوه في كتبهم من صفات النبي عليه السلام والبشارة به ؛ وإن كان غيرهم ممن أقام على الكفر والباطل لا يصدّق عن ذلك .

١٠

وقال قوم آخرون : إن المراد بالذين يقرءون الكتاب جماعة اليهود ، ممن آمن ومن لم يؤمن ؛ فإنهم يصدّقون عمّا وجدوه في كتبهم من البشارة بنبيّ موصوف ، يدعون أنه غيرك ، وأنت إذا قابلت بتلك الصفات صفاتك علمت أنت وكل من أنصف أن الم بشر بنبوته هو أنت .

وقال آخرون : ما أمره أن يسألهم عن البشارة به ؛ لأنهم لا يصدّقون عن ذلك ؛ بل أمره

عليه السلام أن يسألهم عما تقدم ذكره على هذه الآية بغير فصل من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ؛ [يونس : ٩٣] ثم قال تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ ؛ [يونس : ٩٤] ، أي في شك مما تضمنته هذه الآية من النعمة على بني إسرائيل ؛ فما كانت اليهود

٢٠

تجدد ذلك ، بل تقرّ به ، وتفخر بمكانه .

وهذا الوجه بروى عن الحسن البصرى . وكل ذلك واضح لمن تأمله .

مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه فقيل: ما القولُ فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث، ويُضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم؟

وما المانع من أن تؤثر الكواكب على حدث تأثير الشمس الأذمة^(١) فينا؟ وإن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرى المادة عند طلوع هذه الكواكب وانتقالها؟ فليُنعم ببيان ذلك؛ فإن الأنفس إليه متشوقة .

وكيف تقول: إن المنجمين حادسون^(٢)؛ مع أنه لا يفسد من أقوالهم إلا القليل؛ حتى إنهم يُخبرون بالكسوف ووقته ومقداره فلا يكون إلا على ما أخبروا به؛ فأى فرق بين إخبارهم بحصول هذه التأثيرات في هذا الجسم، وبين حصول تأثيرها في أجسامنا؟

- ١٠ الجواب، اعلم أن المنجمين يذهبون إلى أن الكواكب تفعل في الأرض ومن عليها أفعالا يُسندونها إلى طباعها، وما فيهم أحدٌ يذهب إلى أن الله تعالى أجرى العادة؛ بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض، أو بعده أفعالا من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك، ومن ادعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائلٌ بخلاف ما ذهب إليه القدماء في ذلك، ومتجملٌ بهذا المذهب عند أهل الإسلام، ومتقرب إليهم بإظهاره. وليس هذا بقول لأحد ممن تقدم.
- ١٥ وكان الذى كان يجوز أن يكون صحيحاً - وإن دلّ الدليل على فساده - لا يذهبون إليه؛ وإنما يذهبون إلى المحال الذى لا يمكن صحته؛ وقد فرغ المتكلمون من الكلام في أن الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلةً، وتكلمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك، وبيننا بطلان الطبائع التى يهتدون بنا كرها، وإضافة الأفعال إليها، وبيننا أن الفاعل لا بد أن يكون حياً قادراً. وقد علمنا أن الكواكب ليست بهذه الصفة، فكيف تفعل وما يصحح الأعمال مفقود فيها! وقد سطر المتكلمون طرفاً كثيرة في أنها ليست بحية ولا قادرة،

(١) حاشية ف من نسخة: « في الأذمة ». (٢) حادسون: ظانون.

أكثرهما مترص. وأشف^(١) ما قيل في ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة ، حرارة النار تنفيها ولا تثبت معها . ومعلوم أن حرارة الشمس أشد وأقوى من حرارة النار بكثير ؛ لأن الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها بمائل أو يزيد على حرارة النار ؛ وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حياً .

- وأقوى من ذلك كله في نفى كون الفلك وما فيه من شمس وقر و كوكب أحياء السمع والإجماع ؛ فإنه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب ، وأنها مسخرة بدبرة مصرفة ؛ وذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه وآله ضرورة ؛ وإذا قطعنا على نفى الحياة والقدرة عن الكواكب ، فكيف تكون فاعلة ! وعلى أننا قد سلمناهم استظهاراً في الحجة أنها قادرة ؛ قلنا : إن الجسم وإن كان قادراً فإنه لا يجوز أن يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد ؛ ولا بد من وُصلة بين الفاعل والمفعول ١٠ فيه ، والكواكب غير مماسة لنا ، ولا وُصلة بيننا وبينها ، فكيف تكون فاعلة فينا ! فإن ادعى أن الوصلة بيننا والهواء ؛ فالهواء أولاً لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة ، وحمل الأثقال ؛ ثم لو كان الهواء آلةً تحرق كفا بها الكواكب لوجب أن نحس بذلك ، ونعلم أن الهواء يحرقنا ويصرفنا ؛ كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حركناه بالآلة بوضع تحريكه لنا بها . على أن في الحوادث الحادثة فينا مالا يجوز أن يفعل بالآلة ، ولا يتولد عن سبب ، ١٥ كالإرادات والاعتقادات وأشياء كثيرة ؛ فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا وهي لا يصح أن تكون مخترعة للأفعال ؛ لأن الجسم لا يجوز أن يكون قادراً إلا بقدرة ، والقدرة لا تجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال .

- فأما الأدمة فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجودها وأبداننا ؛ وإنما الله تعالى هو المؤثر لها وفعالها بتوسط حرارة الشمس ؛ كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار ، ٢٠ والهائم لما يهشمه الحجر بثقله ، وحرارة الشمس مسوِّدة للأجسام من جهة معقولة مفهومة ؛ كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول ، فأى تأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في

(١) في حاشيتي : « أشفت : أفضل » .

تميزه والعلم بصحته ، فليُشر إليه؛ فإن ذلك لا قدرة عليه . ومما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا ومصرفة لنا أن ذلك يقتضي سقوط الأمر والنهي والمدح والذم عنا ، ونكون معذورين في كلِّ إساءة تقع منا ونجيبها بأيدينا ، وغير مشكورين على شيء من الإحسان والإفضال ؛ وكلُّ شيء يُفسد به قول المجبرة؛ فهو مفسد لهذا الذهب .

وأما الوجه الآخر وهو أن يكون الله تعالى أجرى المادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه ، أو اتصاله أو مفارقتها فقد بينا أن ذلك ليس بمذهب المنجمين البتة ؛ وإنما يتجملون الآن بالتظاهر به ، وأنه قد كان جائزا أن يجري الله تعالى المادة بذلك ؛ لكن لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع وثبت ؛ ومن أين لنا بأن الله تعالى [أجرى] المادة بأن يكون زحلُّ أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحسًا ، وأن المشتري إذا كان كذلك كان سعدا ؟ وأيُّ صمم مقطوع به جاء بذلك ؟ وأيُّ نبيٍّ أخبر به واستفيد من جهته ؟ فإن عولوا في ذلك على التجربة باناجرت بها ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة ؛ وإذا لم يكن موجبا وجب أن يكون معتادا .

قلنا: ومن سلم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها واطرادها ؟ وقد رأينا خطأكم فيها أكثر من صوابكم ، وصدقكم أقل من كذبكم ! فالأنا نسبتم الصحة إذا اتبقت منكم إلى الاتفاق الذي يقع من التخمين والرجم ! فقدرأنا من يُصيب من هؤلاء أكثر ممن يخطئ ، وهو على غير أصل معتمد ، ولا قاعدة صحيحة .

فإذا قلتم : سببُ خطأ المنجم ذلك دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيير الكواكب .

قلنا : ولِمَ لا كانت إصابته سببها التخمين ! وإنما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج

لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم ؛ فأما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة ، فالأنا كان دليلُ فسادها الخطأ ! فما أحدهما في المقابلة إلا كصاحبه .

ومما أفحيم به القائلون بصحة الأحكام ، ولم يتحصل منهم عنه جواب ، أن قيل لهم في شيء بعينه: خذوا

الطالع واحكموا ؛ هل يؤخذ أو يترك؟ فإن حكموا إما بالأخذ أو الترك خولفوا؛ وفعل خلاف ما خبروا به .

وقد أعضلتهم هذه المسألة ، واعتذروا عنها بأعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سمعها بعد ما من الصواب . فقالوا في هذه المسألة: يجب أن يكتب هذا المتبلى بهما يريد أن يفعل ، أو يُخبر به غيره ؛ فإننا نخرج ما قد عزم عليه من أحد الأمرين .

وهذا التعليل منهم باطل ؛ لأنه إذا كان النظر في النجوم يدلُّ على جميع الكائنات التي من جملتها ما يختاره أحدنا؛ من أخذ هذا الشيء أو تركه ، فأى فرق بين أن يطوى ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه؛ حتى يقول النجم ما عنده ، وبين أن يخبر به ويكتبه قبل ذلك! وإنما فرغوا إلى الكتابة وما يجري مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره؛ ويحكم به من أخذ أو ترك . ولو كانت الأحكام صحيحة؛ وفيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجم ما اختاره .
من أحد الأمرين على كل حال .

ولو نزلنا تحت حكمهم ؛ وكتبنا ما نريد أن نفعله لما وجدنا إصابتهم في ذلك إلا أقل من خطئهم، ولم يزيدوا فيه على ما يفعله الخمن المرجم من نظر في طالع ولا غارب ، ولا رجوع إلى أصل ؛ وإلا فالبلوى بيننا وبينكم .

وكان بمض الرؤساء بل الوزراء ممن كان فضلا في الأدب والكتابة ،
ومشغوفاً بالنجوم ، عاملا عليها قال لي يوماً - وقد جرى حديثٌ يتعلق بأحكام النجوم ، ورأى من مخائلي التمجيب ممن يتشاغل بذلك ، ويُفنى زمانه به - : أريد أن أسألك عن شيء في نفسي ، فقلت : سل عما بدالك ، قال : أريد أن تعرفني : هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى ألا تختار يوماً لسفر ، ولبس ثوب جديد ، وتوجه في حاجة ؟ فقلت : قد بلغت إلى ذلك والحمد لله وزيادة عليه ، وما في داري تقويم ، ولا أنظر فيه ، وما رأيت مع ذلك إلا خيراً .
ثم أقبلت عليه فقلت : ندع ما يدل على بطلان أحكام النجوم مما يحتاج إلى فكيرٍ دقيق ، ورويةٍ طويلة ، وهاعنا شيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقة في الفهم ، أو انخفضت ؛ خبرني لو فرضنا جادةً مساوكةً ، وطريقاً يمشى فيه الناس ليلاً ونهاراً ، وفي محجته آبار متقاربة

وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل وتوقف حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار؛ هل يجوز أن تكون سلامة مَنْ يمشى في هذا الطريق من العميان كسلامة مَنْ يمشى من البصراء؛ وقد فرضنا أنه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء وعميان؟ وهل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان، وسلامة العميان مقاربةً لسلامة البصراء؟

وقال: هذا مما لا يجوز، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان؛ ولا يجوز في مثل هذا التقارب.

فقلت: إذا كان هذا محالاً، فأحيوا نظيره، ومالا فرق بينه وبينه، وأنتم تميزون شبيهة ما ذكرناه وعديله؛ لأن البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم، ويميزون سعدتها من نحسها، ويتوقون بهذه المعرفة مضار الزمان ويتخطونها، ويعتمدون منافعه ويقصدونها. ومثال العميان ١٠ كل مَنْ لا يُحسِنُ تعلم النجوم، ولا يلتفت إليه من الفُهماء والفقهاء وأهل الديانات والعبادات، ثم سائر العوام والأعراب والأكراد؛ وهم أضعاف أضعاف مَنْ يراعى عدد النجوم. ومثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق أجمعون. ومثال آباره مصائبه ونوائبه وميخنه.

وقد كان يجب لو صح العلم بالنجوم وأحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر، ومصائبهم أقل؛ لأنهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها، وتكون محن كل من ذكرنا من الطبقات الكثيرة أوفر وأظهر؛ حتى تكون السلامة هي الطريقة الغربية؛ وقد علمنا خلاف ذلك، وأن السلامة والمحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة.

فقال: ربما اتفق مثل ذلك.

فقلت له: فيجب أن نصدق مَنْ خبرنا في ذلك الطريق المساوك الذي فرضناه بأن سلامة العميان كسلامة البصراء، ونقول: لعل ذلك اتفق.

وبعد فإن الاتفاق لا يستمر بل ينتطح؛ وهذا الذي ذكرناه مستمر غير منقطع. فلم يكن عنده عذرٌ صحيح.

ومما يُفسد مذهب المنجمين ، ويدل على مآلته يتفق لهم من الإصابة على غير أصل ، أنا قد شاهدنا جماعة من الزراقين^(١) الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ، ولا نظروا قط في شيء منه ، يُصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة ؛ وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه ، وهو لا يُحسن أن يأخذ الإصطراب للطالع ، ولا نظر قط في زيج ، بل ولا تقويم ؛ غير أنه ذكى حاضر الجواب ، فطن بالزرق ، معروف به ، كثير الإصابة وبلوغ الغاية فيما يخرج من ٥ من الأسرار . ولقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا عندي ، وكلنا قداعترنا جهة نقصدها لبعض الأغراض ؛ فسأله أحدنا عما نحن بصدده ، فابتدأ من غير أخذ طالع ، ولا نظر في تقويم ، فأخبرنا بالجهة التي أردنا قصدنا ، ثم عدل إلى كل واحد من الجماعة ، فأخبره عن كثير من تفصيل أمره وأغراضه ، حتى قال لأحدهم : وأنت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء يوصله إليك ، وقلبك به متملق ؛ وفي كمك شيء مما يدل على هذا ؛ وقد انقضت حاجتك وانتجرت ، ١٠ وجذب يده^(٢) إلى كفه ، واستخرج مافيه ، فاستحيا ذلك الرجل ، ووجم ومنع من الوقوف على مافي كفه بجهده ، فلم ينغمه ذلك ، وأعان الحاضرون على إخراج مافي كفه لأحسوا بالإصابة من الزراق ، فأخرج من كفه رقاع كثيرة ، في جملتها صك على دار الضرب بصلة من خليفة الوزراء في ذلك الوقت ؛ فمجبنا مما اتفق من إصابته مع بعده من صناعة النجوم .

وكان لنا صديق يقول أبدا : من أدل دليل على بطلان أحكام النجوم إصابة ١٥ الشعراني .

وجرى يوماً مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال : عند المنجمين أن السبب في إصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم أن مولده وما يتولاه وتقتضيه كواكب اقتضى له ذلك .

فقلت له : لعل بطليموس ، وكل عالم من علماء المنجمين ومصيب في أحكامه عليها إنما ٢٠ سبب إصابته مولده ، وما تقتضيه كواكب من غير علم ولا فهم ؛ فلا يجب أن يُستدل بالإصابة على

(١) الزرق : تعليم الشبذة والحيل (دوزى ١ : ٥٨٧) . (٢) ط «ضرب»

العلم إذا كانت تقع من جاهل ؛ ويكون سببها الولد ؛ وإذا كانت الإصابة بالواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يُحتاج إليه ؛ لأن الولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلم لا ينفع ، وتركه لا يضر ؛ وعنده علة تسمى إلى كل صنعة حتى يلزم أن يكون كل شاعر مُفلق ، وصانع حاذق ، وناسج الديباج ، ومُدَبِّق لآعماله بتلك الصناعة ؛ وإنما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه .

وإعلم أن التعب بعلم مرا كز الكواكب وأبعادها وأشكالها وتسييراتها متى لم تكن ثمرته العلم بالأحكام ، والاطلاع على الحوادث قبل كونها لادعنى له ولا غرض فيه ؛ لأنه لا فائدة في أن يُعلم ذلك كله ، وتختص نفس العلم به ، وما يجرى الاطلاع على ذلك إذا لم تتعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مجرى العالم بعدد الحصى وكيل النوى ، ومعرفة أطوار الجبال وأوزانها .

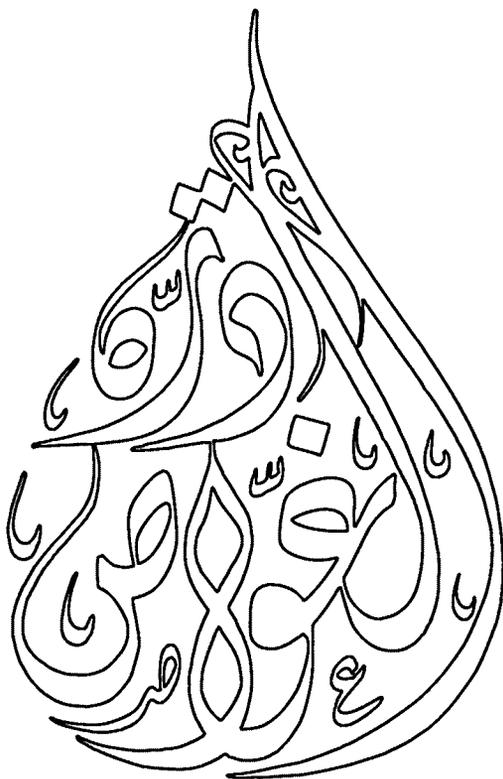
١٠ وكان العماء في تسرف ذلك عبث وسفه لا يجدى نفعاً ، فكذلك العلم بشكل الفلك وتسييرات كواكبه وأبعادها ، والمعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فيه ، وما شقى^(١) القوم بهذا الشأن وأفنوا أعمارهم إلا لتقديرهم أنه يُفضى إلى معرفة الأحكام ؛ فلا تغترّ بقول من يقول منهم : إنا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الأعاجيب ؛ فإن ذلك تجمّل منهم ، وتقرب إلى أهل الإسلام ، ولولا أن غرضهم معرفة الأحكام لما تعنوا بشيء من ذلك كله ، ولا كانت فيه فائدة ، ولا منه عائدة .

ومن أدلّ الدليل على بطلان أحكام النجوم أننا قد علمنا أن من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الإخبار عن الغيوب ، وعُدّ ذلك خارقاً للمعادات ؛ كإحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص ؛ ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً ، لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للمعادة . وكيف يشتهر على مسلم بطلان أحكام النجوم ، وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين ، والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم ! ومعلوم من دين الرسول عليه السلام ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون ، والإزراء عليهم ؛ والتمعيز لهم ؛ وفي الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرة ؛ وكذلك عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار

(١) من نسخة بحاشيتي ف ، ط ، « سعي » .

أصحابه فما زالوا يبرءون من مذاهب النجميين ، ويمدُّونها ضلالاً ومجالاً ، وما اشتهر هذه الشهرة في دين الإسلام كيف يُعْتَر بخلافه مُنتسب إلى الملة ، ومصلِّ إلى القبلة !

فأما إصابتهم في الإخبار عن الكسوفات وما مضى في أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخيرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا ، فالفرق بين الأمرين أن الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقه الحساب وتسير الكواكب ؛ وله أصول صحيحة ، وقواعد سديدة ؛ وليس كذلك ما يدَّعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضرر ؛ ولو لم يكن في الفرق بين الأمرين إلا الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ، ولا يكاد يبين فيها خطأ البتة ، وأن الخطأ المعهود الدائم هو في الأحكام الباقية ؛ حتى إن الصواب هو العزيم فيها ، وما يتفق لعله فيها من الإصابة قد يتفق من الخمن أكثر منه . فحمل أحد الأمرين على الآخر بهت وقلة دين .



مَسْأَلَةٌ في المنامات

ما القول في المنامات ؟ أصححة هي أم باطلة ؟ ومن فعل مَنْ هي ؟ ومن أي جنس هي ؟ وما وجه صحتها في الأكثر ؟ وما وجه الإنزال عند رؤية الباشرة في المنام ؟ وإن كان فيها صحيح وباطل ، فما السبيلُ إلى تمييز أحدهما من الآخر ؟

الجواب ؛ اعلم أنَّ النَّائم غيرُ كامل العقل ؛ لأنَّ النومَ ضربٌ من السهو ، والسهوُ ينفي العلومَ ، ولهذا يعتقد النَّائمُ الاعتقاداتِ الباطلةَ لتقصان عقله ، وفقد علومه . وجميعُ المناماتِ إنما هي اعتقاداتٌ يبتدئُ بها النَّائمُ في نفسه ، ولا يجوز أن تكونَ من فعل غيره فيه ؛ لأنَّ مَنْ عَداه من المحدثين - كانوا بشرا أو ملائكة أو جنًا - وأجسام ، والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقادا ابتداءً ؛ بل ولا شيئا من الأجناس على هذا الوجه ؛ وإنما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء .

١٠ وإنما قلنا : إنه لا يفعل في غيره جنسَ الاعتقادات متولداً لأنَّ الذي يُعدِّي الفعل من محلِّ القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتقادات ، وليس في أجناس الاعتقادات ما يولد الاعتقادات ؛ ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهرَ الطويل ، ما تولد فيه شيء من الاعتقادات ؛ وقد يُبين ذلك وشرح في مواضع كثيرة ، والتقديم تعالى هو القادر على أن يفعل في قلوبنا ابتداءً من غير سبب أجناس الاعتقادات . ولا يجوز أن يفعل في قلب النَّائم

١٥ اعتقاداً^(١) ؛ لأنَّ أكثرَ اعتقادات النَّائم^(١) جهل ، وتتناول الشيء على خلاف ما هو به ؛ لأنه يعتقد أنه يرى ويعشى ، وأنه راكب ، وعلى صفات كثيرة ؛ وكلُّ ذلك على خلاف ما هو به ؛ وهو تعالى لا يفعل الجهل ؛ فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلها من جهة النَّائم .

وقد ذكر في المقالات أن المعروف بصالح قبة كان يذهب إلى أن ما يراه النَّائم في منامه على الحقيقة ؛ وهذا جهل منه أيضاً ؛ هو جهل السوفسطائية ؛ لأنَّ النَّائم يرى أن رأسه مقطوع

(١-١) ط : « لأن أكثر الاعتقادات للنائم » .

وأنه قد مات ، وأنه قد صعد إلى السماء ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك كله ؛ وإذا جاز عند صالح هذا أن يمتد اليقظان في السراب أنه الماء ، وفي المردى^(١) إذا كان في الماء أنه مكسور ؛ وهو على الحقيقة صحيح لضرب من الشبهة واللبس ؛ فالأجل جاز ذلك في المنام وهو من الكمال أبعد ، وإلى النقص أقرب !

٥ وينبغي أن يقسم ما يتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام ثلاثة :

منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ، ولاداعٍ يدعو إليه اعتقاداً مبتدأ .

ومنما ما يكون من وسواس الشيطان ، يفعل في داخل سمعه كلاماً خفياً يتضمن أشياء مخصوصة ؛ فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنه يراه ؛ فقد نجد كثيراً من النائم يسمعون حديث من تحدثت بالقرب منهم ، فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم .

١٠ ومنها ما يكون سببه ، والداعي إليه خاطراً يفعله الله تعالى ، أو يأمر بعض الملائكة بفعله . ومعنى هذا الخاطر أيضاً أن يكون كلاماً يفعل في داخل السمع ، فيعتقد النائم أيضاً أنه ما يتضمن ذلك الكلام . والمنامات الداعية إلى الخير والصالح في الدين يجب أن تكون إلى هذا الوجه مصروفة ؛ كما ما يقتضى الشر منها الأولى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة .

وقد يجوز على هذا فيما يراه النائم في منامه ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه

١٥ في منامه ، وفي كل منام يصح تأويله أن يكون سبب صحته أن الله تعالى يفعل كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة بأن شيئاً يكون . وقد كان على بعض الصفات ، فيعتقد النائم أن الذي يسمعه هو يراه ؛ فإذا صح تأويله على ما يراه ؛ فما ذكرناه إن لم يكن مما يجوز أن تتفق فيه الصحة اتفاقاً ؛ فإن في المنامات ما يجوز أن يصح بالاتفاق ، وما يضيّق فيه مجال نسبته إلى الاتفاق ؛ فهذا الذي ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه .

٢٠ فإن قيل : أليس قد قال أبو علي الجبائي في بعض كلامه في المنامات : إن الطبائع لا تجوز أن تكون مؤثرة فيها ؛ لأن الطبائع لا تجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثر في شيء ، وأنه غير ممنوع مع ذلك أن يكون بعض الماء كل يكثر عندها المنامات بالعادة ؛ كما أن فيها ما يكثر عنده بالعادة تخيل الإنسان - وهو مستيقظ - مالا أصل له .

(١) المردى : خشبة يدفم بها الملاح السفينة والمجداف .

قلنا: قد قال ذلك أبو علي - وهو خطأ - لأن تأثيرات الآكلِ بِمَجْرَى العادة على المذاهب الصحيحة، إذا لم تكن مضافة إلى الطبايع؛ فهو من فعل الله تعالى؛ فكيف نُضيف التخيل الباطل والاعتقاد الفاسد إلى فعل الله تعالى!

فأما المستيقظ الذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولا يجوز أن نُضيف التخيل الباطل إلى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان؛ فأما ما يُتخيل من الناسد وهو غير نائم؛ فلا بد من أن يكون ناقص العقل في الحال، وفاقنا للتمييز بسهولة؛ وما يجري مجراه، فيبتدئ اعتقاداً لأصل له كما قلنا في النائم.

فإن قيل: فما قولكم في منامات الأنبياء عليهم السلام؟ وما السبب في صحتها؟ حتى عُده ما يرويه في المنام، مضاهياً لما يسمعه من الوحي!

١٠ قلنا: الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها؛ ولا هي ممَّا توجب العلم؛ وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبي بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم؛ إنى سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه، فيقطع على صحته من هذا الوجه؛ لا بمجرد رؤيته له في المنام؛ وعلى هذا الوجه يُحمل منام إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه؛ ولولا ما أشرنا إليه: كيف كان يقطع إبراهيم عليه السلام بأنه متمبّد بذبح ولده!

١٥ فإن قيل: فما تأويل ما يروى عنه عليه السلام من قوله: «مَنْ رَأَى فَقْدَرَأَى، فإن الشيطان لا يتخيل بي»، وقد علمنا أن الحق والبطل والمؤمن والكافر قديرُونَ النبي عليه السلام في النوم، ويخبر كلُّ واحد منهم عنه بضدِّ ما يخبر به الآخر؛ فكيف يكون رأيا له في الحقيقة مع هذا!.

٢٠ قلنا: هذا خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معول على مثل ذلك. على أنه يمكن مع تسليم صحته أن يكون المراد به: مَنْ رَأَى في اليقظة فقد رأى على الحقيقة؛ لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان؛ فقد قيل: إن الشياطين ربما تمثلت بصورة البشر؛ وهذا التأويل أشبه بظاهر ألفاظ الخبر؛ لأنه قال: «مَنْ رَأَى فَقْدَرَأَى»؛ فأثبت غيره رأيا له، ونفسه مرئية، وفي النوم لا رأى في الحقيقة ولا مرئي؛ وإنما ذلك في اليقظة. ولو حملناه على

النوم كان تقدير الكلام: من اعتقد أنه يرانى فى منامه وإن كان غير راءى على الحقيقة فهو فى الحكم كأنه قد رآنى ؛ وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر ، وتبديل لصيغته ؛ وهذا الذى رتبناه فى المنامات وقسمناه أسنداً تحقيقاً من كل شىء قيل فى أسباب المنامات، وما سطر فى ذلك معروف غير متصل ولا محقق .

فأما ما يهذى به الفلاسفة فى هذا الباب فهو مما يضحك التمسكى ؛ لأنهم ينسبون ما صحَّ ٥ من المنامات لما أعتبهم الحيل فى ذكر سببه إلى أن النفس اطلعت على عالمها، فأشرفت على ما يكون. وهذا الذى يذهبون إليه فى حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط ؛ فكيف إذا أضيف إليه الاطلاع على عالمها؟ وما هذا الاطلاع؟ وإلى أى شىء يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع؟ وكل هذا زخرفة، ومخرقة؛ وتهاويل لا يتحصل منها شىء .

١٠

وقول صالح قبة - مع أنه تجاهل محض - أقرب إلى أن يكون مفهومًا من قول الفلاسفة ؛ لأن صالحاً ادعى أن النائم يرى على الحقيقة ما ليس براه، ولم يُشر إلى أمر غير معقول ولا مفهوم؛ بل ادعى ما ليس بصحيح وإن كان مفهومًا؛ وهؤلاء عوتلوا على ما لا يفهم مع الاجتهاد، ولا يعقل مع قوة التأمل والتدبُّر؛ فالفرق بينهما واضح .

وأما سبب الإنزال فيجب أن يُبنى على تحقيق سبب الإنزال فى اليقظة مع الجماع، ليس هو ما ١٥ يهذى به أصحاب الطبائع ؛ لأننا قد بينا فى غير موضع أن قول أصحاب الطبع لأصل له ، وأن الإحالة فيه على سراب لا يُتَّحَصَّل . وأما سبب الماء فإن الله تعالى أجرى العادة بإخراج الماء من ظهر الرجل عنده هذه الحركة المخصوصة ؛ وليس يمتنع أن يُجرى الله العادة؛ بأن يُخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد النائم أنه يجامع؛ وإن كان هذا الاعتقاد باطلا .

مَسْأَلَةٌ

سئل رضى الله عنه عن الخبر المنسوب إلى الصادق عليه السلام من أنه قال : « لقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين سلمان وأبي ذرٍّ ، ولو أطلع أبوذرٌّ على ما فى قلب سلمان لقتله . » وكيف يجوز أن يؤاخى النبي عليه السلام بين رجلين ، يستحل أحدهما إذا أطلع على ما فى قلب الآخر دمه ! وما القول فيمن تأول هذا القول وهو « قتلته » على أن الماء راجمة على ما فى قلبه ، وأراد : لقتله علما ؟ وهل ذلك تأويل جائز أم لا ؟ وما القول أيضا فيمن تأوله على غير هذا الوجه فقال : إن معنى قوله : « لقتله » ؛ أى لكذب فكره وخاطره كدأ يجهد ، وأنه عبر بالقتل هاهنا على سبيل المبالغة فى تعبيره عن شدة المبالغة والمشقة ؛ كما يقول القائل : قتلنى انتظار فلان ، ومتى إلى أن رأيتك ، وإلى أن تخلصت من الشدة التى كنت فيها عدة دفعات ؛ وهو يريد الإخبار عن شدة الكلفة والمشقة والمبالغة فى وصفها .

١٠ الجواب ، وبالله التوفيق ؛ إنَّ هذا الخبر إذا كان من أخبار الأحاد التى لا توجب علما ولا تثلج صدرا ، وكان له ظاهر يُنافى المعلوم المقطوع به تأولنا ظاهره على ما يطاق الحق ويوافقه إن كان ذلك سهلا ، وإلا فالواجب اطراحه وإبطاله . وإذا كان من المعلوم الذى لا يحيل سلامة سريرة كل واحد من سلمان وأبي ذرٍّ ، ونقاء صدر كل واحد منهما لصاحبه ، وأنهما ما كانا من المدغليين فى الدين ، ولا المنافقين فلا يجوز مع هذا المعلوم أن يُمتقد أن الرسول عليه السلام ١٥ يشهد بأن كل واحد منهما لو أطلع على ما فى قلب صاحبه لقتله على سبيل الاستحلال لدمه ، ويعلم أنه إن كان قال ذلك فله تأويل غير هذا الظاهر الذى لا يليق بهما .

ومن أجود ما قيل فى تأويله أن الماء فى قوله : « لقتله » راجمة إلى المطلع لا إلى المطلع عليه ؛ كأنه أراد : أنه إذا أطلع على ما فى قلبه ، وعلم موافقة باطنه لظاهره ، وشدة إخلاصه له اشتدضنه ومحبته له ، وتمسكه بمودته ونصرته ، فقتله ذلك الضن والود ، بمعنى أنه كاد يقتله ، ٢٠ كما يقولون : فلان يهوى غيره ، وتشتد محبته له حتى إنه قد قتلته حبه وأتلف نفسه ، وما جرى

مجرى هذامن الألفاظ وتكون فائدة هذا الخبر حسن الثناء من النبي عليه السلام على الرجلين ،
وأنه آخى بينهما وباطنهما كظاهرها ، وسرهما في النقاء والصفاء كملانيتها ؛ حتى لو أن
أحدهما أطلع على مافى قلب الآخر لأعجب به ، وكاد يقتله محبة له ، وضنا به ؛ وهذا أشبه
بمنزلة الرجلين في نفوسهما وعند النبي عليه السلام ، وأليق بأن يكون منحا وتقريظا ؛ وذلك
الوجه الآخر يقتضى غاية الذم ونهاية الوصف بالنفاق ، وسوء الدخيلة لأن من يظهر جميلا -
ولو أطلع على باطنه لاستحل دمه - هو عين المنافق المداهن .

فأما تأويل هذه اللفظة وحملها على العلم فغير مرضى ، لأن المطاع على مافى قلب غيره لا يكون
إلا غالبا بما أطلع عليه . وأى معنى لالفظلة «قتله» في هذا الموضع ! وهل ذلك إلا تكرير ؛
ومما لا فائدة فيه !

فأما حمله على أنه كدّ خاطره ، وقسم فكره فكاد يقتله فمما المسألة عنه قائمة . ولیم يكون ١٠
مثل كل واحد من هذين الرجلين متى أطلع على قلب صاحبه كدّ خاطره وأتعب قلبه ، حتى
كاد يقتله ، لولا أنه يطّلع على سوء ومكر ! وهذا هو النفاق الذي نزه الرجلين عنه ؛ ولا
يليق بهما ، ولا بالنبي عليه السلام أن يصفهما به .

مَسْأَلَةٌ

الإجباء في اللغة العربية هو أن يباع الزرع قبل أن يَبْدُو صلاحه ؛ يقال أجبى الرجل يُجْبَى إجباء إذا فعل ذلك ، فمعنى ما روى عنه عليه السلام : « مَنْ أَجْبَى فَقَدْ أَرَبَى » أن مَنْ بَاعَ الزَّرْعَ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صِلَاحُهُ - وَقَدْنَهَى عَن ذَلِكَ وَحُظَرَ عَلَيْهِ - يَجْرَى مَجْرَى مَنْ أَرَبَى ؛ لِأَنَّهُ فَاعِلٌ لِمَعْصِيَةٍ مَحْظُورَةٍ عَلَيْهِ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْعَ مَا لَمْ يَبْدُ صِلَاحُهُ رَبًّا فِي الْحَقِيقَةِ وَلَا مَعْنَاهُ ؛ هـ غَيْرَ أَنَّهُ جَارٍ مَجْرَاهُ فِي الْحُظْرِ وَالْمَعْصِيَةِ ، وَجَارٍ مَجْرَى قَوْلِ الْقَائِلِ : مَنْ زَنَى فَقَدْ سَرَقَ ؛ أَيْ هُوَ عَاصٍ مُخَالَفٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ كَمَا أَنَّ ذَاكَ بِهِذِهِ الْحَالِ .

مَسْأَلَةٌ

ما ورد في القرآن من سمات الرسول عليه السلام مع عصمته وطهارته ، وكونه الحجة على الخلق أجمعين .

الجواب، أنه إذا ثبت بالدليل عصمة الأنبياء عليهم السلام فكل ما ورد في القرآن مما له ظاهر ينافي العصمة، ويقضى وقوع انطوائهم؛ فلا بد من صرف الكلام عن ظاهره، وحمله على ما يليق بأدلة العقول؛ لأن الكلام يدخله الحقيقة والمجاز، ويميل المتكلم به عن ظاهره. • وأدلة العقول لا يصح فيها ذلك، ألا ترى أن القرآن قد ورد بما لا يجوز على الله تعالى من الحركة والانتقال، كقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [النجر: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ [البقرة: ٢١٠]، ولا بد مع وضوح الإدلة على أن الله تعالى ليس بجسم، واستحالة الانتقال عليه، الذي لا يجوز إلا على الأجسام من تأويل هذه الظواهر والمدول عما يقتضيه صريح ألفاظها؛ قَرَّبَ التَّأْوِيلَ ١٠ أَوْ بَعْدَ .

ولو جهلنا العلم بالتأويل جملة لم يضر ذلك مع التمسك بالأدلة؛ وكان غاية ما فيه ألا نعلم قصدنا التمسك بما أطلقه من كلامه؛ ونعلم إذا كان حكماً أن له غرضاً صحيحاً .

على أن ظواهر الآيات التي خوطب بها النبي عليه السلام مما ظاهره كالتاب؛ منها المقصود به أمته، والخطاب بتوجه إليه؛ ولهذا روى عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن بآياتك ١٥ أعني واسمعي يا جارة . ويشهد بذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقَهُنَّ الْمُنْكَاهُ ﴾ [الطلاق: ١]؛ فخاطب النبي عليه السلام، والمراد بذلك جميع الأمة .

ومنها ما يظن أنه عتاب وليس كذلك؛ بل هو تعاليم وتأديب؛ ولا محالة أن تأديب النبي عليه السلام كان صادراً عن الله تعالى .

والمواعظ له ترادفت في كل وقت؛ والشروع في ذكر الآيات والتنبيه على المراد بها يطول؛ ٢٠

غير أن جملة الكلام ما ذكرناه ؛ ونذكر بمض ذلك لنبين أن الكلام في الجميع على هذا المنهاج .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وكقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٦٧] ؛ وكقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾ [النحر : ١] . وقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٤٣] ؛ إلى مثال هذه الآي .

أما قوله تعالى : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ فالقصة فيه مشهورة ؛ وهي أن العرب كانت تحرم على نفوسهم نكاح زوجة من استضافوه إلى نفوسهم بالبنوة وادعوه ؛ كما يحرّمون أزواج الأبناء في الحقيقة ؛ فلما أراد الله تعالى نسخ ذلك لما علم فيه من المصلحة ، أعلم نبيه قبل طلاق زيد بن حارثة - الذي كان النبي عليه السلام تبناه - زينب بنت جحش زوجته ، وأمره بتزويجها إذا فارقتها ؛ فلما خاصم زيد زوجته عازما على طلاقها ، وعظه النبي عليه السلام ، وكفه عن ذلك إشفافا من شكوته عنه ؛ مع ما عزم عليه من نكاحها أن يرجف عليه المتأقنون ؛ ويضيفوا إليه ما قد نزهه الله تعالى منه عند إخفاء عزمه على تزويجها بعد فراق زيد لها ؛ لينتهي إلى أمر الله تعالى في ذلك ؛ يشهد بصحة ما ذكرناه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

فإن قيل : فالعتاب حاصل ؛ لأنه كان ينبغي أن يظهر ما أضمره ، ويخشى الله ولا يخشى الناس .

٢٠ الجواب عن ذلك أن إخبار الله تعالى أنه أخفى ما الله مُبْدِيهِ هو خبر محض ؛ لا يتعلّق به ذم .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ، فالشبهة به أيضا ضعيفة ؛

لأنه خُتِبَ أنه خَشِيَ الناسَ ، واللهُ أحقُّ بالخشية ، ولم يخبر أنه لم يفعل الأُحَقَّ وعدل إلى الأُدون ؛ فمن أين حصولُ العتاب مع الذي بيننا !

على أن غايةَ الاقتراح في هذا أنه عليه السلام فعل ماغيرُهُ أولى منه ؛ وليس يكون بترك الأولى عاصيا ؛ وإنما يكون تاركاً للأفضل. والوجهُ في تركه العذرُ الذي بيننا.

وأما قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ٥
فالعتاب في الحقيقة متوجّه إلى سواه ؛ لأنَّ الله تعالى قد صرّح بذلك في تمام الآية بقوله : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال : ٦٨]. والقصة في هذه الآية أيضا مشهورة ؛ وإنما أضاف الأُسْرَى إلى نبيه عليه السلام بقوله : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ ، وإن كان المراد بالخطاب مَنْ أُسِرَ ؛ لأنهم أُسِرُوا هُمْ ، ليكونوا في يده ١٠ عليه السلام ؛ فهم في الحقيقة أسراؤه ومُضافون إليه ؛ وإن لم يأمره بأمرهم.

فأما قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ ﴾
إذا تُؤمَل في الحقيقة لم يكن فيه عتاب ؛ وإنما هو توجّع له عليه السلام ؛ يدلُّ على ذلك أن تحريم الرجل زوجته أو طلاقه إياها، أو اعتزاله ببعض إمائه ليس بقبيح ؛ بل هو مباحٌ ، وما هو بهذه الصفة لا يستحق الفاعل له عتابا ؛ فلما فعل النبي عليه السلام ذلك لمرضاة بعض أزواجه ، وأدخل المشقة على نفسه بفعله قال الله تعالى له : لم فعلت ذلك؟ وألا أمسكتها على ما كنت عليه؟ ولم تبغى مرضاة أزواجك بإدخال المشقة على نفسك؟

هذا هو الظاهر ؛ وإذا نُزِل على اقتراح الخصم في هذه الآية كان النبي عليه السلام قد عدل عن الأولى ؛ فكان الإمساكُ وترك التحريم أفضلَ ، وله أن يحرم.

ويجربى قوله تعالى له ما قال مجربى قول الواحد منا إنيره : لم تركت صلاة الليل؟ ولم ٢٠

ترك صيام ثلاثة أيام في كل شهر؟ وإن كان بترك ذلك لم يفعل قبيحا؛ بل أخلَّ بمندوب إليه، وما غيرُه أولى.

فأما قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ فليس يقتضى معصية؛ وذلك أن المقصد في الغالب بمثل هذا الخطاب التعميم للمخاطب واستيضاح ما عنده فيما فعله؛ ألا ترى أن الواحد منا يقول لغيره: لِمَ كان كذا وكذا، رحمك الله ووفر لك! وهو لا يقصد إلا الملائمة له، وحسن المحاوره؛ ولا يقصد الاستصفاح له عن زلة؛ وإنما الغرض الإجمال في الخطاب. وقد صار ذلك عرفاً بين الناس؛ والمقصد به التوقير والإجلال.

فأما فوزه: ﴿لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ فليس يجب حمله على العتاب؛ لأن هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة؛ بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام، وتارة يراد بها التقرير، وتارة العتاب؛ وهي محتملة لجميع المذكور فلم نَحْمِلْها في حق النبي عليه السلام على العتاب دون بقية الأقسام! وغاية منى ذلك حمله على ترك الأولى حسب ما تقدم في الآيات. واستصاء ذلك وذكر ما في الآيات يطول؛ ويكفى في التنبيه على الآي الباقية ما ذكرناه.

مَسْأَلَةٌ

رسمت الحضرة العالمية الوزيرية العميدية - حرس الله سلطانها - ذِكر ما عندي في تأويل قوله تعالى في سورة التغابن : ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ؛ [التغابن : ٩] .

ولفظة التَّغَابُنُ هاهنا مشتقة من التَّغَبُنُ ؛ الذي يكون في البَيْعِ والتَّجَارَةِ وما أشبه ذلك ، وهو النقصان والخسران ؛ لأنَّ المغبون هو الذي زاد غابنه عليه ورجح ؛ ولما كان يومُ القيامة يبين^(١) فيه

مستحقُّ الثواب ودخول الجنة والتعظيم فيها من مستحقِّ العقاب ودخول النار صار مستحقُّ^(٢) ٥

الثواب ودخول الجنان كأنه غابن لمستحقِّ العقاب ودخول النار ؛ لأنهما جميعاً عرَّضَا بالتكليف لاستحقاق الثواب ، ففعل أحدهما ما يستحق به ذلك ، وقصر الآخر عن هذه الغاية ؛

وعدَّل إلى فعل ما يستحق به العقاب ؛ وجرباً مجرى متباينين ؛ فاز أحدهما بما هو أجدى

عليه وأُنفَع وأصلح ؛ واختص الآخر بما هو ضارٌّ هو له ووبال عليه ؛ فيسمى الفائز بالخير

والصالح غابنا والآخر مغبوناً .

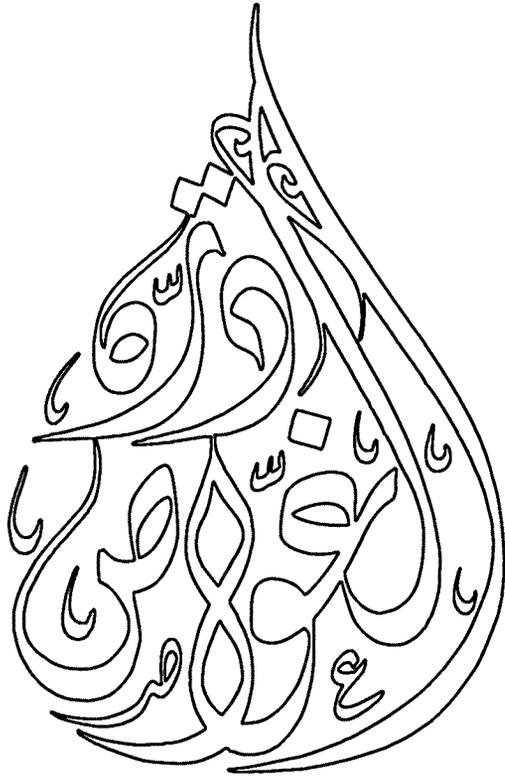
١٠

وتسمية يوم القيامة بأنه يومُ التغابن من أفصح كلام وأخصره وأبلغه . والله الموفق للصواب .

هذا آخر ما وُجد مما اختاره رضى الله عنه لإضافته إلى كتابه المعروف بفرر الفوائد

ودرر القلائد . والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ينين » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « من يستحق » .



مكتبة الدكتور مروان الخليلي

المجلس التاسع والأربعون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ... ﴾؛

٣ - ٥

[المائدة : ٦٤] .

٥ - ٩

تأويل الحديث: « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ... » .

٩ - ١٣

قصة للأصمى مع الرشيد .

المجلس الخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

١٤ - ١٥

النُّورِ ﴾؛ [البقرة : ٢٥٧] .

قصة للشعبي والأخطل في مجلس عبد الملك بن مروان؛ وما روى في هذا

١٥ - ١٩

المجلس من الشعر .

١٩ - ٢٤

قصيدة أعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب الباهلي .

٢٤ - ٢٥

خبر للأخطل عند معاوية ومدحه له ببيتين من الشعر .

٢٥

موازنة بين بيت للأخطل وبيتين آخرين في الهجاء .

المجلس الحادي والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا... ﴾

٢٦ - ٢٨

[آل عمران : ٨] .

٢٨ - ٣١

ذكر أبيات للراعي في وصف الأثافي والرماد وشرح ما فيها من الغريب .

إيراد أقوال أخرى للشعراء تدور حول المعاني التي أوردتها الراعي، وشرح

٣١ - ٣٥

ما فيها من الغريب .

المجلس الثاني والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذَبَّحُوا بِقَرَّةٍ ... ﴾ ؛

٤٠ - ٣٦

[البقرة : ٦٧ - ٧١] .

٤١ - ٤٠

ذكر أبيات للمقنبي والبحترى سبقهما معناها بمض الشعراء .

موازنة بين قول البحترى وغيره من الشعراء في وصف صُفرة اللون

٤٣ - ٤٢

عند العمل .

موازنة أخرى بين مدائح البحترى وعمار بن عقيل ومروان بن أبي حفصة ٤٣ - ٤٤

٤٤

رأى الجاحظ في أنسب الشعراء .

٤٥

خبر للمبرد مع البحترى وتمظيمه له .

المجلس الثالث والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ لَنْ نُسْطَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي

٥٠ - ٤٦

إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ... ﴾ ؛ [المائدة : ٢٨ ، ٢٩] .

تأويل الحديث : « لا يموت المؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا

٥٣ - ٥٠

محلّة القسم » .

المجلس الرابع والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

٦٠ - ٥٤

أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ؛ [البقرة : ٧٤] .

٦١ - ٦٠

مختارات من شعر الأحوص بن محمد الأنصاري .

٦٤ - ٦٢

ذكر أقاويل الشعراء المختارة في وصف المضاجعة .

٦٦ - ٦٤

قصة الأحوص مع الوليد بن عبد الملك حين نفاه إلى دهلك .

٦٧ - ٦٦

عود إلى المختار من شعر الأحوص .

المجلس الخامس والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ... ﴾

٧٦ - ٦٨

[البقرة : ٣١] .

٧٨ - ٧٦

ذكر أبيات لحسان بن ثابت وتفسيرها .

المجلس السادس والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِسْأَلْ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا

٨١ - ٧٩

من دون الرحمن آلهة يُعبدون ﴾؛ [الزخرف : ٤٥]

تأويل الحديث : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه

٨٦ - ٨٢

أو ينصرانه »

المجلس السابع والخمسون

تأويل قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾؛

٩١ - ٨٧

[هود : ١٠٦-١٠٨]

مناقشة المؤلف فيما عابه الأمدى على البحترى في قوله :

٩٣ - ٩١

كالبدر إلا أنها لا تجتلي والشمس إلا أنها لا تغربُ

مناقشة أخرى فيما عابه عليه أيضا في قوله :

٩٧ - ٩٤

ذنبٌ كما سحِبَ الرداء يذبُ عن عُرفٍ وعرف كالقناع المسبيلِ

المجلس الثامن والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ

١٠١ - ٩٨

اليومَ في ضلالٍ مبينٍ ﴾؛ [مريم : ٢٨] .

رأى المؤلف في أنه يمكن الجمع بين الارتجال في القول وبين الإتيان بالكلام

١٠٢ - ١٠١

المستحسن واللفظ المستعذب .

- ١٠٣ - ١٠٢ خبر خالد بن عبد الله القسريّ حين صعد المنبر وأرتج عليه.
- ١٠٣ خبر أبي العباس السفاح حين صعد المنبر وأرتج عليه.
- ١٠٣ خبر عثمان بن عفان حين صعد المنبر وأرتج عليه.
- خبر أحد الولاة حين صعد المنبر وأنشد الناس الشعر؛ وعزل يزيد إياه حين بلغه أمره.
- ١٠٤
- ١٠٥ خبر ثابت قطنه حين حصر فوق المنبر وهجاء حاجب الفيل له .
- خبر الرشيد حين حصر من فوق المنبر وتخلصه من الخطابة بتلاوة آية من القرآن .
- ١٠٥
- ١٠٧ - ١٠٥ قصة عبد الله بن سوار وسقوط الذباب على وجهه .

المجلس التاسع والخمسون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجِينَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

- سوء العذاب يذبحون أبناءكم ... ﴾ [البقرة : ٤٩] .
- ١١٠ - ١٠٨
- ١١٩ - ١١٠ محاسن أقوال الشعراء في السكرم وتعود الضيافة والأنس بها .

المجلس الستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

- اللَّهُ . ﴾ [الكهف : ٢٣ ، ٢٤] .
- ١٢٤ - ١٢٠
- ١٢٤ التشبيه في اللغة وغاية ماورد فيه .
- ١٢٥ - ١٢٤ شواهد تشبيه الواحد بالواحد .
- ١٢٨ - ١٢٥ شواهد تشبيه شيئين بشيئين .
- ١٢٩ - ١٢٨ شواهد تشبيه ثلاثة بثلاثة .
- ١٣٠ - ١٢٩ شواهد تشبيه أربعة بأربعة

- ١٣٠ شواهد تشبيه خمسة بخمسة .
١٣٠ شواهد تشبيه ستة بستة .

المجلس الحادى والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ ؛

- [البقرة : ٢٨٦] .
١٣٢ - ١٣١
١٣٤ - ١٣٣ ذكر أبيات من ضادية بشار وشرح ما فيها من الغريب .
١٣٥ - ١٣٤ ذكر أبيات ضادية لأبى تمام .
١٣٧ - ١٣٥ ذكر أبيات ضادية للبحتري .
١٣٨ - ١٣٧ مقطوعات مختارة من شعر بشار .
أبيات أخرى مختارة من شعر بشار صفة الغناء والمغنيات وشرح ماورد
فيها من المعانى ، وموازنتها بغيرها من معانى الشعراء .
١٤٣ - ١٣٨

المجلس الثانى والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ؛

- [البقرة : ١٥] .
١٥٠ - ١٤٤
١٥٣ - ١٥٠ ذكر طائفة من أقوال الشعراء فى الأوطان والحنين إليها .

المجلس الثالث والستون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَوَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

- الأرضِ مستقرٌّ ومتاعٌ إلى حينٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٣٦] .
١٥٧ - ١٥٤
١٦٢ - ١٥٨ طائفة من أقوال الشعراء فى مدح الكرم والكرماء .

المجلس الرابع والستون

تأويل قوله تعالى: ﴿ انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضأوا فلا يستطيعون سبيلاً ﴾؛ [الإسراء: ٤٨] .

وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾؛ [الكهف: ٦٧] .

وقوله: ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصُرُونَ ﴾؛ [هود: ٢٠] [١٦٣ - ١٦٧]

تأويل قوله عليه السلام لمعاوية بن الحكم: « أعتقها فإنها مؤمنة »

حينما أخبره بضره جارية له لما ذهب الذئب بشاة من غنمه . [١٦٧ - ١٦٩]

المجلس الخامس والستون

تأويل قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَوُّورُ ... ﴾؛ [هود: ٤٠] [١٧٠ - ١٧٢]

تأويل قول علي بن أبي طالب: « رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام

وأنا أشكو إليه ما لقيتُ من الأود واللدد » . [١٧٢ - ١٧٤]

محاسن أقوال الشعراء في وصف الثغر وتأويل ما ورد فيها من المعاني [١٧٤ - ١٧٩]

المجلس السادس والستون

تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ مَتُوبَةٌ عِنْدَ

اللَّهِ ... ﴾؛ [المائدة: ٦٠] . [١٨٠ - ١٨٤]

ذكر مقطوعة رواها ثعلب عن ابن الأعرابي في التمدح بالكرامة والعفة

وشرح ما فيها من الغريب وتفسير ما اشتملت عليه من المعاني . [١٨٤ - ١٨٧]

المجلس السابع والستون

تأويل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ

بِنَاءً ... ﴾؛ [البقرة: ٢٢] . [١٨٧ - ١٨٩]

أبيات امرئ القيس في الصيد والطرود وتأويل ما فيها من الغريب؛ وشرح

ما اشتملت عليه من المعاني . [١٨٩ - ١٩٥]

المجلس الثامن والستون

- تأويل قوله تعالى: ﴿يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا...﴾؛ [مريم: ٢٨، ٢٩].
١٩٩ - ١٩٦
- تأويل الحديث: «لا عدوى ولا هامة ولا طيرة» .
والحديث: «لا يوردن ذو عاهة على مُصِحِّ» .
والحديث: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد» .
والحديث: «الشؤم في المرأة والدار والدابة» .
٢٠٠ - ٢٠٤

المجلس التاسع والستون

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ...﴾ [الشورى: ٥١].
٢٠٧ - ٢٠٥
- طائفة من محاسن أقوال الشعراء في وصف الذئب
٢١٤ - ٢٠٧

المجلس السبعون

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظِرْهُ إِلَيْكَ...﴾؛ [الأعراف: ١٤٣].
٢١٥ - ٢٢٢
- ذكر أبيات لأبي العيص بن حرام المازني وتأويل ما ورد فيها من الغريب .
٢٢٢

المجلس الحادي والسبعون

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ...﴾؛ [البقرة: ٧٢، ٧٣].
٢٢٣ - ٢٢٥
- مرثية نهشل بن حرّبيّ في أخيه مالك ، وشرح بعض ما ورد فيها من الغريب .
٢٢٥ - ٢٢٨
- طائفة من أقوال الشعراء في الزهد والدنيا .
٢٢٨ - ٢٣٠

المجلس الثاني والسبعون

- تأويل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا فَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...﴾؛ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].
٢٣١ - ٢٣٥

المجلس الثالث والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَ مَا تَنْجِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تعملون ﴾ ؛ [الصافات : ٩٥ ، ٩٦] .

٢٤٠ - ٢٣٦ ذكر أبيات لبعض نساء بني أسد

٢٤١ ذكر أبيات لولادة المهزمية .

٢٤٢ ذكر أبيات لضاحية الهلالية .

قصيدة عمرة بنت العجلان في رثاء أخيها عمرو وتفسير بعض ما فيها من

٢٤٣ - ٢٤٥ الغريب .

المجلس الرابع والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ

لَكُمْ ... ﴾ ؛ [هود : ٣٤] .

٢٤٦ - ٢٤٧ المختار من قصيدة أبي تمام في مدح المعتصم وذكر مقتل الأفسين وحرقة

٢٤٧ - ٢٤٨ وصلبه .

٢٤٩ ذكر أبيات أخرى لأبي تمام في صلب بابك

٢٤٩ - ٢٥٠ أبيات إبراهيم بن المهدي في صلب بابك ورأى المؤلف فيها

٢٥٠ - ٢٥١ المختار من قصيدة البحتري في مدح أبي سعيد .

المجلس الخامس والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

٢٥٢ - ٢٥٤ للناس ... ﴾ ؛ [البقرة : ١٨٥] .

مناقشة المؤلف فيما عابه أبو العباس بن عمار على أبي تمام في قوله :

لما استجر الوداعُ المحض وانصرفت
أواخرُ الصبرِ إلا كاظماً وجماً

٢٥٤ - ٢٥٧ وانتصاره له .

المجلس السادس والسبعون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ؛ [البقرة : ٥٣] .
٢٦١ - ٢٠٨
- خبر خالد بن صفوان الأهمشيّ وهشام بن عبد الملك حينما تذاكرا أمر خالد بن عبد الله القسريّ .
٢٦٢ - ٢٦١
- من قول خالد بن صفوان في المرأة .
٢٦٢
- طائفة أخرى من مآثور كلام خالد بن صفوان .
٢٦٣ - ٢٦٢

المجلس السابع والسبعون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَدُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .
٢٦٨ - ٢٦٤
- أبيات فائية جيدة لمطروود بن كعب الخزاعيّ وتأويل بعض ما فيها من الغريب .
٢٦٩ - ٢٦٨
- أبيات أخرى على وزنها وقافيتها لأحمد بن يوسف يمزح بها مع ولد سعيد ابن سلم الباهليّ
٢٧٠ - ٢٦٩
- أبيات مختارة لدعبل بن عليّ الخزاعيّ .
٢٧٠

المجلس الثامن والسبعون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ تَمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ... ﴾ ؛ [الأنعام : ٢٣، ٢٤] .
٢٧٣ - ٢٧١
- خبر وفود منصور النمرىّ على الرشيد وما ذكر في ذلك من الشعر .
٢٧٥ - ٢٧٣
- وشاية العتابيّ عند الرشيد في منصور النمرىّ .
٢٧٦
- وفود أهل ديار ربيعة على الرشيد وفيهم منصور النمرىّ ؛ ثم إنشاده قصيدته المينية في مدح الرشيد .
٢٧٨ - ٢٧٦

المجلس التاسع والسبعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾

[التسكير : ٩٠٨] .

صمصمة بن ناجية وما قاله الفرزدق من الشعر افتخارا به .

ذكر وفود صمصمة بن ناجية على الرسول عليه السلام وما أوصاه به .

تأويل خبر نهى رسول الله عليه السلام عن أن يصلى الرجل وهو زناء .

المجلس الثمانون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ... ﴾ [البلد : ١٠، ٢٠] .

أبيات لطائفة من الشعراء في طريف المدح ومليحه .

التكملة

رأى المتكلمين في تقسيم أحوال الفعل ومخالفاتهم للنجويين في ذلك .

معنى لفظ « من » وتكرارها من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ ﴾ .

معنى لفظ « كان » التي ترد في كونه تعالى عالما في مواضع كثيرة من

القرآن .

تأويل قوله تعالى : « ألم تر أن الله يزجى سحاباً ثم يؤلف بينه ... ﴾

[انور : ٤٤، ٤٣] .

ذكر عادة العرب في الإيجاز والاختصار والحذف وإيراد شواهد لذلك

من القرآن .

تأويل قوله عليه السلام : « نية المرء خير من عمله » .

- مسألة في قولهم : اسم الله تعالى الأعظم وما خصّ به من الفضيلة . ٣١٩
تأويل قوله تعالى : ﴿ لَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾
- [يس : ٦] . ٣٢٠ - ٣٢٤
- الاعتراض على من استدل بدليل السحارة على أن العالم ملاء ، وما
أبطل به ذلك . ٣٢٧ - ٥٢٣
- الفرق بين الأثغ والأليغ . ٣٢٨
- تأويل الحديث : « أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه » . ٣٢٩
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ
السِّنِّتِكُمْ وَالْوَانِكُمْ ﴾ ؛ [الروم : ٢٢] . ٣٣٠
- مسألة في الأفعال الظاهرة في العباد ؛ من قيام وقعود وأكل وشرب وتعلقها
بالبشر ، ورأى المؤلف في ذلك . ٣٣٢ - ٣٣١
- تفضيل الأنبياء على الملائكة . ٣٣٩ - ٣٣٣
- تفسير بيت السيد الحميري من قصيدته المذهبية :
رُدَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لِمَا فَانَهُ وَقَتُ الصَّلَاةِ وَقَدَدَنْتُ لِلْمَغْرَبِ ٣٤٠ - ٣٤٢
- تفسير بيت السيد الحميري من هذه القصيدة أيضا :
وعَيْنِي قَدْ حُبِسَتْ بِبَابِ مَرَّةٍ أُخْرَى ، وَمَا حُبِسَتْ لِحُلُقِي مُعْرَبِ ٣٤٣
- مسألة في الكلام على إحداث شيء من غيره . ٣٤٤ - ٣٤٦
- عصمة الأنبياء عليهم السلام . ٣٤٧ - ٣٤٨
- الكلام في الأخبار الواردة عن مدح أجناس من الطير والبهائم
ولأكولات والأرضين وذم أجناس منها . ٣٤٩ - ٣٥٣
- تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ عَلَيْهِمْ سُبُحَانَ رَبِّكُمُ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ ﴾ [المائدة : ١٥١] ٣٥٤ - ٣٥٧
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... ﴾
- [طه : ١١٤] . ٣٥٨ - ٣٦١
- تأويل قوله تعالى : ﴿ هُمُ أَوْرِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ... ﴾ [فاطر : ٣٢] ٣٦٢ - ٣٦٥

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا

مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ [الزخرف: ٨٦].

٣٦٦ - ٣٦٩

٣٧٠

مسألة في الاستثناء .

تأويل قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمْ

٣٧١ - ٣٧٣

العجل ...﴾؛ [البقرة: ٥٤].

تأويل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا

٣٧٤

طعموا ...﴾؛ [المائدة: ٩٣].

تأويل قوله تعالى: ﴿أَنْتَ أَيْ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي

٣٧٩

عاقرة﴾ [آل عمران: ٤٠].

تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

٣٨٠

سوء العذاب ...﴾؛ [البقرة: ٤٩].

تأويل قوله تعالى: ﴿مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ...﴾؛ [الأحقاف: ٩].

٣٨١

تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ

٣٨٢ - ٣٨٣

الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ...﴾؛ [يونس: ٩٤].

القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث يضيفونها إلى تأثيرات

٣٨٤ - ٣٩١

النجوم ، ورد المؤلف عليهم في ذلك .

٣٩٢ - ٣٩٥

القول في المنامات .

خبر مؤاخاة النبي عليه السلام بين سلمان الفارسي وأبي ذرٍّ وما قيل

٣٩٦ - ٣٩٧

في ذلك .

٣٩٨

تفسير معنى « الإجماء » في اللغة :

تأويل ماورد في القرآن من معاتبات الرسول عليه السلام مع عصمته

٣٩٩ - ٤٠٢

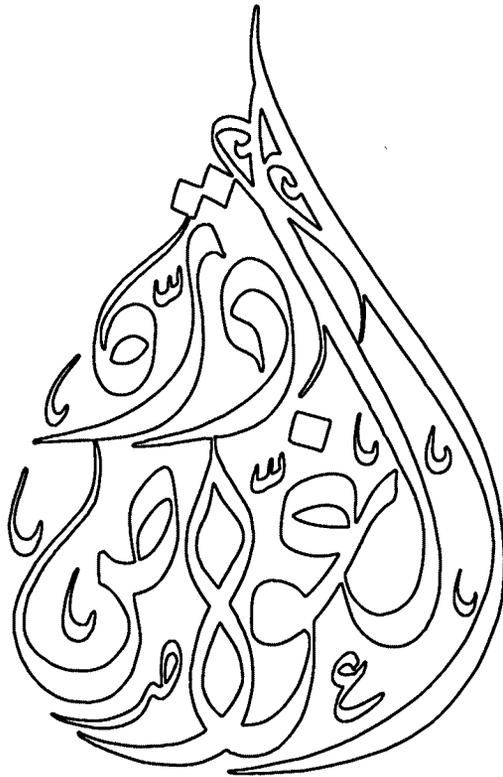
وطهارته وكونه الحجة على الخلق أجمعين .

٤٠٣

تأويل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ﴾؛ [التغابن: ٩].

مكتبة
التنوير والارشاد الوطني

الفهارس العامة





١ - فهرس الآيات القرآنية*

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
	٢ - سورة البقرة	
١٥	اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ .	١ : ٣٢٧ / ٢ : ١٤٤*
١٨	صَمَّ بَكَمٍ نَعْمَى .	١ : ٣١٧ ، ٤٠ : ٢ / ٩٩ :
١٩	أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ .	٢ : ٥٤
٢٢	الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ فِرَاشًا وَالسَّمَاءِ بِنَاءً ...	٢ : ١٨٧*
٣٠	إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ...	٢ : ٦٩
٣١	وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ...	٢ : ٦٨*
٣٣	أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...	٢ : ٧٠
٣٥	وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ...	٢ : ١٥٤
٣٦	فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ...	٢ : ١٥٤
٣٦	وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ...	٢ : ١٥٤*
٤١	وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ...	١ : ٢٢٨*
٤١	وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا .	١ : ٣١٤ / ٢ : ٣٣٨
٤٤	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ .	٢ : ١٣١
٤٧	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ...	٢ : ١٠٨
٤٩	وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ	
	العذاب ...	٢ : ١٠٨*

* الأرقام التي بجانبها نجم هي أرقام صحف الآيات التي شرحها المؤلف ، وما عدا ذلك فهو أرقام صحف الآيات التي ذكرها على طريق الاستدلال .

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
٣٧٥ ، *٢٥٨ : ٢	وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون.	٥٣
*٣٧١ : ٢	يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل...	٥٤
٢١٦ : ٢	وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة...	٥٥
١٥٦ : ٢	اهبطوا مصرًا فإن لكم مأسأتم.	٦١
٤ : ٢	وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...	٦٧
*٣٦ : ٢	إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة...	٦٧
*٣٦ : ٢	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول...	٦٨
*٣٦ : ٢	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لوئها...	٦٩
*٣٦ : ٢	قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا...	٧٠
*٣٦ : ٢	قال إنه لقول إنها بقرة لا ذلول...	٧١
٣٣١ : ١	فذبجوها وما كادوا يفعلون.	٧١
*٢٢٣ : ٢	وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها...	٧٢
*٢٢٣ : ٢	فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ..	٧٣
*٥٤ : ٢	ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة...	٧٤
١١١ : ٢	فقليلًا ما يؤمنون.	٨٨
٤٨ : ٢ / ٦١٥ ، ٢٠٢ : ١	وأشر بوا في قلوبهم العجل بكفرهم.	٩٣
*٤١٧ ، ٣٥٢ : ١	واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان...	١٠٢
٢١ : ١	وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله.	١٠٢
٥٩٣ : ١	فأينما تولوا فثم وجه الله.	١١٥
٣٠١ : ١	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم.	١٢٠
٢٨١ : ٢	وإذ يرفع إبراهيم القواعد...	١٢٧

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
١٢٨	رَبَّنَا واجعلنا مساهنين لك ومن ذريتنا ...	١٥٤ : ٢
١٣٥	وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا .	٥٥ : ٢
١٤٦	وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون .	٢٦٤ : ٢
١٥١	الكتاب والحكمة .	٢٥٨ : ٢
١٧١	ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ...	*٢١٥ : ١
١٧١	صمُّ بُكْمٌ عُمى فهم لا يعقلون .	٩٩ : ٢
١٧٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ...	٧٩ : ٢ / *٢٠٠ : ١
١٧٩	ولكم في القصص حياة .	٥٢٩ : ١
١٨٥	شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ...	*٢٥٢ : ٢
١٨٦	وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ...	*٦٠٣ : ١
١٨٩	وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ...	*٤٧٦ : ١
١٩٤	فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم .	١٤٧ : ٢ / ٥٧ : ١
٢٠٠	فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق .	٣٩١ : ١
٢٠١	ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة .	٣٩١ ، ١٦٠ : ١
٢٠٢	أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب .	*٣٩١ ، ٣٨٩ : ١
٢٠٤	وهو اللد الخصاص .	١٧٣ : ٢
٢١٠	هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ...	*٣٩٩ : ٢
٢١٠	وإلى الله ترجع الأمور .	*٣٧٥ : ١
٢١٢	والله يرزق من يشاء بغير حساب .	*٣٩٢ : ١

- ٢١٧ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ...
 ٢١٩ ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو .
 ٢٤٥ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ...
 ٢٤٩ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَابَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ .
 ٢٥٤ والكافرون هم الظالمون .
 ٢٥٥ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ .
 ٢٥٧ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .
 ٢٦٤ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ .
 ٢٧٣ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا .
 ٢٧٥ الَّذِينَ يَا كَلُونَ الرَّبَّ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .
 ٢٨٦ رَبَّنَا لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا .
 ٢٨٦ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ .

٣ - سورة آل عمران

- ٧ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ...
 ٨ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ...
 ١٤ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ .
 ٢١ إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ .
 ٢٨ وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ .
 ٣٤ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

- ٤٠ أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر ... *٣٧٩ : ٢
- ٤٠ وقد بلغنى الكبر . ٤٦٦ : ١
- ٤١ آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا . ٤٥٤ : ١
- ٧٢ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا .. ٥٩٠ : ١
- ٧٥ ويقولون على الله الكذب وهم يملون . ٣٥٢ : ١
- ٩٧ ومن دخله كان آمنا . ٥٢٩ : ١
- ١٠٦ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ... ٤٢٠ : ١
- ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس . ١٩٨ : ٢
- ١٢٦ وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ٦٢٨ : ١
- ١٢٨ ليس لك من الأمر شىء أوترب عليهم أو يعذبهم ... *٦٢٨ : ١
- ١٤٥ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ... *٣٨ : ١
- ١٥٩ فبإرحمة من الله لنت لهم . ٣١٣ : ٢
- ١٨١ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء . ٣ : ٢
- ١٨٥ كل نفس ذائقة الموت . ٣٢٤ : ١
- ١٩٤ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك . ٤١٩ : ١

٤ - سورة النساء

١٥٥ : ٢

١١ فإن كان له إخوة .

١٩٨ : ٢

١٧ وكان الله عليماً حكيماً .

- ٤٢ يومئذ يودُّ الذين كفروا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لو تُسَوَّى بِهِم
الأرض ... ٤٢٨ : ١
- ١٠٢ وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ... ٤ : ١
- ١١٣ ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . ٤٨٠ : ١
- ١٢٥ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ . ٥٩٠ : ١
- ١٢٥ واتخذ الله إبراهيم خليلاً . ١٨٥ : ٢
- ١٢٩ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ... ١٧٠ : ١
- ١٤٠ وقد نزل عليكم في الكتاب ... ١٤٤ : ٢
- ١٤٢ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . ١٥٠ : ٢
- ١٥٣ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ... ٢١٦ : ٢
- ١٥٥ فما نقضهم ميثاقهم وكفروهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء
بغير حق . ٣١٤ ، ٢٢٨ : ١
- ١٦٤ وكلم الله موسى تكليماً . ٣١٢ : ٢
- ١٧٢ لَنْ يَسْتَنْكِفَ السَّبِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ... ٣٣٥ : ٢
- ١٧٦ يبين الله لكم أن تضلوا . ٤٨ : ٢

٥ - سورة المائدة

- ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ... ٤ : ١
- ١٩ قد جاءكم رسولنا بين لكم على فترة من الرسل . ٣٢١ : ٢
- ٢٧ قَرَّبًا قَرَبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ . ٤٧ : ٢
- ٢٨ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ ... * ٤٦ : ٢

- ٢٩ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك ... *٤٦ : ٢
- ٣٢ ومن أحيائها فكأنما أحييا الناس جميعا . ٢٨٥ : ٢
- ٣٨ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . ٥ : ٢
- ٤١ أولئك الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم . ٢٧ : ٢
- ٤٥ ومن لم يحكم بما أزل الله فأولئك هم الظالمون . ١٦٥ : ١
- ٥١ يأبى الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء . ٣٠٢ : ١
- ٥٤ يأبى الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ... ٣٦٤ : ٢
- ٦٠ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ... *١٨٠ : ٢
- ٦٤ وقالت اليهود يدُ الله مغلولة غلت أيديهم ... *٣ : ٢
- ٦٧ والله يعصمك من الناس . ٣١١ : ١
- ٩٣ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا . *٣٧٤ : ٢
- ١١٦ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم . ١٩٨ : ٢
- ١١٦ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . ٢٧٩ : ٢
- ١١٦ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك . *٣٢٤ : ١

٦ - سورة الأنعام

- ١ وجعل الظلمات والنور . ١٨٣ : ٢
- ٦ وأرسلنا السماء عليهم مدرارا . ١٦٩ : ٢
- ١٤ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ... ٣٥٥،٧١ : ٢
- ٢٢ ويوم نحشهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم ... ٢٧١ : ٢
- ٢٣ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ... *٢٧١ : ٢

- ٢٣ والله ربنا ما كنا مشركين . ٤٢٨ : ١
- ٢٤ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ... *٢٧١ : ٢
- ٢٧ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم فقالوا ... *٢٧١ : ٢
- ٢٨ بل بدّأهم ما كانوا يخفون من قبل ... *٢٧١ : ٢
- ٣٣ إنه ليحزُنكَ الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك . *٢٦٤ : ٢
- ٦٦ وكذب به قومك وهو الحق . ٢٦٧ : ٢
- ١٠١ وهو بكل شيء عليم . ٣٠٢ : ٢
- ١٠٣ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ... ٢٢ : ١
- ١٢٥ فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . ٢٧ : ٢
- ١٤٠ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم . ٢٨١ : ٢
- ١٥١ قل تمالأوا أنل ما حرّم ربكم عليكم ... *٣٥٤ : ٢
- ١٥١ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ... ٢٨٢ : ٢
- ١٦٤ ولا تزروا زرةً وزر أخرى . ٣٤٠ : ١
- ١٦٥ سريع العقاب . ٣٩١ : ١

٧ - سورة الأعراف

- ١ المص . ٧٩ : ٢
- ٢ كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه . ٧٩ : ٢
- ٣ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم . ٧٩ : ٢
- ٤ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا ... ٥٥ : ٢
- ١٢ ما منمك ألا تسجد إذ أمرتك ... ٣٥٦ : ٢
- ٢٠ ماها كما ربكمما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين ... ٣٣٥ : ٢

الجزء والصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٣ : ٢	٢٣	ربنا ظلمنا أنفسنا .
٨٧ : ١	٢٩	كما بدأكم تعودون .
٣١٥ : ١	٣٣	قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن ...
٢٢١ : ٢ / ٤٠٣ : ١	٤٠	ولا يدخلون الجنة حتى يابج الجمل في سم الخياط .
١٩٨ : ٢	٤٤	ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار .
١٩٧ : ٢	٦٥	وإلى عاد أخاهم هوداً .
١٩٧ : ٢	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صالحاً .
٤٠٣ : ١	٨٨	لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا ،
٤٠٥،٤٠٤ : ١	٨٨	أولوا كنا كارهين .
*٤٠٢ : ١	٨٩	قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم ...
٣٤ : ١	٩٢	كأن لم يغنوا فيها .
١٩٤ : ٢	٩٥	حتى عفوا .
٢٣٦ : ٢	١١٧	تلقف ما يافكون
٢٢٠ : ٢	١٢٣	آمنتم له قبل أن أذن لكم .
*٣٨٠ : ٢	١٤١	وإذ أنجبناكم من آل فرعون ...
*٢١٥ : ٢	١٤٣	ولما جاء موسى لبيقاتنا وكلمه ربه ...
*٣٠٨ : ١	١٤٦	سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق . .
٢١٦ : ٢	١٥٥	فلما أخذتهم الرجفة ...
١٠٩ : ٢	١٦٨	وبلوناهم بالحسنات والسيئات .
٨٦ : ٢ / *٢٨ : ١	١٧٢	وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ...
*٢٨ : ١	١٧٣	أوتقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل ...
٣٢٢،٣١٩ : ٢	١٨٠	ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها .

- ١٨٩ هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ... ٢ : ٢٣١*
 ١٨٩ فلما أنزلت . ١ : ٩٧
 ١٩٠ فلما آتاها صالحاً جملاً له سُرعاء فيما آتاها ... ٢ : ٢٣١*
 ١٩١ أيشير كونَ مالا يخلقُ شيئاً وهم يخلقون . ٢ : ٢٣٨
 ١٩٢ ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون . ٢ : ٢٣٨

٨ - سورة الأتفال

- ١٧ وليلى المؤمنين منه بلاءٌ حسناً . ٢ : ١٠٨
 ٢٤ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ... ١ : ٥٢٦*
 ٣٠ ويمكرون ويمكر الله والله خيرُ الماكرين . ١ : ٣٢٧، ٢ : ١٥٠
 ٦٧ ما كان لِنبيٍّ أن يكونَ له أسرى حتى يُبشخِنَ فى الأرضِ . ٢ : ٤٠٠*
 ٦٨ لولا كتاب من الله سبق . . . ٢ : ٤٠١

٩ - سورة التوبة

- ٦ وإن أحدٌ من المشركين استجاركَ فأجره ... ١ : ١٦٨
 ١٧ شاهدين على أنفسهم بالكفر . ١ : ٣٠
 ٣٠ وقالت اليهود عزيزُ ابن الله ... ١ : ٣٦٣*
 ٤٣ عفا اللهُ عنك لم أذنتَ لهم . ٢ : ٤٠٠
 ٥٥ فلا تمجِّبك أمواهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليمتدبهم بها
 فى الحياة الدنيا ... ١ : ٥١٤ / ٢ : ١٥٧

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
١٣١ : ٢	نسوا الله فنسيهم .	٦٧
١٦٥ : ١	إن المنافقين هم الفاسقون .	٦٧
٢٢٤ : ٢	يقاتلون في سبيل الله فيقتلوا ويقتلون .	١١١
٣١٢ : ١	ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم .	١٢٧
٣٢٤ ، ٣٢٣ : ٢	لقد جاءكم رسول من أنفسكم .	١٢٨

١٠ - سورة يونس

٢٣٤ : ٢	هو الذي يسيركم في البر والبحر ...	٢٢
٢٩٩ : ٢	قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا .	٥٨
٢٩٩ : ٢	وما تتلو منه من قرآن .	٦١
٨٨ : ١	لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .	٦٢
٣٥٢ : ١	أتقولون على الله مالا تعلمون .	٦٨
٣٨٣ : ٢	ولقد بوأنا بني إسرائيل مبعوثاً صدق ...	٩٣
*٣٨٢ : ٢	فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ...	٩٤
٤٠٤ : ١	ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً .	٩٩
*٣٨ : ١	وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ...	١٠٠

١١ - سورة هود

٢٠	أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون	
*٥٥٠ : ١	الله من أولياء ...	
١١٣ : ٢	ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون .	٢٠
٣٣٦ : ٢	ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ...	٣١
٣٣٩ : ٢	ولا أقول للذين تزددري أعينكم ...	٣١

- ٣٢ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا ... ٢ : ٢٤٦
- ٣٣ قال إنما يأتيكم به الله إن شاء ... ٢ : ٢٤٦
- ٣٤ ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم . ٢ : ٢٤٦*
- ٤٠ حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور ... ٢ : ١٧٠*
- ٤٠ قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك ... ١ : ٥٠٢
- ٤٥ ونادى نوحٌ ربه فقَالَ رَبِّ إِن ابني من أهلي ... ١ : ٥٠٢*
- ٤٦ قال يا نوح إنه ليس من أهلك ... ١ : ٥٠٢*
- ٤٧ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ... ١ : ٥٠٥
- ٨٢ وأمطرنا عليها حجارةً من سجيلٍ منضود . ١ : ٦١٥
- ٨٣ مسوومة عند ربك . ١ : ٦١٥
- ١٠٣ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . ١ : ٤٣*
- ١٠٤ وما نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدودٍ . ١ : ٤٣*
- ١٠٥ يوم يأتي لاتسكنم نفس إلا بإذنه . ١ : ٤٣*
- ١٠٦ فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق . ٢ : ٨٧*
- ١٠٧ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ... ٢ : ٨٧*
- ١٠٨ وأما الذين سُعدوا في الجنة خالدين فيها ... ٢ : ٨٧*
- ١١٨ ولو شاء ربك لَجعل الناس أمة واحدة ... ١ : ٧٠*
- ١١٩ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقْتَهُمْ . ١ : ٧٠*

١٢ - سورة يوسف

١٨	وجاءوا على قميصه بدمٍ كذبٍ ...	١٠٥ : ١ *
٢٣	وراودته التي هوفى بيها ...	٤٧٩ : ١
٢٤	ولقد همت به وهمَّ بها ...	٤٧٧ : ١ *
٢٦	إن كان قميصه قد من قبل ...	٤ : ٢
٢٧	وإن كان قميصه قد من دبر ...	٤ : ٢
٣٠	وقال نسوة في المدينة ...	٤٧٩ : ١
٣٢	قالت فذلكن الذي لمتني فيه ...	٤٧٩ : ١
٣٣	قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ...	٤٨٩ : ١ *
٤٥	أنا أنبئكم بتأويله فارسلون .	٧١ : ٢
٤٦	يوسف أيها الصديق .	٧١ : ٢
٥١	الآن حَصَّحَصَ الحقُّ أنا راودته عن نفسه ...	٤٧٩ : ١
٥١	حاش لله ما علمنا عليه من سوء .	٤٨٢ : ١
٧٢	وأنا به زعيمٌ .	١٠٩ : ١
٧٦	كذلك كدنا ليوسف .	٣٣٢ : ١
٨٢	واسأل القرية .	٣١١، ٢٥٩، ٢٢٠، ٤٨ : ٢ / ٤٩ : ١
٨٨	ببضاعةٍ مزجاةٍ .	٣٠٣ : ٢
٩٢	لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم ...	٤٥٢ : ١ *

١٣ - سورة الرعد

٢	الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونها .	٢٢٨ : ١ *
٣١	ولو أن قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبال ...	٣٠٩ : ٢ *

١٤ - سورة إبراهيم

- ٩ ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد ... * ٣٦٥ : ١
١١ قالت لهم رسُلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ... ٣٨١ : ٢
١٥ واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيد . ١٣٠ : ١
٣٤ وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها . ١٨٣ : ٢
٤٨ يوم تبدل الأرض غير الأرضِ والسموات . ٩١ : ٢

١٥ - سورة الحجر

- ١٩ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي ... * ١٣ : ١
٨٧ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم . ٦٣٤ : ١
٩٢ فوربك لنسألنهم أجمعين . ١٧٧ : ١
٩٣ عما كانوا يممّلون . ١٧٧ : ١

١٦ - سورة النحل

- ١٠ عو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ... * ٦١٥ : ١
١٥ وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بهم . ٤٨ : ٢
٢٦ فخيرَ عليهم السّفْفُ من فوقهم . * ٣٥١ : ١
٤٠ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون . ٤٦٩ : ١
٥٩ أُمْسِكْهُ على هونٍ أم يدسه في التراب . ٢٨١ : ٢
٦٢ لا جرم أن لهم النار . ١١٠ : ١
٧٧ وما أمرُ السّاعةِ إلا كأمح البصر أو هو أقربُ . ٣٨٩ : ١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٨١	وجعل لكم من الجبال أكنانا .	١٨٣ : ٢
٨١	وجعل لكم سراويلَ تقيكم الحر .	٢١٧ : ١
١٢٦	وإن عاقبتهم فمأقبوا بمثل ما عوقبتهم به .	١٤٧ : ٢

١٧ - سورة الإسراء

١١	وكان الإنسان عجولا .	٢٦٥ : ١
١٥	وما كنا معدّين حتى نبعث رسولا .	٣٢٠ : ٢ / ٢ : ١
١٦	وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها . .	* ١ : ١
٢٩	ولا تجمل يدك مغلولة إلى عنقك ..	٤ : ٢
٣٤	وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا .	٢٧٩ : ٢
٤٥	وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك ...	٥٧٨ : ١
٤٧	نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى ...	* ٥٧٦ : ١
٤٨	انظر كيف ضربوا لك الأمثال ...	* ١٦٣ : ٢
٤٩	أإذا كنا عظاما ورفاتا أننا لمبعوثون خلقا جديدا .	٢٢٥ : ٢
٦٢	أرأيتك هذا الذي كرمت على .	٣٣٤ : ٢
٦٦	ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر ...	٨٧ : ١
٧٠	ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ البحر ...	٣٣٥ : ٢ / ٨٧ : ١
٧٢	ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .	٣١٧ : ٢ / * ٨٧ : ١
٨٥	ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ...	* ١١ : ١
٨٦	ولو شئنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ...	١٢ : ١

- ٩٣ هل كنتُ إلا بشراً رسولاً . ٢ : ١٩٨
 ١١٠ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى . ٢ : ٣١٩

١٨ - سورة الكهف

- ١ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . ١ : ٤١٩ / ٢ : ٢٢٣
 ٢ قَبِيًّا . ١ : ٤١٩ / ٢ : ٢٢٣
 ٢٢ سيقولون ثلاثة رابهمم كذبهم . ١ : ٤٤٠
 ٢٢ رابهمم كذبهم ١ : ٢٠٢
 ٢٣ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً . ٢ : ١٢٠ *
 ٢٤ إلا أن يشاء الله . ٢ : ١٢٠ *
 ٢٩ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . ١ : ٧٥
 ٦٧ إنك لن تستطيع معي صبراً . ٢ : ١٦٦
 ٦٨ وكيف تصبر على ما لم تحيط به خبراً . ٢ : ١٦٦
 ٥٨ هذارحمه من ربي . ١ : ٧١

١٩ - سورة مريم

- ٢٥ وهزى إليك بجذع النخلة . ٢ : ١٠١
 ٢٨ يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء ... ٢ : ١٩٦ *
 ٢٩ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً . ٢ : ١٩٦ *
 ٣٨ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا ... ٢ : ٩٨ *
 ٣٩ وأنذرهم يوم الحسرة . ٢ : ١٠١
 ٥٩ فسوف يلقون غيا . ٢ : ٢٤٦
 ٦٤ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك . ٢ : ٢٩٨

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٧١	وإن منكم إلا واردها...	٥٠ : ٢
٩٠	تكاد السموات يتفطرن منه...	٤٢٩ : ١
٢٠ - سورة طه		
٧	فإنه يعلم السر وأخفى .	٩٤ : ١
١١	... ياموسى ...	١٦٨ : ١
١٢	إني أنا ربُّكَ ...	١٦٨ : ١
١٥	إن الساعة آتيةٌ أكادُ أخفيها .	٣٣٣ : ١
٥١	فما بال القرون الأولى .	١٦١ : ١
٥٢	قال علمها عند ربِّي في كتاب لا يضلُّ ربِّي ولا ينسى .	١٦١ : ١
٦٩	تلقفُ ما صنعوا .	٢٣٦ : ٢
٧٨	فغشيهم من اليمِّ ما غشيهم .	*٣٤٩ : ١
١١٠	ولا يحيطون به علماً .	١٥٠ : ١
١١٤	ولا تمجّل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه ...	*٣٥٨ : ٢
١١٥	ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً .	١٣١ : ٢
١٢٤	ونحشره يوم القيامة أعمى .	٨٨ : ١
١٢٥	قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً .	٨٨ : ١
١٢٦	قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ...	٨٨ : ١

٢١ - سورة الأنبياء

٢٣	لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون .	٣٩٤ : ١
----	--------------------------------	---------

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
٣٦٤ : ٢	ولا يشفعون إلا لمن ارتضى .	٢٨
١٠٩ : ٢	ونبلوكم بالشرِّ والخير فتنة .	٣٥
٤٧٠ : ١	وإذا رآك الذين كفروا ...	٣٦
*٤٦٥ : ١	خلق الإنسان من عجل ...	٣٧
١٥٥ : ٢	إذ نفثت فيه غم القوم ...	٧٨
٢٢٤ : ٢ / ٤٢٢ : ١	وكنا لحكمهم شاعدين .	٧٨
٨٧ : ١	كما بدأنا أول خلقٍ نعيده .	١٠٤
١٣٢ ، ٢٨ : ٢	قال رب احكم بالحق ...	١١٢

٢٢ - سورة الحج

١٦٩ : ٢	من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا ...	١٥
٤٧ : ٢	ولولا دَفَعُ اللهُ النَّاسَ بعضهم ببعض .	٤٠
٣٥٣ : ١	ولكن تَعَمَّى القلوبُ التي في الصدور .	٤٦
١٠٥ : ٢	بآياتها الناسُ ضُرب مثلٌ فاستمعوا له ...	٧٣

٢٣ - سورة المؤمنون

٤٢ : ١	ما آتخذ الله من ولد وما كان معه من إله .	٩١
١٦٤ : ١	وقل ربّ أعوذُ بك من هزات الشياطين .	٩٧
٣١٤ : ٢ / *٢٢٨ : ١	ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به .	١١٧

٢٤ - سورة النور

١٨٠ : ١	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة .	٢
---------	---	---

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
٢٣٥ : ٢ / ١٦٥ : ١	والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ...	٤
٤٧٨ : ١	ولولا فضل الله عليكم ورحمته ...	٢٠
٤٥٤ : ١	ولا تكبرها فتياتكم على البغاء ...	٣٣
٣٣١ : ١	أو كظلمات في بحر لجي ...	٤٠
٣٠٣ : ٢	ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ...	٤٣
٣٠٣ : ٢	يقلب الله الليل والنهار ...	٤٤
٢٠٢ : ١	ليس على الأعمى حرج .	٦١
٥٧ : ٢	أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم .	٦١

٢٥ - سورة الفرقان

١٩٧ : ٢	إن شاء جمل لك خيرا من ذلك .	١٠
٤٩٠ : ١	قل أذلك خيرا أم جنة الخلد .	١٥
٤٩١ : ١	خيرا مستقرا وأحسن مقيلا .	٢٤
٣١٢ : ٢	فإنه يتوب إلى الله متابا .	٧١
٣٦٦ : ٢	قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم .	٧٧

٢٦ - سورة الشعراء

٣٥٠ : ١	وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين ...	١٩
٢٥ : ١	فألقى عصاه فإذا هي ثمان مبين .	٣٢
١٣٢ ، ٢٨ : ٢	ولا تخزنى يوم يبعثون .	٨٧
٣٠٤ : ٢	واتقوا الذى خلقكم والجملة الأولين .	١٨٤
٣٢٠ : ٢	وما أهلكننا من قرية إلا لها منذرون .	٢٠٨

٢٧ - سورة النمل

- ١٦ يا أيها الناس عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ... ٣٤٩ : ٢
١٨ قَالَتْ عَمَلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنِكُمْ ... ٣٥٢ : ٢
٢١ لَا تُعَدِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ ... ٣٥٣ : ٢
٢٨ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ... ٥١٤ : ١
٨٠ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى . ٣٤٢ : ١

٢٨ - سورة القصص

- ٣١ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ... ٢٥ : ١
٧٣ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ ... ٤١٩ : ١
٧٦ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ . ٤٦٦ : ١
٨٨ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . #٥٩٠ : ١

٣٠ - سورة الروم

- ٢١ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ... ٢٣٥ : ٢
٢٢ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ . #٣٣٠ : ٢
٢٧ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ . ٨٨ : ١
٣٠ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ... ٨٤ : ٢
٣٩ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ . ٥٩٣ : ١
٤٣ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ . ٥٩١ : ١

٣١ - سورة لقمان

٢٢ ومن يُسَلِّمْ وجهه إلى الله وهو محسنٌ .. ٥٩٠ : ١

٣٢ - سورة السجدة

٧ وبدأ خلق الإنسان من طين . ٤٦٩ : ١

١٣ ولو شدنا لآتيننا كل نفس هداها . ٧٣ : ١

١٧ فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين ... ٨٨ : ١

٣٣ - سورة الأحزاب

١ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ . ٧٩ : ٢

٢ إِنْ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا . ٧٩ : ٢

١٠ إِذْ جَاءَ وَكُفْرُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ... *٣٢٨ : ١

١٦ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ ... ٢٨٤ : ١

٣٧ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ... *٤٠٠ : ٢

٣٧ فَلَمَّا قُضِيَ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا ... *٤٠٠ : ٢

٣٨ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا . ١٥١ : ١

٧٢ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال . *٣٠٩ : ٢ / ١٥٤ : ١

٣٤ - سورة سبأ

١٢ وَلَسَلِيمَانَ الرِّيحَ غَدُوًّا هَمِيرًا ... ٧٢ : ٢

١٣ يَمْعَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ ... ٢٣٦ ، ٧٢ : ٢

٢٤ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ . ٢٩٣ : ١

٣٥ - سورة فاطر

٣٢٠ : ٢	وإن من أمةٍ إلا خلا فيها نذير .	٢٤
١٨٨ : ٢	إنما يخشى الله من عباده العلماءُ .	٢٨
٣٩٤ : ١	ليوفيههم أجورهم ويزيدهم من فضله .	٣٠
*٣٦٢ : ٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...	٣٢

٣٦ - سورة يس

*٣٢٠ : ٢	لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون .	٦
٢٧ : ١	أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفةٍ ...	٧٧

٣٧ - سورة الصافات

*٤٣ : ١	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٢٧
*٢٣٦ : ٢	قال أتعبدون ما تنحتون .	٩٥
*٢٣٦ : ٢	والله خلقكم وما تعملون .	٩٦
٥٦ : ٢	وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون .	١٤٧

٣٨ - سورة ص

٤٧ : ٢	لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه .	٢٤
٢٩٩ : ١	٤٤،٣٠ نعم المبدؤ إنه أواب .	
١٥٥ : ٢	حتى توارت بالحجاب .	٣٢
*٥٦٥ : ١	ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ ...	٧٥
٣٣٤ : ٢	أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين .	٧٦

٣٩ - سورة الزمر

- ٩ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ . ١٨٨ : ٢
- ٦٠ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مَّسْوُودَةٌ . ١٥٣ : ١
- ٦٤ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونَنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ . ١٨٧ : ٢
- ٦٥ لئن أشركت ليحبطن عملك . ٣٨٢ : ٢ / ٥٠٥ : ١
- ٦٧ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ... ٣٢٠ : ١
- ٧٣ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَّبِئُوا ... ٣١٠ : ٢ / ٣ : ١
- ٧٤ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ ... ٣١٠ : ٢ / ٤ : ١

٤٠ - سورة غافر

- ٧ فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ... ١٣٢ : ٢
- ٨ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ ... ٣٠ ، ٢٩ : ١
- ٤٠ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ . ٣٩٤ : ١
- ٧٥ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ١٢٢ : ١

٤١ - سورة فصلت

- ١١ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ... ٣٠ : ١
- ١٢ فَتَضَاهَن سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ . ٣٥٩ : ٢
- ٤٠ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ . ١٢٣ ، ٧٥ : ١
- ٤٩ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ ... ٤٧ : ٢

٤٢ - سورة الشورى

- ١١ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .
٤٠ وجزاء سيئة سيئة مثلها .
٣١١ : ٢
١٤٧
٢٠٥ : ٢
٥١ وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجابٍ

٤٣ - سورة الزخرف

- ١٩ وجملوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنانا .
٤٥ واسألْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ...
٨٦ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشِّفَاعَةَ ...
١٨٣ : ٢
٧٩ : ٢
٣٦٦ : ٢

٤٤ - سورة الدخان

- ٢٨ كذلك وأورثناها قوماً آخرين .
٢٩ فما بكت عليهم السماء والأرضُ وما كانوا منظرين .
٤٩ : ١
٢٢٠ : ٢ / * ٤٩ : ١

٤٥ - سورة الجاثية

- ٢٤ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا ...
٤٥ : ١

٤٦ - سورة الأحقاف

- ٩ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم .
٣٨١ : ٢

٤٧ - سورة محمد

- ٤ حتى تضع الحرب أوزارها .
١٥ كمن هو خالدٌ في النار .
٤٩ : ١
٢٩٥ : ١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٢	فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض .	٢٨١ : ٢
٣٠	ولتعرفنهم في لحن القول .	١٤ : ١
٤٨ - سورة الفتح		
٨	إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ...	٢٣٣ : ٢
٩	لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ...	٢٣٣ : ٢
١٠	يد الله فوق أيديهم .	٣٠٢ : ١
٢٧	لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين .	٥ : ٢
٥٠ - سورة ق		
١٦	ونحن أقرب إليه من حبل الوريد .	٥٢٧ : ١
٢٢	لقد كنت في غفلة من هذا ...	٩٨ : ٢
٢٢	فبصرك اليوم حديد .	٨٧ : ١
٣٧	إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ...	٥٢٦ : ١
٥١ - سورة الذاريات		
٢٩	فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها .	١٦٨ : ٢
٥٦	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون .	٨٣ : ٢
٥٢ - سورة الطور		
٢٥	وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون .	٤٣ : ١
٤٤	سحابٌ مراكومٌ .	٣٠٤ : ٢

٥٣ - سورة النجم

١٥٠ : ١	١١	ما كذبَ الفؤادُ ما رأى .
١٥٠ : ١	١٣	ولقد رآه نزلةً أخرى .
١٥٠ : ١	١٤	عند سدرة المنتهى :
١٥٠ : ١	١٨	لقد رأى من آيات ربه الكبرى .
٣٦٩ : ١	٤٦	من نطفةٍ إذا تُمنى .

٥٥ - سورة الرحمن

*١٢٠ : ١	١٣	فبأى آلاءِ ربِّكما تكذِّبان .
٥٢٠ : ١	٢٢	يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ .
١٥٥ : ٢	٢٦	كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَانٍ .
*٥٩٠ : ١	٢٧	ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال والإكرام .
١٢٧ : ١	٣٥	يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ ...
٥٩٢ : ١	٧٨	تبارك اسم ربِّك ذو الجلال والإكرام .

٥٦ - سورة الواقعة

٤٢٧ : ١	٧٧	إنه لقرآن كريم .
٤٢٧ : ١	٧٨	في كتاب مكنون .
٤٢٧ : ١	٧٩	لا يمسه إلا المطهرون .

٥٧ - سورة الحديد

٢٢ ما أصابَ من مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسِكُم ... ٢٠٢ : ٢

٥٨ - سورة المجادلة

٢٢ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه . ٢٧ : ٢

٥٩ - سورة الحشر

٧ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ... ٤٣٩ : ١

٨ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ... ٤٣٩ : ١

٩ يحبون من هاجر إليهم ... ٤٣٩ : ١

١٠ يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا ... ٤٤٠، ٤٣٩ : ١

٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ... ٤٢٨ : ١

٦٠ - سورة الممتحنة

١ تلقون إليهم بالمودة . ١٠١ : ٢

٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . ٣٠٢ : ١

٦١ - سورة الصف

٥ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم . ٣١٢ : ١

٦٣ - سورة المنافقون

١ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهدُ إنك لرسول الله ... ٣٦٤ : ١

٦٤ - سورة التغابن

- ٩ ذلك يوم التغابن . ٤٠٣ : ٢ *
١٧ إن تقرضوا الله قرصاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم... ٣٩٤ : ١

٦٥ - سورة الطلاق

- ١ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ . ٣٩٩، ٧٩ : ٢
٨ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا... ٣٥٢، ٣٥٠ : ٢
٩ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا... ٣٥٠ : ٢

٦٦ - سورة التحريم

- ٦٦ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ... ٤٠٠ : ٢ *

٦٧ - سورة الملك

- ١٦ أَلَمْ نَمْنَمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . ١٦٨ : ٢
١٧ أَمْ أَمْنَمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا... ١٦٨ : ٢
٣٠ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا... ٢٠١ : ١

٦٨ - سورة القلم

- ١١ هَمَازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ . ٢٩٩ : ١
١٢ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٍ أَثِيمٍ . ٢٩٩ : ١
١٣ عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . ٢٩٩ : ١

٧١ - سورة نوح

- ٦ فلم يزدحم دعائى إلا فرارا . ٢٦ : ٢
١٩ جعل لكم الأرض بساطا . ٢ : ١٨٧

٧٣ - سورة المزمل

- ١٩ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا . ١ : ٥٣٩

٧٤ - سورة المدثر

- ٥٦ وما يذكرون إلا أن يشاء الله . ١ : ٥٣٩

٧٥ - سورة القيامة

- ١٦ لا تحرك به لسانك لتعجل به . ٢ : ٣٤٨
١٧ إن علينا جمعه وقرآنه . ٢ : ٣٥٨
١٨ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه . ٢ : ٣٥٨
١٩ ثم إن علينا بيانه . ٢ : ٣٥٨
٢٢ وجوه يومئذ ناظرة . ١ : ٥٩٢
٢٣ إلى ربها ناظرة . ١ : ٥٩٢
٢٤ ووجوه يومئذ باسرة . ١ : ٥٩٢
٢٥ تظن أن يفعل بها فاقرة . ١ : ٥٩٢
٣١ فلا صدق ولا صلى . ٢ : ٢٨٩

٧٦ سورة الانسان

- ١ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر ... ٢٨٨ : ١
٦ عيناً يشربُ بها عبادةُ الله . ١٠١ : ٢
٩ إنما نطعمكم لوجه الله . *٥٩٢ : ١
١٥ ويطاف عليهم بأنية من فضة ... ٢٦ : ١
١٥ قوارير من فضة ... ٢٦ : ١
٣٠ وما تشاءون إلا أن يشاء الله . ٥٣٩ : ١

٧٧ - سورة المرسلات

- ١٥ ويل يومئذ للمكذِّبين . ١٢٦ : ١
٣٥ هذا يومٌ لا ينطقون . *٤٣ : ١
٣٦ ولا يُؤذَنُ لهم فيعتدرون . *٤٣ : ١

٧٨ - سورة النبأ

- ٩ وجعلنا نومكم سُبَاتًا . *٣٣٧ : ١
٣٦ جزاءً من ربك عطاء حسابًا . ٣٨٩ : ١

٨١ - سورة التكوير

- ٨ وإذا الموءودة سئلت . *٢٧٩ : ٢
٩ بأى ذنب قتلت . *٢٧٩ : ٢
٢٦ فأين تذهبون . *٥٣٨ : ١
٢٧ إن هو إلا ذكرٌ للعالمين . *٥٣٨ : ١

رقم الآية	الآية	الجزء والصفحة
٢٨	لمن شاء منكم أن يستقيم .	١ : ٥٣٨ *
٢٩	وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين .	١ : ٥٣٨ *
٨٣ - سورة المطففين		
٢٩	إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .	١ : ٣٠١
٣٤	فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون .	٢ : ١٤٩
٣٥	على الأرائك ينظرون .	٢ : ١٤٩
٨٦ - سورة الطارق		
١٧	فمهّل الكافرين أمهاتهم رويدا .	٢ : ٢٦٦
٨٧ - سورة الأعلى		
١٠	سبّد كرم من يخشى .	١ : ٤٢٠
١١	ويتجنّبها الأشقى .	١ : ٤٢٠
٨٨ - سورة الغاشية		
٨	وجوه يومئذ ناعمة .	١ : ٤٩٢
٩	لسمها راضية .	١ : ٥٩٢
٨٩ - سورة الفجر		
١	والفجر .	١ : ١٧٤
٢	وليلٍ عشر	١ : ١٧٤
	(٢٩ - غرر - ثان)	

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
١٧٤ : ١	والشفع والوتر .	٣
٣١١ : ٢	وجاء ربك والملك صفا صفا .	٢٢

٩٠ - سورة البلد

٤٢ : ١	لقد خلقنا الإنسانَ في كَبِيدٍ .	٤
* ٢٨٧ : ٢	وهديناه النجدين .	١٠
* ٢٨٧ : ٢	فلا اقتحم العقبة .	١١
* ١٨٧ : ٢	وما أدراك ما العقبة .	١٢
* ٢٧٧ : ٢	فك رقية .	١٣
* ٢٨٧ : ٢	أو إطعامٌ في يومٍ ذِي مَسْعِيَةٍ .	١٤
* ٢٨٧ : ٢	يتيمًا ذا مَقْرَبَةٍ .	١٥
* ٢٨٧ : ٢	أو مِسْكِينًا ذا مَتْرَبَةٍ .	١٦
* ٢٨٧ : ٢	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر، وتواصوا بالمرحمة .	١٧
* ٢٨٧ : ٢	أولئك أصحابُ المِئمة .	١٨
* ٢٨٧ : ٢	والذين كفروا بآياتنا هم أصحابُ المشأمة .	١٩
* ٢٨٧ : ٢	عليهم نارٌ مؤصدة .	٢٠

٩١ - سورة الشمس

١٢٢ : ١	والأرض وماطحاها .	٦
١٢٢ : ١	ونفسٍ وماسواها .	٧

٩٢ - سورة الليل

٢٠ إلا ابتغاء وجهِ ربه الأعلى . ٥٩٢ : ١ - ٥٩٣

٩٤ - سورة الشرح

١ ألم نشرحْ لكَ صدركَ . ٢٧ . ٢

٩٥ - سورة التين

٤ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . ١٣٤ : ١

٩٦ - سورة العلق

١ اقرأ باسم ربك الذي خلق . ١٠١ : ٢

٩٩ - سورة الزلزلة

٢ وأخرجتِ الأرضُ أنماؤها . ٩٦ : ١

٧ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ٢٨٤ : ٢

٨ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . ٢٨٤ : ٢

١٠٠ - سورة العاديات

١ والعاديات ضبحاً . ١٠٦ : ١

١٠٢ - التكاثر

٢ كلاً سوف تعلمون . ١٢١ : ١

الجزء والصفحة	الآية	رقم الآية
١٢١ : ١	ثم كلاً سوف تعلمون .	٤
٤٧٨ : ١	كلا لو تعلمون علم اليقين .	٥
٤٧٨ : ١	لتروُنَّ الجحيم .	٦

١٠٣ - سورة العصر

١٦٨ : ١	والعصر .	١
١٦٨ : ١	إنَّ الإنسانَ لَنَفْسٍ خُسر .	٢
١٦٨ : ١	إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...	٣

١٠٩ - سورة الكافرون

١٢٠ : ١	لا أعبد ما تعبدون .	٢
١٢٠ : ١	ولا أنتم عابدون ما أعبد .	٣
١٢٠ : ١	ولا أنا عابدٌ ما عبدتُم .	٤
١٢٠ : ١	ولا أنتم عابدون ما أعبد .	٥

٢ - فهرس الأحاديث النبوية*

الجزء الصفحة

الحديث

(الهمزة)

- إذا أحبَّ العبدُ لِقائِي أحببْتُ لقاءه، وإذا ذكّرني في نفسه ذكّرتُه في
نفسِي ... [حديث قدسي] ٣٢٤ ١
- إذا أذنتَ فترسَلْ ، وإذا أمتَ فأجذِم . ٢٥٦ ١
- إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: انظروا
مَنْ كانَ في قلبه مِثقالَ حَبَّةِ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجوه منها . ٤٢٧ ١
- إذا كانَ يبلى فلا تدخلوه . [في حق الطاعون] ٢٠١ ٢
- إذا كانَ بالبند الذي أنتم فيه فلا تخرجوا منه [في حق الطاعون] . ٢٠١ ٢
- أعتقها فإنها مؤمنة ؛ [في خبر له عليه السلام مع معاوية بن الحكم] ١٦٧* ٢
- أعلمكم بنفسه أعلمكم بربه . ٣٢٩* ٢
- أكثرُ أهل الجنةِ البُله . ٣٨ ١
- الله أعلم بما كانوا عاملين . [في حق أطفال المشركين] . ٨٢ ٢
- اللهم مصرفَ القلوبِ صرفَ قلوبنا إلى طاعتك . ٣١٨ ١
- أحبُّ الأعمالِ إلى الله أدومُها وإن قلَّ ... ٥٥* ١
- أنا مِن حسين وحسين مني ، أحبَّ الله من أحبَّ حسيننا ... ٣١٩* ١

* ماورد من الأرقام بجانبه نجم ؛ فهو رقم الصفحات التي وردت فيها الأحاديث التي شرحها المؤلف ؛
وما عدا ذلك فهو أرقام الأحاديث التي أوردتها على سبيل الاستدلال .

- إن أمامكم عقبةً كئوداً لا يجوزها المثقلون، وأنا أريد أن تخفف لتلك العقبة .
- ٢٨٩ ٢
- إن أهل الميت ليموتون عليه ، وإنه ليمتدُّ بجُرْمِهِ .
- ٣٤١ ١
- إن قلوبَ بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، يصرّفها كيف يشاء .
- *٣١٨ ١
- إنكم لتبكون عليه ، وإنه ليمتدُّ في قبره ؛ [حينما مر على يهودى] .
- ٣٤١ ١
- إنما الطيرةُ في المرأة والدار والدابة .
- ٢٠١ ٢
- إن الميت ليمتدُّ في قبره بالنياحة عليه .
- ٣٤٠ ١
- إن هذا القرآن مأدبة الله، فتملّموا مأدبته ما استطعتم ، وإنَّ أصفر البيوت لبيتُ أصفر من كتاب الله تعالى .
- *٣٥٤ ١
- إن هذا القرآن نزل بحزْن، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتبّوا كوا فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا .
- ٣٢ ١
- إن مَنْ لم يرحمَ لا يُرحمُ .
- ٥٣٢ ١
- أوصيك بأُمَّك وأبيك ، وأختك وأخيك ، وأدانيك وأدانيك !
- ٢٨٤ ٢
- [من وصيته عليه السلام لصعصعة بن ناجية] .
- أعجز أحدكم أن يكون كَأبي ضمضم ! كان إذا خرج من منزله قال :
- ٦٣٢ ١
- اللهم إني قد تصدقتُ بعرضي على عبادك .
- ٢٨٨ ٢
- أيها الناس ، إنما هما نجدان ...

(الباء)

- ٣٢٦ ١
- بسم الله أرقيك ، والله يشفيك ...

(التاء)

- *٩٥ ١ تَقَىءَ الأَرْضَ أَفلاذَ كَبِدِها ...
*٣٩٥ ١ تَوَضُّؤُوا مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارَ .

(الحاء)

- ٧٧ ١ الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت .

(الخاء)

- خير الصدقة ما أبقت غنى؛ واليد العليا خير من اليد السفلى؛ وأبدأ
*٤٠٥ ١ بمن تعمل .

(الذال)

- ذروها فهي ذميمة . [لرجل شكك إليه عليه السلام دارا قل فيها عددهم
٢٠٢ ٢ وأموالهم] .

(الراء)

- ٦ ١ رأيت ليلة أُسْرِىَ بى قوماً تُقرضُ شفاهمم وكأما قرضت وفت ...

(السين)

- سميتهمه بأسماء فراعنتكم ؛ ليكونن فى هذه الأمة رجل يقال له
الوليد ؛ لهو شرّ على الأمة من فرعون على قومه . [حينما ولد لأخى
١٣٩ ١ أم سلمة ولد فسموه الوليد] .

(الشين)

الشؤم في المرأة والدار والدابة . ٢ ٢٠٠ *

(العين)

العارية مؤداة والمنحة مردودة ... ١ ١٠٩

(الفاء)

فرّ من المجدوم فرارك من الأسد . ٢ ٢٠٣ ، ٤٠٠ *

فما أعدى الأول ! [حينما سئل عليه السلام عن النقة تقع . عسفر البعير فيجرب] ٢ ٢٠٢ ، ٢٠٢ *

فهلّا قلت إنهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين منهم ! [في خبر له

مع المغيرة بن شعبه] . ٢ ١٩٧

في سائمة الإبل زكاة . ٢ ٣٠٠

(الكاف)

كان أهل الجاهلية يقولون : إن الطيرة في المرأة والدار والدابة . ٢ ٢٠٢

كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه . ٢ ٨٢ *

(اللام)

لا تسافروا بانقرآن إلى أرض العدو . ١ ٤٢٧

لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله . ١ ٤٥

الجزء	الصفحة	الحديث
١	*٦٣٠	لاتناجشوا ولا تدابروا؛ كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه.
١	٦١٧	لا سوّم قبل طلوع الشمس.
١	٣٢	لا يأذن الله لشيء من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقرآن.
١	٢٠٢، *٢٠٠: ٢/٣٧٧	لا عدوى ولا هامة ولا طيرة.
١	٦٣٢	لا يبولون ولا يتغوطون؛ إنما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك. [في وصف أهل الجنة].
٢	*٥٠	لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد فتمسه النار إلا تحلته القسَم.
١	٣١	لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن حداً أعطى أفضل مما أعطى لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه.
٢	٣٥١، ٢٠٤، ٢٠٣، *٢٠٠: ٢	لا يوردن ذوعاهة على مصحح.
٢	*٥	لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده.
١	٣٦٨	لو أدركته لأسلم؛ [بينما أنشد عليه السلام أبياتا لسويد بن عامر].
١	*٤٢٦	لو كان القرآن في إهابٍ ما مسّته النار.
٢	٣٠٩	لو كتب هذا القرآن في إهابٍ وطُرح في النار ما أحرقتة النار.
١	٣١٨	ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، ما شاء أقام، وما شاء أزاغ.
١	*٣١	ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن.

(الميم)

- ٣٣ ١ ما أنا من دَدٍ ولا الدُّمَى .
- *٣٤٤ ١ ما مِنْ أَحَدٍ يُدْخِلُهُ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ وَيُنْجِيهِ مِنَ النَّارِ .
- *٣١٨ ١ ما مِنْ قَلْبٍ آدَمَى إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِبْصِمَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَثْبِتَهُ ثَبَّتَهُ ، وَإِذَا شَاءَ أَنْ يَقْلِبَهُ قَلَبَهُ .
- مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع
- *٧٥ ١ ما شئت .
- *٣٦٨ ٢ مَنْ أَجْبَى فَقَدْ أَرْبَى .
- *٥ ١ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ أَجْدَمٌ .
- ٣٩٤ ٢ مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي .
- ١٦٩ ٢ مَنْ غَشَّ فَلَيسَ مِنَّا .
- *٤٩٢ ١ مَنْ يَتَّبِعِ الْمَشْجَمَةَ يَشْمَعِ اللَّهَ بِهِ .
- ٤٩٤ ١ مَنْ يَسْمَعُ النَّاسَ بِعَمَلِهِ يَسْمَعُ اللَّهَ بِهِ .
- ٣٤٠ ١ مَنْ نَسِجَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَمْدَبُ بِمَا نَسِجَ عَلَيْهِ .

(النون)

- ١٨٦ ٢ النَّبِيُّونَ أَوْلَادُ عِلَاتٍ .
- ٣١ ١ نَعَمْ كُنْزُ الصُّعْلُوكِ سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ يَقُومُ بِهَا فِي آخِرِ اللَّيْلِ .
- *١٠٧ ١ نَعَمْ الْمَالُ أَرْبَعُونَ وَالْكُفْرُ سِتُونَ . .
- *٢٨٥ ٢ نَهَى أَنْ يَصْلِيَ الرَّجُلُ وَهُوَ زَنَاءٌ .

الجزء	الصفحة	الحديث
١	*٤٥٤	نهى عن كسب الزمارة .
٢	*٣١٥	نية المرء خيرٌ من عمله .

(الهَاءُ)

١	٥٣٢	هذا أحق مطاع . [من كلام له عليه الصلاة والسلام في عبيدة بن حصن] .
٢	١٩٧	هارون الذى ذكره هو هارون أخو موسى .
١	٣٩٦	هكذا الوضوء مما مسّت النار .

(الْيَاءُ)

١	٣١٨	يا مقلب القلوب؛ ثبت قلبي على دينك .
		يُخرجُ من النار قوم بعدما يحرقون فيها فيقال : هؤلاء الجهنميون
١	٤٢٧	طلقا . الله عز وجل .
		يقول لله عز وجل : إني خلقت عبيدى جميعا خُنفاء فاجتأبهم الشياطين
٢	٨٢	عن دينهم، وجعلت ما أحللتهم لهم حراما .

أهَب - الإِهَاب ١ : ٤٢٦

أوب - أوب ذراعها ١ : ٥٦٠

أود - يتأدَّى ٢ : ١١٣ الأود ٢ : ١٧٢

أيد - الأيد ٢ : ٩٥

(الباء)

بجل - البَجَال ١ : ٢٤٢

بخص - البَخْص ١ : ٥٨٣

بجد - البَخْنداءة ١ : ٤٤٨

بذر - البِيدارة ١ : ٢١٣

برت - ابرتأ [وطبع خطأ بالثاء]

٢١٩ : ١

برد - البرْدان ١ : ٣٧٠

برذع - ابرندغ ١ : ٢١٩

برر - البرّ ١ : ٢٠١ المبراة ٢ : ١٩٠

برق - البراق ٣ : ١٧٦

برم - البريم ٢ : ١١٥

برى - تبرى ، البرى ١ : ٢٨٢

بزل - البازل ١ : ٢٤٢

بشم - البشام ٢ : ٢٥٧

بصر - بصير ٢ : ١٩٠

بضض - البضّ ١ : ١٥٥

بضع - بَضعة ١ : ٩٦

(الهمزة)

أبل - الإبيالة ١ : ٥٨٤ الأبل ٢ : ٣٢

أبن - الأبن ١ : ٣٢٣

أبي - أبيت الامن ١ : ١٩٤ المأبية

٢٥٣ : ١

أدب - المأذبة ١ : ٣٥٤

أدم - الإدام ١ : ٢٤٩

أذن - يأذن ١ : ٣٢ الإذن ١ : ٣٨

الأذن ١ : ٣٢ ، ٣٩

أرب - الأربة ٢ : ٦٠ الإرب ٢ :

٦٠ ، ٢١٠

أرط - الأروطاة ١ : ٧٢

أزر - تُوزره ١ : ٣٥٩

أزز - الأزبز ١ : ٩٥

أزل - الأزل ٢ : ١٥٩

أسس - المستأس ١ : ٢٦٥

أسف - الأسيف ٢ : ١١٣ الأسف

٢ : ١٦٧

أفل - الإفال ٢ : ١٥٩

أفن - الأفن ١ : ٢٣٣

ألى - الأليتان ١ : ١٥٧ آلى ، الآلى

١ : ٢٥٦ الألى ، الألوثة ٢ : ٥١

أمر - أمر ١ : ٢١٢ أمر ١ : ٣٨١

ثمل - الثميلة ٢ : ٢٠٩

ثنى - أثنى ١ : ٤٩٤

(الجيم)

جيب - الأجب ١ : ٨١

جبل - ابنة الجبل ١ : ٣٥٩ جبل،

محبول ٢ : ٣٠٥

جبي - الإجباء ٢ : ٣٩٨

جدد - الجد ١ : ٢٣٧ ، ٣٤٥

الجديدان ١ : ٣٧٠ الجداد

١ : ٥٦١ أجد ٢ : ٣٣

جدي - الجديات ١ : ٤٧٣

جذم - الأجنم ١ : ٩٨ عطاء

جذم ١ : ٢٥٦

جرب - المجرّب ٢ : ٢٨

جرر - الجرجرة ١ : ٢٢٩ أجررته

٢ : ١٨٥ الجير ٢ : ١٩٠

جرس - أجرس لها ٢ : ٦٣١

جرل - جرول ١ : ١٨٥ الجريال

٢ : ١٤١

جرم - لا جرم ١ : ١١٠

جرمز - الجراميز ١ : ٢٥١

جزر - الجازر ٢ : ٣٥٤

جزع - الجزعة ١ : ٢٤٨

جزل - الجوازل ٢ : ٣٣

بمد - المستبعد ١ : ٥٨٢

بعل - البعل ٢ : ٢١٤

بكر - باكرها النعيم ١ : ٤١٣

البكر ٢ : ٣٩

بلد - التبلد ١ : ٢٣٧

بله - البله ١ : ٤٠ ، ٤١

بهر - البهرة ١ : ٨٦ ، بهر، المهور،

بهر ١ : ٣٤٥

بهبش - الباهش ١ : ٣٨٣

بيض - البيضة ٢ : ٧

بين - البين ١ : ٦٩١

(التاء)

تبع - التبوع ٢ : ١٩٠

ترب - متربة ٢ : ٢٩١

تمك - التّمك ٢ : ٣٢

تنر - التنور ٢ : ١٧٠

تير - التيار ١ : ١٨٤

(الثاء)

ترب - لا تترّب ١ : ٤٥٣ ، ٤٥٤

ثفى - - الأثافي ٢ : ٣٠

ثقب - الثقب ٢ : ٣٢

ثلل - الثلة ١ : ٤١٥

حتر - الحِتر ١ : ٣٥٥
حدر - الحداير ٢ : ١٥٩
حدج - الحدّاج ١ : ٢٤٢
حدد - الحدّ ١ : ٣٢١
حذى - حُذْيَةٌ ١ : ٩٦ حذيت
الرجل ، الحُذْيَةُ ، الحُذْيَا ١ : ٤٩٧
حرج - الحَرّاجيح ١ : ٥٨٣
حرر - الحرّان ١ : ٢٤٣
حرس - الحرّس ١ : ٢٣٩
حرش - الحرّش ، الاحتراش ١ : ٢٣٥
حرف - المحارف ٢ : ٢٠٩
حرق - حرق ٢ : ٣٣
حزز - الحززة ١ : ٩٦
حزى - الحزاة ١ : ٢٣٨
حشرج - الحشرج ١ : ٢٥٩
حصرم - الحصرم ٢ : ١٦٠
حطم - الحاطوم ١ : ١٥٥
حظل - الحِظْلان ٢ : ١٥٩
حظى - الحِظَاء [وطبع خطأ الخطاء]
١ : ٣٨٦
حقق - الحَقِيقَة ١ : ٣٥٧
حكّم - حَكَمَاتِ الدَّهْرِ ١ : ٢٤٨
حلل - الحَلِيلَة ١ : ٢٤٨ ، حَلَّتِ الخمر
١ : ٢٨٠ تحلّل ١ : ٣٨٣
تجّلت ٢ : ٥٠

جمل - الجمائل ٢ : ٢٢٧
جفل - الجَفَلِي ١ : ٣٥٤
جلب - الجُلْب ٢ : ٢٢٧
جلد - التَّجَلَّد ١ : ٢٣٧
جلف - المجلّف ١ : ٤٨٣
جمج - مُجمج ١ : ١١٢ جمّاح
١ : ٣٧١
جم - الجَمَّة ١ : ٥٨٤
جنح - مجنحات ٢ : ٣٠
جنف - الجانف ٢ : ١١٢ الجَنَف
٢ : ١٧٢
جنى - النياق المجانيق ١ : ٥٦٠
جنن - الجنان ١ : ٢٤٨ الجنانجن
١ : ٣٥٢
جوف - الجوفاء ١٣ : ٢٤٩
جوز - الأجوّاز ٢ : ١١٥
جون - الجون ٢ : ٣٠ الجونّة
٢ : ٣٢

(الحاء)

حبر - الحبرة ١ : ٢٣٣
حبش - حُباش ٢ : ٢١٤
حبي - حَبِيّ ٢ : ١٩٢
حتد - الحِتْد ١ : ٢٤٨

خرطم - الخرطوم ١ : ٤٤٨
خَرَاع - الخراع ، الخراعة ١ : ٢٣٨
خرق - الخرقاء ١ : ٥١٢ الخريق
١ : ٥٨٢
خزى - تخزوني ١ : ٥٥٣
خسس - الخسيس ١ : ٤٤٤
خشش - الخشخاش ١ : ٦٣١
خصر - مخاصر ٢ : ١٧٧
خصل - الخصائل ١ : ٣٨١
خضع - الخيضة ١ : ١٩٤
خطأ - مخاظاها ٢ : ٢٩
خطر - الخطران ١ : ٢٨١
خفت - الخفات ١ : ٢٤٣
خفى - خفاه وأخفاه ١ : ٣٣٤ ، ٣٣٤
خلف - خلفات ١ : ٨٥
خلق - المخلق ١ : ٤٤٨
خلل - الخلة ، الخلة ، الخليل
٢ : ١٨٥ خَلَّ ٢ : ١٩٠
خلال ٢ : ٣٠٤
خمش - الخمشات ١ : ١١١
خمص - الخميصة ٢ : ١٤١
خهم - يخم ٢ : ٧٤
خنن - أيام الخنن ١ : ٢٦٤ خنّ
باكيا ١ : ٤٦٢

حلّ - حلتّ به الأرض أبقاها ١ : ٩٧
حمش - استحمش ١ : ٩٥
حمض - الحمض ٢ : ١٨٥
حمل - الحميل [وطبع خطأ الجميل]
١ : ١٠٩
حمم - الحمامة ٢ : ١٣٣
حمى - الحميان ٢ : ٢٨٦
حنن - الحنة ١ : ٢٤١ الحنانة
١ : ٥٦٠
حنى - حنى ٢ : ١٩٢
حوذ - الحاذان ١ : ٢٨١ الحاذان
٢ : ٢١٠
حوم - الحوائم ٢ : ٢٢٧
حير - الحيرتان ٢ : ١٤٨
حيس - الحيس ١ : ١٧
حيل - المحالة ١ : ٢٣٧
حيي - التحية ١ : ٢٤٢

(الخاء)

خبل - الخبيل ١ : ١٨٥
خدج - الخديج ٢ : ٣١
خدل - الخدلة ٢ : ٣٥
خدم - الخدام ٢ : ٣٥
خرس - الخرس ، الخرسة ١ : ٣٥٥

(الذال)

- ذرر - الذَّرَّ ١ : ٤٥٧
ذرا - المذْرُوان ١ : ١٥٦ الذَّرَى
الذرا الذَّرْوَة ١ : ١٥٧
٣٠ : ٢
ذكى - المذَكِّيات ١ : ٢٠٩
ذلل - ذَلَّذله ١ : ٣٥٩ ذُلُول ٢ : ٠
ذيف - الذَّيْفان ١ : ٢٣٦

(الراء)

- رأل - الرِّأل ١ : ٢٢٩
ربأ - المربَّأة ٢ : ١٨٩
ربب - أرَبين ١ : ٦١١
ربع - أم رُبَّع ١ : ٨٥ الرُّبَّع
٣٢ : ٢
ربل - الرِّبَلات ١ : ٢٣٤
ربا - أرَبين ١ : ٦١١
رث - ارْتَثَ ، المرتث ٢ : ٢٩
رحب - الرُّحْب ، ارحبوا ١ : ٢٣٨
رحم - المرحمة ٢ : ٩١
رخم - الرِّخْم ٢ : ١١٧
ردح - رَدَّاح ١ : ٤٤٨
ردع - الرُّدَّاع ١ : ٤٩٧

(الدال)

- دأى - الدَّأى ١ : ٥٨٣
دبب - دُبَّ ٢ : ٢٠٩
دبر - دابْرُته ٢ : ١٨٦
دبى - أدْبى ١ : ١٧
دجن - الداجن ١ : ١٩٠
دجا - الداجية ٢ : ٢٢٧
دحرض - الدَّحْرُضان ٢ : ٨٤
درا - الدرء ٢ : ١٧٢ ادَّارَاتم
٢٢٥ : ٢
درس - دارس ٢ : ١٩٣
دسس - دُسَّتْ بالهناء ٢ : ٣٠
دقع - الدقعاء ، مُدْقِع ٢ : ٢٩١
دعع - المَدْعَعَة ١ : ١٩٤ دَعَّها
٢١٢ : ١
دلل - مُدِلَّة ١ : ٥٥٧
دلص - الدُّلَامص ٢ : ١٤١
دهبيل - الدَّهْبِيلَة ١ : ١١٦
دهن - الدَّهَّان ١ : ٤٧٤
دور - يدِيرها ١ : ٤٣٣
دوم - دَوَّم الطائر ٢ : ١٧١
ديف - دِياف ١ : ٢٢٩
دين - الدَّيَّان ١ : ٢٥٢

روغ - لم يُرغها ١ : ٣٦٠
روى - الروايا ٢ : ١٤٧
ريح - رياح ١ : ٣٧١
ريق - ريق الصبا ١ : ٤٤٥

(الزاي)

زين - زبنته ١ : ٣٨٦
زجر - مزجر ٢ : ٢١٠
زجى - يُزجى ٢ : ٣٠٣
زعم - الزعيم ١ : ١٠٦
زفر - الزافر ٢ : ٩٥
زفى الزفَيان ١ : ٥٥٩
زلق - الزلق ١ : ٤٦٠
زلل - الأزل ١ : ٨١
زمر - الزمارة ١ : ٤٥٤
٤٥٧ : ١
زمل - الأزمل ١ : ٩٥
زنأ - الزنأ ١ : ٢٨٥
زند - الزناد ١ : ٢٤٢
زهدم - الزهدمان ٢ : ١٤٩
زود - مزود ١ : ٥٨٢
زول - أزاولها ٢ : ٢١٠
زبت - المزيت ١ : ٢٣٠

الزيمير

ردف - الرّدْفان ١ : ٣٧٠
رزن - الأرزَنات ١ : ٣٢٢
رسح - الأرسح ١ : ٨١
رسل - الرّسل ١ : ١١٢
رسم - المترسّم ١ : ٢٨١
رشح - الراشح ٢ : ٢٨
رصع - الأرصع ١ : ٨١
رضخ - رضخ له ٢ : ١٦٠
رضف - الرّضف ١ : ٢٣٤
رضم - الرّضَمات ٢ : ٢٩
٣٥ : ٢
رعث - الرعاث ١ : ١٤٠
رعش - المرعشة ١ : ٥٤١
رعى - الراعى ١ : ٣٢٣
رقب - الرّقوب ٢ : ٣٥
ركم - ركماً ٢ : ٣٠٤
رمل - رُميلة ١ : ٨٥
رعم - الرّمة ١ : ٥٨٣
رخ - يرنخ ٢ : ١٩٠
رنق - رنق الطائر ١ : ٢٨١
رنا - أرانى ٢ : ٢٢٧
روح - الرّواح ١ : ٣٧١
المراح ١ : ٥٦٠
روز - الرّوزى ١ : ٥٤٨

الرضم

سمع - يسمّع ٤٩٤:١ سميع
١٩٠:٢

سمن - سمين الضواحي ٥٠٩:١
أسمن بنوفلان ٢٦٦:٢
سما - السماء ٣٠٦، ١٦٩:٢
سنب - السنبة ٢٣٩:١
سنه - المستنون ٢٦٩:٢
سنا - سنا البرق ، سناء المجدد ٣٠٨:٢
سها - بنو سهوان ٢٣٨:١
سود - المساودة ٣٠٦:١
سوف - ساف ١٦٨:٢ / ٢٢٩:١
سوم - سوام ٥٨١:١ الخيل
التسويم ٦١٧:١
٦١٨:١

سوى - سواسية ٥٠:١
(الشرين)

شأس - شأس ٢٨٦:٢
شباب - شب ٢٠٩:٢
شتت - الشئت ١٧٥:٢
شجع - الأشاجع ١٩٤:١
شدخ - الشندخي ٣٥٦:١
شدن - شدينة ٢٨١:١
شذر - الشذران ٢٨١:١
شرر - الشرائر ٢٥١:١

(السين)

سبب المسابة ٥٥٧:١
سبت - السبات ٣٣٨، ٣٣٧، ٢٤٣:١
الزمال السبئية ٣٣٧:١
ابنا سبات ٣٧٠:١
سبرت - السبروت ٣٧١:١
سبط - الأسباط ٢٢٠:١
سبيل - السبيل ٣٥٩:١
سحب - السحاب ٣٠٤:٢
سخل - سخلبة ٨٥:١
سدل - سدل به ٣٩٨:١
سرر - السرر ٢٤٠:١ سر الواري
٢٤٨:١

سغب - السغب ٢٩، ٢١٠:٢
سفف - يسف (طبع خطأ «يسف»)
٢٨١:١

سقط - أسقط في أيديهم ٣٤٣:١
سكك - السكة ٢١٩:١
سكن - المسكين ٢٩١:٢
سلب - السلاب ٣١:٢
سلف - السلفة ٣٥٦:١
سلم سلمة ٤٠:٢
سلا - الأسلاء ٣٤٣:١
سمدع - السמידع ٢٦٨:١

صَرَاع - الصَّرْعَان ١: ٣٧٠
صعر - صَعْرَكَ ٢: ١٧٢
صعلك - الصعلوك ١: ٣٧١
صفر - الصَّفْرَ ١: ٣٥٨ الصافر
١: ١١٢/٤٥٥
صفا - الصفا ٢: ٣٠ صفوك ٢: ١٧٢
صكك - صَكَ جِبْهَتَهُ ٢: ١٦٨
صور - الْأُصُورَ ٢: ١١٦
صوع - الصُّوَاعَ ٢: ١٣٩
صوم - صَامَ النَّهَارَ ١: ٢٨١ الصائم
٢: ٣٥

(الضاد)

ضبب - الضَّبَّ ١: ٨٠
ضحا - أَضْحِيَان ١: ٨٦
ضرر - الضَّرِيرَ ٢: ٢١٠
ضرع - الضَّرْعَ ١: ٢٤٨
ضفر - الضَّفْرَ ١: ٥٥٧
ضلع - ضَلَعَكَ ٢: ١٧٢
ضفر - الضامرون ٢: ١٦٠
ضوج - ضَوْجَ الْوَادِي ٢: ١٧٧
ضيف - أَضَافَ ٢: ١١٢

(الطاء)

طبع - الطَّبَعَ ١: ٢٣٧
طرق - الطَّرِيقَةَ ١: ١١٢

شرف - الشَّارِفَ ١: ١١١ الإشراف
١: ٤١٠

شزر - الشَّزْرَ ١: ٢٣٧
شسف - شُسِّفَ ١: ٥٨٣
شعب - الشَّعْبَ ١: ٤٤٩ الشَّعْبُ
٢: ١٧٧

شغب - الشَّغْبَ ٢: ٢٠٩
شغر - الشَّغْرَ ١: ٧٩ شِّغَارَةٌ ١: ٨٠
مشتغر المدى ٢: ١٧٤
شكس - الشَّكْسَ ٢: ١٧٧
شكل - الْأَشْكَالَ ١: ٣٥٩
شكلا - ١: ١٧

شلل - شَلَّ الثَّوْبَ ٢: ١٧٧
شمد - شَامَذَةَ ١: ٢٨١
شمع - الشَّمْعَةَ ١: ٤٩٢
شمم - الشَّمْمَ ١: ٢٤٧
شنشنة - شَنْشِنَةَ ١: ٣٧٤
شوف - الشُّوفَ ١: ٢٦٤
شيل - شَالَتْ نَمَامَتُهُمْ ١: ٢٥٢

(الضاد)

صبيع - الإصْبَعَ ١: ٣١٨، ٣١٩
صبا - الصَّبَا ١: ٢٣٣
صدا - صُدَّ السَّرَابِيلَ ٢: ١٥٨
صدد - صَدَّدَكَ ٢: ١٧٢
صدر - الْأَصْدْرَانَ ١: ١٥٦

عرش - عُرش ٣٢:٢
عرض - العارض ١٧٦:٢
عرف - عرف ١٧٤:٢
عرفج - العرفج ١٧:١
عرق - العراق ١٧٦:٢
عزب - المزب ٢٤١:١
عسقل - العساقل ٥٥٨:١
عصر - العصران ٣٧٠:١ العصرة
٣٥٩:١
عصم - العَصَم ٢٣٨:١ العصمة
٣٤٧:٢
عطف - العِطاف ٣٥٩:١
عطل - العِطَل ٥٥٨:١
عتم - العِتم ٢٥٦:٢
عظى - العِظايا ٢٣٦:١
عفر - العِفر ٢٨١:١
عفا - لم يف رسماً ١٩٣، ١٩٢:٢
عفوا ، عفا الشعر ١٩٤:٢
عقق - العِقيق ٣٥٥:١
علاج - يعالج ٤٩٣:١
علط - العِلاط ٤٩٣:١
علف - العِلف ٣٧٣:١
علل - أبناء علّات ١٨٦:٢
عمر - العمران ١٤٨:٢
عمل - التعمال ٢٨١:١

طفق - طِفِق ٢٢٠:١
طفل - الطِفلي ٣٥٧:١
طفلاً - المِطْلَق ٤٥٧:١
طلل - طَلَّ دمه ٤٤٣:١ الطلّة
٢٤١:١ الطلّ ٤٩٩:١
طوف - أطاف به ٥١٢:١
(الظاء)
ظمن - الظمينة ٢٤٢:١
ظلم - ظلمك ١٧٢:٢
(الميم)
عبر - العِبرَة ٢٣٣:١
عتر - العِترَة ٢٦٥:١
عتق - عتاق ٥١٢:١
عتم - عتمة ٨٥:١
عجر - عَجْر البطون ١٥٨:٢
عجف - عِجاف ٤٤٣:١
عجل - المِجل ٥٥٤:١
عذر - العِذْرَة ٣٥٦، ٣٥٥:١
الإعذار ٣٥٦:١
عذم - العِذْم ٢١٠:٢
عرب - المُعْرِب ٣٤٣:٢
عرد - العِرد ٣٠٦:١
عرر - العِرار ١٤٠:٢، ٤٤٩:١
عرس - العِرس ٣٥٤:١ أعرّس
٣٥٧:١

غمد - التعمد ١ : ٣٤٤
غمر - الغمر ١ : ٩٦ الغمر ١ : ٢٤٨
غنى - يتغنى ١ : ٣١ ، ٣٤
غول - مغوال ١ : ١٥٦
غيض - غيض ١ : ٥٨٤
غيل - الغيل ١ : ٢٣٨
غيم - الغيم ٢ : ١٧٧
غين - الغين ٢ : ١٧٧

(الفاء)

فأس - فأس الرأس ١ : ٢٢٠
فتى - الفتيان ١ : ٣٧٠
فتأ - فتأغضبه ٢ : ١٧١
فجر - فجر الرجل ١ : ٤٥٧
فجع - المفجع ١ : ٢٤٣
فرخ - أفرخ ١ : ٣٨١
فرض - الفراض ٢ : ٢٩ الفارض
٣٩ : ٢
فروع - الفروع ٢ : ٥٢
فرق - الفرقان ٢ : ٢٥٩ فارق
٢٨٣ : ٢
فرزدق - الفرزدقة ١ : ٦٢
فزع - فزعت له ٢ : ١١٤
فضض - الفضض ١ : ٤٤٨
فطر - الفطارة ١ : ٨٠

عم - العميم ١ : ١٤٩
عمى - عماء ١ : ٤٥٥
عمم - العمم ٢ : ٢٥٦
عوج - العوجاء ٢ : ١١٥
عود - العود ١ : ١١١ ، ٢٢٩
عمائد ٢ : ٣٢
عوذ - العوذ ٢ : ٣٠٤
عور - العاورة ١ : ٢٣٩
عول - العيال ٢ : ١٥٩
عون - العوان ٢ : ٤٠
عيم - الاعتيام ٢ : ٢١١
عين - أبناء الأعيان ٢ : ١٨٦

(الغين)

غيب - غبا ٢ : ٢٠٩
غبن - المنابن ١ : ٦٣٤ التغابن
٤٠٣ : ٢
غدف - الغداف ١ : ٤٤٥
غذر - الغيدارة ١ : ٢١٤
غرب - الغرب ٢ : ٣٩ الغراب
الأبيض ٢ : ١٣٣
غرض - الغرض ١ : ٢٣٩
غطل - غيطل ٢ : ١٩٠
غلب - غلاب ١ : ٢٠٩
غلا - غلاء ١ : ٢٠٩

قرن .. القرن ١ : ٣٧٠
قرى .. المقرأة ١ : ٢٥٦
قزع .. القزع ١ : ١٩٤
قصر .. القصر ١ : ٢٨٣
قصر - قصرت قدرى ١ : ٤٧٣
قضب - القضيب ١ : ١١٤
قطط - القطط ١ : ١٨٤
قمس - القمساء ١ : ٨٥
قفر - المقفر ، القفرة ١ : ١٨٩/٢
قفل - المقفل ٢ : ١١٦
قلب - القلب ١ : ٣٤٢
قلت - القلات ١ : ٥٦ ، ٣٢٢
قنب - القناب ٢ : ١٥٨
قنر - القنور ٢ : ٢٨٤
قنص - القانص ٢ : ١٨٩
قنع .. أقنعه ١ : ٢٢٠
قنا .. أقنوا ١ : ١٨٤
قوف - المقوف ٢ : ٢٨
قياً - تقى ١ : ٩٥
قيل .. قال ١ : ٧٣ ، القيلولة ١ : ٢٨١
قين - القين ٢ : ٢٢٧

(الكاف)

كعب - كبة المشتى ١ : ٤٢
كبد - كبد المشتى ١ : ٤٢ الكبد
٤٧٤ : ١

فطم - الفطم ١ : ٢٤٩
فغم - الفغم ٢ : ١٨٩
فقر - فقر ، يفقر ، فقرا ، الفاقرة ، مفقر
١ : ١٨ الإفقار ١ : ١١٢
فقع - فاقع ٢ : ٤٠
فلذ - الأفلاذ ١ : ٩٦
فلق - الفلقة ١ : ٩٦
فود - الفودان ١ : ١٥٦
فوق - الفواق ١ : ٣٨٦
فيل - فال ٢ : ٢٤٤

(القاف)

قبر - ذو القبر ٢ : ٢٨٣
قبل - القبيل ١ : ١٠٩
قحب - القحبة ١ : ٤٥٥
قدر - القدار ١ : ٣٥٦
قدم - القوادم ١ : ٨٠ ، القدام ١ : ٣٥٦
قرب - القرب ، مقربة ٢ : ٢٩١
قرت - القروت ١ : ٢١٣
قروح - ذو القروح ١ : ١٨٥
قرر - القرّتان ١ : ٣٧٠ ، أقرت
٣٨٦ : ١

قرضب - القرضوب ١ : ٣٧١
قرق - القرق ١ : ٥٦١
قرمص - القرمص ٢ : ٢٠٩

لهن - اللهنة ١ : ٣٥٦
ليغ - الأليغ ٢ : ٣٢٨
(الميم)
متع - الامتاع ١ : ٤٤٨
مثل - المثال ١ : ٣٢ امتثالها ١ : ١١٢
محل - المحال ٢ : ١١٥
مدد - المادّ ٢ : ١٧٤
مذر - المذروان ٢ : ١٥٦
مرخ - المرخ ٢ : ٢٩
مرى - المرى ٢ : ١١٢
مزع - المزعّة ١ : ٢٤٨ ، ٢٤٩
مسح - الأمسح ١ : ٨١
مسى - مُسى ١ : ٣٥٧
مصر - المصير ٢ : ٢١٤
مطوق - التمطوق ٢ : ١٨٦
ممك - مملكة ١ : ٣٩٨
مقط - المقط ١ : ٥٦٠
مكك - المسكّتان ٢ : ١٤٨
ملح - الملح ٢ : ١٦٠
ملخ - المَلخ ١ : ١٥٥
ملع - الملع ١ : ٣٥٧ الملبع
٥٥٩ : ١
ملل - حتى تمأوا ١ : ٥٥ - ٥٧
ملا - الملوان ١ : ٣٧٠

كبا - يكتبين ١ : ٤١
كتب - كتب الدابة ١ : ٢٨٩
كتن - الاكتنّان ١ : ٢١٣
كثر - الكُثر ١ : ١٠٩
كرا - الكرين ١ : ٥٦٠ يكروا ١ : ٥٦١
كعم - يكعم ٢ : ٢٥
كفر - كافر ١ : ١٨٤
كفل - الكفّل ١ : ٤٥٧
كلب - الكليب ٢ : ٢٢٢
كوم - الكوماء ١ : ٢٤٢
كنن - الكننة ١ : ٢٣٣

(اللام)

لبب - ألبّ ١ : ٦١١
لذن - اللدونة ٢ : ٢٠٩
لصب - اللّصب ١ : ٣٥٩
لثغ - الألتغ ٢ : ٣٢٨
لحن - اللّحن ١ : ١٤ ، ١٥
لدد - اللّدد ٢ : ١٧٣
لصص - أالصّ الضروس ٢ : ١٩٢
لعن - اللّعين ٢ : ١١٩
لغم - اللّغام ١ : ٤٤٣
لقح - اللّقحة ٢ : ١١٥
لمظ - التلمظ ٢ : ١٨٦
لمق - اللّماق ٢ : ٢٢٧

نصر - النصير ، تنتصر ١١٩:٢
نصل - المناصل ٢ : ٢٠٩
نضب - الناضب ١ : ٤٥٥
نضر - النصير ٢ : ١٤١
نضا - الأناضى ٢ : ١٥٩
نطف - النطفة ١ : ٣٥٩ النطاف
١٧٧:٢

نظر - النظائر ٢ : ٣٢
نعب - نَعَب ، مَنَعَب ، نَعَابَة ١ : ٢١٩
نعر - النَّعْر ٢ : ١٩١
نعق - نَعِق ١ : ٢١٨
نعم - أُنْعِم ١ : ٥٠٩
نفخ - نَفَخَ ١ : ٢٢٠
نفس - النَّفْس ، النَّفُوس ١ : ٣٢٤ -
٣٢٦

نقب - النقبه ٢ : ٢٠٠
نقر - يَنْقُر ١ : ٣٥٤
نقرس - النَّقْرَس ١ : ١٨٥
نقض - الْأَنْقَاض ١ : ٢٨٢
نقع - النَّقِيعَة ١ : ٣٥٥ ، ٣٥٦
نكب - الْمَنْكِب ١ : ٣٢٢
نكر - النَّكِر ٢ : ١٩٠
نكس - الْمَنْكُوسَة ١ : ٥٦٠
نهب - نَهَبَ ٢ : ٢٠٩

نمس - مومسة ١ : ٢٣٣
منح - الْمَنْحَة ١ : ١٠٩
منى - يَمْنَى ، الْمَانَى ، الْمَنَى ١ : ٣٦٨ ،
٣٦٩
موه - ذات ماءين ١ : ٥٨٤
ميل - الْمَيْل ٢ : ٣٢ ، مال ٢ : ١٧٤
مين - الْمَيْن ٢ : ٢٥٨

(النون)

نبح - الْمَسْتَبِیح ٢ : ١١٤
نبح - نَبِخَاء ١ : ٢٢٠
نبيع - النوابغ ١ : ١٨٥
نقل - اسْتَنْقَلَ ١ : ٢١٩
نجح - الْيَنْجُوج ١ : ٤٢
نجد - النَّجْد ٢ : ٢٨٧
نجش - النَّجَّاش ١ : ٦٣١
نجل - مَنْجُول ١ : ٤١
نجم - الْمَنْجَم ١ : ٣٣٠
نحو - أَنْجُوا ١ : ٣٥٧ نجاه ٢ : ١٧٤
ندد - أُنْدَادًا ٢ : ١٨٨
نزر - نَزَرَ ١ : ١٣
نزع - النَّازِع ١ : ٦٣
نسق - مَتَسَق ١ : ٤٤٨
نسا - النَّسَا ١ : ٣٠٦ / ٢ : ١٩٠
نشر - النَّاشِر ١ : ٤٥١

(الواو)

- وأد - الموءودة ٢ : ٢٨١
وتر - الوتر ٢ : ٣٢
وجب - الوجبة ١ : ٣٥٧ ، ٣٥٩
وجه - الوجه ١ : ٥٩١
وجى - الوجى ١ : ٢٢٩
وحم - الوحم ٢ : ١٦٠
ودق - الودق ، استودق ٢ : ٣٠٤
ودك - الودك ١ : ٢٤٩
وذر - الوذرة ١ : ٩٦
ورد - وراذ الأعلى ٢ : ٢٨
ورش - الوارش ، الوروش ١ : ٣٥٧
ورع - الرعة ، الورع ١ : ١١٢
التورع ١ : ٢٣٤
ورق - الرقيق ١ : ٢٣٣ الأورق
٢ : ٢٨ ، الورق ٢ : ٣١
ورى - ورية ١ : ٢٤٢
وزم - الوزمة ١ : ٣٥٦
وسل - الوسيلة ١ : ٢٤٨
وسم - الوسام ١ : ٤٢
وشى - شية ٢ : ٤٠
وصص - الوصاص ١ : ٤١
وصل - الموصلان ٢ : ١٤٨
وصم - الوصوم ١ : ٣٧١
وضأ - توضأوا ١ : ٣٩٥

نوح - التناوح ٢ : ١١٧

نوى - ذو النية ٢ : ٣٢

نيب - الناب ١ : ١١١ أنيب ٢ : ٢١٣

نير - النيران ١ : ٥٦٠

(الهاء)

هيب - المهبون ٢ : ١١٤

هبر - هبرة ١ : ٩٦ هبرا ١ : ٢٢٧

هجر - هجرية ١ : ٢٣٠

هجم - مهجوم ١ : ٥١٢

هدن - أهدنه ١ : ٢٥١

هدى - التهادى ١ : ٢٤٢ الهدى

٢ : ٩٥

هرا - الهراء ١ : ١٣

هكم - التهكم ٢ : ١٩٠

هلبج - هلباجة ١ : ٣٥٥

هلف - الهلوف ٢ : ٢٨٦

همم - الهميمة ١ : ٤٤٩ الهمام

٢ : ١٥٥

هند - المهند ١ : ٢٤٨

هون - الهون ١ : ٢٥٢

هيب - الإهابة ٢ : ٣٢

هيق - الهيق ١ : ٥١٣

هيم - الهيم ١ : ٢٤٩

وكر الوكيرة ١: ٣٥٥، ٣٥٦
وكل - التواكل ١: ٢٣٩
ولم - الوليمة ١: ٣٥٥، ٣٥٦
ولى - الولية ١: ٢٤٢
وهل - الوهل ١: ٣٤٢
وهن - الوهن ١: ٢٣٨
ويل - ويل أمه ٢: ١٥٧ ويلٌ بها
٢: ١٧٥
(الياء)
ينع - اليناع الفورى ٢: ١٧٤

وضع - الوضع ١: ٣٥٧
وضن - الموضن ٢: ٣٥
وطس - الوطيس ٢: ١٧١
وغر - الوغير، المستوغر ١: ٢٣٤
وغل - الواغل ١: ٣٥٨
وقب - الوقب ١: ٤٦
وقذ - يقذ ١: ٨٠
وقر - الوقير ٢: ٢٠٩
وقع - الوقيمة ١: ٢٥٩
وقف - الوقف ٢: ٣٥
وقى - يقين ١: ٢٢٩

٤ - فهرس الأشعار

٤٨٨ : ١	النظار الفَقْمَسِيّ	طويل	وسماءُ
٥٧١ : ١	—	»	لواءُ
٥٢٣ : ١	إبراهيم بن العباس الصوليّ	»	وسماؤها
٩٩ : ١	زُهَيْر بن أبي سُلمى	وافر	الرّساءُ
٢٥٥ : ١	الربيع بن ضبيع الفزاريّ	»	فداءُ
٢٥٩ : ١	أبو الطّمحان القينيّ	»	أضواءُ
٣٩٧ : ١	—	»	وضاءُ
٦٣٣ ، ٦٣٢ : ١	حسان	»	الجزاءُ
١٨٢ : ٢	»	»	سواءُ
١٨٨ : ٢	»	»	الفداءُ
٥٦٣ : ١	المتنبّي	كامل	الأنضباءُ

٣٥٥ : ١	—	بسيط	الثلاثاءُ
٤٦٠ : ١	سهل بن هارون	»	داني
٥٢٢ : ١	مخلع البسيط المَكوك	»	بالمطاء
٢٤١ : ١	زُهَيْر بن جَناب	وافر	مسانی
٥٩٧ : ١	البحترى	كامل	جرداءُ
٢٥١ : ٢	»	»	شمواءُ
٣٤٠ : ٢	السيد الحِميريّ	»	العلماءُ

١٤٠ : ٢	عبدالله بن قيس الرقيات	مجزوء الكامل	غلوأئها
٦٤ : ٢	الحسن بن مُطير	خفيف	الأحساء
٣٢٨ : ١	المرار	متمقارب	الظباء

(الباء)

٤٣٨ : ١	مُسلم بن الوليد	سريع	المشيب
١٠٩ : ١	—	رمل	قد وجب
٤٤٧ : ١	ابن الرومي	»	الذهب
٥٣٣ : ١	—	»	يشب
٦٣٣ : ١	مِسكين	»	المسب
١٦٠ : ٢	»	»	للصخب

* * *

١٣٩ : ١	بشّار	طويل	المهذبا
١٩٣ : ١	ربيعة بن مالك	»	نابا
٤٤٩ : ١	الحسن بن علي الواسطي	»	العذبا
٥٨٦ : ١	البُحترى	»	ومخلبا
٥٧٣ : ١	»	»	فأغبيا
٦٠٢ : ١	—	»	وأدبا
٤١ : ٢	البُحترى	»	نبا
١٦٩ : ٢	المثقب العبدى	»	ومرحبا
٢١٣ : ٢	—	»	أنبيا
٩٥ : ١	مرّة بن محكان	بسيط	غضبا

٢٨٩ : ١	جرير	وافر	انصبايا
٣٤١ : ١	بشر بن أبي خازم	»	بابا
٥٧ : ٢	جرير	»	والخشايا
١٧٥ : ٢	الأخطل	»	الضبايا
٥٢١ : ١	—	كامل	مراقبا
٦٢٠ : ١	البحترى	»	خضيبيا
٧٣ : ٢	أوس بن حَجَر	»	طلبا
١٩١ : ١	ليبيد	منسرح	الغربا
٦١٠ : ١	أبو تمام	خفيف	ولعوبا
٥٦٩ : ١	البحترى	خفيف	نصابه
٥٣٥ : ١	»	متمقارب	ضربيا
٦٢١ : ١	»	»	ندوبا
٦٣ : ٢	»	»	قضييا

٤١ : ١	ابن الدمينه	طويل	يجيب
٥١ : ١	—	»	قريب
٦١ : ١	نصيب	»	قارب
٦٧، ٦٦ : ١	الكميت	»	يلب
١٠٤ : ٢	ضاي بن الحارث	»	ينجيب
١٢١ : ١	—	»	وأوجبوا
١٩٦ : ١	إسماعيل بن القاسم	»	ثوب
٢٥٨ : ١	طفيل النوى	»	كوكب

٢٧٧ : ١	عدى بن الرِّقاع العاملي	طويل	دَيْبُ
٣٦٢ : ١	الباهلي	»	رطب
٣٦٦ : ١	—	»	أرغب
٣٧٥ : ١	—	»	ذنوب
٣٨٩ : ١	—	»	محب
٤٠٠ : ١	المتني	»	شراب
٤٢٩ : ١	—	»	هبوب
٤٤٩ : ١	أبو حية النمرى	»	شعيب
٤٥٠ : ١	» »	»	أعجب
٤٥٩ : ١	—	»	غروب
٤٥٩ : ١	عروة بن حزام	»	ديب
٤٦٣ : ١	بشر	»	لتائب
٤٧٣ : ١	مسكين الدارمي	»	راغب
٤٧٥ : ١	—	»	جديب
٤٨٧ : ١	النابغة الذبياني	»	يتذبذب
٥١٠ : ١	بشار	»	يشعب
٥٢٦ : ؟	—	»	أذهب
٤٨٧ : ١	مروان بن أبي حفصة	»	تلهب
٥٩٨ : ١	علي بن جبلة	»	مشيب
٦٠٤ : ١	كعب الغنوي	»	محب
١٧ : ٢	النابغة الذبياني	»	مذهب
٣٥ : ٢	بشار	»	رقوب

٤٤:٢	الحسين بن الضحاک	طویل	غریب
٤٥:٢	البحتری	»	حبیب
٥٦:٢	—	»	حبیب
٦٣:٢	بشار	»	مشرب
٦٥:٢	الأحوص	»	أجیب
٧٣:٢	—	»	أعضب
١٠٥:٢	—	»	لخطیب
١٥١،١٥٠:٢	—	»	المواضب
٢٧٣:٢	—	»	وتحلب
١٨٥:١	اللمتمس	»	عواقبه
٢٥٧:١	أبو الطمّحان القینى	»	صاحبہ
٢٥٨:١	—	»	صاحبه
٣٠٦:١	المرار الفقعی	»	صاحبه
٤٢٩،٤٣٠:١	ذو الرئمة	»	أخاطبه
٥٨٥:١	أبو تمام	»	ساكبه
٦٠٥:١	الفرزدق	»	أطایه
٦٠٥:١	ذو الرئمة	»	جاده
٦١:٢	الأحوص	»	وأقاربه
١١٨:٢	—	»	نوائبه
١٢٦:٢	بشار	»	کواکبه
٦٩٥:١	الفرزدق	»	منیبها
٢١٧:١	أبو ذؤيب	»	طلابها
٣٢٤:١	—	»	تبابها

٣٧٩:١	هلال بن خثعم	طويل	اغتيابها
٤١٣:١	عُروة بن أذينة	»	ثيابها
٣٨٧:١	ذو الرُّمة	»	هبوبها
٤٨٧:١	إبراهيم بن العباس	»	هبوبها
٥٠٧:١	—	»	ترايبها
٥٨٨:١	مروان بن أبي حفصة	»	غرابها
٩٢:٢	إبراهيم بن العباس	»	غروبها
٢٧٨:١	ذو الرُّمة	بسيط	سربُ
٥٣٥ ١	أبو تمام	»	والركب
٥٧٤ : ١	مروان بن أبي حفصة	»	يجتنب
١٤٠:٢	ذو الرُّمة	»	ذهب
٢٥٤:٢	الكميت	»	والشنب
٢٥٥:٢	ذو الرُّمة	»	شنب
٥٥:١	النايفة الذبيانيّ	وافر	الغراب
٢٢٢:٢	أبو العيص المازني	»	الجبيب
٥٧٥:١	جحظة	مجزوء الوافر	حسب
٥٦:١	عبيد بن الأرص	كامل	تلمب
١١٠:١	—	»	أن يفضبوا
٣٨٦:١	—	»	حندب
٤١٢:١	الهدليّ	»	أرغب
٥١٩:١	ساعدة	»	مترّب
٩٢:٢	البحتريّ	»	لا تفرب

٤١٥:١	أبو نواس	سريع	مقتابُ
٣٥٦:١	بشار	»	ذهبهُ
٨٠:٢	الْكُمَيْت	منسرح	ولا زهبُ
٥٢٨:١	عبد الله بن قيس الرقيّات	مجزوء الحفيف	مصعبُ

٥٨:١	الفرزدق	طويل	بالمصائب
٢٢١:١	امرؤ القيس	»	تطيّب
٣٣٠:١	قيس بن الخطيم	»	راكب
٣٣٣:١	امرؤ القيس	»	مركب
٣٤٣:١	الأخطل	»	العصب
٣٥٥:١	امرؤ القيس	»	المآدب
٣٦٦:١	—	»	الأهاضب
٤٥٨:١	الضرب	»	ركوب
٥٥٣:١	الأخطل	»	ودءوب
٥٧٦:١	سواد بن قارب	»	بكاذب
٥٩٥:١	ابن الروميّ	»	مغالِب
٦٠٦:١	إسحاق الموصليّ	»	العذب
٦٠٨:١	—	»	الخواضب
٢٨:٢	الراعي	»	مشرب
٦٢:٢	علي بن الجهم	»	معدّب
٦٤:٢	—	»	تسرّب

١٢٥:٢	امرؤ القيس	طويل	يثقب
١٢٦:٢	—	»	كواكب
١٢٧:٢	ابن المعتز	»	رقيب
١٧٤:٢	فضالة بن وكيع	»	كثيب
١٧٥:٢	ذو الرئمة	»	والمغارب
١٧٥:٢	—	»	كوكب
١٩١:٢	امرؤ القيس	»	نخطب
٢٥٥:٢	المجنون	»	المخضب
٢٣٠:٢	البحترى	»	وصاها
٥٠٥:١	عمر بن أبي ربيعة	مديد	عتابي
١٣٩:١	بشار	بسيط	خطب
٥٣٤:١	البحترى	»	المهرب
٥٣٦:١	يزيد بن مفرغ	»	بالزاب
٥٧٥:١	الأموي، أو الأسدي	»	الذهب
٥٩٩:١	—	»	واللمب
٥٩٩:١	أبو تمام	»	عجب
٦١٩:١	البحترى	»	أربي
٤٠٠:٢	المتنبي	»	الكذب
١٢٦:٢	أبو نواس	»	الذهب
٢٣٠:٢	البحترى	بسيط	تأديبي
١٣٠:١	الوليد بن يزيد	وافر	الحساب
١٧١:١	امرؤ القيس	وافر	وانتسابي

٢٨٨:١	—	وافر	والرّباب
٣٠٥:١	إبراهيم بن العباس الصوليّ	»	المغيّب
٣٤٢:١	حسان	»	القليب
٥٤٤:١	البحترى	»	حبیب
٥٠٦:١	—	»	الحبيب
٥٧٧:١	امرؤ القيس	»	بالشراب
٦٢٠:١	البحترى	»	بالميب
٦٣:٢	—	»	القضيّب
١٥٢:٢	—	»	السحاب
٢٢١:٢	—	»	الحليب
١٧٢:١	ابراهيم بن العباس الصولى	مجزوء الوافر	منقلبي
١٤:١	القتال الكلابيّ	كامل	بالمرتاب
٢٢٦:١	مروان بن أبي حفصة	كامل	الأحساب
٣٤٣:١	الشّامخ	»	الأركب
٥٤١، ٣٩٣:١	قيس بن الخطيم	»	قريب
٤٦٧:١	—	»	ثياب
٥٤٥:١	—	»	محسوب
٥٦٩:١	—	»	يعقوب
٥٧٤:١	العباس بن الأحنف	»	مراقب
٦٦:٢	الأحوص	»	قلبي
١١٣:٢	ابن هرمة	»	كلابي
١٤٠:٢	قيس بن الخطيم	»	لفروب

١٥٢:٢	البحترى	كامل	وقلوب
١٦٨:٢	بشر بن أبي خازم	»	لم تنكب
٢٠٧:٢	أسماء بن خارجة	»	الكسب
٣١١:٢	—	»	عذاب
٣٤٠:٢	السيد الحميرى	»	للمغرب
٣٤٣:٢	»	»	معرب
٢٥٥:٢	أبو نواس	خفيف	بمعناب
٥٦٨:١	عبيد الله بن قيس الرقيات	منسرح	شعبيه
٤٠٠:١	الصاحب	سريع	كاتب
٦٦:٢	الأحوص	»	قلبي
٣٤٥:١	عمر بن أبي ربيعة	خفيف	والكتاب
٥٠١:١	—	»	الذباب
٥١١:١	عمر بن أبي ربيعة	»	الشباب
٦٠٠:١	البحترى	»	الإجتنا
٦٢٧:١	ابن الرومى	»	بانقصاب
٢٨٩:٢	عمر بن أبي ربيعة	»	والتراب
١٧٢:١	محمود الوراق	متقارب	أب
٢٠٢:١	الجمدى	»	مرحب
٢٦٩:١	»	»	تنصب

(التاء)

٥٣٣:١ أبو العتاهية رمل أتت

١١٥:٢	الأخطل	طويل	صَيِّتٌ
٤٧٠:١	مسكين الدارمي	»	زَعْمُهَا
١٣٤:١	ابن المقفع	مخلع البسيط	قَوْتُ
٦٢٧:١	ابن الرومي	سريع	تَلَهْفَتُهَا

٤٦:١	كثير	طويل	فَشَلَّتْ
١٩٦:١	»	»	ذَلَّتْ
٢٤٤:١	زفر بن الحارث	»	تَغَنَّتْ
٢٨٩:١	الطرماح	»	ضَلَّتْ
٣٠٦:١	إبراهيم بن العباس	»	زَلَّتْ
٣٨٦:١	حارثة بن بدر	»	فَدَرَّتْ
٤١٢:١	—	»	جُنَّتْ
٤١٤:١	كثير	»	وَتَخَلَّتْ
٤٨٤:١	دعبل	»	العِرْصَاتِ
٤٩٩:١	—	»	تَخَلَّتْ
١٨٤٤:٢	—	»	ذَلَّةٌ
١٨٥:٢	—	»	أَجْرَتْ
٢٣٤:٢	كثير	»	لَقَلَّتْ
٤١٦:١	أبو العتاهية	»	صَبَوَاتِهَا
٢٧٠:٢	دعبل	بسيط	الثَّبِتِ
٤١٥:١	عروة بن أذينة	وافر	ذَاهَبَاتِ
٥٨٩:١	أبو تمام	خفيف	وَدِيَاتِ

(الجيم)

٤٧٤:١	مسكين الدارمي	بسيط	ودجاً
٦١٦:١	أبو ذؤيب	الوافر	خلاجاً

١١٩:١	أبو دهب	طويل	ينسجُ
٤٨٦:١	ابراهيم بن العباس الصولي	»	مخرجُ
٣٠:٢	الراعي	»	فروجُ
١٩٨:٢	زهير بن أبي سلمى	»	الأرندج

(الحاء)

١٤٢:٢	بشار	طويل	مُزاحا
٦٢٥:١	البحترى	بسيط	سُفحاً
١٤٢:٢	السيد الحميريّ	كامل	قباحا
٣٧٥،٢٦٠:٢/٥٤:١	—	مجزوء الكامل	ورمحا

٤١:١	—	طويل	طماح
١٢٦:١	توبة بن الحمير	»	وصفاح
٤٥٠،٣٣٢:١	ذو الرمة	»	يرحُ
٣٣٢:١	—	»	أنجحُ
٤٠١:١	عبدالله بن عبدالله بن عتبة	»	أليحُ
٤٥٨:١	المضرب	»	المسائح
٤٨٢:١	ابراهيم بن العباس	»	يتطوح

٥١٣:١	ذو الرمة	طويل	يَصْبَحُ
٥٣٤:١	—	»	أَصْلَحُ
٥٥٩:١	ذوالرمة	»	نَوَائِحُ
٥٧١:١	أبو جويرية العبدى	»	يَتَطَوَّحُ
٥٨٨:١	ابن المعتز	»	الصَوَائِحُ
٢٥:٢	—	»	نَابِحُ
٥٦:٢	—	»	أَنْجَحُ
٣٥٩:٢	كثير	»	مَاسِحُ
٦١٦:١	أبو ذؤيب	بسيط	مَصْبَاحُ
٣٧٠:١	رفيع الوالى	كامل	نِجَاحُ

٤٣٦:١	الحسين بن مطير	طويل	قَرُوحُ
٤١:٢	البحترى	طويل	مَازِحُ
١٥٧:٢	جميل	»	بِالْقَوَادِحِ
٧٢:١	زياد الأعجم	بسيط	الوَاضِحُ
٦٤:٢	البحترى	»	وَالرَّاحُ
١٣٤:٢	أبو نواس	وافر	القَبِيحُ
٩١:٢	—	كامل	الجِرَاحُ
١٩٩:٢	زياد الأعجم، أو الصلتان العبدى	»	الرَّائِحُ
٣٠١:٢	»	»	وَصَفَائِحُ
١٧٩:٢	البحترى	سريع	أَقَاحُ

١٤٣:١	مطيع بن إياس	منسرح	السفح
١١٩:٢	—	خفيف	لقاحى
١٧٨:٢	البيحترى	»	التفاح

(الخاء)

٩٢:١	طرفة	بسيط	طباخ
------	------	------	------

(الدال)

١٣٢:١	أبو نواس	مجزوء الرجز	أحد
١٣٢:١	والبة	»	سجد
١٣٢:١	على بن الخليل	»	للولد
١٣٢:١	الحسين بن الخليل	»	مسد

٣٢:١	الأعشى	طويل	المهدا
٣٤٤:١	—	»	تعمدا
٣٥٣:١	الفرزدق	»	القصائدا
٥٤٣:١	البيحترى	»	الصدى
٥٧٢:١	مروان بن أبي حفصة	»	وأقعدا
٥٨٠:١	مروان بن أبي حفصة	»	تقيدا
١٤٥:٢	—	»	جلدا
١٦١:٢	المقنع الكندى	»	المبدا
١٩٤:٢	—	»	ليبعدا
١٩٩:٢	—	»	مصعدا

٣١٠:٢,٣:١	عبد مناف الهذلي	بسيط	الشردا
٤١٤:١	نصر بن سيار	»	الحسدا
١٣١:١	الوليد بن يزيد	كامل	صيودا
٣٩٧:١	جرير	»	أودا
٥٨٠:١	المؤمل بن أميل	»	قيودا
٦١١:١	أبو تمام	»	وصدودا
٦١٢:١	الأعشى	»	الأمردا
٢٦٥:٢	»	»	موعدا
٥٦٧:١	عدى بن الرقاع	»	وفسادها
١١:٢	»	»	أبلادها
٣٢:٢	»	»	إيقادها
٣٠٣:٢	»	»	مدادها
٥٩١:١	امرؤ القيس	»	البريدا
٦٢١:١	البحترى	خفيف	جديدا
٩٦:٢	المؤمل	مجزوء الخفيف	بدا
٥٧٤:١	طريح بن إسماعيل	»	عادا
٤٨٥:١	ابراهيم بن العباس الصولى	متقارب	شاهدا

٧١:١	—	طويل	بارد
١٠١:١	—	»	واحد
٢٢٣:١	معن بن زائدة	»	لمجود
٢٥٨:١	—	»	سيد
٥٤٨:١	ذو الرثمة	»	واحد

٥١٩:١	مروان بن أبي حفصة	طويل	البوائدُ
٥٦٧:١	المتنبي	»	الورد
٥٩٢:١	أحمد بن جندل	»	نهد
٦٣٩:١	الخطيئة	»	شدُّوا
٢٨٩:٢	الخطيئة	»	كدُّوا
٥٠:١	ذو الرُّمة	»	وعبيدُها
٧١:١	الخنساء	»	وقودها
٢٢٢:١	—	»	وليدُها
٣٢٥:١	كثير	»	يمودُّها
٣٦٠:١	—	»	لا يزيدُها
٤٣٤:١	الحسين بن مطير	»	خمودُها
٤٣٥:١	»	»	أذودها
٤٣٥:١	»	»	وليدها
٧٩:٢	—	»	وعبيدُها
٢٤٩:٢	إبراهيم بن المهدي	بسيط	الأراصيدُ
٣٣٢:١	الأفوه	»	كادوا
٤١٣:١	عروة بن أذينة	»	أبتردُ
٤١٤:١	الكميت بن زيد	»	حُسدُوا
٤١٥:١	البحترى	»	والحسدُ
٥٦٨:١	الربيع بن أبي الحقيق	»	العود
٦٣٨:١	قطرى	»	تجتلد
٦٢:١	الفرزدق	وافر	العبيدُ

١٣٠:١	الوليد بن يزيد	وافر	عنيْدُ
٢٥٣:١	معدى كرب الحميري	»	جديد
٤٧٣:١	—	»	أريد
٥٨٠:١	جرير	»	قيود
١٠٦:١	—	كامل	المجلود
١٢٩:٢	—	»	وتزِيدُ
١٣٢:١	—	»	حماد
١٤٦:١	علي بن الجهم	»	ويحفد
٥٤٧:١	—	»	هجوْدُ
٩٣:٣	البحترى	مجزوء الكامل	يَصْدَهُ
١٧٦:٢	—	منسرح	الصرد
٦٢٤:١	البحترى	»	برده
٦٤:٢	أبو الجواز	خفيف	النهود
٦٢٣:١	البحترى	»	ما تعود
١٣٠:٢	ابن المعتز	المجتث	وقد

٦٦:١	—	طويل	بخالد
١٠٩:١	—	»	أبجد
١٢٨:٢	—	»	زبره جد
١٣٠:٢	المخزومي	»	المقلد
٢٠١:١	—	»	ند

٢٤٥:١	—	طويل	المهند
٢٦٣:١	عبد المسيح بن بقيلة	»	الزريد
٣٤١:١	طرفة بن العبد	»	معبد
٣٨٢:١	»	»	المتشدد
٤١٨:١	كعب بن زهير	»	باليد
٤٨٤:١	إبراهيم بن العباس	»	محمد
٥٢٢:١	ابن الخياط	»	يُعدي
٥٦٩:١	—	»	جدودي
٥٧٢:١	سلم الخاسر	»	نجاد
٦٢١:١	البحترى	»	بأسمد
٢٤:٢	الأخطل	»	مصرّد
٤١:٢	—	»	السرد
٤١:٢	المنبي	»	جلدي
٤٣:٢	»	»	العقد
٤٤:٢	البحترى	»	والمجد
٦٤:٢	بشار	»	الورد
١٢٧:٢	البحترى	»	الخرايد
١٣٨:٢	بشار	»	صعيد
١٤٢:٢	»	»	عهد
١٦١:٢	محمد بن يزيد	»	الورد
١٦٧:٢	الراعى	»	المتجرّد
١٨٢:١	سهل بن هارون	»	أبدي
٢٤٢:٢	طرفة	»	المتوقّد

٢٥٨:٢	طرفة	طويل	ويبعد
٢٢٠:١	—	مديد	الكمند
١١١:١	—	بسيط	بلد
١٤١:١	—	»	داود
٢٢٩:١	النابعة الذبياني	»	الرميد
٣٦٢:١	العماني	»	راقود
٣٧٩:١	النابعة الذبياني	»	يدي
٤١١:١	الشريف المرتضى	»	يدي
٤١٥:١	معن بن زائدة	»	محسود
٥٦٢:١	النابعة الذبياني	»	البرد
٦٠٧:١	بشار	»	مودود
٦٠٨:١	مسلم	»	مودود
٨:٢	صنان	»	البلد
٨:٢	الراعي	»	البلد
٨:٢	أخت عمرو بن ود	»	الأبد
٩١:٢	—	»	بلد
١٣٠:٢	الوأواء	»	بالبرد
٢٢٨:٢	حارثة بن بدر	»	حادي
٢٥٠:٢	مسلم	»	عود
٢٥٧،٤٦:١	أبو الطمجان القيني	وافر	لصيد
١٧٨:٢	كثير	»	براد
٢١٠:١	قيس بن زهير	»	الإصا

٢١٢:١	خالد بن جعفر	وافر	الوريد
٤٩٩:١	—	»	رند
٣٥:١	الأسود بن يعفر	كامل	الأوتاد
٦٦:١	—	»	لم يولد
١٠٣:١	البحترى	»	مخلد
١٨٨:١	النظام	»	الإبعاد
٢٦٥:١	الأسود بن يعفر	»	إياد
٣٢٦:١	مضرّس بن ربيع	»	الحسد
٣٢٦:١	ابن هرمة	»	الحسد
٣٨٨:١	حارثة بن بدر	»	بالسودد
٤٥٣:١	—	»	سرمد
٤٦٦:١	النايفة الذيباني	»	باليد
٥١٣:١	»	»	ند
٥١٣:١	الاحمام الحراني	»	كالجمد
٥٢٤:١	محمد بن عبد الملك الزيات	»	لم يرقد
٥٤٦:١	نهشل بن حري	»	الأسود
٦٢٢:١	البحترى	»	الميعاد
٥٢٤:١	—	رجز	الحامد
٥٥٨:١	المرار	سريع	الجدجد
٦٢:٢	عبد الصمد بن المعدل	»	البارد
١٤٢:٢	—	»	الحد
١٢٧:٢	ابن الرومى	منسرح	الوجد

١٤١:١	بشار	خفيف	البرود
٥٣٦:١	ابن الزيات	»	التبديد
٦١٢:١	أبو تمام	»	الفؤاد
٦٢١:١	المرتضى	»	مجهودى
٣٣٣:١	امرؤ القيس	»	لا تقعد
١٧٨:٢	أبو تمام	مقارب	البراد
٢٨٢:٢	الفرزدق	»	توءد
(الراء)			
٥٥:٢، ١٧١:١	لبيد	طويل	مضر
٥٢:١	طرفة	رمل	بالظمر
٣٥٤:١	»	»	ينتقر
١١٢:٢	المرار	»	عقر
٢٢٩:١	ابن أحر	سريع	ينجحر
٤٥٦:١	ابن أحر	»	زمر
٣٥٨:١	—	»	البعير
١٤٠:١	بشار	مجزوء الخفيف	والنظر
٧١:١	امرؤ القيس	مقارب	المنفطر
٢٨١:١	»	»	أثر
٤٧٥:١	مسكين	»	لم تفر
٥٣٤:١	البحترى	»	الممر
٦٢٥:١	البحترى	»	الكبير
٩٤:٢	امرؤ القيس	»	دبر
١٨٩:٢	امرؤ القيس	»	مقتفر

٤١:١	الشمخ	طويل	الحجرًا
١٠٧:١	—	»	صبرا
١١٩:١	عبيدالله بن عبد الله بن طاهر	»	الهجرا
١٣١:١	الوليد بن يزيد	»	الخجرا
٢٢٨:١	امرؤ القيس	»	جرجرا
٢٦٣:١	النابعة الجمعدى	»	يتذكرا
٣٢٩:١	—	»	أعفرا
٣٢٩:١	امرؤ القيس	»	طرطرا
٣٤٦:١	ابن ميادة	»	بهرًا
٣٨٦:١	حارثة بن بدر	»	قَسْرًا
٤٧٦:١	مسكين	»	شبرا
٥١٤:١	—	»	أحورا
٥٣٤:١	ابن المعتز	»	لأكبرا
٥٥٦:١	الشمخ	»	تمذرا
٥٦٨:١	نهشل بن حرّى	»	يتغيرا
٥٦٨:١	جميل	»	شمرا
٦١٢:١	منصور النمرى	»	أزورا
٦٢٩:١	امرؤ القيس	»	بقيصرا
٧٤:٢	أوس	»	النوافرا
١١٨:٢	مسكين	»	عقرا
١٣٠:٢	—	»	جآذرا
١٤٠:٢	—	»	خمرا
٥٢:١	جرير	بسيط	والقمرا

٥٢١:١	جرير	بسيط	منتثرا
٥٨٧:١	مروان بن أبي حفصة	»	القدرا
١٥٦:١	عنتره	وافر	عمارا
٤٤٥:١	أبو حية	»	القصارا
٤٦٧:١	ابن أحمرا	»	قصارا
٥٧١:١	—	»	ذمارا
٣١:٢	الراعى	»	نارا
١١٦:١	أبو دهبيل الجمحى	كامل	والهجرا
١٦٣:١	—	»	وزيرا
٥٢١:١	أبو دهبيل	»	نزرا
٦٠٢:١	الشرىف المرتضى	»	فنورا
١٤٠:٢	الأعشى	مجزوء الكامل	كالعمرارة
١٣٧:٢	بشار	رمل	المطرا
٣٠٥:١	إبراهىم بن العباس الصولى	»	ماقدرا
٥٨٦:١	—	سرىع	عاذرا
٢٥٣:١	الربىع بن ضبىع الفزارى	منسرح	حُجُرا
٢٥٥:١	»	»	عصرا
٤٢:٢	أبو تمام	خفىف	بهارا
١٢٨:٢	—	»	نضىرا
٥٩٨:١	رؤبة	»	افتخارا

٢٣٣:١	الحارث بن كعب	مقارب	دهورا
٤٤٥:١	أبو حية	»	قصارا
٥٧٠:١	الأعشى	»	وخيرا
٦١٥:١	عوف بن الخريص	»	قفارا
٢٤٠:٢	—	»	المثارا

٥٢٢،١٣:١	ذو الرمة	»	نزرُ
٢٠:١	ذو الرمة	طويل	الخرُ
١٠٧:١	»	»	فيصيرُ
١٠٢:١	عباد بن شبل	»	خيارُ
١١٨:١	أبو دهبيل (ويروى للمجنون)	»	لصبورُ
١٤١:١	حماد عجرد	»	تشيرُ
١٨٨:١	النظام	»	أرُ
٢١٣:١	ورقاء بن زهير	»	أبادرُ
٢٤٦:١	—	»	الجزرُ
٢٥٨:١	حجية بن المضرب	»	والبدرُ
٢٩٤:١	حاتم الطائي	»	الزجرُ
٣٩٩:١	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسمود	»	أعذرُ
٤٠٠:١	»	»	أكثرُ
٤٣٦:١	—	»	الهجرُ
٤٣٨:١	ابن المتمر	»	الزهرُ
٤٤٩:١	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر	»	تقطرُ

٤٤٩:١	أبوحية	طويل	أنظرُ
٤٥٧:١	ليبد	»	فاجرُ
٤٦١:١	ذو الرمة	»	يتمرمرُ
٤٧٣:١	—	»	المنذرُ
٤٨٠:١	—	»	عامرُ
٤٩٧:١	كثير	»	تاجرُ
٥٠٠:١	—	»	لصبور
٥٦٧:١	—	»	يمصرُ
٦٢٠:١	ابن الرومي	»	أجدرُ
٦٣١:١	—	»	تدابروا
٢٥:٢	—	»	سترُ
٦٠:٢	خالد بن الطيفان	»	الكسرُ
٦٥:٢	الأحوص	»	أدورُ
٦٦:٢	—	»	السرائرُ
١١٦:٢	—	»	أصورُ
١٤١:٢	—	»	صفرُ
١٥٥:٢	حاتم الطائي	»	الصدرُ
١٧٧:٢	تأبط شرا	»	مخاصرُ
١٨٤:٢	اللمين المنقري	»	والخورُ
١٩٢:٢	الراعي	»	المتناصرُ
٣٧٥، ٢٥٩:٢	خالد بن الطيفان	»	وفرُ
٤٩:١	الخطيئة	»	حاضرُه
٤٣٢:١	الحسين بن مطير الأسدي	»	ناظرُه

٤٥٩:١	العباس بن الأحنف	طويل	ساحرُه
١٩٢:٢	مضرّس بن ربيع	»	ناصرُه
٣١٧:٢	—	»	عساكرُه
٨٢:١	عبيدالله بن قيس الرقيات	»	نهارُها
١١٤:١	قيس بن عاصم	»	أمورُها
٢٢١:١	كثير	»	وعرارُها
٢٣٠:١	الفرزدق	»	غيرُها
٤٣٣:١	الحسين بن مطير	»	نطورُها
٣٦٣:١	توبة بن الحمير	»	يستجيرُها
٤٨٧:١	إبراهيم بن العباس	»	مزارُها
٤٢:٢	أحمد بن يزيد المهلبى	»	صفارُها
٥٧:٢	توبة	»	فجورُها
٧٢:٢	جرير	»	جبورُها
١١١:٢	حاتم	»	غفورُها
١١٩:٢	مضرّس بن ربيع	»	نصيرُها
١٥١:٢	صدقة بن نافع الغنوى	»	مسيرُها
٩٦:١	أعشى باهلة	بسيط	الغمرُ
١١٨:١	أبو دَهبل	»	السهرُ
١٣٨:١	بشار	»	النارُ
٤٦٥،٢٠١:١	الخنساء	»	وإدبارُ
٢٢٢:١	ودفة الأسدى	»	كدرُ
٢٣٠:١	أعشى باهلة	»	الصفُرُ
٢٦٢:١	عبد المسيح بن بقبيلة	»	ومهجورُ

٤٦٦:١	الأخطل	بسيط	هجر
٥٠٤:١	الخنساء	»	أظار
٥٦٨:١	الكيمت	»	الشجر
١٩:٢	ليلي الأخيلية	»	محتقر
٢٠:٢	أعشى باهلة	»	سخر
٧٧:٢	الخنساء	»	عار
٥٠:١	عروة بن الورد	وافر	غفور
٣٥٢:١	ابن أرتاة الأعرجي	»	مر
٤٠٠:١	عبيدالله بن عبدالله بن عتبة	»	يسير
٥١١:١	بشر بن أبي خازم	»	قطار
٥٥١:١	—	»	القدر
٥٧١:١	أبو عطاء السندی	»	قصار
٣٤:٢	أبو تمام	»	غزار
١٤٣:٢	جران العود	»	الإزار
٧١:١	—	»	عامر
٤٣:١	مسكين الدارمي	كامل	الحدرد
٣٨٧:١	حارثة بن بدر	»	مجير
٤٣٧:١	العباس بن الأحنف	»	تمار
٤٣٨:١	نصيب الأصغر	»	وبزهر
٤٥٦:١	عمرو بن أحم الباهلي	»	زمر
٤٧٣:١	مسكين	»	الجدرد
٥٥٥:١	—	»	المتنار

٤٦١:١	أبو وجزة السمدى	كامل	إزارها
٥٢٠:١	—	مجزوء الكامل	النشير
٢٦٦:١	النايفة الجمعدى	»	مايضره
٢٧٩:١	أبو نواس	سريع	السكر
٦٠٢:٢	—	»	ووقار
٧٤:١	عدى بن زيد	خفيف	نحور
١٠٢:١	الكميت بن زيد	متقارب	المدار
٢٧٩:١	الراعى	»	أوقر
٣٠٣:١	البحترى	»	نزر

٥١:١	البحترى	طويل	ولا وفير
٥١:١	عبد الرحمن بن الحكم	»	الدهر
١١٩:١	—	»	وتر
٢٤٥:١	بنت ذى الإصبع	»	والمطر
٢٥٩:١	أبو الطمجان القينى	»	يكدر
٣٣٢:١	شبرمة بن الطفيل	»	المزاهر
٣٨٦:١	عبد الله بن الزبير الأسدى	»	السكر كير
٣٩٨:١	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود	»	أبا بكر
٤٣٦:١	نصيب الأكبر	»	بالهجر
٤٦١:١	ابن أراكه الثقفى	»	القبر
٤٦٦:١	خداش بن زهير	»	الحمر

٤٧٢:١	مسكين الدارمي	»	الدهر
٥٥٧:١	—	»	عُفْرِي
٥٧٧:١	أمية بن أبي الصلت	»	المسحَر
٥٩٣:١	البحتري	»	المنشَر
١٩:٢	الخنساء	»	صخر
٥١:٢	ذو الرمة	»	المحاذِر
٦٣:٢	علي بن الجهم	»	والخمر
٦٣:٢	الأخطل	»	الوكر
٧٣:٢	تأبطشرا (ويروي للشنفرى)	»	أم عامر
١١٤:٢	—	»	عامر
١١٩:١	ليلي الأخليلية	»	الصنائر
١٨٦:٢	—	»	الفقر
٢٨٢:٢	الفرزدق	»	المكفر
١٩١:٢	امرؤ القيس	مديد	كبيرة
١٠٢:١	العتابي	بسيط	بالمذر
١٣٩:١	بشار	بسيط	للشعر
٢١٦:١	الراعي	»	كالأثر
٢١٧:١	ابن مقبل	»	بالسحر
٢٦٠:١	أبو الطمحان القيني	»	نصارى
٢٨٩:١	سالم بن دارة	»	بأسيار
٣٧٨:١	صخر بن حبياء	»	عار
٤١٣:١	عروة بن أذينة	»	فاستتر

٤٥٦:١	الكيميت بن زيد	بسيط	صفار
٥٨٤:١	—	»	بالحجر
٦٠٨:١	أبو دلف	»	البصر
٦٣٧:١	الأخطل	»	الماري
٦٣٩:١	—	»	الشاري
٢٥:٢	الأخطل	»	الضار
٥٧:٢	جرير	»	قَدَر
١٢٦:٢	—	»	بلور
١٦٠:٢	الناينة	»	عار
١٠٠:١	المؤمل	وافر	والوعور
١٢٤:١	المهلل	»	الجزور
٢٠٦:١	عروة بن الورد	»	وزور
٢١٥:١	—	»	الأمير
٢٣٤:١	المستوغر	»	الوغير
٢٦٢:١	عبد المسيح بن ببيعة	»	السدير
٢٧٤:٢	منصور النمرى	»	شطير
٨٠:١	الفرزدق	كامل	عشارى
٩٨:١	الخنساء	»	الحضري
٢٠٥:١	الخرنق بنت بدر	»	الجزري
٢١٠:١	الربيع بن زياد	»	السايرى
٢٢٦:١	ابن أبي عاصية	»	مسايرى
٢٤٤:١	ذو الإصبع المدوانى	»	النضري

٥٥٩:١	—	كامل	خمار
٥٩٠:١	الربيع بن زياد	»	نهار
٥٩٨:١	—	»	عمري
٣٢:٢	حميد بن ثور	»	ظهير
١٢٨:٢	—	»	ضواير
٢٣٤:٢	الهذلي	»	الأعفر
٢٤٧:٢	أبو تمام	»	الوارى
٢٨٥:٢	الأخطل	»	الأحفار
٤٠:١	—	»	أسرارها
١١٩:٢	النمر بن توب	»	أبكارها
١٢٩:١	الوليد بن يزيد	مجزوء الكامل	بازار
٤٢٣:١	—	رمل	مشار
٤٠٠:١	المباس بن الأحنف	سريع	سطير
٤٥١:١	الأعشى	»	الضامر
٥٢٥:١	—	»	البارى
٢٧٥:٢	منصور النمرى	»	بر
١٢٨:٢	البحترى	خفيف	الأوتار
٥٦٣:١	البحترى	»	الأسجار
١٢٧:٢	—	»	نثار
٥٤٦:١	الشريف المرتضى	مقارب	الزائر
٩٥:٢	خداس بن زهير	»	الزافر
١٢٧:٢	الناشى	»	جلنار

(الزاى)

٢٦٠:١	أبو الطمجان القينى	طويل	وأحرزُ
٥٨١:١	الشاخ	»	راكزُ

(السين)

٤٧٩ ، ٣١٠ ، ١١٤:١	امرؤ القيس	طويل	آنفا
٥٩٦:١	»	»	مَلْبِسا
٢٦٤:١	النايفة الجمدى	مقارب	أناسا

١٩٨:١	أبو نواس	طويل	ودراسُ
٣٣٢:١	—	»	يتنفسُ
٩٦:٢	ذو الرمة	»	الحنادسُ
٢١١:٢	الفرزدق	طويل	أطلسُ
١٨٥:١	التملس	بسيط	السوسُ
٣٧٠:١	الخنساء	»	الناسُ
١٨٤:١	التملس	كامل	الأنفس
٥٩٦:١	—	»	وأكيسُ
٨٢:١	المأمون	منسرح	فرس

٦٣٦:١	عمران بن حطان	بسيط	بالناسِ
٦٤:٢	العباس بن الأحنف	»	راسِ
١٤٧:١	عل بن الخليل	كامل	جليسِ

٢٨٩:١	أبو تمام	كامل	إياس
٥٦١:١	المرار بن سعيد	»	التمنيس
٥٦٢:١	سلم الخاسر	»	الأقواس
٤٢:٢	أبو العتاهية	»	بالدرس
١٢٦:٢	—	»	خميس
١٣٤:١	حماد عجرد	سريع	خمس
١٤٥:١	صالح بن عبد القدوس	»	رمسه

(الشين)

٦٣٠:١	نابغة بنى شيبان	رمل	النجش
-------	-----------------	-----	-------

(الصاد)

١٩١:٢	عدى بن زيد	سريع	القنيس

١٤١:٢	الأعشى	طويل	الدلامصا

٤١:١	الأعشى	»	بالوصاوص

(الضاد)

١٣٥:٢ / ٦٢٢:١	البحترى	كامل	نضاً
١٣٣:٢	بشار	»	منهضا
١٣٥:٢	أبو تمام	»	ومفرّضا

٤٣٥:١	الحسين بن مطير	طويل	مغمض
٤٢:٢	بكر بن عيسى	خفيف	يفيض

١٨٥:١	طرفة	طويل	عرضي
١٩٨:١	أبو خراش الهذلي	»	محض
٢٩٠:١	ابن الرومي	»	بعض
٦٣٤:١	ابن عبد الأسد	»	قرضي
٢٥٠:١	ذو الإصبع المدواني	مجزوء الوافر	الأرض
٦٢٣:١	أبو الشيبص	كامل	الإنفاض
٦١٩:١	البحترى	خفيف	راض

(الطاء)

٥٢٠:١	البحترى	طويل	ولا قطه
٤٦١:١	الحارث بن خالد المخزومي	كامل	المرط

٤٩٣:١	المتنخل الهذلي	وافر	والملاط
-------	----------------	------	---------

(الطاء)

٥٢١:١	—	طويل	تحفظ
-------	---	------	------

(العين)

١٣٥:١	ابن المقفع	طويل	وقع
٥٨٣:١	سويد	رمل	منزع

٣٣٨:٢/٢٣٠:١	سويد بن أبي كاهل	رمل	الجزع

٧:١	الفرزدق	»	أجدعا
٤١:١	عمر بن أبي ربيعة	طويل	تتقنا
٢٢٧:١	الحسين بن مطير	»	مرّبا
٣١٩:١	الراعي	»	إصبعا
٣٢٢:١	»	»	مضجما
٣٢٣:١	»	»	ومرّتا
٣٥٣:١	—	»	أربعا
٤٢٩:١	—	»	مدما
٥٧٨:١	مروان بن أبي حفصة	»	تمّتا
٥٨٦:١	—	»	وأوضما
٦٢:٢	امرؤ القيس	»	أتلما
١٤٨:٢	—	»	جوّعا
٤٤٥:١	الأعشى	بسيط	وقما
٤٥٣:١	—	»	تبعا
٦٦:٢	لقيط بن زرارة	»	خشما
١٧٢:٢	الأعشى	»	معا
٤١٨:١	القطامي	وافر	انقشاعا
١٢٨:٢	المتنبي	كامل	أربعا

٢١٦:١	—	طويل	جمع
٢٥١:١	ذو الإصبع	»	أجمع

٢٥٨:١	الخرمى	طويل	يلمع
٢٦٤:١	النابة الذيبانى	»	وازع
٣١٩:١	طفيل	»	إصبغ
٣١٩:١	حميد بن ثور	»	إصبغ
٤٥٣:١	لبيد	»	بلاقع
٤٧٥:١	مسكين	»	ممنع
٥٢٤:١	مروان بن أبي حفصة	»	البلاقع
٥٤٣:١	البحترى	»	يطمع
٥٥٦:١	البحترى	»	يتذرع
٥٦٧:١	الربيع بن أبي الحقيق	»	بارع
٦٠٩:١	أبو تمام	»	مريع
١٧:٢/٥١٢:١	النابة الذيبانى	»	واسع
١٤٨:٢	الفرزدق	»	الطوالع
٢١٢:٢	ابن عتقاء الفزارى	»	جائع
٢١٣:٢	حميد بن ثور	»	الأجارع
٢٨٢:٢	الفرزدق	»	والأقارع
٣٩٩:١	عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	»	واسمه
٣٩٩:١	مسكين الدارمى	»	جماعها
١١٧:١	أبو دهب	بسيط	ماصنعوا
٦٠٦:١	منصور النمرى	»	يرتجع
٢٧٧:٢	»	»	يرتجع
٢٨٦:٢	أبو زيد	»	شرع
٢٢٦:١	الضمري	مخلع البسيط	الربيع

١٦٠:١	—	كامل	لا يخذعُ
٢٩٣:١	أبو ذؤيب الهذلي	»	مصرعُ
٤٩٢:١	»	»	لا يقلعُ
٥٣٣:١	طريح	»	يجزعُ
٢٠٢:٢	طريح بن إسماعيل الثقفي	»	مقنعُ
٤١:٢	مسلم	»	يسترجعُ
٦٦:٢	الأحوص	سريع	البيعُ

٢٥٩:١	ذو الرمة	طويل	الوقائع
٥٤٢:١	البحترى	»	أسفيع
١٢:٢	ذو الرمة	»	بالمصانع
١٣٩:٢	بشار	»	سماع
٦١٨:١	البحترى	»	بشفيمة
٢٤١:١	الحطيئة	وافر	القصاص
٤٩٣:١	الشماخ	»	شموع
٦٣٦:١	قطرى	»	تراعى
٢٥٦:٢	أبو تمام	»	اجتماع
٢:١	—	كامل	فاجزعى
٥٦٠:١	السيب بن علس	»	قاع
٤٦٠:١	المباس بن الأحنف	سريع	وأوجاع
٥٦٤:١	البحترى	خفيف	جميع

(الفاء)

١٦٨:٢	كعب بن زهير	بسيط	أسفا
٥٢٥:١	أشجع	وافر	يُخافا
١١١:٢	أبو وجزة	متقارب	الجنافا

٢٨٨:١	—	طويل	تحالفُ
٥١١:١	حميد بن ثور	»	يتقوفُ
٥٨٢:١	الفرزدق	»	وعجرفُ
٤٧:٢	الخطيئة	»	وَكَيفُ
١١٦:٢	ابن هرمة	»	تهتفُ
١٢٧:٢	جران العود	»	يَنْطِفُ
٩٣:٢	—	بسيط	خلفُ
٥٧٥:١	—	كامل	لا تكافُ
٢٦٩:٢ / ١٥٨:١	ابن الزبيرى	»	عجافُ
١٢٩:٢	—	منسرح	ما أصِفُ

٥٩٩:١	أبو هفان	بسيط	السُدْفِ
٢٠٣:١	—	وافر	خلافِ
٨:٢	—	كامل	منافِ
١٠٣:١	البحترى	»	يُشْرِفُ
٩٦:٢	—	»	خلفِ

٢٦٨:٢	مطروود بن كعب الخزاعي	كامل	مناف
٢٦٩:٢	أحمد بن يوسف	»	الأضياف
١٨٨:١	النظام	سريع	اللاطف

(القاف)

١٤٥:٢	النظام	رمل	فيسق

٦٥:١	الفرزدق	طويل	وأضيقا
٣٧٤:١	عقيل بن علفة	»	وأخلقا
٣٨٥:١	يزيد بن مفرغ	»	فسرّقا
٥٢٣:١	—	»	مخلقا

١٠١:١	زهير	بسيط	لحقا
١٥٦:٢	زهير	»	فلقا
٥٧٣:١	السيد الحميري	كامل	طراقها
١٣٧:١	بشار	خفيف	موقا

٤٢:٢	بشار	طويل	خلق
١٧٢:١	أبو نواس	»	عريق
٣٨٤:١	أنس بن أبي أنيس	»	وتسرق
٤٦٦:١	الأعشى	»	موفق
٥٨١:١	حميد بن ثور	»	خريق

١٢٥:٢	ذو الرمة	طويل	مُحَلَّقٌ
١٥٣:٢	البحترى	»	أَبْرَقٌ
٢٦١:٢	كثير	»	تَوَامِقُهُ
٣٨٢:١	حارثة بن بدر	»	عَرَوْقُهَا
١٥٠:٢	—	»	يَشَوْقُهَا
١٣٤:١	حماد عجرد	بسيط	زَنْدِيقٌ
٣٦٩:١	—	»	مَنْبِيقٌ
٤١٦:١	محمد بن يزيد الكاتب	»	يَتَسَقُّ
٢١٧:١	العباس بن مرداس	وافر	مَائِطِيقٌ
١٢١:١	—	كامل	يَنْفِيقٌ
٤١٦:١	—	سريع	يَمْتَحِقٌ
٥٣٣:١	أمية بن أبي الصلت	منسرح	ذَائِقُهَا

٣٢٥:١	المزق العبدى	طويل	أَمْزَقٌ
٤٤٨:١	أبو حية	»	المشوّقِ
٥٤٣:١	البحترى	»	المؤرّقِ
٢٢٩:٢	البحترى	»	فَاصِدُقِ
١٠٢:١	—	بسيط	مَسْتَبِقِ
٢٩٣:١	أبو الأسود الدؤلى	»	ومنطلقِ
١٠٥:٢	حاجب الفيل	»	وتحنيقِ
٥٨:٢	متمم بن نيرة	وافر	عِفَاقِ
١٥٣:٢	أبو تمام	وافر	والعراقِ

٢٢٦:٢	نهشل بن حرى	وافر	اشتياق
٥٩:١	الكيمت الأسدى	كامل	لم ينطق
٩٩:١	الكيمت	»	لم يُلْحِقْ
١٨:٢	—	»	المُنَقَّـ
١٢٨:٢	مانى الموسوس	»	الرُّمَّقـ
٤٢:٢	ابن المعز	سريع	من حق
١٠٣:١	أبو نواس	منسرح	ترهيقـ
١٤٣:١	»	»	زنديق
٦٠٠:١	البحترى	خفيف	مُفِيقـ

(الكاف)

٢٥٠:١	ذو الإصبع	طويل	هالكا
١٥٢:٢	ابن الرومى	»	هنالكا
٤٨٧:١	إبراهيم بن العباس	بسيط	لكا
٤٣٧:١	دعبل	كامل	هلكا
٥٧٢:١	مروان بن أبى حفصة	كامل	شراكا
٤٨٣:١	إبراهيم بن العباس الصولى	مجزوء الكامل	جفاكا

٥٦٢:١	كثير	طويل	ترائِكُ
١٠٢:١	زهير	بسيط	دركُ

٤٩٥:١	ابن المدينة	طويل	لك
٥٨٩:١	حسان	»	مالك
٤٣٨:١	ابن دريد	بسيط	الباكي
٤٠١:١	بشار	سريع	عندك

(اللام)

٢١:١	لييد	رمل	وعجل
٤٥:١	لييد	»	فابتهل
٥٦:١	عدي بن زيد العبادي	»	بالرجال
١٤٥:٢/٩٦:١	النايفة الجمدي	»	وأكل
٥٤٧:١	لييد	»	المتبذل
١٣٧:٢	بشار	سريع	تنال
٢٧٦:٢	منصور النمرى	منسرح	بالباطل

٥٩٢,١١٣:١	سوار بن حيان المنقرى	طويل	أشكلا
٢٦٣:١	أوس بن حجر	»	جحفلا
٣٠٥:١	»	»	مقبلا
١٩:١	بشار	»	موثلا
١٧١:٢	—	»	غلا
٢٧٨:١	كثير	»	فأذالها
١٣٩:١	بشار	بسيط	مثلا
١٩٢:١	الربيع بن زياد	»	طولا
١٩٣:١	النهان بن المنذر	»	قيلا

٩٧:١	الفرزدق	وافر	قالا
٩٧:١	زهير	وافر	ثقبلا
٢٩٦:١	الفرزدق	»	حلالا
١٢٩:٢	المتنبى	»	غزالا
١٦٦:٢	ذو الرمة	»	زالا
٤:١	الراعى النميرى	كامل	نصولا
١٠٦:١	»	»	ممعقولا
٢١٨:١	الأخطل	»	ضلالا
٣٢٣:١	الراعى	»	مقبلا
٤٣:٢	عمارة بن عقيل	»	رسولا
١١٠:٢	الأخطل	»	الأنفالا
١١٠:٢	—	»	أ كفالا
١٢٦:٢	—	»	شمالا
١٥٥:٢	الراعى	»	ودخيلا
٢٢٤:٢	—	»	الأوعالا
٢٧٨:١	الأعشى	»	نهابها
٤١١:١	عروة بن أذينة	»	هوى لها
٥٤٠:١	مروان بن أبى حفصة	»	دلالها
٥٥٣:١	»	»	كلالها
٥٦٩:١	»	»	لها
٣٠٣:٢	الأعشى	»	أطفالها
٢١:١	الأعشى	منسرح	الرجلا
٣٧:١	»	»	إلا

٦١:٢	النايفة الذبياني	خفيف	يزولاً
٤٨٨:١	إبراهيم بن العباس	متقارب	شمالاً
٥٥٦:١	بشامة بن الغدير	»	السببيل
٢٤٣:٢	عمرة بنت عجلان	»	السؤال
٩٧:١	الخنساء	»	أثقالها
٤٨:٢	»	متقارب	مآلها

٥٤:١	النايفة الذبياني	طويل	وابلٌ
١٢٤:١	ليلي الأخيلية	»	الأسافلُ
١٧١:١	لييد	»	الأوائل
٢٦٧:١	الأخطل	»	والمعول
٣٠٦:١	كثير	»	حقلٌ
٣٨٢:١	السموئل	»	فتطولُ
٤٢٤:١	كعب بن زهير	»	مرملُ
٤٦٢:١	ابن هرمة	»	الوسائل
٥٢٢:١	مسلم	»	يئخلُ
٥٣٤:١	»	»	والجهلُ
٥٦٧:١	زهير	»	قبلُ
٥٦٨:١	مسلم بن الوليد	»	قبلُ
٥٧١:١	طريح بن إسماعيل الثقفي	»	طويلُ
٥٧٢:١	مروان بن أبي حفصة	»	النعلُ
٥٨٧:١	الشفري	»	تتململُ
٥٨٧:١	مروان بن أبي حفصة	»	أشبِلُ

٢٤:٢	الخنساء	طويل	أطولُ
٢٩:٢	ذو الرمة	»	الحبلُ
١٠٩:٢	زهير	»	يبلو
١٦٩:٢	—	»	فُحولُ
٢٨٨:٢	أبو المتاهية	»	قليلُ
٢٤٢:٢	ضاحية الهلالية	»	فأميلُ
٢٦١:٢	معن بن أوس	»	تُقبلُ
٣١١:٢	البحترى	»	الوصلُ
٩٧:١	الشمردل	»	شمانلهُ
٣٣٨:١	ضابيُّ البرجميِّ	»	حلائلهُ
٣٨١:١	حارثة بن بدر الغداني	»	تمادلهُ
٣٨٢:١	»	»	أواصلهُ
٥٣٢:١	مروان بن أبي حفصة	»	باطلهُ
٥٤٤:١	البحترى	»	باطلهُ
٥٧٠:١	—	»	صياقلهُ
٥٧١:١	—	»	حمانلهُ
٥٧٢:١	مروان بن أبي حفصة	»	تقابلهُ
٣٣:٢	ذو الرمة	»	جنادلهُ
٤٣:٢	مروان بن أبي حفصة	»	وابلهُ
٥٢:٢	الأخطل	»	ونائلهُ
٦٧:٢	جرير	»	مقاتلهُ
١٩١:٢	—	»	صواهلُه
٢٧٠:٢	دعبل بن علي	»	مقاتلهُ
١١١:١	ذو الرمة	»	امتثالها

٥٦:١	ذو الرمة	طويل	جديها
٥٨٠:١	نصيب	»	سلاهما
١٥٨:٢	—	»	إفالها
٢٨٠:١	الشنفري	مديد	تحل
١٨٥:٢	تأبط شرا	»	نخل
٥٩:١	الكبيت الأسدي	بسيط	مشمعل
١٤٤:١	صالح بن عبد القدوس	»	جدل
٢٠٣:١	القطامي	»	الأول
٢٢١:١	الأعشى	»	هطل
٣٣٣:١	عبدة بن الطبيب	بسيط	تحليل
٥٥١، ٣٦٠:١	الأعشى	»	الرجل
٣٦١:١	القطامي	»	الهبيل
٣٦١:١	الأعشى	»	نزل
٤٦٠:١	»	»	ينخزل
٤٧٣:١	—	»	خال
٥٣٦:١	أبو تمام	»	والفاصل
٥٥٨:١	كعب بن زهير	»	المساقيل
٥٩١:١	—	»	العمل
٦٠٦:١	محمد بن حازم	»	نكل
٦١٨:١	القطامي	»	تتكلم
١٨:٢	»	»	الطيب
٣٢:٢	الكبيت	»	مئل

٩١:٢	الأعشى	بسيط	الإبلُ
٢٥٠:٢	البحترى	»	يسلُ
٣٥٧:١	—	وافر	النزولُ
٦٠٥،٤٤٤:١	أبو حية النميرى	»	الرحيلُ
٦٠٣:١	—	»	ما أقولُ
١٣٥:١	الأحوص	كامل	موكلُ
١٨٥:١	الفرزدق	»	وجرولُ
٤٠٠:١	أبو نواس	»	والمأكولُ
٤٨٨:١	مسلم	»	جليلُ
١١٦:٢	—	»	شمالُ
٦١٩:١	المرتضى	»	عجولُه
١٢٢:١	—	سريع	الوابلُ
١٣٣:١	بشار	خفيف	جليلُ
١٤٥:١	صالح بن عبد القدوس	»	خبيلُ

١٢٦:١	—	طويل	برحيل
١٨٤:١	التملمس	»	مضلل
٢١٦،٢٠٢:١	النابعة النديانى	»	عافل
١٤١:٢	امرؤ القيس	»	مبال
٢٢٩:١	»	»	رال
٢٤١:١	»	»	أمثالي
٢٥٨:١	مزاحم العقيلي	»	ينجلى
٢٦٠:١	أبو ذؤيب الهذلى	»	المفاصل

٢٨٨:١	أبو ذؤيب الهذلي	طويل	وائلـ
٣٥٦:٢	—	»	باطلي
٣٥٧:١	—	»	وانزلـ
٣٩٧:١	امرؤ القيس	»	عالـ
٤٢١:١	—	»	الْبُزْلـ
٤٤٤:١	ذو الرمة	»	زحلـ
٤٦٢:١	الحزبن الكنانى	»	الدوابلـ
٤٨٠:١	—	»	أءجّلـ
٤٩٦:١	—	»	والشكلـ
٥٠٨:١	امرؤ القيس	»	مُجولـ
٥٥٢:١	—	»	نعلـ
٥٧٣:١	عمر بن أبى ربيعة	»	بالنعلـ
٥٧٩:١	—	»	القوابلـ
٦٠٧:١	مسلم	»	مَمِيلـ
٤٨:٢	امرؤ القيس	»	وأوحالى
٦٥:٢	الأحوص	»	الجبائلـ
٩٤:٢	امرؤ القيس	»	بأعزلـ
١٠١:٢	»	»	مِيالى
١٢٥:٢	»	»	المدللـ
١٢٥:٢	»	»	البالى
١٢٥:٢	»	»	المفصلـ
١٢٩:٢	»	»	تتفلـ
١٤٨:٢	»	»	والنخلـ

٢٧٧:٢	جرير	»	قبلي
١٩٢:٢	امرؤ القيس	»	وشمأل
١٩٣:٢	»	»	مُعول
٢١١:٢	النجاشي	»	محل
٢٩١:٢	أبو الهندي	»	المحل
٣٦٩:١	—	بسيط	مئل
٤٦٩:١	—	»	والمجل
٥٦٠:١	الشاخ	»	بترحال
٥٩٦:١	أبو نواس	»	النيل
١٥٧:٢	—	»	والههل
٢١٢:١	—	»	بالي
٣٦٩:١	—	وافر	الحلال
٥٧١:١	ابن هرمة	»	ضئيل
٥٨٢:١	—	»	بعقل
٥٨٢:١	عباد بن أنيف	»	والكلال
٥٨٥:١	اللمين المنقرى	»	النبال
٦١٢:١	—	»	الرجال
١١١:٢	—	»	الفصيل
٢٤٣:١	زهير بن جناب	»	الليالي
٢٧٦:٢	منصور التمرى	»	غليل
٢٩٢:٢	إتال بن القدعاء	»	الموالي

٧٤:٢/٣٥:١	حسان بن ثابت	كامل	المفضل-
٢٤٧:١	»	»	الأول-
٢٤٩:٢	أبو تمام	»	شوال-
٢٥١:١	ذو الإصبع	»	بالمقبل-
٢٧٥:٢	منصور النمرى	»	بالأخوال-
٢٨٨:١	—	»	مجهل-
٣٦١:١	ربيعة بن مقروم الضبي	»	هيكل-
٣٨٣:١	حارثة بن بدر	»	أتمول-
٤٩٨:١	—	»	الجهل-
٥٥٤:١	بشار	»	وتليل-
٥٩٧:١	أبو تمام	»	قلال-
٦٠١:١	محمود الوراق	»	الكهمل-
٦٠٧:١	أبو نواس	»	والهزل-
٦١١:١	الأخطل	»	الإبدال-
٦١٦:١	الجمدى	»	طوال-
٤٤:٢	البحترى	»	التقبيل-
٩٤:٢	البحترى	»	المسبل-
١١٢:٢	حسان	»	المقبل-
١٧٩:٢	البحترى	»	مصقول-
٣٥٨:١	امرؤ القيس	سريع	واغل-
٤٥٣:١	»	»	شاغل-
٣٥٩:١	—	منسرح	الجبل-

٣٥٩:١	—	منسرح	السَّيْل
١٢٦:١	الحارث بن عباد	خفيف	حيال
٤٨٦:١	أمية بن أبي الصلت	»	المقال
٥٢٢:١	أبو حنش النخري	»	مالي
٥٤٢:١	أبو تمام	»	المطالي
٣٥:٢	المتنبي	»	خال
٢٩١:١	أبو العتاهية	مجزوء الخفيف	ومالي
١٤٧:٢	—	متقارب	الأول
١٥٧:١	أمية بن عائذ الهذلي	»	الشمال
٥٦٢:١	»	»	الكلال

(الميم)

٧٨:٢	المرقش	كامل	ما يعلم
١٥٧، ١٥٥:٢	»	»	عم
١٨٧:١	بشر بن المعتمر	مجزوء الكامل	عالم
١٢٩:٢	—	مجزوء الرجز	الكرم
٥٧٢:١	الوالي	سريع	الغمام
١٦:٢	الناطقة الذبياني	»	التمام
١٤١:١	بشار	مجزوء الخفيف	الغتم
١٩٧:١	الجاحظ	متقارب	العدم
٢٠٥:١	—	»	الزدهم
٣٦٠:١	—	»	الكرم
٥٧٤:١	الحرابي	»	الكرم
١٩٠:٢	الأعشى	»	فقم

٥:١	التملس	طويل	أَجْدَمًا
١١٤:٧	عبدية بن الطبيب	»	يترجماً
١١٥:١	أبو دهبيل الجمحي	»	فَاعْتَمًا
١١٥:١	الشريف المرتضى	»	وَزَمَزَمًا
٢٩٧:١	—	»	وَلَادَمًا
٢٩٩:١	أبو العالية الرياحي	»	الْمَذَمًا
٣٣٧:١	—	»	خَشَمًا
٢٤٦:٢/٣٦١:١ ^(١)	قمنب الفزاري	»	لَأَمَّا
٥٣٥:١	مروان بن أبي حفصة	»	مَنْعَمًا
٣٣:٢	البعيث	»	أُدْهَمًا
٣٣:٢	جرير	»	تَكَلَمًا
٦٠:٢	الأحوص	»	ذَمًّا
١١٨:٢	—	»	تَكْرَمًا
٣٢٥:١	النمر بن توبل	بسيط	زَعَمًا
٣٣٣:١	النايفة الذيباني	»	فَأَهْدَمًا
٤٩٨:١	—	»	وَالْخُدَمًا
٥٢:٢	—	»	دِيمَوْمًا
٢٥٤:٢	أبو تمام	»	وَوَجَمًا
٢٠١:١	—	وافر	قِيَامًا
١٤٩:٢	قيس بن زهير	»	بِالْكَرَامَةِ
٤٩٧،٥٨:١	»	»	سَقِيًّا
٢٢٤:٢	—	»	سَلَامًا

(١) أوردته في هذا الجزء من غير نسبة؛ ونسبه المفضل للمرتش .

٤٤٠،٥٢:١	ابن مفرغ	مجزوء الكامل	هامة
٦٠٩:١	أبو تمام	خفيف	صمماً
٥٩٨:١	—	»	الثغامة
٨:١	الربيع بن زياد	متقارب	أجذماً

٤٤:١	—	طويل	أعجمُ
٥٣:١	مزاحم العقيلي	»	ألومُ
٢٥٨:١	أوس بن حجر	»	مُفَرَّمُ
٣٠٤:١	أبو المخزومي، وأجرير بن خرقاء المجلي	»	يعلمُ
٣٠٤:١	الفرزدق	»	يتصرَّمُ
٣٠٤:١	جرير بن خرقاء المجلي	»	مجرمُ
٣٥٠:١	أبو خراش الهذلي	»	مُهمُ
٣٧٠:١	—	»	رائعُ
٤٣٦:١	—	»	بيهمُ
٤٤٧:١	أيو حية	»	ريمُ
٤٦:٤١	—	»	وَحَامُ
٥٤٣:١	البحترى	»	حرامُ
٦٠١:١	—	»	مُدِيمُ
٣٣:٢	كثير	»	قديمُ
٤١:٢	جهم بن شبل	»	فكليمُ
١١٣:٢	ابن هرمة	»	مُعصمُ
١٦١:٢	—	»	لكريمُ
٢٦٦:٢	عمرو بن براق	»	سائمُ

٢٧٣:٢	[مالك بن حريم]	طويل	قائمٌ
٤١٠:١	الشريف المرتضى	»	وسيلمةٌ
١١٨:١	أبو دهب	»	حميمها
٢٦٨:١	الجمدى	»	خيامها
٣٠٠:١	—	»	لثامها
٣٢٥:١	المزق أو معقر البارقي	»	همومها
٣٥٣:١	—	»	يقيمها
٣٥٥:١	—	»	فطيمها
١١٥:٢	الفرزدق	»	وغيومها
١٧:١	محرز الضبي	بسيط	ماجشموا
٥٢:١	النابعة الذيباني	»	إظلامٌ
٥٧:١	—	»	نعمٌ
٦٨:١	الفرزدق	»	العلمُ
٣٨٧:١	أبو تمام	»	كرمةٌ
٤٦٠:١	علقمة بن عبده	»	ملزومٌ
٤٧١:١	ذو الرمة	»	مركومٌ
٥١٢:١	علقمة بن عبده	»	مهجومٌ
٥٢٥:١	الفرزدق	»	يتسمُ
٥٧٨:١	علقمة	»	مشثوم
١٤٨:٢	—	»	والحرمُ
١٩٤:٢	زهير	»	والديمُ
١٠٩:١	—	وافر	زعيمٌ
١٠٩:١	—	»	غلامٌ

١١٠:١	الوليد بن عقبة	طويل	تَرِيمُ
١٨٨:١	أبو العتاهية	»	الكلومُ
٢١٤:١	قيس بن زهير	»	لايريمُ
٥٢١:١	الأخيطل	»	النجومُ
٢٥٦:٢/٥٤١:١	جرير	»	البشامُ
٦١٧:١	—	»	أسيمُ
٤٥:٢	—	»	هشامُ
١٦٠:١	—	كامل	والمعصمُ
٥٠٦:١	—	»	إبرامُ
٥٢٤:١	—	»	نيامُ
٦١٨:١	لييد	»	التسويمُ
٨٨،٣١:٢	المخبل السمدى	»	رسمُ
٣٤:٢	—	»	المعصمُ
٣٤:٢	المرار الفقعى	»	لَطْمُ
٩٧:٢	بكر بن النطاح	»	أسحمُ
٤٥٥:١	—	»	كلامها
٤٢:١	أبو دُواد الإيادى	خفيف	وسامُ
٣٢٦:١	عبيد الله بن قيس الرقيات	»	والتميمُ
٥٩٩:١	ابن الجهم	»	مسجوم
٧٧:٢	حسان	»	يدومُ
٩٠:٢	أبو الجويرية المبدى	»	السلام
٥٨٥:١	—	مقارب	عظُموا

٤٥:١	عمرو بن قيسَة	طويل	الحامِي
٦٣:١	الفرزدق	»	ومقامِي
٥٢:٢/٢١٨:١	در	»	ومحرْم-
٢٤٠:١	—	طويل	يرى
٣٣٠:١	نصيب	»	بالترْتُم-
٣٦٠:١	إسحاق الموصلي	»	خازم
٣٧٣:١	عقيل بن عُلفَة	»	بالجماجم
٣٧٤:١	الجرباء بنت عقيل بن عُلفَة	»	والقوائِم
٤٤٣:١	أبو حية النميري	»	المحارِم
٤٤٦:١	»	»	المتجشم
٥٢٠:١	»	»	ناظِم-
٥٢٠:١	—	»	تَكَلَّم-
٥٤٩:١	أبو حية	»	مُرْجَم
٥٥٧:١	—	»	من جُرْم
٥٩١:١	الفرزدق	»	الـكـارِم-
٦١٦:١	زهير	»	فالتشَلَم
٦٢٦:١	»	»	فيهرْم
٦٣٩:١	قطري	»	ونمِيم
٢٧:٢	—	»	قائِم
٥١:٢	ابن أحمَر	»	مُشَمِّم
١١٣:٢	—	»	المغارِم
١٢٥:٢	زهير	»	فتفطِم

٢٩٨:٢	زهير	طويل	عم
٣١٧:٢/٩٣:١	المتنبي	بسيط	الظلم
٥٣٠:١	حصين بن بدر	»	حام
٥٤٢:١	أبو تمام	»	لم ينم
٢٧٨:٢	منصور النمرى	»	ولم ينم
٥٧٧:١	—	»	الغيم
٣٤٢:١	—	وافر	بالكرام
٥٦٣:١	أبو تمام	»	رجيم
٩:٢	—	»	الظليم
١٩٥:٢	—	»	كوم
١٢٤:٢/٩:١	عنتره	»	الأجندم
٤٦:١	الأعشى	»	أرمي
٢١٦:١	—	»	الرجيم
٢٩٠:١	المكوك	»	حام
٣٣٢:١	حسان	»	قوام
٥٧٠،٣٣٧:١	عنتره	»	بتوأم
٣٥٥:١	عنتره	كامل	المنعم
٣٥٦:١	—	»	القدّام
٤٩٤:١	بشر بن عبدالرحمن الأنصارى	»	حميم
٥١١:١	عدى بن الرقاع	»	القاسم
٧٢:٢	عنتره	»	مصرم
٨٤:٢	»	»	الديلم
١٧٣:٢	—	»	لثام
٢٤١:٢	ولادة المهزمية	»	مقامى

٢٧٥:٢	مروان بن أبي حفصة	كامل	زحام-
٢٩١:٢	محمود بن خارجة	»	الخدّام-
٢٩١:٢	—	»	المتكلم-
٣٥٣:٢	عنّرة	»	وتحمّم-حم-
٥٤٢:١	أبو تمام	خفيف	الأيام
٦١٧:١	الكميت بن زيد	»	السّوام-
٢٥٧:٢	—	»	التسليم
١٤٤:١	مطيع بن إياس	منسرح	البهم-
٥٩١:١	حمزة بن بيض	»	الحكّم-
٢٦٨:٢	المهاهل	»	أدم-
٥٦٧:١	سلم الخاسر	متقارب	وبتجرّيمه
٥٧٢:١	الخنعمى	»	الحسام

(النون)

٣٣:١	عدى بن زيد المبادى	رمل	وَأَذَنُ
٤٧٦:١	مسكين الدارمى	سريع	حِينُ
١٤٨:٢	—	سد	المنونُ
٣١:١	الأعشى	متقارب	التغَنُ
٥٣:١	ابن مقبل	»	حَزِنُ

١٥١:١	—	بسيط	غفرانا
٢٩١:١	ابن مقبل	»	البيّنا
٣٣٥:١	جرير	»	قتلانا
٤٦٧:١	ابن مقبل	»	المفّيضينا

٥٤٥:١	البحترى	بسيط	وسنَانَا
١٤٧:٢/٣٢٧,٥٧:١	عمرو بن كلثوم	وافر	الجاهلينا
١١٠:١	أبو أسماء بن الضرير	»	اعتدينا
٢٠١,١٠٥:١	عمرو بن كلثوم	»	صفونا
٢٥١:١	ذوالإصبع المدوانى	»	بآخرينا
٢٥٨:٢	عدى بن زيد	»	ومينا
٣٦٣:١	الكُميت بن زيد الأسدى	»	متجاهلينا
٣٩٧:١	—	»	للمتنورينا
٥٥٩:١	عمرو بن كلثوم	»	جنينا
٤٩:٢	»	»	تشمونا
١٩٣:٢	ابن أحمر	»	حزينا
٢٣٤:١	المستوغر	كامل	مئينا
٣٦٣:١	عمر بن أبى ربيعة	»	تجمعنا
٥٥٧:١	—	هزج	والظنَّة
١٤:١	مالك بن أسماء بن خارجة الفزارى	خفيف	وَزَنَا
٤٣٥:١	»	»	أَيْنَا
٥٤٤:١	البحترى	»	مَعْنَى
٦٢٣:١	»	»	تَحْنَى
١٢٣:١	—	مقارب	يقرضونا
٥٢٣:١	ابن الرومى	»	عابنك

٤١٥:١	—	طويل	أَمْنُ
٥٠٩:١	—	»	وعيونُ
١٧١:١	عبيدالله بن عبد الأعلى (ابن كناسة)	»	مَصُونُهَا

٢٥٩:١	أبو الطمجان القيّيني	طويل	دفيئها
٢٨٤:١	—	»	أهينها
٥٠٨:١	—	»	جنونها
١٥١:٢	—	»	سُنونها
٣٢:١	قعنب بن ضمرة	بسيط	أذنوا
١٩٣:٢	—	»	بانوا
٢٧٦:٢	منصور النمرى	»	هارون
٢٦٢:١	عبد المسيح بن بقيلة	وافر	الحصون
٥٣١:١	عيننة بن حصن	»	الظنون
١٧:٢	النايفة الذبياني	»	العيون
١٣٧:٢	بشار	»	الزمان
٣٥:٢	أبو تمام	كامل	مقرون
١٤٢:١	مطيع بن إياس	خفيف	الأزمان
* * *			
٦٤:١	—	طويل	جنونى
١٠٤:١	ابن مُقبل	»	وبرتديان
١٧٨:١	—	»	مُرَّان
٢٠٦:١	—	»	وسمين
٢٤٠:١	زهير بن جناب	»	بيمينى
٨٣:٢/٣٥١:١	الطرماح	»	للجنَّانِ جنـ
٤٢٠:١	—	»	الطَّهْيَانِ
٤٦٧:١	—	»	والولمان
٥٠٧:١	امرؤ القيس	»	تبتدران

٥٨٢:١	امرؤ القيس	طويل	بأرسان
٣٤:٢	كثير	»	مُنَجِّن
١٧٣:٢	ابن مُقبل	»	فلان
٣١٠:١	المجنون	»	رآني
٢٣٧:١	ثابت قُطنة	بسيط	تكفيني
٢٩٢:١	ذوالأصبع العدواني	»	ويقلبي
٣٦٨:١	سويد بن عامر المصطلقى	»	إنسان
٤٠٧:١	ثابت قُطنة	»	يؤذيني
٤٠٩:١	عروة بن أذينة	»	يأتيني
٤١٤:١	»	»	مكنون
٤١٥:١	أبو العتاهية	»	تزين
٤١٥:١	عروة بن أذينة	»	يشفيني
٥٥٤:١	مسلم	»	ظلمَان
٤٦٠:١	البحترى	»	يمصيني
٥٧٣:١	أبو نواس	»	الشر اكان
٣٤:١	النابعة الذبياني	وافر	تُغَنِّي
٣٦:١	»	»	مِنِّي
٧٢:١	الشمخ	»	عين
١٤٥:١	الأحنف المُكبرى	»	ولا يراني
٢١٤:١	قيس بن زهير	»	شفاني
٢٦٤:١	الجمدى	»	الحنان
٥١٠:١	بشار	»	الحنان
٨٨:٢	—	»	الفرقدان

١٥١:٢	سوار بن مُضَرَّب	وافر	الفوانى
١٩٩:٢	زياد الأعجم	»	لسانى
١٩٩:٢	—	»	منجلان
٢٣٤:٢	—	»	أتانى
٢٢٤:١	مروان بن أبى حفصة	كامل	شيبان
٢٦٥:١	النايفة الجعدى	»	الأوثان
٣٠٢:١	الصموت الكلابى	»	للحدثان
٣٧١:١	عقيل بن عُلقه	»	الأضغان
٥١٠:١	بشار	»	الشیطان
٥٢٣:١	البحترى	»	إحسان
٥٢٤:١	»	»	الجانى
٦١:٢	الأحوص	»	مكان
٤٢:٢	—	سريع	بالياسمين
٢٤١:١	زهير بن جناب	خفيف	تلقانى
٣٤٨:١	عمر بن أبى ربيعة	»	يلتقيان
٣٤٩:١	—	»	البنیان
٦٣:٢	بشار	»	تلقانى
٧٣:٢	أبو دُواد الأيادى	»	فكونى
١٤٥:٢	—	»	بالأحسان

(الهاء)

٣٠٦:١	المتنخل	مقارب	قواه

٣٠:٢	الشمخ	طويل	مصطلها

١٤٢:١	—	بسيط	تأنيها
٣٥٤:١	—	بسيط	داعيا
٤٣٣:١	المرتضى	»	عواريا
٥٧٥:١	الخبزأرزي	»	تكفيها
١٠٣:١	عدي بن الرقاع	كامل	نسجها
٣٦١:١	—	»	سواها
٥٢٥:١	أبو نواس	»	الله
٦٠٩:١	يحيى بن خالد	»	رحاها
٤٩٩:١	إسماعيل بن عمار	منسرح	بهما
٦٠٨:١	محمود الوراق - ويروى لمحمد بن حازم	متمقارب	يديه
١٢٢:١	—	»	لها

(الياء)

٦٢٧،٢٣٩:١	ابن الرومي	»	لياليا
٢٦٨:١	الجمدي	»	زاريا
٣٧٠:١	ابن أحمز	»	وتهاميا
٣٧١:١	—	»	مصافيا
٣٨٥:١	حارثة بن بدر	»	كافيا
٤٤٨:١	أبو حية	»	اللياليا
٦٣٧:١	قطري بن الفجاءة	»	حماميا
٩١:٢	زهير	»	الرواسيا
١١٦:٢	—	»	ليا
١٣١:٢	—	»	ناسيا
١٥٩:٢	—	»	بدائيا

١٦٨:٢	سليمان بن يزيد العدوي	طويل	وجازيا
١٦٨:٢	أمية بن أبي الصلت	»	متعاليا
١٦٨:٢	سليمان بن يزيد العلوي	»	وجازيا
٢٢٠:٢	—	»	نائيا
٢٤٢:٢	ضاحية الهلالية	»	مايا
٢٤٢:٢	»	»	يمانيا
٢٦٥:٢	—	»	خلائيا
٣٠٤:٢	مالك بن الريب	»	النواجيا
٢٣٥:١	المستوغر	وافر	ندايا
٢٩٣:١	أبو الأسود الدؤلي	»	عليًا
٢٤٠:١	زهير بن جناب	مجزوء الكامل	بُنية
٢٦٩:١	—	خفيف	هويًا

(الألف المقصورة)

١٠١:١	—	طويل	يحيي
١٤٥:١	صالح بن عبد القدوس	»	الموتى
٤٦٧:١	—	»	النسا
٥٠٦:١	عمر بن أبي ربيعة	»	مِنِي
١٧١:٢	—	»	غلا
٣٣١:١	—	كامل	مامضى
٤١٦:١	—	»	كالفتى
٣٢:٢	الأسعر	»	اصطلى
٦٠٨:١	دعبل	رسل	قذى
١٩٧:١	الجاحظ	مجزوء الرمل	منتهاهُ

٥ - فهرس الأرجاز

٥:٢	—	أنصارا	(٦)	
٣٥٦:٢	—	تسخرا	٢١٦:١	سماؤه
٥٧:١	—	تخرُّ	١١٧:١	جوزائه
٣٧٢:١	عقيل بن علفة	المهر		
٢١٦:١	—	مفخره	(ب)	
٣٥٠:١	أبو النجم	شعري	١٣١:١	صليا
٢٠١:٢	—	حماري	٤٥٥:١	والحواجب
	(س)		٢٩٢:٢	أربي
٢٣٩:١	—	حرسا	(ت)	
	(ش)		٣٧٨:١	صايت
٦٣١:١	—	كباش	٢٣٧:١	ينته
	(ض)		(ج)	
/٩٢:١	—	البياض	٢٦٦:٢	لواجا
٣١٧:٢			(د)	
٢٥٩:٢	—	لفطا	١٧٦:١	صيد
	(ع)		٢٣٧:١	ويدا
٢١٩:١	—	المشعما	٢٥٩:٢	وبدا
٣١٩:١	—	إصبعا	٢٥٩:٢	وباردا
١١٢:١	ليبد	مقرعه	٣٥٥:٢	الأعبدا
١٩١:١	ليبد	دعة	١٩:١	موتود
٣٥٦:١	—	ربيعة	٣٩٧:١	كالوقود
٣٥١:١	—	أجمع	٥٨٠:١	تقيد
٥٥٩:١	—	لاتنفع	١٧٤:٢	وجدي

١٩٧:١	الجاحظ	هلال	٥٢:٢	-	جدع
١٣٨:٢	-	بابل	٤٠:١	أبو النجم	البرقع
١٤٦:٢	أبو النجم	الأثقل	(ف)	(ف)	
٢٦٦:٢	أبو النجم	عيطان	١١٩:١	المعجاج	أطراف
(م)			(ق)	(ق)	
١١٠:١	-	لاجرم	١٥٦:١	رؤبة	الملق
١١:٢	رؤبة	مريمه	٥٦١:١	-	القرق
٣٧٤:١	عقيل	بالدم	١٠:٢	رؤبة	أرقا
٥٧٣:١	يزيد بن المكسر	حريمه	١٧٦:٢	أم الهيثم	العراق
(ن)			(ك)	(ك)	
٣١٩:١	-	أبن	٤٣٨:١	دكين	وزكا
٣٠٩:٢	-	قطني	٢٨٦:٢	منفوسة	أباكا
(ه)			(ل)	(ل)	
١٠:١	-	راماها	١١١:١	بشير	الأول
٢٥٩:٢	-	عيناها	٣٥٦:١	-	منفل
(ي)			١٤١:٢	-	الأصل
٦٢:١	الفرزدق	محمية	١٨٦:٢	قيس بن عاصم	عمل
(الألف المقصورة)			٥٨:٢	-	باهله
١٧:١	-	السرى	١٤٣:١	يحيى بن زياد	الجلجل
٤٩٣:١	-	سرى			

٦- فهرس الأمثال

- (الشين)
شالت نعامتهم ٢٥٢:١
(الصاد)
صحيفة المتلس ١٨٥:١
(الفاء)
في كل شجرة نار واستمجد المرخ
والعفار ٢٩:٢
(القاف)
قد أنصف القارة من رامها ٩:٢
قد قلينا كل صفار ٤٥٦:١
(اللام)
لأمر ماجدع قصير أنفه ٣١٣:٢
لأمر ميسود من يسود ٣١٣:٢
ليس لمكتوم رأى ٢٢٥:١
(الميم)
من شب إلى دب ٢٠٩:٢
(النون)
نجارها نارها ٣١:٢
(الهاء)
هذا أجل من الحرش ٢٣٥:١
(الواو)
وجدان الرقن يغطى على أفن الأفين ٢٣٣:١
- اتق ماثور القول بعد اليوم ٢١٤:١
أجبن من صافر ١١٢:٢/٤٥٥:١
أشبه امرؤ بمض بزه ٢٤٧:١
إن الموصين بنو سهوان ٢٣٨:١
إياك أعنى واسمعى يا جارة ٣٩٩:٢
(التاء)
ترك الخداع من أجرى من مائة ٢٠٩:١
تفرقوا أيادي سبأ ٨١:١
(الجيم)
جرى المذكيات غلاب ٢٠٩:١
(الحاء)
حمى الوطيس ١٧١:٢
(الذال)
ذهبوا أيادي سبأ ٨١:١
ذهبوا شغرف بفر ٨١:١
ذهبوا شمارير ٨١:١
ذهبوا شمائل ٨١:١
ذهبوا عبايد ٨١:١
ذهبوا عباديد ٨١:١
(الراء)
رماه بثالثة الأثافي ٣٠:٢
رويدا يعلون الجدد ٢٠٩:٢
(الزاي)
زوج من عود خير من قعود ٢٤٦:١

٧- فهرس الشعراء وقوافيهم

حزينا ٢: ١٩٣
الأحنف المكبري :
يراني ١: ١٤٥
الأحوص :
أجيب ٢: ٦٥ وأقاربه ٢: ٦١
قلبي ٢: ٦٦ أدور ٢: ٦٥ البيع
٢: ٦٦ موكل ١: ١٣٥ الجبائل
٢: ٦٥ ذمنا ٢: ٦٠ مكان ٢: ٦١
الأخطل :
الضبابا ٢: ١٧٥ ورءوب ١: ٥٥٣
المصب ١: ٣٤٣ صيت ٢: ١١٥
مصرد ٢: ٢٤ هجر ١: ٤٦٦
الوكري ٢: ٦٣ المار ١: ٦٣٧
النار ٢: ٢٥ الأحفار ٢: ٢٨٥
ضلالا ١: ٢١٨ الأنفالا ٢: ١١٠
والموئل ١: ٢٦٧ ونائلة ٢: ٥٢
الأبدال ١: ٦١١
الأخيطل :
النجوم ١: ٥٢١
ابن أراكه الثقفي :
القبر ١: ٤٦١
ابن أرطاة الأعرجي :
مر ١: ٣٥٢

إبراهيم بن العباس الصولي :
وسماؤها ١: ٥٢٣ هبونها ١: ٤٨٧
غروبها ٢: ٩٢ المغيب ١: ٣٠٥
منقلي ١: ١٧٢ زلت ١: ٣٠٦
مخرج ١: ٤٨٦ يتطوح ١: ٤٨٢
شاهدا ١: ٤٨٥ محمد ١: ٤٨٤
ماقدرا ١: ٣٠٥ مزارها ١: ٤٨٧
لكا ١: ٤٨٧ جفاكا ١: ٤٨٣
شمالا ١: ٤٨٨
إبراهيم بن المهدي :
الأراصيد ٢: ٢٤٩
إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة
أثال بن القدعاء :
الموالي ٢: ٢٩٢
أحمد بن جندل :
نهد ١: ٥٩٢
أحمد بن يزيد المهلبى :
صفارها ٢: ٤٢
أحمد بن يوسف :
الأضياف ٢: ٢٦٩
ابن أحر :
ينجحر ١: ٢٢٩ زمير ١: ٤٥٦
قصارا ١: ٤٦٧ زمير ١: ٤٥٦
مقسم ٢: ٥١ وتهاميا ١: ٣٧٠

الدلامصا: ٢: ١٤١ وقما: ١: ٤٤٥
مما: ٢: ١٧٢ موفق: ١: ٤٦٦
نهاها: ١: ٢٧٨ أطفالها: ٢: ٣٠٣
الرجلا: ١: ٢١ إلا: ١: ٣٧ هطل
٢٢١: ١ الرجل: ١: ٣٦٠، ٥٥١
نزل: ١: ٣٦١ الإبل: ٢: ٩١
فغم: ٢: ١٩٠ أرى: ١: ٤٦ التنف
٣١: ١
الأفوه:
كادوا: ١: ٣٣٢
امرؤ القيس:
تطيّب: ١: ٢٢١ مرگب: ١: ٣٣٣
يثقب: ٢: ١٢٥ نخطب: ٢: ١٩١
وانتسابي: ١: ١٧١ بالشراب
٥٧٧: ١ البريدا: ١: ٥٩١
لانقعد: ١: ٣٣٣ المنفطر: ١: ٧١
دبر: ٢: ٩٤ مقتفر: ٢: ١٨٩
جرجر: ١: ٢٢٨ طرطرا: ١: ٣٢٩
بقيصرا: ١: ٦٢٩ كبره: ٢: ١٩١
أنفسا: ١: ٤٧٩، ١٤/٢: ٣١٠ ملبسا
٥٩٦: ١ أتلما: ٢: ٦٢ رال
٢٢٩: ١ أمثالي: ١: ٢٤١ عال
٣٩٧: ١ محول: ١: ٥٠٨ وأوصالي
٤٨: ٢ بأعزل: ٢: ٩٤ ميال
١٠١: ٢ المذلل: ٢: ١٢٥

إسحاق الموصلي:
العذب: ١: ٦٠٦ خازم: ١: ٣٦٠
الأسمر:
اصطلى: ٢: ٣٢
أسماء بن خارجة:
الكسب: ٢: ٢٠٧
أبو أسماء بن الضريبة:
اعتدينا: ١: ١١٠
إسماعيل بن عباد (الصاحب):
كاتب: ١: ٤٠٠
إسماعيل بن عمار:
بهما: ١: ٤٩٩
إسماعيل بن القاسم: أبو المتاهية
أبو الأسود الدؤلي:
ومنطلق: ١: ٢٩٣ عليا: ١: ٢٩٣
الأسود بن يعفر:
الأوتاد: ١: ٣٥ إباد: ١: ٢٦٥
أشجع:
يخافا: ١: ٥٢٥
أعشى باهلة:
الغمر: ١: ٩٦ الصفر: ١: ٢٣٠
سنخر: ٣: ٢٠
أعشى قيس:
المهدا: ١: ٣٢ أمردا: ١: ٦١٢
موعدا: ٢: ٢٦٥ كالمرارة: ٢: ١٤٠
وخيرا: ١: ٥٧٠ الضامر: ١: ٤٥١

حبیب ١: ٥٤٤ بالمعيب ١: ٦٢
وقلوب ٢: ١٥٢ الاجتناب ١: ٦٠٠
سُفحاً ١: ٦٢٥ مازح ٢: ٤١
والرَّاح ٢: ٦٤ أقاح ٢: ١٧٩
التفاح ٢: ١٧٨ الصدى ١: ٥٤٣
جديداً ٢: ٦٢١ والحسد ١: ٤١٥
يصدّه ٢: ٩٣ يرُدُّه ١: ٦٢٤ تمودا:
٦٢٣ بأسمد ١: ٦٢١ والمجد ٢: ٤٤
الخرائد ٢: ١٢٧ مخلد ١: ١٠٣
الميعاد ١: ٦٢٢ العمر ١: ٥٣٤
الكبير ١: ٦٢٥ نزر ١: ٣٠٣
المنشر ١: ٥٩٣ الأوتار ٢: ١٢٨
الأسحار ١: ٥٦٣ نضا ١: ٦٢٢/
٢: ١٣٥ راض ١: ٦١٩
ولاقطه ١: ٥٢٠ يطعم ١: ٥٤٣
أسفع ١: ٥٤٢ بشفيعه ١: ٦١٨
جميع ١: ٥٦٤ لم يشرب
١: ١٠٣ أ برق ٢: ١٥٣ المورق
١: ٥٤٣ فاصدق ٢: ٢٢٩
مفيق ١: ٦٠٠ الوصل ٢: ٣١١
باطله ١: ٥٤٤ يس ٢: ٢٥٠
التقبيل ٢: ٤٤ المسبل ٢: ٩٤
مصقول ٢: ١٧٩ حرام ١: ٥٤٣
وسنانا ١: ٥٤٥ معنى ١: ٥٤٤
تحنى ١: ٦٢٣ يعصيني ١: ٤٦٠
إحسان ١: ٥٢٣ الجاني ١: ٥٢٤

البالي ٢: ١٢٥ الفصل ٢: ١٢٥
تتفل ٢: ١٢٩ وشمال ٢: ١٩٢
معوّل ٢: ١٩٣ واغل ١: ٣٥٨
شاغل ١: ٤٥٣ تبتدران ١: ٥٠٧
بأرسال ١: ٥٨٢
أمية بن الصلت:
المسحّر ١: ٥٧٧ ذاتقها ١: ٥٣٣
المقال ١: ٤٨٦ متماليا ٢: ١٦٨
أمية بن أبي عائد:
الشمال ١: ١٥٧ الكلال ١: ٥٦٢
أنس بن أبي أنيس:
وتسرق ١: ٣٨٤
أوس بن حجر:
طلباً ٢: ٧٣ النوافرا ٢: ٧٤
جحفلاً ١: ٢٦٣ مقبلاً ١: ٣٠٥
مقرم ١: ٢٥٨
البحترى:
جرداء ١: ٥٩٧ شعواء ٢: ٢٥١
فأعتبا ١: ٥٧٣ ومخلبا ١: ٥٨٦
نبا ٢: ٤١ خضيبا ١: ٦٢٠
نصابه ١: ٥٦٩ ضريبا ١: ٥٣٥
ندوبا ١: ٦٢١ قضيبا ٢: ٦٣
حبیب ٢: ٤٥ لاتقرب ٢: ٩٢
وصاياها ٢: ٢٣٠ الهرب ١: ٥٣٤
أربي ١: ٦١٩ تأديبي ٢: ٢٣

بشار :

المهذبا ١ : ١٣٩ يشعب ١ : ٥١٠

رقوب ٢ : ٣٥ مشوب ٢ : ٦٣

كوا كبه ٢ : ١٢٦ ذهبه ١ : ٣٥٦

خطب ١ : ١٣٩ مزاحا ٢ : ١٤٢

الورد ٢ : ٦٤ صعيد ٢ : ١٣٨

عهد ٢ : ١٤٢ مودود ١ : ٦٠٧

البرود ١ : ١٤١ النظر ١ : ١٤٠

المطرا ٢ : ١٣٧ النار ١ : ١٣٨

لشعر ١ : ١٣٩ منهضا ٢ : ١٣٣

سماع ٢ : ١٣٩ موقا ١ : ١٣٧

عندك ١ : ٤٠١ تنال ١ : ١٣٧

موثلا ١ : ٥٠٩ مثلا ١ : ١٣٩

جليل ١ : ١٣٣ وتليل ١ : ٥٥٤

الغنم ١ : ١٤١ الزمان ٢ : ١٣٧

الجنان ١ : ٥١٠ الشيطان ١ : ٥١٠

تلقاني ٢ : ٦٣

بشامة بن الغدير :

السبيلا ١ : ٥٥٦

بشر بن أبي خازم :

بابا ١ : ٣٤١ لئاب ١ : ٤٦٣

لم تنكب ٢ : ١٦٨ قطار ١ : ٥١١

بشر بن عبدالرحمن الأنصاري :

حميم ١ : ٤٩٤

بشر بن المقتدر :

عالم ١ : ١٨٧

البعيث :

أدها ٢ : ٣٣

بكر بن عيسى :

يفيض ٢ : ٤٢

بكر بن النطاح :

أسحج ٢ : ٩٧

تأبط شرا :

مخاصر ٢ : ١٧٧ أم عامر ٢ : ٧٣

(ويروي لالشنفرى) نخل ٢ : ١٨٥

أبو تمام :

ولعوبا ١ : ٦١٠ سا كبه ١ : ٥٨٥

والركب ١ : ٣٣٥ عجب ١ : ٥٩٩

وديات ١ : ٥٨٩ وصدودا ١ : ٦١١

الفؤاد ١ : ٦١٢ البراد ٢ : ١٧٨

بهارا ٢ : ٤٢ غزار ٢ : ٣٤ الوارى

٢ : ٢٤٧ إياس ١ : ٢٩٠ مغرضا ٢ :

١٣٥ مهيع ١ : ٦٠٩ اجتماع ٢ : ٢٥٦

والعراق ٢ : ١٥٣ شوال ٢ : ٢٤٩

قلال ١ : ٥٩٧ المطالى ١ : ٥٤٢

أودا ١ : ٣٩٧ قيود ١ : ٥٨٠
والقمر ١ : ٥٢ جيورها ٢ : ٧٢
قدر ٢ : ٥٧ مقاتله ٢ : ٦٧
قبلي ٢ : ١٧٧ تكلم ٢ : ٣٣
البشام ١ : ٢/٥٤١ : ٢٥٦ قتلانا
١ : ٣٣٥
الجمدى :

مرحب ١ : ٢٠٢ تنضب ١ : ٢٦٩
يتذكر ١ : ٢٦٣ مايضره ١ : ٢٦٦
أناسا ١ : ٢٦٤ وأكل ١ : ٩٦/
٢ : ١٤٥ طوال ١ : ٦١٦ خيامها
١ : ٢٦٨ الخفان ١ : ٢٦٤ الأوثان
١ : ٢٦٥ زاريا ١ : ٢٦٨
جميل :

بالقوادح ٢ : ١٥٧ شمرا ١ : ٥٦٨
جهم بن شبل :
فكليم ٢ : ٤١
ابن الجهمي :
مسجوم ١ : ٥٩٩
أبو الجواز :
النهود ٢ : ٦٤
أبو جويرية المبدى :
يقطوح ١ : ٥٧١ السلام ٢ : ٩٠

وجما ٢ : ٢٥٤ صميا ١ : ٦٠٩
كرمه ١ : ٣٨٧ لم ينم ١ : ٥٤٢
رجيم ١ : ٥٦٣ الأيام ١ : ٥٤٢
مقرون ٢ : ٣٥
توبة بن الحمير :

وصفا ١ : ١٢٦ يستجيرها ١ : ٣٦٣
فجورها ٢ : ٥٧
ثابت قطنة :

تكفييني ١ : ٢٧٣ يؤذيني
١ : ٤٠٧
الجاحظ :

المدم ١ : ١٩٧ منهاه ١ : ١٩٧
جحظة :
حسب ١ : ٥٧٥

جران العود :
الإزار ٢ : ١٤٣ ينطف ٢ : ١٢٧
الجرباء بنت عقيل بن علفمة :

والقوائم ١ : ٣٧٤
جرير بن خرقاء العجلي :
مجرم ١ : ٣٠٤ تعلم ١ : ٣٠٤

(ويروى لأبي عمر الخزومي)
جرير بن عطية :
انصبا ١ : ٢٨٩ والحشبا ٢ : ٥٧

حاتم الطائي :

الورد (ويروي لقيس بن عاصم)

١٦١:٢ الزجر ٢٩٤:١ الصدر

١٥٥:٢ عقورها ١١١:٢

حاجب الفيل :

وتحنيق ١٠٥:٢

الحارث بن خالد المخرومي :

المرط ١:١ ٤٦١:٢ القلدي ١٣٠:

المرط ١:١ ٤١٦:١ يعلم ٣٠٤:

(ويروي لجرير بن خرقاء)

الحارث بن عياد :

حيالي ١:١ ١٢٦:

الحارث بن كعب :

دهورا ١:١ ٢٣٣:

حارثة بن بدر :

فدرت ١:١ ٣٨٦:٢ حادي ٢:٢ ٢٢٨:

بالسوددي ١:١ ٣٨٨:٢ قسرا ١:١ ٣٨٦:

مجير ١:١ ٣٨٧:٢ عروقها ١:١ ٣٨٢:

تمادله ١:١ ٣٨٠:٢ أوصله ١:١ ٣٨١:

آتمول ١:١ ٣٨٣:٢ كافيها ١:١ ٣٨٥:

حجبة بن المضرب :

والبدر ١:١ ٢٥٨:

الحزين الكناني :

الدوابل ١:١ ٤٦٢:

حسان بن ثابت :

الجزء ١:١ ٦٢٣٢:٢ سوا ٢:٢ ١٨٢:

الفداء ٢:٢ ١٨٨:٢ القليب ١:١ ٣٤٢:

مالك ١:١ ٥٨٩:٢ المفضل ١:١ ٣٥/

٢:٢ ٧٤:١ الأول ١:١ ٢٤٧:٢ المقبل

١١٢:٢ يدوم ٢:٢ ٧٧:٢ قوام ١:١ ٣٣٢:

الحسن بن علي الواسطي :

المنذبا ١:١ ٤٤٩:

الحسين بن الخليلع :

مسد ١:١ ١٣٢:

الحسين بن الضحاك :

غريب ٢:٢ ٤٤:٢ خمودها ١:١ ٤٣٤:

وليدها ١:١ ٤٣٥:

الحسين بن مطير :

الأحساء ١:١ ٤٣٨:٢ قروح ١:١ ٤٣٦:

خمودها ١:١ ٤٣٤:٢ أذودها ١:١ ٤٣٥:

ناظره ١:١ ٤٣٢:٢ نظورها ١:١ ٤٣٣:

منمض ١:١ ٤٣٥:٢ مربعا ١:١ ٢٢٧:

حصن بن حذيفة بن بدر :

حام ١:١ ٥٣٠:

الخطيئة :

شدوا ١:١ ٦٣٩:٢ كدوا ٢:٢ ٢٨٩:

حاضر ١:١ ٤٩:٢ القصاع ١:١ ٢٤١:

وكيف ٢:٢ ٤٧:

حماد عجرد :

خمسه ١:١ ١٣٤:٢ تشير ١:١ ١٤١:

أبو خراش الهذلي :
محض ١٩٨:١ هم ٣٥٠:١
الخرنق بنت بدر :
الجزير ٢٠٥:١
الخرمبي :
يلمع ٢٥٨:١ الكرم ٥٧٤:١
الخنساء :
وقودها ٧١:١ وإدبار ٢٠١:١،
٤٦٥ أظآر ٥٠٤:١ عار ٧٧:٢
صخر ٢ : ١٩ الحضير ٩٨ :
الناس ١ : ٣٧٠ أنقالها ٩٧ :
مالها ٤٨:٢ أطول ٢٤:٢
ابن الخياط :
يفدي ٥٢٢:١
ابن دريد :
الباكي ٤٣٨:١
دعبل :
العرصات ٤٨٤:١ الثبت ٢٧٠:٢
هلاكا ٤٣٧:١ مقاتله ٢٧٠ : ٢
قذى ٦٠٨:١
أبودلف :
البصر ٦٠٨:١
ابن الدمينه :
يجيب ٤١:١ بدالك ٤٩٥:١

حمزة بن بيض :
الحكم ٥٩١:١
حميد بن ثور :
ظهر ٣٢:٢ وإصبع ٣١٩:١
الأجارع ٢١٣:٢ يتقوف ٥١١:١
خريق ٥٨١:١
أبو حنش النيرى :
مالي ٥٢٢:١ شبيب ٤٤٩:١
أبو حية النيرى :
أتجنب ٤٥٠:١ القصارا ٤٤٥:١
أنظر ٤٤٩:١ المشوق ٤٤٨:١
الرحيل ٤٤٤:١ رميم ٤٤٧:١
المحارم ٤٤٣:١ التجشم ٤٤٦:١
ناظم ٥٢٠:١ مرجم ٥٤٩ :
اللياليا ٤٤٨ :
خالد بن جعفر :
الوريد ٢١٢ :
خالد بن الطيفان :
الكسر ٦٠:٢ وفر ٣٧٥،٢٥٩
الخبز أرزى :
تكفيها ٥٧٥:١
الخمعى :
الحسام ٥٧٢ :
خداش بن زهير :
الحمر ٤٦٦:١ الزافر ٩٥:٢

جديلها ١ : ٥٦ امتثالها ١ : ١١١
زحل ١ : ٤٤٤ مركوم ١ : ٤٧١
أبو ذؤيب الهذلي :

طلابها ١ : ٢١٧ خلاجا ١ : ٦١٦
مصباح ١ : ٦١٦ مصرع ١ : ٢٩٣
لا يقلع ١ : ٤٩٢ الفاصل ١ : ٢٦٠

الراعي :

مشرب ٢ : ٢٨ فروج ٢ : ٣٠
المتجرد ٢ : ١٦٧ البلد ٢ : ٨
نارا ٢ : ٣١ المتناصر ٢ : ١٩٢
أوقر ١ : ٢٧٩ كالأثر ١ : ٢١٦
إصبعا ١ : ٣١٩ مضجعا ١ : ٣٢٢
ومرتما ١ : ٣٢٣ نصولا ١ : ٤
مقبلا ١ : ٣٢٣ ودخيلا ٢ : ١٤٥

الربيع بن أبي الحقيق :

العود ١ : ٥٦٨ بارع ١ : ٥٦٧
الربيع بن زياد :

الساري ١ : ٢١٠ نهار ١ : ٥٩٠
طولا ١ : ١٩٢ أجدما ١ : ٨
الربيع بن ضبع الفزاري

فداء ١ : ٢٥٥ حُجرا ١ : ٢٥٣
عصرا ١ : ٢٥٦

ربيعة بن مالك : (ممود الحكماء)
نابا ١ : ١٩٣

ربيعة بن مقروم الضبي :

هيكل ١ : ٣٦١

أبو دهبيل :

ينسج ١ : ١١٩ والهجرة ١ : ١١٦

نزرا ١ : ٥٢١ لصبور ١ : ١١٨

(ويروى للمجنون) السهرا ١ : ١١٨

ماصنموا ١ : ١١٧ فأتما ١ : ١١٥

حميمها ١ : ١١٨

أبو دؤاد الإيادي :

وسام ١ : ٤٢ فكوني ٢ : ٧٣

ذوالإصبع المدواني :

النفر ١ : ٢٤٤ أجمع ١ : ٢٥١

هالكا ١ : ٢٥٠ بالمقبل ١ : ٢٥١

بآخرينا ١ : ٢٥١

ذو الرمة :

جاده ١ : ٦٠٥ هبوبها ١ : ٣٨٧

سرب ١ : ٢٧٨ ذهب ٢ : ١٤٠

شنب ٢ : ٢٥٥ والمغرب ٢ : ١٧٥

يرح ١ : ٣٣٢ ، ٤٥٠ يصبح

١ : ٥١٣ نوايح ١ : ٥٩٩ واحد

١ : ٥٤٨ وعبيدها ١ : ٥٠ نزر

١ : ١٣ ، ٥٢٢ الخمر ١ : ٢٠

فيصبر ١ : ١٠٧ يتمرمر ١ : ٤٦١

المحاذر ٢ : ٥١ الحنادس ٢ : ٩٦

الوقائع ١ : ٢٥٩ بالمصانع ٢ : ١٢

معلق ٢ : ١٢٥ زالا ٢ : ٢٦٦

الجل ٢ : ٢٩ جنادله ٢ : ٣٣

رفيع الوالبي :
نجاح ١ : ٣٧٠ الفهام ١ : ٥٧٢
رؤية :
افتخارا ١ : ٥٩٨
ابن الرومي :
اللهب ١ : ٤٤٧ مغالب ١ : ٥٩٥
بانقضاب ١ : ٦٢٧ تلتهفها ١ : ٦٢٧
الوجد ٢ : ١٢٧ أجدر ١ : ٦٢٠
بمض ٢ : ٢٩٠ هنالك ٢ : ١٥٢
عينك ١ : ٥٢٣ لياليا ١ : ٦٢٧، ٢٣٩
ابن الزبيري :
عجاف ٢ : ٢٦٩
أبو زبيد :
شرع ٢ : ٢٨٥
زفر بن الحارث :
تغنت ١ : ٢٤٤
زهير بن جناب :
مساني ١ : ٢٤١ الليالي ١ : ٢٤٣
بيميني ١ : ٢٤٠ تلقاني ١ : ٢٤١
بنيه ١ : ٢٤٠
زهير بن أبي سلمى :
الرشاء ١ : ٩٩ الأرنج ٢ : ١٩٨
لحقا ١ : ١٠١ فلقا ٢ : ١٥٦ درك
١ : ١٠٢ ثقيل ١ : ٩٧ قبل
١ : ٥٦٧ ويبلو ٢ : ١٠٩ والديم

١٩٤ : ٢ فالتعلم ١ : ٦١٦ فيهرم
١ : ٦٢٦ ففتطم ٢ : ١٢٥ عم
٢ : ٢٩٨ الرواسيا ٢ : ٩١
ابن الزيات = محمد بن عبد الله الزيات
زياد بن الأعجم :
الواضح ١ : ٧٢ الرايح ٢ : ١٩٩
(ويروي للصلتان)
وصفأح ٢ : ٣٠١ لساني ٢ : ١٩٩
ساعده :
مربب ١ : ٥١٩
سالم بن دارة :
بأسيار ١ : ٢٨٩
سلم الخاسر :
نجد ١ : ٥٧٢ الأقواس ١ : ٥٦٢
وبتجريمه ١ : ٥٦٧
سليمان بن يزيد المدوي :
وجازيا ٢ : ١٦٨
السموئل :
فتطول ١ : ٣٨٢
سهل بن هارون :
دائي ١ : ٤٦٠ ماأبدى ١ : ١٨٢
سواد بن قارب :
بكاذب ١ : ٥٧٦
سوار بن المضرب :
الغواني ٢ : ١٩١

الصاحب = اسماعيل بن عباد
صالح بن عبد القدوس :
رمسه ١ : ١٤٥ جدل ١ : ١٤٤
خبيل ١ : ١٤٥ الموقى ١ : ١٤٥
صخر بن حبناء :
غار : ١ : ٣٧٨
صدقة بن نافع الغنوى :
مسيرها ٢ : ١٥١
الصلتان العبدى :
الرائح ٢ : ١٩٩ (ويروى زيادا الأعجم)
وصفائح ٢ : ٣٠١
الصموت الكلابى :
للحدنان ١ : ٣٠٢
صنان :
البلد ٢ : ٨
ضابى بن الحارث البرجمى :
يخبب ٢ : ١٠٤ وحلائله ١ : ٣٣٣
ضاحية الهلالية :
فأميل ٢ : ٢٤٢ مايبا ٢ : ٢٤٢
يمانبا ٢٢ : ٢٤
الضمري :
الربيع ١ : ٢٢٦
طرفة بن العبد :
طباخ ١ : ٩٢ معبد ١ : ٣٤١

سوار بن حيان المنقرى :
أشكلا ١ : ١١٣ ، ٥٩٢
سويد بن عامر المصطفى :
إنسان ١ : ٣٦٨
سويد بن أبي كاهل :
الجزع ١ : ٢٣٠ / ٢ : ٣٣٨ منتزع
٥٨٣ : ١
السيد الحميرى :
العلماء ٢ : ٣٤٠ للمغرب ٢ : ٣٤٠
مغرب ٢ : ٣٤٣ قباحا ٢ : ١٤٢
طرافها ١ : ٥٧٣
شبرمة بن الطفيل :
المزاهر ١ : ٣٣٢
الشمخ :
الأركب ١ : ٣٤٣ الحجر ١ : ٤١
تمدرا ١ : ٥٥٦ بترحال ١ : ٥٦٠
عين ١ : ٧٢ مصطلاها ٢ : ٣٠
راكز ١ : ٥٨١ شموع ١ : ٤٩٣
الشمردل :
شمائله ١ : ٩٧
الشنفرى :
أم عامر ٢ : ٧٣ (ويروى لتأبط
شرا) تتامل ١ : ٥٨٧ تحل
٢٨٠ : ١

مراقب ١: ٥٧٤ ساجر ١: ٤٥٩
تمار ١: ٤٣٧ سطر ١: ٤٠٠
راس ٢: ٦٤ وأوجاعى ١: ٤٦٠
العباس بن مرداس :
مايطيق ١: ٢١٧
عبد الرحمن بن الحكم :
الدهرى ١: ٥١
عبد الصمد بن المذل :
البارد ٢: ٦٢
عبد الله بن الزبير الأسدى :
الكر الكري ١: ٣٨٦
عبدالله بن عبدالأعلى (ابن كناسه) .
مصونها ١: ١٧١
ابن عبدل الأسدى :
قرضى ١: ٦٣٤
عبد المسيح بن بقبيلة :
المزيد ١: ٢٦٣ ومهجور ١: ٢٦٢
السديري ١: ٢٦٢ الحصون ١: ٢٦٢
عبد مناف الهذلى :
الشردا ١: ٢، ٣: ٣١
عبدة بن الطيب :
تحليل ١: ١/٣٣٣ ٢: ٥١ يترحا
١: ١١٤

المتشدد ١: ٣٨٢ التوقد ٢: ٢٤٢
ويعد ٢: ٢٥٨ بالظهر ١: ٥٢
ينتقر ١: ٣٥٤ عرضي ١: ١٨٥
الطرماح :
ضلت ١: ٢٨٩ للجناحين ١: ٣٥١/
٢: ٨٣
طريح بن إسماعيل الثقفى :
عادا ١: ٥٧٤ يجزع ١: ٥٣٣
مقنع ١: ٦٠٢ طويل ١: ٥٧٠
طفيل الغنوى :
كوكب ١: ٢٥٨ إصبغ ١: ٣١٩
أبو الطمجان القينى :
أضاءوا ١: ٢٠٩ صاحبه ١: ٢٥٧
لصيد ١: ٢٥٧، ٤٦٦ يكدر ١: ٢٥٩
وأحرز ١: ٢٦٠ دفينها ١: ٢٥٩
ابن الطيفان = خالد بن الطيفان
ابن أبى عاصية :
مسافر ١: ٢٢٦
عباد بن أذينة :
والكلال ١: ٥٨٢
عباد بن أنف الكلب :
خيار ١: ١٠٢
العباس بن الأحنف :

عدي بن زيد :
تجورُ ٢ : ٧٤ القنيصُ ٢ : ١٩١
بالرجالُ ١ : ٥٦ وأذنُ ١ : ٣٣
ومينا ٢ : ٢٤٨
عروة بن أذينة :
ثيابها ١ : ٤١٣ ذاهبات ١ : ٤١٥
أبتردُ ١ : ٤١٣ فاستتر ١ : ٤١٣
هوئى لها ١ : ٤١١ يأتينى ١ : ٤٠٩
يشفئني ١ : ٤١٥
مكنون ١ : ٤١٤
عروة بن حزام :
ديب ١ : ٤٥٩
عروة بن الورد :
غفور ١ : ٥٠ وزور ١ : ٢٠٦
أبو عطاء السندی :
قصار ١ : ٥٧١
عقيل بن علفة :
وأخلاقا ١ : ٣٧٤ بالجاجم ١ : ٣٧٣
الأضغان ١ : ٣٧١
المكوك :
بالمطاء ١ : ٥٢٢ حاتم ١ : ٢٩٠
علقة بن عبدة :
ملزوم ١ : ٤٦٠ مهجوم ١ : ٥١٢

عبيد بن الأرص :
تلعب ١ : ٥٦
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
الهجر ١ : ١١٩ تقطر ١ : ٤٤٩
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :
أليح ١ : ٤٠١ أعذر ١ : ٣٩٩
أكثر ١ : ٤٠٠ يسير ١ : ٤٠٠
أبا بكر ١ : ٣٩٨ واسمه ١ : ٣٩٩
عبيد الله بن قيس الرقيات :
غلوأها ٢ : ١٤٠ مصعب ١ : ٥٢٨
شميه ١ : ٥٦٨ نهارها ١ : ٨٢
والتميم ١ : ٣٢٦
العتابي :
بالمعذر ١ : ١٠٢
أبو العتاهية :
تنوب ١ : ١٩٦ أتت ١ : ٥٣٣
صباؤها ١ : ٤١٦ بالدرس ٢ : ٤٢
قليل ٢ : ٢٢٨ ومالي ١ : ٢٩١
الكلوم ١ : ١٨٨ تزين ١ : ٤١٥
عدي بن الرقاع :
ديب ١ : ٢٧٧ وفسادها ١ : ٥٦٧
أبلادها ٢ : ١١ إيقادها ٢ : ٣٢
مدادها ٢ : ٣٠٣ القاسم ١ : ٥١١
نسجاها ١ : ١٠٣

عمرو بن قينة :
لجأى ٤٥:١
عمرو بن كلثوم :
الجاهلينا ١: ٥٧، ٣٢٧/٢: ١٤٧
صفونا ١: ١٠٥، ٢٠١ جنينا
١: ٥٥٩ تشمونا ٢: ٤٩
عنترة :
عمارا ١: ١٥٦ الأجدم ١: ٢/٩: ١٢٤
بتووم ١: ٣٣٧، ٥٧٠ المنعم ١ :
٣٥٥ مصرم ٢: ٧٢ الديلم ٢: ٨٤
وتحمحم ٢: ٣٥٣
ابن عنقاء الفزاري :
جائع ٢: ٢١٢
عوف بن الخرع :
قفارا ١: ٦١٥
أبو العيص المازني :
الحبيب ٢: ٢٢٢
عمينة بن حصن :
الظنون ١: ٥٣١
الفرزدق :
أطايبه ١: ٦٠٥ منيها ١: ٦٩
بالمصائب ١: ٥٨ القصائد ١: ٣٥٣
العبيد ١: ٦٢ توعد ٢: ٢٨٢
عيزها ١: ٢٣٠ المكفر ٣: ٢٨٣
عشاري ١: ٨٠ أطلس ٢: ٢١١

مشئوم ١: ٥٧٨
علي بن جبلة :
مشيب ١: ٥٩٨
علي بن الجهم :
معذب ٢: ٦٢ ويحفد ١: ١٤٦
والنجر ٢: ٦٣
علي بن الخليل :
للولد ١: ١٣٢ جأس ١: ١٤٧
عمارة بن عقيل :
رسولا ٢: ٤٣
العماني :
راقود ١: ٣٦٢
عمر بن أبي ربيعة :
عتابي ١: ٥٠٥ والتراب ٢: ٢٨٩
أتراب ١: ٣٤٥ الشباب
١: ٥١١ تتقنا ١: ٤١ بالنعل
١: ٥٧٣ تجمنا ١: ٣٦٣ يلتقيان
١: ٣٤٨ مني ١: ٥٠٦
عمران بن حطان :
بالناس ١: ٦٣٦
عمرة بنت عجلان :
السؤالا ٢: ٢٤٣
عمرو بن أحر = ابن أحر
عمرو بن براق :
سائم ٢: ٢٦٦

لغروب ١٤٠:٢

قيس بن زهير:

الإرصاد ١: ٢١٠ بالكرامه ٢: ١٤٩

لايريم ١: ٢١٤ شفاني ١: ٢١٤

قيس بن عاصم:

الورد ٢: ١٦١ (ويرى لحاتم)

أمورها ١: ١١٤

كثير:

فشلت ١: ٤٦ ذلت ١: ١٩٦

وتخلت ١: ٤١٤ ثقلت ٢: ٢٣٤

ماسح ٢: ٣٥٩ يمودها ١: ٣٢٥

بُرَاد ٢: ١٧٨ تاجر ١: ٤٩٧

وعرارها ١: ٢٢١ لوامقه ٢: ٢٦١

ترائك ١: ٥٦٢ فأذالها ١: ٢٧٨

قديم ٢: ٣٣ مُنَحْن ٢: ٣٤

كعب بن زهير:

باليد ١: ٤١٨ أسفا ٢: ١٦٨

مرمل ١: ٤٢٤ المساقيل ١: ٥٥٨

كعب الغنوي:

مجيب ١: ٦٠٤

الكميت:

يلمب ١: ٦٦ والشنب ٢: ٢٥٤

ولارهب ٢: ٨٠ حسدوا ١: ٤١٤

لم ينطق ١: ٥٩ لم يلحق ١: ٩٩

أجدعا ١: ٧ الطوالع ٢: ١٤٨

والأفارع ٢: ٢٨٢ وعجرف

١: ٥٨٢ وأضيقا ١: ٦٥ قالا

١: ٩٢ حلالا ١: ٢٩٦ وجروول

١: ١٨٥ يتصرم ١: ٣٠٤

وغيومها ٢: ١١٥ العلم ١: ٦٨

١: ٥٢٥ ومقاي ١: ٦٣

ومحرم ١: ٢١٨/٢: ٥٢ الكارم

١: ٥٩١

فضالة بن وكيع:

كثيب ٢: ١٧٤

القتال الكلابي:

بالمرتاب ١: ١٤

القطاي:

انقشاعا ١: ٤١٨ الأول ١: ٢٠٣

الهبيل ١: ٣٦١ تتكل ١: ٦١٨

الطيب ٢: ١٨

قطري:

مجتلد ١: ٦٣٨ تراعي ١: ٦٣٦

ونعيم ١: ٦٣٩

قمنب بن ضمرة الفزاري:

لأعا ١: ٣٦١ (ويروى للرقش الأصفر)

أذنوا ١: ٣٢

قيس بن الخطيم:

راكب ١: ٣٣٠ قريب ٢: ٣٩٣

١: ٥٤١ محسوب ١: ٥٤٥

مالك بن الرب :
النواجيا ٣٠٤:٢
المأمون :
فرس ٨٢:١
ماني الموسوس :
الرمق ١٢٨:٢
المتلمس :
عواقبه ١٨٥:١ السوس ١٨٥:١
الأنفس ١٨٤:١ مظل ١٨٤:١
أجدما ٥:١
متم بن نيرة :
عفاق ٥٨:٢
المتني :
الإنضاء ٥٦٣:١ شراب ٤٠٠:١
الكذب ٤٠:٢ الورد ٥٦٧:١
جلدي ٤١:٢ أربما ١٢٨:٢
غزالا ١٢٩:٢ خال ٣٥:٢
الظلم ٣١٧:٢/٩٣:١
المتنخل الهذلي :
والملاط ٤٩٣:١ قواه ٣٠٦:١
الثقب العبدى
ومرجبا ١٦٩:٢
المجنون :
المخضب ٢٥٥:٢ لصبور ١١٨:١
(ويروى لأبي دهبل) رآني ٣١٠:٢

الشجر ٥٦٨:١ صفار ٤٥٦:١
العدار ١٠٢:١ مشتمل ٥٩:١
مَيْل ٣٢:٢ السوام ٦١٧:١
متجاهلينا ٣٦٣:١
ابن كنفاسة = عبد الله بن عبد الأعلى
لبيد :
الغريا ١٩١:١ مضر ١٧١:١
٥٥:٢ فاجر ٤٥٧:١ بلاتع
٤٥٣:١ وعجل ٢١:١ فاتبه
٤٥:١ المتبذل ٥٤٧:١ الأوائل
١٧١:١ التسويم ٦١٨:١
للحمام الحراني :
كالجمد ٥١٣:١
اللمين النقرى :
والخور ١٨٤:٢ النبال ٥٨٥:١
لقيط بن زرارة :
خشما ٦٦:٢
ليلي الأخيلية :
محتقر ١٩:٢ الصنابر ١١٩:٢
الأسافل ١٢٤:١ سقيا ٤٩٧،٥٨:١
مالك بن أسماء :
وزنا ١٤:١
[مالك بن حريم] :
قائم ٢٧٣:٢

عجولهُ ٦١٩:١ وزمزمًا ١١٥:١
وسلمهُ ٤١٠:١ عواربها ٤٣٣:١
المرقش الأصغر :
لأثما ٢٤٦:٢
المرقش الأكبر :
مايعلم ٧٨:٢ عم ٢٥٧، ٢٥٥:٢
مرة بن محكان :
غضبا ٩٥:١
مروان بن أبي حفصة :
تلَهَّبُ ٥٨٧:١ غرابها ٥٨٨:١
يحتنبُ ٥٧٤:١ الأحساب ٢٢٦:١
وأقعدا ٥٧٢:١ تقيدا ٥٨٠:١
البوائدُ ٥١٩:١ القدرًا ٥٨٧:١
البلاقعُ ٥٢٤:١ تمتمًا ٥٧٨:١
شراكا ٥٨٢:١ دلالها ٥٤٠:١
كلالها ٥٤٣:١ لها ٥٦٩:١
النعلُ ٥٧٢:١ أشبلُ ٥٨٧:١
باطلُهُ ٥٣٢:١ تقابلُهُ ٥٧٢:١
وابلُهُ ٤٣:٢ مغنا ٥٣٥:١ زحام-
٢٧٥:٢ شيبان ٢٢٤:١
مزاحم العقيليّ :
ينجلي ٢٥٨:١ ألوم ٥٣:١
مساور الوراق :
زنديقُ ١٣٤:١
المستوغر :
الوغير ٢٣٤:١ مئينا ٢٣٤:١
ندايا ٢٣٥:١

محرز الضبي :
ماجشموا ١٧:١
محمد بن حازم :
شكل ٦٠٦:١ يديه ٦٠٨:١
(ويروي لمحمود الوراق)
محمد بن خارجة :
الخدّام ٢٩١:٢
محمد بن عبد الملك الزيات :
لم يرقُد ٥٢٤:١ التبديد ٥٣٦:١
محمد بن يزيد الكاتب :
يتسقُ ٤١٦:١
محمود الوراق :
أب ١٧١:١ السكهل ٦٠١:١
يديهِ ٦٠٨:١ (ويروي لمحمد بن
حازم)
الحبل السمدي :
رسمُ ٨٨، ٣١:٢
الخزومي = الحارث بن خالد
المرار بن سعيد الفقعسيّ :
الطبلاء ٣٢٨:١ صاحبه ٣٠٦:١
الجدجد ٥٥٨:١ عقرُ ١١٢:٢
التمنّس ٥٦١:١ لطمُ ٣٤:٢
الشريف المرتضى :
يدي ٤١١:١ مجهودي ٦٢١:١
فنورًا ٦٠٢:١ الزائر ٥٤٦:١

الأزمانُ ١: ١٤٢
ابن المعتز :
رقيب ٢: ١٢٧ الصوايح ١: ٥٨٨
وقد ٢: ١٣٠ لأكبر ١: ٥٣٤
الزهر ١: ٤٣٨ من حق ٢: ٤٢
معدى كرب الحميري :
جديد ١: ٢٠٣
مقرر البارقي :
هومها ١: ٣٢٥ (ويروى للممزق
العبدى)
معن بن أوس :
تقبل ٢: ٢٦١
معن بن زائدة :
لجود ١: ٢٢٣
معوذ الحكماء = ربيعة بن مالك
ابن مفرغ الحميري :
الغمامه ١: ٥٢ هامه ١: ٤٤٠
ابن مقبل :
بالسحر ١: ٢١٧ حزن ١: ٥٣
البينا ١: ٢٩١ الفيضينا ١: ٤٦٧
ويرتديان ١: ١٠٤ فلان ٢: ١٧٣
ابن المقفع :
قوت ١: ١٣٤ وقع ١: ١٣٥
المقفع الكندي :
العبداء ٢: ١٦١

مسكين الدارمي :
الحسب ١: ٦٣٣ للصخب
٢: ١٦٠ راغب ١: ٤٧٣ زعتها
١: ٤٧١ ودجا ١: ٤٧٤ تفر ١: ٤٧٥
شبرا ١: ٤٧٦ عقرا ٢: ١١٨
الجدُر ١: ٤٣ الجدُر ١: ٤٧٢
الدَّهر ١: ٤٧٢ جاعها ١: ٣٩٩
مقنع ١: ٤٧٥ حين ١: ٤٧٦
مسلم بن الوليد :
الشيبة ١: ٤٣٨ مودود ١: ٦٠٨
عود ٢: ٢٥٠ يسترجع ٢: ٤١
بيخل ١: ٥٢٢ والجهل ١: ٥٣٤
قبل ١: ٥٦٨ جليل ١: ٤٨٨
مميل ١: ٦٠٧ ظلمان ١: ٥٥٤
المسيب بن علس :
قاع ١: ٥٦٠
المضرب :
ركوب ١: ٤٥٨ المسائح ١: ٤٥٨
مضرس بن ربيعي :
الحسد ١: ٣٢٦ ناصر ٢: ١٩٢
نصيرها ٢: ١١٩
مطروود بن كعب الخزاعي :
مناف ٢: ٢٦٨
مطيع بن إياس :
الصفح ١: ١٤٣ البهم ١: ١٤٤

عاقِل ١: ٢١٦، ٢٠٢: ٢ التمام ٢: ١٦
فانهدمَا ١: ٣٣٣ إظلام ١: ٥٢
العيون ٢: ١٧ تغنى ١: ٣٤ منى
٣٦: ١

نابغة بنى شيبان :

النجش ١: ٦٣٠

النائبى أبو العباس :

جلنار ٢: ١٢٧

النجاشى :

مجل ٢: ٢١١

نصر بن سيار :

الحسدا ١: ٤١٤

نصيب الأصغر :

ويزهراً ١: ٤٣٨

نصيب الأكبر :

قارب ١: ٦١ بالهجر ١: ٤٣٦

سلاهما ١: ٥٨٠ بالترنم ١: ٣٣٠

النظار الفقمسى :

وسماء ١: ٤٨٨

النظام :

الإبعاد ١: ١٨٨ أثر ١: ١٨٨

اللطف ١: ١٨٨

النمان بن المنذر :

قيلا ١: ١٩٣

المزق العبدى :

أمزق ١: ٣٢٥ همومها ١: ٣٢٤

(ويروى لعقرا البارقى)

منصور النمرى :

أزورا ١: ٦١٢ شطير ٢: ٢٧٤

بر ٢: ٢٧٥ يرتجع ١: ٦٠٦

بالباطل ٢: ٢٧٦ غليل ٢: ٢٧٦

بالأحوال ٢: ٢٧٥ ولم تميم

٢٧٨: ٢ هارون ٢: ٢٧٦

المهلل :

أدم ٢: ٢٦٨

المؤمل بن أميل :

قيودا ١: ٥٨٠ بدا ٢: ٩٦ والوعور

١٠٠: ١

ابن ميادة :

بهر ١: ٣٤٦

النابة الجمدى = الجمدى

النابة الذيبانى :

يتذبذب ١: ٤٨٧ مذهب ٢: ١٧

الغراب ١: ٥٥ الرمد ١: ٢٢٩

يدى ١: ٣٧٩ البرد ١: ٥٦٢ باليد

٤٤٦: ١ ندى ١: ٥١٣ عار ٢: ١٦٠

وازع ١: ٢٦٤ واسع ١: ٥١٢ /

١٧: ٢ يزولا ٢: ٦١ وابل ١: ٥٤

- التمر بن تولب :
أبكارها ١١٩:٢ زعما ٣٢٥:١
نهشل بن حرّى :
الأسود ٥٤٦:١ يتغيرا ٥٦٨:١
اشتياقى ٢٢٦:٢
أبو نواس :
مفتاب ٤١٥:١ الذهب ١٢٦:٢
بمّتاب ٢٥٥:٢ القبيح ١٣٤:٢
أحد ١٣٢:١ السكر ٢٨٠:١
ودارس ١٩٨:١ عريق ١٧٢:١
ترهيق ١٠٣:١ وزنديق ١٤٣:١
والما كول ٤٠٠:١ والنيل ٥٩٦:١
والهزل ٦٠٧:١ الشرا كان ٥٧٣:١
الله ٥٢٥:١
ابن هرمة :
كلابى ١١٣:٢ الحسد ٣٢٦:١
تهتف ١١٦:٢ الوسائل ٤٦٢:١
ضئيل ٥٧١:١ معصم ١١٣:٢
أبو هفان :
السّدْف ٥٩٩:١
هلال بن خثعم :
اغتيابها ٣٧٩:١
- أبو الهندى :
المحل ٢٩١:٢
الوالى = رفيع
والبة :
سجد ١٣٢:١
الوأواء :
بالبرد ١٣٠:٢
أبو وجزة السعدى :
إزارها ٤٦١:١ الجنافا ١١١:٢
ودفة الأسدى :
كدر ٢٢٢:١
ورقاء بن زهير :
أبادر ٢١٣:١
ولادة المهزمية :
مقامى ٢٤١:٢
الوليد بن عقبة :
تريم ١١٠:١
الوليد بن يزيد :
الحساب ١٣٠:١ صيودا ١٣١:١
عنيد ١٣٠:١ الخرا ١٣١:١
يازار ١٢٩:١
يحيى بن خالد البرمكى :
رحاها ٦٠٩:١

٨ - فهرس الأعلام*

إبراهيم بن رياح :	(أ)
١٩٧ : ١	آدم (عليه السلام) :
* إبراهيم بن سيار النظام :	١ : ٤٧٠ ، ٤٧١
(١٨٧ - ١٨٩) : ١	٢ : ٧٠ ، ٨٦ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ٢٣٤ ،
إبراهيم بن العباس الصوليّ :	٣٣٣ - ٣٦٣
١ : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ،	آصف بن برخيا :
٤٨٢ - ٤٨٨ ، ٥٢٣	٢ : ٣١٩
٢ : ٩٢	الأمديّ :
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن :	١ : ٦١٠ - ٦١٣ ، ٦٢٣ - ٦٢٦
١ : ١٦٩	٢ : ٩١ - ٩٥ ، ٢٣٠
إبراهيم (ولد محمد عليه السلام من	أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ :
مارية القبطية) :	١ : ١٣١ ، ١٨٧
١ : ٧٧	أبان (بن تغلب) :
إبراهيم بن محمد بن شهاب :	١ : ٤
١ : ١٩٩	إبراهيم (عليه السلام) :
إبراهيم بن محمد بن عرفة النحويّ	١ : ١٦١ ، ٢٧٥ ، ٣٦٩
المعروف بنفطويه :	٢ : ٢٨ ، ١٥٤ ، ٣٩٤
١ : ٥١ ، ٥٩ ، ٢٩٥	إبراهيم بن إسحاق الموصليّ :
٢ : ٢٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٣١	٢ : ١٥٢
إبراهيم بن المنذر :	إبراهيم التيميّ :
١ : ٣٩٧	١ : ٤٥٧
	إبراهيم بن الخصيب :
	١ : ٥٩٦

* الأعلام التي بجانبها نجمة هي الأعلام التي وضع لها المؤلف ترجمة ، والأرقام التي بين قوسين هي مواضع الترجمة .

أحمد بن خالد النحاس (أو النحاس) :

١ : ٢٠ ، ١٢٩

أحمد بن خلاد :

١ : ١٣٨

أحمد بن أبي دؤاد :

١ : ١٩٥-١٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٤٨٧

أحمد بن دينار بن عبد الله :

١ : ٥٩٣

أحمد بن عبد الله بن العباس الصوليّ :

١ : ٤٨٢

أحمد بن عبد الله العسكريّ :

١ : ١٥

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

١ : ٦

أحمد بن عبيد الله :

١ : ٦٢٦

أحمد بن عبيد الله بن عمار أبو العباس :

٢ : ٢٤٩ ، ٢٥٤-٢٥٧

أحمد بن عبيد بن ناصح النحويّ :

١ : ١٩٣

٢ : ١٩١

أحمد بن عمر البرذعيّ المتكلم أبو الحسن :

١ : ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٩٩

إبراهيم بن المهديّ :

٢ : ٢٤٩ ، ٢٥٠

إبراهيم النخعيّ :

١ : ٢٨٧

إبراهيم بن نوح النصرانيّ :

١ : ٣٠١

إبراهيم بن يزيد الخوزيّ :

١ : ١٦٣

أبي بن كعب :

٢ : ٧٥

أنال بن الفرعاء :

٢ : ٢٩٢

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل :

١ : ١٢٩

أحمد بن إبراهيم الكاتب :

١ : ١٤٢

أحمد بن إسماعيل أبو عليّ :

١ : ٢٧٥

أحمد بن جندل السعديّ :

١ : ٥٩١

أحمد بن حيان :

٢ : ١٥

أحمد بن خالد أبو سميد الضرير :

٢ : ٢٨٥

- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذريّ :
٢٦١ : ٢
- أحمد بن يحيى أبو الحسن :
٤١٣ : ١
- أحمد بن يزيد المهلبيّ :
٤٢ : ٢
- أحمد بن يوسف :
٢٧٥ : ١
٢٦٩ : ٢
- الأحمر :
٣٥٤ : ١
- ابن أحر = عمرو بن أحر
الأحنف المكبريّ :
١٤٥ : ١
- الأحنف بن قيس :
١١٢ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ،
٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٨٨
- أبو الأحوص :
٣٥٤ : ١
- الأحوص بن محمد :
١٣٥ : ١
- ٦٦ ، ٦٥ ، ٦١ ، ٦٠ : ٢
- أخزم الطائيّ :
٣٧٤ : ١
- أحمد بن عمرو بن إسماعيل :
٥٣٠ : ١
- أحمد بن فارس :
٤٥ ، ٤٣ : ٢
- أحمد بن كامل :
٢٢٧ ، ١٣٠ : ١
- أحمد بن محمد الجوهريّ :
٥٣٠ : ١
- أحمد بن محمد بن الفرات أبو العباس :
٤٨٥ : ١
- أحمد بن محمد المكيّ :
٥٠٩ ، ٢٠ : ١
٦٤ : ٢
- أحمد بن المدبر :
٥٦٩ : ١
- أحمد بن المعتصم :
٢٨٩ : ١
- أحمد بن يحيى ثعلب :
١٠٦ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ،
١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠ ،
٢٣٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ،
٣٥٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٢ ، ٣٩٧ ،
٤٠٧ ، ٤١١ ، ٤٣٤ ، ٤٥٤ ، ٤٥٧ ،
٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٥١١ ، ٥٨٢
- ٢٥-٢ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ،
٢٢٤ ، ١٨٥

- الأخطل :
١ : ٢١٨ ، ٢٦٧ ، ٣٤٣ ، ٤٥٥ ،
٤٦٦ ، ٥٥٣ ، ٦١١ ، ٦٣٧
- إسحاق بن راهويه :
١ : ٦
- إسحاق بن سويد :
١ : ٢٠
- أبو إسحاق الطلحي :
١ : ١٢٩
- إسحاق بن الفضل الهاشمي :
١ : ١٧٣
- أبو أسماء بن الضريبة :
١ : ١١٠
- أبو إسحاق الهجري :
١ : ٣٥٤
- الأسمر الجعفي :
٢ : ٣٢
- أسماء بن خارجة :
٢ : ٢٠٧-٢١٠
- إسماعيل (عليه السلام) :
١ : ١٦١ ، ٢٢٠ ، ٢٧٥
- ٢ : ١٥٤
- إسماعيل بن إسحاق القاضي :
١ : ١٩٤ ، ١٩٥
- إسماعيل بن بليل أبو الصقر (وطبع
خطاً أبو إسماعيل) :
١ : ٣٠٣ ، ٣٠٥
- إسحاق بن إبراهيم المرروف بالزمن :
١ : ٤٨٥
- إسحاق بن إبراهيم الموصلی :
١ : ١٥ ، ٣٦٠-٣٦٢ ، ٥٠٦-٥٠٨
- ١ : ٦٠٥ ، ٥٩٦
- الأخفش :
١ : ١٣٥ ، ٥
- الأخنس بن شريق :
٢ : ٢٦٤
- الأخيطل :
١ : ٥٢١
- إدريس بن عمران :
١ : ٦٤
- ابن أراكه الثقفی :
١ : ٤٦١
- ابن أرطاة الأعرجی :
١ : ٣٥٢
- الأزهري الهروي :
١ : ٣٥٦
- إسحاق عليه السلام :
١ : ١٦١ ، ٢٢٠

٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٣،

٤٩٣-٤٩٦، ٤٩٩، ٥٠١،

٥٠٦-٥٠٩، ٥١١، ٥١٣، ٥٦١،

٥٦٧

٢-٩-١٣، ٧٧، ٨٤، ١٥١، ١٩٩،

ابن الأعرابي (محمد بن زياد) :

١ : ٥٤، ١١٣، ٢٠٧، ٢٢٢، ٣٢٦،

٣٢٩، ٣٤٥، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣،

٣٧٨، ٤٠٧، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٧٠،

٤٧٣، ٥٠٨، ٦٠٣

٢-٢٥، ١٣٤، ١٥٥، ١٦٧، ١٦٩،

١٨٤

أعشى باهلة :

١ : ٩٦، ٢٢٩

٢-١٩-٢٤

أعشى بكر = أعشى قيس

أعشى قيس بن ثعلبة :

١ : ٢١، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٧، ٤٦،

٢٢١، ٢٣٠، ٢٧٨، ٣٦٠، ٣٦١،

٤٤٥، ٤٥١، ٤٦٠، ٤٦٦، ٥٥١،

٥٧٠، ٦١٢

٢ : ٩٠، ١٠١، ١٤٠، ١٤١، ١٧٢،

١٨٩، ٢٦٥، ٣٠٣

الأعلم الشتمرى :

١ : ٢١٦

إسماعيل بن جعفر :

١ : ٤٦٢

إسماعيل بن عباد (الصاحب)

١ : ٣٦، ٣٧، ٤٠٠

إسماعيل بن عمار :

١ : ٤٩٩

إسماعيل بن القاسم = أبو العتاهية

أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) :

١ : ٢٩٢-٢٩٤، ٣٨٤، ٣٨٥

الأسود بن المطلب :

١ : ١٢١

الأسود بن يعفر :

١ : ٣٥، ٢٦٥

أشجع السلمى :

١ : ٥٢٥

الأشعث بن قيس :

١ : ٢٩٥

الأشناداني = أبو عثمان

الأصمعي (عبد الملك بن قريب) :

١ : ٢٠، ٤٦، ٦٣، ٨١، ٨٤،

٩٦، ١٢٢، ١٧٠، ١٩٤، ٢٢٢،

٢٢٩، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٦٩، ٢٩١،

٣٢٣، ٣٢٩، ٣٥٩-٣٦٢، ٣٧٣،

٣٨٧، ٤٢٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٥،

ابن الأنباري = محمد بن القاسم

أنس بن أبي أنيس :

٣٨٤:١

أنس بن أبي إلياس :

٣٨٤:١

أنس بن زياد العبسيّ :

١٨٩:١

أنس بن مالك :

٥٣ : ١

٢٠٢ : ٢

أنوشروان :

٢٦٥ ، ٦٦ : ١

الأوزاعيّ :

١٢٩ : ١

أوس بن حجر :

٣٠٥ ، ٢٦٢ ، ٢٥٧ : ١

٧٤ ، ٧٣ : ٢

إلياس بن معاوية المزنيّ :

٢٨٦ ، ٢٨٥ : ١

أيوب بن الحسين الهاشميّ :

٢٧٥ : ١

أبو أيوب الموريانيّ :

١٦٩ : ١

أبو أيوب المدنيّ :

١٤٢ : ١

الأعلم الهذليّ :

٣٥٤ : ١

الأعمش :

٢٩١ : ١

الأفشين :

٢٤٧ : ٢

أبو أمامة = النابغة الذبيانيّ

أبو أمامة (محدث) :

٤٣٠ ، ٤٢٦ : ١

امرؤ القيس :

٢٢١ ، ١٨٥ ، ١٧١ ، ١١٤ ، ٧١ : ١

٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ،

٢٨١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٣ ، ٣٥٨ ، ٣٩٧ ،

٤٥٣ ، ٤٧٨ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ،

٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٩١ ، ٥٩٦ ،

٦٢٨

٤٨٢ ، ٦٢ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠١ ،

١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٨٩ - ١٩٣ ، ٣١٠

أمية بن أبي الصلت :

٥٧٧ ، ٤٨٦ ، ٥٣٣ : ١

١٦٨ : ٢

أمية بن أبي عائذ الهذليّ :

٥٦٢ ، ١٥٧ : ١

*بشار بن برد :
١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣١ ، ١٢٨ : ١
(١٤١-١٣٧) ، ١٦٣ ، ٥٠٩ ،
٥١٠ ، ٥٥٤ ، ٦٠٧
٢ : ٣٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ،
١٣٤ ، ١٣٧-١٣٩ ، ١٤٢
بشامة بن الغدير :
١ : ٥٥٥-٥٥٦
بشر بن أبي خازم :
١ : ٣٤١ ، ٤٦٣ ، ٥١١ ، ٥١٢
٢ : ١٦٨
بشر بن عبد الرحمن الأنصاري :
١ : ٤٩٤
بشر بن عمارة :
٢ : ٩٠
*بشر بن المعتمر أبو سهل :
١ : (١٨٦ ، ١٨٧)
بشير بن الفكث :
١ : ١١١
بطليموس :
٢ : ٣٨٩
ابن ببيعة = عبد المسيح بن ببيعة الغساني :
ببيعة الغساني :
١ : ٢٦٠
أبو بكر الأنباري = محمد بن القاسم

(ب)
باب (جد عمرو بن عبيد) :
١ : ١٦٩
بابك الخرمي :
٢ : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
الباقاني :
١ : ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٨٥
البحري :
١ : ١٠٣ ، ٣٠٣ ، ٤١٥ ، ٤٦٠ ، ٥٢٠ ،
٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٣٤ ، ٥٤٤ ، ٥٣٥
٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٨٦ ،
٥٩٣-٥٩٦ ، ٦٠٠ ، ٦٠٩ ، ٦١٨-
٦٢٥
٢-٤٠ ، ٤١ ، ٤٣-٤٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ،
٩١-٩٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٣١١
بدر بن عمرو
٢ : ١٤٨
البرذعي = أحمد بن عمر البرذعي
بزرجمهر
١ : ٦٦
البسوس :
١ : ١٢٤

١٨٥ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ٧٢ : ٢

أبو تمام (حبيب بن أوس) :

١ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٨٧ ، ٤٣٥ ، ٤٨٢ ،

٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٢ ، ٥٦٣ ،

٥٨٥ ، ٥٩٩ ، ٦٠٩ - ٦١٣

٢ - ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٣

١٧٨ ، ٢٤٧ - ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،

٢٥٤ - ٢٥٦

ابن التوهم الرقائسي :

١ : ٢٧٣

توبة بن الحمير :

١ : ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٣٦٣ ، ٤٥٠ ،

٢ : ٥٧ ، ١١٩

التوزي :

١ : ١٩ ، ٣٤٥ ، ٤٦٢ ، ٦٣٦ ،

تميم بن عمرو = جمح بن عمرو

(ث)

ثابت البناني :

١ : ١٥٩

ثابت قطنة المتكي :

١ : ٢٣٧ ، ٤٠٧ ، ٤١٠ ،

أبو بكر بن حزم :

١ : ٣٩٨ ، ٣٩٩

أبو بكر بن دريد = محمد بن الحسن

أبو بكر المبدى = محمد بن عبد الله

أبو بكر بن عياش :

١ : ١٥٩

بكر بن عيسى :

٢ : ٤٢

بكر بن النطاح :

٢ : ٩٧

أبو بكر الهذلي :

١ : ١٥٨ ، ١٦٢

٢ : ١٠٩ ، ٢٨٤

البكري = أبو عبيد البكري

بلال بن أبي بردة :

١ : ١٩

البلخي = أبو القاسم البلخي

بلقيس :

٢ : ٣١٩

أم البنين بنت عمرو بن عامر بن ربيعة

ابن صمصمة :

١ : ١٩٣

(ت)

تأبط شرا :

١ : ٢٨٠

جابر بن عبد الله :
٣٩٦ : ١
الجاحظ = عمرو بن بحر
جحظة :
٥٧٥ : ١
جذيمة بن مالك الأبرش
٢٦٥ : ١
جران العود :
١٤٣ ، ١٢٧ : ٢
الجرباء بنت عقيل بن علفة :
٣٧٤ ، ٣٧٣ : ١
جرول = الحطيئة
ابن جريج :
٥٠٣ : ١
جرير بن خرقاء المجلي :
٣٠٤ : ١
جرير بن عبد المسيح الضبي = المتلمس
جرير بن عبد العزى = المتلمس
جرير بن عطية :
٥٤١ ، ٣٩٧ ، ٣٢٥ ، ٢٨٩ ، ٥١ : ١
٥٨٠
١١-٢ ، ١٢ ، ٢٥ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٢ ،
٢٨٤ ، ٢٥٦ ، ١٧٧ ، ١١٠

الثرى بنت عبد الله بن الحارث :
٣٤٦ : ١
ثرى بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن
الحارث :
٣٤٦ : ١
ثرى بنت علي بن عبد الله بن الحارث :
٣٤٦ : ١
ثعلب = أحمد بن يحيى
ثمارة بن الأشرس :
١٨٦ : ١
أبو ثوبة :
٥٦٩ : ١
أبو ثور :
٢٨٥ : ١
ثور بن يزيد :
١٢٩ : ١
(ج)
جابر بن حيان الصوفي :
١٤٩ : ١
جابر بن زيد :
٢٨٠ : ٣

الجمعد بن درهم :
٢٨٤ : ١
الجمعدى، واسمه قيس بن عبدالله المعروف
بالنابغة :
٦١٦، ٢٦٩-٢٦٣، ٢٠٢، ٩٥ : ١
١١٦ : ١
أم جميل بنت حرب بن أمية (حمالة
الخطب)
٢٧٦ : ١
جميل بن محفوظ المهلبى :
١٣١ : ١
جميل بن معمر :
٥٦٨ : ١
١٥٧ : ٢
جنوب (أخت عمرو ذى الكلب) :
٣٥٤ : ١
الجنيد بن عبدالرحمن المري :
٩٠ : ٢
ابن جنى = عثمان بن جنى
أبو جهل بن هشام :
٣٤٢ : ١
٢٦٤ : ٢
جهم بن شبل الكلابى :
٤١ : ٢
أبو الجواز الواسطى :
٦٤ : ٢
الجوهري (صاحب الصحاح) :
٤٥٧، ٢٢١، ٢١٢ : ١

الجمعد بن درهم :
٢٨٤ : ١
الجمعدى، واسمه قيس بن عبدالله المعروف
بالنابغة :
٦١٦، ٢٦٩-٢٦٣، ٢٠٢، ٩٥ : ١
١٤٥ : ٢
جعفر بن حرب :
٢٤٧ : ٢
جعفر بن سليمان :
٤٦١، ١٣٤ : ١
جعفر بن أبي طالب :
٢٦٩ : ١
جعفر بن على :
١٥١ : ١
جعفر بن قدامة :
٥٠١ : ١
جعفر بن كلاب :
٢٣٠، ٢١٢ : ١
جعفر بن محمد الصادق أبو عبد الله :
٢٨٤، ٢٨٣، ١٤٩ : ١
أبو جعفر المدنى :
٢٨٠ : ٢
أبو جعفر المنصور = المنصور
جعفر بن يحيى البرمكى :
١٠١ : ١

الحارث بن عمرو بن الشريد :
٢١٣ : ١
الحارث بن عمرو النسائي المحرق :
٢٦٥ : ٢
الحارث بن كعب المذحجي :
١ : (٢٣٢-٢٣٤)
الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم :
١٦٣ : ١
حارثة بن بدر الغداني :
١ : (٣٨٨-٣٨٠)
٢٢٨ : ٢
أبو حازم :
٢٨٦ : ١
حباة (جارية يزيد) :
٦٦ : ٢
ابن حبيب = محمد بن حبيب
حبيب بن بديل :
٢٢٣ : ١
حبيب بن شهيد :
٤٥٤ : ١
حجاج (محدث)
٤٥٤ : ١
الحجاج السلمي :
٥٣٠ : ١

أبو جويرية العبدى :
٥٧١ ، ٤٨٣ : ١

٩٠ : ٢

(ح)

أبو حاتم السجستاني (سهل بن محمد) :
١ : ٦٠ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ،
٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٥٨ ،
٤٣١ ، ٦٣٥ ، ٦٣٩

١٠٢ ، ٢٤-٢

حاتم الطائي :

٣٨٤ ، ٢٩٤ : ١

١١١ : ٢

حاجب الفيل (واسمه حاجب بن دينار) :

١٠٥ : ٢

الحارث بن خالد المخزومي :

٤٦١ : ١

١٣٠ : ٢

الحارث بن زهير :

٢١٤ : ١

الحارث بن عباد :

١٢٦ : ١

١٦٢، ١٦٥-١٦٧، ٢٨٥، ٢٨٦،

٢٩٨، ٣٢٥، ٣٩١، ٥٠٣، ٥١٦،

٦١٧

٢ : ١٢٢ ٢٤٧

أبو الحسن بن راهويه :

١ : ١٣١

أبو الحسن الرضا = علي بن موسى الكاظم

الحسن بن سهل :

١ : ١٨١، ٣٠٠، ٣٠٢

الحسن بن عبدالغفار أبو علي الفارسي :

١ : ٢، ٢٥٣

٢ : ١٨٢، ٢٩٨

الحسن بن علي (من رواية المرزباني) :

١ : ٣٨١

الحسن بن علي بن أبي طالب :

١ : ٢٧٧

الحسن بن علي المعروف بالكسلان :

٢ : ٣٤٠

الحسن بن عليل المنزي :

١ : ٥٣٠

٢ : ٢٧٣

الحسن بن علي الواسطي :

١ : ٤٤٩

الحسن بن أبي القاسم :

١ : ٥٠١

الحجاج بن يوسف الثقفي :

١ : ١٥، ١٥٥، ١٦٠، ١٦١، ٢٩٠،

٢٩٥، ٢٩٨، ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٣٦،

٢-١٥-١٧

حجر بن الحارث الكندي :

١ : ٢٥٣

حجبة بن المضرب الكندي :

١ : ٢٥٨

حذيفة بن بدر الفزاري :

١ : ٢٠٨-٢١٠، ٢١٢، ٢١٤

حرثان بن محرث = ذوالإصبع المدواني

الحزين الكناني :

١ : ٦٨، ٤٦٢

أبو حسان الأعرج :

٢ : ٢٠١

أبو حسان (ملك اليمن) :

٢-١٠

حسان بن ثابت الأنصاري :

١ : ٣٥، ٢٤٧، ٢٦٦، ٢٦٩، ٣٣٢،

٣٤٢، ٥٨٩، ٦٣٢-٦٣٤

٢ : ٧٦، ١١٢، ١٨٨

أبو الحسن البرذعي = أحمد بن عمر البرذعي

الحسن بن أبي الحسن البصري أبو

سميد :

١ : ٦٣، ٦٥، ١٥٢، ١٥٥ - ١٥٧

- | | |
|--------------------------------|---|
| الحطيط الخارجي : | الحسن بن محمد : |
| ٢٩٠ : ١ | ٦٧ : ١ |
| الحطيئة (جرول) : | الحسن بن وهب : |
| ٦٣٩ ، ٢٩٦ ، ٢٤١ ، ١٨٥ ، ٤٩ : ١ | ١٥٣ : ٢ |
| حفص بن سليمان الخلال : | الحسين بن الخليع : |
| ١٦٣ : ١ | ١٣٢ ، ١٣١ : ١ |
| حفص بن سليمان بن المغيرة : | أبو الحسين الخياط : |
| ٢٠٦ : ١ | ١٧٨ ، ١٦٩ ، ١٦٤ : ١ |
| ٢٨١ ، ٢٨٠ : ٢ | الحسين بن الضحاك : |
| أبو حفص الفلاس : | ٤٤ : ٢ |
| ٦٣ : ١ | الحسين بن علي عليه السلام : |
| حفص بن معاوية بن عمرو : | ٥٣٢ ، ٢١٩ ، ١١٨ : ١ |
| ٢٦٢ : ٢ | الحسين بن الفياض : |
| حفص بن أبي وده : | ٦٤ : ١ |
| ١٣١ : ١ | الحسين بن محمد بن طالب : |
| الحكم بن أيوب : | ٦٧ : ١ |
| ١٦٩ : ٢ | الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادي : |
| الحكم بن عبدل الأسدي : | ٤٤٩ : ١ |
| ٦٣٣ : ١ | الحسين بن مطير الأسدي : |
| الحكم بن الوليد : | ٤٣٨-٤٣١ ، ٢٢٧ : ١ |
| ١٢٨ : ١ | حصن بن حذيفة بن بدر : |
| *حماد الراوية : | ٥٣٠ : ١ |
| (١٣٢ - ١٣١) ، ١٢٨ : ١ | الحسين بن المنذر الرقاشي : |
| | ٢٨٨ ، ٢٨٧ : ١ |

٢ : ٣٢ ، ٢١٣
حميد الطويل :
١ : ١٦٢
حنديج (قاتل زهير بن جذيمة)
١ : ٢١٣
أبو حنيس النيرى :
١ : ٥٢٢
حنظلة بن الشرقى = أبو الطمجان
القمي
حنظلة بن أبي عفراء الطائي :
١ : ٤١٦
أبو حنيفة النعمان :
١ : ١٥١ ، ٢٠٢
حواء :
١ : ٦٧
٢ : ١٥٤ ، ١٥٥ ، ٢٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٦٣
الحوفزان بن شريك :
١ : ١١٣ ، ٥٩٢
أبو حية النيرى (واسمه الهيثم بن
الربيع) :
١ : ٤٤٢ - ٤٥٠ ، ٥٢٠ ، ٥٤٩
٦٠٥
(خ)
خارجة :
١ : ٥

* حماد بن الزبرقان :
١ : ١٢٨ ، (١٣٢ ، ١٣٣)
حماد بن زيد بن درهم :
١ : ٢٨٥
حماد بن سلامة بن دينار :
١ : ٢٨٥ ، ٤٥٤
* حماد عجرد :
١ : ١٢٨ ، ١٣١ ، (١٣٣ ، ١٣٤) ١٤١
حماد بن أبي ليلى = حماد الراوية
حمدويه :
١ : ١٤٧
حمران بن عمرو بن بشر :
١ : ١١٣
حمزة بن بيض :
١ : ٥٩١
حمزة بن حبيب الزيات :
١ : ٢٠٦
٢ : ١٨٣
حمزة بن عبد المطلب :
١ : ٢٦٩ ، ٢٩٣
حمل بن بدر :
١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٤
حميد بن ثور :
١ : ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥٨١

- أبو خالد (روى عنه العكلى) :
٢٤٩ : ١
- الخيزأرزي :
٥٧٥ : ١
- الخثعمي :
٥٧٢ : ١
- خداش بن زهير :
٤٦٦ : ١
٩٥ : ٢
- خراش بن أبي خراش الهذلي :
١٩٨ : ١
- أبو خراش الهذلي :
٣٥٠ ، ١٩٨ : ١
- خروذاز :
٢٣٦ : ١
- الخرمعي :
٥٧٤ ، ٢٥٨ : ١
- الخصيب بن عبد الحميد :
٢٧٩ : ١
- الخرنق بنت بدر بن هفان :
٢٠٥ : ١
- ابنة الحسن :
٢٢١ ، ٢٢٠ : ١
- الخطيب البغدادي :
٥٠١ : ١
- خلاد الأرقط :
١٧٨ ، ١٣٤ : ١
- خالد بن جعفر بن كلاب :
٢١٤-٢١٢ : ١
- خالد بن خداش :
١٣٥ : ١
- خالد بن صفوان :
٢٩٥ ، ١٧٠ : ١
- ٢٦٣ ، ٢٦١ : ٢
- خالد بن الطيفان :
٣٧٥ ، ٢٥٩ ، ٦٠ : ٢
- خالد بن عبد الله القسري :
١٤٠ ، ٦٣ : ١
- ٢٦١ ، ١٠٢ : ٢
- خالد بن علقمة الدارمي :
١٠٩ : ١
- خالد بن الوليد :
٢٦١ ، ٢٦٠ : ١
- خالد بن يزيد (بن يزيد الشيباني) :
٤٣ : ٢
- خالد بن يزيد بن وهب :
٢٢٥ : ١

دعبل بن علي الخزاعي :
٦٠٨،٤٨٤،٤٨٣،٣٧٢:١
٢٧٠:٢
الدعجاء (أخت المنتشر) :
٢٤-٢
دكين الراجز :
٤٣٨:١
أبو دلامة :
٢٩٠:١
أبو دلف المجلي :
٦٠٨،٢٩٠:١
ابن الدمينة :
٤٩٥،٤٣٧،٤٣٦،٤١:١
ابن أبي الدنيا :
٦٣:١
*أبو دهبيل الجحفي :
٥٢٢،٥٢١،(١١٩-١١٤):١
ابن أبي دؤاد = أحمد بن دؤاد :
أبو دؤاد الإيادي :
٢٨٤،٤٢:١
٧٣:٢
*دويد بن زيد :
(٢٣٨-٢٣٦):١

خلف الأحمر :
٤٩٣،٢٨٠:١
الخليل بن أحمد :
٢١١،١٨٩،١٣٦،١٣٥:١
الخنساء (تماضر بنت عمرو) :
٢٠١،١٠٤،١٠٣،٩٩،٩٧،٧١:١
٥٠٤،٤٦٥،٣٧٠
٧٧،٤٨،٢٤،١٩-٢
ابن الخياط (عبدالله بن محمد) :
٥٢٢:١
خيرة (أم الحسن البصرى) :
١٥٢:١
(د)
داود (عليه السلام) :
٤٢٢:١
١٥٥:٢
داود بن علي :
٣٤٧:١
١٠٣:٢
داود بن أبي هند :
١٥٣:١
ابن درستويه :
٦:١
ابن دريد = محمد بن الحسن بن دريد

الربيع بن زياد العبسيّ :
٥٩٠، ٢١٠، ١٩٢، ١٨٩، ٨ : ١
*الربيع بن ضبع الفزاريّ :
١ : (٢٥٦-٢٥٣)
الربيع بن يونس بن محمد :
٢٢٦، ٢٢٥، ١٧٤، ١٧٠، ١٦٩ : ١
ربيعة = ابن أبي عمر :
ربيعة الرقيّ :
١٤٦ : ١
ربيعة بن عامر بن أنيف = مسكين
الداري :
ربيعة بن مالك :
١٩٣ : ١
ربيعة بن مقروم الضبيّ :
٣٦١ : ١
الرخيم العبديّ :
٣٢ : ٢
رزاح بن ربيعة :
٢٤٠ : ١
الرشيد :
١ : ٨٢-٨٤، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧
١٤٩، ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٣٥، ٤٥٩
٤٦٣، ٤٦٤
٢-٩-١٣، ١٠٥، ٢٧٤، ٢٧٧

(٣٧ - غرر - نان)

(ذ)
أبو ذرّ الغفاريّ :
٣٩٦ : ٢
أبو ذرّ القراطيّ :
٤٧٢، ٦٣ : ١
*ذو الإصبع المدواني (واسمه حرثان
ابن محرث بن الحارث بن ربيعة) :
١ : (٢٥٣-٢٤٤)
ذو الرمة (غيلان بن عقبة) :
١ : ١٣، ١٩، ٢٠، ٥٠، ٧٥٦، ١١١،
٢٥٩، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٣٠، ٣٣٢،
٤٤٤، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٧، ٥١٣
٥٢٢، ٥٤٨، ٥٥٩، ٦٠٥
٢-١٢، ٢٨، ٣٣، ٥١، ٩٦، ١٢٥،
١٤٠، ١٤١، ١٧٥، ٢٥٥، ٢٦٦
ذو القروح = امرؤ القيس .
أبو ذؤيب الهذليّ :
١ : ٢١٧، ٢٥٩، ٢٩٣، ٤٩٢، ٦١٦
الراعي النميريّ :
١ : ٤، ٢١٦، ٢٧٩، ٣١٩، ٣٢٢
٣٢٣
٢ : ٨، ٢٨، ٣٠، ٣١، ١٥٥، ١٦٧، ١٩٢
الربيع بن أبي الحقيق :
١ : ٥٦٨، ٥٦٧

- رفيع الوالبي :
٥٧٢، ٣٧٠ : ١
- ابن الرقاع العاملي = عدى بن الرقاع
رؤبة بن المجاج :
٥٩٨، ٢١٦، ١٥٥، ١١٩، ١٩ : ١
- زرقاء اليمامة :
٢٢٩ : ١
- ابن الزعزعة :
٢٥٠ : ١
- زفر بن الحارث :
٢٤٤ : ١
- زفر بن أبي هاشم بن مسمود بن سنان :
٢٥٩ ، ١
- زكرياء (عليه السلام) :
٣٧٩ : ٢
- زميل بن أيير الفزاري :
٢٨٩ : ١
- زهدم :
١٤٩ : ٢
- الزهري (محمد بن مسلم بن عبيد الله
ابن شهاب) :
١٢٩ : ١
- ٦٦ : ٢
- زهير بن جذيمة العبسي :
٢١٤-٢١١ ، ٢٠٨ : ١
- *زهير بن جناب الكلبي :
(٢٤٣ - ٢٣٨) : ١
- أبو روق :
٩٠ : ٢
- ابن الرومي :
٥٢٣ ، ٤٤٧، ٤٤٦، ٢٩٠، ٢٣٦ : ١
- ٦٢٧؛ ٦٢٦، ٦٠٧، ٥٩٦، ٥٩٥
١٥٢، ١٢٧ : ٢
- الرياشي :
٥١٣ ، ٦٣ : ١
- (ز)
- ابن الزبيري = عبد الله
أبو زبيد الطائي :
٢٨٥ : ٢
- زبيدة (زوج الرشيد) :
٣٣٥ : ١
- الزبير بن بكار
٤١١، ٣٤٧، ٣٤٦ : ١
- الزجاج (إبراهيم بن سهل)
٢٠٦، ٢٠٥ : ١
- ١٨٢، ٤٥ : ٢

زيد بن علي بن الحسين :
١٦٦ : ١
زيد بن عمرو بن هصيص :
١١٦ : ١
زيد الفوارس :
١٦١ : ٢
زين العابدين = علي بن الحسين
زينب بنت علي بن أبي طالب :
١٦٢ : ١
(س)
ساعدة :
٥١٩ : ١
سالم بن دارة :
٢٨٩ : ١
أبو السائب المخزومي :
٤١٢ : ١
سبأ بن يشجب :
٨١ : ١
سحيم :
٥٧٧ : ١
السدّي :
٤٧٠ : ١
السري بن الصباح الكوفي :
١٣٣ : ١
سعد بن أبي وقاص :
٣٢ ، ٣١ : ١

زهير بن أبي سلمى :
٥٦٧ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ٩٩ ، ٩٧ : ١
٦١٦ ، ٦١٦
٢ : ١٥٦ ، ١٢٥ ، ١٠٩ ، ٩١ ، ٧٩ : ٢
٢٩٨ ، ١٩٨ ، ١٩٤
زياد (ابن أبيه) :
٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٨٠ : ١
٣٨٤ ، ٣٠٤
ابن زياد (عبيد الله) :
٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ١٢ : ١
زياد الأءجم :
٧٢ : ١
٢ : ٣٠١ ، ١٩٩ : ٢
زياد بن عبيد الله (خال أبي العباس
السفاح) :
١٤٣ : ١
ابن زيد :
٩٩ : ٢
أبو زيد الأنصاري (شميد بن أوس) :
٢٦٥ : ١
٢ : ٢٨٦ ، ٨٣ : ٢
زيد بن ثابت :
٣٩٥ : ١
زيد بن حارثة :
٤٠٠ : ٢

- سمد بن عبادة :
٧٩ : ١
- سفيان بن أبرد الكلبيّ :
٦٣٦ : ١
- ابو سميّد = الحسن البصريّ
ابن أبي سميّد الثمريّ
١٠٣ : ١
- سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب :
٦٣٢ : ١
- سفيان بن عيينة :
٦٣٢ : ١
- سعيد بن جبير :
٣٣٣ : ١
- أبوسفيان، صخر بن حرب :
٢٧٦ : ١
- سعيد بن خالد الجدليّ :
٢٤٩ : ١
- سفيان بن معاوية المهلبيّ :
١٣٦ : ١
- أبو سميّد الخدريّ :
٤٢٧ : ١
- السكريّ (أبوسميّدالحسن بن الحسين):
٣٧٣ ، ٣٢٣ : ١
- سعيد بن سلم :
٥٠٨ : ١
- السكن بن سميّد :
١٠٢ : ٢
- سعيد بن سلم :
٢٦٩ : ٢
- ابن السكيت = يعقوب
سكينة بنت الحسين
٤١٣ : ١
- أبو سميّد الضريّر = أحمد بن خالد
أبو سميّد السكريّ = السكريّ
سعيد بن العاص :
٢٩٦ : ١
- ابن سلام الجحّيّ = محمد بن سلام :
سلام بن مسكين :
٦٣ : ١
- سعيد بن عبد الله بن عبد الملك :
٣٠١ : ١
- سلام بن مسكين :
٢٦٤ : ٢
- سعيد بن المسيّب :
٢٧٦ : ١
- سلم الخاسر
٥٧٢، ٥٦٢، ٥٦٧ : ١
- أبو سلمة = حفص بن سليمان
أم سلمة (هند بنت أبي أمية) :
٣١٨، ١٥٢ : ١٢٩ : ١
- أبو سميّد القبريّ :
١٦٣ : ١
- سفريّ (اسم جارية) :
١٣١، ١٣٠ : ١

سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

٣٤٨:١

سهيل بن عبد العزيز بن مروان:

٣٤٨:١

سواد بن قارب :

٥٧٦:١

سوار بن حيان النقرى :

٥٩٢،١١٣:١

سوار بن أبي شراة :

١٩٦:١

سوار بن عبد الله القاضي :

٨١:١

سوار بن المضرب :

١٥١:٢

سويد بن عامر المصطلقى :

٣٦٨:١

سويد بن أبي كاهل اليشكرى :

٥٨٣، ٢٣٠:١

٣٣٨:٢

سينويه :

٢٥٣،٦٤:١

السيد الحميرى :

٥٧٣:١

٣٤٣، ٣٤٠، ١٤٢:٢

ابن سيرين :

٤٥٤، ٢٩٨، ٢٨٦، ٢٨٥:١

سليمان (عليه السلام):

٤٢٤-٤٢١، ٤١٩، ٤١٧، ٣٥٢:١

٣٥٣، ٣٥٢، ٣٤٩، ٣١٩، ١٥٥، ٧٢:٢

سليمان الأعمش :

٢٨٠:٢

سليمان بن داود الطوسى :

٨١:١

سليمان الرقى :

١٨٠:١

سليمان بن عبد الملك :

٥١٠، ٢٩٥، ٢٨٤، ٦٢، ٦٠:١

٢٨٥، ٢٨٤، ٦٥:٢

سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس :

١٧٧:١

سليمان الفارسى :

٣٩٦:٢

سليمان بن مجالد :

١٧٥:١

سليمان بن يزيد المدوى :

١٦٨:٢

أبو السمح :

١٧٣:٢

السموئل :

٣٨٢:١

سهل بن هارون :

٤٦٠، ١٨٢:١

الشنفرى :	(ش)
٥٨٧،٢٨٠:١	الشافعى :
٧٣،٧٢:٢	٤٣١:١
ابن شهاب = الزهرى	شأس بن زهير :
شبية بن ربيعة :	٢١٢:١
٣٤٢،٢٧٥ : ١	ابن شبة = عمر بن شبة
أبو الشيص :	شبرمة بن الطفيل :
١٣٣:٢	٣٣٢:١
(ص)	شريح :
الصاحب بن عباد = إسماعيل	٢٩٦،٢٩٥:١
ابنا صاعد :	شريك بن عمرو الذهنيّ :
١٠٣:١	١٧٢:٢
صاعد بن مخلد :	شريك النيرىّ :
٣٠٣:١	٢٩٧،٢٨٩،٢٨٣:١
أبو صالح :	الشمي :
٣٢٨:١	٣٨٣،٣٨٢،٢٩٨،٢٩٢،١٥٩:١
٢٨٠:٢	١٩-١٦-٢
أبو صالح الحنفيّ :	شعيب (عليه السلام):
١٧٢:٢	٤٠٤-٤٠٢،٢٣٢:١
*صالح بن عبدالقدوس:	الشاخ :
(١٤٦-١٤٤)،١٢٨:١	٥٥٧، ٥٥٦، ٤٩٣، ٣٤٣، ٧٢:١
صالح قبة :	٥٨١،٥٦٠
٣٩٥:٢	٣٠:٢
صهار المبدىّ :	الشمردل اليربوعىّ :
٢٧٣:١	٩٧:١
	أبو الشمقمق :
	٢٦٩:١

١٠٤:٢
ضاحية الهلالية :
٢٤٣ - ٢٤٢:٢
الضحاك :
٩١:٢
الضمري :
٢٢٦:١
أبو ضمضم :
٦٣٤،٦٣٢:١
السيد ضياء الدين :
٧٦ : ١
(ط)
الطبري :
٥١٦:١
ابن الطرية :
٤٥٨:١
الطرفات (طريف وطراف وطرفة)
٢٩٨:١
طرفه بن العبد
٣٥٤،٣٤١،١٨٥-١٨٣،٩٢،٥٢:١
٣٨٢
٢٥٨،٢٤٢:٢
الطرماع
٣٥٠ ، ٢٨٩ : ١
٨٣:٢

صخر بن حبناء :
٣٧٨ : ١
صخر بن حرب بن أمية = أبوسفیان
صخر بن عمرو (أخو الخنساء) :
٩٧:١
٧٨،٧٧:٢
صخر النقي الهذلي :
٣٦٩،٣٥٥:١
صدقة بن نافع الغنوي :
١٥١:٢
صعصعة بن ناجية :
٢٨٤،٢٨٢:٢
صفوان بن يحيى :
١٤٩:١
أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل
صقر بن عبد الرحمن القلال أبو شعيب :
١٩٨ : ١
الصلتان العبدي :
٣٠٢، ١٩٩:٢
الصموت الكلابي ، أو الصموت الكلابية :
٣٠٢:١
صنان بن عباد اليشكري :
٨ : ٢
الصولي = محمد بن يحيى
(ض)
ضابي بن الحارث البرجمي :
٣٢٣:١

أبو العالية :
١ : ١٢٩ ، ٢٩٩ ، ٤٧٦
عامر بن صعصعة :
١ : ١٩١ ، ٢١٢
عامر بن الطفيل :
١ : ٥٥ ، ١٩٣
عامر بن مالك بن جمفر بن كلاب
أبو البراء (ملاعب الأسنان)
١ : ١٨٩ - ١٩٣
عائشة بنت أبي بكر :
٢ : ٢٠١ ، ٢٠٢
ابن عائشة (عبيد الله بن محمد بن حفص) :
١ : ٦٦ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥
عباد بن أنف الكلب :
١ : ٥٨٢
عباد بن شبل :
١ : ١٠٢
ابن عباس = عبد الله بن العباس
العباس بن الأحنف :
١ : ٤٠٠ ، ٤٣٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٥٧٤
٢ : ٦٤
العباس بن بكار :
٢ : ٢٨٤
عباس بن رستم :
١ : ٣٠١

طريح بن إسماعيل :
١ : ٥٣٣ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ ، ٦٠٢
طفيل الغنوي :
١ : ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٢
٢ : ١٦٩
طفيل بن مالك (فارس قرزل) :
١ : ١٩٣
أبو الطمجان القيني ، واسمه حنظلة
ابن الشرقي
١ : (٤٦ ، ٢٥٧ - ٢٦٠)
الطوسي = علي بن عبد الله الطوسي
ابن الطيفان = خالد بن الطيفان
(ظ)
ظبية بنت الكيس النمرى :
١ : ٢٠٧
(ع)
عائكة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية :
١ : ١٣٥
العاص بن وائل السهمي :
١ : ١٢١
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب :
٢ : ٦٦
عاصم بن أبي النجود :
١ : ٤ ، ٢٠٦
٢ : ٢٨١ ، ٢٨٠
ابن أبي عاصية :
١ : ٢٢٦

- أبو العباس السفاح :
٢٢٤٤ ، ١٧٣٤ ، ١٦٣٤ ، ١٥٣٤ ، ١٤٣٤ : ١
٢٠٣ : ٢
عباس بن عبد المطلب :
٢٩٣ : ١
أبو العباس بن عمار = أحمد بن عبد الله
أبو العباس المبرد = محمد بن يزيد النحوي
العباس بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس :
١٤١ : ١
العباس بن مرداس :
٢١٧ : ١
أبو العباس النصوري :
١٠٣ : ٢
أبو العباس الناشي :
١٢٧ : ٢
أبو عبد الرحمن = عبد الله بن عمر
عبد الرحمن بن أخي الأصمعي :
٤٩٩ ، ٤٦٣ ، ٤٣١ ، ٣٨٧ : ١
عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :
٥١ : ١
عبد الرحمن بن السائب :
٣٢ : ١
عبد الرحمن بن سمرة :
١٦٩ : ١
عبد الرحمن بن صالح :
٤٧٢ : ١
- عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث :
١٧ : ٢
الشيخ عبد الرحيم البغدادي :
١٢ : ١
عبد السلام البصري :
٢٣٥ : ١
عبد الصمد بن المنذر :
٣٣٢ : ١
٦٢ : ٢
عبد العزيز بن الحجاج :
١٢٨ : ١
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز :
٢٧٥ : ١
عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن
ابن عوف :
٣٩٧ : ١
عبد الكريم بن أبي العوجاء :
(١٢٨-١٢٧) : ١
ابن عبد الأسد = الحكم
عبد الله بن إسحاق بن سلام :
٥٩ : ١
١٠٣ : ٢
عبد الله بن جدعان :
١٨٩ : ١
عبد الله بن جعفر (من رواية المزياني) :
٣٨٨ : ١

أبو عبد الله الصادق = جعفر بن محمد

عبد الله بن طاهر :

١ : ١٥٣ ، ٢٢٧ ، ٥٨٥

٢ : ٤٣

عبد الله بن العباس :

١ : ٥٣ ، ١٧٧ ، ٢٧٧ ، ٢٥٤٢ ، ٠٢

٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤١

٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٢٢ ، ٤٧٠ ،

٥٠٣ ، ٥١٤

٢ : ٥٦ ، ٩٠ ، ١١٧ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ،

١٧٠ ، ٢٨٠

عبد الله بن عبد الأعلى :

١ : ١٧١

عبد الله بن عبد الملك بن مروان :

١ : ٦٨

عبد الله بن عبيد الله بن طاهر :

١ : ١١٩

عبد الله بن عثمان : (أبو القاسم) :

١ : ٣٤٥

عبد الله بن عروة بن الزبير :

٢ : ١١١

عبد الله بن علي :

١ : ١٣٦

عبد الله بن عمر بن الخطاب :

١ : ٨٩ ، ٢٥٤ ، ٣١٨ ، ٣٤١

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

١ : ٢٥٤ ، ٢٩٩ ، ٣٨٢ ، ٤٩٣ ، ٥٨٦

عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب :

١ : ١٦٩

٢ : ١١١

أبو عبيد الله الحكيم = محمد بن إبراهيم

عبد الله بن الزبير :

٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩

عبد الله بن الزبير الأسدي :

١ : ٣٨٦

عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب :

١ : ٢٥٤

عبد الله بن سعد بن ضبة :

٢ : ١٦١

عبد الله بن أبي سعد الوراق :

١ : ٦٥ ، ٢٢٥

عبد الله بن سلام :

٢ : ٨٠

عبد الله بن سوار :

١ : ٦٣

٢ : ١٠٥

عبد الله بن شبرمة .

١ : ٣٣٢

عبد الله بن شبيب :

١ : ١١٦

عبد الله بن مطيع :
٢٨٧:١
عبد الله بن معاوية الجعفرى :
٢٦٠،١٤٥،٣١:١
*عبد الله بن المقفع :
١٣١،١٢٨،١٣٤ (١٣٦-١٣٤)
أبو عبد الله بن النطاح :
١٥:٢
عبد الله بن نهيك :
٣١:١
عبد الله بن أخت أبي الوزير:
٥١:١
عبد الله بن وهب الراسبيّ :
٢٧٣:١
عبد الله بن يحيى المسكرىّ :
١٢٩:١
٢٧٣:٢
*عبد المسيح بن عمر بن قيس بن حيان
بن بقبيلة :
(٢٦٢-٢٦٠) : ١
عبد المطلب بن عبد مناف :
٢٦٨:٢
عبد الملك بن صالح الهاشميّ :
٢٩٠:١

عبد الله بن عمرو بن عثمان :
٣٩٧:١
أبو عبد الله الغزال :
١٦٣:١
عبد الله بن غطفان :
٢٠٨:١
عبد الله بن المبارك :
٨٦،٨٥،٨٣،٨٢:٢
عبد الله بن محمد، المعروف بمنقار :
٢٢٥:١
عبد الله بن مسعود :
٣٥٤،٣٤٢:١
١٨٢،٧٥:٢
عبد الله بن مسلم البكاويّ :
١٩٣:١
عبد الله بن مسلم بن جندب الهدليّ :
٤١٣:١
عبد الله بن مسلم بن قتيبة :
١٥٣،١٢٠،٥٢،١٧،١٥،٧،٥:١
٢١٧،٢١٦،٢١١،١٥٧،١٥٦
٣٢٨،٢٨٨،٢٨٧،٢٥٤،٢٣٧
— ٤٢٨—٤٢٦، ٤١١،٤٠٦،٣٣٩
٦٣٥،٦٣٢،٤٥٤،٤٣٠
٨٦،٨٢،٨١، ٥٠،١٥،٧،٦، ٥:٢
٢٠٣—٢٠١:٢٠٠

عبيد الله بن سليمان :
٤٤٦،٣٠٣:١
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
٤٤٩:١
١١٩:١
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :
٤٠١-٣٩٧:١
عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيد :
٤٠٧،٣٧٨،٣٧٠،٢٢٠،٢٠٧:١
عبيد الله بن قيس الرقيات :
٥٦٨،٥٢٨،٣٢٦،٨٢:١
١٤٠:٢
أبو عبيد الله المرزباني = محمد بن عمران
عبيد الله بن يحيى :
٣٠١:١
عبيد الله بن يحيى بن البحري :
٤٤،٤٣:٢
عبيد الله بن يحيى بن خاقان :
٣٠٣:١
أبو عبيدة = معمر بن المثنى
عبيدة الواضح :
١٩٤:١
العتابي :
١٠٢:١

عبد الملك بن مروان :
٢٥٤،٢٥٣،٢٥٠،٢٤٩،٦٩،٦٨:١
٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٣، ٢٧٨، ٢٦٧
٣٧٢، ٢٩٧، ٢٩٥، ٢٩١، ٢٩٠
٥٣٥
٢٥ - ١٥ - ١٩ :
عبد مناف بن ربيع الهذلي :
٣:١
٣١٠:٢
عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :
٣٢٦:١
عبد الواحد بن محمد الخصيبي :
٢٧٤:١
عبد الوهاب الثقفي :
١٨٧:١
عبد بن الطبيب :
٣٣٣، ١١٣:١
٥١:٢
أبو عبيد = القاسم بن سلام :
عبيد بن الأبرص :
٥٦:١
عبيد بن الحصين = الراعي
عبيد الله بن أبي الدنيا :
٤٧٢:١
عبيد الله بن زياد بن ظبيان :
٥٣٦، ٣٨٦، ٢٧٧، ٢٧٦:١

أبو عثمان المازني :	أبو العتاهية (إسماعيل بن القاسم) :
٤٤٥،١٣٨:١	٤١٦،٤١٥،٢٩١،١٩٦،١٨٨:١
٢٨٤:٢	٥٥٣
أبو عثمان النهديّ :	٢٢٩،٢٢٨،٤٤٢:٢
٤ : ١	عتبة بن ربيعة :
عثمان بن الوليد :	٣٤٢،٢٧٥:١
١٢٨:١	عتبة بن أبي سفيان :
المعراج :	٢٨٧:١
١١٩:١	العتبيّ :
عدى بن حاتم بن عبد الله الطائيّ :	٢٩٦:١
٢٩٨،٢٩٧:١	٦٥:٢
عدى بن الرقاع :	ابن أبي عتيق :
٥٦٧،٥١١،٢٧٧،١٠٣:١	٣٤٧:١
٣٠٣،١٢٤،٣٢،١٢،١١-٢	عثكلان بن ذي كواهن الحميريّ :
عدى بن زيد العباديّ :	٢٣٥:١
٥٦،٣٩،٣٣:١	عثمان بن جني :
٢٥٨،١٩١،٧٤:٢	٢:١
عدىّ بن قيس :	٣١٧:٢
١٢١:١	أبو عثمان الأشناندانيّ
عراك بن مالك :	٦٣٦،١٣٣،٩:١
٣٩٩،٣٩٨:١	عثمان الطويل :
٦٥ : ٢	١٧٨:١
ابن عرفة = إبراهيم بن محمد	عثمان بن عفان :
عروة بن أذينة :	٣٣٣،١٦١:١
٤١٦ - ٤١٠،٤٠٨:١	١٠٣ : ٢

عكرمة (مولى عبد الله بن المباس) :

٥٠٣،١٧٣:١

أبو عكرمة الضبيّ :

٤٦١،٤٦٠:١

المكلىّ :

٢٤٩:١

المكوك = علي بن جبلة

ابن علقمة :

٦٣٩:١

علقمة بن عبدة :

٥٧٨،٥١٢،٥١١،٤٦٠:١

علي بن إسماعيل الزيدىّ :

١٥ : ١

أبو علي البصير :

٣٠٤ : ١

علي بن ثابت :

١٩:٢

أبو علي الجبائى = محمد بن عبد الوهاب

علي بن جبلة الضرير، المكوك :

٥٩٨،٥٢٢،٢٩٠:١

علي بن الجعد :

١٦٩،١٥٣:١

علي بن الجهم :

٥٩٩،١٤٦:١

٦٣،٦٢:٢

عروة بن حزام :

٤٥٩:١

عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير :

٤١٢،٤١١:١

عروة بن مرة :

١٩٨:١

عروة بن الورد :

٢٠٦،٥ : ١

ابن عصفور :

١٩٤:١

أبو عطاء السندى :

٥٧١،٢٢٣:١

عطية الديبرى :

٣٥٦:١

عقال بن محمد بن سليمان :

٢٨٣:٢

عقبة بن سنان :

٢٩٢:٢

عقبة بن عامر :

٤٩٢،٤٢٦:١

عقبة بن كعب = المضرب

عقيل بن أبي طالب :

٢٧٦:١

عقيل بن علفة :

٣٧٤-٣٧١:١

أبو علي الحرمازيّ :
١٦٣ : ١
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب :
١ : ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٦٢ ، ٤٦٣
*علي بن الخليل :
١ : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، (١٤٦ ، ١٤٧)
علي بن سراج المصريّ :
١ : ٥٩٦
علي بن سليمان الأخفش :
١ : ٢٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤٣٤
علي بن أبي طالب :
١ : ١٧ ، ١٨ ، ٧٧-٧٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ،
١٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٩٢ ،
٢٩٨ ، ٥٢٥
٢-٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٣٤٠ ،
٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢
علي بن عبد الله بن سعد :
١ : ١٣٣
علي بن عبد الله الطوسيّ :
١ : ٩٦
علي بن عبد الله الفارسيّ :
١ : ١٣٣ ، ١٣٨ ، ٥١٠

علي بن عيسى الرمانيّ :
٢ : ٣٠٥
أبو علي الفارسيّ = الحسن بن عبد الغفار
علي بن محمد الكاتب أبو الحسن :
١ : ١٦ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ٢٤٩ ،
٣٠٢ ، ٣٥٩ ، ٣٨٧ ، ٤٣١ ، ٤٤٦ ،
٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩٩ ،
٥٩٣ ، ٦٢٦ ، ٦٣٩
٢-٢٤ ، ٢٦١
علي بن منظور :
١ : ٣٧٢
علي بن موسى الكاظم ، أبو الحسن الرضا :
١ : ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ،
علي بن هارون :
١ : ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٩٧ ، ٤٤٩
٢ : ١٣٨ ، ١٣٩
علي بن يحيى (من رواة المرزبانيّ) :
١ : ٢٢٥
علي بن يحيى النجم :
١ : ٤٨٥
ابن عمار = أحمد بن عبيد الله :
عمارة بن حمزة بن ميمون :
١ : ١٣١ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٨٤

عمارة بن زياد المبسّ:	عمارة بنت عجلان:
١٨٩، ١٥٦: ١	٢٤٥-٢٤٣: ٢
عمارة بن عقيل:	أبو عمرو:
٤٣: ٢	٥٠٧: ١
ابن عمر = عبد الله بن عمر	عمرو بن أحمز:
عمر بن الخطاب:	٤٦٧، ٤٥٦، ٣٧٠، ٢٢٩: ١
١٧: ٢	١٩٣، ٥٠: ٢
عمر بن داود المهاني:	أبو عمرو الأسدي:
٦٦: ١	٣٤٥: ١
عمر بن أبي ربيعة:	عمرو بن بحر الجاحظ:
١٠٩، ٤٠، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٦٣: ١	١٦٩، ١٣٩، ١٣١، ١٦، ١٥: ١
٥٧٣، ٥١١، ٥٠٦	١٧٧، ١٨٦، ١٨٣، ١٨٢، ١٧٧
٢٨٩، ١٧٦: ٢	(١٩٩-١٩٤)، ٢٣٢، ٢٨٦، ٢٤٤
عمر بن شبة:	٢٧٦، ٢٤١، ١٠٥، ٤٤: ٢
١٣٤، ١٣٥، ٢٢٦، ٣٩٧: ١	عمرو بن براق:
٥١٠، ٤٧٤	٢٦٦: ٢
عمر بن عبد العزيز:	عمرو ذو الكلب:
١٣٥، ١٣٥، ٢٧٧، ٢٨٥: ١	٣٥٤: ١
٦٦، ٦٥، ٥٧: ٢	٢٤٥-٢٤٣: ٢
عمر بن هبيرة:	عمرو بن ربيعة بن كعب المعروف
١٥٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٥١٠: ١	بالمستوغر:
عمر بن يزيد الأزدي:	(٢٣٦، ٢٣٤): ١
٦٣: ١	عمرو بن سميد بن العاص الأشدق:
عمران بن حطان:	٢٧٧: ١
٦٣٦: ١	

عمرو بن كاثوم :
١ : ٥٧ ، ١٠٥ ، ٢٠١ ، ٣٢٧ ، ٥٥٩
٢ : ٤٩ ، ١٤٧
أبو عمرو الخزومي :
١ : ٣٠٤
عمرو بن معد يكرب :
٢ : ٨٨ ، ١٨٥
عمرو بن المنذر بن عمرو :
١ : ٣٢٥
عمرو النصراني :
١ : ١٣١
عمرو بن هند :
١ : ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٦٥
العملس بن عقيل بن علفة :
١ : ٣٧٣
عميرة بنت بشر بن خازم :
١ : ٣٤١
ابن عنقاء الفزاري ، واسمه قيس بن بحرة :
٢ : ٢١٢
عنزة العبسي :
١ : ٩ ، ١٥٦ ، ٣٣٧ ، ٣٥٥ ، ٥٧٠
٢ : ٧٢ ، ٨٤ ، ١٢٤ ، ٣٥٣
عنيسة بن معدان الفيل :
١ : ٣٥٣

أبو عمرو الشيباني :
١ : ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٥٥
عمرو بن العاص :
١ : ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٢٩٢
٢ : ١٠٤
عمرو بن عامر مزقياء :
١ : ٢٦٥
عمرو بن عبدود :
١ : ٢٧٥
٢ : ٧
عمرو بن عبيد :
١ : ٢٠ (١٦٤ - ١٧١ ، ١٧٣ - ١٧٨)
عمرو بن عدى :
١ : ٢٦٥
أبو عمرو بن الملاء :
١ : ٤ ، ١١٦ ، ١٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨
٢٧٩ ، ٣٤٥
عمرو بن قلع الكناني ثم الفقيمي
أبو القلمس :
١ : ١٩٤
عمرو بن قبيصة :
١ : ٤٥ ، ٣٥٨

- العزى: أبو الميناء = محمد بن القاسم :
١٥ : ١
*ابن أبي العوجاء :
١ : ١٢٨ ، ١٣٥ (١٣٧ ، ١٣٨)
عوف بن بدر .
٢١٠ : ١
عوف بن جشم :
٢٦٥ : ١
عوف بن الخرع :
٦١٥ : ١
عون بن محمد :
٣٦٠ : ١
ابن عياش :
٢٢٣ : ١
عيسى (عليه السلام) :
١ : ١٢ ، ٢٥٤
٢ : ١٩٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ،
٣٢٨ ، ٣٢٧
عيسى بن جعفر :
٤٦٣ : ١
عيسى بن علي :
١٣٦ : ١
عيسى بن عمر :
١ : ٦٤ ، ١٥٥
أبو العيص بن حرام المازني :
٢٢٢ : ٢
- أبو الميناء = محمد بن القاسم :
ابن أبي عيينة :
٢ : ٦٣
عيينة بن حصن :
١ : ٥٣٠ - ٥٣٢
(غ)
غالب (أبو الفرزدق)
٥٨ : ١
الغلابي = محمد بن زكريا الغلابي :
أبو الغوث بن البحتري :
٢ : ٢٢٩
أبو الغول النهشلي :
١ : ١٣٣
غيلان (جد عبد الصمد بن المعذل) :
١ : ٣٣٢
غيلان بن عقبة = ذو الرمة
(ف)
ابن فارس = أحمد بن فارس
فاطمة الزهراء :
١ : ٣٤٢
فاطمة بنت الخرشب :
١ : ١٨٩
الفتح بن خاقان :
١ : ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٣٠٠ ، ٥٣٥ ، ٥٨٦
٢ : ٤١

أم الفضل بن سهل :	الفراء : ٩١
٢٩٧ : ١	١٨٢، ١٢٤، ١٣١، ١١٠، ٩١، ٤٦ : ١
أبو الفضل بن العميد :	٣٤٣، ٣٢٨، ٢١٦، ٢٠٥، ١٩٤
٢١١ : ١	٥٩١، ٥٧٧، ٤٥٤، ٣٥٦
الفضل بن يحيى :	١٤٥، ١٢٠، ٨١، ٥٦، ٥٢-٢
١٣، ٩ : ٢	٢٩٠، ١٤٧
(ق)	الفرزدق :
القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان :	١٦٩، ٨٠، ٧٢، ٦٩-٥٨، ٧ : ١
٤٨٦ : ١	٢٦٩، ٢٥١، ٢٣٠، ٢١٨، ١٨٥
٢٨٤ : ٢	٥٢٥، ٣٥٣، ٣٠٤، ٢٩٧، ٢٩٦
أبو القاسم الباخى (عبد الله بن أحمد	٦٠٥٥٩١، ٥٨٤-٥٨٢
ابن محمود الكعبي الباخى) :	١٤٨، ١١٥، ٥٢، ١٢، ١١ : ٢
١٩٥، ١٨٦، ١٧٨، ١٦٩، ٩ : ١	٢٨٥ - ٢٨٢، ٢١٢، ٢١١
٥١٤، ٤٦٨	فرعون :
٣٦٤ : ٢	٢٩٧، ١٦١، ١٢٩ : ١
القاسم المعروف بابن حبابه :	١٠٩ : ٢
٥٩٣ : ١	فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر :
القاسم بن الحسن الوراق :	١٤٩ : ١
٨١ : ١	الفزاري = مالك بن أسماء :
القاسم بن حنبل المريّ :	فضالة بن وكيع :
٢٥٩ : ١	١٧٤ : ٢
القاسم بن ربيعة الحوشىّ :	الفضل بن الربيع :
٢٨٦، ٢٨٥ : ١	١٤٦، ١٠٢ : ١
قاسم بن زرقطة :	الفضل بن سهل :
١٣١ : ١	٣٨١، ٣٠٠، ٢٨٥ : ١

القَطَايِيّ :
٦١٨ ، ٤١٨ ، ٣٦١ ، ٢٠٣ : ١
١٨ : ٢
قَطْرِبُ بْنُ الْمُسْتَنِيرِ :
٤٠٣ ، ٣٩٣ ، ٣٩١ ، ١٠٦ ، ٥ : ١
٤٦٦
١٣١ ، ٥٨ : ٢
قَطْرِيّ بْنُ الْفِجَاءَةِ :
٦٣٨-٦٣٦ : ١
القَطْعِيّ :
٢٨٠ : ٢
قَعْنَبُ بْنُ ضَمْرَةَ الْفَزَارِيِّ :
٣٦١ ، ٣٣ ، ٣٢ : ١
قَنْبِرُ (مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) :
١٨ : ١
قَيْسُ بْنُ بَجْرَةَ = ابْنُ عُنُقَاءِ الْفَزَارِيِّ
قَيْسُ بْنُ أَبِي حَازِمٍ :
٥٣٢ : ١
قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ :
٥٤٥ ، ٥٤١ ، ٣٩٣ ، ٣٣٠ : ١
١٤٠ : ٢
ابْنُ قَيْسِ الرِّقِيَّاتِ = عُبَيْدِ اللَّهِ
قَيْسُ بْنُ زَهْرٍ الْعَبْسِيِّ :
٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٨ : ١
٢١٤
١٤٩ : ٢

القَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ أَبُو عُبَيْدٍ :
٣٤٤ ، ٣٢٢ ، ٣١١ ، ١٨ ، ١٧ ، ٧-٥ : ١
٤٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ٣٥
٨٦ ، ٨٥ ، ٨٢ ، ٥٢-٥٠ : ٢
القَاسِمُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سَلْيَانَ :
٤٤٦ : ١
القَاسِمُ بْنُ فِرَاسٍ :
٤٤٧ : ١
القَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ :
٢٥٥ : ١
قَتَادَةُ :
٥١٤ ، ٥٠٣ ، ١٦٧ : ١
٩٩ ، ٩٠ : ٢
الْقِتَالُ الْكَلَابِيُّ :
١٤ : ١
ابْنُ قَتَيْبَةَ = عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ
الْقَتَيْبِيُّ = عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ
قَتْمُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ سَلْيَانَ :
١٠٣ : ٢
ابْنُ قَدَامَةَ :
٩٧ : ١
أَبُو قِرَّةٍ :
١٥٠ ، ١٤٩ : ١
قُرَوَاشُ بْنُ هُنَيْيٍّ :
٢١٤ : ١

كعب (مولى حارثة بن بدر) :

٣٨٧ : ١

كعب بن زهير :

٥٥٨ ، ٤٢٤ ، ٤١٨ ، ٩٧ : ١

١٦٧ : ٢

كعب بن سعد الغنوي :

٦٠٤ : ١

الكلابي (أبوزياد)

٢٢٢ : ١

الكلبي (محمد بن السائب) :

٣٢٨ ، ٢٦٠ ، ١٩٣ : ١

٣٠٨ : ٢

ابن الكلبي (هشام بن محمد) :

٢٠٧ : ١

١٠٢ : ٢

كليب بن ربيعة :

٤٠٣ ، ٢٤٠ ، ١٢٤ : ١

الكميت بن زيد الأسدي :

١٠٢ ، ٩٩ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٠ ، ٥٩ : ١

٦١٦ ، ٥٦٨ ، ٤٥٥ ، ٤١٤ ، ٣٦٣ ، ٢٩٦

٢٥٤ ، ٨٠ ، ٣٢ : ٢

الكندي (يعقوب بن إسحاق) :

٢٩٠ : ١

ابن الكواء :

٢٧٤ : ١

قيس بن زياد العبسي :

١٨٩ : ١

قيس بن عاصم :

٥٩٢ ، ١١٤-١١٢ ، ١٠٨-١٠٧ : ١

٢٨٦ ، ١٦١ : ٢

قيس بن عبد الله بن عُدس = الجمدى

قيس بن عمرو = النجاشي

(ك)

ابن أبي كباش :

٦٣١ : ١

أبو كبير الهدلي :

٢٣٤ : ٢

كثير :

٢٨٣ ، ٢٧٨ ، ٢٢١ ، ١٩٦ ، ٤٦ : ١

٥٦٢ ، ٤٩٧ ، ٤١٤ ، ٣٢٥ ، ٢٨٧

٢٦١ ، ٣٥٩ ، ٢٣٤ ، ١٧٨ ، ٣٤ ، ٣٣ : ٢

كردم :

١٤٩ : ٢

كرز بن عامر :

٥٣١ ، ٥٣٠ : ١

الكسائي :

٣٣٥ : ١

٢٦٦ : ٢

ليلي الأخيلية :

٤٩٧ ، ١٢٦-١٢٤ ، ٥٨ : ١

١١٨ ، ٢٤ ، ١٩ : ٢

(م)

ماء السماء :

٢٦٥ : ١

ابن مارية :

٣٦ ، ٣٥ : ١

مارية بنت أرقم بن ثعلبة :

٧٤ : ٢

مارية القبطية :

٧٩ ، ٧٧ : ١

المازنيّ = أبو عثمان المازنيّ

مالك بن أسماء بن خارجة الفزاريّ :

٤٣٥ ، ١٦ ، ١٤ : ١

مالك بن جمفر بن كلاب :

١٩٣ : ١

مالك الجعفيّ :

٣٢ : ٢

مالك بن حذيفة :

٢١١ ، ٢١٠ : ١

[مالك بن حريم] :

٢٧٣ : ٢

مالك بن الربيع :

٣٠٤ : ٢

(ل)

لُبطة بن الفرزدق :

٦٣ : ١

أبولبيد :

٦٦ : ١

لبيد بن ربيعة العامريّ :

١٨٩ ، ١٧١ ، ١١٧ ، ٢٥ ، ٢١ : ١

٣١٩ ، ١٩٤ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠

٦١٨ ، ٥٤٧ ، ٤٥٧ ، ٤٥٣

٥٥ : ٢

اللحام الحرائي

٥١٣ : ١

١٨٤ : ٢

لقيط بن زرارة :

٦٦ : ٢

اللمين المنقريّ :

٥٨٥ : ١

أبو لهب :

٢٧٦ : ١

لوط (عليه السلام) :

٥٠٣ : ١

الليث :

٤ : ١

ليلي (أخت المنتشر)

٢٤ : ٢

التوكل (الخليفة) :
١٤٦:١، ١٧٨، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٩،
٢٩٩-٣٠١
الثقب العبدى :
٢: ١٦٩
مجالد :
١: ١٨٠
أبو مجالد :
١: ١٨٠
مجاهد :
١: ٦١٧، ٤٧٠
٢: ١٧٠، ٢٨٠
المجنون :
١: ١١٨، ٤٩٤
٢: ٣١٠، ٢٥٥
[محرز الضبي]:
١: ١٧
محارب بن قيس بن عدس .
١: ٢٦٨
أبو محلم السعدى :
١: ٢٦٠، ٤٣٥
٢: ١٥١
محمد بن إبراهيم :
١: ٦٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٩، ٣٤٧، ٣٩٧
١: ٤١١، ٤٦١

مالك بن زهير :
٢: ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤
مالك (بن أبي السمح) :
٢: ٦٥
مالك بن مسمع الجحدري :
١: ٧
مالك بن المنذر بن الجارود :
١: ٦٣
المأمون (الخليفة) :
١: ٨٢، ١٤٩، ١٨٦، ٢٢٧، ٢٨٤، ٢٨٥
٢٩٧، ٣٠٠، ٤٨٣
ماني بن فاتك الحكيم :
١: ٢٨٦
ماني الموسوس :
٢: ١٨٢
المبرد = محمد بن يزيد النحوى
التملس (جرير بن عبد السميع) أو
(جرير بن عبد العزى) :
١: ٥، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥
المتنبى :
١: ٩٣، ٤٠٠، ٥٦٧
٢: ٣٥، ٤٠، ٤١، ١٢٨، ١٢٩، ٣١٧
المتنخل الهدلى :
١: ٣٠٦، ٤٩٣
متوج بن محمود بن مروان :
١: ٥٩٣

محمد بن الحسن بن دريد :
١٩٣، ١٣٣، ٦٠، ١٩، ١٦، ١٥ : ١
٢٥١، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٣٧، ٢٣٤
٤٣١، ٣٨٧، ٣٥٩، ٣٤٠، ٢٩٥
٦٣٥، ٦٣٢، ٤٩٩، ٤٩٤، ٤٦٣
٦٣٩، ٦٣٨، ٦٣٦
١٠٢، ٢٤ : ٢
محمد بن الحسن بن مقسم :
٣٠٤ : ٢
محمد بن الحسين اليشكري :
١٤١ : ١
محمد الحلبي :
١٤٩ : ١
محمد بن حميد :
٤٣٧ : ١
محمد بن الحنفية :
١٦٥، ١٢٢، ٧٧ : ١
محمد بن خازم :
٢٩١ : ٢
محمد بن خالد :
٥٣٠ : ١
محمد بن داود بن الجراح :
١٤٦، ١٤٢ : ١

محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب
أبو عبد الله :
٣٧٨، ٣٧٠، ٢٢٠، ٢٠٧، ١٩٣، ٦١ : ١
٥١١، ٤٩٧، ٤٥٧، ٤٣٧، ٤٠٧
٩ : ٢
محمد بن أبي الأزهر :
٤٤٢، ٢٨٧، ١٨٢ : ١
محمد بن إسحاق النحوي أبو نصر :
٤٥ : ٢
محمد بن بحر الأصهباني أبو مسلم :
٤٥٤، ٣٦٧، ١٣ : ١
٣٠٥، ٣٠٤، ٢٣٤، ٩٩ : ٢
محمد بن الجهم :
١٩٧، ١٨٢ : ١
محمد بن الجواد بن علي بن أبي طالب :
١٥٠ : ١
محمد بن حازم :
٦٠٨، ٦٠٦ : ١
محمد بن حبيب :
٤٥٥، ٤٤٤، ٣٧٠، ٣٤٣ : ١
محمد بن الحسن البلخي :
٤٦٣، ٤٥٩ : ١
محمد بن الحسن :
٨٥، ٨٣، ٨٢ : ٢

محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :
١ : ١١٠ ، ١١٢ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٩ ،
٩٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،
١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٢ ،
١٦٤ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ،
٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٣١٨ ، ٣٢٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ،
٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ، ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ،
٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩٤ ، ٥٣٢ ،
٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٤ ،
٢ : ٥ ، ٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٦٦ ،
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦٤ ، ٢٨١ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٣٠٢ ، ٣٠٩ ،
٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،
٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٣ ، ٣٥١ ،
٣٥٢ ، ٣٥٨ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٩ ،
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ ،
٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٩ ، ٤٠٢ ،
محمد بن عبد الله أبو بكر العبديّ :
٢ : ١٩٣ ، ٢٧٣

محمد بن زكريا الغلابيّ :
١ : ٦٦ ، ٦٩ ،
٢ : ٢٨٤ ،
محمد بن زيان :
١ : ١٩٣ ،
محمد بن سفيان بن مجاشع :
٢ : ٢٨٣ ،
محمد بن سلام الجمحيّ :
١ : ٢٣٤ ، ٢٥٣ ، ٢٦٨ ، ٢٧٨ ، ٣٢٣ ،
٣٩٩ ،
محمد بن سلامة القضاعيّ :
١ : ٥٦٠ ،
محمد بن سليمان الهاشميّ (والي الكوفة) :
١ : ١٢٧ ، ٤٦١ ،
أبو محمد الشاميّ :
١ : ٥١ ،
محمد بن عباد :
٢ : ١٠٢ ،
محمد بن الصباح :
٢ : ١٠٣ ،
محمد بن العباس اليزيديّ :
١ : ٣٨١ ، ٤٦١ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ،
٢ : ١٣٢

١٩٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٥٩، ٢٦٨،

٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٥،

٣٤٥، ٣٤٧، ٣٦٠، ٣٧٢، ٣٨١،

٣٨٨، ٣٩٨، ٤١١، ٤٣٤، ٤٣٧،

٤٤٢، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٦٢،

٤٧٢، ٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠٦،

٥٠٩، ٥١١، ٥٣٠، ٦٢٦، ٦٣٥،

٦٣٦

٢-١٥، ٢٥، ٦٤، ١٠٢، ١٠٣،

١٣٢، ١٣٧، ١٣٨، ٢٧٦، ٢٧٣،

٢٨٤

محمد بن عمرو بن عطاء الجاز :

١٩٧ : ١

محمد بن القاسم الأنباري أبو بكر :

١ : ٣٣، ٣٤، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٣٣٣،

٣٣٤، ٣٣٩، ٤٢٦، ٤٢٨-٤٣١،

٤٥٦، ٤٥٧، ٦٢٩، ٦٣٠،

٢-٦، ٧، ١٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٢٦٠،

٢٦١

محمد بن القاسم أبو العيلاء :

١ : ٢٠، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٧،

٢٩٦، ٢٩٩-٣٠٤، ٣٦١، ٣٨٢،

٤٦١، ٥٠٩،

٢ : ٦٤

محمد بن عبد الله أبو جراب العبليّ :

١ : ٣٤٧

محمد بن عبد الله بن الحسن :

١ : ١٦٩، ١٧٥

محمد بن عبد الملك الزيات :

١ : ١٩٥، ٥٢٣، ٥٣٥، ٥٣٦

محمد بن عبد الوهاب الجبائي أبو عليّ :

١ : ١١، ١٢، ٣٧٨، ٣٩١، ٤٤١، ٤٨٢،

٥٣٩

٢ : ٢٧، ٩٩، ١٠٠، ١٣١، ١٦٥، ١٦٦،

١٨٧، ٢٠٦، ٢٣٢-٢٣٣، ٢٥٣

٢٥٤، ٢٨٢

محمد بن علي أبو جعفر :

١ : ٢٨٧، ٢٨٣

محمد بن علي بن عبد الله العباسي :

١ : ٢٨٣

محمد بن عمران بن موسى المرزبانيّ

أبو عبيد الله

١ : ١٥، ١٩، ٢٠، ٦٠، ٦٣، ٦٥، ٦٦،

٦٧، ٧٢، ٨١، ١١٦، ١١٨، ١١٩،

١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨،

١٤١، ١٤٢، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٧،

محمد بن يزيد الكاتب :
٤١٦ : ١
محمد بن يزيد النحوي أبو العباس المبرد :
١٦٨ ، ١٦٣ ، ١٤٥ ، ١٤٣ ، ١٣٧ ، ١٢٩ : ١
١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٦٤ ، ٢٩٢ ،
٢٨٧ ، ٣٨٨ ، ٤٣٦ ، ٤٣٨ ، ٤٤٢ ،
٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٦٢ ، ٥٠١
٢٣-٢ ، ٢٥ ، ٤٣ ، ٤٥-٤٣ ، ١٠٣ ، ١٠٤
١١٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٦١ ، ١٧٦ ، ٣١٧
محمود الوراق :
١٧١ ، ٦٠١ ، ٦٠٨ : ١
الحبل السمدي أبو يزيد :
١٨٥ : ١
٣١ ، ٨٨ : ٢
المخزومي = الحارث بن خالد
ابن مخلد :
١٠٣ : ١
أبو مخلد :
١٣٨ : ١
مخلد بن يزيد بن المهلب :
٩٩ : ١
أبو مخنف :
٢٦٠ : ١
المدائني :
١١٣ ، ٢٨٥ ، ٣٧٢ : ١

محمد بن القاسم بن مهرويه :
٢٢٤ : ١
محمد بن كعب القرظي :
٢٦٥ : ٢
محمد بن محمد بن إبراهيم :
٦٥ : ١
محمد بن محمد بن سليمان الطفاوي :
٦٥ : ١
محمد بن مكحول :
٢٩ : ١
محمد بن منصور :
٢٧٥ : ١
محمد بن منصور بن زياد (فتي العسكر) :
٥٠٦ : ١
محمد بن المنكدر :
٣٩٦ : ١
محمد بن موسى :
٣٧٢ : ١
محمد بن يحيى الصولي :
١٥٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٤١ : ١
١٤٣ ، ٢٥٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٩ ،
٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٦٠ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٨٣ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ،
٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧
٢٨٤ ، ٢٦١ ، ٤٢ : ٢

مروان بن الحكم :	مدرك الشيباني :
٣٨٦:١	١٣١:١
١٠:٢	مدلة بنت ذى منجشان :
مروان بن محمد الملقب بالبحار :	٢٣٢:١
٢٨٣:١	المرتضى :
مروان بن أبي حفصة :	٦٢٧،٦٢١،٦٠٢،٥٤٦:١
٥٣٢،٥٢٥-٥١٨،٢٢٦،٢٢٤:١	مرداس بن أدية :
٥٦٢،٥٥٣،٥٤٦-٥٤٠،٥٣٦	٦٣٦،٦٣٥:١
٥٨٩-٥٧٨،٥٧٤-٥٦٦	المرار بن سميد الفقعسي :
٢٧٥،٢٧٤،٤٤٣:٢	٥٦١،٣٠٦:١
مزاحم العقيلي :	٣٤:٢
٢٥٨،٥٣:١	المرار بن منقذ العدوي :
مساور الوراق :	١١٢:٢
١٣٤:١	الرزباني = محمد بن عمران
مسرور (خادم الرشيد) :	المرقش الأصغر :
٤٦٤،٤٦٣،٣٣٥:١	٢٥٧،٢٤٦:٢
أبو مسعر :	المرقش الأكبر :
٢٧٤:٢	٢٥٧،٢٥٥،٢٤٦،٧٨،٧٧:٢
مسعر بن كدام :	مرة بن محكان السعدي :
٢٤٩:١	٩٥:١
ابن مسعود :	
٣١:١	

- أبو مسعود البدرى :
٧٥:١
- مسعود بن بشر المازنى :
٤٦٠:١
- مسكين الدارى (ربيعة بن عامر بن
أنيف) :
٦٣٣ ، ٤٧٦-٤٧٠-٣٩٩ ، ٤٣:١
- ١٦٠ ، ١١٨:٢
- أبو مسلم بن بحر الأصهبانى = محمد
ابن بحر
مسلم الخزاعى :
٣٦٨:١
- مسلم بن صبيح :
٢٨٠:٢
- مسلم بن عقيل :
٢٧٦:١
- مسلم بن الوليد (صريع الفوانى) :
٥٥٤ ، ٥٣٤ ، ٥٢٢ ، ٤٨٨ ، ٤٣٨:١
- ٦٠٨ ، ٦٠٧ ، ٥٦٨
- ٢٥٠ ، ٤١:٢
- مسلمة بن عبد الملك :
١٥٩:١
- المسيب بن علس :
٥٦٠:١
- مسيمة الكذاب :
٢٩٢:١
- مصعب بن الزبير :
٦٣٦ ، ٣٩٩ ، ٢٤٩:١
- مضر بن نزار :
٢٤٤:١
- المضرب بن كعب بن زهير :
٤٥٨ ، ٤٥٧:١
- مضر بن ربيع الفقمسى :
٣٢٦:١
- ١٩٦ ، ١١٩:٢
- مطر الوراق :
١٧٠:١
- مطروذ بن كعب الخزاعى :
٢٦٨:٢
- * مطيع بن إياس :
١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٣١ ، ١٢٨:١
- ٢٧٥
- معاذ بنت بدر :
٢١٠:١
- معاوية بن الحكم :
١٦٧:٢

المعلي بن حنش العبدى :
١٨٥:١
معمربن المثنى أبو عبيدة :
١٤٠، ١٣٤، ٩٩، ٦٠، ١٩، ٣:١
٢٤٩، ٢٢٩، ١٩٣، ١٧٧، ١٦٠
٣٧٩-٣٧٧، ٣٧٠، ٣٦٩، ٢٩٧
٦٣٥، ٥١٠، ٥٠٦، ٤٦٦، ٤٥٣
٦٣٩، ٦٣٨، ٦٣٦
٢٨٤، ٢٤، ١٥-٢
معن بن أوس :
٢٥١:١
٢٦١:٢
*معن بن زائدة الشيباني :
٢٢٢:١ (٢٢٣) ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦
٥٩٦، ٥٨٧، ٥٧٥، ٢٧٦، ٢٧٢
معمود الحكم = معاوية بن مالك
المغيرة بن سعيد العجلي :
١٤٠:١
المغيرة بن شعبة :
٣٤٠:١
المغيرة بن محمد المهلبى :
١٣٦، ١٣٥:١
المغيرة بن المهلب :
٣٠١، ١٩٩:٢

معاوية بن أبي سفيان :
٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٣، ٢٥٦، ٢٥٤، ١٨٠:١
٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٨٦، ٢٧٧
٣٨٦، ٢٩٨، ٢٩٧
معاوية بن عبد الكريم :
٦٣:١
معاوية بن عمر الغلابى :
١٧٣:١
معاوية بن مالك (معمود الحكم) :
١٩٣:١
معبد (بن وهب) :
٦٥:٢
ابن المعتز :
٥٨٨، ٥٣٤، ٤٣٨:١
١٣٠، ١٢٧، ٤٢:٢
المقتصم :
٣٠٠، ١٩٥، ١٨٦:١
٢٤٩، ٢٤٧:٢
معديكرب الحميرى :
٢٥٣:١
المعدل بن غيلان :
٣٣٢، ١٧٩:١
معتق بن حمار البارقى :
٣٢٥:١

ابن منذر :
٥٧٤ : ١
المنتشر بن وهب الباهلي :
٢٢٩ ، ٩٦ : ١
٢٠ ، ١٩ : ٢
المنذر بن محرق (المنذر بن امرىء القيس
ابن عمر بن عدى اللخمي) :
٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ٢٦٣ : ١
المنذر بن المنذر بن امرىء القيس :
٢٩٥ : ١
المنصور (الخليفة العباسي) :
١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٣٦ ، ١٢٨ ، ١٠٠ : ١
١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣
٢٨٤ ، ٢٨٣ ، ٢٧٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤
٥٩٦ ، ٣٠٢
١٠ - ٢
منصور النمرى :
٦١٢ ، ٦٠٦ : ١
٢٧٨ - ٢٧٤ : ٢
منفوسة بنت زيد الفوارس :
٢٨٦ ، ١٦١ : ٢
منقذ بن زياد الهلالي :
١٣١ : ١
أبو المنهال المهلبى :
٣٨١ : ١

المفضل بن سلامة الضبي :
٣٩١ ، ٣٩٧ ، ١٣٣ : ١
٥٨ : ٢
المفضل بن المهلب :
٤٠٨ ، ٤٠٧ : ١
ابن مقبل :
٤٦٧ ، ٢٩١ ، ٢١٧ ، ١٠٤ ، ٥٣ : ١
١٩١ ، ١٧٣ : ٢
ابن المقفع = عبد الله بن المقفع
المقفع الكندي :
١٦١ : ٢
المكتفي بالله (الخليفة) :
٥٩٦ ، ٥٩٥ ، ٥٩٣ : ١
ابن مكرم :
٣٠١ : ١
أبو مكية = الفرزدق
ابن ملحان :
٦٣٩ : ١
مليكة بنت حارثة :
٢١٠ : ١
المزق العبدي :
٣٢٥ : ١

٣٠٠:١
موسى بن عيسى بن موسى :
٢٩٧:١
موسى الكاظم :
١٥١:١
المؤمل بن أميل المحاربيّ :
٥٨٠،١٠٠:١
٩٦:٢
ميمون بن إبراهيم :
٣٦١:١
ميمون بن هارون الكاتب :
٥٠٦،٩٥:١

(ن)

النابعة الجمدى = الجمدى
النابعة الذيباني :

٢٠٢،١٨٥،٩٧،٥٥،٥٤،٥٢،٣٤:١
٢٦٥،٢٦٤،٢٦٣،٢٢٩،٢١٦
٥١٢،٤٨٦،٤٤٦،٣٧٩،٣٣٣
٥٦٢،١٦١،٥١٣
١٦٠،٩١،١٧،١٦-٢
نابعة بني شيبان :
٦٣٠،١٨٥:١
الناس بن مضر :
٢٤٤:١

المهدى (الخليفة العباسى) :
١٠٠:١، ١٣٤، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥،
١٧٤، ١٧٩، ٢٧٦، ٥١٩، ٥٢٢،
٢٨٨
١٢٩:٢
مهدى بن سابق :
٦٦:١
مهدى بن علي الأصهبانيّ :
١٤١:٢
ابن مهرويه :
١٣٨، ١٣٣:١
المهلب بن أبي صقرة :
١٩٩:٢
مهلهل بن ربيعة :
١٢٣-١٢٥:١
٥٦٨، ٢٥٧:٢
موسى (عليه السلام):
١٤٩، ١٦١، ١٧٩، ٢٩٧، ٣٤٩ : ١
٢ : ٤، ١٦٦، ١٩٧، ٢١٥-٢٢١،
٢٥٨، ٥٧٣، ٣٨٩
أبو موسى الأشعريّ :
٢٩٢ : ١
موسى بن جعفر :
٢٧٥.١
موسى بن عبد الملك :

النعمان بن امرئ القيس :
٢٦٥ : ١
النعمان بن بشبر :
١٢٦ : ١
النعمان المنّاني :
١٨١ : ١
النعمان بن المنذر :
١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٥ ، ٣٣ : ١
٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٤ ، ١٩٢
١٦١ : ٢
نفظويه = إبراهيم بن محمد بن عرفة
نقيع الأنصاري :
٢٧٥ : ١
التمر بن تولب :
٣٢٥ : ١
١١٩ : ٢
نہشل بن حري :
٥٦٨ ، ٥٤٦ : ١
٢٢٨-٢٢٦ : ٢
نوح (عليه السلام) :
٥٠٤ ، ٥٠٣ : ١
١٧٠ : ٢
النوار (زوج الفرزدق) :
٦٥ : ١

نافع :
٨٩ : ١
الناقص = يزيد بن الوليد
النجاشي قيس بن عمرو :
٢١٠ : ٢
أبو النجم المجلي :
٣٥٠ ، ٢١٦ ، ٤٠ : ١
٢٦٦ ، ١٤٧ : ٢
أبو نخيلة :
٥٨٢ ، ٥٨٠ : ١
أبو نصر (صاحب الأصبغى) :
١٥١ : ٢
نصر بن سيار :
٤١٤ : ١
نصيب الأصغر أبو الحجناء :
٤٣٨ : ١
نصيب الأكبر :
١ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٢٨٣ ، ٣٣٠ ، ٤٣٦ : ١
٥٨٠ ، ٤٤٧
النضر بن شميل :
٥ : ١
النظار القمسي :
٤٨٨ : ١
النظام = إبراهيم بن سيار

أبو نواس :
١٠٢:١، ١٣١، ١٣٢، ١٤٣، ١٧٢،
١٨٩، ١٩٧، ١٩٨، ٢٧٩، ٢٨٢،
٤٠٠، ٤١٥، ٥٢٥، ٥٧٣، ٥٩٦،
٦٠٧، ٥٩٧
٢٥٥، ١٣٤، ١٢٦:٢
(ه)
الهادي (الخليفة) :
٢٧٦:١
هارون (عليه السلام) :
١٩٧-١٩٦:٢
هارون الرشيد = الرشيد
أبو هاشم الجبائي (عبد السلام بن أبي علي)
١٠:١
٣٦٣، ٣٢٧-٣٢٥، ٣١٥، ١٦٥:٢
أبو هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية :
١٦٥:١
هاشم بن عبد مناف :
٢٦٩:٢
هبيرة :
٢٠٦:١
ابن هبيرة = عمر بن هبيرة
*أبو الهذيل الملاف :
١٨٦، (١٨٣-١٧٨)، ١٤٤ : ١

ابن هرمة (إبراهيم) :
٥٧١، ٤٦٢، ٣٢٦:١
١١٦، ١١٣:٢
الهروي :
٦١ : ١
أبو هريرة الدوسي (عبد الرحمن بن
صخر) :
٦٣٠، ٤٥٤، ٦٦، ٥٥:١
٢٠١، ٨٢:٢
هشام بن حسان :
٤٥٤:١
هشام بن الحكم :
١٧٧، ١٧٦:١
هشام بن عبد الملك :
٤٠٩، ٢٨٤، ١٦٦، ٦٩، ٥١:١
٢٦١:٢
هشام بن محمد الكلبي :
٢٦٥:١
هشام بن المنذر :
٩٧:١
أبو هفان :
٥٩٩، ٥٠١، ٤١٤:١
٢٤٢:٢
هلال بن خثعم :
٣٧٩:١
همام بن غالب = الفرزدق

همام بن محمد بن السائب :
٩٧:١
هند بنت أسماء بن خارجة :
١٥ : ١
هند بنت الفضل :
٤٠٧:١
أبو الهندي :
٢٩١:٢
هوذة بن علي :
١٧٢:٢
أم الهيثم :
١٧٦:٢
الهيثم بن الأسود :
٢٩١:١
هيثم بن الربيع = أبو حية النميري
الهيثم بن عدى :
٢٤٩،١٤٢:١
٢٦١:٢
هيان بن أبي قحافة :
٢٦٦:٢
(و)
الوأواء :
١٢٩:٢
الوائق (الخليفة) :
٤٨٦،٢٨٦،١٨٦:١

همام بن محمد بن السائب :
٩٧:١
هند بنت أسماء بن خارجة :
١٥ : ١
هند بنت الفضل :
٤٠٧:١
أبو الهندي :
٢٩١:٢
هوذة بن علي :
١٧٢:٢
أم الهيثم :
١٧٦:٢
الهيثم بن الأسود :
٢٩١:١
هيثم بن الربيع = أبو حية النميري
الهيثم بن عدى :
٢٤٩،١٤٢:١
٢٦١:٢
هيان بن أبي قحافة :
٢٦٦:٢
(و)
الوأواء :
١٢٩:٢
الوائق (الخليفة) :
٤٨٦،٢٨٦،١٨٦:١

*يحيى بن زياد الحارثي :
١ : ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٢ -
(١٤٤)
يحيى بن طلحة :
١ : ٢٨٧
يحيى بن علي النجم :
١ : ١٣٤ ، ١٤٢ ، ٤١٤ ، ٤٨٥ ، ٥٩٣ ،
٥٩٦ ، ٥٩٥
٢ : ٢٦١
يحيى بن معلى الكاتب :
١ : ١٣١
يحيى بن يعمر :
٢ : ٢٨٠
يزيد بن عبد الملك :
١ : ١٥٩
٢ : ٦٥ ، ٦٦
يزيد بن عمر بن هبيرة :
١ : ٢٢٣ ، ٢٢٤
يزيد بن الفيض :
١ : ١٣١
يزيد مزيد الشيباني :
١ : ١٤٦
يزيد أبي مسلم :
١ : ٢٩٥
يزيد بن الكسر :

الوليد بن عبد الملك :
١ : ٢٩٥
٢ : ٦٥
الوليد بن عتبة :
١ : ٣٤٢
الوليد بن عقبة :
١ : ١١٠
الوليد بن المغيرة :
١ : ١٢١
*الوليد بن يزيد :
١ : (١٢٨ - ١٣١) ، ٢٧٧
وهب بن زمعة = أبو دهيل
وهب بن منبه :
١ : ٦٠
(ي)
يحيى (رجل من بني حنيفة) :
١ : ٣٥٢
يحيى بن أكرم :
٢ : ٦٥
يحيى بن البحتري :
١ : ٤٨٣
٢ : ٤٤
يحيى بن الحسن الملوّى :
١ : ٦٧
يحيى بن خالد البرمكى :
١ : ١٠٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٥٢٤ ، ٦٠٩

- ٢٧٥:١
يعقوب بن داود:
١٤١:١
يعقوب بن السكيت :
٤١٨،١٧١،٩٦:١
١٩٠،١٨٩،٨٣:٢
يعوت بن المزرع .
٤٣٧،١٩٩،١٩٧:١
٤٤،٩:٢
يوسف (عليه السلام):
٤٨٩،٤٧٧،٤٥٢،١٠٦،١٠٥:١
٧١ : ٢
أبو يوسف :
٢٥٢ : ١
يوسف بن يحيى النجم :
٢٢٤:١
١٣٧،١٣٤:٢
يونس بن حبيب الضبي :
٣٠٤،٢٥٧،٦٠:١
يونس بن عبيد :
١٧١:١
يونس بن أبي فروة :
١٣٢، ١٣١ : ١
يونس بن متي :
٦٦ : ١
- ٥٧٣:١
يزيد بن معاوية:
٢٨٦،٢٧٧،٢٧٥:١
يزيد بن مفرغ الحميري :
٤٤٠،٥٢:١
يزيد بن المهلب :
٥٩ : ١
١٠٥:٢
يزيد بن الوليد الناقص :
١٢٩،١٢٨:١
يسار (والد الحسن البصرى) :
١٥٢:١
يسار(اسم راعٍ) :
٨١،٨٠:١
يسار (روى عن معاوية) :
١٦٧:٢
يمفر بن زرعة :
٢٥٨:١
يعقوب (عليه السلام) :
١٦١،١٠٦،١٠٥:١
يعقوب (لقوى) :
٢٤٠ : ١
يعقوب بن إسحاق النوبختي :
٥٦٩:١
أبو يعقوب الحريري :

٩ - فهرس القبائل والأمم والجماعات

١٨٧:١	٢٧٤:٢	(أ)
حمير :	بكر بن وائل :	بنو إياض :
٢٩١:١	١٠٨، ٣٧، ١٦، ٧:١	٩٣، ٩٢:١
بنو حنيفة :	٣٠٤، ٢٨٨	أرحب :
٣٥٢:١	أهل البيت :	١٩٩:٢
(خ)	٧٧:١	الأزد :
خثعم :	(ت)	٢٨٨:١
٣٣٧:١	التبابعة :	١٤٨:٢
(د)	١٠:٢	أسد :
بنو دارم :	تميم :	٤٥٨، ٣٦ : ١
٦٧:١	٣٨٤، ٢٨٩، ٦٥، ١٧:١	٢٦٩، ٢٤٠، ١٥٨:٢
الدؤل :	٥٠١	(ب)
٣٣٤:١	٢٨٤، ٢٦٢:٢	بنو إسرائيل :
بنو الدليل بن بكر :	(ث)	٣٢١، ١٩٦:٢
٣٤٧:١	بنو ثعلبة بن سعد :	بنو أمية :
(ذ)	٢٠٨:١	٢٩٥، ٢٩٠، ٢٥٣:١
ذبيان :	(ج)	الأنصار :
١٦٠، ١٤٨:٢	جديلة عدوان :	١٥٢:١
ذهل :	٢٥٠:١	باهلة :
١١٣:١	أولاد جفنة :	٢٨٨، ٢٢٩، ١١٦:١
(ر)	٣٥:١	بجيلة :
الرباب :	٧٤:٢	٥٠٦:١
٢٨٨:١	جمع :	بنو بدر :
بنو ربيع :	٢٩٥:١	٥٣١:١
٢٥٥:١	(ح)	البرامكة :
	الحمادون :	٣٠٠:١

٣٤٧:١	(ض)	ربيعة :
العجم :	ضبة :	١٧١,٧:١
٣٦٠:١	١٦٣:١	٥٦:٢
بنو المدوية :	(ط)	الروم :
١٦٩:١	الطالبيون :	٥٩٣,٥٠:١
بنو المشراء :	٢٧٥:٢	(ز)
٢٠٨:١	طفاوة :	الزبيريون :
بنو عقيل :	٦٥:١	٢٩٩:١
٥٣٠,١٠٤:١	طي :	بنو زياد :
آل عمران :	٤١٦:١	٢٢٦:١
٣١:١	(ع)	(س)
بنو المنبر :	عامر بن صعصعة :	سبأ :
٥٧١,٥٠٠,١٦:١	٤٩٩,٣٦٠,٢١٢:١	٣١٩:٢
(غ)	١١٤:٢	سدوس :
غسان :	العباد :	١٤٠:١
٣٥:١	٣٣:١	بنو سعد :
غطقان :	عبد الدار :	٢٦٩,٢٤٢,٣١:٢
١٧:٢	٢٩٥:١	بنو السمط :
بنو غنم :	عبد قيس :	٤٣:٢
٢٧٤:٢	٣٢٥,١٧٩:١	سهم باهلة :
غني :	بنو عبد المدان :	١١٦:١
٢٨٨,٢١٢:١	١٠٢:١	سهم قريش :
(ف)	آل عبد مناف :	١١٦:١
فزارة :	٢٦٢,٨:٢	(ش)
٤٣٦,٢١٠-٢٠٨:١	عيس :	آل الشريد :
٢٧٦,٢٦٤:٢	٢١٤:١	٩٧:١
	١١٨:٢	شيبان :
	العيلات :	٢٢٧,٢٢٦,١١٣:١

بنو النضير :
٣٩٢،٢٦٢:١
النصارى :
١٣٠:١
٣٨٢:٢
التمر بن قاسط :
٢٠٧:١
بنو نعيم :
٣٢٣،٢٨٩،١٨٦:١
النوابغ :
١٨٥:١
(ه)
بنو هاشم :
٢٢٧،١٦٣،٦٧،٦٦،٦٢:١
هذيل :
٣٥٤:١
بنو هني :
٢٨٥:٢
هوزان :
٢١٢،٢١١:١
هلال بن عامر :
٢٦٨:١
(ي)
يربوع :
١١٣:١
اليهود :
١١:١
٣٨٢،٢٨٢،٣:٢

لؤى :
٣٦٣:١
(م)
مجاشع :
٧٢:٢
مخزوم :
٢٩٧،٢٩٥،١٣٦:١
بنو مرة بن عوف :
١٥١:٢
بنو مروان :
١٧٣،٥١:١
المسوذة :
٢٩٠:١
مضر :
١٧١:١
٥٦:٢
آل مطرف :
٥٨:١
معد :
٢٦٢:١
آل المهلب :
٥٧:١
(ن)
نبط الشام :
٢٢٧:١
النبيط :
٢٦١:١

(ق)
قريش :
٢٥٤،١١٦،٥١،١١:١
٢٧٧، ٢٧٥، ٢٦٧
٣٦٠، ٣٤٢، ٢٩٦
٣٧٧
٨:٢
بنو قريظة :
٣٩٢،٢٦٢،٧٨:١
قشير :
٢٨٩:١
قضاة :
٨:٢
قيس :
١٥:١
٧٢:٢
(ك)
كعب :
٢٨٩:١
كلاب :
٥٠٨،٤٩٤،٢٨٩:١
كلب :
١٠٤:٢
كنانة :
٣٨٤،٢٥٧:١
(ل)
اللهازم :
١١٣:١

١٠ - فهرس الأماكن

	البذ:	(أ)
بيت المقدس:	٢٥١:٢	الأبرق:
٣٠٩:٢	البرقاء:	٥٩:١
(ت)	٤٣٢:١	أبرق العزاف:
تنبئ:	البشر:	٢٦٩:٢
٥٤:١	٢٦٧:١	أحد:
تكرت:	البصرة:	٦٦:١
٥٩٣:١	١٦١، ١٣٦، ٦٣:١	الأحساء:
التوباذا:	١٨٠، ١٧٨-١٧٦	٤٣٨:١
٣١٠:٢	٤٩٨، ٣٠٢، ٢٨٥	أذرع:
(ث)	٥٠١، ٥٠٠	٣٩٧:١
شهران (جبل):	٢٦٢، ١٤٨، ٨٨:٢	أصبهان:
٤٥:٢	بُصرى:	٢٦٤:١
(ج)	٥٤:١	أغدرة السيدان:
جاسم:	البطحاء:	٨٨:٢
٥٤:١	٦٨:١	الأهواز:
جباء:	بغداد:	٤٨٦، ٣٨٤، ١٢:١
١٢:١	١٤٨، ١٤٥، ٦، ٥:١	(ب)
الجحفة:	١٨٦، ١٥٣	باب الجسر (موضع ببغداد):
٦١:١	٢٢٩، ٤٣:٢	١٠١:١
جدود:	بقعاء:	البحرين:
١١٤، ١١٣:١	٣٩٣:١	١٨٥:١
الجزيرة:	البقيع:	٨٨:٢
٢٢٩:١	١٤٩:١	بدر:
١٤٨، ٤٣:٢	البلاكت:	٣٤٣-٣٤١:١
	٢٦٩:١	

الدينور :	الحيرة :	جفر الهباءة :
٦ : ١	٢٦٢،٢٦٠،١٨٤ : ١	٢١٤ : ١
(ذ)	١٤٨ : ٢	جيجان :
ذات الإصاد :	(ح)	٥٦٧ : ١
٢٠٨ : ١	خراسان :	الجيزة :
ذات أوشال :	٥١٠،٢٢٥ : ١	٦٢ : ١
٦١ : ١	١٠٥،٩٠ : ٢	(ح)
ذات الغضا :	خضراء واسط :	حباش :
١٥٠ : ٢	١٦٠ : ١	٢١٤ : ٢
(ر)	الخط :	الحبشة :
رأس عين :	٥٦٧ : ١	٦٥ : ٢
٢٧٦ : ٢	الخورنق :	الحجاز :
رامة :	٢٦٢ : ١	٢٩٦،٥٨ : ١
٥٢ : ١	(د)	حران :
رامهرمز :	دابق :	٥١٠ : ١
٣٨٤ : ١	٥١ : ١	حرة ليلي
الرقعة :	الدحرضان :	١٥١ : ٢
١٤٦ : ١	٨٤ : ٢	الحطيم :
(س)	دهلك :	٦٨ : ١
سجستان	٦٥ : ٢	حلب :
٦٣٩،٢٢٨ : ١	الدهناء :	١٤٦ : ١
سجن مالك بن المنذر :	٤٣٨،١٧ : ١	حصص :
٦٣ : ١	دياف :	٤٣ : ٢
السدير :	٢٢٩ : ١	حنة :
٢٦٢ : ١	دير ساعد :	٥٩٣ : ١
	٣٧٣ : ١	

١١٠:٢	الصَّمان :	سرق :
(ف)	١٧ : ١	٣٨٤:١
الفرات :	(ض)	سرّ من رأى :
١٤٦:١	ضرية :	٣٠٢:١
(ق)	٤٩٤:١	السقيفة :
قباء :	(ط)	٢٧٤:١
٩٩,٦٦:١	طرسوس :	سمرقند :
(ك)	٥ : ١	٢٨٧:١
كابل :	طرطر :	السواد :
١٦٩:٦	٣٢٩:١	٢٨٤:١
كارور :	الطف :	(ش)
١٢:١	١١٨:١	الشام :
الكعبة :	الطهيان (جبل) :	١٥٤:١, ٦١, ٦٩, ١٥١,
١٢٩, ٦٩, ٦٨, ٦٣:١	٤٢٠:١	١٨٥, ٢٢٩, ٢٦١,
٢٨٤	(ع)	٢٦٧, ٢٨٥, ٣٢٩,
الكلاب :	العراق :	٥٣٩, ٥١٠
١١٣:١	١ : ٣٥, ١٨٥, ٢٨٤,	١٩ : ٢
الكناسة :	٥١٠	شذن :
٣٣٢:١	١٩:٢, ١٤٨, ١٥٣,	٧٢ : ٢
الكوفة :	عسفان :	صرخد :
١٢٧, ١١٨, ٦١ : ١	٦٩ : ١	٣٨٤:١
٢٢٤, ١٨٦, ١٦٣	المقيق :	الصغد :
٣٣٢	٦٦:١	١٠ : ٢
٣٠٦:٢	عكاظ :	صفين :
	٢٦٥:١	٢٧٦, ١٥٢:١

هجر :	منبج :	(ل)
٢٩٩:١	٣٢٩:١	الاقاطة :
هراة :	منى :	٢١٠:١
٥:١	٣٣٠ : ١	
(و)	الموصل :	(م)
واردات :	١٤٨:٢	الدينة :
٢٠٨:١	ميسان :	٢٧٧,١٦٤,٦٩,٦١:١
ودان :	١٩٢:١	١٤٨,٦٥:٢
٦١:١	(ن)	المسجد الحرام :
(ى)	نجد :	١٧٠:١
يثرب :	١٥٣,١٥١:١	مسجد الكوفة :
١٤٨:٢	نجران :	٦١:١
اليمامة :	٤١:٢	مصر :
٣٥٢,٢٩٥:١	النهروان :	٦٢:١
١٥١,٤١:٢	١٠٠:١	١٤٨:٢
اليمن :	(ه)	مكة :
٢٩١,٢٢٦,٢٢٥:١	الهاشمية :	١٦٣,٦٩,٦١,٥٥:١
٣٤٣	٢٢٤:١	٣٤٢,١٧٨
٧٢,٦٥ : ٢	الهباءة :	١٤٨,٦:٢
	٢١٤:١	

١١ - فهرس الفرق

(ق)	(س)	(أ)
القدرية :	السوفسطائية :	الأئمة الإثنا عشر :
١٨٦ : ١	٣٩٢ : ٢	١٤٥ : ١
القمند :		(ج)
٦٣٥ : ١	(ش)	الجبرية :
(م)	الشراة :	٥٢٩ ، ٢١ : ١
المرجئة :	٦٣٥ : ١	(خ)
١٦٦ : ١	الشيعة :	الخوارج :
المعتزلة :	١٦٦ ، ١٨ : ١	١ : ٢٧٣ ، ١٦٦ ، ٣٦٥ ،
١ : ٢١ ، ١٩ ، ١٣ ، ١٠ ،	(ص)	٦٣٩ ، ٦٣٦
١٨٧ ، ١٨٦	الصفريية :	٩ : ٢
٣٦٨ ، ٣٤٨ : ٢	٦٣٥ : ١	(د)
المغبرية :		الدهرية :
١٤٠ : ١	(غ)	٣٢٩ : ٢
(ن)	الغالية :	(ز)
النظامية :	١٤٠ : ١	الزيدية :
٨٧ : ١		١٦٦ : ١

١٢- فهرس الأيام

(ك) يوم الكلاب الأول :

١١٣:١

(هـ)

يوم الهاشمية :

٢٢٤:١

ليلة الحرير :

٢٧٦:١

يوم الهبأة :

٢١٤:١

(و)

يوم واسط :

٢٢٥:١

(خ)

أيام الخنان :

٢٦٤:١

(د)

يوم داحس والغبراء :

٢١٤-٢٠٨:١

(ذ)

يوم ذى قار :

٥٧٣:١

(أ)

يوم الأحزاب :

٦٧:١

(ب)

حرب البسوس :

١٢٤:١

(ت)

يوم التحلاق :

١٢٤:١

(ج)

يوم جدود :

١١٤-١١٣:١

١٣ - فهرس الكتب التي ذكرها المرتضى في كتابه

غريب الحديث لأبي عبيد:	البيان والتبيين :
٤٥٤،١٧،٥:١	١٥:١
٥٠:٢	تفسير أبي مسلم الأصبهانيّ
غريب الحديث لابن قتيبة:	٧٣،١٣:١
٣١،١٨،٦-٥:١	٣٠٥،٢٣٤،٩٩:٢
كتاب المعمرين لأبي حاتم:	ديوان الحماسة لأبي تمام :
٢٦٣،٢٣٨،٢٣٦،٢٣٢:١	١١٨:١
الموازنة بين أبي تمام والبحترى للآمدى:	طبقات الشعراء لابن سلام :
٦٢٥،٦٢٤،٦١٣،٦١١:١	٢٥٧،٢٥٣:١
٩٤،٩٢،٩١:٢	عيون الأخبار لابن قتيبة :
نوادر أبي زيد:	١٥:١
٢٨٦:٢	

١٤ - فهرس مراجع الشرح والتحقيق

- | | |
|--|------------------------------------|
| الاتقصاب لابن السيد البطليوسي | أخبار النحويين للسيرافي |
| بيروت ١٩٠١ م | المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٣٦ م |
| أمالى الزجاجي | أدب الكاتب لابن قتيبة |
| السعادة ١٣٢٤ | المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ |
| أمالى القالى | الاستيعاب لابن عبد البر |
| دار الكتب المصرية ١٣٤٤ | حيدر آباد ١٣١٨ |
| أمالى الزبيدي | أسد الغابة لابن الأثير |
| حيدر آباد ١٣٦٧ | الطبعة الوهبية ١٢٨٦ |
| أمراء البيان لمحمد كرد علي | أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني |
| لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧ م | الترقى بمصر ١٣٢٠ |
| إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ؛ | الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق وستنفلد |
| بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم | جوتنجن ١٨٥٣ م |
| دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م | الإصابة لابن حجر |
| البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد | السعادة ١٣٢٣ |
| السلام هارون | إصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيق |
| مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر | أحمد شاكر وعبد السلام هارون |
| ١٣٦٧ | المعارف ١٣٧٠ |
| تاج العروس للزبيدي | الأصمعيات للأصمعي |
| القاهرة ١٣٠٦ | ليبسك ١٩٠٢ م |
| تاريخ ابن الأثير | الأضداد لابن الأنباري |
| إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ | الحسينية ١٣٢٥ |
| تاريخ بغداد للخطيب البغدادي | الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني |
| السعادة ١٣٤٩ | التهتم ١٣٢٣ ، ودار الكتب المصرية |

حماسة أبي تمام بشرح المرزوقي، تحقيق
أحمد أمين وعبد السلام هارون
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
١٩٥١ م

حماسة ابن الشجري
حيدر آباد ١٣٤٥
الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام
هارون

مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٥٧
خاص الخاص للشمالي
السعادة ١٣٢٦
خزانة الأدب للبغدادى
بولاق ١٢٩٩

ابن خلكان
الميمنية ١٣١٠
ديوان إبراهيم بن العباس الصولى؛
(ضمن مجموعة الطرائف الأدبية)
ديوان الأخطل

بيروت ١٨٩١ م
ديوان الأعشى، بتحقيق جابر
ؤينا ١٩٢٧ م

ديوان امرئ القيس
هندية بمصر ١٣٢٤

تاريخ الطبرى
الحسينية ١٣٣٦
تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة
مطبعة كردستان ١٣٢٦
تزيين الأسواق لداود الأنطاكيّ
الأزهرية ١٣٢٨

التطفيل للخطيب البغداديّ
التوفيق بدمشق ١٣٤٦
تنوير الأبصار للشيخ الشبانجي
المطبعة المحمودية ١٣١٣
ثمار القلوب للشمالي
الظاهر ١٣٢٦

جمهرة أشعار العرب
المطبعة الرحمانية ١٣٤٥
جمهرة الأنساب لابن حزم، تحقيق
بروفنسال

المعارف ١٩٤٠ م
ابن أبي الحديد = شرح نهج البلاغة
حماسة البحترى

الرحمانية ١٩٢٩ م
حماسة أبي تمام بشرح التبريزي، تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد

مطبعة حجازي بمصر ١٣٥٧

ديوان ابن الدمينة
المنار ١٣٣٧
ديوان رؤبة
ليبسك ١٩٠٢
ديوان ابن الرومي
(مخطوطة دارالكتب المصرية ١٣٩ -
أدب)
ديوان ذي الرمة
كبردج ١٩١٩ م
ديوان زهير بن أبي سلمى
مطبعة دارالكتب المصرية ١٣٦٣
ديوان الشماخ
السعادة ١٣٢٧
ديوان طرفة
فازان ١٩٠٩ م
ديوان الطرماح
ليدن ١٩٢٧ م
ديوان طفيل الغنوي
ليدن ١٩٢٧ م
ديوان العباس بن الأحنف
الجوائب ١٢٩٨
ديوان عبيد بن الأبرص
مطبعة المعارف بمصر
ديوان أبي المتاهية
بيروت ١٩١٤

ديوان أوس بن حجر
فينا ١٨٩٢ م
ديوان البحتري :
مطبعة هندية ١٣٢٩
ديوان بشار بشرح ابن عاشور
لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٦٩
ديوان أبي تمام، شرح محيي الدين الخياط
بيروت ١٣٦٩
ديوان جران العود
دارالكتب المصرية ١٣٤٠
ديوان جرير، حققه ونشره عبدالله الصاوي
مطبعة الصاوي بمصر ١٣٥٣
ديوان حاتم الطائي (ضمن مجموعة خمسة
دواوين)
الطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان حسان بن ثابت
مطبعة الإمام بمصر ١٣٢١
ديوان الخطيب
التقدم بالقاهرة
ديوان حميد بن ثور
دارالكتب المصرية ١٩٥١ م
ديوان الحنساء
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٥ م
ديوان ابن دريد، جمعه بشرحه السيد محمد
بدرالدين العلوي
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
١٩٤٦ م

ديوان المتنبي ، بشرح العسكري
مطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٣٥٥
ديوان مزاحم العقيلي ، نشره : ف .
كرنسكو
المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٢٢م
ديوان مسلم بن الوليد
ليندن ١٨٧٥م
ديوان المعاني ، لأبي هلال العسكري
القاهرة ١٣٥٢
ديوان ابن المعتز
المحرسة ١٨٩١م
ديوان النابغة الذبياني (ضمن خمسة دواوين)
المطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان أبي نواس
العمومية ١٨٩٨م
ديوان المهذلين
دار الكتب المصرية ١٣٦٤
رسالة لنفران ، لأبي العلاء المعري
هندية بمصر ١٩٠٣م
الروض الأنف للسهبلي
الجمالية ١٣٣٢
زهر الآداب للحصري ، تحقيق زكي مبارك
المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥م
وتحقيق علي محمد البجاوي
مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٣م

ديوان عروة بن حزام
مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب
المصرية ٧٠ أدب
ديوان عروة بن الورد
الجزائر ١٩٢٦م
ديوان علقمة (ضمن مجموعة خمسة
دواوين)
المطبعة الوهبية ١٢٩٣
ديوان علي بن الجهم بتحقيق خليل مردم
دمشق ١٩٤٩م
ديوان عمر بن أبي ربيعة
المطبعة اليمينية ١٣١١ ، ومطبعة
السعادة ١٣٧١
ديوان الفرزدق ، نشره وحققه عبد الله الصاوي
مطبعة الصاوي بمصر سنة ١٣٥٤
ديوان القطامي
برلين ١٩٠٢م
ديوان كثير
الجزائر ١٩٢٨
ديوان كعب بن زهير
دار الكتب المصرية ١٩٥٠م
ديوان ليبيد
فيينا ١٨٨٠م
ديوان المتلمس
ليبسك ١٩٠٣

الزهرة ، لأبي بكر الأصفهاني
بيروت ١٩٢٣م
سرح العميون لابن زيدون
الموسوعات بمصر ١٣٢١
سيرة ابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين
مطبعة حجازي بمصر ١٣٥٦
شذرات الذهب لابن العماد
مكتبة القدس ١٣٥٠
شرح شواهد سيبويه للأعلم
(على حاشية الكتاب)
شرح شواهد المعنى (على حاشية خزانة
الأدب للبغدادي)
شرح شواهد المعنى ، للسيوطي
المطبعة الهيئة بمصر ١٣٢٢
شرح ابن عقيل
السعادة ١٣٦٧
شرح المختار من شعر بشار
مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٥٣
شرح مقامات الحريري للشريشي
بولاق ١٣٠٠
شرح النقائض لأبي عبيدة
ليدن ١٩٠٥م
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
اليمينية ١٣٢٩

الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق
أحمد محمد شاكر
مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤
شعر السننفرى (ضمن مجموعة الطرائف
الأدبية)
شعراء النصرانية في الجاهلية، لويس شيخو
بيروت ١٩٢٦م
الشهاب في الشيب والشباب، للشريف
المرتضى
الجوائب ١٣٠٢
كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري
مطبعة عيسى الحلبي ١٣٧١
طبقات الشعراء لابن سلام ، تحقيق محمود
محمد شاكر
مطبعة المعارف سنة ١٣٧١
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
السعادة ١٣٧١
الطرائف الأدبية جمعها وحققها عبد العزيز
اليميني
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
سنة ١٩٣٧م
العقد الفريد لابن عبد ربه
لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥٩
العمدة لابن رشيق
السعادة ١٩٠٧م

الكنايات للجرجاني
السعادة ١٣٢٦
الآلآى فى شرح أمالى القالى، تحقيق الأستاذ
عبد العزيز الميمنى
مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر
١٣٥٤
لامية العرب ، بشرح الزمخشرى
مطبعة مصر ١٣٢٨
لباب الآداب، تحقيق أحمد شاكر
الرحمانية ١٣٥٤
لزوم مالا يانزم ، للمعرى
مطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٥م
لسان العرب لابن منظور
بولاق ١٣٠٠
لسان الميزان لابن حجر
حيدر آباد ١٣٢٩
مجالس ثعلب، تحقيق عبدالسلام هارون
المعارف ١٩٤٨ م
المجالس المذكورة للعلماء
مصورة دار الكتب المصرية برقم
١٩٦٣٣ ز
مجمع الأمثال ، للميدانى
المطبعة البهية ١٣٤٢
مجموعة المعانى
مطبعة الجوائب ١٣٠١

عيون الأخبار ، لابن قتيبة
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣
عيون التواريخ
مخطوطة دار الكتب المصرية ١٩٤٩،
١٤٩٧ تاريخ
الفاضل والمفضول ، للمبرد
مطبعة دار الكتب المصرية
الفائق فى غريب الحديث ، للزمخشرى
مطبعة عيسى الحلبي ١٣٤٦
الفرق بين الفرق للبهنادى
المعارف ١٣٢٨
الفهرست لابن النديم
ليبسك ١٨٧١ م
فوات الوفيات ، لابن شاكر
مطبعة بولاق ١٢٨٣
القراءات الشاذة لابن خالويه
الرحمانية ١٩٣٤ م
الكامل لابن الأثير = تاريخ ابن الأثير
الكامل للمبرد ، بشرح المرصفى
مطبعة النهضة بمصر ١٣٤٦
الكتاب ، لسبيويه
بولاق ١٣١٦
الكشاف للزمخشرى
المطبعة البهية بمصر سنة ١٣٤٣
كشف الظنون، لحاجى خليفة
الآستانة ١٣٦٠

معجم ما استعجم للبكري ، بتحقيق

مصطفى السقا

مطبعة لجنة التأليف والترجمة بمصر

سنة ١٣٦٤

المعلقات بشرح التبريزي

المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٣

كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني

مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٣

مفاتيح العلوم للخوارزمي

محمد منير ١٣٤٢

المفضليات لابن الأنباري

طبع بيروت ١٩١٢ م والمعارف

بمصر ١٣٧١

مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني،

تحقيق السيد صقر

مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٨

مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق عبد

السلام هارون

مطبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٦٦

الملل والنحل للشهرستاني

المطبعة العنانية بالهند ١٢٦٣

الموازنة بين أبي تمام والبحتري

بيروت ١٣٣٢

المؤتلف والمختلف للأمدى

القدس ١٣٥٤

المحسن والأضداد ، للجاحظ

السعادة ١٣٣٠

مختارات ابن الشجري

مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٣٤٤

المخصص لابن سيده

ببلاط ١٣١٨

المرزباني = معجم الشعراء

المزهر للسيوطي

مطبعة عيسى الحلبي

مصارع العشاق

الجوائب ١٣٠١

المعارف لابن قتيبة

المطبعة الإسلامية بمصر ١٣٥٣

معاني الشعر لابن قتيبة

حيدر آباد ١٩٤٩

معاني المسكري = ديوان المعاني

معاهد التنصيص ، تحقيق محمد محي

الدين عبد الحميد

مطبعة السعادة ١٣٦٧

معجم الأدباء لياقوت

دار المأمون ١٩٣٦ م

معجم البلدان لياقوت

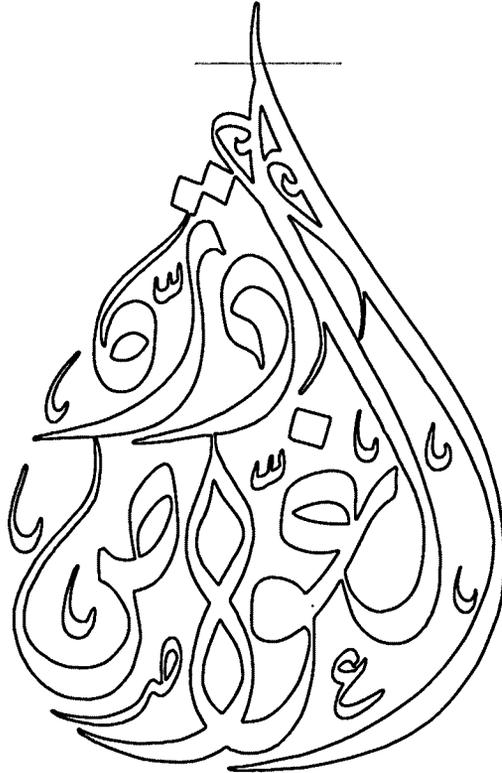
السعادة ١٣٢٣

معجم الشعراء للمرزباني

طبع القاهرة سنة ١٣٥٤

نوادير أبي زيد
بيروت ١٨٩٤م
نوادير المخطوطات، تحقيق عبد السلام
هارون
مطبعة السعادة ١٩٥١م
الوزراء والكتاب للجهشياري
مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ١٣٥٧
الوساطة بين المتنبي وخصومه
مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤
وفيات الأعيان = ابن خلكان

الموشح للمرزباني
المطبعة السلفية ١٣٤٣
الميسر والقдах لابن قتيبة
السلفية ١٣٤٢
النجوم الزاهرة لابن تغري بردى
دار الكتب المصرية ١٩٢٩م
نكت الحميان ، للسفدي
القاهرة ١٩١٠م
النهاية لابن الأثير
العثمانية ١٣١١



تصويبات الجزء الأول*

س	س	س	س
[النساء : ١٥٥]	٣	٢٢٨	١٦ م ١٣
والمحالة	١٢	٢٣٧	١٦ م ٢٥
والآلى	٥	٢٥٦	١ ٣٠
أبو الشمقمق	١١	٢٦٩	[غافر : ٨]
تُسِفَ ١٥،١٤	٢٨١		١ ٤٢
٤٤ ، ٣٠ :	١٠	٢٩٩	١٢ ٤٦
[البقرة : ١٢٠]	١٨	٣٠١	٢٠ ١٠٠
[الممتحنة : ٨]	٢	٣٠٢	٩ ١٠٩
[البقرة : ٢٤٩]	١٠	٣٠٢	١٠ ١١٠
أبي الصقر إسماعيل	١٠	٣٠٣	١٣ ١٢١
مقاليتها	٣	٣١٩	١٠ ١٢٤
لا تخفه	١٤	٣٣٣	١٣ ١٤٠
فدخل مسرور	٢٢	٣٣٥	٣ ١٤٧
[إبراهيم : ٩]	٦	٣٦٥	١٩ ١٤٩
عبد الملك	١٥	٣٧٢	٣ ١٥٦
« لا يُوردُ »	٨	٣٧٧	[التوبة : ٤٢]
الظلال	٦	٣٨١	١٣ ١٨٩
حبُّ	٢١	٣٨٢	١٧ ٢٠٥
يا طالب	٧	٣٨٣	١٢ ٢٠٧
مطيق	٦	٣٨٥	١١ ٢١٩
الحِطَاء ١٩،١٨	٣٨٦		١٧ ٢٢٠
حسن لو	١٣	٣٨٩	٣ ٢٢٤
			١٥ ٢٢٦

(* أثبتنا بعض التصويبات في نهاية الجزء الأول ، وثبت هنا ما فاتنا استدراكه .

س	س	س	س		
في الجِدِّ	١٧	٥٤٢	أني سربتِ	٤	٣٩٣
رمل	١٢	٥٨٢	أبو عبد الله الحكيمى	٩	٤٠٧
وذو زهاء	١٩	٥٨٢	[القصص : ٧٣]	١٧	٤١٩
يُورَدُهُ	٦	٦٠٢	كثير النظائر	١٨	٤١٩
المغبة	١١	٦٠٢	[الواقعة : ٧٧-٧٩]	١٨	٤٢٧
ولمحمد بن حازم	٩	٦٠٦	ديوان ذى الرمة : ٣٨	١٩	٤٢٩
حُلِّلُ	٢١	٦٢٣	حييتُ	٨	٤٦٣
لم يكن ذلك	١٣	٦٣٢	أميم القلب	٤	٤٩٥
فكلُّ	٢٣	٦٣٥	أفحوان	٣	٥١١



تصويبات الجزء الثاني

ص	س	ص	س
٢٠٨	٤	دُسَّت	١ ٣٠
٢٤٣	٧	إلا مرأتين	٥ ٣٠
٢٩١	١٦	حملت	١٢ ٤١
٢٩٢	١	[المائدة : ٢٩، ٢٨]	٤ ٤٦
٣٨٠	١	عصبت	١ ٥١
٤٧٦	٢	جَنَانِ المحاذر	٧ ٥١
٤٧٩	٢١	الإرْبَةِ : الدهاء	١٤ ٦٠
٤٨١	١٠	والأرْبَةِ : العقدة	١٤ ٦٠
٤٨٤	١٧	وتُعْظِمُ	٨ ٦١
٤٩٢	٢٠	وتطمئن	١٩ ٦٤
٥٠٢	١٠	مُبْسَلًا	٢٠ ٧٣
٥٠٣	١٣	السلام ^(١)	١٥ ٩٠
٥٠٦	٥	مرت ^(٢)	١٦ ٩٠
٥١٠	٩	المسبَلِ	٩ ٩٤
٥١٤	٦	خِلَالَهُ	٨ ١٢٨
١٣٤ : ١		﴿وقلنا يا آدم...﴾	١١ ١٥٤
٥١٦	١٥	(١) البيت لحاتم	١٩ ١٥٥
٥١٧	١	﴿والله جَمَلٌ...﴾	١٥ ١٨٧
٥٢٥	١٣	فلا يُسْكِنُ	٨ ١٩٣
٥٣٣	٣	« لا بُورِدَنَّ	٩ ٢٠٣

(**) البيت لم تعرف نسبه .

(*) وتروى لقيس بن عاصم .

س	س	س	س
١٥١:٢	٢٥	٥٥٠	(يسار) الغواني ١٥١:٢
٢٤٢:٢	٢٠	٥٥١	(يسار) يمانيا ٢٤٢:٢
٢٨٣:٢	٢٦	٥٥٤	(يسار) المكفر ٢٨٣:٢
٧٢:١	٣	٥٥٥	(يمين) قالا ٧٢:١
٣٢٥:١	٢	٥٥٩	(يمين) همومها ٣٢٥:١
٢٨٦:٢	١٧	٥٤٠	(يمين) قيس بن عاصم ٢٨٦:٢
١١٠:١	٨	٥٤٣	(يمين) أن يفضبوا ١١٠:١
١٣،١٢	١٣،١٢	٥٤٧	(يسار) يحذف ما بعد رقم ٤٤
٤٨٧:١	١٤	٥٤٩	(يمين) هبونها ٤٨٧:١
٥٥٩:١	١٨	٥٤٩	(يمين) نوائح ٥٥٩:١



مكتبة الدكتور وزير الشريعة

